




KÖPRÜLÜ KÜT.
313

[illegible]

۴۱۴

علی القاری علی الشفاء
الشریف

فهرست الجزء الاول من شرح الشفا للعلامة منلا علي القارى





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل القرءان شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * وشفى به من كان اشفى على شفا ارجهنم من الكافرين * والصلاة والسلام على سيد المرسلين * وسيد الاولين والاخرين * وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين واتباعه واشياعه اجمعين الى يوم الدين (اما بعد) فيقول افقر العباد الى كرم ربه البارى * على بن سلطان محمد القارى * لما رايت كتاب الشفاء * فى شمائل صاحب الاصطفاء * اجمع ما صنف فى بابه مجملا فى الاستيفاء * لعدم امكان الوصول الى انتهاء الاستقصاء * قصدت ان اخدمه بشرح بعض ما يتعلق به من تحقيق الاعراب والبناء * رجاء ان اسلك فى سلك مسالك العلماء يوم الجزاء * فاقول وبالله التوفيق * وبتأييده ظهور التحقيق * ان المصنف رحمه الله تعالى كان وحيد زمانه * وفريد اوانه * متقنا العلوم الحديث واللغة والنحو والآداب * وعالما بايام العرب والانساب * ومن تصانيفه المفيدة الاكمال فى شرح مسلم كمل به المعلم * فى شرح مسلم * للمازرى ومنها مشارق الانوار فسر به غريب الحديث ومنها الشفا فى حقوق المصطفى ومنها شرح حديث ام زرع الى غير ذلك وله اشعار لطيفه متضمنة لمضامين منيفه مولده منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة وتوفى يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة وقيل فى شهر رمضان سنة اربع واربعين وخمسمائة قال (بسم الله الرحمن الرحيم) اقتدآء بالكلام المجيد واقتفاء بالحديث الحميد ثم قال (اللهم صل على محمد وآله) اى واتباعه المتضمنين لاصحابه (وسلم) وهذا طريق المغاربة حيث يأتون بالتصلية والتحية بين البسملة والحمدلة كما فى الشاطبية ولعل فيه اشعارا بان البسملة المشتملة على نعت الالوهية وصفات الرحمانية والرحيمية بمنزلة شطر الشهادتين من كلمة التوحيد فلا بد من انضمام الشطر الاخر لاتمام معنى التمجيد ليترتب على توفيق تحصيل هذا المقام مقال التحميد ثم فى بعض النسخ المصححة قبل قوله الحمد لله (قال الفقيه) وفى نسخة الشيخ الفقيه (القاضى الامام الحافظ ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض) بكسر العين (اليحصبى) بتثليث الصاد والفتح اخف وبه ثبتت رواية الشاطبى وهو نسبة الى يحصب بن مالك قبيلة من حمير باليمن (رحمة الله تعالى عليه) ولا شك ان هذا الادخال من المقال صدر من بعض ارباب الكمال من تلاميذ المصنف او من بعده ولكن اللائق فى فعله ان يأتى به قبل البسملة ليقع الكل من مقوله ولعله تحاشى من تقديم ذكره فوقع وهم فى حقه فالاولى ان يفعل مثل هذا العنوان ورآء الكتاب على قصد التبيان او بقلم آخر اولون مغاير فى هذا المكان ثم تحقيق مباحث البسملة والحمدلة وما يتعلق بهما من وجوه التكملة قد كثر فى تصانيف العلماء وتآليف الفضلاء وقد ذكرنا طرفا منها فى بعض تصانيفنا كما هو دأب البلغاء والمقصود بعون الملك المعبود هو ان المصنف قال (الحمد لله) بالجملة الاسمية لافادة الديمومية لان الفعل دال على اقتران مدلوله بزمان والزمان لا ثبات له فكذا ما قارنه واللام فيه للاستغراق عند اهل السنة خلافا للمعتزلة اذ كل كمال انما هو لله سبحانه

فى حقيقة الحال او طريقة المآل (المنفرد باسمه الاسمى) وفى نسخة المتفرد من باب التفعل بمعنى المتوحد الممتاز عن المشاركة فانهما واحد فى المعنى وان اختلفا فى المبنى والاسمى افعل تفضيل من السمو وهو الارتفاع اى الممتاز عن المشاركة فى اسمه الاعلى والاضافة للتعميم فان لله الاسماء الحسنى وكل واحد منها فى مرتبته هو الاعلى واغرب الشمنى فى تفسير الاسمى بالعالى (المختص) صفة لله كالمنفرد ويجوز قطعهما بنصبهما او رفعهما اى المخصوص (بالملك الاعز الاحمى) اى الموصوف باختصاص الاستيلاء على البلاد والعباد باطنا او ظاهرا على وجه الاعزية الذى لا يحوم حوله ذل ومغلوبية لانه فى غاية المنعة ونهاية الحماية لا يقربه احد اولا وآخرا والملك بضم الميم فانه ابلغ من كسرها وعليه النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسرها (الذى ليس دونه) اى قريب منه (منتهى) اى موضع غاية ومحل نهاية فيفيد معنى البقاء فانه اول قديم بلا ابتدآء وآخر كريم بلا انتهاء او المراد انه ليس للقرب منه نهاية يدركها احد ولو كان من اهل العناية ويلائمه قوله (ولا ورآءه مرمى) مقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم ليس ورآء الله مرمى ولا منتهى اى ليس غيره او بعده مقصد للورى واصل المرمى بفتح الميمين موضع الرمى شبه بالغرض والهدف الذى ينتهى اليه سهم الرامى قال النابغة * وليس ورآء الله للمرء مذهب * وفى النهاية اى ليس بعد الله لطالب مطلب فاليه انتهت العقول ووقفت فليس ورآء معرفته والايمان به غاية تقصد وحاصل الجملتين انه تعالى ليس فى جهة ولا حيز مسافة ليكون للقرب غاية وللبعد منه نهاية واما القرب والبعد الثابت فى نحو حديث ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت فانما هو القرب والبعد المعنوى لا الصورى والحسى وانما كمال القرب فى الحب بحيث لا يشهد السالك الا الله ويفنى عن شهود ما سواه حتى يفنى عن نفسه ويبقى ببقاه ونهاية البعد هو الغفلة عن الله على وجه يشاركه ما خلقه وسوآه (الظاهر) اى بالادلة الدالة على وجوده وكمال كرمه وجوده لاعين الحقيقة فى شهوده يقينا وقطعا (لا تخيلا) اى لا ظنا بالقوة الخيالية (ووهما) بسكون الهاء اى ولا وهما كما فى نسخة مصححة ولا غلطا بالقوة الوهمية والمراد ان الله تعالى ظاهر بصفاته لدلالة مصنوعاته وظهوره لنا ليس على جهة ظن ووهم بل ظهورا يغلب نورا ادركناه بعيون بصائرنا فى الدنيا وسيرونه الاحباء بعيون ابصارهم فى العقبى والحاصل ان جميع المخلوقات دالة على وجود الوهيته وتحقيق وحدانيته

فى كل شىء له آية * تدل على انه الواحد

(الباطن) وفى نسخة والباطن اى باعتبار ذاته دون صفاته (تقدسا) اى تنزها فانه كما قال الغزالى وغيره كل ما خطر ببالك فالله ورآء ذلك (لا عدما) بضم فسكون لغة فى المفتوحين اى لا فقدا وعدما اذ لا يقتضى عدم ظهوره نفى وجوده ونوره لانه قد ثبت بالدليل القطعى قدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه والتحقيق المتضمن للتدقيق على وجه التوفيق انه باطن لا يدرك احد حقيقة ذاته ولا يحيط احد بكنه صفاته وهذا بالنسبة الى ما سواه فانه لا يعرف الله الا الله ونصبهما على التمييز واما قول الدلجى تمييزا وتعليل لكونه باطنا فهو وان كان صحيحا فى هذا المبنى لكن التعليل لا يصح بحسب المعنى فى قوله (وسع كل شىء رحمة وعلما) اى احاط بكل شىء رحمته وعلمه فان كل شىء لا يستغنى عن رحمته ايجادا وامدادا وعلمه شامل للجزئيات والكليات احصاء واعدادا والجملة مقتبسة من قوله تعالى ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما والاقتباس ان يتضمن الكلام شيأ من القرءآن او الحديث على وجه لا يكون فيه اشعار بانه منه (واسبغ) اى اكمل بالرحمة الخاصة والعلم المختص بالهداية (على اوليائه) اى المؤمنين على قدر كمالاتهم ومراتب حالاتهم (نعما) بكسر ففتح جمع نعمة وفى نسخة بضم فسكون مقصورا لغة فى النعمة لكنه يكتب بالياء مع انه غير ملائم لقوله (عمما) بضم المهملة وتشديد الميم جمع عميمة وهى العامة الشاملة التامة ووهم من قال من المحشين انها جمع عمة فانه يقال نخل عم ونخلة عميمة والحاصل ان رحمته وسعت كل شىء فى امر الدنيا لكن له رحمة خاصة بارباب العقبى كما قال ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون الآية وكذا علمه بكل شىء محيط بمعنى المعية كما قال وهو معكم اينما كنتم ونحن اقرب اليه من حبل الوريد لكن لارباب الخصوص معية خاصة كما يدل عليه قول موسى عليه الصلاة والسلام ان معى ربى وقول نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم للصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا وتأمل التفرقة بين الكلامين فان الثانى مشير الى مقام جمع الجمع والاول مشير الى مقام التفرقة والمنع واما ما ذكره الدلجى من ان تصديره هذه الفقرة بالواو الموضوعة للجمع دون ما قبلها مع ان اجزآء الصفات المتعاقبة على موصوف واحد مشعرة به يلوح بزيادة جمعية وارتباط معية ففيه مناقشة خفية لان اجزآء الصفات المفردة يؤتى بها من غير واو والجمعية فى الجمل الاسمية كقوله تعالى وهو الغفور الودود مع جواز اتيان العاطف بخلاف الجمل الفعلية ولهذا قال (وبعث) اى ارسل الله (فيهم) اى فى اوليائه ولاجل احبائه ولذا قيل انه لم يرسل فى الحقيقة الى اعدآئه ثم المؤمنون هم المراد باوليائه لقوله سبحانه وتعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم (رسولا) اى نبيا مرسلا امر بتبليغ الرسالة موصوفا بكونه (من

انفسهم) بضم الفاء اى من جنسهم العربى او البشرى دون الملكى للحكم الالهى (انفسهم) بفتح الفاء ونصب السين اى اشرفهم واعظمهم فى نفوسهم فالاول جمع النفس بسكون الفاء والثانى افعل من النفيس و جمع بينهما كما قرئ فى الاية بهما ونصب انفسهم الثانى على انه صفة رسولا او بدل او حال وفى بعض الحواشى ضبط بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو انفسهم من نفس بالضم صار مرغوبا فيه لشرفه (عربا وعجما) بضم فسكون فيهما وهو ولغة فى فتحتيهما والمراد بالعرب هنا اعم من سكان القرية والبادية كما ان المراد بالعجم ضد العرب الشامل لاهل فارس والترك والهند وغيرهم ونصبهما على التمييز وقال الدلجى حالان لا زمان من ضمير انفسهم ورد بيانا لنوعى المنفوسين واما قول بعضهم فى حاشيته وانفسهم بفتح الفاء اى اعلاهم وخيارهم وهو من النفاسة ولا يجوز ضمها لان الضمير عائد الى الاولياء فخطأ ولعله مبنى على ان لفظ انفسهم لم يكن مكررا عنده والا فان اراد عدم جواز الضم فى انفسهم الثانى فلا كلام فيه الا ان تعليله لا يصح وان اراد مطلقا فغلط محض (وازكاهم) اى اطهرهم وانماهم (محتدا) بفتح الميم وكسر الفوقية اى اصلا وطبعا (ومنمى) بفتح الميمين مصدر ميمى اى نموا وزيادة وارتقاء وقد ذكر الحلبى وغيره انه اذا كان الفعل معتل اللام مثل رمى فقياس المصدر منه مفعل مثل نمى منمى ورمى مرمى وسرى مسرى انتهى وفيه ان مصدر الثلاثى المجرد مطلقا يجيء على مفعل بفتح العين قياسا مطردا كمقتل ومضرب ومشرب كما فى الشافية فلا وجه لقيده بالمعتل نعم هذا القيد يعتبر فى اسمى الزمان والمكان منه والله اعلم واختار الدلجى انهما اسما مكان فمعناه من حتداذ المقام والمراد بهما مكة المشرفة فان للامكنة دخلا ما فى شرف الاخلاق وطهارتها وحسن الافعال ونجابتها (وارجحهم) بالنصب عطفا على انفسهم الثانى اى ارزنهم (عقلا) اى تعقلا (وحلما) اى تحلما (واوفرهم) اى اتمهم (علما وفهما) وفى نسخة بالعكس رعاية للحلما والفهم هو العلم وسرعة ادراك الشئ فالحمل على المعنى الثانى اولى واختلف فى حقيقة العقل والاقرب قول القاضى ابى بكر العقل علم ضرورى بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ولعله اراد به تعريف العقل الكامل والله تعالى اعلم وقيل الفهم ازالة الوهم (واقواهم) اى اشدهم وفى نسخة اوفاهم اى ازيدهم (يقينا) اى علما زال فيه الريب تحقيقا (وعزما) اى اهتماما بالغا ليس فيه رخصة ما فقيل جدا وقيل صبرا (واشدهم) اى بهم كما فى نسخة صحيحة (رافة) اى زيادة رحمة (ورحما) بضم فسكون اى رحمة وعطفا قال تعالى واقرب رحما قرأ الشامى بضم الحاء والباقون بسكونها وفى نسخة مقصور وهو تعميم بعد تخصيص لا مجرد تغاير لفظى كما ذكره الحلبى وفيه ايماء الى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم من قوله لا تخيلا ووهما الى هنا منصوبات على التمييز خلافا لما بعده ولذا فصله بقوله (زكاه) بتشديد الكاف اى طهره (روحا وجسما) فهما بدلان من الضمير فانه عينهما لا غيرهما على خلاف التمييز وقال الدلجى تمييزان حولا عن كونهما مفعولين وايراد هذه الفقرة بلا عاطف دون ما قبلها لكمال انقطاع بينهما لاختلافهما ثبوتا وسلبا انتهى وهو وهم منه وغفلة صدرت عنه لان هذا الكلام انما يصح لو عطف فى زكاه وترك العطف فى حاشاه ثم المراد بالجسم الجسد وهو جسم كثيف ظاهرى بخلاف الروح فانه جسم لطيف باطنى اما تزكية روحه صلى الله عليه وسلم فلكونه اشرف الارواح المطهرة لا من اشرفها كما قال المحشى فانه كما قال صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله روحى وسائر الارواح انما خلق ببركة روحه ونور وجوده كما روى لولاك لما خلقت الافلاك فانه صحيح معنى ولو ضعف مبنى واما تزكية جسده فلشق جبريل عليه السلام صدره واستخراج حظ الشيطان منه وغسله بماء زمزم لا بماء الجنة كما قاله المحشى الا انه ان صح رواية يجمع بينهما دراية ويمكن ان يكون الروح والجسم كنايتين عن الخلق والخلق فانهما مزكيان من جانب الحق واغرب المحشى حيث قال فى رأفة ورحما اشترط من اجاز العطف ان لا بد من زيادة معنى فى المعطوف وقال هنا فيه دلالة على جواز العطف وان تغاير اللفظان والمعنى واحد من غير زيادة وابعد الحلبى حيث تبعه فى الموضعين وقال هنا وهذا الازائد ولا مساوى ولعله فعل ذلك للسجع انتهى وقد بينت لك الفرق بين الرأفة والرحمة واما الفصل بين الروح والجسد فظاهر للعامة فضلا عن الفضلاء الخاصة (وحاشاه) اى نزهه الله وبرأه (عيبا ووصما) اى عارا على ما صرح به فى القاموس فهو تخصيص بعد تعميم خلافا لمن زعم انهما متساويان وتبعه الحلبى والدلجى ثم نصبهما بنزع الخافض اى من عيب ووصم (وآتاه) بالمد اى اعطاه الله تعالى (حكمة) وهى فى الاصل ما يمنع من الجهالة فانها مأخوذة من الحكمة بفتحتين وهى اللجام المانع من النفور اى علما بالشرائع المشتملة على الحكم المبنية على الاتقان والاحكام (وحكما) بضم فسكون اى قضاء بالاحكام قال المحشى وتبعه الدلجى فيه تجنيس التحريف وهو تحريف من احدهما والصواب التطريف وهو ان يختلف المتجانسان فى اعداد الحروف وتكون الزيادة فى الاخر على ما فى شرح مختصر التلخيص ثم هما منصوبان على المفعولية الثانية واغرب التلمسانى بقوله هما مترادفان وجمعهما للتأكيد (وفتح به) اى فتح الله تعالى بسبب نبينا صلى الله عليه وسلم (اعينا عميا) اى عن رؤية الحق وهو بضم

فسكون جمع عمياء بفتح فسكون ممدودا وابعد التلمسانى حيث قال عميا صفة للاعين وهو جمع اعمى وقال المحشى كان الاولى ان يأتى بجمع كثرة لكن قد يأتى جمع القلة بمعنى الكثرة كقوله تعالى جنات عدن بمعنى جنان وقد تأتى الكثرة بمعنى القلة كقوله تعالى ثلاثة قروء اى اقراء وتبعه الحلبى وقال الاولى ان يأتى به جمع كثرة لكنه تبع الحديث الصحيح والمراد به هنا وبالحديث الكثرة انتهى وقال الحافظ العسقلانى الكثرة العددية من الامور النسبية فيحتمل ان يكون العدول عن جمع الكثرة فى الحديث الى جمع القلة للاشارة الى ان الكفار اكثر من المسلمين (وقلوبا) جمع قلب وسمى به لتقلبه فى ايدى مقلب القلوب كما قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا انه يتقلب

(غلفا) بضم فسكون جمع اغلف كانه جعل فى غلاف فهو لا يعى وقالوا قلوبنا غلف اى ذوات غلف لا تعى كلمة الحق ولا تفهمها لانها لا تصل اليها (وآذانا) بمد الهمزة جمع اذن (صما) بضم فتشديد ميم جمع صماء لا اصم كما سبق اى لا تسمع النصيحة والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاهم بآيات واضحة ومعجزات لائحة فاجتلت ابصارهم ووعت قلوبهم وقبلت اسماعهم (فآمن به) اى صدق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما جاء به (وعزره) اى عظمه ووقره وهو بتشديد الزاى ووهم التلمسانى حيث قال تخفف وتشدد ففى القاموس العزر اللوم والتعزير التعظيم او المعنى منعه من عدوه اذ اصل العزر المنع ومنه التعزير لانه يمنع من معاودة القبيح (ونصره) اى ايده واعانه ايماء الى قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه والضمير فى الاية يجوز ان يكون لكل منهما والاظهر ان يكون الى الاخير فان الايمان به متضمن للاول فتأمل ثم الفاعل قوله (من) اى الذى (جعل الله تعالى له فى مغنم السعادة) اى فى غنائم السعادة الايمانية والسيادة الايقانية (قسما) بكسر فسكون اى حظا ونصيبا مقسوما واما بفتح القاف فهو مصدر (وكذب به) اى كفر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وصدف عن آياته) اى اعرض عن معجزاته البرهانية اومال عن قبول آياته القرآنية (من كتب الله) اى قدر وقضى واوجب (عليه الشقاء) بالمد مفتوحا وبكسر اى الشقاوة كما فى نسخة وهى اولى من الاولى كما لا يخفى وقال التلمسانى الشقاء العذاب وهو ممدود انتهى ولا يخفى عدم الملائمة بالمقابلة للسعادة مع ان صاحب القاموس قال الشقا الشدة والعسر ويمد والظاهر ان معناه التعب كما فسر به قوله تعالى فتشقى وقوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لا بمعنى العذاب المتعارف والله اعلم (حتما) اى حتما مقضيا يعنى وجوبا متحتما لازما لا بدله من فعله ولا تبديل ولا تحويل فيه اصلا وقطعا (ومن كان فى هذه) اى الدنيا الدنية التى هى محل تحصيل الكمالات الدينية (اعمى) اى عن الامور العلمية والعملية او عن طريق الحق وبصيرة الصدق (فهو فى الآخرة اعمى) فاعل او خبر اى فهو فيها اعمى اى بالطريق الاولى او اشد عمى مما كان فى الدنيا او اعمى عن النجاة ورؤية سبيل اهل الهدى والحاصل ان اعمى فى الموضعين افعل وصف والمعنى من كان فى الدنيا لا يبصر طريق هدايته لا يرى فى العقبى سبيل عنايته وقيل اعمى الثانى للتفضيل كاجهل وابله ولهذا عطف عليه فى الآية واضل سبيلا ولم يمله ابو عمرو ويعقوب لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسط كما فى اعمالكم ولا يبعد ان يراد بالعمى فى الدنيا الجهالة والضلالة فى الامور الدينية وكون اعمى فى الاخرة بالطريق الصورية والمعنوية (صلى الله تعالى عليه صلاة تنمو) بفتح فسكون فضم من النمو اى تزيد عددا وادا آنما (وتنمى) بصيغة المجهول من الانماء اى ويزيدها الله او يزيد ثوابها ابدا والمعنى تزيد فى نفسها او يزاد فيها وفى نسخة صحيحة بدل الاولى تنمى كترمى بالياء بدل الواو وهو الاولى من جهة صنيع الجناس المستحسن فى المبنى مع انه اللغة الاشهر عند الاكثر ففى الصحاح نمى المال وغيره ينمى نماء وربما قالوا ينمو نموا وانماه الله تعالى انماء انتهى وفى غالب النسخ المصححة تنمو بالواو وعن الخليل انه الافصح وبهذا يتبين ان قول الحلبى وفى لغة ينمو وهو ضعيف هو الضعيف لمخالفة الجمهور ولمعارضة شيخه مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس حيث قال نما ينمو زاد كنمى ينمى واما ما نقل عن الكسائى لم اسمعه بالواو الا من اخوين من بنى سليم ثم سألت بنى سليم فلم يعرفوه فالجواب عنه انه على تسليم صحته يكون لغة لغيرهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (وعلى آله) اى اتباعه ولذا لم يقل واصحابه وفى نسخة وصحبه على انه تخصيص بعد تعميم او المراد بالآل اقاربه والعطف لزيادة التشريف والتكريم (وسلم) بفتح اللام عطف على صلى (تسليما) اى تسليما عظيما ووقع فى بعض النسخ زيادة كثيرا وهو مخل بالسجع المرعى فى الفواصل ثم ظاهر آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما دال على وجوب الصلاة والسلام عليه كلما ذكر وكذا حديث من ذكرت عنده فلم يصل على دخل النار فابعده الله تعالى وحديث رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل على وبه قال الطحاوى من الحنفية والحليمى من الشافعية واللخمى من المالكية وابن بطة من الحنابلة والجمهور على انها فى العمر فرض مرة والمحققون على انها فرض فى كل مجلس ذكر صلى الله

تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (امابعد) بضم الدال مبنيا لحذف المضاف اليه وكونه منويا وقال الحلبي وبفتحها اجازه هشام وقال النحاس انه غير معروف ورفعها منونة وكذا نصبها انتهى وذكر النووي في باب الجمعة من شرح مسلم انه اختلف العلماء في اول من تكلم باما بعد فقيل داود عليه الصلاة والسلام وقيل يعرب بن قحطان وقيل قس بن ساعدة وقال بعض المفسرين اوكثير منهم انه فصل الخطاب الذي اوتيه داود وقال المحققون فصل الخطاب الفصل بين الحق والباطل انتهى وفي الكشاف ويدخل فيه يعني في فصل الخطاب اما بعد فان المتكلم اذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله اما بعد انتهى وفي غريب مالك للدارقطني بسند ضعيف ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء وهذا يدل على ان اول من تكلم به يعقوب لا داود عليهما الصلاة والسلام ونظير فصل الخطاب كلمة هذا فانه يفصل بها بين الكلامين كقوله تعالى هذا وان للطاغين لشر مآب اى الامر هذا وهذا كما ذكر او خذ هذا او هذا المعد للمتقين واما تنظير المحشي بقوله تعالى هذا وان للمتقين لحسن مآب فغفلة عن لفظة التنزيل وهو قوله تعالى هذا ذكر وهو ليس من هذا الباب نعم نظيره ما قال الشاعر

هذا وكم لي بالجنينة سكرة * انا من بقايا خمرها مخمور

فانه اشار بهذا الى كلام تقدم ثم استأنف كلاما ثانيا والله تعالى اعلم ثم اعلم ان قس بن ساعدة الايادي بضم القاف وتشديد المهملة بليغ حكيم ومنه الحديث يرحم الله قسا اني لارجو يوم القيامة ان يبعث امة وحده) قيل هو اول من كتب من فلان الى فلان وفيه نظر لقوله تعالى انه من سليمان واول من خطب بعصا واول من اقر بالبعث من غير سماع قيل انه عاش ستمائة سنة وقد رآه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسوق عكاظ وهو راكب جملا له احمر وورد رحم الله قسا انه كان على دين ابي اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام رواه الطبراني عن غالب بن ابجر وفي رواية رحم الله قسا كأني انظر اليه على جمل اورق تكلم بكلام له حلاوة لا احفظه رواه الازدي في الضعفاء وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من قوله ايها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ثم هو من اهل الفترة واما يعرب بن قحطان فهو ابو اليمن وقيل هو اول من تكلم بالعربية وههنا قولان آخران في اول من قال اما بعد فقيل كعب بن لؤي وقيل سحبان وهو بليغ يضرب به المثل لكن هذا القول غير صحيح لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقولها في خطبته وهو قبل سحبان اجماعا لانه كان في زمن معاوية وما اجيب عنه بانه اول من قالها بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الاسلام لا يخفى بعده لاني ما اظن ان الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتركونها في خطبهم بعدما سمعوها منه صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته والله تعالى اعلم (اشرق الله) اى اضاء ونور (قلبي وقلبك بانوار اليقين) اى بانواع انواره من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين على قدر مراتب العارفين في ميادين الدين والاصل في النور الظهور واعلم ان مقتضى القواعد العربية واستعمال الفضلاء الادبية ايراد الفاء بعد اما بعد بل بعد بعد ايضا اما التقدير اما واما التوهم اما مع رفع توهم الاضافة وافادة الدلالة التعقيبية وقد قال سيبويه ان معنى اما بعد مهما يكن من شيء بعد فتعين اتيان الفاء الجزائية وسيأتي في قوله فانك فالجمل المذكورة دعائية اعتراضية واما قول التلمساني في قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فليس في محله لان اما هذه تفصيلية لا شرطية (والطف لي ولك) باللام فيهما على الاصول المصححة لا بالباء الموحدة (بما) اى بمثل ما وفي نسخة كما (لطف باوليائه) فما مصدرية وفي نسخة صحيحة بما لطف لاوليائه فما موصولة وفي نسخة بعباده (المتقين) بالباء جمعا بين اللغتين وتفننا في العبارتين فمن الاولى قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء ومن الثانية الله لطيف بعباده يرزق من يشاء ولطف بفتح الطاء من اللطف وهو على ما في المجمل بمعنى الرفق والرأفة وعلى ما في الصحاح بمعنى التوفيق والعصمة وقيل بمعنى الهداية واما بالضم فمعناه دق وصغر والالطف ما قال بعضهم من ان اللطف في اللغة الرقة وهو من الله تعالى زيادة بره للانام بامور تدق عن الافهام منها هدايتهم للايمان والاسلام وتوفيقهم لطاعاته ومراعاة الاحكام وكفهم عن المعاصي والآثام وتيسير اسباب الراحات الدنيوية والاخروية عليهم ودفع المضار المانعة عنهم وجلب المنافع اليهم ثم التقوى هو التوقي عن مخالفة المولى (الذين شرفهم) اى الله تعالى كما في نسخة (بنزل قدسه) بضمتين ويسكن الثاني فيهما الا ان السكون في الثاني اقل وفي الاول اكثر ثم النزل ما يهيأ للضيف من الكرامة لانه وقيل النزل المنزل وبه فسر قوله تعالى جنات الفردوس نزلا وقد جزم المحشي بانه مراد المصنف هنا والظاهر انه لا منع من الجمع كما اشار اليه صاحب القاموس النزل بضمتين المنزل وما هيئ للضيف ان ينزل عليه كالنزل والمعنى بالنزل الحال المقدس عن الدنس وفي نسخة بنور قدسه وهو اظهر معنى لان المراد به

وبما بعده مقامات العارفين في الدنيا وان كانت سبب درجات في العقبى فلا يلائم تفسير نزل قدسه بالجنة لنزاهتها عن الكدورات الدنيوية كما اختاره الدلجي ثم قال ويجوز ان يريد به ما يهيأ لهم من الطعام اذا دخلوها الوارد به نزل اهل الجنة زيادة كبد الحوت واما ما هو في ولكم فيها ما تدعون نزلا فحال من ضمير تدعون تلويحا بان ما يتمنونه بدعائهم بالنسبة الى عطائهم مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف (واوحشهم) من الوحشة ضد الانسة يقال اوحشه فاستوحش اى جعلهم ذوي وحشة (من الخليقة) وفي نسخة من بين الخليقة (بانسه) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس ولا يمكن دفع العوائق الا بقطع العلائق فالمعنى ابعدهم الله تعالى عن الخليقة وقربهم منه على مراعاة الشريعة والطريقة والحقيقة فيكونون كائنين بائنين قريبين غريبين عرشيين فرشيين مع الخلق في الصورة ومع الحق في السريرة كما هو دأب الانبياء وعادة الاولياء به آنسون ومن غيره آيسون (وخصهم من معرفته) اى جعلهم اهل الخصوص من اجل معرفته وفي نسخة بمعرفته اى جعلهم مخصوصين بها بحيث لا يلتفتون الى معرفة غيره اصلا (ومشاهدة عجائب ملكوته) فعلوت من الملك بزيادة الواو والتاء للمبالغة وفرق بين الملك والملكوت اذا اجتمعا بان يخص الاول بظاهر الملك والثاني بباطنه او الاول بالعالم السفلي والاخر بالعالم العلوي قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وقال عز وجل فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء ومعنى المشاهدة المعاينة واغرب التلمساني حيث فسرها بالحضور مع قوله مصدر شاهد بمعنى رأى ثم العجائب جمع عجيب وهو ما يتعجب فيه من الامر الغريب (وآثار قدرته) اى من مطالعة مصنوعاته (بما ملأ قلوبهم حبرة) بفتح المهملة وسكون الموحدة اى مسرة من الحبور وهو السرور وقيل معناها النعم والكرامة ومنه قوله تعالى فهم في روضة يحبرون اى ينعمون ويسرون ويكرمون ثم الجار متعلق بخص او بالمشاهدة وما مصدرية او موصولة وقلوبهم مفعول به وحبرة مفعول ثان كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حق الكفار يوم الاحزاب ملأ الله قبورهم نارا او منصوب بنزع الخافض وايصال الفعل كقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة وقيل منصوب على التمييز واما ما ذكره التلمساني من انه يقال بفتح الباء الموحدة وتسكينها فوهم لان الفتح انما جاء بدون التاء على ما في القاموس او بضم الحبرة وهي سرور ظهر حبره اى اثره على وجوههم فكساها بهاء وجمالا ففي الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره بكسرهما وقد يفتحان اى بهاؤه وجماله (ووله) بالتشديد (عقولهم) اى جعلها والهة بتدبرها وتفكرها (في عظمته) وفي نسخة من عظمته (حيرة) اى ذوات تحير بما غشاها من ضياء جمال وبهاء كمال وفي نسخة ووزع عقولهم اى تركها متحيرة ولا يخفى صنعة التجنيس بين حبرة وحيرة (فجعلوا همهم به) اى بالله ودينه قائمين بحقوق الوهيته ووظائف عبوديته (واحدا) اى هما واحدا اشارة الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة والمراد بالهم هنا القصد والهمة والعزم والجزم التام ولا يبعد ان يكون بمعنى الحزن الموجب للاهتمام في سبيل الله او بسبب دينه فالضمير له سبحانه وابعد التلمساني في جعل الضمير للوله المفهوم من وله (ولم يروا) اى لم يعتقدوا ولم يبصروا (في الدارين غيره مشاهدا) بضم الميم وفتح الهاء اى مشهودا لانه كما قال بعض العارفين من ارباب الاسرار ليس في الدار غيره ديار وقال اخر من اصحاب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وزاد ابو يزيد على من سواه وقال ليس في جبتي غير الله ومن هذا المقام المحقق منصور الحلاج نطق وقال انا الحق وقال مجنون بني عامر في هذا المعنى

انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا

فهذا مقام وحال لارباب الكمال بلا حلول ولا اتحاد ولا اتصال ولا انفصال ويؤيد هذا المقال قول الملك المتعال كل شيء هالك الا وجهه ويقويه ما ورد عن النبي النبيه عليه الصلاة والسلام اصدق كلمة قالها لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل وفي نسخة بكسر الهاء وهو لطيف جدا موافق للفظ واحدا فانه يفيد بانضمام الفتح لارباب الفتوح انه شاهد ومشهود كما انه حامد ومحمود وقد علم كل اناس مشربهم وفهم كل طائفة مذهبهم وكل حزب بما لديهم فرحون ولعل بعض ارباب النسخ استنكر لفظ مشاهدا فاسقطه مع انه لم يتم بدونه التسجيع بقوله واحدا او كانهم اكتفوا بلفظ غيره حالة وقفه (فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون) وفي اصل التلمساني يتمتعون اى يتعيشون والمعنى انهم بمطالعة صفات انعامه ولائه ونعوت بلائه وابتلائه يتلذذون فاستوى عندهم المنحة والمحنة في ثبوت كمال المحبة خلافا للناقصين في المودة على ما اخبر الله تعالى في حقهم من الحرف بقوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه وفي هذا الحال قال بعض ارباب الكمال

وليس لي في سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرني

وفى القضية اشارة خفية الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن اى بين صفتى الجمال والجلال ونعتى البسط والقبض المعبر عنهما بالبقاء والفناء والتفرقة والجمع وامثال ذلك من اصطلاحات الصوفية والسادات السنية وفى كثير من النسخ المصححة كماله بدل جماله وهو غير ملائم لمقابله لان الكمال هو الجمع بين الجمال والجلال وقد يوجه باتيان الاخص بعد الاعم والله تعالى اعلم ثم لما ترقى الى اعلى المقامات وهو مشاهدة الذات تنزل الى ملاحظة الصفات فان تلك الحالة العالية قد تكون لحظة ولمحة لاتستمر فى الازمنة الماضية فقال (وبين آثار قدرته) اى من صفات الافعال (وعجائب عظمته) اى من صفات الذات ولو قال وانوار عظمته لكان له وجه حسن فى بلاغته (يترددون) اى تارة الى هذا ينظرون واخرى بهذا ينتظرون بخلاف اهل الحجب والغفلة فهم فى ريبهم يتحيرون (وبالانقطاع اليه) لقوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا (والتوكل عليه) لقوله عز وعلا فاتخذه وكيلا (يتعززون) وفيه اشارة لطيفة الى انهم الى غيره ما يتذللون لانهم بما آتاهم الله تعالى يرضون ويقنعون (لهجين) بفتح فكسر اى حال كونهم مولعين ملازمين ومواظبين مداومين متمسكين (بصادق قوله) من اضافة الصفة الى الموصوف اى بقوله الصادق المطابق (قل الله) اى موجودا ومعبودا ومشهودا وقل الله وليس فى الكون سواه (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) اى اترك اهل الغفلة واللعب والاشتغال بما لايعنيهم فى دينهم ومالا يحملهم على الحضور مع ربهم حال كونهم فى شروعهم فى الباطل وهو ما سوى الحق يضيعون اعمارهم ويخربون آثارهم عبثا بلا فائدة عائدة فى امر اولاهم وفى حال آخرهم وهذا المعنى الذى اومى اليه الشيخ من الاشارات الصوفية لا ينافى ماذكره المفسرون وارباب العربية من ان لفظ الجلالة فاعل لفعل مقدر او مبتدأ خبره محذوف لما يدل عليه السياق والسباق بالاتفاق لانه جواب عن سؤال تقدم فى قوله تعالى فى حق اليهود وما قدروا الله حق قدره اى ماعظموه حق عظمته او ماعرفوه حق معرفته اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس الى ان قال قل الله اى ان امتنعوا عن الجواب وعجزوا عن الكلام الصواب قل الله اى انزل الكتاب وفى هذا كفاية لاولى الالباب (فانك) سبق انه جواب اما والجملة الدعائية معترضة بينهما (كررت على السؤال) اى راجعته واكثرته (فى مجموع) اى فى مصنف جمع فيه صنف من الشمائل النبوية ومؤلف اجتمع فيه نوع من الفضائل المصطفوية (يتضمن التعريف) اى يحتوى الاعلام (بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام) اى بتعظيمه كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره وتوهم الحلبى بان المراد بالقدر هو المقدار فقال لو قال بعض قدره لكان احسن والمراد بالمصطفى المختار المجتبى المرتضى لحديث مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم وهذا بحسب النسب واما بطريق الحسب فلقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ولقوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ولا شك انه الفرد الاكمل فى هذا المعنى (وما يجب له من توقير) اى ويتضمن بيان ما يجب له من تعظيم واحترام (واكرام وما) اى وبيان اى شئ (حكم من لم يوف) بالتخفيف ويجوز التشديد اى من لم يكمل ولم يوفر (واجب عظيم ذلك القدر) الاضافة بيانية اى القدر الواجب من تعظيم ذلك القدر العظيم (اوقصر) اى او ما حكم من فرط (فى حق منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد اى مقامه (الجليل) بالجيم وهو الشريف المنيف (قلامة ظفر) بضم فسكون واختير للسجع والافصح بضمتين هو الافصح ويجوز كسر الظاء وسكون الفاء ايضا وقد قرئ بهن فى الاية لكن السكون مطلقا شاذ والقلامة بالضم ما يسقط من الظفر وهو كناية عن الشئ الحقير والامر اليسير (وان اجمع لك ما لاسلافنا) اى لعلمائنا المتقدمين (وائمتنا) اى لمشايخنا المتأخرين (فى ذلك من مقال) اى فيما ذكر من وجوب تعظيم قدره والحكم فيمن صدر عنه بخلافه من الاقوال (وابينه) اى المقال (بتنزيل صور وامثال) اى بتصوير صور وامثال وتقرير محامل يزول به الاشكال ايضاحا للمعنى وايصالا الى الذهن فى المبنى (فاعلم) اى ايقن وتنبه ايها المخاطب (اكرمك الله تعالى) اى كما قصدت اكرام النبى المكرم (انك حملتنى) بتشديد الميم اى كلفتنى بالحمل (من ذلك) اى الامر الذى سألتنى (امرا امرا) بفتح الهمزة فى الاول وكسرها فى الثانى اى امرا شاقا او شيأ عظيما واما قوله تعالى لقد جئت شيأ امرا اى عجبا او منكرا (وارهقتنى) اى اوقعتنى (فيما ندبتنى) اى دعوتنى (اليه عسرا) بضم فسكون وبضم اى امرا عسيرا لا اقدر عليه من التحفظ عن السهو والتيسير كما قيل فى قوله تعالى حكاية عن موسى ولا ترهقنى من امرى عسرا (وارقيتنى) اى اصعدتنى واطلعتنى من الترقى بمعنى الصعود وهو يائى ففى القاموس رقى اليه كرضى رقيا اصعد كارتقى وترقى اوهم موز حيث قال ورقأ فى الدرجة صعد لكن النسخ المصححة بالمركز تؤيد الاول فتأمل والحاصل انهما لغتان والاول هو الاشهر فى البيان واما قول التلمسانى بهمز ويسهل والهمز افصح وقيل التسهيل فيتوهم منه ان الاصل هو الهمز وهو غير صحيح لان التسهيل بمعنى الابدال غير مطابق لقواعد الاعلال فانه انما يكون على طبق ما قبله من

الحركة كما لا يخفى على ارباب الكمال والله تعالى اعلم بالحال (بما كلفتنى مرتقى) بضم الميم مصدرا اى ارتقاء (صعبا) اى شديدا اولبس كما توهم التلمسانى بقوله وكان المعنى ارقيتنى فارتقيت مرتقى صعبا اى محلا عسيرا حيث جعل المرتقى اسم مكان فاحتاج الى تقدير فارتقيت والله تعالى اعلم (ملأ قلبى رعبا) بضم فسكون وبضم اى خوفا وفزعا ووقع فى اصل التلمسانى خوفا ورعبا فقال معناهما واحد لكنه مخالف لسائر الاصول من النسخ المصححة ثم الضمير فى ملأ راجع الى ما او المرتقى والثانى اقرب لكن يؤيد الاول قوله (فان الكلام فى ذلك) اى المكلف (يستدعى تقرير اصول) اى تمهيد قواعد مقررة (وتحرير فصول) اى وتشييد فروع محررة مما يجب له صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ويمتنع كما سيأتى (والكشف) اى ويستدعى البيان (عن غوامض) جمع غامضة وهى ما لا يدرك الا بعد روية (ودقائق) جمع دقيقة وهى ادق مما قبلها مما يدق فهمه فى كل قضية (من علم الحقائق) بيان لما قبلها وهى جمع الحقيقة وهى الامور الثابتة من الادلة النقلية والعقلية وقد ابعد الحلبى والتلمسانى فى عطف الكشف على الكلام مع عدم ظهور خبره فى المقام (مما يجب) اى اثباته (للنبى عليه السلام ويضاف اليه) اى وجوبا (او يمتنع او يجوز) اى اطلاقه (عليه ومعرفة النبى والرسول) اى بالحدود الفارقة بينهما ومعرفة مجرورة معطوفة على مدخول عن او من او منصوبة على انها معمولة ليستدعى ايضا (والرسالة والنبوة) بالجر لا غير والمراد بهما الحالان فهما مغايران لما قبلهما (والمحبة والخلة) بضم الخاء وهما نعمتان كاملتان ما اجتمعتا فى غير نبينا صلى الله عليه وسلم (وخصائص هذه الدرجة العلية) بالجر جمع خصيصة وهى ما يختص به الشخص والدرجة المنزلة والمرتبة والرفعة ودرجات الجنة ارفع منازلها والدرجات ضد الدركات وقد سوغ فى التسجيع بين العلية وما قبلها فانه من الامور الرسمية ثم رايت ابن السكيت قال العلية بفتح العين وكسر اللام وكسر العين وسكون اللام فتعين الثانى لموافقة المرام (وههنا) اى وفى هذه المواضع المذكورة فها للتنبيه وهنا اسم اشارة للمكان القريب (مهامه فيح) اى مفازات واسعة ومهامه بفتح الميم الاولى وكسر الثانية جمع مهمه بفتحتين مفازة بعيدة وخلاء ليس فيه ماء والفيح بكسر الفاء جمع فيحاء بفتح ومد لا جمع افيح كما توهمه التلمسانى اى الارض الواسعة (تحار) بفتح التاء اى تتحير (فيها) اى فى سبيل معرفتها افهام ذوى النهى كما قد تحار فى سير المفازة المحسوسة اذا سلكتها (القطا) وهو بفتح القاف مقصور طائر يضرب به المثل فى كمال الهداية فيقال هو اهدى من القطا سمى بصوته وقد قيل انه يترك فراخه ويطلب الماء مسيرة عشرة ايام واكثر فيرده ويرجع فيما بين طلوع الفجر وظهور الشمس ولا يخطئ صادرا ولا واردا وهو اسم جنس وقول الجوهرى على ما نقله الحلبى وغيره انه جمع قطاة فيه تجوز والحاصل ان القطا يعرف فى المجاهل مظان المياه فلا يكاد يخطئها فاذا رأت الماء قالت قطا قطا فتعرف العرب دنو الماء ولهذا يقال فلان اصدق من القطا (وتقصر) بضم الصاد (بها) وفى نسخة فيها (الخطى) بضم ففتح جمع الخطوة بضم وفتح اى تعجز فى تلك المفازة اوسيرها الخطوات من الاعياء (ومجاهل) بفتح الميم وكسر الهاء عطفا على مهامه وهو جمع مجهل للمكان الذى لا علم فيه يهتدى به (تضل) بفتح فكسر اى تضيع وتهلك (فيها الاحلام) بالفتح جمع الحلم بالكسر اى العقول (ان لم تهتد) اى الاحلام (بعلم علم) بفتح العين واللام فى الاول وبكسر فسكون فى الثانى اى بعلامة يعلم بها فالعلم بمعنى العلوم او المراد به نوع من العلوم واغرب الحلبى بقوله الظاهر ان المراد بالعلم الجبل وابعد محشى آخر بقوله المراد به الراية ولعل محمل كلامهما قصد الاستعارة بهما او قال الدلجى من اضافة المشبه به الى المشبه من التشبيه المؤكد اى بعلم كالعلم (ونظر سديد) بسين مهملة اى وتأمل على صوب صواب (ومداحض) بالرفع اى مزالق (تزل) بفتح فكسر فتشديد (بها) اى بسببها او فيها (الاقدام ان لم تعتمد) اى الاقدام مجازا او اصحابها (على توفيق من الله وتأييد) يأتى اى تقوية واعانة على نيل المراد من التحقيق (لكنى) اى مع هذا كله من صعوبة الحال ومزلة اقدام الرجال بحيث كاد قبولها ان يكون من المحال تحملت المقال وقبلت السؤال (لما ارجوه) بكسر اللام وتخفيف الميم على ان اللام للعلة وما موصوفة او موصولة وهو بصيغة المتكلم وفى نسخة بالخطاب وهو بعيد ولا يبعد ان يضبط لما بفتح اللام وتشديد الميم على الظرفية كما عليه جمهور القراء فى قوله تعالى لما صبروا الا انه يمنعه وجود من البيانية بعده والحاصل ان خبر لكن مقدر كما اشرنا اليه وقوله (لى ولك) متعلق بارجوه (فى هذا السؤال والجواب) اى بسببهما لف ونشر غير مرتب وقدم نفسه فى الدعاء لانه الادب المستحب وقدم السؤال لان وجوده مقدم على الجواب وشهوده (من نوال) بيان لما اى حصول حسن منال وطيب حال ومآل فى الدنيا (وثواب) اى وتحصيل جزاء وعطاء فى العقبى (بتعريف قدره الجسيم وخلقه العظيم) بضمتين ويسكن الثانى اى بسبب تبيينهما (وبيان خصائصه) اى فضائله المختصة (التى لم تجتمع قبل) اى قبل خلقه (فى مخلوق) ومن المعلوم استحالة وجود مثله بعده (وما يدان) اى وبيان ما يطاع (الله تعالى به) اى ويتخذ

دينا (من حقه الذى هو ارفع الحقوق) اى بعد حق الحق (ليستيقن) متعلق بتعريف اى ليثبت اويتيقن (الذين اوتوا
الكتاب) اى نبوته ايقانا يزيد العلماء به (ويزداد) اى بذلك (الذين آمنوا ايمانا) يريد العوام او الاعم والله اعلم ثم قوله
ليستيقن علة لقوله بتعريف قدره وبيان خصائصه واما قول التلمسانى اى اكنى افعل لما رجونه وليستيقن
فمخالف للنسخ المصححة حيث لم يوجد فيها الواو العاطفة (ولما) عطف على لما رجونه اى ولاجل ما (اخذ الله على الذين
اوتوا الكتاب) اى من الميثاق وفى نسخة ميثاق الذين اوتوا الكتاب اى من العلماء (لتبيننه) بفتح اللام على انه
جواب للقسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين اى استحلفهم والمعنى ليظهرن امر محمد صلى الله تعالى عليه
وسلم جميعه (للناس ولا يكتمونه) اى شيأ منه وهو المناسب للمقام او الضمير للكتاب وهو مشتمل على المرام
وفى بعض النسخ بالخطاب فيهما وهو صحيح وقد قرأ بهما السبعة فى الكتاب فالياء لغيبتهم والتاء حكاية لمخاطبتهم
وتتمة الاية المقتبس منها فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون وعن على كرم الله تعالى وجهه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا (ولما) اى وللحديث الذى (حدثنا به
ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه رحمه الله تعالى بقراءتى عليه) وهو هشام بن احمد بن هشام ابن خالد الاندلسى
الوقشى بفتح الواو والقاف وبالشين المعجمة نسبة الى وقش قرية من قرى طليطلة بالاندلس الكنانى الفقيه الحافظ
ولد سنة ثمان واربعماية واشتغل بالفنون وقرأ على المشايخ ومهر فى النحو والعربية واللغة وفنون الادب واعتنى
بالحديث قال القاضى عياض كان غاية فى الضبط والاتقان وله تنبيهات وردود على كبار المصنفين فى بعضها يقال وكان
له نظر فى الاصول واتهم بالاعتزال وكان من المتسعين فى ضروب المعارف وكان يعرف الفرائض والهندسة وغيرهما
ومات فى جمادى الاخرة سنة تسع وثمانين واربعماية كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو هشام بن احمد بن هشام
الهلالى يعرف بابن بقوة بالباء الموحدة المفتوحة والقاف الساكنة بعدها واو مفتوحة وتاء مقلوبة فى الوقف هاء وهو
امام حافظ وشيخ من الشيوخ الذين اعتمد على النقل عنهم فى هذا الكتاب وغيره وكثرت الروايات عنه فى اسانيد القاضى
رحمه الله تعالى وتكرر السماع عليه ذكره الحافظ ابو محمد بن عبيد الله الحجرى وابو العباس احمد بن الزبير الثقفى وللقاضى
رحمه الله شيخ آخر على نحو هذا الاسم وهو القاضى ابو الوليد هشام بن احمد بن سعيد الكنانى الوقشى الضابط صاحب
كتاب غريب الموطأ جليل النفع كثير القدر والله تعالى اعلم (قال) اى هشام (حدثنا الحسين بن محمد) زاد فى نسخة
الجيانى بجيم مفتوحة فسكون تحتية فهمزة ممدودة فنون فياء نسبة وهو الحافظ ابو على الغسانى وستأتى ترجمته
مبسوطة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى له كتب مفيدة جدا توفى سنة ثمان وتسعين واربعماية (حدثنا ابو عمر)
بضم العين (النمرى) بفتح النون والميم نسبة الى نمر بكسر الميم وهو ابو قبيلة وانما فتح فى النسب استيحاشا لتوالى
الكسرات وهو حافظ الغرب وشيخ الاسلام ابو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى
الاندلسى الشاطبى ولد فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاثمائة وترجمته شهيرة وتصانيفه كثيرة توفى بشاطبة
ليلة الجمعة سلخ شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين واربعمائة واستكمل خمسا وتسعين سنة وخمسة ايام واعلم انه وقع فى
اصل التلمسانى زيادة حدثنا ابو بكر احمد بن على بن ثابت الخطيب الشيبانى التبريزى البغدادى مات فى ذى الحجة سنة
ثمان وستين واربعمائة حتى قال الناس مات فى هذه السنة حافظ المشرق وحافظ المغرب يعنون ابا بكر الخطيب وابا عمر
رحمهما الله (حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن) اى القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البر قال الذهبى فى الميزان كان تاجرا
صدوقا لقى ابن داسه والبكار كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى يعرف بابن الزيات شيخ ابى عمر ابن عبد البر روى عنه
فى المسند الكبير (حدثنا ابو بكر محمد بن بكر) اى ابن محمد بن عبد الرزاق بن داسه بمهملتين وتخفيف الثانية عند
الجمهور بصرى وهو احد رواة ابى داود وعنه مشهور الترجمة وقد روى عنه بالاجازة ابو نعيم الاصبهانى (حدثنا سليمان
ابن الاشعث) وهو الامام الحافظ صاحب السنن ابو داود السجستانى قال ابو عبيد الآجرى سمعته يقول ولدت سنة
ثنتين ومائتين وكتب عنه شيخه احمد بن حنبل حديث العتيرة واراه كتابه فاستحسنه ومناقبه معروفة قيل الين الحديث
لابى داود كما الين الحديد لداود عليه السلام مات فى سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة (حدثنا
موسى بن اسمعيل) وهو ابو سلمة التبوذكى نسبة الى تبوذك لدار اشتراها الحافظ روى عن شعبة وهمام وخلق وروى
عنه البخارى وابو داود وقال عباس الدورى كتبنا عنه خمسة وثلاثين الف حديث توفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين
ثقة ثبت اخرج له الجماعة اصحاب الكتب الستة (حدثنا حماد) وهو ابن سلمة بن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام
روى عن ابى عمران الجونى وغيره وروى عنه شعبة ومالك وغيرهما صدوق يغلط وليس هو فى قوة مالك واخرج له مسلم
والاربعة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو حماد بن زيد بن درهم يكنى ابا اسماعيل الازرق مولى لجرير بن حازم

البصرى الازدى اخو سعيد مات سنة تسع وتسعين ومائة (اخبرنا على بن الحكم) اى البنانى البصرى روى عن انس
وابى عثمان النهدى وطائفة منهم نافع وعنه الحمادان وعبد الوارث وعدة اخرج له البخارى والاربعة (عن عطاء)
اى ابن ابى رباح ابو محمد القرشى مولاهم المكى احد الاعلام روى عن عائشة وابى هريرة وخلق وعنه الاوزاعى
وابن جريج وابو حنيفة والليث وامم توفى وله ثمانون سنة اخرج له الائمة الستة كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى هو ابن
يسار ابو محمد مولى ميمونة بنت الحارث زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هلالى مدنى توفى سنة ثلاث ومائة
(عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من بين نيف وثلاثين قولا وقد رأى النبى
صلى الله عليه وسلم فى كمه هرة فقال يا ابا هريرة فاشتهر به وقد بسطنا ترجمته فى المرقاة شرح المشكاة والاوجه فى وجه
عدم انصراف هريرة فى ابى هريرة هو ان هريرة صارت علما لتلك الهرة ونقل التلمسانى فى كنيته انه هل يجر اولا قال
ابو الفضل قاسم بن سعيد العقبانى انه يجر ورواه عن الائمة المشارقة منهم ابن حجر يعنى العسقلانى ونصره الشيخ
ابو عبد الله ابن مرزوق وقال هريرة اسم جنس مصروف اضيف اليه فهو على ما هو عليه وهو جزء اسم وجزء الاسم
يجر وذكر لى بعض اصحابنا ان ابا الفضل هو الذى افاد المشارقة صرفه فانهم كانوا لا يجرونه فابدى لهم علة الجر
واستحسنوها وصوبوها وقال قوم انه لا يجر وبه قال الشمنى المشرقى وابو عبد الله من شيوخنا والف فيه وقال انه
بعد التركيب حدث فيه المنع لانه علم وفيه تأنيث وهما مانعان ومنه قوله فى ابى خراشة

ابا خراشة اما انت ذا نفر * فان قومى لم تأكلهم الضبع

وروى ابو شاة فى قوله فقال رجل يقال له ابو شاة واكتبوا لابى شاة بالوجهين وهو كابى هريرة (قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) هو سيد العالمين وسند العالمين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن
قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان على هذا النسب وقع اجماع الامة وقد ضبطت هذه الاسماء فى رسالتى المسماة بالمورد فى
المولد وقد ولد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا التى بنتها زبيدة مسجدا (من سئل عن علم)
اى مما يتعين تعليمه وقيل الحديث ورد فى الشهادة وقيل فى تبليغ الرسالة عند الحاجة والاظهر ان المراد به العلم الشرعى
كما قال به الحليمى وكثيرون ويؤيده حديث ابن ماجه من كتم علما مما ينفع الله به الناس فى الدين الجمه الله بلجام من نار
والعلوم الشرعية ما يستفيدون الكتاب والسنة من اصولها وفروعها ومقدماتها التى تتوقف على معرفتها
بقدر الحاجة اليها دون التوغل فيها (فكتمه) اى بعد ما علمه (الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) اى عند قيامهم
من قبورهم واللجام بالكسر ما تلجم به الدابة ليمنعها عن النفور شبه ما يوضع فى فيه من نار بلجام فى فم الدابة وهو
انما كان جزاء امساكه عن القول الحق وخص اللجام بالذكر تشبيها له بالحيوان الذى يسخر ويمنع من قصد
ما يريده فان العلم من شانه ان يدعو الناس الى الحق القويم ويرشدهم الى الطريق المستقيم وقد اخرجه ابو داود
والترمذى وابن ماجه والنسائى وقال الترمذى حسن واخرجه ايضا احمد وابن حبان والحاكم وصححه وفى حديث ابن
مسعود فكتمه عن اهله وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كتم علما علمه الله او اخذ
عليه اجرا جىء به يوم القيامة ملجما بلجام من نار وقال الشافعى

ومن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وسئل بشر عن هذا الحديث فقال اياى تعنى دع هذا اللجاج هنا حتى يأتى اهله فان نشره فى غير اهله كمنعه عن اهله
وروى عن انس مرفوعا قال لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب يعنى الفقه والعلم فى ايدى الظالمين والمرائين وطالبى
الدنيا وعن انس ايضا مرفوعا طلب العلم فريضة وواضع العلم فى غير اهله كمعلق الجوهر واللؤلؤ على الخنزير وروى
مرفوعا ان عيسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل وقال لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها
اهلها فتظلموهم ومما ينسب لعلى كرم الله تعالى وجهه

وناشر العلم بين الجاهلين به * كموقد الشمع فى بيت لعميان

(فبادرت) عطف على الخبر المقدر اقوله اكنى قبلت وما تأخرت بل اقبلت فبادرت (الى نكت) بضم ففتح جمع نكتة
وهى ما خفى ادراكه حتى يفتقر الى تفكر ونكت فى الارض واما قول بعض هى كل نقطة من بياض فى سواد وعكسه
فليس فى محله المراد اى الى بيان لطائف (مسفرة) بكسر الفاء اى مضيئة ومنيرة وموضحة ومبينة وفى نسخة سافرة اى
كاشفة (عن وجه الغرض) اى المطلب والمقصد (مؤديا من ذلك) اى حال كونى مؤديا من اجل ما ذكر (الحق المفترض)
بفتح الراء (اختلستها على استعجال) وكان الاولى ان يقول الاستعجال ليلائم تعريف البال وفى نسخة اختلستها

بالمضارع المتكلم ووقع فى نسخة اختلاسوها بالواو اى المفروض من نشر العلم واظهاره لاسيما بعد السؤال وتكراره وهو خطأ ظاهر ثم الاختلاس بالخاء المعجمة اختطاف الشئ بسرعة ففى الكلام تأكيد او تجريد (لما) بكسر اللام علة للمبادرة او الاختلاس وما موصولة اى للامر الذى (المرء بصدده) اى فى سبيله مما استقبله (من شغل البدن والبال) اى من الاشتغال المتعلق بالقالب والقلب والمال والحال وحسن المآل ثم الشغل بضمتين وبضم فسكون وقرئ بهما فى السبع وبفتح فسكون وقيل بفتحتين ضد الفراغ والبال بالموحدة القلب والحال ويصح ارادة كل منهما خلافا لما قاله الحلبى من ان المراد به الاول لذكر البدن (بما طوقه) اى الانسان كما فى نسخة صحيحة هو بضم طاء وكسر واو مشددة اى بسبب ما حمله الله وكلفه وفى نسخة صحيحة بما قلده الانسان اى الزمه كالطوق فى عنقه (من مقاليد المحنة) اى مفاتيح المشقة والبلية (التى ابتلى بها) بصيغة المجهول والظاهر انه اراد بالمحنة جميع الامور التكليفية والحوادث الكونية النازلة على الافراد الانسانية والحلبى حملها على محنة مباشرة الاحكام والقضاء واورد حديث من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين رواه اصحاب السنن الاربعة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح الاسناد وفى رواية للنسائى من استعمل على القضاء فكانما ذبح بالسكين وقال التلمسانى اراد المصنف بذلك كونه فى خطة القضاء التى هى محنة وبلية كما قاله بعضهم (فكادت) اى قربت مقاليد المحنة (تشغل) اى الانسان (عن كل فرض ونفل) وهو بفتح التاء والغين واما اشغل فهو لغة جيدة او قليلة او رديئة على ما فى القاموس (وترد) اى وكادت ترد السالك (بعد حسن التقويم) اى باستقامته على الطريق القويم (الى اسفل سفل) وهو بضم السين وكسرها ضد العلو والمعنى الى قبح التنزل بارتكاب الفعل الذميم ايماء الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم اى من الفطرة المستقيمة ثم رددناه اسفل سافلين اى من ارتكاب المعصية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون يعنى وهم فى اعلى عليين وثوابهم غير مقطوع فى كل زمان وحين (ولو اراد الله بالانسان) اى بفرد من هذا الجنس وفى نسخة بعبده (خيرا) اى فى تحصيل كماله وتحسين مآله (لجعل شغله) اى جعل اشتغال خاطره (وهمه) اى ما يهتم به الانسان ويروى ووهمه اى باله يعنى اهتمام باله (كله فيما يحمد) بصيغة المعلوم اى فى فعل مامور وترك منهى مما يحمده الانسان (غدا) اى يوم القيامة (او يذم) اى مما يكره السالك (محله) بفتح الحاء ويجوز كسرها والحاصل ان يكون شغله وهمه فى بيان الامر الممدوح والمذموم بان يرتكب الاول ويجتنب الثانى وقال الشمنى اى فيما يحمد بفعله واجبا كان او نفلا او فيما يذم بتركه وهو الواجب انتهى وبعده لا يخفى وفى نسخة صحيحة ولا يذم بصيغة المجهول فيه وفيما قبله وهو ظاهر جدا ومحله مفعول يحمد ويذم على التنازع خلافا للتلمسانى حيث جعل العائد على الموصول فيما يحمد منصوبا محذوفا واما بناء الفعلين على صيغة المجهول ورفع محله كما قاله الدلجى فمحل للتصحيح بقوله كله (فليس ثم) بفتح فتشديد ويوقف عليه بلا هاء السكت كما فى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت وقال التلمسانى ولك الاتيان بهاء السكت وهو الاكثر اى هنالك غدا (سوى حضرة النعيم) اى حضوره وفيه اشارة الى قوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا وفى نسخة صحيحة نضرة النعيم واقتصر عليه التلمسانى اشعارا الى قوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم اى بهجته وحسنه وابعد من قال انه من اضافة الشئ الى نفسه وتبعه البصرى ويجوزه الكوفى على ما ذكره التلمسانى (او عذاب الجحيم) اى لانحصار المنزلتين كما قال الله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم (ولكان) عطف على لجعل (عليه) اى لوجب عليه الاشتغال (بخويصته) بضم ففتح فسكون فتشديدة تصغير خاصة والمراد بها نفسه او الامر الذى يختص به من المهمات الدينية والدنيوية وروى بخويصة نفسه وقد قيل المراد بها الموت وفيه ايماء الى قوله تعالى عليكم انفسكم والى ما ورد عليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة ومن غريب ما وقع ان بعض الناصحين قال لمن كان فى صدد ان يكون من السلاطين عليك بخويصة نفسك فلما تولى بعد مدة من الزمان قال اقتلوه فان صفيره اى صوته فى اذنى الى الآن (واستنقاذ مهجته) بضم الميم اى استخلاص روحه عما يرديه (وعمل صالح يستزيده) اى الانسان بان يجعل ذلك العمل سببا لزيادة درجته (وعلم نافع) اى شرعى (يفيده) اى لغيره فيكون معلما (او يستفيده) اى بنفسه بان يكون عالما او من غيره فيكون متعلما (جبر الله صدع قلوبنا) اى اصلح الله كسرها بما اعتراها من طوارق محن وبوارق احن (وغفر عظيم ذنوبنا) اى ومحا عيوبنا العظيمة وسترها (وجعل جميع استعدادنا) اى عدتنا فى امر زادنا (لمعادنا) اى ليعود نفعه لنا فى مرجعنا وآخر امرنا (وتوفر دواعينا) اى وجعل تكثير مكاسبنا ومطالبنا (فيما ينجينا) من الانجاء او التنجية اى فيما يخلصنا وفيه ايماء الى الدعاء المأثور لا تجعل الدنيا اكبر همنا وفى نسخة بفتح الفاء فى توفر على انه جملة دعائية معطوفة على ما قبلها من الجمل ولو روى بصيغة المضارع المعلوم لناسب قوله (ويقربنا الى الله زلفى) اى تقريبا خاصا وفى التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال البيضاوى

زلفى مصدر او حال واغرب التلمسانى فى قوله انه جمع مفرده زلفة اذ الصواب ان جمع زلفة زلف ككلفة وكلف جمع كلفة (ويحظينا) بضم اوله وكسر الظاء المعجمة اى برفع قدرنا ويخصنا بالمنزلة العلية والمرتبة الحظية (بمنه) اى بسبب امتنانه وهو متعلق بيحظينا ويقربنا ايضا وابعد التلمسانى فى قوله اى متوسلين بمنه (ورحمته) اى باحسانه والمعنى انه لا يعاملنا باعمالنا ولعل الجمل المضارعية احوال من الجمل الدعائية (ولما نويت تقريبه) اى وحين اردت تقريب التصنيف الى عالم وجوده بفضل الله وجوده (ودرجت تبويبه) بتشديد الراء اى جعلت تبويبه مرتبا ومدرجا يعنى درجة درجة فى التأليف (ومهدت تأصيله) بتشديد الهاء اى صيرت اصوله ممهدة مؤسسة واغرب التلمسانى حيث قال مهدت اى فرشت وتأصيله اى تفريقه (وخلصت تفصيله) اى وجعلت فصوله مبينة معينة (وانتحيت) اى وقصدت (حصره وتحصيله) اى تثبيته فى الامور التى ذكرها قال التلمسانى وفى رواية بالخاء المعجمة والباء الموحدة من الانتخاب وهو التصفية الا ان الرواية الاولى اظهر من الثانية قلت بل لا يظهر له معنى اصلا لقوله انتخبت حصره فهو تصحيف وتحريف بلا شبهة (ترجمته) جواب لما اى سميته (بالشفا) وهو بكسر الشين ممدودا وقصر وقفا ومراعاة للسجع بقوله (بتعريف حقوق المصطفى) وقد اجاز والاثر ما يجوز للشاعر من الضرآئر وقصر الممدود سائغ اتفاقا واجاز عكسه الكوفيون ومنعه البصريون بحجة الاولين فلا فقر يدوم ولا غناء ورد بان الرواية الصحيحة فلا فقرى يدوم ولا غنا كما واغرب الحلبى فى نقل كلام ابن مرزوق بقوله ويقال انه قصره لان هذا الكتاب يقصر عن حقوقه صلى الله تعالى عليه وسلم والله اعلم (وحصرت الكلام فيه) اى فى هذا الكتاب (فى اقسام اربعة) وفى نسخة اربعة اقسام وهذا بيان بعد الاجمال والله اعلم بالحال (القسم الاول) بكسر القاف وهو النصيب والجزء واما بالفتح فهو مصدر قسمت الشئ (فى تعظيم العلى الاعلى) من باب اضافة المصدر الى فاعله اى الله سبحانه وتعالى (لقدر هذا النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم زيد فى نسخة الكريم والاولى وجود المصطفى (قولا وفعلا) كما سيأتى كذلك (وتوجه الكلام) بصيغة الماضى اى انحصر (فيه) اى فى القسم الاول ولا يبعد ان يكون مصدرا مبتدأ خبره قوله (فى اربعة ابواب الباب الاول) اى من القسم الاول (فى ثنائه تعالى) اى حسن ذكره (عليه واظهاره عظيم قدره) اى مرتبته (لديه) وهو مع مراعاته للسجع اخص من عنده على ما قاله النحويون من ان عنده يجوز ان يكون بحضرته وفى ملكه واما لديه فمختص بالحضرة (وفيه عشرة فصول) سيأتى تفصيلها (الباب الثانى) اى من القسم الاول (فى تكميله تعالى له المحاسن) اى المناقب الصورية والمعنوية جمع حسن على غير قياس وكانه جمع محسن (خلقا) بالفتح (وخلقا) بضمتين وبسكون الثانى وقدم الاول لسبق وجوده والثانى منه اظهار كرمه وجوده (وقرانه) بكسر القاف اى وفى مقارنته وجمعه (جميع الفضائل الدينية والدنيويه) بحذف الالف عند مباشرة ياء النسبة والمراد بها الفضائل الدنيويه التى تنفع فى الامور الاخرويه والا فقد قال انتم اعلم بامور دنياكم ثم الدنيا على ما قاله المصنف فى مشارق الانوار اسم لهذه الحياة لدنوها من اهلها وبعد الاخرة عنها انتهى وقيل لدناءتها (فيه) اى فى حقه (نسقا) بفتحتين اى جمعا متتابعا ولا معنى لقول التلمسانى هنا اى عطفا وتبعا ولقد اجاد الدلجى حيث افاد اى متناسبا بعضها بعضا مستوية فى كمالها كجواهر منتظمة فى نظام واحد زيادة لجمالها (وفيه سبعة وعشرون فصلا) قال التلمسانى بل هى ستة وعشرون فصلا اقول ولعله اتى بالسابع فضلا (الباب الثالث) اى من القسم الاول من الكتاب (فيما ورد من صحيح الاخبار) اى الاحاديث والآثار (ومشهورها) اى مشهور الاخبار عند الاخيار (بعظيم قدره عند ربه ومنزلته) اى مكانته وهو عطف تفسير لعظيم قدره (وما خصه) اى الله تعالى كما فى نسخة يعنى وبما جعله مخصوصا (به فى الدارين من كرامته وفيه اثنا عشر فصلا) هكذا فى النسخ كلها التى عليها الرواية والتصحيح والمقابلة والذى فى هذا الباب من الفصول خمسة عشر ولعله اراد بالاثنى عشر فصولا مهمة وبزيادة الثلاثة مكملة ومتمة وهذا ملخص كلام التلمسانى (الباب الرابع) اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه) اى بسببه (من الآيات) اى العلامات التى هى خوارق العادات (والمعجزات) وهى تختص بالتحدى (وشرفه به من الخصائص والكرامات) تعميم بعد تخصيص وايماء الى ان كرامات اولياء امته بمنزلة معجزاته وفى مرتبة كراماته (وفيه ثلاثون فصلا) قال التلمسانى الذى فيه من الفصول تسعة وعشرون ولعله عد ما صدر من الباب الى الفصل فصلا (القسم الثانى فيما يجب على الانام) قال محش فيه اقوال فقيل كل من يعتريه النوم وقيل الانام الاناس وقيل الانام المخلوقات قلت يرد القول الاول انه مهموز لا معتل العين ففى القاموس الانام كسحاب الخلق او الجن والانس او جميع ما على وجه الارض انتهى ولعل الخلق خصه بالحيوانات اولا ولا يخفى ان المعانى الثلاثة محتملة فى قوله تعالى والارض وضعها للانام واما هنا فيراد به الانس والجن او جميع الخلق على القول بانه بعث الى الخلق كافة كما فى رواية مسلم فيجب على كل فرد من

المخلوقات ما يناسبه فى كل مقام (من حقوقه عليه الصلاة والسلام ويترتب القول) قال التلمسانى اى يتمكن والظاهر ان المعنى يجيء الكلام مرتبا (فيه) اى فى هذا القسم (فى اربعة ابواب الباب الاول) اى من القسم الثانى (فى فرض الايمان به) اى فى بيان كون الايمان به فرضا عينيا على جميع الاعيان (ووجوب طاعته) اى فى سائر ما امر به ونهى عنه (واتباع سنته) اى متابعة طريقته اى قولا وفعلا وتخلقا (وفيه خمسة فصول) قال التلمسانى بل هى اربعة والعذر تقدم (الباب الثانى) اى من القسم الثانى (فى لزوم محبته ومناصحته) اى مصادقته وموافقته ومخالصته (وفيه ستة فصول) بل هى خمسة (الباب الثالث) اى من القسم الثانى (فى تعظيم امره) اى شأنه او حكمه (ولزوم توقيره) اى تعظيمه ونصره (وبره) اى زيادة احسانه وعدم مخالفته فانه فوق منزلة الاب وفى قرآءة شاذة وهو اب لهم فيجب بره ويحرم عقوقه ولو فى امر مباح فى حده وقيل طاعته (وفيه سبعة فصول) بل ستة (الباب الرابع) اى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك) بالجر اى وفى بيان فرض ما ذكر (وفضيلته) اى وفى ثواب ما ذكر وزيادة فضله (وفيه عشرة فصول) بل تسعة (القسم الثالث فيما يستحيل) اى لا يمكن وجوده (فى حقه) اى عقلا ونقلا (وما يجوز عليه شرعا) اى قولا وفعلا (وما يمتنع) اى فى الجملة او ما لا يجوز عليه شرعا (ويصح) اى وما يصح (من الامور البشرية ان يضاف) اى ينسب خلاصة فائدتها (اليه وهذا القسم) اى الثالث (اكرمك الله) جملة اعتراضية بين المبتدأ وخبره وردت دعاء لمن خوطب به كما فى قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعى الى ترجمان

وقد يرد الاعتراض للتنزيه كما فى قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون او للتنبيه فى مثل

واعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتى كل ما قدرا

(هو سر الكتاب) اى خلاصته (ولباب ثمرة هذه الابواب) اى ابواب هذا القسم كما ذكره الدلجى والصواب ابواب هذا الكتاب والمعنى انه زبدة نتيجتها وخلاصة فائدتها (وما قبله) اى من القسمين (له كالقواعد) جمع القاعدة وهى الاساس فى المنقولات والمعقولات من قوانين كلية مشتملة على مسائل جزئية (والتمهيدات) اى التوطئات (والدلائل) اى وكالدلائل العقلية والنقلية (على ما نورده فيه) اى فى حقه ما يجب ويستحب ويباح ويحرم وغير ذلك مما يعزر قائله او يؤدب (من النكت البينات) اى اللطائف الواضحات (وهو) اى هذا القسم الثالث ايضا (الحاكم على ما بعده) اى من القسم الاخير (والمنجز) بصيغة الفاعل مخففا اى وهو الموفى (من غرض هذا التاليف وعده) اى الذى سبق وحده (وعند التقصى) بالقاف بمعنى الاستقصاء والتتبع اى وعند بلوغ المقصد الاقصى (لموعدته) بفتح الميم وكسر العين والتاء فيه للوحدة وهو بمعنى الموعد والمراد به المصدر وان كان يصلح ان يكون زمانا او مكانا وقيل الموعدة اسم للعدة (والتفصى) بالفاء اى التخلص والتفلت (عن عهدته) اى التزامه وتحمله (يشرق) بفتح الياء والراء اى يضيق (صدر العدو) اى قلبه واغرب التلمسانى بقوله هو مقدم كل شيء واوله (اللعين) اى الملعون حسدا منه والمراد بالعدو الجنس او ابليس واقتصر عليه التلمسانى والاول اظهر واتم لشموله كل كافر كما يدل عليه مقابلته بالمؤمن فى قوله (ويشرق) بضم اوله وكسر الراء اى يضيء ويستنير (قلب المؤمن باليقين) قيد مخرج للمنافقين وفى الكلام تجنيس تحريف (وتملأ انواره) اى انوار يقينه (جوانح صدره) بفتح الجيم وكسر النون جمع جانحة اى اضلاعه التى تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر والمراد الاحاطة بجميع جوانب صدره (ويقدر) بضم الدال وقول التلمسانى بضم ويكسر ليس فى محله اى يعظم او يعرف (العاقل) بالمهملة والقاف وفى نسخة بالمعجمة والفاء (النبى حق قدره) اى حق عظمته او حق معرفته

اذ مبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

ولذا قال بعض العارفين الخلق عرفوا الله تعالى وما عرفوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (ويتحرر) اى يتخلص ويتخلص (الكلام فيه فى بابين الباب الاول) اى من القسم الثالث (فيما يختص بالامور الدينية ويتشبث) اى يتعلق (به القول فى العصمة) وهى خلق الله تعالى الامتناع من المعصية والامور الدنية (وفيه ستة عشر فصلا) هذا صحيح ليس فيه اعتراض اصلا (الباب الثانى) اى من القسم الثالث (فى احواله الدنيوية وما يجوز) طروءه بضمتين فسكون واو فهمز وفى نسخة بالادغام اى وقوعه وحدوثه (عليه من الاعراض البشرية) اى من العوارض الانسانية فان الاعراض جمع عرض بفتحتين وهو ما يعرض للانسان من مرض ونحوه من السهو والنسيان ثم اعلم ان صاحب القاموس ذكر مادة طرأ مهموزا ومعتلا وعلى تقدير الهمز يجوز الابدال والادغام (وفيه تسعة فصول) بل ثمانية (القسم الرابع فى تصرف وجوه الاحكام) اى تنوع انواعها من مسائلها ونوازلها (على من تنقصه) اى

من عد فيه نقصا او تكلم بما يتضمن نقصه (او سبه) تخصيص بعد تعميم اى شتمه (عليه الصلاة والسلام) وفى معناه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وينقسم الكلام فيه فى بابين الباب الاول) اى من القسم الرابع (فى بيان ما هو فى حقه سب ونقص) تعميم بعد تخصيص (من تعريض) اى كناية وتلويح (او نص) اى ظاهر وتصريح وقال محش نص عليه اذا عينه وعرض اذا لم يذكره منصوصا عليه بل يفهم الغرض بقرينة الحال (وفيه عشرة فصول) بل تسعة (الباب الثانى) اى من القسم الرابع (فى حكم شانئه) بهمز بعد النون اى مبغضه ومنه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر (ومؤذيه) بالهمز ويجوز ابداله اى مضره وهو اخص مما قبله وبعده وهو قوله (ومنتقصه) وفى نسخة متنقصه (وعقوبته) اى وفى بيان عقابه وجزآئه فى الدنيا (وذكر استتابته) اى طلب توبته (والصلاة) اى وذكر صلاة الجنازة (عليه ووراثته) اى من المسلم او المسلم منه (وفيه عشرة فصول) قال الحلبى هكذا فى الاصول لكن بخط مغلطاى ان صوابه خمسة يعنى عوض عشرة (وختمناه) اى القسم الرابع (بباب ثالث جعلناه تكملة) اى تكميلا (لهذه المسئلة ووصلة) بضم الواو اى توصيلا (للبابين اللذين قبله) اى من القسم الرابع (فى حكم من سب الله تعالى) متعلق بالباب الثالث (ورسله) وكذا حكم انبيائه (وملائكته وكتبه) اى المنزلة (وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبه) عموما او خصوصا (واختصر الكلام) بصيغة المجهول الماضى وفى نسخة بصيغة المتكلم وفى اخرى واختصرنا الكلام اى بالاقتصار على المقصود (فيه) اى فى هذا الباب (فى خمسة فصول) بل فى عشرة فصول على ما ذكره التلمسانى وقال الحلبى هكذا وقع ايضا فى الاصول وصوابه عشرة فصول لانه فيما يأتى ذكره عشرة (وبتمامها) اى باتمام فصول هذا الباب الثالث من القسم الرابع (ينتجز الكتاب) اى ينقضى وينتهى (وتتم) اى وتكمل (الاقسام) اى الاربعة (والابواب) اى الثلاثة عشر جميعها وهو كالتفسير لما قبله (وتلوح) اى تضيء وتظهر به (فى غرة الايمان) اى بياض جبهته ومقدمة طلعته (لمعة) بالضم اى قطعة (منيرة) اى منورة لمن اطلع عليها وقد يقال الغرة استعيرت للشرف والشهرة (وفى تاج التراجم) بكسر الجيم اى ويلوح فى تاج تراجم الايقان (درة خطيرة) اى ذات خطر وقدر ويعنى بها جوهرة نفيسة او لؤلؤة ليس لها قيمة لمن وقع يده عليها ثم كل من لمعة ودرة مرفوعة على الفاعلية لان لاح فعل لازم ففى القاموس لاح بدا او البرق اومض كلاح وجعل التلمسانى ضمير يلوح الى الكتاب المتقدم ذكره وانتصابهما على الحال (تزيح) استئناف مبين او جملة حالية من الازاحة اى تزيل اللمعة وفى معناها الدرة (كل لبس) بفتح فسكون اى اشكال وخلط وشبهة وخبط (وتوضح) اى تكشف وتظهر (كل تخمين) اى قول من غير تحقيق (وحدس) اى صادر عن ظن ووهم وهو قد سقط من اصل المؤلف على ما قاله بعضهم لكن لا بد من ذكره لتمام السجع وهما بمعنى واحد (وتشفى صدور قوم مؤمنين) عطف على تلوح وفى نسخة بحذف الياء ولعله قصد التلاوة لكنه مع ما بعده بصيغة التأنيث فى نسخة صحيحة (وتصدع بالحق) اى تجهر به وتظهره (وتعرض عن الجاهلين) اى تتركهم ايماء الى قوله سبحانه وتعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وبالله تعالى لا اله) اى لنا كلنا ولا معبود بحق موجود (سواه) اى غيره والجملة معترضة حالية (استعين) اى اطلب المعونة به لا بغيره من المخلوقين بقوله تعالى اياك نستعين اى نخصك بالاستعانة لان غيرك عاجز عن الاعانة وفى نسخة وبالله لا سواه استعين لا اله الا هو الملك الحق المبين

(القسم الاول)

(فى تعظيم العلى الاعلى) اى رفعة ورتبة (لقدر النبى المصطفى) وفى نسخة بحذف النبى ووجوده اولى كما لا يخفى (قولا) ورد به القرآن الكريم والفرقان القديم (وفعلا) من معجزات باهرة وآيات ظاهرة ونصبهما بنزع الخافض (قال الفقيه) على ما فى نسخة (القاضى الامام) على ما فى اخرى (ابو الفضل رحمه الله تعالى) ففيه اشعار بانه ملحق من كلام غيره وفى نسخة صحيحة وفقه الله وسدده ففيه تصريح بانه من كلام نفسه لكن لا بلاغة حينئذ وصف الامام (لا خفاء) بفتح الخاء اى لا يخفى (على من مارس) اى لازم ودارس (شيأ) اى قليلا (من العلم او خص) بصيغة المجهول اى خصه الله تعالى من بين العوام (بادنى لمحة) بفتح اللام وهى النظرة الخفية وروى لحظة واما قول التلمسانى هى بضم اوله اى شيء قليل من النظر واصله من لمح البصر وهو نظر لا تردد فيه واللمحة بالفتح المرة وهو الاولى ههنا لانه اذا كان يفهم ذلك مرة فيظهر فى المرار اولى واشهر فهو كلام غير محرر اذ ضم اللام غير مشتهر فتدبر (من فهم) ويروى من الفهم وهو اظهر (بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلاة والسلام) الباء ظرفية متعلقة بخفاء وقدر منصوب على المفعولية (وخصوصه اياه) اى وتخصيص الله تعالى نبينا (بفضائل) اى بزوائد من الكرامات (ومحاسن) اى ومستحسنات من الاخلاق المكرمات (ومناقب) اى وبنعوت وصفات كثيرات من الكمالات العلمية والعملية التى اسناها معرفة الله سبحانه وتعالى من حيث الذات والصفات (لا تنضبط) اى لا تجتمع لكثرتها او لا تنحصر ولا تدخل تحت ضبط (لزمام) بكسر الزاى قال التلمسانى يروى بالباء واللام انتهى لكنه

فى النسخ المصححة باللام فقط اى لضابط يريد ضبطها ويقصد ربطها ويجتهد فى احصائها ويتوهم امكان استقصائها وهو مستعار من زمام الناقة وهو ما يجعل فى حلقة مسلوكة فى انفها لحصول انقيادها (وتنويهه) اى وبرفع ذكره ومن تبعيضية وابعد الدلجى فى قوله من زائدة (من عظيم قدره) اى من قدره العظيم وفى نسخة صحيحة من عظم قدره وفى اخرى بعظيم قدره (بما تكل) بفتح فكسر فتشديد اى بما تعجز وتعيى (عنه الالسنة) اى السنة الانسان فى البيان (والاقلام) اى وتبيان البنان (فنها ما صرح به تعالى فى كتابه ونبه به على جليل نصابه) اى عظيم منصبه (واثنى) اى وما اثنى (به عليه) اى فى كتابه (من اخلاقه) اى احواله الباطنة (وآدابه) اى افعاله الظاهرة كما اخبر به عنه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ادبنى ربى فاحسن تأديبى (وحض) بتشديد المعجمة اى ورغب وحث (العباد على التزامه) اى حملهم على قبول تكليفه بوصف دوامه (وتقلد ايجابه) اى باطاعة جنابه فيما اوجبه فى كتابه (فكان جل جلاله) اى عظمت عظمته وعز جاله (هو الذى تفضل) اى اعطاه من فضله (واولى) اى انعم عليه بما علم المولى بانه الاولى وهذا قبل ظهور وجوده لما تعلق به من كرمه وجوده (ثم طهر وزكى) اى طهره بالتخلية وزكاه بالتحلية فى عالم دنياه بما ينفعه فى عقباه من التحلية واما قول الدلجى ثم طهره من عبادة الاصنام فلا يناسب لمقامه عليه السلام (ثم مدح) اى مدحه (بذلك واثنى) اى عليه مع انه من آثار فعله وانوار فضله فهو الحامد والمحمود كما انه هو الشاهد والمشهود فى جميع ميادين الوجود فليس فى الدار غيره موجود (ثم اثاب) اى جازاه (عليه الجزآء الاوفى) اى بالجزآء الاوفر والحظ الاكبر اونصبه على المصدر من غير فعله (فله الفضل بدأ وعودا) اى فله الاحسان على وجه الزيادة فى الابتدآء والاعادة (والحمد لله اولى واخرى) اى فى الدنيا والعقبى وفى نسخة والحمد اولى واخرى عطفا على الفضل اى وله الحمد كما فى قوله تعالى وله الحمد فى الاولى والآخرة فهذه النسخة اولى من الاولى كما لا يخفى ويجوزان يكونا اسمى تفضيل اى وله أولى الحمد واخراه والمراد استيعابه كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما قول بعضهم ان اسم التفضيل لا يستعمل الا مضافا او موصولا بمن او معرفا باللام فمنقوض بقوله سبحانه ولعذاب الاخرة اخزى كانوا هم اظلم واطغى اللهم الا ان يعتبر من المقدرة فى حكم المذكورة (ومنها ما ابرزه) اى اظهره (للعيان) بكسر العين اى للمعاينة (من خلقه) بفتح الخاء خلافا لمن توهم وضبطه بالضم اذ المراد هنا شمائله الظاهرة ومن لبيان ما الموصولة (على اتم وجوه الكمال) اى اكمل انواع وجوه كمال الجمال وهى صفات اللطف والاكرام (والجلال) وهى صفات القهر والانتقام او المراد بالكمال النعوت الثبوتية وبالجلال الصفات السلبية وهى قولنا فى حقه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا فى زمان ولا فى مكان وسائر الامور الحدوثية فحينئذ يقال معناه المنزه عن شوآئب النقصان فى نظر ارباب الحال وفى نسخة بكسر الخاء المعجمة بمعنى الخصال (وتخصيصه) اى ومن جعله مخصوصا (بالمحاسن الجميلة) اى الحسنة من الافعال (والاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الاحوال (والمواهب الكريمة) اى المرضية من الاقوال (والفضائل العديدة) اى الكثيرة التى عدها من المحال فهو من العد ومعناه الكثير لا من العد فيتوهم انها حصرت واحصيت ويروى السديدة اى الفضائل الواقعة على سنن السداد (وتأييده) اى ومن تقويته (بالمعجزات الباهرة) اى البارعة الفائقة الغالبة القاهرة (والبراهين الواضحة) اى وبالادلة الظاهرة (والكرامات البينة) اى الخوارق اللائحة وهى اعم من المعجزات فانها مقرونة بالتحدى مع عدم المعارضة مما يصدق الله تعالى بهما انبياءه فى دعوى النبوة سميت معجزة للاعجاز عن الاتيان بمثلها وسميت آية لكونها علامة دالة على تصديق الله تعالى لهم مع ان المقام مقام يذم فيه الايجاز ويمدح الاطناب سيما فى خطاب الاحباب (التى شاهدها) اى عاينها واغرب التلمسانى بقوله اى حضرلها فاعل بمعنى فعل اى شهدها (من عاصره) اى من ادرك عصره وزمانه ويروى من عاصرها اى البراهين والكرامات (ورآها من ادركه) اى صادف اوانه ويروى من ادركها (وعلمها علم اليقين) وفى نسخة علم يقين اى من غير شك وتخمين قال بعض العارفين علم اليقين ما كان بشرط البرهان وعينه بحكم البيان وحقه بنعت العيان فعلم اليقين لاصحاب العقول وعينه لاصحاب العلوم وحقه لاصحاب المعارف (من جاء بعده) اى من التابعين واتباعهم (حتى انتهى) اى الى ان وصل (علم حقيقة ذلك) اى بلغ حقيقة ما هنالك (الينا وفاضت انواره) اى ظهرت آثاره وكثرت انواره ويروى انوارها (علينا صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا حدثنا) وفى بعض النسخ اخبرنا (القاضى الشهيد ابو على الحسين بن محمد الحافظ) رحمه الله تعالى وهو الاندلسى المعروف بابن سكرة بضم فتشديد ترجمته معروفة استشهد بثغر الاندلس سنة اربع عشرة وخمسمائة وكان من اهل العلم بالحديث (قرآءة منى عليه) نصب قرآءة على نزع الخافض او على انه تمييز او حال اى حدثنا بقرآءة او من جهة قرآءة او حال قرآءة منى عليه لا بقرآءته ولا بقرآءة غيره وهذا على مذهب من لا يرى بين حدثنا واخبرنا وانبأنا فرقا كالبخارى

ومن تبعه (قال حدثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار) اى ابن احمد الحمامى بفتح مهملة وتخفيف وهو من اهل الخير والصلاح على ما ذكره ابن ماكولا فى اكماله (وابو الفضل احمد بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية ممنوعا وقد يصرف ثقة عدل متقن له ترجمة فى الميزان توفى سنة ثمان وثمانين واربعمائة قال الحلبى رأيت عن المزى ان الاصل فى خيرون الصرف ولكن المحدثون لا يصرفونه لشبهه بالجمع المذكر السالم انتهى والاظهر انه بناء على اعتبار المزيدتين مطلقا عند بعضهم كالفارسى كما قالوا فى سيرين وغلبون (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى البغدادى) بالمعجمة فى الثانية وهو الاصح والا فيجوز بمهملتين ومعجمتين وباهمال احداهما واعجام الاخرى وهو احمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر يعرف بابن زوج الحرة (قال حدثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة وسكون نون فجيم نسبة الى بلدة تسمى سنج مرو (حدثنا محمد ابن احمد بن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى المروزى التاجر الامين راوى جامع الترمذى عنه مشهور (قال حدثنا ابو عيسى بن سورة) بفتح مهملة وسكون واو فرآء (الحافظ) اى الترمذى وهو صاحب الجامع الضرير قيل ولد اكمه قال الذهبى ثقة مجمع عليه ولا التفات الى قول ابى محمد ابن حزم انه مجهول فانه ما عرفه ولا ادرى بوجود الجامع ولا الى علل الدين انتهى ولا شك ان تجهيل الترمذى يضر ابن حزم بلا عكس كما لا يخفى (قال حدثنا اسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ روى عن ابن عيينة فمن بعده وعنه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه (حدثنا عبد الرزاق) اى ابن همام بن نافع ابو بكر الصغانى الحافظ احد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وابى ثور وعنه احمد واسحق صنف الكتب اخرج له اصحاب الكتب الستة (انبأنا معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة البصرى عالم اليمن اخرج له الجماعة قال معمر طلبت العلم سنة مات الحسن ولى اربع عشرة سنة (عن قتادة) هو ابن دعامة ابو الخطاب السدوسى الاعمى الحافظ المفسر روى عن عبد الله بن سرجس وانس وخلق وعنه ايوب وشعبة وخلق (عن انس رضى الله عنه) اى ابن مالك خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وترجمته شهيرة ومناقبه كثيرة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى) اى جيء (بالبراق) بضم الموحدة وتخفيف الرآء سمى به لسرعة سيره كالبرق او لشدة بريقه وقيل لكونه ابيض وقال المصنف لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقد وصف فى الحديث بانه ابيض وقد يكون من نوع الشاة البرقاء وهى معدودة فى البيض انتهى وهو دابة دون البغل وفوق الحمار يضع حافره عند منتهى طرفه كما فى الصحيح وفى رواية على ما نقله ابن ابى خالد فى كتاب الاحتفال فى اسماء خيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان وجهه كوجه الانسان وجسده كجسد الفرس وقوآئمه كقوآئم الثور وذنبه كذنب الغزال لا ذكر ولا انثى وفى تفسير الثعلبى جسده كجسد الانسان وذنبه كذنب البعير وعرفه كعرف الفرس وقوآئمه كقوآئم الابل واظلافه كاظلاف البقر وصدره كانه ياقوتة وظهره كانه درة بيضاء وله جناحان فى فخذيه يمر كالبرق (ليلة اسرى به) ظرف بنى على الفتح لاضافته الى الجملة الفعلية الماضوية المبنية للمجهول (ملجما مسرجا) اسما مفعول من الالجام والاسراج وهما حالان مترادفان او متداخلان (فاستصعب) اى استعسر البراق (عليه) اى لبعد عهده بالانبياء من جهة طول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام على ما ذكره ابن بطال فى شرح البخارى وهى ستمائة سنة على ما ذكره التلمسانى اولانه لم يركبه احد قبل نبينا صلى الله عليه وسلم بناء على خلاف سيأتى فى ذلك وقيل استصعب تيها وزهوا بركوبه عليه السلام (فقال له جبريل) وفيه ثلاث عشرة لغة والمتواتر منها اربع معروفة (ابمحمد تفعل هذا) اى يا براق كما فى رواية وضبط تفعل بالخطاب المذكور ولو روى بصيغة المجهول الغائب لكان له وجه والهمزة للانكار التوبيخى والاشارة الى الاستصعاب المفهوم من استصعب (فما ركبك) بالخطاب المذكر تعظيما له (احد اكرم) بالرفع والنصب (على الله تعالى منه) وفى رواية فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبى مرسل افضل ولا اكرم على الله منه فقال قد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان اكون فى شفاعته فقال انت فى شفاعتى (قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انس رواية عنه (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة اى فسال البراق (عرقا) نصب على التمييز المحول من الفاعل اى تبدد عرقه حياء وخجالة مما صدر عنه بمقتضى طبعه فهذا يؤيد القول الاول فتأمل وقد قال الزبيدى فى مختصر كتاب العين فى اللغة وصاحب البحر وهى دابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثناء قال النووى وهذا الذى قالاه من اشتراك جميع الانبياء معه يحتاج الى نقل صحيح انتهى وقد قال ابن بطال ما معناه ركبها الانبياء واقره السهيلى على ذلك وفى سيرة ابن هشام انه بلغه عن عبد الله يعنى ابن الزبير فى حج ابراهيم البيت وفى آخره وكان ابراهيم يحجه كل سنة على البراق انتهى ونقل القرطبى فى تذكرته قبيل ابواب الجنة بيسير عن ابن عباس ومقاتل والكلبى فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فيجعل الموت فى هيئة كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الامات وخلق الحياة فى صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر

فوق الحمار دون البغل لا تمر بشئ يجد ريحها الاحيي الى ان قال حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي عن مقاتل والكلبي وفيها ايضا في صفة الجنة ونعيمها ان البراق يركبها الانبياء مخصوصة بذلك في ارضها وهذا من كلام الترمذي الحكيم وحديث فاركبك احدا اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم صريح في ذلك وكل هذا يرد على النووي كذا قاله الحلبي لكن فيه بحث اذ ليس فيما ذكر نقل صحيح ولا دليل صريح على ان البراق واحد مشترك فيه فعلى تقدير صحة التعدد ينبغي ان يجعل اللام للجنس جمعا بين الروايات وان يكون لكل نبي براق لكن اخرج الطبراني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا وابعث على البراق فهذا يشير الى اختصاصه يومئذ به واشتراكه قبل ذلك اليوم وقد ذكر السيوطي في البدور السافرة قال معاذ وانت تركب العضباء يا رسول الله قال لا تركبها ابنتي وانا على البراق اختصصت به دون الانبياء يومئذ الحديث فهذا ظاهره اتحاد البراق مع احتمال اختصاصه بركوبه دون الانبياء حينئذ والله تعالى اعلم وقد جاء في بعض الروايات ان جبريل عليه الصلاة والسلام ايضا ركب معه عليه الصلاة والسلام والظاهر انه ركب خلفه بل جاء صريحا فيما رواه الطبراني في الاوسط من رواية محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه ان جبريل اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق فحمله بين يديه الحديث قال الطبراني لا يروى عن ابن ابي ليلى الا بهذا الاسناد قال الحلبي وهو معضل ويرده قول العسقلاني انه ليس بمعضل بل سقط عليه قوله عن جده وهو ثابت في اصل الطبراني انتهى وفي مسند ابي يعلى عن علقمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت بالبراق فركب خلفي جبريل عليه السلام الحديث قال الحلبي فهذا نقل في المسئلة ولكنه مرسل قلت والمرسل حجة عند الجمهور وقد ذكر ابن حبان في صحيحه ان جبريل عليه السلام حمله على البراق رديفا له قال الحلبي هذا وما تقدم يتعارضان لكن حديث ابي يعلى ضعيف ولو صح لجمع بينهما بانه تارة ركب هذا ذهابا او ايابا والاخر كذلك اذا قلنا ان الاسراء مرة وهو الصحيح على ما قاله بعضهم قلت الصواب في دفع التعارض والجمع بين التناقض ان يجعل رديفا حالا من الفاعل في حمله على ما هو الظاهر ليكون الضميران المستتران لجبريل عليه السلام والبارزان له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المقتضى للادب خصوصا في الرسول بالنسبة الى المطلوب المحبوب ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لابي ذر وقد راه يمشي امام ابي بكر أتمشي امامه وهو خير منك ثم اعلم انه اختلف في الاسراء والمعراج هل كانا في ليلة واحدة اولا وايهما كان قبل الاخر وهل كان ذلك في اليقظة او المنام او بعضه كذا وبعضه كذا او يقال اسري به ولا يتعرض لمنام ولا يقظة على ما في اواخر الهدى لابن القيم فتصير الاقوال خمسة وهل كان المعراج مرة او مرات واختلفوا في زمانه فقيل للسابع والعشرين من شهر ربيع الاول وقيل من الاخر وقيل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب وبه جزم النووي في الروضة في السير وخالف في الفتاوى فقال انهما ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الاول وخالف المكانين المذكورين في شرح مسلم فجزم بانهما ليلة السابع والعشرين من شهر ربيع الاخر تبعا للقاضي عياض وعن الماوردي انهما في شوال وسيأتي اقوال سبعة في تعيين السنة

الباب الاول

اى من القسم الاول (في ثناء الله تعالى) اى مدحه (عليه واظهاره عظيم قدره لديه) اى عنده في مقام قربه كما يفهم من الايات المتلوة واحاديث النبوة وقال الدلجي اى عنده في اللوح المحفوظ لتعلم الملائكة زيادة شرفه وتمييزه على غيره اذ هي المرادة هنا فيلتزموا توقيره وتعظيمه انتهى لكنه يحتاج الى نقل كما لا يخفى ثم قال الدلجي الثناء هنا باعتبار غايته فهو اما انعام بانواعه من تكريم وتعظيم فيرجع الى صفات الافعال واما ارادة ذلك فيرجع الى صفات الذات والا فهو في الاصل اما بمعنى الحمد والشكر او المدح او عام فيهما ومورد ذلك كله الجوارح وهو في حقه محال فيكون مجازا مرسلا لكون العلاقة غير المشابهة ففيه بحث ظاهر اذ الثناء من باب الكلام وهو في حقه سبحانه وتعالى ثابت حقيقة على ما عليه اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فلا يحتاج الى اعتبار مجاز الغاية بخلاف صفتي الغضب والرحمة لما حقق في محلهما والله تعالى اعلم (اعلم) خطاب عام وهو الاحق او خاص بالسائل كما سبق (ان في كتاب الله العزيز) اى النادر في بابه او الغالب على سائر الكتب بنسخه في خطابه (آيات كثيرة مفصحة) اى موضحة مصرحة (بجميل ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم) اى المجتبى في باب الصفاء والوفا (وعد محاسنه) اى وتعداد مكارم اخلاقه (وتعظيم امره وتنويه قدره) اى رفعة شانه وحكمه (اعتمدنا منها) اى من تلك الايات (على ما ظهر معناه) اى من منطوق الدلالات (وبان فحواه) اى تبين مقتضاه من مفهوم العلامات على ما له من الكمالات (وجمعنا ذلك) اى ما ذكر من الاصول (في عشرة فصول)

الفصل الاول

اى النوع الاول من هذا الباب (فيما جاء) اى في كتابه (من ذلك) اى مما ذكر من الايات (مجيء المدح والثناء) نصب مجيء على المصدر (وتعداد المحاسن) بفتح التاء اى ومجيء تكرار اخلاقه الحسنة وهو جمع حسن على غير قياس ونصبه على ما في نسخة غير مستقيم (كقوله تعالى) وفي نسخة لقوله تعالى باللام وهو وغير ملائم للمرام (لقد جاءكم رسول من انفسكم الاية) بدأ بها فانها مشتملة على جملة من امتنانه سبحانه مما يوجب تعظيم رسوله ويعلي شانه منها القسم المستفاد من اللام المقرونة بقد الدالتين على تحقيق الكلام ومنها الايماء في جاء الى ان رسولا لو كان في الصين لكان الواجب عليكم المأتى اليه لتعلم علم الدين ومعرفة اليقين فيكون اتيانه فضلا منا عليكم واحسانا منه اليكم فيجب حسن استقباله واطاعة امره واقباله ومنها تنكير رسول فانه يشير الى انه رسول عظيم تفخيما لشأنكم وتأييدا لبرهانكم ومنها انه جعل من جنسكم البشري فانكم لن تطيقوا على التلقين الملكي وليكون ادعى الى متابعته حيث يفعل هو ايضا بمقتضى مقالته ولو كان ملكا لربما قيل ان القوة البشرية ليست كالقدرة الملكية ومنها انه جعل من صنفكم العربي والا لقلتم أمرسل اليه عربي والرسول اليه اعجمي ثم بقية الاية عزيز عليه ما عنتم اى شديد شاق عليه عنتكم وتعبكم ووقوعكم في عذابكم حريص عليكم ان تؤمنوا كلكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم والرأفة اشد الرحمة فذكر الرحيم تذييل او عكس مراعاة للفواصل لا لكونه ابلغ كما توهم الدلجي (قال السمرقندي) بفتح سين مهملة وميم وسكون راء هو المشهور على الالسنة واما ما ضبطه بعض المحشين كالتلمساني وغيره من سكون ميم وفتح راء فهو لحن على ما صرح به القاموس وهو الامام الجليل الحنفي المحدث المفسر نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم السمرقندي الفقيه ابو الليث المعروف بامام الهدى تفقه على الفقيه ابي جعفر الهندواني وهو الامام الكبير صاحب الاقوال المفيدة والتصانيف المشهورة العديدة توفي سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة له تفسير القرآن اربع مجلدات والنوازل في الفقه وخزانة الفقه في مجلدة وتنبيه الغافلين وكتاب البستان وذكر التلمساني انه ابو علي واسمه الحسن بن عبد الله منسوب الى بلدة سمرقند من اهل الظاهر روى عن داود بن علي الظاهري لكن المعتمد هو الاول وسيأتي في مواضع من كتاب الشفاء حيث يروي عنه القاضي بواسطة واحدة والله اعلم وابو الليث السمرقندي متقدم يلقب بالحافظ وهو الفرق بينهما ذكره التلمساني (وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء) وهي قراءة شاذة مروية عن فاطمة وعائشة رضي الله تعالى عنهما وقرأ به عكرمة وابن محيصن وغيرهما وفي المستدرك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها كذلك (وقراءة الجمهور بالضم) وضبطه بعضهم بالفتح وهو غير مشهور وضبط قراءة بصيغة المصدرية ويمكن قراءته بالجملة الفعلية ثم رأيت في حاشية انهما روايتان والجمهور بالضم معظم الناس (قال القاضي الامام ابو الفضل وفقه الله تعالى) اى المصنف (اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه) اى من الذي وقع له المواجهة من المؤمنين او غيرهم (بهذا الخطاب) يعني جاءكم فمن بفتح الميم موصول وكسر نونه في الوصل لالتقاء الساكنين والمواجه بصيغة المفعول مرفوع ثم الظاهر العموم الشامل لجميع الانس بل والجن ايضا على وجه التغليب اما من اختار المؤمنين فلانهم المرادون في الحقيقة والمنتفعون بمتابعته في الطريقة واما من اختار العرب فلما يدل عليه ظاهر قوله تعالى حريص عليكم ولما يتبادر من قوله انفسكم جنس العرب ولا ينافي ما اخترناه من العموم فتح الفاء لانه اذا كان اشرف جنس العرب فيكون افضل سائر الاجناس فانهم اكرم الناس لما تقرر في محله واما من اختار اهل مكة فلما اشار اليه المصنف بناء على قراءة الضم (انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفون) اى محله ومرتبته بحليته ونعته (ويتحققون مكانه) اى مكان ولادته ونسبه ورتبته او رفعة قدره وعلو شانه ويؤيده ما في نسخة مكانته وهو مخل بالتسجيع لما قبله ملائم لقوله (ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب) في دعوى رسالته اى ولذا كانوا يسمونه محمد الامين لكمال ديانته (وترك النصيحة لهم) اى وترك ارادة الخير لهم (لكونه منهم) وهو ابعد للتهمة في ترك النصيحة في حقهم (وانه) بالفتح عطف على انه السابق الواقع مفعولا ثانيا لاعلم ولا يبعد ان يكون مجرور المحل معطوفا على كونه والحاصل انه (لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على للمصاحبة كقوله تعالى وآتى المال على حبه اى مع رسول الله (ولادة) اى قرابة قريبة (او قرابة) اى بعيدة (وهو) اى هذا المعنى المستفاد من قوله وانه الخ (عند ابن عباس) كما رواه عنه البخاري والطبراني (وغيره) اى من المفسرين (معنى قوله تعالى الا المودة في القربى) في قوله تعالى قل لا اسألكم عليه اى على التبليغ اجرا الا المودة اى لكن المودة في القرابة لازمة من الجانبين وانا لا اقصر في نصيحتكم وارادة الخير لكم ومحبتكم فيجب عليكم ايضا ان تجتهدوا في متابعتي ونصرتي ودفع الاذى عن اهل ملتي (وكونه) قال الحلبي هو بالرفع لكن الظاهر كما اقتصر عليه الدلجي انه بالجر عطفا على قوله والمعنى وهو معنى كونه (من اشرفهم) اى نسبا (وارفعهم)

اى حسبا (وافضلهم) اى سخاوة ونجادة (على قراءة الفتح) اى بناء عليها (وهذه) اى المنقبة (نهاية المدح) اى من هذه الجهة (ثم وصفه) اى الله سبحانه و (تعالى بعد) بالضم اى بعد قوله من انفسكم (باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد) بالفتح جمع محمدة بمعنى مدحة (كثيرة) اى عديدة (من حرصه على هدايتهم) اى دلالتهم على العقائد الدينية (ورشدهم) اى ارشادهم الى مافيه صلاح امورهم من الاحكام الشرعية (واسلامهم) اى انقيادهم واستسلامهم للحوادث الكونية بقوله حريص عليكم (وشدة مايعنتهم) من الافعال او التفعيل اى مايشق عليهم ولا يطيقونه (ويضربهم) ضبط فى نسخة بضم الباء وكسر الضاد وهو غير صحيح لوجود الباء فى مفعوله وقول الدلجى ان الباء زائدة غير صحيح ففى القاموس ضره وبه واضره والصواب ضبطه بفتح وضم والتقدير ومايضرهم (فى دنياهم واخراهم وعزته عليه) اى ومن غلبة مايعنتهم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله عزيز عليه ماعنتم وكان الاولى مراعاة الترتيب القرآنى كما لا يخفى بان يقدم قضية العزة على الشدة ثم يقول (ورأفته ورحمته بمؤمنيهم) اى ومؤمنى غيرهم وفى نسخة بمؤمنهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس بطريق الاستغراق بقوله بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة ادق من الرحمة ولعل التفاوت بحسب القابلية والرتبة (قال بعضهم اعطاه) اى الله (اسمين من اسمائه رؤف) بالاشباع ودونه فن الاول قول كعب بن مالك الانصارى

نطيع نبيا ونطيع ربا * هو الرحمن كان بنا رؤوفا

ومن الثانى قول جرير

يرى للمسلمين عليه حقا * كفعل الوالد الرؤف الرحيم

(رحيم) اى على وصف التنكير واما بصيغة التعريف فالظاهر انه لا يجوز اطلاقهما على غيره سبحانه (ومثله) اى ومثل معنى الاية الاولى (فى الاية الاخرى فى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين) خصوا لكونهم المنتفعين (اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية وفى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين) اى العرب الذين غالبهم ماقرأ ولا كتب (رسولا منهم) اى اميا مثلهم لكن الامية فى حقه عليه الصلاة والسلام معجزة ومنقبة وفى حق غيره معيبة ومنقصة (الاية) تمامها يتلو عليهم آياته اى مع كونه اميا فهذا اظهر معجزاته ويزكيهم اى من خبائث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة اى السنة والشريعة (وقوله) اى وفى الاية الاخرى قوله (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم) الاية الى قوله فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالمثوبة (وروى عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه عنه عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه ابن ابى عمر العدنى فى مسنده (فى قوله تعالى من انفسكم قال نسبا) اى قرابة مختصة بالآباء على مافى القاموس ونصبه على التمييز وكذا قوله (وصهرا) قال البيضاوى فى قوله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن والحاصل انه شريف الجانبين وكريم الطرفين ثم قوله (وحسبا) اريد به مايعده الانسان من مفاخر آبائه من الدين او الكرم او المال وقيل الحسب والكرم قد يكونان بمن لا شرف لآبائهم والشرف والمجد لا يكونان الابهم (ليس فى آبائى) اى اسلافى من الاب والجد والام والجدة (من لدن آدم) بفتح لام وضم دال وسكون نون ويجوز سكون الدال وكسر النون اى من عند ابتداء زمن آدم عليه الصلاة والسلام الى وجود الخاتم صلى الله تعالى عليه وسلم (سفاح) بكسر السين وهو صب ماء الرجل بلا عقد على ماقاله المحشى والاولى ان يقال المراد به الوطئ من غير مجوز لان السرية لا عقد لها والحاصل ان المراد به الزنى ومالا يجوز وطئه شرعا (كلنا نكاح) اى ذو عقد او كل واحد منا ناكح او قصد به المبالغة كرجل عدل وهو واقع على التغليب والافام اسماعيل عليه الصلاة والسلام سرية اللهم الا ان يقال قد اعتقها وعقد عليها قال المحشى ويروى كلها نكاح وهو كذا فى نسخة ولعل التقدير كل الجامعة ذات نكاح وفى حديث لما خلق الله تعالى آدم اهبطنى فى صلبه الى الارض وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلنى من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة الى ان اخرجنى من بين ابوى لم يلتقيا على سفاح قط (قال ابن الكلبى) وهو محمد بن السائب ابو النضر المفسر النسابة الاخبارى وترجمته معروفة فى الميزان وغيره (كتبت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة ام) لعله اراد به التكثير والا فمحال ان يكون بينهما خمسمائة ام اذ بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين عدنان احد وعشرون ابا اجماعا وبين عدنان وآدم على ما بينه ابن اسحق وغيره ستة وعشرون ابا فيكون بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين آدم عليه الصلاة والسلام سبعة واربعون ابا بسبع واربعين اما ولا يبعد انه عد امهاته وامهات اعمامه وامهات اعمام آبائه الى آدم والله تعالى اعلم (فما وجدت فيهن سفاحا) اى ذات سفاح (ولا شيأ مما كان عليه الجاهلية) اى من اخذ الاخدان الشهادة حديث ابن عدى والطبرانى خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح وقد نقل عن اكثر

اهل السير كزبير بن بكار وغيره ان كنانة خلف على برة بعد ابيه خزيمة على عادة العرب فى الجاهلية فى ان اكبر ولد الرجل يخلف على زوجته اذا لم يكن منها وهذا مشكل لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول كلنا نكاح ليس فينا سفاح ماولدت من سفاح اهل الجاهلية وذكر السهيلى وغيره فى هذا اعذارا منها ان الله تعالى يقول ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف اى من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ان لا يعاب نسب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى و بعده لا يخفى وذكر الحافظ ابو عثمان عمرو بن بحر فى كتاب له سماه كتاب الاصنام قال وخلف كنانة بن خزيمة بن مدركة على زوجة ابيه بعد وفاته وهى برة بنت اد بن طابخة تحت كنانة بن خزيمة فولدت له النضر بن كنانة وانما غلط كثير من الناس لما سمعوا ان كنانة خلف على زوجة ابيه لاتفاق اسميهما وتقارب نسبهما قال وهذا الذى عليه مشايخنا من اهل العلم بالنسب قال ومعاذ الله ان يكون اصاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقت نكاح وقال من اعتقد غير هذا فقد اخطأ وشك فى الخبر ويؤيد ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم تنقلت فى الاصلاب الزاكية الى الارحام الطاهرة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) اى كما رواه ابن سعد والبزار وابو نعيم فى دلائله بسند صحيح عنه انه (قال من نبى الى نبى حتى اخرجك) وفى نسخة صحيحة حتى اخرجتك (نبيا) ولا يخفى ان المراد به ان بعض الاباء كانوا من الانبياء وفى الاية عنه وعن غيره معانى اخر (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على بن ابى طالب الهاشمى المدنى المعروف بالصادق امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابى بكر وكان يقول ولدت فى الصديق مرتين متفق على امامته وجلالته وسيادته قال البخارى فى تاريخه ولد سنة ثمانين وتوفى سنة ثمان واربعين ومائة انتهى وقد اخرج له مسلم والاربعة وكذا البخارى فى كتابه ادب المفرد (علم الله تعالى عجز خلقه عن طاعته) اى عن معرفة مايطلب منهم فعلا وتركا من طاعته بغير واسطة رسول و بعثته لبيان عبادته (فعرفهم) بتشديد الراء اى فاعلمهم (ذلك) اى العجز (لكى يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته) اى الخالص من طاعته بل انما ينالون بالواسطة من فضله ورحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وفى قضية ابليس ايماء الى ان كثرة الخدمة غير مفيدة مع قلة الرحمة (فاقام الله بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم فى الصورة) اى مباينا لصنفهم فى السيرة (البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا) اى واظهره مرسلا اليهم حال كونه رسولا مصلحا مابينهم (صادقا) اى مطابقا قوله فعله وموافقا حكمه خبره (وجعل طاعته طاعته) بنصبهما اى كطاعة الله تعالى اى فيما يأمره وينهاه وهو تشبيه بليغ مفيد للمبالغة وهو ان طاعته عين طاعته وكذا قوله (وموافقته موافقته) اى فى امر دينه ودنياه فلا تجوز مخالفته فى طريق مولاه كما قال سبحانه وتعالى فى حقه فليحذر الذين يخالفون عن امره (فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقد روى من احبنى فقد احب الله ومن عصانى فقد عصى الله تعالى وكذا قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا رحمة مهداة على مارواه الحاكم عن ابى هريرة (قال ابو بكر بن طاهر) وفى نسخة محمد بن طاهر اى ابن محمد بن احمد بن طاهر الاشبيلى القيسى وبهذا يعرف ان ليس المراد به عبد الله بن طاهر الابهرى الذى هو من اقران الاشبيلى خلافا لما توهمه التلمسانى قال العسقلانى هو معافرى شاطبى روى عن ابيه وابن على النسائى وغيرهما واجازله ابو الوليد الباجى (زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة) اى بزيادة المرحمة (فكان كونه) اى وجوده (رحمة) واغرب الدلجى فى قوله مكان كونه موصوفا بالرحمة رحمة (وجميع شمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق بالضم والمراد بها اخلاقه الباطنة (وصفاته) الظاهرة من نحو كرمه وجوده (رحمة) الاولى مرحمة لتغاير الاولى والمعنى محل رحمة نازلة (على الخلق) اى عامة وخاصة (فمن اصابه شئ من رحمته فهو الناجى) قال التلمسانى اى الخالص والصواب المخلص (فى الدارين) اى حالا ومآلا (من كل مكروه) اى ومغضوب (والواصل فيهما) اى وهو الواصل فى الكونين (الى كل محبوب) وفيه ايماء الى ماورد من ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصاب من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد ضل وغوى (الا ترى) بصيغة الخطاب المعلوم ويجوز ان يقرأ بصيغة الغائب المجهول اى ألا تعلم (ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة) اى ذا رحمة واريد بها المبالغة (للعالمين) اى من غير تقييد للمؤمنين او لامته دون غيرهم من المخلوقين ويستفاد من نسبة الرحمة الالهية انها ليست من الامور العارضية (فكانت حياته رحمة ومماته رحمة) بل وليس هنالك موت ولا فوت بل انتقال من حال الى حال وارتحال من دار الى دار فان المعتقد المحقق انه حى يرزق (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الحارث ابن ابى اسامة فى مسنده والبزار باسناد صحيح (حياتى خير لكم) وهو ظاهر (وموتى خير لكم) قال الدلجى بشهادة وما

كان الله ليعذبهم وانت فيهم حيا وميتا انتهى وغرابته لا تخفى فالاظهر ان يقال لانه تعرض على اعمالكم فاشفع فى غفران سيئاتكم وادعو لكم فى تحسين حالاتكم والمعنى انى متوجه اليكم وراحم عليكم وشفيع لكم حيا وميتا بالنسبة الى حاضركم وغائبكم او التقدير وموتى قبلكم خير لكم فيوافق ما اراده المصنف بقوله (وكما قال) اى على ما رواه مسلم (اذا اراد الله تعالى رحمة بامة) قال الحافظ المزى المعروف رحمة امة وكذا رواه مسلم كذا ذكره الحجازى قلت وفى الجامع الكبير ايضا بلفظ ان الله تعالى اذا اراد رحمة امة من عباده (قبض نبيها قبلها) اى قبل موت جميعها (فجعله لها فرطا وسلفا) اى بين يديها كما فى الصحيح وهما بفتحتين اى متقدما وسابقا فانها ما اصيبت بمصيبة اعظم من موت نبيها واصل الفرط هو الذى يتقدم الواردين ليهيء لهم ما يحتاجون اليه عند نزولهم فى منازلهم ثم استعمل للشفيع فيمن خلفه ثم تتمة الحديث على ما فى صحيح مسلم عن ابى موسى مرفوعا واذا اراد هلكة امة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلاكها حين كذبوه وعصوا امره (وقال السمرقندى) اى ابو الليث امام الهدى الحنفى كما ذكره الدلجى (رحمة للعالمين) بالنصب على الحكاية (يعنى) اى يريد سبحانه وتعالى بالعالمين (للجن والانس) اى المؤمنين بقرينة تقابله بقوله (وقيل لجميع الخلق) اى المكلفين لقوله (للمؤمن رحمة) بالنصب ويجوز رفعها اى رحمة خاصة (بالهداية) وكان الاولى ان يقول رحمة للمؤمن بالهداية ليطابق الاية وليوافق قوله (ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب) اى الى العقبى ولا يبعد ان يكون تقديم المؤمن اشارة الى حصر الرحمة المختصة بالهداية كما قال تعالى هدى للمتقين اى بالدلالة الموصلة التى هى خلق الهداية فى خواص الانسان من اهل الايمان مع انه هدى للناس باعتبار عموم الهداية بالدلالة المطلقة التى هى بمعنى البيان (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه جرير وابن ابى حاتم فى تفسيرهما والطبرانى والبيهقى فى دلائله (هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة) اى من انواع العقوبة ومآل هذا القول الى ما قبله ثم الاظهر ان العالمين يشمل الملائكة ايضا ويدل عليه قوله (وحكى) بصيغة المجهول وقال الحجازى ويروى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه الصلاة والسلام هل اصابك من هذه الرحمة) اى المنقسمة على هذه الامة من نبى الرحمة (شىء) اى من الرحمة مختص بك فالاشارة الى موجود فى الذهن اذ الرحمة معنى يوجده الله تعالى فيمن يشاء من خلقه وفيها يتفاوتون (قال نعم كنت اخشى العاقبة) اى آخر امرى من سوء الخاتمة لما وقع لابليس من الزلة (فامنت) بفتح فكسر وضبطه التلمسانى بصيغة المجهول ففى القاموس الامن ضد الخوف امن كفرح وقد امنه كسمع ائتمنه واستأمنه انتهى ولا يخفى ان بناء المجهول غير ظاهر فى المعنى اذ المراد فصرت آمنا ببركة القرآن الذى نزل عليك (لثناء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند ذى العرش مكين) اى صاحب مكانة (مطاع) اى بين الملائكة (ثم) اى فيما هنالك (امين) اى على امر الوحى وغيره ووجه استدلاله به انه تعالى حيث مدحه فى محكم كتابه العظيم واخبر عن حسن حاله للنبى الكريم لا يتصور تبدل حاله ولا تغيرمآله ولا يبعد ان يجعل قوله امين بمعنى مأمون العاقبة وقد سنح بالبال والله تعالى اعلم بالحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم رحمة لجميع خلق الله تعالى فان العالمين لا شك انه حقيقة فيما سواه ولا صارف بالاتفاق يصرفه عن دلالة الاطلاق ثم من المعلوم انه لولا نور وجوده وظهور كرمه وجوده لما خلق الافلاك ولا اوجد الاملاك فهو مظهر للرحمة الالهية التى وسعت كل شىء من الحقائق الكونية المحتاج الى نعمة الايجاد ثم الى منحة الامداد وينصره القول بانه مبعوث الى كافة العالمين من السابقين واللاحقين فهو بمنزلة قلب عسكر المجاهدين والانبياء مقدمته والاولياء مؤخرته وسائر الخلق من اصحاب الشمال واليمين ويدل عليه قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ومن جملة انذاره للملائكة قوله سبحانه وتعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ويقويه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت الى الخلق كافة وقد بينت وجه ارساله الى الموجودات العلوية والسفلية فى رسالتى المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية (وروى عن جعفر بن محمد) اى الباقر (الصادق) نعت لجعفر (فى قوله تعالى فسلام) اى فسلامة من كل ملامة (لك) اى لرحمتك (من اصحاب اليمين) خبر سلام اى حاصل من اجلهم ولو كان من اعظمهم واجلهم (اى بك) اى بسبب وجودك او بسبب كرمك وجودك (انما وقعت سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بالشفاعة العظمى فانها شاملة للنفوس العليا والسفلى من الاولى والاخرى فشملت رحمته فى الابتداء والانتهاء فى الدنيا والعقبى وقال التلمسانى لمحمد روى باللام والباء واللام تعليلية والباء سببية فتكون كرامته مضافة الى ضمير الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى انتهى والنسخ المصححة والاصول المعتمدة على الاضافة الى المفعول وهو الظاهر فى المعنى قال الدلجى اى من اجل اكرام الله اياه فوضع الظاهر موضع المضمر والاظهر انه التفات من الخطاب الى الغيبة ثم اغرب الدلجى ان من على هذا زائدة ويجوز ان تكون بمعنى لام التعدية

اى لسببك وقع السلام لاصحاب اليمين من اجل اكرام الله تعالى اياك وما قاله تكلف بعيد انتهى والكل تكلف بل تعسف والتحقيق انه اراد ان الخطاب فى ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم والتقدير فسلامة عظيمة لاجلك وبسببك حاصلة لاصحاب اليمين وقوله من اجل توضيح لقوله بك امابطريق عطف البيان او على سبيل الاستئناف والالتفات فى التبيان وهذا التأويل خلاف ما قاله اهل التفسير فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يقال له سلام لك اى مسلم لك انك منهم او يا محمد انك لا ترى فيهم الا ما تحب من سلامتهم من العذاب وان منهم من يقول يوم القيامة سلام عليك (وقال الله تعالى الله نور السموات والارض) اى منورهما كما قرئ به ومظهر ما خلق فيهما او موجد انوارهما (الاية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها اى اقرأها او هى معلومة او الى آخرها والمراد ما بعدها وهو قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شىء عليم وقد اوضحت معنى الاية فى الرسالة المسماة بالصلات العلية فى الصلاة المحمدية عند قوله اللهم صل وسلم على نورك الاسنى واعلم ان النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة ويستحيل اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف ونحوه من نوع تأويل (قال كعب) وفى نسخة كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو كعب بن ماتع بالمثناة فوق ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يره واسلم فى خلافة ابى بكر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل ادرك الجاهلية وصحب عمر واكثر عنه وروى ايضا عن جماعة من الصحابة وروى عنه ايضا جماعة من الصحابة والتابعين وكان يسكن حمص وكان قبل اسلامه على دين اليهود ويسكن اليمن توفى فى خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين متوجها للغزو ودفن بحمص ويقال له كعب الحبر ايضا بفتح الحاء وكسرها لكثرة علمه اخرج له البخارى وابو داود والترمذى والنسائى واغرب شارح حيث قال هو كعب بن مالك الانصارى (وابن جبير) وهو سعيد بن جبير احد اكابر التابعين والعلماء العاملين روى عن ابن عباس وغيره وعنه امم من المحدثين اخرج له الجماعة فى كتبهم الستة وكان اسود الصورة وانور السيرة مستجاب الدعوة قتل سنة خمس وتسعين وهو ابن تسع واربعين شهيدا فى شعبان ومما يدل على كماله فى اليقين وتمكنه فى الدين ما روى انه لما دخل على الحجاج بعد ارساله اليه قام بين يديه فقال له اعوذ منك بما استعاذت مريم اذ قالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال شقى بن كسير فقال امى اعلم باسمى قال شقيت وشقيت امك فقال الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا تلظى فقال لو علمت ان ذلك بيدك ما اتخذت الها غيرك قال لاوردنك حياض الموت فقال اذا اصابت اسمى امى يعنى اذا كنت شهيدا اكون سعيدا قال فما تقول فى محمد قال نبى ختم الله تعالى به الرسل وصدق به الوحى وانقذ به من الجهالة امام هدى ونبى رحمة قال فما تقول فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل وانما استحفظت امر دينى قال فايهم احب اليك فقال احسنهم خلقا وارضاهم لخالقه واشدهم منه فرقا قال فما تقول فى على وعثمان افى الجنة هما ام فى النار فقال لو دخلت فرأيت اهلهما لاخبرتك فما سؤالك عن امر غيب عنك قال فما تقول فى عبد الملك بن مروان قال فمالك تسألنى عن امرئ انت واحد من ذنوبه قال فمالك لم تضحك قط قال لم ار ما يضحكنى وكيف يضحك من خلق من التراب والى التراب يعود قال فانى اضحك من اللهو قال ليست القلوب سواء قال فهل رأيت من اللهو شيأ قال لا فدعا بالزمر والعود فلما نفخ فيه بكى فقال له الحجاج ما يبكيك قال ذكرنى يوم ينفخ فى الصور واما هذا العود فمن نبات الارض وعسى ان يكون قطع فى غير حقه واما هذه المثانى والاوتار فان الله سيبعثها معك يوم القيامة قال فانى قاتلك قال ان الله قد وقت وقتا انا بالغه فان اجلى قد حضر فهو امر قد فرغ منه ولا محيص ساعة عنه وان تكن العافية فالله اولى بها قال اذهبوا به فاقتلوه قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له استحفظ اياها يا حجاج حتى القاك يوم القيامة فامر به ليقتل فلما تولوا به ليقتلوه ضحك فقال له الحجاج ما اضحكك قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك ثم استقبل القبلة فقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين قال فحولوه عن القبلة قال فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم قال اضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى قال اضربوا عنقه قال اللهم لا تحل له دمى ولا تمهله بعدى فلما قتله لم يزل دمه يغلى حتى ملأ اثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره فلما رأى ذلك هاله وافزعه فبعث الى ياذوق المتطبب فسأله عن ذلك فقال لانك قتلته ولم يهله ذلك ففاض دمه ولم يخمد فى نفسه ولم يخلق الله شيأ اكثر دما من الانسان فلم يزل به ذلك الفزع حتى منع منه النوم فيقول مالى ولك يا سعيد بن جبير ستة اشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقى بعد سعيد بن جبير ستة اشهر ونقل ان السجون عرضت بعد موته فوجد فيها ثلاثة وثلاثون الفا من المظلومين وقد احصى

من قتله صبرا فوجد مائة الف وعشرين الفا (المراد بالنور) اى بنوره (الثانى هنا) اى فى تتمة هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لقوله (وقوله مثل نوره اى نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) على انه عطف بيان لماقبله وبهذا يندفع ماقاله الدلجى فى قوله هنا اى فى هذه الاية من قوله مثل نوره هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فضميره لله تعالى وقوله مثل نوره اى نور محمد عليه الصلاة والسلام ان كان قولهما فهو مناقض لماقبله الا ان يقال الاضافة بيانية اى مثل محمد الذى هو نور وهو بعيد اولغيرهما فلا تناقض انتهى والاظهر ان يقال المراد بالنور محمد والتقدير مثل نور الله الذى هو مشرق ظهوره ومظهر نوره فى عالم الكون بخلقه وامره حسب قضائه وقدره كمشكاة الخ فان النور عبارة عن الظهور وقد انكشف به الحقائق الالهية والاسرار الاحدية والاستار الصمدية وبه اشرقت الكائنات وخرجت عن حيز الظلمات وبه صلى الله تعالى عليه وسلم فسر بعض المفسرين قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (وقال) وفى نسخة وقاله وهو غير صحيح (سهل بن عبد الله) هو التسترى منسوب الى تستر قال النووى هو بمثناتين من فوق الاولى مضمومة والثانية مفتوحة بينهما سين مهملة مدينة بخوزستان وقال التلمسانى والتاآن مضمومتان وقيل بضم الثانية وتفتح وقيل بفتح فقط وقيل بفتح الاولى وبضم الثانية ويقال ششتر بشينين معجمتين من عمل الاهواز وقيل بخوزستان انتهى وفى القاموس تستر كجندب بلد وبشينين معجمتين لحن وسورها اول سور بعد الطوفان وقد روى انه كان صاحب الكرامات ولم يكن فى وقته له نظير فى المعاملات ولم يزل يشتغل فى الرياضة العملية الى ان كان يفطر فى كل يوم على اوقية من خبز الشعير بلا ادام فكان يكفيه لقوته درهم واحد فى عام وهو مع ذلك يقوم الليل كله ولا ينام واسلم عند وفاته يهود نيف على السبعين لما رأوا الناس انكبوا على جنازته وشاهدوا اقواما ينزلون من السماء فيتمسحون بجنازته ويصعدون وينزل غيرهم فوجا بعد فوج وقد توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين (المعنى) اى معنى الاية كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ايضا (الله هادى اهل السموات والارض) اى فهم بنوره يهتدون وبظهوره يوحدون فسر النور بالهادى لان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وقدر المضاف ليتعلق كمال هدايته بارباب ولايته (ثم قال) اى سهل بن عبد الله (مثل نور محمد) اى صفة نوره العجيبة الشأن الغريبة البرهان (اذ كان) اى حين صار (مستودعا) بفتح الدال اى مودعا (فى الاصلاب) اى اصلاب الاباء اولهم آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء فنوره صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل صلب انتقل اليه (كمشكاة صفتها كذا) اى كصفة كوة غير نافذة موصوفة بكونها فيها مصباح اى سراج اوفتيلة المصباح فى زجاجة اى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها الى آخرها فشبه مادة جسمه وقالبه فى اصلاب الاباء السالفة بالكوة فى الحائط التى ليست نافذة فصح قوله (واراد بالمصباح قلبه والزجاجة) اى واراد بالزجاجة (صدره اى كانه) يعنى صدره المعبر به عن الزجاجة (كوكب) اى نجم (درى) بضم اوله وتشديد آخره اى مشرق يتلألأ كانه منسوب الى الدر المضيء وتخفيف ياءه فهمز نسبة الى الدرء بمعنى الدفع فكانه يدفع الظلام بنوره وبرفع الحجاب لظهوره وبكسر اوله مع التخفيف والهمز ولعله من تغيرات النسب كما يقال فى بصرى بصرى (لما فيه من الايمان والحكمة) اى من نور الايمان والاتقان والمراد بالحكمة نور النبوة والايقان على وجه العيان (توقد) بصيغة المجهول اى من اوقد مذكرا ومؤنثا وتوقد بصيغة الماضى المعلوم فقرآءة التأنيث مرجعها الزجاجة وقرآءة التذكير مرجعها مصباح الزجاجة على حذف المضاف (من شجرة مباركة) اى مبتدأة منتشئة من شجرة كثيرة البركة زيتونة لا شرقية ولا غربية (اى من نور ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اذ هو اصل شجرة التوحيد وفصل ثمرة التفريد (وضرب) بصيغة المفعول او الفاعل اى بين وعين (المثل بالشجرة المباركة) فطوبى لشجرة لها هذه الثمرة فجعل ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه معدن اسرار عوارف المنافع وانوار لطائف الشرائع الذين هم اكابر الانبياء واتباعهم الاصفياء اذ غالبهم بل كلهم بعده من ذريته فهو شجرة النبوة مشبهة بشجرة مباركة زيتونة لكثرة نفعها الذى هو فاكهة وادام ودواء ودهن له ضياء والحاصل ان نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتقل من آبائه الكرام الى ان ظهر ظهورا بينا فى ظهر ابراهيم عليه السلام اذ صار علما فى علم التوحيد ولا سيما فى باب التفويض والاستسلام فهو شجرة كثيرة الخير لان من بعده من الانبياء كلهم من ذريته وكان اكثرهم فى جهة الشأم من الارض التى بارك الله تعالى حولها وكان الزيتونة اشارة اليها وقوله لا شرقية ولا غربية اى حيث لا تقع الشمس عليها حينا دون حين بل حيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة جبل مرتفعة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انمى وزيتها اصفى اولا نابتة فى شرق المعمورة ولا غربها بل فى وسطها وهو توابع الشأم فان زيتونه اجود الزيتون فى غيرها وهذا بطريق العبارة واما بتحقيق الاشارة فايماء الى قبلة اهل التوحيد وكعبة اهل التفريد حيث انها ليست شرقية كقبلة النصارى ولا غربية كقبلة اليهود وبالجملة اشارة الى ان الملة الحنيفية اعدل الملل

الاسلامية

الاسلامية فاهلها متوسطون بين الخوف والرجاء فلا خوف لهم يزعجهم الى بعد القنوط ولا رجاء يجرهم الى بساط الانبساط وقال بعضهم لا دنيوية ولا اخروية بل جذبة الهية الى مكانة معنوية (وقوله يكاد زيتها يضيء اى يكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقتبسة من شجرة النبوة (تبين) بفتح فوقية وكسر موحدة اى تظهر (للناس قبل كلامه) اى باد عاء النبوة حالة الرسالة لقوة ما فيها من الانوار الالهية ولكونه مظهر الاسرار الصمدية (كهذا الزيت) اى فى صفاء ظاهره وباطنه حيث يضيء ولو لم تمسسه نار من الانوار الحسية وبعد اجتماع النبوة والرسالة والجمع بين الخلوة والجلوة نور على نور كما فى اجتماع النار مع ضياء الزيت فى كمال الظهور ويهدى الله لنوره اى لاجل نوره وبواسطة ظهوره اوالى حضرة نوره واخذ النور من حضوره من يشاء من خواص اوليائه واكابر اصفيائه ويضرب الله الامثال للناس فيه اشعار بان ما قبله انما هو مثل للاستئناس ليدرك المعنى فى قالب المبنى لكن لا يعقلها الا العالمون العاملون المخلصون الكاملون رضى الله تعالى عنهم وجعلنا بفضله منهم (وقد قيل فى هذه الاية) اى على ما ذكره المفسرون وارباب العربية (غير هذا) اى غير ما ذكرنا مما يتعلق بالعبارة والعاقل تكفيه الاشارة لان الزيادة على العلامة ربما تورث الملالة والسآمة (والله تعالى اعلم وقد سماه الله تعالى فى القرآن فى غير هذا الموضع نورا) اى عظيما مطلقا (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئة حقا ولعل وجه التذكير انها كوكب والظاهر انه من باب التشبيه البليغ وكون المشبه به اقوى من حيث شهرته ووضوح دلالته العامة للخاص والعام من عالم الخلق (فقال) اى الله تعالى (قد جاءكم من الله نور) اى اظهور الحق وابطال الباطل واطلق عليه عليه الصلاة والسلام لانه يهتدى به من الظلمات الى النور (وكتاب مبين) بين الاعجاز ومبين الاحكام بالايجاز وهذا شاهد للمدعى الاول وبيانه ان الاصل فى العطف المغايرة وقد حاول بعض المفسرين بانه من باب الجمع بين الوصفين باعتبار تغايرهما اللفظى وان المراد بهما القرآن وقد يقال فى مقابلهم واى مانع من ان يجعل النعتان للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور عظيم لكمال ظهوره بين الانوار وكتاب مبين حيث انه جامع لجميع الاسرار ومظهر للاحكام والاحوال والاخبار (وقال) اى الله سبحانه مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثتك اليهم بتصديقهم وتكذيبهم او شاهدا على جميع الشهدآء من الانبياء كما يستفاد من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وهو وما بعده احوال مقدرة مخبرة بحيازته جميع الجهات المعتبرة (ومبشرا ونذيرا) اى منذرا ولعل وجه العدول رعاية الفواصل او تفنن العبارة فى المحل القابل فهو بشير ونذير ومبشر ومنذر للمطيعين بالجنة والوصلة وللعاصين بالحرقة والفرقة (وداعيا) اى جميع الخلق (الى الله) اى الى دينه وحبه ومقام قربه (باذنه) اى بامره وتيسيره (وسراجا منيرا) يميز بين الحق والباطل فى المعتقدات وبين الحلال والحرام فى المعاملات وبين محاسن الاخلاق ومساويها فى الرياضات فهو الداعى بالشريعة والطريقة والحقيقة الى المراتب الحقية والدرجات العلية عليه افضل الصلاة واكمل التحية (ومن هذا) اى الباب او النوع او القبيل (قوله تعالى الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة) استفهام افاد انكار نفى الشرح مبالغة فى اثباته اذ انكار النفى نفى له ونفى النفى اثبات اى قد شرحناه لك ومن ثم عطف عليه قوله ووضعنا عنك وزرك اشارة الى المبنى ورعاية للمعنى (ومعنى قوله شرح وسع) بالتشديد (والمراد بالصدر هنا القلب) لان الصدر غير قابل للتضييق والتوسيع اى وسع قلبه لتجليات ربه وتنزلات حكمه بعد ما كان يضيق صدره لما ينعكس عليه من غبار غيره لقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون اى فينا او فى القرآن او فيك ثم قال تعالى كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه فهذا نهى تكوين كما ان قوله تعالى كن امر تكوين فيكون المأمور ولا يكون المنهى وبه ينتفى التلوين ويتحقق التمكين المعبر عنه بمرتبة جمع الجمع بين مناجاة الحق ومفاداة الخلق بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا عكسه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم عن عكرمة وابن مردويه وابن المنذر فى تفسيرهما عنه انه قال (شرحه بنور الاسلام) وفى نسخة بالاسلام وفى اخرى بالايمان والمعانى متقاربة البيان اى فسح قلبه ووسعه بسبب نور الانقياد وتفويض الامر الى المريد المراد العالم بالعباد والعباد فى جميع البلاد وفيه ايماء الى قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (وقال سهل بنور الرسالة) اى شرحه به خصوصا فلا ينافى ما تقدم عموما (وقال الحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى وهو من افاضل التابعين ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ومات بالبصرة سنة عشر ومائة وهو ابن ثمان وثمانين سنة وكانت امه خادمة ام سلمة رضى الله تعالى عنها من امهات المؤمنين فكان اذا بكى فى صغره جعلت ثديها فى فمه فاصاب لذلك بركة عظيمة حتى صار عالما زاهدا يضرب به المثل فى كمال العلم والعمل اخرج له الجماعة فى الكتب الستة (ملأه) بالهمز اى ملأ قلبه (حكما) اى ما يحكم من الاحكام (وعلما) اى بجميع ضروريات الانام وفى نسخة بكسر الحاء وفتح الكاف جمع الحكمة فلعله

ارادبها السنة وبالعلم ما يتعلق بالكتاب من جهة دلالة المعنى وقراءة المبنى (وقيل معناه الم نطهر قلبك) من الاستئناس
بالناس (حتى لا يوذيك) وفى نسخة لا يقبل (الوسواس) اى لا يشوش عليك الموسوسون من الانس والشياطين حالة
الحضور فى حضرة العيان وهو اتم واعم من تفسير بعضهم الوسواس بالشيطان والحاصل ان الهمزة للتقرير فى البيان
والمعنى قد طهرنا لك صدرك ولذا عطف عليه قوله (ووضعنا عنك وزرك) اى اثمك واصله ما يحمل على الظهر ولذا قال
(الذى انقض ظهرك) اى اثقله حتى ظهر نقيضه ونقيض الظهر صوته (وقيل) اى فى المراد من قوله وزرك (ما سلف
من ذنبك) يعنى من التقصيرات او اللهوات والغفلات (يعنى) اى يريد صاحب القيل بهذا القول (قبل النبوة) لانه
كان بعدها فى مرتبة العصمة (وقيل اراد) اى الله تعالى به (ثقل ايام الجاهلية) وهو بكسر المثلثة وفتح القاف ضد الخفة
ويجوز تسكينه تخفيفا وهو لا ينافى ان الثقل بالكسر والسكون واحد الاثقال لانه لا شك ان المراد به نوع من اثقال
الاحمال وهو الواقع فى ازمنة الجاهلية من اصحاب الفترة قبل ظهور نور الدولة الاسلامية وقبل اعلاء اعلام
العلوم الدينية ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى تفاصيل ما يتعلق به على وجه
الايقان ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا عن كمال المعرفة فهدى اى فهداك هداية كاملة وهدى بك جميع
الامة واما الثقل بفتحتين بمعنى متاع المسافر فلا يبعد ان يكون مرادا هنا اشعارا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم حال
سلوكه وسيره كان حاملا لامور ثقيلة على ظهره فرفعها الله تعالى عنه حتى تمكن فى مقام تفويضه وتسليم امره (وقيل
اراد ما اثقل ظهره من الرسالة) اى من اعبائها فانه من باب التوجه من الحق الى الخلق وهو مستثقل عند ارباب الولاية
الا بعد حصول مرتبة جمع الجمع الذى يزيل تفرقه بالكلية بحيث لا تشغله الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة
(حتى بلغها) بتشديد اللام اى حتى بلغ الرسالة بعد ما بلغ تلك الحالة (حكاه الماوردى) من علماء الظاهر وهو ممن
تفقه على ابى حامد الاسفراينى وصنف فى الفقه والتفسير والاصول توفى سنة خمسين واربعمائة وهو ابو الحسن على
ابن حبيب الشافعى (والسلمى) من علماء الباطن وهو ابو عبد الرحمن ابن عبد الله بن حبيب الكوفى سمع عليا وابا موسى
وغيرهما توفى فى زمن بشر بن مروان بالكوفة سنة اثنتى عشرة واربعمائة وهو بضم السين وفتح اللام منسوب الى سليم
كذا ذكره التلمسانى وهو غير صحيح فانه متناقض الاخر والاول فتأمل والصواب ما ذكره الحلبى بقوله هو ابو عبد الرحمن
السلمى النيسابورى شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم مولده سنة ثلاثين وثلاثمائة وتوفى فى
شعبان سنة اثنتى عشرة واربعمائة له ترجمة فى الميزان (وقيل عصمناك) اى حفظناك من ارتكاب الذنوب فى فعلك
(ولولا ذلك) اى عصمتنا لك (لاثقلت الذنوب ظهرك) وهذا معنى بديع (حكاه السمرقندى) اى ابو الليث وبقى قوله
تعالى (ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن آدم) اى ابن سليمان الاموى مولاهم الكوفى احد الاعلام اخرج له اصحاب
الكتب الستة توفى سنة ثلاث ومائتين (بالنبوة) اى ورفعنا ذكرك بسبب النبوة بين الملائكة او بالنبوة المقرونة بالرسالة
بين جميع الامة او بالنبوة الروحانية المختصة قبل خلقة آدم بين ارواح المرسلين والملائكة المقربين (وقيل) اى فى معناه
(اذا ذكرت ذكرت معى) وسيأتى ان هذا حديث مرفوع (قيل فى قوله) كذا بالاضافة الى الضمير اى فى قول القائل
والاظهر ان يقال فى قول (لا اله الا الله محمد رسول الله) كما فى نسخة وهو مجرور كما هو ظاهر واغرب الحلبى حيث تبع
ضبط بعضهم بالرفع وحاول وجهه بما لا طائل تحته ولعله مبنى على انه وجد فى نسخة قول بلا حرف الجر (وقيل فى
الاذان) والاول اعم ولا يبعد ان يقال المراد برفع ذكره ذكره انه جعل ذكره كما جعل طاعته طاعته ولا مقام فوق هذا
فى الرتبة وهو تشبيه بليغ بمنع الاتحاد القائل به اهل الالحاد (قال القاضى ابو الفضل الفقيه رحمه الله) اى المصنف
(هذا) اى ما ذكر فى هذه السورة من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر (تقرير) اى تثبيت وتمهيد (من الله جل اسمه)
اى عظم اسمه فضلا عن مسماه (لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه) اى دال على عظمة نعمه السابقة
الظاهرة الباطنة له عنده سبحانه وتعالى (وشريف منزلته) اى قربه ومرتبته (عنده) اى عنديته المعبر بها عن المكانة
(وكرامته) اى وعلى شريف اكرامه واعظامه (عليه) سبحانه وتعالى (بان شرح قلبه للايمان) اى الكامل الايقان
(والهداية) اى الموصلة الى مقام الاحسان او هداية افراد الانسان الى مراتب حقائق الايمان (ووسعه) بتشديد
السين اى وجعل قلبه وسيعا (لوعى العلم) اى حفظه (وحمل الحكمة) اى وتحمل ما يحكم العلم به من امر النبوة (ورفع
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه) بتشديد الغين المعجمة اى جعله مبغوضا (لسيرها) بكسر
ففتح جمع سيرة والضمير الى الجاهلية اى لقواعدها وكان الظاهر ان يقول وبغض سيرها اليه ولعله من باب القلب على
قصد المبالغة واما ما ضبط بصيغة المصدر فى بعض النسخ فلا وجه له اصلا لا نوعا ولا فصلا (وما كانت) عطف على
سيرها اى ولما كانت الجاهلية (عليه بظهور دينه) متعلق برفع اى بغلبة امر دينه وتعليته (على الدين كله) اى على

الاديان جميعها (وحط) اى وضع الله (عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة) اى تكليف ثقلهما وحملهما وهو الجمع بينهما
بالاخذ عن الحق وهو مرتبة النبوة والايصال الى الخلق وهو منزلة الرسالة وهو امر صعب الا من وفقه الله تعالى وقواه
ومنه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا والاعباء بفتح الهمزة جمع عبء بكسر فسكون فهمز (لتبليغه) باللام وفى
نسخة بالباء وما لهما واحد اذ اللام تعليلية والباء سببية اى لابلاغه صلى الله تعالى عليه وسلم (للناس ما نزل اليهم)
اى متلوا كان او غيره من امر ونهى ووعد ووعيد وهذا مقتبس من قوله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل
اليهم (وتنويهه) اى ولرفعه قدره المشعر (بعظيم مكانه) اى مكانته وشأنه (وجليل رتبته) اى عظيم مرتبته
(ورفعه) اى ولرفع الله (ذكره) وفى نسخة ورفعة ذكره ويروى ورفيع ذكره (وقرانه) اى وجمع الله اى فى كلامه
بامره وحكمه (مع اسمه اسمه قال قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والاخرة) اى رفعة حسية ومعنوية (فليس
خطيب) اى فوق منبر (ولا متشهد) اى عند ايجاد الايمان او تجديد الايقان (ولا صاحب صلاة) اى فى قعدة اخيرة
(الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) او عبده ورسوله وان الاولى مخففة من المثقلة (وروى ابو سعيد
الخدرى رضى الله تعالى عنه) كما فى صحيح ابن حبان ومسند ابى يعلى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتانى
جبريل) عليه الصلاة والسلام (فقال ان ربى وربك يقول تدرى) اى اتدرى كما فى نسخة صحيحة (كيف رفعت ذكرك
قلت) وفى نسخة فقلت (الله ورسوله اعلم) الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع فى نسخة زيادة يعنى جبريل فانه
لا يلائم المقام (قال) اى الله سبحانه وتعالى (اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن محمد بن سهل
ابن عطاء الادمى الزاهد البغدادى احد مشايخ الصوفية بالعراق كان قانتا مجتهدا فى العبادة لا ينام من الليل الا ساعتين
ويختم القرآن فى كل يوم وله احوال ومعارف وكرامات سنية مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة كذا ذكره الحافظ ابن
حجر العسقلانى والحاصل انه قال معنى رفعنا لك ذكرك (جعلت تمام الايمان بذكرى معك) وفى نسخة بذكرك معى وهو
الاظهر فلا يصح ولا يعتد به شرعا ما لم يتلفظ بكلمتيه اقرارا بحقية وحدانيته تعالى وحقية رسالته صلى الله تعالى
عليه وسلم بناء على اشتراط التلفظ بهما فى صحته من قادر به قال الجمهور والحق ان اشتراطه مع اظهاره انما هو لاجراء
احكام الاسلام عليه فى الدنيا من عصمة دمه وماله ونحو ذلك فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما نفعه ايمانه عند الله تعالى
وكان تاركا للافضل كذا ذكره الدلجى وفيه ابحاث ليس هنا محلها (وقال) اى ابن عطاء (ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى)
اى نوع ذكر من اذكارى (فمن ذكرك ذكرنى) اى فكانه ذكرنى وهو قريب مما قدمناه (وقال جعفر بن محمد الصادق)
بالرفع (لا يذكرك احد بالرسالة) اى بالارسال للعبودية (الا ذكرنى بالربوبية) اى وبتوحيد الالوهية (واشار بعضهم)
كالماوردى (بذلك) اى بقوله ورفعنا لك ذكرك (الى مقام الشفاعة) فانه يظهر رفعته فى تلك الحالة على جميع البرية
ثم لا منع من ارادة الجمع (ومن ذكره) جار ومجرور ومضاف (معه تعالى) اى مع ذكره (ان قرن) بفتح ان المصدرية
(طاعته) صلى الله تعالى عليه وسلم (بطاعته) سبحانه وتعالى (واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول) وكان
الاظهر ان يقال واطيعوا الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة (وآمنوا بالله ورسوله) وربما يقال الآية الاولى هى الاولى
للدلالة على الاتحاد فى المدعى بحسب المعنى (فجمع بينهما) اى من غير اعادة العامل (بواو العطف المشركة) بتشديد الراء
وفى نسخة بتخفيفها اى الجاعلة للمعطوف اشتراكا فى المعطوف عليه بالنسبة الى الفعل المسند اليه وهو لا ينافى
ان بينهما تفاوتا فى المرتبة حيث ان الايمان بالله يقتضى الاصالة والايمان برسوله يوجب التبعية (ولا يجوز جمع هذا
الكلام فى غير حقه) اى فى حق احد غير حقه (عليه الصلاة والسلام) اى ممن لا يكون فى مرتبته من وجوب الايمان
والاسلام والا فيقال آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وامثاله وكان الاظهر ان يقال ولا يجوز لاحد
غير الله سبحانه وتعالى ان يجمع هذا الجمع فى الكلام كما يدل عليه استدلاله بالاحاديث الواردة عنه عليه الصلاة
والسلام حيث قال (حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى) بفتح الجيم وتشديد التحتية نسبة الى بلدة بالاندلس
مات سنة ثمان وتسعين واربعمائة له كتب مفيدة فى تقييد الالفاظ وغيرها (الحافظ) وهو فى اصطلاح المحدثين
من احاط علمه بمائة الف حديث (فيما اجازنيه وقرأته على الثقة) بكسر المثلثة وهو المعتمد وهو ابو على ابن سكرة الصدفى
او غيره من مشايخه (عنه) اى مرويا عن الجيانى وقد اجاز وكان يمكنه السماع منه (وقال) اى الجيانى فى الاجازة
او الراوى عنه فى القراءة (انبأنا ابو عمر النمرى) بفتحتين وقد سبق انه الحافظ ابن عبد البر (قال حدثنا ابو محمد ابن عبد
المؤمن حدثنا ابو بكر ابن داسه) سبق ذكره (حدثنا ابو داود السجزى) بكسر مهملة وسكون جيم فزاى نسبة
الى سجستان بكسر اوله وقيل بفتحه على غير قياس وهو اقليم ذو مدائن بين خراسان والسند وكرمان (حدثنا
ابو الوليد) هشام بن عبد الملك الباهلى (الطيالسى) اخرج له الجماعة الستة قال احمد هو اليوم شيخ الاسلام مات سنة

سبع وعشرين ومائتين (حدثنا شعبة) هو ابن الحجاج سمع كثيرا من التابعين ومات سنة مائة وستين (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى توفى سنة احدى وثلاثين ومائة (عن عبد الله بن يسار) بتحتية مفتوحة وسين مهملة هذا هو الجهنى الكوفى اخرج له ابوداود والنسائى وهو اخو سليمان وسعيد توفى عام احدى وثلاثين ومائة (عن حذيفة) اى ابن اليمان (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اسنده المصنف هنا من طريق ابى داود ورواه ايضا النسائى وابن ابى شيبة (قال لا يقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان) اى مع اعادة الفعل بصريحه فكيف مع حذفه وتقديره لتوهم الاشتراك فى معية المشيئة وان كانت الواو مفيدة لمطلق الجمع والاشتراك لاشك انه من الاشراك وفلان يشمل جميع الخلق ولو من الانبياء والاصفياء (ولكن) اى يجوز له ان يقول (ماشاء الله ثم شاء فلان) على ما فى الاصول المصححة اى متابعة لمشيئته وموافقة لارادته لان للمشيئة ولو تأخرت تأثيرا فى قضيته فان ماشاء الله كان سوآء شاء او ابى فلان ومالم يشأ لم يكن سوآء شاء او ماشاء فلان مع ان العبد لم يكن له مشيئة الا بعد تعلق مشيئة الله بمشيئته كما قال سبحانه وتعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله (قال الخطابى) بفتح معجمة وتشديد مهملة هو الامام الحافظ ابو سليمان البستى نسبة الى جده ويقال انه من سلالة زيد بن الخطاب كان اماما كبيرا تفقه على القفال وغيره توفى ببست سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (ارشدهم صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب) اى الواجب مراعاته من جهة الرب (فى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه واختارها) قال الحجازى ويروى واحتازها بمهملة وزاى والظاهر انه تصحيف اى واختار العبارة فى تغييرها التعبيرها (بثم التى هى للنسق) بفتحتين اى للعطف بالترتيب (والتراخى) اى المهلة فى الوجود والرتبة (بخلاف الواو التى هى للاشتراك) وهو قد يكون بالمعية والقبلية والبعدية وبخلاف الفاء التعقيبية (ومثله) اى مثل الحديث المتقدم فى النهى (الحديث الآخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هو ثابت بن قيس بن شماس (فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد) بفتحهما وبكسر الثانى بمعنى اهتدى (ومن يعصهما) اى فقد غوى كما فى نسخة صحيحة اى ضل عن طريق الهدى (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم) اى من هذا المجلس (او قال اذهب) اى فانك قليل الادب والحديث اخرجه النسائى فى اليوم والليلة وابو داود فى الادب ورواه مسلم ايضا (قال ابو سليمان) اى الخطابى (كره) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من الخطيب (الجمع بين الاسمين بحرف الكناية) مأخوذة من الكن وهو الستر وهو تعبير كوفى بمعنى الضمير المأخوذ من الضمور والضمار الذى هو الخفاء ويقابلهما الظهور والظاهر وهو ضد المضمر وهو تعبير بصرى (لما فيه) اى فى الجمع بينهما بالكناية (من التسوية) اى توهمها المقتضى للشركة بينهما وفيه ان توهم التسوية موجود ظاهرا فى المظهر ايضا مع ان اطاعتهما وعصيانهما متلازمان فى ترتب الهداية والغواية كما يشير اليه قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه بافراد الضمير الشامل لكل منهما وان كانت رتبته تعالى اجل واعظم من ان تقابل بمرتبة مخلوق وان كان تشرف وتكرم ولذا قال النووى الصواب ان سبب النهى والذم هو ان الخطيب شأنه الايضاح واجتناب الرمز والاشارة لا كراهة الجمع بين الاسمين بالكناية لانه ورد فى مواضع منها قوله عليه الصلاة والسلام ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومما يقوى كلام النووى ان كلام الخطيب جملتان مستقلتان (وذهب غيره) اى غير الخطابى واراد بعضهم (الى انه انما كره الوقوف) اى التوقف (على يعصهما) لو صح هذا الوقف سوآء اتى بعده بقوله فقد غوى او اقتصر اكتفاء بما يعرف من الضد فانه مقصر لا محالة لعدم تمام الكلام ونظام المرام ووجود الايهام (وقول ابى سليمان) اى الخطابى (اصح) اى من قول القائل السابق (لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر) اى فى هذا الحديث (الوقوف على يعصهما) وانت قد عرفت الاحتمالين ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والاثبات مقدم على النفى (وقد اختلف المفسرون) للقرآن (واصحاب المعانى) اى من ارباب البيان (فى قوله تعالى ان الله وملائكته) الاكثر على النصب عطفا على اسم ان (يصلون على النبى هل يصلون) اى جملته باعتبار كنايته العائدة (راجعة الى الله تعالى وملائكته جميعا) وخبر عنهم مشركة بينهم فى ضمير واحد (ام لا) اى بل هى راجعة الى الملائكة فقط ويقدر لله عامل آخر لتغاير الصلاتين (فاجازه بعضهم) اى ممن قال بالجمع بين المعنيين المشتركين فى اطلاق واحد فان الصلاة من الله تعالى انزال الرحمة ومن الملائكة الاستغفار والدعوة ومنهم الشافعى واتباعه (ومنعه آخرون) اى منع رجوعها اليهم (لعلة التشريك) اى بين المعنيين ومنهم ابو حنيفة واشياعه اولاجل توهم الاشتراك فى الفعل واجازه الاولون لظهور المغايرة عند ارباب العقل ونهى الخطيب انما كان لترك الادب الذى هو كمال شأن الخطبة من الايضاح واجتناب الرمز (وخصوا) اى البعض الاخرون (الضمير) اى فى يصلون (بالملائكة وقدروا الاية) اى هكذا (ان الله يصلى وملائكته يصلون) اى وجعلوا خبر الثانى

دليلا على خبر الاول كما فى نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف والمحققون يجعلونه من باب عموم المجاز ويقولون التقدير ان الله وملائكته يعظمون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل بما يناسبه من انواع التعظيم واصناف التكريم والاولى عندى ان يقال الضمير راجع الى الكل والمعنى يثنون عليه فالله تعالى عند الملائكة المقربين وفى كتابه المبين وعلى لسان جبريل الامين والملائكة فيما بينهم لاسيما اذا قلنا انه ايضا مبعوث اليهم فيجب حينئذ تعظيمه لديهم وثناؤه عليهم وهذا المعنى لغوى حقيقى على ماذكره صاحب القاموس من ان الصلاة هى الرحمة والدعاء والاستغفار وحسن الثناء هذا وقرآءة ابن عباس ورويت عن ابى عمرو وملائكته بالرفع اما عطفا على محل اسم ان او مبتدأ خبره محذوف وهو مذهب البصريين (وقد روى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى ولم ادر من رواه (انه قال) اى مخاطبا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من فضيلتك عند الله تعالى) اى من جملة فضائلك فى حكمه (ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى) الظاهر انه ليس من قول عمر وعطفه عليه لقربه منه معنى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الايتين) يعنى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فالاية الثانية تدل على ما تقدم من ان اطاعة الرسول كاطاعة الله وقوله فان تولوا اى اعرضوا او تعرضوا عن كل من اطاعة الله واطاعة الرسول فان الله لا يحب الكافرين بالاعراض عن طريق المؤمنين المطيعين واما الاية الاولى فهى فى رتبة مقام المحبوبية اولى حيث جعل متابعة حبيبه شرطا لتحقق محبته ثم رتب على محبته المقرونة باتباعه محبة ثانية مجازاة من الله سبحانه وتعالى على محبتهم فمتابعتهم له محفوفة بمحبتين لله سابقة ولاحقة ازلية وابدية علمية وتنجيزية بل المحبة الازلية هى التى اوجبت المحبة الآخرية كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه والحاصل انه تعالى سد باب المحبة على جميع الخلق الا بملازمة باب الحبيب ومتابعة آداب الطبيب الجامع بين مرتبة المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية والطالبية والمطلوبية والسالكية والمجذوبية فابواب ارباب الهدى سدت السدى ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردى ثم المحبة ميل نفس الى ما فيه كمال يحملها على ما يقرب اليه فاذا علم العبد ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل كمال فى نفسه او غيره انما هو من الله وبه واليه لم يكن حبه الا لله تعالى وفيه تعالى وذلك يدعو الى طاعته المستلزمة لطاعة رسوله ولكونها بالارادات اشد منها بالادراكات فسرت بارادة طاعته والتحرز عن معصيته ومحبته تعالى لعباده ارادة هدايتهم وتوفيقهم فى الدنيا وحسن ثوابهم فى الاخرى والعقبى (وروى) اى عن جماعة كابن المنذر عن مجاهد وقتادة (انه لما نزلت هذه الاية) اى قل ان كنتم تحبون الله (قالوا) اى بعض الكفار (ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا) اى ربا ذا رحمة (كما اتخذت النصارى عيسى حنانا) ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا وقيل محببا وقيل متمسحا به ومنه قول ورقة بن نوفل حين مر ببلال وهو يعذب والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اى لاجعلن قبره موضع حنان اى مظنة رحمة من الله فاتمسح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا فى سبيل الله من الامم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم ومسبة عند الناس راجعة اليكم (فانزل الله عز وجل) اى بعد تلك الاية (قل اطيعوا الله والرسول) تأكيدا للمتابعة (فقرن طاعته بطاعته صلى الله عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتشريفا لامره (رغما لهم) بفتح الراء وهو الاشهر اى غيظا لانوفهم وكرها لالوفهم ففى القاموس الرغم الكره ويثلث واصل هذه الكلمة من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه بالكسر اذا لصق بالرغام فالمعنى الصاقا لانوفهم بالتراب جزآء لانفتهم من ملازمة هذا الباب ومتابعة هذا الجناب على وفق الكتاب وآداب رب الارباب لاولى الالباب (وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى فى ام الكتاب) اى اصل الكتاب المشتمل على اجمال جميع الابواب من الثناء على الله والتعبد له والاستعانة به وطلب الهداية اليه والوعد والوعيد منه وهو سورة الفاتحة الخاتمة (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اى من النبيين والصديقين والشهدآء والصالحين وهذا اولى ماقيل فى الاية وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيه دخولا اوليا بلا مرية (فقال ابو العالية والحسن البصرى) اما الحسن ابن ابى الحسن البصرى فقد تقدمت ترجمته مجملة واما ابو العالية فهما اثنان تابعيان من اهل البصرة فاحدهما ابو العالية الرياحى بكسر الراء وبالتحتية واسمه رفيع بن مهران اسلم بعد عامين من موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن عمر وابى وابن عباس رضى الله تعالى عنهم وروى عنه قتادة وغيره اخرج له الجماعة توفى سنة تسعين والثانى ابو العالية البرآء بفتح موحدة وتشديد راء بعده همزة واسمه زياد روى عن ابن عباس وغيره وروى عنه ايوب السختيانى وغيره اخرج له الشيخان والنسائى والثانى بالكنية اشهر والمراد هنا الاول وله تفسير وكان ابن عباس رضى الله عنه يعظمه ويجلسه معه على السرير ويفرش تحته (الصراط المستقيم) بالنصب على الحكاية وهو اولى من الرفع المبنى على الاعراب بالابتدآئية (هو رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه) بشهادة حديث خير القرون قرنى وحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولا يخفى انه لا يصح الحمل الا بتقدير وهو طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيار اتباعه او يحمل عليه مبالغة كرجل عدل فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعه لكمال اتباعه عين الطريق فى عالم التحقيق فان من المعلوم انه ليس هنالك صراط حسى فليس المراد الا انه طريق معنوى فمن تبعه اوصله الى مطلوبه وبلغه الى محبوبه (حكاه) اى روى هذا التفسير (عنهما ابو الحسن الماوردى) تقدم ذكره اى عن ابى العالية والحسن ورواه فى المستدرك عن ابى العالية وصححه (وحكى مكى عنهما نحوه) اى بمعناه لا بلفظه ومكى هذا هو ابو محمد مكى بن ابى طالب القيسى اصله من القيروان وانتقل الى الاندلس وسكن قرطبة وهو من اهل التبحر فى علوم القرآن والعربية كثير التأليف فى علم القرآن توفى سنة سبع وثلاثين واربعمائة بقرطبة (وقال) اى مكى (هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) ولعل وجه تخصيصهما انهما مما اتفق الامة على حقيتهما وجلالتهما وعلى ثبوت احكامهما بمحضر بقية الصحابة فى مجالسهما فكان اقوالهما وافعالهما بمنزلة الاجماع التقريرى او السكوتى بخلاف من بعدهما فانه وقع الاختلاف فى امورهم من حيث تكثير بعض الصحابة وتقرير آخرين منهم فى شأنهم ولا عبرة بطعن كلاب اهل النار من المبتدعة الرافضة طريق الابرار الخارجة عن الصراط المستقيم والدين القويم (وحكى ابو الليث السمرقندى مثله) اى مثل المحكى السابق فى الصراط المستقيم عن المكى راويا له (عن ابى العالية فى قوله عز وجل) اى فى تفسير قوله (صراط الذين انعمت عليهم) اى انه رسول الله وصاحباه ومآلهما واحد لان الثانى بدل او عطف بيان للاول (قال) اى ابو الليث (فبلغ ذلك) اى فوصل تفسير ابى العالية هذا (الحسن) اى البصرى من عاصم (فقال صدق والله) اى فى البيان (ونصح) اى الامة فى هذا التبيان (وحكى الماوردى ذلك) اى القول المذكور (فى تفسير صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد) اى ابن اسلم المدنى روى عن ابيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير وقد اخرج له الترمذى وابن ماجه ووالده زيد يروى عنه البخارى بواسطة (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن بعضهم) اى بعض العارفين (فى تفسير قوله تعالى فقد استمسك) اى تمسك (بالعروة الوثقى انه) اى العروة الوثقى وتذكيره باعتبار خبره وهو (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ من وثق به نجا ومن تبعه اهتدى (وقيل) اى المراد بالعروة (الاسلام وقيل شهادة التوحيد) والمآل متحد عباراتنا شتى وحسنك واحد (وقال سهل) اى التسترى (فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال) اى سهل (نعمته بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى نعمته محمد عليه الصلاة والسلام والاول هو الصحيح لعدم صحة الحمل فى الثانى اللهم الا ان يقال التقدير نعمته نعمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاضافة الى الجلالة نظرا الى الحقيقة والاصالة والمراد بنعمته انعامه به علينا اذ انعامه اصل النعم لصدورها عنه فائضة علينا لا يحصى عد انواعها اجمالا فضلا عن افرادها تفصيلا (وقال تعالى والذى جاء بالصدق) اى بالحق المطابق للواقع (وصدق به) اى جمع بين مجيء الصدق واتيان التصديق (اولئك هم المتقون) اى فى التحقيق وجمع المشار اليه بالنظر الى ان معنى الموصول الجنس المفيد للعموم فالمراد بهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع من حيث انه الفرد الاكمل للتعظيم او المراد هو وامته وهذا اظهر فى باب التكريم (الايتين) فيه ان البقية ليس لها دخل فى القضية (اكثر المفسرين على ان الذى جاء بالصدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لان الكلام فيه فالمراد هو وحده او ومن معه من الانبياء او وامته من الاصفياء (وقال بعضهم وهو الذى صدق به) وهو الظاهر لعدم اعادة الموصول (وقرئ صدق به بالتخفيف) وهو يؤيد انه هو الذى صدق به لان الثانى متعين فيه (وقال غيرهم الذى صدق به المؤمنون) وفيه اشعار بتقدير الموصول وهو جائز عند بعض ارباب الوصول (وقيل هو ابو بكر رضى الله تعالى عنه) اى واتباعه اوجمع لتعظيمه (وقيل على رضى الله تعالى عنه) اى واتباعه واشياعه اوجمع لتكريمه والاظهر ان تفسير الجمع منهما الارادة امثالهما وخصا بالذكر لانهما اول من وقع منه التصديق على خلاف بين المرتضى والصديق (وقيل غير هذا من الاقوال) ومن جملتها ما اشرنا اليه فى سابق الحال (وعن مجاهد رضى الله تعالى عنه) اى ابن جبر بفتح جيم فسكون موحدة وقيل جبير بالتصغير وروى عن ابى هريرة وابن عباس وعنه قتادة وابن عون كان اماما فى القرآءة والتفسير حجة فى الحديث قال كان ابن عمر يأخذ لى بركابى ويسوى على ثيابى اذا ركبت قيل انه رأى هاروت وماروت وكاد يتلف اخرج له الستة (فى قوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه) اى بما يذكر ويروى عنه وعن اصحابه لما يفيد من الدلالات اليقينية والافادات العلمية فى الامور الشرعية مما تطمئن به القلوب وتسكن به النفوس او بمجرد ذكره

وذكر

وذكر اصحابه فان عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة وعند نزول الرحمة يحصل للقلوب الاطمئنان والسكينة

(الفصل الثانى)

(فى وصفه تعالى له) وفى نسخة فى وصفه له تعالى وهو خطأ فاحش (بالشهادة وما يتعلق به من الثناء والمدح والكرامة) المراد بالشهادة شهادته صلى الله تعالى عليه وسلم بالتزكية للامة او بالتبليغ للانبياء فى موقف القيامة بناء على الاحتمالين المفهومين من قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقوله وما يتعلق به اى بوصفه فهو تعميم بعد تخصيص ببعضه وفى نسخة صحيحة وما يتعلق بها والمتبادر انها ترجع الى الشهادة والتحقيق انها المعنى ما المبين بما بعدها (قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) اى على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم يوم القيامة اوشاهدا لله بالوحدانية اومشاهدا له بالصمدانية (ومبشرا) اى المؤمنين بالجنة والوصلة (ونذيرا) اى منذرا ومخوفا للكافرين بالحرقة والفرقة ولعل وجه العدول عن منذرا الى نذير امراعاة للفاصلة او تفنن فى العبارة ولذا لم يقل بشيرا مع انه بمعنى مبشر (الاية) وتمامها وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبتوحيده باذنه اى بتيسيره اوبامره وهو قيد لجميع ما تقدم لا للدعوة وحدها كما يستفاد من البيضاوى والله تعالى اعلم وسراجا منيرا اى يستضاء به من ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره ما يتخلص به عن الضلالة (جمع الله تعالى له فى هذه الاية) اى بعد ما تعلق به عين العناية وتحقق له كمال الرعاية (ضروبا) اى انواعا واصنافا (من رتب الاثرة) بضم راء وفتح تاء جمع رتبة بمعنى المنزلة والمرتبة المخصوصة والاثرة محركة وبالضم وبالكسر ما يستأثر به على غيره والاثرة بالضم المكرمة المتوارثة كالمأثرة على ما فى القاموس وقال النووى بالفتحتين هو الافصح (وجملة اوصاف) اى وجمع له نعوتا جميلة او كثيرة (من المدحة) بكسر الميم اى الثناء والذكر الحسن واذا فتحت الميم قلت المدح (فجعله) اى الله (شاهدا على امته لنفسه) اى لذاته الشريفة (بابلاغهم الرسالة) من اضافة المصدر الى مفعوله اى بابلاغه اياهم ما يتعلق بامر الرسالة (وهى) اى هذه الخصلة التى هى الشهادة لنفسه على الامة بدون البينة (من خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى حيث لم يجعل غيره شاهدا بنفسه لنفسه على امته فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا جحدت امتهم تبليغهم اياهم فشهدوا لانفسهم به فان الله تعالى يطالبهم بالبينة وهو اعلم فنشهد لهم به فتقول اممهم لنا بم عرفتم ذلك فنقول باخبار الله تعالى لنا فى كتابه فيسأل الله تعالى نبينا عنا فيزكينا بشهادة وكذلك جعلناكم امة وسطا الاية وكفى بها احتجاجا على كون الاجماع حجة (ومبشرا لاهل طاعته) اى بالثواب العظيم (ونذيرا لاهل المعصية) اى بالعقاب الاليم (وداعيا الى توحيده وعبادته) اى من الدين القويم وفى اصل الدلجى وداعيا الى الله باذنه على وفق الاية اى بتيسيره وتسهيله (وسراجا منيرا) اى مضيئا (يهتدى به للحق) بصيغة المجهول اى يهتدى الخلق به الى الحق كما يهتدى بنور السراج نور الابصار والى صراط مستقيم (حدثنا الشيخ ابو محمد ابن عتاب رحمه الله) بفتح مهملة وتشديد فوقية فموحدة قال الحجازى ليس للقاضى عياض رواية عن محمد بن عتاب وانما روى عن ابى محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب انتهى وكذا قال التلمسانى هو عبد الله بن محمد بن عتاب سمع منه القاضى فى رحلته الى الاندلس انتهى وقال العسقلانى هو مسند الاندلس فى زمانه عبد الرحمن بن محمد بن عتاب القرطبى الاندلسى سمع من ابيه وكان واسع الرواية فاكثر عنه وعن حاتم ابن محمد الطرابلسى وغيرهما واجازله جماعة من الكبار منهم مكى بن ابى طالب المقرى وكان ابن عتاب عارفا بالقرآآت ذاكرا الكثير من التفسير والعربية واللغة والفقه كريما متواضعا زاهدا ومات سنة عشرين وخمسمائة (حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) اى ابن عبد الرحمن بن حاتم التميمى المعروف بابن الاطرابلسى وقد قرأ عليه ابو على الغسانى صحيح البخارى مرات (حدثنا ابو الحسن) اى على بن محمد بن خلف المعافرى القروى (القابسى) بكسر الموحدة وانما قيل له القابسى لان عمه كان يشد عمامته شدة اهل قابس توفى سنة ثلاث واربعمائة بمدينة القيروان ودفن بباب تونس (حدثنا ابو زيد المروزى) وهو محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد الامام البارع المحقق النحرير المدقق الزاهد العابد المجمع على جلالته وعظمته قال الحاكم جاور بمكة وحدث بها وببغداد بصحيح البخارى عن الفربرى وهو اجل الروايات بجلالة ابى زيد توفى بمرو سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) بتثليث السين وبالهمز والابدال كيونس وهو ابن مطر بن صالح بن بشر بن ابراهيم الفربرى وكان ثقة ورعا توفى سنة عشرين وثلاثمائة قال ابو نصر الكلاباذى كان سماعه لهذا الكتاب يعنى صحيح البخارى من محمد بن اسماعيل البخارى مرتين مرة بفربر سنة ثمان واربعين ومائتين ومرة ببخارى سنة اثنتين وخمسين ومائتين انتهى وروى انه قال سمع الجامع بفربر فى ثلاث سنين وفربر مدينة بخراسان بكسر الفاء او بفتحها وفتح الراء الاولى فقيل الكسر اكثر وقيل الفتح اشهر (قال حدثنا البخارى) وهو اظهر من ان يذكر وهو ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى وقد روى عنه الترمذى وابن خزيمة وجماعة والصحيح

ان النسائى لم يسمع منه وكان اماما حجة حافظا فى الحديث والفقه مجتهدا من افراد العالم مع دينه وورعه وتألفه ذهب
بصره فى صباه فرده الله تعالى عليه بدعاء امه ومات يوم الفطر بعد الظهر سنة خمسين ومائتين (حدثنا محمد بن سنان)
بكسر السين مصروف وممنوع وهو ابو بكر العوقى الباهلى البصرى روى عنه البخارى وابوداود والترمذى وابن
ماجه (حدثنا فليح) بضم فاء وفتح لام وسكون تحتية تصغير فالح او افلح مرخما وهو ابن سليمان العدوى روى عن نافع
وغيره وعنه جماعة واخرج له الائمة الستة (حدثنا هلال) اى ابن على وهو هلال بن ابى ميمونة يروى عن انس وعطاء
ابن يسار وابى سلمة وعنه مالك وفليح وغيرهما اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن عطاء بن يسار) بفتح تحتية وخفة
مهملة وروى عن ميمونة وابى زيد وابى ذر وعدة وعنه زيد بن اسلم وشريك وخلق وكان من كبار التابعين وعلمائهم
اخرج له الائمة الستة (قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصى) اختلف فى كتابته والجمهور كما قاله النووى على كتابته
بالياء وهو الفصيح عند اهل العربية ويقع فى كثير من كتب الحديث والفقه واكثرها بخلاف الياء وهى لغة انتهى وقال
ابن الصلاح فى الاملاء على المسلسل بالاولية يقول كثير من اهل الضبط فى حالة الوصل بالياء جريا على الجادة والمتداول
على الالسنة والمشهور حذف الياء وهو مشكل على من استطرف من العربية ولم يوغل وربما انكره ولا وجه
لانكاره فانه لغة لبعض العرب شبه ما فيه الالف واللام بالمنوّن لما بينهما من التعاقب وبه اقرأ عدة من القراء السبعة
كما فى قوله تعالى الكبير المتعال وشبهه انتهى وقد اثبت ابن كثير ياء المتعال وصلا ووقفا والجمهور على حذفها فى الحالين
واراد بشبهه التلاق والتناد فان قالون بخلاف عنه وورشا وافقا ابن كثير فى اثبات الياء وصلا لا وقفا والحاصل ان
المنقوص لا خلاف فى جواز حذف لامه فى اسم الفاعل واثباته وانما الكلام على ان العاص هل هو اسم الفاعل من
عصى بمعنى مرتكب العصيان او حامل العصا او الضارب بها او هو معتل العين فلا يكون من هذا الباب وحينئذ
اثبات الياء فيه خلاف الصواب وهو الذى اقتصر عليه صاحب القاموس حيث قال فى الاجوف والاعياص
من قريش اولاد امية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وابو العاص والعيص وابو العيص هذا وترجمة عبد الله
مشهورة وفى الكتب المطولة مسطورة قيل بينه وبين ابيه عمرو فى السن اثنتا عشرة وقيل احدى عشرة سنة وقد اسلم
قبل ابيه واخرج البخارى هذا الحديث منفردا عن بقية اصحاب الكتب الستة فى موضعين احدهما فى التفسير
وثانيهما فى البيوع وهو الذى ساقه القاضى ابو الفضل منه حيث قال (فقلت) وفى نسخة قلت (اخبرنى عن صفة
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وقع فى روايتنا اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى التوراة ولم يذكره هنا القاضى يعنى بل ذكره فيما سيأتى (قال) اى ابن عمرو (اجل) اى نعم اخبرك فكان قوله
اخبرنى متضمنا المعنى أتخبرنى او ألا تخبرنى على ما هو مقتضى حسن الادب فى العبارة وان كان الامر ايضا هنا محمولا
على الالتماس دون التحكم والاجبار (والله) قسم ورد ردا للمكذبين من اليهود والنصارى والمشركين (انه لموصوف
فى التوراة ببعض صفته فى القرءآن) وفيه اشعار بانه حافظ للكتابين وان ما يوجد فى القرءآن مع ايجازه واعجازه
اكثر مما يوجد فى غيره من التوراة ونحوه او ايماء الى ان اليهود حذفوا بعض صفاته من التوراة او غيروا مبانيه او معانيه
قال الحلبى فان قيل ما الحكمة فى سؤال عطاء بن يسار لعبد الله بن عمرو عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى التوراة وهو قرشى سهمى قيل لانه كان يحفظها وقد روى البزار من حديث ابن لهيعة عن وهب عنه انه رأى فى
المنام كان فى احدى يديه عسلا وفى الاخرى سمنا وكانه يلعقهما فاصبح فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال تقرأ الكتابين التوراة والقرءآن فكان يقرأهما انتهى والظاهر ان العسل معبر بالقرءآن حيث فيه شفاء للناس
وايماء الى حلاوة الايمان واشعار بانه اعلى واغلى من الادهان وان الجمع بينهما نور فى عالم الاتقان بالنسبة الى اهل
الايقان (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف (ومبشرا ونذيرا) وهذا منصوص فى القرءآن ولعل
معناه مذكور فى التوراة (وحرزا) اى حفظا او حافظا (للاميين) اى يمنعهم بهدايته اياهم من كل مكروه والاميون
جمع الامى وهو من لا يحسن الكتابة والقراءة نسبة الى امة العرب حيث كانوا لا يحسنونهما غالبا او الى الام بمعنى
انه كما ولدته امه وهذا المعنى مستفاد من القرءآن حيث قال هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الاية وفى تخصيصهم
تشريف لهم (انت عبدى ورسولى) وهذا ايضا موجود فى القرءآن حيث اضافه بوصف العبدية والرسالة اليه
سبحانه وتعالى (سميتك المتوكل) حيث قال وتوكل على الله او لكونه رئيس المتوكلين فى قوله سبحانه وتعالى وعلى الله
فليتوكل المتوكلون (ليس بفظ) فيه التفات تنشيطا للسامع والمعنى ليس هو سيئ الخلق قليل التودد (ولا غليظ)
اى قاسى القلب قليل الرحمة كما قال سبحانه وتعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك واما تفسير الحلبى
وغيره الغليظ بالشديد القول فلا يلائم مبنى الاية وان كان شدة القول والجفاوة متفرعة على غلظ القلب والقساوة

ولا

(ولا صخاب) بصاد وتشديد معجمة وهو وسخاب بالسين المهملة من السخب وهو لغة ربيعة بمعنى رفع الصوت وصيغته
فعال للنسبة كتمار لان المراد به نفيه مطلقا من غير قيد قليل وكثير وقوله (فى الاسواق) قيد واقعى لان الغالب ان يقع
فيها ارتفاع الصوت للمخاصمة والمشاجرة على وفق المشاهدة او احترازى فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع
صوته فى التلاوة حال الامامة وفى الموعظة حال الخطبة (ولا يدفع بالسيئة) اى منه (السيئة) اى الواصلة اليه من
غيره مع انه جائز لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وسميت الثانية سيئة للمشاكلة والمقابلة او بالاضافة الى الفعل
والصبر كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله وهى مقابلة السيئة بالحسنة لكن الافضل والاكمل
ما قاله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ادفع بالتى هى احسن وهى المقابلة بالاحسان وهذا طريق اهل
العرفان (ولكن يعفو) اى ولكن يدفعها بالتى هى احسن فكان يعفو اى عن الخطائين فى الباطن (ويغفر) اى
فى الظاهر وكان حقه ان يقول ثم ويحسن اليهم على ما هو المتبادر مما سبق ومما يفهم من قوله تعالى والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ولذا حكى ان بعض الاكابر دخل عليه خادم بطعام حار فانكب على بدنه فقرأ
الخادم والكاظمين الغيظ قال كظمت فقرأ والعافين عن الناس قال عفوت فقرأ والله يحب المحسنين قال اعتقتك
وقد وقع مثل هذا كثيرا فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم حيث حلم على جفاة الاعراب فيما اغلظوا له بالقول والفعل
واحسن اليهم بالمال الكثير (ولن يقبضه الله حتى يقيم) اى الله (به) اى بسببه وببركته (الملة العوجاء) اى غير المستقيمة
لان العرب غيرتها عن استقامتها فصارت كالعوجاء والمراد بها ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهى العادلة المائلة
عن الاديان الباطلة الى دين الحق الذى هو التوحيد المطلق كما اشار اليه بقوله (بان يقولوا لا اله الا الله) اى ومحمد
رسول الله فهو من باب الاكتفاء او من اطلاق الجزء وارادة الكل او على ان الكلمة المذكورة هى علم للشهادتين
ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة اذ من
المعلوم ان اليهود والنصارى وامثالهم يقولون لا اله الا الله ولا تفيدهم هذه الكلمة من دون اقرارهم بان محمدا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفى الحديث ايماء الى قوله تعالى هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله (ويفتح) بالنصب عطفا على يقيم او يقولوا (به اعينا) جمع عين (عميا) جمع اعمى (وآذانا) بالمد جمع اذن (صما) جمع
اصم (وقلوبا غلفا) جمع اغلف والغلف غشاء القلب وغلافه المانع من قبول الحق ووصول الصدق وتعقل امر المبدأ
والمعاد كما اخبر الله تعالى عن احوالهم بقوله صم بكم عمى اى عن سماع الحق والنطق به وادراكه بصرهم فهم لا يعقلون
اى الحق ولا يعلمون الصدق ولعله لم يقل والسنة بكما لانه يلزم من الصمم الاصلى البكم الفرعى والله اعلم (وذكر مثله)
بصيغة المجهول ولعل مثله مروى لابن عمرو ولعطاء بن يسار كما فى البخارى تعليقا واسنده الدارمى (عن عبد الله بن
سلام) بتخفيف اللام وقيل تشدد ابن الحارث الاسرآئيلى ثم الانصارى الخزرجى الصحابى كان حليفا لبنى الخزرج
كنيته ابو يوسف بابنه وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وكان اسمه فى الجاهلية حصينا فسماه عليه
الصلاة والسلام عبد الله اسلم اول قدومه عليه الصلاة والسلام المدينة ونزل فى فضله قوله تعالى وشهد شاهد من بنى
اسرآئيل على مثله وكذا قوله سبحانه وتعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب شهد مع عمه فتح بيت
المقدس وشهد له صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة روى عنه ابناه محمد ويوسف وغيرهما توفى سنة ثلاث واربعين اخرج له
اصحاب الكتب الستة (وكعب الاحبار) بالحاء المهملة وسبق بعض ترجمته والمعنى وذكر مثله ايضا عن كعب الاحبار
فيما رواه الدارمى من طريق ابى واقد الليثى (وفى بعض طرقه) اى طرق هذا الحديث (عن ابن اسحق) كما رواه
ابن ابى حاتم فى تفسير سورة الفتح عن وهب بن منبه وفى بعض النسخ ابى اسحق بالياء وهو تصحيف وصوابه بالنون
وهو الامام صاحب المغازى رأى عليا واسامة والمغيرة بن شعبة وانسا وروى عن عطاء والزهرى وطبقته وعنه شعبة
والحمادان والسفيانان وخلق وكان من بحور العلم صدوقا وله غرآئب فى سعة ما روى تستنكر واختلف فى الاحتجاج به
وحديثه حسن بل وفوق الحسن وقد صححه جماعة مات سنة احدى وخمسين ومائة اخرج له البخارى فى التاريخ ومسلم
والاربعة فى سننهم (ولا صخب) بفتح فكسر على الوصف وسبق معناه ويفهم من بعض الحواشى انه رفع الصوت فى
السوق فقوله (فى الاسواق) للتأكيد او لقصد التجريد (ولا متزين بالفحش) بالضم اى ولا متجمل ولا متخلق ولا متصف
بالقول الفاحش والفعل الفاحش قال الحجازى ويروى ولا متدين وكذا قال التلمسانى بالدال من الدين وبالزاى من
الزينة والظاهر انه مصحف وان تكلف له السيد قطب الدين عيسى بان معناه لا يجعله دينا وطريقة انتهى ولا يخفى
انه لا يفيد نفى الفحش عنه بالكلية وهو المطلوب فى المدحة الجلية وفى حاشية الحجازى ولا متزى بالفحش اى متصف به
والزى غالبا انما يكون فى الاوصاف الحسنة وقد يجيء فى خلافها وقرئ قوله تعالى هم احسن اثاثا ورئيا بالراء والزاى

ى ٩

وعين زى واو وانما قلبت واوها ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وفيما تصرف منه من الافعال لطلب الخفة والفحش البذآء بالمنطق واصل الفحش فى كل شئ الخروج عن المقدار والحد حتى يقبح وقيل نفى تزينه به عنه مع كونه لا يراه زينة انما هو باعتبار كون اهله يرونه زينة ونظرا بشهادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فزين لهم الشيطان اعمالهم (ولا قوال) بتشديد الواو (للخنا) بفتح الخاء المعجمة مقصورا الكلام القبيح ومنه قول زهير شعر

اذا انت لم تقصر عن الجهل والخنا * اصبت حليما او اصابك جاهل

فهو من باب التخصيص بعد التعميم وفعال ليس للمبالغة بل للنسبة كما فى قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد واللام فى الحديث والاية لمجرد التقوية (اسدده) قطعه عما قبله لكمال انقطاع بينهما لانه حكاية عن صفات نفسية سلبية وهذا عن هبات الهية ثبوتية اى اقيمه واوفقه (لكل جميل) اى نعت جزيل (واهب له) بفتح الهاء اى اعطيه من فضلى (كل خلق كريم) اى من مكارم الاخلاق المتعلقة بالخالق والمخلوق ولذا قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم (ثم اجعل) ويروى واجعل (السكينة) اى سكون القلب واطمئنانه ورزانة القالب ووقاره فهى فعيلة من السكون والكاف منها مخففة عند الكافة الا ما حكاه القاضى فى مشارق الانوار عن الكسائى والفرآء من جواز تشديدها قال الحجانى وهو نقل غريب وتدفع غرابته بجعل التشديد للمبالغة كما فى السكيت والسكين ثم رأيت صاحب القاموس قال السكينة والسكينة بالكسر مشددة الطمأنينة وقرئ بهما فى قوله تعالى فيه سكينة من ربكم اى ما تسكنون به اذا اتاكم (لباسه) اى دثاره وهو مما يظهر آثاره (والبر) اى الطاعة لله او الاحسان بخلق الله (شعاره) بكسر اوله اى دأبه وعادته (والتقوى ضميره) اى فى صدره كما فى الحديث التقوى ههنا وفيه ايماء الى ان كمال التقوى محصور فيه (والحكمة) اى العلمية والعملية (معقوله) اى بحيث يظهر وجه منقوله فى معقوله وقال التلمسانى الحكمة النبوة والعلم ومعقوله مكتومه وسره ولا يخفى خفاء امره (والصدق) اى فى النطق (والوفاء) اى بالوعد (طبيعته) اى غريزته وجبلته التى لا يمكنه مخالفتها (والعفو) اى عن الاساءة (والمعروف) اى الاحسان فى محله شرعا وعرفا (خلقه) بالضم اى دأبه وعادته (والعدل) اى فى حكمه او الاعتدال فى حاله (سيرته) اى طريقته (والحق) اى اظهاره (شريعته) اى دينه وملته (والهدى) بضم الهاء اى الهداية (امامه) بكسر الهمزة اى قدوته مما يقتدى به فى جميع حالاته وفى نسخة معتمدة بالفتح اى قدامه ونصب عينيه لا يتعدى منه ولا يميل عنه (والاسلام) اى الاسلام الظاهر والباطن (ملته) اى دينه الذى يمليه ويقرره (واحمد اسمه) اى فى التوراة والانجيل وهو لا ينافى ان يكون له اسماء اخر بل فيه ايماء بانه ابلغ الاسماء وذلك لافادة المبالغة الزآئدة التى لا توجد فى غيره من الابنية ولو كانت من هذه المادة كمحمد ومحمود فانه بمعنى احمد كل من حمد وحمد فله النسبة الجامعة بين كمال صفتى الحامدية والمحمودية المترتبة على جمال نعتى المحبية والمحبوبية فتأمل فانهما من الاسرار الخفية والانوار الجلية (اهدى به) بفتح الهمزة اى ارشد الخلق بسببه (بعد الضلالة) اى بعد تحقق حضور حصولها منهم او بعد تعلق ثبوت وصولها بهم وفيه ايماء الى ان ظلمة ضلالتهم لا ترتفع الا بنور هدايته لهم مشيرا الى الحديث القدسى والكلام الانسى ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأه فقد غوى وارتدى ولا يبعد ان يكون المراد بعد ضلالته مشيرا الى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اى جاهلا بالطريق او عاشقا بالتحقيق (واعلم) بتشديد اللام المكسورة اى اجعل الناس ذوى معرفة (به) اى بالوحى اليه وانزال القرآن عليه (بعد الجهالة) اى بعد ظهور زمان الجاهلية ايام الفترة او بعد جهالته لقوله سبحانه وتعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى تفصيله (وارفع به) اى ببركته رتبة هذه الامة (بعد الخمالة) بفتح الخاء المعجمة بمعنى الخمول اى بعد ان لم يكن لهم ذكر وقدر وشأن وبرهان فى الظاهر وان كانوا فى علم الله تعالى وفى اللوح خير امة او ارفع شأنه بتعليمنا اياه بيانه بعد خمول ذكره وخفاء امره كقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك (واسمى به) بتشديد الميم المكسورة كذا ضبطه الشراح ولا يبعد ان يجوز بتخفيف الميم اى اشهره بالمعرفة (بعد النكرة) بضم النون (واكثر به) من التكثير ويجوز من الاكثار اى اجعل الكثرة ببركته (بعد القلة) اى فى ماله او فى عدد اتباعه (واغنى) من الاغناء اى اجعله غنيا او امته اغنياء (به) اى بنبوته وجهاده ورياضته وصبره على فاقته (بعد العيلة) بفتح العين وهى الفقر ومنه قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (واجمع به بعد الفرقة) ايماء الى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدآء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وهذا معنى قوله (والف) اى اوقع الالفة والمودة (به بين قلوب مختلفة) اى فى اغراض فاسدة (واهوآء متشتتة) اى ارآء مبتدعة غير مجتمعة (وامم متفرقة) وجماعات من قبائل متباينة قال التلمسانى وقع هنا بخط المصنف بتقديم التاء على الفاء من التفرق وبتقديم الفاء على التاء من الافتراق وهى

نسخة العوفى (واجعل امته خير امة اخرجت للناس) كان حقه ان يقول به هنا ايضا لان خيرية امته انما هى لاجل افضلية نبوته بناء على الملازمة العادية لكن جعله سببا اولى من عكس القضية كما اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

لما دعا الله داعينا لطاعته * بافضل الرسل كنا افضل الامم

(وفى حديث آخر) رواه الدارمى عن كعب موقوفا والطبرانى وابو نعيم فى دلائله عن ابن مسعود (اخبرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صفته فى التوراة عبدى) اى المخصوص عندى (احمد المختار) اى على سائر الاخيار وفى نسخة بالجر فاللام للجنس الاستغراقى اى احمد كل من اخترته واصطفيته من الانبياء والملائكة والاصفياء (مولده) اى مكان ولادته وظهور رسالته (بمكة ومهاجره) بضم الميم وفتح الجيم اى موضع هجرته ومحل نقلته (بالمدينة) ليحصل للحرمين الشريفين بركته اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وليكون زيارة البقعتين بمنزلة ابدآء الشهادتين (او قال طيبة) بفتح الطاء وهو اسم من اسماء المدينة كطابة والتقدير انه قال بالمدينة او بطيبة كما فى نسخة فالشك فى الاسم لا فى المسمى وقد روى ان لها فى التوراة احد عشر اسما هذان منها وكانت قبل الاسلام تسمى يثرب باسم رجل من العماليق قبيلة منسوبة الى عملاق كان يسكنها فلما جاء الاسلام وسكنها عليه الصلاة والسلام كره لها هذا الاسم لما فيه من لفظ التثريب فسماها طيبة وقد جاء فى القرآن لفظ يثرب ولكن الله سبحانه وتعالى لم يسمها بذلك وانما قاله حكاية عن الكفار والمنافقين واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا فنبه سبحانه وتعالى بما حكى عنهم انهم قد رغبوا عن اسم سماها به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابوا الا ما كانوا عليه من جاهليتهم وقد سماها الله سبحانه وتعالى المدينة بقوله ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله وقد روى فى معنى قوله تعالى وقل رب ادخلنى مدخل صدق انه المدينة وان مخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار وقد ورد من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة رواه احمد فى مسنده عن البرآء (امته الحمادون لله) اى المبالغون فى حمده سبحانه وتعالى تبعا لنبيهم احمد فكما انه احمد الخلق فهم احمد الامم ومما يدل على كثرة حمدهم ودوام شكرهم تقييده بقوله (على كل حال) اى من السرآء والضرآء وفى حاشية الحجانى امته الحمادون يحمدون الله على كل حال وفى رواية حماد بن سلمة عن كعب انه قال وجدت فى التوراة زيادة على هذا وهى يوضئون اطرافهم ويتزرون على انصافهم فى قلوبهم اناجيلهم يصلون الصلاة فلوقتها رهبان بالليل ليوث بالنهار ولم تزل اليهود بعد ما غيرت من صفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغار على ظهور شئ مما بقى فيها وتكتم اشد الكتم وقد اخرج ابن ابى شيبة عن عبد الله بن مسعود فى مسنده انه قال ان الله تعالى عز وجل ابتعث نبيه لادخال رجل الجنة وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل كنيسة فاذا هو بيهود فاذا يهودى يقرأ التوراة فلما اتوا على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امسكوا وكان فى ناحيتها رجل مريض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم امسكتم فقال المريض انهم اتوا على صفة نبى فامسكوا يعنى على عادتهم او لاجل حضورك عندهم قال ثم جاء المريض يحبو حتى اخذ التوراة وقال للقارئ ارفع يدك فرفع يده فقرأ حتى اتى على صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى بكمالها فقال هذه صفتك وصفة امتك ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لولا اخاكم واخرج الواقدى فى مصنفه مما يتعلق بصفات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان النعمان السابى حبرا من احبار اليهود فلما سمع بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قدم عليه فسأله عن اشياء ثم قال ان ابى كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه ما يحل وما يحرم واذا فيه انك خير الانبياء وان امتك خير الامم واسمك احمد وامتك الحمادون قربانهم دماؤهم واناجيلهم فى صدورهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن عليهم تحنن الطير على فراخه ثم قال اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحب ان يسمع اصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من اوله فرؤى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم وقال اشهد انى رسول الله والنعمان هذا هو الذى قتله الاسود العبسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانك مفتر كذاب على الله (وقال تعالى) اى فى حق المتقين من المؤمنين (الذين يتبعون الرسول النبى) اى الجامع بين مرتبة النبوة وهى اخذ الفيض من الحضرة بالحق المسمى بالولاية وبين مرتبة الرسالة وهى تبليغ الاحكام الشرعية الى الخلق فهو برزخ جامع بين الاستفادة والافادة وبين الكمال والتكميل الذى هو اعلى مقامات ارباب السعادة ولعل وجه تقديم الرسالة فى الذكر مع تأخر تحققها فى الوجود هو الاهتمام بنعت الرسالة او الترتيب بحسب التدلى لا الترقى فى المرتبة

(الامى) اى مع كونه عاريا عن الكتابة والقرآءة السابقة الدالة على ان معارفه كلها من العلوم اللدنية والفتوحات العندية (الايتين) اى الى آخر الايتين الدالتين على نعوته الجلية وصفاته البهية وهو الذى يجدونه اى يصادفون نعته ويعلمون صفته مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وهما زبدة الكتب المنزلة على اليهود والنصارى يأمرهم بالمعروف استئناف مبين لاوصافه المزبورة عندهم اومطلقا اى يأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه جميع ارباب المعرفة بالمنقولات ويستحسنه ارباب الطبيعة المستقيمة من اصحاب المعقولات حيث يأمرهم بمكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وينهاهم عن المنكر اى جنس المنكرات شرعا وعرفا نقلا وعقلا ويحل لهم الطيبات اى الحلالات والمستلذات ويحرم عليهم الخبائث اى المحرمات والمضرات ويضع عنهم اى عن من تبعه من اليهود والنصارى خصوصا اصرهم اى عهودهم الثقيلة التى اخذ عليهم العمل بها فى التوراة من العبادات والرياضات والسياحات والاغلال التى كانت عليهم من التكاليف الشاقات كقطع الاعضاء الخاطئة وقرض مواضع النجاسات وتعين القصاص فى العمد والخطأ واحراق الغنائم وظهور الذنوب على ابواب فاعليها فالذين آمنوا به وعزروه اى عظموه فى نفسه ونصروه على عدوه واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع رسالته وهو القرآن او الوحى الشامل للكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا ايها الناس اى الشامل لليهود والنصارى وغيرهم عامة انى رسول الله اليكم جميعا اى كافة بخلاف موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فانهما كانا مبعوثين الى بنى اسرآئيل خاصة ولعله من هنا قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى يعنى لما كان هو وغيره كعيسى الا اتباعى الذى له ملك السموات والارض اى حيث يعم ملكه العلويات والسفليات شملت رسالته جميع الموجودات على ما بيناه فى بعض المصنفات لا اله الا هو فكانه لا رسول له الا هو فانه لولاه هو لما خلق غيره ولما وجد من يعرف معنى هو لا من حيثية مبناه ولا من طريقة معناه يحيى ويميت بالابقاء والافناء او بالهداية والاغوآء فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى تأكيد وتثبيت او تبكيت لتوقفهم عن الايمان بمثل هذا النبى الذى يؤمن بالله ايمان مشاهدة وعيان ومراقبة وايقان وكلماته وبجميع كلمات الله المنزلة على الانبياء مجملة ومفصلة واتبعوه لان متابعته تورث المحبة لعلكم تهتدون لكى تهتدوا ببركة متابعته الى طريق محبته وآداب مودته (وقد قال تعالى فبما رحمة) قيل ما مزيدة للمبالغة والاظهر انها مبهمة مفسرها رحمة والمعنى فبرحمة عظيمة ونعمة جسيمة كائنة (من الله لنت لهم) اى تلطفت للخلق وتوجهت اليهم من الحق حيث وفقك للرفق وفيه اشارة خفية الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يريد الثبات على النبوة التى هى الولاية الخاصة الموجبة ان لا يغفل صاحبها عن الحضرة لحظة ولا لمحة مما يوجب التفرقة المانعة عن مقام الجمعية واراد الله سبحانه وتعالى له الترقى الى مقام جمع الجمع بحيث لا يحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة وبهذا تبين ان مقام الرسالة اعلى مرتبة من ولاية الرسول المعبر عنها بالنبوة خلافا لمن توهم خلاف ذلك فقال الولاية خير من الرسالة وان اول كلامه بان المراد بالولاية ولاية النبوة لا جنس الولاية معللا بان الولاية هى اخذ الفيض اللازم منه توجه صاحبه الى الحق وان الرسالة هى الافادة بالافاضة المستلزمة للاقبال على الخلق فانا نقول اذا استغرق فى عين الجمع بحيث انه فنى عن الجميع ولم يوجد فى عين الشهود غيره موجود ولا فى الدار غيره ديار فانى يتصور منه الاقبال والادبار وهذا بحر بلا قعر فيرجع الى ساحل بلا دعو (الاية) وتمامها قوله ولو كنت فظا اى سيء الخلق مع الخلق بناء على ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس غليظ القلب اى شديده بالعزلة عنهم لانفضوا من حولك اى تفرقوا عن مجلسك ولم يحصل لهم حظ من انسك فاعف عنهم ما صدر من الغفلة منهم واستغفر لهم فيما يختص بحق الله تعالى اتماما للشفقة عليهم وشاورهم فى الامر تلطفا بهم فاذا عزمت بعد المشاورة او الاستخارة فتوكل على الله ولا تعتمد على ما سواه ان الله يحب المتوكلين المعتمدين على ما قدره وقضاه فيهديهم الى الصلاح وينصرهم بالنجاح والفلاح (قال السمرقندى ذكرهم الله تعالى) وفى نسخة ذكر الله تعالى بتشديد الكاف (منته) اى امتنانه وفى نسخة بنونين على صيغة الجمع لاشتمال هذه المنة على منن كثيرة (انه) اى سبحانه وتعالى (جعل) ويروى ان جعل (رسوله رحيما بالمؤمنين رؤفا) اى للمتقين فان الرأفة ارق من الرحمة (لين الجانب) اى مع الاقارب والاجانب فى جميع المراتب (ولو كان) اى بالفرض (فظا) اى سيء الخلق فى الفعل (خشنا) اى غليظا (فى القول لتفرقوا من حوله) اى ولم ينتفعوا بفعله وقوله (ولكن جعله) اى الله سبحانه وتعالى (سمحا) اى جوادا زيادة على ما طلب منه فى معاملاتهم او مسامحا لهم فى فرطاتهم وزاد فى نسخة سهلا اى لينا (طلقا) بفتح فسكون اى منبسط الوجه (برا) بفتح الباء اى بارا كثير الاحسان الى امته كالولد البار بابويه وقرابته او جامعا للخير كله فانه من البر الذى هو وسيع الفضاء (لطيفا) اى رفيقا شريفا يراعى قويا وضعيفا (هكذا) اى مثل ما سبق لفظا او معنى (قاله الضحاك)

وهو ابن مزاحم الهلالى الخراسانى يروى عن ابى هريرة وابن عباس وابن عمر وانس رضى الله تعالى عنهم وعنه خلق وثقه احمد وابن معين وضعفه شعبة اخرج له اصحاب السنن الاربع وتوفى سنة خمس ومائة (وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا) اى خيارا او عدولا او معتدلين فى الاخلاق غير واقعين فى طرفى الافراط والتفريط من التشبيه والتعطيل والاسراف والتقتير والتهور والجبن وامثال ذلك (لتكونوا شهدآء على الناس) اى بتبليغ رسالة انبيائهم اليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اى مطلعا ومشاهدا ومشرفا (قال ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة وسبق ذكره (ابان الله تعالى) اى اظهر ظهورا بينا (فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية) اى بسببها وفيها بقوله (وفى قوله) اى سبحانه وتعالى (فى الاية الاخرى وفى هذا) متعلق بما قبله وهو اى الله سبحانه وتعالى سماكم المسلمين من قبل يعنى فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم) بالتبليغ اليكم (وتكونوا شهدآء على الناس) بتبليغ رسلهم اليهم (وكذلك) اى ومثل هذا المعنى يفيده (قوله فكيف) اى كيف حال الكفرة يوم الحسرة (اذا جئنا من كل امة بشهيد) اى بنبى يشهد على امته (الاية) وفى بعض النسخ بتمامها وجئنا بك على هؤلاء اى على الشهدآء من الانبياء او على امتك من الاصفياء والاولياء شهيدا حين يشهدون على الامم المكذبة بتبليغ الانبياء اليهم الرسالة (وقوله وسطا) اى (عدولا) وفى نسخة عدلا اى موصوفين بالعدالة والديانة (خيارا) اى مختارين من هذه الامة ان كان الخطاب للصحابة وان كان الخطاب لجميع الامة فهم خيار الامم السالفة (ومعنى هذه الاية) اى بناء على مبنى هذه العاطفة على الجملة المقدرة المعبر عنها بقوله (وكما هديناكم) اى المستفاد من قوله تعالى يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فالمعنى كما هديناكم الى الصراط المستقيم والدين القويم المشترك بين عامة اهل التوحيد والتسليم (فكذلك خصصناكم) بتشديد الصاد ويجوز تخفيفها (وفضلناكم) اى على عامة الامم الماضية (بان جعلناكم امة) اى جماعة مجتمعة غير متفرقة بل متفقة على حقيقة واحدة (خيارا) اى مختارين بخير الرسل (عدولا) عادلين عاملين بافضل الكتب (لتشهدوا للانبياء) اى الرسل (على اممهم) اى بتبليغ الرسالة يوم القيامة (ويشهد لكم الرسول بالصدق) اى بصدق القول وحق الامانة والديانة (قيل) قد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة فكان حقه ان يقول صح ونحوه ولا يعبر بقيل المشعر بضعفه اذ رواه البخارى وغيره (ان الله جل جلاله) اى عظم كبرياؤه (اذا سأل الانبياء هل بلغتم) اى اممكم فيما ارسلتكم به اليهم (فيقولون نعم فتقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء ويزكيهم النبى عليه الصلاة والسلام) اى ويجيز الله تعالى شهادتهم بتزكيته لهم (وقيل معنى الاية انكم) بالفتح ويجوز الكسر اى ايها الامة (حجة) اى ذو شهادة ثابتة (على كل من خالفكم) اى من الامم المكذبة (والرسول حجة) اى بينة واضحة دالة (عليكم) اى على صدقكم وصدق من وافقكم (حكاه السمرقندى) اى نقل هذا القول عن بعض المفسرين (وقال الله تعالى) اى فيما اثنى عليه وبين اكرامه لديه (وبشر الذين آمنوا) اى من امتك لا من غيرهم (ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى ما قدموه من الاعمال الصالحة كما قاله الخطابى وغيره من المفسرين وقال بعضهم ما قدم لهم عند ربهم من السعادة السابقة فى اللوح المحفوظ وقد قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا فى طاعة الله تابع

(وقال قتادة والحسن) تقدم ذكرهما (وزيد بن اسلم) هو ابو اسامة مولى عمر بن الخطاب توفى سنة ست وثلاثين ومائة (قدم صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا) اى فى رواية اخرى (هى) اى قدم صدق وانث الضمير لتأنيث خبره وهو قوله (مصيبتهم بنبيهم) سوآء ادركوا وقت الموت او حصل لهم جملة الفوت فانه صلى الله عليه وسلم حينئذ يكون لهم فرط حق وقدم صدق عند ربهم وقال الحجازى يروى هى فضيلتهم بنبيهم اى فيما بينهم ولا يخفى عدم ملائمته للمقام ولعله تصحيف او تحريف ولو كان فضيلتهم بنبيهم لكان وجها وجيها فانه حينئذ لهم سبق حال صدق وتقدم مقام حق عند ربهم وهذا معنى نسخة هى محبتهم لنبيهم (وعن ابى سعيد الخدرى) نسبة الى خدرة بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة قبيلة (هى شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم) ولعل التعبير بها عن القدم لاقدامه عليها وتقدمه على سائر اهلها (وقال سهل بن عبد الله التسترى هى سابقة رحمة اودعها فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) يعنى وفى امته ببركة متابعته على وفق محبته ووجه الاختصاص مع ان الرحمة بكل امة لاحقة على وفق سابقة لان سبق وجوده واثر كرمه وجوده وظهور نوره ونشر سروره مما لا يلحقه احد من اخوانه كما اشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ثم قوله اودعها بصيغة الفاعل وهى نسخة المصنف وفى نسخة العوفى على بناء المفعول وجعله التلمسانى مضارعا وهو مستقيم باسناد الفعل اليه سبحانه وتعالى واما قوله و يجعه اذا سقط فى من الكلام ومحمد مرفوع اذ هو النائب عن الفاعل وهو الله سبحانه وتعالى فكلام

ساقط الاعتبار كما لا يخفى على المعربين الاخيار (وقال محمد بن على الترمذى) هو من كبار المشايخ له تصانيف فى علوم القوم ومن تأليفه نوادر الاصول فى الحديث باسانيده وهو ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الزاهد المؤذن روى عن ابيه وقتيبة بن سعيد وغيرهما واعتنى بهذا الشأن ورحل فيه وروى عنه يحيى بن منصور وخلق كثير من علماء نيسابور فانه قدمها سنة خمس وثمانين ومائتين وعاش نحوا من ثمانين سنة وهو معظم جليل علما وعملا واعتقادا عند اكابر ماوراء النهر من العلماء والسادة الصوفية لاسيما الطائفة السادة النقشبندية وتكلم على اعتقاده ابو العباس ابن تيمية من اجل كتابه خاتم الولاية ولعله ما فهم مقصوده من الاشارات الخفية وقد سبق تحقيق الترمذى مبنى ومعنى ومنهم ابو عيسى الحافظ الترمذى كما تقدم والله اعلم (هو) اى قدم صدق (امام الصادقين والصديقين) بكسر الهمزة اى قدوتهم ومقتداهم او بفتحها اى مقدمهم خلقة ورتبة وقدامهم فى مقام الشفاعة كما اشار اليه بقوله (الشفيع المطاع) اى المقبول الشفاعة ولعله عدل عن الشفيع المشفع للايماء الى قوله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعنى بخلاف المؤمنين فانه لهم شفيع مطاع مع ان النفى فى الاية منصب على القيد والمقيد جميعا (والسائل المجاب) اى المستجاب فى سؤاله الاعم من الشفاعة وبقية احواله (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حكاه عنه السلمى)

الفصل الثالث

فيما ورد من خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة) اى فى عتابه المنزل فى كتابه والمورد بفتح الميم وكسر الراء محل ورود الكلام ومقصد المرام والمبرة بفتحتين وتشديد الراء بمعنى البر وهو الاتساع فى الاحسان على ما فى القاموس (من ذلك) اى من هذا القبيل (قوله تعالى عفا الله عنك) معاتبة على وجه الملاطفة (لم اذنت لهم) اى للمنافقين حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (قال ابو محمد المكى) من الكلام عليه وفى نسخة مكى (قيل هذا) اى قوله عفا الله عنك (افتتاح كلام) اى ابتداء كلام الله سبحانه له فى كتابه عند خطابه (بمنزلة اصلحك الله) وما صنعت فى حاجتى (واعزك الله) هلا شرفتنى بزيارتك لى ونحو ذلك فيما يخاطب به الملوك والعظماء بتقديم الدعاء والثناء على انباء الانباء ونظيره ما ورد فى الحديث لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجونى والحاصل ان العادة جارية فى مقام التبجيل والاكرام لمخاطبة الكرام بنحو هذا الكلام وان لم يكن هنالك شئ من الاثام ثم التشبيه لا يقتضى المشابهة من جميع الوجوه فلا يرد ان مثل هذا الكلام انما يكون بين المتساوين فى الاقدام او من الادنى فى مخاطبة الاعلى لا بالعكس كما لا يخفى (وقال عون ابن عبد الله) اى ابن عتبة بن مسعود الهذلى الكوفى الزاهد الفقيه اخو عبيد الله الذى هو احد الفقهاء السبعة بعد بنفر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل روايته عن الصحابة مرسلة لكن حديثه عن ابن عمر فى مسلم ولم يلحقه وعنه الزهرى وابو حنيفة وقد اخرج له مسلم والاربعة توفى فى حدود ستين ومائة (اخبره الله بالعفو قبل ان يخبره بالذنب) تسلية له فى هذا الباب وملاطفة معه فى مقام العتاب وقوله يخبره من باب الافعال والتفعيل وهما بمعنى واحد واما قول الحلبى وكانه اراد التنويع فى الكلام ليس له نتيجة فى المرام لان التشديد فى هذا المقام ليس للتنويع المتفرع على التكثير بل للتعدية كما صرح به صاحب القاموس والجوهرى فى التقرير (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (عن بعضهم ان معناه عافاك الله تعالى يا سليم القلب) اى عن غيره كرائب كما فسر به قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم (لم اذنت لهم قال) اى السمرقندى او بعضهم المنقول عنه ما تقدم (ولو بدأ) بالهمز اى ابتدأ الله (النبى) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة ولو بدأه (بقوله لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه) اى ينصدع وينقطع (من هيبة هذا الكلام) اى المشعر بانه وقع فى الاثام (لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو) اى مبتدئا بالمسامحة عن اجازته (حتى سكن قلبه) اى وسلم من الدهش لبه وفى نسخة يسكن قلبه وفى بعض النسخ بتشديد الكاف فقلبه منصوب (ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف) اى عن غزوة تبوك (حتى يتبين لك الصادق فى عذره من الكاذب) اى فى عذره لما حكى عن مجاهد ان بعضهم قالوا فى غزوة تبوك نستأذنه فى الاقامة ان اذن لنا اقمنا وان لم يأذن لنا اقمنا واعتذرنا له بعد ذلك بعذر يقبله منا (وفى هذا) اى الخطاب فى مقام العتاب وفى نسخة وهذا (من عظيم منزلته عند الله تعالى ما لا يخفى على ذى لب) اى صاحب عقل سليم من وهم سقيم (ومن اكرامه اياه وبره به) اى انعامه له (ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب) بكسر النون عرق من الوتين ينوط القلب به من جانب الصلب اذا قطع مات صاحبه وقال بعض المفسرين هو الوريد ويروى فى غير الشفاء مناط القلب (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح طاء مهملة وواو فسكون تحتية فهاء

مكسورة

مكسورة وفى نسخة بضم الطاء وسكون الواو وفتح الياء والتاء المنقلبة عنها الهاء وقفا على وفق القياس وقيل بسكون الهاء وصلا ايضا ويؤيده ما ذكره ابن الصلاح ان اهل العربية يقولون فيه وفى نظائره بواو مفتوحة مفتوح ما قبلها ساكن ما بعدها ومن ينحو بها نحو الفارسية يقولها بواو ساكنة مضموم ما قبلها مفتوح ما بعدها وآخرها هاء على كل قول والتاء خطأ وسمعت الحافظ ابا محمد عبد القادر بن عبد الله يقول سمعت الحافظ ابا العلاء يقول اهل الحديث لا يحبون ويه اى يقولون نفطويه مثلا بواو ساكنة تفاديا من ان يقع فى آخر الكلام ويه انتهى وهو ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن محمد بن عرفة الازدى النحوى الواسطى ظاهرى المذهب له التصانيف الحسان فى الآداب توفى سنة ثلاث وثلاثمائة ببغداد ودفن بباب الكوفة (ذهب ناس) اى من المفسرين (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم معاتب بهذه الآية) بصيغة المفعول (وحاشاه من ذلك) اى هو منزه عن ان يعاتب او ينسب اليه ذنب (بل كان مخيرا) ضبط بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة فى حاشية الحلبى وهو تصحيف وتحريف والصواب انه بتشديد التحتية المفتوحة اى مختارا بين الاذن وعدمه اذ لم يتقدم له فى ذلك نهى من الله سبحانه كما ذكره الزمخشرى واقول بل التخيير مصرح به فى قوله تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم (فلما اذن لهم) اى فى هذه القضية وفى نسخة فلما ان اذن (اعلمه الله) بما اضمروه مما هو من دأبهم (انه لو) وفى نسخة ان (لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم) اى وظهر خلافهم وتحقق شقاقهم (وانه لا حرج) اى لا اثم (عليه فى الاذن لهم) زاد القشيرى بعد ذكره هذا المعنى فى تبيين المبنى ان عفا ههنا ليس بمعنى غفر بل كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق وهى لم تجب عليهم قط فكذلك قوله تعالى عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنب او انما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب انتهى ولعل الاولى ان يقال وقع العتاب ولا يلزم من العتاب تحقق العقاب المحتاج الى العفو وانما هو بيان ان عدم اذنهم كان اصلح بخصوص شأنهم لفضاحة حالهم وخزية مآلهم خلاف ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم من الاخذ برضاهم بدناءة افعالهم استبقاء لهم على احوالهم واعتمادا على الله فى ادبارهم واقبالهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) اى المصنف (يجب على المسلم) اى الكامل (المجاهد نفسه) اى فى مرضاة ربه (الرائض بزمام الشريعة خلقه) بضمتين ويسكن الثانى وهو منصوب والمراد به تدريبه وتمرينه بما شرعه الله لنا من انواع تهذيبه والرائض بهمزة مكسورة اسم فاعل من رضت المهر اروضه رياضة ذللته وجعلته طوع ارادتك والزمام بالكسر بمعنى اللجام وهو مستعار للاحكام (ان يتأدب بآداب القرآن) اى من المستحسنات كما قال الله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وفى نسخة بادب القرآن فهو مصدر بمعنى المفعول اى بما يتأدب به منه (فى قوله وفعله) اى مع الحق فيتسم بالعدل والصدق فى معاملاته (ومعاطاته) اى عطائه واخذه ومناولاته (ومحاوراته) بالحاء المهملة اى مخاطباته ومجاوباته ومراجعاته ومعارضاته مع الخلق فان الصالح من قام بحقوق الله وحقوق العباد وكلها مستفاد من القرآن على احسن البيان ولذا لما قيل لعائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن تعنى كان يمتثل لمأموراته ويجتنب عن منهياته وفيه ايماء الى انه لا يكون كمن قال لاخيه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا مفتخرا بذلك متغررا به كافر النعمة ربه معرضا نفسه لسخطه مستوليا عليه حرصه متماديا فى غفلته تاركا نظره فى عاقبته ولعمرى ان اكثر الاغنياء الاغبياء وان لم يلهجوا بنحوه فالسنة احوالهم ناطقة مع شهود افعالهم (فهو) اى القرآن (عنصر المعارف الحقيقية) اى اساسها ومنبعها من الامور العلمية والاحوال العملية بضم العين والصاد وبفتح الاصل (وروضة الآداب الدينية والدنيوية) اى المحتاج اليها فى امور الدين والدنيا مما له تعلق بامر العقبى وطريق المولى لقوله تعالى ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين ما فرطنا فى الكتاب من شئ اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم والعجب كل العجب من المؤمن بالكتاب والسنة المبينة للخطاب ان يعدل عن تعلمهما والعمل بهما مع ان بعضهما فرض عين خاصة ومنهما فرض كفاية عامة وهو يقدم عليهما اكتساب العلوم المذمومة او المباحة من المنطق والكلام والهيئة والحساب والفلسفة ودقائق العربية وغيرها مما كان السلف لم يتداولوها ولم يتناولوها بل طعنوا فيها وفى من اقبل عليها (وليتأمل) اى وليتدبر المسلم المذكور (هذه الملاطفة العجيبة) اى والمخاطبة الغريبة الكائنة (فى السؤال) اى فى سؤاله سبحانه وتعالى بصورة الاستفهام عنه عليه الصلاة والسلام (من رب الارباب) اى المنزه عن المناسبة بينه وبين ما خلق من التراب (المنعم على الكل) اى عموما وخصوصا (المستغنى عن الجميع) اى جميع العباد من السعداء والاشقياء او عن عبادة جميعهم هذا وقال الجوهرى كل وبعض معرفتان ولم يجيئا عن العرب بالالف واللام وهو جائز لان فيهما معنى الاضافة اضيفت او لم تضف انتهى وقال ابن فارس كل اسم موضوع للاحاطة يكون مضافا ابدا الى ما بعده

وقد صرح الزجاج بقوله بدل البعض من الكل كما حكاه عنه ابو حيان (ويستثر) بفتح التحتية وسكون المهملة وفتح الفوقية وكسر المثلثة من ثار الشئ اذا ارتفع وانتشر واستثاره طلب ظهوره ويروى ويتبين وجعله الحجازى اصلا كما فى نسخة والظاهر ان يكون مجزوما للعطف على يتأمل كما جزم به الدلجى ويجوز رفعه كما فى نسخة اى يظهر وينشر ويبحث ويستخرج (ما فيها) اى فى هذه اللاطفة العجيبة (من الفوائد) اى المنافع الغريبة (وكيف) اى ومن جملتها ان يعلم انه سبحانه وتعالى كيف (ابتدأ) اى فى الخطاب (بالاكرام) اى بتعظيمه بقوله عفا الله عنك مصدرا فى الكتاب (قبل العتب) بفتح وسكون اى قبل بيان العتاب (وآنس) بالمد وفى نسخة بالفتح والشد واصل الايناس ضد الايحاش فالمعنى كيف اذهب وحشة الانس واظهر لذة الانس من حضرة القدس (بالعفو) اى بذكره (قبل ذكر الذنب) من اضافة المصدر الى مفعوله وفى نسخة قبل ذكره الذنب وجعله الحجازى اصلا والاخر رواية والمراد الذنب باعتبار الصورة الظاهرة المأخوذة من المعاتبة المعبر عنها بخلاف الاولى لما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين من حيث الغفلة فى تلك الحالة عن مشاهدة المولى ولذا استدركه المصنف بقوله (ان كان) اى بالفرض والتقدير (ثم) بالفتح فتشديد اى هناك (ذنب) والمعنى انه لا ذنب هناك حقيقة وانما وقع فى صورة المعتبة (وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) المعنى ولولا ثبوت تثبيتنا اياك لقد قاربت ان تميل اليهم شيأ يسيرا من ادنى الميل اذ ذاك لكن امتنع قرب ميلك وهو الوجود تثبيتنا اياك ونظيره لولاك لما خلقت الافلاك وهذا لان لولا حرف امتناع للشئ لوجود غيره وان مع الفعل فى تأويل المصدر والجملة فى محل الرفع على الابتداء والخبر محذوف لعلم السامع به واللام جواب لو كقولهم لولا زيد اى موجود لهلك عمرو والمحققون يقدرون مضافا قبل المبتدأ يستغنى به عن تقدير الخبر مع قيام لو مقامه واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل وهو المحكى عن مجاهد وابن جبير ان قريشا قالوا لا ندعك تستلم الحجر الاسود حتى تمس اوثاننا فخطر فى باله انه يفعل ليتمكن من استلام الحجر فى مآله وقيل فى استدعاء الاغنياء طرد الفقراء وقيل غير ذلك وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال اللهم لا تكلنى الى نفسى طرفة عين (قال بعض المتكلمين) اى من جملة المفسرين (عاتب الله الانبياء) اى كآدم ونوح وداود عليهم السلام (بعد الزلات) اى العثرات الصورية والخطرات البشرية الضرورية فان الزلة ما صدر من سالك الطريقة من غير قصد المخالفة (وعاتب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم قبل وقوعه) اى قبل وقوع الزلل وحصول الخلل (ليكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بسبب ذلك العتاب على وجه الاهتمام (اشد انتهاء) اى عن المخالفة (ومحافظة لشرائط المحبة) اى واكثر مراعاة لشرائط المودة من الموافقة والمتابعة فى الطاعة (وهذه) اى الحالة (غاية العناية) اى ونهاية الرعاية فى الحماية فان المعاتبة انما تكون على حسب المكانة اما ترى ان الله تعالى آخذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمثاقيل الذر لقربهم عنده وحضورهم وتجاوز عن العامة امثال الجبال لمكان بعدهم وغيبتهم فان الزلة على بساط الاداب ليست كالذنب على الباب كما لا يخفى على اولى الالباب (ثم انظر) اى ايها الناظر بعين الاعتبار وتفكر فيما اشار اليه من علو المقدار لاحمد المختار صلى الله عليه وسلم (كيف بدأ) اى الله (بثباته) اى على الموافقة (وسلامته) اى من المخالفة (قبل ذكر ما عتبه عليه) وفى نسخة عاتبه عليه (وخيف ان يركن اليه ففى اثناء عتبه براءته وفى طى تخويفه) اى فى ضمن اخافته (تأمينه) اى جعله مأمونا من المخالفة (وكرامته) اى بالثبات على الموافقة (ومثله) اى فى هذا المعنى (قوله تعالى قد نعلم انه) اى الشان (ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع من احزنه يحزنه والباقون من حزنه يحزنه بفتح الزاى فى الماضى وضمها فى الغابر وكلاهما متعديان بمعنى واحد واما حزن يحزن من باب علم فهو لازم فاعلم والزم والمعنى بالتحقيق او فى بعض اوقاتك من التضييق نعلم ان الشان ليوقعك فى الحزن ما يقولون فى شأننا او فى حق القرآن او فى حقك كقوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد للجمهور وبالتخفيف لنافع والكسائى والمعنى لا ينسبونك الى الكذب ولا يتهمونك به ولا ينكرون امانتك وديانتك اولا يكذبونك فى الحقيقة (الآية) اى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون يعنى ينكرونها او ينكرون عليك بسبب اتيان آياتنا فقط وفى هذا نوع تسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم وتهديد لهم ولكن لم يظهر لايرادها وجه مناسبة ولا جهة ملاءمة لما نحن فيه من مرتبة المعاتبة وقضية الملامة (قال على كرم الله تعالى وجهه) كما رواه الترمذى وصححه الحاكم (قال ابو جهل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك) اى فى الصدق والامانة (ولكن نكذب بما جئت به) اى من القرآن الدال على التوحيد والديانة (فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الآية) وفى نسخة فنزلت وانما هو شهادة من الله تعالى له بالصدق والديانة وبيان ان هذا مما اتفق عليه الامة عامة (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كذبه) وفى نسخة اكذبه

(قومه حزن) بكسر الزاى اى اغتم (فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما يحزنك) بالوجهين السابقين (فقال كذبنى قومى فقال انهم يعلمون انك صادق) يعنى لكن جئت بشئ ليس لغرضهم موافقا (فانزل الله تعالى الآية) اى المتقدمة قال الدلجى وحديث جبريل هذا اورده بصيغة روى ولم اعرف من رواه (ففى هذه الآية منزع) بفتح ميم فسكون نون وفتح زاى اى مأخذ ومشرع (لطيف المأخذ من تسليته تعالى له عليه الصلاة والسلام) اى باذهاب حزنه وجلب انسه (والطافه به) بكسر الهمزة اى اكرامه (فى القول) اى فى قوله (بان قرر عنده) اى بما اطمأنت به نفسه (انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له) اى فى الحقيقة بل مكذبين لنا او غير مكذبين فى الباطن (لانهم معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا) اى عامة المشركين (يسمونه) سماه واسماه بمعنى والمراد هنا يصفونه ويعدونه (قبل النبوة الامين) اى من الامانة فى القول والفعل والعهد والوعد ضد الخيانة (فدفع) اى الله سبحانه وتعالى (بهذا التقرير) اى المذكور فى الآية بالتحرير وهو فى اصل المصنف بالراءين وجعل التلمسانى اصله بالدال بعد القاف بمعنى الفرض والتصوير قال وبالراء بمعنى تبيينه وتمهيده وكل منهما قريب من الآخر فتدبر (ارغاض نفسه) اى اقلاقها واحراقها (بسمة الكذب) بكسر السين اى بوسمته وعلامته من الوسم واصلها فى المحكى للامارة والكذب بفتح فكسر هو الافصح ويجوز بكسر فسكون وهو انسب اذا قوبل بالصدق للمشاكلة اللفظية كما قال به بعض ارباب العربية فى الابواب الادبية (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (الذم لهم بتسميتهم) اى بتسميته اياهم (جاحدين) اى منكرين عنادا (ظالمين) اى بوضع التكذيب موضع التصديق (فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فحاشاه) اى نزهه سبحانه وتعالى (من الوصم) اى العيب وهو بسكون الصاد وضبط فى حاشية بكسر الصاد وهو وهم لانه حينئذ وصف لا مصدر ولا وجه له هنا (وطوقهم) اى الزم اطواقهم فى اعناقهم (بالمعاندة) اى بسبب المناظرة على وجه العناد (بتكذيب الآيات) متعلق بالمعاندة (حقيقة المعاندة) منصوب على المفعول الثانى لطوق وفى بعض النسخ حقيقة للظلم اى تحقيقا للظلم (اذ الجحد انما يكون ممن علم الشئ ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا) اى تعديا وتكبرا ونصبهما على العلة لجحدوا والجملة بينهما معترضة بالحالية لا يقال ان الجحد بمعنى الانكار فى الماضى مطلقا كما هو مقرر فى علم التصريف فوجود العلم يؤخذ من جملة واستيقنتها الا انا نقول الجحد فى اللغة هو الانكار مع العلم كما صرح به صاحب القاموس ففى الآية تجريد او تأكيد ثم حاصل كلام المصنف رحمه الله تعالى ان الجمع بين الامرين وهو نفى تكذيبهم واثبات جحدهم انهم كانوا غير مكذبين له بقلوبهم فانهم يعلمون صدقه فى كل قضية ولكنهم جحدوا بناء على عنادهم كما تدل عليه الآية الثانية وهذا تأويل حسن ومسلك مستحسن ويصححه ما روى ان الاخنس بن شريف لقى ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد أصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا غيرى وغيرك فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش وقيل وجه ثان فى الجمع بينهما وهو ان يكون معنى الآية ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انهم لما اصروا على تكذيبك مع ظهور المعجزات الخارقة على وفق دعواك لم يكذبوك وانما كذبونى انا وهذا كما يقول القائل لرجل اهان عبد الله انك لم تهن عبدى وانما اهنتنى وهنا وجه ثالث وهو ان الظالمين ما خصوك بالتكذيب بل عم تكذيبهم لسائر المرسلين ويلائمه ما ذكره المصنف بقوله (ثم عزاه) بتشديد الزاى اى سلاه وصبره (وآنسه) بالضبطين اى سكنه وازال وحشته (بما ذكره عمن قبله) اى من الانبياء (ووعده النصر) اى على الاعداء (بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الآية) يعنى فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين (فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف) وهو نافع والكسائى (فمعناه لا يجدونك كاذبا) فهو من باب ابخلته وجدته بخيلا (وقال الفراء) بتشديد الراء وهو الامام النحوى اللغوى الكوفى مات سنة سبع ومائتين فى طريق مكة ولم يكن يعمل الفرو ولا يبيعها وانما قيل له ذلك لانه يفرى الكلام اى يصنعه ويأتى بالعجب منه (والكسائى) بكسر الكاف لانه كان ملتفا بكساء عند قراءته على حمزة وقيل لانه احرم بكساء وهذا القول جزم به ابو عمرو الدانى فى التيسير ونظمه الشاطبى فى كتابه وهو احد القراء السبعة والامام فى النحو واللغة من اهل الكوفة روى عن ابى بكر بن عياش وحمزة الزيات وابن عيينة وغيرهم وعنه الفراء وابو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما توفى سنة تسع وثمانين ومائة بالرى وقيل بطوس والحاصل انهما قالا فى معنى لا يكذبونك بالتخفيف (لا يقولون انك كاذب) فيكون معناه النسبة كالاكفار والتكفير وهو انسب للجمع فى المعنى بين القراءتين (وقيل لا يحتجون) اى لا يستدلون (على كذبك ولا يثبتونه) اى شبهة فضلا عن حجة وهو راجع الى قولهما فى المعنى وان اختلف فى المبنى (ومن قرأ بالتشديد) وهم الباقون (فمعناه لا ينسبونك

الى الكذب وقيل لايعتقدون كذبك) وهو خلاصة المعنيين وزبدة القرآءتين (ومماذكر من خصائصه) اى الدالة على
زيادة قدره (وبر الله تعالى به) اى اكرامه له من بين اصفيائه (ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام)
اى المذكورين فى القرءآن (باسمائهم) اى باعلامهم دون اوصافهم الدالة على اعظامهم (فقال يا آدم) انبئهم باسمائهم
(يانوح) اهبط بسلام (يا ابراهيم) قد صدقت الرؤيا (ياموسى) انى انا الله (ياداود) انا جعلناك خليفة (ياعيسى)
انى متوفيك (يازكريا) انا نبشرك (يايحيى) خذ الكتاب بقوة وامثال ذلك (ولم يخاطب) بفتح الطاء ويروى
ولم يخاطبه كذا ذكره الحجازى لكن لايلائمه قوله (هو) ولعله غير موجود فى تلك الرواية (الا يا ايها النبى يا ايها
الرسول يا ايها المزمل يا ايها المدثر) يعنى فهذا كله دال على رفعة منزلته عنده فان السيد اذا دعا احد عبيده باوصافه
المرضية واخلاقه العلية ودعا غيره باسمه العلم الذى لايشعر بوصف من الاوصاف الجلية دل على ان عزته عنده
اكثر من غيره كما فى عرف المخاطبة وآداب المحاورة ومعنى المزمل واصله المتزمل المتغطى بالثوب وكذا المدثر لقوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لخديجة رضى الله تعالى عنها حين رجع من غار حرآء بعد ما حاوره الملك ما حاوره زملونى
زملونى وفى رواية اخرى دثرونى دثرونى على ما ورد فى الصحيح وانما خوطب بالمزمل والمدثر فى هذا المقام للملاطفة
والتأنيس اذ من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة ان تسمى المخاطب باسم تشتقه من الحالة التى هو فيها كقوله عليه
الصلاة والسلام لحذيفة قم يا نومان ولعلى بن ابى طالب وقد نام فى التراب قم يا ابا تراب هذا بحسب دلالة الخطاب
ومن ذلك انه تعالى منع الخلق صريحا ايضا فى الكتاب لسد هذا الباب حيث قال لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وقد قال كثير من العلماء اى لاتقولوا يا محمد يا احمد ونحوهما ولكن قولوا يا رسول الله يا نبى الله
وان مناداته عليه الصلاة والسلام باسمائه الاعلام من نوع الحرام فى الاحكام

الفصل الرابع

(فى قسمه تعالى بعظيم قدره) القسم بفتحتين الحلف (قال الله تعالى لعمرك) اى قسمى يا محمد لعمرك (انهم لفى سكرتهم)
اى فى غمرتهم وغفلتهم (يعمهون) اى يتحيرون ويترددون والضمير لقوم لوط وقيل راجع الى قريش وهو بعيد جدا غير
ملائم للسابق واللاحق على ما ذكروه والاظهر ان الجملة قسمية معترضة فيما بين القصة فلا يبعد ان يكون الضمير راجعا
الى كفار قومه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الملائم لخطابه وحكاية غفلتهم عن جنابه ثم رأيت الطبرى جزم بان
ضمير يعمهون لقريش والجملة اعتراض بين الاخبار بقبايح قوم لوط وبين الاخبار بهلاكهم تنبيها على ان من كان
هذا دأبه فجدير ان لاينفعه تأديب ولايؤثر فيه تأنيب وتنفيرا للسامع عن هذه القبايح المورثة للفضايح (اتفق اهل
التفسير فى هذا) اى فى قوله لعمرك (انه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وقيل المراد به لوط
كما ذكره البيضاوى فالمراد باهل التفسير اكثرهم وجمهورهم مع ان البغوى ايضا اقتصر على الاول ثم اذا كان المراد به
لوطا فالقائل الملك لئلا ينافى ما رواه البيهقى وابن ابى شيبة وابن جرير عن ابن عباس ما حلف الله تعالى بحياة احد الا
بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك بل اخرجه ابن مردويه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا
قال ما حلف الله بحياة احد الا بحياة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمرك (واصله) اى اصل الاستعمال لعمرك
(بضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال) والاظهر ان يقال العمر بضمتين وهو الافصح الوارد فى القرءآن
وبالضم والفتح ايضا على ما فى القاموس الا انه لايستعمل فى القسم الا بالفتح لخفة لفظه وكثرة دورانه كما فى البيضاوى
وغيره (ومعناه) اى كما رواه ابو الجوزاء عن ابن عباس (وبقائك) اى ومدة بقائك فى الدنيا (يا محمد) كقوله تعالى
والعصر اى عصر نبوته فى قول او بقائك بنا بعد فنائك فينا (وقيل) اى كما رواه ابن ابى طلحة عن ابن عباس ايضا
وعزى الى الاخفش (وعيشك) اى وطيب معيشتك فى الكونين لقوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة اى فى الدنيا بالزهد
فيها والتقليل منها والصبر على مرها والشكر على حلوها (وقيل وحياتك) اى باسمنا المحيى والتخصيص للتشريف
والكل بمعنى واحد وانما ذكرها لاختلاف الفاظها (وهذه) اى المعانى كلها (نهاية التعظيم وغاية البر) اى التكريم
(والتشريف قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى فيما رواه البيهقى فى دلائله وابو نعيم وابو يعلى (ما خلق الله)
اى ما قدر (وما ذرأ) اى خلق وكأنه مختص بالذرية وفى الحديث انهم ذرء النار اى انهم خلقوا لها (وما برأ) اى خلق
الخلق من البرا وهو التراب او مختص بذات الروح ولذا يقال يا بارئ النسمة او معناه خلق خلقا بريئا من التفاوت
او اريد بالثلاثة معنى واحد وكرره للتأكيد كما فى الحديث نعوذ بالله الذى يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
من شر ما خلق وذرأ وبرأ والمراد ما اوجد من العدم (نفسا) اى شخصا ذا نفس (اكرم عليه) اى انفس عنده وافضل
لديه (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ثم كان كالدليل عليه (وما سمعت الله عز وجل) اى ما علمته (اقسم بحياة احد

غيره وقال ابو الجوزاء) بجيم وزاى مفتوحتين بينهما واو ساكنة فالف بعده همزة اوس بن عبد الله الربعى البصرى
يروى عن عائشة وغيرها وعنه قتادة وعدة اخرج له الجماعة الستة واما ابو الحوراء بالحاء المهملة والراء فراوى حديث
القنوت (ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده) والبرية بالهمز
والتشديد بمعنى الخليقة ومنه قوله تعالى اولئك هم خير البرية وهى فعيلة بمعنى مفعولة وانثت لانها خرجت عن الصفة
واستعملت استعمال الاسماء المحضة واما ما جزم به المنجانى من انها غير مهموزة فغفلة عن القرآءة لان نافعا وابن ذكوان
قرآ فى الآية بالهمزة (وقال تعالى يس والقرءآن الحكيم) عطف على يس ان جعل مقسما به والا فواوه للقسم واسند
اليه الحكمة لانه صاحبها او ناطق بها (الآية) اى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم (اختلف المفسرون فى معنى
يس على اقوال) اى صدرت من بعض المتأخرين اقوال فالجمهور من السلف وجمع من الخلف على ان الحروف المقطعة
فى اوائل السور مما استأثر الله به علما ويقولون الله اعلم بمراده بذلك (فحكى ابو محمد مكى) وقد مر ذكره
(انه روى) اى فى دلائل ابى نعيم وتفسير ابن ابى مردويه من طريق ابى يحيى التيمى قيل وهو وضاع عن سيف بن وهب
وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لى عند ربى عشرة اسماء) وهو لاينافى الزيادة
لانها قاربت الخمسمائة (وذكر) اى ابو محمد مكى ويحتمل ان يكون مرفوعا لكن عبارته تأبى عنه وهى (ان منها طه ويس
اسمان له) ومع هذا ليس الحديث المذكور بصحيح وقد ضعفه القاضى ابو بكر بن العربى على ما ذكره المنجانى ثم قال
واما هذا القول وهو انه اسم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب اليه سعيد بن جبير وقد جاء فى الشعر ما يعضده
وذلك قول السيد الحميرى

يا نفس لاتمحضى بالنصح جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

يريد الا آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويكون حرف النداء على هذا محذوفا من الآية وكان الاصل ان يكتب
ياسين على اصل هجائها ولكن اتبعت فى كتبها على ما هى عليه المصاحف الاصلية والعثمانية لما فيها من الحكمة
البديعية وذلك انهم رسموها مطلقة دون هجاء لتبقى تحت حجاب الاخفاء ولايقطع عليها بمعنى من المعانى المحتملة
ومما يؤيد هذا المعنى قوله تعالى سلام على آل ياسين بمد الهمزة على قرآءة نافع وابن عامر فقد قال بعض المفسرين
معناه آل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قيل اصل طه معناه طأ من الوطئ فابدل الهمزة هاء واجرى الوصل
مجرى الوقف وقيل معناه يا رجل بالحبشية او العبرانية او القبطية او اليمانية (وحكى ابو عبد الرحمن السلمى عن جعفر
الصادق انه اراد) اى بقوله يس (ياسيد) اى بطريق الرمز (مخاطبة لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ملاطفة
ومطايبة ومخافتة وهذا مختصر مما نقله السلمى عنه بقوله قال الصادق فى قوله يس ياسيد مخاطبا لنبيه صلى الله تعالى
عليه وسلم ولذا قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر عن مخاطبة الحق
اياه بقوله يس وهذا شبيه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قرأ على المنبر ونادوا يا مال فلما اخبر الله تعالى عنه
بالسيادة وامره بتصريحه صرح بذلك فقال ان الله تعالى دعانى سيدا وانا سيد ولد آدم ولا فخر اى ولا فخر لى
بالسيادة لان افتخارى بالعبودية اجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة انتهى والحاصل ان الياء منها للنداء
والسين اشارة الى لفظ سيدا كتفاء ببقاء الكلمة لدلالتها على باقيها وهذا مذهب العرب يستعملونه فى كلامهم
واشعارهم وقد حكى سيبويه ان الرجل منهم يقول للآخر الا تا اى الا تفعل فيقول الآخر بلى سا اى بلى سأفعل
ويكتفون بذلك عن ذكر الكلمتين بكمالهما وقد ورد فى الحديث كفى بالسيف شا واستغنى بذلك عن ان يقول شاهدا
(وعن ابن عباس) اى على ما رواه ابن ابى حاتم (يس) اى معناه (يا انسان) ولما كان الانسان اسما لعموم افراد الانس
قال (اراد محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لانه الفرد الاكمل والمقصود من الخلق الاول (وقال) اى ابن عباس كما رواه
ابن جرير (هو) اى يس (قسم) اى اقسم به سبحانه وتعالى بحذف حرف القسم فالواو فى قوله والقرءآن الحكيم عاطفة
او معادة (وهو) اى يس اسم على ما رواه ابن ابى طلحة عنه (ايضا من اسماء الله تعالى) اى تصريحا او تلويحا وهو لاينافى
ان يكون من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم لان الاسماء بمعنى الاوصاف لا بمعنى الاعلام وقد اطلق بعض صفات
الله تعالى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالرؤوف والرحيم وامثالهما مع الفرق بين اوصافه سبحانه وتعالى
ووصفه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره (وقال الزجاج) هو ابو اسحق ابراهيم النحوى نسبة الى الزجاج لصنعته مات
سنة عشر وثلاثمائة ببغداد (قيل معناه يا محمد) اى بطريق الايماء كما سبق فى ياسيد وغيره (وقيل يا رجل) اى
بالحبشية كما روى عن الحسن وسعيد بن جبير ومقاتل انها لغة حبشية يعنى انهم يسمون الانسان سين (وقيل يا انسان)
اى بلغة طى كما رواه الكشاف وعن ابن عباس على ان اصله يا أنيسين بالتصغير فاقتصر على شطره لكثرة النداء به (وعن

ابن الحنفية) كما رواه البيهقى فى دلائله وهو محمد بن على بن ابى طالب نسبة الى امه وهى خولة بنت جعفر بن قيس ابن مسلم من سبى بنى حنيفة واشتهر بها وهو من كبار التابعين دخل على عمر بن الخطاب وسمع عثمان بن عفان وغيره واخرج له الجماعة مات سنة ثمانين وولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر (يس يا محمد) اى باحد التأويلات السابقة (وعن كعب) اى كعب الاحبار (يس قسم اقسم الله تعالى عز وجل به قبل ان يخلق السماء والارض بالفى عام) الظاهر ان المراد به الكثرة الخارجة عن التعديد لا التحديد وان المقصود به هو انه سبحانه وتعالى اقسم برسوله الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم فى كلامه القديم (يا محمد انك لمن المرسلين) فكانه اراد ان التقدير اقسم بك يا محمد انك لمن المرسلين (ثم قال تعالى) اى اظهارا بعد ذكره اضمارا وتأكيدا بعد اقسامه تأبيدا (والقرءآن الحكيم انك لمن المرسلين) على انه لابدع انه سبحانه اقسم به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل خلق الكائنات بالفى عام عند ابداع روحه الشريف وابداء نوره اللطيف صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فى كتابه القديم مطابقة لما اقسم برسوله العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم وبهذا يندفع ماذكره المنجانى من ان هذا القول عندى فى غاية الاشكال لان القرءآن كلام الله وكلامه صفة من صفاته القديمة فلا يصح ان يذكر فى تقدمه عن خلق الارض مقدارا معينا الا ان خلقها محدث فالاولى ان تضعف الروايات الواردة عن كعب بهذا ما امكن فان صح ذلك عنده فليترك علمه الى الله سبحانه وتعالى اذ لا يقول كعب هذا الا بتوقيف وليس ذلك مما يدرك بالاجتهاد والرأى انتهى وفيه ان كعبا ممن ينقل عن الكتب السالفة والعلماء الماضية فلا يقال فى حقه انه لا يقول الا بتوقيف فان هذا الحكم مختص بالاقوال الموقوفة المروية عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ممن ليس لهم رواية عن غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فوقوفهم حينئذ حكم مرفوعهم كما هو مقرر فى علم اصول الحديث حتى لم يعدوا عمرو بن العاص ممن لا يقول الا بالتوقيف فافرق بين القول الصحيح والضعيف وقد يجاب بان المراد به انه ابرزه فى ام الكتاب اى اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه ثم قال المصنف (فان قدر) اى فرض وفى نسخة قرر (انه) اى يس (من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وصح فيه) اى فى القول (انه قسم) اى ايضا (كان فيه من التعظيم ما تقدم) اى من ان الله تعالى ما اقسم بحياة احد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (ويؤكد فيه القسم) اى المستفاد من المقدر المرموز (عطف القسم الآخر) بالفتح وجوز الكسر وهو المذكور المصرح (عليه) اى على ذلك القسم فتكون الواو الثانية عاطفة او مؤكدة كما اشرنا اليه (وان كان) اى مجموع يس (بمعنى النداء) يعنى وليس المراد به انه من الاسماء وان كان يس بمعنى المنادى (فقد جاء قسم آخر فيه) اى قسم آخر ليس وجهه مما يظهر (بعده) اى بعد ندائه (لتحقيق رسالته) اى بقوله انك لمن المرسلين (والشهادة بهدايته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حيث قال على صراط مستقيم (اقسم الله تعالى باسمه) اى بناء على القول الاول فى يس (وكتابه) اى فى قوله والقرءآن الحكيم (انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه) اى الموجب لايقانه والمقتضى لاكمال اعمال اركانه (اى) يعنى معنى صراط مستقيم انه من الثابتين (على طريق لا اعوجاج فيه) اى لا ميل الى طرفى الافراط والتفريط من تشبيه وتعطيل وجبر وقدر (ولا عدول عن الحق) اى عن الحكم الثابت بالوجه الصدق او عن الوصول اليه سبحانه وتعالى والحصول على رضاه عز شانه (قال النقاش) ابو بكر محمد ابن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى البغدادى المفسر المقرى توفى سنة احدى وخمسين وثلاثمائة وقد اثنى عليه ابو عمرو الدانى وقد طعنوا فى رواية حديثه (لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم الصلاة والسلام بالرسالة فى كتابه) اى القرءآن لعدم علم النقاش بسائر خطابه ولا يبعد ان يراد به جنس كتابه (الا له) صلى الله تعالى عليه وسلم (وفيه) اى وفى هذا التخصيص (من تعظيمه وتمجيده) اى تكريمه صلى الله تعالى عليه وسلم (على تأويل من قال) اى فى يس (انه يا سيد ما فيه) اى الذى فيه من غاية التفخيم الذى يعجز عن بيانه نطاق التكليم (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر) قال المنجانى واكثر الروايات فى هذا الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة وهكذا رواه مسلم والترمذى قلت وفى الجامع الصغير انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم وابو داود عن ابى هريرة ورواه احمد والترمذى وابن ماجه عن ابى سعيد ولفظه انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر انتهى ولا شك ان زيادة الثقة مقبولة والمعنى لا اقوله افتخارا لمقامى بل تحدثا بنعمة ربى او المعنى لا فخر بهذا بل بما فوقه مما لا يعبر ثم السيد فى اللغة الشريف الذى فاق قومه فى الخير وهو فعيل بكسر العين من ساد يسود وهو المعتمد الذى عليه البصريون ونظيره صيب وثيب والحاصل ان المصنف اتى بهذا الحديث عاضدا للقول بان المراد فى الآية يا سيد كما بيناه سابقا (وقال جل جلاله) اى عظم شانه وعز سلطانه

(لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد) ادخال النافية للتأكيد شائع فى كلام العرب وسائغ عند علماء الادب فالمعنى انه سبحانه وتعالى اقسم بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه الصلاة والسلام به اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وهذا المعنى باعتبار مفهومه يفيد ما عبر عنه المصنف بقوله (قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكى) اى هذا القول عن بعضهم وبما قررناه وبيناه وحررناه اندفع ما قاله المنجانى من ان هذا الذى حكاه عن مكى لا يستقيم تنزيله على الآية لانه عكس مقتضاها الا ترى ان الواو من قوله تعالى وانت حل واو الحال واذا كانت كذلك فيكون معنى الآية لا اقسم بهذا البلد اذا كنت فيه وهو ضد ما قال مكى وانما تتأول الآية على ان تكون لا زائدة فيها اى اقسم بهذا البلد وانت حل به ساكن فيه والى هذا ذهب الزجاج انتهى ولعل منشأ هذا الاعتراض هو المقابلة بقوله (وقيل لا زائدة) وليس كذلك فان مراده مستقيم على تقدير عدم زيادة لا ايضا كما قال مجاهد انها رد لكلام تقدم والمعنى ليس الامر كما توهم من توهم واقسم بعدها اثباتا للقسم ويؤيده قراءة الحسن البصرى لأقسم بدون الالف وعلى التنزل يمكن ان يكون مراده المغايرة فى معنى حل على القول بزيادة لا ايضا ولذا قال (اى اقسم به وانت به يا محمد حلال لك) اى من دخول الحرم بغير احرام والمعنى انت به حلال حال كونه خالصا لك (او حل لك ما فعلت فيه) اى من قتل بعض المشركين فى عام الفتح حيث قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان مكة حرمها الله تعالى يوم خلق السموات والارض لم تحل لاحد قبلى ولا تحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس (على التفسيرين) اى على القولين للمفسرين فى معنى الحل انه من الحلول او من الحلال لا تفسيرى كونها زائدة ونافية كما ذكره الدلجى (والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة) وهو المشهور عند الجمهور (وقال الواسطى اى تحلف) كان الاولى احلف (لك) وقال الحجازى يروى بحلولك (بهذا البلد الذى شرفته بمكانك) اى بكونك واقامتك (فيه حيا وببركتك ميتا يعنى المدينة) فيه بحث لانه يحتمل انه اراد به مكة ايضا لانه شرفها بمكانه فيها حيا ويصل اليها بركاته مماتا وان بعد عنها فقابل هذا هو الاظهر معنى والاوفق مبنى فلا يحتاج الى قوله (والاول) اى من قولى البلد أهى مكة ام المدينة (اصح لان السورة مكية) اى اتفاقا (وما بعده يصححه) اى يؤيده ويوضحه (قوله تعالى) بدل مما بعده (وانت حل بهذا البلد) وفيه انه لا يظهر وجه تصحيحه ولا بيان توضيحه لان حلوله فى المدينة اظهر لشموله حيا وميتا ولا بدع ان الآية نزلت بمكة اشارة الى ما سيقع من القضية (ونحوه قول ابن عطاء فى تفسير قوله تعالى وهذا البلد الامين) اى الآمن او المأمون فيه يأمن فيه من دخله (قال) اى ابن عطاء (آمنها الله تعالى) بهمزة ممدودة ويجوز بالقصر والتشديد ففى القاموس آمنه وامنه فاندفع به اعتراض الحلبى اى جعل مكة ذات امن (بمقامه) اى بسكناه (فيها وكونه بها فان كونه) اى وجوده فيها (امان حيث كان) صلى الله تعالى عليه وسلم واغرب التلمسانى حيث قال والامين فعيل كفعل او مفعول وهذا على زيادة لا وعلى نفيها فالقسم به دونها انتهى ووجه غرابته لا يخفى لان البلد الامين فى سورة التين وليست هى مصدرة بلا اقسم حتى يستقيم هذا القسم والله اعلم وفى نسخة زيادة ثم هذا القول من ابن عطاء لا يخلو عن نوع غطاء فان الله سبحانه وتعالى جعله بلدا آمنا قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والمراد بالبلد الامين مكة باتفاق المفسرين وهذه جملة معترضة بين المتعاطفين بقوله (ثم قال عز وجل ووالد وما ولد من قال) اى كمجاهد (اراد آدم) اى بقوله تعالى ووالد (فهو عام) اى فى جميع ولده ولا يبعد ان يراد به خلاصة افراد الاولاد وسلالة العباد وسيد الانبياء وسند الاصفياء الذى قيل فيه لولا وجود الخاتم ما كان ذكر لآدم صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن قال هو ابراهيم وما ولد) اى من اولاده الصلبية يعنى اسماعيل واسحق واسباطه من انبياء بنى اسرائيل من نسل يعقوب وسبطه الاعظم وحافده الافخم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسماعيل الجليل بانى البيت الجليل مع والده الخليل وربما يقال هو المقصود بالذات من ابراهيم وولده الكريم كانه زبدة الكائنات وخلاصة الموجودات ولذا قال المصنف (فهى) اى الآية المذكورة (ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتضمنت السورة) اى المسطورة (القسم به صلى الله تعالى عليه وسلم فى موضعين) اى بحسب المتعاطفين من حيث كونه ولد الابراهيم وكونه والدا بشهادة ما فى الكشاف ونقله ابن الجوزى عن ابن عمران الجونى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المراد بالوالد ونصره القرطبى بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا لكم بمنزلة الوالد وقد ذكر البيضاوى القولين حيث قال ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم وما ولد ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشان غريب البرهان فاندفع ما قاله المنجانى من ان ما تقع على ذوى العقول عند النحويين على ان كثيرا منهم قالوا

ان من يختص بذوى العقول وماعام ويؤيده قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها وان قال بعضهم ان المراد بها معنى الوصفية المنبئة عن العظمة كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته وجوده بناؤها وانت ترى ان هذا تكلف مستغنى عنه اذ جوّزان ماترد بمعنى من على مافى القاموس كقوله تعالى ولا تنكحوا مانكح آباؤكم فانكحوا ماطاب لكم ثم وقع التناقض بين قولى المنجانى حيث قال فيلزم على قول القاضى ان تكون مافى الاية واقعة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج بها عما قرر النحويون انها والذى يظهر فى الاية والله تعالى اعلم ان الوالد والولد اسما جنس عامان لكل والد ومولود وهو قول ابن عباس فيكون قوله سبحانه وتعالى وما ولد على هذا التأويل جامنبها على العاقل الذى لم يلد اذ لو اقتصر فى الاية على ذكر الوالد لخرج منها من لم يلد ولذا البتة انتهى ووجه التناقض لايخفى اذ جنس المولود من قبيل ذوى العقول فى المعنى فيؤول الى قول القاضى فى المبنى غايته انه اراد الفرد الاكمل من الجنس الثانى بل لو اريد به الفرد الافضل من النوعين لايبعد اصدق الوالدية والولدية عليه ثم التنبيه الذى ذكره لايخفى على الفقيه النبيه حيث ان المراد بما ولد ماولده الوالد من آدم او ابراهيم او جنس الوالد (وقال تعالى الم ذلك الكتاب) قيل فيه صنعة التبديل من علم المعمى فى استخراج الاسما والتقدير الف لام الجد ميم فيبقى محمد فهو نداء او مبتدأ خبره ذلك الكتاب اى هو النسخة الجامعة فى الرتبة اللامعة والمرتبة الساطعة واسطة بين الخالق والخليقة (لاريب فيه) وسيأتى الكلام فيه (قال ابن عباس رضى الله عنه) اى فيما رواه ابن جرير وابن ابى حاتم (هذه الحروف) اى المقطعة فى اول هذه السورة وامثالها من سائر السور المسطورة (اقسام) جمع قسم بمعنى مقسم به (اقسم الله تعالى بها) وفى نسخة بهذا اى بما ذكر على طريق الاشارة والرمز الى اسماء الله سبحانه وتعالى واوصاف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بان يكون الالف رمزا الى ما اوله الهمز وكذا اللام وكذا الميم وكذا سائر الحروف وحرف القسم حينئذ محذوف (وعنه) اى ابن عباس (وعن غيره فيها غير ذلك) حتى قيل فيها سبعون قولا منها ماعليه العشرة وغيرهم ومنهم ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ان الله تعالى اعلم بمراده بذلك وقيل معنى الم انا الله اعلم وعن ابن عباس ان الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وقيل هى اسماء الله بشهادة قول على يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل اسماء للقرآن او للسور وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها فجمع بينها تلويحا بان العبد ينبغى ان يكون اول كلامه ووسطه وآخره ذكر الله تعالى (وقال سهل بن عبد الله التسترى) وروى عن ابن عباس ايضا (الالف هو الله سبحانه وتعالى) اى اشارة الى لفظة الله بناء على الحرف الاول منه فى المبنى او الى وحدانيته بحسب المعنى لكن يؤيد الاول قوله (واللام جبريل) اى بناء على الحرف الآخر (والميم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) نظرا الى اوله واوسطه كذلك وما انسبه حيث كرر مسمى الميم فى الاسم والمسمى (وحكى هذا القول السمرقندى) اى مطلقا (ولم ينسبه الى سهل) وهذا امر سهل اذ لا منافاة بين الاطلاق والتقييد مع احتمال التوارد فى مقام التأييد فلا ينافيه ما عزاه السجاوندى الى ابن عباس ايضا (وجعل) اى السمرقندى (معناه) اى معنى هذا القول المستفاد من الاشارة الى الاسماء المستورة بحسب التراكيب المفيدة المأثورة (الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن لاريب فيه) اى فى المنزل او المنزل او المنزل به او المنزل عليه او فى كل واحد منها وهو نفى عند ارباب التحقيق ومعناه نهى بالنسبة الى اهل التقليد والتضييق والله ولى التوفيق او المعنى لاريب فيه ويوضحه ان يقال من حيث انه لوضوح شانه وسطوع برهانه لايرتاب فيه عاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا من حيث انه لايرتاب فيه احد لكثرة المرتابين بشهادة وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينفه عنهم بل عرفه بما يزيله منهم وهو ان يبذلوا قواهم فى معارضة سورة منه وغاية جهدهم فاذا عجزوا تيقنوا ان لاشبهة فيه ولا ريبة ثم بهذا الايزول وجه اشكال تقديم جبريل على النبى الجليل (وعلى الوجه الاول) اى من قول ابن عباس وهو ان المراد بها القسم (يحتمل القسم) اى المقسم عليه (ان هذا الكتاب حق لاريب فيه ثم فيه) اى فى القسم او الكتاب على الاحتمال الثانى (من فضيلته قران اسمه باسمه) وفى نسخة من فضيلته قران اسمه باسمه وهو بكسر القاف بمعنى مقارنته (نحو ماتقدم) اى فى التشهد والخطبة كما قال حسان

وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد

(وقال ابن عطاء فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم) اى الله تعالى (بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى التى هو من حروفها اكتفى به عنها (حيث حمل الخطاب) اى من ربه (والمشاهدة) اى له ليلة الاسراء (ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله) اى مع وجود المجاهدة ويناسبه قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك الاية (وقيل هو) اى ق (اسم

للقرآن) اى بطريق الاشارة واما بطريق العبارة فهو اسم للسورة (وقيل هو اسم الله تعالى) اى بناء على رمزه الى الاسماء التى اوائلها القاف كالقادر والقاهر والقوى والقريب (وقيل هو اسم جبل محيط بالارض) اى فوقع القسم به لعظمته وهذا قول مجاهد ان قاسم جبل محيط بالدنيا وانه من زمردة خضراء منها خضرة السماء والبحر لكنه ضعيف جدا (وقيل غير هذا) اى غير ما ذكر اى ايماء الى قيام الساعة وقال سهل رضى الله عنه اقسم بقدرته وقوته كما حكى عنه السلمى وقيل معناه قضى الامر من رسالة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم او اخبار بقهر الكفرة او تنبيه على قيام الموتى من القبور فكلها منقولة عن المفسرين وجميعها داخل فى قول من قال هى حروف اخذت من اسماء وافعال واستغنى بها عن ذكر مابقى منها والله تعالى اعلم ولا يبعد ان يكون ايماء الى الامر بالوقوف على الاحكام والتوقف فيما اشكل من المرام كقول الشاعر قلت لها قفى فقالت لى قاف (وقال جعفر بن محمد) اى الصادق (فى تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه النجم الاكبر والكوكب الانور وقوله اذا هوى اى اذا صعد الى مقام دنا فتدلى او اذا احب المولى وترك السوى فكان قاب قوسين او ادنى (وقال) اى الصادق (النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم وهوى انشرح من الانوار) اى لما انبسط وانبث فيه من الاسرار واغرب المنجانى حيث انكر على العالم الربانى بقوله هذا تحامل على اللغة فى تفسير الهوى وتحكم فيها والمنقول عن جعفر انه انما فسر الهوى هنا بالنزول ليلة المعراج كما حكى عنه ذلك فى تفسير الغزنوى وهو اقرب الى الاشتقاق اللغوى (وقال انقطع عن غير الله) اى عن التعلق بما سواه (وقال ابن عطاء فى قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان) اى تبين منه الايقان وظهر منه العرفان بنزول القرآن وحينئذ يناسب ان يفسر ليال عشر بالعشرة المبشرة لان الكواكب السيارة المنيرة فى ميدان الولاية تختفى فى زمان النبوة واوان الرسالة لان احوال الاصفياء بالنسبة الى احوال الانبياء لاتخلو عن ظلمة الكدورات النفسانية والحجابات الشهوانية فناسب ان يعبر عنهم بالليالى العشر كما يلائم ان يومى الى مرتبة النبوة والرسالة بطلوع الصبح وظهور نور الفجر وبهذا اندفع ما قاله المنجانى من ان هذا التاويل بعيد لان الفجر فى الاية مردف بالليالى العشر وفى حمله على ما ذكر تنافر فى النظم وعدم تناسب فى اللفظ انتهى واما اقوال المفسرين فى معنى الفجر وليال عشر فمشهورة لاتخفى والمشهور ان الفجر هو الصبح والليالى العشر عشر ذى الحجة ومن ثم فسر الفجر بفجر عرفة او النحر والعشر الاول من المحرم او الاواخر من شهر رمضان ونكرت لزيادة فضلها والله تعالى اعلم

(الفصل الخامس فى قسمه)

اى فى حلفه فى كلامه (تعالى جده) اى عظمته لقوله تعالى وانه تعالى جد ربنا ولما فى الحديث كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد بنا اى جل مهملة فى انفسنا اى عظم وجل وعن انس والحسن رضى الله تعالى عنهما غناه بشهادة حديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى منك غناه وانما ينفعه ايمانه واحسانه (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (لتحقق مكانته) اى منزلته الرفيعة (عنده) بكسر العين افصح ويجوز فتحها او ضمها ففى القاموس عند مثلثة الاول ظرف فى الزمان والمكان غير متمكن (قال الله جل اسمه) اى عظم وصفه ونعته فكيف مسماه وذاته (والضحى) اى اقسم بضوء الشمس اذ هو المراد بقوله وضحاها او بوقته حين ارتفاعها وخص بالقسم لانه تعالى كلم فيه موسى عليه الصلاة والسلام والقى السحرة فيه سجدا بشهادة وان يحشر الناس ضحى ولعل هذا هو المأخذ فى فضيلة صلاة الضحى او بالنهار كله بدلالة ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا او مقابلة قوله تعالى (والليل اذا سجى) اى ركد ظلامه او سكن اهله وقدم الليل فى السورة قبلها لانه الاصل بدليل قوله تعالى نسلخ منه النهار ولما ورد من ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره الحديث وعكس هنا لشرف النهار بحسن ضوئه ونوره وكمال ظهوره والانسب بهذا المقام فى تحقيق المرام ان يقال ان فى الضحى ايماء الى وجهه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ان فى الليل اشعارا الى شعره عليه الصلاة والسلام او الى حاليه اشارة فيهما الى صبح الوصال وليل الفراق او ايماء بهما الى حاليه من مقامى القبض والبسط او الفناء والبقاء كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انه ليغان على قلبى الحديث (السورة) وفى شرح الدلجى السورة منصوب بفعل كاعنى قلت او اقرأ ويجوز رفعها على ان تقديره السورة معروفة وجرها على نزع الخافض كما فى النسخة المشهورة والسورة طائفة من القرآن مترجمة اقلها ثلاث آيات منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة منه او محتوية على مافيها من العلوم كاحتواء سور المدينة على مافيها هذا ان كانت واوها اصلية وان كانت مبدلة من همزة فلكونها قطعة من القرآن من السؤر الذى هو بقية الشئ وهذا المعنى هو الاولى كما لا يخفى اذ المعنى الاول يدل على المغايرة بين السورة وما هى مشتملة عليه وليس كذلك فى السورة (اختلف فى سبب نزول هذه

(السورة) اى سورة والضحى (وقيل كان ترك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة
فى ذلك بكلام) اى بما لا يليق ذكره لاهل الاسلام ويؤيده مارواه البخارى اشتكى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلم يقم ليلتين اوثلاثا فقالت له امرأة انى لارجوان يكون شيطانك قد تركك لما رأيت من عدم قيامك (فانزل) اى الله
تعالى (والضحى) وروى مسلم نحوه وحديث الثعلبى انه صلى الله تعالى عليه وسلم اصيب فى اصبعه فدميت فقال
هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت فمكث ليلتين اوثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امرأة ابى لهب
مارى شيطانك الاقد تركك لم اره قربك منذ ليلتين اوثلاث فنزلت وروى ابن السكن انها احدى عماته صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ابن عساكر وكانت عماته صلى الله تعالى عليه وسلم ستا وجميعهن متن مشركات الاصفية بنت
عبد المطلب ام الزبير ويؤيد الاول رواية الحاكم انها امرأة ابى لهب ولعلهما قالتاه ذلك ثم قيل هى اخت ابى جهل زوج
ابى لهب وكان اسمها ام جميل وكان ابو بكر ابن العربى لا يكنيها الا بام قبيح وقد اجاد فيما افاد وقيل هى اخت ابى سفيان
ابن حرب وهى زوج ابى لهب ايضا وكانت عوراء وكان احول والقول الاخير ذكره الحاكم فى مستدركه فى تفسير
سورة والضحى وقال اسناده صحيح (وقيل) وعليه جمهور المفسرين على ماقيل (بل تكلم به المشركون) اى بمثل
ذلك الكلام (عند فترة الوحى) اى عند انقطاعه وعدم اتصاله من الفتور بمعنى القصور وكانت المدة سنتين ونصفا وقيل
بل كان ذلك بضعة عشر يوما (فنزلت السورة) اى و الضحى وفى نسخة هذه السورة ويدل عليه حديث مسلم
والترمذى ابطأ جبريل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد ودع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فانزل الله سبحانه وتعالى ماودعك ربك وماقلى ويمكن الجمع بين القولين بانه لما فتر الوحى اتفق اذ ذاك انه اشتكى فلم
يقم فقالت المرأة ماقالت وقال المشركون من الرجال ماقالوا وقال البيضاوى روى ان الوحى تأخر اياما لتركه الاستثناء
كما مر فى سورة الكهف اولزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اوغير ذلك فقال المشركون ان محمدا
ودعه ربه وقلاه اى تركه وابغضه فنزلت ردا عليهم (قال الفقيه القاضى ابو الفضل رحمه الله) كذا فى بعض النسخ وهو
متروك فى بعضها (تضمنت هذه السورة) اى سورة والضحى (من كرامات الله تعالى) اى من انواع اكرامه سبحانه (له صلى
الله عليه وسلم) قال الدلجى من مزيدة او للتعظيم اى تضمنت شيأ عظيما اكرمه الله به انتهى ولا يخفى ان كونها مزيدة
لا يناسب المقام لان الزائدة انما تكون للتنصيص على العموم فى النفى نحو ماجاءنى من رجل اولتوكيد العموم نحو
ماجاءنى من احد وكونها للتعظيم غير معروف فالصواب انها للتبعيض فانه لاشك ان ماتضمنت هذه السورة من
بعض كرامات الله له (وتنويهه به) من نوه بالشئ اى رفعه ونوهت باسمه اى رفعت ذكره والمقصود رفعة شانه وسطوع
برهانه (وتعظيمه اياه) اى بما خصه الله تعالى واستثناه مما سواه (ستة وجوه) بالنصب على انه مفعول تضمنت وفى نسخة
بستة وجوه وكان الوجه ان يقول ستة اوجه الا انه اوقع جمع الكثرة فى موضع جمع القلة توسعا اذ قد يكثر استعمال
احدهما فى الآخر (الاول) اى الوجه الاول من الستة (القسم له) اى لاجله صلى الله عليه وسلم (عما اخبره به) اى
فى هذه السورة (من حاله) اى مما يدل على عظيم جماله وكريم كماله فى بيان لما اقسم له على نفيه (بقوله والضحى والليل
اذا سجى اى ورب الضحى) اى على حذف مضاف يكون هو المقسم به وذلك لانه لا يقسم بمخلوق لان فيه تعظيم
غير الله تعالى ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم من حلف بغير الله فقد اشرك والاظهر ان النهى فى ذلك بالنسبة
الى المخلوق واما الخالق سبحانه وتعالى فيقسم بما شاء من خلقه تشريفا له وتعظيما لشأنه (وهذا) اى القسم له على ذلك
(من اعظم درجات المبرة) بفتحات وتشديد الراء من البر بمعنى الخير (الثانى) اى من الستة (بيان مكانته عنده) تقدم
بيانه (وحظوته لديه) بكسر اوله ويضم على مافى الصحاح والقاموس وبسكون الظاء المعجمة بمعنى المنزلة والفضيلة
والمحبة وقيل الحاء مثلثة لان كل اسم على فعلة ولامه واو بعدها هاء التأنيث فانه مثلث الفاء واصله من حظيت المرأة
عند زوجها اذا كانت ذات حظ ونصيب منه وفى المثل ان لاحظية فلا الية يقول ان اخطأتك الحظوة فلا تأل ان تتودد
الى الناس لعلك تدرك بعض ماتريد ذكره الجوهرى (لقوله) متعلق بقوله بيان مكانته (ماودعك ربك) بتشديد الدال
وتخفف (وماقلى) حذف مفعول قلى لظهوره او اكتفاء بسبق ذكره مع كونه مراعاة للفاصلة (اى ماتركك) تفسير
لودعك (وما ابغضك) تفسير لما قلى على طريق اللف والنشر المرتب والمعنى ماقطعك قطع المودع اذ التوديع مبالغة
فى الودع اى الترك اذ من ودعك فقد بالغ فى تركك وفى الحديث غير مودع ربى اى غير قاطع طاعته ولا مفارق لعبادته
وقرأ عروة وابنه هشام ودعك مخففا مع استغناء اكثر العرب عنه بترك فلم ينطق به ماضيا لكن قد جاء فى الحديث
شر الناس من ودعه الناس اتقاء فحشه وفى الشعر ايضا كقوله

وكان ماقدموا لانفسهم * اعظم نفعا من الذى ودعوا

ومن التشديد قوله

ليت شعرى من خليلى ما الذى * رابه فى الحب حتى ودعه

ثم قلى يائى وقيل واوى وعلى الاول يقال فى مضارعه يقلى ويقلى بالياء والالف الاان الالف شاذ كما فى ابى يأبى
(وقيل ما اهملك) اى ماتركك هملا (بعد ان اصطفاك) اى كملا قال ابن عباس رضى الله عنه ماخلاك ولا قطعك
منذ اصطفاك ورفعك (الثالث) اى من الستة (قوله) اى عز قائلا (وللآخرة) اى والدار الآخرة (خير لك من الاولى)
اى من الدنيا او الحال الآخرة خير لك من الاولى ايماء الى انه دائما فى الترقى الى الدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم انه
امام اهل المغازى (اى مآلك) بفتح ميم وهمز ممدود ورفع لام اى ماتؤول اليه ومصيرك (فى مرجعك) اى معادك
باقيا خالصا من الشوائب مما اعد لك من المراتب (عند الله) فى العقبى (اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا) ويروى كما فى
بعض النسخ مالك على ان ماموصول والعائد محذوف يعنى الذى اعطاكه فى الاخرى خير لك من الذى اعطاكه فى
الاولى (وقال سهل اى ماادخرت) بتشديد الدال المهملة وقيل بالمعجمة من الذخيرة وهى الشئ النفيس يخبأ للنوائب
وداله معجمة ويقال اذخرته على افتعل يهمل ويعجم والمعنى واحد وقيل بالمعجمة مايكون للآخرة وبالمهملة مايكون للدنيا
ونسب الى ائمة اللغة وهى غير مشهورة ودلالة قوله تعالى تدخرون فى بيوتكم عليه غير صحيحة والمعنى الذى خبأته (لك
من الشفاعة) اى العظمى او الخاصة بهذه الامة (والمقام المحمود) اى المرتبة العلية الشاملة للشفاعة الكاملة لجميع
الافراد البشرية (خير لك مما اعطيتك فى الدنيا) اى من الرفعة وعلو المرتبة ونفاذ الحكومة ويؤيده ماورد
فى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ويجوز ان يراد بالمقام المحمود كما هو ظاهر الآية كل مقام يتضمن كرامة وان كان الاكثرون على انه
مقام الشفاعة الكبرى الذى يحمده فيه الاولون والاخرون بشهادة حديث هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى
خصوصا ولسائر الامم عموما (الرابع) اى من الستة (قوله ولسوف) خبر مبتدأ محذوف دخله بعد حذفه لام الابتداء
لتأكيد مضمون الجملة اى ولانت سوف (يعطيك ربك) اى مايرضيك ويقربه عينك (فترضى) اى غاية الرضى والجمع
بين حرفى التأكيد والتأخير للايماء بان العطاء كائن لامحالة وفى مصحف ابن مسعود ولسيعطيك ثم اكثر
المفسرين على ان هذا العطاء فى الاخرى وعن بعض العلماء انه اشارة الى فتح مكة فى الدنيا (وهذه الاية) اى ولسوف
وفى بعض النسخ وهذه آية (جامعة لوجوه الكرامة وانواع السعادة) اى مااعطيه فى الدنيا وما وعده فى العقبى
(وشتات الانعام) بكسر الهمزة من انعم اذا زاد على الاحسان بفتحتين اى متفرقات انواع الاكرام مما لا يعلم كنهه احد
من الانام (فى الدارين والزيادة) بالجر اى وجامعة للزيادة على مااعطاه فى الدنيا ووعده فى العقبى من انواع الكرامة
والدرجات العلى (قال ابن اسحق) تقدم ذكره وقال التلمسانى هو صاحب السير والمقدم فيها والمشهور بالمغازى
والتاريخ توفى ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وكان بينه وبين مالك كلام ومحاورة وذلك ان الائمة اتفقوا على ان
ما لكا عربى صريح النسب من ذى اصبح حميرى يمانى وذهب ابن اسحق الى انه من الموالى وقوله شاذ رواه الائمة
والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه قال فى سيرته (يرضيه) اى الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام (بالفلج)
وهو على مافى الصحاح بفتح الفاء واللام وبالجيم والاسم بضم الفاء وسكون اللام اى الفوز باحبائه والظفر باعدائه
ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى وصف القرءآن من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج قال ابن
هشام معناه ظهر وغلب وظفر والحاصل ان فى الاصل نسختين مضبوطتين وفى المثل من يأت الحكم وحده يفلج
اى يظهر على خصمه (فى الدنيا) كيوم بدر وقريظة والنضير وفتح مكة (والثواب فى الآخرة) اى مما اخفى له من قرة اعين
وهذا القول من ابن اسحق ليس كقول سهل بل هو قول ثالث يشير الى ان الاية مقتضية رضاه فى الدنيا والعقبى
معا قيل وهو الصواب فى معنى الاية (وقيل يعطيه الحوض) اى المورود (والشفاعة) اى المقام المحمود وهو داخل فيما
قبله بلا مرا وكل الصيد فى جوف الفرا وفسر عطاء وغيره الحوض بالخير الكثير كما فى رواية البخارى ومسلم اى عن
انس بن مالك بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه فقال نزلت على آنفا سورة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر هو نهر
وعدنيه ربى عليه خير كثير هو حوض ترده امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء وفى رواية لهما الكوثر نهر فى الجنة
عليه حوضى اى يمد ماؤه منه وفى مسلم ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة
احدهما من ذهب والآخر من ورق و يغت بغين معجمة مضمومة فمثناه فوقية مشددة ومعناه يجرى جريا متتابعا له
صوت (وروى عن بعض آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو على بن ابى طالب كرم الله وجهه على ماذكره الثعلبى

فى تفسيره (انه قال ليس آية فى القرآن ارجى منها) اى من آية ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم بين وجهه بقوله (ولا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار) ورواه عنه ايضا ابونعيم فى الحلية موقوفا والديلمى فى مسند الفردوس مرفوعا فبطل بهذا قول الحلبى قد ظهر لى والله تعالى اعلم ان هذا الرجل هو الحسن بن محمد ابن الحنفية وذلك انه اول المرجئة وله فيه تصنيف انتهى وروى انه لما نزلت قال اذن لا ارضى ان يكون واحد من امتى فى النار قال الدلجى وهذا ان صح فيشكل بما ورد مؤذنا بدخول بعض عصاتهم فيها ومن ثم قال ابن عبد السلام وغيره لا يجوز الدعاء لجميع المؤمنين بمغفرة جميع ذنوبهم اذ لا بد من دخول بعض منهم فيه ويعارضه رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات انتهى ولا يخفى ان المعارضة مدفوعة اذ ليس فى الآية لفظ الجميع الشامل للافراد كلها والاشكال السابق ايضا مدفوع بانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى رضى كاملا الا اذا وقع شفاعته لجميع امته كاملا وهذا امر فى المستقبل فلا ينافى دخول بعض الامة النار فى الماضى فتأمل هذا وفى حديث الترمذى عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال ما فى القرآن آية احب الى من قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل ارجى آية فى القرآن لاهل التوحيد قوله تعالى وهل يجازى الا الكفور وقيل قوله تعالى انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى وقيل قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وقيل قل كل يعمل على شاكلته وقيل قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وقيل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الآية ووجهه انه سبحانه وتعالى امرنا بالاحتياط لدنيانا الفانية التى نهانا عن الاغترار بها والركون اليها والاعتناء بها وامرنا بالاعراض عنها والزهادة فيها فاذا الطف بنا فيها بما ارشدنا اليه مع حقارتها فى طول آية من كلامه فكيف بالدار الباقية دار الخلد فى النعيم والالتذاذ الذى لا يساوى بل لا يدانى بالنظر الى وجهه الكريم وفيه قول آخر وهو ما فى صحيح مسلم من حديث الافك فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى الى قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم قال حبان بن موسى قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى آية فى كتاب الله عز وجل انتهى وقد اخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس رضى الله عنه ان ارجى آية فى القرآن لهذه الامة قوله تعالى ولكن ليطمئن قلبى هذا واخوف آية فى القرآن قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايه الثقلان وقيل قوله تعالى فاين تذهبون وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات وعن ابى حنيفة واتقوا النار التى اعدت للكافرين وعن الشافعى انها قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات انتهى واجتمعت الآيات سبعة فى الخوف وعشرة فى الرجاء ايماء الى انه سبقت رحمته غضبه وغلب رجاء ثوابه خوف عقابه (الخامس) اى من الستة (ما عده الله تعالى عليه) اى ذكره (من نعمه) اى نعمائه وهو انسب الى قوله (وقرره من آلائه) وهما مترادفان على ما قيل والاظهر ان وقت اجتماعهما يراد بهما نعمه الظاهرة والباطنة واختلف فى مفرد الآلاء فقيل الى بالفتح والتنوين كرحى وقيل بالكسر والتنوين كمعى وقيل بفتحها وسكون اللام وبالواو كدلو وقيل بكسرها وسكون اللام وبالياء كنحى وقيل بالفتح وترك التنوين وقوله (قبله) بكسر القاف وفتح الموحدة اى عنده وجهته ونحوه (فى بقية السورة) من الم يجدك يتيما الى فاما اليتيم تلويحا بانه تعالى كما احسن اليه سابقا يحسن اليه لاحقا كما قيل

لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

فما عدد وقرر مورد اله على خلاف ترتيب السورة ما اشار اليه بقوله (من هدايته) مصدر مضاف الى فاعله اى من هداية الله اياه (الى ما هداه له) اى المستفادة بقوله تعالى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفاصيل احكام الشريعة فهدى اى فهداك اليها ودلك عليها (او هداية الناس به) اى فهدى الناس بك زيادة على هدايتك فى نفسك فجمع الله له بين الهداية القاصرة والمتعدية المعبر عنهما بالكمال والتكميل اللذين يصل بهما العبد الى مقام التعظيم ومرتبة التبجيل كما ورد عن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما (على اختلاف التفاسير) اى فى هدى من التقادير على ما اشرنا اليها فى ضمن التصاوير فهدى اما بمعنى هداه الله او بمعنى هدى به الناس (ولا مال له) جملة حالية او التقدير ومن كونه لا مال له (فاغناه الله بما آتاه) اى اعطاه من مال خديجة او من الغنائم (او بما جعله فى قلبه من القناعة والغنى) اى غنى القلب كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وبقوله القناعة كنز لا ينفد وهو من قنع بكسر النون فى الماضى قناعة اذا رضى بما اعطاه الله تعالى وبفتحه قنوعا اذا سأل عما سواه ومنه القانع والمعترى السائل تصريحا والمتعرض تلويحا وما

احسن ما قال من قال من اهل الحال

العبد حران قنع * والحر عبد ان قنع * فاقنع ولا تقنع فما * شئ اضر من الطمع

وهذا المعنى مستفاد من قوله ووجدك عائلا اى فقيرا او محتاجا الى الخلق فاغناك عنهم بغناه بل احوج اليك كل من سواه كما اشار اليه بقوله آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (ويتيما) ومن كونه يتيما اى لا اب له لموت ابيه قبل ولادته فآواه الى عمه ابى طالب (فحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين اى رق له ورحمه وعطف (عليه عمه) واذهب عنه غمه وهمه حتى قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * فابشر وقربذاك منك عيونا

وفى نسخة عمه منصوب ولا يستقيم الا اذا كان الدال مشددا (وآواه اليه) واحسن فى تربيته عليه حيث ضمه الى نفسه فى جملة حاله وجعله من عمدة عياله وآوى متعد ممدودا ومقصورا لكن التعدية فى المد اكثر كما ان اللزوم فى القصر اشهر (وقيل آواه الله) اى ملحوظا بعين عنايته وكفايته محفوظا فى ظل حمايته ورعايته وفى نسخة اواه الى الله اى اغناه بذاته عما سواه وروى اوى الى الله مقصورا ومعناه لجأ اليه وتوكل عليه واسلم الامر لديه وهذه المعانى الاخيرة انسب الى ما حكى عن جعفر الصادق انه سئل لم افرد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابويه فكان يتيما فى صغره فقال لئلا يكون عليه حق للمخلوق انتهى ويمكن ان يقال لئلا يكون له تعلق بغير الحق فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس او لئلا يتعلق قلبه الشريف بايمانهما لو وجدهما غير مسلمين فى ايامهما وليس الخبر كالمعاينة فى تحققهما (وقيل يتيما لا مثال لك) اى لا نظير عماثلك وهذا مراد من قال هو درة يتيمة عصماء اى محفوظة ممنوعة معصومة عن ان يكون لها نظير فى الصورة والسيرة وفى الكشاف انه من بدع التفاسير ومعناه الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير (فآواك اليه) والوجود فى السورة بمعنى العلم فيتيما وضالا وعائلا مفاعيل ثوانى له او بمعنى المصادفة فهى احوال من المفعول الاول ولعل وجه تقديم الهداية فى كلام المصنف ايماء الى رعاية العناية واشارة الى ان الواو لا تفيد الترتيب فى العبارة واما الترتيب الذكرى فى السورة فهو على وفق الوجود الوقوعى حيث يوجد اليتم قبل البلوغ وبعده تحقق الهداية الكاملة العلمية ثم رعاية القناعة العملية (وقيل المعنى الم يجدك) اى والناس فى ضلال (فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا) اى فقيرا حين وجدك وفيهم عيلة (وآوى بك يتيما) اذ وجدك وفيهم ايتام وهذا من بدع التفاسير ايضا وان كان يلائمه فى الجملة ما بعده من بقية السورة وهى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وتذكر حال يتمك واما السائل لكونه فقيرا فلا تنهر فلا تزجر ولا تقهر وتذكر حال فقرك واما بنعمة ربك فحدث باظهار الهداية والعلم بالبداية والنهاية وتذكر حال جهلك فيكون اللف والنشر مشوشا اعتمادا على فهم السامع ويمكن ان يكون مرتبا بان يكون المراد سؤال العلم كما هو قول ابى الدرداء وغيره وان التحدث بنعمة الرب هو الاحسان الى الفقير المنكسر القلب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ويمكن ان يحمل على المعنى الاعم ويستفاد منه المراد الاخص والله تعالى اعلم بمراده فى كتابه (ذكره) بتشديد الكاف اى ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم ربه تذكيرا متنانا لا ناشئا عن نسيان (بهذه المنن) جمع المنة بمعنى النعمة والعطية (وانه) بكسر الهمزة والواو للحال اى الشأن او الله سبحانه او هو صلى الله تعالى عليه وسلم (على المعلوم من التفسير) اى بناء على ما علم من انواع التفسير على ما سبق من التحرير (لم يهمله) من الاهمال اى لم يتركه ربه تعالى (فى حال صغره) اى جهله (وعيلته) اى فقره (ويتمه) اى فقدابيه (وقبل معرفته) اى وفيما قبل معرفته الكاملة (به) تعالى (ولا ودعه) عطف على لم يهمله اى ولا تركه ولا دفعه (ولا قلاه) اى ولا ابغضه ولا قطعه (فكيف) اى حاله (بعد اختصاصه) بالكرامات السنية (واصطفائه) بالمقامات البهية والمعنى بعد ارساله واعلامه انه اصطفاه واجتباه على خليقته لكرامته عنده ومنزلته والا فقد كان اصطفاه فى ازليته قبل ظهور ابديته بدليل قوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية وآدم منجدل فى طينته اى وآدم مراد ايجاده منهما فى وقته فلا يبنية ولا انجدال حال نبوته ثم اعلم ان ملخص الاقوال فى تفسير قوله سبحانه وتعالى ووجدك ضالا فهدى ستة اقاويل اولها انه وجدك ضالا عن الشريعة واحكامها فارشدك اليها بتمامها وثانيها انه وجدك منسوبا الى الضلالة عند الاعداء فبين امرك بالبراهين القاطعة للاحباء وثالثها انه وجدك بين قوم ضلال فارشدك الى ما تميزت به عنهم الى مقام الوصال ورابعها انه وجدك ضالا بتزويج ابنتك فى الجاهلية لبعض الكفرة فبين لك ان المشرك لا يتزوج المسلمة قال ثعلب وهذا هو قول اهل السنة فى هذه الآية وخامسها انه وجدك ضالا بين مكة والمدينة فاراك الطريق ودلك عليه وبينه او اشارة الى ضلالته وهو صغير فى شعاب مكة حيث وجده ورقة بن نوفل ورجل من قريش فرداه

الى جده عبد المطلب وسادسها انه وجدك ضالا اى عاشقا ومحبا فهداك الى محبوبك والقول الاول فى تفسير الاية هو المعول كما بينه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما (السادس) اى من الستة (امره) فعل ماض على ما صرح به الحلبى والاظهر انه مصدر مضاف الى مفعوله (باظهار نعمته عليه) مصدر مضاف الى الفاعل عام فى جميع ما انعم به عليه اذ اضافة المفرد قد تفيد العموم (وشكر ما شرفه به) اى ما احسنه اليه وعظمه لديه (بنشره) اى بسط ما شرفه به واظهاره تبجحا بالنعمة وقياما بشكر المنعم لا افتخارا بالعطية والحال الملم (واشادة ذكره) اى وتشهير ذكر ما شرفه به ورفع قدره وتعظيم شانه واعلاء امره وبيانه وتعريف حاله (بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث بها) لحديث التحدث بالنعمة شكر وفى نسخة التحديث وفى اخرى الحديث ومن التحدث بها اظهارها فى الملبس والمركب ونحوهما لحديث اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر نعمته عليه (وهذا) اى امره باظهارها (خاص له) صلى الله تعالى عليه وسلم (عام لامته) لانه امامهم فامره كامرهم وقال مجاهد معنى قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث بث الشرائع والقرءآن المشتمل على البدائع والاولى حمل الاية على عموم النعمة ولعل هذا منشأ ما كان بعض الصالحين يخبر بجميع ما يفعله من الطاعات للسالكين كانه ينحو الى انها نعمة انعم الله سبحانه وتعالى بها عليه فيجب عليه التحدث بها مع انه قد يقصدان الناس يقتدون به فى فعلها (وقال تعالى) حال لازمة من ضمير قال اى متعاليا عما لا يليق بجنابه الكريم (والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون فى قوله تعالى والنجم) اى فى المراد به اختلافا مصحوبا (باقاويل معروفة منها) اى من جملة الاقاويل قولهم (النجم على ظاهره) فالمراد به اما جنس النجوم او الثريا لغلبته عليها وهى سبعة كواكب على ما ذكره السهيلى ولا يكاد يرى السابع منها لخفائه وفى الحقيقة انها اثنا عشر كوكبا فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يراها كلها بقوة جعلها الله تعالى فى بصره كما ذكر ابن خيثمة من طريق ثابت عن العباس عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او الزهرة لانهم كانوا يعبدونها فنبهوا على انتقالها وزوالها كما ذكره الغزنوى فى تفسيره او الذى يرجم به فهويه غروبه او انتثاره وانكداره يوم القيامة او انقضاضه او طلوعه اذ يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وبالضم اذا علا وصعد (ومنها) اى من جملة الاقاويل ان النجم هو (القرءآن) لانه نزل منجما فى دفعات متعددة واوقات مختلفة فالهوى بمعنى النزول ويؤيده قوله فلا اقسم بمواقع النجوم الايات على ما اختاره بعض المفسرين وقيل انه اسم جنس للصحابة ولعلماء هذه الامة كما ورد عن سيد الائمة اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ذكره فى عين المعانى قال الدلجى فالهوى على هذا كناية عن الموت يعنى موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يخفى بعده فان الاقتداء بهم والاهتداء اعم من زمن حياته وبعد وفاته فالهوى بمعنى الظهور والعلو (وعن جعفر بن محمد) اى الصادق (انه) اى النجم المقسم به (محمد عليه السلام) قال الدلجى وكثيرا ما يذكر المصنف السلام بدون الصلاة مع كون افراد احدهما مكروها قلت المحققون كالجزرى وغيره على انه لا يكره وانما الجمع افضل (وقال) اى جعفر (هو قلب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اقول بل هو صلى الله تعالى عليه وسلم بقلبه وقالبه نور يستنار منه الانوار ويستضاء منه الاسرار وقد ورد اللهم اجعلنى نورا وقد سماه الله تعالى نورا على ما تقدم والله تعالى اعلم فالهوى بمعنى الظهور كما هو ظاهر فى معنى النور واما على ارادة قلبه فلعل المراد بهويه ميله الى ربه وغيبته عن غيره واستغراقه فى حبه ويؤيد ما قلناه من ارادة كله قوله (وقد قيل فى قوله تعالى والسماء والطارق) اى البادى ليلا واصله لسالك الطريق وخص عرفا بالاتى ليلا ثم استعمل فى البادى فيه (وما ادراك ما الطارق) اى اى شئ اعلمك انه ما هو يعنى انه شئ عظيم لا يعرفه احد ثم بينه انه (النجم الثاقب) اى المضئ كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه اى (ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عنه اولا بوصف عام ثم بين بما يخصه تفخيما لشانه وتعظيما لبرهانه بجامع ان كلا يهتدى به وان كان بينهما بون بين (حكاه السلمى) اى نقله فى تفسير الحقائق (تضمنت) اى فقد جمعت (هذه الايات) اى من قوله والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى (من فضله وشرفه) اى الزائد على غيره (العد) بكسر العين وتشديد الدال المهملتين اى الشئ الكثير الذى لا تنقطع مادته واصله فى الماء يقال ماء عد اذا كانت له مادة غير منقطعة كماء العين والبئر (ما يقف) اى العد الذى يقف (دونه) اى ينقطع قبله والضمير للعد وقال الدلجى اى يقف دون كل منهما (العد) بالفتح اى الاحصاء والاستقصاء والعد ايضا العدد هذا ولما نسبت الكفار المسمى بالهدى الى الضلال والردى وان ما ينطق به انما هو عن الرأى والهوى رد الله عليهم وكذبهم (فاقسم جل اسمه) اى عظم كسماه (على هداية المصطفى وتنزيهه) اى براءة ساحته واغرب التلمسانى حيث قال اى تعظيمه (عن الهوى) اى فيما اخبر به للورى

(وصدقه فيما تلا) اى قرأ (وانه) اى متلوه (وحى يوحى اوصله اليه عن الله جبريل) اى علمه شديد القوى على خلاف فى مرجع الضمير المنصوب هل هو القرءآن او النبى صلى الله عليه وسلم (وهو) اى جبريل (الشديد القوى) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى شديد قواه لانه هو الواسطة فى ابتداء خوارق العادة كاقتلاع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصياحه صيحة واحدة لقوم ثمود فاصبحوا جاثمين وقيل المراد به الحق جل جلاله يعنى شديد القوة والقدرة والحكمة ونسب هذا القول الى الحسن (ثم اخبر) اى بعد قسمه وبراءة ساحته (عن فضيلته بقصة الاسراء) اى بقضية المعراج المبتدأ بعد الاسراء الى المسجد الاقصى كما اشار اليه بقوله (وانتهائه الى سدرة المنتهى) اى بقوله تعالى ولقد رأه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى وهى عند اكثر المفسرين شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الخلائق (وتصديق بصره فيما رأى) اى بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يعنى ما رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره من صورة جبريل او من ذاته سبحانه اى ما كذب قلبه بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم بالبصر او ما قال فؤاده لما رأه لم اعرفك ولو قاله لكذب لانه عرفه بفؤاده كما رأه ببصره يقينا لا تخييلا اذ قد سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى والجمع بين روايات المحدثين وقول المفسرين واختلاف الصحابة والتابعين انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره واخرى ببصيرته هذا وقيل الضمير فى رأى عائد على الفؤاد نفسه اى ما كذب الفؤاد ما رأه بل صدقه وتحققه والرؤية ههنا حينئذ بمعنى العلم وكذب بالتخفيف ككذب بالتشديد كما قرئ بهما (وانه رأى من آيات ربه الكبرى) اى بقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى رأى ليلة الاسراء عند عروجه الى السماء بعض آياته الملكية والملكوتية او كلها فمن مزيدة والكبرى صفة للايات (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على مثل هذا) اى رؤيته من آيات ربه (فى سورة الاسرا) اى بقوله لنريه من آياتنا والاظهر ان قوله لنريه من آياتنا فى المسجد الاقصى وقوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى فى السموات العلى (ولما كان ما كاشفه) اى الذى رأه (عليه السلام) اى برؤيته بمعنى اطلع عليه ورأه ابتداء لا بمعنى رفع غطاءه وان زعم لانه لو اراد هذا المعنى لقال وكشفه ولعدم مناسبته للمقام اذ لا يقال رفع غطاء ما هنالك (من ذلك الجبروت) بفتحتين فعلوت مبالغة من الجبر بمعنى القهر كالعظموت من العظمة والمراد انه رأى ما يدل عليه اذ هو معنى والمعنى لا يشاهد بالبصر الظاهر الا ان تحمل الرؤية على رؤية البصيرة فالمراد بها العلم والمعرفة (وشاهده من عجائب الملكوت) مبالغة من الملك كالرهبوت من الرهبة والرحموت من الرحمة والمحققون على ان الملك ظاهر السلطنة والملكوت باطنها وقيل المراد بالملك العالم السفلى وبالملكوت العلوى (لا تحيط به العبارات) اى لا تشمله انواع التعبيرات ولا تحويه اصناف التفسيرات لقصور الافهام عن ادراكه على وجه الحقيقة والجملة خبر كان (ولا تستقل) بتشديد اللام اى لا تستبد (بحمل سماع ادناه) اى اقله (العقول) لعجزها عن حمل اقله فضلا عن حمل اكثره (رمز) جواب لما اى اشار الله سبحانه وتعالى (عنه) اى عما كاشفه صلى الله تعالى عليه وسلم واطلع عليه (بالايماء) متعلق برمز ولعل الايماء اغمض من الرمز فى الانباء من جهة الاخفاء كالاشارة بالعين والحاجب ونحوهما (والكناية) عطف على الايماء والمراد بهما التلويح وترك التصريح بدليل قوله (الدال على التعظيم) والحاصل انه سبحانه وتعالى رمز واوما وكنى عما كاشفه بما المبهمة الدالة على الفخامة والعظمة (فقال فاوحى) اى جبريل او الله تعالى (الى عبده) اى عبده الخاص الواصل الى مقام الاختصاص صلى الله تعالى عليه وسلم (ما اوحى) اى شيأ عظيما لا يعلم كنهه سواه ففى ابهامه من التفخيم ما ليس فى ايضاحه وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحاه جبريل الى محمد عليه الصلاة والسلام وقد قال بعضهم اوحى الى عبده ان لا يدخل احد من الامم الجنة قبل امته ولعل المعنى ان هذا من جملة ما اوحى (وهذا النوع) اى الرمز بالكناية والايماء (من الكلام) اى من انواعه (يسميه اهل النقد) اى النظر السديد (والبلاغة) اى الفصاحة والمراد العارفون بجيد الكلام وبهرجه تشبيها لهم بصيارفة الذهب والفضة (بالوحى والاشارة) اى هذا لعدم الصراحة بالموحى به والمشار اليه فهما اسمان لمعنى واحد اذ هما احد ماصدقاته كالكناية والالهام والكلام الخفى قد يتفاوت وضوحا وخفاء (وهو) اى النوع المسمى بهما (عندهم ابلغ ابواب الايجاز) اى من حيث انه جوامع الكلام المشابهة لكونها مبهمة للالغاز حيث فيها مبان يسيرة ومعان كثيرة يذهب فيها الفكر كل مذهب يمكن الانصراف اليها هذا وقيل كل كلام اما ناقص عن معناه او مساوله او زائد عليه ايجازا او مساواة او اطنابا واعلاها الاول من حيث ان المعانى هى المقاصد والعبارات طرق لها فكلما قلت العبارة كان ذلك كالقرب فى الطريق فكان احق بالسلوك ويليه المساواة فى الاستحسان لاقتفائها له فى القرب واكثر صياغة العبارات مصوغة عليها والاطناب كالبعد فى الطريق فتراه متروكا غالبا الا فيما يحتاج اليه من باب الخطب والمواعظ ومقام التوكيد ولكل مقام مقال

بحسب اختلاف الاحوال كما قال قائلهم   يومون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء
(وقال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى) اى الدالات على عظمته تعالى (انحسرت الافهام) جمع فهم وهو عبارة
عن ازالة الوهم المستولى على القلب يقال فهم كذا اذا عقله والمدركات العقول (عن تفصيل ما اوحى) اى اليه اذلا
يحيط به حد ولا يحصيه عد والمراد بتفصيل الشئ بيان اجزائه مفصلة واغرب التلمسانى حيث فسره بالتميز (وتاهت
الاحلام) اى وذهبت العقول متحيرة (فى تعيين تلك الآيات الكبرى) فلم تهتد الى معرفة شئ منها لكثرتها وفى نسخة
فى تعبير تلك الآيات اى تبيينها وتفسيرها والعقل محله القلب لقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها (قال القاضى
ابو الفضل) كذا فى نسخة (واشتملت) اى دلت (هذه الآيات) اى السابقة (على اعلام الله) مصدر مضاف الى فاعله
اى على اخباره سبحانه وتعالى (بتزكية جملته) اى بتطهير ذاته وتنمية صفاته عليه السلام (وعصمتها) اى وبحفظ الله
جملته (من الافات) اى التى تجرى فى الذوات (فى هذا المسرى) بفتح الميم والراء مصدر ميمى او اسم مكان (فزكى فؤاده)
اى مدح الله قلبه (ولسانه وجوارحه) اى اعضاءه التى يكتسب العمل بها وينتسب الفعل اليها والمراد هنا بصره لما
سيجئ فى بيان حصره (فقلبه) وهو تفصيل لما اجمله والظاهر كما فى اصل الدلجى وغيره فزكى قلبه (بقوله تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى) وتقدم ما تعلق به من المعنى (ولسانه بقوله تعالى وما ينطق عن الهوى) اى لا يصدر نطقه عن هواه بل
بوحى من الاله جليا كالكتاب اوخفيا كالسنة وقد تعلق بظاهر الاية من لم يجوز له الاجتهاد وهو بعيد عن طريق السداد
وعن استنباط المعنى المراد واما ما ذكره ابن عطية من ان ضمير ينطق عائد الى القرءآن وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه
اى لا ينطق هذا القرءآن بشهوتكم ومرادكم ونسب النطق اليه من حيث يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا كتابنا
ينطق عليكم بالحق فغير ملائم لمقام المرام (وبصره بقوله تعالى ما زاغ البصر) اى ما مال عما رأه الى ما سواه وعن ابن
عباس رضى الله عنه لم يحول بصره عما رأه الى جهة من الجهات (وما طغى) اى ما تجاوز وما تعدى عن رؤية ما امر
برؤيته غيره فى المقام الاعلى بل تثبت فيه ورأه رؤية صحيحة مستقيمة من غير وجل ودهشة وحيرة هذا وقد بقى الكلام
على بقية الآيات فيما بين ذلك وهو قوله سبحانه وتعالى ذو مرة فاستوى فظاهره ان الضمير فى استوى لجبريل عليه
الصلاة والسلام والكناية بقوله تعالى وهو بالافق الاعلى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عكس الترتيب
فى هذا التركيب ولا يبعد ان يكون الضميران يرجعان الى احدهما والجملة حالية واما جعل الضميرين لله سبحانه وتعالى
فهو غير ظاهر كما لا يخفى ثم قوله تعالى دنا فتدلى اى دنا جبريل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى وزاد فى القرب
وقيل اى دنا محمد من ربه فتدلى واما قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اى مقدارهما بل ادنى فهو كناية عن كمال
القرب فان كان بين الرسولين فلا اشكال وان كان بين الله ورسوله فهو كناية عن المكانة او من الايات المتشابهات وقد
ذكرت بعض الفوائد المتعلقة باوائل سورة النجم فى رسالتى المعمولة للمعراج (وقال تعالى فلا اقسم بالخنس) اى
بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين وهو زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ومجموع
السبعة السيارة نظمت فى قوله   زحل شرى مريخه من شمسه * فتزاهرت بعطارد اقمار
(الجوار الكنس) اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه اى بيته (الى قوله
تعالى وما هو بقول شيطان) وهو كل متمرد من الجن والانس والدواب قاله ابن عباس رضى الله عنه (رجيم)
اى مرجوم ومطرود ومبعد وما بينهما هو قوله سبحانه وتعالى والليل اذا عسعس اى اقبل او ادبر والاول انسب
بقوله تعالى والصبح اذا تنفس اى اسفر قال المصنف (لا اقسم اى اقسم) يعنى على القول بزيادة لا والا فالمعنى فلا عبرة بما
قالوا فى حق القرءآن وفى شأن المنزل عليه بل اقسم اى بما ذكر (انه) اى القرءآن (لقول رسول) اى قاله عن ربه (كريم)
اى مكرم معظم (عند مرسله) وهو الله سبحانه وتعالى (ذى قوة) اى صاحب قوة وقدرة (على تبليغ ما حمله) بتخفيف
الميم على صيغة الفاعل وكذا يجوز بصيغة المفعول مشددا وكذا بصيغة الفاعل على ما ضبطه فى بعض النسخ (من
الوحى) اى مما اوحى اليه من الحق الى الخلق (مكين) اى ذى مكانة ومنزلة علية عارية عن المنقصة فى مرتبته (اى متمكن
المنزلة) اى الجاه ولكون المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذى العرش مكين تلويحا بعظم مكانته ومنزلته وعلو
مرتبته كما اشار اليه المصنف بقوله (من ربه رفيع المحل) بفتح الحاء وجوز كسرها اى على الشان (عنده) اى عنده
سبحانه وتعالى عندية منزهة عن المكان والزمان وقوله تعالى عند ذى العرش متعلق بقوله تعالى ذى قوة او بمكين
(مطاع) اى ذى اطاعة مع كونه صاحب طاعة (ثم) بفتح المثلثة (اى فى السماء) اذ قد بلغ فيها ليلة الاسرآء ملائكة
السماء فاطاعوه اجمع فى ذلك الانباء وقرئ بضم المثلثة فالمراد بها التراخى فى الرتبة (امين) اى مأمون على تحمل
ما اوحى اليه وتبليغ ما انزل عليه ومقبول القول لديه والظرف يحتمل وصله بما بعده وما قبله (قال على بن عيسى)

اى الرمانى النحوى المنسوب الى رمان الفاكهة وبيعه اولقصر الرمان موضع معروف بواسط وهو من اصحاب ابن
دريد مات سنة اربع وثمانين وثلاثمائة وهو صاحب كتاب النكت فى اعجاز القرءآن امام مشهور وفى سائر العلوم وعن
ابن السراج انه تمذهب الى الاعتزال والله تعالى اعلم بالحال (وغيره) اى من ارباب المقال (الرسول الكريم) كان الاولى
ان يقول رسول كريم (هنا) اى فى هذا المقام العظيم (محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الاوصاف) اى المذكورة هنا (بعد)
اى بعد ذكره وفى نسخة تعد بضم منقوطة بنقطتين وفتح عين وتشديد مهملة اى تذكر (على هذا) اى على هذا القول
(له) اى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال غيره) اى غير على بن عيسى وهم الاكثرون من العلماء (هو) اى الرسول
الكريم (جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه) اى بخلاف وما صاحبكم بمجنون فان المراد به محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم باجماع المفسرين وذلك ان المشركين قالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فنفى الله سبحانه
وتعالى عنه ذلك بهذه الاية وبقوله سبحانه وتعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون وقد تمسك بعض المعتزلة وطائفة من اهل
السنة فى تفضيل الملائكة بعده فضائل جبريل عليه الصلاة والسلام واقتصاره على نفى الجنون عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم وضعف بان المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا ام به جنة لا عد فضلهما والموازنة
بينهما (ولقد رأه) اى بالافق المبين (يعنى) اى يريد الحق سبحانه وتعالى بالرائى (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم قيل)
اى نقل عن ابن مسعود وغيره (رأى) اى محمد (ربه) وقدم هذا القول لانه اوفى بالغرض الذى هو مدح الرسول
(وقيل رأى) اى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فقيل ان ذلك اشارة الى رؤيته
اياه عند سدرة المنتهى وقيل انه اشارة الى رؤيته اياه فى غار حراء حين رأه على كرسى بين السماء والارض حسبما ثبت
فى الصحيح (وما هو) اى ليس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (على الغيب) اى على ما يخبر به مما اوحى اليه وغيره من
الامور الغيبية (بظنين) بالظاء المشالة وهو قرآءة ابن كثير وابى عمرو والكسائى (اى بمتهم) يعنى من الظنة وهى التهمة
(ومن قرأه بالضاد فمعناه ماهو ببخيل) اى فى تبليغ رسالته الى عموم امته من الضنة وهى البخل (بالدعاء به) متعلق
ببخيل اى بدعائه الخلق الى الحق وفى رواية كما فى نسخة بالدعاية بالتحتية كالبداية وقيل هى من الادعاء اذا قال فى الحرب
انا فلان كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة حنين انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب (والتذكير بحكمه) اى
وتذكيرهم باحكام ربهم (وبعلمه) يحتمل ان يعود ضميره الى الحكم اى وليس ببخيل بعلم كونه واجبا او مندوبا او حراما
اومكروها اومباحا لهم ويحتمل عوده اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اى ولا يبخل ان يعلمهم اياه كما علمه ولا يكتم شيأ
(وهذه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهذه الآية وهى وما هو على الغيب بظنين على القرائتين صفة لمحمد صلى الله
عليه وسلم (باتفاق) اى من المفسرين اذ لم يقل احد بعود ضميره الى جبريل عليه الصلاة والسلام (وقال تعالى ن)
اسم للحرف اوالحوت واريد به الجنس اوللحوت الذى عليه الارض اوللدواة فان بعض الحيتان يخرج منه شئ اشد
سوادا من الحبر يكتب به وينصر الاول سكونه ورسمه بصورة مسماه ويؤيد الثانى قوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت
وحينئذ فالانسب ان يراد به ذلك الحوت بعينه اوالمراد جنسه الداخل فيه ويقوى الثالث قوله تعالى (والقلم) وهو
ما كتب به اللوح المحفوظ اوما يكتب به مطلقا (وما يسطرون) اى يكتبون والكتبة هم الحفظة كراما كاتبين اوالاعم
والله اعلم (الايات) اى الواردة فى اول السورة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من حسن السيرة والصورة (اقسم
الله تعالى بما اقسم به) الكثيرة فوائده (من عظيم قسمه) اى تعظيما له وتكريما فى تخصيص ذكره (على تنزيه المصطفى) اى
تبرئته وتبعيده (عما غمصته) بمعجمة ومهملة بينهما ميم اى عابه واحتقره (الكفرة به وتكذيبهم له) اى وعلى تكذيبهم
للمجتبى فى قولهم له انه كذاب وساحر ومجنون (وانسه) من باب الافعال اوالتفعيل اى جعله ذا انس بقربه ومستانسا
بحبه (وبسط امله) اى نشر مأموله ومقصوده واكثر له رجاءه فيما شاءه (بقوله محسنا) من باب التفعيل اوالافعال
حال من ضمير ما قبله اى مزينا (خطابه) فى كتابه بقوله (ما انت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم فى الاية ومقول القول
فى الاصل اى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وغيرها والمعنى انهم مجانين حيث قالوا انك لمجنون والحال انك اعقل
العقلاء وافضل العلماء واكمل العرفاء وسيد الانبياء وسند الاصفياء والاولياء (وهذه) اى الحالة العظيمة اوالمنقبة الجسيمة
المأخوذة من قوله آنسه وبسط امله اوالتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله (نهاية المبرة فى المخاطبة) اى غاية الاحسان
والمطاوعة فى المكالمة والمجاوبة (واعلى درجات الاداب فى المحاورة) اى المراجعة والمرادة (ثم) اى بعد ان نزهه وبرأه
عما لا يليق به مما نسبوا اليه (اعلمه بما له عنده من نعيم دائم) اى ابد الآبدين (وثواب غير منقطع) اى غير ممتنع فى زمان
وحين (لا يأخذه عد) اى لا يضبطه عد ولا يحيط به حد (ولا يمتن به عليه) من الامتنان اى ولا يجعله تحت الامتنان
مع ان له المنة فى الاحسان افتعال من المن وهو الاحسان الذى تمن به على غيرك وفى نسخة ولا يمن به عليه يقال من

وامتن عليه اذا عدّ عليه بمعروف اسداه اليه صنعه وقيل الامتنان عدّ الصنيع لاظهار الفضل (فقال وان لك لاجرا غير ممنون) اى غير منقطع او غير ممنون به عليك فانه يعطيك بلا واسطة (ثم اثنى عليه بما منحه) اى اعطاه (من هباته) جمع هبة اى موهوباته وتفضلاته (وهداه اليه) اى ودله عليه والحاصل ان المصنف رحمه الله تعالى جمع بين اقوال المفسرين فى معنى قوله غير ممنون اى غير منقطع وهو قول الاكثر او غير محسوب ولا معدود وهو قول طائفة او غير ممتن به وهو قول ضعيف ذكره الهروى فى غريبه (واكد ذلك) اى الذى يدل على مامنحه (تتميما للتمجيد) من المجد وهو الكرم والعظمة اى تكميلا للتعظيم والتكريم بنسبته اليه (بحرفى التأكيد) وهما ان واللام (فقال وانك لعلى خلق عظيم) قيل استعظمه لفرط احتماله اذى قومه مع مبالغتهم فى عداوتهم وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قيل) اى فى تفسير خلقه العظيم (القرآن) اى مافيه من مكارم الاخلاق ومن ثم قيل هو ما امره الله بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى تفسيره صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وهذا القول هو المروى عن عائشة رضى الله عنها انها لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالت كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه (وقيل الاسلام) وهو المنقول عن ابن عباس والمراد بالاسلام ههنا هو التوحيد الحقيقى والانقياد الظاهرى والباطنى لاوامر الله واحكامه وقضائه وقدره كما قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين (وقيل الطبع الكريم) ولذا كان يخالق الناس بمكارم الاخلاق ويخالطهم بلطفه وارفاقه وهو المنقول عن الماوردى (وقيل ليس لك همة) اى مقصد ونهمة (الا الله) اى الذى بيده كل رحمة ونعمة فكان مع الخلق بقالبه مباينا لهم بقلبه وهذا منسوب الى الجنيد (قال الواسطى اثنى عليه بحسن قبوله) اى اثنى الله على نبيه بقبوله الحسن (وحسن اقباله) اى ذى المنن (لما اسداه اليه من نعمه) اى لما اوصله اليه واولاه من نعمه الظاهرة والباطنة فى دنياه واخراه (وفضله بذلك) اى بما ذكر (على غيره) اى من جميع خلقه (لانه جبله) اى طبعه وخلقه (على ذلك الخلق) وفى نسخة على تلك الخلق فالخلق بمعنى الخصلة او السجية (فسبحان اللطيف) اى بعباده برزق من يشاء (الكريم) اى الذى وسع كرمه كل شئ (المحسن) اى الذى لا يستغنى احد عن احسانه وبره وامتنانه (الجواد) اى الكثير العطاء والجود بالنسبة الى كل موجود (الحميد) الذى يحمده كل احد من مخلوقاته وهو حامد لانبيائه واصفيائه القائمين بوظائف طاعاته وعباداته وفى اصل الدلجى المجيد اى ذى المجد والكرم ففى الحديث القدسى والكلام الانسى وذلك انى جواد ماجد رواه الترمذى والبيهقى (الذى يسر الخير) اى سهله وفى نسخة للخير اى هيأ اهلاله كما قال تعالى فسنيسره لليسرى (وهدى اليه) اى ودله عليه كما قال تعالى وهديناه الى صراط مستقيم (ثم اثنى على فاعله) اى فاعل الخير نحو قوله تعالى انه من عبادنا المخلصين (وجزاه عليه) اى اثابه بما منحه عليه فى الدنيا ووعده بالمزيد فى العقبى بنحو قوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم هذا (سبحانه) اسم للتسبيح بمعنى التنزيه وقد يجعل علماله فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف ثم نصبه بفعل ترك اظهاره ويصدر به الكلام للتنزيه عن السوء والملام فهذا ايضا معنى قوله (سبحانه) بدلا عما قبله (ما اغمر) بالغين المعجمة فميم وراء وفى نسخة ما اعم (نواله) بفتح النون والصيغة للتعجب اى ما اكثر عطاءه (واوسع افضاله) بكسر الهمزة اى بره واحسانه (ثم سلاه) من التسلية وهى التعزية والتهنئة والمعنى ازال عنه ما حزبه من الغم وكربه من الهم (بعد هذا) اى بعد هذا المدح والثناء ووعد البر والعطاء وابعد الدلجى حيث قال اى بعد ما قالوه (عن قولهم) متعلق بسلاه اى عن مقول الكفار فى حقه مما لا يليق بجنابه وهو فى اصل الدلجى متصل بسلاه وقوله بعد هذا (بما وعده به من عقباهم) بضم العين اى من سوء عاقبتهم الذى هو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وفى نسخة من عقابهم اى عذابهم وحجابهم (وتوعدهم) اى وبما اوعدهم وخوفهم (بقوله تعالى فستبصر ويبصرون الثلاث آيات) اى الى قوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين وهو منصوب باعنى او اقرأ ويجوز رفعه وخفضه كما تقدم والضمير فى فستبصر للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى ويبصرون للكفار وهذا الابصار اما فى هذه الدار واما فى دار القرار للابرار وفى دار البوار للفجار والمعنى فسترى او فستعلم ويبصرون بايكم المفتون اى ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما قالوا ليس له معقول اى عقل ما فالمعنى بايكم الفتنة وهى كناية عن الفساد والجنون الذى رموه به او باى الفريقين الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء على هذا ظرفية وخلاصته فى اى فريق منكم الرجل المفتون ثم ختم الله سبحانه وتعالى الاية بوعيدهم ووعد نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم فاوعدهم بقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل

عن سبيله ووعده بقوله تعالى وهو اعلم بالمهتدين فكانه قال هو اعلم بالمجانين على الحقيقة واليقين وهو اعلم بالمهتدين بحيازتهم كمال العقل فى الدين (ثم) اى بعد ان مدحه الله وسلاه متوعدا اياهم (عطف) اى التفت وكر (بعد مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم على ذم عدوه) قيل هو الاخنس بن شريق وكان ثقفيا ملصقا فى قريش والاظهر انه الوليد بن المغيرة ونقل الثعلبى فى تفسيره انه ابو جهل ونسب هذا الى ابن عباس رضى الله عنه ايضا وقيل هو عتبة ابن ربيعة وكثير من المفسرين على ان جميع الصفات التى فى هذه الآيات انما جاءت اجناسا ولم يرد بها رجل بعينه بل المراد ان كل من يكون متصفا بوصف منها فلا تطعه فيها (وذكر سوء خلقه) اى وعلى ذكر سوء خلق عدوه (وعد معايبه) اى وعلى تعداد قبائح مبغضه (متوليا) اى مباشرا بنفسه (ذلك بفضله) اى من غير وجوب شئ عليه (ومنتصرا لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقما لاجله من اعدائه (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى فى كلامه بعد ذلك (بضع عشرة) بسكون الشين وتكسر وروى بعضة عشر (خصلة) بفتح الخاء اى خصلة قبيحة وخلة ذميمة والبضع بفتح الموحدة وبكسر ما بين الثلاث الى التسع وهذا هو المشهور واراد المصنف احدى عشرة خصلة وهذا على قول من يقول بدؤه الواحد ومنتهاه العشرة لانه قطعة من العدد ويجرى فى التذكير والتأنيث مجرى العدد المركب (من خصال الذم فيه) اى من بعض الخصال المذمومة فى عدوه (بقوله فلا تطع المكذبين) تهييج لتصميمه على معاصاتهم (الى قوله تعالى اساطير الاولين) وهو قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اى لو تلين فتدع نهيهم عن الشرك فيميلون ايضا اليك فى بعض ما تدعوهم اليه وذلك ان قريشا قالوا فى بعض الاوقات لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو عظمت آلهتنا العبدنا الهك وعظمناه فنهاه الله عن ذلك بقوله تعالى فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف اى كثير الحلف حقا وباطلا وكفى به زاجرا لمن اعتاد الحلف حيث يخاف عليه من الكذب كما ورد كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع مهين اى ذى مهانة وحقارة وحاصله انه ضعيف وحقير ووزنه فعيل لا مفعول والميم اصلية لا زائدة هماز عياب فى اعراض الناس مشاهدة مغتاب فى حقهم غيبة مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية للفساد والنم مصدر كالنميمة وهو نقل القبائح مناع للخير اى كثير المنع منه فقيل المراد بالخير هو المال فعلى هذا هو وصف بالشح وقيل بل هو على عمومه فى المال وجميع افعال الخير والخصال معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اى دفعه بعنف وشدة بعد ذلك اى بعد ما عد من مثالبه ومعايبه زنيم اى دعى كالوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قيل ان الله سبحانه وتعالى لا يعيب احدا بالانساب ولكن ذكره ليعرف بذلك وما احسن قول حسان

وانت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ان كان ذا مال وبنين علة لما بعده وقرأ حمزة وشعبة بهمزتين فالتقدير ألأن كان ذا مال كثير وبنين متعددة قيل كانوا عشرة وقيل اثنى عشر اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حين تليت عليه والاساطير جمع اسطورة بضم الهمزة كاحدوثة واحاديث وقيل الاساطير جمع اسطار والاسطار جمع سطر بفتح الطاء كذا فى حاشية المنجانى وفى القاموس السطر الصف من الشئ كالكتاب والشجر وغيره وجمعه اسطر وسطور واسطار وجمع الجمع اساطير والخط والكتابة ويحرك فى الكل انتهى واراد الكافر به الاباطيل المنسوبة الى المتقدمين وقائله النضر بن الحارث وسببه انه دخل بلاد فارس وتعلم اخبار رستم وغيره (ثم ختم) اى الله سبحانه (ذلك) اى ما ذكره من مثالب ذلك الشقى (بالوعيد الصادق) وفى نسخة بالوعيد الصدق (بتمام شقائه) اى تعبه او كمال شقاوته (وخاتمة بواره) اى هلاكه ودماره بقوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) اى سنكويه على انفه اهانة له وخص الانف لان السمة عليه ابشع وظهورها اشنع واشيع وقيل اى نجعل على وجهه يوم القيامة سمة سواد تكون منبهة عليه ومعرفة به قبل دخوله النار كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم اومعناه انه يعذب اذ ذاك بنار تجعل على انفه فتكون فيه كالسمة وقيل هذا فى الدنيا وهى كناية عن ضربة يضرب بها وجهه وانفه فتبقى فيه كالسمة قالوا وقد حل ذلك يوم بدر على انف الوليد جراحة ظاهرة وعلامة باهرة وقيل ليس السمة هنا على حقيقتها وانما هى كناية عن شهرته بما يبقى له مذموما ولا يمكنه اخفاؤه كالموسوم بسمة على انفه والخرطوم فى الاصل انما هو للسباع كالفيل واستعمل فى الآية للانسان استعارة واشارة الى انه شبيه بالحيوان صورة وسيرة كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة عن الحضرة وقيل انما عدل عن الانف الى الخرطوم لان الانف محل العز والانفة ولا كذلك الخرطوم لانه محل المذلة والاهانة ولذا قيل الانف فى الانف وقيل الخرطوم الوجه كله وهذا فى الانسان وربما قيل له فى الانف كغيره ومحل الكلام وزبدة المرام فى هذا المقام اى سنجعل له سمة اى علامة على الخرطوم اى انفه اما حسا كضرب انفه بالسيف يوم بدر وبقيت

علامة فى انفه حتى يأنف من انفه اويكون سوادا فى وجهه زائدا عن غيره من الكفار فى القيامة لشدة عناده وعتوه واما معنى كسوه ذكره بالذم والمقت والاشتهار بالشر بحيث لا يخفى ذلك بوجه فيكون ذلك كوسمة على انفه ويمكن تحقق الجميع فى حقه (فكانت نصرة الله له) اى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عدوه (اتم من نصرته) عليه الصلاة والسلام بنفسه (لنفسه) اى فان من كان لله كان الله له (ورده) اى كان رده (تعالى على عدوه ابلغ من رده) صلى الله تعالى عليه وسلم (واثبت فى ديوان مجده) اى فى ديوان كرمه وشرفه وهو بكسر الدال وتفتح والجمع دواوين ودياوين واصله دوانه بالفارسية وذلك ان كسرى امر كتابه ان يجتمعوا فى دار واحدة و يعملوا حساب السواد فى ثلاثة ايام واعجلهم فيه واطلع عليهم لينظر ما يصنعون فنظر اليهم فرأهم يحسبون باسرع ما يمكن و يتسخون كذلك فعجب من كثرة حركتهم فقال اين ديوانه اى هؤلاء مجانين وقيل شياطين ثم قيل فى كل محفل ديوان واول من دون فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه

(الفصل السادس)

(فيما ورد من قوله تعالى فى جهته) اى فى حقه (عليه الصلاة والسلام مورد الشفقة والاكرام) اى مورد الرحمة والكرامة وهو منصوب على المصدرية (قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى لحديث تقدم لى عند ربى عشرة اسماء وذكر منها طه وهو فى حساب العدد المرموز فى ابجد اربعة عشر ايماء الى ان بدر وجهه فى غاية من النور ونهاية من الظهور (وقيل هو اسم لله تعالى) قاله ابن عباس رضى الله عنه ولعله اشارة الى الطاهر والهادى والمعنيان صادقان فى حق الله تعالى ورسوله حقيقة ومجازا وقد قيل المعنى طوبى لمن اهتدى بك (وقيل معناه يارجل) اى فى لغة عك ولعل اصله ياهذا فقلبوا ياءه طاء واقتصروا على ها (وقيل) اى فى معناه (يا انسان) قلبوا او اتوا بهاء السكت كذا ذكره الدلجى ووجهه غير ظاهر مع ان هاء السكت انما يكون ساكنا والاظهر ان اصله يا هذا المراد به الرجل او الانسان (وقيل هى حروف مقطعة) اى يراد بها حروف هجائية بنائية (لمعان) اى موضوعة لمعان ايمائية والله اعلم بمراده بالطريقة القطعية (قال الواسطى اراد يا طاهر) وفى معناه يا طيب (يا هادى) اى اراد بالطاء افتتاح اسم وبالهاء ابتداء اسم (وقيل هو امر من الوطئ) اى بالهمز والهاء كناية عن الارض فامر بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه واصله طأ قلبت همزته هاء اوطأها قلبت همزته الفا واورد عليه كتابتهما على صورة الحرف وكذا على القول بان اصله ياهذا واجيب بانه اكتفى بشطرى الكلمتين وعبر عنهما باسميهما على صورة مسماهما فى رسمهما (اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة) اى فانه شاق عليك (وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) اى لتتعب فى امر العبادة بل المراد به انك تعبد على وجه الراحة فانك انما بعثت بالحنيفية السمحة ثم الشقاء شائع بمعنى التعب ومنه سيد القوم اشقاهم ولعل الحكمة فى عدوله عن تتعب للاشعار بانه انزل عليه ليسعد بحكم الضد ولمراعاة الفواصل الآتية (نزلت) وفى نسخة ونزلت (الآية) اى اول سورة طه (فيما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل) اى حتى تورمت قدماه وذلك لانه قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن ليلة كما رواه الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وروى ايضا عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى حتى تورم قدماه قال فقيل له أتفعل هذا وقد جاءك ان الله تعالى قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا اكون عبدا شكورا (حدثنا) وفى نسخة اخبرنا (القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن) اى ابن على ابن شبرى بشين معجمة مكسورة وباء موحدة ساكنة و بعد الراء مثناة من اسفل احد العلماء الصالحين من رجال الاندلس مات سنة ثلاث وخمسمائة باشبيلية (وغير واحد) اى وكذا حدثنا جمع كثير (عن القاضى ابى الوليد الباجى) بموحدة وجيم هو سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب بن وارث التجيبى القرطبى الذهبى صاحب التصانيف نسب الى باجة مدينة بقرب اشبيلية وقيل هو من باجة القيروان التى ينسب اليها ابو محمد الباجى الحافظ مات بالمدينة سنة اربع وسبعين واربعمائة قيل كان يحضر مجلسه اربعون الف فقيه روى عنه الخطيب وابن عبد البر وهما اكبر منه والحميدى وابو على الصدفى وغيرهم (اجازة) اى من طريق الاجازة (ومن اصله) اى كتابه الذى قرأ فيه على مشايخه (نقلت) فكان فى سنده اجازة ومناولة (قال حدثنا ابو ذر الحافظ) اى المشهور بحفظ الحديث يعنى به الهروى واسمه عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بغين معجمة بن خليفة بن ابراهيم المالكى توفى فى ذى القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة فى الحرم مجاورا فيه وهو منسوب الى الهرة بفتح الهاء والراء مع تخفيفه ودون همز موضع بين مكة

والطائف واما الهرات فموضع بين مكة وعسفان كذا ذكره التلمسانى واما هراة بالكسر بلا همزة فبلدة عظيمة بخراسان قال الحلبى وسمع منه جماعة وروى عنه بالاجازة جماعة منهم الخطيب وابن عبد البر وغيرهما (قال حدثنا ابو محمد الحموى) بفتح المهملة وضم الميم المشددة وكسر الواو وياء نسبة الى جده حمويه وهو عبد الله بن محمد بن حمويه السرخسى توفى سنة احدى وثمانين وثلاثمائة (حدثنا ابراهيم بن خزيم) بضم خاء معجمة وفتح زاى قال التلمسانى هو ابو اسحق ابراهيم بن عثمان بن خزيم (الشاشى) بشينين معجمتين واما الشامى على ما فى بعض النسخ فتصحيف (حدثنا عبد بن حميد) بالتصغير اى ابن نصر القرشى الكشى بكاف وشين له تآليف فى كتاب الله العزيز ومعانيه توفى سنة تسع واربعين ومائتين قال الحلبى هو مصنف المسند وقد قرأت منتخبه بالقاهرة سمع يزيد بن هارون ومحمد بن بشر العبدى وعلى بن عاصم وابن ابى فديك وغيرهم روى عنه مسلم والترمذى وعلق عنه البخارى فى دلائل النبوة من صحيحه فسماه عبد الحميد (حدثنا هاشم بن القاسم) هو ابو النصر يعرف بقيصر التميمى روى عن ابن ابى ذئب وعكرمة وعنه احمد والحارث بن ابى اسامة اخرج له الجماعة توفى سنة سبع ومائتين (عن ابى جعفر) هو محمد بن على بن الحسين بن على ابن ابى طالب هو والد جعفر بن محمد الصادق توفى عام عشرة ومائة وقال الحلبى ابو جعفر هذا اختلف فى اسمه فقيل عيسى بن ابى عيسى بن هامان مروزى كان يتجر الى الرى روى عن عطاء وابن المنكدر وعنه جماعة اخرج له الاربعة (عن الربيع بن انس) هو ولد انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخديمه رضى الله تعالى عنه قال الحلبى الربيع تابعى وهو بفتح الراء بصرى نزل خراسان وروى عن انس وابى العالية وعنه الثورى وابن المبارك قال ابو حاتم صدوق توفى سنة تسع وثلاثين ومائة اخرج له الجماعة (قال كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طأ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الآية) اى الا تذكرة لمن يخشى اى لكن انزلناه موعظة لمن يخاف مخالفة المولى ويتبعه بالطريق الاولى فهذا الحديث اسنده المصنف هنا من تفسير عبد بن حميد عن الربيع بن انس مرسلا ورواه ابن مردويه عن على كرم الله تعالى وجهه موصولا بلفظ لما نزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا لا فقامه كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع اخرى فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام فقال طه اى طأ الارض بقدميك ما انزلنا عليك القرآن لتشقى والحاصل ان هذا التأويل فى طه هو مختار الربيع بن انس ويعزى الى مقاتل ايضا وله تأويلان احدهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتمد اذا صلى على احدى رجليه و يرفع الاخرى تحريا منه صلى الله تعالى عليه وسلم للامور الشاقة ونفورا من الراحة فقيل له طأ الارض برجليك معا ولا تعتمد على قدم واحدة فتتعب بذلك نفسك وهذا التأويل هو الذى تأوله المصنف وثانيهما ان يريد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانت تدعوه مشقة الصلاة الى ان يتروح برفع احدى قدميه وحط الاخرى فقيل له طأ الارض بمعنى لا تلزم نفسك من القيام ما تتعب معه فتضطر الى التروح باحدى قدميك قال المنجبانى وهذا التأويل احسن من التأويل الذى تأوله القاضى والا فالقيام على رجل واحدة لم يثبت فى الشرع انه من جملة التطوعات فيفعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اختيارا دون ان يوجب ذلك موجب من تعب او تورم قدم بل لم يبح ذلك الفقهاء الا للضرورة قلت لا مانع من انه كان فى الشرع من التطوع ثم نسخ ثم قال ومما يستغرب فى هذه الآية ما رواه الفراء فى كتاب معانى القرآن له مسندا عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ان رجلا قرأ بحضرته طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى فقال ابن مسعود اقرأ طه بكسر الطاء والهاء فقال له الرجل يا ابا عبد الرحمن أليس امر امن الوطئ فقال له عبد الله اقرأطه بالكسر فهكذا اقرأنيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لعل روايته كانت بالامالة فيهما وهى لا تنافى كونهما من الوطئ والله اعلم (ولا خفاء بما فى هذا كله) الباء بمعنى فى وعدل اليه حذرا عن التكرار اى فيما ذكر من الآية والحديث (من الاكرام) اى اكرام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحسن المعاملة) اى له صلى الله تعالى عليه وسلم باعلام حسن القيام وهذا ان جعلنا معنى طه طأ الارض كما تقدم فيه الكلام (وان جعلنا طه من اسمائه عليه الصلاة والسلام كما قيل) اى وقد سبق (او جعلت) اى هذه الكلمة (قسما) اى اقسم الله تعالى به (لحق الفصل بما قبله) اى اتصل هذا الفصل بالفصل الذى قبله لانبائه بما اقسم به تعالى تحقيقا لمكانته وافادة نهاية المبرة فى مخاطبته واعلاء درجات الآداب فى محاورته (ومثل هذا) اى ما ذكر من كون طه من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم او مقسما به اوهما وما قبلهما (من نمط الشفقة) اى من نوع المرحمة (والمبرة) لمناسبة بينهما قال الدلجى اذ النمط فى الاصل الجماعة من الناس امرهم واحد وفى الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحقهم التالى ويرجع اليهم العالى انتهى ولا يخفى بعد هذا المعنى فى مقام المرام بل النمط بفتح النون والميم جاء بمعنى الطريق والنوع من الشئ ايضا على ما فى القاموس ويمكن

حل الحديث الذى ذكره عليه ايضا كما لا يخفى وقد قال الحلبى النمط الضرب من الضروب والنوع من الانواع يقال ليس هذا من ذلك النمط اى من ذلك النوع قاله الهروى فى غريبه واخذ منه ابن الاثير وحذف منه بعض شئ (قوله تعالى) خبر لقوله مثل هذا (فلعلك) اى لفرط اعراضهم وتباعدهم عن ما فيه تحصيل جميع اغراضهم (باخع نفسك) اى قاتل نفسك (على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى الجديد ازاله (اسفا) اى حزنا وتأسفا وتلهفا ويجوز بالاضافة كما قرئ فى الآية (لذلك) اى لعدم ايمانهم بالقرآن (غضبا) اى عليهم (اوغيظا) اى فى نفسه (اوجزعا) اى قلة صبر وتحمل والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم شبه لما تداخله من الوجد اسفا على توليهم وتباعدهم عن الايمان بمن فارق اعزته فذهبت نفسه حسرات على آثارهم باخعها وجدا عليهم متلهفا على فراقهم (ومثله) اى مثل فلعلك باخع نفسك مما ورد مورد الشفقة والاكرام بشهادة لعل فانها للاشفاق (قوله تعالى ايضا لعلك باخع نفسك) وقرئ بالاضافة هنا اى اشفق على نفسك ان تقتلها غما (ان لا يكونوا مؤمنين) اى مخافة ان لا يؤمنوا اولئلا يؤمنوا (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى تسلية لشأنه (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) اى دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاصرة على اهل الكفران والطغيان (فظلت) اى صارت (اعناقهم) اى جماعاتهم واشرافهم ورساداتهم (لها خاضعين) اى لتلك الآية منقادين ولا قتضائها خاشعين اولتلك البلية ذليلين خاشعين وهو عطف على الجزاء اعنى ننزل اذلو قيل انزلنا مكانه لصح وقيل اصل الكلام فظلوا لها منقادين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع لان الاعناق لما وصفت بصفة لا تكون حقيقة الا لمن يعقل عوملت معاملة من يعقل فجمعت جمعه (ومن هذا الباب) اى باب الشفقة والاكرام (قوله تعالى فاصدع بما تؤمر) اى فاجهر به واظهره من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهرا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما موصولة وعائدها محذوف اى بما تؤمر به وجوز الدلجى كون ما مصدرية هنا وهو بعيد عن المعنى كما لا يخفى (واعرض عن المشركين) اى اهانة لهم ولا تلتفت الى ما يقولون واغرب التلمسانى حيث فسر اعرض بقوله اترك والغ (الى قوله) تعالى (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) اى فينا اوفى القرآن اوفيك (الى آخر السورة) وهو قوله سبحانه وتعالى انا كفيناك المستهزئين اى دفعنا عنك شرهم بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة نفر فمات كل واحد منهم بنوع من عذابه الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون اى عاقبة امرهم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك اى فافزع اليه بالتسبيح والتحميد وقل تسبيحا مقرونا بالحمد جمعا بين الصفات السلبية والنعوت الثبوتية اوفنزهه عما يقولون من الباطل واحمده على انه هداك الى الحق وكن من الساجدين اى المصلين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت باتفاق المفسرين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم عند موت عثمان بن مظعون اما هو فقد رأى اليقين قال الحجازى ويحتمل ان يكون اشارة الى النصر الذى وعده الله سبحانه وتعالى على الكفار قلت هذا مع مخالفته للاجماع غير مناسب ان تكون النصرة غاية العبادة فان العبادة لا يجوز انفكاكها عن العباد ما دامت الارواح فى الاجساد (وقوله) اى ومنه ايضا قوله (تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية له عما كان يرى من قومه ليقتدى بالرسل المتقدمين عن وقته حيث صبروا على ما كذبوا واوذوا وقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل (الآية) يعنى فحاق بالذين سخروا منهم اى من المستهزئين وقيل من المرسلين ما كانوا به يستهزئون اى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزئون حيث هلكوا لاجله اوفنزل بهم جزاء استهزائهم قيل يجوز ان يكون ضميره راجعا الى الشرع وما ترتب عليه من الثواب وان يكون راجعا الى العذاب والله تعالى اعلم بالصواب واما ما جوزه الحجازى من رجعه الى القرآن فلا يناسبه المقام كما لا يخفى على ارباب المعانى والبيان (قال مكى) سبق ذكره (سلاه) اى الله (تعالى بما ذكره) اى من قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك (وهون عليه ما يلقى) وفى رواية ما يلقاه (من المشركين) اى من فرط الايذاء (واعلمه ان) وفى نسخة انه (من تمادى) اى اصر واستمر (على ذلك يحل به) بضم الحاء اى ينزل به ومنه قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم واما يحل بكسر الحاء فمعناه يجب لكن لا يناسب المقام وان قرئ بهما قوله تعالى فيحل عليكم غضبى (ما حل) اى شئ عظيم نزل او الذى حل (بمن قبله) اى من اعداء الانبياء (ومن هذا) اى الباب وفى نسخة ومثل هذه التسلية (قوله تعالى وان يكذبوك) اى قومك فلا يحزنك تكذيبهم لك (فقد كذبت رسل من قبلك) فكان الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم تأس بمن قبلك من الانبياء فان هذه الانواع التى يعاملك بها قومك من التكذيب وغيره قد كانت موجودة فى سائر الامم قبلك مع انبيائهم عليهم الصلاة والسلام فلست منفردا بهذا وحدك وفيه ايماء الى ان البلية اذا عمت طابت فان اجل ما يخفف عن الانسان حزنه مشاركة غيره له فيه كما قالت الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى
وما يبكون مثل اخى ولكن * اعزى النفس منى بالتأسى

(ومن هذا) اى الباب او القبيل (قوله تعالى كذلك) اى مثل تكذيب قومك لك وقولهم افتراء عليك معلم مجنون (ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا) اى ما جاءهم رسول الا قالوا فى حقه هو (ساحر) اى خداع (او مجنون) اى به جنون واو للتنويع باعتبار قوم دون قوم او وقت دون وقت ولا يبعد ان تكون للشك مشيرا الى تحيرهم فى امره مع الايماء الى المناقضة بين اقوالهم فان الساحر هو العالم وهو لا يكون الا فى كمال العقل والمجنون لا يكون الا خاليا عنه (عزاه الله تعالى) بتشديد الزاى اى حمله على الصبر وسلاه (بما اخبر به عن الامم السالفة) اى عن الجماعات السابقة (ومقالها) اى واقاويل تلك الامم وفى نسخة ومقالتها (لانبيائهم قبله ومحنتهم) اى ابتلائهم وفى نسخة ومحنهم بفتح فسكون وهو مجرور وروهم الحجازى حيث قال بفتح النون اى وبامتحان انبيائهم واختبارهم فى ولائهم عند بلائهم وابتلائهم (بهم) اى بقومهم واقوالهم (وسلاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بذلك) اى بما ذكر من ابتلاء الانبياء (عن محنته) اى بليته عليه الصلاة والسلام (بمثله) اى بنظير ما فعل الامم بالانبياء (من كفار مكة) فى تأذيتهم له (وانه) اى وبانه (ليس اول من لقى ذلك) اى الايذاء من قومه (ثم) اى بعد ان سلاه (طيب نفسه) اى ارضاه (وابان عذره) اى اظهره (بقوله فتول عنهم) اشفاقا عليه بترك معالجتهم (اى اعرض عنهم) اى بعد ما بذلت جهدك فى الدعوة والزمت عليهم الحجة (فما انت بملوم) فى مكالمتهم (اى) حينئذ (فى اداء ما بلغت) اى من الاعلام (وابلاغ ما حملت) بضم حاء وتشديد ميم مكسورة اى كلفت من الاحكام والمعنى فلا تلام فى اعراضك عنهم بعد ما كررت عليهم مبالغا فى تبليغ ما امرت به لهم (ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا (اى اصبر على اذاهم) اى وبقائك فى عناهم (فانك بحيث نراك ونحفظك) وجمع العين لجمع الضمير مبالغة فى كثرة اسباب الحفظ والعصمة (سلاه الله تعالى بهذا) اى بما ذكر (فى آى كثيرة من هذا المعنى) اى كما لا يخفى على حفاظ المبنى

(الفصل السابع)

(فيما اخبره الله تعالى به فى كتابه العزيز) اى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه او الغالب على سائر الكتب بنسخه اياها او النادر فى الوجود لبقائه على صفحات الدهر الى اليوم الموعود (من عظيم قدره) اى مرتبته (وشريف منزلته) اى يشهدان بفضيلته (على الانبياء وحظوة رتبته) بكسر الحاء وضمها وسكون الظاء المعجمة وقد تقدمت ومن بيان لما (فى قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) وكما اختاره المصنف على ظاهره من اخذ الميثاق عليهم بما ذكر اوميثاقهم الذى وثقوه على اممهم (لما آتيتكم) وفى قراءة نافع آتيناكم واللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما شرطية والتقدير لمهما آتيتكم وهو ظاهر قول سيبويه ودخلت اللام عليها كما تدخل على ان اذا كان جوابها قسما نحو قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك او موصولة صلتها ما بعدها والعائد محذوف اى الذى آتيتكموه (من كتاب وحكمة) من لبيان ما (الى قوله) تعالى (من الشاهدين) يعنى ثم جاءكم وهو عطف على صلتها وعائدها محذوف اى جاءكم به رسول مصدق وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم مجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اى الله تعالى للنبيين ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى قبلتم عهدى قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم من الشاهدين على اقراركم وتشاهدكم وفى هذا توكيد عظيم وتعظيم جسيم مع علمه تعالى بانهم لا يدركون زمانه ولا يلحقون مكانه (قال ابو الحسن القابسى) سبق ذكره (اختص الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بفضل) اى بزيادة فضيلة (لم يؤته غيره) اى من فضلاء انبيائه (ابانه به) جملة استئناف اى اظهره الله تعالى بما آتاه من فضله وفى نسخة ضبط ابانة بالمصدر على انه منصوب على العلة اى اظهارا بفضله وكماله واشعارا بعلو شأنه وتمام جماله (وهو ما ذكره فى هذه الآية) اى مما يدل على تلك الابانة (قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحى) اى الى انبيائه (فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا ونعته) اى وذكر له صفته كما فى التوراة والانجيل وغيرهما على ما مر (واخذ عليه) اى على كل نبى (ميثاقه) اى الخاص به وهو (ان ادركه ليؤمنن به) بفتح النونين واليه اشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله حين رأى عمر انه ينظر فى صحيفة من التوراة لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى اى لاجل اخذ الميثاق بذلك والا فكان الامر يقتضى عكس ما هنالك لان اللاحق يكون تابعا للسابق (وقيل ان يبينه) اى اخذ عليه ان يبينه (لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم) وفى نسخة لمن بعده اى وهكذا الى ان يبعث فيؤمنوا به كما بينه سبحانه

وتعالى بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه الآية (وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد) اللام للتقوية وفى نسخة المعاصرين محمدا (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الذين كانوا فى زمانه ولا يخفى ان هذا المعنى لا يصح على القول بانه تعالى اخذ ميثاق النبيين بذلك اذ من قاله لا يجعل الخطاب الالهم وانما يصح عند من قال ميثاق معاصريهم واضافته فى الآية الى النبيين نظر الى انهم هم الذين اخذوه على اممهم وانهم يأخذونه على من بعدهم وهكذا الى ان يبعث فتقدير الآية واذ اخذ الله الميثاق الذى اخذه النبيون على اممهم (قال على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه انه قال موقوفا بكون فى الحكم مرفوعا (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) اى نبيا بعد نبى (الا اخذ عليه العهد فى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه) بفتح ما قبل النون الثقيلة فيهما لافراد الضمير بهما (ويأخذ) بالنصب بفتح الذال عطف على ما دخله اللام ونون التوكيد مرادة كارادتها فى قوله

لا تهين الفقير علك ان تر * كع يوما والدهر قد رفعه

حيث اراد لا تهينن فحذفت لما استقبلها ساكن اى وليأخذن (العهد بذلك على قومه) وفى نسخة برفع يأخذ (ونحوه عن السدى) اى ونحو هذا القول المروى عن على منقول عن السدى (وقتادة) تقدم الكلام على قتادة وانه من اجلاء التابعين وعظماء المفسرين واما السدى فهو بضم السين وتشديد الدال مهملتين كان يجلس فى سدة باب الجامع وهما اثنان كبير وصغير فالكبير هو اسماعيل بن عبد الرحمن بن ابى كريمة السدى الكوفى يروى عن ابن عباس وانس وطائفة وعنه زائدة واسرائيل وابو بكر بن عياش وخلق وهو حسن الحديث اخرج له مسلم والاربعة واما الصغير فهو محمد بن مروان الكوفى روى عن هشام بن عروة والاعمش تركوه واتهمه بعضهم وهو صاحب الكلبى والظاهر ان المراد هنا الاول والله اعلم (فى آى) اى حال كون هذه الآية مندرجة فى ضمن آيات كثيرة (تضمنت فضله) اى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم (من غير وجه واحد) اى بل من وجوه متعددة (قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى بتبليغ الرسالة وتحمل الدعوة الى الامة (ومنك ومن نوح الآية) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وهو تخصيص بعد تعميم تلويحا ببيان فضلهم وزيادة شرفهم فانهم اولوا العزم من الرسل ومشاهير ارباب الشرائع وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعظيما وتكريما وايماء الى تقديم نبوته فى عالم الارواح المشار اليه بقوله كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما شأنه ومؤكدا باليمين برهانه وكرر لبيان وصفه تعظيما لمقامه (وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله تعالى وكيلا) وفى نسخة صحيحة شهيدا وهو الصواب وفيه تلويح الى فضله حيث قدمه على رسله اذ كان يمكن ان يقال كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده اوحينا اليك على نحوه والحاصل انه قدم من جهة الفضل والشان لا من جهة التقدم فى الزمان والواو وان لم تقتض الترتيب لكن العرب تؤثر تقديم المتقدم فى الذكر على المتأخر فى اللفظ واليه اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال عند الصفا ابدأ بما بدأ الله به وحكى الحافظ فى كتاب البيان والتبيين ان عبد بنى الحسحاس لما انشد عمر رضى الله تعالى عنه قوله

هريرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال له عمر لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك (روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وهو بعض خبر هنا ذكره الرشاطى كله فى اقتباس الانوار (انه قال) اى عمر (فى كلام بكى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بنصب النبى على انه مفعول والمعنى رثاه بعد موته من بكيته مخففا ومشددا اى بكيت عليه وذلك حين افاق من غشيته وتحقق عنده موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخطبة ابى بكر وموعظته قائلا بابى انت وامى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم عليه فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك اولى بالحنين عليك حين فارقتهم (فقال) اى عمر (بابى انت وامى) متعلق بمقدر وحذف فابدل من ضميره المتصل ضمير منفصل وحذفت الجملة لظهور المعنى حتى قيل الباء للتعدية وقد يذكر الفعل كقول الصديق فدينا لك بآبائنا وامهاتنا اى افديك بابى وامى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء) اى فى مقام الوجود (وذكرك فى اولهم) اى فى اول بعضهم عند ذكرهم اجمالا اى فى معرض الكرم والجود (فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية) اى على ما سبق (بابى انت وامى) اى افديك بهما مرة بعد اخرى لانك بذلك اولى واحرى (يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده) اى عند الله سبحانه (ان اهل النار يودون) اى يتمنون ويحبون (ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها) اى طبقات النار (يعذبون يقولون يا ليتنا

اطعنا الله واطعنا الرسولا) اى فلم يصبنا هذا العذاب تمنوا حيث لا ينفعهم التمنى من جميع الابواب والرسولا بالالف مرسوم والجمهور على اثباتها وقفا ووصلا ومن جملة ما قال عمر رضى الله تعالى عنه بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله بابى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اخبرك بالعفو قبل ان يخبرك بالذنب فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران اعطاه الله حجرا يتفجر منه الانهار فما ذلك باعجب من اصابعك حين نبع منها الماء صلى الله تعالى عليك وسلم بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان سليمان بن داود اعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فما ذلك باعجب من البراق حين سرت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله تعالى وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم اعطاه الله تعالى احياء الموتى فما ذلك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك فقالت لا تأكلنى فانى مسمومة صلى الله تعالى وسلم عليك بابى انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا وقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى انت وامى يا رسول الله لقد اتبعك فى قلة سنيك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحا فى كثرة سنيه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابى انت وامى يا رسول الله لو لم تجالس الا الاكفاء ما جالستنا ولو لم تنكح الا الى الاكفاء ما نكحت الينا ولو لم تؤاكل الا الاكفاء ما واكلتنا لبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض تواضعا منك صلى الله تعالى عليك وسلم (قال قتادة) اى كما رواه ابن ابى حاتم فى تفسيره وابن لال فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى دلائله عنه مرسلا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كنت اول الانبياء فى الخلق) اى خلق روحه قبل ارواحهم او فى عالم الذر او فى التقدير بكتابته فى اللوح او ظهوره للملائكة (وآخرهم فى البعث) اى لكونه خاتم النبيين (فلذلك) اى فلاجل كونه اولهم خلقا (وقع ذكره مقدما) اى فى الآية السابقة (هنا قبل نوح وغيره) اى من اولى العزم فضلا عن غيرهم قال السهيلى واسم نوح عبد الغفار وسمى نوحا فيما ذكر لكثرة نوحه على نفسه او على قومه (قال السمرقندى) وهو الامام ابو الليث من ائمتنا الجامع بين التفسير والحديث والفقه والتصوف (فى هذا) اى فى ذكر وقوعه مقدما (تفضيل نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم) اى اظهارا للكرم والجود (وهو آخرهم) اى بعثا كما فى نسخة يعنى اى والحال انه آخرهم من جهة البعث والوجود (المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر) وهو صغار النمل والمعنى ان للانبياء ميثاقا خاصا بعد دخولهم فى الميثاق العام المعنى به قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى بتبليغ الرسالة واخص من هذا الميثاق ميثاق الانبياء اصالة واممهم تبعا انه صلى الله عليه وسلم لو فرض انه وجد فى اى زمان من الازمنة لتبعه جميع الانبياء وجميع اممهم من العلماء والاولياء والاصفياء فكانهم تابعون بالقوة وعلى فرض وقوعه بالفعل والحاصل انه تعالى قال للخلق فى عالم الذر بعد قوله لهم ألست بربكم قالوا بلى اعلموا انه لا اله غيرى وانا ربكم فلا تشركوا بى شيئا فانى منتقم ممن اشرك بى وانى مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتبا فقالوا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم فرأى فيهم الغنى والحسن وغيرهما فقال لو سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلب آدم فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه وكان اعطاء الكافرين العهد اذ ذاك وهم كارهون على جهة التقية وقد وردت الاحاديث بهذا من طريق عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام اول من قال بلى فذلك قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وفى قراءة ذريتهم اى اخرج ذريته بعضا من صلب بعض على ما يتوالدون واكتفى بذكر ظهورهم عن ذكر ظهره اذ كلهم بنوه واخرجوا من ظهره واشهدهم على انفسهم اى اشهد بعضهم على بعض واغرب الدلجى فى انه بعد ما ذكر الميثاق على الوجه المسطور المطابق لمذهب اهل السنة المؤيد بالاحاديث النبوية والآثار عن الصحابة مال الى مذهب المعتزلة وتبع الزمخشرى وسائر اهل البدعة حيث قالوا قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى تخييل وتصوير للمعنى اى نصب لهم ادلة ربوبيته واودع عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها فصاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل انتهى والله يهدى من يشاء الى سواء السبيل وفى كتاب القصص لوثيمة ابن الفرات يرفعه الى ابى موسى الاشعرى انه قال لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام قال له يا آدم فقال نعم يا رب قال من خلقك فقال انت يا رب خلقتنى قال فمن ربك قال انت لا اله الا انت قال فآخذ عليك الميثاق بهذا قال نعم

فاخرج الله سبحانه وتعالى الحجر الاسود من الجنة وهو اذ ذاك ابيض ولولا ما سوده المشركون بمسهم اياه لما استشفى به ذو عاهة الا شفى به فقال الله سبحانه وتعالى اسمع بدلا على الحجر بالوفاء ففعل ذلك فامره بالسجود فسجد لله سبحانه وتعالى ثم اخرج من ظهره ذريته فبدأ بالانبياء منهم وبدأ من الانبياء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاخذ عليه العهد كما اخذه على آدم ثم اخذ العهد على الانبياء والرسل كذلك وان يؤمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان ينصروه ان ادركهم زمانه فالتزموا ذلك وشهد به بعضهم على بعض وشهد الله سبحانه وتعالى بذلك على جميعهم واخذ بعد ذلك العهد على سائر بنى آدم فسجدوا كلهم الا الكافرين والمنافقين لم يطيقوا ذلك لصياصى خلقت فى اصلابهم ثم امر الله سبحانه وتعالى آدم فرفع رأسه ونظر الى ذريته فرأى الانبياء والعلماء كالسرج والكواكب فقال يارب من هؤلاء قال هم الانبياء والعلماء من ذريتك فقال يارب ومن هؤلاء الذين اراهم بيض الالوان قال هم اصحاب اليمين وقد اعددت لهم الجنة والكرامة وخلقتهم سعداء قال ومن هؤلاء الذين اراهم سودا قال هم اصحاب الشمال وقد اعددت لهم الهوان وجعلتهم اشقياء فقال يارب لو سويت بين خلقك اجمعين فقال يا آدم خلقت الجنة وجعلت لها اهلا وخلقت النار وجعلت لها اهلا ثم اختلف العلماء فى محل اخذ هذا العهد ففى كتاب الثعلبى انه كان فى السماء وان الله سبحانه وتعالى اخرج آدم من الجنة ولم يهبط الى الارض فاخذ عليه وعلى ذريته العهد هنالك وفى تاريخ الطبرانى ان الله سبحانه وتعالى اهبط آدم من السماء الى نعمان واخذ عليه وعلى ذريته هذا العهد هنالك ونعمان وادى فى طريق الطائف يخرج الى عرفات وهو مفتوح النون ويقال له نعمان الاراك لكثرته به (وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) الاشارة الى من ذكرت قصصهم فى السورة او الى كلهم المعهودين فى العلم واللام استغراقية ثم فصله سبحانه وتعالى بقوله منهم من كلم الله بلا واسطة وهو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فكلم موسى ليلة الحيرة فى الطور ومحمدا ليلة المعراج فى مقام النور حين كان قاب قوسين او ادنى وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله اذ قد كلم الله كما ان الله كلمه ومن ثمة قيل كليم الله بمعنى مكالمه (وقال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى رفعه على سائر الانبياء من وجوه متعددة ومراتب متباعدة ومنها انه خص بالدعوة العامة (لانه بعث) اى بالحجج المتكاثرة والآيات المتعاقبة المتواترة والفضائل العلمية والفواضل العملية (الى الاحمر والاسود) اى العرب والعجم لغلبة الحمرة والبياض على الوان العجم والادمة والسمرة على الوان العرب وقيل الجن والانس (واحلت له الغنائم) اى ولم تحل لاحد قبله (وظهرت على يديه المعجزات) اى الكثيرة (وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة) اى خصلة حميدة (او كرامة) اى خارقة عادة (الا وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها) اى مثل تلك الفضيلة او الكرامة بل مع الزيادة لكن جنسا لا نوعا كانشقاق القمر فى مقابلة انفلاق البحر لموسى عليه السلام وغير ذلك مما لا يعد ولا يحصى قيل وفى ابهام درجات تفخيم لجلال شانه وتعظيم لعلى برهانه اذ هو العلم المعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين عند ارباب اليقين (قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم) اى كيا آدم ويا نوح ويا ابراهيم ويا موسى ويا عيسى (وخاطبه بالنبوة والرسالة فى كتابه) اى كلامه القديم وخطابه العظيم (فقال يا ايها النبى ويا ايها الرسول) بل وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا (وحكى السمرقندى عن الكلبى) هو ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى توفى فى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله تعالى عنه وهى سنة اربع وثمانين ومائة كذا ذكره التلمسانى (فى قوله تعالى وان من شيعته) اى اتباعه (لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ان من شيعة محمد لابراهيم اى على دينه ومنهاجه (واختاره الفراء) اى طريقه الواضح بروى واجازه الفراء (وحكاه عنه مكى) ونسبه بعضهم الى الكسائى ايضا فكأن الله اخبر ابراهيم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فآمن به وتابعه فى دينه وعود الضمير على غير متقدم لفظا شائع سائغ كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب وانما جعل منها لتقدمه عليه خلقا ونبوة كما يدل عليه حديث انه حيث سئل متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية وآدم منجدل فى طينته وهذا اولى مما قيل فى جواب الاشكال الوارد من ان المتعارف هو ان المتأخر فى الزمان هو الذى يكون من شيعة المتقدم لكن قد جاء عن العرب عكس ذلك ومالى الا آل احمد شيعة والسبب فى هذا ان من كنت على منهاجه ودينه فقد كان على منهاجك سواء تقدم او تقدمت (وقيل المراد نوح) ويروى على نوح (عليه الصلاة والسلام) وهو قول اكثر المفسرين كما هو الظاهر المتبادر من حيث تقدم مرجعه فابراهيم ممن شايع فى دينه لاتفاق شرعهما فى الفروع غالبا وان كان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة ونبيان هود وصالح عليهما الصلاة والسلام كذا ذكره الدلجى

(الفصل الثامن)

(فى اعلام الله تعالى خلقه) اى مخلوقه (بصلاته عليه وولايته) بكسر الواو وقد يفتح وبهما قرئ قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ والكسر قراءة حمزة من السبعة فتلحين الاصمعى قراءة الاعمش فى هذه الآية بكسر الواو خطأ ظاهر وقوله ان الولاية بالكسر انما هى فى الامارة والسلطان ونحوهما بصيغة الحصر مدفوع ولو سلم فالكسر مشترك فى المعنيين والله اعلم وقيل بالفتح بمعنى النصرة وبالكسر تولى الامر اى موالاته ونصرته له (ودفعه) مصدر مضاف الى فاعله اى ودفع الله (العذاب بسببه) اى من اجله وجهته وفى نسخة رفعه بالراء واختاره الحلبى وهو تصحيف فى مبناه وتحريف فى معناه اذ الرفع لا يستعمل الا بعد الوقوع ولذا قيل الدفع اهون من الرفع (قال الله تعالى) اى حين قال الكفار مبالغة فى الانكار اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) بيان لما كان موجبا لامهالهم مع علم الله سبحانه وتعالى باقوالهم وافعالهم (اى ما كنت بمكة) اى مدة كونك فيها اذ جرت سنته تعالى ان لا يعذب قوما عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم ومن ثمة كان العذاب اذا نزل بقوم امر نبيهم بالخروج بمن امن وفيه تلويح بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر (فلما خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة) اى مهاجرا الى المدينة (وبقى فيها من بقى من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهو اما بمعنى وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر من المؤمنين ممن تخلف عن رسول الله من المستضعفين او بمعنى نفى الاستغفار اى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وعن الحسن ان الآية منسوخة بقوله وما لهم ان لا يعذبهم الله والظاهر ان لا تنافى بينهما اذ النفى منصب على عذاب الاستئصال والاثبات محمول على غيره من الاسر والقتل وانواع الخزى والنكال قال المنجانى وهذا التأويل قال به جماعة من المفسرين منهم ابن عباس والضحاك ومقتضاه ان الضمير فى قوله سبحانه معذبهم عائد على كفار مكة والضمير فى قوله تعالى وهم يستغفرون عائد على المؤمنين الباقين بمكة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى وما كان الله ليعذب الكافرين والمؤمنون يستغفرون بينهم فتكون الآية على هذا النحو من قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية وقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا الآية ايضا وعلى هذا التأويل فالمؤمنون مفهومون من سياق الكلام والا فلم يتقدم لهم ذكر فى الآية واما التأويل الثانى الذى ذكره القاضى فى هذه الآية بقوله (وهذا مثل قوله تعالى لو تزيلوا الآية) اى وما ذكر مما دل على امهالهم وتأخير العذاب فى آجالهم لاجل من فيها من المؤمنين وتحسين اعمالهم واقوالهم مثل قوله سبحانه وتعالى لو تزيلوا اى لو تفرقوا وتميز المؤمنون من الكافرين لعذبنا الذين كفروا منهم اى من اهل مكة عذابا اليما بالقتل والاسر (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ولولا رجال مؤمنون الآية) اى ونساء مؤمنات بمكة لم تعلموهم اى باعيانهم لاختلاطهم باهل كفرهم وطغيانهم ان تطؤوهم بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم فى تعلموهم اى ان تدوسوهم فتهلكوهم ومنه الحديث آخر وطأة وطئها الله بوج واد بالطائف فتصيبكم منهم معرة من عرة اذا غشيه بمكروه اى فيغشاكم من جهتهم مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار لكم به والاثم بتقصيركم فى البحث عنهم بغير علم حال اى ان تطؤوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا مؤمنين ومؤمنات بين اظهر الكفار جاهلين بهم فيصيبكم مكروه باهلاكهم لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء علة لما دل عليه كف الايدى عنهم صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك لاجل ان يدخل الله فى رحمته من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم او منهما بتوفيقه للاسلام او لزيادة الخير والانعام (فلما هاجر المؤمنون) اى من مكة (نزل وما لهم ان لا يعذبهم الله) اى وما يمنع من تعذيبهم بعد ان فارقتم والمؤمنون وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون (وهذا) اى ما ذكر من دلالة الآية على تأخير العذاب عنهم وهو فيهم (من ابين ما يظهر مكانته) اى من اظهر دليل يبين علو مرتبته ورفعة شانه وعظمته (صلى الله تعالى عليه وسلم) لكل احد عند ربه (ودرأته) وقع بخط بعض الاكابر هنا درأ به على انه فعل ماض وجار ومجرور اى دفع به والظاهر انه تصحيف والصواب انه بكسر الدال المهملة وسكون الراء وهمز وتاء اى ومن ابين ما يظهر دفعه سبحانه (العذاب عن اهل مكة بسبب كونه) اى وجوده المتضمن لكرمه وجوده فيهم لانه بعث رحمة للعالمين (ثم كون اصحابه) بجر الكون عطفا على ما تقدم (بعده بين اظهرهم) اى بينهم وفى جوارهم فلفظ اظهرهم مقحم للمبالغة (فلما خلت مكة منهم عذبهم) اى الله كما فى نسخة (بتسليط المؤمنين عليهم) اى بتسليط رسوله اياهم وابعد التلمسانى حيث فسر التسليط بالقهر (وغلبتهم اياهم وحكم

فيهم سيوفهم) بتشديد الكاف المفتوحة اى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حكما فيهم حدا وصفعاقة لا وقطعا
واسرا (واورثهم ارضهم) اى مزارعهم (وديارهم) اى بيوتهم وحصونهم ومعاقلهم (واموالهم) اى نقدهم واثاثهم
ومواشيهم روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال لهم ان لكم
منازلكم وروى انه قال لهم اما ترضون ان الناس يرجعون بالاموال الى بلادهم وانتم ترجعون برسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الى اهليكم وقال عمر رضى الله تعالى عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى
طعمة وهذا صريح بان مكة فتحت عنوة وعليه الامام ابو حنيفة والاكثرون من اهل العلم وعن الامام الشافعى انها
فتحت صلحا ومن ثمة كان يجيز اجارة دورها وبيعها بدليل حديث وهل ترك لنا عقيل من رباع لكن لا يخفى بعد وجه
الاستدلال به وابعد من قال فتح اعلاها صلحا واسفلها عنوة (وفى الاية) اى آية وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون (ايضا تأويل آخر) وهو ان الضميرين راجعان الى الكفار فيحتمل ان يكون وهم يستغفرون فى موضع
الحال بتقدير ان لو كان اى وما كان الله معذبهم وهم بحال توبة واستغفار من كفرهم لو وقع منهم واختاره الطبرى وان
يكون اشارة الى من سبق فى علم الله انه يؤمن منهم او من ذريتهم اى وما كان الله معذبهم ومنهم من يخرج فيستغفر الله
ويؤمن به واختاره الزجاج وان يكون اشارة الى قولهم فى دعائهم غفرانك اللهم فجعله الله كما قال ابن عطية امانا لهم
من عذاب الدنيا كما قرره الدلجى والاظهر ما حرره المنجانى من ان التأويل الآخر الذى ذكره القاضى فى هذه الآية
مبنى على ان الضميرين معا عائدان على المؤمنين لما اسنده القاضى من الحديث ليبينه به وهو قوله (حدثنا القاضى
الشهيد ابو على رحمه الله بقراءتى عليه) وهو الحافظ ابن سكرة كما سبق (حدثنا ابو الفضل ابن خيرون)
بالصرف وعدمه فعلون من الخير ضد الشر وقد تقدم ذكره (وابو الحسين) بالتصغير على الصحيح (الصيرفى) وهو المبارك
ابن عبد الجبار وتقدم ترجمته (قالا) اى ابو الفضل وابو الحسين كلاهما (حدثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) بضم حاء مهملة
وتشديد راء وقد سبق (حدثنا ابو على السنجى) تقدم انه بكسر السين المهملة وسكون النون فجيم فياء نسبة
(حدثنا محمد بن احمد بن محبوب المروزى) بفتح الميم والواو نسبة الى مرو وهو ابو العباس راوى جامع الترمذى
كما سبق (حدثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب السنن (حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح يروى
عن ابيه ومطلب بن زياد وعنه الترمذى وابن ماجه شيخ صدوق الا انه ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم
فى ذلك فلم يرجع مات سنة سبع وتسعين ومائة (حدثنا ابن نمير) بضم نون وفتح ميم وسكون ياء فراء يكنى
اباعبد الرحمن الهمدانى الكوفى واسمه عبد الله يروى عن هشام بن عروة والاعمش وعنه ابنه واحمد وابن معين حجة
اخرج له الجماعة مات سنة اربع وثلاثين ومائتين (عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر) بكسر الجيم وهو
ابو بشر الاسدى مولاهم البصرى يروى عن ابيه وعدة وعنه ابو نعيم وطلق بن غنام ضعيف اخرج له الترمذى
وابن ماجه (عن عباد بن يوسف) بفتح عين مهملة وتشديد موحدة وهو ابو عثمان الكندى ثقة وقيل ابن سعيد
وقيل هو عبادة بن يوسف والاول اصح بصرى ثقة روى عن ابى بردة وروى عنه اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر
كذا ذكره التلمسانى واضطرب كلام الحلبى فيه (عن ابى بردة) بضم الموحدة والصحيح ان اسمه عامر وهو قاضى
الكوفة (ابن ابى موسى) يروى عن ابيه وعن على والزبير وعنه بنوه عبد الله ويوسف وسعيد وبلال وحفيده بريد
ابن عبد الله وكان من النبلاء توفى سنة اربع ومائة اخرج له الجماعة (عن ابيه) وهو ابو موسى الاشعرى عبد الله
ابن قيس بن سليم بضم ففتح امير زبيد وعدن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامير البصرة والكوفة لعمر رضى الله
تعالى عنهما روى عنه بنوه ابو بردة وابو بكر وابراهيم وموسى مناقبه جمة توفى سنة اربع واربعين اخرج له الجماعة
والحديث الذى اخرجه المؤلف هنا انفرد الترمذى باخراجه من بين الستة ذكره فى التفسير وقال غريب واسماعيل
يضعف فى الحديث انتهى ويقويه انه رواه ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا وابو الشيخ نحوه عن
ابى هريرة رضى الله عنه موقوفا ايضا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزل الله على امانين لامتى) يحتمل
امة الاجابة وهو ظاهر الآية ويحتمل امة الدعوة وهو الملائم لعموم الرحمة بالامنة (وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم) وهذه الامنة ظاهرة فى عمومهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وهذه الامنة لا يحة لخصوصهم ويؤيده
قوله (فاذا مضيت) اى انتقلت من دار الاكدار الى دار القرار (تركت فيكم الاستغفار) اى فعليكم بالاكثار منه
فى الليل والنهار ولا يبعد ان يكون الاستغفار من الابرار سببا وباعثا لدفع عذاب الاستئصال عن الكفار ويؤيده قوله
(ونحو منه) اى من هذا الحديث فى المعنى (قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لانه ما بعث به سبب
لاسعادهم وموجب لاصلاح معاشهم ومعادهم وكونه رحمة للكفار واهل فسادهم امنهم به من الخسف والمسخ

وعذاب الاستئصال فى بلادهم (قال عليه الصلاة والسلام انا امان لاصحابى) وفى لفظ انا امنة لاصحابى وهو حديث
صحيح رواه مسلم عن سعيد بن بردة عن ابيه عن ابى موسى قال صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلنا
لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء فخرج علينا فقال ما زلتم هنا قلنا نعم فقال احسنتم او اصبتم قال فرفع رأسه
الى السماء وكان كثيرا ما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم امنة للسماء فاذا ذهبت النجوم اتى السماء ما توعد وانا امنة
لاصحابى فاذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون قال المنجانى وفى لفظ هذا الحديث امنة وفى الحديث الذى ذكره
القاضى امان ولعلهما روايتان فى الحديث اقول او نقل القاضى بالمعنى مع قرب المبنى اذ الامنة بضم الهمزة والميم
والامن والامان بمعنى واحد على ما ذكره المنجانى والظاهر انه بفتحهما على ما فى القاموس هذا ولعله صلى الله
تعالى عليه وسلم اراد بذهاب النجوم انتثارها لقوله تعالى واذا الكواكب انتثرت وباتيان السماء ما توعد انفطارها
وتبديلها كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وباتيان اصحابه ما يوعدون ما انذرهم به من
الفتن والارتداد وباتيان امته ما يوعدون ما اخبرهم به من ظهور البدع واختلاف الآراء والهرج وغلبة الروم
وتخريب الكعبة وغير ذلك مما وقع اكثره وبقى ما لا بد من وقوعه وبكونه امانا لاصحابه (قيل من البدع
فلم يكن منهم من ارتكب بدعة بشهادة حديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وقيل من الاختلاف والفتن)
قال الدلجى وفيه ما فيه لكن يلزمنا الكف عما جرى بينهم بصدوره منهم اجتهادا تأويلات صحيحة للمصيب اجران
على اجتهاده واصابته وللمخطئ اجر على اجتهاده بشهادة حديث الشيخين ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجران واذا
اجتهد فاخطأ فله اجر واحد انتهى وفيه ما فيه لان ما جرى بينهم ما جرى منهم الا بعد غيبته صلى الله تعالى عليه وسلم
عنهم وارتفاع الامان منهم وليس معنى قوله امان لاصحابى انهم فى امن من الفتنة الى آخر اعمارهم بل مقيد بمدة
كونه فيهم ولذا قال واذا ذهبت اتى اصحابى ما يوعدون (قال بعضهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم هو الامان
الاعظم) اى لا غيره وان كان اصحابه ايضا امانا (ما عاش وما دامت سنته) اى المستمرة المعتادة له (باقية) اى ثابتة
موجودة وهى بالنصب خبر دام وما شرطية جزاؤها قوله (فهو باق) اى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم باق حكما لبقاء
حكمه فى امته (فاذا اميتت سنته) اى عدمت وفنيت وتركت ولم يعمل بها او عمل بخلافها (فانتظر البلاء والفتن)
الخطاب عام لما فى نسخة فانتظروا البلاء وكان الاولى ان يقال فينتظر البلاء والفتن اى المحن الدنيوية والفتن الدينية
وقيل المعنى فاذا اميتت سنته بموت اهلها فانتظر والبلاء والفتن بدليل حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه
من الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عامل او لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا
واضلوا (وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية) تقدم بعض الكلام عليها (ابان الله تعالى) اى اظهر
وبين (فضل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بصلاته عليه) اى اولا تعظيما (ثم بصلاة ملائكته) اى ثانيا تكريما
(وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه) اى بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وفى نسخة وامر
عباده بالجر والاضافة عطفا على صلاته اى وبامر عباده بهما عليه ثالثا بان يقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
الخ على ما ورد فى حديث الصلاة او بان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته كما فى حديث التشهد وذلك
يدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة كما ذكر لحديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على فدخل
النار فابعده الله وجوز الصلاة على غير ملك ونبى تبعا ويكره استقلالا لكونها فى العرف شعار الذكر الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ومن ثمة كره محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا وقيل المراد بالتسليم هو الانقياد لا وامره (فالصلاة)
اى مطلقا (من الملائكة ومنا) اى بنى آدم (له دعاء) لحديث اذا دعى احدكم الى طعام فليجب وان كان صائما فليصل اى
فليدع ووقع فى شرح الدلجى من الملائكة استغفار وهو الملائم لقوله ويستغفرون للذين آمنوا والظاهر ان الاستغفار
على ظاهره وقوله تعالى ويستغفرون لمن فى الارض عام اريد به خصوص المؤمنين اذ لا يجوز الاستغفار للكافرين
الا بقصد طلب ايمانهم المستلزم استحقاق المغفرة فى شأنهم وقال الدلجى اى بسعيهم فيما يستدعى المغفرة من شفاعة
والهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر وحيث خص به صلى الله عليه وسلم
فالمراد به السعى فيما يليق بجنابه (ومن الله تعالى رحمة) اى رحمة عظيمة او رحمة خاصة جسيمة والمراد من الرحمة
الاحسان وارادة الانعام لاستحالة معناها الذى هو رقة القلب فى حق الرب سبحانه وتعالى (وقيل يصلون) اى
معناه (يباركون) من البركة وهى كثرة الخير اى يكثرونه ويزيدونه عليه ذكره الدلجى والظاهر ان معنى يباركون
يدعون له بالبركة فى ذاته وصفاته واهل بيته واتباعه من امته وحيث كانت المغايرة ظاهرة بين الصلاة والبركة
قال المصنف (وقد فرق النبى صلى الله عليه وسلم حين علم) اى اصحابه (الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة) فى حديث

قد امرنا ان نصلى عليك فكيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد والاظهر ان يراد بقوله يصلون يعظمون ويثنون عليه ليشمل جميع الالفاظ الواردة التى من جملتها الترحم ونحوه (وسنذكر حكم الصلاة عليه) اى هل هو فرض اوسنة وهل هو فرض عين اوكفاية ومايتعلق بالمسئلة من الفروع والادلة (وقد حكى ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل منصرف امام جليل فقهاواصولا وكلاما ونحوا ووعظا مع جلالة وورع زائد ومهابة وهو اصبهانى ومات شهيدا بالسم فى سنة ست واربعمائة ونقل الى نيسابور ودفن بها قال ابن عبد الغفار يستجاب الدعاء عنده (ان بعض العلماء تأول) اى فسر (قوله عليه السلام وجعلت قرة عينى فى الصلاة على هذا) اى على هذا المعنى (اى فى صلاة الله على وملائكته وامره الامة بذلك) اى بالصلاة عليه كما فى نسخة (الى يوم القيامة) واعلم ان قوله وقد حكى الى هنا لم يثبت فى الاصل الذى هو خط المؤلف القاضى وثبت فى الاصل المروى عن ابى العباس الغرقى ثم اعلم ان القرة بمعنى السرور والفرحة واصلها من القر بمعنى البرد يقال اقر الله عينه اى ابرد الله دمعته لان دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ثم اكثر الاقوال واظهرها انها الصلاة الشرعية لما فيها من المناجاة وكشف المعارف وشرح الصدر وسيأتى الكلام بعد ان شاء الله تعالى (وذكر بعض المتكلمين) اى من المفسرين (فى تفسير حروف كهيعص) اى انها مأخوذة من كفاية الله وهدايته وتأييده وعصمته وصلاته عليه فزعم (ان الكاف من كافى) اسم فاعل من كفى يكفى (اى كفاية الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام قال) اى الله سبحانه وتعالى (أليس الله بكاف عبده) واستفهامه لانكار النفى مبالغة فى اثبات كفايته له والمراد بعبده عبده الخاص وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فالاضافة شخصية او المراد به الفرد الاكمل والاضافة للجنس او المراد جميع عباده او خواصهم من انبيائه واوليائه وينصره قراءة حمزة والكسائى عباده بلفظ الجمع وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل فيهم دخولا اوليا وقيل فى الكاف اشارة الى انه الكافى فى الانعام والانتقام لعموم الانام وقيل الكاف اشارة الى انه الكاتب على نفسه الرحمة (والهاء) بالنصب ويجوز رفعه (هدايته له) اى هداية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وكان الانسب ان يقال والهاء من هادى اى هدايته له (قال ويهديك صراطا مستقيما) اى يدلك بلطفه الى طريق دينه او الى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة (والياء تأييده له قال وايدك بنصره) اى قواك بنصرته على اعدائك والاولى ان يقال الياء اشارة الى قوله تعالى يد الله فوق ايديهم او ايماء الى يسر المنحة بعد عسر المحنة او الى يده المبسوطة بالرحمة على نبى هذه الامة اصالة وعلى اتباعه تبعية لئلا يرد عليه ماذكره الحجازى من ان صاحب هذا القول ان اراد ان هذه حروف اخذت من اوائل هذه المصادر على ماتقدم من اقتصار العرب على اول حرف من الكلمة فان لفظ التأييد ينقض عليه لان فاءه همزة لا ياء وانما الياء عينها وان اراد انها احرف اخذت من هذه المصادر سواء كان كل حرف منها فاء الكلمة او عينها فهو قول خارج عن القياس الصناعى (والعين عصمته له قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) او اشارة الى علمه بحاله فى سره وجهره قال عز وعلا والله عليم بذات الصدور (والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى يثنون شانه ويعظمون برهانه او ايماء الى اسمه الصادق فى وعده والصبور فى وعيده ثم اعلم ان اوائل السور على القول المعتبر من المتشابه الذى لا يعلم حقيقته والمراد به الا الله سبحانه وتعالى وقيل اشارة للاعجاز بالقرآن وقيل اشارة لاسماء الله وقيل لاسماء رسوله وقيل بيان لمدة الامة المحمدية وجملة ذلك ثلاثون سنة ومائتان واربعة آلاف وان اسقط المكرر فتسعمائة وثلاثة وهو الاقرب لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعث فى الالف السابعة وروى جعفر بن عبد الواحد القاضى حديثا يرفعه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الاخرة وان اساءت فنصف يوم وذلك خمسمائة وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت فى آخرها الفا وهو ضعيف وروى موقوفا عن ابن عباس رضى الله عنهما الدنيا سبعة ايام كل يوم منها الف سنة وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر يوم منها ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين يعنى الوسطى والسبابة وقد ورد عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه كان يقول فى دعائه اغفر لى يا كهيعص فيحتمل ان يكون كهيعص عند على رضى الله عنه اسما لله بجملتها ويحتمل ان يريد نداء الله سبحانه وتعالى بجميع اسمائه التى تضمنتها كهيعص من كاف وهاء ونحو ذلك (وقال وان تظاهرا) وقرأ الكوفيون بالتخفيف والخطاب لعائشة وحفصة رضى الله تعالى عنهما اى وان تتعاونا (عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمكر والحيلة فى قضية مارية والغل لديه وبسائر ما يسوءه فانه لن يضره وان يعدم من ينصره (فان الله هو مولاه الاية اى وليه) يعنى ناصره ومتولى امره فيما اولاه (وجبريل) هو رسول الحق اليه

بعينه فيما هو عليه (وصالح المؤمنين قيل الانبياء) يعنى والمرسلون (وقيل الملائكة) اى المقربون فيكون تعميما بعد تخصيص لكن فيه انه يتكرر مع قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير اى متظاهرون عليه (وقيل ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى وامثالهما من اكابر الصحابة لما ذكرنا لما وردى انهم اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقيل على رضى الله عنه) اى ونحوه من اهل البيت واقاربه (وقيل المؤمنون) اى جميعهم (على ظاهره) بناء على ان كل مؤمن بظاهره صالح والاظهر ان يقال المراد وصالح المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين والخلفاء الراشدين وسائر الصحابة من السابقين واللاحقين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وصالح يغير واو وهو مفرد او جمع حذف منه الواو لفظا لحذف رسما واما تعليل التلمسانى بقوله وسره دلالة السرعة فى النصرة لان مدة الواو تفيد مدا وبعدا ولا كذلك حذفها فهو فى غاية البعد هذا وان صح حديث ابن مسعود ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هم ابو بكر وعمر كان بينة صدق لكونهما المراد به فى القول الصدق او ذكرهما مثلا والمراد به امثالهما والله تعالى اعلم بكتابه ورسوله ببيان خطابه وقد ورد عن على بن ابى طالب كرم الله تعالى وجهه انه كان يقول فى دعائه اغفر لى يا كهيعص كما سبق ثم اعلم انه ورد فى صحيح البخارى ان ابن عباس رضى الله عنهما قال مكثت اريد ان اسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن آية سنة فما استطيع ان اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت له حتى فرغ ثم سرت معه فقلت له يا امير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ازواجه قال تلك حفصة وعائشة رضى الله تعالى عنهما قال فقلت والله انى كنت لاريد ان اسألك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندى منه علما فاسألنى فان كان لى علم اخبرتك به هذا وذهبت طائفة من العلماء الى ان ذلك كان فى قضية مارية القبطية وذلك ان المقوقس اهداها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سرية فلما كان فى بعض الايام وهو يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية فواقعها فجاءت حفصة فوجدتهما فاقامت خارج البيت حتى اخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مارية وذهبت فدخلت حفصة غيرى متغيرة فقالت يا رسول الله اما كان فى نسائك اهون عليك منى أفى بيتى وفراشى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرضيا لها ايرضيك ان احرمها فقالت نعم قال فانى قد حرمتها ثم قال لا تخبرى بهذا احدا وخرج عنها فقرعت الجدار الذى بينها وبين عائشة واخبرتها بذلك لتسرها ولم تر فى افشائه لها حرجا واستكتمتها ذلك فنزلت الاية وهى قوله تعالى واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا الى قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه واختلفوا هل حرمها بيمين اولا على قولين فقال قتادة والحسن والشعبى حرمها بيمين وقال غيرهم لم يحرمها بيمين وروى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وذهبت طائفة الى ان تظاهرهما عليه انما كان فى قصة شربه صلى الله تعالى عليه وسلم العسل فى بيت زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمكث عندها فتسقيه عسلا قالت عائشة رضى الله عنها فتواطأت اوقالت فتواصيت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلتقل انى اجد منك ريح مغافير أواكلت مغافير وهو شجر كريه الرائحة فدخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على احداهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له واستكتمها ذلك فاخبرت به عائشة فنزلت يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك يعنى العسل لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولن اعود له الى قوله سبحانه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه الاية والوجه الاول هو قول اكثر العلماء وروى مرسلا عن زيد بن اسلم من طرق صحاح رواه ابن وهب عن مالك رضى الله عنه قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم رضى الله عنهما فقال هى حرام فانزل الله فى ذلك سورة التحريم واما الوجه الثانى فبه تواردت الاحاديث الصحيحة واخرجه البخارى عن عبيد بن عمير عن عائشة رضى الله عنها بنحو ما سبق وقال فيه انه شرب عند زينب كما تقدم وجاء فى صحيح مسلم انه شربه عند حفصة وان اللتين تظاهرتا عليه هما عائشة وسودة رضى الله تعالى عنهن واكثر المحدثين على ما فى البخارى والله سبحانه وتعالى اعلم

(الفصل التاسع)

(فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم) اعلم ان سورة الفتح نزلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منصرفه من الحديبية سنة ست من الهجرة وهو متوجه الى المدينة فهى على هذا فى حكم المدنى وقد قيل بل نزلت بالمدينة ولعل بعضها نزل بها وقد ثبت فى فضلها حديث لقد انزل الله على سورة هى احب الى مما طلعت عليه الشمس اى شمس الوجود (قال الله تعالى انا فتحنا) اى بعظمتنا (لك) اى لا لغيرك او لاجلك (فتحا مبينا) اى ظاهرا

(الى قوله يد الله فوق ايديهم) ومعناه قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وكثير من السلف وبعض الخلف
على ان الله سبحانه وتعالى يدا لا بمعنى الجارحة بل انها صفة له تعالى على وجه يليق بذاته وكذا قالوا فى الاستواء
وسائر آيات المتشابه واحاديث الصفات ثم ما بينهما ما سيأتى مبينا وفى اثناء الكلام معينا وقد اختلف فى هذا الفتح
فقال كثيرون هذا هو ما اتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الحديبية من التيسير واللطف وذلك ان
المشركين كانوا اذ ذاك اقوى من المسلمين فيسر الله سبحانه ان وقعت بينه وبينهم المصالحة ريثما يتقوى صلى الله
تعالى عليه وسلم واتفق له بعد ذلك بيعة الرضوان وهى الفتح الاعظم واستقبل صلى الله تعالى عليه وسلم فتح خيبر
فامتلأت ايدى اصحابه خيرا ولم يشترك فيه مع اهل الحديبية احد ممن تخلف منهم ثم ما وقع فى ذلك الوقت من الملحمة
التى كانت بين الروم وفارس فظهرت فيها الروم وكان ذلك فتحا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه لانهضام
شوكة الكفر العظمى ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم علم كونه فتحا له من سورة الروم فكانت هذه كلها من جهة
الفتح الذى جاءت الآية منبهة عليه وقد ذكر ابن عقبة انه لما كان صلح الحديبية ونزلت الآية قال رجال من اصحاب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضى المشركون ان يدفعوكم بالرواح عن بلادهم
ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين وهو اعظم الفتوح
فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو اعظم الفتوح يا رسول الله وانت اعلم بالله وبامره منا وذهب بعض المفسرين
الى ان الفتح فى الآية انما هو اشارة الى فتح مكة فمعنى فتحنا على هذا قضينا وقدرنا والاظهر ان فتح الحديبية كان سببا
لفتح مكة وذهب بعضهم الى ان الفتح فى الآية انما هو الهداية الى الاسلام اى على الوجه العام ومال الزجاج اليه
واستحسنه لامكان الجمع بالحمل عليه قال المصنف (تضمنت هذه الآيات) اى الواردة فى صدر السورة (من فضله) اى
من جملة فضائله (والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما) اى الذى او شيأ (يقصر الوصف عن الانتهاء
اليه) اى لقصور احاطة العلم به (فابتدأ جل جلاله باعلامه) اى باعلام الله نبيه (بما قضاه له من القضاء البين) اى بما
حكم له وقدره من الفتح المبين حيث قال انا فتحنا لك فتحا مبينا اى انا قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل عام
الحديبية (بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته) اى طريقته وفى نسخة شيعته اى امته بعد صده بها عنها
وهذا قول آخر للمفسرين مغاير لما سبق من وجه او هو وعد بفتح مكة كما تقدم وعبر بالماضى لتحققه او بما اتفق له بعد
نزولها كفتح خيبر وفدك او بما ظهر له فى الحديبية من آية عظيمة وهى ان ماءها نضب فلم يبق بها قطرة فتمضمض ثم مج فيها
فدرت ماء حتى رووا كلهم (وانه) عطف على اعلامه اى وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم (مغفور له غير مؤاخذ) بالهمز
ويبدل واوا وهو تأكيد لما قبله لتضمنه معناه (بما كان وما يكون) حيث قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
والمعنى لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ولا يكون على هذا اثبات لوقوع الذنب ثم غفرانه خلافا لما يتوهم
من كلام المصنف (قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك) اى مما يصح ان يعاتب عليه كما فى قوله
تعالى لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين عبس وتولى ان جاءه الاعمى والاظهر ان فى الآية ايماء الى ان العبد
ولو وصل الى اعلى مرتبة المقدرة لم يحصل له استغناء عن المغفرة لقصور الاطوار البشرية فى القيام بحق العبودية على
ما اقتضته الربوبية وقيل عد الاشتغال بالامور المباحة والتفكر بالهمة فى مهمات الامة سيئات من حيث انها غفلة
عن مرتبة الحضرة فى الجملة ولذا قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ثم قوله تعالى ليغفر لك الله علة للفتح من حيث
انه مسبب عن جهاد الكفار والسعى فى اعلاء دينه وازاحة شرك الاغيار وتكميل النفوس الناقصة اجبارا واعتبارا
ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى الظلمة اختيارا (وقال مكى جعل الله المنة) اى العطية
والامتنان بالفتح او بالهداية الى الاسلام (سببا للمغفرة وكل) اى من المنة والهداية والمغفرة حاصل (من عنده)
اى لقوله سبحانه وتعالى قل كل من عند الله (لا اله غيره) اى حتى يكون قضاء شئ من عنده ويروى لا اله الا هو (منة)
اى عطية وامتنانا حال او مفعول مطلق (بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال) اى الله عز وجل (ويتم نعمته عليك)
اى بجمعه لك النبوة والملك وظهور دينك وفتح البلاد عليك وغير ذلك ومنها قوله (قيل بخضوع من تكبر لك)
متعلق بخضوع والمعنى بتواضع من تكبر عليك لاجلك بالانقياد لك والخضوع والخشوع بين يديك والتذلل اليك
وفى نسخة بخضوع من تكبر عليك (وقيل بفتح مكة والطائف) اى واقبال اهلهما اليك طوعا وكرها (وقيل
يرفع ذكرك فى الدنيا وينصرك ويغفر لك) بصيغ الافعال تفسير على وفق المفسر وهو قوله ويتم وهو الاظهر وقال
التلمسانى بياء الجر وكلها مصادر ويجوز الفعل وكذا قال الحجازى ويروى برفع ذكرك وبنصرك وغفر لك بالموحدة

وتنوين الاخير انتهى وفيه ان الغفر بمعنى المغفرة قليل الاستعمال ثم هذه اقوال تناولها عموم الاية ولا مرجح لها
فالاولى حملها على عمومها ثم مجمل هذه الاقوال ومحصل هذه الاحوال ما ذكره المصنف بقوله (فاعلمه) اى الله
سبحانه (بتمام نعمته عليه) الاولى باتمام نعمته اى باكمال انعامه واحسانه اليه (بخضوع متكبرى عدوه له)
الباء متعلق بنعمته او بدل مما قبله او بمعنى من البيانية له ولما بعده اى من تواضع اعدائه المتكبرين عليه سابقا غاية
التواضع ولاحقا (وفتح اهم البلاد عليه) لان مكة كانت صقع المشركين وكانت العرب انما تنتظر بالاسلام
ما يكون من اهل مكة مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان اسلموا اسلموا فكانت مكة لهذا المعنى اهم البلاد
لان اسلام اهلها يستلزم اسلام جميع المشركين او اكثرهم ولذا كثر المسلمون بعد فتح مكة ودخلوا فى دين الله افواجا
وفى نسخة اسنى البلاد اى افضلها لكون القبلة فيها ومعدن النبوة بها وهى ام القرى ويتبعها ما حولها (واحبها له)
اى على الاطلاق وانما صارت المدينة احب من سائر البلاد اليه بعد خروجه منها كما هو ظاهر حديث اللهم انك
اخرجتنى من احب البقاع الى فاسكنى احب البقاع اليك فاسكنه المدينة كما اخرجه الحاكم فى مستدركه الا ان فى سنده
عبد الله المقبرى وهو ضعيف جدا فلا يصلح لاستدلال المالكية لافضلية المدينة ومما يدل على قول الجمهور فى افضلية
مكة ما رواه الزهرى عن ابى سلمة عن عبد الله بن عدى الحمراء وفى رواية عن ابى هريرة يرفعه ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم حين خرج الى الهجرة هو وابو بكر رضى الله عنه وقف ينظر الى البيت ثم قال والله انك لاحب ارض الله الى وانك
لاحب ارض الله الى الله ولولا ان اهلك اخرجونى ما خرجت وما جاء فى حديث آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لمكة ما اطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى اخرجونى منك ما سكنت
غيرك فاندفع بهذا ما قيل من ان الاحب لا يعارض الافضل خصوصا بحسب الجبلة الطبيعية (ورفع ذكره) اى مما انشأ
عليه كله من نصره اياه على عدوه فعمومها شامل له بخصوصه وهو بالجر عطف على ما قبله واما قوله (وهدايته
الصراط المستقيم) وكذا ما بعده فبالجر الا انه عطف على تمام اى واعلمه بهدايته الى الصراط المستقيم اى بقوله
ويهديك صراطا مستقيما وهو بالصاد والسين واشمام الزاى فى السبعة وبالزاى الخالصة فى الشاذة والهداية يتعدى
بنفسه تارة كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وبالى اخرى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وباللام ايضا
ومنه قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم (المبلغ الجنة والسعادة) بكسر اللام المشددة ويجوز
تخفيفها نعت للصراط اى الموصل الى اسباب الجنة وابواب السعادة واصناف السيادة (ونصره النصر العزيز)
بقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا اى نصرا غالبا قويا فيه عز ومنعة وقوة وشوكة ظاهرة وباطنة او نصرا يعز به
المنصور فوصف بوصفه للمبالغة وقال المنجانى عزيز فى هذه الآية بمعنى معز كاليم بمعنى مؤلم وحبيب بمعنى محب
فنصر معز وهو المتضمن لغلبة العدو وقهره ونصر لا بهذه الصفة وهو المتضمن لدفع اذى العدو فقط (ومنته)
اى واعلمه بامتنانه (على امته المؤمنين بالسكينة) اى بانزال السكينة (والطمأنينة) عطف تفسير وهو بضم اوله
وبهمز ويسهل فيبدل مصدر اطمأن سكن ويروى الطمأنينة والسكينة وقيل السكينة هى الرحمة وقيل الوقار
والرزانة وقيل الاخلاص والمعرفة (التى جعلها الله فى قلوبهم) بقوله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم اى يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة او ليزدادوا ايمانا بالشرائع المجددة اللاحقة مع ايمانهم
بالاحكام المقررة السابقة لان حقيقة الايمان وهى التصديق غير قابلة للزيادة والنقصان عند ارباب التحقيق والله
ولى التوفيق (وبشارتهم) بكسر الباء بمعنى ما يسر به اى واعلمه ببشارة امته (بمالهم) اى عند ربهم كما فى رواية (بعد)
بضم الدال اى بعد حالهم (وفوزهم) اى نجاتهم وظفرهم (العظيم) اى فى مآلهم (والعفو عنهم) اى المحو لعيوبهم
(والستر لذنوبهم) اى فيما جرى لهم والستر بالفتح مصدر وبالكسر اسم بقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما واللام علة لما دل
عليه قوله تعالى ولله جنود السموات والارض من التدبير وحسن التقدير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين
على الكافرين ليعرفوا نعمة ربهم ويشكروها فيدخلوا الجنة ويتنعموا بما فيها (وهلاك عدوه) اى اعداء النبى
والمؤمنين (فى الدنيا والآخرة ولعنهم) اى طردهم (وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم) بفتح اللام اى قبح انقلابهم
اى سوء مرجعهم ومصيرهم والمعنى انه اعلمه ذلك بقوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وظنهم هو ان لا ينصر الله رسوله
والمؤمنين وعليهم دائرة ما ظنوه وتربصوه بالمؤمنين لا يتجاوزهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين فى دائرة السوء
لا فى مطلق السوء على ما فى الجلالين وهما لغتان (ثم قال) اى الله سبحانه وتعالى (انا ارسلناك شاهدا) اى مزكيا

للاصفياء اومشاهد اللقاء فى مقام البقاء (ومبشرا) اى للمؤمنين الاحباء بما يحبونه (ونذيرا) للكافرين الاعداء بما يكرهونه وهى احوال مقدرة ووردت بعض ما اوتيه مخبرة (الآية) كما سيأتى (فعد) اى الله تعالى بذلك (محاسنه) اى فضائله الحسنة (وخصائصه من شهادته على امته لنفسه بتبليغ الرسالة لهم) اى بخلاف سائر الانبياء فانه لا تقبل شهادتهم على اممهم لانفسهم بل يحتاجون الى ان هذه الامة يشهدون على الامم بتبليغ انبيائهم لهم كما تقدم بيانه (وقيل شاهدا) اى يشهد يوم القيامه (لهم بالتوحيد) اى بتوحيدهم لله (ومبشر الامته) اى ويبشرهم (بالثواب) اى فى دار النجاة (وقيل بالمغفرة) اى يبشر احباءه بحسن المآب (ومنذرا عدوه) اى يخوف اعداءه (بالعذاب وقيل) اى فى معنى منذرا (محذرا) اى يحذر امته (من الضلالات) اى من انواع الضلالة التى هى الكفر والفسق والبدعة (ليؤمن بالله) اى حق الايمان (ثم به) اى برسوله (من سبقت له من الله الحسنى) اى المنزلة الاسنى وهى الجنة العليا او المثوبة الحسنى ويدل عليه قوله تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله (ويعزروه) اى يمنعوه ويحرسوه من اعدائه (اى يجلونه) وهو من الاجلال اى يعظمونه واثبات النون بناء على اصله قبل دخول لام الامر على مفسره (وقيل ينصرونه) اى على عدوه فى الجهاد او فى الاجتهاد فى نصرة دينه (وقيل يبالغون فى تعظيمه ويوقروه اى يعظمونه) الاظهر ان يقال يهابونه ويكرمونه ويخدمونه ويعدونه من اهل الوقار (وقرأ بعضهم) اى من قراء الشواذ وقد نسب الى ابن عباس رضى الله عنهما (وتعززوه بزايين) بالياء بعد الالف وبالهمز وكلاهما صحيح ذكره التلمسانى والثانى غير صحيح لان الفرق المعروف بين الراء والزاى بالياء فى الثانى وبتركه فى الاول فتأمل ولذا لم يقل بالزاى المعجمة لاستغنائه بالصورة عن القيد ولا راء مهملة لما تقدم والله تعالى اعلم (من العز) اى العزة والتفعيل للتكثير والمبالغة والمعنى يعزوه غاية العزة واما جمهور القراء فقرأتهم بضم اوله وكسر الزاى مشددة وبعدها راء وقرأ الجحدرى بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وهو شاذ (والاكثر) اى القول الاكثر من المفسرين (والاظهر) اى من العلماء المعتبرين (ان هذا) اى قوله تعالى يعزروه ويوقروه انزل (فى حق محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه اقرب ذكرا فيرجع ضميراهما اليه ومما يدل عليه قوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه (ثم قال ويسبحوه) اى ينزهوه او يصلوا له (بكرة واصيلا) اى نهارا وليلا (فهذا) اى ضمير يسبحوه (راجع الى الله تعالى) ويؤيده ان ارباب الوقوف القرآنية جعلوا الوقف المطلق فوق قوله سبحانه وتعالى ويوقروه ايماء الى قطع ما قبله عما بعده وقيل الضمائر الثلاثة لله واريد بتعزيره تعالى تقوية دينه وتأييد نبيه ثم اعلم ان ابن كثير وابا عمرو قرآ بالغيبة فى الافعال الاربعة والباقون بالخطاب له ولامته اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم فعلى الاول تقدير الآية انا ارسلناك ليؤمنوا بالله وبك يا محمد وعلى الثانى تقديره ليؤمن بك من آمن (وقال ابن عطاء جمع) بالبناء للمجهول لان فاعله معلوم والمعنى اجتمع (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذه السورة) اى سورة الفتح (نعم مختلفة) اى متعددة متكثرة او مختلفة من حيث ذواتها وان كانت من حيث صفاتها مؤتلفة (من الفتح المبين) من بيانية للنعم المتقدمة (وهو) اى الفتح المبين (من اعلام الاجابة) بفتح همزة اعلام على انه جمع علم بفتح اللام اى من علامات قبول اجابة الله (لدعوته) صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قد سأله النصر فى مواطن كثيرة وفى الحديث من فتح له باب الدعاء فتح له باب الاجابة (والمغفرة) اى ومن المغفرة (وهى) اى المغفرة (من اعلام المحبة) لقوله تعالى ردا لاهل الكتاب فى محكم الخطاب وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم والمعنى انكم لو كنتم احباءه لما عذبكم بذنوبكم كما يعذب اعداءه بل غفر لكم واكثر عليكم عطاءه ونعماءه ومن المعلوم ان المحبة من الله تعالى اما ارادة انعام او نفس احسان واكرام لنزاهة ذاته القدسى عن الميل النفسى (وتمام النعمة) اى ومن تمام النعمة (وهى من اعلام الاختصاص) اى منة له بما لم يؤته احدا غيره كما يستفاد من قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى (والهداية) اى ومن الهداية (وهى من اعلام الولاية) اى التأييد والنصرة (فالمغفرة) بالرفع مبتدأ (تبرئة) اى تنزيه منه له (من العيوب) اى عيوب الذنوب وفى نسخة تنزيه من العيوب واما قول الحلبى وهو بكسر الراء المشددة ثم همزة مضمومة من البراءة فخطأ ظاهر فى العبارة اذ الصواب انه بفتح التاء وسكون الموحدة وبكسر الراء المخففة وفتح الهمزة مصدر برأه يبرئه تبرئة على وزن تفعلة والذى ذكره انما هو بضم الراء مصدر تبرأ منه وهو غير مناسب للمقام كما لا يخفى على العلماء الاعلام (وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة) اى ايصاله تعالى له الى درجة لا درجة فوقها (والهداية وهى الدعوة الى المشاهدة) اى الى الحضرة فى مقعد صدق وقرب مكانة وكرامة لا قرب مكان ومسافة (وقال جعفر بن محمد) اى ابن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم (من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه) اى اصطفاه وخصه بكرامة تشبه كرامة الحبيب عند محبه فالمحبة اصفى وذلك لانها من حبة القلب بخلاف الخلة فانها ود تخلل النفس وخالطها (واقسم بحياته)

اى فى قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون اى وحياتك يا محمد وتقديره لعمرك قسمى والعمر بفتح العين لغة فى العمر بالضم خص به القسم ايثارا لخفته لكثرة دوران القسم على السنتهم (ونسخ به شرائع غيره) لقوله عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى (وعرج) بفتح الراء اى صعد (به الى المحل الاعلى) اى المنزل الاعلى وهو بفتح الحاء وكسرها والاول اولى والمراد به مقام قاب قوسين او ادنى (وحفظه فى المعراج) اى عن مطالعة السوى والمعراج الدرجة وقيل سلم تعرج فيه الارواح وجاء انه احسن شئ لا تتمالك الروح اذا رأته ان تخرج وان تشخص بصر الميت من حسنه (حتى ما زاغ البصر وما طغى) اى ما مال الى الهوى ولا تجاوز عن المولى (وبعثه الى الاسود والاحمر) اى الى العرب والعجم او الجن والانس لقوله عليه الصلاة والسلام بعثت الى الاحمر والاسود وفى رواية بعثت الى الناس كافة ولقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم من الكف فانها اذا عمتهم كفتهم عن ان يخرج منها احد منهم (واحل له ولامته الغنائم) لقوله عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وفى رواية احلت لنا الغنائم (وجعله شفيعا) اى يوم الجمع لجميع الخلائق (مشفعا) بتشديد الفاء المفتوحة اى مقبول الشفاعة فى مقام محمود يحمده فيه الاولون والاخرون كما روى عن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعا (وسيد ولد آدم) اى وجعله سيد البشر ولما كان بعض اولاد آدم افضل منه فيلزم منه انه صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من آدم عليه السلام بطريق البرهان الذى يسمى بالاولى ومنه قوله تعالى فلا تقل لهما اف اى فكيف الضرب بالكف وهو مقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر اى ولا اقول فخرا النفسى بل تحدثا بنعمة ربى وتقييد يوم القيامة لانه وقت ظهوره ونظيره والملك يومئذ لله والحديث رواه احمد والترمذى وابن ماجه عن ابى سعيد مع زيادة وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى ولا فخر وفى رواية لمسلم وابى داود مع زيادة واول شافع واول مشفع ولا فخر وفى البخارى انا سيد الاولين والاخرين ولا فخر (وقرن) اى جمع ووصل (ذكره بذكره) كما يستفاد من قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك ومن قوله سبحانه وتعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول (ورضاه برضاه) لقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه (وجعله احد ركنى التوحيد) اى المعتبر فى الدين (ثم قال ان الذين يبايعونك) اى يعقدون الميثاق معك على قتال اهل الشقاق (انما يبايعون الله) لانه المقصود بالبيعة بالاتفاق (يعنى) اى يريد الله بهذه المبايعة (بيعة الرضوان) اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم) استئناف مؤكد لما قبله (يريد) اى الله ان يده فوق ايديهم (عند البيعة) اى على طريق الخصوصية قال التلمسانى قوله يريد عند البيعة صوابه معناه عند البيعة والا فالارادة والعناية فى كلام المخلوقين ولا ينبغى ان يقول المفسر يعنى ولا يريد ولكن يقول من معناه او يجوز او يحتمل ونحو ذلك مما يجرى على الالسنة (قيل) اى المراد بيد الله (قوة الله) اى وقدرته والمعنى قوته وقدرته فى نصر رسوله فوق قواهم وقدرهم وقد اشار الهروى فى غريبه الى هذا القول فيكون فى الاية على هذا ذكر نعمة مستقبلة وعد الله بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى النصر له وعلى القول الذى بعده يكون فيها ذكر نعمة حاصلة قد شرف الله بها المبايعين واستعمال اليد ايضا فى اللغة بمعنى القوة موجود ومنه قوله تعالى اولى الايدى اى اولى القوى (وقيل ثوابه) اى المترتب على مبايعتهم بايديهم وانقيادهم فى متابعتهم فاليد بمعنى النعمة (وقيل منته) اى عطيته ومنه يقال لفلان على يد وفى الحديث اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وقد قال الشاطبى رحمه الله اليك يدى منك الايادى تمدها والمعنى منته عليهم ونعمته لديهم ببيعتهم مما منحوه من العز فى الدنيا والثواب فى العقبى فوق منتهم عليك بمبايعتهم لك على ان يبذلوا انفسهم واموالهم قال المنجانى واليه ذهب اكثر المفسرين واستعمال اليد فى اللغة بمعنى النعمة كثير ومنه قول الشاعر

لجودك فى قومى يد يعرفونها * وايدى الندى فى الصالحين فروض

والى هذا المعنى يرجع قول من قال هى من الله سبحانه الثواب اعنى اليد فى الآية المثوبة ومن المبايعين الطاعة فان الثواب من الله تعالى داخل تحت منته والطاعة منهم داخلة تحت ما يمتنون به والا فليس اليد فى اللغة اسما للثواب ولا للطاعة (وقيل) اى المراد بيد الله (عقده) وفى نسخة عفوه وهو تصحيف وتحريف والمعنى انه تعالى اوجد البيعة واتم عقدها فاستعار لايجاد عقدها اسم اليد من حيث كان الادميون انما يفعلونه بايديهم وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب وجاء قوله سبحانه وتعالى فوق ايديهم مرشحا لهذه الاستعارة والايدى من المبايعين على هذا هى الجوارح على حقيقتها ولذا قال المصنف (وهذه) اى هذه الاقوال المختلفة المعانى فى لفظ اليد هل هى على سبيل الاشتراك والحقيقة او على سبيل النقل والمجاز والمختار انها (استعارات) اى اطلاقات مجازية لمناسبات سببية (وتجنيس فى الكلام) اى وتفنن فى العبارات الايمائية ولم يرد به التجنيس الصناعى وهو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى على ما ذكره التلمسانى وغيره بل اللغوى بمعنى المناسبة لان العقد مثلا اذا اطلق عليه اسم اليد فانما يراد التى بمعنى

الجارحة فبينها وبين الايدى فى الآية مناسبة والمناسبة كما ذكره التلمسانى ذكر الشئ مع ما يناسبه على جهة الاستعارة والتشبيه (وتأكيد لعقد بيعتهم اياه) اى من حيث ان بيعتهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم كبيعتهم مع الله لا تفاوت بينهما فيده التى تعلو ايديهم هى يد الله تخييلا (وعظم شأن المبايع) بصيغة المفعول والمراد به محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) وقوله عظم بكسر العين وفتح الظاء مجرور عطفا على ما قبله اى وتأكيد لعظمة شأنه وفخامة سلطانه من حيث جعل بيعتهم له بيعتهم لله سبحانه كجعل طاعته طاعته (وقد يكون من هذا) اى من قبيل قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (قوله تعالى فلم تقتلوهم) اى كفار بدر بنصركم وتسليطكم اياه (ولكن الله قتلهم) اى بهما اذ هو الخالق للقتل واسبابه وهم المباشرون له بقوة الله عند اكتسابه (وما رميت) اى رميا يوصل التراب الى اعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) اى يوم بدر وحنين وجوههم صورة واكتسابا واخذا وارسالا (ولكن الله رمى) اى حقيقة وتبليغا واصابة فبلغ رميه تعالى منهم حدا لم يبلغ رميك من ايصاله التراب الى اعينهم جميعا فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وتمكنتم منهم قتلا واسرا (وان كان الاول) يعنى ان الذين يبايعونك وان وصلية (فى باب المجاز) اى ادخل فى ذلك الباب والاظهر ان يقال من باب المجاز كما فى اصل الدلجى وكذا قوله (وهذا) اى فلم تقتلوهم الآية (فى باب الحقيقة لان القاتل والرامى بالحقيقة) وروى فى الحقيقة (هو الله وهو خالق فعله) اى فعل المباشر من قتله ونحوه (ورميه وقدرته عليه) اى ايجادا وابداعا وهو القاتل مباشرة واكتسابا ومن ثم اسند الفعل اليه حقيقة ايضا كما انه نفاه عنه ايضا لكن بين الحقيقتين بون بين وبيان ظاهر لمذهب اهل السنة والجماعة من ان العبد له نسبة الكسب فى الحقيقة على الجملة والحاصل انه سبحانه وتعالى وصف نفسه فى هذه الآية بالقتل والرمى من حيث كونه هو الذى حصل اثرهما ومنفعتهما وان كان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه هم الذين قتلوا ورموا فهو على هذا من باب اطلاق السبب الذى هو القتل والرمى على المسبب الذى هو الاثر والمنفعة كما سبق فى الآية المتقدمة واما من يقول ان الله تعالى هو الفاعل لكل شئ على الحقيقة ونسبة الفعل الى غيره مجاز فلا تشبيه فيه لهذه الآية السابقة ولا تفريق بينهما فافهم (ومسببه) اى وهو سبحانه وتعالى مسبب سبب فعل عبده وفى نسخة مشيئته اى ارادته كذا ذكر فى حاشية وليس لها وجه ظاهر بل هو تصحيف كما لا يخفى (ولانه) اى الشأن (ليس فى قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت) اى الى وجوههم فاعمت ابصارهم (حتى لم يبق منهم من لم تملأ) اى تلك الرمية (عينيه) اى ترابا (وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة) اى فى الصورة الكسبية والاضافة النسبية مثل اسناد القتل الى افراد البشرية وانما احتاج الى ذكرهم لئلا يتوهم ان القدرة الملكية ليست كقوى البشرية فى الاحتياج الى القوة الالهية والقدرة السبحانية فان المخلوقات باسرها متساوية فى مرتبة العبودية فاندفع بتحريرنا ما توهم الدلجى خلاف تقريرنا حيث قال وما احق هذا بالتعجب لان القاتل حقيقة ايضا بالنسبة اليهم هو الله وهو خالق فعلهم وقدرهم ايجادا وابداعا وهم القاتلون مباشرة واكتسابا فلا خصوصية لهم بكون قتلهم حقيقة بدون اسناده الى الله حقيقة انتهى وظهر لى وجه آخر انه اراد بقوله حقيقة انه وقع من الملائكة نوع من المباشرة فى قتل الكفرة لانه انما كان نزول المعركة لمجرد وصول البركة وحصول النصرة (وقد قيل فى هذه الآية الاخرى) اى الاخيرة وهى قوله تعالى فلم تقتلوهم الآية (انها على المجاز العربى) بالباء اى اللغوى اعنى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين المعنى المجازى والحقيقى وهى هنا السببية وفى نسخة العرفى بالفاء قال العلامة محمد بن خليل الانطاكى الحنفى فى حاشيته المسماة بزبدة المقتفى اعلم ان المجاز ان تجوز مستعمله عن معنى وضع ذلك اللفظ له واضع اللغة فهو المجاز اللغوى كالاسد للشجاع وان تجوز عما وضعه الشارع له وهو الله ورسوله فهو المجاز الشرعى كالصلاة للدعاء وان تجوز عما وضعه طائفة معينة فهو المجاز العرفى الخاص كالفعل للحدث وان لم تكن معينة فهو المجاز العرفى العام كالدابة للشاة (ومقابلة اللفظ) اى وعلى مقابلة اللفظ (ومناسبته) اى له لما بينهما من العلاقة المؤذنة باستعمال ما وضع للسبب من اللفظ فى مسببه (اى ما قتلتموهم) اى ايها الامة حين قتلتموهم بالات القتل (وما رميتهم انت) ايها النبى (اذ رميت وجوههم بالحصباء) بالمد اى بالحصى او بالاحجار الصغار يخالطها التراب (والتراب ولكن الله رمى قلوبهم بالجزع) اى واوقع فى صدورهم الرعب والفزع (اى ان منفعة الرمى) اى وكذا فائدة القتل (كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل والرامى بالمعنى) اى الذى هو ابتلاؤهم بالرعب وادخال التراب فى اعينهم حتى انهزموا (وانت) اى القاتل والرامى (بالاسم) اى من حيث مباشرتهما بالوسم وصورة المبنى وحذف قوله القاتل والرامى فى الجملة الاخيرة للعلم به من الجملة المتقدمة اذ هو من دلائل الاوائل على الاواخر والله اعلم بالظواهر والضمائر والحاصل فيه ما حكى عن المهدوى واوضحه هبة الله بن سلامة ان الرمى اخذ وارسال وتبليغ وايصال فالذى اثبت الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الاخذ

والارسال والذى نفى عنه واثبته لنفسه هو التبليغ والايصال والله تعالى اعلم بالحال ثم اعلم بطريق الانعطاف الى القضية الامنية ان السكينة الواقعة فى الآية المكنية هى كناية عن تسكين نفوس المؤمنين بتحصيل اليقين وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اخبرهم حين توجه للحديبية بانهم يدخلون مكة آمنين ويطوفون بالبيت لرؤيا كان رآها فذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية انه خلق فى نفوسهم ثقة بهذا وجعلها مستقرة فى نفوسهم ومستمرة الى ان يقع ما وعدهم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويشاهدوه معاينة فيزدادوا بذلك ايمانا مع ايمانهم وقد قضى الله ان يكون ما وعدهم به رسوله لان رؤيا الانبياء وحى ولكن فى غير ذلك التوجه ولهذا لما انكشف امر الحديبية عن الصلح قال بعض اصحابه يا رسول الله الم تقل لنا انا ندخل مكة آمنين ونطوف بالبيت فقال لهم بلى أفقلت لكم فى عامى هذا فكان تحقيق هذا فى عام الفتح والى ذلك اشار الله سبحانه وتعالى بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وجاء قوله سبحانه وتعالى فى هذه الآية ولله جنود السموات والارض باثر ذكر السكينة زيادة فى تسكين نفوسهم واشعارا بان الله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء ثم عقب ذلك بوصفه نفسه بالعلم والحكمة اى فلا تستعجلوا ما وعدكم به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان الله يعلم فى تأخير ذلك حكمة وهو معنى قوله تعالى فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا وقوله سبحانه وتعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات اريد بهم الذين انزل السكينة فى قلوبهم فصدقوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى حديث الترمذى بسند صحيح من رواية قتادة عن انس رضى الله عنه قال نزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقرأها عليهم فقالوا هنيأ مريئا يا نبى الله قد بين الله لك ما يفعل بك فما يفعل بنا فنزل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم والواو لمطلق الجمع والا فتكفير السيئة قبل ادخالهم الجنة هذا وقد ذكر المفسرون فى قوله تعالى الظانين بالله ظن السوء معنيين احدهما انه كناية عن قولهم ان ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا والآخر انه كناية عما يعتقدونه من صفات الله سبحانه وتعالى على غير ما هى عليه فهو ظن سوء باعتبار انه كذب وموصل لصاحبه الى جهنم ودائرة السوء المصيبة السوء وسميت دائرة من حيث انها تحيط بصاحبها كما تحيط الدائرة بمركزها على السواء من كل الجهات والى هذا مال النقاش فى تفسيره وذهب بعضهم الى انها سميت دائرة لدورانها ابدا ودوران الزمان لان الزمان لما كان يذهب ويجيء على ترتيب واحد صار كانه مستدير ومنه حديث وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فكان الخطوب والحوادث فى طيه تدور بدورانه ثم سميت بيعة الحديبية بيعة الرضوان لقوله سبحانه وتعالى فيها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهى سمرة من شجرة العضاه وذهبت بعد سنين من الهجرة ومر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته بذلك الموضع فاختلف اصحابه فى موضعها وكثر تشاجرهم فى ذلك فقال عمر هذا هو التكلف سيروا واتركوها وكان الذين بايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الفا واربعمائة فى احدى الروايتين عن جابر والفا وخمسمائة فى الرواية الاخرى عنه فبايعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يفروا قال جابر ولم يبايعوه على الموت وقال سلمة بن الاكوع فى حديثه بايعناه على الموت وكلا الحديثين صحيح لان بعضهم بايع على ان لا يفر ولم يذكر الموت وبعضهم بايع على الموت ولم يتخلف عن هذه البيعة احد ممن حضر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الجد بن قيس فانه اختبأ تحت ناقته وكان عثمان رضى الله تعالى عنه غائبا بمكة فبايع عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وقال هذه يد عثمان رضى الله عنه وكانت هذه البيعة بسبب غيبة عثمان عند ما ذكر ان اهل مكة قتلوه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم عند ما توجه الى مكة اراد ان يبعث رجلا الى قريش يخبرهم انه لا يريد حربا وانما جاء معتمرا فبعث اليهم خراش بن امية الخزاعى فلما وصل اليهم ارادوا قتله فمنعته الاحابيش قال ابن قتيبة فى المعارف وهم جماعة اجتمعوا واقتحلفوا ان يكونوا كلا على من سواهم والتحبش فى كلام العرب التجمع وخلوا سبيل خراش حتى اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بذلك فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يبعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم فقال عمر يا رسول الله انى اخاف قريشا على نفسى وليس بمكة من عدى بن كعب من يمنعنى وقد علمت قريش عداوتى اياها وغلظتى عليها ولكن ادلك على رجل اعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه الى ابى سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات للحرب وانما جاء زائرا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص قبل ان يدخل مكة فترجل له وحمله على دابته واجازه بالراى فانطلق عثمان حتى اتى ابا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ارسله به فقالوا له حين فرغ ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف

به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واحتبسته قريش عند هاتبره وتكرمه فاتفق ان خرج صارخ فى عسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قتل عثمان فاغتم المؤمنون وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانبرح ان كان هذا حتى نلقى القوم وامر مناديه فدعا الى البيعة وبلغ بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الذى كان من امر عثمان باطل وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سالما الحمد لله على ذلك والمبايعة فى الاية مفاعلة من البيع لان الله سبحانه وتعالى باع منهم الجنة بانفسهم واموالهم وباعوه انفسهم واموالهم بالجنة وبقية قضية الحديبية فى المواهب اللدنية

(الفصل العاشر)

(فيما) اى فى ذكرما (اظهره الله فى كتابه العزيز) اى المنيع الذى لايعترى ساحة عزه ابطال وتحريف اوالكثير النفع العديم النظير اللطيف (من كرامته عليه ومكانته عنده) الاولى لديه (وما) اى وفى بيان ما (خصه به من ذلك) اى الاكرام سوى ما انتظم) اى غير مادخل (فيما ذكرناه قبل) هو مبنى على الضم مقطوع عن الاضافة اى قبل ذلك فى الفصول السابقة من الفضائل المتقدمة (من ذلك) اى الذى اكرم به ولم ينتظم فيما ذكره قبل (مانصه الله تعالى) اى صرحه وفى نسخة قصه (من قصة الاسرآء فى سورة سبحان) وفى نسخة فى قصة الاسرآء من سورة سبحان وهى غير صحيحة (والنجم) اى وفى سورته وقد سبق الكلام عليه (وماانطوت) اى ومن ذلك مااشتملت (عليه القصة) اى القضية (من عظيم منزلته وقربه) اى قرب مكانته المفهوم من قوله تعالى دنا فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى (ومشاهدته) اى مطالعته (ماشاهده من العجائب) اى مارأه من الغرآئب المستفاد من قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى كرؤية الانبياء وتقبلهم له ووقوفه على مقاماتهم وعجائب الملكوت وغرآئب الجبروت ومشاهدة الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين ورؤية العرش المحيط بالسموات والارضين ورؤية رب العالمين مع كون ذهابه وايابه فى برهة من الليل مسيرة مالايعلمه احد من المهندسين وقد ورد ان مابين الارض وسماء الدنيا مسافة خمسمائة عام وكذا مابين كل سماء وسماء وكذا غلظ كل سماء وجميع السموات والارضين بجنب الكرسى كحلقة فى فلاة وهو بجنب العرش كحلقة فى فلاة وقد تعجب قريش من ذلك واحالوه ولا استحالة فيه عند ارباب العقول اذ ثبت عند الحكماء فى علم الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ومع ذلك فطرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ساعة وقد حكم علماء الكلام من علماء الانام بان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على جميع الممكنات فلا ينكران يخلق مثل هذه الحركة السريعة فيه صلى الله عليه وسلم اوفى البراق كيف وقد ورد انه يضع حافره عند منتهى طرفه والتعجب من لوازم المعجزات (ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يحفظك من تعرض اعدآئك لك روى الترمذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال ياايها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ولا ينافيه مافى البخارى وغيره من شج وجهه وكسر رباعيته يوم احد لخصوص العصمة بالقتل تنبيها على انه يجب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يتحمل مادون النفس لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اشد الناس من جهة البلاء اوانهما بعد وقعته قال المنجانى والمراد بالناس فى الاية الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين قلت الظاهر هو العموم ولا دلالة فى الآية على قصد الخصوص عند ارباب الفهوم وان كان الخصوص من الخارج هو المعلوم (وقوله) بالجر اى ومن ذلك عصمته منهم قبل نزول تلك الاية بقوله تعالى (واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) ذكره سبحانه وتعالى بعد الفتح مكر قريش به بمكة قبل الهجرة ليشكر نعمة ربه بخلاصه من مكرهم به واحتيالهم عليه فالقضية مكية والاية مدنية اى واذكر اذ يمكرون بك فى دار الندوة متشاورين فى امرك بحضور عدو الله ابليس حيث دخل فيهم وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا ليثبتوك بوثاق اوحبس اشارة الى قول ابى البخترى ارى ان تحبسوه وتشدوا منافذه الى كوة تلقون اليه منها طعامه وشرابه حتى يموت فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من قومه من يخلصه منكم اويقتلوك اشارة الى قول ابى جهل لعنة الله عليه ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما مع كل واحد سيف ويضربونه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوه عقلناه فقال ابليس صدق الفتى اويخرجوك اشارة الى قول هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ماصنع فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فتفرقوا على رأى ابى جهل فاخبره جبريل بذلك وقال له لاتنم الليلة فى مكان نومك فامر عليا ان ينام فيه وخرج عليهم وقد اجتمعوا عشاء لقتله واخذ كفا من تراب فنثره على رؤسهم يقرأ يس والقرآن الحكيم الى قوله تعالى لا يبصرون وهذا معنى قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين فمكر الله من باب المشاكلة

اومحمول على المعاملة (وقوله) بالجر اى ومنه عصمته بقوله تعالى (الا تنصروه فقد نصره الله) اى ان لم تنصروه ولم تخرجوا معه الى غزوة تبوك فسينصره من نصره عند قلة اوليائه وكثرة اعدآئه اذ اخرجه الذين كفروا وليس معه الا ابوبكر فحذف الجواب واقيم ماهو كالدليل عليه مقامه واسند اليهم الاخراج لتسبب اذن الله له فى الخروج عن همهم به فكانهم اخرجوه وقوله ثانى اثنين حال من ضمير اخرجه اى احد اثنين روى ان جبريل لما امره بالخروج قال من يخرج معى قال ابوبكر (وما دفع الله) اى ومنه مادفعه الله (به) اى بنصره (عنه فى هذه القصة) اى قصة مكرهم به لقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولما قيل من حفر بئرا لاخيه وقع فيه والمعنى ماحفظ الله له (من اذاهم) اى ليلة عزموا على قتله (بعد تحزبهم) اى تجمعهم ووقع فى نسخة بعد تحريهم براء مكسورة مشددة فتحتية اى بعد قصدهم (اهلكه) بضم اوله وسكون ثانيه اى هلاكه (وخلوصهم) اى وبعد انفرادهم واعتزالهم خالصين من مخالطة غيرهم (نجيا) مصدرا ووصف اريد به معنى الجمع وقد جاء مفردا فى قوله تعالى وقربناه نجيا وجمعا فى قوله تعالى خلصوا نجيا كما هو المراد هنا اى متناجين ومتشاورين (فى امره) اى على اى صفة يؤذونه ليظفروا بحاجتهم فطوقوا بخيبتهم (والاخذ) بالجر فى اكثر النسخ واقتصر عليه الدلجى حيث قال والظاهر كما فى نسخة مصححة رفعه عطفا على مادفع لا على اذاهم لفساد المعنى كما لا يخفى الا ان الاقرب والاظهر الانسب انه مجرور عطفا على تحزبهم وخلوصهم والمعنى بعد الاخذ (على ابصارهم عند خروجه عليهم) اى مع ابى بكر الى الغار ليلة قصدوا قتله وكذا الكلام من حيث المبنى والمعنى على قوله (وذهولهم) اى غفلتهم (عن طلبه فى الغار) اى مع ترددهم حوله فلم يهتدوا اليه وذلك بايات اظهرها الله فى الحال من نسج العنكبوت على الغار حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ماارى الا انه قبل ان ولد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث حمامتين على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت الحمام هناك والمراد بالغار نقب باعلى ثور جبل عن يمين مكة مسيرة ساعة واللام فيه للعهد (وماظهر) اى لهم (فى ذلك من الآيات) اذ خرج عليهم وهم ببابه فلم يروه بناء على حجاب الله ونقابه تحت قبابه ونثره التراب على رؤسهم فلم يعلموا به حتى قيل لهم الى غير ذلك من الايات والمعجزات (ونزول السكينة عليه) اى ومن نزول الطمأنينة والامن الذى تسكن عنده النفوس على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويؤيده قوله تعالى وايده بجنود لم تروها اوعلى ابى بكر رضى الله عنه لانه الذى كان منزعجا لقوله تعالى اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه ويؤيده ان بعض القرآء جعل عليه وقفا لازما وجعل مابعده كلاما مستأنفا اوعطفا على صدر القصة مما يكون محلا قابلا لئلا يلزم تفكيك الضمير مع تجويز بعضهم ذلك كما فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت الاية واما قول الدلجى ان هذا هو الحق فليس فى محله لورود الخلاف عن اكابر المفسرين على ان التحقيق فى مقام الجمع على جهة التدقيق ان يقال المعنى فانزل الله سكينته على كل منهما بناء على ارادة زيادة الاطمئنان والسكون فيهما كما يدل عليه مافى مصحف حفصة فانزل الله سكينته عليهما ولا ينافيه ماورد فى تسلية الصديق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما (وقصة سراقة) بالجر عطفا على الايات اى ومن قصة سراقة (ابن مالك) اى ابن جعشم وهو الذى اعطت له قريش الجعائل واخذ فى طلب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين هاجر وساخت قوآئم فرسه عند ذلك وهو الذى البس له عمر رضى الله عنه سوارى كسرى وقال الحمد لله الذى سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقد كان اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فهى معجزة دآئمة باقية الى يوم القيامة (حسب) بفتح الحاء والسين وقد يسكن الثانى واقتصر عليه الحلبى وغيره اى على قدر (ماذكره اهل الحديث والسير) بكسر ففتح جمع سيرة وارباب السير من الشمائل والمغازى (فى قصة الغار وحديث الهجرة) اى مفصلا ومجملا لانه تبعهما حين توجها من الغار مهاجرين الى المدينة ليقتلهما فرده الله خاسئا ثم اسلم بالجعرانة منصرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الطائف قال الحلبى وفى الصحابة من اسمه سراقة ثمانية عشر غيره (ومنه) اى ومن ذلك (قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر) ومعناه سيأتى اى الكثير من انواع التفضيل الا ان فوعل ابلغ من فعيل وفيه تسلية له عن موت ابنه ابراهيم (فصل لربك) فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذ مقتضى الظاهر فصل لنا اى فدم على الصلاة كما امرنا اوعلى صلاة العيد خالصا لوجهه وشكر الانعمه فانها جامعة لانواع شكره لاشتمالها على اصناف ذكره ويؤيد الوجه الثانى قوله تعالى (وانحر) اى ضح بالبدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحتاجين من الفقرآء والمساكين وقيل المراد بالنحر وضع المصلى يده فى الصلاة عند نحره ويروى هذا عن على كرم الله وجهه (ان شانئك) اى مبغضك (هو الابتر) اى مقطوع الخير والبركة فى الدنيا والاخرة اوالذى انقطع عن بلوغ امله فيك (اعلمه الله) اى منة عليه فى هذه السورة (بما اعطاه) اى ببعض مااولاه والا فعطاؤه لايمكن احصاؤه (والكوثر حوضه) اى لما فى مسلم

اتدرون ما الكوثر قيل الله تعالى ورسوله اعلم قال نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوضي ترد عليه امتي يوم القيامة
وضمير هو راجع الى النهر اشعارا بان له نهرا من الجنة منصبا في حوضه يوم القيامة فلا ينافيه قوله (وقيل نهر) بفتح
الهاء وبسكون (في الجنة) كما يدل عليه حديث الترمذي رأيت في الجنة نهرا حافتاه قباب اللؤلؤ قلت ما هذا يا جبريل
قال الكوثر الذي اعطاك الله وحديثه ايضا اعطاني الله الكوثر نهرا في الجنة يسيل في حوضي (وقيل الخير الكثير)
وهذا هو الاظهر لانه هو الحق كما عبر به الدلجي لانه فوعل من الكثرة بمعنى المفرط المبالغ فيها ويؤيده خبر ابن عباس
رضي الله عنه في البخاري الكوثر هو الخير الكثير الذي اعطاه الله قيل لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة
قال هو من الخير الكثير الذي اعطاه (وقيل الشفاعة) اي العظمى الشاملة للخلائق كلها المستفاد منها الكثرة (وقيل
المعجزات الكثيرة وقيل النبوة) اي لاشتمالها على خيرات كثيرة واللام للعهد اي النبوة العظيمة او النبوة المختوم بها
ليتميز بها عن غيره بنوع المزية (وقيل المعرفة) اي الكاملة وهذه اقوال حسنة معانيها الا انه لا دلالة على ما فيها
(ثم اجاب) اي الله سبحانه وتعالى (عنه) اي بدلا منه صلى الله تعالى عليه وسلم (عدوه) اي العاص بن وائل او ابا جهل
ونحوه (ورد عليه) حين مات ابنه القاسم (قوله) اي ان محمدا قد اصبح ابتر اي قليل العدد مقطوعا من الولد
اذا مات مات ذكره لانه لا عقب له (فقال ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك) بالنصب تفسير لشانئك (والابتر
الحقير الذليل) اي على ما قيل وهو الذي لا ذكر حسن له ولا ثناء جميل (او المفرد) بفتح الراء اي المنفرد (الوحيد)
اي الذي لا ولد له ولا عقب (او الذي لا خير فيه) واما هو صلى الله تعالى عليه وسلم فذكره حسن وثناؤه جميل ونسبه
مستمر وآثار انواره باقية الى يوم القيامة وما لا يدخل تحت العبارة في الاخرة (وقال تعالى ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم قيل) وهو المحكي عن ابن عمر وابن مسعود والمنقول عن ابن عباس (السبع المثاني
السور الطوال) بكسر الطاء جمع الطويلة كما صرح به الشراح فاندفع به قول الحجاني هكذا وقع في الكتاب وصوابه
الطول مضموم الطاء دون الف فيه لان السورة مؤنثة فهي طولى والجمع طول لا غير وقوله (الاول) بضم همزة وفتح
واو مخففة جمع الاولى وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال مع براءة لانهما في حكم
سورة واحدة ومن ثم لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل السابعة سورة يونس او يوسف بدل الانفال (والقرآن العظيم)
بالنصب على الحكاية ويجوز رفعهما بناء على انه مبتدأ خبره (ام القرآن) اي اصله او بمنزلة امه لاشتمالها على
كليات معانيه ومهمات مبانيه اذ اولها تمجيد واوسطها تعبد وآخرها وعد ووعيد فكانها هو في التحقيق دون التعدد
وفيه اطلاق الكل على الجزء لا سيما وهو الاكمل في المعنى ولذا وجبت قراءتها في الصلاة (وقيل) وهو المحكي عن عمر
وعلي والحسن البصري (السبع المثاني ام القرآن) لحديث البخاري ام القرآن هي السبع المثاني (والقرآن العظيم
سائره) اي باقيه او جميعه بناء على انه مأخوذ من السؤر بالهمزة بمعنى البقية او من السور الذي هو الجمع والاحاطة
والشمول من سور الحصن فالعطف من باب عطف الخاص على العام (وقيل السبع المثاني ما في القرآن) اي هو
جميع القرآن وتسبيعه لما في القرآن (من امر) اي ايجابا كاقيموا الصلاة او ندبا كافعلوا الخير (ونهي) اي تحريما
كلا تقربوا الزنى او كراهة كلا تيمموا الخبيث منه تنفقون اذ روي انهم كانوا يتصدقون برديء التمر فنزلت والمعنى
لا تقصدوا الرديء منه حال كونكم تتصدقون (وبشرى) اي ومن بشارة للمؤمنين (وانذار) اي تخويف للمخالفين
(وضرب مثل) كقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت (واعداد نعم) بكسر الهمزة على
ما في نسخة مصححة اي تعداد نعم كثيرة وتذكار منح غزيرة وهو بالمعنى المصدري انسب للعطف على ما قبله من المصادر
وقال الدلجي تبعا لبعضهم بفتح همزته جمع عدد بمعنى ونعم معدودة واغرب التلمساني بقوله ولا يصح الكسر هنا لمخالفة
المعنى انتهى (وآتيناك نبأ القرآن العظيم) اي اعطيناك علم ما اشتمل عليه مما ذكر من قصص ومواعظ وبلاغة واعجاز
وثناء على الله بما هو اهله وغير ذلك كذا قرره الدلجي والاظهر ان يخص النبأ بالقصص ليكون السابع للسبع المثاني
ومع هذا الانظهر وجه العدول عن نمط السابق من ذكر المصادر الى الجملة الفعلية في المرتبة التفصيلية (وقيل سميت ام
القرآن) اي الفاتحة (مثاني لانها تثنى) بصيغة المجهول مثقلا ومخففا وهو اظهر لان المثاني هو جمع المثنى كالمرامي جمع
المرمى ونظيره المعنى والمعاني وقد ابعد التلمساني في قوله مثنى المعدول من اثنين اي تكرر (في كل ركعة) اي صلاة تسمية
للشيء باسم جزئه او في كل قومة باعتبار الركعة بعدها ففي الفائق انها تثنى في قومات الصلاة اي في كل قومة او في مجموع
القومات وقيل سميت مثاني لان آياتها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ثم سميت
سبعا لانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس (وقيل بل الله
استثناها) اي خصها من بين الآيات (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وذخرها) بالذال المعجمة او ادخرها بالمهملة كما

في

في نسخة اي جعلها ذخيرة (له دون الانبياء) لما في مسلم والنسائي ورواه الحاكم ايضا وصححه من حديث ابن عباس
بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمع نقيضا اي صوتا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى
الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
الحديث والمعنى انه خص باعطاء معانيهما المأخوذة من مبانيهما فاندفع قول الدلجي تبعا للحجاني وهذا لا يختص
بالفاتحة بل جميع السور كذلك (وسمي القرآن مثاني لان القصص) بكسر القاف جمع القصة قيل وهي المراد هنا
وبفتحها مصدر معناه الخبر والحكاية (تثنى) بالتأنيث او التذكير اي تكرر (فيه) والمثاني جمع مثناة او مثنى من
التثنية بمعنى التكرير او من الثني بمعنى اللين والعطف لما فيه ايضا من تكرير الاوامر والنواهي والوعد والوعيد
والاخبار والامثال وغير ذلك او من الثناء لما فيه من كثرة ذكره تعالى بصفاته العظمى واسمائه الحسنى (وقيل)
اي عن الامام جعفر الصادق (السبع المثاني) اي معناه في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني هو انا (اكرمناك
بسبع كرامات الهدى) هو وما بعده مجرور بدل بعض من كل او مرفوع خبر مبتدأ محذوف اي هي الهدى او منصوب
بتقدير اعني والمراد بالهدى الهداية الكاملة المتعدية المكملة ولا يلائم المقام تفسير التلمساني له بضد الضلالة
(والنبوة) اي المتضمنة للرسالة وقال التلمساني اي الرفعة ولا يخفى انه احد معانيها اللغوية (والرحمة) اي لجميع الامة
(والشفاعة) اي العظمى يوم القيامة (والولاية) وهي النصرة والانتقام من العدو والغلبة (والتعظيم) اي ظهور
العظمة (والسكينة) اي السكون والوقار والطمانينة قيل فمن اوتي السبع المثاني باعتبار اخذ جميع المعاني امن من
الدخول في سبعة ابواب جهنم (وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر) اي القرآن وسمي ذكرا لانه يذكر به الرحمن وموعظة
وتنبيه للكسلان وشرف لاهل العرفان (الآية) يعني لتبين للناس اي الجن والانس ففيه تغليب وقيل يشملهما
ما نزل اليهم اي ما امروا به ونهوا عنه وما اخبروا به وتشابه عليهم حكمه لاجماله والتبيين اعم من ان يكون بنص
على المراد به او بارشاد الى ما يدل عليه كاساس قياس وبرهان عقل وايناس (وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس) اي حال كونك تكفهم وتمنعهم بشرعك عن ظلمهم وكفرهم فالتاء للمبالغة كما في علامة (بشيرا) اي مبشرا
للابرار (ونذيرا) اي مخوفا للفجار (وقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) حال من ضمير اليكم
فانه مفعول في المعنى (الآية) وتمامها الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون (قال القاضي) اي المصنف (رحمه الله فهذه) اي الآية
(من خصائصه) جمع خصيصة اي خصلة لم يشاركه فيها احد لورودها شاهدة باختصاصه برسالة عامة
ومشعرة بان كل رسول بعث الى قومه خاصة (وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) اي بلغة
قبيلته الذين هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به وما نهوا عنه فيفهموا عنه بيسر وسهولة امر (فخصهم
بقومهم) اي لغة ورسالة ودعوة ونذارة وبشارة (وبعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق) اي المخلوقين
(كافة) اي جميعا من الكف بمعنى الاحاطة والجمع او من الكف بمعنى المنع اي لكفهم بدعوته عن ان يخرج منها
احد منهم لاحاطتها بهم (كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود) اي العرب والعجم كما تقدم وفي صحيح
مسلم بعثت الى الخلق وفي حديث بعثت الى الناس كافة فان لم يستجيبوا الي فالى العرب فان لم يستجيبوا الي فالى
قريش فان لم يستجيبوا الي فالى بني هاشم فان لم يستجيبوا الي فالي وحدي ذكره السيوطي في جامعه الصغير
عن ابن سعد عن خالد بن معدان مرسلا وفيه كما في الآية السابقة ايماء الى حكمة انه بعث بلسان العرب وان العجم
امروا بتتبع لغتهم مع كمال الادب ولذا قال صلى الله عليه وسلم احبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام
اهل الجنة عربي رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس وفيه اشعار بانه صلى الله عليه وسلم لما ارسل
الى العرب والعجم وهم مختلفة والالسنة من الفارسية والتركية والهندية وغيرها مما يتعذر في العادة ان يكون
واحد يعرف جميع اللغات المختلفة في اصناف المخلوقات اختار الله له سبحانه افضل انواعه وامر الغير بتعلمه
واتباعه مع انه ايسر اللغات واسهلها واضبطها واجمعها واشملها وايضا كان من انفة العرب وغلاظتهم انه لو نزل
القرآن بلسان العجم او لم يتكلم الرسول الابلغة غير العرب معهم لما آمنوا وتعللوا بما حكى الله تعالى
عنهم في قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي وقال في موضع آخر ولو نزلناه على
بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وفي الآيتين الشريفتين تشريف لطائفة العجم ولذا قال صلى الله
تعالى عليه وسلم لو كان الدين او العلم في الثريا لناله رجال من فارس (وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين) اي احق بهم
في جميع امورهم او مقيد بامر دينهم (من انفسهم) اي من ارواحهم فضلا عن آبائهم وابنائهم (وازواجه امهاتهم)

جمع ام اصلها امهة وهى لغة قيل مختصة بالادميات والامات بالحيوانات وقيل الهاء زائدة (قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اى ما انفذه) بالنون والفاء والذال المعجمة اى اظهره وامضاه (فيهم من امر فهو ماض عليهم) اى نافذ وماض (كما يمضى حكم السيد على عبده) اذ لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فقوله كما يمضى كالنظير لانه دون مرتبته فى التأثير (وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى النفس) وهذا قول صحيح وعلى طبق ما تقدم صريح فتعبيره بقيل ليس لكونه كلاما غير مرضى بل للجلالة قائله او جهالة حاله وقد روى انه صلى الله عليه وسلم ندب الى غزوة تبوك فقال اناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت ويدل على هذا المعنى آيات اخر نحو قوله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين وكما قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين رواه الشيخان وغيرهما عن انس رضى الله تعالى عنه وقد ورد فى بعض الاحاديث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يصلى على ميت وعليه دين وكان يقول صلوا على اخيكم فلما نزلت هذه الآية قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فهو لورثته واخرج النسائى فى السنن نحوه الا انه قال فلما فتح الله الفتوح ولم يقل فلما نزلت الآية (وازواجه امهاتهم اى هن) على ما فى النسخ المصححة وقال التلمسانى اى هم فى الحرمة وضميرهم عائد الى الازواج وعليه الروايات هنا وعبر بضمير جماعة المذكرين اعتبارا للفظ الازواج (فى الحرمة) اى الاحترام والتعظيم (كالامهات) اى الحقيقية تنزيلا لهن منزلتهن فى العظمة بل اللائق ان يكون لهن مزية تعظيما لحضرة النبوة ثم انهن فيما عدا ذلك كالاجنبيات ولذا حجبن ولم يتعد التحريم الى بناتهن وهذا انما هو فيمن دخل بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النساء واما من تزوجها او فارقها قبل الدخول فليس لها هذا الحكم وقد كان عمر رضى الله عنه امر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الدخول فنكحت بعده فقالت له لم وما ضرب الله على حجابا ولا دعيت ام المؤمنين فكف عمر عنها (حرم) بفتح الحاء وضم الراء ورفع قوله (نكاحهن) ويجوز ضم الحاء وكسر الراء المشددة ايضا وفى نسخة حرام بزيادة الالف وفى اخرى حرم بصيغة الفاعل من التحريم اى حرم الله او رسوله نكاحهن (عليهم بعده) اى بعد تزوجه لهن قيل ولو طلق قبل الدخول بعضهن كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وانما حرمهن عليهم (تكرمة له) اى لتكريمه وتعظيمه المستفاد من الآية (وخصوصية) اى بها يتميز عن غيره من افراد امته وهى بضم الخاء وقول الحجازى بفتحها سهو (ولانهن له ازواج فى الآخرة) قال البغوى وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ازواجهم لهم فى الآخرة وفى نسخة فى الجنة والظاهر ان هذا مقيد بمن مات منهن فى عصمته او هو توفى عنهن وهن فى عدته لتخرج من اختارت الدنيا حين نزلت آية قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا الآية فانها كانت فى آخر عمرها تلتقط البعر فى سكك المدينة وايضا لما اراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يطلق سودة قالت لا تطلقنى يا رسول الله ويومى لعائشة رضى تعالى عنها لانى اريد ان اكون من نسائك فى الجنة او قولا هذا معناه (وقد قرئ) اى فى الشواذ قيل وهى قرآءة مجاهد ونسبت الى ابى ابن كعب ايضا (وهو اب لهم) اذ كل نبى اب لامته كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم من حيث انه به حياتهم الابدية وتعلم الآداب الدينية ومن ثم صار واخوة فى الدين كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة من حيث انتسابهم الى اصل واحد هو الايمان الناشئ عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا يقرأ به) بصيغة المجهول اى ولا يجوز ان يقرأ به احد (الآن) اى فى هذا الزمان (لمخالفته المصحف) بتثليث الميم والضم اتم وهو ما جمع فيه القرآن لقول عائشة رضى الله عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله والمراد من المخالفة عدم وجود تلك الجملة من جميع المصاحف العثمانية اذ احد اركان القرآءة هى المطابقة الرسمية وثانيها الموافقة العربية وثالثها النقل المتواتر الاجماعية والعمدة هى الاخيرة والاخريان تابعتان لها لازمتان لوجودها واختلف فى محل الجملة الشاذة فقيل قرآءة ابن عباس رضى الله تعالى عنه قبل قوله وازواجه امهاتهم وقرآءة ابى بعده وروى عن عكرمة انه قال وهو ابوهم وهو اشبه بالتفسير وعلى جميع التقادير هو من باب التشبيه البليغ نحو زيد اسد اى كالاسد لا على الحقيقة اى الا فى ان له الولادة واما ما ذكره الدلجى ان المراد بالمصحف هو الامام الذى نسخه عثمان وعليه الناس فقد يوهم انه مصحف خاص وليس كذلك بل المراد المصاحف التى كتبت بامره واختلف فى عددها فارسل واحدا الى مكة وآخر الى الشام وآخر الى الكوفة وآخر الى البصرة وابقى عنده

واحدا فى المدينة والآن لم يتحقق وجود واحد منها فى محالها (وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الآية) اى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما اى فيما انعم عليك وبما علمك من خفيات الامور واموور الدين ومعارف اليقين وفى بعض النسخ وانزلنا عليك الكتاب والحكمة وهو لا يصح لمخالفته تنزيل الآية (قيل فضله العظيم بالنبوة) وفى نسخة النبوة اذ لا فضل اعظم منها اذا قرنت بالرسالة العامة (وقيل بما سبق له فى الازل) اى من تعلق العناية القديمة العظمى حيث جعل رئيس من سبقت له الحسنى كما يدل عليه خلق نوره اولا وجعله نبيا فى عالم الارواح قبل ظهور الاشباح (واشار الواسطى الى انها) اى هذه الآية (اشارة الى احتمال الرؤية) اى تحملها واطاقتها (التى لم يحتملها موسى عليه السلام)

(الباب الثانى)

اى من القسم الاول وفصوله سبعة وعشرون بعد صدر الباب على ما سبق فى اول الكتاب (فى تكميل الله له المحاسن) جمع حسن على غير قياس والمراد بها الاوصاف المستحسنة (خلقا وخلقا) بفتح الخاء فى الاول وبضمها وضم اللام وسكونها فى الثانى وهما منصوبان على التمييز اى محاسن خلقه وخلقه من صورته الظاهرة الطاهرة وسيرته الباطنة الباهرة (وقرانه) اى وفى مقارنة ذاته عليه الصلاة والسلام (جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا) بفتحتين اى من جهة كون بعضها تبعا للبعض من الصفات المتوالية والمكارم المتعاقبة (اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم) خطاب عام فى موضع التفخيم او خاص لمن سأله هذا التأليف المتضمن للتعليم ويؤيده قوله (الباحث) اى المفتش والمتفحص (عن تفاصيل جمل قدره) اى مجملات مقداره (العظيم) والجملة الندائية معترضة بين الخطاب وما خوطب به من الجملة الفعلية (ان خصال الجلال والكمال) وفى نسخة الجمال بدل الجلال والجمال تمام الصورة والجلال ظهور العظمة والاولى على ما عرف فى علم الاخلاق ان يقال ان خصال الجمال والجلال المقتضية للكمال (فى البشر نوعان ضرورى) اى احدهما ضرورى (دنيوى) اى مما لا بد له منه فيها (اقتضته الجبلة) بكسر الجيم والموحدة وتشديد اللام اى دعته الخلقة التى خلق عليها وطبيعته التى جبل للميل اليها ومنه قوله تعالى والجبلة الاولين وقرأها الحسن بالضم وقال التلمسانى وبسكون الباء وفتح اللام مخففة فتثليث الجيم بالهاء وبدونها والجبل بضم ويشدد ومنه قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا (وضرورة الحياة الدنيا) اى واقتضته الحاجة الضرورية الكائنة فى الحياة الدنيوية مما ليس اختياريا (ومكتسب) بصيغة المجهول اى وثانيهما مكتسب (دينى وهو ما يحمد فاعله) اى مما يتوقف اكتسابه على الشرع من الكمالات العلمية التى اعظمها معرفة الله وصفاته العلية (ويقرب) بكسر الراء المشددة وفى نسخة بصيغة المجهول اى ما يقرب به (الى الله زلفى) اى قربة اسم مصدر لازلف وفيه ان التقسيم غير جامع لانه غير شامل للوهبى الحاصل بالجذبة دون الخلقة الاصلية ولا بالتعلقات العارضية (ثم هى) اى الخصال (على فنين) بفتح فاء وتشديد نون (ايضا) اى صنفين (منها) اى من الخصال (ما يتخلص) اى يتمحض (لاحد الوصفين) اى من الضرورى والكسبى من غير امتزاج وتداخل بحيث لا يصدق عليه اسم الآخر ضروريا او كسبيا (ومنها ما يتمازج ويتداخل) عطف تفسيرى اى يتخالط بان يكون ضروريا وكسبيا كما سيأتى بيانهما ويظهر شانهما (فاما الضرورى المحض) اى الخالص الذى لا يكون مكتسبا (فما ليس للمرء) بفتح فسكون فهمز والحسن لا يهمز ويخفف وابن ابى اسحق بضم الميم والهمز والعقيلى بكسر الميم والهمز ومؤنثه المرأة كذا ذكره التلمسانى والاظهر انه الشخص بالمعنى الاعم والله اعلم (فيه اختيار) اى فى حصوله (ولا اكتساب) اى فى وصوله اى بل فيه اضطرار واضطراب فى تحصيله (مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته) فيه من البديع صنعة جناس لاحق بين كمال وجلال (وقوة عقله) اى تعقله قال التلمسانى مذهب اهل اللغة ان العقل هو العلم وقيل بعض العلوم الضرورية وقيل قوة يميز بها بين حقائق المعلومات ومحله عند اهل السنة القلب بدليل قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقالت المعتزلة محله الدماغ ووافقهم ابو حنيفة والفضل بن زياد (وصحة فهمه) اى ادراكه (وفصاحة لسانه) اى طلاقته وطراوة بيانه مع رعاية مطابقته ووضوح دلالته (وقوة حواسه) اى من سمعه وبصره وشمه وذوقه ولمسه (واعضائه) جمع عضو بضم العين وكسرها اى جوارحه وقد قيل ليس فى الانسان جارحة احب الى الله عز وجل من اللسان ولذلك انطقه الله بتوحيده فاذا اخرس ولم يحل اللسان فبأى شئ يذكر ويناجى ويدعو ويتلو (واعتدال حركاته) اى وسكناته بسلامتهما من آفتهما فهو من باب الاكتفاء (وشرف نسبه) اذ فى الغالب ان من تحلى به ربأ بنفسه من سفساف الامور الى اعاليها ومن ذمائم الصفات الى معاليها (وعزة قومه) اى وغلبة قبيلته اذ المؤمن كثير باخيه كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام

واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا (وكرم ارضه) اى طيب مكانه الذى نشأ فيه بان يكون بلاد المسلمين ومنزل الصالحين وابعد التلمسانى فى تخصيص ارضه بارض مكة اذ ليس الكلام فى خصوصه عليه الصلاة والسلام (ويلحق به) اى يتصل بالضرورى المحض وفى نسخة بصيغة المجهول واقتصر عليه الحلبى اى ويوصل به (ماتدعوه) اى كل شئ من الامور العادية تدعو المرء (ضرورة حياته) اى شدة احتياجه فيها (اليه من غذائه) بكسر الغين وبالذال المعجمتين على ما فى الاصول المصححة وعلى ماذكره اهل الحواشى المعتبرة ما يتغذى به من الطعام والشراب وما به نماء الجسم وقوامه واما الغداء بفتح اوله وبدال مهملة فهو طعام الغدوة من الطلوع الى الزوال ضد العشاء بالفتح وهو غير ملائم لمقام المرام فتجويز الدلجى الوجهين وتقديم الثانى على الاول وتفسيره بقوله هو الطعام بعينه ليس فى محله وكذا تقييد المحشى للاول بالقصر والثانى بالمد (ونومه) اى فى ليله ونهاره (وملبسه) بفتح الموحدة (ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها (ومنكحه) بفتح الكاف مصادر او اسماء لما يلبس ويسكن وينكح (وماله) اى جميع ما ينتفع به من الامور الحسية (وجاهه) اى قدره ومنزلته واعتباره من الاحوال المعنوية قيل هو والوجه بمعنى قلب منه لانه ان توجه بوجهه قبل منه (وقد تلحق) ضبط معروفا ومجهولا (هذه الخصال الآخرة) اى الاخيرة المتعلقة بالامور العادية الواقعة فى الاحوال الدنيوية (بالاخروية) اى بالخصال الاخروية (اذا قصد بها التقوى) مصدر تقوى من باب التفعل اى طلب القوة على الطاعة وفى نسخة التقوى بالتخفيف اى اذا كانت مقترنة بتقوى الله (ومعونة البدن) اى اذا قصد بها مساعدته ومعاونته (على سلوك طريقها) اى سبيل الآخرة وابعد الدلجى تبعا للتلمسانى فى قوله اى طريق الخصال الاخروية (وكانت) اى تلك الخصال الملحقة (على حدود الضرورة) اى على طبق داعية الحاجة وقدر الكفاية من غير الزيادة (وقوانين الشريعة) وفى نسخة قواعد الشريعة اى وكانت ايضا على وفق الاصول الشرعية مما ابيح وجوز له من ارتكابه وهذا معنى قولهم فى حديث انما الاعمال بالنيات ان العادات تصير بالنيات عبادات (واما المكتسبة الاخروية) اى الخصال المكتسبة المستفادة المتعلقة بالامور الاخروية (فسائر الاخلاق العلية) اى جميعها وهى صفات واحوال وافعال واقوال يحسن بها حالة الاحسان بينه وبين خالقه وابناء جنسه (والآداب الشرعية من الدين) اى الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فيما يجب عمله وتركه (والعلم) اى معرفة النفس وما عليها مما به تمام معاشها ونظام معادها (والحلم) اى الصبر على الايذاء وعدم العجلة فى العقوبة على الاعداء (والصبر) اى على انواع المصائب واصناف البلاء واجناس القضاء (والشكر) اى بالثناء على المنعم بما اولاه من النعماء وان يصرف جميع النعم الى ما خلقت لاجله فى مقام رضى المولى (والعدل) ضد الميل عن الحق بالجور وهو ملكة يقتدر بها على اجتناب ما لا يحل فعله فى باب الحكومة وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا (والزهد) اى عزوفة النفس وخلة ميلها الى الدنيا والمشتهيات وترك ما عدا الضرورات من المباحات او ترك ما سوى الله مريدا به وجه الله وهو زهد المقربين (والتواضع) اى لين الجانب والتذلل للصاحب (والعفو) اى الصفح والمجاوزة وعدم المؤاخذة (والعفة) وهى قمع النفس عن المعصية او مختصة بالزنى ونحوها واغرب التلمسانى بقوله وهو العفو عما يشين ويعيب وتركه اختيارا (والجود) وهو الكرم المحمود بان يكون بين طرفى افراط يسمى سرفا وتفريط يسمى بخلا فيه وقد قيل لا سرف فى خير ولا خير فى سرف فهو بذل ما ينبغى فيما ينبغى كما ينبغى (والشجاعة) وهى صفة حميدة متوسطة بين التهور والجبن (والحياء) بالمد وهو انقباض عن القبيح حذرا من الذم متوسط بين وقاحة وجرآءة على القبائح وعدم المبالاة بها وبين الخجالة والانحصار عن الفعل مطلقا وهو محمود اذا كف عن المعصية وذمائم الخسة ومذموم اذا كف عن تحصيل الفريضة واكتساب الفضيلة والاول من الرحمان والثانى من الشيطان (والمروءة) بضم الميم والراء وتشديد الواو وقد يهمز وهو الانسانية وكمال المرء بالاخلاق الزكية والتبعد عن الامور الدنية (والصمت) اى السكوت عن غير الخير لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت (والتؤدة) بضم ففتح همز وقد تبدل واوا وهى بمعنى التأنى وعدم العجلة لما قيل

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وفى نسخة التودد من المودة اى التحبب الى الصلحاء والفقراء والضعفاء فانهم فى الآخرة ملوك وشفعاء (والوقار) بفتح الواو اى الرزانة والطمأنينة وعدم الطيش والخفة (والرحمة) اى التعطف والرأفة (وحسن الادب) فانه احسن من الذهب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى وجعل حسن الادب من جملة الآداب الشرعية لانه حالة خاصة من عموم الاحوال المرضية لحديث ان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (والمعاشرة) اى

المخالطة بالمخالقة على وجه الموافقة لقوله عليه الصلاة والسلام خالق الناس بخلق حسن وقوله خياركم احسنكم اخلاقا ومن كلام الشيخ ابى مدين المغربى حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه (واخواتها) اى اشباهها من الاخلاق الحميدة المفصلة فى نحو كتاب الاحياء والعوارف والرسالة (وهى) اى هذه الملكات النفسانية المكتسبة (التى جماعها) بكسر الجيم اى جمعها واجتماعها كذا قيل وفى الحديث الخمر جماع الاثم لانها تجمع عددا منه والاظهر ان يقال مجمعها ومجتمعها (حسن الخلق) اى المحمود عند جميع الخلق وقد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وانك لعلى خلق عظيم وكان خلقه القرآن يأتمر باوامره وينزجر بزواجره ويرضى برضاه ويسخط بسخطه ومجمله قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال جبريل عند نزوله هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة) اى مخلوق ومودع فى السجية والطبيعة وهى بفتح غين معجمة وكسر راء مهملة ثم زاى (واصل الجبلة) اى الفطرة (لبعض الناس) اى ممن طبع عليه فى اول خلقته وابتداء نشأته ومنه قول القائل

كل امرئ راجع يوما لشيمته * وان تخلق اخلاقا الى حين

(وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها) بالرفع اى فهو يحصلها للاقتداء بغيره فيها فتصير له كالغريزة وقال الحلبى هو بالنصب جواب النفى انتهى وفيه بحث لا يخفى (ولكنه لابد ان تكون فيه من اصولها فى اصل الجبلة شعبة) اى شائبة وقطعة خلق عليها ليرجع فيما يكتسبه اليها بميل طبعه الاول فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون) اى تصير (هذه الاخلاق دنيوية اذا لم يرد) بصيغة المفعول اى لم يقصد (بها وجه الله تعالى والدار الآخرة) اى بخلاف ما اذا اريد بها ذلك فانها صارت حينئذ قربات عند الله فيثاب عليها (ولكنها) اى الغريزة وان لم يرد بها ذلك (كلها) بالنصب اى جميعها (محاسن وفضائل) اى باعتبار افرادها (باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها) بكسر الجيم لا بفتحها كما قال التلمسانى وسبقه الانطاكى لانه بمعنى المقتضى وهو لا يناسب المقام كما لا يخفى اى سببها وباعثها (وتفضيلها) اى وفى تفضيلها على غيرها وبعضها على بعض اهو ذاتى اقتضته ذواتها وطبائعها او بخلق الله تعالى له فى ذواتها قولان ثانيهما هو الحق لاستناد جميع الكائنات اليه ابتداء اذ هو الخالق وحده وهى ملكات محمودة مكملة للانسان وان تفاوتت النفوس بحسب الفطرة فى الكمال باعتبار زيادة اعتدال الابدان فكلما كان البدن اعدل كانت النفوس الفائضة اكمل والى الخيرات اميل وللكمالات اقبل وعكسه عكسه كما قيل الظاهر عنوان الباطن ثم لا نزاع فى انها من واجبات العقل لحكمه بها من حيث انها صفات كمال ثم ورد الشرع مؤيدا له ومقررا لحكمه بها وانما النزاع فى ان العاقل قبل وروده او بعده ولم يبلغه هل يجب عليه بعض الافعال او يحرم بعضها بمعنى استحقاق الثواب والعقاب فى الآخرة ام لا فعندنا لا اذ لا حكم له ولا اثابة ولا تعذيب قبل وروده وعند المعتزلة نعم بناء على مسئلة الحسن والقبح كذا حققه العلامة الدلجى وقال المنجانى ذهب بعضهم الى ان جميع الاخلاق سيئها وحسنها جبلة وغريزة فى العبد ليس فيها اكتساب والى هذا مال الطبرانى وحكاه عن ابن مسعود والحسن وذهب بعضهم الى ان جميع هذه الاخلاق انما هى من كسب العبد باختياره وليس فى جبلته شئ منها مخلوقا وهذا مذهب طائفة كثيرة من السلف وذهب الباقون الى ما ذكره القاضى وعليه المحققون وقال الانطاكى لا شك ان الانسان لا اختيار له فى تغيير خلقتها الاصلية وهيئتها الجبلية فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته ولا على عكس هيئته واما الاخلاق المكتسبة من الجود والشجاعة والتواضع والعفة فقد تكون فى بعضهم غريزة وجبلة بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق ويولد كامل الاخلاق والآداب كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها بالمجاهدة والرياضة بان يحمل النفس على الاعمال التى يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يجعل لنفسه خلق الجود فيتكلف تعاطى فعل الجود ويواظب عليه فانه يصير ذلك عادة له وطبعا فيصير جوادا وكذا من اراد ان يجعل لنفسه خلق التواضع فيواظب على افعال المتواضع مدة مديدة يصير التواضع له خلقا وكذا جميع الاخلاق المحمودة يمكن تحصيلها بهذا الطريق فاذا الاخلاق الحسنة قد تكون بالطبع اعنى الفطرة وقد تكون بالتطبع اعنى باعتبار الافعال الجميلة وزعم بعض من غلبت عليه البطالة واشتغل بالمجاهدة فى تهذيب الاخلاق ان الرياضة لا تؤثر فى تغيير الاخلاق وانها طباع لا تتغير كالخلقة لكنا نقول لو كانت الاخلاق لا تتغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأويلات ولما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا فى حق الآدمى وتغيير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التأديب والفرس من الجماح الى السلاسة وكل ذلك تغيير الاخلاق بتوفيق الملك

الخلاق (فصـــــــل) اى هذا فصل فى تعداد خصال حميدة اختص بها ذاته السعيدة مجملة وتذكر فيما بعده
من الفصول العديدة مقتبسة من الكتاب والسنة (قال القاضى رحمه الله تعالى) كذا فى نسخة (اذا كانت خصال
الكمال والجلال ما ذكرناه) اى فى الفصل السابق (ووجدنا) وفى نسخة ورأينا اى علمنا (الواحد منا يشرف) بضم
الرآء اى يصير بشر يفا رفيعا وفى نسخة بصيغة المجهول من التشريف اى يكرم ويعظم وفى اخرى يتشرف اى يفتخر
(بواحدة منها) اى ولو فى اقل مراتبها (او اثنتين) اى منها (ان اتفقت) اى هذه الخصلة وفى نسخة ان اتفقتا (له فى كل
عصر) متعلق باتفقت والعصر مثلثة وابعد الدلجى فى تجويز تعلقه بتشرف وتقديمه وفى نسخة زيادة (واوان) عطف
خاص على عام فان العصر الدهر وهو الزمان والاوان زمان مخصوص كزمان الربيع والداعى الى عطفه الخطابة فى ان كل
وقت لا يخلو من احد يشرف بذلك ثم ما يشرف به لا يخلو من ان يكون (اما من نسب) اى رفعة نسب (او جمال) اى
حسن صورة (او قوة) اى بدنية متحملة لمزاولة افعال شاقة والقدرة اخص منها لاشتراط الارادة فيها اذ هى التمكن
من اظهار القوة مع الارادة (او علم او حلم او شجاعة او سماحة) اى جود وعطاء ومسامحة ومساهلة (حتى يعظم
قدره) غاية لوصفه بما ذكر اى يرفع شأنه بين الرجال (ويضرب) بصيغة المجهول اى يبين ويعين (باسمه الامثال) فيقال
اجود من حاتم واعدل من نوشروان او هو حسان زمانه او مجتهد اوانه او اشجع اقرانه او اسخى اخوانه (ويتقرر) اى
يثبت (له بالوصف بذلك) اى بسبب اتصافه اى بما ذكر من الصفات (فى القلوب) اى فى قلوب الخلق من اهل الحق
(اثرة) بضم همزته وكسرها وفتحها وسكون المثلثة وبفتحهما اى مكرمة يتفرد بها (وعظمة) عطف تفسير
فى المعنى (وهو) اى ذلك الواحد منا (منذ) بضم ميم وتكسر بمعنى مذ (عصور خوال) اى والحال انه من ابتداء دهور
خالية وازمنة ماضية (رمم) بكسر راء وفتح ميم اى رميم جمع رمة عظامه (بوال) اى بالية متفتتة اعضاؤه واجزاؤه
فالمغايرة حاصلة بينهما خلاف ما فهمه الدلجى وجعلها عطف بيان كابى حفص عمر ثم اذا كان الامر كما ذكر
(فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال) اى الحميدة العديدة على وجه الكمال وهو استفهام يورث تعجبا
من هذه الحال لا سيما وهى منضمة (الى ما لا يأخذه عد) اى احصاء من خصال لا توجد الا فى الانبياء والاصفياء
وارباب الكمال (ولا يعبر عنه مقال) اى لا يحصره قول (ولا ينال) بضم الياء اى لا يحصل (بكسب ولا حيلة) اى
باكتساب ولا باحتيال (الا بتخصيص الكبير المتعال) اى بطريق التفضل والهبة والجذبة والعناية من العظيم
الشان فى ذاته المستعلى على كل شئ بقدرته او الكبير عن نعت المخلوقين والمتعالى عن مشابهة الامثال (من فضيلة
النبوة) بيان لما وهى بالهمز بناء على انه من النبأ بمعنى الخبر لانباء الله تعالى اياه واخباره عنه سبحانه وتعالى او بتشديد
الواو بناء على ابداله او على انه مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة فان النبى عليه الصلاة والسلام رفيع الشان عظيم
البرهان (والرسالة) وهى كونه واسطة بين الله تعالى وبين عباده والرسالة اخص من النبوة فان الرسول
هو المأمور بتبليغ الاحكام والنبى هو الذى اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا (والخلة) بضم الخاء اى الخصلة
التى توجب الاختصاص من صفاء المودة حيث تتخلل النفس وتخالطها (والمحبة) وهى مودة تشق شغاف القلب
وتصل الى سويداء الفؤاد (والاصطفاء) اى بالخصائص الروحانية والجسمانية لقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة
رسلا ومن الناس (والاسراء) اى الى السماء (والرؤية) اى رؤية الله تعالى بالبصر او البصيرة او رؤيته من آيات ربه
الكبرى لحديث البخارى رأى رفرفا اخضر فى الجنة قد سد الافق وحديث مسلم رأى جبريل فى صورته له ستمائة
جناح ومع وجود هذه الاحتمالات فى عبارة الرؤية لا يرد ما قاله الحلبى من ان المؤلف لم يترجح عنده انه عليه الصلاة
والسلام رأى ولا ما رأى كما سيأتى ذلك وهنا قد جزم بها فهذا تناقض على انه قد يقال تردد هنالك وجزم هنا والله اعلم
(والقرب والدنو) اى قرب مكانة ودنو رفعة (والوحى) اى فى ذلك المكان الاعلى (والشفاعة) اى العظمى (والوسيلة)
وهى منزلة فى الجنة وهى اعلى العليا (والفضيلة) اى زيادة المرتبة على العامة والخاصة من حسن المنقبة (والدرجة
الرفيعة) اى فى الجنة العالية او يوم القيامة او ليلة الاسراء (والمقام المحمود) لحديث ابى حاتم يبعث الله الناس
يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل فيكسونى ربى حلة خضراء فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود
انتهى وبه يحصل الفرق بينه وبين الشفاعة الكبرى (والبراق) اى ركوبه من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
(والمعراج) من الصخرة الى السماء فالى الجنة والعرش وما فوقه من المقام الاعلى وهو بكسر اوله سلم من نور
من السماء الى الارض فيه تصعد الملائكة وهو الذى يمد اليه الميت بصره على ما ذكره التلمسانى وقد سبق ما يتعلق
بالبراق فى اول الكتاب مما يغنى هنا عن الاطناب (والبعث الى الاحمر والاسود) لحديث بعثت الى الاحمر والاسود
اى العجم والعرب او الانس والجن او الخلق كافة لحديث مسلم بعثت الى الخلق كافة (والصلاة بالانبياء) اى

بيت

ببيت المقدس عند الصخرة تارة واخرى بالسماء (والشهادة بين الانبياء والامم) اى يوم القيامة كما مر عند قوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس الآية (وسيادة ولد آدم) لحديث انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر بل سيادة جميع العالم
لحديث انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر (ولواء الحمد) اى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه
تحت لوائى يوم القيامة وقوله بيدى لواء الحمد يوم القيامة وفى الرياض النضرة انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه
فقال له ثلاث شقق ما بين السماء والارض على الاولى مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وعلى الثانية
لا اله الا الله محمد رسول الله وعلى الثالثة ابو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين على المرتضى (والبشارة
والنذارة) بكسر اولهما لقوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والمكانة عند ذى العرش والطاعة
ثم والامانة) اى كونه مطاعا امينا لقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على
قول بعض المفسرين (والهداية) اى القاصرة لقوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والمتعدية لقوله سبحانه وتعالى
وانك لتهدى الى صراط مستقيم (ورحمة العالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (واعطاء الرضى) لقوله
تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى (والسؤل) بضم السين وسكون الهمزة ويبدل بمعنى المسؤل ومنه قوله تعالى
اوتيت سؤلك يا موسى ولا شك انه افضل الخلق فهو به احق (والكوثر) وقد مر (وسماع القول) لحديث الشفاعة وقل
تسمع واشفع تشفع (واتمام النعمة) لقوله تعالى ويتم نعمته عليك (والعفو عما تقدم وتأخر) وفى نسخة وما تأخر لقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر) لقوله تعالى الم نشرح لك
صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك (وعزة النصر) لقوله تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا
(ونزول السكينة) وهى الطمأنينة (والتأييد) اى التقوية (بالملائكة) لقوله فانزل الله سكينته عليه وايده
بجنود لم تروها اى بملائكته يوم بدر وحنين والاحزاب وعن كعب قال ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من
الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا
وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت الارض خرج فى سبعين الفا من الملائكة رواه البيهقى فى شعبه
وفى صحيح الدارمى نحوه (وايتاء الكتاب والحكمة) لقوله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة (والسبع المثانى
والقرءآن العظيم) لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرءآن العظيم (وتزكية الامة) اى امته يوم القيامة
لقوله تعالى ويزكيهم اى اذا شهد وللانبياء حين انكرت اممهم التبليغ والانباء (والدعاء الى الله) لقوله تعالى
وداعيا الى الله باذنه (وصلاة الله والملائكة) اى وملائكته عليه لقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبى (والحكم بين الناس بما اراه الله) اى بما اعلمه وبين حكمه والهمه لقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (ووضع الاصر) بكسر الهمزة قيل وتضم اى حط العهد الثقيل والتكليف
الوبيل وقيل المراد به العقوبة من نحو المسخ (والاغلال) اى العبادات الشاقة (عنهم) اى عن امته لقوله ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وهى جمع غل وهو ما يوضع فى العنق شبه ما كان لازما لهم من مشاق الاعمال
بالاغلال (والقسم باسمه) اى الحلف بعمره لقوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون (واجابة دعوته) اى فى
مواطن كثيرة كبدر اذ قال اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم (وتكليم
الجمادات) لحديث البخارى انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قيل هو الحجر الاسود وقيل الحجر المركوز
فى جدار زقاق الحجر (والعجم) بضم فسكون جمع اعجم وهو من الحيوان ما لا يقدر على الكلام ومنه الحديث
اذا ركبتم هذه الدواب العجم وحديث العجماء جبار اى وتكليم البهائم كنطق الضب والظبى والجمل وحماره عليه
الصلاة والسلام الذى قال له اسمى يزيد بن شهاب حين قال له يعفور (واحياء الموتى) اى المعنوية والحسية لما
ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قفل من غزاة فمات بعير بعض اصحابه دعا الله فاحياه حتى ركبه الى المدينة
ثم مات وكما روى فى قصة البنت التى طرحها ابوها فى الوادى فماتت (واسماع الصم) كامره صلى الله تعالى عليه وسلم
الحجارة ان يجتمع لقضاء حاجته فتعاقدن حتى صرن ركاما على ما فى الصحيح (ونبع الماء من بين اصابعه) لما فى البخارى
عن جابر فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه (وتكثير القليل) لحديثى انس فى قصة ابى طلحة وزاد فى البخارى فانه
امر بما بقى منه فجئ بقليل منه فدعا وبرك فيه فكثر حتى ملئوا كل وعاء معهم (وانشقاق القمر) قال انس سأله قريش
آية فانشق مرتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انفلق فلقتين ذهبت فلقة وبقيت فلقة وعن ابن مسعود
رأيت حراء عليه فلقتى القمر (ورد الشمس) اى فى الخندق وصبيحة الاسراء واما ما ذكره التلمسانى من انها وقفت ليلة
الاسراء او زيد فى كمية الليل فلا يصح بل هو من بسط الزمان من غير تغير فى ظاهر العيان (وقلب الاعيان) اى

الذوات النابتة لحديث عكاشة كان معه صلى الله عليه وسلم يوم بدر عصا فصارت بيده سيفا صارما (والنصر بالرعب) بسكون العين وبضم اى بالخوف لقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ولحديث نصرت بالرعب (والاطلاع على الغيب) اى اطلاعه على بعض المغيبات لحديث خروج الدجال والدابة وغيرهما فالاطلاع بتشديد الطاء وهو مطاوع الاطلاع بالتخفيف لان الله عز وجل هو الذى اطلعه ويمكن ان يكون هنا بالتخفيف والتقدير باطلاع الله اياه واما قول التلمسانى ولا يشدد لفساد المعنى فغفلة عن تحقيق المبنى (وظل الغمام وتسبيح الحصى) اى فى كفيه الكرام (وابراء الالام) لاحاديث بها رواها الاعلام والالام جمع الالم والله اعلم (والعصمة من الناس) لقوله تعالى والله يعصمك من الناس (الى) اى منتهية هذه الفضائل البهية الى (مالا يحويه محتفل) بكسر الفاء اى لا يشمله جامع مهتم بجمعه لكثرة افراده (ولا يحيط بعلمه الا مانحه) اى معطيه صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ومفضله) اى ولا يحيط بعلمه الا مفضله على غيره (به لا اله غيره الى) اى منضمة هذه الى (ما اعدله فى الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس) بضم وبضمتين اى المنزهة عن النقصان والزوال فى الجنة العالية (ومراتب السعادة والحسنى) اى والمثوبة الحسنى مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والزيادة التى تقف دونها العقول ويحار) بفتح الياء اى يتحير فى معرفتها ويحيل احاطتها (دون ادانيها) اى عند اوائلها فضلا عن اقاصيها وفى نسخة عند ادراكها (الوهم) اى اوهام الخواص والعوام ولعلها رؤية الملك العلام لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد جاء تفسيرها فى الحديث الصحيح بالرؤية رزقنا الله تعالى تلك السعاده وختم لنا بالشهاده قال التلمسانى وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حاز خصال الانبياء كلها واجتمعت فيه اذهو عنصرها ومنبعها فاعطى خلق آدم ومعرفة عيسى وشجاعة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل ورضى اسحق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وجمال يوسف وشدة موسى وصبر ايوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار الياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمس صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع اخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليقتبسوها منه وقد افصح بذلك البوصيرى حيث قال

فكل آى اتى الرسل الكرام بها ❊ فانما اتصلت من نوره بهم

(فصل) اى فى جمل من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قلت اكرمك الله) جملة دعائية معترضة بين القول ومقوله (لا خفاء على القطع بالجملة) اى بطريق الاجمال فى التفضيل لا بطريق التفصيل اذ قد يتوهم عدم القطع بان يوجد فى غيره نعت له بالخصوص بكونه اعلى وبهذا تبين ان لا يصح قول الدلجى فضلا عن القطع بالتفصيل (انه صلى الله تعالى عليه وسلم اعلى الناس قدرا) اى مرتبة (واعظمهم محلا) اى منزلة وكان الاحسن كما قال الدلجى ان يقال اعظمهم قدرا واعلاهم محلا اذ العظمة بالقدر اليق والعلو بالمحل اوفق (واكملهم محاسن وفضلا) والمنصوبات كلها تمييزات (وقد ذهبت) خطابا للمصنف من جملة المقول حالية معترضة بين الشرط والجزاء اى وقد سلكت (فى تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا) اى طريقا حسنا من كمال جماله (شوقنى) اى هيجنى واقلقنى (الى ان اقف عليها) اى اطلع على خصال الكمال (من اوصافه) اى شمائله وفضائله (تفصيلا) اى تبيينا او تفريعا فصلا فصلا (فاعلم) خطاب خاص او عام لمن يصلح له (نور الله قلبى وقلبك وضاعف فى هذا النبى الكريم حبى وحبك) جملة دعائية معترضة بين العامل ومعموله وهو (انك اذا نظرت الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة) اى غير مستفادة (وفى جبلة الخلقة) عطف على غير اى فى اصل الخلقة وجبلة الطبيعة والاضافة بيانية (وجدته) اى صادفته (صلى الله تعالى عليه وسلم حائزا) بالحاء اى حاويا وجامعا (لجميعها محيطا بشتات محاسنها) اى متفرقاتها (دون خلاف) اى بلا خلاف بين نقلة الاخبار) اى الاحاديث والآثار (لذلك) اى لما ذكر من حيازته جميع خصال الابرار (بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع) اى بسبب التواتر المعنوى ثم خصال كماله انواع كما فصله المصنف بقوله (اما الصورة) اى الصورة النبوية (وجمالها) اى وجمال تلك الصورة الخلقية (وتناسب اعضائه فى حسنها) اى مما لم يتصور ان تكون كسبية بل هى خلقية وهبية (فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة) اى المستفاضة (الكثيرة) نعت لهما (بذلك من حديث على وانس بن مالك وابى هريرة) واسمه عبد الرحمن على الصحيح من ثلاثين قولا ومنع هريرة من الصرف مع انه ليس فيه من العلل الا التانيث لان العلم الاضافى قد ينزل منزلة كلمة ويجرى عليه احكام الاعلام (والبراء بن عازب) وهما صحابيان انصاريان (وعائشة ام المؤمنين وابن ابى هالة) اى من خديجة الكبرى رضى الله تعالى عنها فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه هند شهد بدرا وقتل مع على كرم الله وجهه يوم الجمل (وابى جحيفة) بضم جيم وفتح حاء (وجابر بن سمرة) بفتح فضم (وام معبد) بفتح الميم والموحدة عاتكة بنت خالد وهى التى نزل عليها النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم حين هاجر الى المدينة وكان منزلها بقديد مصغرا (وابن عباس) رضى الله عنه اى عبد الله (ومعرض ابن معيقيب) بتشديد الراء المكسورة والتصغير فى معيقيب وقال التلمسانى معرض بكسر الميم وفتح الراء وهو مخالف للاصول المصححة وللحواشى المصرحة (وابى الطفيل) مصغرا واسمه عامر بن واثلة مات بمكة وهو آخر من مات من الصحابة فى الدنيا شيعى تفضيلى (والعداء بن خالد) بفتح عين وتشديد دال مهملتين ممدودا (وخريم بن فاتك) بكسر التاء وتصغير خريم بالخاء المعجمة والراء (وحكيم بن حزام) بكسر الحاء وبالزاى ولد فى الكعبة قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ولا يعرف احد ولد فى الكعبة غيره على الاشهر وفى مستدرك الحاكم ان على بن ابى طالب كرم الله وجهه ولد ايضا فى داخل الكعبة عاش مائة وعشرين سنة ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام روى انه لما حج فى الاسلام اهدى مائة بدنة مجللة بالحبر واهدى الف شاة ووقف بمائة وصيف بعرفة فى اعناقهم اطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله (وغيرهم) اى ومن حديث غيرهم (رضى الله تعالى عنهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ازهر اللون) اى نيره او حسنه ومنه زهرة الحياة الدنيا او ابيضه لحديث ابيض مشرب حمرة وهو افضل الوان البياض ومعنى قوله ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم بل هو ازهر وهو بين البياض والحمرة وقيل معنى ازهر ما قابل السمرة وابيض ما سواه ودليله قول عائشة رضى الله تعالى عنها كنت ادخل الخيط فى الابرة حال الظلمة لبياض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قول ابى طالب فى مدحه عليه السلام

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ❊ ثمال اليتامى عصمة للارامل

(ادعج) اى شديد سواد الحدقة (انجل) بالنون والجيم اى ذا نجل بفتحتين وهو سعة شق العين مع حسنها (اشكل) اى فى بياض عينيه يسير حمرة ووهم سماك بن حرب فقسره فى مسلم بانه طويل شق العين (اهدب الاشفار) اى كثير شعر حروف اجفان عينيه وهو الهدب جمع شفر بضم وفتح وهو شفير حرف العين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مرفوعا ان الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق يعنى من المسلمين قال التلمسانى والظاهر انه لا يعذبهم وهم فى تلك الصورة بل يسود وجوههم ويزرق اعينهم كما يدل عليه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا (ابلج) بالموحدة والجيم اى ابلج الوجه وهو مشرقه ولم يرد ابلج الحاجبين اى نقى ما بينهما لحديث ام معبد فى دلائل البيهقى وغيره انها وصفته بانه ابلج الوجه اقرن اى متصل الحاجبين (ازج) بالزاى والجيم المشددة اى دقيق شعر الحاجبين طويلهما الى مؤخر العين مع تقوس (اقنى) اى مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير فيها هذا والمشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اشم الانف اى مرتفع قصبته مع استواء اعلاه قال فى الصحاح فان كان فيها احديداب فهو القنى وقد يجمع بينهما بان ارتفاعها كان يسيرا جدا من رآه متاملا عرفه اشم ومن لم يتامله ظنه اقنى (افلج) بالفاء والجيم اى متباعد ما بين ثناياه وقلته ممدوحة (مدور الوجه) اى لكن الى الطول اميل لما ورد فى شمائله ان وجهه لم يكن مدورا وقد يشبه تدوير الوجه بالدينار لاستواء دائرته (واسع الجبين) وهو ما اكتنف الجبهة من يمين وشمال فهما جبينان فيما بين الحاجبين (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى كثير شعرها بحيث (تملا صدره) اى ما يقابلها مع قصر فيها وانبساط اذ كان يأخذ منها ما زاد على القبضة وربما كان يأخذ من اطرافها ايضا والحاصل انه لم يكن كوسج ولا خفيف اللحية ولا مقصوصها غير نازلة الى صدره وقال التلمسانى روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سعادة المرء خفة عارضيه ويروى لحيته ومعناه انها لا تكون طويلة فوق الطول وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل فى ثلاث فى طول لحيته ونقش خاتمه وكنيته وعن الحسن بن المثنى انه قال اذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة ولم يتخذ لحية بين لحيتين كان فى عقله شئ وقيل ما طالت لحية انسان قط الا ونقص من عقله مقدار ما طال من لحيته ومنه قول الشاعر

اذا كبرت للفتى لحية ❊ فطالت وصارت الى سرته

فنقصان عقل الفتى عندنا ❊ بمقدار ما طال من لحيته

(سواء البطن والصدر) بالاضافة اليهما ونصب سواء اى كان مستويهما تلويحا باعتدالهما خلقة واشعارا بان خروجهما او احدهما عن الاعتدال بروزا او تطامنا ليس بمحمود وروى برفع سواء منونا مع رفع البطن والصدر (واسع الصدر) اى حسا ومعنى اذ وسع كل احد شفقة وحلما (عظيم المنكبين) بكسر الكاف تثنية المنكب وهو مجمع عظم العضد والكتف (ضخم العظام) اى غليظها مطلقا وخصوصا كان (عبل العضدين) مثنى عضد بفتح وضم هو الصحيح وهو الساعد من المرفق الى الكتف والعبل بفتح عين وسكون موحدة اى ضخمها وكذا قوله (والذراعين) وهو ما بين مفصل الكف والمرفق (والاسافل) اى الفخذين والساقين وهذا كله مما يؤذن بكمال قوته لحديث البخارى

انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (رحب الكفين) بفتح الراء وسكون الحاء اى واسعهما صورة ومعنى اذ وسع كل احد عطاء
وقال الدلجى فى نوع الترشيح من بديعيته عم الورى بيد سحاء برشحها * عطاء ليس يخشى الفقر من عدم
(والقدمين) اى واسعهما طولا وعرضا (سائل الاطراف) اى تام الايدى والارجل والاصابع طويلها وهو بالسين
المهملة وروى بالمعجمة (انور المتجرد) بفتح الراء المشددة اى كان ما تجرد من بدنه اشرف من غيره (دقيق المسربة) بفتح
ميم وسكون سين مهملة وضم راء وقال التلمسانى وبفتحها وهى خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة ودقيق بالدال
قال التلمسانى ويجوز فيه الراء قلت بينهما فرق دقيق (ربعة القد) بفتح الراء وسكون الموحدة اى مربوع القامة كما رواه
البيهقى وابن ابى خيثمة فى تاريخه (ليس) اى هو او قده (بالطويل البائن) اى المفرط فى الطول من بان بمعنى بعد او ظهر
(ولا بالقصير المتردد) بكسر الدال وهو الذى كانه تردد بعض خلقه على بعض من قصره والجملة بيان لما قبلها (ومع ذلك)
اى مع كونه ربعة (فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله) اى غلبه النبى (عليه الصلاة والسلام) فى الطول
مزية خص بها تلويحا بانه لم يكن احد عند ربه افضل منه لا صورة ولا معنى (رجل الشعر) بكسر الجيم وبفتح
وقد يسكن وبفتح العين وتسكن اى بين الجعودة والسبوطة (اذا افتر) بتشديد الراء اى اذا ابدى اسنانه حال كونه
(ضاحكا) اى متبسما (افتر) اى انكشف (عن مثل سنا البرق) بقصر سنا وقد يمد وقيل بالقصر النور وبالمد الشرف
والعلو اى يشبه ضوءه (وعن مثل حب الغمام) اى السحاب وهو البرد بفتحتين يعنى مثله فى البياض والصفاء وامتزاج
الماء فهو بهذا الاعتبار العالى اولى من تشبيه الاسنان باللآلى ثم التشبيه الثانى ابلغ من الاول فتأمل وقد ابعد الدلجى
فى تفسير حب الغمام بقطراته ثم قال شبه بياض ثغره فى صفائه ونقائه بضوء البرق وما يطفو على ثناياه من ريقه
بقطرات الغمام تشبيها بليغا انتهى موهما ان التركيب من التشبيه البليغ وليس كذلك كما لا يخفى على ارباب المعانى
والبيان وقيل اول ما يضحك تلألأ كالبرق وان بدت اسنانه فهو كالبرد (اذا تكلم رئى) بكسر راء وسكون ياء فهمزة
مفتوحة وروى رئى بتقديم الهمز مجهولا من الرؤية وهو ظاهر ولعل الاول من قبيل القلب دخل فيه الاعلال
قال التلمسانى وهو الافصح والمعنى ظهر (كالنور) اى شئ مثل النور (يخرج من ثناياه) اى يبدو منها او من سناها
لكثرة بياضها او شدة صفائها او ايماء الى درر كلماته وغرر بناتها والحديث رواه الترمذى فى شمائله والدارمى والبيهقى
(احسن الناس) بالنصب عطفا على ما سبق ويجوز ان يكون بالرفع على ان التقدير هو احسن الناس (عنقا) اى جيدا
لاعتداله فى كماله (ليس بمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة اى لم يكن مدور الوجه على ما فى الصحاح وغيره وقيل
هو السمين الفاحش وقيل المنتفخ الوجه وقيل النحيف الجسم (ولا بمكلثم) بفتح المثلثة اى لا يجتمع لحم الوجه
بل مسنون الوجه والحاصل انه لم يكن وجهه مفرطا فى الاستدارة واما حديث على وفى وجهه تدوير فمعناه ان فيه
نوع تدوير اى قليلا منه وابعد اليمنى فى قوله يريد عنقه اى ليس بمدور ولا بمجتمع بل انه مستطيل (متماسك البدن)
اى ليس برهل ولا مسترخ لحمه بل يمسك بعضه بعضا ويقويه ويشده (ضرب اللحم) اى خفيفه ولطيفه لا يابسه وكثيفه
وقيل هو اللحم بين اللحمين لا بالناحل ولا بالمطهم (قال البراء) بن عازب اى كما رواه الشيخان وغيرهما (ما رأيت من
ذى لمة) بكسر لام وتشديد ميم وهى من شعر الرأس ما يجاوز شحمة الاذن وبلغ المنكبين (فى حلة حمراء احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم) ظاهره انها ثوب واحد بشهادة وصفها بحمراء مع اتفاق اهل اللغة انها لا تطلق
الا على ثوبين بشهادة حديث وعليه حلة ائتزر باحداهما وارتدى بالاخرى ولك ان تجيب بان وصفها باعتبار لفظها
لا باعتبار معناها وكفى به دليلا لمن جوز لبس الاحمر بلا كراهة كالشافعى ومالك رحمهما الله تعالى كذا ذكره
الدلجى وفى القاموس الحلة بالضم ازار ورداء برد او غيره ولا تكون حلة الا من ثوبين او ثوب له بطانة وكذا قال الخليل
وغيره لان كل واحد يحل على الآخر او على الجسم وقيل الثوب الجديد الذى يحل من طيه فاندفع دعوى اتفاق اهل
اللغة على الاطلاق بل قال المنجانى ان هذا الحديث يرد عليهم انتهى وليس فى الحديث الذى استشهد به دلالة الا على
احد استعمال الحلة واما كون هذا الحديث دليلا كافيا لتجويز لبس الاحمر فهو كاف مع قطع النظر عما ورد فيه
انواع من الخبر والاثر مما يدل على كراهة لبسه فى الحضر والسفر مع ان الحديث ليس فيه تصريح انه صلى الله تعالى عليه
وسلم لبس الاحمر بل يدل على انه ما رأى من كان صاحب لمة ولابس حلة حمراء مع ان الحسن فى تلك الحالة على غاية
من الصفاء فنفى ان يكون احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اى لبس كان او على تقدير لابسه
ثم على تسليم لبسه يحمل على بيان الجواز وان النهى وارد على سبيل الكراهة لا التحريم او انه قضية واقعة يحتمل
وقوعها قبل النهى مع انه قد يقال للثوب الذى فيه خطوط حمر كثيرة انه احمر فتدبر فان الجمع بين الاحاديث المتعارضة
هو المعتبر وقد قال ابو عبيد الحلل برود اليمن ثم الدليل المبيح والمحرم اذا اجتمعا يقدم دليل المحظور مع انه يكفى فى دليل

امتناعه التشبه بالنساء ولا شك ان تركه احوط فى حق الرجال العقلاء ومع وجود هذه الانواع من الاحتمال كيف يكفى
للاستدلال والله تعالى اعلم بالحال واغرب الانطاكى الحنفى حيث قال فى حاشيته وفى هذا دليل على جواز
لبس الاحمر للرجال وادعى النووى الاجماع على جواز لبسه فى المهذب انتهى ولا يخفى ان دعوى الاجماع باطلة
مع وجود مخالفة الامام الاعظم فى المسئلة وغيره من الائمة ولعله اراد به الاتفاق فى مذهبه والله تعالى اعلم بمقالة
ومشربه هذا وقد قال المنجانى وقد اختلف السلف الماضون فى ذلك فكره بعضهم لبسها هى والمصبوغة بالصفرة
واجازهما قوم آخرون وفرق بعضهم فى هذا بين المشبع فى الصبغ وغير المشبع فاجاز ما لم يكن مشبعا وكره ما اشبع صبغه
ورأى آخرون ان ما اتخذ من هذه الثياب للمهنة جاز مطلقا وما اتخذ للباس كره ودليل الاولين ما ورد فى الحديث
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يتعصفر الرجل او يتزعفر وروى فى الصحيح عن ابن عمر قال رأى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال القهما فانهما ثياب الكفار وقال ابراهيم الخزاعى حدثتنى
عجوز قالت كنت ارى عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأى على الرجل الثوب المعصفر ضربه وقال دعوا هذه الثياب
للنساء واما ما ذكره المنجانى من نسبة عدم الكراهة لابى حنيفة فغير صحيح والله تعالى اعلم (وقال ابو هريرة رضى الله
عنه ما رأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمساواة منفية ايضا بالمشاهدة العرفية
(كأن الشمس تجرى فى وجهه) اى يتوهج كتوهج الشمس لحسنه وصفائه وبهاء ضيائه وقال التلمسانى وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هبط على جبريل فقال يا محمد ان الله تعالى يقول كسوت
حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت نور وجهك من نور عرشى (واذا ضحك يتلألأ) بهمزتين اى تلمع
ثناياه كاللآلى (فى الجدر) بضمتين جمع الجدار وهو حائط الدار رواه احمد والترمذى وابن حبان (وقال جابر بن سمرة)
رضى الله عنه كما رواه الشيخان وغيرهما (وقال) اى والحال انه قال (له رجل كان) وفى رواية أكان (وجهه صلى
الله تعالى عليه وسلم مثل السيف فقال) اى جابر (لا) اى لقصور ضيائه واحتمال فناء صفائه ولتوهم طول بنائه
(بل مثل الشمس والقمر) اى بل كان نظيرهما لاشتمالهما على كمال النور وعلى نوع من الاستدارة فى مقام الظهور ولذا
قال تصريحا بما قدمه تلويحا (وكان) اى وجهه (مستديرا) اى لا مستطيلا فلا ينافى ميلانه الى الطول (وقالت ام
معبد فى بعض ما وصفته به) اى من رواية البيهقى فى دلائله عن اخيها حبيش بن خالد عنها (اجمل الناس) اى اتمهم
جمالا وحسنا صوريا (من بعيد واحلاه) اى احلى الناس وافرد لانه اسم جنس فروعى لفظه دون معناه وكذا قوله
(واحسنه من قريب) اى تبين حلاوة ملاحته وطراوة فصاحته (وفى حديث ابن ابى هالة) اى الآتى (يتلألأ)
اى يضيء (وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر) خص به لانه زمان كماله وسمى بالبدر لمبادرته الشمس للغروب ليلة تمامه
ومبادرتها اياه للطلوع فى صباحه (وقال على رضى الله تعالى عنه) على ما فى جامع الترمذى وشمائله (فى آخر وصفه)
اى نعت على له صلى الله عليه وسلم (من رآه بديهة) اى مفاجأة من غير روية كناية عن اول الوهلة (هابه) اى خافه مخافة
العظمة ووقع فى قلبه منه المهابة (ومن خالطه معرفة) اى من حيث عرف ما كان عليه من حسن العشرة ودوام
البشاشة فنصبها على التمييز وابعد التلمسانى فى جعلها مفعولا له او حالا (احبه يقول ناعته) اى واصفه (لم ار) احدا
من الناس (قبله ولا بعده مثله صلى الله تعالى عليه وسلم) لكرم شمائله وشرف فضائله والمراد من قوله قبله اى قبل
وجوده ولا بعده استيفاء زمانه والا فعلى كرم الله وجهه اصغر سنا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا اذا كانت الرؤية
بصرية واما اذا كانت علمية فلا اشكال والله اعلم بالحال (والاحاديث فى بسط صفته) اى تفصيل نعوته (مشهورة)
اى عند المحدثين (كثيرة) اى عند المؤرخين (فلا نطيل) اى الكتاب (بسردها) اى بذكرها متصلة مفصلة فى الابواب
(وقد اختصرنا) اى اوردنا على وجه الاختصار (فى وصفه نكت) وفى نسخة على نكت (ما جاء فيها) بضم النون وفتح
الكاف جمع نكتة اى لطائف ودقائق ما ورد فى تلك الاحاديث (وجملة) اى واوردنا جملة مجملة (مما فيه الكفاية) ومن
بيانية او تبعيضية (فى القصد الى المطلوب) اى من وصف المحبوب (وختمنا هذه الفصول) اى السابقة باعتبار كل
فصل بابراز ما ورد فى وصفه وفضله (بحديث جامع لذلك تقف عليه هنالك ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(واما نظافة جسمه) اى لطافة بدنه (وطيب ريحه) اى الخارج منه (وعرقه) اى وطيب عرقه وهو بفتحتين رطوبة
تلحق الانسان بسبب حرارة او غيرها (ونزاهته) اى تباعده وبراءته (عن الاقذار) بالذال المعجمة اى الاوساخ والادناس
الحسية والمعنوية بل كما قيل عن الانجاس الحقيقية (وعورات الجسد) اى ونزاهته عن عيوب توجد فى اجساد الناس
مما يشين الانسان والعورة بسكون الواو ويحرك مأخوذة من العار الذى يلحق الذم بسببه كنقص فيه وخلل فى عضو منه

ثم خرج وانا معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدى احدهم واحدا واحدا واما انا فمسح خدى فوجدت ليده بردا
اوريحا كانما اخرجها من جونة عطار كذا فى مسلم اوريحا بالف وكثيرا ما يوجد بدونها فلعله رواية فيه ولهذا رواه بلفظ
(انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح خده) اى جانب وجهه مما يلى الوجنة من الاسفل (قال فوجدت ليده بردا اوريحا
كانما اخرجها من جونة عطار) وهو بضم الجيم وسكون الواو وقد تهمز اوهمزتها اصلية وقد تبدل لانها تحذف
كما قاله الدلجى وهى سفط مغشى بجلد يجعل فيه العطار طيبه والعطار فعال نسبة لا مبالغة (قال غيره) اى غير جابر
ابن سمرة (مسها بطيب اولم يمسها يصافح) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (المصافح) اى له (فيظل) بفتح ظاء معجمة
وتشديد لام يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا فى الكلام تجريدا اوتأكيد وقد يجيء بمعنى دام وصار والمعنى فيصير
ذلك المصافح له (يومه) اى طول نهاره (يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبى) اى مثلا (فيعرف) بصيغة المجهول اى
فيميز (من بين الصبيان) بكسر الصاد ويضم جمع الصبى (بريحها) اى بسبب ريح يده صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس
ذلك الصبى (ونام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه مسلم (فى دار انس) اى على فراش امه ام سليم بضم
السين بنت ملحان بكسر الميم وقيل بفتحها واما ما وقع فى بعض كتب الشافعية ان ام سليم جدة انس رضى الله عنه
فخطأ (فعرق) بكسر الراء (فجاءت امه) اى ام انس (بقارورة) اى باناء من زجاج (تجمع فيها عرقه) اى تبركا وتطيبا
(فسألها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك) اى عن جمعها اياه المستفاد من الفعل (فقالت نجعله فى طيبنا
وهو) اى طيبه اوطيبنا باختلاط طيبه (من اطيب الطيب) بل اطيب الطيب وفى رواية نرجو بركته لصبياننا زاد
البخارى فاوصى انس ان يجعل منه فى حنوطه قال الدلجى وانما نام على فراشها لانها واختها ام حرام كما فى اكمال
المصنف خالتاه من الرضاعة وانكر فان صح ففى الحديث جواز الخلوة بين بينها وبينه محرمية او النوم عندها العصمته
صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وهو غريب اذ ليس فى الحديث ما يدل على وقوع الخلوة مع ان جوازها مع المحرم
لا يعرف له خلاف وقد ورد لا يخلون رجل بامرأة ثيب الا ان يكون ناكحا اوذا محرم ثم قوله لعصمته ينافى ما استدل به
على جوازه لكونها علة لاختصاصه فكان حقه ان يقول والا اى وان لم يصح فالنوم عندها لعصمته صلى الله تعالى
عليه وسلم هذا وفى صحيح مسلم انه كان يدخل بيت ام سليم وينام على فراشها اذا لم تكن فيه فجاءت ذات يوم فنام عليه فاتت
فقيل لها هذا النبى نائم على فراشك فجاءت وقد عرق الحديث (وذكر البخارى فى تاريخه الكبير عن جابر)
اى ابن عبد الله صحابيان انصارى آخر من مات بالمدينة من الصحابة وعنه استغفر لى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم خمسا وعشرين استغفارة كل ذلك اعده بيدى يقول اديت عن ابيك دينه فاقول نعم فيقول يغفر الله لك (لم يكن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمر فى طريق) اى من طرق المدينة وغيرها (فيتبعه) بتخفيف التاء وفتح الباء وبتشديد
التاء وكسر الباء وبرفع وبنصب اى فيجيء عقبه (احد الا عرف) اى ذلك الاحد (انه) اى النبى صلى الله عليه وسلم
(سلكه) اى دخل ذلك الطريق ومر به (من طيبه) متعلق بعرف اى من اجل طيبه وبسببه وروى البزار وابو يعلى
بسند جيد عن انس رضى الله عنه كان اذا مر فى الطريق من طرق المدينة وجد فيه رائحة المسك فيقال مر رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا الطريق (وذكر اسحق بن راهويه) بضم هاء ثم فتح ياء وتاء على الصحيح وهو مروزى عالم
خراسان روى عنه الجماعة الا ابن ماجه (ان تلك) اى الرائحة (كانت رائحته) بالنصب وفى نسخة ان تلك رائحته
اى فى اصل خلقته (بلا طيب) اى من غير استعمال طيب فى ثوبه اوبدنه وروى ابن ابى بكر فى سيرته ان ام سلمة وضعت
يدها على صدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته فمكثت جمعا لا تأكل ولا تتوضأ الا وجدت ريح المسك
بين يديها (وروى المزنى) بضم ميم وفتح زاى فنون وياء نسبة مصرى كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا
قال الشافعى رحمه الله فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه له تصانيف كالمبسوط والمختصر وغيرهما وصنف كتابا مفردا
على مذهبه لا على مذهب الشافعى وهو مدفون بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى وفى نسخة صحيحة الحربى وهو بحاء
مهملة وباء موحدة وهو ابراهيم بن اسحق حنبلى المذهب اصله من مرو ونسب الى الحربية وهى محلة معروفة ببغداد
وهى تنسب الى حرب بن عبد الله صاحب المنصور (عن جابر اردفنى النبى صلى الله عليه وسلم) اى اركبنى (خلفه)
الردف بكسر الراء من يركب خلف راكب يقال اردفنى وردفنى (فالتقمت خاتم النبوة) بفتح التاء وكسرها يقال
لقمه والتقمه اى ادخله فى فمه كاللقمة والمراد بخاتم النبوة الذى كان كالتفاحة او بيضة الحمامة اوكزر الحجلة بين
كتفيه وقد اوضحته فى شرح الشمائل (بفمى) وفى نسخة بفى بكسر الفاء وتشديد الياء وذكره من باب التأكيد
كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى (فكان) اى الخاتم (ينم) بكسر النون وتضم وبتشديد الميم اى يجلب الريح ويفوح
(على مسكا) اى ريح مسك اوكمسك ومنه النميمة والطيب نمام اى يفوح وان لم يرد صاحبه ذلك والزجاج كذلك

(فكان قد خصه الله فى ذلك) اى ما ذكر (بخصائص لم توجد فى غيره) الجملة صفة كاشفة لما قبلها (ثم تممها) اى كمل
تلك الخصائص الحسية (بنظافة الشرع) اى بلطائف الآداب الشرعية والخصائص المعنوية التى من جملتها قوله
(وخصال الفطرة) وهى اصل الخلقة فان الله تعالى خلق عباده قابلين للحق حتى لو خلوا وما خلقوا عليه لاهتدوا به
كما ورد حديث كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقال تعالى فطرة الله التى فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وقال ابو بكر بن العربى هى عبارة عن اصل الخلقة فان الانسان يخلق
سليما من عشرة اقذار ثم تطرأ عليه ثم امر بالتنظيف منها والمراد بالفطرة هى الاسلام والمذكورة فى قوله صلى الله
عليه وسلم عشر من الفطرة ولذلك اتى بالالف واللام للمعهود علما كقوله تعالى اذ هما فى الغار وان لم يتقدم لها ذكر
فقد علم ضرورة فالمعنى خصال دينية (العشر) اى خصوصا لما فى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص
الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال مصعب بن شيبة راويه ونسيت العاشرة الا ان
تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعنى الاستنجاء وروى ابو داود نحوه الا انه قال بدل انتقاص انتضاح وفى
رواية انتقاض بفاء وضاد معجمة وكلها كناية عن الاستنجاء هذا وحلق اللحية منهى عنه واما اذا طالت زيادة على القبضة
فله اخذها هذا وقال المؤلف فى شرح مسلم ولعل العاشرة الختان لانه مذكور فى قوله عليه الصلاة والسلام الفطرة
خمس او خمس من الفطرة قلت فاذن بعد المضمضة والاستنشاق خصلة واحدة لاتحاد حكمها والله تعالى اعلم (وقال)
اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والاولى قال بدون واو (بنى الدين على النظافة) اى الطهارة الباطنة والظاهرة وهذا
الحديث وان قال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم اجده هكذا بل فى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة رضى
الله عنها تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف من حديث ابن مسعود رضى الله عنه
النظافة تدعو الى الاسلام انتهى فقد روى الرافعى فى تاريخه بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه بعض حديث
مرفوعا تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله تعالى بنى الاسلام على النظافة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف ويعضده
حديث الترمذى ان الله نظيف يحب النظافة فنظفوا افنيتكم (حدثنا سفيان بن العاص) بتثليث سين سفيان
سمع الباجى وابن عبد البر وغيرهما واخذ عنه المصنف واكثر (وغير واحد) اى كثيرون من مشايخنا (قالوا حدثنا
احمد بن عمر) صاحب كتاب الاعلام باعلام النبى عليه السلام (حدثنا ابو العباس الرازى) وهو ابن بندار الخراسانى
(حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم بلا خلاف ذكره الدلجى وغيره وقال التلمسانى بضم الجيم وفتحها منسوب
لجلود قرية ببغداد وقيل بالشام وقيل سكة نيسابور الدارسة وقيل بافريقية وقيل كان يبيع الجلود وكان
شيخا صالحا نيسابوريا ينتحل مذهب سفيان الثورى (حدثنا ابن سفيان) اى المروزى او النيسابورى (حدثنا
مسلم) اى النيسابورى صاحب الصحيح روى عن احمد بن حنبل وغيره وعنه الترمذى وابن خزيمة وابو عوانة وغيرهم
(حدثنا قتيبة) هو ابن سعيد الثقفى البلخى يكنى ابا رجا سمع الليث ومالكا وابن عيينة وغيرهم (حدثنا جعفر بن
سليمان) الضبعى سمع ثابتا البنانى ومالك بن دينار وروى عنه ابن المبارك قيل مع كثرة علمه كان اميا (عن ثابت)
هو ثابت كاسمه وهو ابن اسلم البنانى بضم الموحدة يروى عن انس وابن عمر وابن الزبير وخلق وعنه الحمادان وامم وكان
رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الجماعة وهو ثقة بلا مدافعة
(عن انس) خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاوز عمره المائة وكذا اولاده وفى الصحابة من اسمه انس اثنان
وعشرون وفيهم انس بن مالك اثنان هذا وهو المشهور وانس بن مالك ابو امية القشيرى وقيل الكعبى وانتقل انس
الى البصرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه ليفقه الناس بها وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة (قال
ما شممت) بكسر ثانيه ويفتح (عنبرا) هو شيء يلفظه البحر اى يرمى به ويقال انه روث دابة من دواب البحر ولا يصح
واصول الطيب خمسة اصناف المسك والكافور والعود والعنبر والزعفران وكلها تحمل من ارض الهند الا الزعفران
والعنبر واجود العنبر هو المدور الابيض كبيض النعام او دون ذلك (قط) اى فيما مضى من عمرى وهو بفتح قاف
وتشديد طاء مهملة مضمومة وتنون وهى للابد الماضى وقد تكسر الطاء وبضمان وتخفف الطاء مع ضمها واسكانها
(ولا مسكا) واطيب المسك ما خرج من الظباء بعد بلوغ النهاية فى النضج وغزلان المسك نوع خاص من الظباء
(ولا شيأ) اى آخر من انواع الطيب (اطيب) اى افيح (من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتتمته ولا مسست قط
ديباجا ولا حريرا ولا شيأ الين لمسا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث كما ترى فى مسلم وكذا
فى الشمائل (وعن جابر بن سمرة) اى فيما رواه مسلم ايضا عنه قال صليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

لان المرآة ترى للانسان مافيه من حسن اوقبح ولا تستر شيأ وفى المثل انم من الزجاج وفى رواية يثج بضم مثلثة وقد تكسر
اى يسيل تشبيه له بثج دماء الهدى اى سيلانها بسرعة ومعناه ههنا يفوح وتسطع رائحته بكثرة هذا وقد جمع بعضهم
من اردفه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغ نيفا وثلاثين ولم يذكر منهم جابرا (وقد حكى بعض المعتنين) اسم فاعل
من الاعتناء اى المهتمين (باخباره وشمائله) اى سيره وآثاره (صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط)
اى يريد اخراج الغائط وهو ما يبرز من ثفل الطعام من المحل المعتاد ويطلق على المطمئن من الارض كما فى قوله تعالى
او جاء احد منكم من الغائط (انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت) بالفاء وفى نسخة بالباء الموحدة بدل الفاء
اى ظهرت (لذلك رائحة طيبة صلى الله تعالى عليه وسلم) ذكره البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها وقال انه موضوع
كما سيأتى (واسند محمد بن سعد) روى عن ابن عيينة وعنه ابن ابى الدنيا (كاتب الواقدى) وهو صاحب الطبقات وله
تاليف جيد مفيد فى تعريف رجال الحديث قال ابن جماعة هو ثقة لكنه يروى عن الضعفاء منهم شيخه محمد بن عمر
الواقدى والواقدى ولى القضاء ببغداد للمامون وروى عن مالك حديثا كثيرا وروى عنه الشافعى وغيره واستقر
الاجماع على ضعفه كما فى الميزان (فى هذا) اى فى ان الارض تبتلع ما يخرج منه وتفوح له رائحة طيبة (خبرا عن
عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم انك تاتى الخلاء) هو بالمد (فلا نرى منك شيأ) ويروى فلا
يرى منك شئ (من الاذى) بالقصر وهو ما يكره ويغتم به (فقال يا عائشة اوما) اى اجهلت وما (علمت ان الارض تبتلع)
وفى نسخة تبلع بفتح اللام (ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ) وروى الدارقطنى فى افراده عنها قالت قلت يا رسول
الله اراك تدخل الخلاء ثم يجيء الرجل يدخل بعدك فما يرى لما تخرج منك اثرا فقال اما علمت ان الله امر الارض ان تبتلع
ما خرج من الانبياء (وهذا الخبر) اى الذى اسنده ابن سعد (وان لم يكن مشهورا) اى معروفا بين المحدثين وليس المراد به
المشهور المصطلح عندهم نعم قال ابن دحية بعد ان اورده هذا سند ثابت قيل وهو اقوى ما فى الباب ومع هذا (فقد قال
قوم من اهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه صلى الله تعالى عليه وسلم) عبر عن الخارجين بهما استهجانا للتصريح
باسمهما (وهو قول بعض اصحاب الشافعى رحمه الله) وعليه كثير من الخراسانيين لكن المعتمد فى المذهب خلافه كما
ذكره الدلجى وقال ابو بكر بن العربى بول النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه طاهران وهو احد قولى الشافعى وقال
النووى فى الروضة ان بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على احد الوجهين وفيه ان الحديث السابق لا يدل على المدعى
كما لا يخفى بل على ضده كما يدل عليه الابتلاع اللهم الا ان يقال الريح الطيبة تدل على الطهارة وفيه بحث نعم قال البغوى
بذلك مستدلا بشهادة الاستشفاء ببوله ودمه على ما نقله الدلجى وقرره وفيه نظر ايضا من جهة عدم لزومه اذ وقع
الاستشفاء ببول الابل والجمهور منهم القائل به على نجاسته (حكاه) اى القول بطهارتهما (الامام ابو نصر ابن الصباغ)
بالباء الموحدة المشددة (فى شامله) هو بغدادى شافعى المذهب له تآليف منها الشامل ومنها الكامل (وقد حكى القولين
عن العلماء فى ذلك) اى فى كونهما طاهرين او نجسين (ابو بكر) وفى رواية ابو الحسن (ابن سابق) بكسر الموحدة (المالكى
فى كتابه البديع فى فروع المالكية وتخريج ما لم يقع لهم) اى للمالكية (منها) اى من الفروع التى هى (على مذهبهم)
اى ولم يخرجوها وانما خرجت (من تفاريع الشافعية) والظاهر المتبادر ان قوله وتخريج مجرور عطفا على فروع
كما اشار اليه التلمسانى وصرح به الانطاكى وابعد الدلجى وجعله منصوبا عطفا على القولين ثم قال والتخريج
فى اصطلاحهم ان ينص الشافعى على حكمين مختلفين فى صورتين متشابهتين ولم يظهر لهم ما يصلح فارقا بينهما
فينقلوا نصه فى كل صورة منهما الى الاخرى كمسئلتى الاجتهاد فى الاوانى والقبلة اذ قد منع فى الاولى العمل بتغيير
الاجتهاد وجوزه فى الثانية فنقلوا منعه فى تلك الى هذه وتجويزه فى هذه الى تلك فصار فى كل قولان منصوص عليهما
ومخرج المنصوص فى كل هو المخرج فى الاخرى (وشاهد هذا) اى دليل هذا القول على طهارة ما ذكر (انه صلى الله
تعالى عليه وسلم لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب) وفيه انه منقوض بما صح عن عائشة رضى الله عنها انها كانت
تغسل المنى من ثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبانه كان يستنجى بنحو حجر ومدر وايضا انه لو كان الخارجان
منه طاهرين لما كانا حدثين ناقضين كالعرق والدمع والبزاق والمخاط ونحوها والاجماع على انه صلى الله تعالى عليه
وسلم فى نواقض الوضوء كالامة الا ما صح استثناؤه كالنوم بدليل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ينام عيناه ولا ينام
قلبه كما سيأتى (ومنه) اى ومن الشاهد بانه لم يكن منه شئ يكره ولا غير طيب (حديث على رضى الله عنه) اى فيما رواه
ابن ماجه وابو داود فى مراسيله انه قال (غسلت النبى عليه السلام) بتشديد السين وتخفيفها وهو اظهر (فذهبت)
اى شرعت وقصدت (انظر ما يكون من الميت) اى من خروج دم وغيره من النجاسات عند خروج روحه او حين غسله
(فلم اجد شيأ) اى مما خرج منه (فقلت طبت حيا وميتا) ونصبهما على الحال او على نزع الخافض اى فى الحياة

والممات او على التمييز ذكره التلمسانى ولا يخفى بعد ما عدا الاول فتأمل فانه موضع زلل ومحل خطل ثم انت ترى ان هذا
الحديث لا يصلح ان يكون شاهدا كما لا يخفى وقد روى عن على كرم الله وجهه انه حين غسل النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم مسح بطنه فلم يجد شيأ فقال طبت حيا وميتا وفى رواية فاح ريح المسك فى البيت لما فى بطنه قيل وانتشر فى المدينة
(قال) اى على (وسطعت) اى ارتفعت وانتشرت وفاحت (منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله) اى ومثل قول
على طبت حيا وميتا (قال ابو بكر) رضى الله عنه (حين قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته) رواه البزار
عن ابن عمر بسند صحيح وهو بعض خبر فى البخارى (ومنه) اى ومن الشاهد (شرب مالك بن سنان) بكسر السين
المهملة واما الشرب فبضم المعجمة ويجوز فتحها وكسرها (دمه) اى دم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد ومصه
اياه) قيل شربه ابتلاعه ومصه اخذه من الجرح بفيه او شربه ابتلاعه دفعة ومصه ابتلاعه قليلا قليلا وروى اذ ذاك
مرفوعا من مس دمه دمى لم تصبه النار (وتسويغه صلى الله عليه وسلم) اى تجويزه (ذلك له وقوله له لن تصيبه النار)
رواه الطبرانى عن ابى سعيد الخدرى عن ابيه مالك بن سنان قتل يوم احد وهو جبل معروف يخفف ويثقل وقيل
يخفف ذكره التلمسانى والتشديد فيه غريب ورواه البيهقى عن عمر بن السائب ثم فى الحديث قد يقال ان الضرورات
تبيح المحظورات (ومثله) وفى اصل الدلجى ومنه اى ومن الشاهد كما رواه الحاكم والبزار والبيهقى والبغوى والطبرانى
والدارقطنى وغيرهم فالعجب من ابن الصلاح انه قال هذا حديث لم اجد له اصلا بالكلية وهو فى هذه الاصول (شرب
عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له عليه الصلاة والسلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه) وفيه
ان هذا حكم مسكوت عنه بعد وقوعه ولم يدخل تحت تقريره اذ لم يطلع على شربه حال فعله مع ان فى قوله ويل لك
من الناس وويل لهم منك نوع نكير عليه اذ الويل الفضيحة المترتبة على الفتنة وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته امه رآه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو هو فسمعته امه فامسكت عن ارضاعه فقال ارضعيه ولو بماء عينيك
كبش بين ذئاب فى ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما اخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من المغيبات اذ قد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية واطاعه اهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان
وحج بالناس ثمانى سنين ثم وقعت الفتنة وعمرو بن سعيد على المدينة نائبا لعبد الملك بن مروان فكان يبعث البعوث
اليه منها الى مكة حتى ارسل له عبد الملك الحجاج فابتدأ حصاره غرة ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وحج تلك السنة
الحجاج ووقف بعرفة عليه درع ومغفر ولم يطف الناس بالبيت فى تلك الحجة فحاصره ستة اشهر وسبعة عشر يوما ثم قتل
فى نصف جمادى الاخرة سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة واياما على ما ذكره الدلجى وروى الشعبى
قال هاج الدم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحجمه ابو طيبة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشكموه
فاعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعنى الدم قال فتوارى ابن الزبير فشرب الدم فبلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار او لا تمسه النار قال الشعبى فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال
اما الطعم فطعم العسل واما الرائحة فرائحة المسك اقول فهذا من باب قلب الاعيان الذى عد من معجزات الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وبهذا يندفع نزاع الفقهاء ويؤيده ما ذكره التلمسانى عن عائشة رضى الله عنها وذكرت انها
لا تجد فى الخلاء شيأ فقال انا معاشر الانبياء تنبت اجسادنا على ارواح الجنة فما خرج منها من شئ ابتلعته الارض
ولكن رواه البيهقى فى الدلائل عنها ثم قال هذا من موضوعات الحسين بن علوان لا ينبغى ذكره ففى الاحاديث الصحيحة
المشهورة من معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان انتهى وروى ان رجلا قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
ابعد فى المذهب فلما خرج نظرت فلم ار شيأ ورأيت فى ذلك الموضع ثلاثة الاحجار اللاتى استنجى بهن فاخذتهن فاذا بهن
يفوح منهن روائح المسك فكنت اذا جئت يوم الجمعة المسجد اخذتهن فى كمى فتغلب رائحتهن روائح من تطيب وتعطر
(وقد روى نحو من هذا عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى امرأة شربت بوله) اى من غير علم بانه بول
كما سيأتى (فقال لها لن تشتكى) باسكان الياء على ان النون حذفت للناصب (وجع بطنك ابدا) وفى رواية لن تلج النار
بطنك والحديث رواه الحاكم واقره الذهبى والدارقطنى (ولم يأمر واحدا منهم) اى احدا ممن شربه وفيه تغليب الرجال
على النساء (بغسل فم) لا دلالة فى الاحاديث على الامر ولا على عدمه مع ان غسل الفم من البول كان عندهم
من قبيل المعلوم بالضرورة وعلى تسليم عدم الامر لا يثبت طهارته لاحتمال الذهول او للاعتماد على الظهور
الا ان يثبت انه رأى احدا منهم يصلى من غير غسل فم مثلا وسكت عليه واقره كما هو مقرر عند ارباب الاصول
(ولا نهاه) اى الاحد (عن عوده) اى عن عود شرب بوله وفيه انه لا يحتاج الى النهى عن العود الا اذا وقع ذلك الفعل
عن العمد من غير ضرورة ولا حالة جذبة وسيأتى اعتذارها بانها شربته بغير علمها وفى نسخة صحيحة بلفظ عودة بالتاء

للوحدة هـذا وروى ابن عبد البران سالم بن ابى الحجاج حجمه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ازدرد اى ابتلع دمه فقال اما علمت ان الدم كله حرام وفى رواية لا تعد فان الدم كله حرام (وحديث هـذه المرأة التى شربت بوله صحيح) اى واصحته (الزم الدارقطنى) بفتح الراء وتسكن نسبة الى دارقطن محلة ببغداد وهو صاحب السنن وروى عنه الحاكم وابو ذر الهروى وابو نعيم وغيرهم (مسلما والبخارى) اى كلا منهما (اخراجه) اى تخريج الحديث وذكره باسناده (فى الصحيح) اى فى كل من صحيح البخارى ومسلم اذ رجاله كرجالهما فى الضبط والعدالة وغيرهما لكن انما يتوجه هذا الالزام عليهما لو التزما تخريج جميع الصحيح ولم يلتزماه والحاصل ان هذا الحديث فى مرتبة الحديث الذى اتفق عليه الشيخان من كمال الصحة وان لم يخرجاه فى جامعيهما لكن انتقد عليه فانه جاء من جهة ابى مالك النخعى وانه ضعيف وفى علل الدارقطنى ايضا انه مضطرب من جهة ابى مالك والله تعالى اعلم (واسم هذه المرأة بركة) بالفتحات (واختلف فى نسبها) فقيل هى بنت يسار مولاة ابى سفيان بن حرب بن امية كانت هى وزوجها قيس بن عبيد الله هاجرا مع ام حبيبة بنت مولاها ابى سفيان وزوجها عبيد الله بن جحش فلما تنصر زوج ام حبيبة وبقيت على الاسلام خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزوجها له النجاشى واصدقها عنه اربعمائة دينار او اربعمائة اوقية ذهب ثم بعثها اليه مع شرحبيل بن حسنة وقدمت بركة هذه معها وكانت تخدمها وتخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى اسم لثلاثة منهن ام ايمن (وقيل هى ام ايمن) اى الحبشية مولاته وحاضنته ومرضعته ورثها من ابيه ثم اعتقها لما تزوج خديجة فتزوجها عبيد بن زيد من بنى الحارث فولدت له ايمن وبه كنيت ثم تزوجها بعد النبوة زيد بن حارثة فولدت له اسامة حبه صلى الله تعالى عليه وسلم والى هذا القول ذهب ابن عبد البر وغيره وقال الواقدى كانت ام ايمن عسيرة اللسان فكانت اذا دخلت قالت سلام لا عليكم يعنى سلام الله عليكم فرخص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تقول سلام عليكم او السلام عليكم كذا ذكره التلمسانى تبعا للحلبى وفيه ان هذا جائز لغيرها ايضا فلا وجه للترخيص لها ولعل الرخصة ان تقول سلام بدون عليكم ويؤيده قولهم ان ذلك كان تكرمة لها وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هى امى بعد امى (وكانت تخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الدال وتكسر على ما فى القاموس فاندفع قول التلمسانى ولا يصح الكسر كما تقوله العامة (قالت) اى المرأة (وكان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان) بفتح عين مهملة ووزنه فعلان او فيعال جمع عيدانة وهى النخلة الطويلة وقيل بكسرها جمع عود (يوضع) اى القدح (تحت سريره فيبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده) اى طلبه ليصبه (فلم يجد فيه شيأ فسأل بركة عنه) اى عن بوله الذى كان فى القدح (فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم) اى انه بول قال الدلجى تبعا لغيره من المحشين الصواب عطشى لانه مؤنث عطشان الا ان تكون لغة قلت الصواب ان عطشانة جاء فى لغة كما فى القاموس وقيل هى لغة بنى اسد ثم القدح اناء يشرب منه ويقال للصغير الغمر بضم الغين وهو اول الاقداح وهو الذى لا يبلغ الرى ثم القعب وهو قد يروى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم غيرها على ما فى كتب اللغة والسرير مرفوع يصنع من خشب ويوضع فى ناحية من البيت او السطح يتخذ للرقاد ووقاية من الارض وما فيها (روى حديثها) اى بكماله (ابن جريج) بالجيمين مصغرا مجمع على كونه ثقة ولد سنة ثمانين ومات سنة خمسين ومائة روى عن مجاهد وعطاء وطاووس وابن ابى مليكة وعنه ابن عيينة والثورى وغيرهما وهو مجمع على ثقته وهو اول من صنف الكتب فى الاسلام وقد روى عن حكيمة بنت اميمة بنت ابى صيفى عن امها قالت كان لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدح من عيدان يوضع تحت سريره ليبول من الليل فيه فبال فيه ليلة ووضع تحت سريره ثم افتقده فلم يجد فيه شيأ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه ما فعل بالبول الذى كان فى هذا القدح فقالت يا رسول الله انى شربته وروى عبد الرزاق عنه قال اخبرت ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فاذا هو ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم ام حبيبة جاءت معها من ارض الحبشة اين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا ام يوسف وكانت تكنى ام يوسف فما مرضت قط حتى ماتت (وغيره) اى ورواه ايضا غير ابن جريج كابى داود وابن حبان والحاكم عن اميمة عن امها وروى الحاكم والدارقطنى عن ام ايمن قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وانا عطشانة فشربت ما فيها وانا لا اشعر فلما اصبح قال يا ام ايمن قومى فاهرقى ما فى تلك الفخارة قلت قد والله شربته فضحك ثم قال اما والله لا يجعن بطنك بعدها ابدا وهذا يدل على انهما واقعتان وقعتا كما قال ابن دحية لبركة ام يوسف وبركة ام ايمن ونصره ما فى خصائص تدريب البلقينى انهما شربتاه هذا وقد شرب ايضا دمه عليه الصلاة والسلام ابو طيبة عاش مائة واربعين سنة وسفينة مولى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البيهقى عن على بن ابى طالب

كرم

كرم الله وجهه ذكره الرافعى فى الشرح الكبير قال ابن الملقن ولم اجده فى كتب الحديث (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولد مختونا) اى لا قلفة له (مقطوع السرة) بضم السين رواه ابو نعيم والطبرانى فى الاوسط وفى دلائل البيهقى بسند ضعيف عن ابن عباس رضى الله عنه عن ابيه انه ولد معذورا مسرورا اى مقطوع السرة مختونا يقال عذره واعذره ختنه وروى الخطيب عن انس رضى الله عنه مرفوعا وصححه ايضا فى المختار من كرامتى على ربى انى ولدت مختونا ولم يرا احد سوءتى وقال الحاكم تواترت الاخبار بولادته مختونا وتعقبه الذهبى بقوله ما اعلم صحته فكيف يكون متواترا قلت يجوز ان يكون الشئ متواترا عند بعض دون بعض وقيل ختن لما شق قلبه عند مرضعته حليمة اى ختنته الملائكة عندها كما ذكره التلمسانى وقيل ختنه جده يوم سابع ولادته وصنع له مأدبة وسماه محمدا (وروى فى بعض الروايات عن امه امنة) بالمد على وزن فاعلة وهى بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ولم تلد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوج غيرها عبد الله على الاصح فيهما وفى اسم آمنة امان امته وفى حليمة حلم وفى بركة بركة فتلك امنة من سائر النقم وذكر السهيلى ان الله عز وجل احيى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ابويه فامنا به ثم اماتهما وكذلك نقله السيوطى فى خصائص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكنه حديث موضوع كما صرح به ابن دحية وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة (انها قالت ولدته نظيفا) اى نقيا (ما به قذر) بفتحتين اى وسخ ودرن كذا رواه ابن سعد فى طبقاته وروى انه ولدته امه بغير دم ولا وجع قال المسعودى ولد عليه السلام فى شهر ربيع الاول من سنة اربعين من ملك كسرى نوشروان فى دار ابن يوسف وهذه الدار بنتها بعد ذلك الخيزران ام الهادى والرشيد مسجدا (وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) اى اما حياء منه اومنهما والحديث رواه ابن ماجه والترمذى فى شمائله وروى عنها انها قالت ما رأيت منه ولا رأى منى اى العورة (وعن على رضى الله عنه اوصانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا) اى بان لا (يغسله غيرى) بتخفيف السين وتشديدها (فانه لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه) بصيغة المجهول وابعد التلمسانى فى قوله بفتح الميم مع انه قال والطمس المحو والمطموس العين هو الذى لا شق بين جفنيه انتهى والمعنى عميت قال الدلجى قوله فانه علة لترك غسله لغير على كرم الله وجهه وتحذير من اقدام غيره عليه وخصه بذلك لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بان له قدرة على غض بصره انتهى وفيه نظر لان غض البصر من كل احد ممكن اذا اوصاه به وفى السيرة عن يونس بن بكر انه نودى وهو يغسله ان ارفع طرفك الى السماء وفيه اشكال اذ لا يمكن غسله بكماله مع غض البصر ورفعه وايضا لا يخلو من انه يغسل مجردا اومعه ثوب يغطى عورته من سرته الى ركبته او فى قميصه ولا اظن ان الاحتمال الاول يصح اذ لا يجوز لغيره ان يفعل هذا به فكيف بمثله صلى الله تعالى عليه وسلم مع قوله فانه اى الشأن لا يرى احد عورتى الا طمست عيناه فهو بيان وتنبيه لعلى وغيره ممن كان يعينه فى غسله من اهل البيت ان لا يقصدوا رؤية عورته ليحترزوا عن كشفها ووقوع نظرهم عليها هذا وعن ابن اسحق لما اختلفوا اهل يغسلونه فى ثوبه اولا نودوا ان غسلوه فى ثوبه انتهى والمراد بثوبه قميصه كما بينته فى شرح الشمائل للترمذى (وفى حديث عكرمة) وهو مولى ابن عباس رضى الله عنه واحد فقهاء مكة وتابعيهم ومفسريهم لكنه اباضى خارجى (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام حتى سمع له) بصيغة المفعول (غطيط) اى صوت يخرج مع نفس النائم (فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان محفوظا) اى من ان يخامر قلبه نوم وان خامر عينيه لحديث انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واما نومه عن صلاة الصبح فى الوادى وعن صلاة التهجد احيانا فالاظهر انه تجديد للوضوء ويجوز ان يكون عن نقض قبله او بعده وقيل عن مخامرة قلبه مع ندرة ليبين لامته لكنه مردود لما سبق من عموم الاوقات المفهوم من الحديث الذى تقدم والله اعلم (فصـــل) (واما وفور عقله) اى زيادته على عقل غيره (وذكاء لبه) بفتح الذال المعجمة ممدودا اى حدة فهمه وسرعة دركه واللب اخص من العقل فانه مختص بالعقل السليم والفهم القويم من لب الشئ خالصه وسره ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لعبرة لاولى الالباب (وقوة حواسه) بتشديد السين جمع حاسة من حس بمعنى احس وهى اسباب علمه من سمع وبصر وذوق وشم واس يعم جميع البدن (وفصاحة لسانه) اى حسن تعبيره وبيانه (واعتدال حركاته) اى وسكناته من قيام وقعود ومشى ورقود ونحو ذلك (وحسن شمائله) اى من خلقه وخلقه (فلا مرية) بكسر الميم وتضم كما قرئ بهما فى قوله تعالى فلا تك فى مرية الا ان الضم شاذ اى فلا شك (انه كان اعقل الناس واذكاهم) بالذال المعجمة اى احدهم طبعا واطيبهم نفعا (ومن تأمل) اى تفكر (تدبيره) اى نظره باعتبار عاقبته (امر بواطن الخلق وظواهرهم) اى بتصرفه فيهما الى حسن ما لهما (وسياسة العامة والخاصة) من سست الرعية سياسة امرتها ونهيتها والظاهر انها بكسر السين وابدلت الواو ياء لحركة ما قبلها

كالقيام والصيام فانهما من مادة السوس على ما فى القاموس وقال الحلبى بفتح السين والظاهر انه سبق قلم اوزلة قدم ثم المراد بالخاصة العالم والمتعلم وبالعامة من عداهم كما ورد الناس اثنان عالم ومتعلم والباقى همج رعاع اتباع لا يعبأ الله بهم وعن على كرم الله وجهه وقد سئل عن العامة فقال همج رعاع اتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق واجمع الناس فى تسميتهم على انهم غوغاء وهم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا انتهى والغوغاء مأخوذ من غوغاء الجراد لانه يركب بعضه بعضا فسميت العامة باسمه لاجل الشبه الحاصل بينهما فى الارتكاب اى يتبع بعضهم بعضا من غير فائدة ولا منفعة واغاهم يقبلون لا لشئ ويدبرون لا لشئ (مع عجيب شمائله) اى اخلاقه العجيبة (وبديع سيره) بكسر ففتح جمع سيرة اى سيره الغريبة (فضلا) مصدر لفعل محذوف يقع متوسطا بين نفى واثبات لفظا ومعنى فالمعنى لم ينل احد عقله بفضل فضلا (عما افاضه) اى زيادة عما ابداه وبينه واذاعه وافشاه (من العلم) اى اعتقاديا وعمليا (وقرره) اى اثبته وحرره (من الشرع) بيان لما افاضه وقرره وذلك كله (دون تعلم سبق) اى له من غيره (ولا ممارسة) اى ملازمة (تقدمت) اى منه لشئ من ذلك (ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر) من الامتراء وهو جواب الشرط اى لم يشك (فى رجحان عقله وثقوب فهمه) بضم المثلثة اى فى سرعة دركه (لاول بديهة) اى فى اول وهلة بدون تفكر ومهلة فكانه يثقب العلم بقوة فهمه كما يثقب النجم الظلام بقوة ضوئه (وهذا) اى ما ذكر (مما لا يحتاج الى تقريره) اى ذكره وتحريره (لتحقيقه) وفى نسخة لتحققه اى لظهور تحققه وثبوت امره عقلا ونقلا (وقد قال وهب بن منبه) بتشديد الموحدة المكسورة وهو تابعى جليل من المشهورين بمعرفة الكتب الماضية روى عن ابن عباس وغيره من الصحابة رضى الله عنهم وروى عنه ابن دينار وعوف الاعرابى وآخرون واتفقوا على توثيقه ويقال انه ما وضع جنبيه على الارض ثلاثين سنة وكان يقول لان ارى فى بيتى شيطانا احب الى من ان ارى وسادة لانها تدعو الى النوم وله اخوة منهم همام بن منبه وعمر بن منبه وهم من ابناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن (قرأت فى احد وسبعين كتابا) اى من كتب الله المنزلة وفى معارف ابن قتيبة قرأت من كتب الله اثنين وسبعين كتابا (فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارجح الناس) اى الخلق (عقلا وافضلهم رأيا) اى تدبيرا ناشئا من العقل الكامل الذى ينظر فى بدء الامر ودبره واوله وآخره وقيل الرأى رأى القلب وهو ما رأه من حالة حسنة (وفى رواية اخرى فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله تعالى عليه وسلم الا كحبة) اى لم يعطهم جميعا منه شيأ نسبته الى عقله الا كنسبة حبة (رمل من بين رمال الدنيا) اى بالنسبة الى رمالها وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس والظاهر انه كان افضلهم رأيا فى الامور الدينية وكذا فى الاعمال الدنيوية باعتبار الاكثرية اوحالة جزمه بالقضية فلا ينافيه حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى اهل المدينة يأبرون النخل بكسر الباء وضمها فسألهم عنه فقالوا كنا نفعله فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوه فنقص ذلك العام فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر مثلكم فاذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوه واذا امرتكم بشئ من رأيى اى مع تردد فيه وعدم جزم بحسنه فانما انا بشر اخطئ واصيب اى فى غير ما اوحى اليه وحيا جليا او خفيا كما اشار اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى الآية (وقال مجاهد) اى كما رواه عنه ابن المنذر والبيهقى مرسلا بلفظ (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا قام فى الصلاة) وفى نسخة الى الصلاة والاظهر هو الاول فتأمل (يرى من خلفه كما يرى من بين يديه) من فيهما جارة ويجوز ان تكون موصولة وكذا ما ورد مثلها مما سيأتى (وبه) اى وبما ذكر من انه يرى من خلفه (فسر) اى مجاهد (قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين) بالنصب عطفا على الضمير المفعول فى قوله سبحانه وتعالى وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم والمعنى ويرى تردد بصرك فى من وراءك من المصلين لتصفح احوالهم من الكاملين والغافلين (وفى الموطأ) للامام مالك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام) وصدره أترون قبلتكم هذه فوالله لا يخفى على ركوعكم ولا سجودكم (انى لاراكم من وراء ظهرى ونحوه) اى نحو حديث الموطأ بحسب المعنى (عن انس) رضى الله عنه (فى الصحيحين) وهو ما روياه عن انس مرفوعا اقيموا الركوع والسجود فوالله انى لاراكم من بعدى وربما قال من بعد ظهرى اذا ركعتم وسجدتم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها مثله) اى مثل ما فى الصحيحين لفظا ومعنا (قالت) اى عائشة رضى الله تعالى عنها (زيادة) على ما سبق اى هذه المعجزة العظيمة والخصلة الكريمة زيادة فضيلة (زاده الله اياها فى حجته) اى لصحة نبوته (وفى بعض الروايات) اى لعبد الرزاق والحاكم (انى لانظر من ورآئى كما انظر الى من بين يدى) فالموصولة متعينة فيهما وفى نسخة الى ما وفى رواية كما انظر من بين يدى فالاحتمالان فى من جائزان (وفى اخرى) اى وفى رواية اخرى لمسلم (انى لابصر من قفاى كما ابصر من بين يدى وحكى بقى بن مخلد) بفتح الموحدة وكسر القاف وتشديد التحتية ومخلد بفتح الميم

واللام بينهما خاء معجمة وهو ابو عبد الرحمن القرطبى الحافظ صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذى قال فيه ابن حزم ما صنف تفسير مثله اصلا سمع ابن ابى شيبة وغيره وكان مجتهدا لا يقلد احدا قال ابن حزم كان بقى ذا خاصة من احمد بن حنبل وجاريا فى مضمار البخارى ومسلم والنسائى انتهى وكان مجاب الدعوة وقيل انه كان يختم القرآن كل ليلة فى ثلاث عشرة ركعة ويسرد الصوم وحضر سبعين غزوة (عن عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء) وفى رواية كما يرى فى النور وقال البيهقى اسناده ضعيف كما رواه ايضا من حديث ابن عباس رضى الله عنه كان يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء وقال ليس بقوى وقال ابن الجوزى لا يصح ولا ينافيه ما فى روضة الهجرة للسهيلى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما تزوج ام سلمة دخل عليها فى ظلمة فاصابت رجله زينب فبكت ثم فى ليلة اخرى دخل فى ظلمة ايضا فقال انظروا ربائبكم لا امشى عليها الا حمل على ما سبق على حالة من احواله المسماة بالمعجزة والكرامة وهى لا تستدعى استيفاء الاوقات والمداومة فيحمل احداهما على الندرة او تخص تلك الحالة بوقت الصلاة هذا وقد ذكر النووى فى شرح مسلم قال العلماء معناه ان الله خلق له صلى الله تعالى عليه وسلم ادراكا فى قفاه يبصر به من ورآئه وقد انخرقت العادة له صلى الله تعالى عليه وسلم باكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع بل ورد الشرع بظاهره فوجب القول به وذكر المصنف كما سيأتى انه قال احمد بن حنبل وجمهور العلماء هذه الرؤية رؤية العين حقيقة وذكر مختار بن محمود مصنف القنية الزاهدى من اصحابنا الحنفية وشارح القدورى فى رسالته الناصرية انه عليه الصلاة والسلام كان بين كتفيه عينان مثل سم الخياط وكان يبصر بهما ولا يحجبهما الثياب (والاخبار كثيرة صحيحة فى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة والشياطين) اما الاول فكرواية البخارى وغيره انه رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح على كرسى بين السماء والارض قد سد الافق وقد رأى كثيرا منهم ليلة الاسرى وربما قيل انه امر فيهم ونهى واما الثانى فكحديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة فى صلاة المغرب وبيده شعلة من نار ليحرق بها وجهى فامكننى الله منه فدفعته ثم اردت ان اربطه بسارية من سوارى المسجد فذكرت دعوة اخى سليمان وفى رواية لولا دعوة اخى سليمان لاصبح يلعب به ولدان المدينة (ورفع النجاشى) بفتح النون وتكسر وبتشديد الياء وتخفف وقيل هو اول لقب من ملك الحبشة واسمه كما فى البخارى اصحمة وقيل صحمة او صمعة كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشهد انك رسول الله صادقا مصدقا قد بايعتك واسلمت لله رب العالمين ورفع بصيغة المجهول والنجاشى وما عطف عليه مرفوع على نيابة الفاعل كما صرح به الحلبى وابعد الدلجى وجعله مخفوضا حيث قال وجاءت ايضا يعنى الاحاديث فى رفع النجاشى (له حتى صلى عليه) اى يوم مات فى رجب سنة تسع من الهجرة وقد اخرج ابو داود من طريق يزيد بن مروان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه لما مات النجاشى كان يتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور واما حديث صلاته عليه فرواه الشيخان وغيرهما وبه استدل الشافعى على جواز الصلاة على الغائب واما حديث رفعه له فظاهره ان المرفوع هو على نعشه حتى قيل انه احضر بين يديه فلم تقع الصلاة الا على حاضر وقيل رفع له الحجاب وطويت له الارض حتى رآه قال الدلجى وجميع ما ذكر وان كان ممكنا وقوعه فدعوى بلا بينة اذ لم يشهد به كتاب ولا سنة ومن ثمة انكره ابن جرير لعدم وجوده فى خبر وروايه عالم فى اثر وانما الوارد فى رواية ابى على والبيهقى ان معاوية بن معاوية المزنى رفع له وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بتبوك حتى صلى عليه انتهى ولا يخفى ان ثبوت هذه القضية فى الجملة مع ذلك الاحتمال ينفى التعلق بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام الاستدلال كيف وقد جاء فى المروى ما يومى اليه وهو ما رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث عمران بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان اخاكم النجاشى توفى فقوموا وصلوا عليه فقام عليه الصلاة والسلام وصفوا خلفه فكبر اربعا وهم لا يظنون ان جنازته بين يديه فهذا اللفظ يشير الى ان الواقع خلاف ظنهم لانه هو فائدته المعتد بها فاما ان يكون سمعه منه عليه الصلاة والسلام او كشف له وقد صرح القسطلانى فى شرح البخارى ناقلا عن اسباب النزول للواحدى عن ابن عباس قال كشف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن سرير النجاشى حتى رآه وصلى عليه وقال التلمسانى ذكر ابن قتيبة فى آداب الكتاب والكلاعى فى النقاية انه توفى ورفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صلى عليه حين منصرفه من غزوة تبوك هذا مع انه قد يقال ان ذلك خص به النجاشى فلا يلحق به غيره ودليل الخصوصية انه لم يصل على غائب الا عليه وعلى بعض آخر صرح فيه بانه رفع له كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة وابن سعد فى الطبقات عن انس ان معاوية بن معاوية المزنى ويقال الليثى نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال يا رسول الله ان معاوية بن معاوية المزنى مات بالمدينة اتحب ان اطوى لك الارض فتصلى عليه قال نعم فضرب بجناحه الارض فرفع له سريره فصلى عليه وخلفه صفان

من الملائكة فى كل صف سبعون الف ملك ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام لجبريل بم ادرك هذا قال بحبه سورة قل
هو الله احد وقرآءته اياها جائيا وذاهبا وقائما وقاعدا وعلى كل حال (وبيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال ويجوز ضم
ميمه وفتح داله المشددة وهو بالرفع اى ورفع له ايضا بيت المقدس كما فى الصحيحين (حين وصفه لقريش) الظاهر حتى
وصفه لقريش حين كذبوه فى اخباره انه اسرى به اليه ثم الى ماشاء الله تعالى ثم رجع الى مكة فى ليلة وارتد كثير
ممن اسلم واخبروا ابا بكر بذلك فقال لهم والله لقد صدق انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من السماء فى ساعة واحدة من ليل
او نهار فاصدقه وهو ابعد مما تعجبون منه ثم قال يا نبى الله صفه لى فانى جئته فرفع له حتى نظر اليه فطفق يصفه له
ويصدقه وفى مسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن اشياء من بيت المقدس فكربت كربة
ما كربت مثلها قط فرفعه الله لى فما سألونى عن شئ منه الا انبأتهم به (والكعبة) اى ورفع الكعبة له ايضا حتى رأها
(حين) وفى نسخة حتى (بنى مسجده) اى بالمدينة ليجعل محرابه اليها على مارواه الزبير بن بكار فى تاريخ المدينة عن ابن
شهاب ونافع بن جبير بن مطعم مرسلا قال الدلجى وهو غريب والمعروف ان جبريل هو الذى اعلمه بها واراه سمتها
لا انها رفعت له حتى رأها بشهادة ما فى جامع العتبية من سماع مالك قال سمعت ان جبريل هو الذى اقام له قبلة
مسجده انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بينهما بان اخبره جبريل ثم رفع له البيت الجليل او بان يحمل كل قضية على مسجد
من مسجد المدينة وقبا فان قيل لا خلاف فى انه اول قدومه المدينة كان يصلى الى بيت المقدس الى ان حولت بعد بنائه
مسجده فكيف يجعل محرابه الى الكعبة فالجواب انه يمكن تقديم بناء المسجد وتأخير بيان المحراب الى الكعبة بعد
التحويل مع انه قد يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بعض الصلاة اول البناء الى الكعبة ثم حول الى بيت المقدس
ثم حول الى الكعبة ويؤيده خبر بعض نساء الانصار كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بنى مسجده يؤمه
جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة وهذا ايضا يؤيد الجمع الاول فتأمل (وقد حكى عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم
قال التلمسانى جاء ذلك فى حديث ثابت من طريق العباس عمه عليه الصلاة والسلام ذكره ابن خيثمة (انه كان يرى
فى الثريا احد عشر نجما) والثريا تصغير ثروى وهى المرأة الكثيرة المال من الثروة وهى الكثرة والنجم المعروف لكثرة
كواكبه مع ضيق المحل وقال السهيلى الثريا اثنا عشر كوكبا وكان يراها كلها كما جاء ذلك فى حديث ثابت من طريق
العباس وقال القرطبى لا تزيد على تسعة فيما يذكرونه انتهى ولعله بالنسبة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وبالجملة
فذلك لحدة بصره وقوة نظره ويقال لها النجم وهى النجم لانها لا تفترق فهى كالواحد (وهذه) اى الاخبار المذكورة
والآثار المسطورة (كلها محمولة على رؤية العين وهو) اى هذا القول او هذا الحمل وابعد الدلجى فى قوله ذكره نظرا
الى ما بعده وهو (قول احمد بن حنبل وغيره) اى من المحققين وهم الجمهور كما سبق والامام احمد من مرو وسكن ببغداد
من صغره ومات بها رحمه الله تعالى وروى عنه الشيخان قال الانطاكى تبعا للعلبى وروى عنه البغوى والظاهر انه وهم
(وذهب بعضهم) اى كالنووى فى شرح مسلم (الى ردها الى العلم) اى فهى رؤية علم وكشف قال المنجانى ومعنى
ذلك ان الله سبحانه وتعالى خلق له علما بجميع ما يفعل وراءه صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك خروج عن ظاهر
الحديث وانما تميل اليه المعتزلة لانهم يشترطون فى الادراك بنية مخصوصة تخلق له واغرب الدلجى فى قوله اى خلق
الله تعالى له فى قفاه قوة ادراكية يدرك بها من وراءه على طريق خرق العادة انتهى ولا يخفى ان مآله الى ان الرؤية
بصرية واغرب من ذلك انه لما ذكر هذا قال واغرب مختار بن محمود الحنفى حيث قال وكان بين كتفيه عينان مثل سم
الخياط لا يحجب بصرهما الثياب والله اعلم بالصواب (والظواهر تخالفه) اى ظواهر هذه الاخبار تخالف ما ذهب
اليه البعض من العلماء الاخيار وابعد بعضهم على ما ذكره المصنف فى مشارق الانوار حيث قال انما هى بالتفاتة يسيرة
الى من وراءه معللا بانه لو كان يرى من خلفه لما قال ايكم الذى ركع دون الصف فقال ابو بكرة انا يا رسول الله فقال
زادك الله حرصا ولا تعد والجواب ان فى نفس الحديث ما يدل على مدعانا اذ صرح بانه رأى رجلا ركع قبل دخوله
فى الصف وعدم علمه بخصوص فاعله اما لبعده عنه واما لكثرة الصفوف او لاستغراق ونحوه مما يمنع التوجه
الى صوبه وتعمقه فى قصده فرأه مجملا لا مفصلا مع ان خوارق العادات لا يلزم تحققها فى جميع الاوقات وقال ابن عبد
البر هذا قبل ان يمنحه الله بهذه الفضيلة فقد كانت خصائصه تزايد فى كل وقت وحين والله الموفق والمعين (ولا احالة)
مصدر احاله والمحال هو الشئ الممتنع فالمعنى لا امتناع شرعا وعقلا وعادة (فى ذلك) اى فى كونه رؤية عين بطريق
المعجزة (وهى من خواص الانبياء عليهم السلام وخصالهم) اى المختصة بهم (كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد) اى
التميمى السبتى (العدل من كتابه حدثنا ابو الحسن المقرى) اى العالم بعلم القرآءة وهو نزيل مكة (الفرغانى) نسبة الى
فرغانة بالفتح بلد بالمغرب على ما فى القاموس وآخر بالمشرق والظاهر انه المراد ههنا لقوله (حدثتنا ام القاسم بنت

ابى بكر عن ابيها) وهو ابو بكر محمد بن اسحق الكلاباذى مؤلف كتاب الاخبار عن فوائد الاخبار وقيل الاخبار
بفوائد الاخبار وكان بعد الاربعين والثلثمائة (حدثنا الشريف ابو الحسن على بن محمد الحسنى) قال التلمسانى هو
الشريف ابو الحسن على بن محمد بن على بن موسى الرضى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب
رضى الله تعالى عنهم قلت ولا يصح هذا لان النسخ كلها متفقة على نسبة الحسنى بفتحتين والله سبحانه وتعالى اعلم
(حدثنا محمد بن محمد بن سعيد حدثنا احمد بن احمد بن سليمان حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق) هو البصرى يروى عن يزيد
ابن هرون ومحمد بن عبد الله الانصارى (حدثنا همام) بفتح هاء وتشديد ميم وهو ابن يحيى بن دينار العودى قال الحلبى
وغيره وصوابه هانئ بن يحيى وقال التلمسانى هو همام بن الحارث النخعى الكوفى سمع حذيفة وعمارا وروى عنه
ابراهيم النخعى انتهى والظاهر انه وهم منه كما لا يخفى من مرتبة الاسناد والله اعلم بالصواب والسداد فى المراد
(حدثنا الحسن) اى ابن ابى جعفر الجفرى كما سيأتى قريبا وهو بضم الجيم وسكون الفاء نسبة الى مكان بالبصرة
وهو احد الضعفاء (عن قتادة) تابعى جليل (عن يحيى بن وثاب) بتشديد المثلثة ثقة مثاله خاشع مقرئ يروى عن
ابن عباس وابن عمر وعلقمة وعنه الاعمش وغيره (عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما تجلى الله
تعالى) اى ظهر بلا كيف (لموسى عليه الصلاة والسلام) اى فى ضمن تجليه للجبل كما يشير اليه قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجى تبعا للمنجانى بقوله ولا يعزب عنك ان المتجلى له كما
فى الآية انما هو الجبل فالتقدير لما تجلى الله للجبل لاجل سؤال موسى ان يراه وتعسفه ظاهر مع انه يفيد انه لم يقع تجلى
لموسى فلم يحصل ترتب بين لما وجوابها وهو قوله (كان يبصر) اى يرى كما فى اصل التلمسانى (النملة على الصفا) بالقصر
اى الصخرة الملساء ولا يبعد ان يكون بالمد لمشاكلة قوله (فى الليلة الظلماء) اى شديدة الظلمة (مسيرة عشرة فراسخ)
اى مقدارها تحديدا وتقريبا او تكثيرا والفرسخ فارسى معرب وهو ثلاثة اميال والميل منتهى البصر او اربعة آلاف
خطوة والخطوة ثلاثة اقدام معتدلة بوضع قدم امام قدم يلصق به قال التلمسانى يصح فى شين عشرة الفتح والكسر
والسكون وهو وهم منه لان الوجوه الثلاثة انما تجوز اذا ركبت العشرة مع غيرها من الاعداد المؤنثة المقدمة عليها
كاحدى عشرة وامثالها واما عند الانفراد بها فلا يجوز الا الفتح فيها ثم اعلم ان هذا الحديث رواه الطبرانى فى الصغير
بنحو هذا الاسناد وقال لم يروه عن قتادة الا الحسن تفرد به هانئ قال الحلبى اما هانئ بن يحيى السلمى فذكره ابن حبان
فى الثقات وقال يخطئ واما الحسن بن ابى جعفر الجفرى فضعيف (ولا يبعد على هذا) اى على طبق هذا الحديث
ووفقه من المعجزة المترتبة على التجلى الموجب لتجلية الغين وتحلية العين (ان يختص) بصيغة الفاعل او المفعول
اى يصير مخصوصا (نبينا بما ذكرناه من هذا الباب) يعنى زيادة قوة باصرة ذلك الجناب وادخل الدلجى فى العبارة
ما ليس فى الكتاب (بعد الاسراء) اى بعد اسرائه الى سدرة المنتهى (والحظوة) بضم الحاء وتكسر اى وبعد الحظ والحظاء
(بما رأى من آيات ربه الكبرى) اى من عجائب الملكوت وغرائب الجبروت ورؤية الرب بنظر العين او بصر القلب
على ما تقدم والله اعلم وهذا بالنظر الى القوة البصرية الحسية والمعنوية (وقد جاءت الاخبار) اى الدالة على قوته البدنية
كخبر ابى داود والترمذى (بانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صرع) اى رمى وضرب على الارض فى حالة
المصارعة (ركانة) بضم الراء وهو ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف (اشد اهل وقته) اى اقواهم
فى غلبة المصارعة وهو بالنصب بدل ويجوز رفعه (وكان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (دعاه الى الاسلام) جملة
حالية قال الترمذى اسناده ليس بالقائم وقال البيهقى مرسل جيد وروى باسناد موصولا الا انه ضعيف وفى سيرة ابن
اسحق خلا ركانة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض شعاب مكة قبل ان يسلم فقال يا ركانة الا تتقى الله
وتقبل ما ادعوك اليه فقال لو اعلم ما تقول حقا لاتبعتك فقال ارأيت ان صرعتك تعلم ان ما اقول حق
قال نعم فلما بطش به صلى الله تعالى عليه وسلم اضجعه لا يملك من امره شيئا ثم قال عد يا محمد فصرعه ايضا فقال يا محمد
ان ذا لعجب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم واعجب من ذلك ان شئت ان اريكه ان اتقيت الله واتبعت امرى
قال ما هو قال ادعو لك هذه الشجرة فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها
ارجعى مكانك فرجع ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم اهل الارض فوالله ما رأيت اسحر منه
ثم اخبرهم بما رأى قال الحجازى واسلم قبل الفتح قيل توفى بالمدينة سنة اربعين فى زمن معاوية وقيل انه من اجداد
الشافعى قال المنجانى ولابنه يزيد ايضا اسلام وصحبة (وصارع) يعنى ايضا (ابا ركانة فى الجاهلية) صفة
للملة او الامة او الفترة (وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك) بالنصب على نزع الخافض ويجوز رفعه
اى كل ما ذكر من المرات (يصرعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الدلجى هذا وخبر انه صارع ابا جهل

بصرعه فلم يصحابل لا اصل لهما وفيه انه فى مراسيل ابى داود ويزيد بن ركانة اوركانة بن يزيد على الشك لكن الظاهر ان الصحيح ركانة كما قاله الحلبى وغيره لا كما قاله النووى انه الصواب والله اعلم ثم مصارعة ابى جهل لا تصح اتفاقا هذا وقد ذكر السهيلى ان ابا الاشدين الجمعى واسمه كلدة بفتح اللام وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتخرق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى امنت بك فصرعه صلى الله تعالى عليه وسلم مرارا ولم يؤمن به (وقال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى فى شمائله والبيهقى فى دلائله (ما رأيت احدا اسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه) وفى نسخة مشيته بكسر الميم وزيادة التاء اى فى هيئة مشيه وهى غير ملائمة لاسرع كما قاله الحجازى فتأمل فى تحقيق المبانى والمعانى (كانما الارض) بالرفع لزيادة ما الكافة المانعة ما قبلها عما بعدها من العمل (تطوى له) بصيغة المجهول اى تنزوى وتجمع وتقرب وتدنو وقيل تطوى كطى الملاءة واما المشى فى الهواء وعلى الماء كما وقع لبعض الاصفياء فانه يصدر باذن رب السماء ثم بين وجهه بقوله (انا) اى معشر الصحابة (لنجهد انفسنا) بفتح النون والهاء وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء من جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها فى السير فوق طاقتها فالمعنى لنتعب انفسنا بالجهد فوق طاقتها (وهو غير مكترث) بكسر الراء اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم غير مبال بمشينا ولا متأثر بمشى هونا ورفقا لقوله تعالى الذين يمشون على الارض هونا ولقوله تعالى واقصد فى مشيك ومع ذلك يسبق من شاء كرامة خص بها اذ اعطى قوة زائدة على قوى سائر البشر لحديث كنا نتحدث انه اعطى قوة ثلاثين رجلا اى فى المشى والبطش والجماع ونحوها وكان يطوف على نسائه فى غسل واحد وكن تسعا (وفى صفته) اى نعته من جهة حسن شمائله (ان ضحكه كان تبسما) لما فى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم ويشير اليه قوله تعالى فتبسم ضاحكا وفيه ايماء الى ان الاقتصاد فى الضحك هو الذى ينبغى وان كان الضحك جائزا لما ورد فى بعض الروايات انه ضحك حتى بدت نواجذه وعن عبد الرزاق انه سئل ابن عمر أكان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحكون اى احيانا قال نعم وان ايمانهم لاعظم من الجبال نعم يكره الاكثار منه كما قال لقمان لابنه اياك وكثرة الضحك فانها تميت القلب وكما يشير اليه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ولان كثرة الضحك تنبئ عن الغفلة والبكاء ينبئ عن الرحمة وروى عن الحسن انه كان لا يضحك وهذا لما غلب عليه من الخوف والقبض بخلاف من غلب الرجاء والبسط فانه يضحك ولا يبكى والاعدل هو الاعتدال من هذه الخصال على وفق شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم من تفصيل الاحوال (اذا التفت) كذا فى بعض النسخ والظاهر كما فى اصل الدلجى واذا التفت اى الى احد الجانبين (التفت معا) وفى رواية جميعا اى بجميع نظره لا بمؤخر عينيه كما هو دأب سارق النظر ويسمى نظر العداوة ومنه قوله تعالى يعلم خائنة الاعين فاندفع قول الدلجى اى بجميع بدنه وينبغى ان يخص هذا بالتفاته وراءه واما التفاته يمنة ويسرة فالظاهر انه بعنقه (واذا مشى) اى فى سيره (مشى تقلعا) بضم اللام المشددة اى رفع رجليه رفعا بقوة لا اختيالا لشدة عزمه ولان تقريب الخطى من مشية النساء والاغنياء الاغبياء (كانما ينحط من صبب) بفتح المهملة والموحدة الاولى اى كانما ينحدر من مرتفع قاله الدلجى تبعا للشمنى وفى القاموس الصبب محركة تصبب نهر او طريق يكون فى حدوره وما انصب من الرمل وما انحدر من الارض وكل هذه المعانى تشير الى ان الصبب بمعنى المنخفض لا بمعنى المرتفع وقد صرح الحجازى وغيره بانه ما انحدر من الارض واغرب الحلبى حيث قال من موضع مرتفع منحدر فالاولى ان يقال من بمعنى فى كما فى قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة ويؤيده انه جاء فى رواية كانما يهوى فى صبوب بفتح الصاد وضمها فالمعنى كانما ينزل من علو الى سفل فانه حينئذ يكون المشى بقوة لكن لا بابطاء ولا بسرعة والمقصود من الحديث هذه الفقرة الدالة على كمال قوته البدنية فى مسيرته الحسية واما مسيرته المعنوية فقد علم فى القضية الاسرائية (فصــــل واما فصاحة اللسان وبلاغة القول) اى فى معرض البيان وخص الفصاحة باللسان لتعلقه بالمفرد والمركب المطابقين لمقتضى الحال وهما يوصفان بهما كالمتكلم والبلاغة بالقول اذ لا يكون الا كلاما ذا اسناد يبلغ به المتكلم ارادته ويوصف بها الكلام كالمتكلم دون الكلمة لانها لا يبلغ بها الغرض فراعى المصنف اصطلاح علماء المعانى والبيان فى تقرير هذا الشان (فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) اى مما ذكر من الفصاحة والبلاغة (بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل) بصيغة المجهول اى الظاهر بالوجه الاكمل (سلاسة طبع) بفتح السين ونصبت بنزع الخافض اى بسهولة جبلة وانقياد طبيعة وفى نسخة مع سلامة طبع (وبراعة منزع) بفتح الميم والزاى اى مأخذ ومطلع والبراعة بفتح الموحدة مصدر برع الرجل فاق اقرانه ووصفها

بصفة صاحبها مبالغة اى منزعا بارعا وحاصله جودة لسان ولطافة بيان واما قول التلمسانى انه بكسر الميم وهو السهم الذى نزع به واستعاره القاضى للسان مجازا اذ هو آلة الكلام ففى غاية من البعد مع مخالفته للاصول المعتمدة (وايجاز مقطع) اى ومقطعا موجزا من اوجزاتى بكلام قل مبانيه وكثر معانيه والمقطع بفتح الميم والطاء منتهى المرام كما ان المنزع مبدأ الكلام فالمعنى ان كلامه حسن الابتداء ومستحسن الانتهاء وهو المطلع والمقطع باسلوب الشعراء من الفصحاء والبلغاء واما ما ذكره التلمسانى من انه بكسر الميم وهو فى الاصل شفرة حادة يقطع بها الشئ استعاره للقول مجازا اذ هى آلة فهو مع مخالفته للنسخ المصححة فى غاية من التكلف ونهاية من التعسف (ونصاعة لفظ) بفتح النون اى ولفظا ناصعا اى خالصا من شوائب تنافر الحروف وغرابة الالفاظ وارتكاب الشذوذ (وجزالة قول) اى وقولا جزلا لا ركاكة فيه ولا ضعف تأليف وتركيب ينافيه بل نسجت حبرة الحبرية على منوال تراكيب العربية (وصحة معان) اى ومعانى صحيحة يستفاد منها مقاصد صريحة قال التلمسانى ومعان جمع معنى بالياء وبدونها ولا خفاء لما فيه من ايهام انهما لغتان وليس كذلك بل اختلافهما بحسب تفاوت اعرابهما (وقلة تكلف) اى قلة طلب كلفة فى التأدية بعد تأمل وتفكر وتروية وكان الاولى ان يقال وعدم تكلف لقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما انا من المتكلفين ولعله اراد بالقلة العدم والله اعلم ومنه قول ابى اوفى كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقل اللغو اى لا يلغو رأسا ومنه ايضا قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون اى لا يؤمنون اصلا (اوتى جوامع الكلم) جملة مستأنفة مبينة ومؤكدة لما قبلها اى اعطى الكلمات الجامعة للمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة وقد جمعت اربعين حديثا يشتمل كل حديث على كلمتين وهو اقل ما يتركب منه الكلام الاسنادى كقوله الايمان يمان والعدة دين والسماح رباح وامثالها مما ادرجته فى شرح الشمائل للترمذى والكلم بفتح كاف وكسر لام اسم جمع للكلمة ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب وقيل جمع لها وهو ضعيف (وخص ببدائع الحكم) بكسر ففتح جمع حكمة اى الحكم البديعة المتضمنة للمعانى المنيعة (وعلم السنة العرب) اى وخص بمعرفة لغات طوائف العرب من قومه وغيرهم لانه بعث الى جميعهم فعلمه الله الالسنة ليخاطب كل قوم بما يفهمون لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وفى نسخة وعلم بصيغة الماضى المعلوم وفى اخرى بصيغة المجهول من التعليم عطفا على اوتى وقيل كان يعلم جميع الالسنة الا انه لم يكن مأمورا باظهارها واراد ان يكون التكلم بالعربية هو السنة لانه افضل انواع اللغة لان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى واصل النبى عربى قيل ومن اسلم فهو عربى ولانه ايسر اللغات واضبط للكليات كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى فانما يسرناه بلسانك (يخاطب) وفى نسخة فكان يخاطب (كل امة) اى طائفة (منها) اى من طوائف العرب (بلسانها ويحاورها) بالحاء المهملة اى ويجاوبها (بلغتها) وفى نسخة بلغتها (ويباريها) بالراء والياء اى يعارضها ويروى بدله ويبانها (فى منزع بلاغتها) اى مأخذها ومرجع لغتها (حتى) هى مستأنفة ههنا على ما ذكره الدلجى والاظهر انها للغاية اى الى حد (كان كثير من اصحابه) اى من اتباعه واحبابه (يسألونه فى غير موطن) اى فى مواطن كثيرة (عن شرح كلامه) اى بيان مرامه (وتفسير قوله) عطف تفسير والاول مختص بالجمل والمركبات والثانى بالمفردات او الاعم والله اعلم وقد صرح التلمسانى بان الصحابة كانوا يسألون عن كثير من مفردات اللغة نحو حتى ترهى وترهو وحتى تشقح وسؤالهم عن لفظ الطاعون ونحو ذلك انتهى ثم هذا الذى ذكرناه امر ظاهر وشأن باهر (من تأمل حديثه وسيره) اى احاديثه فى كتب المحدثين والائمة المجتهدين واقواله فى كتب ارباب السير والمؤرخين وفى نسخة وسبره بالموحدة على انه فعل ماض اى نظر فى صناعة اساليبه وصياغة تراكيبه (علم ذلك) اى تفصيله (وتحققه) اى وثبت عنده وزال الريب عنه (وليس كلامه) اى لم يكن تكلمه (مع قريش) اى من اهل مكة (والانصار) اى من اهل المدينة (واهل الحجاز ونجد) اى ونحو اليهما (ككلامه مع ذى المشعار) بكسر ميم وسكون معجمة فمهملة او معجمة بعدها الف وراء وهو ابو ثور مالك بن نمط (الهمدانى) بميم ساكنة فمهملة نسبة الى همدان قبيلة من اليمن قدم عليه عليه الصلاة والسلام مرجعه من تبوك مع كثير من قومه مسلمين فقال هذا وفد همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد واما همذان بفتح الميم مع الذال المعجمة او المهملة فبلد بعراق العجم قيل هاجر ذو المشعار فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه الى الشام ومعه اربعة آلاف عبد فاعتقهم كلهم وانتسبوا الى همدان (وطهفة) بكسر المهملة وسكون هاء ففاء (النهدى) بفتح فسكون قبيلة باليمن قدم عليه بعد فتح مكة كما قال ابن سعد وغيره (وقطن بن حارثة) بقاف ومهملة مفتوحتين وحارثة بالمثلثة (العليمى) بالتصغير نسبة الى بنى عليم قدم عليه فسأله الدعاء له ولقومه فى غيث السماء فى حديث فصيح كثير الغريب على ما رواه ابن شهاب عن عروة (والاشعث بن قيس) قدم عليه مع كثير من قومه وعليهم الحبرات قد كففوها بالحرير فقال لهم

ألم تسلوا قال الوابلى قال فما هذا الحرير فى اعناقكم فرموا به ثم ارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام
وجيء به الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه اسيرا فعدّد عليه فعلاته فلم ينكرها ثم قال يا ابا بكر استبقنى لحربك وزوّجنى
اختك فزوّجه ثم خرج ودخل سوق الابل فلم يلق ذات اربع الا عقرها ثم قال يا قوم انحروا وكلوا هذه وليمتى
ولو كنت فى بلادى لاولمت كما يولم مثلى اغدوا على فخذوا اثمان ما عقرت لكم ثم خرج مع سعد الى العراق وشهد معه
مشاهد كثيرة فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وسكن الكوفة الى ان توفى بها بعد على باربعين يوما وصلى عليه
الحسن بن على رضى الله تعالى عنهم اجمعين (ووائل بن حجر) بضم حاء وسكون جيم فراء واما وائل فبهمز كقائل
وقول الحلبى بالمثناة تحت قبل اللام فى غير محله لانه بناء على ما قبل اعلاله (الكندى) بكسر الكاف قال الدلجى تبعا
للمنجانى كذا هنا ولعله تأخير من تقديم اذ هى نسبة الاشعث ونسبة وائل هى الحضرمى قلت لا يبعد ان يكون
كنديا حضرميا ثم رأيت الحلبى صرح بان وائل بن حجر كان من ملوك حمير الكندى الصحابى شهد مع على فى صفين
وكانت معه راية حضرموت بشر صلى الله تعالى عليه وسلم به قبل قدومه عليه ثم قدم فاسلم فرحب به وادناه من نفسه
وقرب محله وبسط له رداءه واجلسه عليه ودعا له بالبركة ولولده ولولد ولده وولاه على اقيال حضرموت وارسل معه
معاوية بن ابى سفيان فخرج معه معاوية راجلا ووائل على ناقته راكب فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال انتعل
ظل الناقة فقال له معاوية وما يغنى ذلك عنى لو جعلتنى ردفا فقال له وائل اسكت فلست من ارداف الملوك ثم عاش
وائل بن حجر حتى ولى معاوية فدخل عليه فعرفه معاوية واذكره بذلك ورحب به واجازه لوفوده عليه فابى من قبول
جائزته وقال يأخذه من هو اولى به منى فانا عنه فى غنى (وغيرهم) اى ومع غير المذكورين ايضا (من اقيال
حضرموت) بفتح همزة وسكون قاف فتحتية جمع قيل بفتح فسكون واصله قيل بالتشديد اى المنفذ قوله ويدل عليه
انه يجمع على اقوال بالواو ايضا وقال السهيلى القيالة الامارة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى تسبيحه الذى رواه
الترمذى سبحان من لبس العز وقال به اى ملك به وقهر على ما فسره الهروى وهم بلغة حمير صغار الملوك دون
الملك الاعظم من ملوك اليمن وحضرموت بسكون الضاد وفتح الباقى وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت
غير مصروف للتركيب والعلمية ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء على اعراب الاول بحسب عامله واعراب الثانى
باعراب ما لا ينصرف وان شئت نوّنت الثانى (وملوك اليمن) تعميم بعد تخصيص (وانظر كتابه) اى مكتوبه الذى بعث
به ذا المشعار بعد قدومه عليه عليه الصلاة والسلام على ما ذكره ابو عبيدة وغيره (الى همدان)
اوله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب من محمد رسول الله لاهل مخلاف خارق ويام واهل خباب الضب وحقاف
الرمل من همدان مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن اسلم من قومه على ان لهم الى آخره (ان لكم) بكسر
الهمزة وفتحها وفى اصل الدلجى ان لهم وهو الملائم لما سيأتى من قوله ولهم (فراعها) بكسر الفاء اى ما ارتفع من
الارض (ووهاطها) بكسر الواو جمع وهط بالطاء المهملة وهى المواضع المطمئنة منها (وعزازها) بفتح مهملة فزايين
ما خشن وصلب منها وما يكون الا فى اطرافها ومنه قول ابن مسعود للزهرى بعد خدمته وملازمته مدة مديدة
زاعما انه بلغ الغاية ووصل النهاية انك فى العزاز اى فى الاطراف من العلم لم تتوسط بعد وفى الحديث نهى عن البول
فى العزاز اى حذرا عن الرشاش (تأكلون) بالخطاب او الغيبة (علافها) بكسر العين جمع علف وهو ما يعتلف منها
او ما تأكله الماشية (وترعون عفاءها) بفتح مهملة وتخفيف فاء ممدود اورُوى بكسر العين وهو ما ليس لاحد فيه ملك
ولا اثر من عفا الشىء اى خلص وصفا وفى الحديث اقطعهم من ارض المدينة ما كان عفاء وهو احد ما فسر به
قوله تعالى خذ العفو (لنا من دفئهم) بكسر مهملة وسكون فاء فهمز ومنه قوله تعالى لكم فيها دفء اى
ما تستدفئون به من اصوافها واوبارها واما فى الحديث فهو كناية عن الانعام وفى الجمل الدفء نتاج
الابل والبانها والانتفاع بها وقيل هى الغنم ذات الدفء وهو الصوف والاظهر ان يراد به الانعام وسميت دفئا
لانها يتخذ من اوبارها واصوافها واشعارها ما يستدفأ به من الاكسية وغيرها قال الدلجى فصله عما قبله ملتفتا
من الغيبة الى التكلم لشبه انقطاع بينهما اذ ذاك مما خصهم به من اراضيهم وما يخرج منها وهذا مما خص به
نفسه او من معه من مواشيهم اى من ابلهم وغنمهم ضأنا ومعزا وما ينتفع به منها سميت دفئا لانه يتخذ منها ما يستدفأ به
انتهى ولا يخفى انه ليس ههنا التفات من الغيبة الى التكلم بل من خطاب فى قوله لكم بناء على الاصول
المصححة الى غيبة فى قوله لنا من دفئهم (وصرامهم) بكسر اوله وبفتح جمع صرمة اى من نخيلهم او من ثمراتهم لانها
تصرم وتقطع (ما سلموا) بتشديد اللام المفتوحة اى استسلموا لنا واطاعونا (بالميثاق) اى العهد والحلف المؤكدة
قيل ولعله اراد الاسلام اى لا تقبل صدقة الا من مسلم وقيل اراد بالميثاق انه لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق

ولا يفر

ولا يفر بزكاته ولا يخفى بعض ماله (والامانة) اى من دون الخيانة من المالك او العامل وقيل المراد بالامانة الطاعة
وقيل هى الامان ويؤيده ما سيأتى من قوله عليه الصلاة والسلام لنهد من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة (ولهم من
الصدقة) اى من الاموال التى تجب عليهم فيها الصدقة والزكاة (الثلب) بكسر المثلثة وسكون اللام فموحدة اى
الهرم من ذكور الابل الذى سقطت اسنانه قيل وتمعّط هلب ذنبه (والناب) اى ولهم الهرمة من اناثها التى طال
نابها وهى من امارات هرمها (والفصيل) وهو ما فصل عن امه وفطم عنها من اولاد الابل وقد يطلق على اولاد البقر
والمراد صغارها (والفارض) اى المسن من الابل وقيل من البقر ايضا بدليل قوله تعالى لا فارض ولا بكر
ويروى العارض بالعين المهملة وهى المريضة او المعيوبة (الداجن) وفى اصل الدلجى بالعطف وهو الظاهر وهو
بكسر الجيم ما يألف البيوت ولا يرسل الى المرعى واغرب الانطاكى فى جعله وصفا للفارض او العارض على
اختلاف الروايتين فى الداجن اعتبارا للعادة لان المنقطع عن السوم يعلف فى الاهل غالبا (والكبش الحورى)
بفتحتين وهو كبش يتخذ من جلده نطع فان جلده احمر وروى الحوارى اى الابيض والمعنى لا يؤخذ منهم فى هذه
الاشياء التى خصولها وقيل المعنى لا تؤخذ هذه الاشياء منهم اما لنفاستها كالحورى واما لخساستها كغيره وانما
يؤخذ الوسط العدل (وعليهم فيها) اى فى الصدقة (الصالغ) بكسر لام فمعجمة ما دخل فى السنة السادسة من البقر
والغنم والسين لغة فيه وفى النهاية لابن الاثير وعليهم الضالع بالضاد المعجمة والعين المهملة فليس بتصحيف كما زعمه
المنجانى (والقارح) بالحاء المهملة بعد الراء المكسورة ما دخل من الخيل فى خامس سنة (وقوله) اى وانظر قوله
(لنهد) بفتح فسكون اى لاجل قبيلة من اليمن وهو يحتمل ان يكون مشافهة ومكاتبة فيقال وانظر قوله فى كتابه
لنهد لا كما قال الدلجى وانظر كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه ابو نعيم فى معرفة الصحابة والديلمى فى مسند
الفردوس (اللهم بارك لهم فى محضها) اى لبنها الذى لم يخالطه ماء ذكره المنجانى والظاهر ان المراد به ما لم يخرج منه
زبده حلوا كان او حامضا وهو بميم مفتوحة فحاء مهملة ساكنة وضاد معجمة ومنه الحديث وذلك محض الايمان
(ومخضها) بالخاء المعجمة اى ما مخض من لبنها واخذ زبده مصدر بمعنى المفعول والمخض تحريك سقاء اللبن لاستخراج
زبده وفيه صنعة التجنيس والتصحيف (ومذقها) اى ما خلط من لبنها بالماء من المذق بالذال المعجمة والقاف بمعنى
المزج والخلط وقيل اللبن الرقيق وهو التحقيق وبالله التوفيق (وابعث راعيها) اى مالكها ومربيها وقد يكون
مالكها وهى بمنزلة رعيته كما ورد كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته (فى الدثر) بفتح مهملة فسكون مثلثة اى
المال الكثير وقيل المراد به هنا الخصب والنبات (وافجر) بضم الجيم ومنه قوله تعالى حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا قرئ بالتشديد والتخفيف فى السبعة (له الثمد) بفتح مثلثة وميم فدال مهملة وقد تسكن ميمه اى الماء القليل
الذى لا مادة له والمعنى اجره لهم حتى يصير كثيرا (وبارك لهم فى المال) اى الحلال والا فبعض المال وبال فى المآل ولذا
قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح (والولد) اى الصالح والا فبعض الولد كمد وكبد وفى بعض
النسخ وبارك له بصيغة الافراد والمتبادر منه انه راجع الى الراعى والاظهر انه خطاب عام لهم على الانفراد الذى هو
اتم من الاجتماع فالمعنى بارك لكل منهم فى ماله وولده (من اقام الصلاة) اى واظب عليها وقام بشرائطها واركانها
(كان مسلما) اى منقادا واسلم نفسه من التعرض اليها بقتلها واسرها وقد قيل فى الصلاة جميع العبادات من قيام
وقراءة وركوع وسجود ودعاء وثناء وصبر وهو حبس النفس والحواس والخواطر وزكاة وهو بذل المال فى الماء
واللباس وصيام وهو الامساك عن الاكل والشرب واعتكاف وهو لزوم المكان الواحد لاداء تهاوج وهو التوجه
للكعبة وجهاد وهو مجاهدة النفس ومحاربة الشيطان وشهادة وهى ذكر الله ورسوله (ومن آتى الزكاة) اى اعطاها
مستحقيها (كان محسنا) اى فى اسلامه او يبذله الى اخوانه (ومن شهد) اى بقلبه واقر بلسانه (ان) اى انه
(لا اله الا الله) اى وان محمدا رسول الله (كان مخلصا) اى فى ايمانه واقتصر على احد ركنيه لانهم كانوا عبدة اصنام
فقصد به نفى الهية ما سوى الله مع اشتهاره عندهم بانه رسول الله وايناسه منهم الايمان به بدليل قدوم كبرائهم عليه
مؤمنين فهو من باب الاكتفاء او لان هذه الكلمة علم لمجموع الشهادتين باطلاق البعض وارادة الكل ولذا ورد من
قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة واذا عرفت ذلك فقوله مسلما يراد به المعنى
اللغوى فلا يحتاج الى قول الدلجى كان مسلما ومؤمنا ايضا اذ ما لهما واحد شرعا وان اختلفا مفهوما فان الاسلام
هو الانقياد الظاهرى والايمان هو الاذعان الباطنى ولا يستغنى احدهما عن الآخر لكن تخصيصه باقامة الصلاة
يوهم انها وامثالها جزء الايمان على ما ذهب اليه المعتزلة فالاولى ان يقال المعنى كان مسلما كاملا وان الواو فى
الجمل الشرطية لمجرد الجمعية (لكم يا بنى نهد ودائع الشرك) جمع وديع من قولهم اعطيته وديعا اى عهدا وميثاقا اى

اى اقررتكم على العهود والمواثيق التى كنتم تتعاهدونها مصالحة ومهادنة قبل الاسلام والاظهر انها جمع وديعة
والمراد بها مااستودعوه من اموال الكفار الذين لم يسلموا فاحله لهم لانه مال كافر قدر عليه بلا عهد وشرط ويؤيده
رواية مالم يكن عهد ولا وعد (ووضائع الملك) بكسر الميم جمع وضيعة وهى الوظيفة التى تلزم المسلمين فى املاكهم
من صدقة وزكاة والمعنى ولكم الوظائف التى تلزمكم لا نتجاوزها منكم ولا نزيدها عليكم فصح قوله لكم دون عليكم
او بضم الميم اى ولكم ماوظفه ملوككم فى الجاهلية عليكم وما استأثروا به دونكم من مغنم وغيره والمعنى لا نأخذها
منكم ثم قول الحلبى بعد الالف مثناة تحت ليس على ظاهره بل باعتبار اصله والا فهو مقلوب بالهمز كنظائره
من الودائع والصحائف (لا تلطط) كلام مستأنف وهو بضم مثناة فوق فسكون لام فهملتين نهى لم يرد به واحد امعينا
كما رواه البيهقى بل لكل من يأتى منه توجيه الخطاب وتوجه الكتاب (فى الزكاة) اى لا تمنعها من لط الغريم وألط
اذا منع الحق اونهى اراد به جنس المخاطب كما رواه غيره بصيغة الجمع وكذا قوله (ولا تلحد) ومابعده وهو من الالحاد
اى لا تعدل عن الحق ولا تمل الى الفساد وظلم العباد فى البلاد (فى الحياة) اى فى مدة حياتك فى الدنيا وقيل الفعلان
بصيغة النفى مجهولان وروى الزمخشرى بالنون فيهما واغرب التلمسانى فى قوله اى لا تمسك الزكاة ومنه قوله عليه
الصلاة والسلام الظوا بياذا الجلال والاكرام اى الزموا هذا القول وتمسكوا به انتهى وهو وهم فان الظوا
فى الحديث بالظاء المعجمة (ولا تتثاقل) اى لا تتكاسل (عن الصلاة) وفى نسخة بصيغة الجمع وفى اخرى بصيغة
المجهول والمعنى اذها بالقيام بشرائطها واركانها (وكتب لهم) قال الحجازى ويروى لكم ويروى عليكم (فى الوظيفة
الفريضة) بالنصب اى الهرمة المسنة وهى الفارض ايضا والمعنى هى لكم لا تؤخذ منكم فى الزكاة كذا قاله الدلجى
وغيره وتبعهم الانطاكى الا انه قال الفريضة بالرفع على الحكاية ولا يخفى ان هذا الحكم قد استفيد مما سبق مع انه
كان الملائم بسياق الكلام من سباقه ولحاقه ان يقال وكتب لكم فى الوظيفة الفريضة بالرفع على ان الجملة
المصدرة بقوله لكم هى المكتوب لهم وفى حاشية الحجازى ان الوظيفة هى ما يقدر كل يوم من رزق او عمل ولا يخفى عدم
مناسبته لفحوى الكلام ومقام المرام وقال التلمسانى الفريضة بالرفع على الحكاية انتهى وفى رواية عليكم فى الوظيفة
الفريضة اى عليكم فى كل نصاب مافرض فيه وفى نسخة وكتب لهم فى الوظيفة الفريضة بالجر فالمكتوب لهم قوله
(ولكم الفارض) بالفاء فى اكثر النسخ المعتمدة وقد سبق انه المسنة من الابل او البقر وروى بالعين المهملة وهو الاظهر
لثلا يتكرر فتدبر اى ولكم المريضة التى عرض لها آفة من قولهم بنو فلان اكالون للعوارض تعييرا لهم اى
لا يأكلون الا ماعرض له مرض حذر موته والمعنى لا تؤخذ منكم فى الزكاة فهى لكم (والفريش) بفاء مفتوحة ثم
شين معجمة اى الحديثة العهد بالنتاج كالنفساء من النساء ففى الصحاح هى كل ذات حافر بعد نتاجها بسبعة ايام وقيل
مالا يطيق من الابل حمل الاثقال ويؤيده قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا وقد جاء فرش وفريش بمعنى واحد
وقيل ماانبسط على الارض من نبات لاساق له (وذو العنان) بكسر العين المهملة سير اللجام اى والفرس (الركوب)
بفتح الراء ورفع الباء وهو الصواب اى الذلول الذى يلجم ويركب بلا كلفة ومشقة لتكرر ركوبه لان فعول من اوزان
المبالغة (والفلو) بفتح فاء وضم لام وتشديد واو كعدو ويضم اوله مع التشديد كسمو وقد تكسر فاؤه مع سكون لامه
وتخفيف واوه كجرو وهو ولد الفرس المسمى بالمهر بالضم اذا كان صغيرا بلغ السنة او فطم عن الرضاعة لانه يفلى عن امه
اى يعزل عنها قال التلمسانى ويروى الفلو بدون الواو العاطفة انتهى وهو لا يصح (الضبيس) بفتح معجمة فكسر موحدة
فتحتية فهملة اى الصعب العسر الاخلاق الذى لم يرض وقيد الصفة للغلبة لا للاحتراز اذ غالب احوال الخيل
الصعوبة واما تخصيص الفلو فللدلالة على ان الخيل فيها الزكاة كما هو مذهب ائمتنا الحنفية والمعنى لا يؤخذ منكم شئ
فى المذكورات واما ما روى من ان الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل والرقيق فمحمول على الخيل التى تركب كما ان
الرقيق يراد به ما يخدم فالخيل السائمة والرقيق للتجارة فيهما الزكاة (لا يمنع سرحكم) بصيغة المفعول نفى بمعنى النهى
وفصل عما قبله لعدم مناسبة بينهما ويقال سرحت الماشية مخففا وسرحت هى متعد ولازم واذا رجعت يقال
راحت تروح وارحتها انا ومنه قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون اى حين تردونها من مرعاها
الى منازلكم وحين تخرجونها اليه ولعل تقديم الاراحة لما فيها من زيادة افادة الراحة والمعنى لا تمنع ماشيتكم
السارحة من مرعى مباح تريده (ولا يعضد) بصيغة المفعول اى لا يقطع (طلحكم) وهو شجر عظام من شجر العضاه
له شوك كالسدر وهو شجر حسن اللون لخضرته اى نضرته انوار طيبة الرائحة وكون العرب يستحسنونه
لخضرته وحسن لونه وعطره نهى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قطع ما الفوه جبرا لخواطرهم ووعدا لهم ببقاء
ما يحبون وهو المراد بقوله تعالى وطلح منضود وهو فى الآية الموز وقيل الطلع وقرئ بالعين (ولا يحبس دركم) بمهملة

مفتوحة فراء مشددة اى لا تمنع ماشيتكم التى هى ذات الدر اى اللبن عن الخروج الى المرعى لتجتمع بموضع بعد فيه
المصدق لما فيه من الاضرار بها بالعدم رعيها وفى رواية لا يحشر دركم اى لا تحشر الى المصدق ليعدها بل انما يعدها
عند اصحابها واغرب اليمنى فى تفسيره الدر هنا بمعنى المطر ولعل وجهه انه جعل قوله ولا يحبس خبرا مغيا بقوله مالم
تضمروا واما على مذهب اليه الجمهور فمتعلق ما دام مقدر ثم المعنى لكم ما قرروا عليكم ما حرر (مالم تضمروا الرماق) من
الاضمار ضد الاظهار والرماق بالكسر بمعنى النفاق يقال رامقته رماقا نظرت اليه نظر العداوة او المعنى مالم تضق
قلوبكم عن الحق يقال عيشه رماق اى ضيق قاله ابن الاثير وروى الاماق بفتح الهمزة وكسرها واصله الامئاق تخفف
همزه قال فى المجمل يقال امأق الرجل اذا دخل فى المأقة وهى الانفة وفى الحديث مالم تضمروا الامئاق اى مالم تضمروا
الانفة انتهى والانفة التعاظم وقيل هو الغدر وقيل الرمق القطيع من الغنم فارسى معرب فالمعنى لا تخفوا القطيع من
الغنم والله اعلم (وتأكلوا الرباق) بالكسر جمع ربقة بكسر فسكون وهى فى الاصل عروة تجعل فى حبل يربط بها ما
خيف ضياعه من البهم فشبه ما يلزم الاعناق من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقض العهد فان البهيمة اذا اكلت
الربقة خلصت من الرباط والمعنى مالم تنقضوا عهود الاسلام التى الزمها اعناقكم ومالم تخلعوها ومنه حديث حذيفة
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه قال التلمسانى والربقة بكسر وبفتح وفى بعض النسخ الرفاق
بالفاء بدل من الباء جمع رفقة اى بحيث لا تقطعون الطرق وتظهرون الحرب اذ كل ذلك يقتضى نقض العهد ونكث
البيعة وقد يقع التصحيف فى مثل هذا والله اعلم (من اقر) استئناف آخر اى من ثبت واستقر واعترف مذعنا منقادا
بالملة (فله الوفاء بالعهد) اى بما عوهد عليه (والذمة) اى وبالامان او الضمان الحاصل لديه (ومن ابى) اى امتنع
عن مقتضيات الملة او تقاعد وتقاصر عن اداء الزكاة والصدقة (فعليه الربوة) بكسر الراء ويجوز ضمه وفتحه اى الزيادة
فى الفريضة الواجبة عليه عقوبة له وفى رواية من اقر بالجزية فعليه الربوة اى من امتنع من الاسلام هربا من الزكاة
كان عليه من الجزية اكثر مما يجب عليه من الزكاة واعلم انه روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم انه كان يقول فى كل اربعين بنت لبون من اعطاها مؤتجرا فله اجرها ومن ابى فانا آخذها وشطر ماله
عزمة من عزمات ربنا رواه ابو داود وقال احمد هو عندى صالح فقيل يأخذ الامام معها شطر ماله وهو اختيار ابى بكر من
الحنابلة وقول قديم للشافعى وعند الجمهور يأخذها من غير زيادة بدليل ان العرب منعت الزكاة ولم ينقل انه اخذ منهم
زيادة عليها وقال الحربى غلط بهز فى هذه الرواية وانما قال وشطر ماله يعنى يجعل شطرين فيتخير عليه المصدق
فيأخذ الصدقة من خيار الشطرين عقوبة لمنعه الزكاة واما ما لا يلزم فلا (ومن كتابه لوائل بن حجر) اى على ما رواه
الطبرانى فى الصغير والخطابى فى الغريب والمعنى من مكتوبه لاجل وائل بن حجر وهو بضم الحاء كما سبق (الى الاقيال)
اى الملوك الصغار لحمير وقيل الذين يخلفون الملوك اذا غابوا جمع قيل مخففا وقيل مشددا وقد تقدم (العباهلة)
بفتح عين مهملة فموحدة اى ملوك اليمن الذين اقروا على ملكهم فلم يزالوا عنه والتاء فيه لتأكيد الجمع كما فى الملائكة
(والارواع) جمع رائع كالانصار والاشهاد جمع ناصر وشاهد او جمع اروع اى الحسان الوجوه والهيئات او الذين
يروعون الناس اى يفزعونهم بجمالهم وحسن حالهم وقيل السادة واحدهم اروع (المشابيب) جمع مشبوب اى
الرؤس السادة الحسان المناظر الزهر الالوان كانما وجوههم تتلألأ نورا وتلمع سرورا وقيل الرجال الذين الوانهم
بيض وشعورهم سود وقيل الاذكياء واما قول الحجازى والمشيب دخول الرجل فى حد الشيب من الرجال فوهم منه
فى الخيال لاختلاف المادة فى ميزان الافعال فالصواب ما قاله غيره من انه من شب من الشباب او شب النار اوقدها
(وفيه) اى وفى كتابه لوائل (فى التيعة) بكسر فوقية وسكون تحتية فمهملة اى فى الاربعين من الغنم (شاة لا مقورة
الالياط) بفتح الواو والراء المشددة من الاقورار بمعنى الاسترخاء فى الجلد والالياط بفتح الهمزة جمع ليط بالكسر وهو
فى الاصل القشر اللازق بعوده اى اللازق به شبه به الجلد لالتزاقه باللحم من الهزال والمعنى لا مسترخية الجلد لهزالها
وقيل لا مقطوعة الجلد (ولا ضناك) بكسر المعجمة ثم كاف منونة وقال التلمسانى بفتح الضاد وكسرها والنون الخفيفة
وجوز الحجازى ضمها يستوى فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع اى ولا مكثرة اللحم وممتلئة الشحم لكرمها يريد
ان هذه الشاة لا سمينة ولا هزيلة بل متوسطة الحال (وانطوا) بهمزة قطع وضم مهملة لغة يمانية اى واعطوا
فى الزكاة (الثبجة) بفتح مثلثة وكسر موحدة فجيم مفتوحة بعدها تاء اى الشاة الوسطى التى ليست بادنى ولا اعلى
من ثبج كل شئ وسطه والتاء لانتقالها من الاسمية الى الوصفية قال التلمسانى ويروى الشجة بالشين والجيم من شج
سار بشدة (وفى السيوب) بضمتين جمع سيب وهو الركاز (الخمس) بضمتين ويسكن الميم لان السيب لغة العطاء والركاز
عطاء من الله تعالى وقال الزمخشرى هى المعدن او المال المدفون فى الجاهلية لانه من فضل الله وعطائه لمن اصابه

(ومن زنى مم) بسكون الميم الثانية (بكر) بتنوين فى الراء خلافا لبعضهم لانها نكرة عامة فى سياق الشرط ثم ابدلت نون من ميما لكثرة استعمالهم ذلك لفظا فى مثل من ما سيما اذا كان بعدها باء كما هنا ونحو منبر وعنبر ولو كان معرفة بلغتهم لقيل ومن زنى من امبكر كما قال ليس من امبر امصيام فى امسفر ومن الجارة تبعيضية او بيانية مفسرة للاسم المبهم الشرطى وترجمة عنه اى ومن زنى من الابكار (فاصقعوه) بهمزة وصل وقاف مفتوحة اى اضربوه كما قاله ابن الاثير واصل الصقع الضرب ببطن الكف وقيل اى فاضربوه على صوقعته اى فى وسط رأسه قال التلمسانى وعند الشارح فاصفعوه بالفاء عوض القاف اى فاضربوه (مائة) اى مائة ضربة (واستوفضوه) بالفاء والضاد المعجمة اى اطردوه او انفوه وغربوه (عاما) اى سنة (ومن زنى مم ثيب) يجرى فيه ما جرى فى مم بكر الا ان هنالك القلب الحقيقى لاجل الباء وهنا الاخفاء المتولد من قبل الثاء وقيل القلب فيه للمناسبة والمشاكلة كقولهم ماقدم وحدث بضم دال حدث لمناسبة قدم وقيل هى لغة يمانية كما يبدلون الميم من لام التعريف اى ومن زنى من ذوى الاحصان (فضرجوه) بمعجمة مفتوحة وتشديد راء مكسورة فجيم اى فارجموه حتى تدموه وتضرجوه اى تلطخوه بدمائه (بالاضاميم) اى برمى الحجارات جمع اضمامة بالضاد المعجمة وهى ما جمع وضم من الحجارة لان بعضها يضم الى بعض كالجماعات من الناس والكتب قال التلمسانى يريد انه لا يرجم بحجر ههنا وحجر فى موضع آخر لان ذلك تعذيب له ولا فى محل فيه حجارة صغيرة او قليل الحجارة ولا يرجم بحجر فى وقت ثم بحجر فى وقت آخر وهذا كله يشمله الاضاميم (ولا توصيم) اى لا توانى ولا محاباة (فى الدين) اى فى اقامة الحدود لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقيل التوصيم التكسير والمعنى ولا تقصدوا تكسيره بالحجارة وقيل المعنى لا عيب ولا هوان ولا كسر ولا عار فى الدين (ولا غمة) بضم غين معجمة وتشديد ميم اى لا ستر ولا غطاء وفى رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء اى لا حيرة ولا تردد وفى رواية ولا غمد بكسر معجمة وسكون ميم فدال مهملة اى لا ستر ولا خفاء ولا نستر ولا الباس (فى فرآئض الله) بل هى واضحة والمعنى لا نستر فرآئض الله ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها وقال التلمسانى لا غمة بضم الغين المعجمة وبفتحها اى لا ضيق ولا كربة وقيل لا ايهام ولا الباس ولا ستره اى لا تخفى فرآئض الله لانها من اعلام الاسلام وتاركها يستحق الملام فحقها ان يعلن بها اماطة للتهمة عن تركها بخلاف التطوع فانه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فحقه ان يخفى (وكل مسكر) خمرا او غيره كثيرا او قليلا على خلاف فى الاخير فيما عدا الخمر (حرام) اى شربه واغرب التلمسانى فى ذكره قاعدة منطقية بقوله هذه نتيجة وكيفية تركيب المقدمتين هو ان تقول كل مسكر خمر وكل خمر حرام فينتج كل مسكر حرام انتهى ولم يعرف ان الكبرى ممنوعة هنا (ووآئل بن حجر) مبتدأ (يترفل) بفاء مشددة اى يتأمر ويترأس (على الاقيال) خبر معناه الامر لقوله بعده فى آخر كتابه امره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسمعوه وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتاب الآخر وكان وجه الى المهاجر بن ابى امية مع وآئل هذا فكان فيه من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابو امية ان وآئلا يستسعى ويترفل على الاقيال حيث كانوا من حضرموت اى يستعمل على الصدقات ويصير اميرا على الاقيال ويفتخر عليهم بكتابه عليه الصلاة والسلام كما قال الشاعر

اذا نحن امرنا امرأ ساد قومه ❊ وان لم يكن من قبل ذلك يذكر

ولما كان ابو امية مشتهرا تركه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حاله كما يقال على بن ابو طالب كرم الله وجهه وحكى ابو زيد فى نوادره عن الاصمعى عن يحيى بن عمران قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية تجعله مرفوعا فى كل وجه من الرفع والجر والنصب والحاصل انه شبه امارته بالثوب لانها التلبسه بها كانها هو واستعير لها ترفيله وهو اطالته واسباله فكانه يرفل فيها اى يجر ذيلها عليهم زهوا وقول التلمسانى هنا الى وآئل الى كاللام وروى بها فليس فى محله ولعله فيما تقدم والله تعالى اعلم ثم جملة (اين هذا) اى كلامه هذا مع ما ذكر من الاقيال وكتابه لهم (من كتابه لانس رضى الله عنه فى الصدقة المشهور) نعت لكتابه كما رواه ابو داود والترمذى والدارقطنى وختمه ولم يدفعه له فدفعه ابو بكر بعد وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم له حين وجهه الى البحرين مصدقا فان ذا يحمل من جزالة الفاظ مألوفة وسلاسة تراكيب مأنوسة وذاك يحمل من غلاقة الفاظ غريبة وقلاقة اساليب عجيبة حتى انها فى النطق عسرة بالنسبة الى غير اهل تلك اللغة وسبب هذا التغاير ما بينه المصنف بقوله (لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد) اى هذا المقدار غريبا غير مألوف (وبلاغتهم على هذا النمط) اى هذا النوع وحشيا غير مأنوس (واكثر استعمالهم هذه الالفاظ) اى التى هى غير مألوفة لغيرهم وان كانت مأنوسة لهم وجواب لما قوله (استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم) اى مما نشأ به عليهم من امر ونهى ونحوهما بنص او ارشاد اى دال على ذلك كالقياس واستحسان العقل (وليحدث الناس بما يعلمون) اى بما يفهمون و يعقلون لا بما لا يدركون فينكرون كما سبق من كلامه وكتابه (وكقوله فى حديث

عطية السعدى) اى المنسوب الى قبيلة بنى سعد وهو ابن عروة و يقال ابن عمرو بن عروة على ما رواه الحاكم والبيهقى وصححه عنه قدمنا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لى ما اغناك الله فلا تسأل الناس شيأ (فان اليد العليا هى المنطية) اى المعطية (واليد السفلى هى المنطاة) اى المعطاة وان مال الله مسئول ومنطى (قال) اى عطية (فكلمنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلغتنا) اى فى الانطاء بمعنى الاعطاء كما قرئ بالنون فى قوله تعالى انا انطيناك الكوثر وهذا الحديث فى المعنى نحو حديث مالك والشيخين وابى داود والنسائى عن ابن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسئلة اليد العليا خير من اليد السفلى والعليا هى منفقة والسفلى هى سائلة قال ابو داود وقد اختلف عن ايوب عن نافع فى هذا الحديث فقال عبد الوارث اليد العليا هى المتعففة وكذا قال واقد عن حماد بن زيد عن ايوب وقال اكثرهم عن حماد هى المنفقة قال الخطابى رواية المتعففة اشبه واصح فى المعنى لان ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر هذا الكلام وهو يذكر الصدقة والتعفف عنها فعطف الكلام على سببه الذى خرج عليه وعلى ما يطابقه فى معناه اولى وقد توهم بعضهم ان معنى العليا هو كون يد المعطى مستعلية فوق يد الآخذ من علو الشئ اى فوقه وليس ذلك عندى بالوجه وانما هو من علو المجد والكرم يريد التعفف عن المسئلة والترفع عنها انتهى كلامه وفى غريب الحديث لابن قتيبة زعم قوم ان العليا هى الآخذة والسفلى هى المعطية فقال وما ارى هؤلاء الا انهم استطابوا السؤال فاحبوا ان ينصروا مذهبهم ونسبه فى المشارق للمتصوفة واقول لعل وجه قولهم هذا انه ينبغى للمعطى ان يتواضع لله فى حال عطائه ويجعل يده تحت يد الفقير الآخذ وان يعلم ان الله تعالى هو الآخذ حقيقة وان كان هو المعطى ايضا لما ورد من انه يأخذ الصدقة ويربيها او ينميها كما يربى احدكم فلوه ولقوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ من اموالهم صدقة ولان الآخذ هو سبب المراتب العالية للمعطى فلو لم يأخذ احد ذلك لم يحصل له الثواب والله اعلم بالصواب ثم هنا دقيقة اخرى بالتحقيق احرى وهى انه اذا كانت اليد العليا خيرا من اليد السفلى واليد العليا هى المعطية فيشكل بما اجمعت عليه السادة الصوفية وجمهور القادة الفقهية من ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر فالجواب على ما ذكره بعض المحققين ان هذا الحديث بعينه يدل على المدعى فان المعطى لم يحصل له المرتبة العليا الا باخراج شئ من الدنيا والآخذ لم يتسفل عن مرتبته القصوى الا باخذ شئ منها والحاصل ان الاول قول ظاهرى حسى للفقهاء والثانى قول باطنى معنوى للاولياء والجامع بينهما هو المحقق والله هو الموفق وقيل ان تفسير اليد العليا بالمعطية والسفلى بالسائلة مدرج فى الحديث وقيل معنى المتعففة المنقبضة عن الاخذ وروى عن الحسن البصرى انه قال معنى الحديث يد المعطى خير من اليد المانعة (وقوله) اى وكقوله على ما ذكره ابو نعيم فى دلائله (فى حديث العامرى) اى مخاطبا له بلغته (حين سأله) اى العامرى (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك اى عم شئت) او عما شئت كما فى نسخة ويجوز سل عن امرك وشأنك (وهى) وفى نسخة وهو (لغة بنى عامر واما كلامه المعتاد) اى المأنوس لجميع العباد (وفصاحته المعلومة) اى لسائر البلاد (وجوامع كلمه) اى لمعان كثيرة بالفاظ يسيرة (وحكمه) جمع حكمة (المأثورة) اى المروية عنه الدالة على اتقان علمه واحكام عمله (فقد الف الناس فيها الدواوين) جمع ديوان بكسر داله وقد يفتح وهو فارسى معرب واصله دوان اعل اعلال دينار وجمعه دنانير وقد سبق الكلام فيه والاظهر ما قالوا فى وجه التسمية ان الديوان بالفارسية اسم للشياطين فسمى الكتاب من الحساب باسمهم لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلى والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق وقد يسمى مكانهم باسمهم واول من وضعه فى الاسلام عمر رضى الله تعالى عنه لحفظ ما يتعلق بالناس والمراد هنا الكتب المؤلفة من الجوامع والمسانيد وامثال ذلك (وقد جمعت فى الفاظها ومعانيها الكتب) اى فى بيان غرائبها وجمعت بصيغة المجهول وكان الاولى ان يقال وجمعوا فى مبانيها ومعانيها الكتب (ومنها) اى ومن جوامع كلمه وحكمه (ما لا يوازى) بهمز ابدل واوا من آزيته بمعنى حاذيته وهو بازائه اى بحذائه ولا تقل وازيته على ما فى الصحاح وهو بصيغة المجهول اى لا يماثل ولا يقابل (فصاحة) تمييز للنسبة اى من جهة الفصاحة (ولا يبارى) اى ولا يعارض ولا يساوى (بلاغة كقوله) على ما رواه ابو داود والنسائى (المسلمون تتكافأ) بالهمز فى آخره وفى نسخة بحذف احدى التاءين اى تتماثل وتتساوى (دماؤهم) اى فى العصمة والحرمة خلاف ما فى الجاهلية فكل مسلم شريفا او وضيعا كبيرا او صغيرا حرا او عبدا فى ذلك سوآء او فى القصاص والدية فيقاد الشريف بالوضيع والكبير بالصغير والعالم بالجاهل والذكر بالانثى وكذا حكم الدية الا انه يخص منه العبد اذ لا يكافئ حرا فى بعض الصور على خلاف فى المسئلة (و يسعى بذمتهم) اى بعهدهم وامانهم (ادناهم) اى اقلهم منزلة كعبد وامرأة فانه اذا اعطى احدهما امانا لاحد او لجيش فليس لاحد منا اخفاره اى نقض امانه لحديث البخارى ذمة المسلمين واحدة يسعى بها

ادناهم فمن اخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولحديث الترمذى ان المرأة لتأخذ على القوم اى تجير على المسلمين ولحديث ابى داود ان كانت المرأة لتجير على المؤمنين ومنه حديث ذمة المسلمين واحدة (وهم) اى المسلمون (يد) اى قوة (على من سواهم) اوجماعة يتعاونون على اعدآئهم من اهل الملل لا يخذل بعضهم بعضا اوهم مع كثرتهم قد جمعتهم اخوة الاسلام وجعلتهم فى وجوب الاتفاق بينهم تعاونوا وتعاضدا على من آذاهم وعاداهم كيد واحدة فيجب ان ينصر كل اخاه على من آذاه فهو تشبيه بليغ (وقوله) اى وكقوله فيما رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق (الناس) اى فى تساوى اجرآء الاحكام عليهم (كاسنان المشط) بضم الميم وتكسر وقد تفتح وتضم اوتكسر وتفتح شينه وهو مثل فى التساوى وهو قريب من قوله تتكافأ دماؤهم وقيل فى تساوى الاخلاق والطباع وتقاربها ويؤيده ما جاء فى رواية اخرى الناس سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لعجمى على عربى وانما الفضل بالتقوى (والمرء) اى وكقوله فيما رواه الشيخان المرء (مع من احب) اى فى كل موطن خيرا وفى المحشر اوفى الجنة وفيه ايماء الى ان الله يتفضل على من احب قوما بان يلحقه بهم فى منازلهم وان لم يكن له مثل اعمالهم وقيل شرطه اتباع عمل محبوبه والا فلا فائدة لهذه المحبة والاظهر انه شرط للكمال وانه يكفى فى اثبات المحبة مجرد التوحيد وثبوت النبوة لما فى صحيح مسلم ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى رجلا احب قوما ولما يلحق بهم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرء مع من احب (ولا خير) اى وكقوله فيما رواه ابن عدى فى كامله بسند ضعيف المرء على دين خليله ولا خير (فى صحبة من لا يرى لك) اى من الحق (مثل ما ترى له) اى مثله اغترارا بماله من كثرة المال وسعة الجاه فيتكبر مع جهله على العلماء والصلحاء والفقرآء المتواضعين له وروى يرى له بالياء والتاء للفاعل والمفعول على ما ذكره التلمسانى والظاهر بناء الفاعل على الخطاب بل هو الصواب هذا وروى لا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه فيؤول معناه الى حديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (والناس معادن) اى وكقوله على ما رواه الشيخان الناس معادن اى لمكارم الاخلاق كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا بضم القاف اى مارسوا الفقه وضموا الحسب الى النسب وجمعوا بين الشرع والطبع فى الطلب وحكى بكسر القاف وهو متعين اذا كان الفقه بمعنى الفهم وحاصله ان الناس مختلفون بحسب الطباع كالمعادن وانواع من الارض كان المعادن منها وفيها الطيب والخبيث فان منها ما يستعد للذهب الابريز ومنها ما يستعد للفضة ومنها يستعد لغير ذلك ومنها ما يحصل منه بكد وتعب كثير شئ يسير ومنها ما هو بعكس ذلك ومنها ما لا يحصل منه شئ اصلا فكذلك بنو آدم منهم من لا يعى ولا يفقه ومنهم من يحصل له علم قليل بسعى طويل ومنهم من امره عكس ذلك ومنهم من يفاض عليه من حيث لا يحتسب كما هو معلوم فى كثير من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين وروى معادن فى الخير والشر كالذهب والفضة (وما هلك امرؤ عرف قدره) رواه السمعانى فى تاريخه بسند فيه مجهول ويقرب منه ما روى عن على رضى الله عنه ما ضاع امرؤ عرف قدره لان الضائع بمنزلة الهالك (والمستشار مؤتمن) اى على ما استشير فيه استظهارا برأيه والحديث رواه الاربعة والحاكم والترمذى ايضا فى الشمائل فى قضية ابى الهيثم وفى بعض الروايات زيد فيه (وهو بالخيار ما لم يتكلم) وفى رواية احمد وهو بالخيار ان شاء تكلم وان شاء سكت فان تكلم فليجتهد رأيه قال الدلجى وهما شاهدا صدق بان الاشارة به بمجرد الاستشارة غير واجبة انتهى والاظهر ان المراد به انه ان لم يكن له رأى يسكت والا فيتكلم ويظهر رأيه لان الدين النصيحة وفى الاخفاء نوع من الخيانة المنافية للامانة وعن عائشة رضى الله تعالى عنها المستشير معان والمستشار مؤتمن وعن على كرم الله وجهه اذا استشير احدكم فليشر بما هو صانع لنفسه (ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم) اى بقوله الخير (او سكت) اى عما لا خير فيه (فسلم) اى عن الشر بسكوته رواه ابو الشيخ فى الثواب والديلمى ومنهم من فضل السكوت لانه اسلم للنفس وآمن من سوء العاقبة ومنهم من فضل الكلام لوجود الغنيمة والاولى ان يقال لكل مقام مقال على ان الاظهر هو الاول لقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليسكت (اسلم) بحذف العاطف وفى نسخة صحيحة وقوله اسلم وهو امر بالاسلام جوابه (تسلم) بفتح اللام من السلامة وهذا القدر من الحديث متفق عليه بين الشيخين فى كتابه عليه الصلاة والسلام لهرقل ولمسلم زيادة (واسلم يؤتك الله اجرك مرتين) وللبخارى فى الجهاد اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين اى ان تسلم يعطك الله اجرك مرتين مرة لايمانه بعيسى عليه الصلاة والسلام ومرة لايمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام وهذا الحديث مع ايجازه جامع لمراتب الاسلام وما يترتب عليه من انواع السلامة فى الدنيا والآخرة مع المناسبة اللفظية فى العبارة الزاخرة (وان احبكم) اى وقوله فيما رواه الترمذى ان احبكم (الى) اى فى الدنيا والعقبى (واقربكم منى مجالس) لعل وجه الجمع اعتبار الانواع (يوم القيامة احاسنكم اخلاقا) جمع احسن والمراد بالاخلاق الشمائل

والاحوال واستدل بهذا الحديث على ان افعل التفضيل اذا اضيف الى معرفة جاز ان يطابق موصوفه وان لا يطابقه لانه عليه السلام افرد احب واقرب وجمع احاسن ففيه جمع بين اللغتين وتفنن فى العبارتين (الموطئون) بصيغة المفعول من التوطئة اى المذللون (اكنافا) جمع كنف بكسر وبفتح وهو الجانب اى الذين جوانبهم وطيئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى منهم مأخوذ من فراش وطئ لا يؤذى جنب النائم والمراد منهم المتواضعون اللينون الهينون كما ورد فى اوصاف المؤمنين (الذين يألفون) بفتح اللام (ويؤلفون) بصيغة المجهول اى يألفون الناس والناس يألفونهم وذلك لحسن اخلاقهم وسهولة طباعهم وضياء قلوبهم وصفاء صدورهم وروى فى الحديث وان ابغضكم الى وابعدكم منى مجالس يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون وروى ابغضكم الى المشاؤون بالنميمة المفرقون للاحبة الملتمسون للبرآء العيب (وقوله) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعبه اصيب رجل يوم احد فقالت امه لتهنئك الشهادة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما يدريك (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه) بفتح اوله وسكون المهملة وكسر النون اى بما لا يهمه من امر دنياه وعقباه (ويبخل) لعل الواو بمعنى او (بما لا يغنيه) بضم اوله وسكون المعجمة اى من اقوال وافعال وطلب رياسة وحب محمدة وامثال ذلك مما يجلب له شرا ولا يذهب عنه ضرا وقد قال الحسن من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وفى رواية للبيهقى كما رواه الترمذى ان رجلا توفى فقالوا ابشر بالجنة فقال فلعله قد تكلم بما لا يعنيه او بخل بما لا ينقصه قال الترمذى وهذا هو المحفوظ اقول لكن لا يخفى حسن صنعة التجنيس بين يعنيه ويغنيه فى الحديث الاول (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (ذو الوجهين) اى الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه بمعنى انه يأتى كلا بما يحب من خير او شر وهذه هى المداهنة المحرمة وقيل هو الذى يظهر لكل طائفة وجها يرضيها به ويوهمها انه عدو للاخرى ويبدى لها مساويها (لا يكون عند الله وجيها) اى ذا قدر ومنزلة لما يتفرع عليه من الفساد بين العباد بخلاف المصلح بين الناس فى البلاد واصل الوجيه هو المستقبل بالخير والتعظيم وذلك كناية عن المحبة لان من احب احدا يديم النظر الى وجهه ويستقبله بالتكريم وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد ذو الوجهين فى الدنيا يأتى يوم القيامة له وجهان من نار (ونهيه) اى وكنهيه فيما رواه الشيخان (عن قيل وقال) بفتح لاميهما وخفضهما منونا اى عن فضول ما يتحدث به فى المجالس من قولهم قيل كذا وقال كذا ويجوز بناؤهما على انهما ماضيان فى كل منهما ضمير راجع الى مقدر وهو الاشهر الاكثر بناء على الحكاية ويجوز اعرابهما اجرآء لهما مجرى الاسماء ولا ضمير فيهما وعن ابى عبيد انهما مصدران تقول قلت قولا وقيلا وقالا وقد قرئ قال الحق بدل قول الحق والمراد النهى عن نقل اقوال الناس مما لا فائدة فيه وقيل المراد النهى عن كثرة الكلام ابتدآء وجوابا مما يوقع فى الخطأ وما لا يجدى نفعا فيرجع الى حديث كفى بالمرء اثما ان يحدث بكل ما سمع ونسب للشافعى

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم اواصلاح حال

(وكثرة السؤال) اى عما بايدى الناس بان يسأل الناس اموالهم او عن اخبارهم مما لا فائدة فيه من التجسس وقيل النهى عن الاغلوطات وفى كثرة السؤال دليل جواز القلة وشرطه الحاجة ولله در القائل

بلوت مرارة الاشياء طعما * فلا شئ امر من السؤال

وقيل السؤال عن المتشابهات وقيل كثرة سؤال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم ينزل ولم تدع الحاجة اليه ومنه قوله تعالى لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم ومنه حديث وسكت عن اشياء غير نسيان فلا تبحثوا عنها والكثرة بالفتح وتكسر (واضاعة المال) اى بصرفه فى غير مرضاة الله عز وجل ويدخل فيه الاسراف فى النفقة والبناء والملبوس والمفروش وامثال ذلك وقيل اهماله وترك القيام عليه وقيل دفعه الى السفهاء وقيل عدم صرفه فى موضعه اللائق به كما قيل

وما ضاع مال اورث المجد اهله * ولكن اموال البخيل تضيع

(ومنع) بالجر منونا وفى نسخة بفتح العين (وهات) بالكسر وفى نسخة بالفتح ويروى على بناء الماضى اى منع ما يجب عليه اعطاؤه وطلب ما ليس له (وعقوق الامهات) اى والآباء فهو من باب الاكتفاء اولان اكثر العقوق يقع بهن لضعفهن ورحمهن ولانهن ما كان عند العرب كثير حرمة لهن اوللايماء بان عصيانهن اقبح لانهن اكثر محبة واشد شفقة لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين الآية ولما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قيل له من احق الناس بحسن صحابتى يا رسول الله قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك (ووأد البنات) بهمزة ساكنة وتبدل اى دفنهن حيات انفة وغيرة ومنهم من وأد تخفيفا للمؤونة وخشية الاملاق بهن

ولذا خصهن بالذكر والافالوأد حرام وكذلك الفعل بهن ومنه حديث العزل الوأد الخفي ومع هذا جاء في الحديث ان دفن البنات من المكرمات ونعم الصهر القبر وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا للمرأة ستران قيل وماهما قال الزوج والقبر قيل فايهما استر قال القبر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه احمد والترمذى والحاكم والبيهقى عن ابى ذر (اتق الله حيث كنت) وفى الاصول من كتب الحديث حيثما كنت وكذا فى اصل الدلجى ولذا قال وما زائدة بشهادة رواية حذفها والمعنى اتق الله باكتساب اوامره واجتناب زواجره فى كل مكان وزمان فانه معك اينما كنت وحيثما كنت والخطاب لراويه من صحابته اوعام لكل فرد من افراد امته (واتبع) بفتح الهمزة وكسر الموحدة اى اعقب والحق (السيئة) اى الصادرة منك (الحسنة) اى من صلاة او صدقة ونحوهما وروى بحسنة (تمحها) بفتح اوله وضم الحاء مجزوما بجواب الامر وهو مقتبس من قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقيل المعنى بالحسنة فى الحديث التوبة ثم المراد بمحوها ازالتها حقيقة بعد كتابتها او محوها كناية عن عدم المؤاخذة بها والظاهر ان جنس الحسنة يمحو جنس السيئة فلا ينافى ماورد من ان الحسنة تمحو عشر سيئات وخص من عمومها السيئة المتعلقة بالعبد كالغيبة فلا يمحوها الا الاستحلال ولو بعد التوبة نعم قبل وصولها اليه ترتفع بالحسنة لحديث اذا اغتاب احدكم من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له وقيل تمحها بحسنة بضاد اثرها اثر السيئة التى ارتكبها فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن ومجالس الذكر وشرب الخمر يكفر بتصدق شراب حلال ونحو ذلك فان المعالجة بالاضداد (وخالق الناس) اى خالطهم وعاشرهم (بخلق حسن) اى بطلاقة وجه وكف اذى وبما تحب ان يعاملوك به فان الموافقة مؤنسة والمخالفة موحشة (وخير الامور اوساطها) هذا حديث مستقل رواه ابن السمعانى فى تاريخه اى المتوسطة بين الافراط والتفريط فى الاخلاق كالكرم بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن وفى الاحوال كالاعتدال بين الخوف والرجاء والقبض والبسط وفى الاعتقاد بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وفى المثل الجاهل اما مفرط واما مفرط وفى التنزيل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا والحاصل ان الانسان مأمور ان يجتنب كل وصف مذموم بالبعد عنه وابعد الجهات والمقادير من كل طرفين وسطهما فاذا كان فى الوسط فقد بعد عن الاطراف المذمومة ولعل هذا معنى قولهم كن وسطا وامش جانبا (وقوله) اى وكقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذى والبيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (احبب) من احبه فان حببته احبه بالكسر شاذ وقوله (حبيبك) بمعنى محبوبك والمعنى احبب الذى تحبه مما سوى الله ورسوله (هونا ما) ما زائدة للمبالغة فى القلة اى حبا يسيرا ولا تسرف فى حبه ولا تبالغ فى تعلق القلب به كثيرا فانه (عسى ان يكون) اى يصير وينقلب (بغيضك) اى مبغوضك (يوما ما) اى حينا من الاحيان وتتمته وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما اذربما انقلب ذلك الحب بتغير الاحوال بغضا فتندم عليه اذا ابغضته او انقلب البغض حبا فتستحيى منه اذا احببته ويقرب من هذا الكلام قول عمر رضى الله تعالى عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وفى معنى هذا الحديث انشد ابو عمرو ابن عبد البر فى بهجة المجالس

واحبب اذا احببت حبا مقاربا * فانك لا تدرى متى انت نازع

وابغض اذا ابغضت بغضا مقاربا * فانك لا تدرى متى انت راجع

والمقارب المقتصد (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الشيخان (الظلم) اى على النفس او على الغير (ظلمات) بضم الظاء واللام وقال التلمسانى وبفتح وبضم الثانى اى انواع الظلم القاصر والمتعدى ظلمات حسية على اصحابه فلا يهتدون بسببه الى الخلاص (يوم القيامة) اى فى يوم يسعى نور المؤمنين الكاملين بين ايديهم وبايمانهم بسبب ايمانهم واحسانهم ويحتمل ان يراد بها الشدائد كما فى قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر (وقوله) اى وكقوله فيما رواه الترمذى وغيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (فى بعض دعائه) اى فى بعض دعواته لما فرغ من صلاته ليلة الجمعة (اللهم انى اسألك رحمة من عندك) اى من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندى الحديث كذا فى اصل الترمذى وليس فى بعض النسخ لفظ من عندك (تهدى بها قلبى) اى تدله اليك وتقربه لديك (وتجمع بها امرى) اى حالى عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثى) بفتحتين اى تجمع بها تفرق خاطرى وتضم بها تشتت امرى بمقام جمعى وحضورى (وتصلح بها غائبى) اى قلبى او باطنى بالاخلاق الرضية والاحوال العلية (وترفع بها شاهدى) اى قالبى او ظاهرى بالاعمال البهية والهيئات السنية او يراد بهما اتباعه الغائبون والحاضرون (وتزكى بها عملى) اى تزيد ثوابه وتنميه او تطهره وتنزهه عن شوائب الرياء والسمعة وسائر ما ينافيه (وتلهمنى بها رشدى) اى صلاح حالى فى حالى ومآلى

وترد

(وترد) اى تجمع (بها الفتى) بضم الهمزة اسم من الائتلاف واما الالفة بالكسر فالمرأة تألفها وتألفك والفه كعلمه الفا بالكسر والفتح على ما فى القاموس فقول الدلجى بضم الهمزة وكسرها مصدر بمعنى المفعول ليس فى محله والمراد بها الالفة فى العبادة او حسن الصحبة مع ارباب السعادة ومنه حديث المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف على ما رواه الدارقطنى عن جابر مرفوعا ومنه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (وتعصمنى) اى تحفظنى وتمنعنى (بها من كل سوء) اى تصرفنى عنه وتصرفه عنى وهو بضم السين وقد يفتح الضرر الحسى والمعنوى (اللهم انى اسألك الفوز) اى النجاة (فى القضاء) اى فيما قضيته وقدرته على من البلاء وفى نسخة عند القضاء اى حين حلول القضاء وضيق الفضاء بتوفيق الرضى وروى المنجاني فى العطاء ثم قال ويروى فى القضاء كما ذكره المصنف فى الشفاء (ونزل الشهداء) بضمتين وتسكن الزاى واصله ما يعد للضيف اول نزوله والمراد هنا جزيل الثواب وجميل المآب وقيل النزل بمعنى المنزل ويؤيده رواية ومنازل الشهداء (وعيش السعداء) اى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير التعب والعناء وفى رواية زيادة ومرافقة الانبياء (والنصر على الاعداء) اى من النفس والشياطين وسائر الكافرين والحديث طويل كما ذكره بعض الشراح وفى هذا الحديث دليل واضح على ان السجع فى الدعاء انما يكون مكروها على ما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنه وغيره اذا كان عن تكلف وتعسف يمنعه عن حسن الثناء ويشغله عن حضور الدعاء ثم هذه الروايات من الكلمات الجامعات منضمة (الى ما رويناه الكافة عن الكافة) اى جميع الرواة عن الثقات وحكى عن سيبويه انه لا يجوز استعمال كافة معرفا بل نكرة منصوبة على الحالية كقاطبة (من مقاماته) بيان لما والمعنى من مقالاته فى اختلاف مقاماته وحالاته ومجالس وعظه ودلالاته (ومحاضراته) اى فى محاوراته (وخطبه) اى فى جمعه وجماعاته (وادعيته) اى وقت مناجاته (ومخاطباته) اى فى محاوباته (وعهوده) اى فى مبايعاته (مما لا خلاف) اى بين علماء الانام (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (نزل) فعل ماض وقد وهم اليمنى فى ضبطه بضم النون والزاى منونا وذكر معانيه التى هى غير ملائمة للمقام فالمعنى انه تنزل وحل ووصل (من ذلك) اى مما ذكر من علو المقام (مرقبة) بقاف فموحدة اى موضعا مشرفا كما فى الصحاح وفى نسخة بقاف فالف وكلتاهما بمعنى مرتبة كما فى نسخة وقال اليمنى هى الصواب والحاصل ان النسخ كلها بمعنى درجة عالية (لا يقاس) اى عليه (بها غيره) فاين الثريا من يد المتناول فى الثرى ولا يقاس الملوك بالحدادين فى السلوك (وحاز) بالحاء والزاى اى ضم وجمع (فيها سبقا) بفتح فسكون مصدر سبق وهو التقدم فى السير ويستعار لاحراز الفضل والخير وبفتحهما ما يجعل من المال رهنا فى المسابقة واغرب الحلبى من بين الشراح فى قوله انه يتعين هنا فتح الباء (لا يقدر قدره) بصيغة المجهول اى لا يعرف عظمة شانه ورفعة برهانه (وقد جمعت) بصيغة المتكلم فى اكثر النسخ وضبطه الدلجى بتاء تانيث ساكنة مبنيا للمفعول (من كلماته) من تبعيضية او زائدة وانث الضمير نظرا الى الكلمات كذا ذكره الدلجى والظاهر كون من تبعيضية لقلة وجودها زائدة فى الكلام الموجب مع ان كلماته لا تستقصى فى مقام الرواية والمفعول او نائب الفاعل قوله (التى لم يسبق اليها) بصيغة المجهول اى ما سبقه واحد الى تلك الكلمات البالغة لاصابتها نهاية البلاغة وغاية الفصاحة (ولا قدر احد ان يفرغ) من الافراغ اى (فى قالبه) بفتح اللام وتكسر ففى القاموس القالب كالمثال يفرغ فيه الجواهر وفتح لامه اكثر والمعنى لم يقدر احد ان يسكب جواهر المعانى فى قوالب زواهر المبانى (عليها) اى على نهج تلك الكلمات التى ليس لها مثانى (كقوله) اى يوم حنين على ما رواه مسلم والبيهقى الآن (حمى الوطيس) بفتح الحاء وكسر الميم اى اشتد الحرب والوطيس فى الاصل التنور شبه به الحرب لاشتعال نارها وشدة ايقادها فاستعار لها اسمه فى ايرادها استعارة تحقيقية لتحقق معناها حسا وقرنها بقوله حمى ترشيحا للمجاز وقيل هو الوطئ الذى يطس الناس اى يدقهم وقال الاصمعى هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر احد على وطئها عبر به عليه الصلاة والسلام عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق فهو كلام فى غاية الايجاز ومما يشبه الالغاز وكاد ان يكون من باب الاعجاز (ومات حتف انفه) اى وكقوله فيما رواه البيهقى فى شعب الايمان ولفظه من مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله يعنى اذا خرج مجاهدا فى سبيل الله والمعنى مات بلا مباشرة قتل ولا ضرب ولا غرق ولا حرق وخص الانف لانه اراد ان روحه تخرج من انفه بتتابع نفسه اولانهم كانوا يتخيلون ان المريض تخرج روحه من انفه والجريح من جراحته (ولا يلدغ المؤمن من جحر) بضم جيم فسكون حاء (مرتين) اى كما رواه البخارى وغيره وروى لا يلسع وهو اما خبر فمعناه ان المؤمن الفطن هو اليقظ الحازم الحافظ الذى لا يؤتى من جهة الغفلة فيخدع وهو لا يشعر مرة بعد مرة واما نهى فمعناه لا يخدعن المؤمن من باب واحد من وجه واحد مرة بعد اخرى فيقع فى مكروه بل فليكن حذرا يقظا فى امر دنياه واخراه وسبب الحديث ان ابا عزة الجمحى اسر يوم بدر فمن عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يهجوه ولا يحرض عليه

فغدر ثم اسر باحد فقال يارسول الله غلبت اقلنى فقال لا ادعك تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ثم امر بضرب عنقه (والسعيد من وعظ) بصيغة المجهول اى اتعظ (بغيره) كما رواه الديلمى وروى تمامه والشقى من وعظ به غيره (فى اخواتها) اى اشباه هذه الكلمات والمعنى انها جمعت معها كالاعمال بالنيات والمجالس بالامانات والحرب خدعة وامثالها من الكلمات الجامعات منها كل الصيد فى جوف الفرا اى الحمار الوحشى قاله لابى السبيعى لما اسلم اى اجتمع كمال خصال الناس فيه واياكم وخضراء الدمن ولايجنى على المرء الايده والبلاء موكل بالمنطق وترك الشر صدقة وسيد القوم خادمهم والخيل فى نواصيها الخير وان من الشعر لحكمة ونية المؤمن خير من عمله والدال على الخير كفاعله ونعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والندم توبة ونحو ذلك (مما يدرك الناظر العجب) اى مما يتصوره وفى نسخة بنصب الناظر ورفع العجب فالمعنى مما يلحقه العجب اذا نظر (فى مضمنها) بفتح الميم المشددة وفى نسخة من ضمنها اى مضمونها وما يتضمنها من المعانى البديعة فى المبانى المنيعة (ويذهب به) اى ومما يذهب بالناظر (الفكر فى ادانى حكمها) بكسر ففتح جمع حكمة والمعنى فيتعجب بتأمله فى فهمها باعتبار ادانيها فما ظنك باقاصيها (وقد قال له اصحابه) اى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (ما رأينا الذى هو افصح منك) الجملة من المبتدأ والخبر صلة الموصول وهو عائد الموصول لاضميرا فصح كما توهم الدلجى فان ضميره راجع الى المبتدأ كما لايخفى على المبتدى (فقال وما يمنعنى) اى من ان اكون افصح (وانما انزل القرءآن) اى الذى هو فى غاية البلاغة ونهاية الفصاحة مع ايجاز المبانى وحسن البيان والمعانى (بلسانى لسان عربى مبين) اى واضح او موضح ولسان بدل او بيان (وقال مرة اخرى) اى كما رواه اصحاب الغرآئب ولم يعرف له سند (انا افصح العرب بيد) اى غير (انى) او على انى (من قريش) فيكون من باب المدح بما يشبه الذم كقول القائل

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول النابغة

فتى كملت اخلاقه غير انه * جواد فما يبقى من المال باقيا

وفى مشارق الانوار للمصنف ان بيد بمعنى لاجل وفى المعنى هنا بمعنى من اجل انى من قريش (ونشأت) اى تربيت وفى رواية ارضعت (فى بنى سعد) اى وهما طائفتان فصيحتان من العرب العرباء وفيهم البلغاء من الشعرآء والخطباء وللطبرانى انا اعرب العرب ولدت فى قريش ونشأت فى بنى سعد فانى يأتينى اللحن واما حديث انا افصح من نطق بالضاد بيد انى من قريش فنقله الحلبى عن ابن هشام لكن لا اصل له كما صرح به جماعة من الحفاظ وان كان معناه صحيحا والله اعلم واغرب التلمسانى فى قوله وتكسر همزة انى على الابتدآء وقال روى الحديث محمد ابن ابراهيم الثقفى عن ابيه عن جده (فجمع له) بصيغة المجهول اى فاجتمع له بجمع الله له (بذلك) اى بسبب ما ذكر من اصالة قريش وحضانة بنى سعد (صلى الله تعالى عليه وسلم) كان محله بعد له (قوة عارضة البادية) اى حلاوة كلام اهل البادية (وجزالتها) بالرفع وهو ضد الركاكة (ونصاعة الفاظ الحاضرة) اى وخلوص الفاظ اهل الحضور فى القرى من شوآئب خلط الخلطة بغيرهم (ورونق كلامها) اى وحسن تعبير اهل الحاضرة المفهومة للعامة والخاصة حال كون ذلك كله منضما (الى التاييد الالهى الذى مدده) بالرفع اى زيادته المتوالية وامداده (الوحى الذى لا يحيط بعلمه بشرى) اى منسوب الى البشر وهم بنوا آدم ولو قال الآدمى بدله كان انسب معنى واقرب مبنى لسجع الالهى والحاصل ان كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم متناهى فى الفصاحة والبلاغة ولكن لا يبلغ مرتبة المعجزة خلافا لبعض المتكلمين حيث قال ان اعجازه دون اعجاز القرءآن ولعله اراد باعتبار المعنى دون المبنى (وقالت ام معبد) بفتح ميم وموحدة وهى عاتكة بنت خالد الخزاعية (فى وصفها له) اى للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) حين نزل بها فى طريق المدينة سنة الهجرة كما ذكره اصحاب السير واصحاب الشمائل تضمنا للمعجزات وخوارق العادات حينئذ من جملة ما وصفت انه (حلو المنطق) اى مستلذه ومستحلاه لاشتماله على حلاوة كلامه وعذوبة مرامه وسلاسة سلامه وحسن بدئه وختامه ونظام تمامه (فصل) اى مفصول مبين ومفهوم معين او فاصل بين الحق والباطل او حق لاباطل ومنه قوله تعالى فى التنزيل انه لقول فصل اى فاصل قاطع (لانزر) بفتح نون فسكون زاى اى لايسير فيشير الى خلل (ولاهذر) بفتح هاء وسكون ذال معجمة اى ولا كثير فيميل الى ملل واما الهذر بفتح الذال فمعناه الهذيان واغرب الانطاكى حيث اقتصر فى ضبطه على الفتح (كان منطقه) اى منطوقه (خرزات) اى جواهر متعالية ولآلى متغالية (نظمن) بصيغة المجهول اى سلكن فى سلك كماته وضمن عباراته متتابعة متناسقة متناسبة متوافقة والحاصل انه تشبيه بليغ لارادة زيادة المبالغة على ما صرح به الدلجى الا انه مبنى على ان كان منطقه من الافعال الناقصة

وفى بعض النسخ المصححة بتشديد النون على انها من الحروف المشبهة فحينئذ لا يكون تشبيها بليغا كما لايخفى على البلغاء (وكان جهير الصوت) اى عاليه وهو مما يمدح فى احوال الرجال ولذا مدح ايضا بسعة الفم والله تعالى اعلم (حسن النغمة) بفتح النون وسكون الغين المعجمة اى حسن الصوت حيث تقبله الاسماع وتالفه الطباع كما روى ان الله لم يبعث نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اولا وآخرا والله تعالى اعلم

(فصل) (واما شرف نسبه) اى المنسوب الى قومه (وكرم بلده ومنشأه) اى الذى ولد وتربى فيه وقيل المراد من منشأه محل مرضعته حليمة من بنى سعد (فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفى منه) اى مما ينسب اليه (فانه) اى باعتبار نسبه (نخبة بنى هاشم) اى خيارهم (وسلالة قريش) اى خلاصتهم وصفوتهم سلت من خالصهم والظاهر انه مرفوع وجعله التلمسانى مجرورا على انه بدل من بنى هاشم (وصميمها) بالرفع اى قوامهم ومدارهم ومحضهم وخالصهم من غير خلطة غيرهم واصل الصميم العظم الذى به قوام العضو وظاهر كلام الدلجى ان صميمها مجرور عطفا على قريش (واشرف العرب) لانه من بنى هاشم وبنوا هاشم من قريش وهم اشرف العرب فى النسب وفى شرح الدلجى افضل العرب من غير عاطفة بالجر صفة لقريش (واعزهم) اى وهو اقواهم واشجعهم واسخاهم (نفرا) اى جماعة وقرابة (من قبل ابيه وامه) اى من قبل قبيلة ابويه (ومن اهل مكة) اى وهو من اهل مكة (اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده) وفى هذا حجة على بعض المالكية فى تفضيلهم المدينة السكينة على مكة المكينة وفى بعض النسخ من اكرم ولعله تصرف من بعضهم والله تعالى اعلم نعم يستثنى ما حوى بدنه الكريم فانه افضل حتى من الكعبة بل من العرش العظيم وعن المحب الطبرى ان بيت خديجة يلى المسجد الحرام فى الفضيلة ولم يذكر المصنف فى هذا الفصل شيأ مما جاء فى فضل مكة لظهوره وكمال وضوح نوره (حدثنا قاضى القضاة) اللام للعهد اذ لا يجوز هذا الاطلاق على سبيل الاستغراق الا على الملك الخلاق نحو ملك الملوك وسلطان السلاطين وامثال ذلك (حسين بن محمد الصدفى) بفتحتين فقاء فياء نسبة (رحمه الله) وقد سبق ترجمته (حدثنا القاضى ابو الوليد سليمان ابن خلف) وهو الباجى (حدثنا ابو ذر عبد بن احمد) اى الهروى وهو عبد من غير اضافة فلا يكتب همزة ابن البتة ولو وقع اول الصفحة (حدثنا ابو محمد السرخسى) هو الحموى وقد سبق ضبطه (وابو اسحق) اى المستملى وكان من الثقات (وابو الهيثم) وهو محمد بن المكى ابن الزراع الكشميهنى بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وفتح الميم وسكون التحتية وفتح الهاء بعدها النون وياء النسبة نسبة الى قرية قديمة من قرى مرو (حدثنا) اى قالوا حدثنا كما فى نسخة (محمد بن يوسف) وهو الفربرى (قال حدثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (حدثنا قتيبة بن سعيد) تقدم ذكره (حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن) اى ابن محمد بن عبد الله بن القارى بالتشديد نسبة الى القارة (عن عمرو) بالواو وهو مولى المطلب اخرج له الائمة الستة واختلف فى كونه ثقة (عن سعيد المقبرى) بفتح الميم وضم الموحدة ويجوز فتحها وقال التلمسانى بتثليث الموحدة وقيل له ذلك لانه كان يسكن قرب المقابر وهو سعيد بن ابى سعيد المقبرى واما ما فى بعض النسخ عن ابى سعيد فخطأ على ما ذكره الحلبى وفيه بحث لان الحجازى صرح بان كنيته ابو سعيد وابوه كيسان وكنيته ابو سعيد ايضا (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) اى خلقت وجعلت من خير طبقاتهم كائنين طبقة بعد طبقة (حتى كنت من القرن الذى كنت منه) اى حتى وجدت من بين الجمع الذى ظهرت منهم والقرن من الاقتران يطلق على اهل كل زمان يقترنون فى اعمارهم واحوالهم وفى مقداره اقوال عشرة عشرون ثلاثون اربعون خمسون ستون سبعون ثمانون مائة سنة مائة وعشرون مطلق من الزمان فتلك عشرة كاملة والاظهر انه من الزمان ما غلب فيه وجود الاقران ولذا قيل

اذا ذهب القرن الذى انت منهموا * وخلفت فى قرن فانت غريب

والمراد بالبعث تقلبه فى اصلاب آبائه ابا فابا كانتقاله من نابت بالنون بن اسماعيل ثم من النضر بن كنانة ثم من قريش بن النضر ثم من عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ولله در القائل

كم من اب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

(وعن العباس) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وحسنه (قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق) اى انسا وملائكة وجنا ويحتمل تخصيصه بالثقلين (فجعلنى من خيرهم) اى فتخيرهم وجعلنى من خيرهم وهم الانس (من خير فرقهم) بصيغة الافراد وهو بدل مما قبله (ثم تخير القبائل) اى اختارهم (فجعلنى من خير قبيلة) اى من العرب وهم قريش (ثم تخير البيوت) اى البطون (فجعلنى من خير بيوتهم فانا) اى بفضل الله على ونظر لطفه فى سابق

عليه الى (خيرهم نفسا) اى ذاتا اذ خلقنى خاتم النبوة وتمم بى دائرة الرسالة وجعلنى مدار الوجود ومظهر الكرم والجود (وخيرهم بيتا) اى مكانا فى النسب والحسب من جهة الام والاب (وعن واثلة) بمثلثة مكسورة (ابن الاسقع) وهو من ارباب الصفة وضبط بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح قاف فعين مهملة وقال التلمسانى بالسين والصاد ويجوز الزاى كما رواه مسلم والترمذى واللفظ له (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم) قيل هو معرب اب رحيم والولد بفتحتين او بضم فسكون اى اختار من اولاده وكانوا ثلاثة عشر (اسماعيل) اذ كان نبيا رسولا الى جرهم وعماليق الحجاز واغرب التلمسانى حيث قال اسماعيل باللام والنون (واصطفى من ولد اسماعيل) وكانوا اثنى عشر ولدا على ما ذكره ابن اسحق (بنى كنانة) وهو بكسر الكاف ابن نابت وبين كنانة ونابت فيما ذكر ابن اسحق ثلاثة عشر ابا (واصطفى من بنى كنانة) وكانوا اربعة منهم النضر (قريشا) وهم اولاد النضر روى ان فى الرجل من قريش قوة اربعين من غيرهم (واصطفى من قريش بنى هاشم) اسمه عمرو وسمى بذلك لانه اول من هشم الثريد لقومه واضيافه من الحجاج وغيرهم فى سنة القحط (واصطفانى من بنى هاشم) اى ابن عبد المطلب بن هاشم (قال الترمذى وهذا حديث صحيح) اى اسناده قال المنجانى وقد خرجه مسلم فى صحيحه (وفى حديث عن ابن عمر رواه الطبرانى) اى محمد بن جرير احد الاعلام وصاحب التصانيف من هل طبرستان وسمع خلائق واخذ القراءة عن جماعة توفى سنة عشر وثلاثمائة وكذا الطبرانى فى معجميه الكبير والاوسط (انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه) اى تخيرهم وقيل اوجدهم لان المختار عند المتكلمين هو الفاعل لا على سبيل الاكراه (فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم) اى تفاهم (فاختار منهم العرب ثم اختار العرب) اى انتقدهم (فاختار منهم قريشا) وهم اولاد النضر بن كنانة وسموا قريشا لان قصيا قرشهم اى جمعهم فى الحرم بعد ما كانوا متفرقين (ثم اختار بنى هاشم فاختارنى) اى منهم (فلم ازل خيارا من خيار الا) للتنبيه على تحقيق ما بعده من الامر النبيه (من احب العرب فبحبى) اى فبسبب حبه اياى (احبهم ومن ابغض العرب فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) والمعنى انما احبهم لانه احبنى وانما ابغضهم لانه ابغضنى فثبت بذلك قول بعض المالكية من سبهم وجب قتله لكن قد يقال المعنى فبسبب حبى وبغضى اياهم احبهم وابغضهم لا بسبب آخر فمن احبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الايمان يجب محبتهم ومن ابغضهم من اهل العدوان يجب عداوتهم واما الطعن فى جنس العرب فهذا محل بحث وسيأتى تحقيقه (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) على ما رواه ابن ابى عمر والعدنى فى مسنده (ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت روحه) وفى اكثر النسخ ان قريشا اى من حيث هو فيهم كانت (نورا بين يدى الله تعالى) اى مقربا عنده سبحانه وتعالى (قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح ذلك النور) اى قبل عالم الظهور (وتسبح الملائكة بتسبيحه) اى بسببه او بما يقوله من تسبيحه على طبقه ووفقه (فلما خلق الله آدم القى ذلك النور فى صلبه) بضم فسكون وفى القاموس بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب وقال التلمسانى هو عمود الظهر ويقال بضم الصاد وفتحها قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فاهبطنى الله عز وجل الى الارض فى صلب آدم وجعلنى فى صلب نوح) اى بعد ما كان فى صلب شيث وادريس (وقذف بى) اى بعد ذلك (فى صلب ابراهيم) اى من صلب سام بن نوح (ثم لم يزل الله تعالى ينقلنى من الاصلاب الكريمة والارحام الطاهرة حتى اخرجنى) اى اظهرنى (من) وفى نسخة بين (ابوى لم يلتقيا) اى ابواى من آدم وحواء الى عبد الله وآمنة (على سفاح) بكسر السين اى على غير نكاح (قط) اى اصلا وقطعا (ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس) وهو قوله من قبلها طبت فى الظلال الخ (المشهور فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما سيأتى فى كلام القاضى والله اعلم) (فصــــل) (واما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه) اى مما بيناه فيما تقدم اول الباب من فضائله فيه (فعلى ثلاثة ضروب) وفى بعض النسخ اضرب اى على ثلاثة انواع او اصناف (ضرب الفضل) اى هو الفضل ويجوز فيه الاضافة (فى قلته) وهو الذى اورده هنا (وضرب الفضل فى كثرته) اورده فى فصل ثان (وضرب تختلف الاحوال فيه) ذكره فى فصل ثالث (فاما ما) اى ضرب (التمدح والكمال بقلته اتفاقا) اى بين العلماء والحكماء من العرب والعجم وغيرهم من العقلاء (وعلى كل حال) اى وفى قلته على كل حال باصل الخلقة او بحكم المجاهدة (وعادة وشريعة) اى عقلا ونقلا او عادة وعبادة (كالغذاء) بكسر المعجمة الاولى ما يتغذى به من الطعام والشراب وهو اعم من الغداء بفتح المعجمة والدال المهملة وهو ما يؤكل اول النهار كما ان العشاء بالفتح ما يؤكل بعد الزوال الى العشاء بالكسر فتجويز الدلجى ضبطه بالمعجمة والمهملة من المهمل الذى ليس فى محله المستعمل وكذا قول اليمنى واما الغداء بفتح الغين المعجمة والدال المهملة فهو الطعام بعينه وهو خلاف العشاء انتهى مع ما فيه من التناقض بين قوله هو الطعام بعينه وبين قوله وهو خلاف العشاء (والنوم) اى وكالنوم (ولم تزل العلماء والعرب) اى من العقلاء

(والحكماء) اى منهم ومن غيرهم من القدماء (تتمادح) اى تتفاخر (بقلتهما وتذم) اى وتتعايب (بكثرتهما) او التقدير تذم المتقيد بكثرتهما وفى نسخة وتذم كثرتهما (لان كثرة الاكل والشرب) بتثليث الشين والضم ثم الفتح اشهر واما الكسر ففى معنى النصيب اكثر (دليل على النهم) بفتحتين اى الافراط فى شهوة الطعام (والحرص) اى على جمع المال لنيل المنال او على طول الحياة لحصول اللذات (والشره) بفتحتين اى غلبة الحرص وقيل هو ان يأكل نصيبه ويطمع فى نصيب غيره فهما مجروران عطفا على النهم بفتحتين للتفسير والتأكيد ثم قوله (وغلبة الشهوة) مبتدأ خبره قوله (مسبب) بكسر الباء والمسبب فى الحقيقة هو الله تعالى فكان الاولى ان يقول سبب اى امر موجب وباعث مجتلب (لمضار الدنيا والآخرة) وفى بعض النسخ ضبط الحرص والشره وغلبة الشهوة كلها بالرفع فيكون مسبب خبرا ثانيا لان ويؤيده قوله (جالب) بلا عاطف وليس كما قال الدلجى عطف على دليل او مسبب ثم المعنى جاذب ومكسب (لادواء الجسد) جمع الداء بمعنى المرض (وخثارة النفس) بضم الخاء المعجمة اى ثقلها بلا طيب ونشاط (وامتلاء الدماغ) وهو اعلى الرأس من القحف اى من رطوبات ابخرة متصاعدة تورث استرخاء اعضائه الذى به النوم الذى يفوت خيرا كثيرا (وقلته) عطف على كثرة الاكل وهو اسم ان او على محلها اى قليل من الاكل (دليل على القناعة) اى الرضى باليسير والتسليم للقسمة (وملك النفس) بكسر الميم اى وعلى قدرتها وحكمها على قمعها ومنعها من الميل الى الشهوات واتباعها (وقمع الشهوة) بالرفع مبتدأ خبره (مسبب للصحة) وجوز الدلجى جره عطفا على ما قبله فيكون مسبب خبرا ثانيا لقلته وهو بعيد لفظا ومعنى وجوز الحجازى رفع ملك النفس ايضا فتامل والمراد من الصحة صحة الظاهر وهو الجسد من الآلام والاسقام لان التخمة اصل كل علة (وصفاء الخاطر) اى وسبب لخلوص الباطن من الكدورات المتولدة بانهماك النفس فى المستلذات (وحدة الذهن) اى ذكائه وهى شدة قوة للنفس معدة لاكتساب الآراء المستقيمة (كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة) بضم الفاء والسين المهملة اى الرذالة وفتور النفس (والضعف) بالضم والفتح اى ضعف البنية (وعدم الذكاء والفطنة) اى وعلى عدمهما وقوله (مسبب) خبر ثان لان او عدم الذكاء مبتدأ خبره مسبب (للكسل) اى الملالة فى الطاعة (وعادة العجز) اى وتعود العجز عن القيام بالعبادة روى ان من خصائصه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يتثاءب ولا يتمطى لانهما من عمل الشيطان (وتضييع العمر) بضمهما ويسكن الثانى (فى غير نفع) اى بلا منفعة حقيقية لان النفس اذا توجهت الى معرفة شئ ومزاولة عمل ولم تجد لها آلة تساعدها من صدق تخيل وصحة فكر وتأمل وجودة حفظ وتعقل لفقد اعتدال المزاج بسبب كثرة الاكل والنوم فترت همتها عن العلم والعمل واعتادها الكسل مع حصول عجز البدن عن وصول الامل واضاعة العمر فى غير نفع مدة الاجل (وقساوة القلب) اى وفى شدته وغلظته (وغفلته) اى اهماله وتركه عن تحصيل منفعته (وموته) اى وموت قلبه لان حياته بذكر ربه وفكر حبه (والشاهد على هذا) اى والدليل الظاهر على ما ذكرناه من ان كثرة الاكل والنوم تورث ما قدمناه (ما يعلم ضرورة) اى بديهة باوائل الفطرة من غير حاجة الى الفكرة كالعلم بجوع النفس وعطشها وقبضها وبسطها او كالعلم بان الواحد نصف الاثنين والاثنين اكثر من واحد ونصب ضرورة على التمييز (ويوجد مشاهدة) اى معاينة منا ومن غيرنا وهى منصوبة على المفعولية (وينقل) اى يروى الينا ممن سبق علينا (متواترا) اى نقلا متتابعا مرة بعد مرة وفى الاصطلاح خبر اقوام عن امر محسوس يستحيل عادة تواطئهم على الكذب (من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين) اى السابقة كقول الحارث بن كلدة افضل الدواء الازم يريد قلة الاكل والحمية وقول بعض الحكماء خصلتان يقسو بهما القلب كثرة الاكل وكثرة الكلام وقول داود لابنه سليمان عليهما السلام اياك وكثرة النوم فانه يفقرك اذا احتاج الناس الى اعمالهم (واشعار العرب واخبارها) ومن الاول قول الاعشى

تكفيه حذة لحم ان الم بها * من الشواء وتروى شربة الغمر

ومن الثانى قول قس بن ساعدة وقد قال له قيصر ما افضل الاكل قال ترك الاكثار منه قال فما افضل الحكمة قال معرفة الانسان قدره قال فما افضل العقل قال وقوف الانسان عند علمه (وصحيح الحديث) كما سيأتى (وآثار من سلف وخلف) اى من الصحابة والتابعين كما سيجيء (مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه) اى لكونه مما لا يخفى (وانما تركنا ذكره هنا اختصارا) اى فى اللفظ (واقتصارا) اى فى المعنى (على اشتهار العلم به) اى بناء واعتمادا على شهرته لكمال كثرته (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين) اى النوعين من الغذاء والنوم (بالاقل) اى بالحد الاقل الذى لا يجوز التجاوز عنه ويجب الانتفاع به حفظا للبنية وقوة على الطاعة (هذا) اى هذا الحد الذى اخذ به منهما واكتفى فيه عن طلب غيرهما (ما لا يدفع) بصيغة المجهول اى لا ينكر ولا يمنع (من سيرته) لكمال شهرته وكثرة نقلته (وهو الذى امر به) اى غيره (وحض عليه) اى من وافق سيره (لا سيما) مركبة من لا وسى وما وسى اسم بمنزلة

مثل وزنا ومعنى اى لا مثل ما وتكون ما زائدة او موصولة قال ثعلب من استعمله بلا واو وبخفف الياء اخطأ وليس
كما قال بل تحذف واوه ويخفف كقوله

وبالعقود وبالايمان لاسيما * عقدوفاء به من اعظم القرب

كذا قرره الحجازى وفيه بحث لا يخفى (بارتباط احدهما بالآخر) اى خصوصا مع ملاحظة ارتباطهما وانعقادهما
فى تلازمهما من حيث ان النفس اذا شبعت تشوقت الى الراحة بالنوم وفترت عن العبادة فتنام كثيرا فتحسر فى حياته
كثيرا وتندم عند مماته كثير الغفلة زاده ليوم معاده بدليل ما سيأتى من الاخبار والآثار منها ما قال المصنف رحمه الله
تعالى (حدثنا ابو على) اى ابن سكرة (الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى للكتاب والسنة (بقراءتى عليه) اى هذا الحديث
دون املائه لى وهذا بيان لاحد نوعى الاخذ ودليل على كمال الحفظ وقد سبقت ترجمته (حدثنا ابو الفضل) وهو احمد
ابن خيرون وقد سبق ذكره (الاصفهانى) بفتح الهمزة وتكسر والفاء مفتوحة ويروى بالباء بدل الفاء واما النطق
بموحدة بين الباء والفاء فلفظ فارسى قيل واهل المشرق يقولون بالفاء واهل المغرب بالباء وهى مدينة عظيمة من بلاد
العجم من نواحى العراق ومن شرف اصبهان انها لا تخلو ابدا من ثلاثين رجلا يستجاب دعاؤهم لدعوة الخليل عليه
السلام لما حل منهم نمرود ثلاثين للعرب فلما رأوا الخليل آمنوا به فدعا لهم بذلك كذا ذكره التلمسانى (حدثنا ابو نعيم
الحافظ) قال الحلبى هذا هو الحافظ الكبير محدث العصر ابو نعيم احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحق بن موسى بن
مهران الاصبهانى الصوفى الاحول سبط الزاهد محمد بن يوسف البناء ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة وله مصنفات كثيرة
(حدثنا سليمان بن احمد) هذا هو الامام الواسطى الحافظ الكبير الثبت مسند الدنيا ابو القاسم سليمان بن احمد بن
ايوب بن مطير اللخمى بالمعجمة الشامى ولد سنة ستين ومائتين واعتنى به ابوه ورحل به فى حداثته وسمع بمدائن الشام
والحرمين واليمن ومصر وبغداد والكوفة والبصرة واصفهان والجزيرة وغير ذلك وحدث عن اكثر من الف شيخ وصنف
المعجم الكبير والمعجم الاوسط وهو كتاب جليل تعب عليه وكان يقول هو روحى والمعجم الصغير يذكر فيه عن كل شيخ حديثا
وله مصنفات كثيرة مفيدة وعاش مائة سنة (حدثنا ابو بكر بن سهل) اى الدمياطى روى عن عبد الله بن يوسف وكاتب
الليث وطائفة وعنه الطحاوى والطبرانى وجماعة توفى سنة تسع وثمانين (حدثنا عبد الله بن صالح) اى الجهمى
كاتب الليث على امواله روى عن معاوية بن صالح وموسى بن على وطائفة وعنه البخارى وابن معين وخلق قال الفاضل
الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (حدثنى معاوية بن صالح) هو الحضرمى الحمصى قاضى الاندلس روى عن مكحول
وغيره وعنه ابن وهب وابن مهدى وجمع (ان يحيى بن جابر) اى الطائى الشامى قاضى حمص (حدثه عن المقدام) بكسر
الميم (ابن معدى كرب) بعدم الانصراف وقد يصرف قال الحلبى فيه لغات رفع الباء ممنوعا والاضافة مصروفا وممنوعا
انتهى ولا يخفى ان الرفع لا وجه له هنا (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه)
ويروى من بطن لما فيه من الضرر الكثير به وسائر الاوعية انما استعملت فيما هى له وهو انما خلق ليتقوم به الصلب
من الطعام فامتلاؤه يفضى الى فساد الدين والدنيا فيكون شرا منها فى مقام المرام (حسب ابن آدم) بسكون السين
اى كافيه (اكلات) بضمتين وقد تفتح الكاف وتسكن ايضا على ما صرح به بعضهم جمع اكلة بالضم والسكون لما يجعل
فى الفم من اللقمة وهو المراد هنا وفى جمعها للقلة وهو لما دون العشرة ارشاد الى قلة عددها وفى رواية لقيمات اشارة
الى قلة قدرها قال التلمسانى وكان ذلك عادة عمر رضى الله تعالى عنه يقتصر على سبع او تسع واما بفتحتين فهو جمع
الاكلة بمعنى المرة من الاكل وتجويزه هنا للدلجى ليس فى محله ويروى حسب المسلم وحسب المؤمن ورواية الترمذى
بحسب ابن آدم اكلات (يقمن صلبه) بضم اوله اى يقوين ظهره بالضم وبالتحريك عظم من لدن الكاهل الى العجب
كما فى القاموس فقول الدلجى تسمية للكل باسم جزئه اذ كل شئ من الظهر فيه فقار فهو صلب فيه بحث ثم خص
الصلب لانه عمود البدن وفيه انخاع الساقى للبدن وهو اصله ولذا من قطع نخاعه مات وهو كناية عن انه لا يتجاوز
ما يحفظه من ضعفه ويتقوى على طاعة ربه والاسناد فى الجملة مجازى لان الاقامة صفة الهية (فان كان لا محالة)
بفتح الميم وبضم اى لا بد ولا حيلة ولا فراق من التجاوز عن الاقامة البتة (فثلث) بضمتين وتسكن اللام مبتدأ
والتقدير ثلث منه (لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) بفتح الفاء اى لتنفسه وبه يحصل نوع صفاء ورقة وكسر شهوة
ورفع غفلة وسهولة مواظبة على الطاعة والعبادة والتخلص من القساوة والبلادة ومحافظة صحة البدن واعتدال
المزاج غير المحتاج للمعالجة وقيل التقدير فان كان لا بد ان يملأ بطنه ولم يقنع بما فيه قوة فليملأ ثلث بطنه بالطعام
وثلثه بالشراب ويترك ثلثه خاليا لخروج النفس ثم الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بضمير الغائب وتوهم الدلجى
وذكره بلفظ طعامك وشرابك ونفسك وعلل بانه التفات من الغيبة الى الخطاب والله تعالى اعلم بالصواب وجمع

عمر رضى الله تعالى عنه قول عنترة

ولقد ابيت على الطوى واظله * حتى انال به كريم المأكل

فقال ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتأول كريم المأكل بالجنة ولقد صدق فى تأويله رضى الله عنه وروى
ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما وصف لى اعرابى قط فاحببت ان اراه الا عنترة ثم احسن ما قيل فى الحديث
ان لا محالة عائد الى ضرورة الاكل وان الثلث فى حيز الاستحسان والاباحة وقيل المستحسن نصفه وهو السدس واقل
منه شيأ وهو السبع لقوله فان كان لا بد ولا محالة هذا وقيل لسهل بن عبد الله الرجل يأكل فى اليوم اكلة واحدة قال
اكل الصديقين قيل فاكلتين قال اكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لاهلك يبنوا لك معلفا وعن عائشة رضى الله تعالى
عنها ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد ان يشترى غلاما وضع بين يديه تمرا فان اكل كثيرا قال ردوه
فان كثرة الاكل من الشؤم (ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب) اى انما تنشأ من اجل كثرتهما غالبا والا فقد
تكون من الضعف وغيره من العلل (قال سفيان الثورى) نسبة الى ابى قبيلة وهو احد الائمة الاعلام من علماء الانام
روى عن ابن المنكدر وغيره وعنه الاوزاعى ومالك وشعبة وامثالهم واخرج له الائمة الستة قال ابن المبارك ما كتبت
عن افضل منه ولا عبرة بمن تكلم فيه وفى امثاله اذ قل من لم يتكلم فى حقه (بقلة الطعام يملك سهر الليل) بصيغة
المجهول (وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا) اى فتندموا كثيرا لنقص
العمر الذى هو انفس الجواهر كذا فى الاصول المعتمدة وقال المنجانى زاد الغزالى فتخسروا كثيرا (وقد روى) اى عن
جمع كابى يعلى وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على ضفف) بفتح المعجمة والفاء
الاولى (اى كثرة الايدى) يعنى على الطعام وفيه حث على ان الاولى ان لا يأكل احد وحده لما فيه من الدلالة على
كرم النفس والسخاوة والمساواة والسماحة وحصول الكفاية مع توقع البركة لما فى حديث مسلم طعام الواحد يكفى
الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة وطعام الاربعة يكفى الثمانية حملا للآكل على الاكتفاء بنصف الشبع قال
ابن راهويه عن جرير تأويله شبع الواحد قوت الاثنين وهلم جرا وقد فسر الضفف بعضهم بكثرة العيال وبعضهم
بالضيق والشدة واستشهد فى المجمل بان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز ولحم الا على ضفف اى على كثرة
الايدى على الطعام وقال مالك بن دينار سألت رجلا من اهل البادية عن الضفف فقال هو التناول مع الناس
وقيل هو ان يكون الاكلة اكثر من مقدار الطعام والحفف بالحاء وقيل بالجيم ان يكونوا بمقداره ويروى
على شظف بالشين والظاء المعجمتين بمعنى الضيق والشدة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها لم يمتلئ جوف
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح ويسكن (قط) تقدم ضبطه قال الدلجى لم اعرف من رواه ولا يعارضه
ما افهم شبعه فى الجملة لحديث مسلم عنها ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز بر حتى
مضى لسبيله وفى رواية من خبز شعير يومين متواليين فان دلالة المفهوم ضعيفة فليست بحجة كما قاله ابو حنيفة ولان
الامتلاء صفة زائدة على الشبع (وانه) بالفتح فيكون من جملة رواية عائشة رضى الله تعالى عنها او بالكسر على
الاستئناف والضمير للشان اوله صلى الله تعالى عليه وسلم (كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه) لعدم التفاته
الى غير مولاه (ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه) ويجوز اسقوه (شرب) وهذا كان دأبه فى آدابه وغالب
حاله فى سائر افعاله كما هو طريق الانبياء والاولياء فى مقام الفناء والبقاء والمصنف لما استشعر اعتراضا واردا على
ظاهر الحديث من حيث العموم دفعه بقوله (ولا يعترض) بصيغة المجهول اى ولا يجوز لاحد ان يعترض (على هذا)
اى قولها لا يسألهم طعاما (بحديث بريرة) بفتح فكسر اى بحديث وقع فى حق بريرة وهى مولاة لعائشة رضى الله
تعالى عنها واختلف انها قبطية او حبشية (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عنه (الم ار البرمة) بضم الباء وهى القدر
من الحجارة او اعم (فيها لحم) بفتح فسكون و بفتح (اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقادهم
انه لا يحل له) اى ولو بعد ان ملكته (فاراد بيان سنته) وهى انه اذا ملك المتصدق عليه الصدقة حل له اكلها هدية
ويؤيد ظنه جهلهم حله له بعد ملكها اياه قوله (اذ رآهم لم يقدموه اليه مع علمه انهم لا يستأثرون) اى لا يختصون
(عليه به فصدق عليهم ظنه) بتشديد الدال وتخفيفها كما قرئ به فى الآية والمعنى فصدق فى ظنه جهلهم ذلك فيكون
من باب الحذف والايصال وجوز تعديته بنفسه كما فى صدق وعده على ما ورد وكقوله سبحانه وتعالى ولقد صدقكم الله
وعده او حقق ظنه او وجده صادقا فى جهلهم ذلك (وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية)
اى ففيه مبادلة معنوية واختلاف من حيثية فان هذا اللحم باهدائها اياه له انتقل من حكم الصدقة الى حكم الهبة
كما لو اشتراه منها غنى او ورثه عنها (وفى حكمة لقمان) روى انه كان عبدا حبشيا نجارا وقيل نوبيا فرزق العتق

وكان خياطا وقيل هو ابن اخت داود عليه السلام وقيل ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك
داود واخذ منه العلم والاكثرون على انه كان وليا وذهب الآخرون الى انه كان نبيا وروى عن ابن عمر رضى الله تعالى
عنه انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله تعالى فاحبه
فمن عليه بالحكمة وخيره فى ان يجعله خليفته يحكم بالحق فقال يارب ان خيرتنى قبلت العافية وان عزمت على فسمعا
وطاعة فانك ستعصمنى (يابنى) وهو تصغير الشفقة ويجوز فتح يائه وكسرها كما قرئ بهما فى الآية (اذا امتلأت
المعدة) اى طعاما وشرابا وهى بفتح فكسر ويجوز كسرهما واسكان عينها مع فتح الميم وكسرها على مانقله الحلبى
وفى القاموس المعدة ككلمة وبالكسر موضع الطعام قبل انحداره الى الامعاء وهو لنا بمنزلة الكرش لغيرنا (نامت
الفكرة) اى غفلت اوماتت ويؤيده ماورد لاتميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب وقد قالت الصوفية فى قوله تعالى
ان الله لايستحيى ان يضرب مثلا مابعوضة هذا مثل ضربه الله للاولياء ليفهموا الدنيا واهلها وذلك ان البعوضة
تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت وكذلك اهل الدنيا اذا امتلؤا من الدنيا وركنوا اليها اخذتهم واماتت قلبهم واهلكتهم
(وخرست الحكمة) بكسر الراء اى سكتت وماظهرت وهى كمال النفس باقتباس العلوم العقلية واكتساب الحقائق
النقلية ولذا قيل الحكمة اتقان العلم والعمل (وقعدت) وفى رواية وكلت (الاعضاء عن العبادة) اى فترت وثقلت منها
وكسلت عنها بسبب مايعتريها من النوم المانع عنها (وقال سحنون) بفتح السين وضمها وقبل نون وهو مصروف
وقيل ممنوع وهو ابو سعيد عبد السلام بن سعيد التنوخى الملقب بسحنون الفقيه المالكى قرأ على القاسم بن وهب
واشهب ثم انتهت اليه الرياسة فى العلم بالمغرب وادرك مالكا ولم يقرأ عليه وصنف كتاب المدونة فى مذهب مالك
وحصل له مالم يحصل لاحد من اصحاب مالك توفى سنة اربعين ومائتين وقال التلمسانى وعند القرافى ذو النون وهو
ابو الفيض المصرى العابد مات سنة خمس واربعين ومائتين فيمكن ان يكون احدهما راويا عن الآخر لانهما فى عصر
واحد (لايصلح العلم) اى على الوجه الانفع (لمن يأكل حتى يشبع) قال التلمسانى وتمامه ولا لمن يهتم بغسل ثيابه (وفى
صحيح الحديث قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه البخارى (اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء) اى المراد منه ههنا
(هو التمكن) على الوطاء (للاكل والتقعدد فى الجلوس له) اى كمال الاعتماد فى القعود والتقعدد المراد منه هو القعود
(كالمتربع وشبهه) اى على اى هيئة (من تمكن الجلسات) بكسر الجيم جمع جلسة للهيئة (التى يعتمد فيها الجالس على
ماتحته) اى من الاوطئة (والجالس على هذه الهيئة يستدعى الاكل) اى الكثير (ويستكثر منه) اى بشهوة نفس
وشره طبع (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز) اى كجلوس المستوفز وهو اسم
فاعل من استوفز فى قعدته انتصب فيها غير مطمئن أو وضع ركبتيه ورفع اليتيه او استقل على رجليه ولم يستو قائما
وقد تهيأ للوثوب كذا فى القاموس فقوله (مقعيا) حال مؤكدة فى بعض الوجوه اذ الاقعاء ان يجلس على ركبتيه وهو
الاحتفاز والاستيفاز وقيل اى ملصقا مقعده بالارض ناصبا ساقيه وفخذيه ويضع على الارض يديه (ويقول) اى
كما رواه البزار عن ابن عمر بسند ضعيف وابو بكر الشافعى فى فوائده من حديث البراء انه عليه الصلاة والسلام كان
يقول (انما انا عبد) اى تواضعا منه وارشادا اليه (آكل كما يأكل العبد) لا كما يأكل الملوك والمترفين وزاد ابن سعد
وابو يعلى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا (وأجلس كما يجلس العبد) وزاد الديلمى وابن ابى شيبة
وابن عدى واشرب كما يشرب العبد (وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين) بل هو المعنى الاعم
الشامل له ولغيره بخلاف مافهم العامة من ان الاتكاء منحصر فى الميل الى احد شقيه او الاستناد الى ماوراءه وبهذا
يجمع بين ماقاله المصنف ههنا وماذكره فى الاكمال من ان الخطابى خالف فى هذا التأويل اكثر الناس وانهم انما حملوا
الاتكاء على انه الميل على احد الجانبين ولذا انكره عليه ابن الجوزى وقال المراد به المائل على جنبه والله سبحانه
وتعالى اعلم (وكذلك) اى ومثل كون اكله قليلا (نومه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قليلا) اى ليصرف اوقاته
النفيسة فى طاعته وعباداته الانيسة (شهدت بذلك الآثار الصحيحة) اى والاخبار الصريحة التى اغنت شهرتها
عن ايراد كثرتها (ومع ذلك) اى مع كون نومه قليلا (فقد قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان عينى تنامان
ولا ينام قلبى) كما رواه الشيخان فنومه كله يقظة ليعى الوحى اذا اوحى اليه فى المنام اذ رؤيا الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وحى بدليل قوله تعالى حكاية عن ابراهيم انى أرى فى المنام انى اذبحك (وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا) اى استعانة بذلك (على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنأ) بفتح نون فهمز اى الذ واشهى ويروى
اهدأ اى اسكن واوفق (لهدوء القلب) بالهمز ويسهل اى سكونه واطمئنانه (ومايتعلق به) اى ولهدوء مايتعلق به
(من الاعضاء الباطنة حينئذ) اى حين اذ ينام على الايسر (لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى) جزاء شرط محذوف

اى اذا كان النوم عليه أهنأ بسبب ماذكرنا فيستدعى (ذلك الاستثقال فيه) اى الاستغراق فى النوم ويروى
الاستقلال ولعله بمعنى الاستبداد (والطول) اى وطول مدته (واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق) بفتح
قاف وكسر لام اى لم يستقر ولم يطمئن (فاسرع) اى ذلك (الافاقة) اى من النوم وسهلت اليقظة (ولم يغمره) بضم
الميم اى لم يستوعبه اولم يعله ولم يغلبه (الاستغراق) اى فى عالم النوم لوضع القلب مائلا طرفه الاسفل الى الايسر لتتوفر
الحرارة عليه فيعتدل الجسم اذ الحرارة كلها مائلة الى الايمن لوضع الكبد فيه ثم هذا التعليل فى بيان حكمة نومه
على الجانب الايمن دون الايسر لاينافى ماثبت فى الحديث الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب التيامن
فى امره كله ولما فى التيامن من اليمن لفظا ومعنى ولثناء الله سبحانه وتعالى على اهل اليمين واعطاء كتبهم بايمانهم
ونحو ذلك (فصل) (والضرب الثانى) اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه فهو (مايتفق التمدح بكثرته والفخر
بوفوره) اى الافتخار بزيادته مما حاز منه المصطفى الحظ الاوفى وفاز بالنصيب الاصفى (كالنكاح والجاه) اى
المحمودين (اما النكاح فمتفق فيه) اى فمجمع عليه (شرعا) اى من جهة شرائع الانبياء كافة (وعادة) اى للعقلاء
والحكماء عامة (فانه) اى النكاح مع ذلك (دليل الكمال) اى فى خلقة الرجال خصوصا مع قلة الاكل (وصحة
الذكورية) بالرفع والجر كالتفسير لماقبله (ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة) اى بحيث ان انكاره مكابرة (والتمادح
به سيرة عادية) بتشديد الياء اى طريقة قديمة لاحادثة (واما فى الشرع) اى واما التفاخر بكثرته والتمادح به
فى الشريعة (فسنة مأثورة) اى مروية منقولة كثيرة (وقد قال ابن عباس) كما رواه البخارى (افضل هذه الامة)
اى اكمل افرادها شأنا (اكثرها نساء) حيث ابيح له تسع منهن (مشيرا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد تزوج عليه
الصلاة والسلام احدى عشرة توفى قبله اثنتان خديجة وزينب والباقيات بعده (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم)
كما ذكره ابن مردويه فى تفسيره عن ابن عمر مرفوعا (تناكحوا) زيد فى نسخة تناسلوا (فانى مباه بكم) اسم فاعل من
المباهاة اى مفاخر بكثرتكم (الامم) اى السالفة يوم القيامة كما فى نسخة ولفظ الطبرانى فى الاوسط تزوجوا الولود فانى
مكاثر بكم الامم وفى رواية ابى داود والنسائى وابن ماجه فانى مكاثر بكم الامم (ونهى) كما رواه الشيخان (عن التبتل)
قال اليمنى فى حاشيته التبتل الانقطاع عن الدنيا ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا انتهى وعدم صحته فى المقام لايخفى
فالصواب ان المراد بالتبتل هنا هو انقطاع الرجل عن النساء وعكسه فانه من شريعة النصارى وطريقة الرهابين
وهذا لاينافى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اذ معناه انقطع عن تعلق القلب بالخلق الى التوجه بالحق انقطاعا خاصا
يعبر عنه بكائن بائن وقريب غريب وعرشى وفرشى على اختلاف عبارات الصوفية نظرا الى الاعمال الصادرة
من الاحوال الباطنة والظاهرة (مع مافيه) اى فى النكاح من فوائد كثيرة كما بينه بقوله (من قمع الشهوة) اى
دفعها للرجل والمرأة (وغض البصر) اى خفضه وغمضه لهما (اللذين نبه عليهما صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله)
اى فيما رواه الطبرانى (من كان ذا طول) بفتح الطاء اى قدرة وسعة على المهر والنفقة ولفظ الشيخين من استطاع
منكم الباءة (فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج) اى امنع واحفظ له وهو مقتبس من قوله تعالى قل
للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن
من ابصارهن ويحفظن فروجهن وباقى الحديث ومن لا فالصوم له وجاء على مارواه النسائى (حتى لم يره العلماء) اى
من الاولياء مع كونه من قضاء الشهوة (مما يقدح فى الزهد) اى فى هذه الدنيا وشهواتها ومستلذاتها وكان شيخنا
المرحوم على المتقى يقول كل شهوة تظلم القلب الا النكاح فانه ينوره ويصفيه (وقال سهل بن عبد الله) اى التسترى
وهو من اجل الزهاد واكمل العباد (قد حببن) بصيغة المجهول من التحبيب اى جعلت النساء محبوبة (الى سيد
المرسلين فكيف يزهد فيهن) بصيغة المجهول اى فكيف يجوز ويتصور الزهد فى حقهن والميل عنهن (ونحوه لابن
عيينة) وهو من علماء السنة روى عنه احمد وخلق قال ابو نعيم ادرك سفيان ستة وثلاثين من اعلام التابعين وقد قال
سفيان الثورى ايضا ليس فى النساء سرف والله انى لمشتاق الى العرس (وقد كان زهاد الصحابة) كعلى وابنه الحسن
وابن عمر (كثيرى الزوجات والسرارى) بتشديد الياء وتخفف جمع سرية وكل ما كان مفرده مشددا جاز فى جمعه
التشديد والتخفيف كذا قال بعضهم قال الجوهرى وهى الامة التى بوأتها بيتا وهى فعيلة منسوبة الى السر
وهو الجماع او الاخفاء لان الانسان كثيرا مايسرها ويسترها عن حرمه وانما ضمت سينه لان الابنية قد تغير فى النسبة
خاصة كما قالوا فى النسبة الى الدهر دهرى والى الارض السهلة سهلى وكان الاخفش يقول انها مشتقة من السرور
لانه يسر بها ويقال تسررت جارية وتسريت ايضا كما قالوا تظننت وتظنيت انتهى (كثيرى النكاح) اى الجماع
ويبعد ان يراد به العقد لانه علم فى ضمن ماتقدم واعاد لفظ الكثير اهتماما بالقضية قال عمر رضى الله تعالى عنه انى اتزوج

المرأة ومالى فيها من ارب واطأها ومالى فيها من شهوة فقيل له فى ذلك فقال حتى يخرج منى من يكاثر به النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (وحكى فى ذلك عن على) بن ابى طالب روى انه نكح بعد وفاة فاطمة رضى الله تعالى عنها بسبع ليال
فكان لعلى اربع نسوة وتسع عشرة وليدة غير من متن او طلقن (والحسن) اى وعن الحسن الظاهر انه ابن على كرم الله
تعالى وجهه ويحتمل الحسن البصرى بناء على قاعدة المحدثين من انه المراد عند الاطلاق لكنه يبعد هنا لتقديمه
على قوله (وابن عمر) وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم وانه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وروى انه جامع
ثلاثا من جواريه فى شهر رمضان قبل العشاء الاخيرة (وغيرهم) اى وعن غيرهم (غير شئ) اى شئ كثير فكان
الحسن بن على اشد الناس حبا للنساء قيل انه ارخى ستره على مائتى حرة لانه كان مطلاقا وكان ربما عقد على اربع
فى عقد واحد ولما خطب بنت المسيب الفزارى وخطبها اخوه الحسين وابن عمهما عبد الله بن جعفر شاور عليا فقال له
اما الحسن فطلاق والحسين شديد الخلق ولكن عليك بابن جعفر فزوجها له (وقد كره غير واحد) اى من العلماء
(ان يلقى الله عزبا) بفتح الزاى قيل ويسكن من لا اهل له كذا قيل وهو من العزب بمعنى البعد ومنه قوله تعالى لا يعزب
عنه مثقال ذرة فالعزب هو البعيد عن النساء وكأنه اراد ان يلقاه عاملا بجميع ما يرضاه ولذا قيل فى تفسير قوله
تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى متزوجون لان من كمال الاسلام القيام بسنته عليه الصلاة والسلام وهذه
الكراهة رويت عن ابن مسعود وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى
فانى اكره ان القى الله عزبا (فان قيل) وفى نسخة صحيحة فان قلت (كيف يكون النكاح) اى اصله (وكثرته من
الفضائل) اى التى اجمع عليها فى كل شريعة (وهذا يحيى بن زكريا) عليهما الصلاة والسلام (قد اثنى الله تعالى عليه
انه كان حصورا) اى ممنوعا من النساء بالعجز عنهن اولعدم الالتفات اليهن (فكيف يثنى الله عليه بالعجز) اوعدم الميل
(عما يعد فضيلة) اى شرعا وعادة (وهذا عيسى) اى ابن مريم كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام قد تبتل من النساء)
اى انقطع عنهن ولم يمل اليهن وابعد الدلجى فى قوله منقطعا الى ربه ومنه وتبتل اليه تبتيلا اى انفرد له بالطاعة ووجه
بعده لا يخفى على ارباب الصفا مع ما تقدم فى كلامنا اليه من الايماء (ولو كان) اى النكاح فضيلة (كما قررته
لنكح) اى لتزوج كل منهما (فاعلم ان ثناء الله تعالى على يحيى عليه الصلاة والسلام بانه كان حصورا ليس كما قال
بعضهم انه كان هيوبا) فعول من الهيبة اى جبانا عن النكاح وخائفا من النساء وفى الحديث الايمان هيوب اى
صاحبه يهاب الذنب فيتقيه (اولا ذكر له) وفى رواية معه اى لا همة له فيه (بل قد انكر هذا) اى ماذكر من القولين
(حذاق المفسرين) اى مهرتهم (ونقاد العلماء) اى محققوهم (وقالوا هذه نقيصة وعيب) اى لا يوجب الثناء (ولا تليق
بالانبياء) اى لا تضاف اليهم (وانما معناه) اى معنى كونه حصورا (انه كان معصوما من الذنوب اى لا يأتيها كانه
حصر عنها) بصيغة المجهول اى حبس ومنع وحفظ وعصم منها وهذا بناء على انه فعول بمعنى مفعول (وقيل مانعا
نفسه من الشهوات) اى المستلذات من المباحات لا من المستحبات فهو بمعنى فاعل (وقيل ليست له شهوة فى
النساء) اى شهوة كثيرة اومطلقا لكنه يباشر هذه الخصلة لما فيها من الفضيلة كما سبق عن عمر رضى الله تعالى عنه
واحسن الاجوبة اوسطها واما تقييد الدلجى بانه الذى لا يقرب النساء مع القدرة فلا وجه له فى هذه الحالة التى
تفوته الفضيلة هذا وقد ذكر التلمسانى ان عيسى عليه الصلاة والسلام يتزوج فى آخر الزمان بعد نزوله وقتله الدجال
امرأة من جهينة ويولد له ولد ذكر ويتوفى عيسى عليه الصلاة والسلام ويدفن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بينه وبين ابى بكر واما يحيى فانه لم يمت حتى ملك بضع امرأة لكنه لم يبن عليها ففعله هذا انما كان لنيل الفضيلة
واقامة السنة وقيل لغض البصر ودفع الفتنة (فقد بان لك من هذا) اى الذى ذكرناه (ان عدم القدرة على
النكاح نقص) اى لا كمال (وانما الفضل فى كونها) اى القدرة (موجودة) اى قائمة بمحلها ثابتة (ثم قمعها) قال
الدلجى مبتدأ والظاهر انه مجرور عطفا على كونها اى ثم الفضل فى قمع القدرة عن النكاح مخالفة للشهوة (اما بمجاهدة)
اى برياضة نفسانية (كعيسى عليه الصلاة والسلام او بكفاية من الله) اى لهذه المؤنة بالعصمة من غير الحاجة
الى المجاهدة (كيحيى عليه الصلاة والسلام فضيلة زائدة) بالنصب على التمييز من قوله موجودة وجعله الدلجى
خبر المبتدأ بناء على اعرابه فى رفع قمعها فاحتاج الى ان يقول زائدة على فضيلة القدرة على قمعها وكان حقه ان
يقول مع عدم قمعها والظاهر ان المصنف اراد ان القوة مع القدرة على قمعها فضيلة زائدة لا خصلة راتبة كما عبر الفقهاء
بالسنن الزوائد والرواتب ولا شك ان الزوائد قد تترك لبعض العوارض الموجبة لكون تركها حينئذ افضل
من فعلها بالنسبة الى بعض الاشخاص والاحوال والاوقات فهذه الفضيلة زائدة قد تترك (لكونها شاغلة) وفى
رواية مشغلة بضم الميم وكسر الغين او بفتحهما (فى كثير من الاوقات) اى عن الطاعات التى تورث الدرجات العاليات

فى روضات الجنات (حاطة) بتشديد الطاء اى واضعة منزلة له عن علو الحالات لكونها مرغبة وممهلة وجارة
(الى الدنيا) اى محبتها او جمعها والاشتغال بها لحصول تلك الفضيلة الزائدة والحاصل ان كل فضيلة لها مضار
ومنافع كالنكاح والتبتل والعزلة والخلطة والغنى والفقر فينظر الى زيادة المنفعة وقلة المضرة بالنسبة الى طالبها
وصاحبها فيحكم بمقتضاه ولا يجوز الاطلاق فيما استفتاه ولذا قال المصنف (ثم هى) اى الفضيلة الزائدة (فى حق من
اقدر عليها) بصيغة المجهول من الاقدار اى من اعطى له الاقتدار عليها (وملكها) بان لم يتزلزل فيها وهو بفتح الميم
واللام وقال التلمسانى هو بضم الميم وكسر اللام مشددة على طبق اقدر وملك والاول اولى واظهر ويؤيده قوله (وقام
بالواجب فيها ولم تشغله) بفتح اوله وثالثه وفى لغة بضم اوله وكسر ثالثه اى لم تمنعه (عن ربه) اى طاعته وحضوره
(درجة عليا) بالرفع اى مرتبة قصوى وهى مضبوطة فى النسخ المعتبرة بضم العين مقصورا وضبط محش بفتح العين
والمد (وهى درجة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه) اى طاعته وحضوره
لوصوله الى مقام جمع الجمع فى كمال حصوله وهو ان لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تمنعه الوحدة عن الكثرة فكل من له
حظ فى هذا المقام بمتابعته عليه الصلاة والسلام وله مؤنة القيام فتحصيل هذه الفضيلة الزائدة له من كمال المرام دون
من لم يصل الى هذه المرتبة فان عليه ترك هذه الزيادة والاشتغال بالامور المهمة والفضائل المؤكدة (بل زاده ذلك)
اى ماذكر من كثرتهن (عبادة لتحصينهن) اى لتحصينه اياهن (وقيامه بحقوقهن) اى من امر المعيشة وحسن العشرة
(واكتسابه لهن) اى ما يتعلق بهن من آدابهن (وهدايته اياهن) اى بالعلوم الدينية لاسيما ما يجب عليهن (بل صرح
انها) اى كثرتهن (ليست من حظوظ دنياه) اى التى تغيبه عن حضور مولاه (هو) اى بخصوصه (وان كانت من
حظوظ دنيا غيره) اى دائما او فى بعض الاوقات لارباب الحالات (فقال) اى كما رواه الحاكم والنسائى (حبب
الى من دنياكم) تمامه النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة وليس زيادة ثلاث فى صحيح الروايات وانما اضاف الدنيا
اليهم اشارة الى تبريه عنها وتقلله منها وعدم مبالاته بها والتفاته اليها لقلة بقائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخسة
شركائها واورد الفعل بصيغة المجهول ايماء بان حبه لها لم يكن الا لما خلق فى جبلته وميل طبيعته وانه كالمجبور عليه
فى محبته واما قول الدلجى تلويحا بان حبه لها لم يكن من جبلته فهو خلاف موضوع الصيغة كما لا يخفى على ارباب
الصنعة (فدل) اى هذا الحديث على (ان حبه لما ذكر) اى بنفسه (من النساء والطيب اللذين هما) كما فى نسخة اى
هى (من امر) وفى نسخة من امور (دنيا غيره) اى فى الاصالة بحسب العادة (واستعماله لذلك) اى وان استعماله لما
ذكر من النساء والطيب وفى رواية واشتغاله بذلك (ليس لدنياه) اى لمجرد حظها (بل لآخرته) اى قصد مثوبته ورفع
درجته (للفوائد التى ذكرناها فى التزويج ولقاء الملائكة فى الطيب) اى لمحبتهم اياه (ولانه) اى الطيب (ايضا مما يحض)
اى يحث ويحرض (على الجماع ويعين عليه) اى على ذاته او كثرته (ويحرك اسبابه) اى مقدماته كالقبلة والشهوة
(وكان حبه لهاتين الخصلتين) اى مباشرة النساء والطيب (لاجل غيره) كمباهاته بالكثرة مثوبا ولقائه الملائكة
والنساء مطيبا (وقمع شهوته) اى ولاجل قمعها بمنع الخواطر الردية ودفع الوساوس النفسية ولو كان قادرا على قمعها
بمجاهدة رياضية اوبكفاية الهية فان هذه السيرة اعلى المراتب البهية واولى بقواعد الملة السمحاء الحنيفية ولما كان
هذا الحب جبليا وعارضيا كسائر محبة الاشياء مما سوى الله تعالى من حيث انها لا تحب الا ابتغاء المرضاة قال
المصنف (وكان حبه الحقيقى المختص بذاته) اى بذات الله (فى مشاهدة جبروت مولاه) اى عظموت قدرته ومطالعة
ملكوت عظمته (ومناجاته) اى فى مقام حضور حضرته بغيبته عن الشعور بذاته المعبر عنه بمقام الفناء والبقاء
والمحو والصحو (ولذلك ميز بين الحبين) اى غيريا وذاتيا (وفصل بين الحالين) اى فرق بين المقامين الجليلين بالجملتين
من الفعلية والاسمية المشير بالاولى الى الحالة الجعلية العارضية وبالثانية الى المستمرة الذاتية كما فى الرواية المشهورة
بلفظ وقرة عينى فى الصلاة واما ما ذكره المصنف بقوله (فقال وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ففيه اشارة لتعبيره بالقرة
الى هذه المحبة ايماء الى زيادة هذه المودة وقال الدلجى بين الحالين اى محبة ومناجاة وكأنه قصد بهذا ان المراد بقرة عينى
فى الصلاة الصلاة التى هى معراج المؤمن ومناجاة الموقن خلافا لمن قال المراد بها الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه
وسلم والله اعلم (فقد ساوى) اى المصطفى (يحيى وعيسى فى كفاية فتنتهن وزاد) اى عليهما (فضيلة) اى كاملة (بالقيام
بهن) مع انه لم يشغله ذلك عن قيامه بحقوق مولاه لاجلهن فهذا الحال اكمل لمن قدر عليهن (وكان صلى الله تعالى عليه
وسلم ممن اقدر على القوة) بصيغة المفعول من الاقدار اى ممن اعطى القدرة على قوة الشهوة بكثرة الجماع (فى هذا)
اى الامر الذى حبب اليه مما يتعلق بدنياه وخدمة مولاه (واعطى الكثير منه) اى الحد الكثير الزائد على العادة
من امر الجماع وقوة الباءة (ولهذا ابيح له من عدد الحرائر) وهو التسع (ما لم يبح لغيره) اى من هذه الامة وهو الزائد

على الاربع (وقد روينا) بفتح الراء والواو مخففة وبضم الراء وكسر الواو مشددة ولا يبعد ان يكون بضم الراء وكسر الواو المخففة بناء على الحذف والايصال اى روى الينا (عن انس) كما فى البخارى والنسائى (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدور على نسائه) اى يجامعهن (فى الساعة) اى الواحدة والمراد بها الزمن القليل لا الساعة النجومية (من الليل) اى مرة (والنهار) اى تارة (وهن) اى مجموعهن (احدى عشرة) بسكون الشين وتكسر والمعنى منها سريتان مارية وريحانة فلا ينافى رواية وهن تسع (قال انس وكنا) اى معشر الصحابة (نتحدث) اى فيما اختص به صاحب النبوة من القدرة والقوة (انه اعطى قوة ثلاثين رجلا) اى فى الجماع (خرجه النسائى) اى ذكره فى سننه وهو هكذا فى صحيح البخارى فى كتاب الغسل هذا وليس احد من اصحاب الكتب الستة توفى بعد الثلثمائة الا النسائى فانه توفى فى سنة ثلاث وثلاثمائة (وروى) بصيغة المجهول (نحوه عن ابى رافع) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اخرج الترمذى وابن ماجه فى الطهارة والنسائى فى عشرة النساء عنه انه عليه الصلاة والسلام طاف على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه الحديث (وعن طاووس) وهو ابن كيسان اليمانى من ابناء الفرس يقرأ بواوين قيل وبهمز قال ابن معين لقب بذلك لانه كان طاووس القراء روى عن ابى هريرة وابن عباس وعائشة رضى الله تعالى عنهم وتوفى بمكة سنة ست ومائة (اعطى عليه الصلاة والسلام قوة اربعين رجلا فى الجماع ومثله عن صفوان بن سليم) بالتصغير امام كبير قدوة ممن يستشفى بحديثه وينزل القطر من السماء بذكره ويقال لم يضع جنبيه على الارض اربعين سنة وانه مات وهو ساجد ويقال ان جبهته نقبت من كثرة السجود روى عن ابن عمر وغيره وعنه مالك وطبقته وفى الحلية لابى نعيم عن مجاهد قوة اربعين رجلا كل رجل من رجال اهل الجنة وروى الترمذى ان رجال اهل الجنة قوة كل رجل منهم بقوة سبعين رجلا وصححه وروى بقوة مائة رجل وقال صحيح غريب قلت فعلى هذا كان صابرا عنهن غاية الصبر لكثرة الاشتياق اليهن ثم اعلم ان قوله وعن طاووس الى آخر ماههنا زيادة على ما فى بعض النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وقالت سلمى) بفتح السين المهملة والميم مقصورا (مولاته) وخادمته صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هى مولاة صفية عمته وهى زوج ابى رافع ودابة فاطمة الزهراء وقابلة ابراهيم بن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الصحابيات من اسمها سلمى غيرها خمس عشرة وقد روى ابن سعد وابو داود عنها عن زوجها ابى رافع عن رافع ولده منها (طاف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة) اى دار (على نسائه التسع) وهو كناية عن جماعهن (وتطهر من كل واحدة) اى اغتسل من اجل قربان كل واحدة (قبل ان يأتى الاخرى وقال هذا) اى التفريق بالغسل (اطهر) اى انظف (واطيب) اى الذ وانشط وفى رواية احداز كى واطيب فالمراد بازكى انمى واقوى وقيل الطهارة للظاهر والطيب والتزكية للباطن اى لزيادة الصفاء والضياء لان اولاهما لازالة الاخلاق الذميمة واخراهما للتحلى بالشيم الجيدة كما ذكره الدلجى فانه لا يناسب بالنسبة الى الشمائل المصطفوية فانها منزهة عن الاخلاق الردية ومتحلية على الدوام بالشيم الرضية البهية السنية (وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام) على ما رواه الشيخان (لاطوفن الليلة) من الطواف بمعنى الدوران وكذا الاطافة ومن ثمة ورد فى رواية لاطيفن الليلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) على الشك من الراوى وفى رواية على ستين وفى اخرى على تسعين ولمسلم على سبعين امرأة كلهن تأتى بغلام يقاتل فى سبيل الله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله فلم يقل ونسى فلم تأت واحدة منهن الا واحدة جاءت بشق غلام فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو قال ان شاء الله لم يحنث اى لم يفته متمناه وكان ادرك لحاجته فيما قضاه (وانه فعل ذلك) فدل ذلك على كمال قوته ولا تعارض بين هذه الروايات اذ ليس فى اثبات قليلها نفى لكثيرها ومفهوم العدد ليس بحجة عند جمهور ارباب الاصول مع احتمال تعدد الواقعات والله اعلم بالحالات (قال ابن عباس) كما رواه ابن جرير فى تفسيره عنه موقوفا (كان فى ظهر سليمان ماء مائة رجل وكان له ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش) وفى نسخة وغيره كذا رواه الحاكم عن محمد بن كعب بلغنى انه كان له (سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية) وفى المستدرك للحاكم فى ترجمة عيسى ابن مريم ان سليمان كان له تسعمائة سرية (وقد كان لداود عليه الصلاة والسلام على زهده) اى مع كمال زهده وورعه المفاد من قوله (وأكله من عمل يده) ويروى من يده (تسع وتسعون امرأة) هذا هو الصواب وفى اصل التلمسانى تسعة وتسعون وفى الكشاف كان لداود ايضا ثلاثمائة سرية (وتمت بزوج اوريا) بضم همزة وقيل بفتحها فواو ساكنة وراء مكسورة وتحتية ممدودا اى بزوجته (مائة) بالرفع على انها فاعل تمت اى من النساء بتزوجه اياها بعد نزول اوريا له عنها بسؤاله على ما كان من عادتهم فى زمانه او بعد ما مات عنها زوجها لما رآها بغتة واحب جمالها فتنة وطلب ربه مغفرة واناب اليه معذرة هذا وقيل انها ام سليمان عليه الصلاة والسلام (وقد نبه) اى الله سبحانه وتعالى (على ذلك) اى على ما ذكر من العدد (فى الكتاب العزيز بقوله تعالى) اى حكاية عن لسان

احد

احد الملكين اللذين اتياه فى صورة الخصمين (ان هذا اخى) اى فى الدين (له تسع وتسعون نعجة) وهى الانثى من الضأن وقعت ههنا كناية عن المرأة فان الكناية ابلغ من الصراحة من حيث التأثير مع ما فيه من مراعاة الادب فى التعبير لا سيما وهو فى مقام التعبير (وفى حديث انس) بسند جيد للطبرانى (عنه عليه الصلاة والسلام فضلت على الناس باربع) اى من الخصال (بالسخاء) اى الكرم والجود مع الاحباء (والشجاعة) بالنسبة الى الاعداء (وكثرة الجماع) اى للنساء (وقوة البطش) اى الاخذ حال العطاء واما تفسيره بالاخذ الشديد بقوة كما ذكره بعضهم فلا يخفى انه لا يناسب المقام فانه حينئذ من جزئيات الشجاعة لا خصلة مستقلة من الاربع (واما الجاه) اى الذى يتوسل به الى مساعدة الضعفاء (فمحمود عند العقلاء) من الحكماء والعلماء (عادة) اى مستمرة لكنها مقيدة بما اذا كانت على وفق الشريعة حتى تكون معتبرة (وبقدر جاهه) اى جاه الشخص فى العيون (عظمه) بكسر ففتح فضمير اى عظمته (فى القلوب) اى قلوب الخلق او بقدر جاهه صلى الله تعالى عليه وسلم عند الحق كان عظمته فى قلوب الخلق ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام اخذ من ابى جهل للاراشى ثمن ابله التى اشتراها ابو جهل منه ومطله فقالت قريش لابى جهل ما رأينا مثل ما صنعت من انقيادك لامر محمد مع فرط اذلاله وعداوتك اياه فقال ويحكم ما هو الا ان ضرب بابى وسمعت صوته فلئت رعبا (وقد قال تعالى فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام وجيها) اى ذا جاه ووجاهة عظيمة (فى الدنيا والآخرة) اى عند اهلهما او فى الدنيا بالرسالة وفى العقبى بالشفاعة (لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس) وفى رواية ببعض الناس (لعقبى الآخرة) اى فى الآخرة التى هى عقبى كما قال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (فلذلك) اى فلكون الجاه مضرا ببعضهم (ذمه من ذمه ومدح ضده) اى من الخمول وعدم الاعتبار فيما بين الخلق (وورد فى الشرع مدح الخمول) وهو بضم الخاء المعجمة ضد الشهرة كما ورد فى حديث رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وفى الحديث ان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا (وذم العلو فى الارض) اى وورد فى الشرع ذم الجاه والشهرة كما فى الحديث ما ذئبان جائعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حب المال والجاه لدين المؤمن وفى رواية من حب الشرف والمال والحاصل ان الجاه والمال مضران لارباب الكمال الجامعين بين العلم والعمل والحال (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد رزق من الحشمة) اى الوقار والهيبة (والمكانة) اى التمكن فى مرتبة الجلالة (فى القلوب والعظمة) اى الاجلال والمهابة فى العيون (قبل النبوة عند الجاهلية) كما مر عن ابى جهل فى تلك القضية وما روى عنه ايضا انه ساوم رجلا من بنى زبيد ثلاثة ابعرة هى خيرة ابله ثلث ثمنها فامتنع الناس من الزيادة لاجله فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فزاده حتى رضى فاشتراها منه ثم باع منها بعيرين بالثمن ثم باع الثالث واعطى ثمنه ارامل بنى عبد المطلب وابو جهل مخزى ينظره ولا يتكلم ثم قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اياك ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الاعرابى فترى منى ما تكره فقال لا اعود يا محمد فقال له امية بن خلف ذللت فى يد محمد فقال ان الذى رأيتم منى لما رأيت معه رجالا عن يمينه ويساره يشيرون برماحهم الى لو خالفته لكانت اياها اى لاهلكونى (وبعدها) اى ورزق الجاه بعد النبوة عندهم (وهم يكذبونه) بالتشديد والتخفيف اى والحال ان اهل الجاهلية ينسبونه الى الكذب (ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه فى نفسه خفية) بضم الخاء وكسرها وسكون الفاء اى مخفيا لما تمكن من هيبته فى صدورهم وعظمته فى قلوبهم (حتى اذا واجههم) اى قابلهم علانية (اعظموا امره) اى حشموا قدره (وقضوا حاجته) اى مقصده اليهم فى سيره وهذا باعتبار غالب معاملاتهم معه فلا ينافى ما وقع من وضع ابى جهل سلا الجزور على ظهره وهو ساجد فى الحجر (واخباره فى ذلك معروفة سيأتى بعضها) اى فى محله ان شاء الله سبحانه وتعالى (وقد كان يبهت) على صيغة المجهول صورة مع ذكر فاعله كما فى قوله تعالى فبهت الذى كفر من البهت وهو الحيرة وفعله كعلم ونصر وكرم وعنى وهو افصح فيجوز بناؤه على الفاعل ايضا اى يدهش ويتحير (ويفرق) بفتح الياء والراء اى يخاف ويفزع (لرؤيته) وفى نسخة من رؤيته (من لم يره) لما القى عليه من الهيبة والعظمة فى قلوبهم (كما روى عن قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية وهى بنت مخرمة العنبرية وقيل الكندية وقيل التميمية (انها لما رأته ارعدت) بصيغة المجهول اى اخذتها الرعدة بكسر الراء وهى اضطراب المفاصل خوفا والمعنى انها ارتعدت (من الفرق) بفتحتين وهو الخوف ورواية ابى داود والترمذى فى الشمائل عن عبد الله بن حسان عن جدته عنها انها رأته فى المسجد وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيته المتخشع فى الجلسة ارتعدت من الفرق وزاد ابن سعد (فقال يا مسكينة عليك السكينة) بالنصب اى الزمى الطمأنينة وفى رواية بالرفع اى السكينة لازمة عليك ولم يثبت هنا ما ثبت فى بعض النسخ انما انا ابن امرأة تأكل القديد وذلك غير صحيح على ما ذكره التلمسانى والمسكينة بكسر الميم والسكينة بفتح السين

مخففة هو الفصيح (وفى حديث ابى مسعود) اى عقبة بن عمرو الانصارى كما رواه البيهقى عن قيس عنه مرسلا وقال هو المحفوظ ورواه الحاكم وصححه (ان رجلا قام بين يديه) اى قدامه صلى الله تعالى عليه وسلم (فارعد فقال له هوّن) اى سهل امرك (عليك فانى لست بملك) بكسر اللام قيل وتسكن اى بسلطان من سلاطين الظلمة حتى تفزع منى (الحديث) اى الخ ولم يذكره لطوله (فاما عظيم قدره بالنبوة) وهى اخذ الفيض من الحق (وشريف منزلته بالرسالة) وهى ايصال الفيض الى الخلق (وانافة رتبته) بكسر الهمزة وبالفاء وفى نسخة بالباء والنون اى رفعة رتبته وزيادتها اوظهورها (بالاصطفاء) اى على سائر الانبياء (والكرامة فى الدنيا) اى بانواع المعجزة منها الاسراء ومقام دنا فتدلى ووصوله الى سدرة المنتهى (فامر هو مبلغ النهاية) من اثر العناية ليس فوقه غاية (ثم هو فى الآخرة سيد ولد آدم) كما فى حديث البخارى انا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد انه سيد هذا الجنس وهو نوع البشر الذى هو افضل انواع المخلوقات بدليل حديث البخارى ايضا انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر وزيد فى بعض الاصول هنا ولا فخر لكنه لا يصح لأن يكون حكاية (وعلى معنى هذا الفصل) اى الاخير (نظمنا هذا القسم) يعنى الاول (باسره) اى جميعه فى سلك مدحه بصفات شريفة وسمات منيفة

(فصــــل)

(واما الضرب الثالث) اى مما تدعو ضرورة الحياة اليه وليست فضيلة ذاتية محتوية عليه (فهو) من هذه الحيثية واختلاف النية (ما تختلف الحالات فى التمدح به) اى بنفسه او بكثرته (والتفاخر بسببه) اى فيما بين العامة (والتفضيل لاجله) اى عند الخاصة (ككثرة المال) فانها تمدح فى بعض الاحوال (فصاحبه على الجملة) اى على الاجمال لا على تفصيل جميع الاحوال (معظم عند العامة) من حيث ان قلوبهم بيد حبه اسيرة (لاعتقادها توصله به) اى توصل صاحب المال بسببه (الى حاجاته) اى قضاء مهمات صاحبه وفى نسخة حاجته (وتمكن اغراضه) بالغين المعجمة وتمكن بالرفع او الجر (بسببه والا) اى وان لم يكن هذا الاعتقاد الموجب لتعظيم صاحب المال عند العامة فى الجملة (فليس) اى المال (فضيلة) وفى نسخة فضيلته (فى نفسه) اى فى حد ذاته وباعتبار جميع جهاته وعموم صفاته (فمتى كان المال بهذه الصورة) اى من قضاء الآمال (وصاحبه منفقا له فى مهماته ومهمات من اعتراه) اى غشيه واعترضه (وأمّله) بتشديد الميم اى ومن رجا كرمه ومنه قول القائل

املتهم ثم تأملتهم * فلاح لى ان ليس فيهم فلاح

وهو معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة (وتصريفه) بالجر اى وتصرفه بوضعه (فى مواضعه) اللائقة به (مشتريا به المعالى) جمع معلاة اى مستبدلا به المفاخر العالية ومختارا به الاوصاف المتعالية (والثناء الحسن والمنزلة) اى الجاه والمرتبة (من القلوب) وفى نسخة فى القلوب (كان) اى المال (فضيلة فى صاحبه) اى فى الجملة (عند اهل الدنيا) اى من العامة مع انه لا عبرة بهم عند الخاصة (واذا صرفه فى وجوه البر) اى الطاعة والاحسان (وانفقه فى سبل الخير) وفى نسخة سبيل الخير (وقصد بذلك) اى الصرف (الله تعالى) اى رضاه ما آبا (والدار الآخرة) اى ثوابا (كان) اى ماله (فضيلة) اى ما يؤدى الى الفضيلة (عند الكل) اى الخاصة والعامة (بكل حال) اى مطلقا لا فى الجملة (ومتى كان صاحبه ممسكا له) من الامساك اى بخيلا به (غير موجهه وجوهه) اى غير منفقه ومصرفه فى وجوه ما ذكر من صرفه فى مهماته ومهمات من تأمل منه قضاء حاجاته او اكتساب محمدة او اجتلاب محبة (حريصا على جمعه) مبالغا فى منعه (عاد كثره) بضم الكاف وتكسر اى رجع كثيره وفى نسخة كثرته بفتح الكاف وتكسر واما قول التلمسانى ويصح بفتح الكاف والراء وضم الثاء فلا يصح (كالعدم) بمنزلة يسيره او مشبها بعدمه حيث لم ينتفع به فيكون كمن لا مال له وقد ورد الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمع من لا عقل له وقد ورد ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى رأى رجلا يقلب دنانير فى كفه فقال له الك هى قال نعم قال انها ليست لك حتى تخرجها من يدك يعنى ان حظك منها وحظ غيرك اذا لم تنفقها وتخرجها واحد اذ لا نفع فيها باعيانها وورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت يعنى ان المال الذى لم ينفقه ولم يتصدق به قد تساوى فيه مع غيره ممن لا مال بيده اذ لا فائدة فى عين المال بل فيه الوبال فى المآل (وكان منقصة) بفتح القاف وكسرها اى وكان المال نقيصة (فى صاحبه) اى فى حقه دنيا واخرى كما ورد تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكما ورد ان الاكثرين هم الاقلون يوم القيامة (ولم يقف) اى المال (به) اى بصاحبه (على جدد السلامة) بفتح الجيم والدال المهملة الاولى اى طريقها المستوية تقول العرب من سلك الجدد امن العثار وبضم الجيم جمع جدة كمدة اى طرقها من الجادة التى تسلم المارة فيها من العثرة ومنه قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض اى طرائق واما ما ضبط فى بعض النسخ والحواشى بضمهما فلا مناسبة له هنا فانه جمع جديد

على

على ما فى القاموس (بل اوقعه) اى ماله عند مآله (فى هوة رذيلة البخل) بضم هاء وتشديد واو مفتوحة اى فى وهدة دناءته وعمق نقيصته والبخل بضم فسكون وبفتحهما قراءتان فى السبع (ومذلة) وفى نسخة ومذمة (النذالة) بفتح النون والذال المعجمة اى الخساسة والسفالة (فاذا) بالتنوين وفى نسخة بالنون والفاء فصيحة معرب بها عن شرط مقدر اى ومتى كان المال كما وصف كان حينئذ (التمدح) اى تمدح صاحبه لنفسه ويروى المتمدح (بالمال) اى على توهم الكمال (وفضيلته) اى وفضيلة المال او صاحبه (عند مفضليه) اى مرجحيه من العامة وفى نسخة بصيغة الافراد (ليست لنفسه) اى ذاته (وانما هو) اى المال او التمدح به (للتوصل به الى غيره وتصريفه) بالجر اى انفاقه (فى متصرفاته) بفتح الراء اى فى محاله (فجامعه اذا لم يضعه مواضعه) اى من مهماته ومهمات من يرجوه (ولا وجهه وجوهه) اى من انواع البر واصناف الخير (غير مليء) بفتح الميم وكسر اللام فتحتية فهمزة ويجوز ابدالها وادغامها اى غير ثقة (بالحقيقة) اى فى نفس الامر (ولا غنى بالمعنى) اى بل بمجرد الصورة والمبنى فكأنه فاقد لا واجد (ولا ممتدح) وفى نسخة ولا ممدح بالمفعولين اى ولا ممدوح (عند احد من العقلاء) فضلا عن العلماء والفضلاء (بل هو فقير ابدا) اى بقلبه ولو كان غنيا بيدا قال المتنبى

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

(غير واصل الى غرض من اغراضه) اى لخسته وبخله (اذ ما بيده من المال الموصل) بالتشديد او التخفيف (لها) وفى نسخة اليها اى الذى من شأنه ان يوصل صاحبه الى اغراضه (لم يسلط عليه) بصيغة المجهول اى لم يمكن منه ولم يفوض اليه (فاشبه خازن مال غيره) اى حافظه (ولا مال له) اى الا وديعة عنده (فكانه ليس فى يده منه شئ) اى من الاشياء (والمنفق) اى فى وجوه البر والخير من صدقة وصلة (مليء) اى ثقة (غنى) واجد لا فاقد (بتحصيله فوائد المال) من جميل الحال وحسن المآل (وان لم يبق فى يده من المال شئ) حيث يدل على كمال كرمه واعتماده على رزق ربه وقد قال الله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وورد اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وهذا المعنى فى حديث نعم المال الصالح للرجل الصالح (فانظر سيرة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى طريقته (وخلقه) اى سجيته (فى المال) اى فى حق اخذه واعطائه وامتناعه عن التلبس بوجوده وبقائه (تجده) بالجزم اى تعلمه (قد اوتى خزائن الارض) اى عرضت عليه (ومفاتيح البلاد) اى اعطيت له وفى نسخة ورواية صحيحة مفاتح البلاد ومنه قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب وهو كناية عن فتحها عليه وعلى امته بعده وجباية اموالها اليهم واستخراج كنوزها لديهم وتلويح بالتوصل اليها كما يتوصل بالمفاتيح الى ما اغلق عليه من ابوابها وقد روى مرفوعا فى صحيح مسلم بينا انا نائم اوتيت مفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى اى فى تصرفى وتصرف امتى (واحلت له الغنائم) اى لزيادة الفضيلة (ولم تحل) بصيغة المجهول المناسب لاحلت او بفتح اوله وكسر ثانيه اى والحال انه لم تبح (لنبى قبله) اذ جاء فى الآثار انهم كانوا يجمعون الغنائم فتأتى نار من السماء فتأكلها وفى حديث مسلم لم تحل الغنائم لاحد من قبلنا وذلك لان الله تعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا (وفتح عليه فى حياته بلاد الحجاز) سميت بها لحجزها بين نجد والغور (واليمن) بالرفع والجر سمى به لكونه عن يمين الكعبة لمن وقف بالباب ووجهه لخارج وهو المعتبر لكونه بمنزلة المنبر (وجميع جزيرة العرب) وهى ما بين اقصى عدن الى ريف العراق طولا ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى طرف الشام عرضا وقال مالك هى الحجاز واليمن واليمامة وقيل هى المدينة وقيل مكة والمدينة واليمامة واليمن ولعل هذا معنى قول مالك (وما دانى ذلك) اى ما قارب بلاد الحجاز وجزيرة العرب (من الشأم) بالهمز الساكن وابداله الفا ويقال بفتح الشين والمد وهو من العريش الى الفرات طولا وقيل الى نابلس وعرضا من جبل طى من نحو القبلة الى بحر الروم وما سامت ذلك من البلاد قال ابن عساكر فى تاريخه دخل الشأم عشرة آلاف عين رأت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واشتقاقه منه لكونه عن شمال الكعبة واما قول الحلبى قد دخله عليه الصلاة والسلام اربع مرات فغير معروف بل لم يدخل دمشق اصلا وانما بلغ الى بصرى مدينة حوران (والعراق) اى عراق العرب من الكوفة والبصرة قيل فارسى معرب وقيل سمى المكان عراقا لكثرة عروق اشجاره (وجلبت اليه) ويروى وجلب وروى وجبيت اى وجبى له (من اخماسها) فى الغنيمة (وجزيتها) من اهل الذمة (وصدقاتها) من اغنياء الامة (ما لا يجبى) اى ما لا يؤتى به (للملوك الا بعضه) اى اكثره مع زيادة بركته روى ان اعظم مال اتى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مال الجزية ما قدم عليه من البحرين وقدره مائة الف درهم وثمانون الفا (وهادنه) اى صالحه وفى نسخة صحيحة هادته بمعنى اهدته (جماعة من ملوك الاقاليم) اى بارسال هدايا اليه فقبلها منهم كما فى كتب السير دلالة عليه (فما استأثر) اى ما انفرد وما استبد وما اختص (بشئ منه) اى مما هادوه (ولا امسك منه درهما بل صرفه مصارفه) اى انفقه فى مواضعه من انواع الخير

واصناف البر (واغنى به غيره) اى لغناء بربه واستغنائه بقلبه (وقوى به المسلمين) على مهماتهم وقضاء حاجاتهم ونصرهم على اعدائهم ودفع بلائهم وكان يعطى عطاء من ليس يخشى الفقر انتهاء (وقال) اى كما رواه الشيخان عنه (صلى الله عليه وسلم ما يسرنى) اى لم يوقعنى فى السرور ولم يفرحنى (ان لى احدا) بضمتين ووجد بخط المبرد باسكان الحاء جبل عظيم بالمدينة (ذهبا) تمييز لرفع الابهام عن جبل احد (يبيت) اى يثبت ليلة (عندى منه) اى من مقدار احد ذهبا (دينار الا دينارا) بالنصب على الاستثناء وفى نسخة بالرفع على البدل (ارصده لدينى) وفى نسخة لدين وهو بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر من الارصاد اى احفظه منتظرا لقضاء دينى وقال بعضهم رصدته رقبته وارصدت اعددت قال تعالى شهابا رصدا وارصادا لمن حارب الله ولعل التعبير بالبيتوتة لارادة المبالغة لان الليل مظنة فقد الفقير والغيبوبة توهم حصول الذهول والغفلة ووقع فى اصل الدلجى درهم الا دينارا فتكلف وقال نصبه على الاستثناء من عام عبر عنه بالدرهم ورفعه على البدل وكانه قال ما يسرنى ان يبيت عندى شىء منه الا ما ارصده لدين لى بفتح الهمزة وضم الصاد وبضم وكسر (واتته دنانير مرة) وهى كثيرة (فقسمها) اى على من استحقها (وبقيت) وفى نسخة بقى (منها ستة) وفى نسخة بقية اى قليلة يسيرة (فدفعها لبعض نسائه) نظرا الى حدوث حاجة لهن اليها وفى رواية فرفعها بعض نسائه بالرأى وهو اما بامره واما على عادة النساء فى حفظ المال لامر المعاش وغيره (فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها) اتكالا على كرم ربه عند الاحتياج اليها (وقال الان) وهو اسم للزمان الحاضر (استرحت) اى حصل الراحة لقلبى المعتمد على رزق ربى وفيه دلالة واضحة على ما كان عليه من التقلل للدنيا وملازمة الفاقة فى ايام حياته الى اوان مماته كما يدل عليه قوله (ومات ودرعه مرهونة) اى عند يهودى هو ابو الشحم وقيل ابو شحمة (فى نفقة عياله) اى الى سنة فى ثلاثين صاعا من شعير على ما فى البخارى والترمذى والنسائى وفى البزار بعين وفى مصنف عبد الرزاق وسق شعير وهو ستون صاعا ويمكن الجمع بتعدد الواقعة حقيقة او حكما عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا الاية ولعل عدوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الصحابة الى معاملته بيان للجواز او لقلة الطعام عند غيره او حذرا من ان يضيق على اصحابه اولانهم لا يأخذون منه رهنا ولا يتقاضون منه ثمنا بل ولا يعطونه دينا وهو لا يريد صنيعة لاحد عليه اوليكون حجة على اليهود فى قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء حيث لم يقتض القرض لصاحبه الافتقار وعدم الاقتدار ولعله كان منعوتا فى كتابهم انه يكون مختارا للفقر على الغنى وانه لا يبالى بكلام الاعداء من الاغنياء الذين يدعون الاستغناء (واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه) بفتح الكاف وكسرها اى من اجلها او فى حقها (على ما تدعوه ضرورته اليه) اى على مقدار قليل لا بد له منه مما تقتضيه الحاجة الضرورية اليه (وزهد) بكسر الهاء اى ولم يرغب (فيما سواه) فزهد فعل ماض عطف على اقتصر ووقع فى اصل الدلجى وزهده بالضمير فتحير فى امر مرجعه فقال عطف على الضمير المجرور بالى او على ضرورته اى والى زهده او يدعوه زهده فيما سواه اليه ذهابا الى الاقتصاد المحمود اذ ما قل وكفى خير مما كثر والهى (فكان يلبس) بفتح الياء والباء معا (ما وجده) اى اصابه وصادفه اى تيسر له من غير كلفة وشهوة (فيلبس فى الغالب الشملة) وهى كساء يشتمل به وقال ابن حماد هى شبه العباء وهى اكسية فيها خطوط سود وكل كساء خشن فهو شملة ثم هى ضبطت فى النسخ بالفتح لكن فى القاموس الشملة هيئة الاشتمال وبالكسر كساء دون القطيفة يشتمل به انتهى والظاهر انه وهم منه فان صيغة الهيئة وهى النوع انما هى بالكسر والفعلة موضوعة للمرة وقد تكون للاسم كما هنا ولذا اطلق صاحب النهاية حيث قال الشملة كساء يتلفف به (والكساء) بكسر الكاف معروف (الخشن) بفتح وكسر اى الغليظ ضد الرفيع (والبرد) اى اليمانى وهو الثوب الذى فيه خطوط (الغليظ) اى الخشن واختار هذا كله زهدا وقناعة وتنزها عما يلبسه من لا خلاق له تفاخرا وعن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا ان الله يحب المتبذل الذى لا يبالى ما لبس (ويقسم) بالتخفيف ويجوز تشديده بقصد التكثير (على من حضره اقبية الديباج) بكسر الدال وقد يفتح وهو نوع من الحرير والاقبية جمع القباء بالمد كالاكسية جمع الكساء وهو صنف من الثياب (المخوصة) بتشديد الواو المفتوحة اى المنسوجة (بالذهب) اى بمثل خوص النخل وهو ورقه وقيل فيه طرائق من ذهب مثل خوص النخل او المكفوفة به وفى رواية المزرورة بالذهب اى التى لها ازرار منه او المطوقة به او التى زينت ازرارها به وفى الحديث مثل المرأة الصالحة مثل التاج المخوص بالذهب (ويرفع) اى منها (لمن لم يحضر) اى يغيب من اصحابه المستحقين لها كمخرمة بن نوفل كما فى حديث الصحيحين عن ابن المسور قال ابى يا بنى بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قدمت عليه اقبية فاذهب بنا اليه فذهبنا فوجدناه فى منزله فقال لى ادعه لى فاعظمت ذلك فقال لى يا بنى انه ليس بجبار فدعوته فخرج ومعه قباء من ديباج مزرور بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل يريه محاسنه ثم اعطاه له وسلم فنظر اليه فقال رضى مخرمة زاد

البخارى وكان فى خلق مخرمة شدة هذا وكان يفعل ذلك ايثارا لغيره وتنزها عما يتباهى العوام به (اذ المباهاة) اى المنافسة والمفاخرة (فى الملابس) اى الثمينة (والتزين بها) اى فى المنازل المكينة (ليست من خصال الشرف والجلالة) اى شمائل ارباب الشرافة واصحاب العظمة المعنوية (وهى) اى تلك الملابس (من سمات النساء) بكسر السين اى من خصال النسوة وعلاماتهن المتزينة بالحلى الصورية (والمحمود) اى الممدوح (منها) اى من الملابس المطلقة (نقاوة الثوب) بفتح النون النظافة وفى نسخة بضمها وهى خياره لكنه غير ملائم للمرام فى هذا المقام (والتوسط فى جنسه) لورود الذم عن لبس الشهرتين (وكونه لبس مثله) اى لباس بعض امثاله حال كونه (غير مسقط لمروءة جنسه) اى ابناء جنسه وفى نسخة حسبه بفتحتين فموحدة (مما لا يؤدى) اى يؤول (الى الشهرة فى الطرفين) اى المكتنفين من الاعلى والادنى للتوسط افراطا وتفريطا وخير الامور اوساطها وقد قال الثورى كانوا يكرهون الشهرتين الثياب الجيدة والثياب الرديئة اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقد ورد النهى عن الشهرتين ايضا (وقد ذم الشرع ذلك) اى ما ذكر من الشهرتين ايضا او المباهاة فى الملابس (وغاية الفخر فيه) اى فى ذلك المذموم (فى العادة عند الناس انما تعود) اى ترجع غايته (الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال) اى وسعة الجاه وكثرة المال وقد سبق ان هذا مذموم فى المال (وكذلك التباهى) اى ومثل الفخر حكم الافتخار (بجودة المسكن) اى بتجصيصها وتزيينها وتبييضها (وسعة المنزل) بفتح السين اى من جهة طولها وعرضها زيادة على مقدار الحاجة (وتكثير آلاته) اى امتعته وظروفه ومفارشه (وخدمه) اى من عبيده وجواريه (ومركوباته) اى زيادة على مقدار حاجاته (ومن ملك الارض وجبى اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (ما فيها) من كل زوج كريم وصنف جسيم (فترك ذلك) اى مع القدرة عليه (زهدا وتنزها) اى رفعة للنفس وبعدا لها عما يشينها فان الزهد هو عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها رغبة فى العقبى وهذا فى الحقيقة لا يتصور ممن لا مال له ولا جاه على وجه الكمال ولهذا لما قيل لابن المبارك يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيم زهدت والزهد اعلى المقامات واعلى الحالات وقد ورد ازهد فى الدنيا يحبك الله اذ جعله سببا لمحبة الله له (فهو حائز) اى جامع ومشتمل (لفضيلة المالية) التى هى اسباب التلذذ بالاعراض الدنيوية والاغراض الشهوية (ومالك للفخر) اى للافتخار فى العادة بين العامة (بهذه الخصلة) اى الكثرة المالية والوسعة الجاهية (ان كانت فضيلة) بسبب ما مر من كونه وسيلتها والا فليست هى فضيلة فى ذاتها فان شرطية تقديرية وقال التلمسانى هى بفتح الهمزة وهى تفسيرية ولا يخفى بعد ما قاله (زائد عليها فى الفخر ومعرق) بضم الميم وكسر الراء وتفتح اى له عرق اى اصل (فى المدح) والمعنى هو زائد بهما على فضيلة المال (باضرابه) بكسر الهمزة اى بسبب اعراضه (عنها وزهده فى فائتها وبذلها فى مظانها) بفتح ميم وتشديد نون اى محالها من صلة رحم ووجه بر وهو بالظاء المشالة وقد تصحف على التلمسانى فضبطه بالضاد وقال اراد مواضع البخل (فصل)

(واما الخصال المكتسبة) وتسمى ملكات نفسانية لانها تخلقات كسبية لا سجية جبلية (من الاخلاق الحميدة) اى المحمودة من الشمائل المعدودة من الاحوال السعيدة (والآداب الشريفة) اى الناشئة من النفوس النفيسة اللطيفة (التى اتفق جميع العقلاء) اى من الفضلاء والعلماء اذ لا عبرة بالجهلاء (على تفضيل صاحبها) اى بالنسبة الى فاقدها (وتعظيم المتصف) بتشديد التاء المثناة اى المتلبس والمتخلق (بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه) اى اكثر منه مما اجمع على حسنها وطوبى لمن جمعها باجمعها (واثنى الشرع على جميعها وامر بها) اى جمعا وافرادا مجملا ومفصلا (ووعد السعادة الدائمة) اى تعلقها (للمتخلق بها) اى للذى اتخذها خلقا كما هو مذكور فى الترغيب والترهيب وكتب الاخلاق من الاحياء وغيره (ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة) كحديث السمت الحسن والتؤدة والاقتصاد جزء من اربع وعشرين جزأ من النبوة وحديث ان الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزأ من النبوة والمعنى ان هذه الخصال منحها الله تعالى انبياءه فهى من شمائلهم وفضائلهم وانها جزء من اجزائها فاقتدوا بهم فيها لا ان النبوة تتجزأ ولا ان من جمعها يكون نبيا اذ النبوة غير مكتسبة بل هى كرامة مختصة بمن تعلقت به المشيئة او المعنى ان هذه الخصال جزء من خمس وعشرين جزأ مما جاءت به النبوة ودعت اليه اصحاب الرسالة وتأنيث اربع وخمس على معنى الخصال او القطعة مع ان الاجزاء تجرى مجرى الكل فى التذكير والتأنيث (وهى) اى الخصال المكتسبة التى ورد باستحسانها الكتاب والسنة هى (المسماة بحسن الخلق) اى فى الجملة (وهو) اى حسن الخلق (الاعتدال فى قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها) فان لها ثلاث قوى نطقية اعتدالها حكمة وشهوية اعتدالها عفة وغضبية اعتدالها شجاعة فللنطق طرف افراط هو الجربزة كاستعمال الفكرة واشتغال الآلة فيما لا ينبغى وتفريط وهو الغباوة كتعطيل الفكرة عن اكتساب العلوم وافادتها واستفادتها وللشهوة

طرف افراط هو الفجور كالانهماك فى اللذات وتفريط هو الخمود كترك مارخص شرعا وعقلا من اللذات وللغضب طرف افراط هو التهور كالاقدام على مالا ينبغى وتفريط هو الجبن كترك الاقدام على ما ينبغى فما بينهما هو التوسط فى الاخلاق المسماة مثلا بالحكمة والعفة والشجاعة واما قول الدلجى فللحكمة والعفة والشجاعة طرف افراط وتفريط خبط وتخبيط (بجميعها قد كانت خلق نبينا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها) يحتمل عطف الاعتدال على الانتهاء وهو الظاهر الانسب فى المعنى والعطف على كمالها وهو خلاف المتبادر لكنه الاقرب فى المبنى (حتى) اى الى حد (اثنى الله عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم) وقد قيل هو ما امر به من قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل هو ما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم هو ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من منعك والاكمل فى تفسيره ما ذكره المصنف بقوله (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى وقد سألها سعيد بن هشام عن خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان خلقه القرءآن) بالرفع ويجوز نصبه زاد البيهقى فى دلائله على ما هو فى بعض النسخ (يرضى برضاه) اى يرضى ما فيه من الواجب والمندوب والمباح (ويسخط بسخطه) اى و يغضب ويكره ما ينافيه من الحرام والمكروه وخلاف الاولى وزاد فى نسخة يعنى التأدب بادابه والتخلق بمحاسنه والالتزام لاوامره وزواجره (وقال عليه الصلاة والسلام) على ما رواه احمد والبزار (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) ورواه مالك فى الموطأ ولفظه بلغنى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت لاتمم حسن الاخلاق ورواه البغوى فى شرح السنة بلفظ ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال اى الملكات النفسية والحالات القدسية التى جمعها حسن الخلق المتضمن لاداء حق الحق والخلق مما لا يستحصى ولا يتصور ان يستقصى وفيه ايماء الى ان الانبياء كانوا موسومين بالاخلاق الرضية والشمائل البهية الا انها لم تكن على وجه الكمال الذى لا يكون فوقه كمال وانه صلى الله تعالى عليه وسلم مجمع الاخلاق العلية ومنبع الاحوال السنية بحيث لا يتصور فوقها كمال حتى من تعدى عن ذلك الحد وقع فى النقصان فى المآل ويدل على ما قررنا على وجه حررنا حديث مثلى ومثل الانبياء قبلى كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بى النبيون ويشير الى هذا المبنى قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم (قال انس رضى الله عنه) فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس) اى من الاولين والآخرين (خلقا) بشهادة الله الكريم وانك لعلى خلق عظيم (وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه مثله وكان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فيما ذكره المحققون مجبولا) اى مخلوقا ومطبوعا (عليها من اصل خلقته) اى من ابتداء نشأته الروحية (واول فطرته) اى خلقته الجسدية وفى بعض النسخ فى اصل خلقته بالظرفية بدلا من من الابتدائية (لم تحصل له باكتساب ولا رياضة) خلافا لما قاله الفلاسفة والحكماء الرياضية (الا بجود الهى) اى لكن حصلت له بجذبة صمدانية (وخصوصية ربانية وهكذا) اى وكذا فعل الله (لسائر الانبياء) وفى رواية سائر الانبياء اى باقى الانبياء الماضية واما وجود الاخلاق الحميدة فى غيرهم فقيل انها جبلية وطبيعية مثل الانبياء وهذا بعيد عن مشرب الاصفياء ولو مال اليه الطبرانى من العلماء وقيل مكتسبة لا جبلية ولا طبيعية وهذا قول ظاهر البطلان لمشاهدة تفاوت الاحوال فى اخلاق الاطفال والصبيان كما يدل عليه حكاية حاتم الطائى واخيه ورواية امهما فى ابتداء ارضاعهما وقيل منها ما هى جبلية طبع عليها فى اول الخلقة وما هى كسبية تحصل بالرياضة وتصير اصحابها ملكة و يؤيده حديث اشج عبد القيس حيث قال له صلى الله عليه وسلم ان فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يا رسول الله اشئ من قبل نفسى او جبلنى الله عليه فقال جبلك الله عليه فقال الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يرضاهما الله ورسوله والتحقيق ان حال الانسان مركب من الاخلاق المحمودة الملكية ومن الاخلاق المذمومة الشيطانية فان مال الى الاولى فهو خير من الملائكة المقربين وان مال الى الثانية فهو شر من الشياطين وتحقيق هذا المرام لا يسعه الكلام فى هذا المقام وقد صنف فى هذا المبحث كتب الاخلاق منها الناصرية ومنها الدوانية ومنها الكشافية وقد حقق الامام الغزالى فى الاحياء الادلة على وجه الاستقصاء (ومن طالع سيرهم) اى سلوك الانبياء فى سيرهم (منذ صباهم الى مبعثهم) اى من مبدأهم الى منتهاهم (حقق ذلك) اى عرف حقيقة ما ذكر من ان اخلاقهم مرضية وهبية لا رياضية كسبية (كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم بل غرزت) بصيغة المجهول اى طبعت وغرست (فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة) اى الطبيعة الاصلية (واودعوا العلم والحكمة فى الفطرة) اى اول الخلقة الانسانية (قال الله تعالى وآتيناه) اى اعطينا يحيى (الحكم) اى النبوة واتقان المعرفة (صبيا) اى صغيرا (قال المفسرون اعطى يحيى العلم) بصيغة المجهول او المعلوم ويؤيده نسخة اعطى الله (بكتاب الله) اى التورية

او بمضمون كتب الله تعالى مجملة او مفصلة (فى حال صباه) فيه ايماء الى ان صبيا نصب على الحال من المفعول وقد روى انه نبئ وفهم العلم بالكتاب وهو ابن ثلاث او سبع (وقال معمر) بفتح الميمين ابن راشد ابو عروة الازدى مولاهم عالم اليمن روى عن الزهرى وهمام وخلق وعنه ابن المبارك وعبد الرزاق اخرج له الائمة الستة (كان) اى يحيى (ابن سنتين او ثلاث) على ما رواه عنه احمد فى الزهد وابن ابى حاتم فى تفسيره والديلمى عن معاذ ولم يسنده والحاكم فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه بسند واهى والتحقيق ان يحيى عليه الصلاة والسلام اعطى هذا المقام وهو فى بطن امه كما ورد من ان السعيد من سعد فى بطن امه وانما قيده سبحانه وتعالى بحال الصبى لتعلق علم الخلق به حينئذ فاختلاف الروايات مبنى على اختلاف اطلاع الناس على ما به من الحالات (فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال أللعب خلقت) فهمزة الاستفهام للانكار على ما فى الاصول المصححة واللعب فيه لغتان فتح اللام وكسر العين وكسر اوله وسكون ثانيه ووقع فى اصل الدلجى ما للعب خلقت بما النافية ولعله رواية فى المبنى او نقل بالمعنى ثم اغرب واعترض على معمر فى قوله او على المصنف فى اعتماده على نقله حيث قال والذى قاله معمر كان يومئذ ابن ثمان سنين وهو الاصح وما ذكره هنا فغريب فى الرواية عنه بشهادة ما رواه ابن قتيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص دخل يحيى بيت المقدس وهو ابن ثمان فنظر الى العباد به واجتهادهم فرجع الى ابويه فمر فى طريقه بصبيان يلعبون فقالوا هلم فلنلعب فقال انى لم اخلق للعب فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا انتهى ووجه الغرابة لا يخفى اذ لا يبعد ان يكون ظهور آثار النبوة عليه كان وهو ابن سنتين او ثلاث ثم وقع له هذا المقال عقب هذا او لو بعد سنين مع الاطفال مع انه لا مانع من تعدد الواقعة ولو بالاحتمال (وقيل فى قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى) اى آمن به (وهو ابن ثلاث سنين) وحكى السهيلى عن ابن قتيبة انه كان ابن ستة اشهر (فشهد) وفى نسخة وشهد (له انه كلمة الله وروحه) فهو اول من آمن به وسمى كلمة لوجوده بامره تعالى بلا اب فشابه المخترعات التى هى عالم الامر المعبر عنه بقول كن كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون (وقيل) كما فى تفسير محمد بن جرير الطبرى (صدقه) اى آمن به يحيى (وهو فى بطن امه) حال من ضمير الفاعل (فكانت) بالفاء وفى نسخة وكانت (ام يحيى) اى وهى حامل به (تقول لمريم) اى اختها اذا دخلت عليها وهى حامل بعيسى والله انك لخير النساء وان ما فى بطنك لخير مولود (وانى اجد ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك تحية له) اى تعظيما وتسليما وتكريما وهذا يدل على ان مريم حملت مدة الحمل كما عليه الاكثر وهو لا ينافى ما تقدم والله اعلم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه حملته ووضعته فى ساعة واحدة فتصديقه انما كان وهو ابن ثلاث كما سبق (وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزنى) الاولى ان لا تحزنى (على قراءة من قرأ من تحتها) بفتح الميم والتاء كما قرأ به ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر (وعلى) اى وكذا على (قول من قال ان المنادى عيسى) كابى بن كعب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد لانه خاطبها من تحت ذيلها لما خرج من بطنها وفيه احتراز عن قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعلقمة والضحاك ان المنادى جبريل لانه كان بمكان منخفض عنها قال الدلجى لا وجه لتخصيص القراءة الاولى بالخلاف فى المنادى مع وقوعه فى الثانية قلت حيث تعارض القولان عن الائمة ولا يتصور الجمع بينهما الا بتعدد القضية اشار المصنف الى ان القراءة الاولى محملها على المعنى الاول اولى وهو ان يكون المنادى عيسى فلا ينافى احتمال وجود آخر فى المعنى على ما لا يخفى (ونص) اى صرح الله سبحانه وتعالى (على كلامه) اى نطق عيسى (فى مهده فقال) اى الله فى كلامه حكاية عنه (انى عبد الله) ردا على اثبات اله سواه وافتخارا بالعبودية واحترازا عن دعوى الربوبية (آتانى الكتاب) اى اعطانى الله من فضله علم الانجيل او جنس الكتاب (وجعلنى نبيا) فى سابق قضائه او تنزيلا للمحقق وقوعه منزلة الواقع به كما فى اتى امر الله كذا ذكره الدلجى والظاهر المتبادر انه جعله نبيا فى ذلك الحال من غير توقف على الاستقبال فلا يحتاج الى تأويله بالمآل ويؤيده ما روى عن الحسن اكمل الله عقله ونبأه طفلا وقضية يحيى صريحة ايضا فى هذا المعنى غايته ان اعطاء النبوة فى سن الاربعين غالب العادة الالهية وعيسى ويحيى خصا بهذه المرتبة الجلية كما ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خص بما ورد عنه من قوله كنت نبيا وان آدم لمنجدل بين الماء والطين هذا وفى المستدرك عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم يتكلم فى المهد الا عيسى وشاهد يوسف وصاحب جريج وابن ماشطة فرعون ولفظ مسند احمد وابن ماشطة ابنة فرعون وزاد البغوى فى تفسير سورة الانعام ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وممن تكلم صغيرا يحيى بن زكريا ومبارك اليمامة كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى الدلائل ورضيع المتقاعسة ورضيع التى مر عليها راكب فقالت اللهم اجعل ابنى مثل هذا والصبى الذى فى حديث الساحر والراهب الذى قال لامه اصبرى فانك على الحق وهو فى اواخر مسلم وفى كلام السهيلى فى آخر روضته ان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرضع عند حليمة ان قال الله

اكبر قال السهيلى رأيته كذا فى بعض كتب الواقدى (وقال) اى عز قائله (ففهمناها سليمان) اى الحكومة او الفتيا اذ روى انه تحاكم الى داود صاحب غنم وصاحب زرع او كرم رعته ليلا فحكم بها لصاحب الحرث لاستواء قيمتها وقيمة نقصه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فعزم عليه ليحكمن فدفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بدرها ونتاجها واصوافها والحرث لصاحب الغنم يصلحه فاذا عاد الى ما كان عليه ترادا ولعلهما قالا مقالهما اجتهادا فقال داود اصبت القضاء ثم حكم بذلك والاول نظير قول ابى حنيفة فى العبد الجانى والثانى نظير قول الشافعى بالغرم للعيلولة فى العبد المغصوب اذا ابق اما فى شرعنا فلا ضمان عند ابى حنيفة لحديث جرح العجماء جبار اى هدر الا ان يكون معها حافظ او ارسلت عمدا واوجبه الشافعى ليلا لا نهارا لجرى العادة فى حفظ الدواب بالليل دون النهار لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وفى الحديث اشارة لطيفة الى قول ابى حنيفة فى تقييد القضية بحالة العمدية اذ تخلص الدابة ليلا ونهارا واتلافها من غير تقصير من صاحبها لا يوجب الغرامة المنفية فى الملة الحنيفية حيث قال ليس عليكم فى الدين من حرج (وكلا) اى من داود وسليمان (آتينا حكما وعلما) اى معرفة بموجب الحكومة وعلما بسائر القضايا الشرعية (وقد ذكر) بصيغة المجهول (من حكم سليمان) كذا فى النسخ المتعددة المعتمدة ووقع فى اصل الدلجى وقد ذكر عن سليمان (وهو صبى) اى فى حال صباه (يلعب) اى مع الصبيان (فى قصة المرجومة) اى التى كانوا يريدون ان يرجموها وفى نسخة فى قضية المرجومة وهى ما رواه ابن عساكر فى تاريخه بسنده الى ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان امرأة حسناء فى بنى اسرائيل راودها عن نفسها اربعة من اكابرهم وقيل من قضاتهم الذين رفعت حكمها اليهم فامتنعت فاتفقوا ان يشهدوا عليها عند داود انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها وهم به فلما كان عشية يوم رجمها جلس سليمان واجتمع اليه ولدان فانتصب حاكما وتزيى اربعة منهم بزى اولئك الاربعة وآخر بزى المرأة وشهدوا عليها بان مكنت من نفسها كلبا فسألهم متفرقين عن لونه فقال احدهم اسود وآخر احمر وآخر اغبس وآخر ابيض فامر بقتلهم فبلغ ذلك داود فاستدعى من فوره بالشهود فسألهم متفرقين عن لون كلبها فاختلفوا فقتلهم (وفى قصة الصبى ما اقتدى) اى الذى اقتدى (به) اى بسليمان ورجع الى حكمه (داود ابوه) عطف بيان لدفع توهم ان يكون غيره وهذه القضية رواها الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بينما امرأتان معهما ابنان لهما فاخذ ذئب احدهما فتحاكمتا الى داود فى الآخر فقضى به للكبرى فدعاهما سليمان وقال هاتوا السكين اشقه بينهما فقالت الصغرى رحمك الله هو ابنها لا تشقه فقضى لها به مستدلا بشفقتها عليه بقولها لا تشقه ورضى الكبرى بشقه لتشاركها فى المصيبة او لما كان بينهما من العداوة ولعل داود عليه السلام حكم به للكبرى لكونه فى يدها او اعتمادا على نوع من الشبه وهو لا يخلو من الشبه فان قيل المجتهد لا ينقض حكم المجتهد فالجواب ان سليمان فعل ذلك وسيلة الى حقيقة القضية فلما اقرت بها الكبرى عمل باقرارها ولعل فى شرعهم يجوز للمجتهد نقض حكم المجتهد وقيل كان بوحى ناسخ للاول قيل وكان قضاؤه وهو ابن اثنتى عشرة سنة ومات وهو ابن اثنتين وخمسين سنة وقيل كان حكم داود باجتهاد وحكم سليمان بوحى والوحى ينقض غيره (وحكى الطبرى) وفى نسخة وقال الطبرى وهو محمد بن جرير (ان عمره) اى من سليمان (كان حين اوتى الملك اثنى عشر عاما) اى سنة (وكذلك) اى ومثل ما ذكر عن سليمان فى صغره (قصة موسى) قيل وزنه مفعل او فعلل او فعلى (مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل) وقصته ان فرعون كان يرى ان من يأخذ بلحيته ويأخذ منها خصلة هو الذى يقتله ويسلب ملكه فبينا موسى فى حجره اذ تناول لحيته فاخذ منها خصلة فقال هذا عدو لنا فقالت له امرأته المسلمة آسية بنت مزاحم انه صغير فالقى له الدر والجمر فاخذ الجمر وادخله فى فيه فمنه كان فى لسانه عقد وفرعون هذا هو عدو الله الوليد بن مصعب بن الريان كان من القبط العماليق وعمر اكثر من اربعمائة سنة وقد كتبت رسالة مسماة بفر العون ممن ادعى ايمان فرعون (وقال المفسرون فى قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده) اى كمال هدايته وصلاح حالته (من قبل) اى قبل اوان معرفته (اى هديناه) ووقع فى اصل الدلجى هداه بالاضافة (صغيرا) اى قبل بلوغه (قاله مجاهد وغيره) وقال غيرهم قبل موسى وهرون وقيل قبل محمد عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عطاء) هو ابو العباس احمد بن سهل بن عطاء مات سنة تسع وثلاثمائة (اصطفاه) اى فى سابق قضائه فى عالم الارواح (قبل ابداء خلقه) اى اظهار جسده من العدم الى الوجود فى عالم الاشباح (وقال بعضهم) كالكواشى وغيره (لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه) اى المعرفة التامة الشاملة للافعال والصفات والذات الكاملة (ويذكره بلسانه) بوصف المداومة (فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده) اى حيث بالغ فى الامتثال حتى عبر بالماضى عن الحال فكأنه امتثله واخبره ومن هنا قيل النفى ابلغ من النهى (وقيل ان القاء ابراهيم

عليه

عليه السلام فى النار ومحنته) اى بليته من نمرود (كانت وهو ابن ست عشرة سنة) وفى عين المعانى عن ابن جريج ست وعشرين اذ اقسم ليكيدن اصنامهم فالقوه فيها فكانت عليه بردا وسلاما (وان ابتلاء اسحق عليه السلام بالذبح) اى كان كما فى نسخة صحيحة (وهو ابن سبع سنين) وقيل ثلاث عشرة وهذا على احد القولين فى الذبيح مع خلاف فى الترجيح حتى توقف فيه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى فى رسالة مستقلة بعد ذكره من الطرفين بعض الادلة لكن المشهور بل الصحيح انه اسماعيل لحديث انا ابن الذبيحين اى اسماعيل وعبد الله اذ قد نذر عبد المطلب ان يسر الله حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة ذبح احدهم فتم متمناه فاسهم فخرج على عبد الله ففداه بمائة من الابل ومن ثم شرعت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى فتنة ابن الزبير ولان بشارته باسحق كانت مقرونة بانه يولد له يعقوب المنافى للامر بذبحه مراهقا وايضا كانت مقرونة بالنبوة فى آية اخرى والغالب فى الانبياء وصولهم الى حد الاربعين ولان اسماعيل كان اول ولده والابتلاء حينئذ اشق على ذبحه وفقده قيل وهذا هو الصواب عند علماء الصحابة والتابعين والقول بانه اسحق باطل منشاه الحسد من اليهود للعرب بان يكون ابوهم هو الذبيح قال ابن قيم الجوزية فى الهدى وهو مردود باكثر من عشرين وجها واما حديث سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فاما الذى قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه البخارى وغيره الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فزوائده مدرجة من الراوى وما روى من ان يعقوب كتب الى يوسف مثله فلم يصح (وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان) اى فى نفسه (وهو ابن خمسة عشر شهرا) فحكاه الله تعالى عنه جهرا ولا بدع انه كان زمان مراهقته واوان مقام نبوته تنبيها لقومه على خطأهم بعبادة غيره سبحانه وتعالى وارشادا لهم الى طريق الحق على سبيل النظر والاستدلال على حدوث عالم الخلق وان للشمس والقمر والكواكب وسائر الاشياء النورانية والظلمانية محدثا قادرا بطلوعها وسيرها وانتقالها وافولها من حالها الى حالها بدليل قوله تعالى يا قوم انى برئ مما تشركون (وقيل اوحى) وفى نسخة اوحى الله (الى يوسف) بضم السين وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه وكان بخده الايمن خال اسود وبين عينيه شامة وبقى فى الرق ثلاث عشرة سنة وقيل ثنتى عشرة قيل عدد حروف اذكرنى عند ربك فان عد المضاعف اثنين فثلاث عشرة والا فاثنتا عشرة وعن على كرم الله وجهه ان احسن الحسن الخلق الحسن واحسن ما يكون الخلق الحسن اذا كان معه الوجه الحسن (وهو صبى) او بالغ ومن الحسن وله سبع عشرة سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن بمصر بالنيل ثم حمله موسى عليهما الصلاة والسلام حين خرجت بنو اسرائيل من مصر الى الشام (عندما هم اخوته بالقائه فى الجب) اى فى قعر بئر وهى على ثلاثة فراسخ من منزل ابيهم (يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية) اى الى وهم لا يشعرون ففيه بشارة الى مآل امره اى لتخلصن ولتخبرن اخوتك بما فعلوه وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شأنك ورفعة مكانك وكان الحال كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون وابعد من جوز تعلق جملة وهم لا يشعرون باوحينا كما لا يخفى لان الوحى لا يكون الا على وجه الخفاء (الى غير ذلك من اخبارهم) ويروى ما ذكر من اخبار غيرهم (وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم حين ولد) اى اول ما ولد (ولد باسطا يديه الى الارض) اى معتمدا بيديه على الارض وقد جاء كذلك مفسرا (رافعا رأسه الى السماء) ايماء الى بسط دينه وملكه على بساط الارض ورفعة شأنه بالاسراء الى جهة السماء (وقال فى حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابو نعيم فى الدلائل (لما نشأت) اى انشأت بحيث ميزت بين الخير والشر وفرقت بين الحق والباطل وهو اولى من قول الدلجى تبعا للتلمسانى اى شببت وصرت شابا (بغضت) بالتشديد للمبالغة اى كره الله (الى الاوثان) اى عبادتها والمعنى انه خلق فى جبلته وفطرته بناء على تحقق عصمته محبة الله وبغض عبادة ما سواه (وبغض الى الشعر) لما اراد ان ينزهه عن كونه شاعرا وان يكون كلامه شعرا وهو لا ينافى ان يكون موزونا فى طبعه كما حقق فى موضعه (ولم اهم) بفتح فضم وتشديد ميم مضمومة او مفتوحة اى لم اقصد (بشئ مما كانت الجاهلية تفعله) اى من المعازف وغيرها مما نهى الله عنه (الا مرتين فعصمنى الله منهما) اى من الاستمرار عليهما وفى اكثر النسخ منها اى من افعال الجاهلية بتمامها (ثم لم اعد) اى لم ارجع اليها ابدا فعن على كرم الله وجهه على ما رواه البزار بسند صحيح عنه مرفوعا بلفظ ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى وبين ما اريد ثم ما هممت بعدهما بشئ حتى اكرمنى الله برسالته ورواه الحاكم فى المستدرك فى التوبة بلفظ ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منهما قلت ليلة لفتى من قريش كان باعلى مكة يرعى غنما لاهله ابصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة كما يسمر الصبيان فجئت ادنى

دار من دور مكة فسمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقيل فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الغناء وذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الا حر الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيناي فما ايقظني الامس الشمس ثم رجعت الى صاحبي فقال لي ما فعلت فما فعلت شيأ اى وذلك حياء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله ما هممت غيرهما بسوء مما يعمله اهل الجاهلية حتى اكرمني الله بنبوته وفيه تنبيه على ان هذا الهم انما كان حال الصغر دون البلوغ كما يشير اليه قوله كما يسمر الصبيان وهذا اوفى دليل على قبح سماع اللهو وضرب الدف الا ما شرع له خلافا لما يفعله الجهلة من الصوفية حيث يجمعون بين الاذكار وضرب الدفوف ونفخ المزمار حتى في مجالس المواليد ومزار قبور المشايخ الابرار والحاصل ان الانبياء مخلوقون على المكارم الرضية ومجبولون على الشمائل البهية وانه لا يضر في ذلك ما وقع لهم حال الصغر على سبيل الندرة (ثم تمكن الامر لهم) اى يزداد (وتترادف) اى تتوالى وتتابع (نفحات الله) جمع نفحة اى عطياته ومعارفه وجذباته (عليهم وتشرق) من الاشراق اى تضيء (انوار المعارف في قلوبهم) اى وآثار العوارف على صدورهم (حتى يصلوا الغاية) وفي نسخة الى الغاية اى نهاية ارباب الهداية واصحاب العناية (ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية) بالنصب مفعول يبلغوا والمراد بها النهاية التي ما فوقها نهاية لكن كما قيل النهاية هي الرجوع الى البداية فهم بين فناء وبقاء ومحو وصحو في مرتبة الكمال بين صفتي الجلال والجمال (دون ممارسة ولا رياضة) اى من غير معالجة وملازمة رياضة كسبية بل بخلقة جبلية وجذبة الهية (قال الله تعالى ولما بلغ اشده) اى وصل موسى نهاية قوته وغاية نشأته من ثلاثين الى اربعين سنة (واستوى) اى استحكم عقله واستقام حاله وبلغ اربعين سنة وهو سن بعث الانبياء غالبا في سنة الله وعادته سبحانه وتعالى (آتيناه حكما) اى نبوة (وعلما) اى معرفة تامة وابعد الدلجي في تفسيره الحكم بعلم الحكماء ثم في ترجيحه (وقد نجد) اى نصادف (نحن غيرهم) اى غير الانبياء من العقلاء والحكماء والاولياء (يطبع على بعض هذه الاخلاق) اى الكريمة المستحسنة (دون جميعها) وفي اصل الدلجي دون بعضها (ويولد عليها) اى يولد بعضهم على تلك الاخلاق (فيسهل عليه اكتساب تمامها) بواسطة تخلقه واتصافه بها (عناية) اى بعناية (من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان) بكسر الخاء المعجمة وسكون اللام (على حسن السمت) اى الهيئة والطريقة والتحلية بحلية اهل الحقيقة كما روى عن بعض ارباب هذا الشأن انه لم يكن يرضع في نهار رمضان (او الشهامة) بفتح المعجمة اى على الجلادة وذكاء الفطنة (او صدق اللسان) اى مع نطق البيان (او السماحة) اى الجود والكرم والصبر والحلم وقلة الاكل وكثرة الحياء وكمال الادب والرضى بما اعطى من المأكل والملبس وغيرهما (وكما نجد بعضهم) اى بعض غير الانبياء او بعض الصبيان (على ضدها) اى في الصغر والكبر (فبالاكتساب يكمل) بضم الميم اى يتم (ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها) بصيغة المجهول (ويعتدل منحرفها) اى ما نالها لمن وفقه الله تعالى على اكمالها واستقامة احوالها (وباختلاف هذين الحالين) اى الجبلي والكسبي (يتفاوت الناس فيها) اى قلة وكثرة وتحصيلا وتعطيلا (وكل ميسر) اى معدوم هيأ (لما خلق له) وهو مقتبس من حديث اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة (ولهذا) اى ولتفاوت الناس فيها وفي اكثر النسخ ولهذا ما اى وثبت لهذا ما (قد اختلف السلف فيها) اى في الاخلاق (هل هذا الخلق) اى الحسن او جنسه (جبلة او مكتسبة فحكى الطبري) اى صاحب التفسير والتاريخ (عن بعض السلف ان الخلق الحسن) اى وكذا ضده (جبلة وغريزة في العبد وحكاه) اى بعض السلف او الطبري (عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحسن) اى البصري (وبه قال هو) اى ابن جرير الطبري (والصواب ما اصلناه) اى جعلناه اصلا فيما مران منها ما هو جبلة غريزية ومنها ما هو كسبية رياضية وكان حق المصنف ان يقول والظاهر او الصحيح كما في نسخة مكان قوله والصواب مراعاة لما سبق من السلف كما يقتضيه حسن الآداب ثم التحقيق ما قدمناه (وقد روى سعد) اى ابن ابي وقاص كما في مقدمة كامل بن عدي وفي مصنف ابن ابي شيبة عن ابي امامة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل الخلال) بكسر الخاء جمع خلة بالفتح اى الصفات والخصال (يطبع عليها المؤمن الا الخيانة) ضد الامانة (والكذب) اى فلا يطبع عليهما بل قد يوجدان فيه ويعرضان ويحدثان تخلقا وتكسبا (وقال عمر رضي الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب كما في اكثر النسخ (في حديثه) اى الذي رواه ابن جرير وابن ابي حاتم وسعيد بن منصور عنه موقوفا (الجرأة) على وزن الجرعة الشجاعة ويقال بفتح الراء وحذف الهمزة كما يقال للمرأة مرة وبفتح الجيم والراء والمد (والجبن) ضدها وهو بضم الجيم وسكون الباء وقد يضم (غرائز) جمع غريزة اى طبائع وقرائح (يضعهما) وفي نسخة يضعها (الله حيث

يشاء) اى كما قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته انتهى كلامه رضي الله تعالى عنه (وهذه الاخلاق المحمودة والخصال الجميلة) وفي نسخة الشريفة بدلها وفي نسخة جمعهما (كثيرة ولكن) وفي رواية ولكنا وفي اخرى ولكننا (نذكر اصولها) اى في فصولها (ونشير الى جميعها) اى باعتبار فروعها (ونحقق) اى نثبت (وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها) اى على وجه كمالها (ان شاء الله تعالى) اى اتمام ما قصدنا اليه (فصـــل) اى في بيان اصول هذه الاخلاق نصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (اما اصل فروعها) اى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذي هو معدنها (وعنصر ينابيعها) بضم العين والصاد وبفتح اى اصلها الذي كانها تنبع منه حين ظهورها والعطف تفسير في العبارة وتفنن بالاشارة (ونقطة دائرتها) اى مركزها وقطبها الذي هو مدارها (فالعقل) اى ادراك النفس باشراق ظهوره وافاضة نوره كالشمس بالنسبة الى الابصار (الذي منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات (ويتفرع من هذا) اى من كونه اصلا (ثقوب الرأي) اى نفوذه واحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم اى حسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفي نسخة بالجر والمراد بها ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) بالرفع لا غير والمراد موافقته للواقع في الخارج او الذهن (والنظر للعواقب) اى التأمل والتدبر في عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح ويجتنب القبائح (ومصالح النفس) اى لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها مما لها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) اى لمدافعتها وفي بعض النسخ بالرفع اى ويتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات واللهوات والغفلات وحملها على الطاعات والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع اى سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) اى وحسن التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع اى تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) ويحصل الكل بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد اشرنا) اى فيما سبق (الى مكانه) اى محله (منه صلى الله عليه وسلم) اى تمكنه من كمال العقل الذي هو اساس العمل بالعدل في جميع مراتب القول والفعل (وبلوغه منه) اى والى وصوله منه على كمال فصوله في حصوله (ومن العلم) اى وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية) اى بلوغه للغاية القصوى كما في نسخة (التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) اى من اجل جلالة محله من العقل والعلم (ومما تفرع) وفي نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) ويروى محققة اى ثابت مقطوع به في امره لا ريب في علو قدره (عند من تتبع) اى علم بالتتبع وفي نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر ان يكون بالمضارع المزيد اى يطالع (مجاري احواله) الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة اى ويشاهد استمرار شمائله الرضية الظاهرية وفق احواله البهية الباطنية فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) اى علمها بطريق المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله وبدائع سيره) اى وطالع ورأى في الكتب اخلاقه الحسنة وسيره البديعة وسير سلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة اى احاديثه المشتملة على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم والعمل (وعلمه) اى طالع احاطة علمه (بما في التوراة والانجيل) بكسر الهمزة وبفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه امر دينه في الجملة (وحكم الحكماء) اى علمه حكمهم ومعرفته حكمهم (وسير الامم الخالية) اى الماضية (وايامها) اى وقائعها في قصص الانبياء السالفة (وضرب الامثال) اى الواقعة في الاقوال والافعال (وسياسات الانام) اى انواع زجر العوام وكالانعام لتحصيل تمام النظام في الليالي والايام (وتقرير الشرائع) اى بيان احكامها اصولا وفروعا (وتأصيل الآداب النفيسة) اى وتأسيس ابواب الآداب المرغوبة وفي نسخة النفسية والظاهر انه تصحيف (والشيم الحميدة) اى الاخلاق والعادات المطلوبة (الى فنون العلوم) اى منضمة او منتهية الى غير ذلك من انواع المعارف واصناف العوارف (التي اتخذ اهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر اشهر ثم الضم اى مقتدى اقتدوا به (واشاراته حجة) اى واتخذوا اشاراته بها وبغيرها دلالة بينة واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا بمعنى التعبير والتفسير اى ذكر عاقبتها وآخر امرها ومثله التأويل اى ذكر ما يؤول اليها جمعها (والطب) بتثليث الطاء وتشديد الباء والكسر اصح وافصح مصدر طب اى عالج ووصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء (والحساب) مصدر حسب اى عد وهو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير وهو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من اصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة (والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى ابيه ورجل نسابة اى بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة (وغير ذلك) اى من علوم شئ ظهرت عليه في متفرقات حالاته (مما سنبينه في معجزاته) اى في اواخر الباب الرابع

فى ذكر معجزاته (ان شاء الله تعالى دون تعليم) اى من غير تعليم له من بشر ولا تعلمه من احد (ولا مدارسة) اى بينه وبين من يدرس غيبا (ولا مطالعة كتب من تقدم) ليتعلم منها نظرا فيما لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) اى علماء اهل الكتاب ولا عرفاء المشركين فى كل باب (بل نبى امى) اى منسوب الى امه على وصف ما خلق حين تولده من غير قراءة وكتابة ومباشرة شعر وخطابة (لم يعرف) بصيغة المجهول اى لم يشتهر (بشئ من ذلك) اى مما ذكر (حتى شرح الله صدره) اى وسعه ونوره بالايمان والمعرفة والعلم والحكمة (وابان امره) اى واظهر قدره بايات ظاهرة ومعجزات باهرة (وعلمه) اى ما لم يكن يعلم (واقرأه) اى ما لم يكن يقرأ ويتعلم كما قال سبحانه وتعالى فى مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول اى يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) فى دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) اى التفحص عن افعاله (ضرورة) اى علما ضروريا قارب ان يكون بديهيا (وبالبرهان) اى ويعلم ذلك بالدليل (القاطع) مما قام من الارهاصات بعد خلقته والمعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) اى علما نظريا واستدلاليا لا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص) اى بايراد قصص الانبياء متتابعة مما يفيده بالطريق الضرورى (وآحاد القضايا) اى ولا بسردها مجتمعة مما يقتضيه على السبيل الفكرى (اذ مجموعها ما لا يأخذه حصر) يحصيه عددا (ولا يحيط به حفظ جامع) بضبطه علما ابدا (وبحسب عقله) بفتح الحاء والسين على ما فى الاصول المصححة وضبطه الانطاكى بسكون السين وقال اى بعقله فقط والصواب ما قلنا والمعنى وبمقدار كمال عقله (كانت معارفه عليه الصلاة والسلام) فى نهاية لا ترام وغاية لا تسام بل ولا تشام مرتقيا ومعتليا (الى سائر ما علمه الله) اى باقيه (واطلعه عليه من علم ما يكون) فى عالم الشهادة (وما كان) فى عالم الغيب من السعادة والشقاوة (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) اى من ظهور قوته ووضوح سلطنته (قال الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم) من تفاصيل الشريعة وآداب الطريقة واحوال الحقيقة (وكان فضل الله عليك عظيما) حيث انعم عليك انعاما جسيما (حارت العقول) اى دهشت وترددت (فى تقدير فضله عليه) اى فى تقرير علمه لديه وتصوير احسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء اى سكتت وبكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) اى عجزت عن ان تنطق بما يحصى مما من الله به عليه (او ينتهى اليه) اى دون نعت ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل) (واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القوة وفى نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول اى ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى (وبين هذه الالقاب) اى الاخلاق والآداب (فرق) اى فارق دقيق به يتميز كل عن الآخر فى هذا الباب (فان الحلم حالة توقر وثبات) اى صفة تورث طلب وقار وثبوت فى الامر واستقرار (عند الاسباب المحركات) اى للغضب الباعث على العجلة فى العقوبة (والاحتمال) بالنصب او الرفع (حبس النفس) اى تحملها (عند الالام والمؤذيات) اى عند ورود ما يؤلمه ويوجعه من الامراض ويؤذيه ويتعبه من الاعراض فالالام من المحن الالهية والاذى من جهة الحيوانات والادمية فليس هذا من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجى وفى نسخة المرديات بالراء والدال المهملة اى المهلكات (ومثلها) اى المذكورات (الصبر) فانه حبس النفس على ما تكره الا انه اعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفى المصيبة وهو فى الله وبالله ومع الله وعن الله والصبر يحمد فى المواطن كلها الا عليك فانه مذموم اى عنك او على بعدك (ومعانيها متقاربة) اى وان كانت حقائق مبانيها متباينة (واما العفو فهو ترك المؤاخذة) واصله المحو ثم استعمل فى معنى المجاوزة عن مجازاة المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجى انه من ابنية المبالغة (وهذا) اى ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) اى جميعه على الحالة المستقيمة (مما ادب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ادبنى ربى فاحسن تأديبى (فقال) اى من جملة ما ادبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) اى المساهلة والمسامحة (وامر بالعرف) اى بالمعروف من حسن المعاشرة (الآية) اى واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اى سلام الموادعة الذى فيه السلامة من المواقعة وقد قيل ليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (وروى) اى كما فى تفسير ابن جرير وابن ابى حاتم وابى الشيخ فى مكارم الاخلاق وابن ابى الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) يعنى خذ العفو الى آخرها (سأل جبريل) قيل جبر وميك اسمان اضيفا الى ايل او آل وهما اسمان لله تعالى ومعنى جبر وميك عبد بالسريانية ورده ابو على الفارسى بانهما لا يعرفان من اسماء الله سبحانه وتعالى وبانه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم فى وجوه العربية وكان آخره مجرورا ابدا كعبد الله قال النووى وهذا الذى قاله هو الصواب انتهى وفى جبريل اربع قراآت وتسع لغات (عن تأويلها) اى تحقيق تفسيرها (فقال له) اى جبريل (حتى أسأل العالم) اى الحقيق الذى هذا كلامه

ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت ادرى بما فيه من بيان مبانيه وتبيان معانيه (ثم ذهب واتاه) اى بعد سؤاله اياه (فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال) اى الله تعالى (له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يا بنى اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر (واصبر على ما اصابك) اى من انواع المحن واصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الآية) اى ان ذلك من عزم الامور اى من مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة فى اهمالها لارباب كمالها (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم) اى اصحاب الثبات والحزم (من الرسل) اما بيانية واما تبعيضية وهو المشهور وعليه الجمهور وهم الخمسة المجتمعة فى آية مختصة وهى قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لما انه فى الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وايوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضيته وبكائه اربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بناء لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم المأمورون بالجهاد وقيل من يصيبهم فتنة منهم وقيل هم اهل الشرائع وقيل استثنى من الرسل ادم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولا تكن كصاحب الحوت (وقال) اى الله له ولاتباعه (وليعفوا) اى ما فرط فى حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الآية) اى الا تحبون ان يغفر الله لكم اى لعفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخارى انه لما نزلت قال ابو بكر رضى الله تعالى عنه بلى احب ورجع الى مسطح نفقته التى قطعها عنه لخوضه مع اهل الافك وخطائه وصدر الآية ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وكان مسطح قريب ابى بكر ومسكينا ومهاجرا وفى الآية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا العفو والصفح موصوفا اكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لا يكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال ولمن صبر) اى على الاذى (وغفر) اى ستر ومحا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ما ذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) اى من افضل الامور واما قول الدلجى اى ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف فى نحو السمن منوان بدرهم اى منه للعلم به فليس فى محله اذ هو مستغنى عنه فى صحة حمله وحله (ولا خفاء) اى عند اهل الصفاء (بما يؤثر) اى فيما يروى (من حلمه) اى صبره مع احبابه (واحتماله) اى تحمله على اعدائه حتى قال ابو سفيان له ما احلمك حين قال له يا عم اما آن لك ان تسلم بابى انت وامى (وان) بفتح الهمزة وفى نسخة بكسرها (كل حليم) اى صاحب حلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى اى عثرة وفى الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى الحديث ما اعز الله بجهل قط ولا اذل الله بعلم قط وقيل ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبهته (وحفظت عنه هفوة) بالفاء اى معرة بمقتضى ما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم مع ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند ربه بعصمة لا يشاركه احد فيها ولا يساويه فالكلية عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لثباته فى محامد صفاته (لا يزيد مع كثرة الاذى) اى الواصل منهم اليه (الا صبرا) اى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) اى مجاوزته الحد فى التقصير اليه ويروى الجاهلية اى على اسراف اهلها (الا حلما) اى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ما وقع فى بعض النسخ من الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) اى من المشايخ المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة (انبأنا) اى قال اخبرنا (ابو بكر بن وافد) بالفاء المكسورة او القاف (القاضى وغيره) اى وغير ابى بكر (حدثنا) اى قالوا حدثنا (ابو عيسى) اى الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن ابى عيسى (حدثنا) اى قال حدثنا (عبيد الله) يعنى اباه (انبأنا) اى قال اخبرنا (يحيى بن يحيى) لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطأه اصح الموطآت (انبأنا) اى قال اخبرنا (مالك) اى ابن انس بن مالك بن ابى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن عروة) اى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وابو داود ايضا عنها (قالت ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما خيره الناس (فى امرين) اى فى اختيار احدهما (قط) اى ابدا (الا اختار

(ايسرهما) اى اهونهما على المخير او اسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وان
هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (ما لم يكن) اى الايسر (اثما) اى ذا اثم
(فان كان اثما كان ابعد الناس منه) اى تنزها واجتنابا فيا لاولى ان لا يختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب
الاخذ بالايسر والارفق ما لم يكن حراما او مكروها فان الله تعالى يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه واما
قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله او غيره فالله
ما جعل له الخيرة فى امرين جائزين الا اختار ايسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم اى
على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى انذر قومى رجاء ان يوحدوه او يخرج من اصلابهم من يوحده فلا يخفى انه
غفلة منه عما فى نفس الحديث ما لم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى او جبريل عليه الصلاة والسلام
لا يخيره بين امرين يحتمل ان يكون احدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه قال يحتمل ان يكون تخييره من
الله فيخيره فيما فيه عقوبتان او فيما بينه وبين الكفار من القتال واخذ الجزية او فى حق امته فى المجاهدة فى العبادة
والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال واما قوله ما لم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار او المنافقون
فاما اذا كان التخيير من الله او من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولا يخفى ان التخيير من المسلمين ايضا
يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) اى ما انتصر
ولم يعاقب احدا لاجل خاصة نفسه ما بلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه اتاه من قبله (الا ان
تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول اى الا ان يبالغ احد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى او بحق احد
من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع اى
لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) اى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن
ارتكبها والحديث رواه البخارى ومسلم وابو داود كما اخرجه المصنف عن مالك فى موطأه وفى رواية مسلم ما نيل منه
شئ قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله اى ما اصيب باذى من احد وعاقبه به انتصارا
لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شئ من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه
الا لله لا لغرض سواه وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على متابعة هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على
كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا
باخلاق ربه (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول اى انكسرت (رباعيته) على وزن
الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا اربع ورباعيات اربع
وانياب اربعة واضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن ابى وقاص وهو اخو سعد بن ابى وقاص رمى رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شظيت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله
ابن شهاب الزهرى كلاهما (يوم احد شق ذلك) اى ما ذكر او كل واحد منهما (على اصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا
(وقالوا لو دعوت) اى الله (عليهم) اى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم ابعث لعانا) اى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله
(ولكن بعثت داعيا) اى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى
فانهم لا يعلمون) اى ولا تؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو
فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها ثنيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة
جرحه فى وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته فنزعهما ابو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب
ابن عاصم فكان حتف انفه ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله او فالقاه من شاهق فمات واما ابن شهاب فاسلم واما
عتبة ففى تهذيب النووى ان ابن منده عده من الصحابة وانكره ابو نعيم اذ لم يذكر فيهم احد قبله فالصحيح انه لم يسلم قال
السهيلى ولم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم الا وهو ابخر او اهتم فعرف ذلك فى عقبه وفى مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة
ما فعل جاء حاطب بن ابى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير عبد الرزاق باسناده الى مقسم قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
دعا على عتبة بن ابى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق فى تفسيره يدل على
انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل على ضده قلنا لا يلزم من دعائه
عليه عدم دعائه على الجميع مع ان النفى قد يوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم ابعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى
البخارى وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام ما دعا عليهم
جملة بل دعا على من علم منهم انهم لا يؤمنون فقوله عليك بقريش عام اريد به المخصوصون بقرينة المقام والله اعلم بالمرام
(وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لم يعرف (انه قال فى بعض كلامه بابى انت وامى) اى فديتك بهما
او انت مفدى بهما (يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية) اى من الكافرين ديارا
كما فى نسخة اى احدا يدور فى الارض فيعال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) اى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند
آخرنا) اى الى عند اولنا فهو كناية عن الاستئصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا
قوله (وادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم
بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) اى المصنف
(انظر) اى تأمل ايها المعتبر بنظر الفكر والعقل (ما فى هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم اى ما يجمعه
(ودرجات الاحسان) اى بالعقل (وحسن الخلق) اى مع شرار الخلق (وكرم النفس) اى على عموم الانام (وغاية
الصبر) اى عن العدو (والحلم) اى التحمل وعدم الجزع المؤدى الى الدعاء غالبا (اذ لم يقتصر صلى الله تعالى عليه
وسلم على السكوت عنهم) اى فى التحمل منهم (حتى عفا) عنهم وصفا لهم (ثم اشفق) اى خاف (عليهم ورحمهم)
اى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) اى لهم (وشفع) اى عند ربه (لهم) وهو بفتح الفاء على ما فى القاموس
شفعه كمنعه فقول الحجازى بكسر الفاء سهو من الكتاب (فقال اغفر) اى استر قومى ووفقهم لما يستحقون المغفرة
لاجله (او اهد) اى اهدهم بالايمان واو للشك او للتنويع (ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه
(ثم اعتذر عنهم بجهلهم) اى بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لا يعلمون) وليس المراد بقومه قريش
وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت الا وله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد
بقومه جميع امته بدليل حديث الشيخين ان آل ابى فلان ليسوا لى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لكن لهم
رحم ابلها ببلالها اى اصلهم بما ينبغى ان يوصل به واطهر اثرها وقد ورد بلوا ارحامكم اى صلوها وكانه اراد بالبل حفظ اصلها وطراوة
فرعها (ولما قال له الرجل) اى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل
فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (اعدل فان هذه قسمة) اى قسمة غنائم بدر وقيل
كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن
(ما اريد بها وجه الله لم يرده) بالزاى اى ما زاده (فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ) عطف على بين اى ونصح صلى
الله تعالى عليه وسلم (نفسه) اى نفس الرجل (وذكرها) بالتشديد اى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل
هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة لا يستحقها فالجهل رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله
عليه وسلم احرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم اعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة
ما قبله عليه والمعنى أيعدل غيرى وانا اجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم تائهما (ان لم
اعدل) اى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل
بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح تائهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم اعدل فى قسمى
على فرض قضيتى فكانه قال خبت ايها التابع اذا كنت لا اعدل لكونك تابعا ومقتديا لمن لا يعدل او خبت وخسرت
اذ لا تستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لا يعدل ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله
انك خبت فى الدنيا وخسرت فى العقبى اذ اعتقدت انى لم اعدل قال الحافظ المزى والضم اولى لانه تعليق بعدم العدل
الذى هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووى الفتح اشهر ولعله اسقط ما وجب له عليه من قتله رعاية
لايمانه الظاهر والله اعلم بالسرائر ولما ورد فى بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج
من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من اراد من اصحابه) وهو خالد بن الوليد او عمر
وهو عند الاكثر او كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
بنفى عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) اى وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث
ابن الحارث) على ما رواه البيهقى وهو بفتح الغين المعجمة وبضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به)
بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث اى ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى والحال انه
(منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة اى منفرد عن اصحابه (تحت شجرة) اى فى ظلها (وحده) حال مؤكدة اى
ليس عنده احد من احبابه (قائلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة اى مستريحا او نائما (والناس قائلون)

اى نازلون للقيلولة (فى غزاة) وهى ذات الرقاع فى رابع سنة من الهجرة (فلم يتنبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى لم يستيقظ من نومه اولم يتنبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) اى غورث (قائم) اى عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح
الصاد وبضم اى حال كونه مسلولا اوالتقدير صلته صلتا (فى يده فقال من يمنعك منى فقال) اى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (الله) اى مانعى اويمنعنى (فسقط) اى السيف كما فى اصل صحيح (من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم وقال) اى لغورث (من يمنعك منى قال كن خير آخذ) بالمد اى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه)
وكان ذلك سببا لاسلامه (فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف
وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك منى وجواب غورث وروى انه كان اشجع قومه فقالوا له قد امكنك محمد
فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه واقبل حتى قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال
يا محمد من يمنعك منى قال الله فدفع جبريل فى صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به
على رأسه وقال من يمنعك منى اليوم فقال لا احد ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم اقبل فقال والله
لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا احق بذلك منك (ومن عظيم خبره) اى حديثه صلى
الله تعالى عليه وسلم (فى العفو) اى فى جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التى سمته) اى جعلت له السم (فى الشاة بعد
اعترافها على الصحيح) متعلق بعفوه (من الرواية) اى بعد اعترافها على ما رواه الشيخان وكان ينبغى للمؤلف ان يقدم
قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهى زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقى
فى الدلائل وموسى بن عتبة فى المغازى وقال ابن قيم الجوزية هى امرأة سلام بن مشكم وقال ابو داود هى اخت
مرحب وفى رواية ابى داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفى شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق
انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها لحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من اصحابه بما كله منها كبشر
ابن البراء اذ لم يزل معللا به حتى مات بعد سنة ويقال انه مات فى الحال لكن فيه اشكال لما جاء فى رواية انها اسلمت
ففى جامع معمر عن الزهرى انه قال اسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله اعلم بالاحوال
وبالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره فى العفو انه (لم يؤاخذ لبيد بن
الاعصم) وقد هلك على التهود وقد حكى القاضى خلافا فى مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجئ فى احياء
الموتى ولعله اشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذ سحره) اى حين سحره (وقد اعلم به) بصيغة المجهول اى اوحى الله اليه
او جاءه جبريل واخبره بانه سحره (واوحى اليه بشرح امره) اى ببيان حاله كما رواه احمد والنسائى والبيهقى فى دلائله سحر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاءه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك
عقدا فى بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكانما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودى ولا اظهره فى وجهه حتى مات
(ولا عتب عليه) اى اعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر اخذه عن النساء وهى امرأته زينب
اليهودية وبناته منها قيل قال تعالى ومن شر النفاثات فى العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء او المراد النفوس
النفاثات قال الدلجى والسحر مزاولة نفوس خبيثة اقوالا وافعالا يترتب عليها امور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به
حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتى فى محل تقريره ومكان تحريره وقال الامام الرازى
استحداث الخوارق ان كان لمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص السفلية فهو علم الخواص
وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى
الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة
بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على انواع مختلفة وهى السيميا والهيميا وخواص
الحقائق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم (وكذلك لم يؤاخذ) على
ما رواه الشيخان (عبد الله بن ابى) اى ابن سلول بفتح السين المهملة وهى امه فلا بد من تنوين ابى وكتابة الف بعدها
ورفع ابن لان سلول ام عبد الله وزوجة ابى فلو لم يفعل ذلك لتوهم ان سلول ام ابى وليس كذلك وسلول غير مصروف
للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين
او مؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس اهل النفاق وهو القائل

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل * تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازى بغير جناحه * وان جذ يوما ريشه فهو واقع

وابنه عبد الله بن عبد الله من فضلاء الصحابة (واشباهه) اى وكذا لم يؤاخذ امثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان

المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ما نقل عنهم) وفى نسخة منهم (فى جهته) اى
من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن ابى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
اراد بالاعز نفسه وبالاذل اعز خلق الله سبحانه وتعالى (بل قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على المريسيع ماء
لبنى المصطلق (لمن اشار) اى من اصحابه (بقتل بعضهم) اى بعض المنافقين بعد ان بلغه وقد هزم بنى المصطلق قول
ابن ابى وقد لطم حليفا له جعال من فقراء المهاجرين مساعدة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا
ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الآية ثم قال لقومه والله ان امسكتم عن جعال وذويه فضل
طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل
المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم اخبره به فقال عمر يا رسول الله دعنى اضرب عنقه
فقال اذن ترعد له انوف كثيرة فقال عمر ان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن عبادة او محمد بن مسلمة
او عبادة بن الصامت فليقتلوه فقال (لا لئلا يتحدث) بصيغة المجهول وروى لا يتحدث الناس وهو نفى بمعناه نهى
وقال الدلجى لا آذن لك يتحدث وفى رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل اصحابه) قيل هذا فى حكم العلة
لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهرى وانكاره هذا القول فى اخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول
الانام فى الاسلام ولذا ورد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة
للعالمين وفى هذا دليل على ترك بعض الامور التى يجب تغيرها مخافة ان يترتب عليها مفسدة اكبر منها (وعن انس) كما
رواه الشيخان (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) اى شملة مخططة او كساء اسود مربع (غليظ
الحاشية فجبذه) اى جذبه كما فى نسخة والاول لغة فى معنى الثانى او مقلوبة فى حروف المبانى والمعنى فجره (اعرابى)
مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) اى دفعة عنيفة (حتى اثرت حاشية البرد فى صفحة عاتقه) اى جانب
ما بين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله عليه وسلم من سوء ادبه (ثم قال) اى الاعرابى على عادة اجلاف العرب
(يا محمد احمل لى) بفتح الهمزة اى اعطنى ما احمل لى واغرب التلمسانى حيث قال المعنى اعنى على الحمل وفى نسخة احملنى
والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك
لا تحمل لى) وفى نسخة لا تحملنى وفيه ما سبق الا ان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى اصل التلمسانى لا تحمله (من
مالك ولا من مال ابيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال)
اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود اى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى ما فعلت
بى) اى مثل ما فعلت معى من جذب ثوبى (قال لا) اى لا يقاد منى (قال لم) اى لاى شئ (قال لانك لا تكافئ) بالهمز اى
لا تجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تعجبا (ثم امر ان
يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) وروى على بعير تمر وقيل اذا احب الله عبدا سلط عليه من يؤذيه (وعن) وفى
اكثر النسخ قالت (عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا
من مظلمة) بكسر اللام وتفتح اى ما يطلب عند الظلم واما قول الحجازى وبفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها)
بصيغة المجهول (قط) اى ابدا (ما لم تكن) اى المظلمة (حرمة من محارم الله) اى متعلقة بحقوق الخلق او الحق خارجة
عن خاصة نفسه وحرماته فرآنضه اوما وجب القيام به وحرم التفريط فيه (وما ضرب بيده شيأ قط) واحترزت بقولها
بيده عن ضرب غيره بامره تأديبا اوتعزيرا اوحدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة
(الا ان يجاهد فى سبيل الله) اى فانه كان يضرب بيده مبالغة فى مقام جده واجتهاده فى جهاده ثم ما ضرب احدا من
اعدائه الا كان حتف انفه وعذابا له فى آخرامره بدليل قول ابى بن خلف وقد خدشه يوم احد فى عنقه فجزع جزعا
شديدا بالم شديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق محمد على لقتلنى (وما ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد
تعميم ودفع لتوهم ان النفى الاول متعلق بمن كان خارجا عن اهله واشعارا بان التحمل منهما اشد ثم فيه جواز ضرب
المرأة والخادم للادب اذ لو لم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجئ اليه برجل) على ما روى احمد والطبرانى بسند
صحيح (فقيل هذا اراد ان يقتلك) اى فحصل للرجل روع فى روعه وفزع فى روحه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم لن تراع) بضم التاء اى لن تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تأكيدا والمعنى لا تخف لا تخف قال التلمسانى وتضع العرب
لن بمعنى لا كما هنا (ولو اردت ذلك) اى قتلى (لم تسلط على) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله
تعالى والله يعصمك من الناس (وجاءه زيد بن سعنة) بفتح سين فسكون عين مهملتين فنون وهو الاصح على ما ذكره
الذهبى فى تجريده والنووى فى تهذيبه وفى رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودى (يتقاضاه) اى ...

كونه طالبا (دينا) اى قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجبذ ثوبه) اى جذب رداءه وازاره وابعده (عن منكبه) بكسر الكاف (واخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهى اطرافه وحواشيه او ازاره كله ويقال له التلبب (واغلظ له) اى فى القول بخصوصه (ثم قال) قصدا لعموم قومه (انكم يا بنى عبد المطلب مطل) بضمتين ويسكن الثانى جمع مطول كفعول بمعنى فاعل اى مدافعون فى وعدكم (فانتهره عمر) اى زجره (وشدد له فى القول والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا) اى الذى صدر (منك) اى من الزجر الاكيد والقول الشديد (احوج) اى اكثر احتياجا (يا عمر) فكان الاولى بك انك (تأمرنى بحسن القضاء) اى الاداء لدينه (وتأمره بحسن التقاضى) اى المطالبة لحقه (ثم قال لقد بقى من اجله) اى من اجل دينه لا عمره (ثلاث) اى ثلاثة ايام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذى هو ايام كما فى حديث من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانه صام الدهر كله (وامر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (عمر يقضيه ماله) اى ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا لما روعه) بتشديد الواو اى لاجل ما خوفه عمر زجرا فيجازيه برا (فكان) اى فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقى مفصلا ووصله ابن حبان والطبرانى وابو نعيم بسند صحيح (وذلك) اى كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روى عنه عبد الله بن سلام (ما بقى من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها فى محمد) وفى رواية فى وجه محمد (الا اثنتين لم اخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة اى لم اخبر بهما فلم اعرفهما وروى لم اجدهما اى لم احققهما (يسبق حلمه جهله) اى جهل الذى يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) اى عليه (من احد الا حلما) بل لطفا وكرما (فاختبرته) اى امتحنته (هو بهذا) اى الذى صدر منه فى حقه قولا وفعلا (فوجدته) وروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول اى نعت فى كتب الاولين فى صفة المرسلين وكان اعلم من اسلم من احبار اليهود واجلهم واكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفى راجعا من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) اى الاحاديث او الواردة المخبرة (عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كون عفوه عن عجزه (اكثر من ان نأتى عليه) اى نذكره كله او معظمه (وحسبك) اى كافيك ومغنيك (ما ذكرناه مما فى الصحيح) اى فى الكتب الصحيحة (والمصنفات الثابتة) اى ولو لم تكن من الصحاح الستة او ولو لم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى ما بلغ) اى منضمة الى ما وصل بمجموعه (متواترا) اى فى المعنى (مبلغ اليقين) اى مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين فى امر الدين (من صبره) بيان لما اى من تحمله (على مقاساة قريش) اى مكابدتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (واذى الجاهلية) اى وتأذيه من اهل جاهليتهم وسفلتهم (ومصابرته الشدائد) اى مغالبة المحن وفى نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة) اى الشاقة (معهم) اى مع اعدائه (الى ان اظفره الله عليهم) بنصره واظهره كما فى نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد الكاف اى جعله حاكما عليهم متصرفا فى امرهم (وهم لا يشكون) اى لا يترددون بناء على زعمهم وقياسه على انفسهم (فى استئصال شأفتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة فقاء فتاء اى جمعهم وقطع اثرهم وهى فى الاصل قرحة تخرج للانسان فى اسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون فى المثل استأصل الله شأفته اى اذهبه كما اذهبها وروى فى استئصاله بالاضافة ونصب شأفتهم التى فى استهلاكه دابرهم من اصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة اى اهلاك جماعتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله اى اهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لا يشكون فى هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فما زاد على ان عفا) اى تجاوز عن افعالهم (وصفح) اى واعرض عن اقوالهم (وقال) اى لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا لما فى ضمائرهم واستظهارا لما فى سرائرهم (ما تقولون) اى فيما بينكم او ما تظنون بى (انى فاعل بكم) اى بعد ما ظفرت عليكم (قالوا خيرا) اى نقول قولا خيرا او نظن ظنا خيرا او نفعل خيرا (اخ كريم) اى هو او انت وهو فى معنى العلة اى لانك اخ كريم (وابن اخ كريم) اى فلا يجئ من مثلك الا ما يوجب الكرم والعفو عمن ظلم (فقال اقول) اى فى جواب قولكم (كما قال اخى يوسف) اى لاخوته فانا مقتدى بالانبياء العقلاء لا بالاغبياء الجهلاء (لا تثريب) لا تعيير ولا توبيخ ولا تعييب (عليكم اليوم) اى هذا الوقت الذى ظهر فضلى لديكم او لا اذكر لكم الذنب فى هذا اليوم الذى محله التثريب فما ظنكم بغيره من الزمان البعيد او القريب واما ما جوزه التلمسانى من الوقف على عليكم وجعل اليوم ظرفا لما بعده ففى غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) اى ما فرط منكم وظهر عنكم (الآية) اى وهو ارحم الراحمين وانما رحمتى اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما فى الحديث الشريف انا رحمة مهداة اى رحمة لكم ومهداة اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدودا جمع طليق بمعنى مطلوق وهو

الاسير يخلى عن سبيله اى الخلصاء من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتى باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائى وابن زنجويه وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انت اولى الناس بالعفو ومن منا من لم يعادك ويؤذك ونحن فى جاهلية لا ندرى ما نأخذ ولا ما ندع حتى هدانا الله بك وانقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداك ابى وامى وقد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف اى اهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمسانى وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتى الباب وقال ماذا ترون انى صانع بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم ملكت فاسجح فقال انى اقول لكم كما قال اخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية وقال انتم الطلقاء ولكم اموالكم قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام (وقال انس) كما رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو اقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة اميال منها وقيل اربعة وهو من جهة المدينة والشأم سمى بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادى نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) اى نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بغتة وغفلة (فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف ايديهم) اى كفار مكة (عنكم وايديكم عنهم الآية) وهى ببطن مكة اى داخلها او قريبا منها من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم وغلبكم فهزمتهم وادخلتهم بطنها وذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة او كان يوم فتح مكة وبه اخذ ابو حنيفة ان مكة فتحت عنوة ولا ينافيه ما ذكر من ان السورة نزلت قبله اذ هى من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لابى سفيان) اى ابن صخر بن حرب بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا واعطاه من غنائمها مائة واربعين اوقية وزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد ابى جهل اسلم يوم الفتح ونزل المدينة سنة احدى وثلاثين ودفن فى البقيع (وقد سيق اليه) اى جئ به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال صاحبها والمعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة (بعد ان جلب) اى ساق (اليه الاحزاب) وهى جموع مجتمعة للحرب من قبائل متفرقة والمعنى بعد كثرة قبائحه وجملة فضائحه منها انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم واتى اهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم اهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار اربعين يوما (وقتل عمه) اى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من جملة عسكره ثم اسلم (واصحابه) اى وقتل سائر اصحابه مجازا قيل هم سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل مجموع القتلى سبعون اربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبد الله بن جحش الاسدى وباقيهم من الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلثة اى امر ان يفعل بهم المثلة او تسبب بها على وجه المبالغة من قطع انف واذن ومذاكير وسائر اطرافهم والممثلة بحمزة زوجته هند بنت عتبة لقتل حمزة اباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن ابى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى قيل والذى فعل المثلة هند ومن معها من النسوة وقال البغوى فى تفسيره لم يبق احد من قتلى احد الا مثل به غير حنظلة بن راهب فان اباه عامر الراهب كان مع ابى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) اى مع هذا كله وجميع ما صدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) اى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك يا ابا سفيان) اى ترحما له وتوجعا عليه اذ لم يؤمن به بعد ولم يسلم على يديه قيل ويح كلمة ترحم ان وقع فى هلكة لا يستحقها وقيل ويح باب رحمة وويل باب هلكة وويس استصغار (الم يأن) من انى يانى اى جاء اناه اى الم يقرب الوقت (لك ان تعلم) اى علما يقينا (وتشهد ان لا اله الا الله) اى توحده حق توحيده الموجب للعلم بحقية رسوله (فقال) اى ابو سفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة صلته وقوة كرمه (بابى انت وامى) اى افديك بهما (ما احلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ما اجملك من الجمال فيكون بمعنى التجمل كما ان الاول بمعنى التحمل (واوصلك) اى ما اكثر رحمك على رحمك او ما اكثر عطاءك لاعدائك (واكرمك) اى ما اكثر كرمك على من اساء اليك وخالف عليك وابعد الدلجى فى قوله واكرمك عند ربك حيث لا يلائم المقام كما لا يخفى على ذوى المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابعد الناس غضبا) اى عليهم (واسرعهم رضى) اى اعطفا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى وفى الحديث جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون

اعدآءكم وهذا آخره والله اعلم ومما يناسب الباب ماذكره التلمسانى فى شرح الكتاب انه قيل لايكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة بن صوحان فقال صف لى الناس فقال خلق الله الناس اصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويجلبون الغلاء ويضيقون الطريق فى البناء والصحراء (فصل) (واما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) اى فى اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الراء وتشدد وقيل فرق بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا اى فصل وميز (بينها) اى بين معانى الالفاظ المتقدمة (بفروق) اى دقيقة (فجعلوا) اى هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) اى بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الظاء اى يجل (خطره) بفتحتين ويسكن الثانى اى قدره (ونفعه) اى يكثر الانتفاع به فلا يطلق على ما يحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) اى الكرم (ايضا حرية) اى من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وفى بعض النسخ جرءة بضم جيم وسكون راء فهمزة ولعل وجهه تلازم السخاوة والشجاعة فان احدهما بذل الروح والآخر بذل المال والاول اقوى كما لا يخفى على ارباب الكمال قال التلمسانى وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هى ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده اخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح نون فذال معجمة اى الرذالة والسفالة وما احسن هذه المقالة

اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر

وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم انما هو عطاء ابتداء من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء (والسماحة التجافى) بنصبهما عطفا على مفعولى جعلوا ويجوز رفعهما اى والسماحة هى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) اى من اداء عين او قضاء دين (بطيب نفس) اى بلطافة نفاسته (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمال ما بعد الالف اى صعوبة الخلق والمضايقة وفى التنزيل متشاكسون اى مختلفون متعسرون هذا وفيه ان بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهى المساهلة فى المعاملة كما ورد رحم الله من سمح فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وفى حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) اى على الاقارب والاجانب والفقير والغنى وسائر المراتب (وتجنب اكتساب ما لا يحمد) بصيغة المجهول اى تبعد اقتناء ما لا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه فى الاغلب الاعم (وهو الجود) اى مرادفه من غير اعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود ونفى الوجود وقد يقال من اعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن اعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود ومالديك قليل

(وهو) اى السخاء الذى بمعنى الجود (ضد التقتير) اى التضييق فى الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف فى الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فانظر فيه بعين الانصاف ولا تدخل فى حد الاعتساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى) بصيغة المفعول مهموزا او مسهلا من ازنه واجاز بعضهم وازنه اى لا يقاوم ولا يقابل ولا يماثل بواحد (فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والراء اى لا يعارض فى هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرهما من الاحوال السعيدة كما اشار الى هذه الزبدة صاحب البردة بقوله

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(بهذا) اى بما ذكر وامثاله (وصفه) اى نعته (كل من عرفه) اى معرفة مشاهدة ومعاينة او معرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذى رواه بسنده عن البخارى وقد رواه ايضا غيره (حدثنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (حدثنا ابو ذر الهروى حدثنا ابو الهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية فمثلثة (الكشميهنى) بضم فسكون شين معجمة وفتح ميم وتكسر وسكون ياء ففتح هاء (وابو محمد) واسمه عبد الله بن احمد بن حمويه (السرخسى) بفتح راء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمسانى بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وابو اسحق البلخى) وهو المشهور بالمستملى (قالوا) اى المشايخ الثلاثة

(حدثنا ابو عبد الله الفربرى) بكسر فاء وفتح راء وسكون موحدة وقال المصنف يجوز فتح الراء وكسرها قال الحازمى والفتح افصح قيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخارى) اى امام المحدثين (حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة العبدى البصرى (حدثنا سفيان) المراد به الثورى ههنا ثم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعى جليل (سمعت جابر بن عبد الله) اى الانصارى رضى الله تعالى عنهما (يقول) اى كما رواه البخارى فى الادب عنه ومسلم فى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذى فى شمائله (ما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا) اى عن شئ كما فى اصل التلمسانى والمراد شيأ من باب العطاء (فقال لا) اى لا اعطى والمعنى ما سأله احد من متاع الدنيا شيأ فمنعه بل كان يعطى او يعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا اجد ما احملكم عليه اى الآن وارجو فى مستقبل الزمان وروى فى كتاب اخبار الخلفاء فى اخبار الظرفاء عن انس رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال لا تزال مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى ارزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وحديث اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض ارباب الكمال

ما قال لا قط الا فى تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم

وقال آخر

فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(وعن انس وسهل بن سعد) هو الساعدى الانصارى (مثله) اى نحوه فى المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اجود الناس بالخير) اى بكل ما ينفعهم فى دنياهم واخراهم وقد سقط لفظ بالخير من اصل الدلجى فقدر بكل ما ينفع وقرر انه حذف للتعميم او لفوات احصائه كثرة (واجود ما كان) بالنصب عطفا على قبله وما مصدرية اى وكان اجود اكوانه باعتبار اختلاف زمانه حاصلا (فى شهر رمضان) فهو حال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله فى اهل بلاده وقال النووى يجوز فى اجود الرفع والنصب والرفع اصح واشهر وفيه نظر اذ جاء فى الصحيح خلافه بالتصريح وكان اجود ما يكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفى شهر رمضان خبر واما القول بضمير الشان فى كان فلا محوج اليه ولا معول عليه (وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير) اى بجميع انواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول اى فى عموم المنفعة والسرعة على ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووى وفيه الحث على الجود والزيادة فى رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة اهل الفضل وزيارتهم وتكريرها ما لم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة وسيما فى رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القرآءة افضل من التسبيح والاذكار (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان بن امية الجمحى القرشى اسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما اعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما افاء الله عليه واكثر قال اشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبى فاسلم يومئذ اخرج له مسلم والاربعة واحمد فى مسنده ومات بمكة فى خلافة معاوية (سأله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من العطاء (فاعطاه غنما) اى قطيعة غنم والمراد غنما كثيرا ابلا وابا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه او صار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين اخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) اى حاجة ابد اكرم نفسه وشرف طبعه وتوكله على رزق ربه (واعطى غير واحد) اى كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابى سفيان بن حرب وابنيه معوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم اربعين اوقية وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وغيرهم (واعطى) كما رواه مسلم (صفوان) اى ابن امية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) اى فى وقت واحد او فى ازمنة متعددة (وهذه) اى الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفى نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) ايضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل فى اصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والراء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضى الله عنها وكان تنصر واختلف فى اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام اى الثقيل من العيال واليتيم ومن لا قدرة له من ضعيف الحال اى فيما بين قومه وفى التنزيل وهو كل على مولاه اى ثقيل فى المؤونة ضعيف

فى الصنعة (وتكسب) بفتح اوله وبضم وتكسر السين (المعدوم) بالواو فى النسخ المعتبرة الحاضرة قال النووى فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجى وتكسب هنا بضم اوله والمعدم بدون واو اى المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على تحصيلهما والذى رواه مسلم والبخارى انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها بزيادة اللام فى خيران والواو فى مفعول تكسب انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح اوله اكثر الروايات واصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى لازم ومتعد وروى بضم اوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم اى تعطيه واختاره النووى وقيل تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وانكر الفراء وغيره اكسب فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وانشد فاكسبنى مالا واكسبته حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب او الرجل المحتاج وسمى معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (وردّ على هوازن) وهى قبيلة معروفة (سباياها) اى اسراها (وكانت) وفى نسخة صحيحة وكانوا (ستة الاف) اى من النساء والذرية ورد عليهم ايضا من الاموال اربعة وعشرون الفا من الابل واكثر من اربعين الفا من الغنم واربعة آلاف اوقية من فضة والاوقية اربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة الف الف ومن جملة جوده اعطاؤه مال جزية البحرين فى يومه وكان مقداره مائة الف وثمانين الف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمى (واعطى العباس) على ما رواه البخارى عن انس تعليقا انه اعطاه (من الذهب ما لم يطق حمله) من الاطاقة اى شيأ لم يقدر على حمله وحده مع قوة تحمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول اى اتى اليه (تسعون الف درهم) على ما رواه ابو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول اى فسكبت ونشرت (على حصير) اى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى نسخة فقسمها (فما رد سائلا) اى ممن جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) اى من قسمتها وهو غاية لقوله قام او يقسمها وابعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الحلبى هذا الرجل لا اعرفه (فسأله) اى شيأ معينا او مقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) اى مما عينت او على قدر ما بينت (ولكن ابتع علىّ) امر من الابتياع بياء موحدة ثم مثناة فوقية اى اشتر واستلف مقدار ما تختار حوالة علىّ فالمفعول محذوف وقال التلمسانى اى اعدد علىّ او احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة وليست عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) اى من عند الله (شئ) اى مما اولاه (قضيناه) اى حكمنا به لك او اديناه عنك (فقال له عمر) اى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله ما لا تقدر عليه) اى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يعتريه من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مامور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهما قالا له والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس السائل حيث قال فى الاحياء فقال الرجل (يا رسول الله انفق) اى بلالا (ولا تخش) اى لا تخف كما فى نسخة (من ذى العرش اقلالا) اى تقليلا فان الملك كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتجليلا (فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى انشراحا ممن تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول اى وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور (فى وجهه) اى بتهلله واشراق خده ولله در القائل

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله

(وقال بهذا امرت) اى بهذا الكرم امرنى ربى قبل ذلك او جاءنى جبريل على وفق ما هنالك (ذكره الترمذى) اى فى شمائله وذكر ابن قتيبة فى كتاب مشكل الحديث ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجئ به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذى العرش اقلالا قال والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفى نسخة على بناء الفاعل اى وذكر الترمذى فى شمائله ايضا (عن معوّذ) بكسر الواو المشددة وتفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفراء) بفتح عين وسكون فاء فراء ممدودا اسم امه وهى من المبايعات تحت الشجرة واما اسم ابيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجارى الانصارى (قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع) بكسر قاف وفتح نون (من رطب) وفى اصل الدلجى بالاضافة من غير من (يريد) اى يعنى الراوى بقوله قناع (طبقا) بفتحتين اى وعاء مما يؤكل عليه واما قول الحجازى صوابه بالمثناة الفوقية فى الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور فى المتن بل معوذ لا غير ولا

يجوز

يجوز تغيير التصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ او الى الراوى بالمعنى الاعم والله تعالى اعلم (واجر) بفتح همز وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر اشهر اى قثاء صغار (زغب) بضم زاى وسكون غين معجمة جمع ازغب اى ذوات زغب اى صغار الريش اول ما يطلع شبه به ما على القثاء من الزغب وضبط فى حاشية بفتح الزاى والغين المعجمة ويعنى بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ما ذكره الجوهرى وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذ القثاء اللطاف لا تخلو عن شئ يكون عليها شبه الزغب (يريد) اى يعنى باجر زغب (قثاء) اى موصوفا بما ذكر وهو بكسر القاف ويضم ممدودا (فاعطانى) اى لاجل بدله او مما كان عنده فى نظيره (ملئ كفه) وفى رواية ملئ يديه وفى رواية ملئ يدى وفى اخرى كفى (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلىّ ووزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء ايضا حمزة والكسائى للاتباع وفى نسخة بضم فكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلى ما يصاغ ولو من الفضة وغيرها قال الدلجى كذا هنا من رواية معوذ بن عفراء والذى فى مسند احمد وشمائل الترمذى بسند جيد عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثنى معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه اجر زغب من قثاء وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فاتيت بها وعنده حلية قدمت عليه من البحرين فملأ يده فاعطانى وللترمذى فاتيته بقناع من رطب واجر زغب فاعطانى ملئ كفيه حليا او ذهبا وابوها معوذ قتل يبدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال انس رضى الله عنه) اى فيما رواه الترمذى (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ اصله لا يذتخر (شيأ لغد) اى لا يؤخر لمستقبله من الزمان شيأ من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه ونفقته بربه او المعنى لا يدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) اى الاخبار الواردة المؤذنة (بجوده وكرمه) اى بناء على اثر نور وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) اى فلا يمكن احصاؤه ولا يتصور استقصاؤه (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) لا يعرف من رواه عنه (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله) اى شيأ من العطاء (فاستلف) اى فاستسلف له كما فى نسخة والمعنى اخذ السلف واستقرض من رجل لاجله (نصف وسق) وهو بفتح الواو ويكسر وسكون السين ستون صاعا والنصف مثلث النون والكسر اشهر (فجاء الرجل) اى رب الدين (يتقاضاه) اى يطالبه بوفائه (فاعطاه وسقا) اى بكماله (وقال نصفه قضاء) اى وفاء (ونصفه نائل) اى عطاء ثم اعلم ان فى بعض النسخ هنا زيادة لا تخلو عن افادة وهى قوله وقال ابو على الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم فى الفتوة وهى غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم فى الفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد فى القيامة يقول نفسى نفسى وهو يقول امتى امتى انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت فى رواياتنا فى هذا الموضع من الشفاء وقال التلمسانى وقد ثبتت هذه الزيادة ايضا ملحقة بخط العراقى فى الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبى هذا فى بعض النسخ ثابت وابو على المذكور هو الحسن بن على بن محمد بن اسحق بن عبد الرحيم بن احمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابى القاسم القشيرى تفقه على الحصرى واعاد على القفال المروزى فى درس الحصرى ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره توفى فى ذى الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اكرم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكى فى الطبقات

(فصل)

(واما الشجاعة) بفتح اولها معروفة (والنجدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقالة الجوهرى وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) اى زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) اى لتقع على ما ينبغى من النعوت الآدمية وهو احتراز عن الصفة السبعية البهيمية ولا بد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) اى وثوقها بربها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) اى اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) اى حال تثبتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختياره الى حد فنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) اى عقلا ونقلا (دون خوف) اى من غير خوف لها يمنعها عما هى بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لانها غيرها فى اصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) اى من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) اى بالمحل (الذى لا يجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون اى الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) اى هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد اى شجاع مكمى فى سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كانه جمع كام ككاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه او الثانى

ابلغ والمعنى ولوامدبرين (عنه) اى عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غيرمرة) اى مرات كثيرة وان كان قصد
بعضهم الكرة بعد الفرة (وهو ثابت) اى بقلبه وقدمه (لايبرح) بفتح الباء والراء اى لايزول عن مكانه (ومقبل)
على شانئه وشأنه بكمال الاقبال (لايدبر) اى لاينوى الادبار ولا التحول والانتقال (ولايتزحزح) اى ولا يتبعد
عن مواجهة الكفار والجمل المنفية احوال مؤكدة لماقبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته واقباله على اعدائه
(ومانشجاع) بتثليث اوله والضم اشهر اى ماوجد احد شجيع من شجعان العرب والعجم (الاوقداحصيت له فرة) على
صيغة المجهول اى ضبطت له ولومرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو اى تردد
ونفرة (سواه) اى غيره صلى الله عليه وسلم وعدم الفرار الكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا ابو على الحيانى) بفتح
الحاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغسانى وقيل بكسر الجيم والظاهر انه تصحيف
(فيما كتب لى) اى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين
مهملة وتخفيف راء بعدها الف فجيم (حدثنا ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى ايضا نسبة
الى بلد بالمغرب (حدثنا ابو زيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسماعيل)
اى الامام البخارى (حدثنا ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشددا العبدى مولاهم قال ابوداود وكتبت عنه خمسين
الف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فراء هذلى بصرى وهو
منصرف (حدثنا شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (عن ابى اسحق) اى السبيعى الهمدانى الكوفى
تابعى جليل روى عنه السفيانان وابوبكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية
وقد غزا عشر مرات وكان صواما قواما (سمع البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء وهو ابن عازب رضى الله عنهما (سأله
رجل) لايعرف (افررتم يوم حنين) وهو واد بين مكة والطائف وتصحف حنين على التلمسانى بخيبر ولذا قال وكانت
غزوة حنين فى السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن ابى طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع فى صحيح البخارى فى
غزوة الفتح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان الى حنين وقد تقدم
انها كانت فى شوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى افررتم يوم حنين معرضين (عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى نعم كما فى نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز كسرها لكسر ما قبلها وقال التلمسانى انما لم
يجبه ببلى او نعم لان موجب لا قد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها اذا اصباح وقد تفرقوا لحوائجهم ولم يعلموا
ان للعدو كمينا فكان جولة وليس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى
ثم فى هذا الاستدراك دفع توهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله ما فر قط بل الاجماع قاض
بتحريم اعتقاد فراره وهذا الحديث اخرجه البخارى فى الجهاد ومسلم فى المغازى والنسائى فى السير وهو كما فى
الاصل بناء على ما فى بعض الطرق وفى بعضها افررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذه
الرواية قال النووى ما نصه هذا الجواب الذى اجاب به البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام افررتم كلكم فيقتضى
انه عليه الصلاة والسلام وافقهم فى ذلك قال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من اصحابه
جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) اى البراء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا فى الصحيحين وفى مسلم انها التى اهداها له
فروة بن نفاثة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفى رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هى التى تسمى
الدلدل وكذا سماها النووى فى شرح مسلم فى غزوة حنين وقال قال العلماء لا يعرف له صلى الله عليه وسلم بغلة سواها
انتهى وذكر الحلبى ان فروة بن نفاثة اهدى فضة والمقوقس اهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست
بغلات وقيل سبع (وابوسفيان) اى ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان رضيعه صلى الله عليه وسلم ارضعتهما حليمة
وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان ابعدهم عنه بعدها ثم اسلم يوم الفتح بالابواء موضع بطريق مكة ومات سنة عشرين
بالمدينة (آخذ بلجامها) زاد البرقانى والعباس رضى الله عنه اخذان بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو
شفقة منهما عليه بمقتضى البشرية وان علما مرتبة عصمته النبوية وسيأتى رواية اخرى فى هذا المعنى مع اختلاف
فى المبنى وفى ركوب البغلة حال الغزوة ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة وكيف لا وهو يقول اللهم بك
اصول وبك اجول (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية واما قول الدلجى وضع فيها مبتدأها موضع
المضمر اى وهو يقول فغفلة منه عن المنقول اذ لو اتى بالضمير لتوهم رجعه الى اقرب المذكور وهو ابوسفيان المسطور
(انا النبى لا كذب) بسكون الباء للوزن او السجع وهو الرواية على ما ذكره المازرى وضبط فى بعض النسخ بفتح الباء

على اصله فى البناء وقد ورد على زنة منهوك الرجز وهو ليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا ثم لا يسمى الكلام شعرا
ما لم يقصد بوزنه الشعر ومنه ما جاء فى التنزيل ثم اقررتم وانتم تشهدون ثم انتم هؤلاء تقتلون وامثال ذلك واما قول
الدلجى من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب افصح الخلق الى النطق بغير فصيح وغير صحيح لان فتح الباء
كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الا وقفا سواء اريد به نظم او سجع والمعنى انا النبى صدقا لا افر اذا القيت
العدو وحقا وروى بلا كذب بزيادة الباء ولعله حينئذ بحفف ياء النبى والمعنى لا كذب فى النبوة لظهور المعجزة
اولا كذب فى النصرة اولا كذب فى النبوة لانها حق وما وعده ربه صدق (وزاد غيره) اى غير البراء (انا ابن عبد المطلب)
وهو بسكون الباء مع انها فى اصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر اراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه
لجده لاشتهاره به لموت ابيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافى هذا نهيه عن الافتخار بالاباء الكفار
اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا واعلاما بانه ما ولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه اهل دينه (فيل
فمارؤى) بصيغة المجهول ويقال فما ريئ بالنقل والبدل اى ما ابصر (يومئذ) اى يوم حنين (احد) كان (اشد منه)
اى اقوى قلبا واشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البراء باسناده المتصل الى مسلم
على ما سبق ورواه محمد بن اسماعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسحق وزاد فما رؤى من الناس يومئذ
اشد منه ورواه ابو زكريا عن ابى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لا يخفى (وقال غيره) اى غير البراء اوغير قائل
هذا القيل (نزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال نعته فى قضية شجاعته قال البغوى
فى حديثه المسند الى مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبراء يا ابا عمارة افررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما
رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء
وابو سفيان بن الحارث يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم
عن العباس رضى الله عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر الفا او اثنا عشر الفا او عشرة آلاف على اختلاف
(والكفار) وهم اربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ اكثر ما كانوا قط حتى قال رجل من الانصار
لن نغلب اليوم عن قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم كما اشار اليه سبحانه بقوله تعالى ولقد نصركم الله فى مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا
قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف
المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) اى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم قال الكلبى كان حول
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم غير العباس وابى سفيان وايمن ابن ام ايمن فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(فطفق) بكسر الفاء وبفتح اى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) اى يحركها
ويدفعها الى صوبهم واصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وانا آخذ بلجامها) جملة حالية
(اكفها) حال اخرى او استئناف بيان (ارادة ان لا تسرع) بنصب الارادة على العلة للجملة السابقة اى امنعها من
اجل ان لا تعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وابو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما
كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الاخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) ابو سفيان او النبى صلى الله عليه وسلم
او العباس على الالتفات (ياللمسلمين) بفتح اللام الاولى اى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح اى انظر الحديث
او طالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى عباس ناد اصحاب
السمرة فقال العباس رضى الله عنه وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى اين اصحاب السمرة قال فوالله لكأن
عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار ثم اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته
فما زلت ارى احدهم كليلا وامرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا
قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم
فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعيد بن جبير امد الله
نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وانزل جنودا لم تروها (وقيل) اى روى كما فى حديث ابن ابى هالة

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله (لم يقم لغضبه شئ) اى ما يدفعه عنه ويمنعه منه كما قال على كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرف احدا ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمى (ما رأيت اشجع ولا انجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ما قبلها ولا يبعد ان المراد بالجمع بينهما المبالغة فى وصف زيادة الشجاعة (ولا اجود) اى لا اسخى (ولا ارضى) اى باليسير فهو من باب القناعة او ولا اسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا ادوم رضى (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وضبط الدلجى ولا احوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ اى اجمع وهو مما استعمل بلا اعلال اى ما رأيت احوذيا اجمع لاموره لا يشذ عليه منها شئ متمكنا منها حسن السياق لها منه صلى الله عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضى الله تعالى عنها تصف عمر كان والله احوذيا نسيج وحده اى متمكنا فى اموره حسن السياق لها انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى بل وتحريف فى المعنى لان الاحوذى ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذى الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها لا يشذ عليه شئ كالحويذ واحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح اخفه انتهى وقوله احوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على اصله من غير اعلاله واما افعل سواء كان وصفا او تفضيلا فلا يعل كاسود واجود (وقال على كرم الله وجهه) كما رواه احمد والنسائى والطبرانى والبيهقى (وانا كنا اذا حمى البأس) بهمز ويلين ومعناه ما فى قوله (ويروى اشتد البأس) واما ما وقع فى اصل الدلجى اذا حمى الوطيس فلا اصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها وبياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اما ترى الى انتفاخ اوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه) اى تحفظنا به واتخذناه وقاية لنا من عدونا واعل اتقى بقلب واوه ياء لكسر ما قبلها ثم تاء وادغمت (ولقد رأيتنى) اى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر) اى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) اى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك اعوذ وبك الوذ وفى اصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم وفسره بنستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو اقربنا الى العدو) اى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم اقرب منا الى عدونا وهو تصريح بما سبق من تلويح (وكان من اشد الناس يومئذ) اى وقت البأس وشدة الحرب او يوم حنين (بأسا) اى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل اشدهم مطلقا كما لا يخفى وما احسن من قال من ارباب الحال

له وجه الهلال لنصف شهر ✻ واجفان مكحلة بسحر
فعند الابتسام كليل بدر ✻ وعند الانتقام كيوم بدر

(وقيل كان الشجاع) اى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) اى قاربوا (لقربه منه) اى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن انس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله عليه وسلم احسن الناس) اى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (واجود الناس) اى سخاوة وكرامة (واشجع الناس) اى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (اهل المدينة ليلة) اى خافوا تبييت العدو ولما سمعوا صوتا اجنبيا فى ناحية من نواحى المدينة ولا حاجة الى قول الدلجى من ان الفزع هو فى الاصل الخوف ثم استعير هاهنا للنصر والاستغاثة (فانطلق ناس) اى ذهب جمع من اهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة اى الى جانبه ونحوه ليتحققوا ما به (فتلقاهم) اى المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) اى منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) اى تعرف حقيقة الاثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمسانى استبرأ استقصى بهمز ويسهل وفيه نظر اذ لا يجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والاظهر من استبرأ اى بحث عن ذلك واستنقى ما بقى هنالك (على فرس) اى حال كونه راكبا على فرس كان (لابى طلحة) وهو احد اصحابه (عرى) بضم فسكون اى لا سرج عليها للاستعجال فى ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما فى الصحيح (والسيف فى عنقه) اى متقلد به (وهو يقول) اى للمقبلين او لاهل المدينة اجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين اى لا تخافوا مكروها يصيبكم (وقال) اى كما رواه ابو الشيخ فى الاخلاق (عمران بن الحصين) وفى نسخة صحيحة حصين الخزاعى وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (ما لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية اى جماعة عظيمة من الجيش (الا كان اول من يضرب) اى يقبل

على ضربهم ويتوجه الى حربهم ولا ينافى هذا ما سبق من انه عليه الصلاة والسلام ما ضرب بيده شيأ قط لا امرأة ولا خادما ولا غيرهما لانه ما من عام الا وخص فالمراد به ما عدا الكفار (ولما رآه ابى بن خلف) على ما رواه ابن سعد والبيهقى وعبد الرزاق مرسلا والواقدى موصولا (يوم احد وهو) اى ابى (يقول اين محمد) سؤال عن مكانه (لا نجوت ان نجا) دعاء على نفسه فاجابه الله فاهلكه ونجى حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ورد البلاء موكل بالمنطق (وقد كان) اى ابى (يقول للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل ذلك (حين افتدى) اى فك نفسه باعطائه الفدية عنها (يوم بدر) متعلق بافتدى وظرف لقوله وهو (عندى فرس) اى عظيمة اسمها العود على ما فى رواية (اعلفها) بفتح همز وكسر لام اى اطعمها من العلف واصل الفرس للانثى وقد يطلق على الذكر (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء ويسكن كيلا يسع ثلاثة آصع (من ذرة) بضم ذال معجمة وتخفيف راء نوع من الحبوب مختص بالدواب وفى النهاية لابن الاثير ان الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وهى اثنا عشر مدا او ثلاثة آصع عند اهل الحجاز واما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا (اقتلك عليها) اى اريد ان اقتلك حال كونى عليها (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انا اقتلك) اى عليها او على غيرها (ان شاء الله) وقد نال هواه بصدق متمناه والاستثناء امتثال لقوله سبحانه وتعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل معترضة بين لما وما دل على جوابها من افادة صدورها فى بدر قبل رؤيته له فى احد (فلما رآه) اى ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم احد شد ابى على فرسه) جواب لما الثانية دال على جواب الاولى كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله ولما جاءهم كتاب الآية والمعنى هنا حمل ابى مستعليا عليها بقوة هكائنة (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعترضه) اى حال بين ابى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) اى يصدونه عنه ويدفعونه منه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لاصحابه (هكذا) اى مشيرا الى جانب ابى (اى خلوا طريقه) اى ابى فان جوابه على والمعنى تنحوا عنه ولا تحولوا بينى وبينه (وتناول الحربة) اى اخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد وتشديد الميم فتاء ابو عمرو بن عتيك الخزرجى الانصارى ابو سعد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين صهيب وكسر بالروحاء فى غزوة بدر فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم احد هذا وقال ابن الاثير فى النهاية ان كعب بن مالك ناوله الحربة ولا منع من الجمع (فانتفض بها) اى حرك بالحربة (انتفاضة) اى تحريكا شديدا او هزا شديدا (تطايروا) من الطيران اى تنحوا وتبعدوا (عنه) اى تفرقوا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او عن ابى والمتفرقون اما المسلمون واقتصر عليه الانطاكى واما المشركون وهو ابلغ وانسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد جمعه شعر بضم فسكون اى كتطاير ذباب احمر او ازرق يقع على الحيوان فيؤذيه اذى شديدا وفى رواية تطاير الشعارير قال صاحب النهاية وفى الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء ويروى الشعارير وقياس واحده شعرور انتهى قال التلمسانى قوله الشعر كهذا بخط القاضى فى الاصل وفى تصحيح ابى العباس العزفى الشعراء (عن ظهر البعير اذا انتفض) اى تحرك البعير تحركا شديدا (ثم استقبله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى توجه الى ابى حتى وصله (فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قيل واصل الهمزتين هاآن وقيل بدلان اى تدحرج وقيل تمايل وفى اصل الدلجى تردى اى سقط (منها) اى من اجل ضربة تلك الحربة (عن فرسه مرارا) لما غشيه من مرارة الالم وحرارة الهم (وقيل بل كسر) اى النبى صلى الله عليه وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن اى واحدا (من اضلاعه) اى عظام احد جوانبه (فرجع الى قريش يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا بأس بك) وفى نسخة عليك (فقال لو كان ما بى) اى لو نزل مثل ما معى من الالم (بجميع الناس لقتلهم) اى صار سببا لقتلهم (اليس قد قال انا اقتلك) اى بقيد ان شاء الله تعالى (والله لو بصق على) اى لو رمى بزاقه على بدنى بقصد قتلى (لقتلنى) اى ابرارا لكلامه واظهارا لمرامه (فمات) اى ابى المسرف فى عمره للاشتغال بكفره (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء ففاء ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة اميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه قبرها وبنى مسجد عليها (فى قفولهم) بضم قاف ففاء اى رجوع الكفار من احد وهو معهم وفى اصل الدلجى من رجوعه (الى مكة) ولا ينافيه ما ذكره البغوى فى تفسيره انه مات بمكة لان سرف من توابعها هذا وقد قال النسفى فى تفسيره ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى وبالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشجع الناس كما اوحى اليه قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار مع ما ورد من اعطائه قوة ثلاثين رجلا ورد بما يقاوم بعض الرجال الا كبعض اصحابه من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم اجمعين بل له من القوة الالهية التى تعجز عنها

القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو الذى يميز النصر انى الذى يقصده هل هو
اكحل الحدقة او ازرقها عند المقابلة وقيل هو الذى يميز كيف امسك عدوه الرمح وقيل هو الذى يأتى عدوه وهو يسير
السير الرفيق الذى يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقبلين اليه نزل عن فرسه وتوسد
حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسألوه عن حالته فى المطاعنة فقال ماضربت قط برمحى الا وانا مميز بين ان اضرب به
قائم السن او منبسطا واتخير حيث اضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقد سبق نزوله عليه الصلاة والسلام فى اثناء
محاربة الاقوام وقال مهلهل فى هذا المرام لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا * واخو الحرب من اطاق النزولا (فصـــل)
(واما الحياء) وهى حالة تعترى من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياء تغير وانكسار يعرض للانسان لخوف
ما يعاب به او يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (والاغضاء) وهو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب
الانطباق فهو دون الاغماض وقد يتوافقان معنى ومنه قوله تعالى الا ان تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق فى على
ابن الحسين

يغضى حياء و يغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم

(فالحياء رقة تعترى وجه الانسان) اى تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة
المفعول اى عند ارادة فعل شئ يتوقع (كراهته) وفى نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة او مشددة (اوما) اى او عند ارادة
فعل شئ (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثانى حياء الاحرار واذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد
فى الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) اى التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته)
اى بسجيته لا بشر يعته اذ المنكر ومشرعا هو الداعى الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من العلم مذموم
على ما فى الرواية الصحيحة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس) اى اقواهم (حياء واكثرهم) بالنصب
(عن العورات) متعلق بقوله (اغضاء) واخر مراعاة للسجع ونصب حياء واغضاء على التمييز وآثر الحياء بالاشدية
لكونه سببا للاغضاء والسبب اقوى من مسببه لكونه منشأه وبعض اثره والعورات بسكون الواو جمع عورة وهى كل
ما يجب ستره اذ الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهى عورة مادامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم
استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه وتعالى ان ذلكم) اى مكثكم فى بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا
(كان يؤذى النبى) اى وانتم ما تدركونه (فيستحيى منكم) اى من اخراجكم (الآية) اى قوله تعالى والله لا يستحيى
من الحق اى من اظهاره فلا يترك بيان اسراره وكفى به شاهد اللعقلاء فى تأديب الثقلاء (حدثنا ابو محمد بن عتاب)
بفتح مهملة وتشديد فوقية وقد تقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه) اى الحديث الآتى (ثنا) اى
حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد) اى التميمى المعروف بابن الطرابلسى قرأ عليه ابو على الغسانى البخارى مرات
(ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون راء وفتح واو فزاى (ثنا
محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة
فدال يقال تصدق بالف الف (ثنا عبد الله) اى ابن المبارك المروزى شيخ خراسان وقال الحلبى ابوه تركى مولى
تاجر وامه خوارزمية وقبره يهيت يزار ويتبرك به (انا) اى اخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) اى ابن ابى عتبة
(مولى انس) اى ابن مالك (يحدث عن ابى سعيد الخدرى) كما فى الصحيحين واخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه
فى الزهد (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة وبالراء والمد
اى حياؤه اشد حياء من البنت العذراء وهى من لم تزل عذرتها اى جلدة بكارتها (فى خدرها) بكسر خاء معجمة
وسكون دال مهملة اى حال كونها فى داخل سترها فانها حينئذ اشد حياء من غيرها وذهابه عنها عادة لمخالطتها
ولذا نزل سكوتها منزلة اذنها فى باب نكاحها ولو مع قابها (وكان اذا كره شيأ عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه
بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لان وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره شيأ كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان
لطيف البشرة) بفتحتين اى رقيق الجلدة العليا اى يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبينة للسابقة (رقيق الظاهر)
تأكيد لما قبله اى يسرع اثر الحياء عليه ولله در القائل

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

او معناه كان لينا سهلا رفيقا سمحا (لا يشافه) اى لا يواجه (احدا بما يكرهه) اى لا يخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا
اولا يخاطبه حاضرا ويؤيده ما سيأتى واصل المشافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه
ومنه حديث كلمه شفاها (حياء وكرم نفس) اى من اجل كثرة حيائه وكرم نفسه فى رضائه وقد وردان الحياء خير كله
ولا يأتى الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه ابو داود (كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم اذا بلغه عن احد ما يكرهه) اى شئ لا يعجبه (لم يقل ما بال فلان) اى حاله وشأنه بتعيين اسمه او وسمه او رسمه (يقول
كذا) اى او يفعل كذا (ولكن يقول) اى منكرا له (ما بال اقوام) بصيغة الجمع لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام
(يصنعون) اى يفعلون (او يقولون) شك من الراوى او اريد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا) اشارة الى ما
انكره (ينهى عنه) اى عما انكره تلويحا (ولا يسمى فاعله) اى تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهى المنكر لا خصوص فاعله
من البشر (وروى انس) كما رواه ابو داود (انه) اى الشأن او النبى عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف
(به اثر صفرة) اى بعينه او علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيأ) اى مشافهة (وكان لا يواجه احدا)
اى لا يقابله (بما يكره) اى حياء (فلما خرج) اى الرجل (قال) اى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذى به
لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر او التقدير ان يغسل (ويروى ينزعها) بكسر الزاى
اى يزيلها او يفسخ المتلطخ بها وانما كرهها لانها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لا غير
فوهم بناء على ما هو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا فانه شرط الفتح
وجود لكن لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة
والاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ما وقع من النوادر لحكمة من ارادة
الزواجر او لبيان الجواز فى الظواهر من حديث سواد بن عمرو قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانا متخلق
فقال ورس ورس حط حط وغشينى بقضيب فى يده الحديث كما اورده المؤلف فى اواخر القسم الثالث والله تعالى اعلم
(قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه وشمائله (لم يكن
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه وشدة صفائه ويروى فحاشا
اى ذا فحش فالصيغة للنسبة لا للمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبائح
(ولا متفحشا) اى متكلفا له ولله دره اذ نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا (ولا سخابا) بتشديد الخاء المعجمة اى ولا صاحب
رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه ويروى فى الاسواق وفيه احتراز
عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القراءة والخطبة ثم السوق اما من قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق
الارزاق اليها (ولا يجزى) بفتح اوله وكسر الزاى وسكون الياء اى ولا يجازى (بالسيئة السيئة) اى الواصلة اليه الحاصلة
منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة او صورة او لانها خلاف الاولى لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة
كما حقق فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيئات الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) اى يمحوها بالباطن (ويصفح) اى يعرض
عن صاحبها بالظاهر او يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيها حق لاحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله
يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) اى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة والسلام
(عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام احد الصحابة الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام
(وعبد الله بن عمرو بن العاص) اى ومن روايته ايضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية
انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين تحفظ
القرءآن والتوراة ولهذا سأله عطاء بن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل
هذا قبل نزول قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه الاكتفاء او ان العسل فيه شفاء
والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده
فى الانباء (انه كان من حيائه لا يثبت) من التثبيت او الاثبات اى لا يشبع (بصره فى وجه احد) اى ناظرا اليه لاستيلاء
الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون او بفتح وتخفيف اى يلوح ولا يصرح ويعرض (عما اضطره الكلام
اليه) اى عن شئ لا بد منه ولا يسعه السكوت عنه (عما يكره) بصيغة الفاعل لا المفعول كما ضبطه الحلبى اى عما
لا يستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتداء بادابه فى نحو او جاء احد منكم من الغائط وقوله تعالى فاتوا حرثكم
أنى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لا يدرى اين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت
على دبره او ذكره او نجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود
بالكناية والا لكان يصرح لينتفى اللبس والوقوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحا به والله اعلم
(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى فى الشمائل (ما رأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط)
اى ابدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها ما استفادت الحياء الا من حياء سيد الاصفياء وفى رواية عنها

مارأيت منه ولارأى منى بحذف المفعول وتريد العورة وهو نهاية المبالغة منها فى باب حيائها حيث حذفت آلة الكناية عنها وفى الحديث ان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ماشئت وانشدوا

اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ماتشاء

فلا والله مافى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

ثم الحياء محمود فيما يجب على الانسان توقيه او يكره له فعله ومذموم فيما يؤدى الى ترك الواجب او السنة

(فصـــل) (واما حسن عشرته) اى معاشرته ومخالطته مع امته ولو لم يكونوا من عشيرته (وآدابه) الادب طبيعى وهو ما جبل عليه الانسان من الاخلاق السنية والاوصاف الرضية وكسبى وهو ما يكتسب من العلوم الدينية والاعمال الاخروية وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس ووهبى وهو حصول العلم اللدنى ومايتعلق به من الكشف الغيبى وهو يجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف اليه وهو الاحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذا قوله (وبسط خلقه) اى نشر اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم ويحمل حسن الخلق هو بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى وكمال الصدق والاتصاف باخلاق الحق (مع اصناف الخلق) اى ليتوصل به الى انقيادهم لدينه (فحيث) بالفاء جواب اما اى فهو بمحل (انتشرت) اى كثرت واشتهرت (به) اى بما ذكر من الامور الثلاثة (الاخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذى فى شمائله (قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلاة والسلام) اى فى جملة مامنحه من الصفات الحميدة والنعوت السعيدة (كان اوسع الناس صدرا) اى لايمل ولا يضجر فى الاحتمال مما يرد عليه من الاحوال واختلاف الخلق فى الاقوال والافعال وفى اصل الدلجى كان اجود الناس صدرا قال اى قلبا وفى رواية اوسع الناس صدرا وقال التلمسانى اجود بخط المؤلف واوسع بتصحيح العرفى انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ماقدمناه وهو الموافق لقوله تعالى الم نشرح لك صدرك وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشرح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد هو نور يقذفه الله فى قلب من يشاء من عباده فسئل هل لذلك من علامة فقال التجافى عن الدنيا والاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (واصدق الناس لهجة) بفتح فسكون ويفتح اى وكان اصدقهم لسانا وبيانا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان الناس هم الصادقون فى الانفاس (والينهم عريكة) اى وكان اسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (واكرمهم عشرة) اى صحبة وخلطة (حدثنا ابو الحسن على بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطى) بفتح فسكون نون (فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة وتشديد موحدة محدث مصر (ثنا ابو محمد) بالتنوين ابدل منه (ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة يعنى به عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق ابن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصرى (ثنا ابن الاعرابى) احد من روى سنن ابى داود عنه (ثنا ابو داود) اى السجستانى صاحب السنن (ثنا هشام) اى ابن خالد بن يزيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) اى الازرق الدمشقى (ومحمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقرى ابو موسى الحافظ روى عنه البخارى ونحوه (قالا) اى كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو احد اعلام الشام روى عنه احمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعى) روى عنه قتادة ويحيى بن ابى كثير شيخاه وهو امام اهل الشام فى زمنه وكان رأسا فى العلم والعبادة واختلف فى بيان نسبته ذكر التلمسانى ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها وروى انه افتى فى سبعين الف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهرى ويحيى ابن ابى كثير وهم من التابعين واويس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر (سمعت يحيى بن ابى كثير) بفتح فكسر مثلثة ابو نصر اليمانى روى عن انس وجابر كليهما مرسلا وعن ابى سلمة وخلق (يقول حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة) بضم زاى فراءين بينهما الف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهو اسعد بالهمز وله اخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) اى ابن عبادة وهو ابو عبد الله الخزرجى وهو صاحب الشرطة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبى وابن ابى يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوى الرأى والدهاء والتقدم وهو ابو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثنى عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس فى وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لوددنا لو نشترى لقيس لحية باموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان اسود اللون توفى بالمدينة فى آخر خلافة معوية (قال زارنا) اى اتانا وواحدا منا (رسول الله صلى الله عليه وسلم) اذ كان من عادته تعهد اصحابه وتفقد احبابه اذ حسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) اى قيس (قصة) اى طويلة (فى آخرها) اى وكان فى آخر تلك القصة قوله (فلما اراد) اى النبى عليه الصلاة والسلام (الانصراف) اى الرجوع الى منزله

وكان قد جاء على رجله قصد الزيادة اجره (قرب) بتشديد الراء اى قدم (له) وفى نسخة اليه (سعد حمارا) اى ليركبه تلطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز اى رحل (عليه) اى فوق الحمار (بقطيفة) اى كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة اى الذى يعملها او يهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ الذهاب الى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تشييع الاكابر الى الجنازة مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) اى لولده (ياقيس اصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء اى كن فى صحبته وخدمته وفى اصل الدلجى اصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لائق به كما فعل فى كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب) اى انت ايضا معى او على دابة اخرى (فابيت) اى امتنعت تادبا معه او حياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) اى فاخترت اهون الامرين واحسن الحكمين والحديث رواه ابو داود فى الادب والنسائى فى اليوم والليلة (وفى رواية اخرى) اى لهما اولاحدهما اولغيرهما (اركب امامى) بفتح اوله اى قدامى (فصاحب الدابة) اى ولو بالقوة (اولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف اى بالركوب فى صدرها لما جاء فى طرق متعددة صاحب الدابة احق بصدرها وفى رواية الا من اذن وفى اصل الدلجى احق بصدرها قال وفى رواية اولى بمقدمها وصنيعه هذا ايضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى من حديث هند بن ابى هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فالف بين قلوبكم وهو لاينافى اسناد التأليف الى الله تعالى فى الآية بل ولو نفى التأليف ايضا فى آية اخرى من قوله تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى او المعنى كان يؤلفهم معه ويتألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ولما ورد المؤمن يالف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف كما رواه احمد فى سنده عن سهل بن سعد ورواه الدارقطنى عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (ولا ينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة اى لا يعمل شيأ مما ينفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لما قبله او المعنى يبشرهم ولا ينفرهم لحديث يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا على مارواه احمد والنسائى وابن ماجه عن انس رضى الله عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفى حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وفى رواية اذا اتاكم الزائر فاكرموه (ويوليه) بتشديد اللام المكسورة اى ويجعله واليا واميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروا لديهم (ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة اى يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) اى يحترز من مكر شرارهم لما ظهر فى آثارهم فورد الحزم سوء الظن على مارواه ابو الشيخ فى الثواب عن على كرم الله وجهه وفى رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن انس رضى الله تعالى عنه (من غير ان يطوى) اى يدفع ويمنع (عن احد منهم بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة وجهه (ولا خلقه) اى ولا طلاقة خلقه وزيادة لا للمبالغة نفيها (يتفقد) وفى نسخة يتعهد (اصحابه) اى يطلبهم ويتجسس احوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطى كل جلسائه) اى جميع من جالسه (نصيبه) اى حظه بسلام او كلام او طلاقة وجه والتفات خدا واشارة وبشارة (لا يحسب) بكسر السين وفتحها اى لايظن (جليسه) اى مجالسه (ان احدا) اى من جلسائه (اكرم عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) اى من ذلك الجليس بحسب حسبانه لما يناله من انواع الالفة واصناف المودة واجناس الكرامة (من جالسه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة (او قاربه لحاجة) اى دينية او اخروية واو للتنويع لا للترديد ومن خبرية لا شرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكى فقال او قاومه اى قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) اى انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على مايريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) اى مجالسه او مقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لا محل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ فى صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الآية (ومن سأله حاجة) اى طلب عطية (لم يرده) بفتح الدال المشددة ويجوز ضمها اضم ماقبلها (الا بها) اى بالحاجة بعينها حيث قدر عليها او بوعد لها وهو معنى قوله (او بميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها او بازالة طلبها فاو على طريقة منع الخلو اى لايخلو حاله اذا سئل عن احدهما اما عطاء ونقدا واما دعاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم وشملهم (بسطه) اى سرور ظاهره

وطيب باطنه جودا ورحمة وحلما وعفوا ومغفرة وسلما اوانبساطه فقوله (وخلقه) تفسير له وعلى الاول تعميم بعد تخصيص (فصار لهم ابا) اى رحمة وشفقة وهو كما جاء فى قرآءة شاذة عند قوله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم مع ان كل نبى اب لامته بل هو افضل واكمل تربية من الاب لولده اذ الاب سبب لايجاده والنبى باعث لامداده واسعاده ويشير اليه قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم (وصاروا) اى الناس كلهم (عنده فى الحق) اى فى مراعاة حقهم بحسن خلقه معهم (سوآء) اى مستوين لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على خلاف التسوية (بهذا) اى بما ذكر من الاوصاف البهية (وصفه ابن ابى هالة) وهو هند ربيبه من خديجة (قال) اى ابن ابى هالة (وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (دآئم البشر) اى متهلل الوجه وهو لا ينافى انه كان كثير الاحزان لاختلاف الظاهر والباطن فى العنوان فانه بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق والحزن من لوازم الانكسار والذل والافتقار (سهل الخلق) اى لا صعبه (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة اى لا شديده (ليس بفظ) اى سيء الخلق فى القول (ولا غليظ) اى فى الفعل قال ابن عباس رضى الله عنه الفظ الغليظ فى القول وغلظ القلب فى الفعل (ولا سخاب) وفى رواية وكذا فى نسخة بالصاد اى كثير الصياح (ولا فحاش) اى ذا الفحش فى قوله وفعله (ولا عياب) مبالغة عائب اى وكان لا يعيب على احد ما يفعله من مباح واذا كان حراما او مكروها نهى عنه من غير تعييب وتعيير بل بقصد تبديل وتغيير قال التلمسانى هو والذى بعده فعال على النسب اى ليس بذى عيب ولا بذى مدح وليسا بفعال مبالغة للزوم بعض الامر ومثله وما ربك بظلام للعبيد اى بذى ظلم والا لزم بعضه قلت ليس هذا نظيرهما لانهما على النسبة يستقيم فى ذى عيب لا فى ذى مدح كما لا يخفى (ولا مداح) مبالغة مادح اى لا يبالغ فى مدح احد بما يؤدى الى اطرآء او لا يمدح طعاما ولا يذمه كما جاء فى رواية لانه كان شاكرا للنعمة لا ناظرا للذة ويؤيده قوله (يتغافل عما لا يشتهى) اى لا يحبه قولا وفعلا مما لا يترتب عليه اثم اصلا (ولا يؤيس) بضم ياء فسكون همز وقد تبدل ففتح باء من الاياس من باب الافعال الذى هو متعد لايئس اللازم من المجرد والضمير فى قوله (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لا ييأس احد من فيض وجوده واثر كرمه وجوده واما تجويز الدلجى كونه مبنيا للفاعل تبعا لبعض المحشين وقوله والمعنى لا يؤيس من نفسه او مما تغافل عنه احدا بتغافله عنه بحيث لا يكون كذلك فهو مخالف لما فى الاصول من صحة المبنى ومناف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل التلمسانى قوله ولا يؤيس منه عطفا على لا يشتهى وقال اى مالم يحضر فى وقته ولم يحصل له فيه شهوة فيتركه ويغفله وان كان مما يمكن حضوره فى وقته ويؤيس هو بضم اوله وسكون الواو ثم همزة مكسورة واليأس هو القنوط اى ما وجده مما يجوز له تناوله من المباح يستعمله ومالم يجده من ذلك لم يكن منه تكلف له قال ويفسر هذا حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان فى اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهيه فان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب الحديث انتهى وما فيه لا يخفى وقال الانطاكى بعد نقله عن الحلبى انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغى ان يجوز بضم اوله ثم بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال ايس منه فلان مثل ايأس وكذا التأييس حكاه الجوهرى انتهى وينبغى ان تكون الدراية تابعة للرواية كما لا يخفى (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) اى سهلت اخلاقك لهم وكثر احتمالك عنهم والتقدير فبرحمة وما مزيدة للتأكيد كذا قالوا ولعلهم ارادوا تأكيد التعظيم المستفاد من تنوين التنكير المفيد للتفخيم ولا يبعد ان يكون ما ابهامية ورحمة تفسيرية والجمع بينهما اوقع للمراتب النفسية فى افادة القضية (ولو كنت فظا) اى سيء الخلق (غليظ القلب) اى قاسيه على الخلق (لانفضوا) اى تفرقوا (من حولك) ولم ينتفعوا بقولك ولم يصيبوا من رحمتك وفضلك وطولك واما بقية الآية وهى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فليست فى نسخ الشفاء وان كان شرحها الدلجى ومزجها بتفسيرها (وقال ادفع بالتى هى احسن الآية) وهى تحتمل قوله تعالى ادفع بالتى هى احسن السيئة واقتصر الدلجى عليها وقد قيل فى معنى هذه الآية ادفع بكلمة التوحيد سيئة الشرك ويؤيده ما بعده من قوله سبحانه وتعالى نحن اعلم بما يصفون وقيل ادفع بالطاعة المعصية اى اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد فى الحديث مضمونه او ادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن اى اصفح عنها وقابلها بالحسنة التى هى احسن مطلقا وان كانت المعاقبة بمثلها حسنة ايضا او باحسن ما يمكن ان يقابل به من الحسنات مالم يؤد ذلك الى المداهنة فى امر الديانات وتمام الآية فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولا شك ان معنى الآية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق فى معاشرة الخلق ويؤيده ما روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه اعرابى فصيح فقال اصغ الى اوصك ثم قال

فى

فحى ذوى الاضغان تسل نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النقل
فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل
فان الذى يؤذيك منه استماعه * كان الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتى هى احسن فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه (وكان) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) اى ولو بعد منزل الداعى ومأواه ولم يكن له مال ولا جاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم وليقتدى به امته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على ما رواه البخارى ايضا رعاية لزيادة المحبة وافادة الوصلة والمودة وتفاديا من المباغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا تحابوا على ما رواه ابو يعلى فى مسنده عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وفى رواية احمد عنه تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر اى غشه (ولو كانت) اى الهدية وهى فعيلة من الاهدآء (كراعا) بضم اوله وهو مستدق الساق وهو ادون من الذراع واما قول التلمسانى اى ذا كراع ففوّت للمبالغة المطلوبة وروى البيهقى عن انس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة اى الحقد ولو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدى الى كراع لقبلت واو هنا للتقليل كما فى حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد (ويكافى) بكسر الفاء بعدها همز وتسهل اى يجازى (عليها) اى على الهدية واصل المكافأة المماثلة وهو اقل حسن المعاملة وكان يكافى باكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفرآء ولقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها على احد التفاسير فيها من ان المراد بالتحية هى الهدية وفى رواية البخارى ويثيب عليها من الاثابة وهو مطلق المجازاة او المجازاة الحسنى لقوله تعالى فاثابهم الله (قال انس رضى الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) اى بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين ايضا (فما قال لى اف) بفتح الفاء وكسرها وينون الثانى وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروى يقال لكل ما يضجر منه ويستثقل ونقل ابو حيان فيها نحو الاربعين وجها من اللغة فى الارتشاف وقد نظمها السيوطى (قط) اى ابدا فى تلك المدة (وما قال لشىء صنعته) اى فعلته (لم صنعته ولا لشىء تركته) اى ما صنعته (لم تركته) وهذا الحديث كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره الى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة انس رضى الله تعالى عنه وجمال منقبته وجميل ادبه فى خدمته مع صغر سنه لكنها كلها استفادة من بركة ملازمته ومداومة حضرته (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه ابو نعيم فى دلائل النبوة بسند واهى عنها (ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان

تراه اذا ما جئته متهللا * كانك تعطيه الذى انت سائله

(ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته) اى من ازواجه وذريته واقاربه واحبابه (الا قال لبيك) اى تأدبا معهم وتعليما لهم واحضارا لنداء ربه على لسان خلقه وقد ورد ادبنى ربى فاحسن تأديبى على ما رواه ابن السمعانى عن ابن مسعود (وقال جرير بن عبد الله) البجلى اليمنى (ما حجبنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما منعنى عن الدخول عليه (قط) اى ابدا (منذ اسلمت) اى تلطفا معه وتعظيما بجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه (ولا رآنى الا تبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيدا مطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ردآءه اكراما له (وكان يمازح اصحابه) كما ذكره الترمذى فى باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم مع اصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه واذا اريد على شىء من دينه كان الثريا اقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) اى تواضعا (ويحادثهم) اى يخاطبهم ويكالمهم تأنيسا (ويداعب صبيانهم) اى يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك فى القاموس الدعابة بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم اوله اى يقعد صبيانهم (فى حجره) بفتح الحاء وتكسر اى فى حضنه تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) اى اذا كانا معتقين او اذا جاآه وطلباه الى منزل سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكا بخلقه مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه (ويعود المرضى فى اقصى المدينة) اى ولو كانوا فى ابعد منازلها (ويقبل عذر المعتذر) اى ولو كانت اعذاره ليست على تحققها وفى الحديث انه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما ابرزوا من اقوال ظواهرهم ووكل الى الله احوال سرآئرهم (قال انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو داود والترمذى والبيهقى عنه (ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة فى الفم لوضع الفم عند الاذن اى ما جعل احد اذنه محاذيا لفمه ليحادثه

مخافتة (فينحى) من التنحية اى فيبعد (رأسه) وهو فى حكم المستثنى اى الا فيستمر ملقما له اذنه غير منحى عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذى ينحى رأسه) فى محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحى رأسه (وما اخذ احد بيده) اى مصافحة او مبايعة (فيرسل) اى فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر اى الا فيستمر يده فى يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة قرآءة نقيض الاول وفى اصل الدلجى بكسر خاء فذال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها هو وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول اى ولم يبصر حال كونه (مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة اى لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدى جليس له) اى فضلا عن ان يمد رجليه عند احد من جلسائه وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما فى حديث ابن ابى هالة (يبدأ) اى يبتدئ وفى رواية يبدر بضم الدال والراء اى يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة افضل من الفريضة لما فيه من التواضع والتسبب لاداء الواجب والضمير البارز له صلى الله عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول اقرب الى الادب (ويبدأ اصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة فى معنى المصافحة خلافا لما يتوهم من كلام الدلجى ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع او اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمسانى قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقى مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام او من السؤال والكلام ان عرض لهما واما اختطاف اليد فى اثر التلاقى فهو مكروه هذا وزاد الدلجى عن ابى ذر ما لقيته قط الا صافحنى واسنده الى ابى داود وهو ليس بموجود فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) اى كما رواه الدارقطنى فى غريب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر اولم يعلم (قط مادا رجليه) او احداهما (بين اصحابه حتى لا يضيق بهما على احد) وهو كالعلة لتركه مدهما اى كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على احد من جلسائه شفقة عليهم وهو لا ينافى قصد تواضعه وارادة ادبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم اى ولو بلسان الحال تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) اى استئنافا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تتمة حديث سبقها (وربما بسط له) اى فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن حجر الحضرمى ولعل المراد بثوبه رداءه لقوله (ويؤثره) اى يقدمه على نفسه ويفرده (بالوسادة) اى بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) اى كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (ويعزم) اى يؤكد (عليه) اى على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المعذرة (ان ابى) اى امتنع من الجلوس عليها تادبا لتلك الحضرة (ويكنى) بتشديد النون (اصحابه) اى يجعل لهم كنى جمع كنية كابى تراب وابى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما ابو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة لذكره اوثانا ولا لمقره اولاشتهاره به وابعد من قال لتألفه (ويدعوهم باحب اسمائهم) اى تارة او المراد من الاسماء ما يعم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبزهم بما يكرهونه بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) اى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الراء وقول التلمسانى بضم الراء وهم (ولا يقطع على احد حديثه) اى بادخال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يتجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز زمنه ويتعدى الى ما لا يليق به وقال التلمسانى اى يفرط ويكثر والاول هو الاظهر فتدبره (فيقطعه) اى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) اى صريح له او بما يشعله (او قيام) اى بتلويح والاول زجر له والثانى اعراض عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى بانتهاء او قيام (ويروى) اى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلى) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) اى فى اطالة صلاته (وساله عن حاجته) اى دنيوية كانت او اخروية (فاذا فرغ) اى عن قضاء حاجته (عاد الى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم اجد له اصلا (وكان اكثر الناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (واطيبهم نفسا) اى مستبشرا غير عبوس (ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول ويصح كونه للفاعل (قرآن) اى وحى متلو (او يعظ) اى ما لم ينصح الناس ويعلمهم التأديب بالترغيب والترهيب (او يخطب) اى فى المنبر عند الجمع الاكبر فانه حينئذ لم يكن متبسما ولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لما فيه من مقال الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال (قال) اى على ما رواه احمد والترمذى بسند حسن (عبد الله بن الحارث) وهو آخر من توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزء بن عبد الله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبد الحارث اربعة عشر غيره على ما ذكره الحلبى وقال حديثه المذكور هنا اخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهو

فى الشمائل ايضا (ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن انس قال) كما رواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام اهلها (يأتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الغدوة) اى صلاة الصبح (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية اى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فما يؤتى) بصيغة المفعول من اتى يأتى اى ما يجاء (بآنية الا غمس) اى ادخل (يده فيها وربما كان ذلك فى الغدوة الباردة) اى وهو مع ذلك لا يمتنع عما هنالك (يريدون به) اى بغمس يده فيها (التبرك) اى طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفى الحديث المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم اعظم اجرا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم

(فصـــل)

(واما الشفقة) اى الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهى شدة الرحمة (والرحمة) اى المرحمة العامة (لجميع الخلق) اى مؤمنهم وكافرهم وانسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى مماليكهم والحيوانات وسائر الموجودات وفى نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب فى مقام الترتبة لكن الاول اوفق بما جاء فى التنزيل فهو اولى (فقد قال الله تعالى فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كذا فى اكثر النسخ وفى بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ اى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز ان يكون عزيز منقطعا عما بعده والمعنى عزيز الوجود غزير الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ما عنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر اى يضره ولا يهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم اى على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم فى الدنيا والاخرة وقدم ابلغهما رعاية للفاصلة او للتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته فى الاولى والعقبى (وقال وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لانه ارسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) اى بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحدوثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اعطاه) اى من جملة ما فضل به على غيره وما دل على كمال خيره ان الله تعالى اعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من اسمائه) اى نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) وفى قرآءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) اى نقل مثل ما ذكر عن بعضهم (الامام ابو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح راء وكاف منون وقد جمع بلغت تصانيفه فى الاصلين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست واربعمائة (حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشنى) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقرآءتى عليه ثنا امام الحرمين ابو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا وفى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين ثنا ابو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم لشرح مسلم ولد سنة احدى وخمسين واربعمائة سمع جده لامه ابا القاسم القشيرى وتفقه على امام الحرمين ولزمه اربع سنين حدث عنه جماعة وروى عنه ابن عساكر بالاجازة (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام وقد تقدم (ثنا ابراهيم بن سفيان) سبق ذكره (ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو طاهر) روى عن ابن عيينة والشافعى وخلق وعنه مسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه (نا) اى انبأنا وفى نسخة انا بمعنى اخبرنا (ابن وهب) احد الاعلام سمع مالكا وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع (نا) اى انبأنا (يونس) اى ابن زيد الايلى بفتح همزة وسكون تحتية روى عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع الهمز وعدمه (عن ابن شهاب) اى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير اى وذكر ما يدل على انه اراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة ثمان (قال) اى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن امية) تصغير امة (مائة من النعم) بفتحتين اى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لا واحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) اى ثالثة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار ولمن تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال ما نظرت الى قفاء رجل فى الصلاة منذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال ايضا ما فاتتنى التكبيرة الاولى

مذ خمس سنة وكان يسمى حمامة المسجد وكان يتجر فى الزيت (ان صفوان قال والله لقد اعطانى) اى رسول الله (ما اعطانى) اى الذى اعطانيه من المئين (وانه لابغض الخلق الى) الجملة حالية (فمازال يعطينى) اى بعد ذلك (حتى انه) اى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دوآءه من دآء الكفر ذلك المنتج اسلامه اذ الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الدآء وقد رأى ان دآء المؤلفة حب المال والانعام فداواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذا قدم الحديث على السند كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا اخبرنى به فلان ويذكر سنده او قدم بعض الاسناد مع المتن كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لايمنع ذلك الحكم باتصاله ولا يمنع ذلك من روى كذلك اى تحمله من شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه اولا ثم يذكر المتن كما جوزه بعض المتقدمين من اهل الحديث قال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح وينبغى ان يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية على المعنى لاتجوز والجواز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك كذا ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقد روى ابو الشيخ والبزار (ان اعرابيا) وهو غير معروف (جاءه) اى اتى النبى عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيأ) اى من مطالب الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (آحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بانه احسن اليه وانعم عليه (قال الاعرابى لا) اى لا اعطيتنى كثيرا ولا قليلا (ولا اجملت) اى ولا اتيت بالجميل اولا اوصلتنى جميلا حيث لا احسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما اجملت ما كثرت وهو اولى كما لايخفى ولا يبعد من غلظته وجلفته لديه ان اراد بقوله ولا اجملت دعاء عليه ويؤيده قوله (فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان كفوا) اى كفوا اوبان كفوا بضم فتشديد اى امتنعوا عنه وكفوا انفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ودخل منزله) اى للاهتمام (وارسل) وفى نسخة فارسل (اليه وزاده شيأ) اى على ما قدمه عليه (ثم قال آحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) اى بسبب ما احسنت به الى (من اهل وعشيرة خيرا) بالنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص او على الحال اى اخصك من بينهما او حال كونك منهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) اى شيأ عظيما سمعنا قبيحا (وفى انفس اصحابى) اى وفى نفوسهم وفى اصل التلمسانى وفى نفس اصحابى بصيغة المفرد (من ذلك) اى قولك (شئ) اى امر عظيم وخطب جسيم (فان احببت) اى اردت ازالة ذلك (فقل بين ايديهم) اى عندهم (ما) وفى نسخة مثل ما (قلت بين يدى) اى من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى يذهب) اى بقولك لهم ذلك (ما فى صدورهم عليك) اى من الغضب لما صدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم) اى اقول لهم ذلك (فلما كان الغد) اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض (او العشى) بفتح فكسر فتشديد واو لشك الراوى (جاء) اى الاعرابى (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ما قال) اى مما سمعتموه فى اول الحال (فزدناه) اى بعض المال (فزعم انه رضى) اى به عنا (اكذلك) استفهام تقرير اى احق ما نقلته عنك (قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هو الاخص او الاعم والله اعلم (فقال) اى النبى كما فى نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) المثل بفتحتين فى الاصل هو النظير ثم استعمل فى القول السائر الممثل مضربه بمورده اى موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التى ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولا يضرب الا بما فيه غرابة زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع للنفس واقمع للخصم ويريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لكل شأن عجيب وفيه امر غريب من صفة او حال او قصة نحو مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التى وعد المتقون والمعنى هنا شبهى وشبهه العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) اى نفرت وذهبت فى الارض عنه او غلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع او الاتباع اى فتبعوها ليلحقوها (فلم يزيدوها الا نفورا) اى تنفرا منهم وتبعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى) اى اتركونى معها (فانى ارفق بها) اى اشفق عليها (منكم واعلم) اى بحالها وطبعها او طريق اخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهى فى الاصل الكناسة اريد بها هنا ما تلقمه من الارض فتأكله شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها لمشاركة صفته (فردها) اى طمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) اى طلبت

البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها يقال اناخ الجمل فاستناخ اى بركه فبرك (وشد عليها رحالها) اى ربط عليها اقتابها (واستوى عليها) اى استقر عليها جالسا (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل) اى حين قوله (ما قال) اى شيأ قاله اولا (فقتلتموه دخل النار) اى عقوبة له بما ظهر من الكفر فى اساءة ادبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه وباعثا لتوبته فهو ارفق بامته واعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم وبدوآئهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ماروى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبنى فاخرجت حلة من عيبتى فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يارسول الله جمل لى شرود وانا ابتغى له قيدا فمضى وتبعته فالقى على ردآءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال اباعبد الله مافعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما لحقنى قال السلام عليك يا اباعبد الله مافعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك على فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت اصلى فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عنى فقال طول اباعبد الله ماشئت فلست بيارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك اباعبد الله مافعل شراد الجمل فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد ذلك الجمل منذ اسلمت فقال رحمك الله مرتين او ثلاثا ثم لم يعد (وروى عنه) بصيغة المجهول وهو مروى من طريق ابى داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغنى احد منكم) من التبليغ او الابلاغ كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ابلغكم وهو يحتمل النهى والنفى وهو بمعنى النهى كما هو ابلغ اى لا يوصلنى احد منكم بان ينقل (عن احد من اصحابى شيأ) اى مما ينكر فعله من ايهم كان فى اى وقت كان وهذه النكرات وردت فى حيز نفى متوشحة بنهى فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة او حراما بشهادة المقام اذ لا يتعلق نهى بمباح ومأذون فيه (فانى احب ان اخرج) اى من الدنيا (اليكم وانا سليم الصدر) جملة حالية وفيه ايماء الى قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم اى سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن شفقته على امته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) اى عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) اى وتهوينه بما يقوى قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) اى لهم (اشياء مخافة ان تفرض) اى تلك الاشياء (عليهم) ومخافة منصوب على العلة للافعال الثلاثة وفى نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالى اورد لكل ما يناسبه جمعا وتقسيما (كقوله) على مارواه الشيخان (لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء) اى امر وجوب فيؤخذ استحبابه فى كل حال ولو كان للصائم بعد الزوال فان لولا لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى امتنع الامر بالفرضية لوقوع المشقة (وخبر صلاة الليل) بالجر وهو الصحيح وفى نسخة بالرفع على انه مبتدأ خبره يأتى ولعله اراد به مارواه الشيخان فى قيام الليل من خبر خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس احدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لايدرى لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه ومارواه فى حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص حيث قال واما انا فارقد واقوم واصلى ومنعه عن قيام الليل كله وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ليلة فى شهر رمضان فصلى بالقوم عشرين ركعة واجتمع الناس فى الليلة الثانية فخرج وصلى بهم فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس فلم يخرج وقال عرفت اجتماعكم لكن خشيت ان تفرض عليكم (ونهيهم) بالوجهين اى ونهيه اياهم (عن الوصال) كما روياه وهو ان لا يفطر اياما متوالية (وكراهته) اى لاجلهم (دخول الكعبة) اى دخوله فيها على مارواه ابو داود وصححه الترمذى (لئلا يتعب امته) من الاتعاب وهو الايقاع فى التعب والمشقة وفى نسخة لئلا تتعب امته بفتح التاء والعين ورفع امته وفى نسخة صحيحة لئلا يعنت من اعنت غيره اذا اوقعه فى العنت وهو المشقة وفى نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) اى دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة (ان يجعل سبه) اى شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) اى بان دعا عليهم بالطرد والبعد ان صدر شئ منهم لبعضهم او لكلهم (رحمة بهم وانه) ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر اى ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان يسمع بكاء الصبى) اى الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) اى فيقتصر ويخفف (ويتعجل فى صلاته) اى المعقودة للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه) اى سأله (وعاهده) اى واخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة تبعا (سببته او لعنته) ليس او للشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) اى نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) اى ترحمه بها (وصلاة) اى ثناء او عبادة وقال الدلجى عطف تفسير اذ هى منه تعالى رحمة وقال الانطاكى عطف الصلاة على الرحمة وان كانت فى معناها لتغاير اللفظ ولا يخفى ان ما اخترناه هو السديد لان التأسيس اولى من التأكيد (وطهورا)

يتطهر به وجعله الدلجى ايضا من باب التأكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة خلافا لما قدمناه (وقربة) اى وسيلة (تقربه بها اليك يوم القيامة) قال الدلجى انما اعاده لما فيه من الزيادة اقول وكان الاولى للمصنف ان يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان اول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما رجل سببته اولعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مسلما كما جاء فى الحديث كذلك فى بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والا فقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلا شبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه اوسبه اولعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفى باطن الامر ولكنه فى الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مأمور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر (ولما كذبه قومه) اى ومما يدل على كمال شفقته على امته حديث الشيخين انه لما كذبه قريش من كفار مكة (اتاه جبريل) اى تسلية لحاله وتسكينا لتألمه (فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك) اى لاجلك (وماردوا عليك) اى من تكذيب وغيره فى حقك وقيل المعنى وما اجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مسموع الا ان سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى اولا عن التشبيه والتمثيل ثم اثبت ردا على اهل التعطيل (وقد امر ملك الجبال) اى اذنه بالانقياد لك (لتأمره) اى لاجل ان تأمره (بما شئت فيهم) اى فيطيعك فى حقهم (فناداه ملك الجبال) اى فحضره الملك وناداه باسمه او بوصف من اوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرنى بما شئت) اى فى قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت ان اطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة اى اوقع وارمى (عليهم الاخشبين) اى فعلت وفى اصل الدلجى اطبقت وهو الاوفق لكنه مخالف للاصول المصرحة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالخاء والشين المعجمتين فموحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وانشد ابو عبيدة كان فوق منكبيه اخشبا جبلان مطبقان بمكة قيل هما ابو قبيس وقعيقعان او الجبل الاحمر الذى اشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفى اصل الدلجى فقال (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل ارجو) اى لا اريد استئصالهم بل اتوقع (ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده) اى منفردا (ولا يشرك به شيأ) اى شيأ من الاشراك لا جليا ولا خفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتها لها وما ذاك الا لكونه رحمة للعالمين وقد امضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا لهم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعى جليل فالحديث مرسل الا انه ليس مما يقال بالرأى فيكون له حكم الموصول كما قالوا فى موقوف الصحابى بهذا المعنى انه يكون فى حكم المرفوع لا سيما ويعضده الحديث السابق المروى فى الصحيحين والحاصل انه روى (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك) اى باطاعتك (فرها بما شئت فقال اوخر عن امتى) اى العذاب (الذى استحقوه بكفرهم لعل الله ان يتوب عليهم) اى على بعضهم بتوفيق ايمانهم او يخرج مؤمنا من اصلابهم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما) اى اهونهما كما اختار تأخير العذاب عن امته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضى الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطى فى جامعه الصغير برواية الترمذى والحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها بلفظ ما خير بين امرين الا اختار ارشدهما هذا وما احسن ما قيل فى المداراة

ودارهم ما دمت فى دارهم * وارضهم ما دمت فى ارضهم

(وقوله)

مادمت حيا فدار الناس كلهم * فانما انت فى دار المداراة

من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى * عما قليل نديما للندامات

(وقال ابن مسعود) اى فيما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة اى يتعهدنا (بالموعظة) اى بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال ابو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة اى يتحرى الحال التى ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعى يتخوننا

بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهدنا (مخافة السآمة) بهمزة ممدودة اى الملالة (علينا وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا) بفتح اوله ويكسر اى جملا (وفيه صعوبة فجعلت ترده) اى من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) اى الزمى اللطف مع كل شئ فى كل حال والباء زائدة والمعنى استعملى الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق فى شئ الا زانه ولا نزع من شئ الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن انس رضى الله تعالى عنه وفى صحيح مسلم بروايته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ايضا مرفوعا ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لا يكون فى شئ الا زانه ولا ينزع من شئ الا شانه وروى البخارى فى تاريخه عنها ايضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش

(فصل)

(واما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الوفاء) اى القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) اى وفى تعهد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوى القرابة خصوصا (حدثنا القاضى ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراءتى عليه) والقراءة احد وجوه الرواية على اختلاف فى انها الافضل او السماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول فى الاصول (قال حدثنا ابو بكر محمد بن محمد) وفى نسخة ابن احمد (حدثنا ابو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا ابو محمد ابن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابى حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابورى روى عن ابن مهدى وعبد الرزاق وعنه البخارى والاربعة وغيرهم ولا يكاد يفصح البخارى باسمه لما جرى بينهما قال ابو حاتم هو امام اهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر اوله مصروف روى عنه البخارى وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو ابو سعيد الخراسانى يروى عن سماك بن حرب وثابت البنانى وعنه ابن معين وخلق وثقه احمد وابو حاتم وكان من ائمة الاسلام فيه ارجاء اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلى يروى عن انس وجماعة وعنه شعبة وحماد بن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفى نسخة ابى شقيق (عن ابيه) ابوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلى بصرى يروى عن عمر وابى ذر وعنه قتادة وايوب وثقه احمد وغيره (عن عبد الله بن الحمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فالف ممدودة وفى نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبى وقال التلمسانى وهو الاكثر فى الرواية والصواب بالميم وفى نسخة عن ابى الحمساء وابو الحمساء لا اسلام له ولا رواية (قال بايعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) اى بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل ان يبعث) اى بالرسالة (وبقيت له بقية) اما من الثمن او المثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفى نسخة وهى الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) اى اجيئه بالبقية (فى مكانه) اى الذى صدر فيه البيع اوغيره (فنسيت) اى ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) اى ثلاث ليال او ثلاثة ايام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالى بايامها والليل سابق والحكم للسابق وابعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات واغرب التلمسانى بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان الانتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفى نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو فى مكانه) اى مكان وعده (فقال يا فتى لقد اشققت على) اى اوقعت المشقة على وثقلت على (انا هنا منذ ثلاث) يفيد انه ما تحول من مكانه ذلك (انتظرك) اى لتأتينى هنالك وهذا من جملة اخلاق جده اسماعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيأ الا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا ان يقيم مكانه حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسماعيل مكانه ثلاثة ايام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبى انتظره اسماعيل حتى حال عليه الحول (وعن انس رضى الله عنه) كما رواه البخارى فى الادب المفرد (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار الغالبى او لمجرد الربط التركيبى (اذا اتى) اى جيء (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهى هنا لا يعرف من هى (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت تحب خديجة) وهو للتأكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبها ايضا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما غرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ما غرت (على امرأة) اى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ما غرت) اى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها اى لاجل كونى دائما (اسمعه) اى اسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) اى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومغفور فى اخلاقهن لما جبلن عليه وانهن لا يملكن عندها انفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولا رد عليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان ان مخففة من المثقلة اى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام

وهى المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فهديها) بضم الياء اى فيرسل لها هدية (الى خلائلها) جمع خليلة اى صدآئقها لكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه اختها) اى طلبت الاذن فى الاتيان اليه صلى الله تعالى وسلم اخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن اسد ام ابى العاص بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن مندة وابونعيم فى الصحابة (فارتاح لها) وفى نسخة صحيحة اليها اى فقرح بمأتاها واكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) اى اخرى فى وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين معجمة اى فرح بها واستبشر منها (واحسن السؤال عنها) لزيادة الاستئناس بها بسبب طول عهدها (فلما خرجت قال انها كانت تأتينا ايام خديجة) اى فى زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفى الجامع الصغير ان حسن العهد من الايمان رواه الحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا (ووصفه) اى النبى صلى الله عليه وسلم (بعضهم) اى بعض السلف (فقال كان يصل ذوى رحمه) اى يحسن اليهم ويعطف عليهم وان بعدوا عنه اواساؤا اليه (من غير ان يؤثرهم) اى يختارهم ويفضلهم (على من هو افضل منهم) اى من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذى حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فلا يفضل احد بنى هاشم اوغيرهم على عالم من علماء الدين واكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذى ذكره بقوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل ابى فلان) وفى اصل الحجازى ان آل بنى فلان ثم قال وفى بعض النسخ ان آل ابى فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم ان آل بنى فلان غلط بل هو آل ابى فلان والمراد الحكم ابن ابى العاص وقال بعضهم هو ابو العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوى حذرا من آل بنى امية اذ كانوا حينئذ امرآء (ليسوا لى باولياء) وقال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل ابى ليسوا اولياء قال وبعد قوله ابى بياض فى الاصول كأنهم تركوا الاسم تورعا او تقية وعند ابن السكن ان آل ابى فلان كنى عنه بفلان انتهى ولا يخفى ان قوله تورعا لا وجه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل ابى فلان لا يبعد ان يكون كناية مبهمة ليشمل جميع اقاربه وقد يحمل عليه رواية آل ابى من غير فلان اذ الظاهر ان المقصود ليس منحصرا فى جميع قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قوله ليسوا لى باولياء اى حقيقة حتى اواليهم صداقة لقوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقد قال التلمسانى والذى لم يسم ذلك يحتمل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز غيره وهو اولى وراوى الحديث هو عمرو بن العاص وفى بعض الروايات قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل ابى سفيان ليسوا لى باولياء ثم ساق الحديث ومعنى الحديث من كان غير صالح فليس بولى لى وان قرب نسبه منى (غيران لهم) اى لآل ابى فلان (رحما) اى قرابة (سأبلها) بضم موحدة ولام مشددة اى سأصلها واراعيها واقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحدة وفتحها قال البخارى فى صحيحه ببلالها اصح يعنى بكسر الباء قال وبلالها يعنى بفتحها لا اعرف له وجها وسقط كلام البخارى هذا من الاصل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل به الحلق من ماء اولبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها اى اصلها فى الدنيا ولا اغنى عنهم من الله شيأ فى العقبى شبهت قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا ارحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبرانى والبيهقى اى صلوها كما فى رواية (وقد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنة ابنته زينب) اى بنت ابى العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية وفى نسخة صحيحة فجعلها على عاتقه وقال التلمسانى يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح افصح وروى فحملها على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) اى اراد ان يسجد (وضعها) اى على الارض بعمل يسير (واذا قام) اى اراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يشغل ارباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذين لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة كما قال قائلهم

رق الزجاج ورافت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح * وكانما قدح ولا خمر

فالذى ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه عن ربه قطعة من لحمه ولكن هذا مشرب ارباب السرآئر دون مذهب اصحاب الظواهر وقد علم كل اناس معراج مشربهم ولكل طائفة منهاج

مذهبهم قال الخطابى واسناد وضعها وحملها فى كل خفض ورفع فيها اليه مجاز لانه يشغله عن صلاته وانما كانت قد الفته وانست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك قاله الدلجى وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه اذ لا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان فى صلاة نافلة ونقله اشهب عن مالك ورواه النووى بما رواه ابن عيينة عن ابى قتادة قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت ابى العاص على عاتقه وبنصره رواية ابى قال بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة الظهر او العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام فى مصلاه وقمنا خلفه قال النووى وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ بتحريم العمل فى الصلاة بقوله صلى الله عليه وسلم ان فى الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبد الله ابن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد اشق واشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووى وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريحا ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما فى جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه فى معدته وثياب الاطفال واجسادهم على طهارتها وادلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد افاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوأ والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وابو امامة ابو العاص اسر يوم بدر فمن عليه بلا فدآء اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم اسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد او بالنكاح الاول ثم بعد موته تزوجها على بوصاية فاطمة اليه فى ذلك ثم بعد على تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضى الله تعالى عنهن عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها وزينب اكبر بناته صلى الله عليه وسلم قال التلمسانى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اهديت له هدية فيها قلائد من جزع فقال لادفعنها الى احب اهلى فقال النساء ذهبت بها ابنة ابن ابى قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها فى عنقها كما رواه البيهقى (وعن ابى قتادة) وهو انصارى فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد) بفتح الفاء اى قدم (وفد النجاشى) اى جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشى وترجمته (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه وارشادا لامته (فقال له اصحابه نكفيك) اى خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) اى حين هاجروا اليهم ونزلوا عليهم (وانى احب ان اكافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة اى اجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزآء ووفاقا (ولما) اى وحين (جئ باخته من الرضاعة) بفتح الرآء وتكسر وفى نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودة وفى اصل الدلجى بلا ياء وهى رواية ذكرها المحب الطبرى وهى مجرورة بيانا لاخته ويجوز رفعها ونصبها كما هو معلوم فى امثالها عند اربابها قال الحلبى الشيماء فيها قولان هل هى بنت حليمة او اختها قال الحجازى ابوها الحارث ادرك الاسلام واسلم بمكة واسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذامة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم (فى سبايا هوازن) متعلق بجيء اى فى اسارى قبيلة هوازن من بنى سعد بن بكر (وتعرفت له) اى اعلمت باسمها ومكانها واطلعته على شأنها مما وقع له معها فى زمانهما وهو عطف على جيء وجعله الدلجى جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) اجلالا لها واكراما لاجلها ومكافأة لفعلها الذى التى كانت تربيه مع امها حليمة (وقال لها) اى على وجه التخيير (ان احببت اقمت عندى مكرمة) بضم ميم وفتح رآء اى معظمة (محبة) بضم ميم فقتح وتشديد اى محبوبة وفى اصل التلمسانى محببة قال وروى محبة وهما بمعنى والاول اكثر والثانى قليل اغنى عنه محبوبة فى الثلاثى (او متعتك) اى ان كنت تريدين المراجعة اعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) اى رجوعا مستحسنا (فاختارت قومها) لعلمها الضرورة الجائها اليه (فمتعها) اى فزودها واعطاها اشياء تتمتع بها فقيل اعطاها غلاما له اسمه مكحول وجارية فزوجت احدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هى وابواها واخوها بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام ببركته عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى (وقال ابو الطفيل) تصغير طفل وفى نسخة ابن الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكنانى آخر من مات من الصحابة على الاطلاق كان مولده عام احد وتوفى سنة مائة من الهجرة وقد روى اربعة احاديث وكان تفضيليا وقد روى ابو داود

بسند صحيح عنه (رايت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وكان جالسا يوما بالجعرانة يقسم لحما (وانا غلام)
اى حال كونى غير بالغ وقيل الصبى اذا فطم سمى غلاما الى سبع سنين (اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه) اى قربت
ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) اى بامره (فقلت لمن عنده من هذه قالوا امه التى
ارضعته) فقيل هى حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطى لا يعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال المرأة التى بسط
لها رداءه اختها الشيماء وروى ابن عبد البر فى استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفى سيرة مغلطاى وصحح ابن حبان وغيره ما يدل
على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا فى النسخ المصححة المعتبرة عمرو بالواو وقال الحجازى وهو ابن راشد المصرى
مولى بنى زهرة تابعى ذكره الحافظ عبد الغنى فى اكماله فيمن اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزى وقال اسمه عمر بضم العين
قال الحلبى وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو هو يروى عن اسامة بن زيد وجماعة
وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان فى الثقات والحديث رواه ابو داود مرسلا عنه انه بلغه
(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف
فى اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه) اى حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين اى طرفه (من
جانبه الآخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة) وهو عبد الله بن الحارث المذكور على ما هو الظاهر فيهم جميعا
لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع خمس وقيل ثمان (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه
بين يديه) اى تكريما له وتعظيما لوالديه (وكان يبعث) اى يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو
فسكون تحتية فموحدة (مولاة ابى لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها اسلمت (مرضعته)
بالجر بيان او بدل لثويبة (بصلة) اى نفقة (وكسوة) قال التلمسانى بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر
وقرئ بهما فى السبع انتهى ولا نعرف احدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف فى اللغة
(فلما ماتت سأل من بقى من قرابتها فقيل لا احد) اى ما بقى منهم احد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدى عن
غير واحد من اهل العلم وفى الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح
فقيل ماتا (وفى حديث خديجة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم ابشر)
بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة اى استبشر وافرح ولا تحزن (فوالله لا يخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة
وكسر الزاى اى لا يهينك ولا يذلك ولمسلم ايضا لا يحزنك من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاى وبالنون او بضم اوله
وكسر ثالثه كما فى بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما فى السبعة (ابدا) اى دائما سرمدا (انك لتصل الرحم
وتحمل الكل) بفتح فتشديد اى ثقيل الحمل العاجز عن تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) اى تصل كل معدوم
من فقير محروم وفى رواية بضم اوله اى تعطى الناس الشئ المعدوم (وتقرى الضيف) بفتح اوله وكسر الراء اى تطعمهم
(وتعين) اى الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية اشعارا بانها تكون فى الحق والباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

وقال التلمسانى المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضى الله تعالى عنها
انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفى هذا دلالة على ان خصال الخير
سبب السلامة من مصارع السوء (فصـــــل) (واما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو هضم نفسه
من الملكات المورثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد اى مع سمو منزلته (ورفعة رتبته)
اى مرتبته من تمام نبوته ونظام رسالته وفى نسخة رتبه جمع رتبة واغرب الدلجى فى جعل على على صرافته وصرف
عبارته الى تمثيل تمكنه منهما واستقراره عليهما بحال من اعتلى شيأ واقتعد غاربه وغرابته لا تخفى على ارباب الصفاء
(فكان صلى الله تعالى عليه وسلم اشد الناس تواضعا) اى لعظم قدره وكرم امره (واقلهم كبرا) كذا فى الاصول
المصححة ولعله اراد بانه كان يتكبر احيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد
من ان التكبر على المتكبر صدقة وفى اصل الدلجى واعدمهم كبرا وذكر الحجازى انه رواية والمعنى افقدهم وهو يرجع
الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللفظ فيه انه لا يصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودى والحاصل انه بلغ من هذا
المعنى السلبى مبلغا لا يشاركه فيه احد ثم قال وفى نسخة واقلهم كبرا والاولى اجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه
من اصله لكونه فى مقام مدح له انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون انه وصف مصدر محذوف اى ايمانا
قليلا وقيل لا قليلا ولا كثيرا يقال قلما يفعل اى لا يفعل اصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفى حديث النسائى

عن ابن ابى اوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو (وحسبك) مبتدأ خبره الجملة
بعده اى وكافيك (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه احمد والبيهقى (خير بين ان يكون نبيا ملكا)
بكسر اللام اى سلطانا (او نبيا عبدا) اى او ان يكون نبيا عبدا من جملة عباد الله تعالى داخلا فى الرعايا والضعفاء والمسا
كين والفقراء (فاختار ان يكون نبيا عبدا) اى تباعدا عما هو من شأن الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم
والترفع عن الخدمة وتقربا الى ما هو من صفات العبيد من التقلل فى الدنيا والتكثر فى خدمة المولى (فقال له اسرافيل
عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فان الله قد اعطاك بما تواضعت له) اى فى هذا العالم (انك سيد ولد آدم
يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه وكقوله عليه السلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه
ايضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء
رواه الخطيب فى الجامع عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقوله التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم
الله تعالى رواه ابن ابى الدنيا ثم تقييده بقوله يوم القيامة لظهور سيادته فيه عيانا لكل احد كقوله سبحانه وتعالى
لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (واول من تنشق الارض عنه) للبعث (واول شافع) اى يوم القيامة للعامة
او فى الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم انا اول شفيع فى الجنة (حدثنا الفقيه ابو الوليد ابن العواد) بتشديد الواو
(رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه فى منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة)
والمقصود مما ذكره كله كمال استحضاره لروايته عنه (قال حدثنا ابو على الحافظ) اى الغسانى وقد تقدم (حدثنا ابو عمر)
بضم العين وهو يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال
على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبد المؤمن) وهو ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد
المؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا ابو داود) اى صاحب السنن (حدثنا ابو بكر بن ابى شيبة)
صاحب التصانيف الحجة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الفلاس ما رأينا احفظ منه وقال
الذهبى فى الميزان ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى فى الثقة (حدثنا عبد الله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام
ابن عروة والاعمش وعنه احمد وابن معين حجة واخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم وبفتح وبفتح عين وهو ابن
كدام ابو سلمة الهلالى الكوفى اخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان ونحوه وله الف حديث وهو من العباد
القانتين اخرج له الائمة الستة (عن ابى العنبس) بفتح عين فسكون نون فموحدة مفتوحة فسين مهملة (عن ابى
العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن ابى مرزوق) قال ابن حبان لا يجوز
الاحتجاج بما انفرد به (عن ابى غالب) اختلف فى توثيقه (عن ابى امامة) اى الباهلى (قال خرج علينا رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) اى متحملا ومعتمدا (على عصا) اى لعارض من ضعف او مرض (فقمنا له)
اى تعظيما وتكريما (فقال) اى تواضعا (لا تقوموا) اى لى او مطلقا (كما تقوم الاعاجم) اى بطريق الالتزام او على سبيل
الوقوف على الاقدام (يعظم بعضها) اى بعض تلك الجماعة (بعضا) على ما هو دأب الملوك الفخام والاكابر العظام ولا
يعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين اقبل سعد راكبا على الحمار وهو شاكى يحتاج الى استعانة جمع فى
نزوله الى محل القرار وابعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب ان يحمل النهى على التنزيه
او خاص لطائفة العرب لان يستمروا على عاداتهم من غير تكلف فى مقام الادب قال التلمسانى والقيام اربعة اقسام
فمحظوره القيام لمن يحب ان يقام له ومكروهه القيام لمن لا يحب ان يقام له ومجازه القيام للعالم المتواضع وحسنه
القيام للقادم من سفر وانما خشى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم ان يتخذوه سنة وكان لا يحب التشبه باهل
الضلالة (وقال) اى تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما انا عبد) اى مشابه للعبيد فى مقام التواضع وعدم التكلف
والتصنع (آكل كما يأكل العبد) اى من غير سفرة وخوان وجمعه اخونة واخون (واجلس كما يجلس العبد)
على التراب من غير سرير وفرش حرير وفى رواية لا آكل متكئا انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وربما جثى على ركبتيه وربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبد الله بن جعفر قال رايت فى يمين
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) اى وحده تارة ومع غيره اخرى
كما ورد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فى طريق قبا (ويردف خلفه) من الارداف او من الثلاثى بكسر الدال
فى الماضى وفتحها فى المستقبل اى ويركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من اراد من اصحابه كالصديق وذى النورين

والمرتضى وعبد الله بن جعفر وزيد واسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة واربعين (ويعود المساكين من المرضى (ويجالس الفقراء) اى ويجتنب مجالسة الاغنياء ويقول اتقوا مجالسة الموتى والمغايرة بين الفقراء والمساكين من تفنن العبارة وان اختلف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (ويجيب دعوة العبد) اى الى بيت سيده او المراد به العبد المعتوق بان يأتى بيته جبرا لخاطره وتواضعا مع ربه وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن ابى هالة كان يجلس (بين اصحابه) اى فيما بينهم (مختلطا بهم) لا يتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه (حيث ما انتهى به المجلس) اى وخلا فيهم المكان المؤنس (جلس) اى تواضعا لله سبحانه وتعالى وارشادا لاصحابه ليتأدبوا بآدابه (وفى حديث عمر) اى من رواية البخارى (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تطرونى) من الاطراء وهو المبالغة فى الثناء الى حد يقع الكذب فى الاثناء اى لا تجاوزوا الحد فى مدحى بان تنسبوا الى ما لا يجوز فى وصفى (كما اطرت النصارى عيسى بن مريم) حتى زعموا انه ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) اى من عبيد ربى (فقولوا عبد الله ورسوله) وفيه ايماء الى ما قيل

لا تدعنى الا بيا عبدها * فانه اشرف اسمائيا

والنهى انما هو عن الاطراء لا لمطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة على مدحها له واما حديث اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه فى هذا الباب كما تشير اليه صيغة المبالغة وقد اشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل لعلها ام زفر ماشطة خديجة اذ قد ورد مرسلا انها كانت صحابية ويحتمل غيرها (كان فى عقلها شئ) اى من جنون (جاءت فقالت ان لى اليك حاجة قال اجلسى يا ام فلان) لعل الراوى لم يعرف اسم ابنها فكنى عنه (فى اى طرق المدينة) اى اجزائها (شئت) اى اردت انت مما هو اهون عليك او اقرب اليك (اجلس اليك) اى معك او متوجها اليك وهو مجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر اى ان تجلسى اجلس اليك (حتى اقضى حاجتك) اى من الكلام او طلب المرام (قال) اى انس (فجلست فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه لها وملاطفته معها (قال انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه ابو داود والبيهقى (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة العبد وكان يوم بنى قريظة) اى زمن غزوتهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) اى فى رأسه خطام وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) اى ورق نخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة اوضمها البرذعة او ما يشد فوقها (قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة) وهى بكسر الهمزة كل ما يؤتدم به من الادهان وقيل ما اذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة وكسر النون اى المتغيرة الرائحة الزنخة (فيجيب) اى من دعاه الى ذلك (قال) اى انس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل) اى كور او قتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة اى خلق بال (وعليه) اى وعلى كتفه او على رحله (قطيفة) اى كساء له خمل (ما يساوى اربعة دراهم فقال) اى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء وكسرها على ما قرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لا رياء فيه ولا سمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم (هذا) مبتدأ محذوف الخبر من اسمى فعل امر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر اى تأمل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من حجه على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى التنبيه والاشارة اى تنبه لهذا (وقد) اى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) اى والقت افلاذها من ذهب وغيره من فلذاتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) اى عام الوداع (مائة بدنة) اى ناقة تقربا الى ربه وارشادا لمن يقتدى به وايماء الى ان ترك تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقاره وقد نقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدر سنى عمره وامر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت عليه مكة) على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها والحاكم والبيهقى وابو يعلى عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) اى باصناف منهم (طأطأ) بهمزتين اولاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة اى خفض واطرق وارخى (على رحله) اى حال كونه راكبا فوقه (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) اى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله

تعالى لا يمسه وقال التلمسانى بضم الميم لا غير والظاهر انه وهم منه اى يصيب برأسه اوقارب رأسه ان يمس (قادمته) اى مقدمة رحله تخفيا غاية لطأطأة رأسه وقوله (تواضعا لله) مفعول لاجله وفيه ايماء الى ما يشير اليه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا اى متواضعين لا متكبرين كالجبارين (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى) بفتح ميم وتشديد مثناة فوق وهى ام يونس ولم يشتهر نبى باسم امه غير عيسى ويونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فللغلبة واما عيسى فلانه لا اب له ومنه قول القائل

الا رب مولود وليس له اب * وذى ولد لم يلده ابوان

مشيرا الى آدم عليه السلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وما ذكر فى قصص الكسائى من ان متى ابوه ليس بصحيح فان قيل ما الجمع بين قوله فى صحيح البخارى لا تفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى ابيه وظاهره ان متى ابوه واجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به ولما كان ذلك موهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى ابيه اى لا كما فعلت انا من نسبته الى امه كذا ذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لا يخفى ان مثل هذا التصرف لا يجوز للراوى مع ما فيه من قلة ادب فى نسبته الى امه لولا انه منقول من اصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولفظ البخارى لا يقولن احدكم انى خير من يونس بن متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اولما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوى وليونس عليه السلام من المعراج السفلى ايماء الى ان الامكنة بالاضافة الى قرب الله تعالى على حد سواء تستوى فيه الارض والسماء وقد اجاب العلماء عن هذا الحديث باجوبة منها انه قاله تأدبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه افضلهم فلما علم قال انا سيد ولد آدم بل وفى البخارى انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة كما ثبت سببه فى الصحيح بورود لا تفضلونى على موسى كما سيجيء ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدى الى نقص بعضهم لا عن كل تفضيل لثبوته فى الجملة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل فى نفس النبوة لا فى ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومزية حالاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان (ولا تفضلوا بين الانبياء) واما قوله عليه الصلاة والسلام (ولا تخيرونى على موسى) فسببه ما رواه الشيخان وابو داود والنسائى من انه استب مسلم ويهودى قال والذى اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فاخبره فقال لا تخيرونى على موسى اى تخييرا مفاضلة يؤدى الى مخاصمة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (ونحن احق بالشك من ابراهيم) اى اذ قال رب ارنى كيف تحيى الموتى انما صدر عنه تواضعا لربه وهضما لنفسه لا اعترافا به فى حق ابراهيم ولا فى حقه فكأنه قال اذا كنت لم اشك فى احياء الله الموتى فابراهيم بعدم الشك اولى فائدته لهما بنفى الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه اى انه لم يشك ولو شك لكنت انا احق بالشك منه ثم قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى شاهد صدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اراد بقوله ارنى الترقى من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ولو لبثت) اى لو مكثت (فى السجن) فرضا وتقديرا (ما لبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات اى مدة لبثه فى السجن (لاجبت الداعى) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنته قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاخبار بكمال تثبته وحسن نظره فى بيان نزاهته واظهار براءته وحمدا لصبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال ما يطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لا يعد نقصا لهم فى مقام المرام وتمام النظام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه مسلم وابو داود والترمذى والنسائى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذى قال له) اى خاطبه بقوله (يا خير البرية) بالتشديد والهمز على ما قرئ بهما فى السبع اى الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابوته وتعليما لامته ودفعا للافتخار عن ذاته (وسيأتى الكلام على هذه الاحاديث) اى على حل ما فيها من الاشكال الذى

تقدم بعض الاجوبة عنه (بعد هذا) اى فى محل اليق منه (ان شاء الله تعالى) اى بيانه فيه (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها والحسن) اى البصرى (وابى سعيد) اى الخدرى وكان حقه ان يقدم على الحسن اللهم الا ان يراد به الحسن ابن على كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين ان الحسن اذا اطلق فهو البصرى (وغيرهم) اى وغير المذكورين ايضا كما رواه البخارى وغيره (فى صفته) اى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) اى وبعض الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات فى تفصيل الصفات ومجمله قوله (وكان فى بيته فى مهنة اهله) بفتح الميم وكسره وانكره الاصمعى ورجحه المزى بقوله وهو اوفق لزنته ومعناه اى خدمة اهله وفى الحديث ما على احدكم لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته فى اهله مما يتعين عليهم رفقا بهم ومساعدة لهم وتواضعا معهم وبيانه قوله (يفلى ثوبه) بكسر اللام اى يزيل قمله كراهة لوجوده وتنظيفا لوسخه لما فى الشفاء لابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروى ان ام حرام كانت تفلى رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر (ويرقع ثوبه) بفتح القاف وفى نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد اى يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه قوله سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخرز او الربط او اللصق ومن احسن ما قيل فى مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

امرغ فى المثال بياض شيبى * لما عقد النبى له قبالا
وما حب المثال بشوق قلبى * ولكن حب من لبس النعالا

وقال بعضهم

يا لاحظا لمثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا متكبرا
والثم له فلطالما عكفت به * قدم النبى مروحا ومبكرا
اولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

اقول وانا فى هذا الحال اقبل خيال المثال تعظيما لنبى ذى الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد تخصيص ثم ذكر ما يعم نفعه له ولغيره بقوله (ويقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم اى يكنسه (ويعقل البعير) بكسر القاف اى يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومنه العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه على ما ينفعه (ويعلف) بكسر اللام قيل وبضم اوله (ناضحه) اى بعيره الذى يستقى عليه الماء (ويأكل مع الخادم) اى مملوكا او غيره وهو يشمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) اى مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان الغالب انه من عملها (ويحمل بضاعته) اى مشتراه من مأكول وغيره (من السوق) اى الى محله فى بعض اوقاته اذ ثبت انه عليه السلام كان له خدم يقومون بما له من المرام (وعن انس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه البخارى فى الادب تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هى المخففة من المثقلة والمعنى ان الشأن (كانت الامة من اماء اهل المدينة) اى من جنسها (لتأخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به) اى تذهبه (حيث شاءت) اى من طرق المدينة وبيوتها (حتى تقضى حاجتها) اى منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوها (ودخل عليه رجل) هو غير معروف (فاصابته من هيبته) اى مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء اى اضطراب او برودة (فقال له هون عليك) اى يسر امرك ولا تخف (فانى لست بملك) اى سلطان جائر والحديث سبق الا انه اعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما انا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على انه مأكول المساكين (وعن ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسى معرب شابه من كلام العرب ما لا ينصرف معرفة ونكرة (وقال للوزان) بتشديد الزاى اى وازن الفضة من الصير فى وغيره (زن) بكسر الزاى (وارجح) بفتح همز وكسر جيم اى اعطه راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) اى بطولها ومن جملته (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فوثب) اى فقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة حالية اى حال كونه مريد التقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعاملة (فجذب يده) اى تواضعا وتباعدا عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) اى التقبيل (تفعله الاعاجم) اى اهل فارس (بملوكها) اى ويورثهم كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) اى من جنس ملوكهم (انما انا رجل منكم) اى بشر مثلكم او واحد من جنس عربكم اعاملكم بمعاملة ادبكم وهذا لا ينافى ما ورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ما ذكره النووى وغيره من ان تقبيل يد الغير ان كان لجاه وغنى فمكروه او لصلاح وعلم فمستحب (ثم اخذ السراويل) اى من بائعه بعد تسليم ثمنه

(فذهبت) قصدت (لاحمله فقال صاحب الشئ احق بشيئه) اى بمتاعه المختص به (ان يحمله) لانه ابقى على تواضعه وانفى لكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل باربعة دراهم وفى الاحياء لانه ولم يلبسها وجاء فى الهدى لابن القيم من انه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطى صحح لبسه صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد ذكر التلمسانى انه اخرج ابو داود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثنى سويد ابن قيس قال جلبت انا ومخرمة العبدى بزا من هجر فاتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وارجح وكذلك ذكر الترمذى الحديث وصححه وابو عمر وفى الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان فى الحديث فوائد منها الرجحان فى الوزن وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحرى فيه طول اوشغب تمام والرجحان يقطعه والفضل يظهره قال وفيه رد على ابى حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشائع الحاضر والمجهول الحاضر فى هذا المقام والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة المرام

(فصل)

(واما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وامانته) اى فى اداء روايته وقضاء ديانته (وعفته) اى عما لا يليق بحضرته (وصدق لهجته) اى منطقه وحكايته (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) بهمزة ممدودة اى اعظمهم امانة وامنا من ان يقع منه خيانة (واعدل الناس) لانه اعلمهم واحكمهم وارجحهم وكان الاظهر ان يقدم اعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (واعف الناس) اكثرهم عفة واصبرهم على ما يوجب نزاهته (واصدقهم لهجة) اى اكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) اى من ابتداء ما وجد لما جبل عليه من الاخلاق الحسنة ولا وجه لقول الدلجى من حين اعترف لان قوله (اعترف) استئناف بيان وفى نسخة ثم اعترف (له بذلك) اى بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة اى مخالفوه ومنه قوله تعالى ومن يحاد الله لكون كل واحد منهما فى حد كما قيل فى وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر عينه مقصورا اسم جمع اى اعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) اى ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية امانته ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) اى لان تستعمل فى طريق الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) اى فى حقه (مطاع) اى مكرم (ثم) اى عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (امين) موصوف بالامانة فى دعوى النبوة ووحى الرسالة (اكثر المفسرين على انه) اى المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه بالوصفين لا احد ينكره (ولما اختلفت قريش) على ما رواه احمد والحاكم وصححه الطبرانى انه حين اختلفت اكابر قريش ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاى اى وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبطه بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء الكعبة) حين اجمرت امرأة فطارت شرارة فاحرقت الكعبة فهدموها وارادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) اى الاسود والركن الاسعد فى موضعه الاصلى قبل هدمه وكل يقول انا واتباعى نضعه افتخارا بوضعه لانه الركن الاعظم فى ذلك المقام الافخم وكادان يقع بينهم القتال لكثرة منازعة الرجال (حكموا) جواب لما اى حكموا فيما بينهم لدفع النزاع عنهم (ان يكون الواضع اول داخل عليهم) اى ولا يكون واحدا منهم (فاذا بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اى ففاجأهم دخوله وباغتهم وصوله (وذلك) اى ما ذكر (قبل نبوته) اى دعوى نبوته وظهور رسالته (فقالوا) اى مقرين له بوصف امانته (هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) ففرش صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وامر كل رئيس ان يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته الذى فوض فيه الامر اليه ووضعوه فى موضعه (وعن الربيع بن خثيم) بضم معجمة وفتح مثلثة روى عن ابن مسعود وغيره وعنه الشعبى ونحوه وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له لو رآك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبك فطوبى له ثم طوبى له قال التلمسانى وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية ابى نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجاهلية قبل الاسلام) اى قبل زمن البعثة وظهور النبوة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (والله انى لامين فى السماء) اى عند الله وملائكته المقربين (امين فى الارض) عند المؤمنين وغيرهم من المجربين لكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه فى وعده وتحقق صدقه فى قوله (حدثنا ابو على الصدفى) بفتحتين (الحافظ) اى المعروف بحفظ الحديث (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابو الفضل ابن خيرون) بفتح معجمة وضم راء بصرفه ومنعه والاول اظهر (ثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة) تقدم (ثنا ابو على السنجى) بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزى (ثنا محمد بن محبوب المروزى) اى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا

ابو عيسى) اى الترمذى (الحافظ) اى المعروف وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا ابو كريب) بالتصغير
الهمدانى الكوفى روى عن ابن المبارك وخلق وعنه اصحاب الكتب الستة روى انه ظهر له بالكوفة ثلاثمائة الف حديث
(ثنا معوية بن هشام) اى القصار الكوفى روى عن حمزة والثورى وعنه احمد وغيره وهو من الزهاد الثمانية
(عن سفيان) اى الثورى على ما صرح به عبد الغنى الحافظ وان اطلق على غيره (عن ابى اسحق) اى الهمدانى الكوفى
احد الاعلام الشهير بالسبيعى روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن
كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعى وليس بصحابى (عن على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (ان ابا
جهل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك) بالتشديد والتخفيف اى لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك
(ولكن نكذب) بالتشديد لا غير (بما جئت به) اى من القرءآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه
المناقضة الظاهرة على ان كفر اكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) اى فى شانه وعظيم برهانه (فانهم لا يكذبونك)
بالتشديد وقرأ نافع والكسائى بالتخفيف (الآية) وهى قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بايات الله اى المتلوة
او المصنوعة يجحدون اى ينكرون فتكذيبهم فى الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد اكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له
صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى غيره) اى غير الترمذى زيادة عليه (لا نكذبك وما انت فينا بمكذب) تاكيد لنفى
الكذب عنه وهو بتشديد الذال المعجمة المفتوحة وفى نسخة بمكذوب (وقيل) اى روى كما اخرجه ابن اسحق والبيهقى
عن الزهرى وكذا ابن جرير عن السدى والطبرانى فى الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة
(ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمسانى ذكره الحلبى قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس
من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا (لقى ابا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين
من الهجرة (فقال له) اى بحكم العادة او تلطف العبارة (يا ابا الحكم) بفتحتين كنيته فى الجاهلية فغيرها النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم وكناه ابا جهل (ليس هنا غيرى وغيرك) اى احد (يسمع كلامنا) اى فيما بيننا (تخبرنى) خبر بمعناه امر
اى اخبرنى (عن محمد) اى عن وصفه (صادق) وفى نسخة زيادة هو والتقدير اصادق هو فى معتقدك (ام كاذب) عندك
والمراد من الاستفهام حمله على الاقرار بما يعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق) اى لموصوف بالصدق ولا يخفى ما فى الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وما كذب محمد قط) اعتراف بالحق
وروى ان ابا جهل قال بعد قوله وما كذب محمد ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فالخلق حجاب عظيم عن الحق (وسال
هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولا ينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم واما قيصر
فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ابا سفيان) بن حرب على ما رواه الشيخان
(فقال) اى هرقل مخاطبا لابى سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) اى هل كنتم
تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ما قال) اى من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل
على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذ هلك كافرا بعد فتح عمر رضى الله
تعالى عنه بلاده وتوغل فى بلاد الكفر هربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجى وقال الحلبى
فى الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول اى بانه اظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غرته سلطنة الزمان (وقال النضر بن
الحارث) اى العبدرى وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم
اخذ اسيرا يوم بدر فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما
النضير بالتصغير فهو اخوه وكان من المؤلفة واعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم
الحلبى ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) اى لاكابرهم
(قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين اى من حال صغره قبل اوان كبره والانسب ان يراد به ههنا ما قيل من ان
الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (ارضاكم فيكم) الظرفان حالان لا زمان (واصدقكم حديثا) اى قولا ووعدا
(واعظمكم امانة) اى صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من اهل العداوة حجة لما قيل الفضل ما شهدت به الاعداء
(حتى اذا رأيتم فى صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلى على ما بين الاذن والعين (الشيب) اى بياض الشعر (وجاءكم
بما جاءكم) اى بما اظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) اى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ما هو
بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه اى عنه صلى
الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ما لمست) بفتح الميم (يده يد امرأة قط لا يملك

رقها) بكسر راء وتشديد قاف اى لا يملكها نكاحا وملكا فقد قال لاسماء التزويج رق المرأة فلينظر ابن تضع رقها
واما ما فى البخارى ان امرأة تبايع فقبض يدها فمحمول على المحرم او من فوق الثوب (وفى حديث على) اى ابن ابى
طالب كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق الناس لهجة) اى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) اى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) اى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع
(ان لم اعدل خبت وخسرت) بالتكلم او الخطاب لرئيس الخوارج (ان لم اعدل وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى
على ما سبق من رواية الترمذى وغيره عنها (ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين) وزيد فى نسخة قط
(الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال ابو العباس)
اى البصرى (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما فى النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف
السين اولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكى على الثانى (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم
لكل من ملك الفرس واسمه الخاص برويز (ايامه) اى زمان دولته واوان مملكته (فقال) اى كسرى فى قسمته وقته
(يصلح يوم الريح للنوم) المبنى على السكون لكون الوقت غير قابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود فى الصحبة (ويوم
الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة التى تقتضيها كثرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان
الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس اى لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل
وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسرها ويقال بضم لام وسكون واو وفتح
تحتية فتاء تقلب هاء وقفا نحوى لغوى اصله من همذان بفتح الميم والذال المعجمة دخل بغداد وادرك اجلة العلماء
مثل ابن الانبارى وابن مجاهد المقرى وتوفى بحلب سنة سبعين وثلاثمائة وله تصانيف كثيرة (ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم) كذا فى النسخ بثبوت ما قبل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة او موصوفة او كان زائدة وما
تعجبية وحاصله انه انما كان اعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف ما يتعلق باخرتهم من مراتب عبادة مولاهم
ولذلك استشهد بقوله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس فى
تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزئة صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف اولى (نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم) على ما رواه الترمذى وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاى فهمزاى قسم (نهاره) اى ساعات يومه (ثلاثة
اجزاء) اى اقسام (جزأ) بالنصب وجوز بالرفع وقد يضم زايه (لله) تقديما لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره عما سواه
(وجزأ) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على حقه (وجزأ لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء
الاول من الصبح الى الظهر والثانى الى العصر والثالث الى المغرب والمعنى حصته لنفسه لا دخل فيها الغير من الاهل
خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اى عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك
الوقت ايضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان احد منهم احتاج اليه وحضر لديه اقبل عليه وافاده
بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة فى الدرجات الاخروية والا فاشتغل بمراعاة نفسه
خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله
تعالى اعلم (فكان) اى من عادته فى جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) اى من ارباب صحبته واصحاب خدمته
(على العامة) اى قضاء حاجتهم والمجاهدة فى منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة
والسلام الخلق كلهم عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة
بتبليغ العامة اذ ليس كل انسان يتوصل الى ذلك (ويقول ابلغوا) اى وكان يقول لهم اوصلوا الى (حاجة من لا
يستطيع ابلاغى) اى ابلاغ حاجته لى (فانه) اى الشأن (من ابلغ حاجة من لا يستطيع) اى ابلاغها كما فى نسخة صحيحة
(آمنه الله) بهمزة ممدودة اى جعله فى امن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية او حالة الانصراف
الى العقوبة والحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن ابى الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم
القيامة وكذا لفظ الترمذى فى الشمائل برواية الحسن عن اخيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وعن الحسن) اى
البصرى على ما رواه ابو داود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤاخذ احدا) اى لا يؤاخذه
ولا يجازيه (بقرف احد) بفتح قاف وسكون راء اى بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف او بظن احد ورميه وفى
نسخة بقذف احد بسكون الذال المعجمة من قذفه بالمكروه اى نسبه اليه (ولا يصدق احدا على احد) اى ولا يقبل
كلام احد فى حق احد سواء ترتبت عليه المؤاخذة ام لا فهو تعميم بعد تخصيص (وذكر ابو جعفر) وهو محمد بن جرير
(الطبرى) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه فى مسنده والبيهقى فى دلائله عن على كرم الله وجهه (عنه

عليه الصلاة والسلام ماهممت بشئ) اى ماقصدت عملا (مما كان اهل الجاهلية يعملون) وانما اعاد المصنف هذا الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو اظهر اى فى جميع ماذكر من الكرتين (يحول الله) اى يصير بحوله حائلا ومانعا (بينى وبين ما اريد من ذلك) اى عمل اهل الجاهلية وهذا معنى قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اى يحجز ويمنع وقال ابو عبيد يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم) اى بعد ماهممت بهما (ماهممت بسوء) اى ابدا بتوفيقه وعصمته (حتى اكرمنى الله برسالته) ومن المعلوم ان بعد تحقق نبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) اى لفتى او مملوك (كان يرعى معى) اى غنمى او غنم غيرى وهو الاظهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبى الا وقد رعاها يعنى الغنم قيل ولا انت يارسول الله قال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتدرب على سياسة الرعية على سبيل الشفقة والرحمة ولا يبعد ان تكون الغنم له اولغيره لكن كانت فى عهدته بقوله (لو ابصرت الى غنمى) اى تمنيت والتمست منك ان راعيت حفظ ما يتعلق بى (حتى ادخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم اى احادث ليلا مطلقا اوليلا مقمرا والسمر فى اصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سمرا فلهذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما يسمر الشاب) اريد به الجنس ووقع فى اصل الدلجى بلفظ الشباب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم فى مشاهدة قرهم حال سمرهم ورقادهم فى سحرهم لغلبة سكرهم وكثرة نكرهم وقلة فكرهم (فخرجت لذلك) اى لقصد السمر (حتى جئت اول دار من مكة) اى مما فيها آلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة فسكون زاى ففاء اى لعبا بالمعازف وهى الملاهى اوصوتا حسنا وغناء فى الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير) او بسبب ضرب الدفوف واصوات الملاهى كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) اى خارج الباب اوداخله او بعد الاذن و بعد رفع الحجاب (انظر) اى حال كونى انظر لعبهم واسمع لهوهم اومن اجل ان انظر اليهم واسمع لديهم (فضرب) بصيغة المجهول (على اذنى) بضم الذال وتسكن و بفتح النون وتشديد ياء المتكلم او بكسر النون وتخفيف ياء الاضافة على ارادة الجنس اى انامنى الله انامة ثقيلة لا يمنعنى عن النوم اضطراب اصوات ولا كثرة حركات ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم اى انمناهم (فنمت) بكسر النون (فما ايقظنى الامس الشمس) اى اصابة حرها على بدنى (فرجعت ولم اقض شيأ) اى مما قصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا فى الشرائع المتقدمة (ثم عرانى) اى اصابنى (مرة اخرى مثل ذلك) اى مما هممت به فى المرة الاولى فعصمنى منها المولى (ثم لم اهم) بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة ويجوز ضمها وكسرها اى لم اقصد (بعد ذلك) اى ماذكر من المرتين (بسوء) اى بهم سوء قط وهو بضم السين و يفتح (فصل) (واما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو اى رزانته ورصانته وحلمه وتحمله (وصمته) اى سكوته وسكونه وطمأنينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز ويبدل اى تأنيه فى قوله وعمله وتثبته ومهلته بلا عجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو ففتح همز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) اى سيرته وطريقته المشتملة على حقائق شريعته ودقائق حقيقته (فحدثنا) كذا بالفاء ههنا على مافى النسخ المصححة (ابو على الجيانى) بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغسانى (الحافظ اجازة) اى نوعا من انواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة (وعارضت) اى قابلت (اصلى بكتابه) اى المروى عن مشايخه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو العباس الدلائى) بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها الف ممدودة (انا) اى اخبرنا وفى نسخة ثنا (ابوذر الهروى) تقدم ذكره (انا) اى اخبرنا (ابو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) اى حدثنا (اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) اى ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو يكتب بهمزة الابن ههنا ايماء لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه ابو زرعة (قال حدثنا الحجاج) وفى نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصى الحافظ عن ابن جريج وشعبة وعنه احمد وغيره قال ابن ماجه بلغنى ان ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين الف حديث (عن عبد الرحمن بن ابى الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله ابن ذكوان روى عن ابيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلى بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير وفى نسخة عن وهب وهو تصحيف قال الحلبى هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصارى مولى زيد بن ثابت روى عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن ابى الزناد واخرج له ابو داود فى المراسيل هذا الحديث قال الذهبى فى الميزان لا يعرف من ذا (سمعت خارجة بن زيد) اى ابن ثابت الانصارى وهو احد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

الا كل من لا يقتدى بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجة

فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد ابو بكر سليمان خارجة

وكنيته ابو زيد (يقول) اى خارجة وهو تابعى فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اوقر الناس) اى اكثرهم حلما واعظمهم تحملا فى جميع اوقات انسه لاسيما (فى مجلسه) اى المعد لمصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه واحبابه وطلبة حديثه وحملة كتابه (لا يكاد يخرج شيأ من اطرافه) اى من بزاق فمه او مخاط انفه او قطع ظفره او قلع وسخه ووقع فى اصل الدلجى شئ بالرفع وقال فى قوله لا يكاد يخرج مبالغة فى لا يخرج اى لا يقرب ان يظهر من تحت ثيابه شئ من اطرافه فضلا عن ان يظهر منها شئ انتهى فتدبر واختر ماصفا ودع ماكدر (وروى ابو سعيد الخدرى) كما اخرجه عنه ابو داود وكذا الترمذى فى شمائله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس فى المجلس) اى فى جنس مجلسه او مجلسه الخاص فيما بين اصحابه (احتبى بيديه) بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه او بثوبه كما فى رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة تقول حبية (وكان اكثر جلوسه) اى هيئات جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال اكثر الاوقات اليه وفى الحديث الاحتباء حيطان العرب واحيانا يقعد على هيئة التحية (وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وابو داود (انه تربع) اى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس فى المجلس تربع احيانا لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما و يمد ويقصر فيهما وعن الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن ابى عبيد ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) اى جلوسه القرفصاء على مارواه الترمذى (فى حديث قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم (وكان كثير السكوت) لتفكره فى مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (لا يتكلم فى غير حاجة) اى من قضية ضرورية دينية او دنيوية او مسئلة علمية او عملية لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون والحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه (يعرض عمن تكلم بغير جميل) اى بما لا يستحسن ذكره ولا يباح امره اذا صدر عمن تكلم بناء على جهله لقوله تعالى واعرض عن الجاهلين والظاهر ان المراد بالاعراض هو الصفح وعدم الاعتراض فيختص بالمكروهات التنزيهية على مقتضى القواعد الشرعية واما المحرمات القطعية وكذا المكروهات التحريمية فلابد للشارع من ان يأمر ويزجر فيما يحق النبوة والرسالة واما قول الدلجى فى تفسير غير جميل حراما او مكروها اذ لا يقر على باطل واعراضه كاف عن انكاره صريحا لاشعاره بعدم رضاه به فهو ليس من الحمل الجميل لان الانكار القلبى لا يكون كافيا الا للعاجز عن انكاره بيده ولسانه وهذا غير متحقق فى زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت الى ان نموت على محبة الحى الذى لا يموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما) اى من جهة الابتدائية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها ومن طريقة الاغلبية لما فى الشمائل للترمذى من حديث عبد الله بن الحارث مارأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما القهقهة فمنفية و يمكن حمله على ظاهره من عمومه لما فى الشمائل ايضا من حديث جابر بن سمرة وكان لا يضحك الا تبسما لكن الشراح حملوه على غالب حاله وقيل كان لا يضحك فى امر الدنيا الا تبسما اما فى امر الآخرة فكان قد يضحك حتى تبدو نواجذه على مافى الترمذى ايضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن (وكلامه فصلا) اى وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل او فاصلا بين الحلال والحرام او بينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه على من يتفهمه وماذلك الا لجعله تعالى له مبينا للانام فى مشكلات الاحكام كما قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم او مختصرا لمخلصا لقوله (لافضول) بالفتح اى لا زيادة فى كلامه (ولا تقصير) اى ولا نقصان عن قدر الحاجة اولا ايجاز ولا اطناب بل التوسط المحمود فى كل باب بالجمع بين المبانى اليسيرة والمعانى الكثيرة (وكان ضحك اصحابه عنده) اى فى حضرته (التبسم) اى لاغير (توقيرا له) اى تعظيما لحرمته (واقتداء به) اى فى كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون اى مجلس علم بالاحكام او عمل بالعدل فى حق الانام ولو ثبت كسر حاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه فى المرام بان يكون مجلسه للصحبة ملآن من انواع الحكمة ويؤيده ان رواية الترمذى مجلس علم وفى نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع فى اصل الدلجى وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) اى ومجلس حياء مشتمل على صفاء وضياء وهى ملكة تمنع مما لا يليق فعله فى الحضرة والغيبة (وخير) اى ومجلس كل خير من خيرى الدنيا والآخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وامانة) اى مجلس امانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بامرها لتعلقها بغير صاحبها ولذا ورد لا ايمان لمن لا امانة له على مارواه احمد وابن حبان فى صحيحيهما عن انس رضى الله تعالى عنه (لا ترفع)

بصيغة المجهول مذكرا او مؤنثا (فيه) اى فى مجلسه (الاصوات) تادبا بالسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآيات (ولا تؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد اى لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم وفتح جمع الحرمة وهى ما لا يحل انتهاكه وروى بضمتين بمعنى النساء من الاهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من ابنته اى رميته بسوء ومنه حديث النهى عن شعر تؤبن فيه النساء وكذا حديث الافك اشيروا على فى اناس ابنوا اهلى وحاصله ان مجلسه كان يصان من رفث القول وفحش الفعل وقد تصحف على اليمنى حيث قال مأخوذ من المأثر واحدها مأثرة ويحتمل لا تؤبر اى لا تلدغ من ابرته العقرب لدغته انتهى (اذا تكلم) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (اطرق جلساؤه) اى خفضوا رؤسهم وسكنوا وانفوسهم (كانما) بزيادة ما الكافة (على رؤسهم الطير) يجوز فى مثله ثلاثة اوجه بحسب القراءة وهى كسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفى التشبيه تنبيه على المبالغة فى وصفهم بالسكوت والسكينة وعدم الخفة لان الطير لا يكاد يقع الا على شئ ساكن من الحركة (وفى صفته) اى وجاء فى نعت مشيه على ما فى الشمائل وغيره (يخطو) بضم طاء وسكون واواى يمشى (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفى نسخة بكسر فاء وفتح تحتية اى تمايلا الى قدام قال النووى وزعم كثيرون ان اكثر ما يروى بلا همز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفأ تكفؤا والهمزة حرف صحيح واما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر (ويمشى هونا) اى مشيا هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا اى مكونا لا سريعا ولا بطيئا ولا خيلاء بل افتقارا للحق وتواضعا للخلق وفى رواية الهوينى تصغير هونى تأنيث اهون فالتقدير مشية هوينى (كانما ينحط) بتشديد الطاء اى ينزل (من صبب) بفتحتين وموحدتين اى منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من ليس له فى هذا الفن المام وفى رواية للترمذى فى صبب وهو اظهر فتدبر (وفى الحديث الآخر اذا مشى) اى فى جميع اوقاته (مشى مجتمعا) اى مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين توالى حركاته لا متفرقا فى حركاته وسكناته وقال الهروى اى ما كان يمشى مسترخيا (يعرف فى مشيته) بكسر الميم اى هيئة مشيه وضبط فى نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وبكسر راء وتنوين معجمة مأخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال ومنه قول الحسن علم الله انه بلا غرض فرخص لعباده من شاء ان ينفر فى النفر الاول ومن شاء ان ينفر فى النفر الآخر وروى بلا غرض بالاضافة والصفة (ولا وكل) بفتحتين على ما فى النسخ المصححة ففى القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الدلجى بكسرهما وقال التلمسانى الغرض بفتح الراء وروى بكسرها والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى اعلم (اى غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزنه اى غير قلق وملل (ولا كسلان) تفسير لوكل يعنى ولا عاجز يكسل فى فعله اى الهداية والدلالة فيكل امره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبد الله بن مسعود) فيما رواه البخارى عنه موقوفا (ان احسن الهدى) بفتح فسكون اى السيرة والطريقة المشتملة على حجية الشريعة وحقية الحقيقة وفى نسخة بضم ففتح مقصورا اى الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه فى بقائه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه اخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفى آية اخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبد الله) صحابيان انصاريان رضى الله تعالى عنهما (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) اى تبيين لحروف البناء وتمهيل فى كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقوله لتبين للناس ما نزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما فى المصابيح وفى نسخة صحيحة باو على انه شك من الراوى (وقال ابن ابى هالة) واسمه هند وامه خديجة رضى الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على اربع) اى على اربعة احوال والحال يذكر ويؤنث لانها بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) اى الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) اى لو احصى عدد حروفه المحصى من اهل الحساب (لاحصاه) اى لقدر على احصائه وعد عدده وجمعه وحفظه وهذا مبالغة فى الترتيل والتبيين وقد روى انه كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للسماع والثانى للتنبيه والثالث للفكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) اى الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (ويستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته بل وبفضلاته طيب كما هو مقرر فى محله فكان استعمالهما لزيادة

المبالغة بنية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) اى يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الى من دنياكم النساء) وفى رواية تأخيره (والطيب) كما رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث انس باسناد جيد وضعفه العقيلى وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع فى بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع فى بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغيير سياق الحديث وتعبيره بقوله (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا لا سيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة فى الدنيا صحت اضافتها اليها فى الجملة على اختلاف فى ان المراد بالصلاة هل هى العبادة المعروفة او الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ما ذكره حجة الاسلام فى الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالين من احوال القلب فالقريب الدانى منهما يسمى دنيا وهى كل ما قبل الموت والمتراخى المتأخر يسمى آخرة وهى ما بعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة ما يصحب الانسان فى الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يأنس بالعلم حتى يصير الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب فى لذته لانه اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له فى الدنيا ولكن لا يعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما اخاف الموت الا من حيث يحول بينى وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من جملة ملاذ الدنيا اولان كل ما يدخل فى الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون فى الدنيا فلذلك اضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة فى شئ فان الدنيا المذمومة هى حظ عاجل لا ثمرة له فى الآخرة كالتنعم بلذائذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما يزيد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروءته) اى اخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه احمد (عن النفخ فى الطعام والشراب) اى جميعا ولابى داود وابن ماجه والترمذى وصححه نهيه عن النفخ فى الاناء وللترمذى فى الشراب لانه فى الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفى الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم ما يكون موجبا النفرة الطبيعة وقيل نفس الادمى سم (والامر) كان الاولى ان يقال وامره ليحسن عطفه على نهيه اى ومن مروءته ايضا الامر (بالاكل مما يليه) اى الآكل بصيغة الفاعل لحديث الشيخين قل بسم الله وكل بيمينك مما يليك على الخلاف فى ان الامر للوجوب او الندب وعليه الاكثر (والامر بالسواك) اى وكذا امره به من جملة مروءته كما فى حديث لا مرية فى صحته ومن فوائد السواك ازالة تغير الفم وتنظيف الاسنان وتطييب النفس وغيرها مما يبلغ اربعين آخرها انه يذكر الشهادة عند الخاتمة على ضد اكل الافيون نسأل الله العافية (وانقاء البراجم) بالجر عطفا على بالسواك وفى نسخة بالرفع على ان التقدير ومن مروءته تنظيف البراجم (والرواجب) وهما جمع برجمة بالضم وراجبة والمراد بهما مفاصل الاصابع من ظهر الكف وباطنها (واستعمال خصال الفطرة) بالاحتمالين وهى فيما رواه الشيخان خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط زاد مسلم المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وابو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق فى معنى المضمضة وقد سبق فى معانيها ما يغنى عن اعادتها هنا (فصل) (واما زهده فى الدنيا) اى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) اى الاحاديث الواردة عن الثقات الاخيار (اثناء هذه السيرة) اى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) اى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) اى كافيك من منفعتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى اى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) اى والحال انها جلبت لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل حذفور اى باسرها من اولها وآخرها (وترادفت) اى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله (ان توفى) بصيغة المجهول بعد ان المصدرية والمعنى كافيك مما ذكر حال حصول ما ذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى على انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما توهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختار الغنى ومما يأبى هذا المعنى قوله (ودرعه) اى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل احواله (وهو يدعو) اى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية امره وامر من يتعلق به من اهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) اى بلغة تسد رمقهم ليقوموا بعبادة من خلقهم وفى رواية لمسلم

والترمذى وابن ماجه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان لئلا يموت والظاهر
ان المراد به هنا قدر الكفاية لما فى رواية كفافا (حدثنا سفيان ابن القاضى والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن بكرة وابس
بالغسانى كما حرره الحلبى (والقاضى ابو عبد الله التميمى قالوا) اى كلهم (ثنا) اى حدثنا (احمد بن عمر قال ثنا ابو
العباس الرازى قال حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابو سفيان) وفى نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا
ابو الحسين مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا ابو بكر ابن ابى شيبة) تقدم ذكرهم (ثنا ابو معوية) وهو
محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاى احد الاعلام وحفاظ الاسلام روى عن الاعمش وهشام وعنه احمد واسحق وابن
معين وكان مرجئا اخرج له الائمة الستة (عن الاعمش) تابعى جليل روى عن ابن ابى اوفى وزر بن وابى وائل وعنه شعبة
ووكيع وخلق له الف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعى ابو عمران الكوفى الفقيه رأى عائشة رضى الله تعالى
عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا فى الورع رأسا فى العلم (عن الاسود) اى ابن يزيد النخعى عن عمر
وعلى ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يخضر ويختم فى ليلتين (عن عائشة رضى الله تعالى عنها
قالت ماشبع) بكسر الموحدة اى ما اكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ايام) اى بلياليها (تباعا)
بكسر التاء الفوقية مصدر تابع اى متابعة وموالاة (من خبز) اى مطلقا ووقع فى اصل الدلجى من خبز بر وليس من البر
(حتى مضى سبيله) اى الى ان توفاه الله تعالى بحسب ما قدره وقضاه والحديث فى اواخر مسلم وقد اخرجه البخارى
وغيره ايضا (وفى رواية اخرى) اى له او لغيره او للشيخين كما قاله الدلجى (من خبز شعير يومين متتابعين ولو شاء) اى الله
كما فى نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لاعطاه) اذ لو كان التقدير لو شاء رسول الله لكان المناسب ان يقول لاعطاه الله
او لاعطى اى متمناه (ما لا يخطر) بكسر طاء وبضم اى ما لم يمر (ببال) اى لا يحدث فى خلال خيال (وفى رواية اخرى
اى لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده او لكثرة زهده (حتى لقى الله) وفى
نسخة زيادة عز اى تعالى شانه وجل اى عظم برهانه (وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ما ترك
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد وفاته (دينارا) اى من الذهب (ولا درهما) اى من الفضة وهو بكسر
الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

النار آخر دينار نطقت به ✻ والهم آخر هذا الدرهم الجارى
والمرء بينهما ان لم يكن ورعا ✻ معذب القلب بين الهم والنار

(ولا شاة ولا بعيرا) اى وانما ترك ما فى التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة
فمن اخذ بهما ظفر بكنوز الجنة (وفى حديث عمرو بن الحارث) اخو جويرية من امهات المؤمنين له ولابيه صحبة
كما رواه البخارى عنه (ما ترك) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الا سلاحه) بكسر اوله والمراد
سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبى على البخارى (وبغلته) اى البيضاء وهى دلدل
(وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لا ينفى كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها
لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق فى حديث نحن معاشر الانبياء
لا نورث ما تركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ اى ما ترك شيأ يعتد به الا ما ذكر ونحوه ان ثبت انه ترك غيره (قالت
عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقد مات وما فى بيتى) اللام ابتدائية او قسمية والواو حالية اى اموه
ذا والله لقد مات والحال انه ليس فى بيتى (شئ ياكله ذو كبد) بفتح فكسر ويجوز سكونه مع كسر وفتح
اى ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الا شطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذى اى شئ من شعير ثم المختار
رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (فى رف لى) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض فى جدار
البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرفرف ايضا وفى الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال
على فكلته ففنى وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لى) اى تسلية لحالى (انى عرض على) بنى للمفعول وحذف فاعله
اجلالا له (ان يجعل لى) بالتذكير او التأنيث اى يصير ويقلب لاجلى (بطحاء مكة) اى حصاها او مسيلها (ذهبا
فقلت لا) اى لا اختاره (يا رب) فاخترلى (اجوع يوما) او معناه لا اريد بل اريد ان اجوع يوما اى وقتا (فاصبر) وقدمه
لانه مذكر للافتقار اليه وباعث للاتكال عليه ومبالغة فى احتقار عرض عروض الدنيا الدنية به (واشبع يوما)
اى وقتا آخر (فاشكر) لاكون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما فى حديث واليه يشير
قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من ارباب الكمال وهو التربية بنعتى الجلال
والجمال ثم بين ما يترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذى اجوع فيه فانضرع اليك) اى اتذلل

والتجئ (وادعوك) بما أؤمل لديك (واما اليوم الذى اشبع فيه فاحمدك) اى فاشكرك (واثنى عليك) وصنيعنا
فى تفسير الحمد بالشكر اولى من قول الدلجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس اولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة
يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده ايضا ما رواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت
شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدلجى لا ادرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه
بهذا المعنى ليكون مؤيدا له فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله
يقرئك السلام) اى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام ابلغه كاقرأه ولا يقال اقرأه الا اذا كان السلام
مكتوبا وفى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام فبفتح الياء وقيل
هما لغتان وبهذا يندفع ما تكلف الدلجى بقوله يقال اقرئ فلانا السلام كانه حين يبلغه سلامه
يحمله على ان يقرأ السلام ويرده (ويقول) اى الله سبحانه وتعالى (لك) اى اعتبارا او اختبارا (اتحب ان اجعل
هذه الجبال) من الصفا وابى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة واطرافها او جنس هذه الجبال بانواعها واصنافها
(ذهبا وتكون) اى جبال الذهب (معك حيثما كنت) اى من جهة الشرق والغرب وما بينهما وما مزيدة للتأكيد
(فاطرق ساعة) اى خفض رأسه تأدبا وتفكر رامع سكونه انتظارا لما يلهمه ربه من الخيرة كما ورد فى دعائه
اللهم خرلى واخترلى ولا تكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له)
اى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) اى يريد جمعها (من لا عقل له) اى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها
وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وفوات الآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت) الجملة دعائية او خبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هو الحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن
للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول الدلجى فى هذا المقام اى ادامك على قول لا اله الا الله لا يناسب المرام
كما لا يخفى على الكرام ثم فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه احمد الدنيا دار من لا دار له
قد يجمعها من لا عقل له والبيهقى ولفظه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ما امسى لآل محمد كفة سويق
ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وامرنى ان اعرض عليك
ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لاحمد والله لو شئت لاجرى الله معى
جبال الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لو سألت الله
ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت ان) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى
قد واللام للتأكيد ايضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا
(كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى اظهر (لنمكث شهرا) اى قدره
(ما نستوقد نارا ان هو) اى ما قوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الا الاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على ما رواه
الترمذى والبزار بسند جيد (هلك) واعترض بان الصواب نحو توفى وقبض لان الهلاك اكثره فى العذاب
وفى موت الكفار ويمكن دفعه بانه قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم
فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفى نسخة قال هلك اى مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو واهل
بيته من خبز الشعير) اى فضلا عن خبز البر ولا عبرة بما يتوهم من قيده باعتبار مفهومه من حصول شبعه من غيره (وعن
عائشة وابى امامة وابن عباس نحوه) اى بمعناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذى
وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو واهله الليالى المتتابعة) اى فيها بايامها (طاويا) حال
منه لانه الاصل والاعلى او من اهله فهو بالاولى (لا يجدون) اى اهله وهو واهله (عشاء) وهو تأكيد لما قبله
ولعل الاقتصار على العشاء للايماء بانه الاهم من الغداء (وعن انس) برواية البخارى (قال ما اكل رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر اوله ويضم اى مائدة وهو ما يؤكل عليه من نحو كرسى على عادة
المترفهين لئلا يفتقروا الى الانحناء حال اكلهم وسئل قتادة على م كانوا يأكلون يعنى الصحابة قال على السفر (ولا فى
سكرجة) بضم الثلاثة وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم فارسى معرب واكثر
ما يوضع فيه وامثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى اطراف
المأكولات (ولا خبز له) بصيغة المجهول الماضى (مرقق) بصيغة المفعول اى ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق
كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولا رأى شاة سميطا قط) فعيل بمعنى مفعول اى مسموطا

بمعنى مشويا بجلده فان الغالب سمطها بان ينزع صوفها بالماء الحار بعد تنظيفها من القاذورات واخراج مافى بطنها من النجاسات والاخرام فى اصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدجاجات والسمط لايحسن الا فى صغار الغنم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) برواية الصحيحين (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الخاص كما بينته بقولها (الذى ينام عليه ادما) بفتحتين اى جلدا مدبوغا وقيل الاحمر منه وقال الدلجى جلدا اسود (حشوه ليف) بكسر اللام اصول سعف النخل (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) اى ابنة عمر ام المؤمنين كما فى الشمائل للترمذى (كان فراش النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى) اى مكانى المنسوب الى ووقع فى اصل الدلجى بلفظ فى بيته وتصح الاضافة بادنى الملابسة وانما الكلام فى ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاسا من شعر ابيض وقيل من شعر اسود (نثنيه) بكسر النون المخففة اى نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة اى عطفتين اوطيتين وفى نسخة ثنيين بالتذكير على المصدر وفى اخرى ثنتين اى مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته فى كل وقته (فثنيناه له ليلة باربع) اى اربع طاقات والباء من باب الزيادات وبات عليه من غير شعوره ابتداء به لاستغراقه فى شهود نوره ووجود حضوره (فلما اصبح قال ما فرشتم لى الليلة) استفهام انكارى او استعلام (فذكرنا ذلك له) اى ثنيه اربعا ليوجب له راحة ونفعا (فقال ردوه بحاله) اى على وفق عادتى (فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى) اى لينته منعتنى كمال حضورى فى طاعتى اوشغلتنى عن القيام لصلاتى وقرآءتى (وكان) كما رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه (ينام احيانا) اى فى بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) اى منسوج بحبل مفتول من سعف (حتى يؤثر) اى يظهر اثر خشونة الشريط (فى جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعية حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة لكى التعليلية والاول اظهر فتدبر (وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ) بهمز هو الصحيح وفى نسخة بلام مفردة ولعل وجهها التخفيف المسهل ثم معاملته معاملة المعتل فتأمل اى ما امتلأ (جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقيل الاول نقيض الجوع والثانى ما شبع من الشئ فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتأمل (قط) اى ابدا ولعل مرادها غالب احواله او شبعا مفرطا غير مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة اوبضم اوله وكسر ثانيه اى لم ينشر ولم يظهر (شكوى) اى شكايته ولا بطريق حكايته فى جميع حالاته (الى احد) من اصحابه وزوجاته لقوله تعالى فى ضمن آياته حكاية عن يعقوب فى شدة ما ابتلاه قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله (وكانت الفاقة) اى الحاجة اللازمة من الفقر المقتضى للصبر (احب اليه من الغنى) المقتضى للشكر وهذا صريح فى تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه اجلاء الصوفية واكثر علماء الفقهاء بهذا وقد ورد لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة على ما رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة اى وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى يكون فى طول النهار (جائعا) بهمزة مكسورة (يلتوى) اى حال كونه يتقلب ويضطرب (طول ليلته من الجوع) اى من استمرار جوعته او من اجل حرارة لذعته ولذا ورد اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده فى الدنيا واقبال قلبه على الاخرى بناء على رضى المولى (فلا يمنعه) اى جوعه (صيام يومه) اى الذى فيه ولو كان نفلا او صيام يوم عادته فى مستقبله وهذا بيان بعض شدة حاله (ولو شاء) اى الغنى وما يترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) اى استدعاه لاسيما وقد عرضها عليه مولاه (وثمارها) يجوز نصبها وهو الاشهر فى المبنى وجرها وهو الاظهر فى المعنى اى جميع ثمار اشجارها او جميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتحتين ويسكن على ما فى القاموس (عيشها) اى سعة معيشتها وطيب منفعتها (ولقد كنت ابكى له رحمة مما ارى به وامسح بيدى على بطنه مما به من الجوع) اى من اثر جوعه المختص به وهذا يدل على انه كان يطعم اهله ويؤثرهم على نفسه (واقول) اى والحال انى اقول حينئذ (نفسى لك الفداء) بالمد تفاديا به من الم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف اى لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر ما يقويك على قيام الطاعة ويعينك على زيادة العبادة لكان اولى من هذه الحالة فجواب لو مقدر وما قدرناه احسن من التقدير المشهور وهو لكان احسن ويجوز ان يكون لو للتمنى ويشير الى ما اخترناه ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان ما اختاره هو الصواب (فيقول يا عائشة مالى وللدنيا) استفهامية انكارية اى لا حاجة لى اليها ولا اقبال لى عليها قال التلمسانى قيل يجوز ان يكون ما استفهامية وتقديره اى الفة ومحبة لى معها حتى ارغب فيها وقيل يجوز ان يكون ما نافية اى ليس لى الفة الى آخره انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله (اخوانى من اولى العزم

من

من الرسل) اى كلهم واجلهم (صبروا على ما هو) اى على امر عظيم هو (اشد من هذا) اى مما انا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع وبعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصنى الله تعالى فيما حثنى وحضنى على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فمضوا على حالهم) اى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) اى مرجعهم اليه (واجزل) اى اعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيى) بيائين وفى نسخة بياء واحدة اى فارى نفسى مستحيية (ان ترفهت) اى لو تنعمت (فى معيشتى ان يقصر بى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) اى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمى ان اكون فوق جملتهم (وما من شئ هو احب الى من اللحوق باخوانى) اى فى الجملة (واخلائى) اى احبابى فى الملة (قالت فما اقام) اى فى الدنيا (بعد) بالضم اى بعد قوله ذلك (الا شهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته اى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع امره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم ادر من روى هذا الحديث لكن روى ابن ابى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من اولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على اعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وانشدوا

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها
انها زوجة سوء * لا تبالى من اتاها
انت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها
فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

(فصل) اى ثالث (واما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه (وطاعته له) اى كمال انقياده فى جميع حالاته (وشدة عبادته) اى كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) اى بمقدار معرفته بعظمته (ولذلك) اى لكون ما ذكر على قدر علمه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) اى فى جملة ما رواه لنا (ابو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قرآءة منى) اى من بين اقرانى (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القرآءة والسماع (قال ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم الطرابلسى) بضم الموحدة واللام (ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى ثنا ابو عبد الله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسماعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال ابو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) اى ابن سعد عالم اهل عصره روى عن عطاء وابن ابى مليكة ونافع قال ابو نعيم فى الحلية ادرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث افقه من مالك ولكن اضاعه اصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين الف دينار فما وجبت عليه زكاة وقدح واهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق الف دينار واخرج ابو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال لها هرون انت طالق ان لم اكن من اهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا امير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنينى امير المؤمنين فادناه فقال اتكلم على الامان قال نعم فامر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا امير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال امسك يا امير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا امير المؤمنين الشرط املك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى اخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا امير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد احسنت والله وامر له بالجوائز والخلع وامر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما

وقد ذكروا في ترجمته انه كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلاثمائة وستين مسكينا عدد ايام السنة (عن عقيل)
بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلي اخرج له الائمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهري (عن سعيد بن
المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من اجلاء التابعين وساداتهم (ان اباهريرة كان يقول) بدل على تكرر
سماعه لهذا الحديث عنه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)
اخرجه البخاري في الرقائق وروى احمد والبخاري ايضا ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن انس وزاد
الحاكم عن ابي ذر ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن ابي الدرداء بزيادة ولخرجتم
الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون اولا تنجون (زاد) اى شيخنا السابق او بعض مشايخنا وقد
اخطأ الدلجي بقوله اى زاد ابوهريرة او النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير ان احدهما زاد في روايتنا
عن ابي عيسى رفعه الى ابي ذر وخطأه لا يخفى على من له ذرة من العقل الذي يدرك مراتب النقل (في روايتنا) اى
من غير قراءتنا (عن ابي عيسى الترمذي) اى صاحب السنن (رفعه) اى الترمذي اسناده او حديثه (الى ابي ذر) اى
في قوله مرفوعا كما صرح به الترمذي في الزهد وقال حسن غريب ويروى عن ابي ذر موقوفا واخرج ابن ماجه فيه
نحوه ورواه محمد بن حميد الرازي ورفعه ايضا (اني ارى ما لا ترون) اى ابصر ما لا تبصرون من عجائب الملكوت
واسمع ما لا تسمعون) اى من غرائب اخبار عالم الجبروت (اطت السماء) بتشديد الطاء اى صوتت (وحق لها)
بصيغة المجهول اى وينبغي لها (ان تئط) لكثرة ما عليها من الملائكة فكانهم اثقلوها كثرة وقوة حتى اطت كالقتب وهو
تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم اطيط لها تقرير العظمة خالقها ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل
وانه ليئط اطيط الرحل الجديد بعظمته وعجزه عن حمله اذ من العلوم ان اطيط الرحل وهو الكور براكبه انما يكون
لقوة ما فوقه من ثقله (ما فيها موضع اربع اصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفي (الا وملك) حال من فاعل
الظرف وهو موضع اى الا وفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) اى جبينه (ساجدا لله) حال من الضمير قبله (والله
لو تعلمون ما اعلم) اى من شدائد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم
الساد مسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجي خبط وعدم ربط وتقديم
وتأخير لا يليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على
الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد اى
الطرقات (تجأرون) اى حال كونكم ترفعون اصواتكم وتستغيثون وتتضرعون في جميع حالاتكم (الى الله
لوددت اني) بكسر الدال الاولى اى لاحببت وتمنيت ووقع في اصل الدلجي بزيادة الواو وقبل وفي رواية ليتني (شجرة
تعضد) بصيغة المجهول اى تقطع (روى) استئناف بصيغة المجهول اى نقل (هذا الكلام) اى بخصوصه مما سبق
من المرام وهو قوله لوددت اني شجرة تعضد (من قول ابي ذر نفسه) اى موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) اى اسناده
الموقوف (اصح) اى من اسناده المرفوع قال الحلبي ولما وقفت على قوله لوددت الى آخره من زمن طويل قطعت
بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفاظ المتأخرين من مشايخ مشايخي في اربعين له قال انه مدرج
ثم رايت كلام القاضي انه من قول ابي ذر وهو اصح وهذه العبارة ما هي مخلصة والذي ذكره بعض مشايخ مشايخي
من انه مدرج هو الصواب فيما يظهر لي انتهى وقد تصحف قوله وهو اصح على الدلجي بما وقع له في اصله وهو واضح
بزيادة واو ونقطة صاد يعني وهو ظاهر ثم بينه بقوله اى من حيث انه اشبه بكلامه واليق بحاله مع كونه صلى الله تعالى
عليه وسلم اعلم بمكانته عند ربه وانزه من ان يتمنى عليه دون ما اعطاه انتهى ولا يخفى ان الكلام في صحة الرواية
والا فلا يخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته
ومطالعة نعت سخطه المقتضي لعقوبته الجائزة من حيث العقل المطابق للنقل انه سبحانه وتعالى لو عذب اهل سمواته
وارضه يكون عادلا في قضائه وحكمه اذ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط
في الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال وقع في قبض الحال وضيق البال والكلال وبهذا يجمع بين قول
بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ ابو نعيم في الحلية
ان عمر رضي الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي فقال له الم تصل مع
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة
والسلام ان لله تعالى في السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان قال عمر ما صلاتهم يا نبي الله قال فلم
يرد عليه شيأ فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا نبي الله سألك عمر عن غنى صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام

واخبره بان اهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي الملك والملكوت واهل السماء الثانية ركع
الى يوم القيامة يقولون سبحان ذي العزة والجبروت واهل السماء الثالثة قيام الى يوم القيامة يقولون سبحان الحي
الذي لا يموت انتهى وفي آخر الحديث ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله (وفي حديث المغيرة)
اى ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية
ابن ابي سفيان قال ابن وضاح احصن المغيرة في الاسلام الف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) اى تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى
الاسافل فتستقر في القدم فترم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلي الليل كله حتى تورمت
قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرآن ما خفف به عليه وعلى من تبعه وهو قوله ان ربك يعلم انك تقوم
ادنى وكذا قوله طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (وفي رواية) اى لهما عنه (كان يصلي) اى النبي صلى الله عليه وسلم
(حتى ترم قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما في رواية واما تشديد الميم على ما في بعض النسخ
فخطأ فاحش والعدول عن الماضي لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لا يرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه
قوله سبحانه وتعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قراءة نافع (فقيل له اتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد
اللام اى اتحمل هذا التحمل وجوز الدلجي كونه من كلف بكسر اللام ومنه حديث اني اراك كلفت بعلم القرآن
وحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون لكنه غير موافق لما في القاموس فانه قال كلف كفرح اولع وهو مناسب
للحديث الاول ثم قال وا كلفه غيره وهو الملائم للحديث الثاني اى كلفوا انفسكم اوغيركم ما تطيقون من اعمالكم ثم قال
صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى هو المناسب في المعنى
الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) كما اخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح
بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفي عطف ما تأخر اعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب
الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك ما لا يليق بمقامك فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فانه مغفور عنك
ثم لما كان الغالب ان كثرة العبادة تنشأ عن غلبة خوف العقوبة (قال أفلا اكون عبدا شكورا) على ما انعم علي
من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية في مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفي ذكر العبد ايماء
الى انه لابد له من القيام بوظائف العبودية ومبالغة في اداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) اى مثله في المعنى مع
اختلاف يسير في المبنى (عن ابي سلمة وابي هريرة) كذا في النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما في الشمائل للترمذي
باسناده بلفظ عن ابي سلمة عن ابي هريرة وابو سلمة هذا تابعي جليل احد الفقهاء السبعة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف
الزهري احد العشرة ويحتمل ان يكون في ذلك حديث لابي سلمة الصحابي موقوفا او مرفوعا والله اعلم (وقالت
عائشة رضي الله تعالى عنها) اى فيما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال
اى دائما باعتبار الغلبة فلا ينافي تركه على سبيل الندرة وما الطف عبارتها بقولها ديمة فانها في الاصل المطر الدائم
فلا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة في عموم الفائدة (وايكم يطيق ما كان يطيق) اى لما كان له
من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) اى فيما روياه عنها ايضا (كان يصوم حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع
كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة)
وهي آخر امهات المؤمنين توفيت في امارة يزيد (وانس وقال) اى كل منهم رضي الله تعالى عنهم لا انس وحده
كما اقتصر عليه الانطاكي لكونه اقرب مبنى فان الجمع انسب معنى (كنت) ايها المخاطب (لا تشاء ان تراه مصليا
الا رأيته مصليا ولا نائما) اى ولا تشاء ان تراه نائما (الا رأيته نائما) لما ورد عنه اما انا فاصلي وانام واصوم وافطر (وقال
عوف بن مالك) وهو من اكابر الصحابة وقد روى عنه ابو داود والنسائي والترمذي (كنت مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ليلة) ولعله كان في السفر (فاستاك) اى اول ما استيقظ (ثم توضأ) والظاهر انه اكتفى بالاستياك الاول
(ثم قام يصلي) اى التهجد (فقمت معه) يحتمل مقتديا ومتابعا (فبدأ) اى القراءة (فاستفتح البقرة) اى بعد الفاتحة
لكونها كتقدمتها اولبيان الجواز بترك قراءتها (فلا يمر بآية رحمة الا وقف) اى في موقفها (فسأل) اى الله الرحمة
(ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) اى التجأ من العقوبة لكونه واقفا بين مقامي الخوف والرجاء ووصفي الفناء
والبقاء وملاحظا نعتي الجلال والجمال كما هو حال اهل الكمال (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها اى لبث فيه
(بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هو القاهر فوق عباده
(والملكوت) مبالغة الملك او باطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) اى العظمة

المناسب ذكرها فى الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها فى ركوعكم يعنى
قولوا فيه سبحان ربى العظيم (ثم سجد) اى سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) اى نظيره اوبعينه لشمول
معنى الكبرياء وصف العلاء الملائم ذكره فى السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اى
قولوا سبحان ربى الاعلى (ثم قرأ آل عمران) اى فى تلك الركعة ايضا اوفى اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة
سورة) اى ثم قرأ فى كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) اى من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغيرذلك
(وعن حذيفة مثله) اى مثل حديث عوف كما فى مسلم (وقال) اى زيادة على تلك الرواية مع احتمال اطلاعه على غير
تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) اى قريبا من طوله (وقال) اى حذيفة (حتى قرأ
البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) اى فى ركعة والظاهر فى اربع ركعات بتسليمة اوتسليمتين (وعن عائشة) اى برواية
الترمذى (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) وهى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام فى الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم
يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع امة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر فى معناها وما يتعلق
بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وانوار الحكمة (ليلة) اى فى ليلة من الليالى وهو يحتمل كلها اوبعضها والاظهر
اكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان فى الصلاة حال الوقوف واما ما رواه احمد والنسائى بسند صحيح عن ابى ذر
بلفظ قام حتى اصبح بآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله
لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل اوقام لصلاة التهجد حتى اصبح (وعن عبد الله بن الشخير) بكسر شين
وخاء مشددة معجمتين صحابى نزل البصرة وادرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى ابوداود والترمذى
والنسائى عنه (اتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى) جملة حالية (ولجوفه) اى صدره (ازيز) بكسر
الزاى الاولى اى حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الانف
(كأزيز المرجل) اى كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما فى الصحاح وسمى به لانه اذا نصب كانه
اقيم على رجله (وقال ابن ابى هالة) وهو هند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان)
اى متتابعها لعلمه بشدآئد الاحوال وموارد الاهوال حالا ومآلا ولكونه فى محبته سبحانه المقتضى احزانه وما احسن
قول ابن عطاء مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار واما ما ورد من قوله اعوذ بك من الحزن فمحمول على
حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم (دائم الفكر) اى فى عاقبة الامر
(ليست له راحة) لقيامه بما كلف من تحمل اعباء الرسالة ومن وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث
كلها باعتبار مبناها ومعناها فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم
وغيره (انى لاستغفر الله) اى اطلب مغفرته واسأل رحمته (فى اليوم) اى الواحد بل ورد عنه فى المجلس الواحد
(مائة مرة) اى بلفظ استغفر الله اوبزيادة الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه اوبلفظ رب اغفرلى وتب على
انك انت التواب الرحيم (وروى) كما فى البخارى والترمذى (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكانه
صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة وتألف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة
الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وحظه ونور السرور الحاصل من مراقبته
ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلى عن سبب سد باب افادته فقال لان اكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندى
من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالى ضيعت قطعة من العمر العزيز فى تصنيف البسيط والوسيط والوجيز
مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعى من طريق النووى والرافعى وهذا بالنسبة الى قياس ما ظهر
لنا من احوالنا والا فالامر كما روى عن الاصمعى فى حديث انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر ربى من انه لوصدر
هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دراده حيث عظم قلب حبيب ربه الذى هو مهبط وحيه
(وعن على رضى الله تعالى عنه قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) اى طريقته المبنية على
شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالى) لانها المقصودة من اصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون قال ابن عباس اى ليعرفون (والعقل اصل دينى) اى بناء مداره ومحل اعتباره (والحب اساسى) اى
اساس قلبى فى حضورى مع ربى (والشوق مركبى) لان صاحب الشوق وطالب الذوق فى سلوك الطائرين
وفاقدهما سيره ضعيف فى منازل السائرين (وذكر الله انيسى) اى مؤنسى وسبب لان يكون جليسى لحديث انا
انيس من ذكرنى وجليس من ذكرنى وفى نسخة انسى بضم فسكون (والثقة) اى بالله كما فى رواية يعنى ان الاعتماد على

ربى

ربى (كنزى) لما ورد القناعة كنز لا يفنى ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (والحزن
رفيقى) حيث انه لا ينفك عن قلبى لما سبق من انه كان متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم
سلاحى) لانى احارب به عدوى من نفسى وشيطانى وادفع عنى به كيد اخوانى (والصبر ردائى) اى موضع تحملى
ومحل تجملى وسبب رفعتى وكبريائى (والرضى) بالقصر مصدر وفى نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتى) لانه مغتنم فى جميع
ما يجرى من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله اكبر وفيه ايماء بان
رضى الله والعبد متلازمان لا يتصور انهما ينفكان (والعجز فخرى) اى افتخر باظهار العجز والافتقار فى مرتبة
العبودية الى الاحتياج للقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء ولعل هذا هو وجه
ما وقع فى نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخرى كذب وقال العسقلانى انه باطل
فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ما وصل من سنده لا من حيث مبناه المطابق معناه لما ورد فى كتاب الله ولا يبعد
ان يكون هذا من على كرم الله تعالى وجهه موقوفا بمضمون ما سمعه عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض احوال متفرقة
مرفوعا (والزهد حرفتى) يعنى ان ارباب الدنيا لاجل تمتعها وانتفاعها كل احد يتعلق بحرفة من حرفها لتحصيل
طرف من طرفها وانا لقلة ميلى اليها وعدم اقبالى عليها جعلت زهدى عنها كسبى فيها اعتمادا على باريها (واليقين)
بجميع مراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين (قوتى) اى قوة قلبى فى معرفة ربى وفى نسخة بسكون الواو اى
قوت روحى وسبب زيادة فتوحى (والصدق شفيعى) لما قيل من ان الصدق انجى ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم (والطاعة حسبى) اى كفايتى فى مرضاة ربى (والجهاد خلقى) بضم وضمتين اى دأبى وعادتى وهو يشمل
الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عينى فى الصلاة) اى من جملة عباداتى اومن جملة عناياتى بناء على ان المراد بالصلاة
العبادة المشهورة اوالدعوة المأثورة (وفى حديث آخر) اى برواية اخرى (وثمرة فؤادى) اى نتيجة معارف قلبى
(فى ذكره) اى ذكر ربى (وغمى) اى همى الذى يغمنى فى كل حالتى (لاجل امتى وشوقى الى ربى) اى فى نهاية رتبتى
فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما فى الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها
الا عن بينة وان لم تكن عندنا بينة واما قول الدلجى قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده
بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله اعلم

(فصل) اى رابع

(اعلم وفقنا الله
واياك ان صفات جميع الانبياء) اى نعوتهم عامة (والرسل) اى خاصة (صلوات الله عليهم) اى كائنة (من كمال
الخلق) بالفتح وتفسيره قوله (وحسن الصورة وشرف النسب) اى مما يقتضى جمال الحسب (وحسن الخلق)
بالضم اى السيرة والسريرة والعشرة مع العشيرة (وجميع المحاسن) اى من الشمائل البهية والفضائل العلية (هى
هذه الصفات) اى المتقدم ذكرها فى الفصول الماضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لا كما توهم
الدلجى انها للاستغراق المبين بمن (لانها من صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجى
الا ان بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام ما لا يتم الشئ الا به حتى لو فقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه امر زائد
على مقدار التمام فتأمل فى مقام المرام (البشرى) اى المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) اى الامر الزائد
على الكمال العرفى (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلها من المبتدآت اى من حيث جميعها فيهم لا فى
غيرهم ومجموعها حاصل لهم فى الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالهم فى مزية المرتبة بل هو المناسب لحال
الملك العلوى ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذ رتبتهم اشرف الرتب) اى رتب الموجودات الا ان فى الملائكة
خلافا لبعض الائمة اورتب البشر فهو باجماع الامة وهذا فى الدنيا وقوله (ودرجاتهم ارفع الدرجات) اى فى العقبى
(ولكن فضل الله بعضهم على بعض) اى فى الدنيا والآخرة (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)
الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم نقل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لا يبعد انه سبحانه وتعالى اعلم نبيه بجميعهم
وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على اصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة
كما يدل عليه بقية الآية منهم من كلم الله اى تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة فى الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل
تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما التكرير تكليمه له اولاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه
قوله تعالى ورفع بعضهم اى على جميعهم لا على باقيهم كما قاله الدلجى درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا
على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافرة كالدعوة العامة والفضيلة التامة الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين
المحبة والخلة وكالآيات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشاملة فهو المفرد العلم الاكمل الغنى عن البيان فى هذا المحل

اوهو ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التى هى من اعلى مراتب المقام اوادريس عليه السلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية اولى العزم من الرسل (وقال ولقد اخترناهم) اى بنى اسرائيل (على علم) اى بهم (على العالمين) اى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم احقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنوا اسرائيل مصطفين لوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأويلنا هذا لكلام المصنف اولى من قول الدلجى هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الشيخان (ان اول زمرة) اى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم اوالمجهول كما قرئ بهما فى السبعة (على صورة القمر) اى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة اربع عشرة سمى بدرا لمبادرته الشمس فى الطلوع اولتمامه فيها (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) اى فى آخره بعد عد جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) اى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية اخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية اخرى لا اختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد واغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح ثم قد برجح الفتح كما قال الحلبى لظاهر قوله (على صورة ابيهم آدم) اى صورة خلقه ولا يبعد ان يكونوا ايضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) اى فى جهتها احترازا من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة اذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث ابى هريرة) كما رواه ايضا (رايت موسى) اى فى ليلة المعراج اوفى المنام او فى بعض المكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون اى خفيف اللحم مستدق الجسم على ماذكره الدلجى تبعا للخليل اوما بين الجسمين كما قاله الحلبى وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى شمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول وقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لا على كثرة اللحم وانما جاء جسيم فى صفة الدجال (رجل) بكسر الجيم وروى فتحها اى شعره بين الجعودة والسبوطة (اقنى) اى طويل الانف مع ارتفاع وسطه ودقة ارنبته (كانه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

نحن قريش وهم شنوه * بنا قريش ختم النبوه

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح اى بين الطول والقصر وهو لا ينافى كونه الى الطول اقرب كما هو انسب على ما فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير اى شامانه جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (احمر) اى ابيض مائل الى الحمرة على ما حقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى ابو هريرة بان عيسى احمر وقال ابن عمر والله ما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى احمر وانما اشتبه على الراوى وروى ابن عمران عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه احمر فالمراد ما قارب الحمرة والادمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه اسمر مع انه جاء ايضا كونه ابيض مشربا بالحمرة فتدبر (كانما خرج من ديماس) بكسر الدال ويفتح ويؤيد الاول قولهم اعل بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ما قبلها فقيل معناه الكن اوالستر اى كانه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لا يلائم كونه احمر فالصواب ما جاء مفسرا فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة واجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته اوحرمت على جسمه وهذا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لا يقدر احد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم اعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة اى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) اى لاستوائهما او اعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تاكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا اقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا اشبه ولد ابراهيم به) بفتح واو ولام وبضم فسكون اى اولاده من الانبياء (وقال فى حديث آخر) على ما رواه البخارى (فى صفة موسى عليه السلام كاحسن) ووقع فى اصل التلمسانى كاشبه (ما انت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة او موصوفة (من ادم الرجال) اى من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة

جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الادمة فى الابل البياض مع سواد المقلتين وهى فى الناس السمرة الشديدة وهى من ادمة الارض وهو لونها وبه سمى آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى اسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالصة اللون وهذا احسن والله تعالى اعلم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا فى ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى مثلثة اى فى رفعة اوفى عزة كما فى حديث سعيد بن منصور عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا والمعنى فى منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى فى ثروة) بفتح المثلثة (اى كثرة) اى توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون اى قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع اى جماعة يمنعونه ويحمونه من اعدائه هذا والتقييد ببعدية لوط يفيد انه لم يكن فى منعة كما يشير اليه قوله لو ان لى بكم قوة اى بدنية او آوى الى ركن شديد اى قبيلة قوية واستشكل الدلجى قوله تعالى لليهود فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا فى منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس فى يوم واحد ثلاثمائة نبى انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم فى قبيلتهم والقضية واقعة فى غير محلتهم اوالمراد بالمنعة ما تعلق به من امر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذى) بل روى فى الشمائل (عن قتادة) اى مرسلا (ورواه الدارقطنى) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين فى زمانه تفقه على الاصطخرى وسمع البغوى وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دارقطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن انس رضى الله تعالى عنه) اى موقوفا (ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه) فحسن الوجه يدل على معروف صاحبه كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه اهدى الدلائل

وقد روى الدارقطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبرانى بلفظ التمسوا وقبح الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

يدل على قبح الطوية ما يرى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه

والظاهر ان الامرين غالبيان لتصور خلافهما فى بعض افراد الانسان وفى الحديث اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا) اى من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف اعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانها لم تفارق الحور الا فيما يعترى الآدمية من الحيض وغيره وقد اعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فاراه احد الا هابه ومن تمام الملاحة فاراه احد الا احبه وفى الحديث دلالة على جواز مثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها المهانة اوالبراءة (وفى حديث هرقل) على ما فى الصحيحين من انه قال لابى سفيان (وسألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة اولان امر النسب مبنى على غلبة الظن لا على الحقيقة كما روى عن ابن سلام فى قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقد رفع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم فى نسبه بما ورد عنه فى احاديث مضمونها انى ولدت من اب الى اب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ما وقع فى اصل الدلجى واما على ما صح عندنا من النسخ المعتمدة فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى فى ايوب) اى فى نعته (انا وجدناه) اى علمناه اوصيرناه (صابرا) بتخليقنا اوبتوفيقنا (نعم العبد) اى ايوب مبتدأ خبره ما قبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه ما به من ضر الى مولاه (انه اواب) اى كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكى اى تواب والتحقيق هو الفرق بين اواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب نوى وقربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة فى القرآن (وقال يا يحيى خذ الكتاب) اى التوراة (بقوة) اى بجد وجهد ومبالغة فى مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم اى الحكمة اوالنبوة اوالمعرفة بالشريعة صبيا وحنانا من لدنا اى رحمة وشفقة منا عليه اورحمة وتعطفا فى قلبه على ابويه وزكاة اى طهارة اونماء ورفعة وكان تقيا اى عن المعاصى نقيا وبرا بوالديه اى مبالغا فى برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام اى من الله عليه يوم ولد اى من ان يمسه الشيطان كغيره من بنى آدم كما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويوم يموت اى من ضمة القبر ونحوها اى حين يدفن فى حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة اوحش ما يكون الانسان فى هذه الاحوال الثلاثة يوم

ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه فى محشر لم يره فخص يحيى بالسلامة فى هذه المواطن قلت ولعل وجه تخصيصه ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير او البشارة لثبوتهما فى السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعنى قوله مصدقا بكلمة من الله اى مؤمنا بعيسى وسيدا اى رئيسا فى قومه وحصورا اى غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين اى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده اجمعين (وقال ان الله اصطفى ادم ونوحا) اى اختارهما (وآل ابراهيم) اى اسماعيل واسحق واولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسماعيل ويدخل ابراهيم فى من اصطفى دخولا اوليا كما لا يخفى (وآل عمران) اى موسى وهرون ابنى عمران بن يصهر او عيسى وامه بنت عمران بن ماتان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة على ما ذكره الدلجى (الآيتين) يعنى قوله على العالمين اى على عالمى زمانهم او على المخلوقين جميعهم ذرية اى حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض فى الديانة والله سميع عليم باقوالهم واحوالهم فاصطفاؤهم لعلمه بهم (وقال فى نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله فى جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا اكل طعاما او شرب شرابا او لبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا اى كثير الشكر (وقال) اى بعد قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) اى بوجود من يخلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود اب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر اى مسح بالبركة والميمنة او مسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة اى ذا وجاهة فى الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين فى الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة فى الجنة ويكلم الناس اى ومكلما لهم فى المهد وكهلا اى طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير قصور فى الحالين من تغيير الانباء ومن الصالحين فيه اشارة الى ان مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) اى حكاية عن عيسى (انى عبد الله) انطقه الله به فى اول الحالات لكونه مبتدأ المقامات وليكون ردا على من زعم الوهيته من اهل الضلالات (آتانى الكتاب) اى الانجيل (الى ما دمت حيا) اى قوله تعالى وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اى نفاعا للغير معلما للخير اين ما كنت واوصانى اى امرنى بالصلاة والزكاة اى ان ملكت مالا او بالصدقة على حسب الطاقة او طهارة النفس من الخيانة ما دمت حيا اى فى مدة حياتى الى ساعة مماتى (وقال) اى فى حق موسى عليه الصلاة والسلام (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية) يعنى فبرأه الله مما قالوا اى حيث قذفوه بعيب فى بدنه برصا او ادرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها اى ذا وجاهة وقربة عند ربه عندية مكانة لا مكان لتنزهه سبحانه وتعالى (قال النبى صلى الله عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء فى جميع الاحوال (ستيرا) بكسرتين مع تشديد الثانية اى كثير التستر فى حال الاغتسال وفى نسخة صحيحة بفتح فكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل اقول واختيار المبالغة ابلغ وانسب بقوله (ما يرى من جلده شئ استحياء) وفى نسخة استحياء اى لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا عن عيب بجلده اما برص او ادرة وهى بالضم نفخ الخصية وان الله اراد ان يبرئه فخلا يوما وحده اى منفردا ليغتسل فوضع ثوبه اى جميعه وهو المناسب لدفع الادرة او الزائد عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوقه فقر الحجر اى بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قبله فجمح بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة اى اسرع فى اثره يقول اى قائلا ثوبى اى الفه او رده يا حجر حتى انتهى اى مشيه ووصل الى ملأ بنى اسرائيل فرأوه عريانا احسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذا الرؤية بصرية فليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله ما بموسى من باس فاخذ ثوبه اى من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به امر فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة اى تأثيرا من اثر ضربه ثلاثا صفة لاسم ان مبينة لعدده وفى رواية او اربعا او خمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجى ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوى لكن ليس فيه ما يشعر به ولا ما يمنعه وفى الحديث جواز الغسل عريانا فى الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه فى حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقائص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) اى حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لى ربى حكما) اى نبوة وعلما (الآية) تمامها وجعلنى من المرسلين (وقال فى وصف جماعة منهم) موسى مدحا لهم (انى لكم رسول امين وقال) اى حكاية لقول بنت شعيب فى حق موسى (يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) روى ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلاله الحجر الثقيل الذى لا يحمله الا اربعون او عشرون

وغضه البصر حين بلغته الرسالة وامره اياها بان تمشى وراءه وتدله بالحجارة ان اخطأ تلقاءه (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن افضلهم او هذا الوصف يعمهم (وقال ووهبنا له) اى لابراهيم (اسحق) اى ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) اى منهما (هدينا الى قوله) اى فى كلام يطول منتهيا الى قوله اولئك الذين هدى الله (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفى قراءة ابن عامر بكسرها وفى رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائى بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسريرتهم او بما توافقوا عليه من امر التوحيد والنبوة والبعثة وامثالها دون الفروع المختلف فيها اذ ليست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء فى جميعها بهم لتباين احكامهم (فوصفهم) اى الله سبحانه وتعالى (باوصاف) اى نعوت معنوية لا كما توهم الدلجى من زيادة حسية (جمة) اى كثيرة (من الصلاح) من بيانية وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهدى) اى من صدر الآية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) اى الحكم والنبوة من قوله تعالى اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وكان ينبغى ان يذكر نعت الاحسان قبل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين (وقال فبشرناه) اى ابراهيم (بغلام عليم) اى كثير العلم (وحليم) اى وفى آية اخرى بغلام حليم اى ذى حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء فى الصافات حليم بالحاء وفى الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار حال النزول لكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشر وه بغلام عليم فان ما فعله اقتصار مخل لاسيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الا مع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع فى علم القرآءة كالتلفيق المنهى فى المعاملة ثم المبشر به اسماعيل وهو اصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى اعلم (ولقد فتنا) اى امتحنا (قبلهم) اى قبل كفار مكة (قوم فرعون) اى معه بارسال موسى اليهم وايقاع الفتنة بالامهال فى العقوبة وتوسعة الرزق عليهم (وجاءهم رسول كريم) اى على الله والمؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (الى امين) وهو قوله ان ادوا الى اى حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله اى يا عباد الله او سلموهم الى وارسلوهم معى الى حيث ما امر الله انى لكم رسول امين غير متهم فى امر الدين (وقال) اى حكاية عن اسماعيل خطابا بالوالد ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رأى فى نومه (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) اى على حكم الله وقضائه او فى ابتلائه من امره بذبحه (وقال فى اسماعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصبر على ذبحه وقد وفى بوعده (الآيتين) اى تمامهما وهو قوله وكان رسولا اى الى قبيلة جرهم نبيا لعله اخر للفاصلة او دفعا لتوهم كونه رسولا بالواسطة كقوله سبحانه وتعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين اى من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يامر اهله اى اهل بيته او جميع امته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اى فى مقاله وفعاله وحاله (وفى موسى) اى وقال فى حقه (انه كان مخلصا) اى لربه فى عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا لرضاه اذا سلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وفى قرآءة للسبعة بفتح اللام اى اخلصه الله واختاره لنفسه واجتباه وهذا اكمل مقام فى منازل السائرين وافضل حال فى مراحل الطائرين وتمام الآية وكان رسولا نبيا (وفى سليمان نعم العبد) اى قال فى حقه هذا القول (انه اواب) اى كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) اى فى حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم لخصوصية او الاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو اولى كما لا يخفى (اولى الايدى والابصار) اى اصحاب القوة فى مباشرة الطاعات العملية وارباب البصيرة فى الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين فى تحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعنى قوله سبحانه وتعالى انا اخلصناهم بخالصة اى جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لهم هى ذكرى الدار اى دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامرى شعر

وما حب الديار شغفن قلبى ✱ ولكن حب من سكن الديارا

فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لما فيها من وعد الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين اى المجتبين من بين امثالهم الاخيار اى المختارين بافعالهم واحوالهم (وفى داود انه اواب) اى حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه) اى قويناه بالهيبة وكثرة الجنود فى الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) اى اتقان العلم والعمل او الحكومة والنبوة (وفصل الخطاب) اى الخصام بتمييز الحق عن الباطل فى الاحكام او الكلام الملخص الذى يتبينه المخاطب فى كل باب او قوله اما بعد فى كل خطبة او فى اول كل كتاب (وقال عن يوسف) اى اخبارا عما خاطب به الملك بقوله

(اجعلني على خزآئن الارض انى حفيظ عليم) فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وعظم شأنه وقد روى عن مجاهد ان الملك اسلم على يديه اى لما رأى من وفور علمه وحفظه وشفقته ومرحمته على خلق الله من خاصة وعامة حتى ما كان يشبع فى حالته مع وجود الخزآئن تحت تصرفه وحيز ارادته مما شهدت اموره الخارقة عن العادة بصحة نبوته ورسالته (وفى موسى) حيث قال للخضر (ستجدنى ان شاء الله صابرا) اى معك غير منكر لك وتعليق الوعد بالمشيئة للاشارة الى ان افعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار تزيين التلويح والتفنن فى مقام التحسين فتارة عبر بفى واخرى بعن (ستجدنى) اى مخاطبا لموسى (ان شاء الله من الصالحين) اى فى حسن المعاملة والوفاء بالمعاهدة والمعاشرة بالمجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه وتعالى ومعونته لا للاستثناء فى معاهدته بكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شأن الكمل (وقال) اى فى حقه ايضا (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه والمعنى ما اريد ان آتى ما نهيتكم عنه لاستبد به لعلى بانه خطأ وفى ارتكابه خطر فلو كان صوابا لاثرته ولم اتركه فضلا عن ان انهى غيرى عنه (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) اى ما اريد بامركم للمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول الصلاح ووصول الفلاح مادمت استطيعه او القدر الذى اطيقه قال الثعلبى نقلا عن عطاء وغيره انه من نسل مدين ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمى فى آخر عمره قال قتادة بعثه الله رسولا الى امتين مدين واصحاب الايكة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادى قومه على كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وايس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين فاستجاب الله للدعوة واهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة واهلك اصحاب الايكة بعذاب الظلة قال السمعانى فى الانساب قبر شعيب فى خطين وهى قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم غربيها بين دار الندوة وبين باب بنى سهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسماعيل فى الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح قبر نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) اى حكمة ونبوة وحكومة فى الخصومة قال الثعلبى نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من ارض بابل فى العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر ابو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم وما يليها وكانوا الفا يأتون الفواحش قال ابو بكر بن عياش عن ابى جعفر استغنت رجال قوم لوط بوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم (وقال انهم) اى الانبياء المذكورين فى سورتهم (كانوا) اى بجملتهم (يسارعون فى الخيرات) اى يبادرون الى الطاعات (الآية) وهى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اى للرغبة فى المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا لنا خاشعين اى خاضعين اولا جلنا مع خلقنا متواضعين او خائفين وجلين حزنين ولعله اشار الى هذا المعنى بقوله (قال سفيان) اى الثورى او ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمسانى بالاول (هو) اى معنى الخشوع (الحزن الدائم) اى المورث للمسارعة الى الخير (فى آى كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى فى ابوب اى قد ورد ما ذكر من الايات الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هى نبذة يسيرة مندرجة فى آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها وانبائها باسرها (ذكرفيها من خصالهم) اى بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك) اى من قبيل ما ذكر فى الآيات (فى الاحاديث كثير) اى مما ينبغى ان يروى منها قدر يسير (كقوله) اى على ما رواه البخارى وابن حبان والحاكم (انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم) وفى اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد انه (نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى) غيره مع ايذان تعريف المبتدأ والخبر به ايضا التأكيده فلا ينافيه ما رواه احمد والبخارى عن ابن عمر واحمد ايضا عن ابى هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه اوفق لموازنة ما بعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبى ابن نبى الخ مدرج من كلام الراوى او تفسير للقاضى (وفى حديث انس) اى كما رواه البخارى بعد قوله تنام عينى ولا ينام قلبى (وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى فلا يتطرق اليهم ما يحجزهم من اشراق الانوار الاحدية او يحجبهم عن الاسرار الصمدية (وروى) اى من طريق الطبرانى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا

(ان سليمان كان مع ما) ويروى فيما (اعطى من الملك) مما يقتضى تكبرا وتجبرا وترفعا (لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا) اى لله كما فى نسخة (وكان) اى سليمان على ما روى احمد فى الزهد عن فرقد السنجى (يطعم الناس لذيذ الاطعمة) وفى اصل التلمسانى لذآئذ جمع لذيذة وهو ما يوافق الطبع ويلائمه (ويأكل خبز الشعير واوحى اليه) وفى نسخة واوحى الله تعالى اليه (يا رأس العابدين) اى من الملوك او الموجودين (وابن محجة الزاهدين) اى على غيره وفى نسخة محجة بفتحات وتشديد جيم اى مجمعهم او معظم طريقهم وفيه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع فى اصل الدلجى وان كانت فقال هى المخففة من المثقلة (تعترضه) اى تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح فى جنوده) اى وهو معهم فى تلك العظمة (فيأمر الريح) اى بالوقوف لاجلها (فتقف) اى بامره لها (فينظر فى حاجتها) اى يتأمل فيها ويقضى بها (ويمضى) اى يتوجه الى مقصده (وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت على خزآئن الارض) جملة حالية (قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع) اى جنس الجائعين واغفل عن تفقد المحتاجين وفى نسخة الجياع بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى ابو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (خفف على داود القرآن) اى قرآءة الزبور (فكان يأمر بدوابه) اى لاجله واصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحد به ابلغ فى مقام خرق العادة (فتسرج له فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) اى فيختمه فى زمن يسير مع انه كتاب كبير بناء على خرق العادة من بسط الزمان او طى اللسان وقد وقع نظير هذا البعض اكابر هذه الامة (ولا يأكل الا من عمل يده قال الله تعالى والناله الحديد) اى كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (أن اعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية اى واوحينا اليه اوامرناه ان اعمل فان مصدرية او مفسرة واما قول التلمسانى ان التقدير تكلف لعدم الدليل على الحذف ففى غير محله نشأ من قلة تأمله (سابغات) اى دروعا واسعات (وقدر فى السرد) اى اجعله على قدر الحاجة فى النساجة والسرد فى اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لا تصغر حلقه فتضيق حال لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لا تقصد الحصافة فتثقل فى الجملة ولا الخفة فتزيل المنعة وفى البخارى ولا تدق المسمار فيتسلسل هو من قولهم سلس اى لين وروى فيتسلسل اى فيتصل فيسرع كسره بادنى فاقة (وكان سأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) اى فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ما روى عنه انه كان يسأل الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا فى صورة آدمى فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل وكان عليه الصلاة والسلام بعد ذلك يأخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع فى بعض يوم يبيعها بالف درهم فيأكل ويتصدق ويجعل ثلثه فى بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان واحمد وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر (واحب الصلاة) اى انواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود واحب الصيام) اى صيام النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا فى النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا القضية السالفة اى كان ينام (نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (ويقوم ثلثه) من اول النصف الثانى لانه افضل اجزآئه (وينام سدسه) لينشط لعبادة اول نهاره (ويصوم يوما ويفطر يوما) امار عاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه الاتصال او لتتصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين احب الاعمال الى الله ادومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا يتخلص عبادة او لان هذه الكيفية اشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب فى المقدمتين ولفظ الجامع الصغير احب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر) اى نفسه او ما يصنع منه تواضعا لربه ولذا اختاره الصوفية (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله اراد به ما اختلط بالخبز واستهلك فيه والا فاكل الرماد حرام لما فيه من مضرة العباد (ويمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن ابى حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا (ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة) اى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة الا ان حسنات الابرار سيئات الاحرار اذ لم يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها اوريا فتزوجها اهلها من داود رغبة فيه او سأله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له على ان ذلك خلاف الاولى فيما هنالك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا واناب وقد بالغ فى تضرعه وبكائه لما له من عظيم المرتبة وكريم المنزلة فى مقام حيائه (ولا شاخصا ببصره) اى ولا رؤى رافعا له مع تحديد نظره (الى السماء) اى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) اى لكمال قربه والحديث رواه احمد فى الزهد عن عطاء بن السائب عن ابى عبد الله الجدلى بلفظ ما رفع داود رأسه الى السماء بعد ما اصاب الخطيئة حتى مات وبهذه الرواية مع ما قدمناه من الدراية اندفع قول الحلبى لو قال القاضى غير هذه العبارة كان احسن (ولم يزل باكيا حياته كلها)

اى فى جميع مدة عمره الى حالة مماته بعد تلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن ابى حاتم عن انس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم فسكون هو الحشيش (من دموعه) اى من كثرة وقوع دموعه على الارض (وحتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) اى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى اثرت فى خده اثرا كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه اخاديد (وقيل) كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) اى فى غيبته (فيزداد تواضعا) اى لربه شكرا المزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى احمد فى الزهد وابن ابى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا) اى لو اخترته لتركبه احيانا عند الحاجة اليه (قال انا اكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) اى بان يتعلق قلبى به وبكلفته وخدمته ويشغلنى بفتح الغين فان الاشغال لغة رديئة (وكان) كما روى احمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) اى ثوبه (ويأكل الشجر) اى ورقه (ولم يكن له بيت) اى مسكن يأوى اليه (اينما ادركه النوم نام وكان احب الاسامى) جمع الاسماء (اليه ان يقال له مسكين) وقد رواه احمد فى الزهد عن سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغنى انه ما من كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم احب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل) كما رواه احمد ايضا فى الزهد وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا (ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين) سمى بابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) اى الذى كان يأكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب متوجها الى مدين (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على ما فى القاموس فبطل قول التلمسانى هو الضعف قيل وصوابه لو قال من الطوى او الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن ابى سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر) اى بشدة الحاجة فى مطعمه (والقمل) اى بكثرته فى ثوبه وبدنه (وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم) رضى بقضاء المولى وعلما بان ما عند الله لهم خير وابقى وقد اورد المؤلف هذا الحديث فى الفصل الاخير من القسم الثالث بطريق آخر وهو قوله وفى حديث ابى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء (وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه اذهب بسلام) اى منا ومنك (فقيل له فى ذلك) استعظاما لمرتبته مع الخنزير فى حقارته (فقال اكره ان اعود لسانى المنطق بالسوء) اى النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى احسن ولقوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن ابى حاتم واحمد فى الزهد عنه (كان طعام يحيى العشب) اى زهدا وقناعة ورفضا للنعمة (وكان) اى مع ذلك (يبكى من خشية الله عز وجل) اى مخافته مع انه قط ما هم بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى فى خده) اى موضع جرى كالنهر فى وجهه من اثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (وحكى الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) اى ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمسانى هو بسقوطه لا فى اصل القاضى وثبوته فى رواية العراقى اى لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل فى نقرة) بضم نون وسكون قاف اى حفرة ومنه نقرة القفاء (من حجر) اى بدلا من ظرف خشب او خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) اى يأخذ الماء بفيه من غير كف ولا اناء فيشرب منها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة) اى حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) اى لا كرامة (بما اكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) اى آثار الانبياء (فى هذا كله) اى فى هذا المعنى بجميعه (مسطورة) اى مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم فى الكمال) اى فى كمال ذواتهم (وجميل الاخلاق وحسن الصورة) ووقع فى اصل التلمسانى الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله من الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) اى مذكورة فى محالها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف الاولياء فى الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن اخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء انفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر اليهم وتمام الشفقة على اخوانهم (فلا نطول بها) اى بذكر جميعها (ولا تلتفت) ايها المخاطب (الى ما تجده فى كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو اى المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) اى التابعين لهم فيما نقلوه من اخبارهم (مما يخالف هذا) اى الذى ذكرناه عنهم فى سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم (فصــــل) (قد آتيناك) بالمد اى اعطيناك واعلمناك وفى نسخة صحيحة اتيناك بالقصر اى جئناك والاول اولى لقوله بعد الجملة المعترضة

الدعائية وهى قوله (اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة) اللهم الا ان يدعى ان من بمعنى الباء ثم الاخلاق الحميدة هى الشمائل السعيدة (والفضائل الجميدة) اى الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بالفتح اى المعدودة المعتدة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (واريناك) اى اظهرنا لك (صحتها) اى صحة روايتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلبنا) بجيم فلام فموحدة اى اوردنا ورويناو تصحف على الدلجى بقوله وحكينا (من الآثار ما فيه مقنع) بفتح ميم ونون اى ما يقنع به ويكتفى بذكره (والامر) اى الشأن (فى مناقبه اوسع) اى اكثر من ان يذكر هنا جميع مراتبه (فمجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم اى سعته وكثرته (فى حقه صلى الله عليه وسلم) اى من جهة نعته وصفته (ممتد) اى طويل لا يكاد ينتهى الى حد معتد (ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة اى قبل تصور فراغه او من غير تحقق فنائه وجوز اعجام الدال بمعنى مضيه (الادلاء) جمع ادلة جمع دليل اى دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) اى الذى اسعته وكثرته (زاخر) اى ممتلىء كثير ممدود عرضا وطولا قال التلمسانى ووصف ابن عباس عليا رضى الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر فى ضوئه وبهائه واسد خادر فى شجاعته ومضائه وفرات زاخر فى جوده وسخائه وربيع باكر فى خصبه وحيائه وروى عن على رضى الله تعالى عنه انه وصف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تكدره الدلاء) جمع دلو اى لا تؤثر فيه حين اخذ بعضه بنقص يورث صفوه كدرة فى ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل احد من العلماء الى غاية بره وحلمه ولا نهاية من ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا اتينا فيه بالمعروف) اى اختصرنا فى وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما اكثره فى الصحيح والمشهور) اى فى مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا فى ذلك) اى المعروف مما هنالك (بقل من كل) بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان فى القلة والكثرة اى على نقل قليل من كثير وفى الحديث الربا وان كثر فانه الى قل اى الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربى الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال اعطى غيضا من فيض اى قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض اللئام والمعنى واتينا هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو اولى من جعله تفسيرا لما قبله وتأكيدا واعتباره تفننا كما ذكره الدلجى (ورأينا ان نختم هذه الفصول) اى الواردة فى هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن ابى هالة) وهو خاله هند (لجمعه) علة لقوله رأينا او نختم اى لاستجماع حديثه او استحضاره نفسه (من شمائله) اى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم (واوصافه كثيرا) اى شيأ كثيرا مما لم يجمعه غيره الا نزرا يسيرا (وادماجه) اى ولادخال هند او الحسن فى حديثه (جملة كافية) اى جملا وافية (من سيره) اى من شمائله الخلقية (وفضائله) اى الوهبية (ونصله) عطف على نختم اى ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) فى تبيين مجمله (على غريبه) من جهة المبنى (ومشكله) من طريقة المعنى (حدثنا القاضى ابو على الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتى عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمى قراءة عليه) بالنصب وفى نسخة قرأت عليه (اخبركم) اى قال اخبركم فى ضمن اخبارى لكم (الفقيه الاديب) اى الجامع بين علمى المسائل الشرعية والقواعد العربية (ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابورى) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة بلد بخراسان (والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمدى) اى المنسوب الى مسمى بمحمد بصيغة المفعول (والقاضى ابو على الحسن بن على بن جعفر الوخشى) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية من اعمال بلخ سمع ابا بكر الحيرى بخراسان وابا نعيم الحافظ باصبهان وابا عمر الهاشمى بالبصرة وابا عمر بن مهدى ببغداد وتمام الرازى بدمشق وابا محمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من اقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخى سنن ابى داود (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو القاسم على بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعى) بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (انا) اى اخبرنا (ابو سعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشى) بمعجمتين منسوب الى بلد مشهورة من بلاد ما وراء النهر صاحب المسند ومحدث ما وراء النهر (انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة) بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذى صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) اى ابن الجراح ضعيف (ثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلى) بكسر مهملة فسكون جيم منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) اى رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو اقوى من الاملاء عن ظهر قلبه وثقه ابن حبان وضعفه غيره (قال حدثنى رجل من بنى تميم) قال الانطاكى هو ابو عبد الله التميمى (من ولد ابى هالة) بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من ابى هالة (ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها)

اى قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى اباعبدالله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة وبسكون الكاف وتخفيف النون اى يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابى هالة) اى بلا واسطة وهو غير معروف كما صرح به الذهبى فى ميزانه واصل هالة علم لدارة القمر فهو اقوى فى منع الصرف من هريرة فى ابى هريرة لان هريرة اسم جنس ثم هذا الاسناد ظاهره الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم فيه بل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه ان سمى فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع ابدا كذا ذكره بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لايضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو فى حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور والله تعالى اعلم (عن الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما قال) اى الحسن (سألت خالى هند بن ابى هالة قال القاضى) كان حقه ان يكتب رمز ح اشارة الى التحويل من سند الى آخر ويأتى بالعاطفة فيقول وقال القاضى (ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ ابى طاهر احمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير (ابن احمد بن خذاداد) بضم خاء فذال معجمتين فالف فدال مهملة بعدها الف فدال مهملة او معجمة لغة فارسية ومعناه بالعربية عطاء الله (الكرجى) بفتح كاف فسكون رآء فجيم (الباقلانى) بتشديد اللام وبعد الفه نون فياء نسبة لباقلا على غير قياس (واجازنا الشيخ الاجل) اى الجليل القدر واجل زمانه واكمل اقرانه (ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية فضم رآء يصرف ويمنع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو على الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسى) بكسر الرآء وبسكن (قرآءة عليه فاقربه) اى اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له اخبركم فلان او اخبرنى فلان عنك او نحوه وان لم يقر به فلا يكون دليلا ولا حجة ولابد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) اى ابو على المذكور (انا) اى اخبرنا (ابو محمد الحسن ابن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن على بن الحسين) بالتصغير فى الثلاثة (ابن على بن ابى طالب المعروف بابن اخى طاهر العلوى) بفتحتين قال الحلبى هذا الرجل ترجمه الذهبى فى الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة حيائه عن الدبرى عن عبدالرزاق باسناد كالشمس على خير البشر وعن الدبرى عن عبدالرزاق عن معمر عن محمد بن عبدالله بن الصامت عن ابى ذر مرفوعا قال على وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيامة فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولا يخفى انهما يدلان على كذبه ووضعه وعلى تفضيله ايضا واما على رفضه بمعنى سبه وبغضه فلا غايته ان الحديث ضعيف او موضوع من طريقه لكنه لايضر حيث انه ثابت باسناد الترمذى فى شمائله وانما اراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه فى اسناده ويسلك بنفسه فى سلك اسناده والا فكان يكفيه ان يسند الحديث الى الترمذى المعروف بثبوت سنده اما بكونه صحيحا او حسنا او ضعيفا لانه وغيره ملتزمون ان لايذكروا حديثا فيه راوى حكم بوضعه (ثنا) اى حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر ابن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن ابى طالب حدثنى) وفى نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) اى الصادق (ابن محمد بن على بن الحسين) قال الحلبى على هذا روى عن ابيه واخيه موسى والثورى وعنه احمد البزى وجماعة اخرج له الترمذى فقط قال الذهبى ما رأيت احدا لينه ولا وثقه ولكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذى ولا حسنه وقد رواه عن نصر بن على عنه عن اخيه موسى عن ابيه عن اجداده من احبنى انتهى والحديث هو من احبنى واحب هذين واباهما وامهما كان معى فى درجتى يوم القيامة اخرجه الترمذى فى المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره الحلبى (عن اخيه موسى بن جعفر) اى ابن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبدالله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال ابو صالح حاتم ثقة امام مات فى حبس الرشيد اخرج له الترمذى وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن اربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) اى الصادق (عن ابيه محمد بن على) هو ابو جعفر الباقر سمى به لتبقره فى العلم اى لتوسعه فيه روى عن ابويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون اخرج له الائمة الستة (عن على بن الحسين) هذا زين العابدين روى عن ابيه وعائشة رضى الله تعالى عنها وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى ما رايت قرشيا افضل منه اخرج له الائمة الستة قال المسعودى وكل عقب الحسين فهو من على بن الحسين هذا (قال قال الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) اى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) اى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون لا بالياء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن اهل البيت ومثله الاسناد المروى فى صفة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لو ذكر على ذى علة او مجنون لبرئ او على مصاب لافاق ولو رقى به

ملسوع لبرئ (سألت خالى هند بن ابى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام فتحتية اى وصفه ونعته (وكان) اى هند (وصافا) اى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة معترضة (وانا ارجو) جملة حالية اى اتمنى واحب كما فى رواية (ان يصف لى منها) اى من حليته (شيأ) اى بعضها (اتعلق به) اى اتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذى فى الشمائل وقد انفرد باخراجه عن اصحاب الكتب الستة وقد بسطت الكلام على دقائق مبانيه وحقائق معانيه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل وهنا اتبع المصنف فى ضبط مبناه اولا وربط معناه ثانيا وبالله التوفيق وهو الهادى الى سوآء الطريق (قال) اى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما) اى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة اى معظما مكرما فى القلوب كما يشير الى هذا المعنى ما ورد انه من رآه بجأة هابه ومن خالطه عشرة احبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه وخلقته لما سيأتى خلافه فى نعته ولا يبعد ان يقال معناهما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ وجهه) اى يضىء من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألؤ القمر ليلة البدر) اى كاضاءته حال بدره وبدوره (اطول من المربوع) اى القصير المربوع القامة (واقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة اى الطويل البائن (عظيم الهامة) بتخفيف الميم اى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين وبسكن اى متكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) اى انفرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) اى تركه مفروقا (والا فلا) اى وان لم ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين ناحيتى شعر الراس (يجاوز شعره) اى شعر رأسه (شحمة اذنيه) اى احيانا ويروى شحمة اذنه بالافراد والشحمة معلق القرط وهو ما لان من اسفلها (اذا هو وفر) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير اى تركه وافرا او جعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى الشحمة (ازهر اللون) اى ابيض نيرا وقد جاء من حديث على رضى الله تعالى عنه انه كان ابيض مشربا بحمرة على ما اخرجه ابو حاتم عنه وكذا اخرج عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ابيض اللون وفى المسند من رواية عبدالله من طريقين ان رجلا سأل عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام فقال فيه انه ابيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التى تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه فلا ينافى ما جاء فى الصحيح من حديث انس انه عليه السلام لم يكن بالابيض الامهق ولا بالآدم واما ما فى المسند لاحمد من حديث انس انه عليه الصلاة والسلام كان اسمر فالمراد به اسمر الى البياض كما ذكره ابن عباس رضى الله تعالى عنه (واسع الجبين) اى من جمال خلقه ويمكن ان يكون كناية عن كمال خلقه واصل الجبين ما بين الصدغين (ازج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى اى دقيقها مع غزارة شعرها وتقوس اصلها (سوابغ) اى كوامل طولا وذوابل اصلا والسين اعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن اى من دون اجتماع واتصال بين الحاجبين ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرائى وبعده او المراد بالاثبات قرب القرن وبالنفى بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه له واما ما جوزه الحلبى من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) اى بين حاجبيه (عرق) بكسر اوله (يدره) من الادرار اى يكثره ويحركه ويهيجه (الغضب) اى عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (اقنى العرنين) بالكسر اى طويل الانف مع دقة ارنبته وحدب فى وسطه على ما فى نهاية ابن الاثير ويكنى به عن العز الذى معه منعة وذلك لشموخ انفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهرى وعرنين كل شىء اوله وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو اول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) اى لانفه بخصوصه (نور يعلوه) اى يظهر عليه او يرفعه من كثرة ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه (يحسبه) بكسر السين وفتحها اى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او انفه الوضىء (من لم يتأمله) اى وجهه (اشم) مفعول ثانى ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهرى وهو من ارتفع وسط قصبة انفه مع استوآء اعلاه واشراف ارنبته قليلا من منتهاه فان كان فيه احديداب فهو اقنى (كث اللحية) بتشديد المثلثة اى غزير شعرها وكثير اصلها وفى رواية كان كثيف اللحية وفى اخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه رحمه الله تعالى كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكى من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافى الرواية والدراية لان الطويل مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا ثم هذا لا ينافى ما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان الكثيف والخفيف من الامور الاضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل الكثيف على اصله والخفيف على عدم طوله وعرضه واما قول الفقهاء فى تعريف اللحية الخفيفة هى ما تظهر البشرة

من تحتهما فحادث اصطلاحا ومبنى الاحاديث هذه على المعنى اللغوى تصحيحا واصلاحا (ادعج) اى فى العين وهو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) اى سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) اى عظيمه او واسعه والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره ولعله للايماء الى سعة الفصاحة وظهور اثر الملاحة (اشنب) بمعجمة فنون فموحدة اى ابيض الاسنان او الشنب رونقها وماؤها وبهاؤها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة اى مفرج الثنايا الحديث على افلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء مادق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة (كان) بتشديد النون (عنقه) اى رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج او رخام او غيرهما ويتانق فى تحسينها ويبالغ فى تزيينها حال كون عنقه (فى صفاء الفضة معتدل الخلق) بفتح الخاء اى متناسب الاعضاء فى الحسن والبهاء (بادنا) اى عظيم البدن من جهة اللحم او خلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل صلب الجسم غير مسترخى اللحم كما قال (متماسكا) اى ليس بمسترخى اللحم وروى متماسك بالرفع اى هو متماسك يمسك بعضه بعضا لشدته ولا ينافيه ماورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم اى خفيفه يعنى بالاضافة الى السمين البطين (سوآء البطن والصدر) بالاضافة اى مستويان لا يرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (منسج الصدر) بضم ميم وكسر معجمة فتحتية فمهملة اى باديه وظاهره لا تطامن ولا انخفاض به كانه لا ارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين من المساحة او السياحة اى عريضه وهو ايماء الى سعة صدره فى امره وانشراح قلبه بحكم ربه (بعيد ما بين المنكبين) اى وسيع ما بين الكتف والعنق قال ههنا بعيد وفيما سبق عظيم فعظمه اما البعد فهما سوآء او هناك كثير اللحم وهنا بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) اى عظيم رؤس العظام وجبها جمع كردوس وهو رأس العظم او كل عظمين التقيا فى مفصل كالمنكبين والوركين (انور المتجرد) بفتح الرآء المشددة وهو ما جرد عنه ثوبه من جسده (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة اى موضع القلادة وهو الصدر او النحر وما موصولة (والسرة بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) بتشديد الطاء المهملة اى يمتد مشابها للخط المستطيل وهو ما سبق من معنى المسربة شبهه بجريان الماء وهو امتداده فى سيلانه (عارى الثديين) بفتح فسكون اى ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيد الاول قوله (ما سوى ذلك) اى ما سوى الخط والمعنى الا ماسبق من شعر المسربة وروى مما سوى ذلك (اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر) جمع اعلى اى ما فوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان ما بعده قليل الشعر واما ما ورد عن على كرم الله وجهه على ما فى حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذى لا شعر عليه فمحمول على انه اريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لا الاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح فسكون اى عظمى الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم اوله اى وسيع الكف وهو قد يكون كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما الغليظان على ما فى القاموس اى يميلان الى غلظ وقصر او الى غلظ فقط ويحمد ذلك فى الرجال لانه اشد لقبضهم وبطشهم واقوى لمشيهم وثباتهم ذكره ابن الاثير فى المثلثة (سائل الاطراف) اى بالسين المهملة واللام اسم فاعل (او قال) شك من الراوى (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى اى ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجى وزيد فى نسخة صحيحة وسائر الاطراف بالرآء ويدل عليه ذكره فى كلام المصنف عند حل مشكله وقد قال ابن الانبارى روى سائل الاطراف او قال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بهما واما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قال الانطاكى هو بواو العطف اى وسائر اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة وفى نسخة بكسرها وروى بتقديم الموحدة والعصب بفتح المهملتين على ما فى الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واما قول الحلبى هو تصحيف والصواب بالقاف فهو عن صوب الصواب تحريف والمعنى ممتد الاطناب مفاصله وعتاقة من غير تعقد ونتو وروى القصب بالقاف قال الهروى وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساعد رواه ابن الانبارى قال والواو هو الاشبه والمراد عظام ساعديه وساقيه باعتبار طولهما (خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص اى شديد تجافى اخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذى لا يلصق بها منها عند الوضع (مسيح القدمين) اى ملساوين لينين لا تنويهما وهو بفتح الميم وكسر المهملة قال الحجازى ويروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو اى يأبى عن قبولهما ووقوفه فيهما لملاستهما (اذا زال) اى عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة ويروى قلعا بكسر اللام وسكونها ويروى اذا مشى تقلع اى رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كانه يتثبت فى المشية بحيث لا يظهر منه العجلة وشدة المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد فى مشيك اى لا مشى الخيلاء ولا سير متماوت كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا

وزيد فى نسخة صحيحة (ويخطو تكفيا) بضم فاء مشددة فهمز او واو وسبق بيان مبناه وتبيان معناه (ويمشى هونا) اى برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وهو لا ينافى قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمة وكسر الميم اى سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذا مشى كانما ينحط) اى ينزل (من صبب) او فى صبب كما فى رواية اى منحدر من الارض لقوة مشيه وتثبت خطوه فى وضعه وحطه قال الازهرى الانحطاط من صبب والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض فى المعنى وان اختلفت الفاظها فى المبنى واما حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت احدا اسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت لانه عليه الصلاة والسلام كان يثب وثوب الشطار او على ان السرعة كانت تقع فى مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف وقد روى انه عليه السلام قال سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن على ما رواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) اى يمنة او يسرة او الى احد من جانبيه (التفت جميعا) اى مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلا يسارق النظر ولا يكون كالطير الخفيف الطيش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) اى بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى الارض اطول) اى اكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه اجمع للفكرة واوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد اللام اى معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلى الصدغ وكانه اراد بها هنا حال كثرة تفكره فى امره المانع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرقه او الى احد من اهله (يسوق اصحابه) اى يقدمهم امامه ويمشى خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا فى الحضر واما فى السفر فلزيادة مراعاة اضعف القوم ومحافظتهم من ورآئهم وكان لا يدع احدا يمشى خلفه ويقول دعوا خلفى للملائكة قال النووى وانما تقدمهم فى سور صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعا طائفة مشى امامهم انتهى ولا يبعد ان يقال انما تقدمهم مبادرة الى ما اراد من تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه الصلاة والسلام (ويبدأ) وفى رواية ويبدر بضم الدال اى يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما فيه من التواضع اولا والتسبب لفرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التى هى افضل من الفريضة وفيه اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسرآء لما وصل الى مقام الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ فى الثناء قال الله تعالى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا اتفق عليه الترمذى والطبرانى والبيهقى فى روايتهم عن ابن ابى هالة وقد اقتصر عليه السيوطى فى جامعه الصغير واما باسناد المصنف على وفق ما فى الشمائل للترمذى فقد قال الحسن بن على لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له الحظ الاكمل من بعض فعله الاجل (قلت صف لى منطقه) اى كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صدقه (قال) اى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) اى وهو مما يوجب تكليل اللسان وتقليل البيان (دآئم الفكرة) اى فى امر الآخرة (ليست له راحة) لانه فى دار محنة وهذا كله مما يقتضى قوله (ولا يتكلم فى غير حاجة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه المسافوت مطلوب عاجل ولا بتوقع مكروه آجل فان ذلك منهى عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما اشار اليه قوله تعالى حكاية عن اهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنى الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما ما نقله الحلبى عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن ابى هالة فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان لا يثبت وفى اسناده من لا يعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا واسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن اين يأتيه الحزن فمدفوع بما نقله الحلبى ايضا عن شيخ الاسلام ابى العباس بن تيمية فى حديث هند بن ابى هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دآئم الفكر متواصل الاحزان ما لفظه فالصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب او حصول مكروه فان ذلك لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث فى المبنى واحتياج تأويله فى المعنى ثم هذا كله من هند يدل على كماله حيث ذكر هذه المقدمة توطئة فى مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) اى يطلب ابتدآءه وانتهاءه (باشداقه) اى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة اى

بالكلم الجوامع لمبانى يسيرة ومعانى كثيرة وفى الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء اى الجامعة لمقاصد صالحة وفوائد صحيحة (فصلا) اى يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرفه كل احد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل اى بين الحق والباطل او قاطع جامع مانع (لا فضول فيه) اى عريا من الفائدة فيكون مملا (ولا تقصير) اى فيه عن اصل معناه وما يتعلق بمبناه من منافعه الزائدة فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم فمثلثة اى كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافى) اى غليظ الطبع او الذى يجفوا اصحابه (ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة اى لا يهين احدا من الناس فتكون الميم زائدة والفتح من المهانة اى الحقارة فتكون الميم اصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين اى حقير (يعظم النعمة) اى نعمة الله (وان دقت) اى قلت وصغرت (لا يذم شيأ) اى من نعمه سبحانه وتعالى او احدا من خلقه لنزاهته عن البذاء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) اى يعيب (ذواقا) بفتح اوله وتخفيف واوه اى مأكولا ومشروبا واما حديث ان الله لا يحب الذواقين والذواقات فيعنى بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولا يمدحه) اى لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه فيميل الى التمتع بمتاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها ليترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم ما بال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لا تنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى او كالانعام (ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق) ببناء المفعول فيهما والمعنى لا يقوم احد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض احد له فى امر ربه (بشئ) اى بسبب مأمور او منهى وروى لشئ باللام اى لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ (حتى ينتصر له) اى يقوم بنصرة الحق الواجب فى حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولا يغضب لنفسه) اى لحظها وبسببها (ولا ينتصر لها) اى لمجرد حقها (اذا اشار) اى وقت خطابه فيما بين اصحابه (اشار بكفه) كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام واستثنى منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالمسبحة الى تحقيق المرام (واذا تعجب) اى من شئ عظم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها اى قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه ينقلب عن قرب حال ما به التعجب (واذا تحدث) اى تكلم (اتصل) اى كلامه (بها) اى مقرونا بكفه واشارته اليها تأكيدا بيها وتصحف الدلجى حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال اى قصد من قولهم فصل علينا اى خرج من طريق او ظهر من حجاب قاصدا ايها (فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) ويروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة فى الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفعل ملم تأكيدا بالجمع بين تحريك اللسان وبعض الاركان على انه وقع فى الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) اى ظهر اثر غضبه على احد (اعرض) اى عنه ليبعد منه ويسهل امره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة فى آخره اى مال وانقبض ذكره الانطاكى تبعا للمصنف والاظهر ان يقال بالغ فى اعراضه بصفح عنقه عنه ممتثلا لقوله سبحانه وتعالى فاعرض عنهم واصفح (واذا فرح) اى حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون اى غمض عينيه او خفض بصره واطرق رأسه تواضعا لربه وتباعدا عن حصول شرهه واشره (جل ضحكه التبسم) اى معظم انواع ضحكه التبسم وهو ما لا صوت فيه مطلقا وقد روى ان يحيى اذا لقى عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما ويلقاه حزينا يشبه باكيا فقال يحيى لعيسى اراك تتبسم كانك آمن وقال عيسى ليحيى اراك تحزن وتبكى كانك آيس فاوحى الله اليهما احبكما الى اكثركما تبسما ولعل يحيى كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغلبة الجمال لقوله الانسى فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت (ويفتر) بتشديد الراء اى يبدى اسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) اى البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) اى ابن على (فكتمتها) اى اخفيت هذه الحلية او هذه الرواية (عن الحسين بن على زمانا) اى اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) اى اخبرته بهذا الحديث اى ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقنى اليه) اى مع زيادة فضيلة وجدت لديه كما بينه بقوله (فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح العين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام اى عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه او عن احوال مجلسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سواء كان مصدرا او مكانا وقال الحلبى هو بفتح اللام اى هيئة جلوسه وهو خطأ فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح اوله وجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثانى هو المراد هنا لتقدم ما تعلق بالاول ولقوله فيما سيأتى فسالته عن سيرته (فلم يدع منه شيأ) اى فلم يترك الحسين شيأ من متعلقات جميع ما ذكر الا وقد سأله وحققه وهذا من كمال انصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق

التفصيل فكما بينه بقوله (قال الحسين سألت ابى) اى عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر او من رواية الاقران فان ما بينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) اى على (كان دخوله) اى فى بيته (لنفسه) اى لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (مأذونا له) اى من عند ربه (فى ذلك) اى فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لما هنالك وقيل كان مأذونا له ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسما عليه فى زوجاته وقيل معناه انه لا يدخل بغير استئذان (فكان اذا اوى) بالقصر هو الاولى ومنه المأوى اى وصل الى منزله واستقر فى محله (جزأ) بتشديد الزاى فهمز اى قسم (دخوله) اى زمنه (ثلاثة اجزاء) اى اقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده فى النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ لاهله) اى يدبر امرهم وحالهم ويصلح شأنهم ومآلهم فيما لهم (وجزأ لنفسه) اى لاستراحتها كالقيلولة ونحوها او لورود وفود وضرورة قضية الجأت بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض احوال الجهاد واعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى قوله (ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس) اى من خواص اصحابه وزمرة احبابه (فيرد) اى فى بعض زمن نفسه (ذلك) اى نفعه لما هنالك (على العامة) اى الذين لم يقدروا عليه فى تلك الحالة (بالخاصة) اى بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثير اراد ان العامة كانت لا تصل اليه فى هذا الوقت فكانت الخاصة تخبرهم بما سمعوا منه فكانه اوصل الفوائد الى الخاصة بالعامة وقيل ان الباء بمعنى عن اى يجعل وقت العامة بعد الخاصة فيكونون بدلا منهم (ولا يدخر) اى لا يخفى من العلم او المال (عنهم شيأ) اى مما ينفعهم واصل يدخر بالدال المهملة المشددة يذتخر بالمعجمة قلبت التاء دالا مهملة لا تحادهما مخرجا فصار يذدخر بمعجمة فمهملة ثم ادغم بالمهملة بعد قلب المعجمة بها وهذا انطق الاكثر ومنه قوله تعالى وادكر (فكان) كذا فى النسخ وكان الظاهر بالواو (من سيرته) اى من حسن طريقته (فى جزء الامة) اى امة الاجابة اشريعته (ايثار اهل الفضل) اى اختيارهم لاعتبارهم (باذنه) اى بامره اكراما لهم ونفعا لمن تبعهم او بامر اهل الفضل ومنه حديث الشراب فى الغلام وهو ابن عباس رضى الله تعالى عنه مع الاشياخ ابى بكر وعمر فاستأذن فاذنوا له (وقسمه) بفتح القاف اى قسمته كما فى نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل او المفعول اى قسمة الجزء او قسمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) اى الافضل فالافضل (فى الدين) اى بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا بمجرد النسب ومقتضى الحسب او كثرة الذهب ثم هم مع تفاوتهم فى مراتب الفضيلة متفاوتون فى مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كما يشير اليه قوله (منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج) اى ثلاثا فاكثر وهو جمع حاجة من غير قياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) اى على حسب منافعهم (ويشغلهم) بفتح الياء والغين لا بضم اوله وكسر ثالثه فانه لغة رديئة (فيما اصلحهم) اى ذلك الوقت وفى نسخة يصلحهم ولعله من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير ويصلح عامة الامة (من مسألته) وروى من مسألتهم (عنهم) اى من اجل سؤاله عن احوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجى من بيانا لما وهو غير صحيح فى المعنى لانه لو اريد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لا يخفى (واخبارهم) اى ومن اجل اخباره اياهم (بالذى ينبغى لهم) اى يصلح لهم خاصة او للعامة كافة (ويقول) اى فى جميع المراتب (ليبلغ) بالتشديد والتخفيف (الشاهد) اى ليوصل الحاضر (منكم الغائب) اى الموجود او من سيوجد فى عالم الوجود ما سمعه منى ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وابى حنيفة وبعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابى الاكبر والغائب الاصغر او الشاهد الصحابى والغائب التابعى او الشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

اخو العلم حى خالد بعد موته * واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

او الشاهد الحضرى والغائب البدوى او الشاهد السامع والغائب من لم يسمع او الشاهد الذكور والغائب الاناث او الشاهد المسلم والغائب الكافر وروى الشاهد الغائب بدون منكم (وابلغونى) اى اوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغى حاجته) وروى ابلاغ حاجته (فانه) اى الشان (من ابلغ سلطانا) اى نبيا او خليفة او قاضيا او حاكما او اميرا او وزيرا ولو سلطانا جائرا (حاجة من لا يستطيع ابلاغها) اى بنفسه الا بكلفة ومشقة (ثبت الله قدميه) اى على الصراط او فى الموقف (يوم القيامة) لما قام بحق الاخوة وثبت فى مقام الرحمة والشفقة (لا يذكر عنده) بصيغة المجهول (الا ذلك) اى الذى ينشأ عنه نفعهم ويترتب عليه رفعهم (ولا يقبل) اى هو (من احد غيره) اى غير ما فيه منفعة

هنالك ولا يبعد ان يقرأ ولا يقبل بصيغة المفعول فتأمل (قال) اى على (فى حديث سفيان بن وكيع) اى بروايته
خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد اى حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر اوله مخففا
على انه مصدر اى يتحينون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة اى ملتجئين اليه ومتحصنين ممتنعين به
او متقربين لما عنده (ولا يتفرقون) اى لا يفترقون بعد دخولهم (الا عن ذواق) بفتح اوله اى عن علم وحكم وحلم
يكتسبونها منه او عن مذوق من مأكول او مشروب يحضر عنده واقتصر اهل الذوق على الاول فتأمل
وان كان الجمع ان تصور او تيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (ويخرجون ادلاء) جمع دليل اى هداة (يعنى فقهاء)
اى علماء بالكتاب والسنة قال التلمسانى هذا القول لابن شاذان على مانقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة اى
متواضعين او منقادين (قلت) القائل هو الحسين بالتصغير لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) كيف
كان يصنع فيه لا تتبع فى جميع افعاله من دخوله وخروجه وسائر احواله (قال) اى على (كان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاى اى يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الا فيما يعنيهم) بكسر النون اى يهمهم
وينفعهم وفى نسخة من الاعانة اى يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر لفظه وزواجر وعظه ومنه (شعر)

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخازن

(ويؤلفهم) بتشديد اللام اى يوقع الالفة بينهم من سحائب كرمه وسواكب نعمه فيجمعهم (ولا ينفرهم)
بتشديد الراء اى لا يتكلم بما ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم (يكرم) من الاكرام اى يعظم (كريم كل قوم) اى رئيسهم
وشيخهم ويقول ايضا اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام اى يجعله واليا
(عليهم) اى تألفا به وبهم (ويحذر الناس) اى لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ثم عطف
بالتفسير قوله (ويحترس منهم) اى يتحفظ عنهم ففى الحديث الحزم سوء الظن وفى لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن
والمعنى لا تثقوا بكل احد منكم فانه اسلم لكم فهو لا ينافى قوله تعالى ان بعض الظن اثم او فيحذر من الغائب ويحترس
من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعرابى لا جميعهم فى هذا الباب (من غير ان يطوى) بكسر الواو اى يمنع
(عن احد) وفى نسخة على احد (بشره) بكسر الموحدة اى بشاشة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) اى حسن عشرته
وطراوته وهذا فى حق من حضر منهم فى خدمته اذا وجدوا (ويتفقد اصحابه) اى يتعرف احوالهم اذا غابوا او فقدوا
(ويسأل الناس عما فى الناس) اى عما يوجب التفقد والتفحص للاستئناس (ويحسن الحسن) بتشديد السين وتخفف
اى يبين حسن ما يكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو اى يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا
عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الباء والهاء مشددة او مخففة بعد ها نون او ياء اى يظهر قبحه
وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) اى كان امره وشأنه كله فى غاية من الاعتدال ونهاية من كمال الجمال
مما للقلب فيه راحة وللعين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة اى غير مفرط ولا مفرط او غير متناقض ولا متعارض
(لا يغفل) بضم الفاء اى لا يظهر الغفلة بالمرة لارباب الصحبة (مخافة ان يغفلوا او يملوا) بفتح ميم وتشديد لام اى
يسأموا او للتنويع (لكل حال) اى من احوال الدنيا والعقبى (عنده عتاد) بفتح مهملة ومثناة فوقية
اى عدة زاد ومعد معاد (لا يقصر عن الحق) لا يفرط فى اقامته (ولا يجاوزه الى غيره) اى ولا يتعدى عن غاية
مرتبته (الذين يلونه) اى يقربونه (من الناس خيارهم) مبتدأ وخبر (وافضلهم عنده اعمهم نصيحة) اى لله وكتابه
ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس انفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغة وهى كلمة جامعة يعبر
بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة) اى مشاركة فى الرزق والمعيشة
قلبت همزتها واوا بدليل حديث ما احد عندى اعظم يدا من ابى بكر آسانى بنفسه وماله وآساه بالهمز اعلى من واساه
وقيل لا تكون المواساة الا من كفاف (وموازرة) اى معاونة من الوزر بمعنى الملجأ او بمعنى الحمل وروى بالهمز مكانه
من الازر بمعنى الظهر لان منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع فى اصل الدلجى تقديم موازرة وهو مخالف للاصول
المعتبرة (ثم قال) اى الحسين بن على رضى الله عنهما (فسألته) اى ابى (عن مجلسه) اى جلوسه صلى الله تعالى
عليه وسلم او مكانه وكيفية حاله ومراتب شأنه ولذا ابدل منه بقوله (عما كان يصنع فيه) اى فى جلوسه او مجلسه
وقد اغرب الدلجى حيث قال هنا ايضا ما سبق له من انه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر انه يجوز بكسر اللام وقد
تقدم ان فتحها خطأ مبنى ومعنى (فقال) اى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) اى بعد
قيامه من نوم او غيره (ولا يقوم) اى بعد جلوسه (الا على ذكر) اى من افادة علم وذكر او بيان حمد وشكر عملا
بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولا يوطن الاماكن) من الايطان او التوطين اى لا يجعل

لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لا يجلس فى غيره (وينهى) اى غيره ايضا (عن ايطانها) اى اتخاذها معينة
وقيل مصلى لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلى فيه
وفى رواية نهى عن ان يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يألف الرجل مكانا معلوما
من المسجد مخصوصا يصلى فيه كالبعير لا يأوى من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا له ولعله اريد به
خصوص من لم يألف من المسجد مكانا يفتى به او يدرس فيه فان له ان يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق اصحابه عليه
ولكن الاولى ان لا يلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عنه نظرا الى عموم النهى ورخص للامام
بوقوفه فى موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهى غيره مخافة دخول الرياء والسمعة فى الطاعة
ثم رأيت النووى صرح به حيث قال وانما ورد النهى عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والا
فلا بأس بملازمة الصلاة فى موضع من البيت لحديث عتبان بن مالك فلم يجلس يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حين دخل البيت ثم قال اين تحب ان اصلى من بيتك فاشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمسانى كان مقعد
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لاصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ
نهيه عن ذلك لوجوه احدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثانى ان يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به
والثالث ان يرى انه استحقه دون غيره قلت والرابع انه يعتقد عدم جوازه فى غيره كما قيل فى كراهة تعيين سورة
فى صلاته وينبغى ان يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما انه استثنى ما ورد فى قرآءته الآثار المسطورة ولا يبعد ان النهى
مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله اعلم بالصواب (واذا انتهى الى قوم)
اى جالسين او الى مجلسهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث
اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (ويأمر بذلك) تأكيد اللامر بالقول بانضمامه الى الفعل
ويقول ان الله يكره عبده ان يراه متميزا عن اصحابه (ويعطى كل جلسائه نصيبه) اى من مباشرته ومحادثته (حتى
لا يحسب جليسه) اى لا يظن مجالسه (ان احدا اكرم عليه منه) اى من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال
ظاهره (من جالسه او قاومه) اى وافقه فى جلوسه او قيامه بمعنى جلس معه او قام معه (لحاجة) اى عارضة
لصاحبه (صابره) اى بالغ فى حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) اى بعد انقضاء حاجته منه
(من سأله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الا بها) اى الا بقضائها او وعد ادائها كما بينه بقوله (او بميسور) اى
بما تيسر له (من القول) وهو يشمل دعاءه له بحصولها فأو للتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب اى عمهم (بسطه وخلقه) اى
بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم ابا) اى من كمال الشفقة وحسن تأديب التربية
لان نبى كل قوم بمنزلة ابيهم كما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم وفى قرآءة شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم (وصاروا عنده فى الحق) اى فى حق الرحمة والرأفة (متقاربين) اى كالاولاد عند الوالدين متساوين
فى اصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) اى عن المعصية (والتقوى) اى على الطاعة لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم (وفى الرواية الاخرى) اى عنه او عن غيره (وصاروا عنده فى الحق سواء) اى فى حكم الحق للخصومة
او فى اصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس حلم) اى وقار وسكينة (وحياء وصبر وامانة) اى لا مقام وقاحة وخفة
وخيانة (لا ترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية وهذا بيان لحلمهم
وحيائهم (ولا تؤبن فيه الحرم) وضبطهما تقدم اى لا يذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وامانتهم (ولا تنثى)
بضم اوله فسكون نون وفتح مثلثة اى لا تشاع ولا تذاع ولا تذكر من النثاء وهو اعم من ذكر الحسن والقبيح وخبر الخير
والشر وقيل مختص بالشر وهو فى هذا المقام اظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فمثلثة فنون اى لا تعاد (فلتاته) بفتحتين
وقد تسكن اللام اى زلات مجلسه وعثرات من حضر فى مقام انسه والمعنى لم يكن لمجلسه فلتة فتنقل فالنفى منصب
على القيد والمقيد كقوله تعالى لا يسألون الناس الحافا اى اصلا (وهذه الكلمة) اى الجملة الاخيرة وهى
ولا تنثى فلتاته ثابتة (فى غير الروايتين) اى المذكورتين فى سند هذا الحديث (يتعاطفون) اى فيه كما فى نسخة صحيحة
اى فى مجلسه خصوصا يتحابون ويتراحمون (بالتقوى) اى بسببها لحديث ابى داود والترمذى لا تنزع الرحمة الا من شقى
او بحسب تفاوت مراتبها حال كونهم (متواضعين) اى بعضهم لبعض كما قال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين وكما قال اشداء على الكفار رحماء بينهم (يوقرون فيه) اى فى مجلسه خصوصا (الكبير) اى فى السن
او الرتبة بما يجب له من العظمة (ويرحمون الصغير) اى بمقتضى الشفقة (ويرفدون) بضم الفاء وكسرها وحكى فتحها

وفي نسخة من الارفاد اي يعينون و يغيثون (ذا الحاجة) ويعطون صاحب الفاقة وقيل رفد اعطى وارفده اعانه والرفد بالكسر هو العطاء (ويرحمون الغريب) اي لبعده عن بلاده واصحابه ومفارقة اولاده واحبابه (ثم قال) اي الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما (فسألته) اي ابي (عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم في جلسائه) اي عن طريقته في حقهم حال حضورهم في خدمته (فقال) اي علي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) اي غير مقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت في حالته (سهل الخلق) اي لين الطبع مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفف اي في كمال من الرفق (ليس بفظ) اي سيئ الخلق (ولا غليظ) اي سيئ القلب (ولا سخاب) اي صياح وفي رواية ولا صخوب والصاد لغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفي لاصل المعنى لا للزيادة والاظهر ان الكلمة بوضعها للنسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء في حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار اي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا تهالكا عليها وتمالؤا اليها وفي رواية في الاسواق فالمراد نفي رفع الصوت بالمخاصمة والمشاجرة على ما هو المعروف في العادة فلا ينافي ما ورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لا شريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية في اثره (ولا فحاش) اي ذي فحش من كلام غليظ (ولا عياب) اي على احد قولا وفعلا مرضيا او في غيبة احد او لمأكول ومشروب كما سبق (ولا مداح) اي مبالغ في مدح احد ويروى بالزاي اي كثير المزح لما ثبت في وصفه من مدحه ومزحه احيانا واما ما وقع عند شارح بالراء فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو الفخر والتجبر (يتغافل عما لا يشتهي) اي عما لا يجب على احد فيه ان ينتهي (ولا يؤيس منه) بالبناء للفاعل او المفعول من اليأس ضد الرجاء على ما مر له من بيان المعنى (قد ترك نفسه) اي لم يجعل لها حظا (من ثلاث) اي ثلاث خصال بينها بافادة ابدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لا يعرف الله ممن يلتفت الى ما سواه ووقع في اصل التلمساني الرياء بدون من فجوز جره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ورفعه على انه خبر لمحذوف قلت لو صحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير اعني كما لا يخفى على ارباب الدراية (والاكثار) اي ومن اكثار القول الممل للحضار او من اكثار متاع الدنيا لكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التي هي بالاستكثار اولى واحرى (وما لا يعنيه) اي ومما لا يهمه ولا ينفعه ولا يغنيه وكيف لا وفي حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) اي ابعدهم عن ساحة ما ينقصهم (من ثلاث) بينها لا بابدالها كما قال الدلجي بقوله (كان لا يذم احدا) اي بما يضع قدره (ولا يعيره) بتشديد التحتية اي لا يعيبه بعيب سبق امره اذ ورد في حديث الترمذي عن معاذ مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال التلمساني هما واحد والا لكان العدد اربعا قلت الصواب انهما عددان لانهما متغايران وان الثالث قوله (ولا يطلب عورته) اي لا يسيئ ظنه به فيتجسس عن امره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا ولحديث ابي داود على المنبر يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته بمعنى كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقد تمت الثلاث فعطف على ما قبلها قوله (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) اي في فعله او يخاف من عقابه في تركه ولعله ترك للاكتفاء او لكمال ظهوره (اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير) اي اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذا سكت تكلموا) اي تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لا يتنازعون عنده الحديث) اي لا يتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتوا له) اي سكتوا له او اسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) اي من كلامه وتحصيل مرامه (حديثهم حديث اولهم) مبتدأ وخبر متضمن لتشبيه بليغ اي حديث آخرهم كحديث اولهم في الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفي رواية حتى يفرغ حديث اولهم وروى حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث اولهم (يضحك مما يضحكون منه) اي بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحسينا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء اي الغلظة والسقطة والغلطة (في المنطق) اي في العبارة وهذا كله كان دأبه في العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية او مستأنفة بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع او وصل اي اعطوه ولو بعض كفايته او اعينوه على قضاء حاجته (ولا يطلب الثناء) اي ولا يقبله كما في رواية (الا من مكافئ) بكسر فاء فهمز اي معتقد لثنائه او مقتصد في ثنائه غير متجاوز الى اطرائه الا تراه يقول لا تطروني

كما

كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبي الله او رسول الله فقد وصف بما لا يوصف به احد من امته فهو مدح مكافئ له وما احسن قول البردة في هذه الزبدة

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(ولا يقطع على احد حديثه) اي كلامه في اثنائه بل ينصت له (حتى يتجوزه) اي يتعداه ويتخلص (فيقطعه بانتهاء) اي لحديثه ولو بعد في قعوده (او قيام) اي له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) اي شيخ الترمذي (وزاد الآخر) اي بسند المصنف من طريق ابي علي الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن علي راويا عن اخيه الحسين رضي الله تعالى عنهما (قلت) اي لابي (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اي علي (كان سكوته على اربع) اي حالات او صفات (على الحلم) اي الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) اي عما يخشى فيه من الضرر (والتقدير) اي تقدير الشيء بمعنى التصوير (والتفكر) اي فيما يحتاج اليه من التقدير (فاما تقديره) تفصيل على خلاف ترتيب ما اجمل به (ففي تسوية النظر) اي التأمل في الامر او مساواة النظر بالبصر (والاستماع بين الناس) كما قرر في آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء في الاستواء وروى الاستمتاع بمعنى الانتفاع (واما تفكره ففيما يبقى) اي من اعمال العقبى (ويفنى) اي من احوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا او فيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر) اي في حال صبره (فكان لا يغضبه) بضم اوله وكسر ضاده اي لا يحمله على الغضب (شيء يستفزه) بتشديد الزاي اي يستخفه ويفزعه (وجمع له في الحذر) اي التيقظ في الحضر والسفر والتحرس عن الضرر (اربع) اي من الخصال الجيدة والاحوال السعيدة احداها (اخذه بالحسن) اي قولا وفعلا (ليقتدى به) اي علما وعملا سواء كان واجبا او مندوبا او مباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم او على انه خبر مبتدأ محذوف هو هو او على انه بدل من اربع بدل الكل بتأخير الربط او بدل البعض بتقديمه على وجه شموله ويجوز نصبه بتقدير اعني اذ الا كما توهم الدلجي في اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من اجله (وتركه القبيح) اي حراما او مكروها او ما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول اي لينتهي عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك ما يعد قبيحا في حق غيره وان كان وجوده صحيحا في حقه ليكون دليلا على انتهائه صريحا او ليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه (واجتهاد الرأي) اي بذل الجهد في ظهور الاحرى (بما اصلح امته) اي بسبب صلاح امرهم وموجب فلاح اجرهم (والقيام لهم) اي لمصالحهم ونظام احوالهم (بما جمع لهم امر الدنيا والآخرة) بنصب الامر على ما في الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع في اصل الدلجي من امر الدنيا والاخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية او بيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) اي وصف نبي الله (بحمد الله) اي مقرونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغي ان يحمد الا اياه

(فصل) (في تفسير غريب هذا الحديث) اي باعتبار مبناه (ومشكله) اي من جهة معناه وانما سمي غريبا للغرابة استعماله حيث غيره في المداولة اكثر نصيبا ويكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة (اي البائن الطول) بالاضافة اي المفرط فيه المباين عن قد الطوال او المفارق عن رتبة قامة الربعة (في نحافة) اي حال كونه واقعا في صفة النحافة التي هي ضد الضخامة (وهو) اي المشذب (مثل قوله في الحديث الآخر) اي للترمذي والبيهقي (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فمعجمة فمهملة اي المتناهي طولا والممتد قامة واصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وادغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وانمغط النهار اذا امتد وفي نسخة بكسر العين المهملة وروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذي كأنه مشط) بضم ميم فتخفيف شين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) اي فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لانه من الترجيل كما توهمه الدلجي لان المزيد يؤخذ من المجرد لا بالعكس (ليس) اي شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول انسب بقوله (ولا جعد) والجملة تفسير لما قبلها او بيان لما كان عليه من اصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى احمد وابو داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا ولعل العلة ما ينشأ عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووي والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما في كتف وبابه

(والعقيقة) وهى فى الاصل الشعر الذى يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمى به (شعر الرأس) لانه نبتت اصوله (اراد) اى الراوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) اى عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها) اى تركها متفرقة (والا تركها) اى على حالها اى (معقوصة) اى وفرة واحدة قيل وكان هذا فى صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة اهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمة قال النووى المختار جوازهما والفرق افضل (ويروى عقيصته) اى ان انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهى فعيلة بمعنى مفعولة كضفيرة بمعنى مضفورة زنة ومعنى واصله اللى وادخال اطراف الشعر فى اصوله (ازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة اى ابيض مشرق مثلأ لئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل ازهر حسن ومنه) اى من هذا القبيل او الاشتقاق (زهرة الحياة الدنيا اى زينتها) يعنى حسنها او بهجتها (وهذا) اى كونه ازهر (كما قال) اى واصفه (فى الحديث الآخر) اى مما رواه الشيخان والترمذى (ليس بالابيض الامهق) اى الشبيه بالابرص (ولا بالآدم) اى بالاسمر القريب الى الاحمر بل كان بياضه مشربا بحمرة (والامهق هو الناصع البياض) اى خالصه كلون الجص (والآدم الاسمر اللون) واما ماورد فى حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان مابرز منه للشمس كان اسمر وما سترته ثيابه كان ابيض والحاصل ان اصل خلقته ابيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافى كونه اسمر فتدبر (ومثله) اى ومثل كون لونه بينهما المفاد بلا ولا (فى الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (ابيض مشرب) بضم ميم وفتح راء مخففة او مشددة للمبالغة اى مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال (اى فيه حمرة) وهذا احسن الوجوه واحسن الالوان من افراد انواع الانسان كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنه فى القرآن بقوله فى وصف الحور البيض كانهن الياقوت والمرجان ولا عبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفر او الخضر او السودان هذا وفى شرح المصابيح لابن القفاعى الاشراب خلط لون بلون كان احد اللونين بسقى الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل اى اخلط حبه فى قلوبهم (والحاجب الازج) افعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة اى المشبه بالقوس فى نوع من الادارة فلا ينافيه انه (الطويل) اى طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا فلا ينافى انه لم يكن اثم (الوافر الشعر) احتراز من كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) اى طويله وممتده مع دقة ارنبته (المرتفع وسطه) احتراز من حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصال شعر الحاجبين) اى طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهو الذى بينهما فصل بين والجمع بين الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن فى غاية من الاتصال ولا فى نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب فى جمال ارباب الكمال فلا تنافى بين ماسبق من المصنف وبين ماذكره بقوله (ووقع فى حديث ام معبد) بفتح ميم فسكون عين مهملة فموحدة وهى التى رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) اى وصفها اياه (بالقرن) وقد يجمع بينهما بان ام معبد رأته من بعد فظنت انه اقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلى كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجى من ان الصحيح وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال عند العرب والعجم نعم يستبعد فحو برالحلبى حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه ينزه عليه الصلاة والسلام عن حدوث مابعد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد فى العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين فى شدة بياضها وهو المراد هاهنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) اى حدقة العين من باب الاقتصار او من قبيل الاكتفاء والاختصار او لتحقق البياض فى غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه مسلم (اشكل العين واسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهو الذى فى بياضها حمرة) اى يسيرة والشكلة بالضم شكلة محبوبة محمودة ثم اعلم ان فى القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فما ضبط فى بعض النسخ المصححة بالحاء المهملة ليس فى محله لما فى القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلا وجه له اصلا (والضليع) اى الفم كما سبق اى عظيمه وهو ممدوح فى الرجال كما مر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع فى الجملة كما فى اعتدال الخلقة لا ضيقه بالمرة (والشنب) بفتح النون (رونق الاسنان وماؤها) اى صفاؤها وبهاؤها وانما تمادح بكثرة الريق فى المحاورات والخطب والحرب لانه

يدل على ثبات جنان المتكلم ورباطة جاشه ففؤاده رطب بخلاف الجبان اذا تكلم فى هذه المحافل جف ريقه فى فمه وما الذ قول العارف ابن الفارض

علیك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وقيل) اى فى معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحزز رفيها) بزايين اى اشر وتحديد فيها (كما يوجد فى اسنان الشباب) اى لانهم فى زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم الغريزية الموروثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبهائها وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها اربع وهى الاوائل المبدوءة (ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة) اى هو الذى لدقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذو لحم) اى البادن باعتبار اصله هو الضخم من البدانة وهى كثرة اللحم ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتماسك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال (معتدل الخلق) اى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) اى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن صلى الله عليه وسلم ضخما بل كان فخما فافرق بينهما فافهمهما ولا تتبع ما قال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث فى افادة اعتدال خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى على ما رواه الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (اى ليس بمسترخى اللحم) تفسير للمطهم اى لم يكن فاحش السمن والاوجه ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم (والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين اى الحنك الدانى اليه والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه او كثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع فى اصل الدلجى لكنه ليس بمعتبر حيث يخالف الاصول (اى مستويهما) يعنى لا ينبو احدهما عن الآخر بان لا يكون بطنه ضخما مرتفعا ولا صدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين معجمة مكسورة على ما فى النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) اى بالضبطة المذكورة (فيكون) اى المشيح (من الاقبال) اسم فاعل من اشاح بمعنى اقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) اى الاقبال (احد معانى اشاح) ومنها اعرض ذكره الدلجى وفى القاموس الشيح بالكسر الجاد فى الامور كالشائح والمشيح والحذر وقد شاح واشاح على حاجته والمشيح المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره (اى انه كان بادى الصدر) بالياء اى ظاهره (ولم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب (وهو تطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد يبدل اى انخفاض (وبه) اى بكون المعنى باديا صدره الى آخره (يتضح قوله قبل) اى يتبين معنى ماروى من قبل ذلك (سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع ما بعده (اى ليس بمتقاعس الصدر) اى غير منخفضه (ولا مفاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لا للتأكيد وهو بضم ميم ففاء فمعجمة اى ضخمه ومرتفعه (ولعل اللفظ) اى صحف على ان اصله (مسيح بالسين) اى المهملة (وفتح الميم) اى لا بضمها (بمعنى عريض) اى وسيع الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهى فناء الدار المتسعة (كما وقع فى الرواية الاخرى) اى بهذا اللفظ صريحا وبنصره لو صحا حديث كان مسيح القدمين اى ممسوح ظاهرهما وهما ملساوان اذا سمهما الماء نبا عنهما (وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) اى قوله والكراديس رؤس العظام (مثل قوله فى الحديث الآخر) اى الذى رواه الترمذى والبيهقى (جليل المشاش) بضم الميم اى ضخم رؤس العظام كالركبتين والمرفقين والكتفين على ما فى النهاية او رؤس العظام اللينة التى يمكن مضغها على ما فى الصحاح وهو اقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظم تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على المشاش وهو بفتح التاء افصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤوس المناكب) جمع منكب وهو ما بين الكتف والعنق (والكتد مجمع الكتفين) بفتح الميم الثانية وهو الكاهل وقيل ما بين الكاهل الى الظهر (وشثن الكفين والقدمين لحيمهما) وهو خلاف ما مر فى تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين) اى رأساهما على طبق ما سبق او قصبتاهما على خلاف تحقق قال الاصمعى اخبرنى ابى انه لم ير احدا اعرض زندا من الحسن البصرى كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف اى طويل الاصابع) اى من اطراف يديه ورجليه (وذكر ابن الانبارى) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم ابن بشار وقد جاء فى بعض الاحاديث قال الانبارى ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانبارى فاعلمه كذا ذكره التلمسانى (انه) اى هذا اللفظ (روى سائل الاطراف) اى بالشك فى روايته لقوله (او قال) اى الراوى (سائن بالنون قال) اى الانبارى (وهما بمعنى) اى واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعنى فالاصل هو النون والاظهر ان

الاصل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما فى مخرجيهما اولتجانسهما فى حيزهما وهذا كله (ان صحت
الرواية بها) اى بالنون فان الرواية باللام ثابتة بلامرية (واما على الرواية الاخرى) اى بالراء كما بينه بقوله (وسائر
الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث) اى كما مر فى فصل قبله (ورحب الراحة) بفتح
الراء وضمها (اى واسعها) وهى الكف حقيقة وهو ظاهر (وقيل كنى) اى واصفه (بها) اى بالراحة وفى نسخة
صحيحة به اى بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولا منع من الجمع بين العبارة والاشارة (وخمصان
الاخمصين) بضم اوله (اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم) وفى النهاية ان
خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الاعرابى عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم
جدا فهو احسن ما يكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين اى املسهما
ولهذا) اى لكونهما املسا وين (قال) الراوى فى الحديث السابق (ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفى حديث
ابى هريرة) اى كما رواه البيهقى (خلاف هذا) اى خلاف كون قدميه اخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء
اى داس بهما او وقف عليهما (وطئ بكلها ليس له اخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراد ابى هريرة انه وطئ بكلها
لا ببعضها كما يفعله بعض ارباب الخيلاء وان قوله ليس له اخمص محمول على نفى المبالغة كما تقدم او انه مدرج
من الراوى بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع اولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) اى معنى قوله ليس له
اخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه انه لا منافاة بين كونه اخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من ان قدمه
كانت ملساء كانها ممسوحة واما قول الانطاكى من ان باطن ذكر فى المعنى فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان
لرجله اخمص فمحمول على ما ذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لانه لم يبلغه حديث ابى هريرة او لم يصح
الحديث عنده كما اختاره الانطاكى (وبه) اى بمسيح القدمين (قالوا) اى بعضهم (سمى المسيح ابن مريم اى لم يكن
له اخمص) اى بطريق المبالغة لا بالكلية مع ان الانسب ان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لا لحم عليها)
وفيه انه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ اصلا (وهذا) اى قوله لا لحم عليها (ايضا يخالف قوله شثن القدمين)
اى عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر او فى انا ملهما غلظ بلا قصر
فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) اى مع تثبت فى المشى
بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشى) بفتحتين وفى نسخة المشى على انه مصدر ميمى
او اسم مكان اى الى صوبه (وقصده) اى من جهته معتدلا بها من غير انحراف عنها وفى الحديث القصد القصد تبلغوا
اى الزموا الامر الوسط فى العمل تصلوا الى ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء (والهون)
مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفى رواية كان يمشى الهوينا تصغير الهونى تأنيث الاهون فيكون القصد منه
المبالغة فى الهون المندوب فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفى الادب المفرد عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما اى لا افراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ما اليه (والذريع الواسع الخطو)
اى من الذرع وهو الطاقة والوسع ومنه قوله سبحانه وتعالى وضاق بهم ذرعا (اى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه
بسرعة) اى بقوة (ويمد خطوه) اى فى مشيه (خلاف مشية المختال) اى لعصمته من الاختيال ولقوله عز وجل
ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع
(ويقصد) بكسر الصاد (سمته) اى مقصده فى طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد فى مشيك
(وكل ذلك) اى ما ذكر من المراعاة فى مشيه انما كان (برفق) اى وفق لطف (وتثبت) اى طلب ثبات دون عجلة
اذ هى ايضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوى (فكانما ينحط) اى ينزل (من صبب) وفى رواية
فى صبب وهو بفتحتين اى منحدر وروى كانما يهوى من صبوب بضمتين (وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) اى
بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (اى لسعة فمه) يعنى انما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تتمادح بهذا) اى بوسع الفم
وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة او سببية اى تذم الانسان لصغره
ولا يعارض حديث ابغضكم الى الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون فى الكلام بدون احتياط واحتراز
فى نظام المرام والمستهزئون بالناس بلى الشدق ونأى الجانب والتمطى ونحو ذلك من افعال اللئام (واشاح) اى
بناء على احد معانيه (مال) اى الى كذا ما نعا لما وراء ظهره (وانقبض) اى عما ارهقه واغضبه اذ المشيح هو الحذر
والجاد فى الامر اى المقبل عليه وفى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم اعرض واشاح اى حذرها
كانه ينظر اليها او جد فى الايصاء باتقائها او اقبل ومال فى خطابه اليه (وحب الغمام) اى السحاب (البرد) بفتحتين

شبه بحب الارض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية
لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (اى جعل من جزء نفسه) اى بعض اوقات حظ نفسه (ما يوصل الخاصة اليه)
اى زمانا مجعولا يكون وسيلة الى توصيل الخاصة اليه (فتوصل عنه العامة) اى بالواسطة لعدم امكان الزمان
اولضيق مكانه عن وصول كافة الخلق الى حصول ادراك شانه وما لا يدرك كله لا يترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى اعلم (ويدخلون) اصحابه عنده (روادا) بضم
راء وتشديد واو جمع رائد (اى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) لما لديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (ولا يتفرقون)
اى لا ينصرفون كما فى نسخة (الا عن ذواق) بفتح اوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى او الحسى (قيل عن علم يتعلمونه)
اى ثم يصيرون هداة للناس يعلمونه ومثل هذا يروى عن ابى بكر بن الانبارى وزاد عليه فقال فيقوم لهم ما يتعلمونه مقام
الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ ارواحهم كما يحفظ الطعام والشراب اجسامهم واشباحهم
(ويشبه) اى والاشبه (ان يكون) اى ذواقهم (على ظاهره) اى من مأكول او مشروب باعتبار الاكثر الاغلب والى
هذا المعنى قال الامام الغزالى فى الاحياء والحمل على المعنى الاعم هو الاتم والله تعالى اعلم (والعتاد) بالفتح (العدة) بالضم
(والشئ الحاضر المعد) بصيغة المجهول اى المهيا لما يقع من الامور الملمة والاحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر
وهو فى الاصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لى وزيرا من اهلى اى معينا يحمل عنى بعض حملى وفى حديث
البيهقى نحن الامراء وانتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من اثقال الزمان (وقوله لا يوطن
الاماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (اى لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما) اى لا يصلى الا فيه (وقد ورد نهيه عن هذا)
اى ايطان المكان فى المساجد (مفسرا) اى مصرحا ومبينا (فى غير هذا الحديث) اى من حديث الحاكم وغيره كما سبق
(وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه) اى فى مجلسه (الحرم) بضم ففتح (اى لا يذكرن فيه بسوء
ولا تنثى فلتاته اى لا يتحدث بها) اى مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (اى لم تكن فيه فلتة) فالنفى الى القيد
والمقيد (وان كانت) اى فلتة فرضا وتقديرا (من احد) اى من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) اى فى ذلك
المجلس وما ذكرت فى غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (ويرفدون يعينون) اى كل من يريد
الاعانة او الاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لا يقبل الثناء الا من مكافئ) استثناء مفرغ (قيل
مقتصد فى ثنائه ومدحه) اى لم يثنه وصفه الى اطرائه (وقيل الا من مسلم) اى كامل فان ثناءه لا يكون الا فى محله
اللائق به وتوضيحه انه كان لا يقبل الثناء عليه الا من رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مرامه ولا يدخل عنده
فى جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا
ما سلف من نعمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الا من مكافئ على يد) اى نعمة
(سبقت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى من احسان صورى والا فلا يخلو احد منه من انعام معنوى
(ويستفزه) بتشديد الزاى (يستخفه) بتشديد الفاء (وفى حديث آخر) اى كما رواه مسلم (فى وصفه عليه الصلاة
والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ما ذكره ابن قرقول فى مطالعه ثم فسره بما فسره المصنف (اى قليل لحمها)
يعنى كانه نهس فان النهس هو اخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروقهما وفسر فى الحديث
شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولا يخفى ان تفسير شعبة الراوى هو الاولى هنا وفى رواية منهوس الكعبين
وفى اخرى القدمين (واهدب الاشفار) اى اشفار العين جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان التى ينبت عليها الشعر
وذلك الشعر هو الهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (اى طويل شعرها) وعن الشعبى كانوا لا يوقتون
فى الشفر شيأ اى لا يوجبون فيه شيأ مقدرا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية فى الاجفان ذكره الدلجى وفيه
انه انما نفى الشئ المقدر فى الشريعة وهو لا ينافى ما ذكره الفقهاء بطريق الحكومة

(الباب الثالث)

اى من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) اى عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والاحاد
والغالب فيه ان يكون صحيحا وربما يكون حسنا ولا يكون ضعيفا او عند العامة فيشمل الصحيح وغيره وربما يكون
موضوعا والاظهر ان الشيخ اراد به النوع الاول كما يقتضيه مقام المرام فتأمل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على
الخاص لا عكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بورد والباء للتعدية اى بمقداره المعظم
(عند ربه ومنزلته) اى وبرفعة مرتبته عند ربه الاكرم (وما خصه به فى الدارين) اى الاولى والاخرة (من كرامته
صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم اكرم البشر) لما فى الترمذى والدارمى

انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر كذا ذكره الدلجي وكانه ذهب وهمه الى ان اللام في الاولين والاخرين للعهد او للجنس المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق وانه اكرم الخلائق بالاتفاق ولا عبرة بخلاف المعتزلة وارباب الشقاق (وسيد ولد آدم) لحديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن دونه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر (وافضل الناس منزلة عند الله) اى مرتبة ومكانة (واعلاهم درجة) اى ارفعهم قربة (واقربهم زلفى) اى تقربا واكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على غير قياس (الواردة في ذلك) اى في بيان ماذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون مصدر والمراد به المبالغة في الكثرة (وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) اى مشتهرها الشامل لحسنها دون ضعيفها العدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معاني ماورد منها في اثني عشر فصلا) اى تفاؤلا باثني عشر نقيبا

(الفصل الاول)

(فيما ورد من ذكر مكانته) اى قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) اى اجتبائه في رفعة مرتبته (ورفعة الذكر) اى بين خليقته (والتفضيل) اى وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) اى وسيادته لابناء جنسه المكرم على غيره (وما خصه) اى الله (به في الدنيا من مزايا الرتب) اى من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) اى الدال على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفي نسخة اخبرنا (الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد الملقب بالعدل) بفتح العين وسكون الدال التميمي مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) اى بعبارته دون اشارته (حدثنا ابو الحسن الفرغاني) بفتح اوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمساني هو علي بن عبد الله المقري (حدثتنا ام القاسم بنت ابي بكر ابن يعقوب عن ابيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمساني هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدي المرادي اللؤلؤي (عن يحيى وهو ابن اسماعيل عن يحيى الحماني) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم ياء نسبة حافظ كوفي روى عن شريك وخلق وعنه ابو حاتم وابن ابي الدنيا والبغوي وطائفة وثقه يحيى بن معين وغيره واما احمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائي ضعيف كذا ذكره الحلبي وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن يتقوى بما رواه الطبراني والبيهقي كما نقله الدلجي فلا يضر قول الحلبي هذا الحديث ليس في الكتب الستة (حدثنا قيس) قال الحلبي الظاهر انه ابو محمد قيس بن الربيع الكوفي روى عنه ابو نعيم وغيره اختلف في توثيقه (عن الاعمش) هو امام جليل (عن عباية) بفتح مهملة فموحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء واصلها الباس فيه خطوط سود (بن ربعي) بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن علي وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة له عن علي انا قسيم النار (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق) اى من الثقلين (قسمين) بكسر اوله اى شقيا وسعيدا او فاضلا وافضل كما ذكره الدلجي مقدما على ما اخترناه (فجعلني من خيرهم قسما) اى من قسم السادة التي هم ارباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك) اى جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى واصحاب اليمين) اى السعادة في انواع من النعيم المقيم (واصحاب الشمال) اى الشقاوة في اصناف من عذاب الجحيم فقيل سمو ابهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم اولا ثم اصحاب اليمن والشأمة على انفسهم (فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين) وقد اغرب الدلجي حيث قال بعد قوله فجعلني من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى واصحاب اليمين (ثم جعل) اى الله سبحانه وتعالى (القسمين) اى المذكورين في اثناء السورة المراد بهما اصحاب اليمين واصحاب الشمال (اثلاثا) اى ثلاثة اصناف في آخر السورة بجعل القسم الاول الذين هم ارباب السعادة صنفين كما سيأتي لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجي اذ لم يذكر تفاوت ارباب الشقاوة في هذه السورة اصلا وان كانوا متفاوتين في الدركات كما ان اهل الجنة متفاوتون في الدرجات (فجعلني من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) اى جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة) اى المنزلة السعيدة (واصحاب المشأمة) اى المنزلة الشقية (والسابقون السابقون) اى في مرتبة القربة العلية (فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) اى من العرب وغيرهم (فجعلني من خيرها قبيلة) وهم العرب وابعد الانطاكي حيث قال هم قريش (وذلك) اى جعلها قبائل يشير اليه (قوله) اى بعد قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لا بالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق بين الجبلين واما بالفتح فما تتشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الاية) تمامها ان اكرمكم عند الله اتقاكم ثم الشعب جمع عظيم ينتسب الى اصل واحد وهو يجمع القبائل (فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر) اى ولا اقوله افتخارا به بل تحدثا بنعمة الله لامر او ولا فخر لي بذلك لانه ليس من قبلي ولا بقوتي وحولي بل من فضل الله وتوفيقه من اجلي او ولا فخر لي بهذا

المقام بل افتخاري بقرب ربي الذي هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) اى قبائل العرب (بيوتا) اى بطونا وافخاذا وفصائل متفاوتة في الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلني من خيرها بيتا) وهو بيت بني هاشم من بطن قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى وسخ الشرك ودنس المعصية (اهل البيت) نصبه على المدح او النداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ما قرر في محله (ويطهركم) اى من الاخلاق الدنية (تطهيرا) اى مبالغا بحيث يسرع في تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا في بعض النسخ وهو ليس في محله لانه آخر الآية ومابعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله اهل البيت كما في نسخة صحيحة واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما بحديث ادخالهم في كسائه ثم قراءتهم هذه الاية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ماقبل الآية ومابعدها ثم الحديث قاض بانهم اهل البيت وخواصهم لا بانه ليس غيرهم منهم (وعن ابي سلمة) اى ابن عبد الرحمن بن عوف احد الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه الترمذي وصححه (قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) اى في اى زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا لقولهم متى وجبت اى وجبت لي في الحالة التي كان آدم فيها بين تصوير جسمه وبين اجراء روحه في بدنه وفي الحديث ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفي حديث احمد اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته (وعن واثلة) بالمثلثة (ابن الاسقع) وكان من اصحاب الصفة اسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفي بدمشق وله مائة سنة وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله تعالى عنه) اى الذي رواه الترمذي وصدره انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي و(انا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر) زاد الدارمي يطوف على الف خادم كانهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور (وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه) اى الذي رواه الترمذي والدارمي وصدره جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها ومعي فقراء المهاجرين ولا فخر و(انا اكرم الاولين والاخرين) اى على الله كما في رواية (ولا فخر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقي وابو نعيم والطبراني (اتاني جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو ابلغ اى فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت (مشارق الارض ومغاربها) اى بجميع اطرافها وجوانبها (فلم ار رجلا افضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم ار بني اب) اى اهل بيت (افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيح (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي بالبراق) اى جيء به وسبق بيان مبناه ومعناه (ليلة اسري به) بصيغة المجهول (فاستصعب) اى البراق (عليه) اى عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة لانكار استصعابه كما علله بقوله (فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة اى سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ابي عمر العدني (لما خلق الله آدم اهبطني) اى من الجنة حال كوني (في صلبه) بضم اوله وقدم التلمساني فتحه (الى الارض) يعني وهكذا ينقلني من صلب كريم الى رحم طاهر بعده (وجعلني في صلب نوح) في السفينة (وقذف بي) اى القاني (في النار في صلب ابراهيم) اى حين القاه نمرود فيها اوقد وقع في اصل الدلجي حتى مكان الواو العاطفة في وجعلني وقذف وهو مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلني) اى يحولني (في الاصلاب الكريمة) كذا في النسخ بلفظ في واله بمعنى

من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المرأة كما ان الصلب مقر المنى من الرجل (ثم) وفى نسخة صحيحة حتى (اخرجنى) اى اظهرنى (بين ابوى) اى فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) اى لم يجتمعا فى جماع (على سفاح) بكسر السين اى على حال غير نكاح (قط) اى لا حين شهودى ولا قبل وجودى (والى هذا) اى هذا المعنى وهو نفى السفاح فى المبنى (اشار العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه) وفى اصل التلمسانى عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) اى فيه كما فى نسخة اى فى حقه وفى اخرى فيه بقوله (من قبلها) اى قبل الدنيا او الولادة من غير ذكرها كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب اى الشمس وكل من عليها فان اى الارض وانا انزلناه اى القرءآن واما رجع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجى وغيره فغير مناسب لمقام المرام نعم لو وضع الرسالة موضعها الوقع فى الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الارض (طبت فى الظلال) اى فى ظلال الجنة قال التلمسانى ثبت بخط القاضى الظلال وروى العرفى طبت فى الجنان (وفى مستودع) بفتح الدال كما فى قوله تعالى فمستقر ومستودع اى طبت فى مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى يضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق اخرى (ثم هبطت البلاد) اى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم (لا بشر انت ولا مضغة ولا علق) اى والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منهما والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهى قطعة من دم جامد ورتب بينها فى التنزيل للترقى وهنا التدلى ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) اى بل نزلت وانت فى صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة وانما اتى بلفظ الجمع لكبره او هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة او لعدم الفرق بينهما عند بعض اهل اللغة وقيل جمع للتعظيم او لضرورة الوزن واما ما روى بجبهة بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قد للتحقيق فى قوله (الجم نسرا واهله الغرق) بفتحتين اى منعهم من الكلام وظهور المرام وهو ماخوذ من اللجام وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لادم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فماتوا فحزن اهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليستأنسوا بهم فكرهوها فى القبلة فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير ثم احدثوا للاصنام اسماء اخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة فى الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء اى ملئها ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتأمل وزيد فى بعض النسخ ابيات اخر يدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين فى بيان الفاظ ورودها وهو قوله (ثم احتوى) اى اجتمع وانضم وفى اصل الدلجى حتى احتوى فهى غاية لما دل عليه البيت قبله اى منتقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهيمن) اى الشاهد (من خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو فى الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت به القبيلة واسمها ليلى وهى القضاعية ام عرب الحجاز فهو غير منصرف قوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة اى منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفى نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض اى نواح واوساط فيها شبهت بالنطق التى يشد بها اوساط الناس ضربه مثلا له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال واراد ببيته شرفه فى عشيرته او نفسه فى حد ذاته والمهيمن نعته اى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك اعلى مكان من نسب خندف فان اصل النطق هو الجبل الاشم اذا السحاب لا يبلغ اعلاه وقال القشيرى وغيره ايها المهيمن على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم ثم قيل فى الياس انه موافق اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلى انه اليأس الذى هو ضد الرجاء واما الياس لجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه يقول لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو اول من اهدى البدن الى البيت (وانت لما ولدت اشرقت الارض ونارت بنورك الافق) وفى نسخة صحيحة وضاءت اى اضاءت وهما لغتان ومنه الضوء اى استنارت بنورك نواحيها (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة فى ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطف على ما قبله

وقوله نخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة اى ندخل ونقتحم وقال التلمسانى اى وسبل الرشاد نخترقها بمعنى نقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضى الله تعالى عنه رواه ابو بكر الشافعى والطبرانى عن خريم بن اوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات فى الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يا رسول الله انى اريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة ابيات آخرها نخترق وكذا قال ابن عبد البر فى استيعابه فى خريم وذكر ابن امام الجوزية فى كتاب هدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجد بخط ابى على الغسانى وهو

يا برد نار الخليل يا سبب العصمة اذ ما بالنار تحترق

اى تحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ابو ذر) كما رواه احمد والبيهقى والبزار وكان خامسا فى الاسلام روى عنه ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفى بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبرانى وابو نعيم (وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد وابن ابى شيبة والبزار (وابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما اخرجه الشيخان (وجابر بن عبد الله) كما رواه الشيخان والنسائى (انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) اى خمس خصال (وفى بعضها ستا) رواه مسلم عن ابى هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم اعطى اولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لا يلزم استيفاؤها حيث ما بينها بل قد يكتفى بالحالة اللائقة ببعضها لا سيما والعدد لا مفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبى قبلى) وفى رواية جابر لم يعطهن احد من الانبياء قبلى (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها اى الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه فى قلوب عداه ممن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير فى شهر وفى رواية شهرا امامى وشهرا خلفى (وجعلت لى) اى لاجلى اصالة ولامتى تبعا (الارض) اى جميع وجهها ولا وجه لقول التلمسانى كلها او مكة وما حولها او ما رآه امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتى بخلاف غيرنا فانه لا صلاة لهم الا فى كنائسهم وبيعهم كما بينه بقوله (فايما رجل من امتى ادركته الصلاة) اى بعد دخول وقتها (فليصل) اى فى ذلك المكان اما بطهارة اصلية ان وجد الماء واما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفى بعض النسخ بالواو وفى رواية واظنه مصحفا فايما وما مزيدة فيهما (واحلت لى الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة المعلوم (لنبى قبلى) اى فضلا عن امة له بل كانوا يجمعونها فى موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (وبعثت الى الناس) اى الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفى رواية كافة عامة وفى رواية جابر قبله وكان النبى يبعث الى قومه خاصة وفى رواية لمسلم وبعثت الى الخلق كافة فلا يرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع اهل الارض لان هذا العموم فى رسالته لم يكن فى اصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهى انحصار الخلق فى الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى عموم رسالته فى اصل بعثته وشمول دعوته (واعطيت الشفاعة) وفى رواية عد هذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى فى المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات اخر يحتمل اختصاص بعضها به منها فى جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها فى اناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها فى اناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها فى رفع درجات اناس فى الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لأوائها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة فى صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبرى وجبت له شفاعتى ومنها شفاعته لمن اجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتى ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما فى حق ابى طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتى ولقوله ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل من النار قال القرطبى فى تذكرته فى الجواب عن الآية ما نصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفع فى الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وقال الحلبى انها شفاعة بالحال لا بالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن ابى طالب اى لانه يطلبها وهو لا يخلو عن الاحتمال فلا يكفى لدفع الاشكال بخلاف ما سبق من جواب السؤال والله تعالى اعلم بالاحوال (وفى رواية اخرى) اى عن ابى ذر (بدل هذه الكلمة) وهى قوله اعطيت الشفاعة (وقيل لى سل تعطه) بصيغة المفعول فهاء السكت وفى نسخة بالضمير (وفى رواية اخرى) اى للبزار والبيهقى رحمهما الله تعالى (وعرض على امتى فلم يخف)

لم يكتم (على التابع من المتبوع) اى فى الخير والشر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذى يقتدى بغيره وبالمتبوع الشريف الذى يقتدى به ويرجع الى قوله (وفى رواية) اى عن ابى ذر رضى الله تعالى عنه (بعثت الى الاحمر والاسود) وظاهره عموم الخلق كما ذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمدر والشجر وجميع الكائنات كما بينته فى بعض المقامات (قيل السود) وهو جمع الاسود (العرب لان الغالب على الوانهم الادمة) بضم الهمزة اى السمرة الشديدة (فهم من السودان) فى الجملة (والحمر) بضم فسكون جمع الاحمر (العجم) اى لان الغالب على الوانهم الشقرة مع البياض وكانه اراد بالعجم الفرس ومن يشاركهم فى هذا المعنى من الترك بناء على الاطلاق العرفى واما العجم المقابل للعرب بحسب الوضع اللغوى فلا يلائم المقام لدخول الهنود والسنود والحبوش والسودان وغيرهم معهم (وقيل البيض والسود من الامم) اى على الوجه الاعم وهو فى افادة التعميم اتم (وقيل الحمر الانس) اى لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاجتنانهم وتسترهم (وفى الحديث الآخر عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم) اى القرآن العظيم والفرقان الحكيم او الاحاديث الجامعة والكلمات اللامعة التى مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة ويؤيده ما رواه ابو يعلى فى مسنده عن عمر ولفظه اعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا (وبينا) اى بين اوقات (انا نائم) اى فى بعضها (اذ جىء بمفاتيح خزائن الارض) جمع مفتاح واما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت فى يدى) بفتح الدال وتشديد التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل فى اختيار التثنية اشعارا بكثرة المفاتيح والمراد بها ما فتح الله على امته من الكنوز الحسية والمعنوية لحديث اوتيت مفاتيح الكلم وفى رواية فواتح الكلم وفى سيرة الكلاعى ان رستم امير جيش يزدجرد رأى فى منامه وقد جاءهم سعد بن ابى وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع اسلحتهم واعطاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها لعمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذى يكاد يفوت الحصر (وفى رواية) اى رواها مسلم (عنه) اى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) هذا وقد روى احمد فى مسنده عن على كرم الله وجهه مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل لى التراب طهورا وجعلت امتى خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات اخر كاعطاء الآيات من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف امته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تأليف مستقل لبيان تفصيل ما هنالك (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) صحابى جهنى مضرى (انه قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (انى فرط لكم) واما ما وقع فى اصل الدلجى من قوله انا فرطكم فليس فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة والمعنى انا سابق متقدمكم وفرط صدق لكم واصل الفرط الذى يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء واسباب ضرب الخباء (وانا شهيد عليكم) اى بالثناء الجميل والوفاء الجزيل (وانى والله لانظر الى حوضى) اى والى من يشرب منه ومن يذب عنه فى الموقف والمحشر (الآن) اى فى هذا الحاضر من الزمان (وانى قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض) بمعنى عرضت على فلم اقبلها العدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلى الى الاخرة والاقبال القلبى الى المولى والعلم بان الاخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما بينه حديث من احب دنياه اضر باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى كما رواه احمد والحاكم عن ابى موسى ويؤيد ما قررناه من المراد بمفاتيح الارض هنا بخلاف ما سبق من ان المراد بها ما يسره الله عليه وعلى امته من فتح البلاد واتباع العباد مع انه لا يبعد ايضا عن المراد قوله (وانى والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدى) اى جميعكم (ولكنى اخاف) اى عليكم كما فى نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح اوله على انه حذف احدى التائين منه اى ترغبوا (فيها) اى فى الدنيا الدنية الخسيسة كما يرغب فى الاشياء الغالية العالية النفيسة فهو مأخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبى رحمه الله بقوله

عليك بها ما عشت فيها منافسا ✱ وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلى

واغرب الحلبى كغيره فى رجع ضمير فيها الى خزائن الارض نعم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا لاحقا نحو قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس او الدابة على الارض مع ان قرينة المقام كافية فى تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بتركها وقد رواه احمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا محمد النبى الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة او الى امة العرب لكون غالبهم اميين لا يقرؤن ولا يكتبون او المضاف الى الام بمعنى انى على اصل ولادتى وجبلتى من غير قراءتى وكتابتى وذلك شرف له وعيب فى غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدحى كما افاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله كفاك بالعلم فى الامى معجزة

وقد

وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذن لارتاب المبطلون (لا نبى بعدى) اى وان وجد احد يكون تابعا لى (اوتيت جوامع الكلم) اى مع كونى اميا (وخواتمه) قيل هو وجوامع بمعنى اى ختم على بان اجمع المعنى الكثير فى المبنى اليسير او المراد بخواتمه انه لا يكون بعد وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح اوله كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (خزنة النار) اى الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) اى من الملائكة فهم اليوم اربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما اخبر الله عنهم لكن على خلاف فى تمييز العددين من الصفوف او الالوف او الصنوف (وعن ابن عمر) كما روى احمد بسند حسن (بعثت بين يدى الساعة) اى قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه احمد والشيخان والترمذى عن انس رضى الله تعالى عنه بعثت انا والساعة كهاتين (ومن رواية ابن وهب) هو عبد الله بن وهب المصرى احد الاعلام عن ابن جريج وعنه احمد وغيره قال يونس بن عبد العلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع اخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى على ما رواه البيهقى من حديث اسماء فى الاسراء حيث انى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) اى ما شئت (فقلت ما اسأل يا رب) اى من المقامات العالية حيث اعطيت جميعها للانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) اى بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا (وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (واعطيت سليمان ملكا لا ينبغى) اى لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث اصاب الآية (فقال الله تعالى ما اعطيتك) اى الذى اعطيتكه (خير من ذلك) اى كله (اعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفى النهاية هو نهر فى الجنة وجاء فى التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد فى هذا المقام وبشر اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مزية العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة انظر فى قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر اهو انشاء ام خبر فان قيل انه انشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم ازلى فالجواب انه باعتبار ظهور متعلقه فان قلت فى تعلقه خلاف هل هو قديم او حادث قلنا التعلق التنجيزى حادث واما التعلق الصلوحى فيصح هنا كذا ذكره التلمسانى (وجعلت اسمك مع اسمى) اى مقرونا به فى كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (فى جوف السماء) اى وقت الاذان والخطبة او فيما بين اهل السماء (وجعلت الارض طهورا) اى حكميا (لك ولامتك) اى خاصة (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى جميع ما فرط وما يفرط منك مما يصح ان يعاتب عليك (فانت تمشى فى الناس) وفى نسخة بالناس وفى اخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضمير تمشى (ولم اصنع ذلك) اى غفران ما تقدم وما تأخر ذكره الدلجى والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى اعلم وحينئذ لا اشكال فى قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والافهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم يعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فياتون نوحا فيقولون ألا تشفع لنا فيقول نفسى نفسى است لها الحديث (وجعلت قلوب امتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه نبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيأ من صحفهم (وخبأت لك شفاعتك) اى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم اخبأها لنبى غيرك) بل اوفيت اجابة دعواتهم فى الدنيا فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى (وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف او ممن قبله (اول من يدخل الجنة معى) اى بقرب زمانى لا آنى (من امتى) اى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون الفا) اى اصالة (مع كل الف سبعون الفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة الف مع كل واحد سبعمائة الف ذكره التلمسانى (واعطانى ان لا تجوع امتى) اى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول اى ولن تغلب بعدو يستأصلهم اى يأخذهم من اصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (واعطانى النصرة) اى الاعانة على الاعداء (والعزة) اى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) اى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) اى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهرا لما تقدم وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم امته (وطيب) بفتح التحتية المشددة اى واحل (لى ولامتى الغنائم) جمع غنيمة ووقع فى اصل الدلجى المغانم جمع مغنم وهما قريبان فى الدراية وانما الكلام فى صحة الرواية (واحل لنا)

اى بخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا مما شدد) اى الله تعالى (على من قبلنا) اى بتحريمه عليهم او بتكليفه لديهم كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال فى الصدقة (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) اى تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كالتيمم والقصر والافطار كما بينه بقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد فى ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام ما من نبى من الانبياء) من الاولى مزيدة وللتأكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (اعطى من الآيات ما) مثله (امن عليه البشر) ما موصولة او موصوفة وفى بعض الروايات الصحيحة او من عليه البشر وكتبه بعضهم ايمن وروى القاضى امن من الامان ولا يظهر له وجه فى هذا الشان والمعنى ان الله تعالى ايد كل نبى بعثه من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم به الحجة على من عاداه (وانما كان الذى اوتيته) اى من الآيات المتلوة المشتملة على انواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة فى المبنى والانباء الواقعة فى الازمنة السابقة واللاحقة فى المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة النافعة فى امور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيها من معرفة الذات والصفات الاسنى والاسماء الحسنى (وحيا) اى وحيا يتلى ومعجزة تدوم وتبقى (اوحى الله الى فارجو) وفى نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هى الاولى والمعنى اوقع (ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة) اى لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت فى حال الاحياء وانما اراد بقوله الذى اوتيته معظم ما اعطى من المعجزات المشتملة على انواع من الانباء والا فقد اعطى معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء (ومعنى هذا) اى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) اى الخاصة به وهى الآية الكبرى والنعمة العظمى (ما بقيت الدنيا) اى مدة بقائها (وسائر معجزات الانبياء) اى بقيتها (ذهبت للحين) اى حين وقوعها فى حياة نبيها (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) اى حال معاينتها او وقت مشاهدتها (ومعجزة القرآن) اى مبنى ومعنى باقية دون كل معجزة (يقف عليها قرن بعد قرن) اى جماعة بعد انقراض جماعة (عيانا) بكسر العين اى معاينة (لا خبرا) اذ ليس الخبر كالمعاينة كما ورد (الى يوم القيامة) وقد وقع فى اصل الدلجى يقف عليها عيانا لا خبرا قرن بعد قرن وهو مخالف للاصول المصححة (وفيه) اى فى هذا الحديث او فى هذا المعنى (كلام يطول) اى من جهة المبنى (هذا نخبته) اى خلاصته (وقد بسطنا القول فيه) اى اطنبنا فى هذا الحديث (وفيما ذكرنا فيه) اى فى هذا المعنى (سوى هذا) اى الكلام الذى قدمناه (آخر باب المعجزات) اى فى آخره لانه المحل الاليق به (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه (كل نبى اعطى سبعة) قال الحجازى وروى اربعة والظاهر انه تصحيف او وهم (نجباء) اى نقباء فضلاء وزيد فى رواية وزراء رفقاء (واعطى نبيكم عليه السلام اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى وجعفر وحمزة وابو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا وزاد تكملة لهم حذيفة واباذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر ابو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد اوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد اعطيت اربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وابو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وابو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وبلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال اربعون والاخيار سبعة والعمدة اربعة والغوث واحد وحكى ابو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها اجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا اخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء واربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفخ فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) اى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطير ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) اى امرهم بالغلبة عليها واذن لهم بقتال اهلها فقصدوها سنة عشر من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى اخرى ان تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) اى من بعدى كما وقع فى اصل الدلجى وفيه

التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص احد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره اكثرهم اجمالا وقال ابو بكر ابن العربى فى العارضة اراد بذلك دخوله بغير احرام لاجل القتال لا انه احلت له لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا بل واجب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى اعلم (وعن العرباض) بكسر اوله (ابن سارية) وهو من اكابر الصحابة واصحاب الصفة سلمى سكن الشأم ومات بها (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى اصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم بكسر تائه وتفتح كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمنجدل) اى والحال انه لساقط (فى طينته) او مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينته خلقته المركبة من الماء والتربة ومنجدل خبر لان والجار خبر ثان (وعدة ابى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال اى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة ابى ابراهيم وصدر الحديث وسأخبركم ببادئ امرى او بادئ نبوتى وبعثتى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسأنبئكم بتأويل ذلك هو دعوة ابى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وزاد الحاكم ورؤيا امى التى رأت انه خرج من فرجها نور اضاء له قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان ابا بكر ابن ابى مريم احد رواة اسناده ضعيف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) كما روى البيهقى والدارمى وابن ابى حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على اهل السماء) اى من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم) اى اجمعين (قالوا) اى اصحاب ابن عباس (فما فضله على اهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم انى اله من دونه الآية) اى فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان القضية فرضية وتقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الحبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانذاره للملائكة قطعى بقوله ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) اى ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما ارسلناك الا كافة) اى رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عموم الشامل للاولين والآخرين على تقدير وجودهم فى المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما اشار اليه حديث لو كان موسى عليه السلام حيا لما وسعه الا اتباعى وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من امته (وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعى شامى روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضى الله تعالى عنهم كان يسبح فى اليوم والليلة اربعين الف تسبيحة اخرج له الائمة الستة وقد اخرج عنه ابن اسحق ووصله احمد والدارمى (ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك) اى مبدأ امرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال اى مثله معنى لا مبنى (عن ابى ذر) رضى الله تعالى عنه صحابى جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن اوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابى انصارى ابن اخى حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشأم (وانس بن مالك رضى الله عنهم فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى جواب كل منهم (نعم) اى اخبركم باول قصتى وما ظهر من نبوتى على لسان ابراهيم وغيره (انا دعوة ابى ابراهيم) يعنى قوله) اى حكاية عن ابراهيم واسماعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) اى فى الامة المسلمة المذكورة فى الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيهما من ذريته من نسل اسماعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) اى بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد وفى نسخة وبشر بى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ما قبله وان كان يلائم قوله (ورأت امى) وفى بعض الروايات ورؤيا امى ولعل العدول لئلا يتوهم ان الرؤيا منامية (حين حملت بى) بالباء للتعدية وفى رواية حين

وضعتني ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين واما تجويز الدلجي كون الرؤيا منامية فبعيد جدا من حيث استدلاله صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتها فان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لا يعمل بمقتضاها (انه خرج منها نور اضاءله) اى استنار لذلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من ارض الشام) وهي اول مدينة فتحت صلحا وذلك في شهر ربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله عليه وسلم مرتين (واسترضعت) اى كنت رضيعا (في بني سعد بن بكر) قبيلة معروفة (فبينا انا) اى بين اوقات كنت انا (مع اخ لي) اى رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهما لنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضأن ذكرا كان او انثى وقيل ولد الضأن والمعز مجتمعة ولعله باعتبار الغلبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءني رجلان) اى على صورة رجلين قيل هما جبريل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيف (وفي حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل اى جاؤا (بطست) بفتح طاء وجوز كسره وضمه فسين مهملة وكذا بمعجمة على ما في القاموس فلا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس او صفر واصله الطس ابدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمساني وفيه دليل على جواز تغشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات الغزو انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا اعلم فيه خلافا بين علماء الانام لكن الملائكة لا يعصون الله تعالى ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالملك هذا وقد ذكر البغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هي طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوءة) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة او باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب وينظفه وقد روى حكمة وفسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذاني) اوفا خذوني (فشقا بطني) اوشقوه (قال) ووقع في اصل الدلجي وقال (في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة اى من اعلى صدري الى مارق ولان من بطني (ثم استخرجا) اى اخرجا او اخرجوا (منه قلبي فشقاه) اى قلبي (فاستخرجا منه علقة) اى قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) اى رمياها بقوة وفي رواية مسلم وقالا هذا حظ الشيطان منك قال العلامة تقي الدين ابن السبكي تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقي الشيطان فيه شيأ قال فهذا معنى الحديث فلم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل في هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا يخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانساني ونزعه امر ثاني طرأ بعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة في بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك فلله الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه) اى نظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمساني شق قلبه صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الرحمن قلت ومرة عند نزول القرآن في جبل حراء على ما ذكره ابو نعيم والطيالسي وغيره على ما في المواهب اللدنية وقد قيل شق صدره مرة في صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحي ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى اعلم (وقال صلى الله عليه وسلم في حديث آخر ثم تناول احدهما شيأ فاذا بخاتم في يده من نور يحار) بفتح اوله اى يتحير (الناظر دونه) اى عنده فلا يدري كيف يهتدي الى معرفة كنهه (فختم به قلبي) اى لئلا يصل اليه ما لا يليق بجناب ربي (فامتلأ ايمانا وحكمة) اى ايقانا واحسانا او علما وفهما (ثم اعاده) اى رده (مكانه ثم امر) بتشديد الراء اى اذهب (الآخر) اى منهما (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره الشمني والحلبي وقال الدلجي بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولا يخفى ان كسر الميم الموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر في اصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء اى فاجتمع وانضم وانتظم (وفي رواية) اى للدارمي وابي نعيم في الدلائل (قال قلب) اى هذا قلب (وكيع اى شديد) تفسير من احد الرواة ومعناه متين في العلم ومحكم في الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفي اصل التلمساني له (عينان تبصران) اى تدركان الامور العقلية (واذنان سميعتان) وفي نسخة تسمعان اى تعيان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو اقرب او الى القالب وهو انسب (ثم قال) اى احدهما (لصاحبه) اى من الملكين (زنه) بكسر الزاي امر من

الوزن

الوزن (بعشرة من امته) اى في الفهم والعقل او في الاجر والفضل (فوزنني بهم) اى حسا او معنى (فرجحتهم) بتخفيف الجيم اى فغلبتهم في الرجحان (ثم قال) اى احدهما لصاحبه (زنه بمائة من امته فوزنني بهم) اى بمائة منهم (فوزنتهم) اى رجحتهم في الوزن (ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك) اى اترك وزنه (فلو وزنته بامته) اى بجميعهم (لوزنها) اى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام (في الحديث الآخر) اى في الرواية الاخرى وهي حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي) اى اشعارا برياستي واني رئيس امتي (وما بين عيني) بصيغة التثنية لا غير ايماء الى انه قرة العينين في الكونين (ثم قالوا لي يا حبيب) اى يا محبوب لمطلق الخلق والحق وروي فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون من الروع اى لا تفزع وفي التعبير بالماضي مبالغة في تحققه وفي رواية لن تراع بتأكيد نفي الاستقبال (انك لو تدري ما يراد بك من الخير) اى الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لقرت عينك) بفتح القاف وتشديد الراء اى لطابت نفسك وسكن قلبك او لسررت وفرحت واصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى امنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفي بقية هذا الحديث) اى حديث ثم ضموني (من قولهم) بيان للبقية (ما اكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور وجمعية لا معية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ما تقوله الطائفة الالحادية (وملائكته) اى معك كذلك في الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث ابي ذر) كما رواه الدارمي (فما هو) اى الامر والشأن (الا ان وليا) اى ادبر الملكان ورجعا (عني فكانما ارى الامر) اى امر النبوة والرسالة (معاينة وحكى ابو محمد المكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته) اى الصورية وهي التي خرج بسببها من الجنة (قال) كما رواه البيهقي والطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) اى المغفور من ذنبي (اغفر لي خطيئتي) ويروى تقبل توبتي ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من اين عرفت محمدا) اى ولا رأيته ابدا (قال رأيت في كل موضع من الجنة) اى من شرف قصورها وصدور حورها واطراف انهارها واتحاف اشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) اى بدلا من هذه الجملة او زائدا بعدها هذه الكلمة (محمد عبدي ورسولي) اى المختص بي من بين عبيدي ورسلي الشامل للملائكة (فعلمت انه اكرم خلقك عليك) اى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) اى رجع عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) اى قوله اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجي انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) اى راويه وناقله (تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات) اى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية (وفي رواية آجري) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبي الظاهر انه الامام القدوة ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي مصنف كتاب الشريعة في السنة والاربعين وغير ذلك روى عنه ابو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا سكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفي نسخة وفي رواية اخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) اى في جواب ما تقدم (لما خلقتني) اى حين خلقتني في اول وهلتي (رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه) اى في قوائمه كما في رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعني وليس فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) اى الشأن (ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) اى مقرونا به في عرشك الذي هو اعظم خلقك (فاوحى الله اليه وعزتي وجلالي) اى وعظمتي (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه في مرتبة العلة الغائية في الخلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ما خلقتك) ويقرب منه ما روي لولاك لما خلقت الافلاك (قال) اى الآجري (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابي محمد) كما رواه البيهقي عن علي مرفوعا ووجه تخصيصه لكونه افضل اولاده او للتشرف باسناده (وقيل بابي البشر) اى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره من اولاده وذريته اشعارا بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى بابي خير البشر فاقتصر فتدبر (وروي عن سريج بن يونس) اى ابن ابراهيم الحارث البغدادي العابد القدوة احد ائمة الحديث روى عنه مسلم والبغوي وابو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم واما ضبطه بالشين المعجمة في نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية اى سيارين على وجه الارض للعبادة (عيادتها) بالتحتية اى زيارة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عاد يعود اذا زار ورجع

للزيارة وفى نسخة بالموحدة ولا يخفى مزية العبادة على العادة بالتعمية المخفية (على كل دار) وفى نسخة على دار اى واقعة للمحافظة على كل دار (فيها احمد او محمد) اى مسمى باحدهما وفى نسخة عبادتها كل دار واقتصر عليها الشمنى حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف اى حفظ اهل كل دار او اعانة اهل كل دار اكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث عظموا دارا فيها اسميه (وروى ابن قانع القاضى) بالقاف وكسر النون فمهملة هو ابن مرزوق واسمه عبد الباقى صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من اول سنة الهجرة فروى فى معجم الصحابة له وكذا رواه الطبرانى (عن ابى الحمرآء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فرآء ممدودة قال الحجازى هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه بلال بن الحارث وقال الحلبى هو اسم لصحابيين احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى ابى عفرآء ولا يعلم له رواية وقال الحلبى كان ينبغى للقاضى ان يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى ابى الحمرآء حتى نعرفهم ونعرف من ابو الحمرآء فان ابا الحمرآء فى الصحابة اثنان احدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث ابن ظفر اخرج حديثه ابن ماجه فى التجارات اعنى غير هذا الحديث المذكور فى الاصل واما هذا فليس له شئ فى الستة والله تعالى اعلم روى عنه ابو داود والاعمش وغيره قال ابن معين كان بحمص وقال البخارى يقال له صحبة ولا يصح حديثه انتهى واما الثانى فيقال مولى الحارث بن رفاعة شهد بدرا واحدا ولا اعلم له رواية وان كان ابو الحمرآء من التابعين او من بعدهم فلا اعلم فيهم احدا يقال له ابو الحمرآء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية انس وقد قال الذهبى فيه شئ تراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما اسرى بى الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته) اى قويته (بعلى) اى اعانه قوته وعلو همته قال الدلجى وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدى عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البيانى عن حميد الطويل عن انس بلفظ لما عرج بى رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلى نصرته بعلى قال فى الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفى التفسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب فيما رواه مالك عنه (فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث ابى ذر وموقوفا على عمر وعلى (قال) اى ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) اى الكنز المذكور جامع فى المبنى والمعنى فانه لوح (من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر) اى بتقديره الذى لا يتصور تغييره (كيف ينصب) بفتح الصاد اى كيف يتعب وما قدر له يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ما قدر تقديره ان يتعب فكيف لا يتعب قال البغوى القدر سر من اسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه ولا البحث عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقى ومنهم سعيد وقال رجل لعلى اخبرنى عن القدر قال طريق مظلم لا تسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لا تلجه فاعاد فقال سر الله قد خفى عليك (عجبا لمن ايقن بالنار) اى بوجودها (كيف يضحك) اى قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفى نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) اى فى انقلاب احوالها الاسيما وما لها الى زوالها (كيف يطمئن اليها) اى يغتر بها ولا يعتبر بمن مضى فيها (انى انا الله لا اله الا انا محمد عبدى ورسولى) اى الى الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لا اعلم من رواه عنه (قال على باب الجنة مكتوب انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا اعذب من قالها) اى من صميم قلبه وتوفيق ربه على ثباته الى مماته (وذكر انه وجد) بصيغة المفعول فيهما وضميرانه للشان (على الحجارة القديمة) اى العتيقة (مكتوبا محمد تقى) اى من الشرك ونقى من الشك (مصلح) اى لما افسد الخلق من الحق تغييرا او تبديلا (وسيد) اى للخلق (امين) اى عند الخلق والحق (وذكر السمنطارى) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والائمة المصنفين له تآليف كثيرة فى فنون العلوم على ما ذكره التلمسانى (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله) اقول اذا ثبت ما سبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التى يحتمل ان تكون معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه بالابيض) اى منقوش به بجعل الاحمر على اطرافه او بالابيض كالاسفيداج ونحوه وفى نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لا اله الا الله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزى اخبرنى من سافر الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها فى كل سنة ورقة مكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقال ابن القيم فى تاريخه فى ترجمة الحسن بن احمد بن الحسن الوراق الخواص المصيصى مسندا عنه الى على بن عبد الله الهاشمى الرقى انه قال دخلت فى بلاد الهند الى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرآئحة سودآء عليها مكتوب بخط ابيض

لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى انتهى وقال الشيخ عبد الله بن اسعد اليافعى فى كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت بلاد الهند فدخلت مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضرآء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من الغيث فحدثت بهذا ابا يعقوب الصياد فقال لى ما استعظم هذا كنت اصطاد على نهر الابلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لما عليها كذا ذكره الشمنى والذى يخطر بالبال الفاتر والله تعالى اعلم بالظواهر والسرآئر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لاهلها لا يراها من لم يستأهلها وربما يقال ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك اى جعلناك ذكرا معك فى كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر ومدر وشجر وثمر ونحو ذلك ولكن اكثر الخلق لا يبصرون تصويرهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وروى عن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر وهو من اكابر اهل البيت واجلاء التابعين ادرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) اى فى الموقف كما فى رواية (الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم اى لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه اشار صاحب البردة بقوله

فان لى ذمة منه بتسميتى * محمدا وهو اوفى الخلق بالذمم

(وروى ابن القاسم) اى العتقى واسمه عبد الرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر اخرج له البخارى وابو داود والنسائى (فى سماعه) اى عن مالك ورد عنه انه قال خرجت الى مالك اثنى عشرة مرة انفقت فى كل مرة الف دينار اخرج له البخارى وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمته قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث ابن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير وكان مالك يكتب اليه الى ابى محمد المفتى (فى جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة) اى بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو اى زاد وزكا يعنى كثر بركته وفى نسخة نمى بناء على ان المادة واوية ويائية وفى اخرى الا قد وقوا بضم واو وقاف اى حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) اى ببركة اسمائهم وايمانهم وايقانهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) اى على ما رواه ابن سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعا (ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة) اى واكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاوسط والاكبر هذا وفى مسند الحارث بن ابى اسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم احدهم بمحمد فقد جهل (وعن ابن مسعود) كما رواه احمد والبزار والطبرانى (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) اى جميعهم من اولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) اى اختاره لذاته ان يكون مظهر صفاته (فبعثه برسالته) اى الى جميع كائناته (وحكى النقاش ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلنى عليكم تفضيلا) اى زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا) اى احتراما له وتكريما ورفعا لشأنه وتعظيما

(فصـــل)

(فى تفضيله بما تضمنته كرامة الاسرآء من المناجاة) اى المكالمة (والرؤية) اى البصرية او القلبية (وامامة الانبياء) اى امامته لهم فى بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها (وما رأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته فى الجملة كما لا فقوله (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى من جملة ما خص به فى الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسرآء) اى اسرآئه الى السماء (وما انطوت) اى اشتملت (عليه من درجات الرفعة) اى بحسب ما ثبت فى انباء الانبياء (مما نبه عليه الكتاب العزيز) اى من بعض الاسرار (وشرحته صحاح الاخبار) اى وبينته الاحاديث والآثار وفى نسخة صحائح الاخبار قال الحلبى وكلاهما جمع صحيح واطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده) اى سيره (ليلا) منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرآئية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فان السرى والاسرآء كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة فى مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة الى التخلية من مقام التفرقة الى التحلية والتجلية فى مرتبة الجمعية (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية) اى الذى باركنا

حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسرآءه عليه الصلاة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملكوت فى ذلك الزمان وهو مضاف الى الموصول الذى بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية واغرب السمين فى اعرابه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد الفت رسالة مستقلة فى خصوص هذه المسئلة وبدأتها بتفسير صدر سورة الاسرآء وختمتها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيما بينهما بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدراج العلوى فى المعراج النبوى وها هنا اتبع كلام الشيخ فى تبيين مبناه وتعيين معناه واتتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما القاه من مقتضاه ثم الظاهر من الاية المذكورة ان ابتداء الاسرآء كان من نفس المسجد لحديث بينا انا فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اتانى جبريل بالبراق وليطابق المبتدأ المنتهى لانه ليس حرم للمسجد الاقصى اومن الحرم كما قال صاحب البردة (سريت من حرم ليلا الى حرم) وسماه مسجدا لاحاطته به والحديث انه كان فى بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان فى بيت ام هانئ فرجع بعد صلاة العشاء الى المسجد واتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم عند نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفى الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجى ومن جملة ارآءة الايات ذهابه فى لحظة مسيرة اربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (والنجم) اى الثريا او نجوم السماء او الرجوم من النجوم او الكواكب اذا انتثرت او نجوم القرءآن (اذا هوى) اى غرب اوطلع او انقض او انتثر او نزل وانتشر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو بلا خلاف فى النسخ المصححة وفى اصل الدلجى فلا بالفاء وقال ان الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) اى من اهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسرآء به عليه الصلاة والسلام) اى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرءآن) اى وعليه اجماع ائمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسرآء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن انكر مطلق الاسرآء فهو كافر بلا امترآء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) اى بسط غرائبه (وخواص محمد فيه) اى وظهور خصوصياته فى اسرآئه وتنزلاته فى مراتب سنائه (احاديث كثيرة منتشرة) اى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم اكملها) اى اكمل الاحاديث الواردة فى الاسرآء تصريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) اى غيرا كملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) اى بتعين بيانها تحقيقا وتعميما (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (والفقيه ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) اى منهما او واقع على كلامهما (والقاضى ابو عبد الله التميمى وغير واحد) اى وكثير (من شيوخنا) اى المحدثين (قالوا) اى كلهم (حدثنا ابو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة (ثنا ابو العباس الرازى حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) اى صاحب الصحيح (ثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فمعجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرف فى نسخة قال التلمسانى وصرفه اكثر قيل عنده خمسون الف حديث وهو من التابعين (ثنا حماد بن سلمة) احد الاعلام روى عنه شعبة ومالك وابو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر الفا (ثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها الف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته اعبد منه اخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كاسمه (عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) اى مركوب (ابيض) وفيه ايماء الى ما قيل انه ليس بذكر ولا انثى (طويل) اى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون اى نظره وبصره (قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس) اى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر وعلى زنة محمد ايضا لان فيه يتقدس من الذنوب او لانه منزه عن العيوب قال التلمسانى وروى باب المقدس (فربطته) اى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها (التى يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الانبياء) اى دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب

التحرير روسيأتى فيه ما ينافيه او البراق ان ثبت ان له الاسرآء ايضا الى بيت المقدس ويؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزورها جر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه كما سيأتى وفى حديث الترمذى من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس اشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيها مسدودا فاظهر خرقها ثم فى ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقى المهالك والحذر فى السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اعقل وتوكل وقد قال وهب ابن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووى فى شرح مسلم وهو فى الاصول يعنى اصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشئ انتهى ولا يخفى ان الاولى رجع الضمير الى خرقها بحذف مضاف او ارتكاب مجاز آخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) اى الاقصى (فصليت فيه ركعتين) اى تحية المسجد (ثم خرجت) اى منه (فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن) اى امتحانا من الله تعالى قال التلمسانى هكذا فى مسلم وفى البخارى واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى اربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة فى الجنة واختياره اللبن لانه مغن عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت امتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم فى جمع المال الذى يؤدى الى سوء الحال ونقصان المآل واما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (فاخترت اللبن) اى واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) اى علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر ام الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث (ثم عرج بنا) اى صعد بنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه اوله ولمن معه فالضمير الى الله تعالى او جبريل او البراق وفى نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكى وكذا فيما بعده وهو فى غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذى درجة له من ذهب واخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) اى باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هنالك فتح واغلاق وهو الاظهر فى مقام ادب الاجلال والاستحقاق (فقيل من انت قال) اى جبريل (جبريل) اى انا جبريل (قيل ومن معك) اى لما كوشف لهم ان احدا معه او استدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شأنه (قال محمد) اى هو او معى محمد (قيل أو قد بعث اليه) اى اطلب وقد بعث اليه للاسرآء وصعود السماء وليس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور فى الملكوت الى ما لا يخفى على الخزنة ولكونه اوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان فى الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما انعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا مؤذن بان للسموات ابوابا حقيقة وعليها ملائكة موكلة هذا وفى رواية صحيحة ارسل اليه وهو قابل للتأويل المذكور مع انه لا يبعد ان تكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة لكمال اشتغالهم بالعبادة على ما ذكره الطبرى (قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم صلى الله تعالى عليه وسلم فرحب بى) بتشديد الحاء اى قال لى مرحبا كما ورد مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح اى لقيت رحبا وسعة (ودعا لى بخير) اى فى الدارين (ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان اهل كل سماء لا يدرون عن حال اهل سماء اخرى او ارادوا التلذذ بهذه المذاكرة التى هى بالمحاورة احرى وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طى المكان ولا يبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة او بالمناداة من غير الواسطة استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه فى العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من ورآء الاستار فى لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة فى عين الكثرة (فاذا انا بابنى الخالة) لان ام يحيى ايشاع اخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليهما وسلم فرحبا بى ودعوا لى بخير) وفى نسخة صحيحة دعيا لى بالياء ففى القاموس دعيت لغة فى دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) اى مثل ما ذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف او من غيره والله تعالى اعلم (ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد اعطى شطر الحسن) اى نصفه او بعضه والمراد بالحسن جنسه او حسن حوآء او حسن سارة او حسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى اعلم وروى فى حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر وقال البغوى فى تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت قد اعطيت سدس الحسن وقال

وقال ابن اسحق ذهب يوسف وامه يعني جدته بثلثي الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض لا النصف كما قال البعض
والله تعالى اعلم (فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة والسلام)
وهو سبط شيث وجد والد نوح اول مرسل بعد آدم عليه السلام واول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر في علم النجوم
والحساب واما قولهم ادريس مشتق من الدرس اذ قد روى ان الله تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة فلقب به لكثرة
الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة (فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف
النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت اذقني الموت ليهون علي ففعل باذن الله تعالى ثم حيي
فقال ادخلني النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلني الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال له اخرج فقال قد ذقت الموت
ووردت النار فما انا بخارج فقال الله تعالى باذني دخل دعه وقيل هو في السماء الرابعة لهذا الحديث (ثم عرج بنا الى
السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل
منصوب على الحال كما في مسلم وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي
وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاستناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة
وفي استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة او الى العرش على خلاف ايهما افضل
في باب الاستقبال او باعتبار نظر ذي الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شيء من اجزاء السماء
او الى طرف من بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه)
اي اكثرهم وقد روى عن علي كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة
مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل للكعبة كما قاله ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد تصحف بصراح الغلط وروى ابو هريرة انه في السماء الدنيا وقيل في الرابعة
وقيل في السادسة ولعل كل بيت في كل سماء يسمى البيت المعمور بالمعنى المذكور وانه في السماء السابعة على القول
المشهور الوارد في حقه انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين في محله المسطور (ثم ذهب بي) اي جبريل
وضبطه الانطاكي بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) اي ينتهي علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد
وطعمها لذيذ ورائحتها طيبة فشابهت الايمان الذي يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه
وامتداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره (واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر فاء وفتح
تحتية جمع فيل والآذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي واذا نبقها
(كالقلال) بكسر القاف جمع قلة ككتاب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها
القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل اي ترفع وتحمل وليست بهجر الذي هو من توابع البحرين
(قال فلما غشيها) بفتح فكسر اي علاها وغطاها (من امر الله تعالى) اي من اجل امره وارادته او من آثار عظمته
وانوار قدرته (ما غشي) اي ما غشيها كما في نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى (تغيرت) اي
السدرة (مما غشيها) من اسرار القدرة (فما احد من خلق الله تعالى يستطيع) اي يقدر (ان ينعتها) اي يصف كيفية
غشيتها او ماهية ما غشيها (من حسنها) اي من غاية ضيائها ونهاية بهائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه
ما غشيها من الانوار التي تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضاءتها وصفاء ذاتها
وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الي ما اوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى
وفي ابهامه تفخيم للموحى كما لا يخفى (ففرض) اي الله تعالى كما في نسخة (علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة)
بيان لما اوحى كله او بعضه (فنزلت الى موسى) اي منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على امتك فقلت خمسين صلاة قال
ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) اي تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا للتعريف والتشريف ويجوز في فاسأله
التخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما في السبعة (فان امتك) اي جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكانه علم عليه الصلاة
والسلام ضعفنا وعجزنا فرحمنا فجزاه الله تعالى افضل الجزاء عنا ثم علل ذلك بقوله (فاني قد بلوت بني اسرائيل) اي
جربتهم وبلاه وابتلاه بمعنى وفي الحديث اللهم لا تبتلنا الا بالتي هي احسن (وخبرتهم) بتخفيف الموحدة عطف تفسيري
او اشارة الى انه جربهم مدة بعد مدة والمعنى امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم الشدة وعدم الطاقة فيما قصدت منهم من
تحمل الكلفة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربي) قال النووي معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته اولا فناجيته فيه
ثانيا (فقلت رب خفف عن امتي) اي الضعفاء وفيه ايماء الى قوة الانبياء والاصفياء اذ كثير منهم واظبوا على الف ركعة

في اليوم والليلة وقد اشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى وبهذا يظهر ضعف قول الدلجي لم يقل
خفف عني حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عني) اي فوضع عني في ضمن الحط عن امتي (خمسا) ولم يقل عن
امتي لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عني
خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك) اي لا يقدرون على هذا القدر ايضا (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل
ارجع بين ربي) وفي نسخة بين يدي ربي (تعالى وبين موسى) اي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي لموسى
ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة في السؤال واحضار البال والله تعالى اعلم بالحال (حتى قال) اي الرب
سبحانه وتعالى (يا محمد انهن) ضمير مبهم تفسيره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجي والاظهر ان يقال التقدير
ان الصلاة المفروضة او الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة) بالنصب على الظرفية وفي نسخة في كل يوم وليلة
(لكل صلاة) اي من الخمس (عشر) اي ثواب عشر صلوات (فتلك خمسون صلاة) اي بحسب المضاعفة ولعل هذه
المراجعة منهما لما الهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما او اوجبها اولا ثم رحمنا فنسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب
الشيء قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسماعيل عند قصده تبيانا لمحل فضله وكرمه ثم لما كان نية نبينا وهمة صفينا
له اصالة ولاتباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلاة وجوزي بذلك حيث خفف عليهم في الكمية وزيد لهم
في الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية في ضمن الحديث القدسي والكلام الانسي بقوله (ومن هم
بحسنة) اي من صلاة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) اي لعاقة عن عملها (كتبت له
حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة
لان الهم سببها وسبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفي بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى
المتكلم وهو ظاهر لكن لا يلائم ما بعده لم تكتب (فان عملها كتبت له عشرا) وهذا اقل المضاعفة كما قال تعالى من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) اي فلم يقدر على عملها (لم تكتب) اي تلك السيئة التي هم بها
(شيأ) اي ولا سيئة واحدة اذا ندم وتركها الله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة
كاملة وقد زاد مسلم في رواية انما تركها من جراي بفتح الجيم وتشديد الراء اي من اجلي او شيأ من الزيادة اذا كان همها
باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيأ او عشرا منصوبان وفي بعض نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ
(فان عملها كتبت له سيئة واحدة) اي باندراج الهم في العمل حيث لا مضاعفة في السيئة كما يستفاد الحصر من قوله
تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه)
بيائين وفي نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة في تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم
من باب الوفاء في تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة في وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الى انها معراج
المؤمن الى اعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقي منازل سعاداته واما حكمة ظهور
الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المشير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به احد
من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا
وكذا الزكاة مطلقا واما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها ايضا فما ذكره التلمساني من انه فرضت
الصلاة والزكاة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكاة الفطر وهو بمكة
خطأ فاحش (قال القاضي رضي الله تعالى عنه) كذا في النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية
في العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود)
بتشديد الواو اي حسن (ثابت) اي البناني (رحمه الله تعالى) وفي نسخة رضي الله تعالى عنه (هذا الحديث) اي بيان
روايته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن انس رضي الله عنه ما شاء) اي ما شاء الله تعالى من تجويده وتحسينه
وتحريره (ولم يأت احد) اي من الرواة (عنه) اي عن انس رضي الله تعالى عنه (اصوب من هذا) اي اقرب الى
الصواب من هذا المروي في هذا الكتاب (وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) اي في هذا الحديث (غيره) اي غير ثابت
من الرواة (عن انس) رضي الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) اي وتخبيطا كبيرا (لاسيما) اي خصوصا ما ورد (من رواية
شريك ابن ابي نمر) اي عن انس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم فرآه مدني روى عن ابن انس وابن
المسيب وجماعة وعنه مالك وانس بن عياض وطائفة قال ابن معين لا بأس به وقال النسائي ليس بالقوي انتهى
وشريك هذا تابعي صدوق وثقه ابو داود وقال ابن عدي روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة

فانه ثقة ووهاه الحافظ ابو محمد ابن حزم لاجل حديثه فى الاسراء الذى اشار اليه القاضى وله فيه اوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فى صحيحه وقدم فيه شيأ واخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن انس فلم يأت احد منهم بما اتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث انتهى والاماكن فى حديث الاسراء معدودة عند اهل العلم فيقال اربعة ويقال ثمانية ذكره الحلبى (فقد ذكر) اى شريك (فى اوله) اى مبدأ حديثه (مجيء الملك له) اى لاجله (وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا) اى ماذكر كله (انما كان وهو صبى وقبل الوحى) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الا بسبب ما بينه المصنف بقوله (وقد قال شريك فى حديثه) اى هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء) اى معه (ولا خلاف انها) اى فى ان قصة الاسراء (كانت بعد الوحى) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ ابو محمد الحسين البغوى هذا الاعتراض الذى اعترض به على رواية شريك لا يصح عندى لان ذلك كان رؤيا فى النوم اراه الله تعالى عز وجل قبل الوحى بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه راى عليه الصلاة والسلام فتح مكة فى المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها اذ لا تترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لا يخفى (وقد قال غير واحد) اى كثير من علماء المحدثين (انها كانت) اى قصة الاسراء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووى ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ما قاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث فى روضة الاحباب انه كان فى سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ما هم عليه فى الحرمين الشريفين من العمل وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رمضان وقيل فى شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل اسرى به فى الحجة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة اشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من ربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر ربيع الاول والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل قبل هذا) اى قبل ما قبل الهجرة وفى نسخة غير هذا اى غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحى (وقد روى ثابت) اى البنانى (عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام يعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر اوله اى مرضعته حليمة او زوجها الذى ابنها امنه فانه يطلق عليهما (وشقه) اى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل اشتمال على كل واحدة من القصة حال كونها (منفردة من حديث الاسراء) اى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) اى كما رواه غيره من الرواة الثقات (فجود) اى ثابت (فى القصتين) اى قصة الشق وقصة الاسراء حيث لم يخلط بينهما (وفى ان الاسراء) اى ولا خلاف فى ان الاسراء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) اى اولا (ثم عرج من هنالك) اى من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) اى ازال ثابت (كل اشكال اوهمه غيره) اى من شريك ونحوه فى رواياتهم (وقد روى يونس) اى ابن يزيد الايلى وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى سمع ابن اسحق وابن شهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى كشف وفتح (سقف بيتى فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى) اى شق كما فى رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت اى انشقت كما فى آية اخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) اى الحكمة وما فى معناها او من مقتضاها (فى صدرى ثم اطبقه) اى غطاه واصلحه (ثم اخذ بيدى فعرج بى الى السماء وذكر) اى يونس (القصة) اى قصة المعراج بطولها (وروى قتادة الحديث) اى حديث الاسراء (بمثله) اى بمثل مروى يونس (عن انس) اى ابن مالك (عن مالك بن صعصعة) اى الخزرجى المازنى له حديث الاسراء اخرج له البخارى ومسلم والترمذى والنسائى واحمد فى مسنده وليس له فى الكتب غير حديث الاسراء على ما ذكره الحلبى قال النووى فى تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة احاديث اتفق البخارى ومسلم على احدها وهو حديث الاسراء والمعراج وهو احسن احاديث الاسراء

انتهى

انتهى وكذا ذكر ابن الجوزى فى تنقيحه ان له خمسة احاديث (وفيها) اى وفى رواية قتادة عن انس بن مالك (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) اى فى بعض مواضعها (وخلاف فى ترتيب الانبياء فى السموات) اى بالنسبة الى بعضهم وبعضها (وحديث ثابت) اى البنانى (عن انس اتقن واجود) اى من حديث قتادة عن انس عن مالك وكذا عن غيره مما قدمه على ما تقدم والله تعالى اعلم (وقد وقعت فى حديث الاسراء زيادات) اى من الفوائد على اختلاف روايات (تذكر منها) اى من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها ايضا نكات وهى بمعنى النقط وتطلق على معانى لطيفة (مفيدة فى غرضنا) اى مقصودنا فى هذا الباب من الكتاب (منها فى حديث ابن شهاب) اى الزهرى (وفيه) اى وفى حديثه الذى رواه (قول كل نبى له) اى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) اى بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسماعيل ولقوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم واما ما يقوله اهل النسب والتاريخ ان ادريس اب من آباء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه السلام فانه لا ينافى كونه اباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تأدبا وتلطفا وهو اخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة (وفيه) اى وفى حديث الزهرى او فى حديث الاسراء (من طريق ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما اخرجه البخارى (ثم عرج بى) بصيغة المفعول او الفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول فى اوله باء او لام اى صعدت بمكان عال او فى مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استواء (اسمع فيه صريف الاقلام) اى صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من اقضية الله سبحانه وتعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو فى شأن وفى نسخة صرير برائين وهو اشهر فى اللغة على ما صرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم او لكثرة فى التجسيم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى مرفوعا (ثم انطلق بى) بصيغة المجهول او المعلوم (حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان) اى اصناف من الانوار وانواع من الاسرار (لا ادرى ما هى) اى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم ادخلت الجنة وفى حديث مالك بن صعصعة رضى الله عنه) اى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) اى تأسفا على قومه اذ لم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذ لا حسد فى ذلك العالم لآحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذا قرره الدلجى وغيره ويؤيده قوله يدخل من امته الجنة اكثر من امتى ولا يبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لمجاوزته عن مقامه ومرتبته كما يشير اليه قوله فلما جاوزته ولما سيأتى صريحا من قول موسى عليه السلام لم اظن ان يرفع على احد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى فى السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال يزعم بنو اسرائيل انى اكرم ولد آدم وقد جاوزنى هذا وكانه سلم التقديم لابراهيم لكونه جدا له يحق له التعظيم مع سبقه عليه بسبعمائة سنة فى مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتأمل فى هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة فى القربة امور كثيرة من انواع علو الرتبة (فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفى نسخة بعث (بعدى يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتى) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا او شيخا على اختلاف القولين فى عمره فيهما والغلام انما يطلق فيمن بلغ سبعا او ثمانى وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له ما دام شابا فكانه نظر الى قصر عمره وتأخر عصره مع جموم مناقبه وعموم مراتبه (وفى حديث ابى هريرة) اى ومنها فى حديثه الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء حكاية عن نفسه وفى اصل الدلجى واقد رأيتنى (فى جماعة من الانبياء) اى باجسامهم او بارواحهم ممثلة بصورهم التى كانوا عليها (فحانت الصلاة) اى دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد ابعد الدلجى فى قوله ولعلها صلاة الصبح اذ الاسراء لا يكون الا آخر الليل وهى مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتداء الاسراء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على ما يفيده تنكير ليلا فلا يتصور حمله على صلاة الصبح اصلا (فاممتهم) بتخفيف الميم الثانية اى صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووى فى بعض فتاويه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسراء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء فى هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهى الدعاء والذكر والثناء وقيل هى الصلاة المعهودة المعروفة وهذا اصح لان الالفاظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واجبا واداؤه واجبا قبل ليلة الاسراء ثم نسخ ليلة الاسراء ووجبت فيها الصلوات الخمس (فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت فى السماء وفى رواية انها كانت فى المسجد

الاقصى ولامنع من الجمع ولا النزول مالك وان كان مقره فى السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم
وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (فالتفت) اى نظرت اليه (فبدأنى بالسلام) لانه كان بمنزلة
الوافد او عملا بالافضل خصوصا مع التأدب بالنبى الاكمل واما ماقيل انما بدأه به ليزيل مايستشعره من الخوف منه
فليس فى محله (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى المحكى عنه ماتقدم من الزيادة (ثم سار حتى اتى بيت
المقدس فنزل فربط فرسه) اى براقه (الى صخرة) اى قريبة من صخرة بيت المقدس اوالى صخرة عظيمة معروفة مشهورة
فى وسط المسجد الاقصى قال البرقى فى غريب المواطن قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس
وهى من عجائب مخلوقات الله تعالى فى ارضه ومن غرائبها فانها صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين
السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لايمسكها الا الله الذى امسك السماء ان تقع على
الارض الا باذنه وفى اعلاها من جهة الجرف موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة
الاسراء وقد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى اثر اصابع الملائكة التى امسكتها اذ مالت به ذكره
التلمسانى اعلم ان التعبير بالفرس جاء فى تذكرة القرطبى برواية البيهقى عن الربيع بن انس عن ابى العالية عن ابى هريرة
وكذا رواه الطبرانى وجاء فى التفسير فى سورة الملك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبى
فى قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت فى هيئة كبش لايمر بشئ ولايجد ريحه شئ
الامات وخلق الحياة على صورة فرس انثى بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها
خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لاتمر بشئ يجد ريحها الاحيى ولاتطأ شيأ الاحيى وهى التى
اخذ السامرى من اثرها والقاه فى العجل حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والماوردى
عن مقاتل انتهى فلا يحتاج الى ماتكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى اعلم (فصلى مع الملائكة)
اى الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلاة) بصيغة المجهول (قالوا يا جبريل من هذا معك فقال) وفى نسخة قال
(هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية اما من الحياة بمعنى البقاء
اى بقاه الله وابقاه بمعنى عمره اومن التحية اى سلمه الله اوسلم عليه (من اخ) اذ المؤمنون اخوة عموما والانبياء
خصوصا لحديث الانبياء اخوة بنو علات ابوهم واحد اى الايمان وامهاتهم شتى يعنى الشرائع (وخليفة) اى لله
فى الارض حيث يحكم بحكمه من امره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) اى هو صلى الله عليه وسلم (ثم لقوا) اى
النبى وجبريل ومن معه من الملائكة اولان الاثنين اقل الجمع اوجمع للتعظيم والمعنى ثم لقى (ارواح الانبياء) اى ممثلة
اومنضمة الى اشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة اما ببيت المقدس بعد
انقضاء الصلاة اوبعد العروج فى مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) اى شكرا لما انعم عليهم (وذكر) اى ابو هريرة
(كلام كل واحد منهم) اى مما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام
ثم ذكر كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما اثنى على ربه روى ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذى
اتخذنى خليلا واعطانى ملكا عظيما وجعلنى امة قانتا يؤتم بى وانقذنى من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى
عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وانزل على التوراة وجعل اهلاك فرعون ونجاة بنى
اسرائيل على يدى وجعل من امتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذى جعل لى ملكا
عظيما وعلمنى الزبور والان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير وآتانى الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان
عليه السلام الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ماشئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير
وآتانى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله
الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل
وجعلنى اخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلنى ابرئ الاكمه والابرص واحيى
الموتى باذن الله تعالى ورفعنى وطهرنى واعاذنى وامى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) اى
ابوهريرة رضى الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثنى على
ربى الحمد لله الذى ارسلنى رحمة للعالمين) اى لعامة الخلق (وكافة للناس) اى اجمعين كما فى نسخة (بشيرا) اى بالثواب
(ونذيرا) اى بالعقاب (وانزل على الفرقان) اى المبالغ فى الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل
شئ) اى من مهمات امور الدنيا والدين اما بالنص اوبالاحالة على السنة لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم
عنه فانتهوا اوبالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

اوبالقياس

اوبالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار (وجعل امتى خير امة) اى اخرجت للناس الاية (وجعل امتى امة
وسطا) اى خيارا عدولا اومعتدلين فى اعمارهم واخلاقهم وارزاقهم مقتصدين فى اعمالهم (وجعل امتى هم
الاولون) اى فى دخول الجنة (وهم الآخرون) اى فى حصول الخلقة وفى اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المختصون
بهذا الفضل كذا ذكره الدلجى لكن فيه بحث اذهم فى هذا التركيب مبتدأ والاولون خبره والجملة فى محل نصب على انه
مفعول ثانى لجعل هذا وفى صحيح مسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق
نحن اول من يدخل الجنة (وشرح لى صدرى) اى ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عنى وزرى) اى ثقل حمل
اعباء النبوة وما ترتب عليه من لأواء المشقة (ورفع لى ذكرى) اى باقتران اسمه لاسمه واشتراط طاعته لرسمه (وجعلنى
فاتحا) اى لابواب التحقيق واسباب التوفيق وحاكما فى خلقه او بادئا فى ظهور امره ووجود نوره ويناسبه قوله
(وخاتما) اى وجعلنى خاتم النبيين والاظهر ان يقال معناهما اولا وآخرا لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت
اول الانبياء فى الخلق وآخرهم فى البعث (فقال ابراهيم بهذا) اى بمجموع ماذكر فيما حمده وشكره (فضلكم محمد) ايها
الانبياء وهو بتخفيف الضاد اى بهذا صار افضلكم (ثم ذكر) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (انه) اى جبريل
(عرج به) وفى نسخة بصيغة المجهول فضميرانه للشان (الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ماتقدم) فيه ايماء الى
ان ملاقاته الانبياء هذه كانت ببيت المقدس والله تعالى اعلم (وفى حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى مما رواه
ابو نعيم فى دلائله وابن عرفة فى جزئه (وانتهى بى) يعنى جبريل عليه السلام قاله الدلجى لكنه بصيغة المجهول فى النسخ
المصححة (الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة) كذا فى مسلم قال النووى فى جميع اصوله وعن المصنف هو الاصح
وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها فى السماء السابعة ولذا صحح فى بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد
جمع بينهما النووى بان اصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة انتهى وفى الروايات الاخر من حديث انس رضى الله
تعالى عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من اصلها مؤذن بانه
فى الارض انتهى وفيه بحث لايخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى يمكن الجمع بان مبدأها فى الارض ومعظمها فى السماء
السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشيان انوارها فى السماء السابعة ويؤيده قوله (واليها) اى الى السدرة (ينتهى
مايعرج به من الارض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) اى تقبضه الملائكة الموكلون فيها باخذ ماصعد به
من الاعمال والارواح اليها (واليها ينتهى مايهبط) اى ينزل (من فوقها فيقبض منها) اى فيقبضه من اذن له بقبضه
وايصاله الى من قضى له به وفى حاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة
ينتهى اليها ولم يجاوزها احد الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال) اى الله
سبحانه وتعالى (اذ يغشى السدرة مايغشى) اى يغطيها مايغطى مما يصعد اليها من تحتها ويهبط عليها من فوقها وهذه
عبارة لم ارمن عبر بها او بهذا يجمع بين روايات مختلفة اذ روى انه يغشاها جم غفير من الملائكة وفى رواية رفرف
من طير خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة (قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب)
الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلو النبيذ ونحوه وقد ذهب
توجيهه (وفى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن انس رحمه الله تعالى)
والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل
لى هذه) اى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ماوقع فى النسخ
فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف
واللام فى قوله عليه الصلاة السلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة
المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل احد) اى روحه اوعمله او بكليته عند دخول
جنته (من امتك خلا على سبيلك) اى مضى على طريقتك ومنه قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اى مضى
نبى منذر واما ماضبط فى حاشية بضم الخاء وتشديد اللام على انه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة
المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة اومقصورة كما قرئ بهما فى السبعة اى غير متغير طعما
ولونا وريحا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار النعم عليه اوللزوم تغييره بتغيير لونه
وريحه (وانهار من خمر لذة) تأنيث لذ اى لذيذة اوذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها بلذة للمبالغة كانها نفسها
وعينها (وانهار من عسل مصفى) اى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها فانه مخلوق لا من صنع
نحل (وهى) اى سدرة المنتهى (شجرة) اى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة

(وان ورقة منها) اى من اوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها وعرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما اى محل ظلالهم والمعنى ان ظلها شامل لهم حافل عليهم والتشبيه السابق لورقها باذان الفيلة من خشية البهيمة لا ينافى كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) اى نور عظيم من الانوار الالهية لقوله (وغشيتها الملائكة) اى بانوارهم الملكية فبقى نور على نور وقيل غشيها ملائكة كامثال الطير يقعن على الشجر وهذا التقرير اولى من قول الدلجى فى قوله غشيها نور لعله نور الملائكة حين اقبلت اذ قد خلقت من نور ثم رأيت فى حاشية انه فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن فهو احسن (قال) اى الراوى (فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) اى فاسبق هو معنى قوله تعالى ما يغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشاها (فقال تبارك) اى تكاثر خيره وتزايد بره (وتعالى) اى تنزه شأنه وتبين برهانه (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) اى تعط (قال انك اتخذت ابراهيم خليلا) اى والخلة اعظم خلة اذ هى كرامة جليلة ومقامة جميلة تشبه كرامة الخليل عند خليله مأخوذة من الخلال فانها ود يتخلل النفس ويخالطها اوقد روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر عتار منه لأزمة اى شدة منه اصابت الناس فقال لو ان ابراهيم اراد ذلك لنفسه فعلت ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فلأوا منها اوعيتهم فوجده دقيقا حوارى نخبز منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله فسماه الله تعالى خليلا (واعطيته ملكا عظيما) اى ملكا جسيما كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما اى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) اى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما (واعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون الف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (والنت له الحديد) اى كالشمع لا يحتاج الى احماء وطرق (وسخرت له الجبال) اى معه كما فى اصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له اواب (واعطيت سليمان ملكا عظيما) اجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن والانس والشياطين) اى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (واعطيته ملكا لا ينبغى) اى لا يوجد (لاحد من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص واعادة لما فيه زيادة وتلويح الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لا انه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة اولئلا يقع احد فيما وقع فيه من ابتلاء الحالة التى لا تخلو من نوع المحاسبة والمناقشة وصنف من المخاطرة من نقصان كمال المرتبة (وعلمت عيسى التوراة) اى تبعية (والانجيل) اصلية بروى وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) اى من ولد اعمى اوهو الممسوح العين (والابرص) اى من بدنه بياض امهق كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف عليه ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه وما يداوى الا بالدعاء لديه والمعنى ان هذا فى حال الكبر (واعذته وامه من الشيطان الرجيم) اى فى حال الصغر (فلم يكن له) اى الشيطان (عليهما سبيل) اى لقوله سبحانه ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) اى تسلية لنبينا عن مرتبة الغبطة بالعطية من اعلى الرتبة (قد اتخذتك حبيبا) والمحبة اخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعلية والمفعولية فله الجمع بين مرتبتى المحبية والمحبوبية ويؤيده ان فى نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهى فى ارادة هذا المعنى صريحة واما قوله (فهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا ينافيه ما قدمناه من البيان اذ ذكر ما خص به من مقام الاعيان هذا وقد قال الدلجى هذا مدرج من كلام الراوى اقامة بينة لصحة زيادة رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند ارحم الراحمين (وارسلتك الى الناس كافة) اى رسالة عامة فارساله الى الناس تعميما يفيد تعظيما بالنسبة الى من اوتى ملكا عظيما ثم زاد عليه بما ضم اليه من قوله (وجعلت امتك هم الاولون) اى فى دخول الجنة شهودا (وهم الاخرون) اى فى الدنيا وجودا (وجعلت امتك) اى امة الاجابة (لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) اى ولو خارج الخطبة فلا يرد على ابى حنيفة فى تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة اوالمراد بالامة امة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لا ينبغى ترك الشهادة لا سيما حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال لحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اى ناقصة مقطوعة الفائدة لحديث كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بسم الله او بالحمد لله فهو اجذم او ابتر او اقطع روايات (وجعلتك اول النبيين خلقا) اى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من السفاح حتى خرج من بين ابويه فكان اولهم خلقا ووجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه اعظمهم خلقا

(واعطيتك)

(واعطيتك) اى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الاية (ولم اعطها نبيا قبلك) تأكيد لما قبله وتأييد (واعطيتك خواتيم سورة البقرة) الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم اعطها نبيا قبلك) اى بانزال مضمونها على احد منهم ادخارا لك وقال التوربشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن سأل بحقه مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت واوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت العرش انتهى ولا يخفى انه لا منافاة بين الجمع فالحمل عليه اولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) اى مبدأ للخيرات ومنتهى للمبرات اواولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) اى التى رواها مسلم (قال) اى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) اى مما لم يعطها غيره (اعطى الصلوات الخمس) اى فريضة فى كل يوم وليلة (واعطى خواتيم سورة البقرة) اى قرآءة واجابة (وغفر لمن لا يشرك بالله شيأ) اى من الشرك (من امته المقحمات) اى السيئات المهلكات اهلها ولو من غير توبة وفيه اشارة الى انه من خصوصيات هذه الامة المرحومة ببركة نبى الرحمة لكنه مع هذا تحت المشيئة ومختص بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فاندفع ما اورده الدلجى من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم انه لا يعذب احد مع الاجماع على تعذيب بعض عصاة المؤمنين اى من هذه الامة والا فلا اشكال وابعد من قال اراد بغفرانها ان لا يخلد احد منهم فى النار لا ان لا يعذب اصلا اذ فيه انه لا خصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل مثقلة الذنوب العظام التى من شأنها ان تقحم صاحبها فى النار وتدخله الشدة فى دار البوار وهو مرفوع على انه نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى انه اعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) اى ابن مسعود فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى الايتين) اى فى هذه الاية وما بعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى (رأى جبريل فى صورته) اى التى خلق عليها فى اصل جبلته (له ستمائة جناح) اى مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء واشار اليه سبحانه وتعالى بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث ابى داود وغيره ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم اما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشأنه او تواضعا تعظيما لحقه واما ما ذكر السهيلى من انه قد قال اهل العلم فى اجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من اجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التى لا ينافيها عقل ولا نقل وقد ابعد بقوله واحتجوا بالاية فانه لم ير طائر له ثلاثة اجنحة او اربعة حيث غفلوا عن انه لا يقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه وتعالى يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وفى الاية قول آخر لبعض الائمة وهو انه رأى ربه تعالى والمعنى ما كذب بصره ما حكاه له قلبه (وفى حديث شريك) اى ومنها فى روايته (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى موسى فى السابعة) اى السماء السابعة كما فى اصل الدلجى وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء او تكلفه بان احداهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استيطانه اوباعتبار طلوعه ورجوعه وهذا اولى مما قاله الانطاكى ولعله رآه فى السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا وجه التوفيق بين ما روى فى صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام وجد ابراهيم فى السادسة وبين ما روى انه وجده فى السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة فان النسيان يغلب الانسان (قال) اى شريك او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) اى له كما فى اصل الدلجى والمعنى ان جعله فى السابعة مسبب عن ذلك قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين اى ولا تطلب المعراج ولا الرؤية فى ذلك المدراج (ثم علا به) بصيغة المفعول وفى اصل الدلجى ثم علا بى اى جبريل (فوق ذلك) اى فوق ما ذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لا يعلمه الا الله) اى بمقدار لا يعلمه سواه فلا يحتاج الى ما تكلف له الدلجى بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما فى قوله تعالى من اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار اى عليه او بمعنى الى كما فى وقد احسن بى اى علا بى على مكان او الى مكان لا يعلمه الا الله (فقال موسى لم اظن ان يرفع على احد وقد روى) بصيغة المجهول اى ومنها انه قد روى (عن انس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اى اماما وهو لا ينافى ما روى انه صلى بهم فى السماء اوصلى مع الملائكة فى المسجد الاقصى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) اى ومنها ما رواه البزار والبيهقى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا انا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاى اى دفع باطراف اصابعه اوضرب بكفه مجموعة (بين كتفى) بتشديد التحتية وهذا ضرب تلطف ومحبة او سبب قيام وخفة

ويشير اليه قوله (فقمت الى شجرة فيها مثل وكرى الطائر) اى مكانين مماثلين للوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان فى جدار وفى شجر وقيل ان كان فى شجر فهو عش او فى جحر فهو وكر (فقعد) اى جبريل (فى واحدة) ولعل تأنيث الوكر باعتبار البقعة او القطعة من الشجرة (وقعدت فى الاخرى) وماذكرناه اولى واحرى مما قاله الحلبى ان تأنيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب ان مايلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغير ذلك فاكتسب التأنيث بحسب الاضافة انتهى ويرده مافى القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه واما قول الدلجى انهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش واهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على السنتهم التأنيث فليس فى محله لانه غير مسموع بل فى القاموس مايدل على انه من وجهين مدفوع حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو اى زادت وفى نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو اى ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة اى طرفى السماء والارض او افقى المشرق والمغرب (ولوشئت) اى من كمال رفعتى (لمسست السماء) بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما فى نسخة (وانا اقلب طرفى) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية اى والحال انى اردد بصرى تبعا لبصيرة قلبى فى آيات ربى فى الافاق وفى الانفس (ونظرت جبريل) اى رأيت كما فى نسخة اى وابصرته نازلا عنى وبعيدا منى (كأنه حلس) بكسر وسكون وفى نسخة بفتحهما اى كساء رقيق يلى ظهر البعير تحت قتبه شبه به لرؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة اى لاصقا بما لطئ به من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجى بناء على نصب لاطئا فى اصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة او منية قاضية امره بلزوم بيته هذا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة اسرى بى وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالى من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه على) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون اعلم يكون اخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه على ان افضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره اولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لى باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفى نسخة ونظرت (النور الاعظم) اى نور الحضرة الالهية ذكره الدلجى والله تعالى اعلم (ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة اى ارخى وفى نسخة واذا ادنى باذا المفاجأة اى قرب ودنى (الحجاب) اى ستر باب الجناب لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب او يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء اى ومركوز فى شقه (الدر والياقوت) ويروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط فى حاشية التلمسانى وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم اوحى الله الى ماشاء ان يوحى) اى الى كما فى نسخة صحيحة (وذكر البزار عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة بخط مغلطاى البراء بفتح موحده وخفة راء والصواب هو الاول وهو بموحده فزاى مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين وهو الحافظ العلامة ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن بن على بن راشد وطائفة وعنه ابو الشيخ والطبرانى وجماعة فانه ارتحل فى آخر عمره الى اصبهان والى الشام والى النواحى ينشر علمه ذكره الدارقطنى واثنى عليه وقال ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما اراد الله تعالى ان يعلم) بتشديد اللام اى يعلمه ويلهمه (الاذان) اى ما يختار للاعلام بدخول اوقات الصلوات (جاء جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) اى شرع واراد ان يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكنى فوالله ماركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى اتى بها) اى انتهى بها (الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى) اى عرشه سبحانه وتعالى (فبيناهو) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) اى بالوصف الذى هنالك (اذ خرج ملك) اى فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جبريل من هذا) اى من الملائكة (قال) اى جبريل (والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا) اى فى السماء او من الحجاب لا من رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) يعنى فهو داخل تحت قوله سبحانه ومالا يعلمون وقوله تعالى ويخلق مالا تعلمون (فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له) اى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر انا اكبر) هذا يحتمل انه امر ملكان يقوله عن امر ربه كما حكى الله عن الملائكة فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا الله لا اله الا انا) ووقع فى اصل

الدلجى انه لا اله الا انا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) اى الراوى (مثل هذا) اى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا انه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح وقال) اى الراوى (ثم اخذ الملك) اى المؤذن (بيد محمد فقدمه) اى فى المقام الاتم (فام اهل السماء) اى من الملائكة والانبياء (فيهم آدم) ابو البشر الاكبر (ونوح) ابو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتدبر واما ماوقع فى اصل الدلجى من قول آدم وابراهيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما ابوا الانبياء فهو مخالف للاصول المعتبرة (قال ابو جعفر) اى الصادق وهو الباقر (محمد ابن على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب وهو زين العابدين رضى الله تعالى عنهم ويسمى سلسلة الذهب (راويه) اى راوى هذا الحديث الذى ذكره البزار فى مسنده حيث قال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد حدثنا ابى عن زياد بن المنذر عن محمد بن على بن الحسين عن ابيه عن جده على بن ابى طالب قال لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد اخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضه الى صحته لما يعضده ويشاكله من احاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى اصل الدلجى فوقع رواية بالمصدر بدل راويه (اكمل الله تعالى) اى اكمل واتم (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم الشرف) اى السيادة الاعم (على اهل السموات والارض قال القاضى رحمه الله تعالى ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) اى مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة الا انه قد يطلق مجازا ويقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقناله متبصرا واما المعنى الحقيقى فهو منحصر فى حق المخلوق (لا فى حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) اى حسا ومعنى (والبارئ) اى الخالق البرئ عن مشابهته المخلوقين (جل اسمه) اى وعز مسماه (منزه عما يحجبه) اى يستره عن خلقه ويجعله محجوبا فى حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بمقدر) اى محدود (محسوس) اى داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب وبفتح فسكون مصدر اى قد يكون حجابه (على ابصار خلقه) بفتح الهمزة اى اعينهم الظاهرة (وبصائرهم) اى اعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بما شاء) اى من انواع الحجاب وفى الحديث حجابه النور اى لكماله فى الظهور (وكيف شاء) اى فى هذا الباب (ومتى شاء) اى من اوقات تعلق الحجاب (كقوله) اى فى الكتاب (كلا انهم) اى الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) اى لممنوعون عن رؤيتنا وشهود قدرتنا بخلاف المؤمنين فانهم فى عين عنايتنا اوزين رعايتنا وحمايتنا عن غين الاغيار ورين الاوزار (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب فى قوله عليه الصلاة والسلام اذ خرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) اى بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على مادونه) اى بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما احسن قول ابن عطا فى كشف هذا الغطا مما يدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه وقد انشدوا فى هذا المعنى واطنبوا فى هذا المبنى

من ابصر الخلق كالسراب ✻ فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا ✻ بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه ✻ هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه ✻ ولا مشير الى الخطاب

(ويدل عليه) ماذكرناه (من الحديث) اى من بعض مافى نفس الحديث (قول جبريل عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه فدل على ان هذا الحجاب) اى تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات ثم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لا بمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان اكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية او المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب فى هذا الباب وكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن انفسهم واراداتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة اوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله تعالى وفناء فى الصفات ومنه لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء فى الذات اى لا موجود على الاطلاق الا الله وانشدوا فى هذا المبنى لتصحيح المعنى

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى ✻ فكان فناؤه عين البقاء

(ويدل عليه) اى على ماذكرنا من تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) اى كعب الاحبار (فى تفسير سدرة المنتهى) اى فى بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهى علم الملائكة) يعنى وسببه انهم عندها (يجدون امر الله تعالى) اى لا عند غيرها (لا يجاوزها علمهم) اى فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف اى الذى يلى عرش الرحمن او امر اما) كذا بالنصب فى النسخ والظاهر كونه مجرورا او مرفوعا ولعله اراد ان اى يعنى او اعنى امرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجى الى ان التقدير يلى امرا اما (من عظيم آياته ومبادى حقائق معارفه) اى المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو اعلم به) اى من اسرار مكنوناته (كما قال تعالى) اى فى استعمال حذف المضاف (واسأل القرية اى اهلها) يعنى انه من قبيل مجاز الحذف وهو اشهر مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى اعلم بالحال (وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى انا اكبر) كما تقدم (ظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجى اى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) قلت فيأول الاشكال فى هذا الباب مع ما فيه من سماع كلامه من جهة محصورة بوهم الحجاب وانما دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب) فان المراد بالوحى على طريق المكاشفة لان الوحى اعلام فى خفاء اما بالالهام وهو القذف فى القلب كما اوحى الى ام موسى عليه السلام او فى المنام كما اوحى الى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود وجود الذات الصمدية بان يسمعه ولا يراه كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام وليس المراد ان هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع او يدل على تحديد المحجوب وانما هو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم فى هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب ولذا قال المصنف (اى وهو) اى البشر (لا يراه) اى الحق سبحانه وتعالى (حجب بصره) اى منعه (عن رؤيته) اى لا لاذنه عن بصره (فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) اى بعين البصر (فيحتمل انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (فى غير هذا الموطن بعد هذا) اى هذا الوقت (او قبله) اى من الزمان بمعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفى اصل الدلجى فرآه (والله اعلم) اقول ولا مانع من انه رآه فى ذلك الحين بعينه اذ لا يختص برفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لارادة العيان كما لا يخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب فى الجملة كشف غطاء فاحببت ان اذكرها وهى قوله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى اظهر كل شئ ام كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو اظهر من كل شئ بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده انتهى واذا قال الله تعالى لا يحيطون به علما كيف يحيطون به جرما وانى للعدم حتى يغلب القدم نعم ان لله سبحانه وتعالى سبعين الف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه اى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان فى كل آن وزمان ولذا قال بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى عين ابديته اول وفى عين ازليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء والسراب فى نظر مشتاق الشراب فالانا للتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب

(فصل)

اى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) اى الصحابة والتابعون (والعلماء) اى الخلف المجتهدون (هل كان) اى وقع (الاسراء بروحه) اى فقط (او جسده) اى مع روحه فى جميع اسرائه او فى بعضه كما سيأتى فى كلامه ويندرج فيه ايضا قول آخر لبعضهم انه اسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول التوقف بان يقال اسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى اوائل كتابه الهدى ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الخبر انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة امره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالغالبة وكان المصنف لم يلتفت الى هذه المقالة فينتظم قوله (على ثلاث مقالات) اى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام) بدل مما قبله او عطف تفسير له اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) اى ثابت غير كذب (ووحى) اى يعمل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك وحديث تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) اى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن ابى

سفيان

سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو احد كتبة الوحى وقيل انما كتب له كتبه الى الاطراف وتولى الشام فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكما الى ان مات وذلك اربعون سنة روى عنه ابن عباس وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهم وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشئ من شعره واظفاره فقال كفنونى فى قميصه وادرجونى وفى رواية وأزرونى بازاره واحشوا منخرى وشدقى ومواضع السجود منى بشعره واظفاره وخلوا بينى وبين ارحم الراحمين (وحكى) اى مثل ذلك (عن الحسن) اى البصرى (والمشهور عنه خلافه) وهو انه كان فى اليقظة (واليه) اى والى هذا القول (اشار محمد بن اسحق) اى ابن يسار امام المغازى (وحجتهم) اى لقولهم انه رؤيا منام (قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) اى ظاهرة اذ فى آخر الاية دلالة على انه كان باليقظة حيث قال (الا فتنة للناس) اى ابتلاء وامتحانا فى تصديق القضية اذ انكرته قريش وارتد كثير من اهل التقليد وصدقه الصديق واهل التوفيق والتأييد اذ من المعلوم انه لا فتنة الا اذا كان فى حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها لانها من غرابتها فى معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف اى تحقيق الرؤيا وتصديقها او به يجمع بين الروايات فانه رأى اولا رؤيا وثانيا رؤية فقد قال السهيلى وذهبت طائفة منهم شيخنا ابو بكر الى ان الاسراء كان مرتين احداهما فى نومه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه امر النبوة فانه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذا الاسراء سهل عليه بالرؤيا لان هوله عظيم ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة فى نومه ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد ان يقال اسراؤه الروحى كان مرات باعتبار المكاشفات فى اليقظات والمنامات واما اسراؤه الجسدى فمرة واحدة تحقيقا لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع ان آية وما جعلنا الرؤيا قد قيل المراد بها ما رآه عام الحديبية انه واصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الاية فلما صدوا فيه عنه فتنوا وقيل لم يقل فى هذا العام فدخلها بعد او ما رآه فى وقعة بدر بدليل قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ووقع فى اصل الدلجى وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم انه من اصل الكتاب وهو ليس فى الاصول الصحيحة على الصواب (وما حكوا) اى وحجتهم ايضا ما حكوه من رواية ابن اسحق وابن جرير (عن عائشة رضى الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووى عن المصنف وروى عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيغة المفعول وهو اظهر فى الاحتجاج المنقول (وقوله) اى وحجتهم ايضا قوله (بينا انا نائم) اى فى الحطيم وربما قال فى الحجر (وقول انس رضى الله تعالى عنه) اى وحجتهم ايضا قوله فى حديثه (وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة) اى قصة الاسراء وفيه ان كونه نائما فى اول الوهلة لا ينافى وقوع القصة فى اليقظة آخر الدفعة (ثم قال) اى انس رضى الله تعالى عنه (فى آخرها) اى القصة (فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام) وفيه ان المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق فى مقام الابرار مع احتمال ان نومه فى حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمين) اى من الخلق (الى انه اسراء بالجسد) اى مع الروح لا بالروح دون الجسد (وفى اليقظة) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها وهى ضد المنام (وهذا هو الحق) اى الثابت عند اهله (وهو قول ابن عباس وجابر) اى ابن عبد الله (وانس رضى الله تعالى عنه) اى ابن مالك (وحذيفة) اى ابن اليمانى (وعمر رضى الله تعالى عنه) اى ابن الخطاب وكان حقه ان يقدم على ما سبق من الاصحاب (وابى هريرة ومالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنهما) مدنى سكن البصرة وروى عنه انس وغيره (وابى حبة) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة قيل بالنون وقيل بالتحتية (البدرى) قيل هو الانصارى وقيل هو غيره (وابن مسعود) رضى الله عنه وكان حقه ان يذكر بعد عمر لانه افضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة وبه تم ذكر الصحابة رضى الله تعالى عنهم (والضحاك) اى ابن مزاحم الهلالى البلخى المفسر تابعى جليل يروى عن ابى هريرة وانس وابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم وثقه احمد وابن معين وذكره الشيرازى فى فقهاء خراسان من اصحاب عطاء الخراسانى وغيره (وسعيد بن جبير) يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه وغيره قتل فى شعبان شهيدا اخرج له الائمة الستة (وقتادة) اى ابن دعامة (وابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر (وابن شهاب) اى الزهرى (وابن زيد) اى ابن اسلم وهو متكلم فيه (والحسن) اى البصرى (وابراهيم) اى النخعى (ومسروق) اى ابن الاجدع الهمدانى يروى عن ابى بكر ومعاذ رضى الله عنهما وكان اعلم بالفتيا من شريح اخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمى مسروقا وكانت عائشة تبنته

فسمى ابن عائشة وكنى بها روى عنه الشعبى والنخعى وغيرهما (ومجاهد) اى ابن جبير (وعكرمة) اى المفسر مولى ابن
عباس لكنه اباضى وسيأتى فى كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم
الله (وهو دليل قول عائشة) اى مذهبها المختار لها وهو لا ينافى ما سبق مما نسب اليها وحكى عنها وهذا الاستعمال
شائع فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول ابى حنيفة ومالك رحمهما الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا ابطل
اعتراض الدلجى على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها ما فقدت جسده المحتج به آنفا انه كان مناما
وقد سمعت ابطاله وتعجب من حكاية المصنف له فى المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثانى دليلا له فانه
سهو لا ريب من ذى فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ما قدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصرية
ومثل هذه المسألة الخلافية لا تتصور الا اذا كانت القضية فى اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبرى)
اى محمد بن جرير (وابن حنبل) اى الامام احمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) اى رتبة وكثرة (من المسلمين وهو
قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) اى من الجامعين بين الروايات
المختلفة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يروى يقظة فى المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والى السماء
بالروح) اى مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى
المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج ما بينه المصنف بقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب
فيه بعظيم القدرة) اى المؤثرة وفق الارادة حيث كان فى سيره ساعة طى مسافة كثيرة والتعجب من لوازم المعجزة وان
صدر من اعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) اى ووقع التمدح (بتشريف النبى محمد) صلى الله عليه وسلم (به)
اى بالاسراء نفسه (واظهار الكرامة له) اى ووقع اظهار الكرامة له صلى الله عليه وسلم (بالاسراء اليه) اى الى المسجد
الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) اى الذاهبون الى المذهب الثالث فى الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على
المسجد الاقصى لذكره) اى سبحانه فى كتابه (فيكون) اى ذكره فيه (ابلغ فى المدح) اى فى مقام مدحه من عدم ذكره
ولعل الحكمة فى ذلك ان يكون الايمان فى هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) اى
الثانية والثالثة فى انه صلى الله عليه وسلم (هل صلى بيت المقدس اولا) فقيل نعم (ففى حديث انس وغيره رضى الله عنهم
ما تقدم من صلاته فيه) اى بالانبياء وسبق انه صلى الله عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا منع من الجمع (وانكر ذلك) اى
كونه صلى الله عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليمانى وقال) اى حذيفة كما رواه احمد عنه (والله ما زالا) اى النبى
وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو بعيد جدا لما سبق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب
المسجد وصلاته فيه على ما هو اللائق بادب المسجد من التحية التى هى السنة فيه ثم من القواعد المقررة ان المثبت مقدم
على النافى ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضى رحمة الله تعالى عليه والحق من هذا) اى ما ذكر (والصحيح
ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بمنزلة والله تعالى اعلم (انه اسراء بالجسد والروح فى القصة كلها وعليه) اى وعلى هذا
(تدل الاية وصحيح الاخبار) اى بمجموعهما على جميعها غايته ان دلالة الاية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا او منافقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب
قوسين او ادنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا (والاعتبار) بالرفع معطوف على ما قبله على ما اقتصر عليه الحلبى
ولا يبعد ان يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعنى اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم معجزة
بدلالة الاية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لا فرق بينهما فى تعلق الارادة والقدرة
(ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول اى ولا يصرف عن ظاهر دلالة الاية والاخبار الواردة (والحقيقة) اى
ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المنضمة مع الارادة العرفية (الى التأويل) اى فيهما او فى احدهما (الا عند الاستحالة)
اى العقلية والشرعية (وليس فى الاسراء بجسده) اى الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) اى لا شرعا
ولا عقلا حتى يحتاج الى التأويل فى مآله بل يتعين ان يكون بكمال جماله ويقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح
عبده ولم يقل بعبده) اى لانه يجب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) اى ويدل على كونه يقظة
لا مناما قوله (ما زاغ البصر وما طغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وايضا لا يمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة
لحاله فلا يمدح عدم الطغيان من كماله ومعنى الاية ما مال بصره يمينا ولا شمالا فى مقام ادبه مع ربه وما جاوز ما امر به
(ولو كان) اى الاسراء (مناما لما كان فيه آية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (ولا معجزة) اى امر
خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) اى فى اخباره
(ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به) اى ولا وقعوا به فى الفتنة فى انباء اسرائه (اذ مثل هذا) اى الحال (من المنامات

لا ينكر) اى لا يعد من المحال لان احد الناس يرى فى نومه انه يسير فى الشرق مرة وفى الغرب اخرى وهو لم يتحول
عن مكانه ولم تتبدل حاله الاولى (بل لم يكن ذلك) اى الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد
(منهم الا وقد علموا ان خبره) اى عن اسرائه (انما كان عن جسمه) اى مع روحه (وحال يقظته) اى اخذا من خبره
منضما (الى ما ذكر) اى النبى عليه السلام وقال الحلبى انه بصيغة المجهول (فى الحديث) اى الحديث المشهور
فى الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) اى قبل اسرائه الى السماء (وفى رواية انس او فى السماء على
ما روى غيره) اى غير انس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لا يخفى وجه جمعهما (وذكر مجىء جبريل عليه السلام له)
عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية اى ومن ذكر مجىء جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) اى ومن
ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن
معك) اى بعد ما يقال من انت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) اى وامثال هذا من الدلالات فى الروايات
(ولقائه) اى ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) اى فى السماء باصنافها (وخبرهم معه) اى خبر الانبياء
معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) اى وتحيتهم له كما فى نسخة واصل الترحيب قول مرحبا (وشأنه)
اى وقصته (فى فرض الصلاة) اى خمسين اولا (ومراجعته) اى ومكالمته (مع موسى فى ذلك) اى فى تخفيفها
او مراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام فى ذلك (وفى بعض هذه الاخبار) اى ادلة صريحة
على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن انس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى
تفسير من بعض الرواة (فعرج بى الى السماء) اى فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما فتح علونا السماء
الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى
اسمع فيه صريف الاقلام) اى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فمر بموسى فلم يزل
بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (وانه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) اى جنة المأوى (ورأى
فيها ما ذكره) اى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قال الدلجى وظاهر هذا كله شاهد صدق بانه ما نزل عن البراق
وان انكره حذيفة انتهى ولا يخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح
فيها هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم) اى فى حال اليقظة (لا رؤيا منام) اى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج
الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) اى البصرى (فيه) اى فى حديث معراجه كما رواه
ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا انا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض
المصنفين على المهذب انه يقال ايضا بفتح الحاء كحجر الانسان فقيل كله من البيت وقيل ستة اذرع وقيل سبعة هذا
وقد سبق انه رأى بين النائم واليقظان ولا يبعد ان يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه
لا تنافى بين كونه نائما فى اول القضية ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا انا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل
فهمزنى) اى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم ار شيأ فعدت لمضجعى ذكر) اى الحسن او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه اربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها
وضم العين مع السكون اى امسك ما فوق مرفقى (فجرنى الى باب المسجد) قال الدلجى الله اعلم بصحة هذا
الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى ينبغى
ان يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة الرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم بعض اصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال
الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة واما الاخذ بالعضد فلا خفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية
العضدية واما قوله فجرنى فكناية عن كمال الجذبة الملكية المتسببة عن الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية
الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجبذنى وهو مقلوب جذبنى (فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ)
بكسر النون فهمز وهى بنت ابى طالب اخت على رضى الله تعالى عنهما اسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها على وابن عباس وعكرمة
وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبرانى وابن جرير عنها انها قالت (ما اسرى برسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان الحرم كله مسجد اى لاحاطته
بالمسجد والتباسه به فلا ينافى قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) اى بان خرج منه ودخل

الفجر فصلى فيه (ونام بيننا) اى فيما بيننا بان رجع ونام مع اهل بيت ام هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة العشاء الآخرة عندهم فى مكة فبيننا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجى بقوله شيأ اى نام شيأ من الليل او بعضا من النوم (فلما كان قبيل الفجر اهبنا) بتشديد الموحدة اى ايقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر هذا الحديث ان الاسرآء انما كان فى الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد للعبادة على انه لا يلزم من ايقاظه اهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان فى المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح رجع اليهم وايقظهم (فلما صلى الصبح) اى نفلا او كانت صلاتان فريضة قبل الاسرآء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض فى ليلة الاسرآء من جملة الخمس (وصلينا) اى معه او بدونه (قال يا ام هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة او معنى (كما رأيت بهذا الوادى) اى وادى مكة لاحاطة الجبال بها (ثم جئت بيت المقدس) اى ذهبت اليه (فصليت فيه) اى صلاة التهجد مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغدوة) اى صلاة الغدوة وهى الصبح (معكم الآن كما ترون) اى كما رأيتم فالعدول عن الماضى الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة اى وهذا الحديث برهان ظاهر (فى انه) اى الاسرآء (بجسمه) اى لا بروحه فقط ولا ينافى قولها وصلينا انها اسلمت عام الفتح وهو بعد الاسرآء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد اسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك واما قول الدلجى انه ليس من قولها بل ادرجه الراوى فى كلامها فمحتمل بعيد وتأويل غير سديد وكذا تأويل الشمنى ان معنى صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه فى الصلاة ثم هذا كله مبنى على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسرآء فى ليلة واحدة واما على انه من مكة وانه ليس مع الاسرآء فى ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تأويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج وهو على هذا القول كان فى رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسرآء كان فى ربيع الاول قبل الهجرة بسنة (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه من رواية شداد بن اوس عنه) اى كما رواه البيهقى وابن مردويه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة اسرى به طلبتك يا رسول الله البارحة فى مكانك) اى فى محلك المعتاد اول الليلة او آخرها (فلم اجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) اى بانه (حمله) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف الدلجى من غير نص على كسران حيث قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملنى اى على البراق (الى المسجد الاقصى) ثم هذا الحديث ايضا دليل ساطع على ان الاسرآء كان يقظة (وعن عمر رضى الله تعالى عنه) اى كما رواه ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة اسرى بى فى مقدم المسجد) اى المسجد الاقصى (ثم دخلت الصخرة) اى تحتها او مكانها (فاذا بملك) وفى نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر والرفع بناء على النسختين (معه آنية ثلاث) اى من اللبن والخمر والعسل (الحديث) اى كما سبق (وهذه التصريحات) اى فى الروايات الصحيحات (ظاهرة) فى ان القصة كانت يقظة (غير مستحيلة) اى شرعا وعقلا وثبت نقلا (فتحمل على ظاهرها) اى ولا يجوز العدول عنه (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين مرفوعا (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة المفعول مخففا ويجوز مشددا اى كشف وازيل (سقف بيتى) اضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه واليها اخرى من حيث انه كان ملكها (وانا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدرى) اى فعل بى ما يوجب شرح صدرى وتصحف على الدلجى بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله شقه (ثم غسله بماء زمزم) لانه افضل مياه العالم وقد ابعد الدلجى حيث علله بقوله لانه قد الفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) اى كما سبقت (ثم اخذ بيدى فعرج بى وعن انس رضى الله تعالى عنه اتيت) بصيغة المفعول اى اتانى آت وهو جبريل عليه السلام كما صرح به فى رواية (فانطلق) بصيغة المجهول اى فذهب (بى) وفى نسخة فانطلقوا بى (الى زمزم فشرح عن صدرى) الجار نائب الفاعل (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتنى) بضم تاء المتكلم (فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى) بفتح ميم وسكون سين اى عن علامات سيرى او مكانه (فسألتنى عن اشياء) اى من بيت المقدس وطريقه (لم اثبتها) من باب الافعال اى لم احفظها ولم اضبطها وعدم اثباته تلك الاشياء لكمال ثباته فى مقام الاسرآء باشتغاله بالملائكة والانبياء وعجائب ملكوت الارض والسماء وابعد من توهم ان قوله لم اثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما فان النائم اقل ضبطا من المستيقظ حيث لم يعرف انه لا فرق بين ضبطه مناما ويقظة اذ الانبياء لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحى واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى فليس شرطا فى حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات مما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات (فكربت كربا) بفتح فسكون اى غما يأخذ النفس والفعل مبنى للمجهول كقوله (ما كربت مثله قط فرفعه الله تعالى

لى انظر اليه) فما سألونى عن شئ الا انبأتهم (ونحوه عن جابر) اى روى عن جابر نحو ما روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مع اختلاف فى المبنى دون المعنى (وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسرآء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) اى بسرعة (وما تحولت عن جانبها) اى الى جانب آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسرآء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين او ادنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم اول ما رجع دخل على خديجة ثم ذهب الى ام هانئ فى بيتها

(فصل)

(فى ابطال حجج من قال انها نوم) ويروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة وانث ضميرانها مع انه راجع الى الاسرآء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام (احتجوا) بتشديد الجيم اى استدلوا (بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعنى والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة (قلنا قوله سبحان الذى اسرى بعبده يرده) اى يدفع الاحتجاج به (لانه لا يقال فى النوم اسرى) لان الاسرآء هو السير فى الليل وهو لا يكون حقيقة الا فى اليقظة واعتبار الحقيقة اولى من المجاز ما لم يصرف عنها صارف ثم الرؤيا ايضا فى النوم حقيقة وفى اليقظة مجاز لكن لنا اجوبة صارفة لها عن المعنى الحقيقى الى القصد المجازى كما بينه المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسرآء بشخص) اى بجسده (اذ ليس فى الحلم) بضمتين وتسكن اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة) اى امتحان وخبرة (ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون) اى حدوث شئ لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه اى من كونه (فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) اى فى اطراف مختلفة وجوانب متفرقة ونواحى متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) اى فى تفسيرها وفى المراد بمورد الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) وهى بتخفيف التحتية قبل هاء التأنيث مصغرا ذكره الشافعى واهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها وهى قرية صغيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من حدة فى طريق جدة وتسمى الآن تلك البئر ببئر شميس والاصح ان الشجرة التى وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهى كانت عند آخر الحل واول الحرم على ما قيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا قال الواقدى وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكى ومما يؤيد ان بعضها من الحرم ما روى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم والله تعالى اعلم وفى نسخة فى قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون فى ذلك العام (وما وقع) اى ونزلت فيما وقع (فى نفوس الناس) اى جماعة منهم (من ذلك) اى من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم من تحللهم فقيل انه لم يقل فى هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الآية مكية واجيب بانه رأها بمكة واخبر بها يومئذ (وقيل غير هذا) اى غير ما تقدم فقيل رأها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم ولقوله حين ورد ماء بدر كأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) اى المتقدم (مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله ايضا) اى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) اى كما فى حديث آخر (فلا حجة فيه) اى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه كان وهو نائم) اى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينا انا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى بعقبه فجلست الحديث (او اول حمله) اى ويحتمل ان اول اخذه (والاسرآء به وهو نائم) اى فى حال نومه لحديث وهو نائم بالمسجد الحرام ولا يلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) اى فى حديث ما لا صحيح ولا ضعيف (انه كان نائما فى القضية كلها) اى فى قضية الاسرآء جميعها من اولها الى آخرها (الا ما يدل عليه) اى فى الجملة قوله (ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام (فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى اصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لا يخفى بعده (واستيقظ) وفى نسخة صحيحة او استيقظ (من نوم آخر) اى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) اى على كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) اى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) اى ذهابا وايابا كما يشير اليه تنكير ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الرآء اى لاجل ما غشيه وعلا قلبه

وغطاه (من عجائب ماطالع من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك ظاهر العالم والملكوت باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة اى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى) اى من ملائكة السماء واصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه مما يملأ العيون كثرة وعزة واراد بالملأ الاعلى الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلو مكانهم اى لعلو منزلتهم وشأنهم عند ربهم (ومارأى من آيات ربه الكبرى) اى وما حصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلا ظهور الكثرة والاستغراق فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) اى لم يتنبه (و يرجع) اى ولم يعد من مشاهدة التجليات الالهية (الى حال البشرية) اى من اقتضاء صفات العنصرية (الا وهو بالمسجد الحرام) هذا وقول الدلجى خامر اى ستر ليس فى محله وماذكرفيه من الشاهد ايضا غير ملائم وهو قوله كتب ابو الدرداء الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا اخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على ارفه خمر الارض يقع اى على اخصب ساتر فيها اراد ان وطنه ارفه له وارفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) اى فى الجمع بين الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الظاهر) اى المفاد منه بطرفى حديث انس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وانا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت وانا فى المسجد الحرام (ولكنه اسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) اى ولو فى المنام (تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم) اى كما ثبت فى الحديث واهل الحكمة فى حمل جسده مع ان العمل حينئذ كله لروحه ان يشاهد الملائكة ذاته و يفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال بعض اصحاب الاشارات) وفى نسخة اهل الاشارات (الى نحو من هذا) اى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب لشهود ملكوت الرب (قال) اى بعض اصحاب الاشارات (تغميض عينيه) اى سدهما نوما اوقصدا (لئلا يشغله) بفتح اوله وثالثه وجوز ضم اوله وكسر ثالثه (شىء من المحسوسات عن الله عز وجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية وزال عنه مرتبة التفرقة لا يحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه ايضا ان المقام مقام مشاهدة عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) اى تغميض العين (ان يكون فى وقت صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء (ولعله كان له فى هذا الاسراء حالات) اى مراتب ومقامات فكان فى اوله نائما ووقت صلاته بهم قائما وفى شهود الآيات مطالعا وفى حال التجلى مستغرقا وفى حال الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكروشكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) اى شاهد بانه كان يقظة ويأول ما يكون فيه مخالفة (وهو ان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجى هنا زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (و يقويه) اى و يؤيد التعبير بالنوم عن الاضطجاع (قوله) اى فى الحديث (فى رواية عبد بن) بالوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير واسمه عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ روى عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدى وغيره قال احمد ثبت عند كل المشايخ اخرج له اصحاب الكتب الستة (بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسى الجهنى ابو خالد البصرى الحافظ المسند و يقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد بن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخارى ومسلم وابو داود والبغوى وابو يعلى قال ابن عدى لا اعرف له حديثا منكرا قال الحلبى وفى نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) اى عن همام (بينا انا نائم فى الحطيم) قال الدلجى اى بين الركن والباب وفيه ان هذا حد الملتزم نعم قد يطلق و يراد به ما بين الركن الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال فى الحجر مضطجع) وسمى حطيما لما حطم من جداره فلم يسو ببناء البيت على ماذكره البغوى وسمى حجرا لانه حجر عن البيت اى من ادخاله فيه فؤداهما واحد وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم ما بين المقام الى الباب وعن ابن جريج ما بين الركن والمقام والله اعلم بالمرام (وقوله) اى وكذا يقويه قوله (فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) اى النبى عليه السلام (سمى هيئته) اى الاضطجاع (بالنوم لما كانت) اى تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده به اذ قد ينام وهو قاعد او مستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) اى من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب) اى قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات او بدل منها اى التى وقعت (فى هذا الحديث) اى من احاديث الاسراء (انما هى من رواية شريك) وهو ابن عبد الله بن ابى نمر (عن انس رضى الله تعالى عنه فهى) اى

فهذه الزيادات المذكورة (منكرة) بفتح الكاف (من روايته) اى شاذة مخالفة لروايات سائر الثقات (اذ شق البطن فى الاحاديث الصحيحة انما كان فى صغره عليه الصلاة والسلام) اى مرة عند مرضعته (وقبل النبوة) تأكيد لما قبله فان اول بعثة النبوة كان بعد اربعين سنة ثم ثبت شق صدره ايضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ ولا يبعد ان يشق صدره عند الاسراء ايضا كما صرح به السهيلى ان الشق وقع مرتين مرة فى صغره ومرة فى كبره عند رقيه الى العالم العلوى وكان الاول لازالة حظ الشيطان والآخر لملء الحكمة والايمان لكن شريك منفرد بذلك فى هذا الحديث وان وافقه السهيلى فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسى والحارث فى مسنديهما من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة اخرى عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحى فى غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا وروى الشق وهو ابن عشر او نحوها فى قصة له مع عبد المطلب اخرجه ابو نعيم فى الدلائل قال العسقلانى وروى مرة خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن آمنة قلت واذا ضم الى ذلك قصة شق الصدر فى المنام فتكون سادسة (ولانه) اى شريكا (قال فى الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث) و يروى البعث (فهذا) اى ماذكر كله (يوهن) من الايهان او التوهين اى يضعف (ما وقع فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى من طريق شريك لكن قال العسقلانى فى باب المعراج من كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة فى اكرامه ليبلغ ما اوحى اليه بقلب قوى فى اكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة و يحتمل ان تكون الحكمة فى هذا الغسل المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما فى شرعه انتهى وقال ايضا فى كتاب التوحيد قد تقدم الرد على من انكر شق الصدر عند الاسراء و بينت انه ثبت فى غير رواية شريك فى الصحيحين من حديث ابى ذر وان شق الصدر ايضا وقع عند البعثة كما اخرجه ابو داود والطيالسى فى مسنده وابو نعيم والبيهقى فى دلائل النبوة انتهى وقال العراقى قد انكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعى انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك فى الصحيحين وقال القرطبى لا يلتفت لانكاره لانه رواية ثقات مشاهير هذا ووقع شق الصدر الكريم ايضا فى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهى عند عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ذكره العسقلانى وقال صاحب الآيات البينات فى حديث شق الصدر وهو ابن عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء فى المختارة وصححوه (مع ان انسا قد بين من غير طريق) اى من طرق كثيرة (انه) اى انسا (انما رواه) اى الحديث (عن غيره) كمالك بن صعصعة وابى ذر مرفوعا (وانه لم يسمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من غير واسطة (فقال) اى انس (مرة) اى فى رواياته (عن مالك بن صعصعة) وهذا لا يضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفى كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) اى من الراوى عن انس (وقال مرة كان ابو ذر يحدث) ولا منع من الجمع بان انسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة اضاف الى واحد واخرى الى آخر فتدبر ثم رأيت الحلبى ذكر انه قال الحاكم فى الاكليل حديث المعراج صح سنده بلا خلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على انس رضى الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بعضه من ابى ذر و بعضه عن مالك يعنى ابن صعصعة قال و بعضه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (واما قول عائشة) اى كما رواه ابن اسحق وابن جرير (ما فقد جسده) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى وهو رواية ما فقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) اى حين اذ وقع الاسراء (زوجه) بالاضافة وفى نسخة زوجة اى له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فى سن من يضبط) بضم الموحدة وكسرها اى بل ولا كانت حينئذ فى سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال اى تلك الساعة (على الخلاف فى الاسراء) اى بناء على الاختلاف الواقع للعلماء فى زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان فى اول الاسلام على قول الزهرى ومن وافقه بعد المبعث) و يروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله النووى فيما عنه من انه بعده بخمسة اعوام (وكانت عائشة فى الهجرة) اى زمنها (بنت نحو ثمانية اعوام) فكان الاسراء على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة اعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما (وقد قيل كان الاسراء لخمس) اى من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) اى الاظهر (انه لخمس) اى قبل الهجرة وهو مخالف

لما حكاه النووى عنه ثم اختلف فى الشهر الذى اسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل ربيع الاول وجزم به النووى فى الفتاوى وقيل فى ربيع الآخر وبه جزم ايضا فى شرح مسلم تبعا للقاضى المصنف وقيل فى رجب وجزم به النووى ايضا فى الروضة وقال الواقدى فى رمضان وقال الماوردى فى شوال والله تعالى اعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة استة عشر شهرا على مانقله النووى عن الحربى قال السبكى الاجماع على انه كان بمكة والذى نختاره ماقاله شيخنا ابو محمد الدمياطى انه قبل الهجرة بسنة وهو فى ربيع الاول قال ولا احتفال بما تضمنته التذكرة الحمدونية انه فى رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة (والحجة لذلك) اى لابطال كونه منا ماذكره الدلجى والاظهر ان يكون مراده لما ذكره من الادلة والاقوال المختلفة فى تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول ليست من غرضنا) فضربنا صفحا عن اطالتها (لانها لا يقع احد فى حد ملاتها) (فاذا لم تشاهد ذلك عائشة) اى سواء ولدت قبله او بعده (دل على انها حدثت بذلك عن غيرها) اى بناء المتكلم حكاية لقول من اخبرها باقيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه تمرتان دعنى من تمرتان قال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس اى سمعت هذا القول فكانها قالت سمعت من فلان او فلانة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) اى لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته وغيرها يقول بخلافه مما وقع نصا فى حديث ام هانئ وغيره) اى وفى غير حديث ام هانئ كحديث ابى ذر ومالك بن صعصعة (وايضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) اى ما فقدت جسده (بالثابت) اى عند ائمة الحديث لقادح فى سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الاخر) بضم ففتح جمع آخر اى الواردة فى الاسراء (اثبت) اى اكثر ثبوتا واصح رواية من حديثها (لسنا) وفى نسخة صحيحة ولسنا (نعنى) اى لا نريد بقولنا والاحاديث الاخر اثبت (حديث ام هانئ) اى ما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما ذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول اى ولا نعنى حديث عمر الذى ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما فى الصحيح (وايضا فقد روى فى حديث عائشة ما فقدت) اى جسده (ولم يدخل بها الا بالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث ما فقدت عنها اذ الاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) اى وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) اى بالوجهين اى يضعف حديث ما فقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسر الهاء مشددة وبالواو ضمير الجماعة ذكره الحجازى وفيه نظر (بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها اى ان اسراءه كان (بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه) اى ليلة الاسراء (رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره) اى لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب) اى لا للبصر (وهذا) اى الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالرفع عطف على رؤيا وقرأ بعد الدلجى فى قوله ووحى بالجر عطف على نوم اى ورؤيا وحى فيه (لامشاهدة عين وحس) اى لا على انه مشاهدة عين وحس بصرى فهو عطف تفسيرى وقال الانطاكى مشاهدة نصب اى لا رؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف واعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لا يخفى (قلنا) اى فى الجواب عنه (يقابله) اى يعارضه (قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى) اى ما مال عما رآه وما تجاوزه (فقد اضاف الامر) فى الرؤية (الى البصر وقد قال اهل التفسير فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اى لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفى نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) اى غير حقيقة ما رأه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قراءة التشديد (وقيل ما انكر قلبه ما رأت عينه) اى فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الفؤاد والله تعالى اعلم بالمراد وحاصله وما قبله انه لم يقل قلبه لما رأى لم اعرفك ولو قال لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره اذ الامور القدسية يدركها القلب اولا ثم يوردها على البصر ثانيا بدليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى كذا قرره الدلجى ولا يخلو عن خلجان فى القلب لعله يظهر بعد ذلك بتوفيق الرب تعالى

(فصل)

(واما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) اى عظم شانه (وعز) اى وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) اى فى رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرته عائشة رضى الله عنها) اى كونها ووقوعها او قول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفى اصل الدلجى فانكرتها عائشة اى الرؤية المذكورة (حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) ى للحديث (بقراءتى عليه قال حدثنى ابى) اى عبد الملك ووهم الحلبى فى قوله ابوه هو القاضى سراج وكانه وقع فى اصله ابو الحسين ابن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وابو عبد الله ابن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) اى كلاهما

(ثنا

(ثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا فى اكماله وابو محمد ابن عبد الله بن محمد بن مغيث اندلسى يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بنى امية كتابا وابنه يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ابو الوليد قاضى الجماعة بقرطبة سمع ابا بكر محمد بن معاوية القرشى المعروف بابن الاحمر والعباس بن عمرو الصقلى وروى عنه ابو عمر ابن عبد البر النمرى وابو محمد ابن حزم قاله الحميدى (ثنا ابو الفضل الصقلى) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبى وغيره وضبط فى بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازى وزاد تشديد اللام وقال التلمسانى بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده) اى قاسم وثابت (قالا) اى كلاهما (ثنا عبد الله بن على ثنا محمود بن آدم) هو مروزى يروى عن ابن عيينة وابى بكر ابن عياش وجماعة وعنه البخارى وابو بكر ابن ابى داود وطائفة توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن ابى خالد) هو اسماعيل ابن سعيد البجلى الكوفى عن ابن ابى اوفى وابى جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعى ثقة احد الاعلام اخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لا ما وقع فى بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمنى وزاد الحلبى فانه ليس له شئ من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شرحبيل ابو عمرو الشعبى الهمدانى قاضى الكوفة احد الاعلام ولد فى خلافة عمر وروايته عن على فى البخارى وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال ادركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوادا فى بياض ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة ثلاث ومائة اخرج له الائمة الستة وقال الدلجى قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا لانكارها ذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف فى نسبته وقد يضرب به المثل فى الحفظ فيقال احفظ من الشعبى وقال الزهرى العلماء اربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبى بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول ما رأيت افقه من الشعبى فى زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة يا ام المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعنى ليلة الاسراء فى حال اليقظة (فقالت لقد قف شعرى) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهى الرعدة اى اقشعر وقام شعر جسدى من الفزع (مما قلت) اى طالبا منى تصديقى بثبوت رؤيته لربه اولا ثبوتها او لكونى سمعت ما لا ينبغى ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضى المصنف وعند العرفى بحذفها وكلاهما صحيح والمعنى من اعلمك او روى واخبر (بهن فقد كذب) وفى نسخة كذب اى افترى فرية بلا مرية فبين وبيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) اى للاستشهاد على دعوى المراد (لا تدركه الابصار الآية) اى وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير واجيب بان الآية دالة على انه لا تحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبرياء جلاله لحديث مسلم نور انى اراه اى حجابه نوره فكيف اراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور واما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفى الآية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفى رؤيته بدونها بالاستحالة (وذكر) مسروق (الحديث) اى الخ قال التلمسانى الاولى هذه والثانية قولها رضى الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحى ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون فى غد فقد اعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكى ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالى فى الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووى صحح الرؤية فى الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبى هذا الحديث الذى ساقه القاضى هنا هو فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وهو فى البخارى فى التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذى ساقه القاضى فهو بدل ولو رواه القاضى من طريق البخارى كان يقع له اعلى من هذا وسبب عدول القاضى عن اخراج هذا الحديث من احد هذه الكتب مع انه بين القاضى وبين شيخ الشيخ البخارى وكيع سبعة وهذا الذى ساقه بينه وبين وكيع ثمانية فالذى فى الصحيح اعلى ليتنوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى اعلم بالنيات (وقال جماعة) اى من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة وهو المشهور) اى كما رواه الشيخان (عن ابن مسعود) اى انه رأى جبريل (ومثله) اى فى كونه مشهورا ما رواه البخارى (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) اى عن ابى هريرة اذ قد روى عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وابى ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوزان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من قول ابى هريرة انه رآه بعينه

وان يكون ما انكرته عائشة اى بانكار ما انكرته وفاقا لها ولذا اكده بالجملة الثانية دفعا للتوهم كون انكارهم انكارا لانكارها كذا حققه الدلجى ونقل الحلبى انه حكى ابو عبد الله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمى الحافظ لما ذكر مسئلة الرؤية ما لفظه وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه رآه بعينه) وبه قال انس وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) اى عن ابن عباس (بقلبه) اى انه رآه بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن ابى رباح بفتح الراء وبالموحدة ابو محمد المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وخلق وعنه ابو حنيفة والليث والاوزاعى وابن جريج وامم اخرج له الائمة الستة وقد اخرج هذا الحديث مسلم عن عطاء عن ابن عباس فى صحيحه فى باب الايمان عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن حفص بن غياث عن عبد الملك ابن ابى سليمان عن عطاء عنه به (وعن ابى العالية عنه) اى عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وابو العالية هذا هو رفيع ابن مهران الرياحى بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية اخرجها مسلم فى الايمان (وذكر ابن اسحق) اى محمد ابن اسحق بن يسار الامام فى المغازى عن عبد الله ابن ابى سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه) اى بعين بصره اذ لا خلاف فى رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس فى مسئلة الرؤية (والاشهر عنه) اى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينيه روى ذلك) اى القول الاشهر (عنه من طرق) اى باسانيد متعددة اقتضت الشهرة (وقال) اى فى بعض طرقه وهو ما رواه الحاكم والنسائى والطبرانى ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه رأى ربه بعينيه (ان الله اختص موسى بالكلام) اى من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع ايضا له الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) اى البصرية هذا ولا منافاة بين قول ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى اى ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه (وحجته) اى دليل ابن عباس اى على انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى) اى بعينه اذ لا يقال ما كذب الفؤاد ما رأى بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف ما رأى ببصره وهى مشاهدته ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه او ببصره بجعل فؤاده فيه لان مذهب اهل السنة ان الرؤية بالارائة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووى عند اكثر العلماء انه رآه بعينى رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا شك فيه وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لا تدركه الابصار قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لا تحاط ولا يلزم من نفيها انتفى الرؤية بدونها او بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لا تلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجى فيما نقله عن النووى وفيه انه لا يعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل باية من الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (افتمارونه على ما يرى) اى افتشكون او افتجادلونه بالاستفهام الانكارى وانما وقع الجدل والشك فى رؤية البصر اذ لا يشك احد فى رؤية البصيرة ولعل الاستدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والا فالظاهر ان الشك انما وقع من الكفار فى نفس الاسراء وما رأى فى عالم السماء (ولقد رآه نزلة اخرى) وهى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة عرجات لحط عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة ذكره الدلجى وفى الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لا سيما اضعف الاحتمال اضعف الاستدلال (قال الماوردى) سبق ذكره (قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين) اى حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) اى مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور وفيه ان قائل هذا مجهول فالاستدلال به غير معقول (وحكى ابو الفتح الرازى) الله اعلم به كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى هو سليمان بن ايوب مات غريقا سنة سبع واربعين واربعمائة (وابو الليث السمرقندى) تقدم ذكره (الحكاية) اى التى ذكرها الماوردى (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من اهل الكتاب والتواريخ فلا يكون قوله حجة فى هذه المسئلة (وروى عبد الله بن الحارث) هو زوج اخت محمد بن سيرين روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره الشمنى تبعا للحلبى وفى كون هذا الحديث مرسلا نظر ظاهر فى المنقول ولا يخفى على من له المام بعلم الاصول وقال الانطاكى هو ابو الوليد عبد الله بن حارث البصرى

روى عن عائشة وابى هريرة وزيد بن ارقم وابن عباس وابن عمرو وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم الاحول وخالد الحذاء وجماعة ونقه ابو زرعة والنسائى واخرج له الائمة الستة (قال) اى عبد الله بن الحارث (اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال) اى كعب او ابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) اى وبعينه ايضا قاله الدلجى اقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره كان لتعظيم الامر وتفخيم القدر واما ما قاله ابو الفتح اليعمرى فى سيرته فى الاسراء ما لفظه وروينا من طريق الترمذى حدثنا ابن ابى عمر ثنا سفين عن مجالد عن الشعبى قال لقى ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبى لم اره هذا الحديث فى اطراف المزى فان كان فى الجامع فلعله سقط من نسختى وان كان من طريقه فى غير الجامع فلم اقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن ابى ذر فى تفسير الاية) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى (قال رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين واغرب الدلجى هنا حيث قال اى بقلبه بشهادة اول الاية وهو مناقض لما سبق عنه من تقرير الرواية بالبصر فتدبر (وحكى السمرقندى) اى كرواية ابن ابى حاتم (عن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (وربيع بن انس) هو ايضا تابعى مشهور (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم اره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات والنفى ولا يضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لا سيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا واما قول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها اهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية فخاء معجمة مخففة فالف فميم مكسورة فراء لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل يقال له صحبة والاصح انه تابعى روى عن جماعة من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن ابى سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك ابن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمالان ان كان فى الاسراء لكن قال المزى حديث مالك بن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) اى جملة من الكلام وقال الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة اى كلمة عظيمة (فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل فلا بد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه احمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة الغدوة ثم اقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا انا بربى فى احسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم او من ربه ولا اشكال فيه كما قال البيضاوى اذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى وفى رواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت انت اعلم اى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت برد انامله بين ثديى فعلمت ما فى السماء والارض وفى الرواية الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت ما فى السماء والارض ثم تلا هذه الاية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه على المكاره وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسألك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا اردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى واعلم ان من العلماء من امتنع عن الكلام فى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى احسن صورة منهم احمد بن حنبل روى انه هجر ابا ثور فى تأويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله فى احسن صورة يحتمل ان يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى احسن صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على ويحتمل ان يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته تعالى ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ

وعلى معنى صفته يقال صورة هـذا الامر كذا وكذا اى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول المراد انه
اتاه فى احسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاولهم فى فضل تلك الاعمال واى بفتح الهمزة بمعنى يا وقوله مرتين
متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ اى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية
عن تخصيصه تعالى اياه بمزيد الفضل وايصال الفيض اليه والا فلا كف ولا وضع حقيقة كما ان من عادة الملوك
اذا اراد احدهم ان يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته ان يضع يده على ظهره ويلقى ساعده
على عنقه تلطفا به وتعظيما لشأنه والبرد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف واراد بقوله بين ثديى قلبه وهو كناية
عن وصول ذلك الفيض الى قلبه انتهى وهـذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى اليقظة والله اعلم (وحكى عبد
الرزاق) وهو ابن همام بن رافع الحافظ الكبير الصغانى احـد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله
ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غير واحد واخرج له
الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فيه بل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال
سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ما انشرح صدرى قط ان افضل عليا على ابى بكر وعمر رضى الله تعالى
عنهم (ان الحسن) اى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) اى نقل مثله (ابو عمر
الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ ابو عمر بضم العين
روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القراآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى
فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى
لا اعرفه (هـذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى
محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى
ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى بن
الحسين دولته تسعة اشهر وايام وتملك ابنه عبد الملك بعده اخرج لمروان الستة غير مسلم الا ان البخارى روى حديث
الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة (وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس
بعينه رآه رآه) اى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس احمد) اى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا تفسير
من المصنف او غيره قال بعض الحنابلة من العلماء كلاما معناه ان احمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى
الحديث الذى فيه رأيت ربى فى احسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال ابو عمر) الظاهر انه اراد به
ابن عبد البر فانه الفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبى ومن تبعه حيث قال الظاهر انه ابو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى
(قال احمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح اى خاف احمد وتأخر (عن القول برؤيته
بالابصار) اى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لا اقول) اى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه
وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تاويل الاية) اى آية ما كذب الفؤاد ما رأى او قوله تعالى ولقد رآه نزلة
اخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس
وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل) هو الامام الحافظ الثبت
محدث العراق روى عن ابيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن ابيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه
ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) اى اجابة
لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى وما بينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب للمحبوب والثانى مريد
وطالب للمرغوب (وقال ابو الحسن على بن اسماعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال
رحمه الله لانه ليس من الصحابة (وجماعة من اصحابه انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره
وعينى رأسه) قال الحلبى هـذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسماعيل ابن ابى بشر ابن سالم بن عبد الله بن
موسى بن بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى عبد الله بن قيس ابو الحسن الاشعرى كان اولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها
فى نومه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتكلم فى علم الكلام الا ان يجب عليه قياما فى الحق وكان حبرا عظيما
لا يناضل ولا يبارى قال القاضى ابو بكر الباقلانى افضل احوالى ان افهم كلام ابى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين
ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ ابو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ
ابى اسحق المروزى وقال التلمسانى وابو الحسن هـذا مالكى المذهب (وقال) اى الاشعرى (كل آية) اى معجزة
(اوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد اوتى مثلها) اى حقيقة ونظيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

وخص

وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) اى بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العليا فى ليلة الاسراء (ووقف)
اى توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس او شيخ على غير قياس (فى هـذا) اى فى ذلك كما فى نسخة (وقال
ليس عليه دليل واضح) اى على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز ان يكون) اى وجائز ان لا يكون وهـذا يحتمل ان يكون
من كلام القاضى وان يكون من كلام الاشعرى (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (والحق الذى
لا امتراء) افتعال من المرية اى لا شك (فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها) اى شئ
من توهم واحتمال يحكم باستحالتها لجزمه بجوازها ووقوعها فيها (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها)
اى حيث قال رب ارنى انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يجوز ان يرى فيها فسألها (ومحال) بضم الميم اى ومن المحال
(ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل) اى غير مستحيل كما فى نسخة
لاستحالة سؤال الانبياء ما يكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته) اى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة
(من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام اى اطلعه اياه (فقال له الله تعالى) اى لموسى اى غير
ناف للجواز (لن ترانى) اى دون لن ارى المؤذن بنفيه اى المشعر بنفى جوازه بل فيه ما يدل على نفى وقوعه فقط حيث
قال لن ترانى (اى لن تطيق) اى تحمل تجلياتى (ولن تحتمل رؤيتى) اى فى الدنيا لانها دار الفناء واللقاء انما يكون
فى دار البقاء وحال الاسراء يعد من امر الآخرة بدليل الكشوفات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق
العادة فى قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الحالة (ثم ضرب) اى بين (له مثالا) وفى نسخة مثلا
(مما هو اقوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية اى من تركيب بناء جسده واعضاء جسمه (واثبت)
تفسير لاقوى (وهو الجبل) اى بحسب الهيكل الصورى حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
ترانى (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) اى يقتضى ردها او يروى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة)
اى دليل جواز وقوعها فى الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل فى مكانه بعد تجلى رؤيته والتعليق
بالممكن يفيد الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير اصلا (وليس
فى الشرع) اى فى الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) اى استحالة جوازها (ولا امتناعها) اى ولا دليل على
امتناع وجودها (اذ كل موجود) اى لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية
(فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعرى (ولا حجة لمن استدل على منعها) اى امتناع جوازها (بقوله تعالى
لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات فى الآية) اى ومع الاحتمال لا يصح ان يكون حجة اذ قد قيل المراد
بالادراك الاحاطة ولا يلزم منه نفى مطلق الرؤية وقيل ليس عاما فى الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة
ولا فى الاشخاص اذ هو فى قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون
وقد اغرب عز الدين بن عبد السلام فى قوله لا تراه الملائكة (واذ ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله
كل موجود ولا يخفى بعده اى ولانه (لا يقتضى قول من قال فى الدنيا) اى بمنعها فى الدنيا (الاستحالة) اى
للرؤية لانه ليس نصا فى المنع بل اخذ بتأويل واحتمال لا يقتضى الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) اى آية
لا تدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) اذ مفهوم نفى الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل)
اى فى تأويل الآية (لا تدركه ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل
لا تدركه الابصار لا تحيط به) اى كما مر ارا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) اى فى التأويل (لا تدركه الابصار)
اى انفسها (وانما يدركه المبصرون) اى بسببها او بقوة الهيبة فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى
فمن ابصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لا للبصر نفسه (وكل هـذه التأويلات
لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) اى بل تقتضى جوازها (وكذلك لا حجة لهم) اى على منعها (بقوله لن ترانى
الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه) اى للتأويل الذى قدمناه وهو قوله اى لن تطيق مما يؤذن بجوازها كسؤال
موسى اياها (ولانها) اى آية لن ترانى (ليست على العموم) وفى نسخة من العموم اى فى نفيها لجميع افراد الانسان
فى جميع الازمان لجواز ان يراه غير موسى مما يخلق الله فيه استعداد الها فى ابانها كليلة الاسراء فان لن لنفى المستقبل
فقط ولا تفيد توكيد النفى فى الاستقبال ولا تأبيده على ما عليه اهل السنة خلافا للزمخشرى واهل الاعتزال حيث
يدعون انها تفيد التوكيد او التأبيد وورد بقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا وبقوله فلن اكلم اليوم انسيا اذ يلزم تكرار الابد
وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن ترانى فى الدنيا انما هو تأويل) اى مما لا يقتضى استحالة ولا منعا
فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء مما لا يعد من احوال الدنيا بل

انماهى من مقامات العقبى اوحالة اخرى كالبرزخ (وايضا ليس) وفى نسخة فليس (فيه) اى فى قوله تعالى ان ترانى (نص الامتناع) اى من الرؤية مطلقا (وانما جاءت) اى آية لن ترانى مفصحة بامتناعها (فى حق موسى) اى خصوصا ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التاويلات) بحذف احدى التائين اى تردد وتتابع وتزاحم ويؤيده انه فى نسخة تتطرق ويقويه قوله (وتتسلط الاحتمالات) عطف تفسير (فليس للقطع) اى لقطع المنع (اليه) اى الى امتناع الرؤية (سبيل) اى طريق ودليل (وقوله تبت اليك) اى مأول بقولهم (اى من سؤالى) اى من الاقدام على دعائى (مالم تقدر لى) روى بضم التاء وفتحها وفتح القاف فلا يلائم الامع ضم التاء وتشديد الدال فيكون المعنى مالم تقدره لى فى الازل وكتبته على فى سابق علمك واما مكونها فمعناه مالم تجعله فى قدرتى ووسعى كذا ذكر التلمسانى (وقال ابو بكر الهذلى) بضم هاء وفتح ذال معجمة (فى قوله ان ترانى اى ليس لبشران يطيق ان ينظر الى فى الدنيا) اى والامرآء ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) اى الشان (من نظر الى) اى فى الدنيا (مات) اى فى الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل قال المزى ويؤيده مافى مسلم من حديث الدجال فاعلموا انه اعور وان الله سبحانه وتعالى ليس باعور وان احدامنكم لن يرى ربه حتى يموت (وقد رأيت لبعض السلف والمتاخرين مامعناه ان رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة) اى لامن حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها كامر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب اهل الدنيا) اى بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف الواو اى حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح الغين المعجمة والرآء وبالضاد المعجمة اى هدفا فالانسان غرض والافات سهام وفى نسخة صحيحة وكونها معرضة بتشديد الرآء المفتوحة اى هدفا (للافات) من نوآئب مقلقة ونواكب للاكباد مغلقة تقتضى نقصانها (والفناء) اى عما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية) اى فى الدنيا (فاذا كان) اى الشان (فى الآخرة وركبوا تركيبا آخر) اى اقوى وابقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم وتخفيف قاف منونا جمع قوة اى اعطوا حواس وفى نسخة قوة (ثابتة) من الثبوت وفى نسخة نامية بالنون والياء (باقية) اى تامة وافية (واتم) بصيغة الفاعل او المفعول اى اكمل (الله انوار ابصارهم) اى الظاهرة (وقلوبهم) اى وبصائرهم الباطنة (قووا بها) بفتح قاف وضم واو واصله قويوا فأعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط اى صاروا ذوى قوة فى الآخرة (على الرؤية) وهذا امر ظاهر وقول باهر ولا غبار عليه ولا شقاق لديه اذ لا مرية ان الله تعالى يخلقهم فى العقبى على خلق اكمل منهم فى الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه فى الاكل والشرب والجماع وغير ذلك فلا ينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى الشرع اثبات الرؤية للعامة فى الدنيا واثبتها الخاصة فى العقبى فلابد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لا ينافى استوآء القدرة الكاملة فى حالتى الراهنة والمستقبلة الشاملة فاندفع قول الدلجى وهذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم فى الآخرة قادر على خلقه لهم فى الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة بشئ (وقد رأيت نحو هذا) اى مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن انس) وهو امام المذهب (رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول اى ما يرى الله سبحانه وتعالى (فى الدنيا لانه) اى الله تعالى (باق ولا يرى الباقى بالفانى) اى بالحس الفانى او بالمكان الفانى (فاذا كان) اى امر الرؤية (فى الآخرة ورزقوا ابصارا باقية) اى وبصائر قوية (رؤى الباقى بالباقى) وضبط الانطاكى رئى بكسر الرآء وسكون الياء ثم بهمزة على بناء المجهول (وهذا) اى الذى قاله مالك وما سبق هنالك (كلام حسن مليح) اى ومرام مستحسن صريح ولا عبرة بمنع الدلجى هذه العلة (وليس هو) اى امتناعه وفى نسخة صحيحة وليس فيه اى فى امتناعه فى الدنيا (دليل على الاستحالة) اى على كونه محالا فى العقبى او مطلقا اوفى ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) اى قدرة العبد وضعف بنيته وفناء حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) اى على ماشاء من مراده (واقدره) وفى اصل الدلجى قدره بتشديد الدال اى وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فوحدة بعدها الف ممدودة جمع عبء بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء اى تحمل اثقالها تحت تجلى جمالها وجلالها (لم تمتنع) اى الرؤية (فى حقه) اى فى اى وقت كان وفى اى شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى اوحى الى ايوب عليه السلام انك لتنظر الى غدا فقال يارب أبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين يقال لهما اعينا البقاء فتنظر الى البقاء بالبقاء وحكى انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم فى صورته فقال له يابنى ما تنكر من هذا فقال ان الله تعالى اعظم من ان يرى فى هذه الصفة فقال يا احمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن تتغير عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل اتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ماذكر فى قوة بصر موسى ومحمد

عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بالذال المعجمة اى مضيه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بصيغة المجهول اى اعطياها (لادراك ماادركاه ورؤية مارأياه) اى فى الجملة اذ رؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلى الرب على الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى اعلم) اى بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضى ابو بكر) يعنى الباقلانى لان القاضى ابابكر بن العربى معاصر للمصنف اذ مولده سنة ثمان وستين واربعمائة ومماته سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين واربعمائة ومماته سنة اربع واربعين وخمسمائة ذكره الشمنى ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (فى اثناء اجوبته عن الايتين) اى الدالتين على نفى الرؤية وهما لا تدركه الابصار ولن ترانى (مامعناه) اى الذى مؤداه لا لفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله تعالى) اى بواسطة تجلى ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الرآء (صعقا) بفتح فكسر وروى بفتحتين اى سقط مغشيا عليه والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد فى النظر السديد (وان الجبل رأى ربه فصار دكا) اى مدكوكا مدقوقا (بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) اى فى الجبل كما نقله الماتريدى عن الاشعرى وقال الامام الرازى فى المعلم خلق الله تعالى فى الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) اى القاضى ابو بكر (ذلك) اى رؤيتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) اى وبقى على حاله وشأنه عند تجلى ربه (فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) اى بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له) اى ظهورا تاما بلا كيف (حتى رآه) اى بناء (على هذا القول) اى الذى عزاه للقاضى ابى بكر (وقال جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر فى حكمة الواسطة فى الرؤية (شغله) اى الله سبحانه وتعالى اى موسى (بالجبل حتى تجلى) الاظهر حين تجلى (ولولا ذلك) اى الشغل بالجبل (لمات) اى موسى (صعقا بلا افاقة) اى بعده مطلقا قال المصنف (وقوله هذا) اى قول جعفر (يدل على ان موسى رآه) اى رؤية بواسطة من ورآء حجاب فلا ينافى قوله تعالى لن ترانى بلا واسطة وهذا جمع سديد وقد ابعد الدلجى بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) اى حيث قال (فى الجبل) اى فى حقه (انه رآه) اى رأى تجلى ربه بادراك وعلم خلقه فى خلقته فاندك اذ الدك بمجرد التجلى بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدى عن الاشعرى ان معنى التجلى ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما على اثباتها كذا ذكره الدلجى (وبرؤية الجبل له) اى لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) اى الله سبحانه وتعالى (اذ جعله) اى جعل الله تعالى ما ذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) اى للرؤية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا لما بعده والاولى ماقدمناه مع ان المصدر يؤنث ويذكر فتدبر (ولا مرية) بكسر الميم وتضم اى ولا شك (فى الجواز) اى جواز الرؤية (اذ ليس فى الآيات) اى آية لا تدركه الابصار وآية لن ترانى وآية فان استقر مكانه فسوف ترانى (نص فى المنع) اى للرؤية بل هى مشيرة الى الجواز فى مقام المرام كما سبق عليه الكلام (واما وجوبها) اى وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) اى الجزم (بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع) اى من قواطع الادلة اى على وقوع الرؤية (ولا نص) اى دليل صريح يعول فى ثبوت وقوعه عليه (اذ المعول فيه) اى المعتمد عليه فى هذا الاستدلال (على آيتى النجم) اى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى مازاغ البصر وما طغى (والتنازع فيهما مأثور) اى والاختلاف فى معنى الآيتين بين الائمة فى كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) اى العقلى والنقلى (لهما ممكن) اى من حيث دلالتهما على الرؤية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولا اثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) اى بكونه رآه بعينه وفى نسخة صحيحة لذلك اى لما ذكر (وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه) اى الذى تقدم من انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) اى الذى نشأ عن استنباطه (لم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حتى يعتبر (فيجب) بالنصب (العمل) وفى نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد الميم المفتوحة اى مفهومه ومضمونه من رؤيته ربه بعينه (ومثله حديث ابى ذر فى تفسير الآية) اى قوله رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) اى رأيت ربى فى احسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتاويل) اى على ما تقدم من انه رآه بفؤاده اوفى منامه (وهو) اى والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) اى ومن المعلوم ان اضطراب احدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لاسيما مع ماسبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمى مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبرى فى كتابه باسناده عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال انى صليت الليلة ماقضى لى ووضعت جنبى فى المسجد فاتانى ربى فى احسن صورة الحديث ورواه احمد بن حنبل

على هذا السياق وفيه انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا انا بربى عز وجل
فى احسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الاسناد واحد والاختلاف فى متن
حديث واحد موجب للاضطراب (وحديث ابى ذر الآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام
اى من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) اى من حيث المعنى (مشكل) اى حيث لا يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح احدهما
او محتمل لان يكون رآه ولم يره اوراه بعينه اوبقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور
من جملة الصفات (فروى) ويروى فيروى وهو حديث ابى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك
فقال (نور) اى هو نور عظيم (أنى اراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف اى كيف يتصور
انى ارى الله تعالى فان الشئ يرى بالنور وهو اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ما وراءه من كمال الظهور والضمير فى اراه
عائد الى الله تعالى كما صرح الامام ابو عبد الله المازرى اى كمال النور منعنى عن الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة
باغشاء الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبى هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الاصول اى جميع اصول مسلم
والروايات ومعناه حجابه النور فكيف اراه (وحكى بعض شيوخنا انه روى نورانى) اى بفتح النون والراء بعده الف
فنون مكسورة وتحتية مشددة منونة و(اراه) بضم همزة على ما ذكره الحجازى قال المزى وهذا تصحيف والصواب
الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال الشمنى يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ما سبق
ولا يخفى بعده وغرابته اذ الاول دال على نفى رؤيته واستبعاده والثانى على اثباته واستعداده (وفى حديثه الآخر)
اى وفى حديث آخر لابى ذر (سألته) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) اى رأيت نورا
كيف اراه وفى شرح الدلجى قال المصنف وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى اصل من الاصول اى اصول مسلم
ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمة كان تسميته سبحانه وتعالى فى الكتاب
والسنة نورا بمعنى ذى النور اى منوره او منه النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء
والعلم وروى بالنبات والاشجار او المراد بالنور خالقه هذا وفى تخريج احاديث الاحياء للعراقى فى كتاب المحبة قال
ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ اى من حيث ان فى رواية احمد عن ابى ذر رأيته نورا انى اراه ورجالها رجال
الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) اى من حديثى ابى ذر (على صحة الرؤية) اى وقوعها ونفيها بالتعارض
معنييهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) اى متنا واسنادا (رأيت نورا فهو قد اخبر انه لم ير الله تعالى
وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) اى الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نور انى اراه
اى كيف اراه مع حجاب النور المغشى) بصيغة الفاعل مخففا او مشددا اى المغطى (للبصر وهذا) اى حديث نورانى
اراه (مثل ما فى الحديث الآخر) اى من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسى عن ابى موسى الاشعرى واصله
فى مسلم واوله ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه ابن جرير عن محمد بن كعب
عن بعض الصحابة (لم اره بعينى ولكن رأيته بقلبى) زيد فيه ههنا (مرتين وتلا) اى قرأ الراوى شاهدا لصحة رؤيته ربه
بقلبه (ثم دنا) اى قرب نبينا (فتدلى) اى زاد فى التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين او ادنى (والله قادر على
خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) اى على ان يجعله فى القلب (او كيف شاء) اى بان يخلق ادراك الرؤية فى السمع
او غيره وان يخلق ادراك السمع فى البصر ونحوه (لا اله غيره) اى حتى يمانعه ويدافعه عن مراده فى عباده (فان ورد
حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة اى ظاهر لا يحتمل تأويلا (فى الباب) اى فى باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها
(اعتقد) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه) اى فى جواز الرؤية وحصولها
(ولا مانع قطعى) اى من جهة شهود العقل او ورود النقل (يرده) اى عند المحقق (والله الموفق) اقول والله سبحانه
وتعالى اعلم انه يمكن الجمع بين الادلة فى هذه المسئلة المشكلة بان ما ورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلى
الصفات وما جاء مما يشير الى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات اذ التجلى للشئ انما يكون بالكشف عن حقيقته
وهو محال فى حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله سبحانه وتعالى
ولا يحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففى ذكر الرب والجبل تلويح لما قررنا وكذا
فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلميح لما حررنا وكذا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سترون ربكم
كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ما علم يقينا من معرفته فى الدنيا يصير
عين اليقين بها فى العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لا نهاية لها فى المقامات الابدية
والحالات السرمدية فالسالك المنتهى فى السير الى الله تعالى يكون فى الجنة ايضا سائرا فى الله كما قال تعالى

وان الى ربك المنتهى مع انه لا نهاية لآخريته كما انه لا بداية لاوليته فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو اعلم
بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

(فصل)

فى فوائد متفرقة مما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاسراء (واما ما ورد فى هذه القصة) اى قصة الاسراء
(من مناجاته لله عز وجل) اى مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا او من محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه
وتعالى وكلام الله معه عز شأنه (بقوله) اى بدليل ما ورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث) اى مع ما وردت به السنة مما سيذكر فى هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله تعالى الى جبريل
وجبريل الى محمد الا شذوذا منهم) اى الا طائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن
جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال اوحى الله اليه بلا واسطة) اى كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة
(ونحوه عن الواسطى) اى منقول (والى هذا) اى قوله (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) اى
فى ليلته او حالته (وحكى عن الاشعرى) اى القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره) اى نفى
تكليمه بلا واسطة (آخرون) وسيرد ما يردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم فى قوله دنا فتدلى قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) اى فى مقام معين له كما اخبر الله سبحانه
وتعالى عن الملائكة بقوله وما منا الا له مقام معلوم وقال معتذرا لو دنوت انملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عنى)
اى بعد مفارقة جبريل منى وحصل الرعب والوحشة فى قلبى (فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الامر
ففتح فسكون ففتح فهمز ساكن اى ليسكن (روعك) بفتح الراء اى فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك
فانى معك واصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل فى روعى فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمى
باسم ما حل فيه او سمى كله باسم القلب الذى فيه الروع فسمى باسم بعضه (يا محمد ادن) بضم همز ونون امر من الدنو
(ادن) كررا تأكيدا وافادة زيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة
لا دنو مكان ومسافة ومساحة او المراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفى حديث انس فى الاسراء نحو منه)
اى موقوفا عليه او مرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما اوحى
اليه من الوحى الجلى وهو القرآن المبين فلا يكون الا بواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وما اوحى اليه من الوحى الخفى فهو بلا واسطة احد وبلا تقييد لغة
كما هو قضية الالهام مما لا يخفى على العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) اى الآخرون
(فى هذا القول) بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر) اى لآدمى (ان يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك
بسرعة لا بتأمل وروية وهو اما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم او على سبيل الهتف
كما حصل لموسى عليه السلام فى وادى الطور بطوى (او من وراء حجاب) اى كما وقع لسائر الانبياء من الوحى الخفى
ولبعض الاصفياء من الالهام الجلى (او يرسل) اى الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحى) اليه اى
بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه ما يشاء) اى من الاحكام والانباء وهذا الذى ذكرناه اظهر مما ذكره
المصنف بقوله (فقالوا هى) اى الآية الدالة على انواع الكلام او مكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة اقسام من وراء حجاب
كتكليم موسى هذا) اى احدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب
الوحى ولعل وجه الجمع انه ما يخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء
جميعها (واكثر احوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثانى قال الواحدى المفسر فى قوله تعالى
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى الاية الرسول الذى ارسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا
ومحاورته شفاها والنبى الذى تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا هذا كلام الواحدى قال
النووى فى تهذيبه فيه نقص فى صفة النبى فان ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث
قوله) اى ما افاده (الا وحيا) وهو وما بعده احوال اى الا موحيا او مسمعا من حجاب او مرسلا (ولم يبق من تقسيم
صور الكلام) اى المنحصر فى هذا المقام تم الكلام كذا فى نسخ الكرام وقال التلمسانى الكلام كذا ثبت بخط القاضى
المصنف وبخط العزفى المكالمة وهو الصواب بدليل قوله (الا المشافهة مع المشاهدة) فاختص بها نبينا صلى الله تعالى
عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم وحاصل قوله انه لم يبق من تقسيم صور الكلام الخ انه ينبغى ان يحمل قوله وحيا

على المشافهة مع المشاهدة اذلم يبق من التقسيم الاهذا (وقد قيل الوحى ههنا) اى فى عالم السما اوفى هذه الاية
الاسمى (هومايلقيه) اى يقذفه الهاما (فى قلب النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم اى قلب نبينا اوالنبى من الانبياء
(دون واسطة) اى من الوحى الخفى كما سبق اليه الاشارة (وقدذكرابوبكر البزار) بتشديدالزاى ثم رآء نسبة الى عمل بزر
الكتان زيتابلغة البغداديين (عن على رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسرآء ماهواوضح) اى اظهر واصرح
(فى سماع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكلام الله تعالى من الاية) اى من الاستدلال بمفهومها من الاقسام الثلاثة
وقال الدلجى من آية فاوحى الى عبده مااوحى وهو بعيد كما لايخفى (فذكرفيه) اى على مرفوعا اوموقوفا يقتضى ان
يكون فى الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله اكبرالله اكبرفقيل لى) فيه دلالة على ان الحديث مرفوع
وفى نسخة له اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان الحديث موقوف اونقل بالمعنى (من ورآء الحجاب
صدق عبدى انا اكبرانا اكبروقال) اى الله تعالى من ورآء الحجاب (فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) اى صدق عبدى
مع ما يناسب ماقبله من الندآء وفيه انه انمايدل على كلامه بلاواسطة لامع المشافهة والمشاهدة كما يقتضيه اقسام
الاية (ويجيء الكلام فى مشكل هذين الحديثين) اى حديث ابن عباس وعلى (فى الفصل بعدهذا) اى الفصل (مع
مايشبهه) اى مماورد فى حديث غيرهما (وفى اول فصل من الباب منه) اى سيجيء الكلام على دفع اشكال المرام وضمير
منه يعود الى مافى قوله مع مايشبهه، وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من انبيائه) كموسى
عليه الصلاة والسلام (جائز غيرممتنع عقلا ولاورد قاطع فى الشرع يمنعه) اى يمنع جوازه نقلا (فان صح فى ذلك خبر)
اى فى كلامه لغيرموسى عليه السلام منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى
كائن) اى واقع (حق) اى ثابت (مقطوع به نص ذلك فى الكتاب) اى بقوله وكلم الله موسى (واكده بالمصدر)
اى بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال وتكسراى علامة (على الحقيقة) اى ودفعا لتوهم ارادة المجازفى القضية بناء على
ماذهب اليه المحققون من ان الفعل اذااكد بالمصدردل على الحقيقة ولذايقال ارادزيدارادة ولا يقال اراد الجدار
ارادة لانه لايتصورمنه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) اى الحسى المشعر بعلوقربه المعنوى (على ماورد فى الحديث)
اى جاء التصريح فى بعض طرق الحديث الصحيح بانه (فى السماء السابعة) اى على مارواه البخارى فى التوحيدان
موسى فى السماء السابعة وابراهيم فى السادسة ثم قال بتفضيله لكلام الله تعالى وهوموافق لمافى الاصل وقيل صوابه
السادسة لان موسى فيهاوابراهيم فى السابعة فالسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه
فى السادسة ثم هذه الرفعة فى المقام (بسبب كلامه) اى تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمدفوق هذا كله)
كما اشاراليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) اى مكانامستويالاترى فيه عوجاولا امتا
(وسمع صريف الاقلام) اى صوت جريانها بماتكتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل فى حق هذا) اى النبى
عليه الصلاة والسلام (اويبعد) اى يستغرب ويستبعدمنه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفى نسخة من خص
(من شاء بماشاء) اى من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) اى فى المقامات العاليات

(فصــــل)

اى فى متممات هذه القصة ومكملات هذه القضية (واما ماورد فى حديث الاسرآء) اى احاديث سيره الى السماء
(وظاهرالاية من الدنو والقرب من قوله دنافتدلى) اى حيث ظواهر الضمائرالية صلى الله تعالى عليه وسلم لاالى
جبريل كما قيل (فكان قاب قوسين) اى قدرهما (اوادنى) اى بل اقرب وكون اوللتنويع انسب (فاكثرالمفسرين ان
الدنو والتدلى منقسم مابين محمد وجبريل عليهما السلام) اذقددنا كل منهما من الاخر (اومختص باحدهما) اى بان
محمدا اوجبريل دنا (من الاخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعدحتى يقال دنا فتدلى فتدبرقال النووى المراد بالقاب فى
الاية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلى مابين محمد وجبريل يقول المعنى دنا
جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى اى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأله ان يراه
على صورته التى جبل عليها فقال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لايسعنى
قال فبمنى قال لايسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
للوقت فاذاجبريل قداستوى له اى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهوبالافق الاعلى اى فى
جانب المشرق فى اقصى الدنيا عندمطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلمارآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كبروخرمغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذادنامنه قدرقوسين اواقل فرأه فى صورة الادميين
كمافى سائرالاوقات فضمه الى نفسه وقال لاتخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماظننت ان احدامن خلق الله

هكذا قال كيف لورأيت اسرافيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قدخرقتا تخوم الارضين السفلى
وانه ليتصاغرمن عظمة الله حتى يصير كالوصع يعنى كالعصفورالصغير قيل ولم يرجبريل عليه السلام احدمن
الانبياء فى صورته الحقيقية غيرمحمد فانه رأه فيهامرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عندسدرة المنتهى ذكره
الانطاكى (اومن سدرة المنتهى) وهذا فى غاية من البعد على مالايخفى (قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما) اى كما رواه ابن ابى حاتم (هومحمد دنافتدلى من ربه وقيل معنى دناقرب) بضم الرآء (وتدلى زاد فى القرب) الظن
لامعنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) اى جمع بينهما للتأكيد اى قرب غاية القرب والاول اظهر لان التأسيس هو
الاكثرولان زيادة المبنى تفيدزيادة المعنى وقال ابن الاعرابى تدلى اذاقرب بعدعلو (وحكى مكى والماوردى عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما) اى كما رواه ابن جرير (هوالرب دنامن محمد) اى تجلى بوصف القرب له واماقول الدلجى
دنوعلم فليس فى محله اذلاخصوصية له ولابمقامه ثم لامعارضة بين قولى ابن عباس اذنسبة القرب بينهما متلازمة
بل اضافته الى الرب هوالحقيقة فانه لولاقربه لماتصوّرتقربه كما حقق فى قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه
(فتدلى اليه) اى نزل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (اى امره وحكمه) يعنى على حذف مضاف اواردة تكاب
مجازوالانسب فى معناه قرب الرب منه فتقرب اليه والاول يسمى قرب الفرآئض والثانى قرب النوافل هكذا
قرره بعض ارباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) اى البصرى (قال دنا) اى الرب الامجد (من عبده محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) اى قرب مكانة لاقرب مسافة وقرب انعام لاقرب اقدام وقرب عناية
لاقرب غاية (فاراه ماشاء ان يريه من قدرته وعظمته) اى مما لااطلاع لاحد على تفصيل جملته وفيه ايماء الى تفسير
قوله تعالى لقدرأى من آيات ربه الكبرى (قال) اى الحسن اوالنقاش وهوالاقرب والانسب (وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهماهو) اى مجموع قوله دنافتدلى (مقدم ومؤخر) اى فيه تقديم وتأخيركما بينه بقوله (تدلى الرفرف)
وهو بساط اخضرمن نحوالديباج وقيل ماتدلى من الاسرة من غالى الثياب والبسط وقيل هى المرافق وقيل
النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هوالبساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج
فجلس عليه ثم) وفى نسخة حتى (رفع) اى بصيغة المجهول اى لربه (فدنامن ربه) اى دنوابالنسبة اليه (قال) اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم كماسبق عنه (فارقنى جبريل) اى فى مقام قرب الجليل وقال لودنوت انملة
لاحترقت (وانقطعت عنى الاصوات) اى اصوات الملائكة وسائرالمخلوقات (وسمعت كلام ربى) اى بجميع الحواس
من جميع الجهات وهذا فى المعنى هوتجلى الذات بجميع الصفات (وعن انس فى الصحيح) اى على مارواه شريك
ابن ابى نمير (عرج بى جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) اى القاهر لعباده على وفق مراده (رب العزة) اى الغلبة
والقوة فى القدرة (فتدلى) اى الجبار (حتى كان منه) اى من سيد الابرار (قاب قوسين) اى قدره وهوغاية القرب
فى الكونين (اوادنى) اى بل اقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه فى مقام المزيداقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه
بماشاء) اى من غيرواسطة احد من العبيد ثم التقديرفى الاية مكان مسافة قربه مثل قدرقوسين عربيين وفى انوار
التنزيل والمقصود من الاية تحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعدالملبس (واوحى اليه خمسين صلاة) اى بان يصلى
هووالامة فى كل يوم وليلة (ثم خففت حتى قال يامحمدهى خمس وهى خمسون) اى خمسون حقيقة اوحكما لايبدل
القول لدى فى انها خمسون فى الجملة وفى رواية انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشرفتلك خمسون صلاة
هذا الحديث فى الصحيح من رواية شريك عن انس وقداستغرب الذهبى فى الميزان هذا اللفظ فقال بعدان ذكرحديث
الاسرآء الى ان قال ثم علابه فوق ذلك ممالايعلمه الاالله حتى جاءسدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان
منه قاب قوسين اوادنى وهذا من غرآئب الصحيح كذاذكره الحلبى (وعن محمد بن كعب) اى القرظى كما فى نسخة
(هو) اى المراد بمن فى الاية (محمد دنامن ربه فكان قاب قوسين) اى فى مقام قربه لكمال حبه ووقع فى اصل الدلجى
هومحمددنا محمدفتكلف له بان وضع الظاهرموضع المضمرلكمال العناية بذكره الاانه مخالف لمافى الاصول (وقال
جعفر بن محمد) اى الصادق (ادناه ربه منه) اى غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب اومحمدا والاول اقرب
(حتى كان منه كقاب قوسين) ما احسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار
قوسين فى المسافة فى مقام القرب المعنوى بل يشبه به باعتبار القرب الحسى كمايستفاد هذا المعنى من قوله الاتى
(وقال جعفر بن محمد) اى الصادق ولم يطلقه لئلا يشتبه بجعفرالطيار (والدنومن الله لاحدله) اى لايدخل تحت
حدود العبارة ولافى ضمن وجود الاشارة على وفق سائرحقائق صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود)
اى والدنومن العباد لايتصورالا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية فى الشهود (وقال) اى جعفر (ايضا)

اى حال كونه معاودا منتقلا الى معنى الكلام فى الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن الدنو) اى عن
معرفة كنهه وحقيقته (الا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء اى الرب الجليل (عن دنوه) اى دنو
الخليل فكيف يطمع غيره الى معرفة سوآء السبيل مع اختلاف القال والقيل (ودنا محمد الى ما اودع قلبه) بصيغة
المفعول او الفاعل (من المعرفة والايمان) اى من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنتجة الى مقام الاحسان وشهود
العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه) اى قربه اليه واشرق بانوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن
قلبه الشك والارتياب) اى عن توهم حلول الشك حول ذلك الجناب فى حصول فتح هذا الباب والله تعالى اعلم
بالصواب وهذا معنى خاص فى الاية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضى ابو الفضل
رحمه الله تعالى) اى المصنف (اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) اى لعبده (او الى الله) اى من
عبده (فليس بدنو مكان) اى مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولا قرب مدى) بفتح الميم والدال منونا اى ولا قرب غاية
ونهاية تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد وما يقوله ارباب الضلال والاضلال (بل كما
ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد) اى بحس يبصر او يدرك بنظر (وانما دنو النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) اى اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته)
اى واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق انوار معرفته) اى بذاته وصفاته
(ومشاهدة اسرار غيبه) اى مغيباته فى ملكوت ارضه وسمواته (وقدرته) اى على ما تعلقت به مشيئته من وجود
مخلوقاته (من الله تعالى) اى من جهته سبحانه وتعالى وهو متعلق بابانة ووقع فى اصل الدلجى زيادة الواو العاطفة
وهو مخالف لما فى الاصول المعتبرة (له) اى سبحانه وتعالى فى حق نبيه او لنبيه فى مقام قربه (مبرة) بفتح الميم
والباء وتشديد الراء بمعنى البر اى مزيد جزيل فوآئده اليه وجميل عوآئده عليه (وتأنيس) اى وزيادة انس (وبسط)
اى غاية انبساط (واكرام) اى وظهور احسان وانعام (ويتأول) بصيغة المجهول (فيه) اى فى دنوه سبحانه وتعالى
من نبيه (ما يتأول فى قوله) اى على ما ورد فى الكتب الستة عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل
ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) اى يأول دنوه تعالى منه بما يأول به نزوله سبحانه وتعالى (على احد الوجوه) اى من
ان نزوله انما هو بكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات
من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) اى من المريدين
(انه بنفسه) اى بحوله وقوته (دنا) اى قرب من ربه (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم اى فى ذلك المقام (مسافة)
اى ولا مسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) اى بزعمه (تدلى بعدا) اى فى حقيقة امره ونتيجة
حكمه (يعنى) تفسير من المصنف او غيره اى يريد (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها اى بعد عن ادراك
حقيقته وتصور حقيقته اذ هو منزه عن شمول احاطته (اذ لا دنو للحق ولا بعد) اى دنو مسافة ولا بعد مساحة واما قوله
تعالى فانى قريب فتمثيل لكمال علمه واجابته (وقوله قاب قوسين او ادنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير)
اى فى دنا وروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله لا الى جبريل عليه السلام على هذا) اى يحتاج الى تأويل وهو
انه (كان) اى الدنو (عبارة عن نهاية القرب) اى المعنوى (ولطف المحل) اى المقام الانسى (وايضاح المعرفة)
من باب الافعال او الافتعال اى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة وروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء
وفى نسخة بالقاف اى الاطلاع (على الحقيقة) اى المنزهة عن المسافة (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من
جهته ورعايته (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة السابقة (عن اجابة الرغبة) اى مرغوباته (وقضاء المطالب)
باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة اى المبالغة فى ظهور
البر والاحسان او فى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان بصاحبه اى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه
قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هو البليغ فى البر (وانافة المنزلة) اى رفعة الرتبة او زيادتها وروى ابانة
من البيان (والمرتبة) اى القربة (من الله له ويتأول فيه) اى فى هذا الدنو (ما يتأول فى قوله) اى المروى فى صحيح
البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب
المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه اوقع فى النفس الانسى (ومن اتانى يمشى) اى فى طاعته (اتيته هرولة) اى سبقته
مسرعا بجزآء عطيته او بتوفيق عبادته فالدنو فى الاية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان
وتعجيل المأمول) اى واسراع لتحصيل المسؤول لكن بين المقامين بون بين وبين القربين تباين متعين فلا تقاس الملوك
بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحبين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم اجمعين

(فصل)

(فى ذكر تفضيله صلى الله عليه وسلم فى القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضى) اى الشهيد (ابو على) اى الحافظ
ابن سكرة (ثنا ابو الفضل) اى ابن خيرون (وابو الحسين) بالتصغير وفى نسخة ابو الحسن بفتحتين والاول هو
الصواب على ما حققه الحلبى وهو المبارك بن عبد الجبار (قالا) اى كلاهما (حدثنا ابو يعلى) وهو المعروف
بابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين وسكون النون فجيم منسوبا (ثنا ابن محبوب) هذا هو ابو العباس
المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه (ثنا الترمذى ثنا الحسين بن يزيد الكوفى) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب)
اى النهدى يروى عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه اخرج له الائمة الستة (عن ليث) اى ابن ابى سليم
الكوفى احد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم انه لقى صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسير من سوء حفظه
وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن انس) تقدم (عن انس رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا اول الناس خروجا) اى من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول اى اثيروا من قبورهم
ونشروا (وانا خطيبهم) اى متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) اى قدموا على ربهم (وانا مبشرهم) اى بما يسرهم
(اذا يئسوا) اى قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لوآء الحمد) اى يومئذ كما فى الجامع الصغير
(بيدى) اى لانفراده بالحمد الذى يلهم به او لانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوآئه كما قال آدم ومن دونه تحت
لوآئى يوم القيامة ولذا سمى مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى واصل اللوآء الراية ولا يمسكها الا صاحب
الجيش وموضوع اللوآء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وانا اكرم ولد آدم) اى هذا الجنس
(على ربى) اى عنده (ولا فخر) اى ولا اقول هذا فخرا من اثر عجبى بل تحدثا بنعمة ربى (وفى رواية ابن زحر) بفتح زاى
فسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقى العابد يروى عن على بن يزيد وابن اسحق وطبقتهما وله مناكير
ضعفه احمد وقال النسائى لا بأس به وقد اخرج له البخارى فى الادب المفرد (عن الربيع بن انس فى لفظ هذا الحديث)
لعله من طريق اخرى للمصنف غير طرق الترمذى فاندفع به قول الحلبى هذه الرواية ليست فى الكتب الستة فضلا
عن الترمذى وتوجيه قول الدلجى ان هذه رواية ابى نعيم فى الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمسانى ذكر انه ثبت بخط
القاضى وفى رواية ابن زحر والربيع بن انس يعنى بالعطف وعند العرفى عن الربيع عن انس يعنى كما فى الاصل وعلى
كلا الوجهين المروى عنه هو انس بن مالك (انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) اى مقدمهم
وفى الحديث قريش قادة رادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) اى سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فاعتذر لهم عما فعلوا
(وانا شفيعهم اذا حبسوا) اى وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم فى بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسى
نفسى فيأتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وانا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر
لام فسين مهملة اى يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون وبه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا
ذكره التلمسانى وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمز على الياء من الاياس وهو قطع
الرجاء (لوآء الكرم) اى الذى ترتب عليه الحمد (بيدى) اى بتصرفى واصل اللوآء العلم والراية ويجوز ان يراد به
حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللوآء ويجوز ان يكون اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد
الاول ما ورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لوآء يعرف به انه قدوة حق او اسوة باطل وجاء فى حديث عقبة
ابن عامر ان اول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لوآء فيدخلون الجنة ثم قيل
اللوآء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا والاظهر ان اللوآء هو الراية العظيمة فهى اعم والله تعالى اعلم (وانا اكرم
ولد آدم على ربى ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل امتثل امرا (ويطوف على الف خادم) اى من افضل خدام اهل
الجنة (كانهم لؤلؤ مكنون) اى مصون عن الغبار والصفار مثل الدر فى الصدف على طراوته او المصان المدخر
لنفاسته وفى اللؤلؤ اربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية وعكسه ويسمى كباره المرجان
لقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى اعلم وخلاصة المعنى انهم فى الحسن
والبياض والصفاء والضياء كانهم لؤلؤ مستور فى صدفه لم تمسه الايدى من الكن وهو الستر (وعن
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى وصححه (واكسى) بصيغة المجهول اى والبس (حلة) اى عظيمة
(من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته فى مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم
ذلك المقام غيرى) يعنى به المقام المحمود وصدر الحديث على ما فى الجامع الصغير من رواية الترمذى عن ابى هريرة رضى
الله عنه مرفوعا انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن ابى سعيد رضى الله عنه) اى الخدرى

كما فى نسخة وقد رواه احمد والترمذى وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة) قيده به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل احد من غير منازع ولا مدافع وفى الاصول ولا فخر هنا ايضا (وبيدى لواء الحمد ولا فخر) اى الا بمثل هذا (ومانبى) وفى نسخة ولا نبى وفى نسخة صحيحة وما من نبى (يومئذ آدم) بالنصب ويجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها اى فمن بعده ولو كان افضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الا تحت لوائى) ووقع فى اصل الدلجى آدم يومئذ فمن سواه فتكلف فى توجيهه بقوله اعتراض بين النفى والاستثناء افاد ان آدم بالرفع بدلا او بيانا من محله (وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفى الاصول هنا زيادة وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وابو داود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع) بفتح الفاء المشددة اى اول مقبول فى الشفاعة وانما ذكر الثانى باعادة اول لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثانى منهما قبل الاول ذكره النووى وفى البخارى تحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فيأتونى فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ماشاء ان يدعنى فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى والدارمى (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) اى الا بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروى عنه عليه الصلاة والسلام اللواء يحمله يوم القيامة على واجيب بان حديث على هذا ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للواء بامره اضاف حمله الى نفسه والاولى ان يقال لواء على خاص له ولاشياعه وكذا لابى بكر واتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلامذته ومريديه لما تقدم والله تعالى اعلم (وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر) اى بهذا بل لى عند الله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا اول من يحرك حلق الجنة) اى بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لى) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معى) اى من امتى (فقراء المؤمنين) اى من المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) اى فى هذا المقام الا بالفقر واما حديث الفقر فخرى فموضوع كما صرح به الحفاظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه اعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وقد قال الله تعالى والله الغنى وانتم الفقراء والفقير الحقيقى هو الذى يرى دوام افتقاره فى حال اضطراره واختياره (وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر) اى الا بالغيبة عنهم وبالحضور مع ربهم (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا اول الناس يشفع) وفى نسخة يشفع بتشديد الفاء المفتوحة (فى الجنة) اى لرفع درجات المطيعين ولدخول العصاة من المؤمنين (وانا اكثر الناس) اى من الانبياء (تبعا) ولفظه فى مسلم على ما فى الجامع الصغير انا اكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا اول من يقرع باب الجنة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كأنه قيل الله ورسوله اعلم فقال اولما علم انهم لا يدرون ما هنالك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض فيأتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتونى فاقول انا لها الحديث اى انا الكائن لها والمتكفل بها ومن ثم قيل انت لها احمد من بين البشر (وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال اطمع ان اكون اكثر الانبياء اجرا يوم القيامة) لانه اعظمهم فى المشقة بما كان من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة او المعنى اكثرهم اجرا لكون امته اكثرهم نفرا (وفى حديث آخر) اى عنه او عن غيره (اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم) اى محشورين فى جملتكم (يوم القيامة) اما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ولموافقته فى كمال التوحيد فى مقام التفريد كما يشير اليه قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنه جده واما عيسى عليه السلام فلما انه يتبعه فى ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته فى تربته (ثم قال انهما فى امتى يوم القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتى) اى اثر اجابة دعائى حيث قلت فى ندائى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتى) اى وانت من ذريتى المذكورة فى دعوتى ايضا بقولى ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد الآية ولا نزاع انه من نسل ولده اسماعيل وانه لم يبعث منهم نبى سواه فهو المجاب به دعوته

(واما

(واما عيسى عليه السلام فالانبياء) اى جميعهم (اخوة) اى اولاد اب واحد حقيقة وكذا حكما لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم فى معادهم فتساويهم فى اصولهم اعتقادا كان ابهم كاب واحد وتفاوتهم واختلافهم فى بعض فروعهم عملا (بنو علات) بفتح عين مهملة وتشديد لام اى اولاد امهات مختلفات وابوهم واحد وبنو الاخياف لمن امهم واحدة والاباء مختلفون وبنو الاعيان لمن امهم واحدة وكذا ابوهم واحد كما بينه بقوله (وامهاتهم شتى) بفتح شين وتشديد تاء جمع شتيت كمرضى جمع مريض اى متفرقات فى نسبة الولادات التى يتولد منها الاختلافات (وان عيسى اخى) اى بالخصوص من حيث انه بشر بى قبلى وقام بدينى بعدى ويروى وان عيسى (ليس بينى وبينه نبى) ففيه كمال اتصاله بى وكانه جار لى فى مقامى (وانا) ويروى فانا (اولى الناس به) اى احقهم بره واخصهم باتصاله بى وقد روى البخارى ومسلم انا اولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبى واما ماذكره فى مستدرك الحاكم من ان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فاسانيده لا تقاوم الصحيح وعلى فرض صحته يقال المعنى ليس بيننا نبى مرسل (قوله) صلى الله عليه وسلم اى فى الحديث السابق (انا سيد الناس) وفى نسخة ولد آدم (يوم القيامة) انما قيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة) اى ومابعده من العقبى (ولكن اشار عليه السلام لانفراده) اى الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال الاولى (والشفاعة) اى العظمى (دون غيره اذ لجأ الناس اليه فى ذلك) تحتمل اذ ان تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه) اى ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هو الذى يلجأ الناس اليه فى حوائجهم) اى فى قضائها (فكان حينئذ) اى وقت يلجأون اليه ويتضرعون لديه (سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه احد فى ذلك) اى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه) اى احد ممن لا يستحقها وهذا منه صلى الله عليه وسلم (كما قال تعالى) اى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه احد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) اى والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة) لكون زوال اسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين لذلك) اى للملك او الملك فى الجملة (فى الدنيا) اى لغفلتهم عن نعت المولى (وكذلك لجأ الى محمد جميع الناس فى الشفاعة) اى ليريحهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) اى من احد كان يدعى السيادة فى الدنيا (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى) بمد الهمزة اى اجيئ (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) اى فاطلب فتحها لادخالها (فيقول الخازن) اى رضوان (من انت) قيل واسم خازن النار مالك وناسب كل اسم ما وكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعد ان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشأ عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول بك) اى بسببك (امرت ان لا افتح لاحد قبلك) او امرت ان افتح لك حال كونى لا افتح لاحد قبلك (وعن عبد الله بن عمرو) اى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) اى مسافته او دورته ومساحته (مسيرة شهر) اى قدر سير شهر (وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية اى نواحيه (سواء) بفتح السين ممدودا اى مستوية اى لتربيع ارضه لا يزيد طوله على عرضه قيل اركانه اربعة وسقاته اربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فمن ابغض واحدا لم يسقه الآخرون واورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى (وماؤه ابيض) افعل تفضيل وهو حجة للكوفى على البصرى اى اشد بياضا (من الورق) بكسر الراء وسكونها وحكى كسر الواو وسكون الراء ونسب الى الفراء وحكى فتحهما الصغانى وادعى انه قرئ بها فى قوله تعالى بورقكم اى الفضة او الدراهم المضروبة وفى نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور فى جميع نسخ صحيح مسلم والثانى وقع فى نسخة المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه اطيب من المسك) اى من ريحه وفى تخصيصه ايماء الى انه افضل نوع من جنس الطيب (وكيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) اى كثرة واضاءة وهى من ذهب وفضة كما فى رواية ثم قيل المراد به الكثرة لا عددها على الحقيقة والصواب ما قاله النووى من ان العدد على ظاهره ولا مانع شرعا ولا عقلا لما ثبت نقلا لاسيما وقد ورد مؤكدا بالقسم فى حديث والذى نفسى بيده لا كثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظمأ) اى لم يعطش (ابدا) اى بعده وفيه اشكال سيذكر فى آخر الفصل حله (وعن ابى ذر رضى الله عنه نحوه) اى على مارواه مسلم (وقال) اى ابو ذر فى حديثه هذا (طوله ما بين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد

الميم من قرى الشام بالبلقاء من اقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة ما بين طرفيه طولا مثل المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية فى آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق وثمان مراحل بينها او بين مصر قيل هى التى قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التى فى الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهى قرية بالشام من عمل دمشق وكذا قاله الخطابى وحكى ايضا فيه تخفيف الميم وفى الترمذى من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكرى ويقال فيه ايضا عمان بالضم والتخفيف وزعموا انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء واذرع والكل من قرى الشام واما عمان التى ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لاغير ووقع فى كتاب ابن ابى شيبة مايدل على انها المراد فى حديث الحوض لقوله ما بين بصرى وصنعاء اليمن ومثله فى البخارى وفى مسلم وعرضه من مقامى الى عمان بالفتح والتشديد عند الصدفى وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامى الى عمان هى بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر فى الحديث وقال السهيلى بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد ابراهيم فيما ذكروا و بالفتح والتشديد قرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكروا وقال الحافظ المزى يتعين الضم والتخفيف فان فى الحديث الآخر ايلة وصنعاء (يشخب) بفتح الخاء وضمها من شخب اللبن كمنع ونصر اى يسيل سيلا شديدا متواليا وقيل يصب بصوت وفى رواية يغت بغين معجمة وتاء مثناة ومعناه اتباع الصب وروى يعب بعين مهملة وباء موحدة ومعناه الشرب بسرعة فى نفس واحد وفى رواية ابن ماهان يثعب بثاء مثلثة وعين مهملة و باء موحدة ومعناه يتفجر (فيه) اى فى ذلك الحوض (ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقد يهمز اذ اصله الهمز وقد يشدد تثنية ميزاب وهو مثعب الماء اى الجدول الذى يجرى منه الماء الى الحوض لكن فى التعبير عنه بالميزاب اشعار بان ارض الموقف فى اسفل (من الجنة) اى من انهارها (وعن ثوبان مثله وقال) اى ثوبان فى روايته فيما رواه مسلم (احدهما من ذهب والآخر من ورق) اى فضة وانما نوع للزينة كما فى الحلى المرصعة والعمارات المزخرفة (وفى رواية حارثة بن وهب) اى فيما رواه الشيخان عنه وهو بالحاء المهملة وبعد الراء ثاء مثلثة خزاعى له صحبة وهو اخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لامه (كما بين المدينة وصنعاء) بفتح الصاد وسكون النون ممدودة قاعدة اليمن ومدينته العظمى وهى من عجائب الدنيا كما قال الشافعى واما صنعاء الروم فقرية فى ناحية ربوة دمشق والله تعالى اعلم (وقال انس رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر) اى فيما رواه الشيخان عنه (كما بين الكوفة والحجر الاسود) واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرة طوله وانما ورد تقديره تمثيلا لكل احد بحسب بعده وتقريبا لفهمه (وروى حديث الحوض ايضا انس) كما فى الصحيحين (وجابر بن سمرة) فيما رواه مسلم وفى نسخة وجابر وسمرة فعلى تقدير صحته فقد روى جابر بن عبد الله حديثا فى الحوض وهو فى مسند احمد واما سمرة فلم يعرف حديثه فالصواب هو النسخة الاولى (وابن عمر) كما رواه الشيخان وابو داود (وعقبة بن عامر) كما رواه مسلم وغيره (وحارثة بن وهب الخزاعى) بضم اوله كما رواه البخارى والترمذى (والمستورد) بصيغة الفاعل على ما رواه الشيخان وهو ابن شداد بالشين المعجمة كما افاده الحلبى (وابو برزة) بفتح الموحدة و بتقديم الراء على الزاى (الاسلمى) فيما رواه ابو داود وابن حبان والبيهقى (وحذيفة بن اليمانى) كما رواه مسلم وغيره (وابو امامة) على ما رواه ابن حبان والبيهقى وهو صدى بن عجلان على ما هو الظاهر والا ففى الصحابة خمسة يقال لهم ابو امامة (وزيد بن ارقم) فيما رواه احمد بن حنبل والبيهقى (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله بن زيد) كما فى الصحيحين (وسهل بن سعد) بروايتهما ايضا (وسويد) بالتصغير (ابن جبلة) بفتح الجيم والموحدة تابعى وقيل صحابى فكان ينبغى تأخيره عن من اتفق على صحبته رواه عنه البيهقى وابو زرعة الدمشقى فى مسند اهل الشام ووقع فى اصل الحلبى هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما فى النسخ المصححة هذا وفى حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وهو مخضرم عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا فى الاصل ولعله تصحيف وصوابه ولد عام الفيل (وابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فيما رواه مسلم (وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة فنون بعده الف فموحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابى نسب الى جده صنابح رواه احمد وابن ماجه عنه (وابو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء اى ابن عازب كما فى نسخة رواه احمد والطبرانى عنه (وجندب) بضم الجيم والدال وبفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلى والا ففى الصحابة من يقال له جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى اطلق اسم جندب من غير ذكر ابيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم ابى ذر

الغفارى جندب بن جنادة الغفارى مشهور بكنيته (وعائشة) كما فى مسلم (واسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه) على ما فى الصحيحين (وابو بكرة) اى الثقفى رواه الطبرانى واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع احد من الفريقين وكان يقول انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلى وقد تدلى من سور الطائف على بكرة فسمى ابا بكرة وهو من افاضل الصحابة (وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه احمد وغيره عنها وهى انصارية نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضى الله تعالى عنهم كابى بكر الصديق فى صحيح ابى عوانة والبيهقى وعمر للبيهقى فى البعث وابى بن كعب واسامة بن زيد وحذيفة بن اسيد بفتح فكسر والحسن بن على وسلمان الفارسى وسمرة بن جندب وابى الدرداء وابى معوذ كلهم فى الطبرانى واسيد بن حضير فى الصحيحين وابن عباس فى البخارى وام سليم فى مسلم وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن ارقم وخولة بنت حكيم رواه احمد فى مسنده عنهم ولقيط ابن صبرة فى زيادات المسند وخباب بن الارت فى المستدرك وكعب بن عجرة فى الترمذى والنسائى وبريدة فى مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية فى صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان فى كتاب ابن ابى الدنيا وعثمان ابن مظعون فى تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف فى الطبرانى ومعاذ بن جبل فى حادى الارواح ذكره الدلجى وقال زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوى لا لفظى لقول ابن الصلاح وغيره لا يكاد يوجد شرط هذا وفى نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وابو بكر وعمر وابن بريدة ونقل عن ابن جبير ان هذه الزيادة وقعت فى طرة لام بخط المؤلف بغير علامة يخرج اليها ثم ابن بريدة قال الحلبى هو تابعى فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا فى الحوض ولم يذكره القاضى خولة بنت حكيم وعبد الله بن عباس اخرجهما احمد فى مسنده كما ذكره الحلبى وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقى فى كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات واختلف فى ان الحوض هل هو قبل الصراط او بعده اوله حوضان احدهما بعده والآخر قبله والله تعالى اعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذى لا يظمأ بعده قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر له السلامة من النار قال و يحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد ومات كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى اعلم

(فصل)

(واما تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتى ما يتحقق به المرام فى هذا المقام (جاءت بذلك) اى بتفصيل تفضيله (الآثار الصحيحة) اى من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول او الفاعل (صلى الله عليه وسلم على السنة المسلمين بحبيب الله) يعنى والسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الامة لا تجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا فى بعض الاحاديث بانه حبيب الله (انا) اى اخبرنا (ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب) هو الامام المقرى يعرف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة (وغيره) اى وغير ابى القاسم ايضا من المشايخ (عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هى الحرة الزاهدة (بنت احمد) اى ابن محمد بن حاتم المروزى سمعت جامع البخارى من الكشميهنى وسمعت زاهد بن احمد السرخسى وحدثت كثيرا وكانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره الامير فى اكماله على ما نقله الحلبى فما فى بعض النسخ بنت محمد غير صحيح (ثنا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى (وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفى اصل الحلبى واخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة (ثنا القاضى ابو الوليد) اى الباجى (ثنا عبد بن احمد) بالوصف لا بالاضافة هو ابو ذر الهروى (ثنا ابو الهيثم) اى الكشميهنى (ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا عبد الله ابن محمد) الظاهر انه المسندى ومستنده انه من طلبة ابى عامر والا فقد روى البخارى عن اربعة كل منهم اسمه عبد الله بن محمد على ما ذكره الحلبى وقال الكلاباذى هو عبد الله بن محمد بن جعفر اليمان ابو جعفر المعروف بالمسندى لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولا يرغب فى المقاطيع والمراسيل (ثنا ابو عامر) اى عبد الملك بن عمرو ابن قيس اى العقدى بفتح العين والقاف بصرى اخرج له الستة (ثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة ابن سليمان العدوى مولاهم المدنى واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به فى الصحيحين وقال ابن معين وابو حاتم والنسائى ليس بالقوى اخرج له الائمة الستة (ثنا ابو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم ابن ابى امية المدنى التابعى (عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) اى ابن الحضرمى المدنى الزاهد مات ولم يخلف كفنا

(عن ابی سعید) ای الخدری (عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم انه قال لو کنت متخذا خلیلا غیر ربی لاتخذت
ابابکر) ای خلیلا والمعنی جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعیل من الخلة بالضم وهی الصداقة التی تتخلل
باطن القلب فالخلیل الصدیق الواد فعیل بمعنی الفاعل کما فی هذا الحدیث وانما قال ذلک اقصر خلته علی حب ربه
ور بما ورد بمعنی مفعول وهو المناسب لقوله (وفی حدیث آخر وان صاحبکم خلیل الله) کما سیأتی مصرحا فی حدیث
ابن مسعود دور بما یفرق بینه صلی الله تعالی علیه وسلم و بین ابراهیم علیه السلام بهذا التغایر فی المعنی مع الاشتراک
فی المبنی والحدیث الاول رواه البخاری فی فضل ابی بکر وقد رواه مسلم والترمذی والنسائی ایضا (ومن طریق
عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبکم خلیلا وعن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما) کما رواه الدارمی والترمذی
عنه (قال جلس ناس) ای جمع (من اصحاب النبی صلی الله تعالی علیه وسلم ینتظرونه) ای خروجه الیهم ووصوله
الیهم رجاء انزال فیضه علیهم (فخرج) ای من مقامه متوجها الیهم (حتی اذا دنا منهم) ای قرب (سمعهم) وفی روایة
فخرج سمعهم ای حال کونه قد سمعهم (یتذاکرون) ای متذاکرین کلاما فیما بینهم (فسمع حدیثهم) ای تحققه وفهمه
(فقال بعضهم عجبا) ای تعجبا (ان الله) بالکسر او تعجب عجبا ان الله بالفتح (اتخذ ابراهیم من خلقه خلیلا) ای کما اخبره
تعالی وقد سقط لفظ ابراهیم من اصل الدلجی فقال یرید ابراهیم علیه السلام (وقال آخر) ای بعض او صحاب آخر
(ماذا) ای لیس هذا وهو اتخاذ الله ابراهیم خلیلا (باعجب من کلام موسی کلمه الله تکلیما) ای کما اخبر تعالی (وقال آخر
فعیسی کلمة الله وروحه) الفاء فصیحة ای اذا ذکرتم خلیل الله وکلیمه فی مقام الافتخار فاذکروا عیسی فانه کلمة الله
خلقه بامر کن من غیر اب او اضافته للتشریف ای کلمته مقبولة عنده سبحانه ودعوته مستجابة لدیه وهو روح مجرد
من عنده به نفخ فیه بغیر واسطة او رحمة منه (وقال آخر آدم اصطفاه الله) ای فی اصل خلقته من غیر واسطة من اب
وام فی فطرته وجعله ابا البشر وجد الانبیاء والاصفیاء وذکره فی کتابه بوصف الاجتباء وحاصل کلامهم انه
یتوهم من هذه الاوصاف انهم افضل من نبینا صلی الله تعالی علیه وسلم حیث ما بلغهم صریحا انه اختص ببعض
المقامات العالیات کما یشیر الیه قوله تعالی تلک الرسل فضلنا بعضهم علی بعض منهم من کلم الله ورفع بعضهم
درجات (فخرج علیهم) ای وصل الیهم (فسلم) فتکراره لیناط به غیر ما نیط به اولا او خرج اولا من مکان الی آخر
فسمع قولهم مارا ثم خرج منه وسلم علیهم (وقال قد سمعت کلامکم) ای فی تخصیص بعض الرسل ببعض الفضائل
(وعجبکم) ای واظهار تعجبکم باختصاصهم ببعض الشمائل کما بینه قوله (بان الله) الخ وتکلف الدلجی حیث
قدر له عاملا بقوله ای ادرکت عجبکم وجعله من قبیل قلدته سیفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاکی
ورأیت بخط قطب الدین عیسی الصفوی انه لا حاجة الی هذا التکلف فان المراد سماع ما یدل علی تعجبهم هذا وفی نسخة
صحیحة ان الله وهی بکسر الهمزة وفتحها (اتخذ ابراهیم خلیلا وهو کذلک) ای خلیله او اتخاذه محقق (وموسی
نجی الله) ای کما قال الله تعالی وقربناه نجیا من المناجاة وهی المکالمة سرا (وهو کذلک) ای نجیه او امره کذلک
(وعیسی روح الله وهو کذلک) ای ذو روح منه خلقه بلا واسطة اب (وآدم اصطفاه الله) ای اجتباه (وهو کذلک)
ای صفیه بالنبوة والرسالة کما قال الله تعالی الله یصطفی من الملائکة رسلا ومن الناس (ألا) ای تنبهوا والحصائص مع
اشتراکی معهم فی الاصطفاء کما قال (وانا حبیب الله) بمعنی محبوبه الذی هو اخص من کل مرتبة ومقام عند ربه
(ولا فخر) ای ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شکرا (وانا حامل لواء الحمد) کما قال فی حدیث آخر وآدم ومن دونه تحت
لوائی (یوم القیامة) ای فی الحشر الاکبر فی المقام المحمود الذی یحمده الاولون والآخرون (ولا فخر) ای الا بقربی
لربی (وانا اول شافع) ای فی الشفاعة العظمی ای کل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنی (واول مشفع) ای مقبول
الشفاعة (ولا فخر) ای بالنسبة الی مالی من الذخر (وانا اول من یحرک حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبکسر اوله ای حلق
بابها (فیفتح الله لی) ای بامره لرضوان الجنة بان یفتح لی کما فی روایة (فیدخلنیها) ای الله بفضله وکرمه کما قال الا ان
یتغمدنی الله برحمته (ومعی فقراء المؤمنین) ای بعمومهم علی تفاوت مراتبهم مقدمون علی اغنیائهم علی اختلاف
احوالهم وهو لا ینافی ما ورد بلفظ ومعی فقراء المهاجرین لانهم افضل فقراء المؤمنین ووقع فی اصل الدلجی ما یخالف
الاصول المعتبرة (ولا فخر) ای بهذا ایضا لانه ورد فی الحدیث القدسی والکلام الانسی اعددت لعبادی الصالحین ما لا
عین رأت ولا اذن سمعت ولا خطر علی قلب بشر (وانا اکرم الاولین والآخرین) ای من الخلائق اجمعین وهذا فذلکة
الکلام ونتیجة المرام (ولا فخر) ای فی هذا المقام ایضا اذ الفناء عن السوی والبقاء فی حضرة اللقاء هو المقام الاسنی
والحالة الحسنی (وفی حدیث ابی هریرة رضی الله تعالی عنه) ای من احادیث الاسراء (من قول الله تعالی) وفی نسخة
فی قول الله ای فی جملة قوله سبحانه وتعالی (لنبیه صلی الله تعالی علیه وسلم انی اتخذتک خلیلا) ای کما اتخذت ابراهیم

فجمع له بین کونه خلیلا وحبیبا فله فی المزیة زیادة مرتبة المحبوبیة کما اشار الیه قوله سبحانه وتعالی قل ان کنتم
تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله ای یحصل لکم حظ من المنزلة المحبوبیة بواسطة المتابعة المطلوبیة ویؤیده قوله
(فهو مکتوب فی التوراة اسـ) کذا فی نسخة صحیحة من غیر ضبط علی هذه الصورة وهی الف بعدها سین مهملة
ثم جرة وفی بعض النسخ مکتوب بازائها علی الطرة ذکر ابن جبیر بخطه فی کتابه ان هذه اللفظة وقعت فی الام المبیضة
بخط المؤلف کما هی هنا مبهمة فحکیتها کما وقعت ذکره الشمنی ولا یبعد ان یکون بالتاء الفوقیة فی آخر الکلمة وهی
للربط فی الجملة بالفارسیة وفی نسخة ضبط بکسر الهمزة وسکون السین المهملة وضم الموحدة وقیل بفتح الهمزة
وسکون السین وضم المثناة فوق ولعلها کلمة سریانیة بقرینة ذکرها فی التوراة ای انت کما فی نسخة (حبیب الرحمن)
وفی نسخة احمد حبیب الرحمن ولعله مدلولها هذا وقد قال الانطاکی کذا وقع فی النسخ خلیلا ولعله مصحف فقد تقدم
حدیث ابی هریرة هذا فی فصل ذکر تفضیله علیه الصلاة والسلام بما تضمنته کرامة الاسراء ولفظ الحدیث هنالک
قد اتخذتک حبیبا قال وایضا لفظ الحبیب هنا انسب بآخر الحدیث وهو قوله انت محمد حبیب الرحمن قال ثم انی وقفت
علی نسخة قدیمة ذکان اللفظ فیه اولا انی اتخذتک حبیبا ثم غیرته ایدی التحریف فصیرته خلیلا وعلامة الاهمال تحت
الحاء کانت باقیة فیها بعد والله یعلم المفسد من المصلح قلت حمل جمیع النسخ علی التصحیف بعید عن صوب
الصواب ومیل الی التحریف لاسیما والنسخة القدیمة ایضا ظهرت سقیمة وصحت سلیمة هذا من جهة المبنی واما من
حیثیة المعنی فلاشک ان التأسیس اولی من التأکید مع ما فی مغایرة العبارة من الاشارة الی الجمع بین النعتین الجلیلین
والوصفین الجمیلین ثم الظاهر ان هذا روایة اخری عن ابی هریرة لمغایرة الفاظهما فی المحلین من الکتاب والله سبحانه
وتعالی اعلم بالصواب (قال القاضی ابو الفضل رحمه الله تعالی) کذا فی الاصول المعتبرة ووقع فی اصل الدلجی هنا فصل
(اختلف) بصیغة المجهول وفی نسخة اختلفوا (فی تفسیر الخلة) بالضم (واصل اشتقاقها فقیل الخلیل المنقطع
الی الله) ای المعرض عما سواه بزیادة نعمته بانه (الذی لیس فی انقطاعه الیه ومحبته له اختلال) ای نقص وخلل لدیه
فعلیه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشیء فان الود یتخلل النفس ویخالطها بحیث لا یختل بحصول خلل فیه حال
خلاله وفی هذا المعنی قوله تعالی وتبتل الیه تبتیلا وقوله سبحانه وتعالی ففروا الی الله (وقیل الخلیل المختص)
ای بوصف الخلة سواء یکون مشتقا من الخلة بضم الخاء کما سبق او من الخلة بالفتح بمعنی الفقر والحاجة من الخل
اذ کل خلیل محتاج الی ان یسد خلل خلیله وفی الحدیث اللهم ساد الخلة ای الحاجة والفاقة او من الخلة بمعنی الخصلة
فانهما یتوافقان فی الخصال کما ورد المرء علی دین خلیله وقیل هو المختص بخدمة مولاه والذی اختصه الله تعالی
فجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولکن لا یظهر وجه الاشتقاق فی هذین القولین وان کان الدلجی ذکرهما
واقتصر علیهما ثم رأیت الانطاکی قال المختص یعنی بالصداقة والمحبة یقال دعا فلان فخلل ای خص (واختار
هذا القول) ای الاخیر (غیر واحد) ای کثیر من الاخیار (وقال بعضهم اصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) ای الاختیار
من الصفوة او الصفاء ای یختار کل خلیل رضی خلیله او یصفو معه فی کل حالة کخلیله (وسمی ابراهیم خلیل الله لانه
یوالی فیه ویعادی فیه) ای یحب فی الله ویبغض فی الله او لابتغاء رضاه لیس له غرض سواه وفی البخاری الحب فی الله
والبغض فی الله من الایمان ای من کماله (وخلة الله له) ای لابراهیم (نصره) ای علی عدوه (وجعله اماما لمن بعده)
کما قال تعالی انی جاعلک للناس اماما فلم یبعث نبی بعده الا کان من ذریته مأمورا باتباع ملته قال الدلجی وفی نسخة
وجعله امانا لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحیف وتوجیه تحریف (وقیل الخلیل اصله الفقیر
المحتاج المنقطع) ای عن الاعوان والاخوان او عما سوی الله تعالی فی الاکوان (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء
(وهی الحاجة) ای شدتها المحتاجة الی الفاقة (فسمی بها) ای بالخلة یعنی بالاتصاف بها فی اطلاق الخلیل ووقع فی
اصل الدلجی به بالضمیر المذکر وهو واضح درایة لو ثبت روایة ای فسمی بالخلیل (ابراهیم لانه قصر حاجته) ای حصرها
(علی ربه) ای علی طلبها من ربه او علی حصول قربه لیس له مأمول غیره فی قلبه ویؤیده قوله (وانقطع الیه بهمه) ای
بهمته ونهمته وعزیمته ونیته او المراد بالهم ما یهمه ویغمه لقوله (ولم یجعله) ای همه (قبل غیره) بکسر القاف وفتح
الموحدة ای عند غیره والمعنی لم یکل همه الی احد غیره اذ لیس للغیر اثر وجود فی نظره وکان هذا حال الخلیل فی المقام
الجلیل (اذ جاءه جبریل وهو فی المنجنیق) بفتح المیم والجیم وقیل بکسر اوله لانه آلة للرمی ویؤید الاول ما فی کتب اللغة
انها هی آلة ترمی بها الحجارة معربة واصلها بالفارسیة من جه نیک ای ما اجودنی ویقال جنق اذا رمی بالمنجنیق
قالوا کنا نجنق مرة ونرشق اخری (لیرمی به فی النار) بصیغة المجهول (فقال الک حاجة قال اما الیک فلا) وزید
فی روایة فقال فاسأل ربک قال حسبی من سؤالی علمه بحالی (وقال ابو بکر بن فورک) بضم الفاء وفتح الراء غیر منصرف

وقد ينصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) اى خلوص المحبة التى لا يتخللها نوع من المخالفة (التى توجب الاختصاص)
اى فى حالتى المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اى يدخل فى قلوب
الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرنت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم اصل
الخلة المحبة) اى مطلقا فى اللغة (ومعناها) اى مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة اى انجاز الحاجة بلا مهلة
(والالطاف) بالكسر اى الاعانة على وجه اللطافة (والترفيع) اى رفعه على نفسه فى مقام انسه وهو معنى قول بعضهم
الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) اى قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) اى الله تعالى (ذلك) اى هذا
المعنى (فى كتابه) اى فى مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله) اى اتباع ابنيه عزير والمسيح
على حذف المضاف المقدر او نزلوا انفسهم منزلتهما فى المقام المعتبر فتدبر وكذا قوله (واحباؤه) اى محبوبوه او محبوه
ويلزم كونهم محبيه للملازمة الغالبية فى نسبه المحبية والمحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم و يحبونه (قل فلم
يعذبكم بذنوبكم) اى ان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم
فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم فى النار الموقدة باعترافكم اياما معدودة (فاوجب) اى
الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء اى لا يعاقب (بذنوبه) وان كان
قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمى ولده فى العار (قال) اى الله سبحانه وتعالى (هذا)
اى هذا الكلام او قال ذلك البعض خذ هذا او الامر هذا او هذا كما ذكر (والخلة اقوى) اى فى النسبة (من البنوة)
بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) اى يوجد معها (العداوة) اى الموجبة
للمخالفة (كما قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم) اى بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية او الدنيوية
(فاحذروهم) اى عن المخالطة والمغالطة (الاية) اى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح
ان تكون عداوة مع خلة) اى مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة
من حيثية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد جاف وعلى هذه الحالة مدار معاشرة العامة بل ومداراة
الخاصة (فاذا) بالتنوين اى فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفى نسخة تسميته اى تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما
الصلاة والسلام (بالخلة اما بانقطاعهما الى الله) اى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) اى حتى فى الامور الجزئية
(والانقطاع عما دونه) اى فى الاحوال الظاهرية (والاضراب) اى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب)
اى فى الخواطر السرية كما قال ارباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما) اى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى الطافه) بفتح الهمزة اى ولزيادة الطافه الخفية (عندهما)
اى من اخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى اظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ما ذكره الدلجى لكنه
بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر
همزة الطافه اى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى
يسألونك كأنك حفى عنها ومنه ايضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسألها فاحفى وقال انها
كانت تأتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وما خالل) اى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) اى
وانوار صمديته (ومكنون غيوبه) اى ومن استار مغيباته (ومعرفته) اى تعريفاته بذاته وصفاته (او لاستصفائه)
اى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفاء قلوبهما عمن سواه) اى
تخليصهما عن التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخاللهما حب لغيره) بل اذا احبا احدا احباه لله سبحانه وتعالى
ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى و بقوله اللهم انى اسألك حبك وحب
من يحبك (ولهذا) اى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين
ويروى من لا يتبع قلبه (لسواه) اى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) اى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله
عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه البخارى ان من امن الناس على فى صحبته وماله ابا بكر (ولو كنت متخذا خليلا)
اى من الناس ارجع فى المهمات عليه والجأ فى الملمات اليه (لاتخذت ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح
ولكن بالواو اى ليس بينى و بينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى و بينه فى اعلى المرتبة فيقوم مقام اتخاذى له خليلا
قال التلمسانى كذا وقع فى النسخ الصحيحة من الشفاء اخوة بالالف وفى الاكمال خوة دون الف ثم قال كذا للعذرى
ولغيره بالالف وقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا الخ قال فى المشارق لو كنت متخذا خليلا افتقر اليه
والتجئ اليه فى جميع امورى لكان ابا بكر ولكن الذى التجئ اليه وافتقر اليه هو الله تعالى اولو كنت منقطعا لحب

مخلوق لكان ابا بكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء
وارباب القلوب) اى اصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشايخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية
البهية والاخلاق السنية الرضية (ايهما ارفع) اى اى الخصلتين او الحالتين اعلى او اغلى فى الدرجة العلية والرتبة
الجلية (درجة الخلة) اى درجة الخلة ارفع من درجة المحبة (او درجة المحبة) اى ارفع من درجة الخلة فهما
مرفوعان بناء على انهما بدل من ايهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمسانى وهو بعيد جدا لا سيما
مع وجود او الترديدية وكونهما معرفة بالاضافة نعم لو ثبت الجر لكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه فى
ايهما والصحيح ما اشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما ارفع مقدرا مع تقدير الاستفهام فى اولهما
(فجعلهما بعضهم سواء) اى فى المرتبة ليس بينهما تفاوت فى الدرجة (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا
لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة) اى بناء على الغلبة ولكن فى هذا الاختصاص
دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لا يخفى على ارباب المعرفة (وبعضهم قال درجة
الخلة ارفع) اى من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الا ان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام
فيه لا فى المنطوق ولا فى المفهوم (واحتج) اى ذلك البعض لما زعمه (بقوله صلى الله عليه وسلم) اى فيما رواه البخارى
(لو كنت متخذا خليلا غير ربى) اى لاتخذت ابا بكر خليلا (فلم يتخذه) اى غير ربه خليلا (وقد اطلق المحبة
لفاطمة وابنيها) اى الحسنين رضى الله تعالى عنهم (واسامة) اى وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة اسود كالغراب وابوه زيد ابيض كالقطن (وغيرهم) اى كابى بكر
وعمر وعائشة فلو كانت المحبة ارفع من الخلة لم يتخذ غير ربه مما ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق
على احد منهم بكونه حبيبا وانما اراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية او الحالة الصادرة عن
تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى
فليس له شريك فى هذا الوصف على وجه الكمال كما لا يخفى وهذا هو المشهور عند الجمهور ولذا قال (واكثرهم جعل
المحبة) اى الخاصة دون المودة العامة (ارفع) اى درجة (من الخلة) اى مع انها من مراتب الخاصة (لان درجة
الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو
اكمل يدل على انه افضل من سائر اوصاف الكمل والا لكان الانعكاس اولى فتأمل فانه اندفع به ما ذكره الدلجى
بقوله وانت خبير بان ارفعية المحبة على الخلة انما هى من ارفعية موصوفها لا من حيث ذاتها ثم مما يدل على هذا
التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسند الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل
ان يكون بمعنى فاعل او مفعول ولا شك ان نسبة المفعولية فى هذا المقام اتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله
سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لا سيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية ابدية ازلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة
عرضية غرضية واما حديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول
على انه اتخذه ان يكون خليلا خاصا لا يتخذ غيره خليلا على ما يدل عليه سياق الكلام وسباقه فهو بمعنى الفاعل على
حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولا يقال الله خليل
ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول اصح يعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور
من الجانبين والحاجة لا تتصور من الجانبين فلا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم لما فيه من ايهام ان يكون
مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة (واصل المحبة) اى المأخوذة من حبة القلب او اصل معناها (الميل الى ما يوافق
المحب) اى يلائم طبعه و يستلذ به وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من احبه فهو محب على ما صرح به الانطاكى
وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء اى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته
لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس اصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لا تقع منه
المخالفة كما قالت رابعة رضى الله عنها

تعصى الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لما سيأتى فى كلام المصنف من ان حقيقة
المحبة الميل الى ما يوافق الانسان (ولكن هذا) اى التعريف (انما يصح فى حق من يصح الميل) اى وجود ميلان القلب
(منه) اى الى محبوبه او مطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء اى وفى حق من يتصور منه الانتفاع

والارتفاق بالشيء الذي فيه الموافقة له او على وفق ميل القلب وهوى النفس اليه (وهي) اى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) اى صفته ورتبته (فاما الخالق) اى الذى قدس عن القلب والميلان وسائر نعوت الحدثان (فنزه عن الاغراض) بالغين المعجمة وهي العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهي الامراض والآفات (فمحبته لعبده تمكينه من سعادته) اى باقداره على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع وابعد الدلجى فى تجويز الجر اى ومحافظته عن ارتكاب معصيته (وتوفيقه) اى على ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (وتهيئة اسباب القرب) بضم فسكون ولا يبعد ان يكون بضم ففتح اى من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القرب (وافاضة رحمته عليه) اى بقبول ما منه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة اى غاية المحبة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الحجب عن قلبه) اى كشف الرب الحجب النفسانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) اى حتى يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) اى الى تجلى ربه فى مقام عظمته (ببصيرته) اى بعين بصيرته فيفنى عن نفسه وحجبه ويبقى ببقاء ربه فيكون محوا بعد ما كان صحوا وسكرا بعد ما كان فكرا وشكرا وحاضرا فى الحضرة بعد ما كان غائبا فى الغفلة (فيكون كما قال) اى سبحانه وتعالى (فى الحديث) اى القدسى والكلام الانسى على ما رواه البخارى لا يزال العبد يتقرب الى حتى احبه (فاذا احببته) اى اظهرت حبى له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) وفى رواية زيادة ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها اى كنت حافظ اعضائه وحامى اجزائه ان يتحرك بغير رضاى وان يسكن الى غير قضاى والحاصل انه جعل سلطان محبته لربه آخذا بمجامع قلبه فلا يهم الا بمرضاة محبوبه ولا يسعى بجميع جوارحه الا فى سبيل مطلوبه وقيل اى كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وبصره فى النظر ولسانه فى النطق وهنا معنى ادق من هذا وهو انه يظهر للعبد فى هذا المقام ما يتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر اركانه انما هى من آثار قدرة ربه وقوته وعزته وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ما توهمه اهل الضلال كما قال (ولا ينبغى ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) اى الحديث (سوى التجرد لله) اى تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) اى ترك الالتفات الى ما سواه (والاعراض عن غير الله) اى بالتوجه الكلى الى مولاه حتى كانه يسمع منه ومرأى له فيما يتحراه (وصفاء القلب لله) اى بحيث لا يخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات فى رضاه لان من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) اى فى جميع الشان (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) اى لا ينشأ عنه شيء من الهوى ولا ينظر فى جميع احواله غرض السوى بل يدوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) اى المقام (عبر بعضهم عن الخلة) اى التى هى خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح منى) اى تداخلت حبى اياك تخالط الروح من بدنى وهو كالماء فى العود الطرى وكالطراوة فى اللؤلؤ المعدنى (وبذا) اى وبذلك التخلل المأخوذ من الخلة (سمى الخليل) اى ابراهيم وغيره (خليلا فاذا ما) زائدة (نطقت) اى عنك (كنت حديثى) اى منك لما قيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من احب شيأ اكثر من ذكره (واذا ما سكت) اى بك او عن غيرك او عن بيان حالى معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة والف الاطلاق اى حرارة العطش وفى نسخة الدخيلا اى الذى يداخل فى الامور ويخالل بما فى الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون اى فحينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الايات) وفى نسخة الآثار وهى ملائمة لقوله (الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة) كحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت ابا بكر خليلا وفى رواية ولكن اخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث انا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للآيات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) اى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الاية) اى فاتبعونى يحببكم الله وفيه الغاية القصوى فى المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم فى امته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمرادية المجذوبية المطلوبية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقد قال تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد

فى مرتبة المريد والثانية الى مقام المريد فى حال الانابة ووصف المستزيد والحاصل ان هذه الاية الشريفة لما كانت دالة على المرتبة المنيفة (حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النونين اى معبودا او مسجودا (كما اتخذ النصارى عيسى ابن مريم) وهذا باطل قطعا من وجهين احدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرد هذا المعنى اصلا بل لما قيل له انسجد لك قال لو امرت ان يسجد احد لاحد لامرت ان تسجد المرأة لزوجها وايضا انما نزل القرآن من اوله الى آخره على رد اهل الشرك العنيد واثبات التوحيد على وجه التجريد والتفريد فكيف يتصور له ان يريد خلاف ذلك حيث يكون مناقضا لما هنالك ولكنهم على زعمهم وقياس الكاملين على نفوسهم ومقتضى طباعهم صدر هذا الكلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانيهما ان التشبيه فى كلامهم غير صحيح لان عيسى ابن مريم لم يرد اتخاذ النصارى له الها معبودا كما ظنوا لانه من صغره الى حال كبره كان يقول انى عبد الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله ولم يخطر بباله وجود من سواه فضلا عن اشراكه مع مولاه واما ما ذكره الدلجى من قوله الحنان الرحمة او العطف اى نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا فلا يناسب التشبيه الذى يلائم التنزيه ولا يسبب لما قاله اهل التفسير (فانزل الله غيظا لهم) اى زيادة غيظ فى حالتهم (ورغما) بفتح الراء ويضم ويحكى كسرها اى ردا (على مقالتهم هذه الاية) اى الاتية وهى قوله (قل اطيعوا الله والرسول) لان اطاعة كل واحد مستلزمة لاطاعة الآخر وفيه ايماء له خفاء الى ان الرسول لا يأمر بالمنكر فتدبر (فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى) اى الاعراض (عنه) اى اشد توعد وانتهاه (بقوله فان تولوا) يحتمل الماضى والمضارع اى تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) اى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وفى وضع الظاهر موضع المضمر تسجيل على كفرهم لئلا يشمل الفاجرين بنوع من التولى لا يكون موجبا للكفر وفيه ايضا تنبيه نبيه على ان مدار الامر على الخاتمة ونوع حض على التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك) بضم اوله وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقد يصرف (عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول جلب اشاراته) اى وتفصيل عباراته (ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا) بفتحتين اى شيأ يسيرا من الكلام (يهدى الى ما بعده) اى من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخليل يصل) اى الى من اتخذه خليلا (بالواسطة) اى اخذ الوصول اليه بها دليلا (من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) اى وليكون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنين لما هنالك (والحبيب يصل اليه) اى لحبيبه كما فى نسخة (به) اى بذاته دون واسطة من اراءة كانه اتخذه (من قوله تعالى فكان قاب قوسين) اى قدرهما (او ادنى) اى بل ادنى من قابهما (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع) اى لانه من المريدين وهذا المعنى مأخوذ (من قوله تعالى والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى) اى يوم الدين (والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين) اى الناجز الذى غير موقوف ولا متأخر الى حين لكون صاحبه من المرادين (من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى من جميع ما يصح فيه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فى هذا الباب وفى عطف ما تأخر عليه معنى عظيم فتدبر فان الغفران السابق يشمل الواقع واللاحق (الاية) اى ومع زيادة اتمام النعمة وكمال المنة بالهداية الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الاية التى هى قوله سبحانه وتعالى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هذا وقد ذكر فرقا آخر بينهما بقوله (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) اى لكونه طالبا فى الطريق (والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى) اى لانه مطلوب فى مقام التحقيق وهذا المعنى فى التوفيق هو الذى بينه المصنف بقوله (فابتدئ) اى الحبيب (بالبشارة) اى بنفى الخزى والفضاحة عنه (قبل السؤال) اى بحصول المنال فى المآل بخلاف الخليل حيث وقع منه السؤال ولم يقع جواب حصوله لا فى الحال ولا فى الاستقبال فيكون بين الخوف والرجاء فى تحسين المآل ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) اى فى ابتلائه بنمرود حين القاه فى النار (حسبى الله) اى كافى فى دفع بلائى ورفع عنائى فكانت عليه بردا وسلاما (والحبيب قيل له يا ايها النبى حسبك الله) ووجه الفرق ان بونا بينا بين من القول هو حسبى وبين من يقال له انا حسبك فان كل احد يدعى انه محب لله ولكن الكمال هو ان يقول الله انا محبوبه او محبه ونظير هذا الفرق ما وقع بين قول يحيى وعيسى عليهما السلام حيث قال فى الاول وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقال الثانى والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ولا شك ان السلام الاول فى هذا المحل افضل لانه شهادة من الله تعالى على سلامته فى جميع حالاته بخلاف الثانى فانه يخبر به عن حال نفسه وان كان صادقا فى مقاله ولا يتصور تخلف فى وقوعه ثم هذا لا ينافى كون عيسى افضل من يحيى لانه قد يوجد فى المفضول

مالا يوجد فى الفاضل مع انه قد يقال ان عيسى كان فى مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى
فى مقام القبض والفناء فكل لسانه فقام الحق عنه فى الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى فى الابتداء حيث
لم يهم بمعصية فى الاثناء ومن كان لله كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لى لسان
صدق) اى فى الآخرين كما فى نسخة اى ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجيء بعده الى يوم الدين فاستجيب له فما من امة
الا وهم محبون له ومثنون عليه ويتمنون ان ينتسبوا اليه ولا يبعد ان يقال المراد بالآخرين هذه الامة من السابقين
واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) اى فوق المنابر والمنابر مقرونا بذكر به بل مكتوبا على ساق
عرشه واشجار جنته وقصورها ونحور حورها (اعطى) اى الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال فى الحال
(بلا سؤال) واجيب دعوة الخليل عليه السلام فى الاستقبال (والخليل قال واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام) اى
بعدنى واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبنى واراد بنيه لصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب
عند ربه لظهور الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه (والحبيب
قيل له) اى من غير سؤال منه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) اى الذنب المدنس (اهل البيت) بالنصب على
المدح او النداء ولعل المراد باهل البيت من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من اولاده وذريته وازواجه هذا
والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة اهل بيت
الحبيب ونسبة اهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) اى من الخلاف فى تفسير الخلة والمحبة وما صدر من اهل المعرفة
(تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) اى للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما
فى الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة او المهملة كما فى النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) اى طريقته
التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال او على عادته وجبلته التى طبع عليها فى اوائل الاحوال كما قال الله تعالى
فاما من اعطى واتقى الآيتين (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى وبمن هو اخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من اراد
جعله مهيبا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا

(فصل)

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على غيره (بالشفاعة) اى العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود)
كالتفسير لما قبله (قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) اى يقيمك (مقاما محمودا) اى يحمده فيه الاولون
والآخرون (اخبرنا الشيخ ابو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجيانى) بفتح الجيم وتشديد
التحتية (فيما كتب) اى به كما فى نسخة (الى) اى مرسلا او واصلا الى (بخطه) اى اجازة فان القاضى لم يسمع منه
شيأ (ثنا) اى حدثنا (سراج بن عبد الله القاضى ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد) اى المروزى (وابو احمد) اى الجرجانى
(قالا) اى كلاهما (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) اى البخارى (ثنا اسمعيل بن ابان) بفتح
الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو ابو اسحق الوراق ازدى كوفى روى عنه احمد بن معين
والدارمى وابو حاتم وخلق وثقه احمد وجماعة وقال البخارى صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبى قلت هو
لا ينافى كونه صدوقا (ثنا ابو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين له اربعة آلاف حديث (عن آدم بن على) اى العجلى
(قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول) اى موقوفا لكنه لكونه مما لا يقال مثله من قبل الرأى يكون فى الحكم
مرفوعا (ان الناس يصيرون) اى يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم فمثلثة مقصورا منونا جمع جثوة بضم
جيمها وقد تكسر وحكى الفتح وهى ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء
جثاء اى اتربة مجموعة واما قول بعضهم جمع جاث وهو الذى يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لا يصح لان فاعلا
لا يجمع على فعل مخففا وفى نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الاخر اى جماعات واحدها جثوة وفى اخرى بتشديد المثلثة
جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث على انا اول من يجثو للخصومة بين يدى الله اى يصيرون فيه
جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها وهو الملائم لقوله (كل امة تتبع
نبيها يقولون) اى قائلين لانبيائهم باسمائهم (يا فلان اشفع لنا) اى لخصوصنا او لعمومنا (يا فلان اشفع لنا) اى
وهكذا واحد بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهى الشفاعة) اى العظمى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فذلك) اى الوقت (يوم) بالرفع وروى بالنصب اى فذلك الحال فى يوم (يبعثه الله المقام المحمود وعن ابى هريرة رضى الله
تعالى عنه) اى فيما رواه احمد والبيهقى (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله) اى يريد ابو هريرة
بضمير عنها آية هى قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سأل

(هى الشفاعة) اى المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا
الى المقام المحمود وتأنيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) اى كما رواه احمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتى على تل) اى مكان مرتفع (ويكسونى ربى حلة خضراء) لعله
اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لى) اى فى القول بعد ان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ما شاء الله ان اقول)
اى من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى ما ورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود
هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبى بانه قول غريب وانه ان صح يتأول
على انه يجلسه مع انبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبى وفيه انه تأويل بعيد
عن المقام غير سديد فى حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية فى مرتبة المزية
كقول موسى ان معى ربى وسيأتى ما يؤيد هذا التأويل فى مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما)
اى فى رواية (وذكر حديث الشفاعة) اى العظمى (قال فيمشى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى يأخذ
بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيومئذ) اى فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) بصيغة الفاعل
او المفعول اى وعده الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفى رواية فاستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه
فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعنى ما شاء الله ان يدعنى الى ان تلا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا
المقام المحمود الذى وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه
وسلم انه) اى المقام المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء
اى يتمناه (فيه الاولون والآخرون) وفى اصل الدلجى به وجعلها ظرفية او سببية (ونحوه عن كعب) اى كعب
الاحبار (والحسن) اى البصرى (وفى رواية هو المقام الذى اشفع فيه لامتى) اى اصالة ولغيرهم تبعا او جعل
الكل امة له لانه اخذ الميثاق منهم بانهم لو ادركوه لآمنوا به واتبعوه كما ورد لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى
(وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) على ما رواه احمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى لقائم
المقام المحمود) اللام المفتوحة للتأكيد فى خبران وتوهم الدلجى حيث قال اى والله انى لقائم ثم قال وهذا مرشد
الى جواز القسم فى الامر العظيم انتهى ولا خلاف فى جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة امر
الدنيا لحقارتها (قيل وما هو) وللدارمى عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روى بالنصب على انه ظرف
مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) اى يتجلى عليه كتجليه سبحانه
على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم جالس على الكرسى كما سبقت به الرواية ولا يبعد ان يكون ينزل بضم اوله
وكسر الزاى اى يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للمقام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذى اشار اليه
بقوله (الحديث) اى بطوله مع تتمة قوله فيئط اى يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به اى لعظمة تجليه عليه
وهو اى الكرسى يسع السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون اى قلفا غير مختونين لقوله
تعالى كما بدأكم تعودون فيكون اول من يكسى ابراهيم لانه اول من عرى فى ذات الله حين القى فى النار والظاهر
ان الاول هذا اضافى لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق ويكسونى ربى حلة خضراء مع انه لا بدع ان يكون فى
المفضول بعض ما لا يوجد فى الفاضل لا سيما وهو فى مقام البنوة وحالة التبعية فى مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا
خليلى فيؤتى بريطتين اى ملاءتين رفيعتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره بفتحتين وبكسر فسكون
اى على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة اخرى بعد ما سبقت له الكسوة الاولى ثم اقوم عن يمين الله اى يمين عرشه
او كرسيه او جانب بينه حال تجليه مقاما يغبطنى الاولون والآخرون اى يتمنون ان يعطوا مثل ما اعطى ولا ينالونه
ابدا (وعن ابى موسى) اى الاشعرى مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت)
بصيغة المجهول اى جعلت مخيرا وفى رواية المصابيح اتانى آت فخيرنى (بين ان يدخل نصف امتى الجنة) اى من غير حساب
وعذاب (وبين الشفاعة) اى فى هذا الباب (فاخترت الشفاعة) اى من اول الوهلة (لانها اعم) اى فى المنفعة
والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى مختصة بهذه الامة اما لادخال جماعة الجنة بغير محاسبة او لمن استحق
دخول النار فلا يدخلها او لمن دخلها فيخرج منها وفى الجملة الشفاعة ثابتة على ما اجمع عليه اهل السنة لقوله تعالى
يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا ولا عبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله
تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين واما تخصيصهم احاديث الشفاعة بزيادة الدرجات
فى الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

(أتروتها) بالاستفهام الانكارى بمعنى النفى وبضم التاء وفتح الرآء اى لاتظنون الشفاعة التى اخترتها (للمتقين) اى عن المعاصى خاصة (ولكنها) وفى نسخة لا ولكنها الشفاعة (للمذنبين الخطائين) وفى نسخة للمؤمنين اى الكاملين وفى اخرى للمنقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف ثم رواية ابن عرفة اترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الملوثين فالتلويث يناسب التنقية فى مقام المقابلة ثم رأيت الحلبى قال وهو كذا فى اصلنا السنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وقفه الملك المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش ن ق وعليها تصحيح مرتين والله تعالى اعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء اى المبالغين فى الخطأ اى بالتعمد او الكثرة او العظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه ابوداود والترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وفى نسخة الخاطئين وفى اخرى للخاطئين باعادة العامل تاكيدا (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى قال كما فى نسخة وقد رواه البيهقى عنه وكذا شيخه ابوعبدالله الحاكم وصححه (قلت يارسول الله ماذا ورد) من الورود اى نزل (عليك فى الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذى وصلته مابعده وفى نسخة صحيحة ماردّ بضم رآء وتشديد دال اى ماذا اجيب عليك فى مقام الشفاعة او فى اهلها وفى اخرى بصيغة الفاعل لله او الملك (فقال شفاعتى) اى ورد على شفاعتى او اجيب شفاعتى (لمن شهد ان لا اله الا الله) اى وان لم يكن من امتى وقيل التقدير وانى رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الآخر علما بانه لابد من الاتيان به فى صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما لكلمتى الشهادة (مخلصا) اى لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال اى يطابق ويوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول او بالرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك (وعن ام حبيبة) اى ام المؤمنين كما رواه البيهقى والحاكم (اريت) بضم الهمزة وكسر الرآء اى اظهر الله لى (ماتلقى) اى من النوائب والمتاعب (امتى) وفى اصل الدلجى من امتى اى بعضهم (من بعدى) متعلق بتلقى وفى نسخة بعدى اى بعد ذهابى الى ربى (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ماتلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ماتلقى اى وما سفك ويؤيده قوله (وسبق) اى وما سبق (لهم من الله ماسبق للامم قبلهم) اى من الابتلاء ببعض اللمم (فسالت الله ان يؤتينى) اى يعطينى (شفاعة) وفى نسخة يولينى شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة اى يجعلنى متوليا لشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) اى فى حقهم (ففعل) اى اعطاه ماسأل (وقال حذيفة) كما رواه البيهقى والنسائى وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس فى صعيد واحد) اى ارض مستوية لاترى فيها عوجا ولا امتا (حيث يسمعهم الداعى) اى صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجى لعله بعد الشفاعة لفصل القضاء ايها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ما سيأتى من بقية الحديث فى الكتاب (وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفى نسخة بضم الياء وكسر الفاء اى يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر بحيث لايخفى احد منهم من الاكابر والاصاغر لاستوآء الصعيد الباهر وعن ابى عبيد ينفذهم بصر الرحمن اى يأتى عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دآئما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيد لا ينافى دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام او ظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا فى قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن ابى حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة اى يبلغ اولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشئ وانفدته قال الحجازى وفيما قاله نظر اذ فى الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فنى ولعله من انفد فيضم اول مضارعه انتهى وقال النووى محصله خلاف فى فتح الياء وضمها وفى الذال والدال وفى الضمير فى ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال ابوعبيد وحمل الحديث على بصر المبصر اولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة فى ارض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون مايصير اليه هذا وقد روى ان صفوف اهل الجنة مائة وعشرون صفا منها ثمانون لامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب مابين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) اى لاثياب على بدنهم ولا نعال بارجلهم وفى رواية حفاة وزاد الشيخان فى روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الرآء جمع اغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) اى اول مرة (سكوتا) اى غير ناطقين (لاتكلم) بحذف احدى التائين اى لاتتكلم (نفس) اى بما ينفع او ينجى من جواب او شفاعة (الا باذنه) كقوله تعالى لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف واما قوله هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ففى موقف آخر او المأذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادى) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفى رواية بالضم على حذف حرف الندآء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) اى اجبت لك اجابة بعد اجابة (وسعديك) اى ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

(والخير فى يديك) اى بتصرفك وفى حيز ارادتك وقدرتك فى الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى (والشر ليس اليك) اى منسوبا وان كنت خالقه ادبا اولا يتقرب به اليك اصلا اولا يصعد اليك وانما يصعد اليك الخير قولا وعملا او ليس الشر بالنسبة الى حكمك وحكمتك فانك لاتحكم باطلا ولا تخلق عبثا والافن المعلوم عند اهل الحق من اهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها وحلوها ومرها من الله تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه ارادة (والمهتدى) اى فى الحقيقة وفى نسخة والمهدى (من هديت) اى بخلق الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) اى حاضر معتمد عليك (ولك) اى الحكم والقضاء (واليك) اى مرجع الخلق والامر فى الابتدآء والانتهاء (لاملجأ) بالهمز مقصورا (ولامنجى) بالقصر وقد يهمز للازدواج وقد يبدل همز الاول الفا للمشاكلة اى لامستند ولا معتمد ولا ملاذ ولا معاذ (منك) اى من قضائك (الا اليك) اى بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) اى تكاثر خيرك (وتعاليت) اى تعظم شأنك (سبحانك رب البيت) بالنصب على الندآء وجوز رفعه على الابتدآء اى انت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) اى حذيفة (فذلك) اى المجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذى ذكره الله) اى ذكره فى كتابه المشهور بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة) لعل تقديم اهل النار للاشعار بانهما مر الابرار والفجار اولان ذكر النعمة اوقع فى النفس بعد ذكر النقمة او ترهيبا فى اول الوهلة من اهوالها وترغيبا فى الجنة نظرا الى حسن مآلها (فتبقى آخر زمرة) اى جماعة (من الجنة) اى من زمر اهلها باقية فى النار (وآخر زمرة من النار) اى ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) اى من الكفار (لزمرة الجنة) اى الواقعة فى النار من الفجار (مانفعكم ايمانكم) اى المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة (فيدعون ربهم ويضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم اى ويصيحون لما يجزعون من شماتة الاعدآء فى فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولا العار (فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم) ولعل الحكمة فى سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (فكل) اى فكل واحد منهم (يعتذر) اى بما عوتب عليه وبما نسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) اى فيشفع فى حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) اى فى الجنة وهو لاينافى كونه المقام المحمود ايضا فى الموقف (ونحوه) اى مثل قول ابن عباس فيما رواه احمد والطيالسى (عن ابن مسعود ايضا ومجاهد) اى موقوفا او مقطوعا (وذكره) اى مثله او نحوه (على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب قيل لم ينجب من ولد السرارى الا ثلاثة على بن الحسين بن على بن ابى طالب وسالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مرسلا ورواه الحاكم عن اهل العلم عنه موصولا (وقال جابر بن عبدالله) اى كما رواه مسلم (ليزيد الفقير) هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وقد ضربت عائشة مثلا فى عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها موضع الركوب اى انتهكوا فيه اربع حرم حرمة الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه ابوحنيفة ومسعر وجماعة ثقة اخرج له الشيخان وغيرهما (سمعت) بفتح التاء اى أسمعت (بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه) اى من المقام المحمود (قال) اى يزيد (قلت نعم) اى سمعت اللفظ الذى افادنيه (قال) اى جابر (فانه مقام محمد) اى الخاص به (المحمود الذى يخرج الله به) اى بسببه (من يخرج) بضم ثم كسر اى من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين او خاصة هذه الامة والاول اظهر لما سبق فتدبر (يعنى من النار) اى يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) اى جابر (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) اى فوجا فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن انس رضى الله عنه نحوه) اى فى رواية الشيخين (وقال) اى انس (فهذا) اى الاخراج المذكور (المقام المحمود الذى وعده) اى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة بصيغة المجهول (وعن سلمان) اى الفارسى وهو سلمان الخير وسلمان بن الاسلام عاش ثلثمائة وفى اصل التلمسانى عن شيبان بدل عن سلمان قال وهو بشين معجمة وياء مثناة من اسفل وبعدها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوى انتهى والظاهر انه مصحف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة فى امته يوم القيامة) اى بالاصالة وفى غيرهم بالتبعية اولانه هو البادئ فى مقام الشفاعة ويتبعه الانبياء فى تلك الساعة (ومثله عن ابى هريرة رضى الله عنه) كما فى الصحيحين (وقال قتادة) تابعى مشهور (كان اهل العلم) اى من اكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون) بصيغة الفاعل من الرأى او بصيغة المفعول اى يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) اى لعامة الخلق

فى اراحتهم من عذاب الموقف (وعلى) اى وكانوا على (ان المقام المحمود) اى هو كما فى نسخة (مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة) اى العظمى فى الساعة الكبرى (مذاهب السلف) اى السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين) اى من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضى الله عنهم اجمعين (وبذلك) اى وبطبق ماذكر وعلى وفق ما سطر (جاءت الشفاعة (مفسرة) اى مبينة (فى صحيح الاخبار) اى مما كادت ان تتواتر عن الاخيار (عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة فى تفسيرها شاذة) اى منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مخالفة لنقل الثقات ضعيفة فى اصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لا تثبت) اى عند الاثبات لعدم الاثبات (اذ لم يعضدها) اى لم يقوها (صحيح اثر) من منقول (ولا سديد نظر) اى من معقول والنظر السديد والسداد ما كان موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) اى على فرض صحة بعض اسانيدها حيث لا يقاوم ما يعارضها (لكان لها تأويل غير مستنكر) اى معروف معتبر عند ارباب النظر جمعا بين الادلة كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قال يجلسه معه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسى وامثال ذلك مما ظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على ناقله او تأويله لحسن الظن بقائله وبعضهم اول ذلك بان يجلسه مع انبيائه وملائكته على ما حكاه الطبرى وقد قدمنا تأويلا آخر فتدبر (لكن ما فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال اى يرد ظاهر ما جاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول غيره اليه ولا ينعكس الامر عليه وفى نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال اى ترد عليه ويلائمه قوله (فلا يجب ان يلتفت اليه) اى بتأويل وقال وقيل لانه تضييع عمر فى توضيح امر (مع انه لم يأت) اى خلافه (فى كتاب ولا سنة) اى ثابتة حتى يحتاج الى تأويل ومعالجة (ولا اتفق) وفى نسخة ولا اتفقت (على المقال به امة) اى جماعة من المجتهدين وعلماء الدين حتى يحتاج الى تأويل يجمعه ارباب اليقين (وفى اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون اى وشناعة فى العبارة يأتى دفعها بالاشارة (وفى رواية انس وابى هريرة وغيرهما) على ما فى الصحيحين ونحوهما (دخل حديث بعضهم فى حديث بعض) اى فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) اى يوم يقوم الناس لرب العالمين (فيهتمون) بتشديد الميم اى فيحزنون حزنا شديدا الا انه لا يهتم احد الا لنفسه ولا يلتفت الى غيره ولو كان اقرب اهله ويقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم وذلك لما وجد فى حديث ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (او قال فيلهمون) اى الى طلب الشفاعة بالوسيلة الى احد من كبراء البرية (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) اى لكان حسنا ولربما يكون فيه نجاتنا او لو للتمنى ولا جواب له (ومن طريق آخر) اى لهذا الحديث باعتبار اسناده او راويه (عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم فى بعض) اى دخلوا فيما بينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض واشارة الى قوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج (وعن ابى هريرة) اى فى حديث الشيخين (فتدنو الشمس) اى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما فى رواية على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ او ميل المكحلة ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب امرها فى العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله (ما لا يطيقون) اى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) اى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون) اى بعضهم لبعض (الا تنظرون) اى الا تختارون (من يشفع لكم) اى الى ربكم فى ازاحة الموقف عنكم (فيأتون آدم) بدؤا بما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر بسببه (فيقولون) اى له جل مقصودهم من الشفاعة لمعبودهم (زاد بعضهم) اى فى بيان ما اجمل من القول (انت آدم ابو البشر) اى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) اى بقدرته من غير واسطة فى خلقته (ونفخ فيك من روحه) اى الخاص بتشريفه وكرامته (واسكنك جنته) اى واظهر عليك نعمته ورحمته (واسجد لك ملائكته) اى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك اسماء كل شئ) اى دليلا على ظهور سلطانك (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب الى موضع حكم به الرب من دار الثواب او دار العقاب (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا) اى عظيما لكونه عجيبا (لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى فلا يمكننى الشفاعة فيه لا سيما (ونهانى عن الشجرة) اى اكلها (فعصيت) اى بذوقها وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحلبى وفيها اقوال اخر وهى النخلة والتين والكافور ذكرها الحجازى (نفسى نفسى) اى اهم عندى من غيرى او الزم

نفسى او اخلص نفسى ولا اجترئ على غير مقامى (اذهبوا الى غيرى) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) اى خصوصا لانه اول اولى العزم من الرسل (فيقولون) اى فيأتون نوحا فيقولون (انت اول الرسل الى اهل الارض) اى من الكفار والفجار فلا ينافى ان آدم ايضا مرسل الى اولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولد شيث على ما عليه علماء الاخبار (وسماك الله عبدا شكورا) اى وصفك به حيث قال فى كتابه انه كان عبدا شكورا اى مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادى الشكور (الا ترى ما نحن فيه) اى من الغم والحزن (الا ترى ما بلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها اى وصلنا من الشدة (الا تشفع لنا الى ربك) اى ليكون خلاصنا بسببك (فيقول ان ربى غضب اليوم) اى اظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) اى لانقطاع تكليف من يؤاخذ بترك ما كلفه (نفسى نفسى) فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية انس ويذكر) اى نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة فى تلك الساعة (خطيئته التى اصاب) اى اصابها او ناب بها (سؤاله ربه) بيان او بدل مما قبله (بغير علم) حال من الضمير فى سؤاله ووجه العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابنى من اهلى حتى لا يقال انه ليس من اهلك عندى (وفى رواية ابى هريرة) اى زيادة فى قول نوح (وقد كانت لى دعوة) اى مستجابة فى حق العامة (دعوتها على قومى اذهبوا الى غيرى) اى من بعدى من اكابر اخوانى (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبى الله تعالى) اى ورسوله (وخليله من اهل الارض) اى فى زمانه (اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه) اى من الكرب (فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) اى مثل آدم او مثل نوح او مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات) اى فى صورة كذبات وهى انى سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها اختى لسارة (كذبهن) اى وليست كذبات وانما هى معاريض وتوريات حيث اراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى ان كانوا ينطقون وبقوله انى سقيم اى سأسقم لان من عاش يسقم او يهرم ويموت وبقوله اختى فى الاسلام الا ان الاولى لمراتب الانبياء تركها (نفسى نفسى لست لها) اى للشفاعة العظمى لكونى متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما ارهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة لمزيد الاستعانة اى الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة عند المولى (فانه كليم الله تعالى) ويقتضى انه ممن طال لسانه لا ممن كل بيانه (وفى رواية فانه عبد) وفى نسخة عبد الله (آتاه الله التوراة) اى وهى من اعظم الكتب الالهية واولها (وكلمه) اى تكليما (وقربه) اى تشريفا وتكريما (نجيا) اى مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) اى للمقال التى ظننتم انى مستعد لها (ويذكر خطيئته التى اصاب) اى اصابها ووقع فيها (وقتله النفس) اى وقتله القبطى وهو عطف تفسيرى بدليل رواية بعض رواة البخارى بدون عاطفة وقد عده خطيئة كما عده من عمل الشيطان فى الاية وسماه ظلما واستغفر ربه منه جريا على عادة الانبياء فى استعظامهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذ لم يكن هذا عن عمد بل وقع خطأ فى كافر حربى ظالم على مسلم سبطى قبل الاذن بقتله وقد ابعد الدلجى فى شرحه للخطيئة بعجلته الى ربه فانها فى نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما اعجلك عن قومك يا موسى فانه سؤال عن سببها تضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه انتهى ولا يخفى ان هذه جرأة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجى حيث اثبت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما اعجلك عن قومك يا موسى ليترتب عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى فكذا فى الجواب هنا قال هم اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى اى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة ابتغاء لمرضاتك فى المسارعة الى امتثال امرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله تعالى) اى ذو روح خاص من خلقه اجراه فيه بنفخ جبريل فى جيب درع امه فاحدثه فى بطنها بلا توسط مادة او اضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) اى حيث كان بكلمة كن او كان يكلم الناس فى المهد بطريق خرق العادة فكذا ينبغى ان يتكلم فى مقام الشفاعة وهول الساعة فى موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول لست لها) اى مجازا او مأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) اى بالنص فى كتابه واما غيره فمن ابهم فى جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فأوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم من اتى يأتى وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذى وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتونى كما فى رواية وهى بتشديد النون اى فيجيئونى ويطلبون الشفاعة منى (فاقول انا لها) اى كائن او معد او مختص او مدخر او مأذون

او مخلوق (فانطلق) اى الى جهة العرش او باب الجنة (فاستأذن على ربى) اى فى الطلوع الى الكرسى او فى الدخول
الى الجنة وفى مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به فى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب
(فيأذن لى) اى ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسر مكاشفة استار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) اى علمته بهذا
الحال من اوصاف الكمال (وقعت ساجدا) اى شكرا لما انعم على من الافضال هذا ولا بدع ان يكون المراد بالرؤية
رؤية الذات الجامعة بلوامع كمال الصفات فانه جائز فى الآخرة عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ومن
من سعادة الزيادة ثم الحكمة فى نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بحالة
السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة كمن يتحرى بدعائه موقف الخدمة فانه
احق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء فى مسند احمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة
جمعة من جمع الدنيا وجاء فى بعض الاجزاء ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة
(وفى رواية فآتى) اى فأجيء (تحت العرش فاخر ساجدا وفى رواية) اى بدل فآتى تحت العرش (فاقوم بين يديه)
اى يدى العرش او بين يدى ربه يعنى فى مقام العبودية والخلوص عن الملاحظة الغيرية (فاحمده بمحامد لا اقدر
عليها) اى الآن كما فى نسخة يعنى لا اعرفها فى الدنيا ولا اقدر على ان اعبر عنها لرواية ويلهمنى محامد احمده بها
لا تحضرنى الآن (الا انه) اى لكنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) اى فى ذلك المقام لتكميل المرام وفى نسخة
الآن يلهمنيها وفى اخرى ان يلهمنيه الله وفى نسخة بمحامد لا اقدر عليه قال النووى هكذا هو فى الاصول يعنى
فى اصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير فى عليه الى الحمد (وفى رواية فيفتح الله على بمحامد) وفى نسخة من محامده
(وحسن الثناء عليه) عطف تفسيرى على ما قاله الدلجى والاظهر هو التأسيس بالمغايرة فان الثناء اعم من الحمد
كما لا يخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيأ) اى عظيما (لم يفتحه على احد قبلى) اى ولا بعدى من باب الاكتفاء
او بالبرهان الاولى او المعنى قبل وقتى هذا (قال فى رواية ابى هريرة رضى الله عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك) اى رفع
الله قدرك (سل) اى لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع)
اى فى حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة اى تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فاقول يارب امتى يارب امتى)
اى اسألك عفوهم اولا وعفو غيرهم آخرا او لوحظ فى الامة معنى التغليب للاشرفية او كان جميع الامة فى تلك الحالة
كامته لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتأكيد او امتى حقيقة امتى مجازا وهذا كله اذا اريد به
المقام المحمود من الشفاعة الكبرى كما هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) اى الله سبحانه وتعالى
او ملك بامره وفى نسخة فيقال (ادخل من امتك) اى من اهل الاجابة (من لا حساب عليه) اى لا مؤاخذة ولا عتاب
اما عدلا واما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) اى الابرك او الاقرب بكونه يمينا فان ابواب الجنة من جهة
اليمين لا شك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) اى ان
اختاروا دخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك
الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية ابواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم
ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال
فهذه سبعة ابواب جاءت فى الاحاديث ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لا حساب عليه والله تعالى
اعلم (ولم يذكر) اى النبى صلى الله عليه وسلم (فى رواية انس رضى الله تعالى عنه) اى عنه (هذا الفصل) اى من
الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية ابى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك الى قوله فيما سواه من الابواب
(وقال) اى فى رواية ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) اى بدل ما سبق (ثم اخر) بفتح همز وكسر خاء معجمة
فتشديد راء اى اسقط (ساجدا) اى لله متوسلا به لانه اقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) اى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) اى جميع مرامك (فاقول يارب امتى امتى
فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) اى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء اى حنطة (او شعيرة) شك
من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) اى من ثمراته من اعمال القلب كشفقة على مسكين او خوف من الله تعالى
او نية صادقة او نحو ذلك والله تعالى اعلم لان نفس الايمان لا يتجزأ ويدل عليه ما جاء فى رواية اخرى وكان فى قلبه
من الخير ما يزن كذا (فاخرجه) اى من النار او من موقف العار (فانطلق) اى فاذهب (فافعل) اى ما امرت به
من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة
او شعيرة لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا قال ومن اهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب الف سنة

واقصاه فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من يخرج من النار على ما ورد فى الاخبار (ثم ارجع
الى ربى) اى مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) اى مثل ما تقدم او مثل ذكر الراوى الاول
وهو قوله ثم اخر ساجدا الخ (وقال فيه) اى فى هذا الحديث من رواية مسلم (مثقال حبة من خردل) اى من ايمان
والخردل بالدال ويقال بالذال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفى نسخة قال فافعل (ثم ارجع) اى الى ربى
كما فى نسخة صحيحة (وذكر مثل ما تقدم وقال) وفى نسخة ثم قال (فيه) اى فى الحديث من رواية مسلم (من كان فى قلبه
ادنى ادنى ادنى) ثلاث مرات كذا فى اصول مسلم على ما ذكره النووى (من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل
للقلة لان الايمان والمعرفة عرض لا يوزن بالكمية وانما يختلف باعتبار الكيفية (فافعل) وفى نسخة قال فافعل
اى فى المرة الثالثة ما امرت به من الاخراج (وذكر فى المرة الرابعة) اى من رواية البخارى (فيقال لى ارفع رأسك
وقل تسمع) كما فى نسخة اى يجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفى نسخة واسأل (تعطه فاقول
يارب ائذن لى فيمن) اى فى شفاعة من (قال لا اله الا الله) اى فى اخراج من اكتفى بالتوحيد المقرون باقرار النبوة
من النار وادخاله فى دار الابرار وفى هذا اشعار بان ما سبق من تقدير مثقال حبة ونحوها من الايمان ثمرته المعبر
عنها بالايقان او العمل بالاركان لا مجرد الايمان الذى هو التصديق القلبى والاعتراف اللسانى فكانه اراد بمن
قال لا اله الا الله من لم يصدر عنه عبادة سواه (قال ليس ذلك) اى الامر بالشفاعة فى حقه راجعا (اليك)
ولعل وجهه انه لم يصدر عنه ما يوجب المتابعة الباعثة على الشفاعة وانما وقع منه مجرد اطاعة الامر
الالهى بالتوحيد الربانى وقبول ارسال النبى الصمدانى هذا ولما كان النفى موهما ان لا شفاعة
لهم اصلا ولا خلاص لهم فضلا وانما يجب عذابهم عدلا كما توهم المعتزلة فى هذه المسألة فصلا استدرك سبحانه
واكده بالقسم وعظم شانه بقوله (ولكن وعزتى وكبريائى) اى ارتفاع مقامى (وعظمتى وجبريائى) بكسر
الجيم والراء ممدودا قيل اتى به كذا اتباعا والصحيح انه لغة فى الجبروت اى وجبروتى المشعر بالجبر والقهر المشير الى انى
لا ابالى (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) اى ولو مرة من غير تكرار واكثار يعنى من شهد انه لا معبود موجود
قادر على كل شئ سواه وبه خص عموم حديث البخارى اسعد الناس بشفاعتى من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه
اى وعمل عملا صالحا لربه ويؤيده حديث الشيخين ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها
قوما لم يعملوا خيرا قط اى غير لا اله الا الله (ومن رواية قتادة عنه) اى عن انس رضى الله تعالى عنه (قال) اى النبى
عليه الصلاة والسلام (فلا ادرى فى الثالثة او الرابعة) اعتراض بين قال ومقوله افاد صدور شك اما من انس او من
قتادة فى ايتهما قال (فاقول يارب ما بقى فى النار الا من حبسه القرآن) اى منعه ترك الايمان بما نزل به القرآن وقوله
(اى من وجب عليه الخلود) حاصل المعنى وخلاصة المبنى وهذا تفسير قتادة قيل ومعناه من اخبر القرآن انه مخلد
فى النار وهم الكفار (وعن ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنه برواية احمد وابن حبان (وعقبة بن عامر)
اى برواية ابن ابى حاتم وابن مردويه (وابى سعيد) اى برواية الترمذى (وحذيفة) اى برواية ابى داود فى البعث (مثله)
اى مثل حديث انس (قال فياتون محمدا فيؤذن له) اى فى الشفاعة (وتأتى الامانة والرحم فتقومان) بالتأنيث
تغليبا (جنبتى الصراط) بفتح النون ويسكن اى جانبيه وناحيتيه وطرفيه يمنة ويسرة والمعنى انهما يعدلان او يجسمان
فيشهدان للامين والواصل وعلى الخائن والقاطع وقال بعضهم ويجوز ان تحمل الامانة على الامانة العظمى
المؤذن بها آية انا عرضنا الامانة والرحم على صلتها الكبرى المشير اليها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الى قوله
تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فيدخل فى الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
فكانهما اكتنفتا جنبتى الصراط المستقيم والدين القويم هذا وقد جاء ان الصراط صعوده الف سنة واستواؤه الف
سنة وهبوطه الف سنة وفى مسلم عن ابى سعيد بلغنا انه احد من السيف وادق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا
عنه عليه الصلاة والسلام واما قول الحلبى فان قيل الصراط مم هو فالجواب انه شعرة من جفون عين مالك فغير
منقول المبنى ولا معقول المعنى فلا يجزم بهذا الجواب بل يقال فى مثل هذا لا ادرى لانه نصف العلم والله تعالى اعلم
بالصواب (فذكر) وفى نسخة وذكر بالواو (فى رواية ابن مالك) كما اخرجه ابو داود فى البعث (عن حذيفة فياتون محمدا
فيشفع فيضرب الصراط) بصيغة المجهول اى فيوضع على متن جهنم جسرا ممدودا ففى حديث الحاكم على شرط مسلم
ورواه غيره ايضا يوضع الصراط مثل حد الموسى (فيمرون) اى عليه كما فى نسخة وجاء فى رواية فيتهافت اهل النار فيها
وينجو اهل الجنة منها كما قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (اولهم كالبرق) اى الخاطف كما فى رواية
(ثم كالريح والطير) اى وكالطير (وشد الرجال) بالجيم اى عدوهم وجريهم وقد خطئ من رواه بالمهملة وهو الرفيع

وجعله جمع رحل وهى رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير
مجاز الكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروى الرحال
بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد اغرب بعضهم فى قوله ان المرور للصراط بهم (ونبيكم) بالرفع يعنى نفسه
على طريقة التجريد (على الصراط) اى مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير اى بالنسبة الى كل احد من
دعوة التعز برويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام
(آخرهم جوازا) بفتح الجيم اى مرورا على الصراط ولو روى بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفى رواية
ابى هريرة رضى الله عنه فاكون اول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاى اى من يمضى عليه ويقطعه وفى نسخة
يجوز وهما لغتان يقال جاز واجاز بمعنى كما ذكره النووى وزاد فى نسخة صحيحة يومئذ (وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما) اى كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام يوضع) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) اى على قدر
مراتبهم (يجلسون عليها ويبقى منبرى لا اجلس عليه قائما) اى تاركا جلوسى حال قيامى (بين يدى ربى منتصبا) اى على
هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم
فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) اى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) اى لتقصيره
فى متابعتى (ولا ازال اشفع حتى اعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسى
معرب اى كتبا (برجال) اى باشخاص كتب فيها اسماؤهم (قد امر بهم الى النار) اى اولا فيقع خلاصهم
بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يا محمد ما تركت لغضب
ربك فى امتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها كلمة اى عقوبة وفى نسخة بقية اى من نفس باقية
(ومن طريق زياد) اى ابن عبد الله (النميرى) بضم النون وفتح الميم بصرى اختلف فى توثيقه وتضعيفه (عن انس)
كما رواه البيهقى وابو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انا اول من تنفلق) بالفاء بعد النون اى تنشق
وتنفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين اى عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى اى شاقهما للانبات
والمعنى انه اول من ينشق عنه القبر فى البعث (ولا فخر) اى ولا اقول فخرا بل التحدث شكرا او امتثل امرا (وانا سيد
الناس يوم القيامة ولا فخر ومعى لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من يفتح له الجنة) اى بابها (ولا فخر) اى فيه وفيما قبله
ايضا (فآتى) الفاء تفصيلية اى فاجىء (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما فى رواية (فيقال
من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى) اى بتجلى الصفات العلى (فاخر له ساجدا) اى استعطافا له على
مراده وطلبا منه لمرضاته على عباده (وذكر نحو ما تقدم) اى من رواية ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن رواية
انيس) تصغير انس وفى نسخة من رواية انس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب
ولم ينسبه ولم يروعنه غيره حديثه كذا فى الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوى (سمعت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) وقد رواه احمد بسند حسن عن بريدة انى
لاشفع الخ والمعنى لعددهو اكثر مما فى الارض جميعها من حجر وشجر والقصد الكثرة او المراد بهما نوع من الحجر
والشجر قد برو قد ابعد الدلجى حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الناميات والجمادات
مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منهما (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفى نسخة
صحيحة من اختلاف الفاظ هذه الآثار اى الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى للخلق (ومقامه المحمود) اى بين يدى الحق (من اول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء
(الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفى نسخة بالتنوين اى من وقت فيه
يجتمع الناس (للحشر) وهذا الجار والمجرور خبر ان او ما قبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه
المحمود فيه ومن ابتدائية اى فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا كما يشير اليه قوله
(وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد احد منهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول
فيرتفع الى الحنجرة وهى رأس الغلصمة حيث تراه نا تنافيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن
ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال (ويبلغ منهم) اى يؤثر فيهم (العرق) اى عرق الخجالة (والشمس) اى حرارتها
مع دنوها (والوقوف) اى تعب القيام على ارجلهم (مبلغه) اى نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) اى وجميع
ما ذكر من انواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) اى الذى يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف) بالراء اى لتخليصهم من تعبه وبالزاى اى لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط)

اى

اى على ظهر جهنم كما ورد (ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث عن ابى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما) اى كما سبق
(وهذا الحديث اتقن) بالتاء الفوقية والقاف اى احكم وبالقبول احق ولو روى بالياء التحتية لجاز ومعناه اثبت
(فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة) اى اولا (كما تقدم فى الحديث) اى السابق (ثم يشفع فيمن
وجب عليه العذاب) اى استحق العقاب لارتكاب المعاصى من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون
السين وفتحها ونصبه على المصدر اى وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) اى بالدلالات الصريحة (ثم فيمن
قال لا اله الا الله) اى وعمل عملا ما بمقتضاه (وليس هذا) اى قبول شفاعته لمن قال لا اله الا الله (لسواه صلى الله تعالى
عليه وسلم) اى من بين الشفعاء (وفى الحديث المنتشر) اى المشتهر (الصحيح) اى الوارد فى الصحيحين (لكل نبى دعوة)
اى عامة (يدعو بها) اى لامته او عليهم وقد دعا بها كل منهم فى الدنيا كما وقع لنوح وصالح وهود وموسى عليهم
السلام (واختبأت) وفى رواية ادخرت (دعوتى شفاعة لامتى يوم القيامة) اى لاجل النفع العام فى اهم المقام
(قال اهل العلم) اى بعضهم (معناه) اى معنى حديث لكل نبى دعوة لكل منهم (دعوة اعلم) بصيغة المجهول اى اعلم
(انها) اى تلك الدعوة (تستجاب لهم) اتى بضمير الجمع نظرا الى معنى كل وافرد فى اعلم باعتبار لفظه وفى رواية اعلموا
بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول اى يوصل (فيها مرغوبهم) ويحصل مطلوبهم (والا)
اى وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ما هنالك (فكم) اى فكثيرا (لكل نبى منهم من دعوة مستجابة) اى استجيبت لهم
فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) اى من اصناف الدعوة (ما لا يعد) اى ما لا يحصى (لكن حالهم) اى
فى باقى دعواتهم (عند الدعاء بها) اى بالدعوة التى لم يعلموا باستجابتها (بين الرجاء والخوف) وهو لا ينافى غلبة رجاء
المراد على خوف فوته فى بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا اى جعلت مضمونة (اجابة دعوة) اى
واحدة (فيما شاؤه) اى ارادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال
محمد بن زياد) اى الجمحى البصرى يروى عن ابى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة
والحمادان وآخرون ثقة (وابو صالح) اى السمان الزيات الكوفى هو من الائمة الثقات روى عن عائشة وابى
هريرة وغيرهما وعنه بنوه وخلق سمع منه الاعمش الف حديث توفى بالمدينة واسمه ذكوان بالذال المعجمة (عن ابى
هريرة رضى الله عنه فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعا بها) اى استعجل بها (فى امته) اى فى هلاكهم او نجاتهم
(فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتى) بهمز ويبدل وفى نسخة صحيحة ادخر بالدال المشددة اى اجعلها ذخيرة لوقت
الشدة (شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية ابى صالح عن ابى هريرة) كما فى الصحيحين (لكل نبى دعوة مستجابة)
اى فى حق عامة امته (فتعجل كل نبى دعوته) اى طلب حصولها فى الدنيا وانى ادخرت شفاعتى لامتى فى العقبى
اى فان نفعها اعم وابقى زاد مسلم فهى نائلة اى واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيأ (ونحوه
فى رواية ابى زرعة عن ابى هريرة) وابو زرعة هذا هو عارم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى روى عن
جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين وثقه ابن معين وغيره (وعن انس مثل رواية ابن زياد عن ابى هريرة فتكون
هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) اى فى حق العامة (والا فقد اخبر صلى الله تعالى عليه وسلم
انه سأل) اى ربه (لامته) اى لبعضهم او لكلهم (اشياء من امور الدين والدنيا اعطى بعضها ومنع بعضها) اى من
حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) اى لعامة الامة التى هى مضمونة الاجابة (ليوم القيامة)
وفى نسخة صحيحة ليوم الفاقة اى لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) اى وغاية انواع المحنة ونهاية اصناف الشدة
(وعظيم السؤل) بسكون الهمز ويبدل هو الامنية (والرغبة) عطف تفسيرى (جزاه الله) اى عنا (احسن ما جزى)
اى الله تعالى (نبيا عن امته) اى ورسولا عن دعوته (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) اى سلاما كثيرا يترتب عليه
مراما كبيرا هذا وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربى لامتى ثلاثا فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة
سألته ان لا يهلك امتى بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يهلك امتى بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم
فمنعنيها وفى مسلم استأذنت ربى فى ان استغفر لها يعنى أمه فلم يؤذن لى واستأذنت فى ان ازور قبرها فاذن لى والله
سبحانه وتعالى اعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن ياليتنى كنت هنادا يعنى
لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة فنسأل الله تعالى العافية

(فصل)

(فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة بالوسيلة) وهى منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) اى العالية التى
ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفى الحديث اعطيت الكوثر وهو نهر

في الجنة يعني ويصب منه في حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) اي الصفة الزائدة التي عجز عن بيانها الواصفون
مما لاعين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يراد بها انواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص
(حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) سبق (بقرائتي عليهما
قالا ثنا) اي حدثنا (ابو علي الغساني) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمري) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد
البر (ثنا ابن عبد المؤمن) اي عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر
(ثنا ابو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) اي المرادي ابو الحارث المصري وكان احد الائمة
الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمي بصري ضعيف وكان قاضي مصر (وحيوة)
بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصري الحمصي كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخاري وغيره
(وسعيد ابن ابي ايوب) اي المصري ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما
صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم
الجيم وفتح الموحدة مصري فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء
والصواب الاول (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى من
سنن ابي داود وقد اخرجه ابو داود في الصلاة واخرجه مسلم ايضا فيها بالسند الذي اخرجه ابو داود سواء الا انه قال عن
ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن ايوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به واخرجه الترمذي في المناقب وقال
صحيح والنسائي في الصلاة وفي اليوم والليلة وانما اخرجه المصنف من عند ابي داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع
في الروايات ولان بينه وبين ابي داود في هذا الحديث خمسة اشخاص بالسماع ولو روى بالاجازة عن ابي علي الغساني
كان بينه وبينه اربعة وليس كذلك مسلم فمسلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة
في شيخه انتهى وحاصله انه انما اسنده الى ابي داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) اي صوته وفي نسخة
يؤذن اي حال كونه يؤذن لو حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اي من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث
مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع
واجب على من سمع حيث لا مانع او مندوب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عن الجمهور ندبه
واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقط والاصح يندب اجابة
قال الحلبي صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) اي الشأن (من صلى على
اصل الدلجي فقال اي مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) اي بها كما في اصل
غير موجود في الاصول والمعنى رحمه وضعف اجره (عشرا) اي باعتبار ا
بالحسنة فله عشر امثالها (ثم اسألوا) وفي نسخة ثم سلوا (الله لي الوسيلة فا
وفي نسخة لا ينبغي اي لا تحصل او لا تليق (الا لعبد) اي كامل (من عباد
اكون انا هو) ثم جوز ان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبرا كون وان
اياه او موضع اسم اشارة اي انا ذلك العبد واتى بلفظ الرجاء تأدبا واعلاما الى
اي هذه الدرجة وفي معناه كل ما يتوسل به الى زيادة الزلفة (حلت) بتش
اي وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفي ا
ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظ
مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لا يتصور فيها الانتهاء
هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله
الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي) اي فاجأني وظ
القاء اي جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهي بيت
مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا اظنه انه رواية في هذا الباب
اللؤلؤ والدر فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ما هذ
الله تعالى) اي خاصة (قال) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم
نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التانيث اي من طينه (فاستخرج مسكا) اي شيأ هو مسك او كمسك و
غالب العادة في كون مقر الماء طينا او بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) اي مثل حديث

انس

انس قبله (قال) اي في حديثهما (ومجراه) اي جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت)
اي ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم (وماؤه احلى) اي اكثر حلاوة واشد لذاذة (من
العسل وابيض) وفي رواية واشد بياضا (من الثلج) وفي رواية ابيض من اللبن قال الدلجي ولا يلزم من كونه احلى من
العسل الاستغناء به عن انهار العسل المصفى في الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفي كونها للشرب يحتاج
الى بيان حجة في تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال
التقدير وماؤه احلى من العسل الموجود في الجنة باعتبار كمال اللذة (وفي رواية عنه) اي عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم (فاذا هو) اي ماؤه (يجري) اي على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفي نسخة بصيغة
المفعول (شقا) اي لم يمل الى شق من احد طرفيه بل يجري جريانا مستويا كما اراده سبحانه او عناه صاحبه
من اهل الجنة (عليه) اي على النهر (حوض) اي عظيم (ترد عليه) وفي نسخة صحيحة ترده (امتي) اي ضيافة في الجنة
او يوم القيامة والثاني اظهر لقوله (وذكر) اي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر
مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه
اذ النهر في الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فاقول
انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي (ونحوه) اي ونحو ما ذكر عن المذكور بن
مروي (عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا) كما في البخاري (قال الكوثر الخير الذي اعطاه اياه) اي ومنه الحوض
وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما في بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله) اي لانه مقصور على النهر او الحوض بل الكوثر اتم واعم والله تعالى اعلم
(وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) اي راويا عنه (واعطاني الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا
على انه بدل او بتقدير اعني او على المدح ووقع في اصل الدلجي مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه
اي هو بشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة (يسيل) اي ينصب (في حوضي) اي يوم القيامة او في الجنة
(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن ابي حاتم بسند صحيح (في قوله) اي في تفسير قوله تعالى
(ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) اي ابن عباس (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) اي وفي كل قصر او فيها
ذكر من القصور وقد اخطأ التلمساني بقوله صوابه فيه (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام اي ما يصلح القصور
الحور وانواع الحبور (وفي رواية اخرى) اي مبينة للاولى
ج) اي نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهن
م) اي من غلمان كانهم لؤلؤ مكنون والله تعالى اعلم
عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
احد من امتي ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت
ى فالذي تسمعين فيه من خرير الكوثر ونقله السهيلي

ـل) *

ح الاثر) وفي نسخة الاثار ووقع في اصل الدلجي الاخبار
كرم البشر) يعني والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وافضل
يه عن التفضيل) اي بين الانبياء (كقوله ما ينبغي لاحد ان
كسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودي) بضم الجيم
ب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفي نسخة محمد بن مثنى بضم ميم
ر وقد تقدم (ثنا شعبة) اي ابن الحجاج (عن قتادة سمعت
ه قتادة وا ما زياد بن فيروز فروى عنه ايوب السختياني
نا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني) اي يريد به
لم) قال الحلبي وهذا الحديث في البخاري ومسلم وابي داود
من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا
الحلم ثم رجع انا قال لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذي

عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَ
نُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ
وَرْدَةً كَالدِّهَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ
لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

وجان

في الجنة يعني ويصب منه في حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) اى الصفة الزائدة التي عجز عن بيانها الواصفون
مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يراد بها انواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص
(حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم (والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد) سبق (بقراءتي عليهما
قالا ثنا) اى حدثنا (ابو علي الغساني) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمري) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد
البر (ثنا ابن عبد المؤمن) اى عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي (ثنا ابو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر
(ثنا ابو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) اى المرادي ابو الحارث المصري وكان احد الائمة
الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمي بصري ضعيف وكان قاضي مصر (وحيوة)
بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصري الحمصي كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخاري وغيره
(وسعيد ابن ابي ايوب) اى المصري ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما
صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم
الجيم وفتح الموحدة مصري فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء
والصواب الاول (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث اخرجه القاضي كما ترى من
سنن ابي داود وقد اخرجه ابو داود في الصلاة واخرجه مسلم ايضا فيها بالسند الذي اخرجه ابو داود سواء الا انه قال عن
ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن ايوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به واخرجه الترمذي في المناقب وقال
صحيح والنسائي في الصلاة وفي اليوم والليلة وانما اخرجه المصنف من عند ابي داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع
في الروايات ولان بينه وبين ابي داود في هذا الحديث خمسة اشخاص بالسماع ولو روى بالاجازة عن ابي علي الغساني
كان بينه وبينه اربعة وليس كذلك مسلم فمسلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة
في شيخه انتهى وحاصله انه انما اسنده الى ابي داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) اى صوته وفي نسخة
يؤذن اى حال كونه يؤذن او حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث
مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع
واجب على من سمع حيث لا مانع او مندوب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عن الجمهور ندبه
واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن او الاول فقط والاصح ندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا علي)
قال الحلبي صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) اى الشأن (من صلى على
اصل الدلجي فقال اى مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) اى بها كما في اصل
غير موجود في الاصول والمعنى رحمه وضعف اجره (عشرا) اى باعتبار
بالحسنة فله عشر امثالها (ثم اسألوا) وفي نسخة ثم سلوا (الله لي الوسيلة فانها
وفي نسخة لا ينبغي اى لا تحصل او لا تليق (الا لعبد) اى كامل (من عبادا
اكون انا هو) ثم جوز ان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبرا كون وان يج
اياه او موضع اسم اشارة اى انا ذلك العبد واتى بلفظ الرجاء تأدبا وايماء الى ان
اى هذه الدرجة وفي معناه كل ما يتوسل به الى زيادة الزلفة (حلت) بتشد
اى وجبت وجوبا واقعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفي الح
ليفوز من الفاضل المدعو له مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظ
مع الايماء الى ان مراتب القرب الى الله تعالى لا يتصور فيها الانتهاء (
هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة وعن انس رضي الله ع
الله تعالى عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ عرض لي) اى فاجاءني وظهر
القاف اى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهي بيت
مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا اظنه انه رواية في هذا الباب
اللؤلؤ والدر وقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت يا جبريل ما هذا)
الله تعالى) اى خاصة (قال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ض
نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التانيث اى من طينه (فاستخرج مسكا
غالب العادة في كون مقر الماء طينا او بحسب الصورة (وعن عائشة

انس قبله (قال) اى في حديثهما (ومجراه) اى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت)
اى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم (وماؤه احلى) اى اكثر حلاوة واشد لذاذة (من
العسل وابيض) وفي رواية واشد بياضا (من الثلج) وفي رواية ابيض من اللبن قال الدلجي ولا يلزم من كونه احلى من
العسل الاستغناء به عن انهار العسل المصفى في الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفي كونها للشرب يحتاج
الى بيان حجة في تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع انه قد يقال
التقدير وماؤه احلى من العسل الموجود في الجنة باعتبار كمال اللذة (وفي رواية عنه) اى عن النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم (فاذا هو) اى ماؤه (يجري) اى على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفي نسخة بصيغة
المفعول (شقا) اى لم يمل الى شق من احد طرفيه بل يجري جريا مستويا كما اراده سبحانه او تمناه صاحبه
من اهل الجنة (عليه) اى على النهر (حوض) اى عظيم (ترد عليه) وفي نسخة صحيحة ترده (امتي) اى ضيافة في الجنة
او يوم القيامة والثاني اظهر لقوله (وذكر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر
مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه
اذ النهر في الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض اقوام اعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فاقول
انهم مني فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عن المذكورين
مروي (عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا) كما في البخاري (قال الكوثر الخير الذي اعطاه اياه) اى ومنه الحوض
وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما في بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله) اى لانه مقصور على النهر او الحوض بل الكوثر اتم واعم والله تعالى اعلم
(وعن حذيفة فيما ذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) اى راويا عنه (واعطاني الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا
على انه بدل او بتقدير اعني او على المدح ووقع في اصل الدلجي مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه
اى هو بشهادة رواية اعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة (يسيل) اى ينصب (في حوضي) اى يوم القيامة او في الجنة
(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن ابي حاتم بسند صحيح (في قوله) اى في تفسير قوله تعالى
(ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) اى ابن عباس (الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) اى وفي كل قصر او فيها
ذكر من القصور وقد اخطأ التلمساني بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام اى ما يصلح القصور
... الحور وانواع الحبور (وفي رواية اخرى) اى مبينة للاولى
ح) اى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهن
) اى من غلمان كانهم لؤلؤ مكنون والله تعالى اعلم
عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله
احد من امتي ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت
فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلي

ـل) *

الاثر) وفي نسخة الاثار ووقع في اصل الدلجي الاخبار
م البشر) يعني والبشر خير من الملائكة كما هو مقرر (وافضل
يه عن التفضيل) اى بين الانبياء (كقوله فيما احدثناه
كسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودي) بضم الجيم
الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفي نسخة محمد بن مثنى بضم ميم
وقد تقدم (ثنا شعبة) اى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت
قتادة واما زياد بن فيروز فروى عنه ايوب السختياني
ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعني) اى يريد به
قال الحلبي وهذا الحديث في البخاري ومسلم وابي داود
يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا
الكلام يرجع انا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذي

وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ
بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي
وَالْأَقْدَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي
يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ
يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ

حميم

بمثل كفر ابليس اذ قال انا خير منه وان كان نبيا فينبغى له التواضع لما اكرم به النبوة كذا قرره الدلجى والظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد انه لا يجوز لاحد من امتى ان يعظمنى وان يقول انا خير من يونس ابن متى تفضيلا لى عليه وهذا من كمال التواضع لديه قال التوربشتى وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى فى كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يأمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء امته ما يؤدى الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله له من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ما صدر منه كاخوانه من المرسلين انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين او ادنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت فى الظلمات لربما يتوهم متوهم ان معراج السموات اقرب الى الرب فيكون صاحبه افضل واحب فدفع بان الامكنة بالنسبة الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كان اعلى فى ظهور الشان (وفى غير هذا الطريق عن ابى هريرة قال يعنى) اى يريد ابو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغى لعبد الحديث) اى الخ كما تقدم (وفى حديث ابى هريرة) اى كما رواه الشيخان (فى اليهودى الذى قال) اى حين استب هو ورجل من الانصار (والذى اصطفى موسى على البشر) اى فى زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر (فلطمه رجل من الانصار) اى غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) اى أتقول هذا القول (والنبى بين اظهرنا) اى بيننا موجود وطالعنا بطلوعه مسعود (فبلغ ذلك) اى الخبر (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فدعا الانصارى فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم اوله وتشديد الضاد المكسورة اى لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء) يعنى بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى ثم ان النسخ والاصول بالضاد المعجمة واغرب الدلجى حيث قال ومعناه بالصاد المهملة اى لا تفرقوا بينهم بتفصيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام فى ثبوت المبنى مع ما فيه من معارضته لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فلا بد من اعتقاد التفضيل بالاجمال او التفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفى رواية) اى للشيخين ولابى داود والنسائى (لا تخيرونى) بضم التاء وكسر الياء المشددة اى لا تفضلونى (على موسى) قاله تواضعا او ردعا عن تفضيل يوجب تنقيصة او فتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية او كان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى اعلم (فذكر) اى الراوى (الحديث) اى بقيته وهى قوله قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق قبلى او كان فيمن استثنى الله تعالى وفى رواية فلا ادرى أجوزى بالصعقة ام لا وهى لغة ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل فى الموت كثيرا والمراد بها ههنا ما افاده وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من اشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحياء فيحتمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله فافاق فانه انما يقال افاق من الغشى وبعث من الموت وبه جزم التوربشتى حيث قال واما الصعقة فى الحديث فهى بعد البعث عند نفخة الفزع واما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه واختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) اى وفى هذا الحديث (ولا اقول ان احدا خير من يونس ابن متى وعن ابى هريرة رضى الله عنه) كما فى رواية البخارى (ومن قال انا خير من يونس ابن متى) اى من جميع الوجوه (فقد كذب) او قد يكون له خصوصية فى نوع من الفضيلة قال الدلجى ويجوز رجوع انا كما مر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم او الى كل قائل اى لا يقول ذلك احد وان بلغ فى العلم والعبادة او غيرهما من الفضائل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه يونس من درجة النبوة انتهى ولا يخفى ان انا فى الحديث السابق يحتمل الاحتمالين واما هنا فالاحتمال الى القائل بعيد عن موضع تحقيق وتأييد لان جزاءه حينئذ فقد كفر كما سبق فتدبر وايضا ما كان احد يتوهم منه انه يدعى كونه افضل من يونس حتى ينهى عنه وانما كان يتوهم بعضهم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم افضل منه فى امر النبوة والرسالة او فى علو المرتبة وفضيلة الدرجة فنهاهم اما اعلاما بتسويته نسبة النبوة والرسالة واما تواضعا لربه وهضما لنفسه واما قبل علمه بعلو مقامه (وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس ابن متى وفى حديثه) اى ابن مسعود (الآخر) اى الذى رواه مسلم وابو داود والترمذى (فجاءه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) اى الخلق من برأه الله

يبرأه برأ اى خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة فى الكثرة واصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم ابدلت الهمزة ياء وادغمت وهى قراءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبنى على عدم علمه بالقراءة (فقال ذاك) وفى نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه ابا ولانه امرنا باتباعه او قبل العلم بانه افضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق اى فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء فى هذه الاحاديث) اى الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تأويلات) اى وجوها اربعة او خمسة تقدم بيان بعضها فى حل لفظها (احدها) اى الوجه الاول منها (ان نهيه عن التفضيل) اى فيما بينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) اى الى سماع فى تفضيل الانبياء اذ لا دخل فيه لعقول العلماء (وان من فضل) اى احدا منهم على غيرهم (بلا علم) اى يقينى او ظنى يصلح للاستدلال (فقد كذب) اى فى ذلك المقال (وكذلك) اى أول (قوله لا اقول ان احدا افضل منه) اى من يونس (لا يقتضى تفضيله هو) اى يونس على اطلاقه وقد ابعد الدلجى فى قوله اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله فى عموم النكرة فى سياق النفى انتهى ووجه غرابته لا يخفى مع عدم ملاءمته للمدعى بحسب المعنى (وانما هو) اى قوله هذا (فى الظاهر كف) بتشديد الفاء اى منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذ من شأنه ان يكون منشأ للانتقاص او التجهيل (الوجه الثانى انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) اى مع اخوانه واقرانه اولا به فى عظمة شانه (ونفى التكبر والعجب) اى عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) اى الوجه من التأويل (لا يسلم من الاعتراض) اى فى صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافى منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انما يرد لو ثبت نفيه تواضعا بعد علمه بكونه افضل الانبياء او بتفصيل التفضيل بين الاصفياء واما قبل العلم فلا يرد اعتراض اصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لا مفضول الا وقد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل فليس احد منهم افضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقد ابعد التلمسانى حيث قال الاعتراض هو انه لا يظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكى وبعد كلامهما لا يخفى لانه كما قال الخطابى انما خص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره فى جملة اولى العزم من الرسل فكانه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلونى على يونس فلا تفضلونى على غيره من اولى العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى الى تنقص بعضهم) اى طلب نقصان فى المرتبة او ظهور منقصة فى المنقبة لبعضهم (او الغض) بغين وضاد مشددة معجمتين اى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجى وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هو كناية عن الاعراض (لا سيما) كلمة استثناء مركبة من سى بمعنى مثل ومن ما وهى اما موصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لا سيما اخوك اى لا مثل الذى هو اخوك واما زائدة فينجر ما بعدها بسى لانها كما فى اكرم القوم لا سيما اخيك اى لا مثل اخيك اكراما وقول امرئ القيس ولا سيما يوم بدارة جلجل ورد مرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذا كان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر) اى فى تنزيله بقوله ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وبقوله فالتقمه الحوت وهو مليم وبقوله اذ ابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لا يعلم) اى مقام قربه وانه تداركه نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع اى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) اى بسبب ما اخبر الله عنه (غضاضة) بفتح اوله مرفوعة على انها فاعل يقع اى نقص وحقارة (وانحطاط) اى تنزل (من رتبته) بضم الراء اى مرتبته (الرفيعة) اى العالية التى هى اصل النبوة والرسالة (اذ قال تعالى) بدل من قوله اذ اخبر الله تعالى (عنه) اى حكاية عن حاله ورواية عن ماله حيث قال فى موضع (اذ ذهب مغاضبا) اى فارق قومه وخرج عنهم حال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان وكان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذ ابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) اى المملوء فان اصل الاباق هو الهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه ههنا لهربه من قومه بغير اذن ربه (فظن ان لن نقدر عليه) اى ان لن نضيق عليه او لن نقضى عليه بالعقوبة وبنصره قراءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسى خلاصا الا بك قال وما هى يا معاوية فقرأ هذه الآية فقال او يظن نبى الله ان لا يقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لا من القدرة قال ابن عرفة اى من الارادة اى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته) اى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) اى بسبب ما ذكر ومن جهة ما اخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) اى نهيه

(فى حق النبوة والرسالة) اى باعتبار اصلهما وحقيقة ماهيتهما لا فى ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء (فان الانبياء فيهما على حد واحد) اى سواء غير متعدد (اذهى) اى مادة النبوة والرسالة (شئ واحد) وهو البعثة المجردة الحاصلة بالوحى فقط وتسمى النبوة او منضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهى فى حد ذاتها شئ واحد (لا تتفاضل) اى بالنسبة الى اصحابها فلا يقال مثلا نبوة آدم افضل من نبوة غيره منهم ونظيرهما حقيقة الايمان فانها شئ واحد بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على اخوانى المرسلين فانهم بعثوا كما بعثت (وانما التفاضل فى زيادة الاحوال) اى الناشئة عنها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) اى والخصوصيات فى مقامات ارباب الكمال (والكرامات) اى المعجزات وخوارق العادات (والرتب) اى ومراتب العبادات والمجاهدات (والالطاف) اى وانواع الملاطفة واصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة مع الامة كاختلاف مراتب اهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتائج الاحسان ولوائح العوارف ولوامع المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (واما النبوة فى نفسها) وكذا الايمان فى حد ذاته (فلا تتفاضل) اى لا تتفاوت فى حالاتها ولا تتزايد فى مقاماتها (وانما التفاضل بامور اخر) اى كما سبقت الاشارة اليها (زائدة عليها) اى على حقيقتها (ولذلك منهم رسل) اى بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة على نعت النبوة (ومنهم اولوا العزم) اى الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) اى بناء على ان من تبعيضية وهو المعتمد لا بيانية ثم هم مجموعون فى آيتين احداهما قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى تقديم منك اشعار باوليته وافضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقى ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعض افضل من بعض فى مقام كرمهم وجودهم وسيرتهم (ومنهم) اى وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا اى رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من اوتى الحكم) اى النبوة او الحكمة او فهم التوراة (صبيا) اى حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل اوتى النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ التوراة وهو صغير (واوتى) اى اعطى (بعضهم الزبور) وهو داود عليه السلام ووقع فى اصل التلمسانى ههنا الزبر بضمتين جمعا اى صحفا مزبورة اى مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) اى المعجزات الظاهرات او المبينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات اى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره فى المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا يحصى درجات كمالاته ولا يعد مراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء فى ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته وخصوصياته ولعله ابهم اعتمادا على ما افهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لا سيما فى مقام الختم المؤذن بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية) فالتفضيل ثابت مقطوع به فى الجملة بين ارباب النبوة وكذا بين اصحاب الرسالة لقوله (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) اى بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق جسمانية وعوائق شهوانية ونحوها فى الدنيا ومراتب جلية ودرجات علية وامثالها فى العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا) اى غير مقصور فى العقبى لانه غير موجود فى الاخرى (وذلك) اى سبب تفضيلهم فى الدنيا (بثلاثة احوال) اى يعرف بثلاثة اوصاف (ان تكون آياته) اى خوارق عاداته (ومعجزاته) اى المقرونة بالتحدى فهى اخص مما قبله (ابهر) اى اظهر (واشهر) ولا شك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهر واشهر ولو لم يكن الا القرآن لكفى دليلا للبرهان (او تكون امته ازكى) اى انقى (واكثر) اى ازيد من غيرهم كيفية وكمية اما الكيفية فقد قال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس واما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين مائة وعشرون وامتى منهم ثمانون وفى نسخة اظهر بالظاء المعجمة بدل اكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته فلعل معناه اغلب (او يكون) اى النبى المفضل (فى ذاته افضل واطهر) بالطاء المهملة اى انور وقد تصحف بالمعجمة على الدلجى وفسره باشهر ثم مما يدل على افضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية فى مراتب مخلوقاته وجعله اولا وآخرا فى مقامات كائناته وجعل نوره مشكاته محل فيوض انوار ذاته واسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) اى وفضل كل نبى (فى ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته) اى من اكرام الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) بالجر اى والى

اختصاص كل نبى بمقام علىّ وحال جلىّ (من كلام) اى كما وقع لموسى فى الطور ولنبينا فى مقام دنا بل ادنى فى معرض الظهور (او خلة) اى كما ثبت للخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب فى المرتبة المطلوبية والمجذوبية (او رؤية) اى بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تقدم او رؤية بصيرية وهى مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الافراد الانسانية (او ما شاء الله من الطافه) اى الخفية وهى بفتح الهمزة جمع لطف وهو بر دقيق (وتحف ولايته) اى العلية وهى بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) اى اياهم بالمراتب الجلية (وقد روى) كما فى تفسير ابن ابى حاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) اى المقرونة بالرسالة (اثقالا) اى تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما اشار اليه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (وان يونس) اى لعدم تحمله وغلبة ضجره فى مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادى اضرارهم (تفسخ منها) اى انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب اى كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء اى الفصيل وهو ولد الناقة يولد فى الربيع والمعنى ان يونس عليه السلام لم يستطع ان يحمل اعباء النبوة كما ان الربع لا يستطيع ان يحمل الاثقال الكبيرة (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بنهيه عن التفضيل بينهم (موضع الفتنة من اوهام) اى التى هى اوهام (من يسبق اليه) اى الى فهمه من وهمه والوهم هو الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) اى بسبب اثقالها من سآمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء اى طعن (فى نبوته) وفى نسخة بفتح حاء وراء وبجيم اى ضيق والظاهر انه تصحيف (او قدح) اى عيب (فى اصطفائه) اى بالرسالة او فى اجتبائه الثابت فى قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) اى وضع من رفعته (ووهن فى عصمته) اى ضعف فيها بتوهمه ذلك (شفقة) علة لحفظ اى راعى هذا المعنى المفاد من المبنى اى مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على امته) ورحمة على اهل ملته كيلا يقع احد فى وهدة غفلته وينزجر عن الاقدام على جرأته (وقد يتوجه على هذا الترتيب) اى على ما رتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعهد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو ان يكون انا) اى فى الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه) اى لا يظن) يعنى لا يتوهم (احد) اى من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) ان وصلية اى وان وصل من الفهم العالى وهو بالزاى فى خط المصنف وعند العرفى بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتأمل (والعصمة) اى من الافعال الردية (والطهارة) اى من الاخلاق الدنية (ما بلغ) اى من الغاية والنهاية فى مرتبة الولاية (انه خير من يونس لاجل ما حكاه الله تعالى عنه) اى من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادى قومه فى ترك الايمان بما جاء به (فان درجة النبوة افضل) يروى اعظم (واعلى) اى من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذ لا يتصور حصول الذنب عمدا من ارباب النبوة بخلاف اصحاب الولاية ولذا لما سئل جنيد أيزنى العارف أطرق مليا ثم قال وكان امر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لا يوجد فى النبى ما يكون سببا لسلب النبوة او الايمان والمعرفة بخلاف الولى فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من سوء الخاتمة نسأل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) اى المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء اى لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهى حبة الرشاد (ولا ادنى) اى اقل منها بقدر ذرة بل اقول انها كلها كانت اسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب فى الله والهجرة فى مرضاته الا ان بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب فى ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا) اى المبحث (بيانا) اى شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) اى اراد كونه جامعا مانعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء اى المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) اى المردود (وبالله التوفيق) اى على طاعة المعبود (وهو المستعان) اى فى كل مورود (لا اله الا هو) اى الواجب الوجود وصاحب الكرم والجود

(فصـــــل)

(فى اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) اى المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربى المالكى فى الاحوذى شرح الترمذى حكى عن بعضهم ان لله الف اسم وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم الف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبى وقد رأيت مجلدين فى القاهرة مصنفا يقال له المستوفى فى اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلاثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطى

اختصره في كراريس وسماها بالبهجة البهية في الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هي الفان وعشرون وفي الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف (حدثنا ابو عمران) بكسر اوله (موسى ابن ابي تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن ابي الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجي وفي آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفي بقرطبة سنة اربعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) اى راوى الموطأ (ثنا مالك) اى الامام (عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه) قال التلمساني لم يثبت في رواية يحيى هكذا وانما ارسله ابن شهاب عن محمد بن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك في الموطأ ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبي وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسماعيل ابن ابي اويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وابو مصعب ومحمد بن المبارك الهروى ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبي عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن ابي وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابيه يعني جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل صحابي اسلم بعد الحديبية قال الحلبي هذا الحديث اخرجه القاضي من الموطأ كما ترى وهو في البخاري ومسلم وابي داود والنسائي وانما لم يخرجه من عند البخاري مثلا فانه بين القاضي وبين مالك في هذا الحديث ستة اشخاص ولو اخرجه من طريق البخاري كان بينه وبين مالك في بعض الطرق ثمانية اشخاص فاجتمع له في رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخاري وكذا يجتمع اذا اخرجه من بقية الكتب والله تعالى اعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لي خمسة اسماء) اى عظيمة او شهيرة (انا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية سمى به رجاء ان يحمده الاولون والآخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك في الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله احد باسمه صيانة من الله تعالى لاسمه اذ قد سماه به في كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك وربما انتشرت دواعي النبوة ووقعت الشبهة وقامت الفتنة لكن لما قرب زمنه وبشر بقرب به اهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع احد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولي العصمة (وانا احمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل او المفعول كما سيأتي بيانه من المنقول (وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) اى الكفر العام او غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس له به وقال التلمساني روى الكفر ومعناه يذهب اصله والتشرع به حتى لا يكون معتقدا ومذهبا وروى الكفرة جمع كافر فالتقدير دين الكفرة او نفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وانا الحاشر) اى الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمي) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد اى على سابقتي كذا قيل وبتشديدها مع فتح الميم على التثنية قال النووي كذا اضبطوه بالوجهين اى على اثري وبعد ظهوري وقيامي من قبري بدليل حديث انا اول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوي في شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وانا العاقب) اى الآتي عقب الانبياء ليس بعدي نبي في الصحاح العاقب بمعنى آخر الانبياء وكل من خلف بعد شيء فهو عاقبه وبالجمع بينهما اشار الى حديث نحن الاولون الآخرون وقيل معنى على قدمي على اثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي بشهادة رواية وانا الحاشر الذي يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وانا العاقب كالتأكيد لما قبله (وقد سماه الله في كتابه محمدا) اى بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (واحمد) اى بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد (فمن خصائصه تعالى له) مصدر مضاف الى فاعله اى فمن ما خصه الله سبحانه وتعالى به (ان ضمن) بتشديد الميم اى تضمين الله سبحانه (اسماءه) اى من نحو احمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) اى ما يثني به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع في اصل الدلجي اى فادخل (اثناء ذكره) اى خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدي الى صراط مستقيم (فاما اسمه احمد فافعل) اى للتفضيل (مبالغة) اى لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والافافعل ليس من صيغ المبالغة كالحماد لكن في المعنى ابلغ منه (من صفة الحمد) اى مأخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) اى للمبالغة (من كثرة الحمد) اى المحمودية المستفادة من مصدره الذي هو التحميد الموضوع باعتبار انه للتكثير والمبالغة في التكرير قال التلمساني وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وقد اشار اليه العارف

الجامي حيث قال في الم الف لام الحمد ميم يعني بطريق التبديل على قواعد التعمية فيصير المعنى محمد وان الاشارة به في ذلك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم اجل من حمد) اى اعظمه بفتح فكسر (وافضل من حمد) بضم فكسر اى اكرمه ففيه لف ونشر مرتب لمعنى احمد ومحمد وضبط في بعض النسخ بعكس ما ذكر فيكون لفا ونشرا مشوشا ولا يبعد ان يكون المعنيان مستفادين من احمد وحده لان افعل قد يبنى للفاعل وقد يبنى للمفعول ويراد بقوله (واكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنى المفعول وان احتمل كونه للفاعل ايضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) اى المسمى بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروى بصيغة المجهول (كمال الحمد ويتشهر) من باب الافتعال وفي نسخة ويتشهر من باب التفعل اى وتظهر هيئته وتنتشر (في تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو في الاصل كل موضع واسع لابناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما في عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد ان يكون وجه الجمع هو ان كل عرصة مخصوصة باسمة (بصفة الحمد) اى العامة للخلق (ويبعثه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده) اى في كتابه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته لهم) اى عامة وخاصة (ويفتح) اى الله تعالى (عليه فيه) اى في ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره) اى احد من العالمين (وسمى امته) اى وصفهم (في كتاب انبيائه بالحمادين) كما في حديث الدارمي عن كعب يحكى عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يأتزرون على انصافهم ويتوضؤون على اطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل (فحقيق) اى واذا اختص بما منحه الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة فجدير (ان يسمى محمدا واحمد) اى لاكثرية حامديته واظهرية محموديته (ثم في هذين الاسمين) اى العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) اى غرائب خصوصياته (وبدائع آياته) اى الدالة على كمال صفاته (فن آخر) اى نوع آخر من انواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمى) اى حفظ اسمي حبيبه ومنع بالقدرة (ان يسمى بهما احد قبل زمانه) اى لئلا يشاركه احد في علو شانه كما يشير اليه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا (اما احمد الذي اتى في الكتب) اى من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسى وعيسى عليهما السلام (فمنع الله تعالى بحكمته) اى وبارادته وقدرته (ان يسمى) وفي نسخة يتسمى (به احد غيره) اى على جهة العلمية (ولا يدعى به مدعو قبله) اى على نسبة الوصفية (حتى لا يدخل لبس) بفتح اللام اى التباس واشتباه صوري (على ضعيف القلب) اى ممن ينظر الى مجرد الاسم ولم يتفكر في حقيقة مسماه (او شك) اى تصوري في معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوي عنده الاسمان مع ان مسمياهما لا يستويان كما وقع لبعض ارباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين اله العالمين وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور قال الانطاكي وهذا الذي ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ ابو حفص الانصاري عن القشيري قولا في تسمية الخضر باحمد ثم قال وقد وهاه ابن دحية والله تعالى اعلم (وكذلك) اى وكاسمه احمد (محمد ايضا) اى حمى (لم يسم) وفي نسخة لم يتسم (به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع) اى باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) اى وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) اى عظيم الشان في آخر الزمان (يبعث) اى يرسل (اسمه محمد فسمى قوم) اى جمع قليل من العرب (ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو) اى اياه يعني النبي المبعوث (والله اعلم حيث يجعل رسالته) وفي قراءة رسالاته (وهم) اى المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن احيحة) بضم همزة وفتح حائين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام في آخره مهملة وعده من الصحابة ابن عبد البر وابو موسى (الاوسي) بفتح الهمزة نسبة الى قبيلة من الانصار (ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصاري) احد بني حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة وفي عده منهم نظر ذكره الشمني وغيره (ومحمد بن براء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها الف ممدودة وفي نسخة صحيحة بياء موحدة فراء ممدودة وعده من الصحابة ابو موسى (البكري) بفتح فسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف في صحبته على ما قاله ابو نعيم وابو موسى قال التلمساني والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين

وسكون الميم وفى نسخة حمران بضم الحاء من الحمرة واقتصر عليه التلمسانى (الجعفى) بضم الجيم (ومحمد بن خزاعى)
بضم الخاء و بالزاى المعجمة (السلمى) بضم ففتح (لاسابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف اسماء اخر لا فائدة فى ذكرها
(و يقال اول) وفى نسخة ان اول (من سمى) بصيغة المجهول وفى نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) اى ابن مجاشع
التميمى (واليمن تقول) اى واهل اليمن يقولون (بل) وفى نسخة محمد بن سفيان باليمن و يقولون بل (محمد بن اليحمد)
اى هو المسمى به اولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ما ضبطه المحققون كالنووى وغيره وفى نسخة
بفتح الياء وضم الميم وفى اخرى بالفتح والكسر وفى القاموس يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمسانى وروى الحمد مصدر حمد
(من الازد) بفتح الهمزة وسكون الزاى قبيلة عظيمة فى اليمن فيكون هو السابع على ما هو الشائع (ثم حمى الله تعالى
كل من تسمى به ان يدعى النبوة) اى بنفسه (او يدعيه احد له) اى ويتبعه (او يظهر عليه سبب) اى من خرق
العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى اى يوقع فى الشك (احدا) اى من اهل زمانه (فى امره) اى شانه (حتى
تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم اى العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم)
وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ما هو المتبادر وضبطه
الانطاكى بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاى اى يعارضه احد (فيهما) اى
فى النعتين الموسومين (واما قوله وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) اى يزيله ربى بسببى (ففسر) بصيغة المجهول
اى فبين (فى الحديث) اى نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه مجمل محتمل كما بينه بقوله (و يكون
محو الكفر) اى ذهاب اثره (اما من مكة و بلاد العرب) اى ايام حياته (وما زوى) بضم الزاى وكسر الواو اى قبض
وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان امتى سيبلغ ملكها ما زوى لى
منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك امته) اى بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (او يكون) حقه ان يقول
واما ان يكون (المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة) اى فى الحجة على كل دين وملة فى جميع الامكنة والازمنة (كما قال
الله تعالى ليظهره) اى ليغلبه و يعليه والضمير الى دين الحق او الى الرسول المطلق (على الدين كله) اى على الاديان
جميعها بجحود ادلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره فى الحديث) اى على ما رواه البيهقى
وابو نعيم (انه الذى محيت به سيئات من اتبعه) قال الدلجى لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وفيه ان هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع على معظم
الحسنات واجتناب الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات ولا يبعد ان تكون هذه الخصلة من خصائص هذه الملة (وقوله وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى)
قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا انه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه
كما فى قول على ✱ انا الذى سمتنى امى حيدره ✱ واعاده هنا ايضا ليفسره بقوله (اى على زمانى وعهدى)
فالمراد بالناس الخلق الآتون بعده كما بينه بقوله (اى ليس بعدى نبى) اى يكونون على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى
بعد نزوله يكون تابعا له فى دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها (وسمى
عاقبا لانه عقب) بفتح القاف اى خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد فى بعض النسخ المصححة هنا
وفى الصحيح انا العاقب الذى ليس بعدى نبى (وقيل معنى على قدمى اى يحشر الناس بمشاهدتى) اى بمشهد منى ومحضر
عندى (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) اى شاهدين لهم او شاهدين عليهم (و يكون الرسول
عليكم شهيدا) اى شاهدا ومطلعا او مزكيا ومثنيا وبهذا الذى قررناه دفع قول الدلجى وهذا يخالف الظاهر الا انه
المفاد فيها بالتعدية بعلى ولو كانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تاتى بمعنى اللام فى الكلام كقوله تعالى ولتكبروا
الله على ما هداكم وزيد فى بعض النسخ هنا (وقيل على قدمى) اى معناه (على سابقتى) اى سبق قدمى وتقدم قيامى
من قبرى وتحقق تقدمى فى مقامى (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) اى مراتب تقدم مترتب على تفاوت
صدق لهم فى حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمى اى قدامى وحولى اى يجتمعون الى
فى القيامة) يعنى و يلجأون الى فى طلب الشفاعة (وقيل قدمى على سنتى) اى على قدر متابعتى ومقدار طاعتى فى الدنيا
ليكون لهم القرب والمنزلة فى العقبى وفى نسخة وقيل قدمى سنتى (ومعنى قوله لى خمسة اسماء) اى مع ان له اسماء كثيرة
(قيل انها موجودة) اى الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (فى الكتب المتقدمة) اى باجمعها (وعند اولى العلم)
اى ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) اى الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله اعلم)
اى بما اراد نبيه بها (وقد روى) اى كما فى الدلائل لابى نعيم وفى تفسير ابن مردويه من طريق ابى يحيى التيمى وهو وضاع

عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابى الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام
(لى عشرة اسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه و بين ما سبق من حديث لى خمسة اسماء
(وذكر منها) اى من جملة العشرة (طه و يس حكاه مكى) اى كما سبق واعاده هنا لبيان مبناه وتبيان معناه
(وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادى وفى يس يا سيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة فى اوائل المسميات
الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء فى يس وتقديره فى طه (حكاه) اى هذا التأويل (السلمى) بضم
ففتح وهو ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الخبير صاحب تفسير الحقائق (عن الواسطى) وهو الامام الجليل الصوفى
محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) اى وعنه ايضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر احد اكابر ائمة اهل
بيت النبوة (وذكر غيره) اى غير ابى محمد مكى (لى عشرة اسماء فذكر) اى ذلك الغير (الخمسة) اى الاسماء (التى
فى الحديث الاول) وهى محمد واحمد والماحى والحاشر والعاقب (قال) اى ذلك الغير فى بيان الخمسة الاخر (وانا رسول
الرحمة) الخ واما تفسير الدلجى قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافى
المرام هذا وقد جاء انا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) اى لما يترتب
على الراحة الرحمة فى الدنيا والآخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفى الكلفة ورفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ولقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام
عليكم بدين العجائز (ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد واصلها معركة
القتال وهى موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا انا رسول الرحمة انا رسول الملحمة واضيف اليهما
لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال على كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن احد
منا الى العدو اقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه
كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمتكبرين وقد قال تعالى
فى حقه بشيرا ونذيرا اى للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال فى الحديث
القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى كما يشير اليه تقديم البشير فى مقام العموم وهو لا ينافى تقديم الانذار
حال خطاب الكفار المفيد فى ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمسانى وروى ان قوما من العرب قالوا يا رسول
الله افنانا الله تعالى بالسيف فقال ذلك انفى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله
تعالى اعلم (وانا المقتفى) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفى نسخة المقفى بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة
الفاعل كما صرح به شمر وهو انسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفى نسخة بتخفيفها وفى نسخة قفوت (النبيين)
اى جئت بعدهم وتبعت هديهم او اريد به المولى الذاهب والمعنى انه آخر النبيين فاذا قفى فلا نبى بعده واما قول الدلجى
قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وانا قيم) بتشديد الياء
المكسورة (والقيم الجامع) اى للخير (الكامل) اى للفضائل والفواضل فى تحسين الشمائل (كذا وجدته)
اى بخط بعض العلماء او فى تصنيف بعض العلماء (ولم اروه) اى عن احد من ائمة الحديث فى طريق الانباء لكن رواه
الديلمى فى فردوسه ولم يسنده فى مسند الفردوس وفى النهاية حديث اتانى ملك فقال انت قثم وخلقك قيم اى حسن
مستقيم (وارى) بفتح الهمزة والراء اى اذهب او بضم الهمز وفتح الراء اى واظن (ان صوابه قثم بالثاء) اى المثلثة
المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطى (كما ذكرناه بعد) اى كما سيأتى
ذكره بعد ذلك (عن الحربى) اى منقولا عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما اشار اليه بقوله
(وهو اشبه) اى من حيث اللفظ (بالتفسير) اى الذى سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبى
ولا يبعد ان تكون الروايتان ثابتتين وكون احداهما اشبه بالتفسير لا يفيد صوابها وتصحيف غيرها مع انه قد يكون
التفسير حاصل المعنى لا اصل المبنى على ان قوام الشئ واستقامته لا يكون الا بكماله وجامعيته فى حد ذاته و يؤيد
ما قررناه و يقوى ما حررناه قوله (وقد وقع ايضا) اى القيم بالتحتية (فى كتب الانبياء) اى الماضية ومنها رواية المصنف
(قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) اى مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) اى الفتور فى الطاعة
(فقد يكون القيم بمعناه) اى بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم انت قيم السموات بمعنى مقومها
ومقيمها ومدبرها وقد ابعد الدلجى فى تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لى فى القرآن
اى مذكور ومسطور (سبعة اسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (واحمد) وهو قول عيسى عليه السلام يأتى
من بعدى اسمه احمد (وطه و يس) وفى نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما (والمدثر والمزمل) اى فى اوائل

سورهما (وعبد الله) كما فى قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبد الله ولعله اقتصر عليهما لشهرتهما والا فله فيه اسماء كثيرة كالنبى والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وامثال ذلك مما يدل على صفات له هنالك (وفى حديث) اى ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضى الله تعالى عنه هى) اى اسمائى (ست) الظاهر ستة ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد واحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقد سبق معانيها فى ضمن مبانيها (وفى حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه) كما رواه مسلم (انه كان عليه الصلاة والسلام يسمى لنا نفسه اسماء) اى متعددة (فيقول انا محمد واحمد والمقفى) بكسر الفاء المشددة اى الذاهب المولى فمعناه آخر الانبياء والمتبع لهم كالقفا فكل شئ تبع شيأ فقد قفاه (والحاشر) اى الجامع للحشر والباعث للنشر (ونبى التوبة) اى من حيث انه يتوب على يده جمع كثير من اهل دينه اولان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة وما يتبعها من العلامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة اوانه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخارى انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة اولان باب التوبة ينغلق فى آخر هذه الملة (ونبى الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت للسيف (ونبى الرحمة و يروى المرحمة والراحة) روايات اربع (وكل) اى من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) اى كما سيأتى وجوهها مسطورة (ومعنى المقفى معنى العاقب) وقد سبق بيانه وقيل المتبع للنبى (واما نبى الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) يعنى والرحمة مرادفة للمرحمة ومتضمنة للراحة ومنسببة عن التوبة (وكما وصفه) اى سبحانه وتعالى (بانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للمرحمة (يزكيهم) اى يطهر امته من دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) اى السنة وكلها اسباب الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) اى وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى صفة امته انها امة مرحومة) اى مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم فى الكنى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه ابو داود والطبرانى والحاكم فى المستدرك والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح امتى هذه امة مرحومة ليس عليها عقاب فى الآخرة انما عذابها فى الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) اى فى حقهم اصالة وفى حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) اى بموجبات الرحمة اوبها كافة على البرية (اى يرحم بعضهم بعضا فنبه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى) اى على وجه الاكرام (رحمة لامته) اى خاصة (ورحمة للعالمين) اى عامة اذهو رحمة للكفار من عذاب الاستئصال فى هذه الدار (ورحيما لهم) اى بخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) اى متكلفا لاظهار الرحمة اومبالغا فى استنزال المرحمة (ومستغفرا لهم) اى طالبا المغفرة لذنوب امة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة (وجعل) اى الله سبحانه وتعالى (امته امة مرحومة) اى لكونه نبى الرحمة (ووصفها بالرحمة) اى بكونها راحمة كما قال تعالى رحماء بينهم لكونه نبى الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وامرها بالتراحم) اى بان يترحم بعضهم على بعض (واثنى عليه) اى ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا لرحمته سبحانه وتعالى عليهم وفى نسخة واثنى عليها اى على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن اسامة بن زيد الا انه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) اى فى حديث آخر رواه ابو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من فى السماء) اى من الملأ الاعلى اومن فى السماء ملكه وعرشه اومن هو معبود فى السماء زاد الترمذى والرحم شجنة من الرحمن اى قطعة مأخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض ارباب الرواية لكن اسانيده غير صحيحة عند اصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن ابى قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما رواية نبى الملحمة) على ما اخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) اى وضرب السيف بعد انقطاع المقال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بسببه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهى) اى هذه الرواية او الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعى صريحة قال تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (ابى موسى) كما رواه احمد والترمذى فى الشمائل (وفيه) اى وفى حديث حذيفة (نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم وروى الحربى) اى كابى نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة (فى حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى ملك فقال) اى لى كما فى نسخة (انت قثم) بالمثلثة (اى مجمع) يعنى لانواع العطاء فان القثم هو الاعطاء (قال) اى الحربى (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) يروى والقثم ويؤيده قوله (وهذا) اى قثم

(اسم هو فى اهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) اى عند اهله وهو قثم بن العباس وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا هذا وقال التلمسانى والجامع اما للخير او ما افترق فى غيره او جمع الله به شمل الامة وكان قد افترق الملة ثم قال وقثم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبد المطلب وبه سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التى بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ما ذكره المغرب ونقله الانطاكى (وقد جاءت من القابه عليه الصلاة والسلام) وهى الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر اوله جمع سمة وهى العلامة (فى القرآن) اى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) اى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ما ذكرناه) اى ومعناه قررناه (كالنور) اى فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور (والسراج المنير) اى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) اى فى قوله تعالى وتنذر يوم الجمع ولتكون من المنذرين (والنذير والمبشر) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والبشير) قال تعالى فقد جاءكم بشير ونذير (والشاهد) كما سبق ولقوله تعالى وشاهد ومشهود (والشهيد) قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا (والحق المبين) لقوله قد جاءكم الحق من ربكم وهو اولى من قول الدلجى لما فى حديث البخارى اللهم انت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق اذ فيه ان هذا ليس فى القرآن والكلام فى اسماء مذكورة فيه مع انه خبر عنه لا وصف له كما فى بقية الحديث والجنة حق والنار حق الا ان حق المصنف كان ان يقول والمبين بالعطف للاشارة الى انهما وصفان مستقلان وللاشعار الى قوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فان وصفه عليه الصلاة والسلام بمجموع الحق المبين غير معروف لا فى الكتاب ولا فى السنة ولعله ذكرهما بحذف العاطف (وخاتم النبيين) كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهو بفتح التاء على الاسم اى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه ختم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح ما يختم به من الطابع فقوله اى آخرهم حاصل المعنى لا حل المبنى (والرؤف الرحيم) جمع بينهما من غير عاطف كما جاء فى الاية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فاخر لمراعاة الفاصلة او للتعميم والتتميم (والامين) لقوله تعالى عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين على احد القولين فى تفسيره ولحديث انى لامين فى السماء امين فى الارض وكان قبل البعثة يسمى امينا (وقدم الصدق) اى من حيث انه اوحى اليه ان يبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو اولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتى به منكرا على طبق وروده وقيل سمى قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (ونعمة الله) اى انعم به على من آمن به فى الدارين ذكره الدلجى والاولى ان يقال لقوله تعالى وبنعمة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) اى من حيث ان من آمن به فقد تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة ذكره الدلجى والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكى قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) اى من حيث هدايته من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجى ولعله مأخوذ من قوله تعالى يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم اى الى نبى كريم ودليل قويم قال الانطاكى قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق اهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان فى معرض البرهان وزيد فى نسخة طه ويس وهى غير صحيحة لقول المصنف سوى ما ذكرناه وقد ذكر فيما قدمناه وحررناه (والنجم الثاقب) اى المضىء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ولعل فى ايراده ايماء الى انه مشبه به (والكريم) قال تعالى انه لقول رسول كريم (والنبى الامى) اى الذى لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (وداعى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعى الى الله ثم رأيت قوله تعالى اجيبوا داعى الله قال البغوى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (فى اوصاف كثيرة) اى مع صفات اخر كثيرة (وسمات جليلة) اى نعوت عظيمة شهيرة (وجرى منها) اى من اسمائه (فى كتب الله المتقدمة) كالتوراة والزبور والانجيل (وكتب انبيائه) اى الماضية من الصحف الوافية (واحاديث رسوله) اى الثابتة (واطلاق الامة) اى من العلماء والائمة (جملة شافية) فاعل جرى اى جملة من الاسماء والصفات شافية فى حصول المهمات (كتسميته بالمصطفى) وهو وان شاركه سائر الرسل حيث قال الله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس الآية الا انه هو الفرد الاكمل من هذا الجنس الافضل وكذا قوله (والمجتبى) من قوله تعالى الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب (وابى القاسم)

وهو كنية بولده القاسم (والحبيب) لما سبق من حديث الاوانا حبيب الله (ورسول رب العالمين) فانه اولى من يطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) اى المقبول شفاعته التى تم امته وسائر اهل محبته (والمتقى) اسم فاعل من الاتقاء واصله الموتقى من الوقاية وهو من يقى نفسه عما يوجب العذاب وعما يقتضى الحجاب (والمصلح) اى لما افسده غيره من امر الدين فى التوراة وان يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة ابراهيم وسميت عوجاء لتغيير العرب اياها (والطاهر) اى بحسب الباطن والظاهر (والمهين) اى المبالغ فى المراقبة لاحوال الامة (والصادق) اى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) اى من يأتيه الصدق من عند ربه شهادة فى حق امره (والهادى) اى للخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) من المبدأ والمختم عموما (وسيد المرسلين) اى خصوصا (وامام المتقين) اى من الاولياء الصالحين والعلماء العاملين (وقائد الغر) بضم الغين وتشديد الراء اى بيض الوجوه من آثار انوار الوضوء اطلاقا لاسم الجزء على الكل اذ الغرة بياض الجبهة قدر الدرهم (المحجلين) بتشديد الجيم المفتوحة اى المبيضين ايديا وارجلا من انوار الطهارة وآثار العبادة (يوم القيامة) وفيه اشارة الى ما استدل به الائمة على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى واجيب بضعفه وعلى فرض صحته احتمل ان يكون الانبياء اختصوا بالوضوء دون اممهم (وخليل الرحمن) لحديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعنى نفسه (وصاحب الحوض المورود) اى يوم القيامة وقد ورد فيه احاديث صحيحة وفى بيان اختصاصه صريحة (والشفاعة) اى العظمى (والمقام المحمود) عطف تفسير او مغاير ان اريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع انواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث مسلم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) اى المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته حلت له شفاعتى يوم القيامة وفى رواية النسائى وابن حبان والبيهقى المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) اى العالية (وصاحب التاج) اى الخاص به فى الجنة يلبس فيها ليمتاز به عن اهلها فقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا الحديث فما ظنكم بالذى جاء به ونزل عليه وهو سيد الاولين والآخرين وما ابعد الدلجى وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهى تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى وتعبيره بقيل غير مرضى اذ ورد فى حديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن على وابن عباس مرفوعا (والمعراج) اى وصاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (والقضيب) اى السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر (وراكب البراق) اى فى ليلة الاسراء (والناقة) اى وراكبها فى حجة الوداع وغيرها (والنجيب) عطف تفسير للناقة فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل ولعله زيد لمراعاة السجع فى مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) اى القاطعة (والسلطان) اى السلطنة الغالبة والدولة القاهرة (والخاتم) اى وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو بخاتم النبوة اقرب وبكسرها وهو بملبوس اليد انسب واما قول الدلجى لان الله تعالى ختم به انبياءه بشهادة وخاتم النبيين اى آخرهم فليس فى محله اذ يأباه اضافة الصاحب اليه (والعلامة) اى وصاحب العلامة الدالة على نبوته وادامته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته (والبرهان) اى صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء اى العصا وهو القضيب قاله سطيح واراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشى بها وتغرز له فيصلى اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروى الهراوة هى العصا الضخمة وتبعه الجوهرى (والنعلين) اى وصاحبهما اذ كان يمشى بهما واما ما قيل يا خير من يمشى بنعل فرد اى طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يمدحون رقته ويجعلونه من لباس الملك ونعمته (ومن اسمائه فى الكتب) اى من التوراة وغيرها (المتوكل) اى على ربه دون غيره فى جميع امره (والمختار) اى من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود اللهم ابعث مقيم السنة اى مظهر الملة (والمقدس) اى المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمى به لجيئه بما فيه حياة الارواح التى بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء وتكسر وبسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (فى الانجيل)

اى

اى باللغة العبرانية قيل واكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو العباس احمد بن يحيى البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل) اى فرقا بينا وفصلا معينا بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر اصلا وقطعا (ومن اسمائه فى الكتب السالفة) باللام والفاء اى السابقة (ماذماذ) بفتح ميم فالف فذال معجمة منونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للاصل مجرى الوصل قال الحلبى ماذ بميم ثم الف لا همزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها وينبغى ان تضم الذال لانه لا ينصرف للعجمة والعلمية اى انت ماذ او يا ماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لا يخفى واما ما ضبطه الدلجى بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغير مطابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى السهيلى منقولا عن رجل اسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب طيب) ولعل التكرار كناية عن نهاية من الطيب فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة اى حامى الحرم ومحمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير ما لفظه وفى حديث كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد واحمد وحمياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية بعدها الف فطاء فالف قال ابو عمرو سألت بعض من اسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام ويوطى الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى المعتبرة وهو الموافق لترتيب ما سيأتى من معنييهما وعكس الحلبى فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حمياطا (وقال) الاظهر قال (ثعلب) كما فى اصل الحلبى والدلجى (فالخاتم) اى بالمعجمة وفتح التاء او كسرها (الذى ختم الله به الانبياء والحاتم) اى بالمهملة وكسر التاء لا غير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (احسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء اى صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء اى سيرة ولطافة (ويسمى) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم السين وسكون الراء وبتشديد الياء الثانية وهى اللغة الاولى التى تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سريانى وعبرانى وعربى وهو لاهل الجنة وفى الموقف سريانى قال السيوطى وسؤال القبر بالسريانية اقول ولعله مختص بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة واما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين ارسلهم فى طلبه اذا وجدتم من يتكلم بالسريانية فردوه فلما ادركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلى (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفى نسخة بالقاف بدل الفاء وهو اصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له معنى فى العربية واما قول الدلجى غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح فى العلمية بل ظاهر فى الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا فى النسخ بالقلم ذكره الحلبى وتبعه الدلجى وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو اصل مصحح من النسخ المعتمدة وفى نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية وضبطه الحجازى بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم فى آخره الف فى اكثر النسخ وفى بعضها بياء مبدلة من الف كالمصطفى هذا وقد قال ابو الفتح اليعمرى فى سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحلبى وهذا الكلام يحتمل معنيين احدهما ان يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك قلت وفى سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المعنى الثانى اظهر فتدبر وقال ابن اسحق هو بالرنجانية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه ايضا فى التوراة احيد) بفتح همزة فسكون حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفى نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء التحتية وفى نسخة وهى موافقة لما ذكر الحلبى بضم فسكون ففتح وفى اخرى بضم ففتح وفى اخرى بكسر التحتية وهى التى اقتصر عليها الدلجى وفى اخرى بضم ففتح فسكون وفى اخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبى وصوبه الانطاكى لحديث اورده ابو حذيفة اسحق بن بشر فى كتاب سماه المبتدأ واسنده الى ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال اسمى فى القرآن محمد وفى الانجيل احمد وفى التوراة احيد قال سميت احيد لانى احيد امتى عن نار جهنم يوم القيامة انتهى ووجه تصويبه غير ظاهر كما لا يخفى (روى) وفى نسخة وروى (ذلك) اى كون اسمه فى التوراة احيد (عن ابن سيرين) وهو تابعى جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة اوراد فى اليوم والليلة

هذا وقد قال المصنف بعد ما نقل من المبنى فى الاسماء (ومعنى صاحب القضيب اى السيف) يعنى بدليل انه (وقع ذلك) اى اللفظ (مفسرا فى الانجيل) اى مبينا بقرينة اقترانه بما يدل عليه (قال) اى الله سبحانه وتعالى فى الانجيل عند نعته عليه الصلاة والسلام (معه قضيب من حديد) اى معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة ولطافة اوسيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء اى يجاهد به اعداءه (وامته كذلك) اى معهم قضبان يقاتلون بها اعداءه ويتابعون اهواءه ويتبعون اقتداءه (وقد يحمل) اى القضيب فى الحديث (على انه القضيب الممشوق) اى الطويل الدقيق (الذى كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) اى بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو الآن عند الخلفاء) اى وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخطباء (واما الهراوة التى وصف بها) اى بكونه صاحبها وحاملها (فهى فى اللغة العصا) اى مطلقا او الضخمة على ماذكره الجوهرى تبعا للهروى (واراها) بضم الهمزة اى واظنها ان المراد بها ههنا (والله تعالى اعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض) اى حيث قال (اذود) بضم الذال المعجمة اى ادفع وامنع واطرد (الناس) اى العصاة (عنه) اى عن حوضى (بعصاى) اى التى فى يدى حينئذ (لاهل اليمن) اى اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفى هذا كرامة لاهل اليمن فى تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام وفى نسخة لاهل اليمين وهى رواية مسلم فى المناقب وهى التى جعلها الدلجى اصلا والحلبى صوبها وقال المراد بها الجهة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهر ان المراد باهل اليمين اصحاب اليمين من ارباب الجنة ويدخل فى عمومهم اهل اليمن وخص بهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووى هذا الظن من القاضى بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور فى الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة فالصواب ماقاله الائمة فى تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشى والعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها وهذا فى الصحيح مشهور هكذا ذكره الدلجى وقرره تبعا للحلبى حيث قال وتعقبه النووى بان هذا ضعيف وباطل الى آخر ماذكره واقول لعل وجه ما اختاره المصنف هو الاحرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان اخذ العصا من سنن الانبياء فى الدنيا فاذا لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاولى فانه النعت المختص به فى العقبى لاسيما وعامة العرب لايمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة لخاتم الانبياء مع ان اخذه اياها انما كان احيانا ثم لا يلزم من ذكر نعوته فى الكتب السابقة ان لا يكون بعضها متعلقا بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (واما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الا لرب العباد واما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل فى غير العمامة على اختلاف فى عرف العامة واما ماورد فى الحديث فظاهره انه اراد المعنى المجازى حيث نزل العمامة منزلة التاج واقامها مقامه فى مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه او يشير اليه قوله (ولم تكن) اى العمامة (حينئذ) اى حين وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) اى وكان الناس كلهم اصحاب التيجان اما مع العمامة اوبدونها (والعمائم) اى بدون التيجان (تيجان العرب) اى اكتفاء بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من اهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف فى موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (واوصافه) اى نعوته من اسمائه (والقابه) اى المشعرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين اى شمائله وعلامات فضائله (فى الكتب) اى الماضية والمتقدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) اى وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون اى محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذ احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة ابا القاسم) لحديث البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا ابا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهى الوارد عنه تكريما وزيد فى رواية فانى انما جعلت قاسما اقسم بينكم وفيه اشارة الى ان المراد بابى القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لا ينافى كونه ابا الولد المسمى بالقاسم (وروى عن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسند احمد والبيهقى (انه لما ولد له ابراهيم) اى ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم) فهى كنيته ايضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت فى ضمن تكنيته اثناء تهنئته وفى الجملة صار صلى الله عليه وسلم ابا ابراهيم كما كان ابوه ابراهيم فكانه صلى الله عليه وسلم احيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل وكنيته ايضا ابو الارامل وهو لقب فى المعنى وان كان كنية فى المبنى فان معناه مراعى الارامل ومحافظ احوالهن ومتفقد مالهن والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصــــل)

(فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من اسمائه الحسنى) تأنيث الاحسن لان الاسماء فى معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف نفسه (وفقه الله) اى لما يحبه ويرضاه (ما احرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب اى ما احقه واخلقه واجدره واليقه (بفصول الباب الاول) اى من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل فى ثناء الله عليه واظهار عظيم قدره لديه كما اشار فى ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) اى لانضمامه (فى سلك مضمونها وامتزاجه) اى اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين اى بحلوماتها وعلو صفاتها (لكن لم يشرح الله) وفى نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) اى استخراجه من اماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذه الاسرار المتضمنة للانوار (ولا انار الفكر) بالنون اى لا اشرقه ولا اضاءه وفى نسخة بالثاء المثلثة اى ولا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) اى من بحره وبره الشامل لعموم كرم علمه وبر حلمه (الا عند الخوض) اى الشروع والدخول (فى الفصل الذى قبله) اى فشرح الصدر للهداية الى ذلك اولا على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) اى نلحقه له زيادة عليه (ونجمع به شمله) اى تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) اى ايها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) اى الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) اى القاها (عليهم) وفى نسخة عليه وعليهم اى البسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفى نسخة جعلها اى صيرها اعلاما عليهم (من اسمائه) بان ذكرهم بصفات هى مبادى اشتقاق وصف له واخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسماعيل) اى ابنى ابراهيم الخليل على خلاف فى المراد بالمبشر به من احد اولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسماعيل لانه اكبر ولكونه جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولموافقة قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحق (بعليم) فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم (وحليم) فى قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما للاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد اغرب الدلجى حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل احد بالتفضيل بينهما وانما اختلفوا فى ان ايهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به احدهما ولذا قال الانطاكى ولعل المؤلف من اجل الاختلاف جمع هنا بين اسحق واسماعيل وقد افرد السيوطى رسالة فى تعيين الذبيح وتوقف فى ان ايهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسماعيل لحديث انا ابن الذبيحين وغيره من ادلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) اى فى قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم اولازومه اولغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) اى فى قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار فى قوله تعالى وبرا بوالدتى وبرا بوالديه (وموسى بكريم) اى فى قوله سبحانه وتعالى وقد جاءهم رسول كريم فى الدخان (وقوى) اى فى قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقريرا لكلامها ان خير من استأجرت القوى الامين وفى نسخة بدلهما بكليم والظاهر انه اصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) اى فى قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقررا شانه ومعتبرا بيانه حيث انطق لسانه بقوله انى حفيظ عليم (وايوب بصابر) اى فى قوله تعالى انا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور (واسماعيل بصادق الوعد) اى فى قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى وان يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والا فصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفى نسخة صحيحة بذلك اى بما خص انبياءه (الكتاب العزيز) اى بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (فى مواضع ذكرهم) بالاضافة اى فى مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفى نسخة صحيحة من مواضع بدل فى ولعلها بمعناها او بيان لما لابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء فى الانباء (بان حلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام اى زينه (منها) اى من اسمائه سبحانه (فى كتابه العزيز) اى البديع المنيع المشتمل على التعجيز او القوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التمييز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى السنة انبيائه) اى كما نقله بعض اوليائه (بعدة كثيرة) اى بجملة كثيرة وهى بكسر العين والباء للسببية والباء الاولى بيانية اى بسبب تعداد نعوت كثيرة

واوصاف غزيرة (اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر) بكسر الهمزة اى استعماله (واحضار الذكر) بضم الذال
وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذلم نجد) اى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولا من
تفرغ فيها التأليف فصلين) اى ما يعرف منه بيان فرعين او اصلين (وسردنا) بجاور آتين مهملات ويروى جردنا بجيم
ودال اى اخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) اى مما اشتق من اسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل
الله تعالى) اى ارجو من كرمه انه (كما الهم) اى ارشد (الى ماعلم) بتشديد اللام اى عرف (منها وحققه يتم النعمة)
اى يكملها (بابانة مالم يظهره لنا الآن) اى باظهار اسراره وابدآء انواره (ويفتح غلقه) بفتحتين اى اغلاقه واشكاله
وامثلته وامثاله اذا عرفت ذلك (فمن اسمائه) اى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول او الفاعل
والاول اظهر ولذا قدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) اى ازلا (وحمده عباده) اى ابدا وقد يقال هو المحمود فى
ذاته سوآء حمد اولم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل
فعال وجميع حال اذ هو المولى لكل نوال (ويكون) اى الحميد (ايضا) اى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه)
اى فى نفسه او فى كلام قدسه تعليما لعباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى ثنائه وشكر اهله وجزآئه
وقد يقال الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لانه فى نظر الشهود سوى الله والله
ما فى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نبيا وهو مرفوع او منصوب وهو الاظهر فتدبر
(محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود) بل ابلغ منه (وكذا) اى محمدا ومحمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء
اى فى صحفه المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى اصل التلمسانى على ما ضبطه بكسر الزاى وسكون
الباء اى فى كتابه وهو غير معروف فى الرواية والدراية (واحمد بمعنى اكبر) اى اعظم (من حمد) بفتح الحاء (واجل
من حمد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو اكثر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا
اظهر والجمع بينهما ابهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار
يكون ابلغ من محمد فى نظر النظار مع ما فيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية المطلوبية ومنزلة
المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الابدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم
تحقيق هذا المعنى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه من تدقيق المبنى (وقد اشار الى نحو هذا) اى مما قررناه وحررناه
(حسان) اى ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالرآء الانصارى النجارى عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة
وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين فى الاسلام وستين فى الجاهلية وقد شاركه فى الوصف الثانى حكيم بن حزام قيل
وغيره ايضا (وشق) بفتح الشين اى الله تعالى (له) صلى الله عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة ولو قال
من نعته او وصفه لخلاص (ليجله) اى ليعظمه بالمشاركة فى الجملة الاسمية من حيث تلاقى اسميهما اشتقاقا من مأخذ
واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحى لان مبدأهما متحد بل اراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش
محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ما سبق وقد ورد يا الله المحمود فى كل فعاله والحاصل ان لفظ
شق من شق الشئ جعله شقين اى نصفين ومعناه انه اعطاه من معنى اسمه جزأ من مبناه وقيل شق بمعنى اشتق اخذه
منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاسنى فى اسماء الله الحسنى الحميد من
عباد الله تعالى من حمدت عقائده واخلاقه وافعاله واقواله وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن قرب منه من
الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من اوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن اسمائه
تعالى الرؤف الرحيم) اى ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما المامر غير مرة (وهما بمعنى) اى واحد (متقارب)
اى فى المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) اى نبينا صلى الله عليه وسلم (فى كتابه بذلك) اى بما ذكر من الوصفين
او بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) اى دوامه
الثابت قيامه (والمتحقق امره) لانه الثابت مطلقا لوجوب شانه واما غيره فلا وجود له فى حد ذاته لامكانه وهذا وجه
قوله كل شئ هالك الا وجهه والى هذا المعنى اشار لبيد بقوله الا كل شئ ما خلا الله باطل * وهذا ايراد شيخ
مشايخنا ابو الحسن البكرى قدس الله سره السرى بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين اى البين) يعنى
الظاهر (امره) اى امر وجوده وشأن ربوبيته (والهيته) اى بوصف احديته وواحديته ثم قوله (بان وابان بمعنى
واحد) يعنى ان بان ههنا بمعنى ابان فهما لازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر
وهذا معنى قوله (ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم) اى ما يتعلق به من معاشهم فى دنياهم
(ومعادهم) اى وامر معادهم فى عقباهم وهذا المعنى فى حقه تعالى (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

(بذلك) اى بما ذكر من الاسمين (فى كتابه فقال) اى بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول
مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب
المبين (وقال وقل انى انا النذير المبين) اى ظاهر الانذار ومظهر الاخبار (وقال) اى بعد قوله يا ايها الناس (قد جاءكم
الحق من ربكم) يعنى به محمدا او القرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) اى المراد بالحق (محمد) اى كذبوا بالنبى
الثابت نبوته المتحقق معجزته بدليل الايات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجى وهذا القيل مما لا دليل
عليه (وقيل القرآن) وكلاهما صحيح وفى المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سوآء تقدم
الاول او تأخر فتدبر (ومعناه) اى ومعنى الحق (هنا) اى فى كل من التفسيرين (ضد الباطل والمتحقق صدقه وامره)
اى شأنه جميعه ثم المتحقق بكسر القاف الاولى وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق
معنيين مشهورين واما قول الحلبى بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وامره معطوف على الخبر فهو
مرفوع ايضا فخطأ من جهة البناء الصرفى والاعراب النحوى (وهو بالمعنى الاول) اى فيما سبق فتأمل (والمبين)
على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين امره ورسالته) اى الظاهر والواضح بناء على ان ابان لازم (او المبين) بتشديد
الياء المكسورة اى المظهر والمخبر (عن الله تعالى ما بعثه به) اى من امر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان ابان متعد
(كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم) اى من مرغوب ومرهوب (ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور)
يعنى على مضاف مقدر (اى خالقه) او سمى نورا مبالغة كالعدل فمعناه النور ومبناه الظهور لانه تعالى ظاهر بذاته
وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته او معنى ذى النوران حجابه النور بحيث لو انكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى
اليه بصره من خلقه او لان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا بظهوره واما اطلاق النور عليه سبحانه
بناء على ما هو فى عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة اولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة
من القمرين على الاجرام المحاذية لهما فلا يصح حقيقة الا انه قد يتجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف
بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المبنى وتدقيق هذا المعنى
عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه (اومنور السموات والارض) اى كما قرئ به
فى الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) اى بسبب الانوار الحسية من الكواكب
القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) اى الوهبية اى بسبب امداد الانوار المعنوية فى الافلاك القلبية
(وسماه) اى النبى عليه السلام (نورا) اى على احد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) اى
المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين
لجميع الاسرار (وقال فيه) اى فى حق نبيه (وسراجا منيرا) اى شمسا مضيئا لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
ففيه تنبيه نبيه ان الشمس اعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبى عليه السلام اعلى الانوار
المعنوية وان باقيها مستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية فى الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث
اول ما خلق الله نورى واما الحق فهو فى المقام المطلق (سمى بذلك) اى بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح
امره) اى امر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر
لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبى ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذى سأل فيه النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل فى جميع اعضائه وجهاته نورا وضم ذلك لقوله واجعلنى نورا ما قاله من انه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى فى الشمس او القمر لا يظهر له ظل والله سبحانه
وتعالى اعلم (ومن اسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) اى بظاهر ما يمكن مشاهدته
كما ان الخبير هو العالم بباطن ما لم يمكن احساسه (وقيل) اى فى معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاولى
اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة فى اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) اى الله
نبيه فى كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهدا ليلائم ترتيب ما رتبه (فقال انا ارسلناك شاهدا) اى عالما
او مطلعا (وقال) اى فى موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول) اى الا انه ابلغ وادل والاظهر
انه من مادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن اسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) اى النفع (وقيل المفضل) بضم
الميم وكسر الضاد اى ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلى)
اى الرفيع الشان عظيم البرهان بتعالى كرمه عن النقصان (وفى الحديث المروى) اى مما رواه ابن ماجه (فى اسمائه
تعالى الاكرم) وكذا جاء فى التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) اى المراد به

(محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (وقال عليه السلام انا اكرم ولد آدم) وسنده قد تقدم وفى لفظ
انا اكرم الاولين والآخرين اى افضلهم (ومعانى الاسم) اى اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة فى حقه
عليه السلام) اى بالكمال والتمام اذ من جملة ما صدر عنه من الكرم والانعام ما يدل عليه قول صفوان بن امية
وقد اعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى الفقر وهذا غاية الكرم فى ابن آدم (ومن اسمائه تعالى
العظيم) من عظم الشئ اذا كبر جسما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشان الذى كل شئ دونه)
اى فى الظهور والبرهان هذا وقيل الكبير اسم للكامل فى ذاته والجليل فى صفاته والعظيم فيهما فهو اجل منهما
(وقال تعالى فى النبى صلى الله عليه وسلم) فى كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار
اخلاقه البهية (ووقع فى اول سفر) بكسر اوله اى اول دفتر (من التوراة) اى من اسفارها (عن اسماعيل)
اى ابن الخليل والمعنى عن جهته وفى حقه (وسيلد عظيما) بالخطاب وفى نسخة بالغيبة بناء على جهتى التعبير
من رعاية المبنى والمعنى سيلد ولدا عظيما ويكون نبيا كريما (لامة عظيمة) اى فى الكمية او الكيفية كما يشير اليه
قوله تعالى كنتم خير امة وخيرية كل امة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) اى فى ذاته (وعلى خلق عظيم) اى فى صفاته
وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن اسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من
الجبر بضرب من القهر على ما هو فى الاصل ثم قد يستعمل فى الاصلاح المجرد كقول على رضى الله عنه يا جابر كل كسير
ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ومنه ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) اى لامور
عباده على وفق مراده (وقيل القاهر) اى فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته
ومشيئته (وقيل العلى) اى الرفيع البرهان (العظيم الشان وقيل المتكبر) اى المستغنى عن كل احد فى كل زمان ومكان
ولا يستغنى عنه احد فى كل شان واوان (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب داود) وفى نسخة فى كتب داود
اى زبوره او زبره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال) اى مناديا له فى عالم الارواح ومستحضرا له فى عالم
الاشباح (تقلد ايها الجبار سيفك) اى للكفار (فان ناموسك) بالالف قال التلمسانى يهمز ويسهل والناموس وعاء العلم
وصاحب سرك الذى تطلعه على باطن امرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكى والمراد هنا والله تعالى
علم ما يوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر ان يقال فى المعنى اى اعتبارك واقتدارك وانوار علومك واسرارك
(وشرائعك) اى احكامك واخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) اى قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق
يقينك (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باعتبار معانيه فى حقه سبحانه والمناسبة التامة
مما يقتضى شانه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) اى باظهار العناية والرعاية مما يحتاجون فى البداية
والنهاية (او لقهره اعداءه) اى ولجبره احباءه (او لعلو منزلته على البشر) اى جنس بنى آدم فى الفواضل النفسية
والفضائل الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين اى قدره ومرتبته على غيره (ونفى) اى الله تعالى (عنه فى القرآن جبرية
الكبر) التى لا تليق به وفى نسخة جبرية التكبر والاظهر جبرية القهر لقوله (فقال وما انت عليهم بجبار) اى بمسلط وقهار
تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان او ما انت عليهم بوصف الجبابرة بل بنعت الرأفة والرحمة (ومن اسمائه
تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهى العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشئ) بضم الكاف اى على غايته
ونهايته (العالم) وفى نسخة والعالم (بحقيقته) اى بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسأل به
خبيرا) واختلف فى المراد بالسائل والمسئول (قال القاضى بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد بن زياد
القشيرى من اولاد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه مات سنة اربع واربعين وثلثمائة ذكره التلمسانى وقال
الانطاكى هو المالكى (المأمور بالسؤال هو غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الخبير هو النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) اى فاسأل بما ذكر او عما ذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء
وهو سيد الانبياء (وقال غيره) اى غير بكر (بل السائل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسئول الله تعالى) وهو
اظهر الاقوال وقيل جبريل او من وحد الله فى كتبه المتقدمة (فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) اى ما قدمه
القاضى آنفا من قوله الخبير اما معناه العالم بحقيقة الشئ او المخبر (قيل) اى فى توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية
من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعنى فيصلح ان يكون سائلا (مخبر لامته بما اذن) اى ابيح (له فى
اعلامهم به) اى بما ينفعهم معاشا ومعادا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبرا فيصير مسئولا (ومن اسمائه تعالى الفتاح)
اى كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم (ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا اى احكم
لان الحكم فتح امر مغلق بين الخصمين وقد بين الله تعالى الحق واوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين

واقامة

واقامة البراهين فى امر الدين (او فاتح ابواب الرزق) اى على انواع الخلق من اسباب النعمة الدنيوية والاخروية
(والرحمة) اى من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة
اى المشكل (من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم) اى اعين بصيرتهم فقوله (وبصائرهم) عطف تفسير وفى نسخة
وابصارهم فالمعنى ابصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) اى وتمييزه عن الباطل (ويكون) اى الفتاح (ايضا بمعنى
الناصر) وكان الاظهر ان يقول ويكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اى ان
تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) اى معنى الفتاح (مبتدئ الفتح والنصر) يعنى ملاحظة المعنيين من الفتح
وهو الافتتاح والفتح ولا يبعد ان تكون الدال مفتوحة فمعنى جاءكم الفتح اى مبتدأه واوله وهذا كله بناء على النسخ
المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفى اصل الدلجى مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب
الافعال ولذا قال اى مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح فى حديث الاسراء الطويل) اى
على ما سبق بطوله (من رواية الربيع بن انس عن ابى العالية وغيره عن ابى هريرة) اى مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى)
يعنى الحديث القدسى (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) اى فيما بشكره (ورفع لى ذكرى) اى بعد ما شرح صدرى ووضع عنى وزرى
(وجعلنى فاتحا وخاتما) اى اولا بالنبوة فى عالم الارواح وآخرا بالرسالة فى عالم الاشباح (فيكون) اى فيحتمل
ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) اى بين الخصوم بما اعطى له من العلوم (او الفاتح لابواب الرحمة على امته) اى
لكونه رحمة للعالمين وامته امة مرحومة (والفاتح) الاظهر او الفاتح (لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) اى
على جهة الصدق (او الناصر للحق) اى بخذلان اعدائه وتبيان احبائه (او المبتدئ بهداية الامة) بكسر الدال
بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (او المبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال
المهملة ثم همزة مقصورة اى المبتدأ كما فى نسخة (المتقدم فى الانبياء) اى عند خلق انوارهم وتقسيم اسرارهم
(والخاتم لهم) اى بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى حال الخلقة
(وآخرهم فى البعث) اى فى بعثة الدعوة (ومن اسمائه تعالى فى الحديث) اى على ما رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه مرفوعا (الشكور) وفى القرآن ان ربنا الغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (ومعناه المثيب) اى
المجازى بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثنى على المطيعين) فيرجع الى صفة
الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجى المجازى عباده على شكرهم فليس من باب
المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من المعنى الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه
كان عبدا شكورا) ولقد قال ايضا فى حق هذه الامة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور اى لكل مؤمن كامل عالم
عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثانى بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى
اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال
الانطاكى لم يقع هذا من القاضى موقعه لانه فى معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم
وما خلع تعالى عليه من اسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم
فى اول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام فى جملتهم وكان فى ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة اخرى (وقد
وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) اى الوصف (فقال) اى فى الحديث المتقدم كما ذكره الترمذى وغيره
لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (افلا اكون عبدا
شكورا) يعنى وعلى مشقة عبادته صبورا (اى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك) اى بمقدار انعامه عندى (مثنيا عليه)
اى بلسانى وجنانى (مجهدا نفسى) اى فى القيام باركانى (فى الزيادة) اى فى تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم) اى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة فى القيام بشكر المنحة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية
لازالة مثالب المحنة (ومن اسمائه تعالى العليم) قال تعالى وهو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه ان يقول علام
الغيوب او علام الغيب اذ لم يرد العلام فى اسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) اى فى آية وفى اخرى عالم
الغيب اما للاكتفاء واما على برهان الاولى وغيبوبته بالنسبة الى غيره والا ففى الحقيقة لا غيب بالنسبة اليه تعالى
(ووصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) اى فى الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) اى بفضيلة
زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منته عليه (فقال وعلمك ما لم تكن تعلم) اى من المعارف الدينية
والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) اى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان

اعطى كل منهم حظا جسيما (وقال) اى فى مرتبة التكميل بعد مرتبة الكمال (ويعلمكم الكتاب) اى قرآنه مبنى (والحكمة) اى السنة لبيانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) اى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى الوحى بابدآء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فتدبر لعل المراد به احوال الحقيقة وبما سبق من الكتاب والسنة احكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة اقوالى والطريقة افعالى والحقيقة احوالى (ومن اسمائه تعالى الاول) اى وجودا بلا ابتدآء (والآخر) اى شهودا بلا انتهاء (ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها) اى ازلا (والباقى بعد فنائها) اى ابدا الحديث اللهم انت الاول فليس قبلك اى قبل ابدائك شئ وانت الآخر فليس بعدك اى بعد افنائك شئ وانت الظاهر فليس فوقك اى فوق ظهورك شئ باعتبار مظاهر افعالك وصفاتك وانت الباطن فليس دونك اى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض عنى دينى وأغننى من الفقر يعنى فانك الغنى المغنى (وتحقيقه) اى تحقيق كونه اولا وآخرا (انه ليس له اول) يعنى وهو موجد الاشياء ومبدعها (ولا آخر) الا انه مفنى الاشياء ومعيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه ازليا وابديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت اول الانبياء فى الخلق) اى فى بدء عالم الخلق (وآخرهم فى البعث) اى فى نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) اى بكونه اول الانبياء خلقا (قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح) اى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم اشهر ارباب الشرآئع وهم اولوا العزم من الرسل (فقدم) اى الله سبحانه (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكره على المتقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر فى الوجود عنهم فى عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته فى عالم الارواح وقد روى اول ما خلق الله نورى وفى لفظ روحى وورد انه اول من قال بلى فى الميثاق (وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فيما تقدم من قوله بأبى انت وامى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك اولهم اى فى الانباء فقال واذ اخذنا من النبيين الآية (ومنه) اى ومن قبيل قوله كنت اول الانبياء الخ اى باعتبار النسبة الاولية والسابقية والقبلية فى الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) اى فى الخلقة (السابقون) اى فى البعثة يوم القيامة او المقضى لهم قبل الخليقة كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) اى ومنه قوله (انا اول من تنشق الارض عنه) وفى نسخة عنه قبل الارض (واول من يدخل الجنة) اى هو وامته من الباب الايمن من ابوابها كما ورد فى بعض طرق الحديث (واول شافع واول مشفع) اى مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) اى لا نبى بعده (وآخر الرسل) تأكيد لما قبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وعليهم اجمعين قال الدلجى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم بالاول والآخر انما هو من حيث كونه اولا فى الخلق وآخرا فى البعث لا من حيث معناهما فى حقه تعالى فلا التفات الى ما ذكره هنا انتهى ولا يخفى انه لا خصوصية للتفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة اذ لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى وانما يكون بملاحظة المعنى المجازى او العرفى فالله سميع بصير عليم حى قدير مريد متكلم وقد اثبت هذه الصفات ايضا لبعض المخلوقات ولكن بينهما بون بين ولا يخفى مثل هذا على دين وقد افرد المصنف كما سيأتى فصلا فى بيان هذا الفصل لئلا يعدل احد عن مقام العدل هذا وقد روى التلمسانى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل جبريل فسلم على فقال فى سلامه السلام عليك يا اول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فانكرت ذلك عليه وقلت يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وانما هذه صفة الخالق الذى لا تليق الا به فقال يا محمد اعلم ان الله امرنى ان اسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما من اسمه ووصفا من وصفه وسماك بالاول لانك اول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء فى العصر وخاتم الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر فى ساق العرش قبل ان يخلق اباك آدم بالفى عام الى مالا غاية له ولا نهاية فامرنى بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد الف عام بعد الف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه اظهرك فى عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك اهل السموات والارض فما منهم من احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وانت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وانت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين حتى فى اسمى وصفتى (ومن اسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) وهو تفسير لما قبله (ومعناه القادر) اى التام القدرة الكامل القوة (ووصفه الله) اى نبيه (بذلك فقال

ذى قوة عند ذى العرش مكين قيل) اى المراد به (محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق) اى كما رواه ابن ماجه فى الاسماء الحسنى (فى الحديث المأثور) اى المروى عن ابى هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى ومن اصدق من الله قيلا والحمد لله الذى صدقنا وعده (وورد فى الحديث) اى الصحيح عن ابن مسعود (ايضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق) اى فيما يقوله (المصدوق) اى فيما يخبره يعنى المشهود له بصدقه فى كلامه سبحانه وتعالى بقوله وما ينطق عن الهوى (ومن اسمائه تعالى) اى فى القرآن (الولى) اى من قوله الله ولى الذين آمنوا كذا ذكره الدلجى وكانه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولى وقوله وهو الولى الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) اى معنى كل من الولى والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما فقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولى هو المتصرف فى امر عباده على وفق مراده وكذلك المولى فى وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لا يخفى على الناقد البصير وهو لا ينافى انه قد يراد بالولى والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام انا ولى كل مؤمن) رواه البخارى عن ابى هريرة وروى احمد وابو داود عن جابر نحوه وقال الله تعالى النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى على ما رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) اى من احبنى وتولانى فليتوله فانه منى قال الشافعى ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقد قال عمر لعلى رضى الله تعالى عنهما اصبحت مولى كل مؤمن اى وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (ومن اسمائه تعالى العفو) اى كثير العفو (ومعناه الصفوح) اى كثير الاعراض عن الاعتراض واصله امالة صفحة العنق عن الجانى ثم استعمل مجازا فى المعانى (وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا) وفى نسخة صحيحة بهذا نبيه (فى القرآن و) فى (التوراة) اما التوراة فكما سيأتى واما القرآن فكما قال المصنف (وامره بالعفو) ولا شك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) اى هذه الخصلة الحميدة وهى المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وامر اى الناس بالعرف اى المعروف شرعا وعرفا او نقلا وعقلا واعرض عن الجاهلين اى المعاندين من المجادلين (وقال) اى عز وجل (فاعف عنهم) اى تجاوز (واصفح) اى تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) اى النبى (عن قوله) اى عن معنى قوله تعالى (خذ العفو) اى الآية (قال ان تعفو عمن ظلمك) اى وتصل من قطعك وتعطى من حرمك (وقال فى التوراة) زيد فى نسخة والانجيل قال الانطاكى قال شيخنا برهان الدين الحلبى هذا الحديث ذكره البخارى فى صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر الانجيل (فى الحديث المشهور) اى الذى رواه عبد الله بن عمرو بن العاص فيما سبق (فى صفته) اى نعته فى التوراة (وليس بفظ) اى سيئ الخلق (ولا غليظ) اى جافى القلب (ولكن يعفو) اى يمحو فى الباطن (ويصفح) اى ويعرض فى الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن اسمائه تعالى الهادى وهو) اى الهداية فى صفة الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن اراد من عباده) ان يخلق الاهتدآء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة الموصلة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان ومجرد الدلالة كما فى قوله تعالى واما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى الدلالة) اى على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) اى وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله يدعو) اى عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) اى دار الله التى فيها رؤيته التى هى اعز المرام او دار يسلم الله تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام او دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدى) بتوفيقه (من يشاء) بتخصيصه (الى صراط مستقيم) اى دين قويم (واصل الجميع) اى جميع انواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو خلق الاهتدآء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) اى والاقبال (وقيل من التقديم) يعنى مكان من هدى مال الى ما هدى اليه او قدم اليه وكلا القولين غير معروف فى كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل فى تفسير طه انه) اى معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادى يعنى) اى يريد به او بهما (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدى الى صراط مستقيم) اى لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) اى بامره اى بتيسيره زيد فى نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى الثانى وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتدآء (قال تعالى انك لا تهدى من احببت) اى لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة

و لكن الله يهدى من يشاء) بتوفيقه للاجابة وقبول الهداية (وبمعنى الدلالة ينطلق على غيره) اى قد يطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية فى حق البارئ بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى بالمعنى الاول واختصاص غيره بالمعنى الثانى ولذا زيد فى نسخة هنا فهو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة اى لاغير (ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح (قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبنى على قول فاسد كما يجيء معبرا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذى وضع للتحقير غير مناسب لوصف العلى الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه نعم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان اصله مؤأمن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين او المؤتمن (فمعنى المؤمن فى حقه تعالى المصدق وعد عباده) اى وعده عباده كما فى نسخة اى المنجز ما وعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده او بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) اى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه نعت قوله اى من كلماته الثابتة فى آياته كما قال تعالى فورب السماء والارض انه الحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما اشار فى التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) اى بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله سبحانه اننى انا الله لا اله الا انا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديدها بعد الهمزة المفتوحة وهو مما لا حاجة اليه اى معطى الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) اى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهى فى غير محلها لعموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) اى من عذابه المخلد او من تعذيبه فان ما يقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه او اراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) مفيعل من الامانة (مصغر منه) اى من الامين بزيادة ميمه الاولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجى وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ما قيل من المؤمن على ان اصله مؤيمن (فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما يتعاقبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا ما يتعلق به من التحقيق والله ولى التوفيق (وقد قيل ان قولهم) اى قول المؤمنين (فى الدعاء) اى فى عقبه (آمين) اى بالمد والقصر (اسم) وفى نسخة انه اى آمين اسم (من اسماء الله تعالى) والظاهر انه بكسر همزة وانه بجملته ساد مسد خبران الاول فتأمل وقال الانطاكى انه بفتح الهمزة وهو للتعليل اى لانه اسم من اسماء الله تعالى كما روى ذلك عن مجاهد قال الانطاكى فمعناه يا آمين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب فى المعنى بين القولين فى المبنى قال النووى فى التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس فى اسماء الله تعالى اسم مبنى ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت الا بقرآن او سنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره الحلبى ثم قال وقوله او سنة متواترة كذلك آحادا وقد ذكره عن امام الحرمين انه يثبت اطلاقه عليه بالآحاد ذكره فى قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ما ورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه فى محل الاحتمال والله تعالى اعلم بالحال نعم قد ورد فى الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدى والطبرانى فى الدعاء عن ابى هريرة لكن المشهور فى معناه استجب وهو اسم مبنى على الفتح يمد و يقصر والمد اكثر وورد فى حديث قال بلال لرسول الله لا تسبقنى بآمين اى بعد قراءة الفاتحة فى الصلاة ولعل الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التأمين لبلال لا تسبقنى بآمين هذا وفى القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال ايضا عن الواحدى فى البسيط اسم من اسماء الله تعالى او معناه اللهم استجب او كذلك مثله فليكن او كذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامين مقصورا بمعنى المؤمن كما ان البديع بمعنى المبدع و يكون المدة تولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة او الذى يشهد على كل نفس بما كسبت من خير او شر (والحافظ) اى و بمعنى الحافظ والواو بمعنى او اى الحافظ لعباده احوالهم والمحصى عليهم اعمالهم واقوالهم (والنبى صلى الله عليه وسلم امين) اى مأمون بمعنى معصوم ومصون او صاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) اى بمعنى عالم ومشاهد ورقيب وقريب (ومؤمن) اى مصدق او معطى الامن (وقد سماه) اى الله (امينا) اى عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم امين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) اى فيما بين اهل الجاهلية (يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) اى لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

(وسماه

(وسماه العباس) اى فى شعره كما فى نسخة (مهيمنا فى قوله) اى من ابيات انشأها او انشدها فى مدحه عليه السلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقد مر بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام فى هذا المقام (وقيل المراد يا ايها المهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتيبى) بالتصغير وفى نسخة بدون التحتية وفى اخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمسانى بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكى عن الاصمعى ان الاقتاب هى الامعاء واحدتها قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل والنسبة اليها قتبى كما تقول جهنى فى جهينة حكاه عن الجوهرى وغيره ثم هو عن الدينورى بكسر الدال وفتح النون وقيل المروزى النحوى صاحب كتاب المعارف وادب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق بن راهويه وابى حاتم السجستانى وتلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غرائب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعراء وغير ذلك توفى سنة ست وسبعين على ما صححه ابن خلكان (والامام ابو القاسم القشيرى) هو عبد الكريم ابن هوازن النيسابورى صاحب الرسالة وولى الله توفى سنة خمس وستين واربعمائة (وقال تعالى) اى فى حق نبيه (يؤمن بالله) اى يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه وجوده (ويؤمن للمؤمنين) اى يصدقهم بعلمهم بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (اى يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدى بالباء واللام لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون (وقال) اى كما فى حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (انا أمنة) بفتحتين (لاصحابى) اى ذو امن او هو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) اى معطى الامن والامان لاهل الايمان اذ كانت الصحابة فى ظل حرم كنفه آمنين واما قول الدلجى جمع امين كبررة جمع بر فهو غير موافق اصلا لانه غير مطابق وزنا وحملا (ومن اسمائه تعالى القدوس) بضم القاف و يفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقائص) اى ازلا (المطهر من سمات الحدث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة اى من صفات الحدوث ابدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس او يتخيله وهم او يحيط به عقل او يتصوره فهم لما قيل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (وسمى بيت المقدس) اى على ما ورد وهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره ونقل تكرره اى سمى بيت المقدس ببيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه اى وسمى بيت المقدس انتهى ولا يخفى ان تقديرنا اولى لان المفعول الثانى بالحذف احرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات انسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول اى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) اى كما جاء فى القرآن وهو بمعنى المطهر او المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) اى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها اى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) اى الكرام والمعنى فى جميعها او بعضها (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام) اى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) اى وقع المقدس فى جملة اسمائه وسماته (اى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) اى على فرض وقوع ذلك فتدبر (او الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها) اى عن العيوب (كما قال تعالى ويزكيهم) اى يطهرهم عما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) اى من ظلمات انواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر او من ظلمات الشبهة فى الدين بما يهديهم الله به و يضيء لهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الالة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه اكثر قبول (او يكون) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة اى الردية (والاوصاف الدنية) بتشديد الياء التحتية واصله الهمز من الدناءة بمعنى الرداءة كما فى نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرائر (ومن اسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع) اى بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (او الذى لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود فى نظر ارباب الشهود وهو معنى البديع المنيع (او المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوى

من عز يعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث اى قوينا (وقال تعالى ولله العزة) اى القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله اى الامتناع) يعنى بظهور السلطان (وجلالة القدر) اى بارتفاع الشان له سبحانه وتعالى ولمن اعزه كرسوله فعزته بربه فى الاية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم اولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبى انه قال المعلق اراد به الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمنى فى الاكتفاء فى شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف ايضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى والغرض اختصاصه وعجيب من القاضى كيف خفى عليه مثل هذا الشان انتهى ولا يخفى ان قوله والغرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر فى معرض البرهان فان اكثر الاوصاف المتقدمة انما هى واقعة بالصفة المجتمعة ومنها المؤمن حيث اطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من افراد اتباعه على انه لا يلزم من وصف الشئ بالشئ اختصاصه به ولا نفيه عن غيره نعم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز على ان ما بعده وهو قوله عليه ما عنتم كلام منقطع عما قبله وصفة اخرى له (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعنى بطريق الاشارة لا على سبيل العبارة حيث اثبت له هذا الفعل وان لم يذكر بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعنى به رسوله (فقال) اى عز وعلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) اى فى موضع (و) فى محل آخر يبشرك (بكلمة منه) اى اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) اى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (مبشرا ونذيرا) اى فى قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد فى نسخة وبشيرا اى وسماه بشيرا فى قوله سبحانه وتعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (اى مبشرا لاهل طاعته) يعنى بدار الثواب (ونذيرا) اى ومنذرا ومخوفا (لاهل معصيته) يعنى دار العقاب (ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل فى الطاء ايماء الى طاهر وفى الهاء الى الهادى وفى الياء الى يد الله مبسوطة وفى السين الى انه سيد او سميع (وقد ذكر بعضهم ايضا) اى من المفسرين (انهما من اسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وشرف وكرم فهو طاهر وهاد كما تقدم وقد سبق ان يس معناه يا سيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ما ذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء المعتبرين ان طه ايضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يا مشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء اربعة عشر على حساب ابجد الجمل فتأمل واغرب الدلجى فى قوله ان هذا قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله تعالى اعلم بمراده بهما انتهى ولا يخفى ان المراد خفى فى المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ما ذكر بناء على الاحتمالات الناشئة من العبارات او المنبئة عن الاشارات

(فصـــــل)

(قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وفقه الله تعالى) اى لما يحبه ويرضاه (وها هنا) اى فى هذا المقام (اذكر نكتة) اى جملة مفيدة (اذيل بها هذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة اى اجعل اياها ذيلا لتمام المرام فى مقام الفضل ووقع فى اصل الدلجى وغيره وها انا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ او خبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال ويروى اذكر (واختم بها هذا القسم) اى من بين اقسام بيان الفضل بالفصل بين الفرع والاصل (وازيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى اى وازيل بها الاغلاق الواقع (فى ما تقدم) اى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء ويحرك (سقيم الفهم) اى حذرا من وقوعه فيما يرديه (تخلصه) اى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة اى مهالكه فى مباديه او تناهيه ويروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة اى وتبعده عن الشبهات المموهة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسطة بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى اى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب اى ذلك الاشكال (ان يعتقد) اى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) اى وصفه ورسمه (فى عظمته) اى فى ذاته (وكبريائه) اى فى صفاته (وملكوته) اى فى ارضه وسمواته (وحسنى اسمائه) اى واسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا ومعناه الرفيعة اى وصفاته العلى وضبط فى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع اى وصفاته العلية ونعوته السنية (لا يشبه) اى الله سبحانه (شيأ من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول اى ولا يمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته (وان ما جاء) اى من الاسم والصفة

(تما

مما اطلقه الشرع) اى فى الكتاب والسنة (على الخالق) اى تارة (وعلى المخلوق) اى اخرى لما بينهما من الاشتقاق اللغوى (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بالطريق المجازى (اذ صفات القديم) اى الازلى الابدى لان ما ثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق) اى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات) اى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لا تشبه صفات المخلوقين) اى من جميع الجهات (اذ صفاتهم) اى لحدوثها (لا تنفك) اى لا تزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاغراض) اى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذ لا عرض يعرض هنالك لانه لا يعترى ذاته عرض ولا تعلل افعاله بغرض واما ما يشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل بصفاته واسمائه) اى موجودا ولا يزال بذاته ونعوته فى نظر ارباب التوحيد واصحاب التفريد منشودا واما صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيى والمميت فهى قديمة ايضا على ما اختاره المحققون من الماتريدى ومتابعيه خلافا للاشعرى ومتابعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها وتعيين معانيها واما قول الدلجى من انه سبحانه وتعالى موصوف بسمع وبصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه باوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع انه سبحانه وتعالى يجب التنزه له عن ذلك اذ ليس كمثله شئ هنالك لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا اصلا (وكفى فى هذا) اى حسبك فى كون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته فى جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شئ) قيل الكاف زائدة فى هذا المقام اذ الكلام يتم بدونه فى حصول المرام وقيل بزيادة المثل مبالغة فى نفى المثل كما فى قولهم مثلك لا يبخل فانه اذا نفى عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه اولى فى مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شئ وقال التلمسانى والمحققون على ان لا صلة لان المراد منه نفى المماثلة من وجه وهذا لانه لم يقل احد بان لله مثلا من كل وجه وانما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج الى نفى هذه المماثلة ومن شأنهم انهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهنا وجه ادق وهو بالبيان احق وهو ان نفى مثل المثل يوجب نفى المثل (ولله در من قال) الدر فى الاصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله او خيره (من العلماء العارفين) اى الجامعين فى العلم والمعرفة الباهرة بين الانوار الظاهرة والاسرار الباطنة (المحققين) اى فى تبيان المبنى والمدققين فى برهان المعنى (التوحيد اثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة او بفتحها مثقلة اى غير مشبهة (للذوات) اى لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) اى الصفات الكاملات القديمات اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة فى التوحيد قلنا لا محذور فى تعدد الصفات وانما المحذور تعدد الذوات (وزاد هذه النكتة) اى معناها (الواسطى بيانا) اى وضوحا وبرهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) اى ليعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) اى لاتصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) اى الخاص به (اسم) اى كاسم الله والرحمن فانهما لا يطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) اى من خلق ورزق واحياء وافناء وايجاد وامداد (ولا كصفته صفة) اى لقدمها وحدوث غيرها او لكمالها ونقصان ما عداها (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) اى مطابقة لفظة وصف الخلق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مما سبق (وجلت) بتشديد اللام اى عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) اى حادثة وجدت او جديدة بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال لخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص اتفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وايضا لا يجوز ان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما فى علم الكلام تمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضرورية والامور البديهية (وهذا) اى الكلام من زبدة المشايخ الكرام (كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة) اى من العلماء والائمة (رضى الله عنهم) اى اجمعين (وقد فسر الامام ابو القاسم القشيرى قوله) اى قول الواسطى (هذا) اى المذكور سابقا (ليزيده بيانا) اى وبرهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) اى ما زاده الواسطى آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) اى مما عليها مدار ارباب الدراية وهى اعتقاد ان لا شريك له فى الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب او انكار اى ولا (تشبه ذاته) اى الغنية بصفاته (ذات المحدثات) اى المفتقرة الى موجدها فى جميع الحالات (وهى) اى والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) اى بوجوب وجودها وثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) اى عن جميع الاشياء كما قال والله الغنى وانتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا

اومفعولا وفى نسخة من فعل الخلق (وهو) اى والحال ان فعله لايعلل بغرض ولاعرض ولاعوض فصدوره
عنه (لغيرجلب انس) لاستغنائه عن جليس وانيس (اودفع نقص) اى ولادفع نقص (حصل) اى تداركا لمابه
يتكمل (ولالخواطر) باللام ويروى بالباء فاللام تعليلية والباء سببية اى ولايكون بحصول خواطر باعثة له
عليه (واغراض) بالغين المعجمة (وجد) اى شئ منها الامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجى بقوله
وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولايكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقول المصنف (ولا بمباشرة
ومعالجة) اى لابانفراده ولابالواسطة بل كما قال تعالى اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون (وفعل الخلق لايخرج
عن هذه الوجوه) اى من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غير معروف كما ذكره الحلبى
(من مشايخنا) اى مخاطبا لمريديه (ماتوهمتموه باوهامكم وادركتموه بعقولكم) اى ولوفى اكمل احوالكم وافضل
مرامكم (فهو محدث) بفتح الدال اى حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ماخطر ببالك فالله وراء
ذلك (وقال الامام ابو المعالى) عبد الملك اى ابن ابى محمد (الجوينى) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة
تسع عشرة واربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة اربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جملة مشايخ الغزالى
(من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره) اى وتقرر فيه ذهنه وتصوّر انه بعينه لايتصوّر غيره (فهو مشبه) بكسر
الموحدة المشددة اى فهو من اهل التشبيه لله بذلك الموجود مماسواه (ومن اطمأن) اى سكن (الى النفى المحض)
اى ذاتا وصفة (فهو معطل) اى من اهل تعطيل الكون من ان يكون له مكوّن كالدهرية والمعتزلة (وان قطع
بموجود) اى من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها اى ادراك
حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روى عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده
حديث سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولايحيطون به علما وهذا احد
محامل ماورد عليكم بدين العجائز (وما احسن قول ذى النون المصرى) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان ابوه
نوبيا وصار عالما فصيحا حكيما توفى سنة خمس واربعين ومائتين قال الدارقطنى روى عن مالك بن انس احاديث
فى اسنادها نظر (حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله فى الاشياء) اى فى ايجادها (بلا علاج) اى بلا معالجة
ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) اى وتعلم ان صنعه (لها بلا امتزاج) اى بلا خلط شئ بشئ او باشياء
لتركيبه فى الابداء بل خلق الاشياء اما ابداعا بدون مادة كالسموات او تكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب
ماتعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شئ صنعه) اى مجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته
(ولا علة لصنعه) لان افعاله لا تعلل (وما تصوّر) بصيغة المفعول او الفاعل اى وما خطر (فى وهمك فالله بخلافه)
اى بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا الكلام عجيب نفيس) اى مرام غريب (محقق) اى ثابت فى مقام العلم مدقق
(والفصل الاخير) وفى نسخة الآخر بكسر الخاء وهو الفقرة الثالثة يعنى قوله وما تصوّر فى وهمك فالله بخلافه
(هو تفسير) اى توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شئ والثانى) اى من الفصول وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة
لصنعه (تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل) اى كما اشار اليه الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هؤلاء للجنة
ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى ومجمله فى التفسير قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وغايته ان فعله وقع
اولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) اى من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون) اى ليس هنالك الاظهور اثر القدرة على وفق الارادة من غير تصور العلة (ثبتنا الله تعالى واياك
على التوحيد) اى على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) اى من جهة الصفات (والتنزيه) اى
واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) اى بعدنا (طرق الضلالة والغواية
من التعطيل والتشبيه) اى من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لايجب عليه شئ لبريته

(الباب الرابع)

اى من القسم الاول (فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) اى الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى
الرسالة (وشرفه به من الخصائص) اى الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء امته واولياء ملته قال الحلبى نقل
بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الحنفى شارح القدورى ومصنف القنية فى رسالته
الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله اراد غير
المعجزات التى فى القرآن كما سيأتى فى كلام المصنف من البيان (قال القاضى ابو الفضل) اى المؤلف رحمه الله تعالى
(حسب المتأمل) بسكون السين اى كافيه (ان يحقق ان كتابنا هذا) اى المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا)

اى ورسالته (ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج) هو بالنصب بتقدير ان اى حتى نحتاج نحن معه فى بحث الدين (الى
نصب البراهين) اى الادلة النقلية والعقلية (عليها) اى على اثبات معجزاته (وتحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو
ساكنة ثم زاى مفتوحة واصلها بيضة الملك والمراد بها جمعها من حواليها واطرافها ونواحيها اى وحفظ افرادها
مجموعة محصنة (حتى لايتوصل الطاعن اليها) اى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج اى
وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحدى) بالنصب اى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشددة طلب
المعارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب ايضا وهو بفتح الحاء وتشديد الدال اى وتعريفه بانه طلب
المعارضة (وفساد) اى ونذكر فساد (قول من ابطل نسخ الشرائع) كاليهود وغيرهم (ورده) اى ونذكر رد قول مبطله
والحاصل انا لم نجمعه لشئ من ذلك فلم نحتج الى ذكر مايدفع شيأ مما هنالك (بل الفناه) بتشديد اللام اى جمعنا كتابنا هذا
(لاهل ملته) اى لاهل اجابة دينه وشريعته من امته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة اى المجيبين (لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون) اى ما فى تأليفنا هذا (تأكيدا فى محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمو اى ومزيدا
(لاعمالهم) اى وفق متابعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اى بضم ايقانهم الى مجرد ايمانهم (ونيتنا) اى قصدنا
وغرضنا (ان نثبت) بالتخفيف والتشديد اى نذكر (فى هذا الباب امهات معجزاته) اى معظماتها واصولها
(ومشاهير آياته) اى من فصولها (لتدل) بالتاء الفوقية اى تلك المعجزات الواضحات والكرامات البينات
(على عظيم قدره) وفى نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الظاء اى على عظمة مقدار قربه (عند ربه) اى وفق كمال
حبه وفى نسخة لندل بالنون اى بسبب تأليفنا ووقع فى اصل الدلجى بصيغة التذكير فقال اى ماتواه من اثباتها
(واتينا) بفتح الهمز اى وجئنا (منها) اى بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف اى بالثابت وقوعه فى القرآن
القديم (والصحيح الاسناد) اى الواقع فى الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (واكثره)
اى اغلب ما ذكر فى هذا الباب (مما بلغ القطع) اى العلم القطعى او الامر اليقينى (او كاد) اى قارب ان يبلغه للتواتر
المعنوى دون اللفظى وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ماسبق من الاسناد او للاكتفاء للعلم بالمراد (واضفنا اليها)
اى الى المعجزات الثابتة بالكتاب والسنة (بعض ماوقع فى مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح الستة (واذا تامل
المتأمل المنصف) اى الخارج عن وصف التعسف يقال انصف اذا اعطى الحق من نفسه (ماقدمناه من جميل اثره)
اى مآثره الجميلة ومفاخره الجزيلة (وحميد سيره) اى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) اى وتفوقه
على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) اى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحلماء (وجملة كماله) اى ومجمل
كمالاته العلية (وجميع خصاله) اى اعماله واحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله)
اى من حكمه الجلية (لم يمتر) جواب اذا اى لم يشك (فى صحة نبوته وصدق دعوته) اى فى نسبة رسالته بتبليغ
دعوة الحق الى عامة الخلق (وقد كفى هذا) اى ماذكرنا (غير واحد) اى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه)
اى من جهة انقياده (والايمان به) اى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة
الفاعل ايضا والمعنى فوصل الينا روايته (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبد الباقى
ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهملة وقد تصحف بابن نافع بالنون اولا والفاء بعد الالف وقد سبق
ترجمتهما (وغيرهما) اى من المخرجين (باسانيدهم ان عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام
(قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) اى الامينة السكينة (جئته) جواب لما اى اتيته (لانظر اليه)
اى الى وجه امره وظهور شانه وانأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) اى رأيت ظاهر وجهه
الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه اى ابصرت وجهه ظاهرا (عرفت) اى ظهر لى من امارات
صدقه اللائحة على صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهه ليس بوجه كذاب) وتركيبه
بالاضافة ويجوز بالوصفية للمبالغة (حدثنا به) اى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبد الله بن سلام
هذا بعينه (القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير والصواب على
ماتقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون
واو ونون منصرف ويمنع (عن ابى يعلى البغدادى) بالدال المهملة اولا والمعجمة ثانيا وهو افصح من عكسه وكذا من
اهمالهما واعجامهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن ابى على السنجى) بكسر المهملة فنون ساكنة فجيم
فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة وتشديد
المعجمة (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) اى الحافظ احد الاشراف عن ايوب ويونس وحميد وعنه احمد وابن اسحق وابن عرفة

وثقه ابن معين وقال اختلط باخره اخرج له الائمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن ابى عدى) بصرى سلمى يروى عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان البصرى احد الاعلام عن هشام وحميد والاعمش وعنه احمد وابن معين وابن المدينى قال احمد ما رأت عيناى مثله وقال بندار امام اهل زمانه يحيى القطان واختلفت اليه عشرين سنة فما اظن انه عصى الله قط (عن عوف ابن ابى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابى) لدخوله درب الاعراب قاله ابن دقيق العيد اخرج له الائمة الستة (عن زرارة) بضم الزاى فى اوله (ابن اوفى) وفى نسخة ابن ابى اوفى قال الحلبى والصواب الاول وهو قاضى البصرة ويروى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعنه قتادة وغيره عالم ثقة كبير القدر ام فى دار مقترأ فاذا نقر فى الناقور فشهق فمات قال الحلبى وقد ذكر خبر موته كذلك الترمذى فى جامعه فى باب ما جاء فى وصف صلاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل بسنده اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) اى على ما تقدم آنفا قال الحلبى وحديثه المذكور هنا على ما اخرجه القاضى عياض من جامع الترمذى اخرجه فى الزهد وقال صحيح وهو فى سنن ابن ماجه ايضا فى الصلاة عن محمد بن بشار به اى بسنده وفى الاطعمة عن ابى بكر ابن ابى شيبة عن ابى اسامة عن ابى عوف نحوه وكما روى ان ابابكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى اول امره كلما نظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأمل فى ذاته الكريمة كان يقول خلق هذا الامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذى كنت ارجو منك فى سابق الايام (وعن ابى رمثة) بكسر الراء وميم ساكنة ثم مثلثة (التميمى) بميمين وفى نسخة التيمى ويقال ان فى حقه على ما ذكره الحلبى (اتيت) وفى نسخة قال اتيت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جئته (ومعى ابن لى) لا يعرف اسمه (فاريته) بصيغة المجهول اى فارانيه بعض من يعرفه من اصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لى ما عليه من لوائح الصدق ولوائح الحق (قلت هذا نبى الله) رواه ابن سعيد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة من ازدشنوءة وكان صديقا له صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته بالنبوة (لما وفد عليه) اى جاء اليه بمكة وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد انى راق هل بك شئ ارقيك (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) نفيا لما نسب اليه باثبات كمال العقل مما يظهر من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب الحمد وفى نسخة واقتصر عليها الشمنى بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين نعم لفظ الحديث على ما فى الحصن الحصين وان تولى عقد الخطبته ان الحمد لله فضبط هنالك بالوجهين واما هاهنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود القول الصريح وهى لا تكون الا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحى والنداء وامثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة الاسمية والفعلية تأكيدا للقضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام او الاولى خبرية والثانية انشائية او الاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من امته واهل ملته واما كون النون للعظمة على ما ذكره الدلجى فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) اى فى الحمد وغيره (من يهده الله) وفى نسخة صحيحة من يهد الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له) بحذف المفعول فى جميع الاصول وفيه نكتة لا تخفى على اصحاب الوصول (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) تأكيد لما قبله (وان محمدا عبده ورسوله) افرد الفعل فى مقام التوحيد كما يناسبه مرام التفريد ولان الشهادة امر غيبى لا يطلع عليه كل احد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله اولى مما حمله الدلجى على التفنن فى العبارة والتنوع فى الاشارة (قال) اى ضماد (له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اعد على كلماتك هؤلاء) اى كررها لدى واظهرها على فانه كما قيل

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره ✱ هو المسك ما كررته يتضوع

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء فى رواية انه عليه السلام اعادها عليه ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء (فقد بلغن قاموس البحر) بالقاف والميم اى وصلن الى وسطه او قعره او لجته وتموج حجته وتبين محجته تعجبا من فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها وفى نسخة قاعوس بالعين المهملة وفى اخرى قابوس بالموحدة وفى اخرى ناعوس بالتاء الفوقية او النون مع العين المهملة والمعانى متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء اى اعطى (يدك) اى اليمنى (ابايعك) بسكون العين جزما على جواب الامر اى لابايعك على الايمان فبايعه وهو ممن اسلم فى اول الاسلام على ما ذكره ابن عبد البر واما قول الحلبى هات امر من هاتى يهاتى فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل ولذا ذكره صاحب القاموس فى مادة هيت وقال هات بكسر التاء اى اعطى لكن ذكره فى المعتل اللام ايضا

وقال

وقال هات يا رجل اى اعط والمهاتاة مفاعلة منه ويؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع بن شداد) بتشديد الدال الاولى وجامع هذا محاربى اسدى كوفى يقال له ابو صخرة يروى عن صفوان بن محرز وعدة وعنه القطان وابن عدى وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ما قاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل منا) اى من اهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب ابو عبد الله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبرانه راى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير) اى معنا للبيع (قال بكم) اى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا من تمر) بفتح الواو وتكسر اى ستين صاعا على ما فى حديث (فاخذ) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بخطامه) اى برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) اى فيما بيننا (بعنا) اى بعيرنا (من رجل لا ندرى من هو) اى باسمه ولا برسمه (ومعنا ظعينة) اى امرأة مسافرة او فى هودجها ويحتمل اذا ظعنت اى ارتحلت على راحلتها وقد ابعد الدلجى فى قوله اى امرأة سميت ظعينة لانها تظعن اى تسير مع زوجها حيث سار (فقالت انا ضامنة) اى متضمنة وفى نسخة بالاضافة وهى مصحفة (لثمن البعير) مبالغة فى ضمانها بقبول الذمة لكمال الهمة وزوال التهمة (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) اى فى وقت كماله من القدر (لا يخيس) بفتح الياء اى لا يغدر (بكم فاصبحنا) اى على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) اى كثير (فقال انا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم ان تأكلوا من هذا التمر) اى مقدار ما شئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) اى وان تكتالوا (حتى تستوفوا) اى حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفى خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون النون ودال مهملة والف مقصورة او ممدودة على اختلاف فى اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم اوله وبفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه انتهى وقوله (ملك عمان) بضم العين وتخفيف الميم على ما اختاره الحلبى وقال وفى نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو او تصحيف كما لا يخفى وذكر الدلجى انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من ارض البلقاء واما ما هو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة فى كتاب الردة عن ابن اسحق فى خبر الجلندى ملك عمان (لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) اى مع سائر الانام وهو يحتمل ان يكون بالكتابة او بالرسالة (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) اى على صدق قضيته وثبوت حقيقته (انه) اى كونه عليه الصلاة والسلام (لا يأمر بخير) اى احدا (الا كان اول آخذ به) بصيغة الفاعل اى عامل له (ولا ينهى عن شئ) اى احدا (الا كان اول تارك له) وفى نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملائم لمقابلة قوله بخير (وانه) اى عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة المعلوم اى على اعدائه (فلا يبطر) بفتح الطاء اى لا يطغى او لا يفتخر عند احبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلا يضجر) بفتح الجيم اى لا يجزع ولا يفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما فى حكم ابن عطاء مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وكما قيل الحرب سجال ولقول بعضهم

فيوما علينا ويوما لنا ✱ ويوما نساء ويوما نسر

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان فى غالبيته نصرة الاولياء وفى مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل امر المؤمن مقرون بخير فى الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (ويفى بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) اى ويصدق الوعد (واشهد انه نبى) فلله دره وما اتم نظره حيث حملته محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة الى اظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو وتحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره (فى قوله تعالى يكاد زيتها يضيء) اى يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولو لم تمسسه نار) تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) اى كأنه تعالى يقول (يكاد منظره) اى يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم اى وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قرآنه الدالة على انواع معجزته (كما قال ابن رواحة) اى فى نعته وهو بفتح الراء انصارى نقيب بدرى احد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر احدا والخندق واستشهد بموتة بضم الميم اميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لو لم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها اى لو لم يوجد فى حقه آيات ظاهرة او معجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) اصله ينبئك بالهمز فسكن ضرورة ثم جوز ابداله لغة هذا وقد نسب الشيخ تقى الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغير شطره الثانى حيث قال

وما احسن قول حسان

لولم تكن فيه ايات مبينة * كانت بديهته تأتيك بالخبر

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد فى المبنى وان كان احدهما اظهر فى المعنى (وقد آن) اى حان (ان نأخذ) اى نشرع (فى ذكر النبوّة) وهى حالة الولاية قبل الرسالة (والوحى) اى و بيان الوحى الشامل لحال النبوّة (والرسالة) اى وبيان نعت الرسالة وما تتميز به عن مرتبة النبوّة (وبعده) اى وبعد فراغ هذا الشان نشرع (فى معجزة القرآن) اى وما يتعلق به من البيان (ومافيه) اى فى القرآن (من برهان) اى حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر اى وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم فى هذا الباب ثلاثون فصلا

(فصــــل)

(اعلم ان الله تعالى قادر على خلق المعرفة) اى جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (فى قلوب عباده) اى على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه فى بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام فى صدره (والعلم) اى وعلى خلق العلم الكلى الاجمالى المتعلق (بذاته) اى الاسنى (واسمائه) اى الحسنى (وصفاته) اى العلى (وجميع تكليفاته) اى التى الزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) اى بافاضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) اى من ارسال ملائكته (لوشاء) اى لو تعلقت به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء) اى وروى عن بعض الاولياء من امته حيث حصل لهم العلم اللدنى من الالهام الالهى فى امور خارقة للعادة ظهر تحقيقها عند اصحاب الارادة (وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) اى وحى الهام اورؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) اى فى قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) اى ماذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) اى من ملك اونبى اوولى (يبلغهم كلامه) اى مما يقتضى مرامه (وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء اومن جنسهم كالانبياء مع الامم) وفى معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغى لهم اتباعهم (ولا مانع لهذا) اى لماذكر من حالتى الابتداء والواسطة فى الابداء (من دليل العقل) اى وقد ثبت بدليل النقل (واذا جازهذا) اى نقلا وعقلا (ولم يستحل) اى ولم يعد ذلك محالا اصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) اى الباهرة وآياتهم القاهرة (وجب) اى على المرسل اليهم (تصديقهم فى جميع ما اتوابه) اى من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدى) اى طلب المعارضة (من النبى) اى ممن يصح ان يكون له نعت النبوّة ولم يكن من اهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) اى شهادته فى تحقيق دعوته (صدق عبدى فاطيعوه) اى فى الاصول (واتبعوه) اى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) اى من اخبار الاولين وانباء الاخرين واحوال الدنيا واهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى ارسلنى ان يفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت و يستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظير هذا ان الرجل اذا قام فى محفل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت ايها الملك صادقا فى دعواى تخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم اقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) اى للمدعى (والتطويل فيه خارج عن الغرض) اى الاصلى ههنا (فمن اراد تتبعه) اى مستقصى (وجده مستوفى فى كتب ائمتنا) اى مصنفات ائمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله) حيث بالغوا فى تحقيق امر التوحيد وما يتعلق به من امر النبوّة وما يتبعه من اثبات المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية و بيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وابعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذلا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوّة فى لغة من يهمز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف اخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) اى مع بقائه على هذا المبنى واراد ته من المعنى (تسهيلا) اى تخفيفا اوجبه كثرة الاستعمال بجعل الهمزة واوا وادغامها فى مثلها كالمروّة واما فى نحو النبى فتخفيفه بجعل الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) اى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى اطلعه على غيبه) اى بعض مغيباته او على غيبه المختص به من عنده به (واعلمه انه نبيه فيكون نبيا) اى فى المبنى (منبأ) اى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنوّنة او بفتح النون

وتشديد

وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) اى ولو كان على زنة مفعل (اويكون) اى النبى (مخبرا عن ما بعثه الله به ومنبئا) بالتخفيف او التشديد مكسورا اى معلما (بما اطلعه الله تعالى عليه ففعيل بمعنى فاعل اويكون) اى النبى (عند من لم يهمزه) اى ولم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبديله (من النبوة) اى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ما اخبر بقوله (ماارتفع من الارض) او بمعنى الرفعة (ومعناه) اى حينئذ على طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) اى منزلة لطيفة (عند مولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون اى زائدة او مرتفعة واصلها من أناف اذا اشرف ثم هو ايضا بهذا المعنى يحتمل ان يكون فى المبنى بمعنى الفاعل او المفعول اى مرتفع الشان اورفيع البرهان (فالوصفان فى حقه مؤتلفان) اى الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما فى حق النبى يجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجى فالوصفان من كونه منبأ اومنبئا فقاصر عن استيفاء حق الموصوف كما لا يخفى على اهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفى خلقه لانفاذ حكمه (ولم يأت فعول بمعنى مفعل الا نادرا) اى قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) اى كونه ليس بحقيقى بل على وجه حكمى هو (امر الله له بالابلاغ) وروى بالبلاغ اى بتبليغ امره (الى من ارسل اليه) قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قد يكون بواسطة الملائكة وقد يكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) اى اخذه من حيث المبنى (من التتابع) اى من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس ارسالا) بفتح اوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) اى فى المأتى وقد ورد انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ارسالا اى بعضهم تبع بعضا (فكأنه) اى الرسول (الزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفى نسخة التزم تكرير التبليغ فهو مفعول اول (او) وفى نسخة بالواو (الزمت) وفى نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبى والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى اصل اللغة فى المعنى (واختلف العلماء) اى بحسب الاصطلاح الشرعى او العرفى (هل النبى والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين فى اطلاق كل منهما على الآخر (او بمعنيين) اى متباينين او متغايرين بان يكون النبى اعم والرسول اخص (فقيل هما سواء) اى فى المعنى فكل منهما انسان اوحى اليه بشرع مجدد اوغير مجدد (واصله) اى اصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) اى الاخبار (وهو الاعلام) يعنى فيلزم معنى النبوّة اذا كانت من الانباء معنى الرسالة التى بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لا يلزم من انباء الله تعالى لعبده امرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا) اى لكونهما سواء فى المعنى (بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فقد اثبت) اى الله تعالى (لهما الارسال معا) اى ولم يجعل للعطف حكما بمغايرة بينهما (ولا يكون) وفى نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبى الا رسولا ولا) اى ولا يكون (الرسول الا نبيا) اى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوى وهو البعث والاظهار لا بالمعنى الاصطلاحى والا لكفى ان يقول وما ارسلنا من قبلك احدا وسيأتى زيادة بيان لهذا المبحث (وقيل هما مفترقان من وجه) يعنى ومجتمعان من وجه اذ العطف يقتضى التغاير فى الجملة لا سيما مع وجود لا المزيدة للتأكيد والمبالغة (اذ قد اجتمعا) تعليل للقضية المطوية اى اجتمع مادتهما معنى (فى النبوّة) اى على تقدير انها مهموزة وهى مأخوذة من الانباء (التى هى الاطلاع) اى لهما من عنده سبحانه وتعالى (على الغيب) اى على بعض الامور الغيبية من الامور الدينية والدنيوية والاخروية (والاعلام) اى وكذا الاعلام لهما من عند ربهما (بخواص النبوّة) اى والرسالة والمعنى باختصاصهما بامور لا توجد فى غيرهما (او الرفعة) اى او اجتمعا فى الرفعة (بمعرفة ذلك) اى شان النبوّة والرسالة (وحوز درجتهما) اى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا فى زيادة الرسالة للرسول) اى باختصاص الارسال (وهو الامر بالانذار) وهو الاعلام بالشئ الذى يحذر منه (والاعلام) تفسير او اخص مما قبله لشموله التبشير وتبيين احكام الاسلام (كما قلنا) اى بنا فيما سبق من الكلام (وحجتهم) اى ودليل اصحاب هذا القيل من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لا كما قال الدلجى اى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) اى من جهة الآية المتقدمة (نفسها) اى بعينها (التفريق بين الاسمين) اى ضرورة كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الاصل فى تغاير المتعاطفين (ولو كانا شيأ واحدا) اى هنا (لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ) اى البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحة عن قدرة المعارضة باقصر سورة (قالوا) اى هؤلاء (والمعنى) اى المراد بالآية (وما ارسلنا من رسول) وفى نسخة من نبى (الى امة) اى مأمور بالعبادة والدعوة (اونبى) اى مأمور بالعبادة فقط (وليس بمرسل الى احد) اى من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثانى مكمل فهو اخص وذاك اتم واعم والله تعالى اعلم

(وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) اى مجدد بان لا يكون مقررا الشرع من قبله (ومن لم يأت به) اى بشرع مبتدأ وقد اوحى اليه (فهو نبى غير رسول وان امر) اى ولو امر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة من الاحكام والآثار (والصحيح) وكذا الشهير (والذى عليه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفى نسخة الجم (الغفير) بالغين المعجمة والفاء اى الجمع الكثير وهم الجماهير (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) اذ النبى انسان اوحى اليه سواء امر بالتبليغ ام لا بخلاف الرسول فانه نبى مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت او تجددت (واول الرسل آدم عليه السلام) اى الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام واما نوح عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم) اى اجماعا بشهادة قوله تعالى وخاتم النبيين والحديث لا نبى بعدى (وفى حديث ابى ذر عنه) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على ما رواه احمد وابن حبان (ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبى وذكر) اى النبى صلى الله عليه وسلم (ان الرسل منهم) اى من الانبياء (ثلاثمائة وثلاثة عشر) وفى رواية خمسة عشر جم الغفير اى الجمع الكثير فهو من باب مسجد الجامع (اولهم آدم) اى اول الرسل آدم وهو فى مستدرك الحاكم ايضا فى ترجمة عيسى ابن مريم بسنده الى ابى ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد فاغتنمت خلوته فقال لى يا اباذر ان للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يا رسول الله انك امرتنى بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء اقل ومن شاء اكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبى قلت كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وذكر باقى الحديث وتعقبه الذهبى فى تلخيص المستدرك فقال قلت السعدى ليس بثقة انتهى وفى الصحيحين فى باب الشفاعة قالوا يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض الحديث قال القاضى فى شرح مسلم وتبعه النووى ومثل هذا يسقط الاعتراض بادم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما ارسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل امر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار اهل الارض قال القاضى وقد رأيت ابا الحسن ابن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا وذكر بعضهم ان عدد اصحابه عليه السلام كعدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا وذكر ابو زرعة انه مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه مائة الف واربعة عشر الفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار او الرواة منهم والله تعالى اعلم ثم قيل والرسل ثلاثمائة واربعة عشر وقيل كعدد اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه الا مؤمن وهم ثلاثمائة وبضعة عشر وكذا عدد اهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلاثمائة واربعة عشر وان مد الحاء لخمسة عشر فالميم ثلاثة احرف ميم وياء وميم والحاء حرفان حاء والف والميمان المضعفان ستة احرف والدال ثلاثة احرف دال والف ولام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلاثمائة واربعة عشر فالثلاثة عشر والثلاثمائة على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو اصلهم وما افترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة ما فى البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر اورشفا من الديم

هذا وقد ذكر التلمسانى فى حديث ابى ذر بلفظ طويل جدا ومن جملته بابى انت وامى يا رسول الله فكم كتاب انزل الله قال انزل الله تعالى مائة كتاب واربعة كتب انزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشرا وروى عشرين وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وانزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لا نعين فى الانبياء والرسل عددا معينا ولا حدا مبينا بل نؤمن ان اولهم آدم وآخرهم نبينا الخاتم وان ما بينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل ان يكونوا ازيد من ذلك او انقص مما هنالك فيؤدى اما الى انكار بعض الانبياء او الى شهادة غير النبى بانه نبى وهذا طريق الماتريدى (فقد بان) اى ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة وليستا) اى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى) اقتضاء البديهة به (ولا وصف ذات) اى قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء التحتية للنسبة وفى نسخة بتخفيف الراء على انه لغة بمعنى الكرم او الكرامة وفى اخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه علم له او لقب لكونه عاملا فى الكرم او حافظا له والله تعالى اعلم والحاصل انهم ينسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته ابو عبد الله السجزى سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره الحلبى وفى القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى

الله عن ذلك علوا كبيرا وكان قد سجن بنيسابور ثمانية اعوام لاجل بدعته ثم اخرج فسار الى بيت المقدس ومات بالشام (فى تطويل لهم) اى فى كثرة تعليل (وتهويل) اى تخويف وتخييل (ليس عليه تعويل) اى اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحى وامر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما لاتصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لا غير فهو اذا ارسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس اى وليس كل رسول مرسلا اذ قد لا يرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا على ما زعموا كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى ان الكرامية قائلون بان الانبياء والرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم انبياء مذ خلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بما روى عن ابى هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد (واما الوحى) اى وان كان يطلق على معان من الصوت الخفى والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوحه اى فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجى والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلى على انه امر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما فى الجامع الصغير للسيوطى اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك فى الزهد عن ابى جعفر عبد الله بن مسور الهاشمى مرسلا وفى معناه حديث اذا اردت امرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخارى فى الادب المفرد والبيهقى فى شعب الايمان عن رجل من بلى مرفوعا (فلما كان النبى) اى جنسه (يتلقى) اى يأخذ ويتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) اى بسرعة من غير تؤدة (سمى وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة اخذ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسلية له فى التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت انواع الالهامات) اى الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى واوحى ربك الى النحل الآية (تشبيها) اى لها (بالوحى الى النبى) اى فى تلقيها بعجلة والالهام هو القاء شئ فى الروع يبعث على الفعل او الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمى الخط) اى الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) او لسرعة ادراك الخط من صاحبه (ووحى الحاجب) اى اشارته (واللحظ) اى ايماء العين (سرعة اشارتهما) اى حركتهما بهما (ومنه) اى ومن قبيل اطلاق الوحى على الاشارة المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اى اومأ ورمز) اى اشار باحد اعضائه (وقيل كتب) اى لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) اى من كون الوحى بمعنى الاشارة بالسرعة (قولهم) كما فى حديث ابى بكر رضى الله تعالى عنه (الوحاء) بفتح الواو (الوحاء) يمد ويقصر على ما ذكره الجوهرى وقيل ان كرر مد وقصر وان افرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (اى السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها ايضا يعنى الزموها ويقال الوحاء الوحاء بكسر الواو اى البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل اصل الوحى السر) اى الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) اى ومن كون الوحى هو السر (سمى الالهام وحيا) اى لخفائه على غير اهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم) يعنى من المشركين (اى يوسوسون فى صدورهم) يعنى لاغوائهم (ومنه واوحينا الى ام موسى اى القى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبى وغيره ويجوز ان يكون بصيغة المعلوم اى قذف الله تعالى الهاما او مناما ان ارضعيه اى ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) اى ما ذكر من الوحى بمعنى الالهام او المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما او مناما (دون واسطة) اى كما يفهم من المقابلة بقوله او من وراء حجاب كموسى عليه السلام او يرسل رسولا كجبريل او غيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية او صورية ودونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى اعلم بحقائق القضية

* (فصل) *

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) اى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) اى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى أعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما اى لم يقدروا حيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكانها اعجزتهم عن معارضة اظهار نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كما انه قادر على اقدار العبد بنحوها او على ابدائها على يده مظهرها والتاء للمبالغة او لكونها وصفا للآية الخارقة للعادة (وهى) اى المعجزة (على ضربين) اى صنفين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) اى فى الجملة او بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم (فعجزوا عنه) اى بناء على

صرفهم (فتعجيزهم) اى تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (فعل الله دل على صدق نبيه) لانه كصريح قوله صدق عبدى فى دعواه الرسالة لجرى العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال بجمع انا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى انصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم او بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب (كصرفهم) اى كصرف الله تعالى الكفار اليهود (عن تمنى الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم اخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار كما رواه البخارى وغيره (وكعجزهم) بالجر عطفا على صرفهم اى وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرءآن على رأى بعضهم) اى انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لعلو درجته فى فصاحته وبلاغته وغرابة اساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على اخبار الاولين وآثار الآخرين وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) اى وكتعجيزهم عن نحو الاتيان بمثل القرءآن من سائر خوارق العادة (وضرب) اى نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اى حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) اى بالكلية (كاحياء الموتى) اذ ليس من جنس افعال البشر ولا الملك واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لامته بدليل قوله تعالى واحيى الموتى باذن الله (وقلب العصا حية) اى تسمى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) اى بلا واسطة واسباب معهودة معجزة لصالح (وكلام شجرة) اى لموسى من قبل الله تعالى او لنبينا عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع) وفى نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صح به الخبر ونص القرءآن بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والمعنى ان ذلك وامثاله (مما لا يمكن) وفى نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك) اى هذا الضرب الذى لا يفعله الا الله وفى نسخة فكون ذلك (على يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى صورة (من فعل الله تعالى) اى حقيقة كما حقق فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) اى وطلب معارضة النبى (من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيز) وفى نسخة تعجيزله اى عن ذلك (واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه) اى فى دعوى رسالته واعلاء حجته كانشقاق القمر ومجيء الشجر وتسليم الحجر وحنين الجذع واما سقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجى (من هذين النوعين معا) اى جميعا باعتبار البعض والبعض فمنها ما هو من نوع قدرة البشر ومنها ما هو خارج عنها (وهو) اى نبينا (اكثر الانبياء معجزة وابهرهم آية) اى انورهم (واظهرهم برهانا) اى حجة وبيانا (كما سنبينه) فى محله ان شاء الله تعالى وحده (وهى) اى معجزاته (فى كثرتها لا يحيط بها ضبط) اى بجز تبيانها (فان واحدا منها) اى مما هو اعظمها (وهو القرءآن) اى من حيث آياته وسوره المشتملة على دلالات بيناته (لا يحصى) بصيغة المجهول اى لا يحصر ولا يعد (عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر) لما اودعه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها افادة المعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة الى غير ذلك من انواعها العجيبة واصنافها الغريبة التى عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبى) وهو الرسول الاعظم والنبى الافخم صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) اى طلب المعارضة باقصر سورة من سور القرءآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول اى فعجز جميع اهل المعانى والبيان عن الاتيان بمثل سورة من القرءآن تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى معاونا ونصيرا (قال العلماء واقصر السور) اى سور القرءآن وفى نسخة سوره بالضمير (انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخره وكان الاظهر الاقصران يقول واقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها اقل من حروف آيات سورة هى ثلاث مثلها كقل هو الله احد كذا قرره الدلجى وهو وهم منه لان سورة الاخلاص اربع آيات ثم سورة العصر نحوها فى عدد الآيات لكنها اطول منها باعتبار الحروف والكلمات فى عددها (فكل اية) اى منه (او آيات منه) اى من القرءآن وسورة (بعددها) اى طويلة بعدد اقصر سورة من جهة الآيات او الحروف او الكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة اعم من ان تكون حقيقية او حكمية (ثم فيها) اى فى سورة الكوثر (نفسها) اى بعينها (معجزات) اى بخصوصها (على ما سنفصله) اى نبينه (فيما انطوى) اى اشتمل القرءآن

واحتوى (عليه من المعجزات) اى التى لا تكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الثابتة لدينا والواصلة الينا (على قسمين) اى باعتبار ما يكون حصوله قطعيا ووصوله ظنيا (قسم منها علم) اى لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قدره الدلجى بناء على جعله لفظ علم مصدرا والصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدر مقدر اى علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) اى نقل تواتر وفى نسخة متواترا (كالقرءآن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قطعا (فلا مرية) بكسر الميم وقد تضم اى ولا شك ولا شبهة ويروى بلا مرية (ولا خلاف) اى بين ائمة الامة (بمجيء النبى به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء اى من جهته وهو عطف تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) اى واستشهاد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحجة القرءآن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله تعالى اياه الى كافة بريته (وان انكر هذا) اى ماذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) اى حائد برد الحق مع علمه (جاحد) اى منكر له ملحد فى حكمه (فهو) اى انكاره ذلك (كانكاره وجود محمد فى الدنيا) حيث انكر كل منهما انكار مكابرة ومجاحدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان احدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لا ينكره احد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اى المنكرين والملحدين (فى الحجة فيه) اى فى كونه حجة له قاله الدلجى والصحيح فى الاحتجاج به او فى ثبوت الحجة بكتابه كما ورد فى طعن المشركين اذ قالوا اساطير الاولين ما انزل الله على بشر من شئ هذا سحر مبين (فهو) اى القرءآن (فى نفسه) اى فى حد ذاته (وجميع ما تضمنه) اى من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) اى بديهة لا تقتضى روية كما شهد به الاعداء من اهل الخبرة كالوليد بن المغيرة اذ قال فى حقه لما تلى عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمعرق وان اعلاه لمثمر وما هو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى ان يقال ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح فى العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته والفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه فى بداياته ونهاياته فى اعلى مراتب البلاغة واعلى مناقب الفصاحة لا يحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه فى البداهة واما نظرا فلافتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر فى خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) اى نبين ذلك القدر (قال بعض ائمتنا) اى ائمة المالكية وفى نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجرى هذا المجرى) اى مجرى كون القسم الاول من معجزاته الذى علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) اى فى الجملة باعتبار المعنى لا بطريق المبنى (انه) فاعل يجرى اى الشان (قد جرى على يده) وفى نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) اى علامات او معجزات (وخوارق عادات) اى شاملة لمعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) اى لم يصل امر واحد من تلك الامور (معينا) اى مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب اى العلم القطعى بالنسبة الى غير الصحابى (فيبلغه) اى العلم اليقينى (جميعها) اى باعتبار معانيها دون مبانيها (على يديه) اى بناء على ما صدر لديه (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا او يقول ولا يخالف مؤمن ولا كافر (انه قد جرت على يديه عجائب) اى آيات غرائب مما ازاغت ابصارهم وحيرت بصائرهم (وانما خلاف المعاند) اى مخالفته مع الموحد (فى كونها) اى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) اى من جهة المبدأ الفياض كما يقوله المؤمن الموحد او حاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعر او ساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) اى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) اى لا واهاله من تلقاء نبيه (وان ذلك) اى المعجز مع التحدى (بمثابة قوله) اى الله سبحانه وتعالى (صدقت) اى يا عبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) اى الذى قدمناه (ايضا من نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) اى بديهة (لاتفاق معانيها) اى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) اى عند الاخباريين وكذا عند بعض العامة (جود حاتم) بكسر التاء اى ابن عبد الله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها هاء وهو العبسى (وحلم احنف) اى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) اى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى احنف فاشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) اى من اخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) اى بانفراده ويروى فى نفسه (لا يوجب العلم) اى القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم اعلم ان حاتما هذا والد عدى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان

وكان نصرانيا فاسلم واسلمت اخته بنت حاتم قبل عدى رضى الله تعالى عنهما واما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وامه زبيبة امة سوداء كانت لابيه وكان من اشهر فرسان العرب واشدهم بأسا وفى القاموس عنتر كجعفر وجندب فى لغية الذباب والعنترة صوته والشجاعة فى الحرب هذا ولو قال كشجاعة على لكان اظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم اشهر واما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلى وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا اخرج له الائمة الستة مخضرم وقد اسلم فى عهده عليه السلام ودعا له ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعى كبير (والقسم الثانى) اى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم هو (مالم يبلغ) اى لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) اى قطعا يصير ضروريا بديهيا ولا فكريا قطعيا (وهو) اى هذا القسم الذى بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) اى عند الخاصة (منتشر) اى عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) اى من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) اى من المخرجين والمصنفين (والرواة) اى من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة اى ومن الذين نقلوا سير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صفاته وآياته ومعجزاته (والاخبار) بفتح الهمزة اى الاحاديث المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن بقية العلماء الاخبار (كنبع الماء من بين اصابعه) اومن اصابعه كما فى بعض طرقه (وتكثير الطعام) اى المأكول والمشروب كما فى حديث انس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) وهو الذى غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) اى بنقله (الواحد) اى تارة (والاثنان) اى اخرى (ورواه العدد اليسير) اى ولو وصل الى مرتبة الجمع فى بعض طرقه (ولم يشتهر) اى هذا القسم (اشتهار غيره) اى الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) اى فى المبنى (اتفقا فى المعنى) اى المراد به ثبوت الاعجاز فى المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) اى من انه لامرية فى جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض افاد القطع لديه (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وانا اقول صدعا بالحق) اى جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) اى الواردات كمجيء الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى فى يديه (المأثورة) اى المروية (عنه عليه السلام) اى ولو كانت آحادا مبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (اما انشقاق القمر) اى على يديه بمكة حين سأله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) اى فى الجملة لانه ظنى الدلالة واما قول الدلجى اما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فليس على اطلاقه (واخبر عن وجوده) اى ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اى اقتربت وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) اى من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويله بانه سينشق يوم القيامة وانه جيء بالماضى لتحقق وقوعه فى مستقبله (الا بدليل) موجب لحمله عليه وصرفه اليه (وجاء) اى وقد ورد (برفع احتماله) اى احتمال الدليل الدال على صرف الآية عن ظاهرها (صحيح الاخبار) اى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (من طرق كثيرة) كخبر الصحيحين وغيرهما (ولا يوهن) وكان الانسب فى ترتيب السبب ان يقال فلا يوهن بالفاء وهو بضم الياء وكسر الهاء مخففا ومثقلا اى لا يضعف (عزمنا) اى جزمنا (خلاف اخرق) اى مخالفة جاهل احمق افعل من الخرق ضد الرفق (منحل عرى الدين) بضم ميم وسكون نون وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مضاف الى عرى بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهى ما يتمسك به فى امر الديانة ومنه قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع لها (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اى ولا ينظر (الى سخافة مبتدع) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة اى رقة عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقى) بضم الياء وكسر القاف اى يوقع (الشك) اى التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) فربما قبلته ووقعت فى ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا انفه) بصيغة الفاعل المتكلم من ارغم انفه الصقه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله (وننبذ) بفتح النون الاولى وكسر الموحدة اى نطرح (بالعراء) اى بالصحراء والفضاء ومكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة وتفتح وسكون الخاء المعجمة اى رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقى جهله بالعراء لا شيء يستره من البناء وفى بعض النسخ يرغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وانفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) اى وكانشقاق القمر فى كثرة الرواة طرقا صريحة واسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) اى من بين اصابعه او من اصابعه (وتكثير الطعام رواها) اى قصة النبع والتكثير (الثقات) اى من الرواة (والعدد الكثير) اى من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفى نسخة الجم (الغفير) اى عن الجمع الكثير من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء

بقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن انس رضى الله عنه وبالسفر البخارى عن ابن مسعود وممن روى تكثير الطعام البخارى والنسائى عن الشعبى عن جابر فى قضاء دين والده والشيخان والترمذى والنسائى عن انس فى قصة ابى طلحة يوم الخندق (ومنها) اى ومن جملة المعجزات اومن جملة رواية الثقات (مارواه الكافة) اى الجماعة (عن الكافة) اى عن مثلهم فى الكثرة (متصلا) اى نقلا متصلا غير منقطع اصلا (عمن حدث بها) اى بالمعجزة او بتلك الرواية الدالة عليها (من جلة الصحابة) بيان لمن وفى نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام اى اكابرهم او معظمهم ويؤيده قوله (واخيارهم) على ما ضبط فى نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن فى اكثر النسخ اخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على ما رواه اى ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) اى ما ذكر من تكثير الطعام (كان فى موطن اجتماع الكثير منهم) اى من الصحابة وغيرهم (فى يوم الخندق) اى حول المدينة فى غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس (وفى غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت سنة (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشدد وكانت سنة ست فى ذى القعدة ووهم من قال فى رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت فى السنة التاسعة وهى آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة اربع عشرة مرحلة (وامثالها من محافل المسلمين) اماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) اى مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما او بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر اى ولم ينقل (عن احد من الصحابة مخالفة للراوى) اى منهم فى قصتهما (فيما حكاه) اى رواه (ولا) اى ولا نقل عن احد منهم (انكار لما ذكر) بصيغة المجهول اى ذكره بعضهم (انهم) اى بقية الصحابة (رأوه) اى شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم (كما رواه) اى عنه (فسكوت الساكت منهم) اى اذا وقعت الرواية فى مكانهم او زمانهم (كنطق الناطق) اى بمنزلة رواية الراوى منهم به (اذهم المنزهون) اى المبرأون (عن السكوت على باطل والمداهنة فى كذب) بفتح الكاف وكسر الذال او بكسر فسكون وهذا بشهادة قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وبدلالة قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرنى فكلهم عدول رضى الله تعالى عنهم (وليس هناك رغبة) اى ميل وطمع (ولا رهبة) اى خوف وفزع والمعنى انه ما كان هناك موجبة من مداراة مع الخلق ومداهنة فى الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذى هو بمنزلة الاقرار (ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) اى ولو فى الجملة (لانكروه) اى ذلك المسموع وانكروا على ناقله ايضا (كما انكر بعضهم) اى بعض الصحابة (على بعض) اى آخرين (اشياء رواها) اى نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام وبالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلاة والسلام وبحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضى الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال هكذا انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسر منه رواه الائمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد الطاء اى نسب بعضهم بعضا الى الخطأ فى اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء اى ونسب بعضهم بعضا الى الوهم فى رواياتهم (فى ذلك) اى فى جميع ما ذكر من السنن والسير والقراآت (مما هو معلوم) اى عند ارباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نوفا البكالى فى قوله ان موسى الخضر ليس موسى بنى اسرائيل (فهذا النوع) اى الذى رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) اى جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على ما قاله الحلبى وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع فى اصل الدلجى ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة ايضا والمعنى يوصل (بالقطعى من معجزاته) ويعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) مما يؤذن بان رواية بعضهم وسكوت بعضهم بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وايضا فان امثال الاخبار التى لا اصل لها) اى كالموضوعات (وبنيت على باطل) اى غرض فاسد من الخيالات (لابد مع مرور الازمان) اى مضى الاوقات (وتداول الناس) اى فى الروايات (واهل البحث) اى عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) اى لا فراق من تبين ضعف امرها (وخمول ذكرها) اى وخموده عند اهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفى نسخة بضم النون وكسر الهاء اى كما يرى ويعلم ويظهر (فى كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمز ويبدل اى الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة اى معجزاته التى هى لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه ورد من عاداه (هذه الواردة) اى كل واحد منها (من طريق الآحاد) اى المفيدة للظن مبنى لكنه اذا ضم بعضها الى بعض

صارت متواترة موجبة للقطع معنى (لا تزداد) اى بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الاظهورا) اى اجلالا
للمؤيد بها وامدادا وارغاما للمنكرها عنادا (ومع تداول الفرق) اى للامور فرقة ففرقة كذا قرره الدلجى
بناء على ماوقع فى اصله وفى اكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ماسبق من قوله تداول الناس (وكثرة
طعن العدو) اى الاعداء فانه يطلق على الجمع والمفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) اى ابطالها
(وتضعيف اصلها) اى باعتبار متنها واسنادها (واجتهاد الملحد) اى بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق قال الدلجى
وفى نسخة واجهاد بلا تاء اى نفسه اى ايقاعها فى مشقة وجد وكد ومبالغة (على اطفاء نورها) يعنى وهى لا تزداد
مع ذلك (الا قوة وقبولا) اى للمنصف المذعن للحق (ولا للطاعن) اى ولا تزداد للذام العائب (عليها الا حسرة وغليلا)
بفتح الغين المعجمة اى حرارة وعطشا يهلك من كان عليلا (وكذلك) اى وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد
(اخباره) بكسر الهمزة اى اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما اخبر به عن المغيبات
فى حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا عند اهل العلم
(وانباؤه) بكسر الهمزة اى واخباره (بما يكون) اى فى الآخرين (وكان) اى وبما كان فى الاولين او بما يكون
فى الغيوب وبما كان من العدم (معلوم) اى كل ذلك معلوم كونه (من آياته) اى علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة
معجزاته (على الجملة) اى من غير نظر الى الطرق المفصلة (بالضرورة) اى بالبداهة العقلية فهو فى الجملة قطعى الدلالة
من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) اى امر ظاهر (لا غطاء عليه)
ولا مرية لديه (وقد قال به) اى بكون اخباره بما يكون الخ (من ائمتنا) اى الاشعرية (القاضى) قال الحلبى الظاهر
انه ابو بكر الباقلانى المالكى (والاستاد) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابو بكر) اى ابن فورك بضم الفاء من الشافعية
(وغيرهما) اى من الائمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من اكابر اهل السنة والجماعة (وعندى اوجب
قول القائل) بالنصب وفى اصل الدلجى ما اوجب اى ما اثبت قوله وفى نسخة وما عندى اوجب قول القائل (ان هذه
القصص المشهورة) اى فى باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) اى انما هى من خبر الآحاد وهى لا تفيد
الا ظنا مبينا لا علما يقينا وما الجأه الى قوله هذا الا (قلة مطالعته) اى ملاحظة هذا القائل (للاخبار) اى للاحاديث
الصريحة (وروايتها) اى وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين
اى وكثرة اشتغاله بغير ماذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف
الجزئية التى مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) اى وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما
هنالك (فمن اعتنى) اى اهتم (بطرق النقل) اى اسانيد المنقول فى هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) اى كتبهما
على مارتب فى الابواب (لم يرتب) من الارتياب اى لم يشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) اى الروايات المأثورة
والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذى ذكرناه) اى على الطريق الذى قررناه والمنهج الذى حررناه من
انها من باب التواتر معنى وان كانت من احاديث الاحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) اى من اهل
الحديث والقرآءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتهما اصلا وفرعا (فان اكثر الناس يعلمون
بالخبر كون) وفى نسخة ان وفى اخرى كون ان (بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة) اى كبيرة مشهورة (ودار الامامة
والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بعد ان عمرت فى زمن ابى جعفر المنصور العباسى اخى السفاح سنة خمس
واربعين ومائة وكانت قبل ذلك مبقلة وسبق انه يجوز فى دالها اعجام واهمال والمرجح اهمال الاول واعجام الثانى
كما صرح فى رواية الشاطبية (وآحاد من الناس) اى الذين فى اطراف العالم واكنافه (لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها) اى من رسمها ووسمها (وهكذا) اى وكعلم بعض الناس بغداد وجهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من اصحاب
مالك) اى مثلا من حيث تقليدهم لما هنالك (بالضرورة) اى بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والروية
(وتواتر النقل) وفى نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) اى عن مالك الامام (ان مذهبه ايجاب قرآءة ام القرآن) اى
سورة الفاتحة من غير البسملة (فى الصلاة للمنفرد والامام) اى دون المأموم وان لم يسمع قرآءة امامه بل يكره له
فى الجهرية قرآءتها وهذا موافق لمذهب الامام ابى حنيفة رحمه الله على تفصيل فى كتبهم والشافعى يوجبها على المأموم
ايضا (واجزاء النية) اى وان مذهبه الاكتفاء بالنية (فى اول ليلة من رمضان) اى لجميع ايامه (عما سواه) اى من
بواقى لياليه (وان الشافعى) اى وكذا يعلم الفقهاء من اصحابه وربما لم غيرهم ايضا بالضرورة ونقل المتواتر عنه وكذا
عن ابى حنيفة انه (يرى) اى وجوبا لا ندبا (تجديد النية كل ليلة) او قبل نصف النهار الشرعى عند ابى حنيفة
(والاقتصار) اى وان الشافعى يرى الاقتصار (فى المسح على بعض الرأس) وهو ما يطلق عليه اسم المسح اخذا باليقين

ومالك

ومالك يرى وجوب مسح كله احتياطا وابو حنيفة عمل بحديث مسلم فى مسحه صلى الله تعالى عليه وسلم على الناصية
وهو ربع الرأس ودليلنا حجة عليهما (وان مذهبهما) اى مالك والشافعى (القصاص) اى القود (فى القتل بالمحدد)
اى مما يجرح كالسنان (وغيره) مما لا يجرح كالعصا (وايجاب النية فى الوضوء) اى فى اوله (واشتراط الولى
فى النكاح) اى فى عقده (وان ابا حنيفة يخالفهما فى هذه المسائل) اى لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه
فى شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة فى حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف عليه من الوسائل (وغيرهم)
اى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى) وفى نسخة صحيحة ولا رأى
(اقوالهم) اى ولا عرف مشاربهم (لا يعرف) وفى نسخة صحيحة ولا يعلم (هذا) اى ماذكر من هذه المسائل وامثالها
(من مذاهبهم) اى ولو كان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ما باشر الا علوما اخر وضيع عمره فيما لا ينفعه
فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة عما (سواه) اى عمن لم يباشر العلوم اصلا ولم يمازج كتابا ولا فصلا ولا فرعا ولا اصلا
(وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات) اى اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) اى شافيا (ان شاء الله تعالى)

(فصـــل)

(فى اعجاز القرآن) اى بيان اعجازه فى اطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) اى الغالب على سائر
الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض احكامه (منطو) اى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز)
اى انواع (كثيرة) واصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ اى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة
ضبط انواعها) اى مع اندماج اصنافها واندراج اجناسها (فى اربعة اوجه) اى منحصرة فيها (اولها حسن تأليفه)
اى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته (والتئام كلمه) اى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها
المناسبة لمقتضى معانيها المتناسقة بين اعاليها وادانيها (وفصاحته) اى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه
(ووجوه ايجازه) اى من قصر وحذف لاكتفاء وايماء (وبلاغته) اى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب وبدائع
العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) اى المتجاوزة (عادة العرب) اى من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) اى ماذكر من
عادتهم (انهم كانوا ارباب هذا الشأن) اى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) اى فى ميدان البراعة (وقد خصوا
من البلاغة والحكم) بكسر ففتح جمع حكمة وهى كمال العقل واتقان العمل (مالم يخص به غيرهم من الامم) اى سابقة
ولاحقة (واوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة اى حدته وبساطته وسلاطته (مالم يؤت) اى مثله (انسان) اى
ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان ويراد به جنسه لانه انسب فى مقام مدحه (ومن فصل الخطاب) اى بيان
المراد فى الفصول والابواب (ما يقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المشددة اى يمنع ارباب العقول الخالصة ان يأتوا
بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) اى ماخصوا به (طبعا وخلقة) اى سليقة وجبلة (وفيهم) اى
وجعل ذلك فيهم (غريزة) اى سجية (وقوة) اى وقدرة بديعة (يأتون منه) اى من الكلام الوافى للمرام (على
البديهة) من غير الروية (بالعجب) اى العجاب (ويدلون) بضم الياء واللام اى يتوسلون (به الى كل سبب) اى من
الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) اى الخطب البليغة (بديها) اى من جهة
البديهة (فى المقامات) اى على حسب ما يلائمها من المقالات (وشديد الخطب) اى فى الامر العظيم الشان والحال
الذى يقع فيه تفخيم البيان (ويرتجزون به) اى يوردونه مرتجزا فى حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح
ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) اى بعضهم بعضا اظهارا للمفخرة او كسبا للمحمدة او جلبا للفائدة
(ويقدحون) اى ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا ايضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو
المناسب للمرام وابعد الدلجى فى قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام فى احسن النظام (ويتوسلون)
اى به الى من يقصدون منه نجاح ما ربهم (ويتوصلون) اى به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) اى بمدحهم من
ارادوا (ويضعون) اى بذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر
الحلال) وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا اى سواء كان نثرا
او شعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر فى الشرع حرام الا انه حلال فى مقال وقع فى مقام
مرام (ويطوقون) بكسر الواو المشددة اى يحملون (من اوصافهم) اى صفاتهم الحميدة وسماتهم المجيدة من
ظنوه اهلا لتلك الاحوال نعوتا (اجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك
وفى نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره التلمسانى لكن فى القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبى اللؤلؤة
الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلى انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلى جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة

للسجع ونظيره فى الفواصل قوله تعالى الكبير المتعال (فيخدعون الالباب) فى ملهياتهم (ويذللون الصعاب) اى يهونونها فى مهماتهم بحسب ما يزينون مراماتهم فى مقالاتهم على وفق مقاماتهم (ويذهبون) بضم الياء وكسر الهاء اى يزيلون (الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد والضغينة واضمار العداوة (ويهيجون) بتشديد الياء الثانية المكسورة وفى نسخة بفتح الياء الاولى وكسر الهاء وتخفيف الياء الثانية اى يحركون و يثيرون (الدمن) بكسر الدال المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهى فى الاصل ما تدمنه الابل ونحوها بابوالها وابعارها اى تلبده فى مرابضها ثم استعمل فى الحقد لتلبده فى باطنه ولكونه من دمائم خاطره وفى نسخة الزمن بفتح الزاى وكسر الميم المقعد والمفلوج وفى نسخة الذمر بفتح الذال المعجمة وكسر الميم فراء وهو الشجاع وهو وان كان يخالف ما قبله من مراعاة السجع الا انه ابعد من التكرار المعنوى واقرب للمقابل اللفظى بقوله (و يجرئون الجبان) بتشديد الراء المكسورة اى يحملونه على الجرأة والشجاعة والجبان بفتح الجيم والموحدة المخففة ضد الشجيع (و يبسطون) بضم السين اى و يفتحون (يد الجعد البنان) اى البخيل اللئيم الشان واصل الجعد بفتح الجيم وسكون العين وهو الانقباض فى الشعر ضد السبط المسترسل والبنان بفتح الموحدة وتخفيف النونين اطراف الاصابع جمع بنانة ومنه قوله تعالى بلى قادرين على ان نسوى بنانه (و يصيرون) بتشديد التحتية الثانية اى يحولون (الناقص كاملا) بحسن رعايتهم وعين عنايتهم (و يتركون النبيه) اى المشهور بالنباهة والتنبه عن نوم الجهالة (خاملا) اى متروكا شانه ومجهولا بيانه (منهم البدوى) اى من يسكن البادية مع كون غالبهم عنه المعرفة عادية (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى اى صاحب الالفاظ التى فيها الجزالة والسلاسة الكاملة فى الدلالة من مراتب الفصاحة والبلاغة (والقول الفصل) اى البين امره والمبين حكمه (والكلام الفخم) اى العظيم المرام (والطبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب واحده جوهرة وهذا مدح جزيل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه ووقع فى اصل الدلجى بلفظ الجهورى اى الشديد الصوت العالى والواو زائدة من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفى حديث العباس انه نادى بصوت جهورى انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا ان يتكلف كما اقتصر عليه الشمنى فقال المراد بالطبع الجبلة والجهورى الذى قد اشتهر من قولهم جهر بصوته اذا شهره ورفعه اذ الطبع لا يقبله والمقام لا يلائمه كما لا يخفى على من تأمله (والمنزع القوى) بفتح الميم والزاى اى والمشرب الصفى (ومنهم الحضرى) بفتحتين اى من يسكن الحاضرة ضد البادية من المصر والقرية (ذو البلاغة البارعة) اى الفائقة اللائقة (والالفاظ الناصعة) اى الخالصة من شوائب الركاكة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها (والكلمات الجامعة) اى لمعان كثيرة فى ضمن مبان يسيرة (والطبع السهل) اى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى القول القليل الكلفة) اى اليسير المؤونة لسهولة المعونة (الكثير) اى وفى القول الكثير (الرونق الرقيق الحاشية) اى الجزيل الحسن فى المبنى واللطيف الطرف فى المعنى (وكلا البابين) اى بابى كلام كل (فى كل مقام مطابق) لما قصد من المرام (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) اى الواصلة الى مقام النهاية والغاية واعاد المصنف الضمير فى فلهما الى معنى كلا وهو مذهب الكوفى والمختار رأى البصرى وهو ان يفرد الضمير بناء على لفظه وبه جاء القرآن فى قوله سبحانه وتعالى كلتا الجنتين آتت اكلها (والقوة الدامغة) اى الماحقة للامور الزاهقة ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وفى حديث على دامغ جيش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف اى السهم والمراد به واحد الازلام لا الذى قبل ان يراش كما يتوهم من تقرير الحلبى نعم هو اصله لكن قصد هنا فصله بقرينة قوله (الفالج) بكسر اللام اى الفائز الغالب (والمهيع) بفتح الميم والتحتية اى الطريق الواسع (الناهج) اى السبيل السالك الواضح وفى حديث على اتقوا البدع والزموا المهيع (لا تشكون ان الكلام طوع مرادهم) اى منقاد لما يرون من ايرادهم (والبلاغة ملك قيادهم) بكسر الميم ثم كسر القاف وهو حبل تربط به الدابة ذكره الحلبى فيكون من القيد اى يقيدونه بما ارادوا والاظهر انه ما يقاد به فهو من القود وهو السوق من قدام اى يقودونه حيث شاؤا من روائع لطائفه وبدائع عوارفه (قد حووا) بفتح الواو اى حازوا وجمعوا (فنونها) اى من مبانيها (واستنبطوا عيونها) اى استخرجوا من معانيها البابها (ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا اصرحا) اى ورفعوا ابنية ظاهرا (لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطير والمهين) بفتح الميم اى فى العظيم والحقير (وتفننوا فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول (والسمين) ومنه قول ابن عباس لعلى انه الحق بابن عمك يعنى عبد الملك بن مروان فغثك خير من سمين غيرك والمعنى فتغايروا فى كلامهم بين اسلوب واسلوب وايراد وايراد باطائف مبان ونوادر آنف معان فى كل مراد (وتقاولوا) اى فيما بينهم (فى القل والكثر) بضم اولهما اى فى القليل والكثير مدحا وهجوا او ايجازا او اطنابا (وتساجلوا)

بالسين المهملة والجيم مأخوذ من السجل وهو الدلو اى تناوبوا وترسلوا (فى النظم والنثر) اى تفاخروا وتكاثروا وعن ابن الحنفية رحمه الله تعالى انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هى مسجلة للبر والفاجر اى مرسلة مطلقة فى الاحسان الى كل واحد من افراد الانسان ومنه قولهم الحرب سجال (فما راعهم) اى ما افزعهم شئ اليهم (الا رسول كريم) اى جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين اتاهم (بكتاب عزيز) اى بديع منيع رفيع حيث لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم حميد) يحمده خلقه بما ظهر عليهم من نعمه (احكمت آياته) اى نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا ولا معنى (وفصلت كلماته) اى ميزت وبينت ما يحتاج اليه فى ابواب الدين من عقائد واحكام واخبار ومواعظ ووعد ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) اى غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) اى نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة اى تظاهر وتغالب على غيره (ايجازه واعجازه) اى مبنى ومعنى ومنه قوله تعالى ان اظفركم عليهم وهو الموافق لما فى النسخ المصححة وتصحف على الدلجى فقال تصافر بالصاد من تصافر القوم تعاونوا (وتظاهرت حقيقته ومجازه) اى تعاونت لبلوغهما اقصى مراتبهما (وتبارت) بمثناة فوقية فموحدة اى تعارضت (فى الحسن مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فواتح سوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا لا يتصور له لاحق فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى مفتعل لا مهموز وفى الحديث نهى عن اكل طعام المتباريين اى المتسابقين المتعارضين بفعلهما ليغلب احدهما الآخر فى صنعهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء او لاشتمالهما على عدم الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى اى تعارضت مطالعه ومقاطعه فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت اختها وعارضت شبيهتها (وحوت) اى جمعت (كل البيان) بالنصب اى جميع ما يحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) اى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) اى على اوفق ايجاز واوثق اعجاز (واعتدل مع ايجازه) اى استقام قاله الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) اى احتوى (على كثرة فوائده) اى من معانيه (مختار لفظه) اى من ايجاز مبانيه (وهم افسح) اوسع (ما كان فى هذا الباب) اى باب السؤال والجواب (مجالا) اى قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة افصح بالصاد وهو ظاهر المراد (واشهر فى الخطابة) اى فى باب المخاطبة والمحاورة (رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التمييز المحول عن الفاعل فيهما والجملتان حاليتان اى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة اظهر ورجالهم فى باب الفصاحة اشهر (واكثر) اى من غيرهم (فى السجع) اى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا) اى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى اصل الدلجى بالجيم فقال اى بدون تروّ وسهولة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفى نسخة سجالا اى تارة وتارة باعتبار المناوبة والمغالبة (واوسع) اى ممن عداهم (فى الغريب) اى غريب الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) اى قالا مما يوجب حالا ومنالا (بلغتهم) متعلق بكتاب او حال منه اى حال كونه بالسنتهم (التى بها يتحاورون) اى يتجاوبون فى محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم اى محال المنازعة بمعنى المجاذبة فى الاعيان والمعانى (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة اى يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخا بهم) اى حال كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (فى كل حين) اى زمان من ليل ونهار منفردين او مجتمعين تسجيلا عليهم بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف اى وموبخا (لهم بضعا وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وعاش ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما هو مقرر فى محله ولعل المصنف لوقوع اختلاف ما اطلق بضعا وعشرين عاما (على رؤس الملأ) اى من اشرافهم ورؤسائهم (اجمعين ام يقولون افتراه) اقتباس اورده شاهدا بثبوت نبوته وام بمعنى بل والهمزة للانكار اى بل أيقولون اختلقه محمد وجاء به من عنده وكذب على ربه (قل) اى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) اى باقصر سورة (مثله) اى تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل انتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) اى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى على الاتيان بسورة مثله لا به فانه تعالى قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) اى فى انه اتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) اى فى شك وشبهة

(مما نزلنا على عبدنا) اى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ما انزله عليه وما اوحاه اليه فان لم تفعلوا اى فى الحال ولن تفعلوا اى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة فهذه الآية منادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع اخباره سبحانه وتعالى بان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) اى واصرح من هذا كله قوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم اصناف العرب (والجن) ومنهم انواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كمال مبناه وجمال معناه (الآية) يعنى قوله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى متعاونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم ايضا عنه لانهما المتحديان به انتهى ولا يخفى ان ادراجهم معهم كما حررناه هو الاولى فانه اظهر فى المدعى لا سيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) اى فى آية اخرى وفى نسخة وقل (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) اى مختلقات من عند انفسكم وحاصله انه الزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم ارخى العنان بتنزله الى عشر سور مثله ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عندهم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره الشراح وهو المستفاد مما أتى فى كلام المصنف على ما حرره وفيه انهم من اول الوهلة طولبوا المعارضة لا بعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بما يؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قدر ما يتعلق به المعجزة وهو اقصر سورة او قدرها من آيات وحروف وكلمات ويقويه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله تهكم بهم فى اثبات عجزهم (وذلك ان المفترى) بفتح الراء على ما صرح به الحلبى وغيره (اسهل) اى اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام اى المكذوب (على الاختيار) اى اختيار المعارض (اقرب) اى انسب تزويقا واروج تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) اى بعد وضعه فى المبنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب) اى ترتيبا واتعب تهذيبا وهذا ايضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعانى وعجائب البيان (ولذلك) وفى نسخة ولهذا اى ولكون المبنى اذا تبع المعنى اصعب فى المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيقتفى اثر ما قيل له من اخبار مبانيه عن اظهار معانيه ويراعى جميع ما يوافيه بتحريره ويدفع كل ما ينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملى اذ عبر عن مراده فى شأنه ما كان عاجزا هو عن ايراد بيانه (وفلان يكتب) اى ما يقال له الا انه (كما يريد) اى بنفسه لانه كما يراد منه بحسب انشائه (وللاول) اى من الكاتبين (على الثانى فضل) اى مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفى نسخة صحيحة شأو وبعد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو منون اى مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عميق لاتيان الاول بالمأمور مفرغا فى قالب مراد آمره دون الثانى لاتيانه بمأموره فى قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل) صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرعهم) بتشديد الراء (اشد التقريع) تفسيره قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) اى اسوءه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو اولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد اعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء اى ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله الا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء اى ينكس (اعلامهم ويشتت) بتشديد التاء الاولى اى يفرق (نظامهم) ويمزق مرامهم (ويذم آلهتهم) اى يعيبها فى حد ذاتها بقوله ألهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها (واباءهم) اى ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وامثالهما (ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم) اى بالاستيلاء عليها (وهم) اى والحال انهم (فى كل هذا) اى مما ذكر من الاحوال (ناكصون) اى راجعون القهقرى الى ورا (وعن معارضته محجمون) بجيم مكسورة اى متأخرون (وعن مماثلته) لظهور بلاغته (يخادعون انفسهم بالتشغيب) اى بتهييج الشر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفى نسخة بالتكذيب وجمع بينهما اصل الدلجى وهو لا يناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع او الترتيب (والاغراء بالافتراء) اى الحث والالزام على وجه التزام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد تصحف الاغراء على الدلجى بتوهم الاعتراء على ما فى بعض النسخ فقال من عراه اذا مسه واصابه الى آخر ما ذكره (وقولهم) اى وبقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم ادبر واستكبر فقال (ان هذا) اى ما هذا (الا سحر يؤثر) اى يروى عن اهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبى عليه الصلاة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد

كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين المرء واهله وولده ومواليه فاهتز النادى فرحا وفى نسخة زيد هنا ان هذا الا قول البشر (وسحر مستمر) اى وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر اى هو او هذا سحر مطرد دائم صادر عنه او ذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما او قوى محكم يغلب كل سحر كما قاله ابو العالية والضحاك (وافك افتراه) اى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى كذب صرفه عن وجهه واختلقه من تلقاء نفسه واعانه عليه قوم آخرون (واساطير الاولين) اى وقالوا هذا او هو اقاويلهم المزخرفة التى سطرها المتقدمون اكتتبها اى استكتبها لنفسه فهى تملى عليه بكرة واصيلا (والمباهتة) اى والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه والمعنى ويخادعون انفسهم باكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولا يتخطاهم اثرها (والرضى بالدنية) بالهمز وقد يسهل اى وبرضاهم منه بالخصلة الرديئة (كقولهم قلوبنا غلف) جمع اغلف اى هى مغشاة باغطية لا يصل اليها هداية ولا رواية (وفى اكنة) اى وقالوا قلوبنا فى اكنة اى فى اغطية (مما تدعونا اليه) اى مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفى آذاننا وقر) اى ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اى حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا بما لديك وزيد من تلويحا بان الحجاب ابتدأ منهم وانتشأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولا تسمعوا) اى وقال الذين كفروا لاصحابهم واحبابهم لا تسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) اى بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) اى قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قراءته (والادعاء مع العجز) اى وبمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مدعاهم (بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى اى مانع كان لهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط الفتهم واستنكافهم ان يغلبوا لا سيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لا يترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) اى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) اى سفهائهم (كمسيلمة) اى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله يا ضفدع الا تنقين اعلاك فى الماء واسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع اول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ومنها قوله آخر الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم افصح اى اظهر عيب نفسه (لجميعهم) اى من عقلائهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم وينبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته واغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه

لهفى عليك ابا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

حكاه السهيلى وقال كذب بل كانت آياته معكوسة ورواياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فلح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط فى البئر والاخر قد اكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما الفوه) اى استعملوه (من فصيح كلامهم) اى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولا اقول به بل الصارف عن معارضته كمال بلاغته وانا اقول وانما صرفوا عن ما الفوا لما اراد الله بهم من فضاحتهم والا لو عارضوا بطبق كلمات محاوراتهم لربما اوهموا الضعفاء انهم قاموا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله (والا فلم يخف على اهل الميز) اى اصحاب التمييز (منهم انه) اى كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم اى من نوعها (ولا جنس بلاغتهم) اى فى فنها (بل ولوا) اى اهل الميز من عقلائهم ولو كانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) اى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بادبارهم عن نحوه (واتوا مذعنين) اى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) اى مصدق به وبمن انزل عليه من جهة رسالته

(وبين مفتون) اى متحير فى بديع بلاغته ومنيع فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) اى ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) اى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة اى لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم اى رونقا وحسنا فائقا (وان اسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لعذق من غير ميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت اصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق وبفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى ورواية ابن اسحق افصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام اوله قال الحلبى فيوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام (وان اعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده (ما يقول هذا) اى مثل هذا (بشر) اى مخلوق وفى اصل الدلجى ما هذا بقول بشر وفى حاشية الحلبى قال الغزالى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال اعد فاعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره ابو عمرو ابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ما قاله الغزالى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى اعلم بالصواب (وذكر ابو عبيد) بالتصغير وفى نسخة ابو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فيمن اخذ عن الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقراآت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان ابوه سلام عبدا روميا لرجل من اهل هراة سمع ابو عبيد اسماعيل ابن جعفر وشريكا واسماعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن ابى الدنيا والحارث ابن ابى اسامة وآخرون توفى سنة اربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية او موصولة وعائدها محذوف اى اجهر بامرك او بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل على ان اصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين اى ولا تبال بانكار من انكر واشراك من كفر (فسجد) اى الاعرابى لله وانقاد لما ابداه (وقال سجدت لفصاحته) اى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته (وسمع آخر) اى اعرابى آخر او رجل آخر من المشركين (رجلا) اى من المسلمين (يقرأ فلما استيأسوا منه) اى حين يئسوا من يوسف اذ لم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) اى انفردوا واعتزلوا متناجين فى تدبير امرهم ووحده لكونه مصدرا او فعيلا (فقال اشهد ان مخلوقا) اى احدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) اى فى غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما) اى من الايام (نائما فى المسجد) ولعله كان معتكفا فى مسجد سيد الانام (فاذا هو) اى عمر (بقائم) اى واقف (على رأسه) ووقع فى اصل الدلجى وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) اى يأتى بكلمتى الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) اى عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما اوجب اثره (فاعلمه) اى ذلك القائم (انه) اى باعتبار اصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير والوزير فى لغتهم (ممن) اى وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) اى فهمه (وغيرها) اى وغير لغة العرب او كلماتهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين) اى من اسرائهم فى ايدى اعدائهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا) اى هى كما فى نسخة (قد جمع) بصيغة المجهول اى اجتمع (فيها ما انزل الله على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا) اى من علائق المعاش (والآخرة) اى من لواحق المعاد (وهى) اى تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) اى فى سننه او فى جميع ما يأمرانه وينهيانه (ويخش الله) اى ويخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قراآت مشهورة فى محلها مسطورة اى ويتق الله فيما بقى من عمره فى جميع امره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون اى الظافرون بالمراد فى المبدأ والمعاد (وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن اصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والاخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه سمع جارية) اى بنتا او مملوكة خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية او سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى كلها فقال لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

استغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله

مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم اصله

(فقال لها قاتلك الله ما افصحك) اى هى حقيقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال قاتله الله ما اعجب فعله اى بلغ فى الكمال غاية لم يصل غيره اليها فاستحق ان يحسد فيه فيدعى عليه (فقالت او) بفتح الواو (يعد هذا) بصيغة المجهول والمفهوم من الدلجى ان اصله بصيغة الخطاب المعلوم حيث قال عطف على مقدر اى أيعجبك وتعده (فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى) اى اشرنا اليها الهاما او مناما (ان ارضعيه) اى اخفيه ما امكنك فيه (الآية) وهى قوله تعالى فاذا خفت عليه اى من لحوق الهم فالقيه فى اليم ولا تخافى عليه ضياعه ولا تحزنى فراقه انا رادوه اليك لتقرى عينا وجاعلوه من المرسلين عنا بمرأى منا (فجمع) اى الله سبحانه وتعالى (فى آية واحدة بين امرين) هما ارضعيه والقيه (ونهيين) اى لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) يعنى واوحينا فاذا خفت عليه (وبشارتين) اى رادوه وجاعلوه (فهذا) اى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرها مما سبق ذكره (نوع من اعجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير مضاف الى غيره) اى من انواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن احكام عباداته ومعاملاته ومأموراته ومنهياته (على التحقيق) اى عند اهل التوفيق (وعلى الصحيح من القولين) اى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر (وكون القرآن) اى نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جانبه وطرف حصوله (وانه اتى به معلوم ضرورة) اى بديهة لا يفتقر الى اقامة بينة ولا قيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) اى طالبا المعارضة ولو باقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) اى المتحدين به الموجودين فى زمنه (معلوم ضرورة وكونه) اى القرآن (فى فصاحته) اى وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفى نسخة صحيحة للعالمين اى للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) اى لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من اهلها) اى من اهل المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفى نسخة بصيغة الماضى معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول اى هو ان يعلم كون القرآن فى الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) اى لكونه كلام الله تعالى (من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين) اى بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) اى القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) اى لهم عن مناقضته (وانت) اى ايها المخاطب (اذا تأملت) اى من جهة الايجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) اى ولغيركم (فى القصاص حياة) اى المودع فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث اتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكانه احيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما فى القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى الآخرة وهو اولى من كلام موجز عندهم وهو ان القتل انفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر للحظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا للفتنة فيما اقتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولو ترى اذ فزعوا) اى عند موتهم او بعثهم او وقت هلاكهم (فلا فوت) اى لهم من الله بهرب وسبب غريب (واخذوا من مكان قريب) اى من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار قعرها او من نحو صحراء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) اى سيئة من اساء اليك من الكائنات (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) الحسنات او بالخصلة التى هى احسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو وما يمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) اى صديق قريب رفيق (وقوله وقيل يا ارض ابلعى ماءك) اى انشفى (ويا سماء اقلعى) اى امسكى (الآية) يعنى (وغيض الماء) اى نقص (وقضى الامر) اى امر هلاك الاعداء وانجاء الاحياء (واستوت) استقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل او الشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) اى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غير موضعها وفى نداء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما اريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين امتثالا لامره وانقيادا لحكمه مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان اردت تفصيل

ما يتعلق بهذه الآية في الجملة فعليك بشرح الدلجي حيث ذكر بعض ما يتعلق بها من حسن مبانيها ولطافة معانيها وبدائع الحكم التي اودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) اي عقيب ارسالنا الانبياء الى اممهم وتكذيبهم بهم كلا منهم (اخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اي ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الآية) تمامها ومنهم من اخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من اغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه (واشباهها) بالنصب اي امثال هذه الآية ووقع في اصل الدلجي واشباهه فقال اي اشباه ما ذكر (من الآي) اي من سائر آيات القرآن (بل اكثر القرآن) اي وبل اذا تأملت اكثر القرآن اي مما هو بمحل من ايجاز لا يرام واعجاز لا يسام (حققت) جواب اذا تأملت اي عرفت (ما بينته من ايجاز الفاظها) اي مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) اي مما يكسوها زينة اشارتها (وحسن تاليف حروفها) اي من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر اي توافق كلماتها وتناسبها في مقاماتها قال الدلجي وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملاءمة اي الموافقة لا واوا وما روي في الحديث بها فتحريف لا اصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولا يخفى ان تخفيف الهمز المضموم بعد الالف لا يعرف الا بالواو كالتناوش واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلا عبرة به اصلا كما حقق في تخفيف رئاء وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) اي من مبانيها (جملا) اي من جمل الكلام المجملة (كثيرة) اي من معانيها (وفصولا جمة) اي غزيرة من الفصول المهمة والامور المحمة (وعلوما زواخر) اي في مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس

جميع العلم في القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

وقد سأل بعض الحكماء من بعض العلماء ما في كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله في نصف آية هي قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) اي الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) اي مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات في المستنبطات عنها) اي مما لا يمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ اي القرآن الكريم (في سرد القصص الطوال) اي في ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) اي اهلها السوابق متوالية (التي يضعف) اي يعجز (في عادة الفصحاء عندها الكلام) اي لطولها (ويذهب ماء البيان) اي عند ارادة تقرير فصولها (آية) خبر المبتدأ اي علامة ظاهرة (لمتأمله) اي لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره (من ربط الكلام) اي من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) في ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) اي وتناسب ما قبله لما بعده (وتناصف وجوهه) اي توافق ضروبه وتعانق فنونه كأن كلا منها انصف الآخر في اخذ حظه من قولهم تناصفوا اذا انصف بعضهم بعضا من نفسه (كقصة يوسف على طولها) اي المشتملة على دررها وغررها من بيان ابوابها وفصولها (ثم اذا ترددت) اي تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص وليس كما توهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) اي ايجازا واطنابا وتفننا في بيانها غيبة وخطابا (عنها) اي عن تلك القصة (على كثرة ترددها) اي مع كثرة ترددها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) اي من القصص (تنسي) بضم التاء وكسر السين مخففا ومثقلا اي تذهب على خاطر المستمع المصغي المتأمل (في البيان) اي في مراتب بيانه ومناقب شانه من القصص (صاحبتها) اي نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد اي وتحاكي (في الحسن) اي في حسن مطالعتها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولا نفور للنفوس من ترديدها) اي ولا تنفر للنفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها (ولا معاداة) اي من احد (لمعادها) بضم الميم اي لمكررها والضمير للقصص على منوال ما قبلها ووقع في اصل الدلجي لمعاده بافراد الضمير المذكر فقال اي القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبي

وخير جليس لا يمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

وكما قال غيره

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لا الى من له طبع سقيم

(فصل)

(الوجه الثاني من اعجازه) اي من وجوه ضبط انواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب ان يقول واسلوبه الغريب (المخالف) اي بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) اي لما اودع فيه من دقائق البيان

وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلاسة الترتيب (ومناهج نظمها) اي طريق مبانيها الواضح البين عند اهلها (ونثرها) اي خطبا ورسائل وغيرها (الذي جاء عليه) اي نزل على وفقه القرآن اعلاما بان ما عجزوا عنه انما هو كلام منظوم من عين ما ينظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبي الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آيه) اي اواخر وقوف فواصلها من التام والكافي والحسن باختلاف محالها وزيد في اصل الدلجي هنا لفظ عليه فقال اي على الاسلوب الغريب الذي قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولا يوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) اي من الكتب المتقدمة (ولا بعده) اي ولا يتصور ان يوجد بعده (نظير له) اي شبيه ومثل له في حسن المباني ورونق المعاني (ولا استطاع احد مماثلة شيء منه) اي لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) اي تحيرت (وتدلهت) بالدال المهملة وفي نسخة تولهت بالواو اي اندهشت (دونه) اي عنده (احلامهم) اي فهومهم في تصوره وتدبره (ولم يهتدوا الى مثله) اي الى اتيان شبهه (في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع) اي في احدها (او رجز) بفتح الراء والجيم وفي آخره زاي وهو من بحور الشعر وانواعه وقيل لا يسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (او شعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط في بعض النسخ بفتح الزاي وسكون الجيم في آخره راء والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) وهو والد خالد رضي الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة يقينه (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف اي تأثر بسماعه لما القى عليه (فجاءه ابو جهل) وهو ابن اخيه (منكرا عليه) اي رقته لديه (قال) وفي نسخة فقال اي الوليد (والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقول شيأ من هذا) اي من جنس الشعر (وفي خبره الآخر) اي عن الوليد كما رواه البيهقي عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) اي قرب ورود اهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال اليمني موسم الحاج مجمعهم سمي بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح ان يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفي نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلدة والقرية لمآرب تحوجهم الى النقلة (ترد) اي يجيئون اليكم وينزلون عليكم (فأجمعوا فيه رأيا) بفتح الهمزة وكسر الميم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه اي اجتمعوا بالعزم على رأي فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فأجمعوا كيدكم وقرأ ابو عمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان يضبط هنا كذلك ايضا اي اجمعوا رأيا فيه لا يوجد ما ينافيه كما اشار اليه بقوله (لا يكذب بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك والمعنى لا ينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفي نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات في الازمنة الآتية ويدعي معرفة اسرار المغيبات الماضية وكان في العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان خبرا بمبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رئيا من الجن يلقي اليه اخبارا يسترقها من السماء ويلقطها مما يراه في اطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات اسباب من كلام من يسأله او فعله او حاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) اي الوليد (والله ما هو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم في تزويرا واقاويل باطلة روجها بسجع في كلمات متقابلة اذ كانوا يروجون اخبارهم المزورة واقوالهم المصورة باسجاع مزخرفة تروق السامعين يستميلون بها قلوبهم واوهامهم ويستصغون اليها اسماعهم وافهامهم ولا يتكلمون الا بالسجع المتكلف في تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال في حديث قتل الجنين كيف ندي من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك يطل اي يهدر وفي رواية بطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل وما ليس تحته طائل والا فقد ورد السجع في كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ما هو) اي ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعني به القرآن او مطلق ما يظهره في عالم البيان (بزمزمته) اي بزمزمة الكاهن (ولا سجعه) وهو صوت خفي لا يكاد يفهم فكأنه والله تعالى اعلم اذا اراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده واخبره والنفي الثاني بمنزلة الدليل للنفي الاول فتأمل او معطوف عليه بحذف الباء كما سيأتي في قرائنه هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه في خياشيمهم وافواههم من غير صريح نطق وربما افهموا به من الفهم (قالوا مجنون) اي مصاب اختلط عقله من مس الجن على ما يعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذي يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته وما احسن مقابلته

بالمصاب فانه المخطئ فى فعله عن صوب الصواب لكونه اصيب بآفة فى عقله الخارج عن دائرة اولى الالباب (قال) اى الوليد (ماهو بمجنون ولا بخنقه) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون وتسكن وتفتح وبالقاف مصدر لدخول حرف الجر بعد لا المزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل نفى كما توهم قال الحلبى الخنق بكسر النون كذا فى غير مؤلف فى اللغة ولكن فى مطالع ابن قرقول قال بضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض للكسر فحصل من ذلك ثلاث لغات فى المصدر قلت وفى القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق ايضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر هنا بمعنى المفعول اى ليس هو ممن اصابه الجن وخنقه ولا وسوس فى صدره لعدم ظهور اثره فى امره كما افاده بقوله (ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال) اى الوليد (ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله) اى اصنافه جميعه مأخوذ من الشعور وقال اليمنى هو مصدر شعرت بالشئ بالفتح اشعر به اى فطنت له ومنه قولهم ليت شعرى اى ليتنى علمت وفى الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج مالم يقصد مما وافق فى الوزن والتقفية كما جاء فى القرءآن والسنة وعبارات الائمة من غير قصد ويقال فى كلامه سبحانه وتعالى انه غير مقصود بالذات والا فلا يتصور بدون ارادته وقوع شئ من الكائنات (رجزه وهزجه) بفتحتين فيهما (وقريظه ومبسوطه ومقبوضه) بيان لبعض انواعه واصول اصنافه هذا وقوله قريظه فى النسخ بالظاء المشالة وفى اصل الدلجى بالضاد المعجمة فقال فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمى الشعر قريضا لان قارضه اى الشاعر يورده قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما فى القاموس فى حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجاراه كقارضه والشعر قاله وقال اليمنى وسمى قريضا لكونه يقرض ويقال قرظته اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء (ماهو بشاعر) تأكيد للاول وفى نسخة وماهو بشاعر انطقه الله تعالى بالصدق وما وفقه للحق فما اقربه فى الظواهر وما ابعده فى السرائر فهو ممن اضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء اى ولا هو نفث الساحر اى نفخه ولا بعقده فى خيط عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد (قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين شيأ من هذا) اى مما رميتموه به من الاباطيل (الا وانا اعرف انه باطل) اى وليس تحته طائل (وان اقرب القول انه ساحر) بفتح الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبر ان الاولى فتأمل ولا تتبع طريق الدلجى فى ضبط الهمزة بالكسر على انه مقول لقول مقدر حيث قال واقرب القول فيه ان يقال بانه ساحر (ثم قال) اى الوليد (فانه سحر) اى كلامه مشابه حال كونه (يفرق) اى به كما فى نسخة اى بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) اى اعز اولاده واقاربه وفى نسخة وابيه اى والده الذى هو اقرب اسلافه واجداده (والمرء واخيه) اى شقيقه واقوى قرينه ورفيقه (والمرء وزوجه) اى امرأته او الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) اى عموم قرابته بواسطة المخالفة فى دينه وملته (فتفرقوا) اى راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) اى سبل الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) اى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته واقتفاء سنته وطريقته (فانزل الله تعالى فى الوليد) اى مايشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال من الياء فى ذرنى اى اتركنى معه وحدى فانا اكفيكه او من العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا لامال له ولا ولد بل فريدا او تهكم به صرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه فى الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه وعيبه بما يقتضى ان يكون وحيدا فى شره (الايات) اى من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) اى ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل فى بدر كافرا وقد قيل قتله حمزة حين كرهو وعلى عليه (حين سمع القرءآن يا قوم قد علمتم انى لم اترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت) اى من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا ما سمعت مثله قط ماهو) اى ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه وفى حديث اسلام ابى ذر) اى الغفارى بكسر الغين وقد رواه مسلم (ووصف) اى والحال انه قد وصف ابوذر (اخاه انيسا) بضم الهمزة وفتح النون وسكون التحتية فسين مهملة وكان ابوذر ارسله قبل اسلامه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة والقصة مشهورة وهو صحابى معروف (فقال) اى ابوذر (فالله ما سمعت باشعر) اى باكثر شعرا واحسن نظما (من اخى انيس لقد ناقض) اى عارض (اثنى عشر شاعرا) اى معروفا (فى الجاهلية انا احدهم وانه) اى انيسا (انطلق الى مكة وجاء الى ابى ذر) نقل بالمعنى او التفات فى المبنى وفى نسخة وجاءنى (بخبر النبى) اى باخبار بعثته واظهار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت فما يقول الناس) اى فى وصفه ونعته

(قال يقولون شاعر كاهن ساحر) اى هم مختلفون بين قول شاعر وكاهن وساحر او هم قائلون بانه لا يخلو عن واحد من هؤلاء الطوائف المذكورة او مدعون بانه جامع بين هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال اخو ابى ذر (لقد سمعت ما قال الكهنة) اى كثيرا (فما هو) اى قوله (بقولهم) اى لعدم المناسبة (ولقد وضعته) اى كلامه (على اقرآء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف قرآء ممدودة اى طرقه وانواعه اى انواع بحوره (فلم يلتئم) اى لم يلائم على شئ من اوزانه (وما يلتئم) اى وما يتفق (على لسان احد بعدى) اى غيرى ايضا (انه شعر) اذ الشعرآء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقرآء شعرهم هنالك (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لصادق) اى فى دعوى الرسالة وفى قوله نقلا عن ربه وما علمناه الشعر وما ينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا او كاهنا او ساحرا (والاخبار فى هذا) اى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) اى اسنادا (كثيرة) متناصرة بحجة دلالة (والاعجاز) اى عن الاتيان بمثل هذا القرءآن (بكل واحد من النوعين) اى اللذين احدهما (الايجاز والبلاغة بذاتهما) اى بانفرادهما فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لما قبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنهما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهو الذى بينه بقوله (او الاسلوب الغريب بذاته) اى مع قطع النظر عن بقية صفاته وفى نسخة ان بدل او ووجهه لا يظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده فى ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) اى من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) اى عند ارباب التوفيق واصحاب التدقيق وفى نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ فى المعنى تحريف (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما) اى لا بالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذ كل واحد) اى من النوعين (خارج عن قدرتها) اى عن قدرة العرب العرباء (مباين افصاحتها وكلامها) اى مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعرآء والخطباء (والى هذا) اى القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غير واحد) اى كثيرون (من ائمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال اى بعض من يقتدى الناس بهم ويميلون فى الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة) اى المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) اى من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لا بكل واحد منهما منفردا (واتى على ذلك) اى واستدل على ما ذهب اليه اى من ان الاعجاز فى مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم اى تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) اى من اول الوهلة ومبدأ المقدمة (والصحيح ما قدمناه) اى من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة قطعا) عند اصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز امر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه من جهة الصنيع الا معرفة علوم المعانى والبيان والبديع مع معونة فيض الهى يورث العلم بكون ذلك ضرورة قطعا (ومن تفنن) وفى نسخة ومن تكلم (فى علوم البلاغة) وفى نسخة فى فنون البلاغة اى ومن علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وارهف خاطره) بالنصب اى رقق وحدد ذهنه بتوجه جنانه (ولسانه) اى بتحصيل بيانه (ادب هذه الصناعة) فاعل ارهف والمعنى ان من اكثر ممارستها واطال خدمتها حتى صارت له بديهة معرفتها (لم يخف عليه ما قلناه) اى ما قدمناه كما فى اصل الدلجى من ان كلا منهما نوع اعجاز بذاته منفردا عند اهل التحقيق بصفاته (وقد اختلف ائمة اهل السنة) وفى نسخة ائمة المسلمين (فى وجه عجزهم عنه) اى عن الاتيان بمثله (فاكثرهم يقول) اى قالوا مستمرين على قولهم (انه) اى وجه عجزهم (مما جمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى جمع الله (فى قوة جزالته) اى لطائف معانيه (ونصاعة الفاظه) اى شرائف مبانيه بخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) اى واستحسان نظم المعانى الكثيرة فى ضمن المبانى اليسيرة من غير خلل فى مبناه ولا قصور فى معناه (وبديع تأليفه واسلوبه) اى على صنيع منيع ليس على اسلوب نظم الشعرآء ولا نثر الخطباء (لا يصح ان يكون فى مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرائف فى باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة اى مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) اى مما لا يقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ ابو الحسن) اى على بن اسماعيل بن اسحق بن سالم بن عبد الله بن امير العراقين بلال ابن ابى بردة ابن ابى موسى الاشعرى امام السنة (الى انه) اى القرءآن (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) اى فى الجملة ممن هو ماهر فى وجوه البلاغة وباهر فى فنون الفصاحة (ويقدرهم الله عليه) بضم الياء

وكسر الدال اى وان يعطيهم القدرة والقوة على اتيان مثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرآئم اسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولا يكون) اى هذا وفى نسخة زيد هذا والشان اى الشان عدم قدرتهم عليه (فنعهم الله هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم اى وجعلهم عاجزين عن امر المعارضة فى ميدان المقاومة (وقال به جماعة من اصحابه) اى من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة وقدمر انه مرجوح عند اكابر الائمة (وعلى الطريقين) اى من ان كونه معجزا بذاته عن مقاومته او بتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (فعجز العرب عنه ثابت) اى بلا شبهة (واقامة الحجة عليهم) اى واقع (بما يصح ان يكون فى مقدورهم) وفى نسخة مقدور البشر اى على ما ذهب اليه الاشعرى وبعض اتباعه (وتحديه) اى وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم (بان يأتوا بمثله قاطع) اى بلا ريبة (وهو) اى تحديه ان يأتوا بمثله مع كونه مما يصح ان يكون فى مقدورهم (ابلغ فى التعجيز واحرى) اى اليق واولى (بالتقريع) اى بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ اى والاستدلال على عجزهم (بمجيء بشر مثلهم) وفى نسخة منهم اى من جملتهم (بشيء ليس من قدرة البشر لازم) اى على القول بانه معجز بنظمه العجيب واسلوبه الغريب (وهو) اى كونه ليس من قدرة البشر (ابهر آية) اى اظهر علامة (واقمع) اى اقهر (دلالة) اى فى ثبوت الحجة (وعلى كل حال) اى تقدير من قولى الاعجاز بالصرفة او البلاغة (فما اتوا) بفتح الهمزة اى فما جاؤا (فى ذلك) اى فى معارضته (بمقال) اى فى مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم اى الخروج من اوطانهم (والقتل) اى وعلى قتل انفسهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد اى الحقارة (والذل) اى المسكنة والمهانة (وكانوا) اى والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة اى من شماخته ورفعته كبرا وعتوا وهو بفتح الهمز وسكون النون عضو معروف وجمعه انوف وفى نسخة بضمتين على انه جمع انف وضبطه الحلبى بهمزة ممدودة يعنى وضم نون على انه جمع آخر (واباءة الضيم) بكسر همزة فموحدة فالف بعدها همزة او ياء فتاء وفى نسخة بغير تاء وفى اخرى الضير براء بدل الميم وكلاهما بفتح الضاد اى وكانوا من منوع الضرر تحاميا عنه وتباعدا منه (بحيث لا يؤثرون ذلك) اى لا يختارون ما ذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) اى طوعا (ولا يرضونه الا اضطرارا) اى كرها (والا) اى وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) اى للقرآن وسائر المعجزات (لو كانت من قدرهم) بضم وفتح اى مقدوراتهم (والشغل بها اهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل بالفاء او لكان الشغل ولعل الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين اى الاشتغال بالمعارضة اسهل اليهم (واسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم اى بالظفر على المراد (وقطع العذر) اى المعذرة عند العباد فى البلاد (واسكات الخصم) اى الزامه (لديهم) اى عندهم (وهم) اى والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفى نسخة قدرة (على الكلام) وفى نسخة وهم من هم بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفى اخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة فى الجميع مرفوعة وفى اصل الدلجى وهم منهم قدرة بالنصب فقال تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكى فتحها اى اقتداء واسوة (فى المعرفة به) اى بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدوة (وما منهم) اى من احد (الا من جهد جهده) بضم الجيم وفتحه اى بذل جده وبالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة اى استفرغ (ما عنده) اى من قوة طاقته (فى اخفاء ظهوره) اى ظهور نور القرآن او علو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشان (واطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره ويعلو ظهوره) وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره (فما جلوا فى ذلك) اى فما اظهروا فى مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة او مبدلة مدغمة اى مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون اى من كلمات صدرت من افواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقافه (ولا اتوا بنطفة) اى ولا جاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) اى من ظواهر انهار بلاغتهم واسرار فصاحتهم بل صاروا بكما فى معارضتهم (مع طول الامد) اى الزمان (وكثرة العدد) اى الاعوان (وتظاهر الوالد وما ولد) الاولى ان يقال والولد اى ومعاونتهم ومعاضدتهم فى مقام الرد واما ما فى نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل ابلسوا) بصيغة الفاعل اى ايسوا من المعارضة ويئسوا من المقاومة (فابلسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة وبضم السين المهملة اى فانطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول اى فاعطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) اى عن المعارضة (فهذان النوعان) وفى نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) اى اجتماعا او انفرادا

(فصــــل)

الوجه

(الوجه الثالث من الاعجاز) اى من وجوهه (ما انطوى) اى اشتمل واحتوى (عليه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (بالمغيبات) اى الكائنات فى الازمنة السابقة (وما لم يكن ولم يقع) اى بعد (فوجد) اى فى الايام اللاحقة (كما ورد) اى مطابقا لما ورد (على الوجه الذى اخبر كقوله تعالى) خطابا للنبى عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله) تعليق لعدته بالمشيئة تعليما لعباده وايماء الى عدم وجوب شيء على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لا يدخله لعلة من موت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية (آمنين) حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة (وقوله وهم من بعد غلبهم) اى والروم من بعد غلبة الفرس لهم (سيغلبون) الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك اجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده اى فى الابل وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى بعد قفوله من احد بجرح من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به سرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر القلائص من ورثة ابى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها وبه اخذ ائمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى اعلم (وقوله) اى وكقوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) اى ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) اى على جنس الدين جميعه بتمام افراده بتسليط المسلمين على اهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) اى فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم اى من الانبياء السالفة واممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) اى فتح مكة (الى آخرها) اى الى آخر السورة او الى آخر ما يتعلق به معنى الآية وهو قوله ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا (فكان جميع هذا كما قال) اى وقع كله كما اخبر عنه اى فكان جميعه كما قال معجزة ومن اعلام النبوة (فغلبت الروم فارس فى بضع سنين) اى يوم الحديبية قبل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول ايضا ودخل اهل الاسلام فى المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين فى عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس فى الاسلام) اى بعد فتح مكة (افواجا) اى فوجا بعد فوج من اهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فما مات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) اى الله تعالى كما فى نسخة (المؤمنين فى الارض) اى فى عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) اى ثبته فيما بين العباد (وملكهم اياها) اى الارض وبلادها (من اقصى المشارق الى اقصى المغارب) اى ليتم نظام مرادهم ويكمل امور معاشهم ومعادهم (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لى الارض) بضم الزاى وكسر الواو اى جمعت وطويت لاجلى (فاريت) بصيغة المجهول وفى اصل الدلجى فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها) اى باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من التحريف بالزيادة والنقصان مما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) اى بمقتضى حفظه (لا يكاد يعد) بصيغة المجهول اى يحصر (من سعى فى تغييره) اى من مبانيه (وتبديل محكمه) اى فى معانيه (من الملحدة) اى المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) اى القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لا سيما القرامطة) بالرفع على ان سى بمعنى مثل وما موصولة صدر صلتها محذوف اى ولا مثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان ما زائدة وبالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطى (فاجمعوا كيدهم وحولهم) اى جهدهم (وقوتهم) اى جدهم (اليوم) اى الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة وقيل مشددة مكسورة اى زيادة (على خمسمائة عام) اى بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف والف (فما قدروا) اى القرامطة

وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطفاء شئ من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفى نسخة صحيحة من كلمه بفتح فكسر
و يجوز بكسرة فسكون (ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه) اى لا من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه
ولا ترديدهم فى اعراب بل ولفظه مما ينافيه فى باب (والحمد لله) اى على تمام هذه المنة واتمام هذه النعمة (ومنه) اى
ومن اعجاز القرءآن فى اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) اى جمع اهل الكفر و يولون
الدبر اى الادبار كما قرئ به وافرد لقصد الجنس او لارادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضى الله تعالى عنه
لما نزلت لم اعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم
الجمع فعلمته (وقوله تعالى) اى ومنه قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) اى قتلا (الآية) اى ويخزهم اسرا
وينصركم عليهم نصرا ويشف صدور قوم مؤمنين اى مما امتلأت منهم ضجرا قيل هم خزاعة حلفاء رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن وردوا مكة واسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فقال لهم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب (وقوله تعالى) اى وكذا منه قوله تعالى (هو الذى ارسل رسوله
بالهدى الاية) وقد سبق وهذا من التكرير فى التعبير (وقوله لن يضروكم الا اذى) اى ضررا يسيرا كطعن فى الدين
وتهديد فى التخمين (وان يقاتلوكم الاية) اى يولوكم الادبار اى منهزمين ثم لا ينصرون اى لا ينصر احدلهم ولا يدفع
بأس عنهم (فكان كل ذلك) اى فوقع هنالك كل ذلك كذلك من هزم جمعهم وتعذيبهم وشفاء صدور المؤمنين
بنصرهم عليهم وانحصار الاذى فى ضررهم وانهزامهم كبنى قريظة والنضير وامثالهم (ومافيه) اى ومما
فى القرءآن (من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم) اى من ايضاح اقوالهم وافضاح احوالهم (وكذبهم
فى حلفهم وتقريعهم بذلك) اى ومن توبيخ الله اياهم بسوء اعمالهم وتقبيح آمالهم وتقطيع ما لهم (كقوله) اى كما
فى قوله سبحانه وتعالى (ويقولون فى انفسهم) اى فيما بينهم اوفى نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) اى هلا يعاقبنا
بقولنا فى محمد طعنا منافيه وفى الاسلام ودفعا عنا بالسام بدل السلام قال تعالى وهو العليم الخبير حسبهم
جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) اى وكقوله تعالى فى حق المنافقين (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك الاية)
يعنى لو كان لنا من الامر شئ كما زعم محمد ان الامر كله لله وان حزبه هم الغالبون ما قتلنا ههنا اى فى المعركة (وقوله)
اى وكقوله تعالى فى حق اليهود (من الذين هادوا) اى بعض اليهود منهم قوم (سماعون للكذب الاية) اى
اكالون للسحت الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) اى يميلونها عن مواضعها التى وضعها الله
تعالى فيها بازالتها من مكانها واثبات غيرها فى محلها او يأولونها على ما يشتهون فيها (الى قوله وطعنا فى الدين
وقد قال مبديا) بالهمز اوالياء اى حال كونه تعالى مظهرا (ما قدره الله) بتشديد الدال اى ما قضاه (واعتقده) ويروى
وما اعتقده (المؤمنون) اى مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى طائفتين العير والنفير
(واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) اى القافلة الراجعة من الشام او الطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم)
حاصلة من اموال احداها او غنيمة اخراها (وتودون) اى تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهى السلاح
يعنى العير المقبلة مع ابى سفيان (تكون لكم) حيث لا حدة فيها ولا شدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع
الكثير ممن نفروا مع ابى جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من ايدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه
متقوين بكثرة عددهم وعددهم (ومنه) اى ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) اى
الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى او الحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن اسد قيل
وكذا عمه ابو لهب وعقبة ابن ابى معيط والحكم ابن ابى العاص الا انه اسلم يوم الفتح والباقون اهلكوا بانواع من العقوبة
(ولما نزلت) اى هذه الاية فيهم على ما رواه الطبرانى فى الاوسط (بشر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بان الله
كفاه اياهم) اى شرهم واذاهم ورواه البيهقى وابو نعيم بمعناه (وكان المستهزئون نفرا بمكة) اى جماعة مترصدين
للواردين بها والصادرين عنها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء اى يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) اى بهذا
واضرابه (فهلكوا) اى بضروب البلاء وفنون العناء فتم نوره وكمل ظهوره (وقوله والله يعصمك من الناس) عدة
من الله تعالى بعصمة روحه من غوائل عدوه (فكان كذلك) اى كما اخبر به من لا خلف فى خبره (على كثرة من رام
ضرره) اى مع كثرة من قصد ضره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) اى مشهورة فى كتب المغازى فى باب السير
(صحيحة) اى مذكورة عند ارباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى فى العقبى

(فصـــل)

(الوجه الرابع) اى من وجوه اعجاز القرءآن (ما انبأ به) اى واعلمه (من اخبار القرون السالفة) اى الماضية (والامم

البائدة) اى الهالكة الفانية (والشرائع الدائرة) اى الدارسة (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح
الفاء وتشديد الذال المعجمة اى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شانه (من احبار اهل الكتاب) بالحاء المهملة
اى من علمائهم (الذى قطع عمره) اى صرفه (فى تعلم ذلك) اى الحبر الواحد من السنة كبرائهم او من كتب فضلائهم
(فيورده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ويأتى به على نصه) اى
كما قرأه عليه جبريل من غير تصرف فى لفظه (فيعترف العالم) اى منهم كما فى نسخة (بذلك) اى بسبب ما اورده (بصحته
وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) اى لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يغترف من
بحر تحقيقه ويتشرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه اخبر الخلق بوحى من الحق (وقد علموا) اى جميعهم قبل ذلك (انه
صلى الله تعالى عليه وسلم امى) اى فى جميع امره (لا يقرأ ولا يكتب) اى فى جميع عمره (ولا اشتغل بمدارسة) اى مع
العلماء (ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون اى ولا مجالسة مع الشعراء والفضلاء وفى نسخة بالقاف والموحدة ولعلها
مصحفة او يراد بها المزاحمة فى المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم)
اى غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولا جهل حاله احد منهم) اى منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من
اعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذا تقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم فى الامى معجزة (وقد كان اهل
الكتاب) اى من اليهود والنصارى (كثيرا ما) اى فى كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا)
اى عن اخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا (عليه من القرءآن ما يتلو
عليهم منه ذكرا) اى بيانا لاعمالهم واحوالهم وما جرى لهم فى مآلهم (كقصص الانبياء مع قومهم) اى اقوامهم
من اممهم اجمالا تارة ومفصلا اخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما اشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر)
بفتح فكسر وروى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس او صلى اخضر ما حوله وفى البخارى انه جلس على فروة فاذا هى
تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة او الحشيش اليابس وفى اسمه اختلاف وكذا فى كونه نبيا مرسلا او غيره
او وليا وبه جزم جماعة واغرب ما قيل فيه انه من الملائكة وقيل انه ابن آدم وقيل ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على
جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح
هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل
النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى احاديث الدجال انه يقتل رجلا
ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى
ومن تبعه كالقاضى ابى بكر ابن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم
هذه فانه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس
ويخالطونه لا فيمن ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة
الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن
ابن عمران المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد انخرام ذلك
القرن (ويوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (واصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف
فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه انكر ان يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض اصحاب
الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم اقوال وروى انهم
سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى الفيت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن ابى خيثمة هذا وقد اختلف
فى عدتهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين
فقال لا ادرى أنبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا مسح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه
من كل شئ سببا اى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا اى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب حبل
من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ما قيل
فى ذلك ما روى عن ابى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكوا عليا ابن ابى طالب فقال ارأيت ذا القرنين
انبيا كان ام ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه
ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين ملك الخافقين واذل الثقلين وعمر الفين ثم كان فى ذلك كلحظة عين
(ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفى سورته بعض حكمته (واشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابنى آدم (وبدء
الخلق) اى ابتدائهم وانتهائهم (وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء

اى من اهل الكتاب (بها) اى حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) اى وماقدر احد منهم (على تكذيب ماذكر منها) بصيغة الفاعل او المفعول اى تكذيبه فى شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) اى انقادوا له (لذلك) اى لعلمهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة اى موافق (آمن) اى بالقرآن وماانزل عليه (بما سبق له) اى فى الازل (من خير) اى من سابقة ارادة السعادة له (ومن شقى) اى مخذول (معاند حاسد) وزيد فى نسخة خاسر جاهل وقال الحجازى يروى خاسر ويروى جاهل اى لم يصدقه بما سبق له فى الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا لم يحك عن احد) وفى اصل الدلجى وغيره عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) اى مع مبالغتهم فى مناقضتهم لحقه (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم) اى مما اوجب العلم بانه رسول الله الى كافة الناس (وتقريعهم) اى توبيخهم ردعا لهم (بما انطوت عليه مصاحفهم) اى بما اشتملت عليه كتبهم وكان الاظهر ان يقول صحفهم او صحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) اى اختبارا وامتحانا (وتعنيتهم اياه) اى تكليفهم له بماشق عليه بكثرة سؤالهم (عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم) اى كل ذلك تعنتا وعنادا لاتفهما وارشادا (واعلامه لهم بمكنون شرائعهم) اى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم) اى على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين واصحاب الكهف) فيما رواه ابن اسحق والبيهقى فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم كما رواه الشيخان قصتى اصحاب الكهف وذى القرنين وابهم امر الروح كما هو مبهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلاة والسلام) اى وسؤالهم عن عيسى فبينه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فبينه لليهود (وما حرم اسرائيل على نفسه) اى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى اى حرم باجتهاده او باذن من ربه لحوم الابل والبانها فبينه لهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة (وما حرم عليهم) بصيغة المجهول (من الانعام) اى وسؤالهم عنه فبينه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) اى وسؤالهم عنها فبينه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية (وقوله) اى ومثل قوله تعالى (ذلك) اى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود (مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) اى كزرع اخرج شطأه فآزره الآية والمراد وصفهما العجيب الشان فيهما (وغير ذلك من امورهم التى نزل فيها القرآن) اى لكشف مستورهم (فاجابهم) اى عن ذلك كله (وعرفهم بما اوحى اليه من ذلك) اى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بماسبق ومابينهما معترضة اى فلم يحك عن احد منهم انه (انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة صحيحة مقاله وفى اخرى بفتح الصاد وتشديد الدال على انه فعل ماض ومقاله مفعوله (واعترف بعناده) اى بعناد نفسه (وحسده اياه) وفى نسخة صحيحة وحسدهم (كاهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من النصارى حين حاجوه فى عيسى فدعاهم الى المباهلة كما فى آيتها وياتى تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء مقصورا وفى نسخة ممدودا ويقال له ابن صورى وقد ذكر السهيلى عن النقاش انه اسلم نقل ذلك الذهبى فى تجريد الصحابة (وابنى اخطب) بالخاء المعجمة يهوديان معروفان هلكا على كفرهما (وغيرهم ومن باهت فى ذلك) اى فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) اى نوع من المباهتة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول اى فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) اى من ان عنده فيما حكاه مخالفة كموافقته لابراهيم عليه السلام فى تحليل لحوم الابل والبانها ويروى وكشف عورته (فقيل له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترئوا ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعنى فمن افترى على الله الكذب اى بزعمه ان ذلك حرم على بنى اسرائيل وعلى من قبلهم قبل نزول التوراة من بعد ذلك اى بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده فاولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من انفسهم ومكابرتهم وعنادهم بعد ماتبين الحق لهم (فقرع) بتشديد الراء (ووبخ) بتشديد الموحدة اى فاظهر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) اى دعاهم (الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف بما جحده) اى انكره اما باسلامه او بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء اى ومن قليل حياء (يلقى) بضم الياء وكسر القاف اى يضع (على فضيحته) اى الكاشفة لعيبه التى هى ظاهرة (من كفه يده) بالنصب على انه مفعول يلقى وفى اصل الدلجى من كفه يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهى آية الرجم عاها بالفضيحة لانها

سبب لهتك حالته قال الحلبى وقد جاء فى صحيح البخارى ان عبدالله بن سلام قال له ارفع يدك يا اعور وسماه بعض الحفاظ عبدالله بن صوريا الاعور الحبر الذى تقدم ذكره وانه اسلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول اى ولم يرو واحد (ان واحدا منهم) اى من اهل الكتاب (اظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفى نسخة من كتبه (ولا ابدى) اى ولا اظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفه) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق على الكتاب الصغير والكتاب اذا اطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاسيما حال الجمع بينهما وهذا اولى مما قال الدلجى من انه جمع بينهما تفننا وتزيينا ومما يؤيد ماقدمناه حديث عيينة بن حصين انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما اخذه قال يا محمد اترى انى حامل الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما امرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما واعطى كلا صحيفة وقال انى كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فالقاها فى الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك والقها فانها كصحيفتى فابى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا اهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما فى التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما فى الانجيل (ويعفو عن كثير) اى مما يخفونه مما لاضرورة الى تبيينه او عن كثير منكم لحلمه حيث لايؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعنى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(فصل)

(هذه الوجوه الاربعة) اى المتقدمة فى فصولها السابقة (من اعجازه) اى اعجاز القرآن (بينة) اى واضحة ولائحة (لانزاع فيها) اى ليس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) اى لاشك ولاشبهة (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة فى حق تعجيز الامة (آى) بهمزة ممدودة اى آيات (وردت بتعجيز قوم) اى جماعة خاصة (فى قضايا) اى احكام مختصة (واعلامهم) بالجر اى وباخباره تعالى عنهم (انهم لايفعلونها) اى كقوله تعالى ولا يتمنونه ابدا واما شرح الدلجى بقوله وان يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لامن القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) اى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على مانص عليه فى سورة الجمعة بقوله قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) اى الجنة ومافيها من المثوبة (عند الله خالصة) اى لكم (من دون الناس) اى باقيهم او المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) اى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اى فى دعواكم على وفق متمناكم لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب الخلاص من دار الاكدار اليها ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم اى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال ابو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (فى هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) اى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم) وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لايقولها اى لا يتمناه بهذه التمنية اولا يتصور فى نفسه هذه الامنية (رجل منهم الا غص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لابضم اوله لانه لازم لايبنى مفعول له ذكره الدلجى والظاهر ماضبطه فى بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه فى حلقه بعد بلعه وفى القاموس الغصة الحزن وما اعترض فى الحلق فاشرق (يعنى يموت مكانه) الاظهر مات مكانه ولفظ الحديث هذا رواه البيهقى من طريق الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه احمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه) اى تمنى الموت (وجزعهم) بتشديد الزاى اى ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء او بفتحهما اى ليبين او يتبين (صدق رسوله) اى فى دعوى رسالته (وصحة ما اوحى اليه) بصيغة المفعول او الفاعل (اذلم يتمنه) اى الموت (احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص) اى من غيرهم (لو قدروا) اى على ما امكنهم من المكيد (ولكن الله تعالى يفعل مايريد فظهرت بذلك) اى بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه احرص من غيرهم (معجزته وبانت) اى ظهرت (حجته قال ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (من اعجب امرهم انه) اى الشأن (لايوجد منهم جماعة ولا واحد) اى منهم (من يوم امر الله بذلك نبيه) اى بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال اى على تمنى الموت (ولا يجيب اليه) اى الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) اى امتناعهم من تمنيه (موجود) اى ثابت فيما بينهم

(مشاهد) بفتح الهاء اى معلوم (لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك) اى مثل ما تقدم من آية التمنى (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهى الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين و باهل بعضهم بعضا وتباهلوا اى تلاعنوا والابتهال الاجتهاد فى الدعاء واخلاصه (من هذا المعنى) اى من حيثية عدم الاجابة الى مادعت اليه الآية (حيث وفد) بفتح الفاء اى قدم (عليه اساقفة نجران) جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وابوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو اى وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان واصروا على اعتقادهم الفاسد فى حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) اى الملاعنة (بقوله فمن حاجك) اى جادلك وخاصمك (فيه) اى فى عيسى عليه السلام وانكر خلقه وزعم انه اله بعبد (الآية) يعنى فقل تعالوا اى هلموا بالعزم والرأى ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا نفسه واعزاهله والصقهم بقلبه فتقديمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم كذا ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بانفسنا اقرب اقاربنا كما سيأتى خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلى وراءها فترتيبهم على مراتبهم ويؤخذ منه علو مناقبهم ثم نبتهل اى نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين اى منا ومنكم (فامتنعوا منها) اى بعد مادعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) اى عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبى) اى بما جاءكم من امر الحق من ربكم (وانه مالاعن قوما نبى قط) اى ابدا (فبقى كبيرهم ولا صغيرهم) وتمام الحديث فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا وآخذ بيد الحسن وفاطمة تمشى وراءه وعلى وراءها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له و بذلوا له الجزية كل سنة الفى حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر (ومثله) اى ومثل فمن حاجك فيه (قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) اى الكفار وغيرهم (انهم) اى احدا منهم (لا يفعلون) اى المعارضة فى الازمنة المستقبلة (كما كان) اى كما تحقق عدم فعلهم فى الايام الماضية (وهذه الآية ادخل) اى من جهة المعجزة (فى باب الاخبار عن الغيب) اى من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا فى المستقبل ابدا (ولكن فيها) اى هذه الآية (من التعجيز) اى لقريش وامثالهم (ما فى التى قبلها) اى من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبى المطلق فطولبوا بمصداقه فعجزوا

(فصل)

(ومنها الروعة) بفتح الراء اى الخشية (التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) اى سماعهم له على لسان تاليه (والهيبة) اى العظمة (التى تعتريهم) اى تصيبهم وتحصل لهم (عند تلاوته لقوة حاله) اى حالته فى تمام حلاوته وفى نسخة لقوة جلالته (وانافة خطره) بفتحتين اى رفعة قدره وعظمة امره (وهى) اى روعته او تلاوته (على المكذبين به اعظم) اى اصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) اى المكذبون (يستثقلون سماعه و يزيدهم نفورا) اى هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) اى فيما اخبر عنهم واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا (و يودون انقطاعه) اى تلاوته (لكراهتهم له) اى كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) اى ولما ذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفى نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) اى شديد (مستصعب) بكسر العين و تفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفى اصل الدلجى يكرهه (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين اى الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير اوشر المميز بين السعيد والشقى بالثواب والعقاب (واما المؤمن) اى به كما فى نسخة (فلا تزال روعته به) اى روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو اى تعطيه (انجذابا) وفى نسخة انجذاذا اى اقبالا عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء اى ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) اى بما لديه (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) اى ترتعد وتنقبض مما فيه من

الوعيد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) اى تسكن وتطمئن الى ما فيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (لو انزلنا هذا القرآن على جبل الآية) اى لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا ومتقطعا من هيبته (و يدل على ان هذا) اى ما يغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شئ خص) اى القرآن (به) اى دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا او تقديره وهو انه (يعترى) اى يصيب (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) اى المتعلقة بمجمل مبانيه كما هو مشاهد فى كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصرانى انه مر بقارئ) اى بمن يتلو القرآن (فوقف يبكى فقيل له لم) اوم (بكيت) وفى نسخة مم تبكى (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفى بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر اى للحزن الذى اصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه او للطرب الذى حصل له من اثر كلام الرب (والنظم) اى لما جمع بين المعانى الدقيقة البيان و بين الفصاحة والبلاغة فى ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) اى فى قليل من الايام (فمنهم من اسلم لها لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) اى استمر على كفره او كفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى اشار الى هذا المعنى فى قوله الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى اشتدت او اسودت (فحكى فى الصحيح) بل روى فى الصحيحين (عن جبير ابن مطعم قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور) اى بسورة الطور (فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شئ) اى من غير موجد ومحدث وخالق فلا يعبدونه (ام هم الخالقون) اى انفسهم (الى قوله المسيطرون) يعنى قوله تعالى ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون فى قولهم هو الله اذا سئلوا من خلق السموات والارض اذ لو ايقنوا فى خالقيته لما اعرضوا عن عبوديته قضاء لحق ربوبيته ام عندهم خزائن ربك اى حتى يعطوا النبوة من شاؤا ام هم المسيطرون اى الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف ارادوا وام فى المواضع الثلاثة منقطعة بمعنى بل والهمزة لانكار القضية (كاد قلبى ان يطير) اى فزعا بما اعتراه من الروعة والهيبة او فرحا لما حصل له من شرح الصدر وسعة القلب فى معرفة الرب ويؤيده قوله (للاسلام وفى رواية اخرى) اى عنه (وذلك اول ما وقر الايمان) اى تمكن وثبت واستقر (فى قلبى) وفى نسخة الاسلام بدل الايمان (وعن عتبة) بضم فسكون (ابن ربيعة) اى ابن عبد شمس بن عبد مناف قتل كافرا بالله فى بدر والحديث رواه البغوى فى تفسيره (انه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه) اى مما لم يوافق اعتقاداتهم الباطلة وضلالاتهم العاطلة (فتلا عليهم حم كتاب فصلت الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اى قوم هود وصالح (فامسك عتبة بيده على فيه) اى فم النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (وناشده الرحم) اى اقسم وسأله بالقرابة التى بينهم (ان يكف) اى يمسك عن تلاوته و يقف فى قراءته (وفى رواية) اى لابن اسحق فى سيرته عن محمد بن كعب القرظى (فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ) اى مستمع اليه (ملق بيديه) وفى نسخة يديه اى مرسل لهما (خلف ظهره معتمد عليهما) اى مستند اليهما (حتى انتهى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى السجدة) اى آيتها ونهايتها (فسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه لله سبحانه وتعالى (وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه) اى يحاوره و يرادده (ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه) اى جاؤا اليه وعاتبوا عليه بما جرى لديه (فاعتذر لهم) اى عن انقطاعه عنهم وعدم خروجه اليهم (وقال والله لقد كلمنى) اى محمد عليه الصلاة والسلام (بكلام ما سمعت اذناى بمثله قط) اى لجزالة مبانيه وفخامة معانيه (فما دريت) اى ما علمت (ما اقول له) اى شيأ مما يناقضه و ينافيه (وقد حكى عن غير واحد) اى عن كثيرين (ممن رام معارضته) اى قصد مناقضته (انه اعترته روعة وهيبة) اى اصابته فزعة وخشية (كف) اى منع نفسه وامتنع (بها) اى بتلك الروعة المقرونة بالهيبة (عن ذلك) اى عما قصده من محاولة المجادلة (فحكى ان ابن المقفع) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء المفتوحة او المكسورة فعين مهملة (طلب ذلك ورامه) اى قصده (وشرع فيه) اى فى ابداله على ظن ان كلامه يفيد مرامه من المعارضة لما فى القرآن من فنون البلاغة وفنون الفصاحة التى صار بها معجزة (فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك فرجع) اى قبل ان يسمع بقية الآية (فمحا) اى مسح وغسل (ما عمل) اى على منوال القرآن ظنا منه ان مهملاته تصلح كونها معارضا فى مقام مناقضاته ومرام مجادلاته (وقال اشهد ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر) اى حتى يناقض (وكان) اى ابن المقفع (من افصح اهل وقته) اى فى دقة فهمه وحدة فطنته (وكان يحيى ابن حكم) بفتح الحاء المهملة والكاف وفى المشتبه للذهبى ابن حكيم بزيادة ياء (الغزال) بتشديد الزاى وذكره الذهبى فى قسم المخفف من المشتبه واختاره الشمنى

(بلغ الاندلس) بفتح الهمزة والدال وقيل بضمهما اقليم بالمغرب وضم اللام متفق عليه (فى زمنه لحكى) بصيغة المجهول (انه رام) اى اراد (شيأ من هذا) اى الذى ذكر من المعارضة (فنظر فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها) اى ليأتى على اسلوبها (وينسج) بكسر السين وضمها (بزعمه) بضم الزاى وفتحها اى وينظم الكلام ويسرد المرام بمقتضى ظنه وبموجب وهمه (على منوالها فال) اى يحيى المذكور (فاعترتنى منه خشية ورقة) اى اصابتنى هيبة ولينة (حملتنى على التوبة) اى عن تلك الارادة التى هى اقبح المعصية (والانابة) اى وعلى الرجوع الى الله تعالى والاقبال عليه فى طلب العفو والمغفرة

(فصــــل)

(ومن وجوه اعجازه المعدودة) اى عند علماء الاعيان (كونه آية باقية) اى على صفحات الزمان متلوة فى كل مكان (لا تعدم مابقيت الدنيا) اى لا تفقد مدة ما اراد الله تعالى بقاء الدنيا واهلها فى خير وعافية (مع تكفل الله تعالى بحفظه) اى من النقصان والزيادة (فقال) اى الله سبحانه وتعالى ردا لانكارهم واستهزائهم فى يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى بجعلنا القراء على حفظه ولذا ورد اهل القرآن اهل الله وخاصته (وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) اى لا يجد اليه سبيلا ليتعلق به (الآية) يعنى تنزيل من حكيم حميد (وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام) اى حتى سائر معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (انقضت بانقضاء اوقاتها) اى مضت بانقطاع ساعاتها (فلم يبق) وفى نسخة ولم يبق (الا خبرها) اى عند ارباب اثرها (والقرآن العزيز) اى البديع المنيع (الباهرة آياته الظاهرة معجزاته) اى اللائحة مبانيه واللامعة معانيه (على ما كان عليه) اى فى اول مباديه (اليوم) بالنصب اى الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفى نسخة وسبع عطف بيان وقال الدلجى اليوم خبر المبتدأ اعنى القرآن وما بينهما صفات له هذا وفى نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله اى الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة الف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) اى بينته غالبة وفى نسخة ظاهرة اى مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) اى اهلها من ارباب القرى واصحاب الامصار (كلها طافحة) اى مملوءة وفائضة (باهل البيان) اى فى الفصاحة (وحملة علم اللسان) اى اللغة (وائمة البلاغة وفرسان الكلام) اى فى ميدان المرام (وجهابذة البراعة) اى المهرة فى تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) اى والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد) اى المخالف والمناوى لهم حاضر مهيئ فى مقام النكير وفى نسخة عنيد بالنون اى معاند شرير (فما منهم من اتى بشئ يؤثر) اى يروى (فى معارضته ولا الف كلمتين) اى ولا ركبهما والف بينهما (فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) اى لم يجد فى القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح اوعيب صريح (ولا قدح المتكلف من ذهنه فى ذلك) اى فى طعنه (الا بزند شحيح) اى باخراج النار عند وريه فلم يور بقدحه وتحقيقه ان الزند بفتح الزاى وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع فى الكف وقد يطلق على العود الذى يقدح به النار وهو الاعلى والزندة بالهاء هى السفلى وهو فى المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضى قصد معنيى الزند ووصف كلا منهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لا يخرج درهما او دينارا واما زند النار فشحه كونه لا يخرج نارا وفى الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) اى المروى والمحكى (عن كل من رام ذلك) اى قصد الطعن فيه (القاؤه فى العجز بيديه والنكوص على عقبيه) اى التأخر فى الرجوع بانقهقرى اى الى الورى

(فصــــل)

(وقد عد جماعة من الائمة) وهم علماء السلف (ومقلدى الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله) بفتح الميم وتشديد اللام اى لا يسأمه (وسامعه لا يمجه) بضم الميم وتشديد الجيم اى لا يدفعه (بل الاكباب) اى الاقبال والادءاب (على تلاوته يزيده حلاوة) اى لذة (وترديده) اى تكراره (يوجب له محبة) اى يقتضى زيادة مودة فقد ورد من احب شيأ اكثر ذكره (لا يزال غضا طريا) اى لا تزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة مبلغه) اى تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) اى فى السمع (ويعادى) بفتح الدال اى ويكره فى الطبع (اذا اعيد) لقولهم المعادات معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) اى الذى فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به فى الخلوات ويؤنس) بالهمز ويسهل وبالنون مخففا ومشددا اى ويستأنس (بتلاوته فى الازمات) بفتح الهمز والزاى جمع ازمة بفتح فسكون وهى الشدة اى فى اوقات الآفات (وسواه من الكتب) اى المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لا يوجد فيه ذلك) اى

ماذكر من اللذة والانسة المطبوعة (حتى احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) اى تنشيط انفسهم وغيرهم (على قراءتها) اولها هذا اى لما اختص به القرآن من حسن البيان المستغنى عن الاتيان بانواع الالحان (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق) كما رواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لا يخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لا فتحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى او بضم ياء وكسر لام اى لا يبلى (على كثرة الرد) اى مع كثرة ترديده وتكريره (ولا تنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة اى لا تنتهى مواعظه المعتبرة (ولا تفنى عجائبه) اى لا تنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) اى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) اى امره جد كله (لا يشبع منه العلماء) اى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولا تزيغ) اى لا تميل (به الاهواء) عن طريق السواء (ولا تلتبس به الالسنة) اى ولا تشتبه به اللغات المختلفة المتناقضة (هو الذى لم تنته الجن) اى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولا منع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) اى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم اولقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) اى مقروا عجيبا من جهة جزالة مبانيه وبديلا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته (يهدى الى الرشد) اى صوب الصواب اوالى طريق الثواب والعقاب هذا وذكر ابو على الغسانى فى مناقب عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل رداءه ودفنها واذا قائل يقول يا سرق اشهد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من انت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق هذا سرق قدمات (ومنها جمعه لعلوم) اى كلية (ومعارف) اى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) اى بعلم شئ منها (ولا القيام بها) اى الدوام والثبات عليها (ولا يحيط بها احد من علماء الامم) اى من احبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) اى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول اى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرائع) اى اصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) اى فى اثناء التعبيرات (على طرق الحجج) اى انواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية (والرد على فرق الامم) اى من ارباب الضلالات (ببراهين قوية) اى قاهرة (وادلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) اى المبانى (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول اى مختصرة المعانى (رام المتحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطالبة اى قصد المبالغون فى الحذاقة اذا اظهروا المهارة فى مقام الفصاحة والبلاغة (بعد) اى بعد ورودها فى عالم وجودها (ان ينصبوا ادلة مثلها) اى مشابهتها فى الجملة (فلم يقدروا عليها) اى على ان يقربوا اليها او الى لهم المقدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض) اى مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على ان يخلق مثلهم) اى مع صغر جرمهم بلى جواب من الله ايماء الى ان لا جواب سواه اى بلى قادر على خلقهم ابتداء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم يعنى ألا يعلم من خلق (وقل) اى وكقوله سبحانه وتعالى قل (يحييها الذى انشأها اول مرة) اى لبقاء قدرته ووفق ارادته وقابلية المادة على حالته وهو بكل خلق عليم اى باعضائه واجزائه (ولو كان فيهما آلهة الا الله) اى غيره (لفسدتا) اى لخرجتا عن نظامهما واختلتا عن مرامهما لوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ما حواه) اى منضما الى ما جمعه القرآن اومع ما اشتمله الفرقان (من علوم السير) بفتح فكسر جمع سيرة اى المفهومة من اخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) اى احوالهم الاعم من الاحباء والاعداء (والمواعظ) اى بالترغيب فى ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح اى الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة اوفى السموات اوفى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (واخبار الدار الآخرة) اى من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح اى الاخلاق فى جميع الابواب (مما تقدم ذكره) اى بيانه بقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال الله جل اسمه) اى عظم اسمه وسماه (ما فرطنا فى الكتاب) اى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليه ارباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) اى مما يحتاج اليه فى امر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) اى بينا لهم فيه بعض الامثال الحكمية ليقتبسوا المعانى الحقيقية من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلاة والسلام) اى كما رواه الترمذى عن على وتقدم بعضه واورده هنا بتغيير بعض لفظه وزيادة فى صدره (ان الله انزل هذا القرآن آمرا) اى بكل معروف واجبا كان اومندوبا (وزاجرا) اى ناهيا عن كل منكر حراما كان اومكروها

(وسنة خالية) اى طريقة متبعة ماضية (ومثلا مضروبا) اى مبينا ومعينا فى الالسنة الجارية (فيه نبأكم) اى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) اى من الامم السالفة (ونبأ ما بعدكم) اى عما يكون الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف اى والحكم الذى تحتاجون اليه فيما بينكم مما لكم وعليكم (لا يخلقه) بضم الياء وكسر اللام اى لا يبليه (طول الرد) اى كثرة تكراره وترديد اخباره (ولا تنقضى عجائبه) اى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) اى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صدق) اى فى قوله (ومن حكم به عدل) اى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم اى غلب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز تشديده اى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (اقسط) اى عدل فى امره واصاب فى حكمه يقال اقسط فهو مقسط اذا عدل ومنه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسط فهو قاسط اذا جار ومنه قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة اقسط للسلب كما فى شكا اليه فاشكاه اى ازال شكواه (ومن عمل به اجر) بصيغة المفعول اى اثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) اى تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول اى هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) اى مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) اى من غير بابه (اضله الله) اى اعماه بحجابه (ومن حكم بغيره) اى عدولا عن حكمه وامره (قصمه الله) اى كسره واهلكه وفى الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهى بالكسر ما انكسر منه بابانه وفى رواية ولو بشوص السواك على ما رواه البزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس وفى النهاية شوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه (هو الذكر الحكيم) اى المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) اى الظاهر او المظهر لليقين (والصراط المستقيم) اى ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهى القوة اى عهده المحكم الذى لا ينقطع وسبب وصول وعده الذى لا يمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وامانه الذى يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) اى لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) اى معتصم وثيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء اى تبعه علما وعملا (لا يعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم اى لا يميل عن صوب الاستقامة فيحتاج الى تقويم العدالة (ولا يزيغ) اى ولا يميل عن منهج الحق (فيستعتب) اى فيحتاج الى العتب فى عدوله عن نهج الصدق (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) اى الترداد والتكرار فى العد (ونحوه) اى نحو هذا الحديث فى المعنى مع اختلاف فى المبنى (عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) اى ابن مسعود (فيه) اى فى مرويه (ولا يختلف) بالفاء اى ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ما وجد فيه احد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفى نسخة بالقاف ثم هو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد كما سبق (ولا يتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروى وابن الاثير فى هذا الحديث وقال الحلبى هو الصواب وهو الجلد اليابس البالى اى لا تذهب طلاوته ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته وترداد قرآءته لما اودع فيه من بدائع الكمال وروائع الجمال وفى نسخة صحيحة ولا يتشانأ بنون مخففة بعدها همزة من الشنآن ولكن ينبغى ان يضبط بصيغة المجهول واما ما ذكره الحلبى من انه بفتح اوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم الف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التى وقف عليها فلا يصح بوجه اى لا يتباغض ولا يكره ولا يمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) اى بما وقع لهم فى الدنيا وبما سيقع لهم فى العقبى (وفى الحديث) اى القدسى من رواية ابن ابى شيبة مرسلا لكن بلفظ انزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم لتفتح بها اعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وروى ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب انه قال فى التوراة (قال الله تعالى لمحمد انى منزل عليك) بالتخفيف والتشديد اى ملق اليك (توراة) اى كتابا كالتوراة او ما جمع مضمون ما فى التوراة (حديثة) اى جديدة الانزال اى قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها اعينا عميا) اى عن سنن الحق (وآذانا صما) اى عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) اى ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) اى هى منابع العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة (وفهم الحكمة) اى وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام المحكمة الصمدانية (وربيع القلوب) اى وفيها من الانوار والاسرار نظير ما يشتمل عليه فصل الربيع من ازهار اثمار الاشجار بواسطة الامطار (وعن كعب) اى كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) اى خذوا بمبانيه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) اى غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) اى لعين البصر

والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) اى اليهود والنصارى (اكثر الذى هم فيه يختلفون) اى كلهم فيما بينهم او كل صنف منهم من التشبيه والتنزيه وعزير وعيسى وما فيه من انواع التنبيه (وقال هذا بيان للناس) اى لاحوالهم واحكامهم وآمالهم فى مآلهم (وهدى) لما فيه كمالهم (الآية) اى وموعظة للمتقين اى نصائح فى اعمالهم بها جمالهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (فجمع فيه) بصيغة المجهول اى فجمع الله فى كلامه ما اراد من مرامه (مع وجازة الفاظه) بفتح الواو اى مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) اى باعتبار اكثار معانيه (اضعاف ما فى الكتب) اى الكتب المنزلة على الانبياء (قبله التى الفاظها على الضعف) بالكسر اى التزايد (منه) اى من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على ايجاز بحسب البلاغة والفصاحة موجب اعجاز (ومنها جمعه فيه) اى جمع الله سبحانه وتعالى فى كلامه عز شأنه (بين الدليل ومدلوله) اى برهانه وتبيانه (وذلك) اى وسبب ذلك الجمع فى معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) اى بادخال جواهر معانيه فى سلك مبانيه (وحسن وصفه) اى وبحسن وصفه حيث صيغ حلى كلماته فى قوالب مقاماته وفى نسخة رصفه بالراء بدل الواو اى تركيبه وصفه من تهذيبه (وايجازه) اى باتيان معان كثيرة فى مبان يسيرة وفى اصل الدلجى واعجازه اى كل منطيق فصيح (وبلاغته) اى الرائعة المنضمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) اى فى خلالها (امره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له) اى ممن يدرك معانيه (يفهم مواضع الحجة والتكليف) باعتبار مبانيه (معا) اى مجتمعين فى بيان علومه (فى كلام واحد) اى باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) اى باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلا تقل لهما اف تحريم غير الاف بالاولى وان الكف عنه اقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكلف بهما فى القضية (ومنها ان جعله) اى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة اى فى مقامه (الذى لم يعهد) اى لم يعرف مثله ولم يسبق قوله بجعله ذا قرآئن لها فواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) اى المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم اسهل) اى من المنثور (على النفوس) اى فى درك مبانيه (واوعى للقلوب) اى واحفظ لها فى اخذ معانيه (واسمح) بالحاء المهملة افعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم والمسامحة هى المساهلة وتسامحوا تساهلوا ومنه حديث السماح رباح اى اسهل قبولا واقرب وصولا (الى الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع واغرب الدلجى فى قوله اسمح بجاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح انتهى ووجه غرابته لا يخفى وقال الحلبى بالخاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لاعقدة فيه انتهى وكلاهما لا يلائم المقام كما لا يخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمح هو من سماخ الاذن اى اسرع استقرارا فى سماخ الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (واحلى على الافهام) لاشتمال ما فيه من التلاوة على انواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع) اى واقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم فى اواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شانه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره) اى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) اى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) اى تهوينه (على متحفظيه) اى طالبى حفظه غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الآية فهل من مدكر كما فى نسخة اى من متعظ واصله مذتكر (وسائر الامم) اى وبواقيها (لا يحفظ كتبها الواحد) اى كل ما يطلق عليه اسم الواحد (منهم) فاللام للعهد الذهنى الذى هو فى المعنى نكرة وهى فى سياق النفى تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفى نسخة الجم اى فيستبعد ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفى نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن) اى بحمد الله والمنة (ميسر) وفى نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام اى الاولاد الصغار (فى اقرب مدة) اى كسنة او اقل او اكثر بحسب مراتب جودة الذهن والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزآئه بعضا) اى مشابهته فى تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف انواعها) اى امرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة وموعظة (والتئام اقسامها) اى توافقها فى سلامة التركيب وسلاسة الترتيب (وحسن التخلص) اى الانتقال (من قصة الى اخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) اى المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة) اقول وقد اجتمعت هذه الوجوه فى آية وهى قوله تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله

وهم لايشعرون مع التنبيه لهم فى صدر الآية بالنداء وتنزيل النمل منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء (وتوحيد) اى فى الذات (وتفريد) اى فى الصفات (وترغيب) اى الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) اى عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) اى منضمة الى ماعدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط موائده كضرب مثال وبيان حال واشعار ايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) اى انواع ابوابه مما يقتضى حصوله وابعد الدلجى فى جعل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذا الكلام اولان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والغرض الصريح (اذا اعتوره) اى تداوله وفى اصل الدلجى اذا اعتراه اى غشيه والم به (مثل هذا) اى الذى يتخلل الفصول وهو فى الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) اى نزلت مرتبته فى فن البلاغة (ولانت جزالته) اى وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) اى حسنه وبهجته فى تأدية الحلاوة (وتقلقلت الفاظه) اى اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفى نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة اى صارت قلقة فى المبنى وغلقة فى المعنى (فتأمل) اى فى بيان المراد (اول ص) اى سورتها حيث صدرها بقوله ص اى ياصادق والقرءآن ذى الذكر اى الذكر صاحب العز والشرف للموافق (وماجمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم) وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) اى وتوبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وماذكر من تكذيبهم لمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما اتى به) اى حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملائهم) وفى نسخة عن اجماع ملائهم (على الكفر) وذلك لما روى ان عمر رضى الله تعالى عنه لما اسلم شق ذلك على قريش فقال اشرافهم لابى طالب انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن اخيك فقال له هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ماتسألونى قالوا ارفضنا وآلهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم ماسألتم أمعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا أجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب اى فى غاية من العجب (وماظهر من الحسد فى كلامهم) اى من قوله تعالى حكاية عن مرامهم أأنزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) اى بقوله تعالى فليرتقوا فى الاسباب (وتوهينهم) اى وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب (ووعيدهم بخزى الدنيا) وفى نسخة بخزى فى الدنيا اى بهزيمتهم فيها (والآخرة) اى بذوق عذاب اليم بها (وتكذيب الامم قبلهم) اى انبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) اى للمكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعنى قريشا واضرابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وماينظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق (وتصبير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حمله على الصبر (على اذاهم) اى الذى من جملته مابلغوا فى تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فسلاه بقوله تعالى اصبر على مايقولون اى لاتبال بقولهم ولاتكترث بفعلهم وكن معنا شاهدا لنا فى آياتنا وقدرتنا على كائناتنا (وتسليته) اى الشاملة (بكل ماتقدم ذكره) اى بيانه عنهم (ثم اخذ) اى شرع بعد تسليته (فى ذكر داود) اى بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب اى كثير الرجوع الى ابواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولاتلتفت الى ماصدر من ارباب الحجاب واما ماذكره الدلجى هنا فهو لايصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا اعرضت عن ذكره فى الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقصص الانبياء) اى حكاياتهم كسليمان وايوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم السلام مع مااشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) اى الذى ذكره اول ص (فى اوجز كلام واحسن نظام) اى واتم مرام (ومنه) اى من اعجاز القرءآن او من هذا القبيل الذى ذكر اول ص من اعجاز الفرقان (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) اى من جهة المعانى (التى انطوت) اى اشتملت (عليها الكلمات القليلة) اى من حيثية المبانى (وهذا) اى ماذكر (كله) اى جميعه (وكثير مما ذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرءآن الى وجوه) اى مع وجوه اومنضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها) اى نحن فى وجوه اعجازه (اذا كثرها داخل فى باب بلاغته) اى المتضمنة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول اى فلا يليق ان يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلا نحب اى لانود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا مفردا) وفى نسخة منفردا اى من انواع بلاغته (فى اعجازه الا فى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) اى مثل ماهو داخل فى بابها (كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) اى التى لاتوجد فى غيره (وفضائله) اى الزائدة عن نحوه (لا اعجازه) بالجر

وفى نسخة صحيحة لافى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) اى مابه التعجيز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) اى فى فصولها (فليعتمد عليها ومابعدها) واما ماعداها مما ذكرنا فانما هو (من خواص القرءآن وعجائبه التى لاتنقضى) اى لاتنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)

(فصــــل)

(فى انشقاق القمر وحبس الشمس) قال اليمنى لايسمى قمرا الا بعد مضى ثلاث ليال من الشهر والكرة الارضية اكبر منه بمقدار مائة وعشر بن مرة ومن جملة خواصه انه يبلى الكتان اذا ترك فى سمره ويعفن اللحم اذا ترك تحته واما الشمس فيقال انها تنور العالمين العلوى والسفلى وان الله جعل فيها خواص اصلاح العالم من الحيوان والنبات والمعدن (قال الله تعالى اقتربت الساعة) اى قربت غاية القرب (وانشق القمر) روى ان الكفرة سألوه آية فانشق ويؤيده قراءة حذيفة وقد انشق القمر ويقويه قوله (وان يروا آية) اى معجزة (يعرضوا) اى عن الايمان بها (ويقولوا سحر مستمر) اى دائم لترادف الآيات وتتابع المعجزات (اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى) اى فيجب تحققه حقيقة ولا يجوز صرفه الى المجاز بلا ضرورة وحمله على انه سينشق يوم القيامة وانه عبر بالماضى لتحقق وقوعه فى المستقبل (واعراض الكفرة عن آياته) اى واخبر تعالى باعراضهم عن آياته وهذا مما يدل على وقوعه فانه لايتصور الاعراض الحقيقى قبل تحققه (واجمع) وفى نسخة صحيحة بالفاء اى فلهذا اجمع (المفسرون) اى من السلف (واهل السنة) اى ارباب الحديث او اهل السنة والجماعة الجامعون بين الكتاب والسنة من السلف والخلف (على وقوعه) قال الانطاكى فى قول القاضى اجمع المفسرون نظر فقد نقل السجاوندى والنسفى فى تفسيرهما عن الحسن البصرى ان معناه سينشق عند الساعة وكذا ابو الليث قال فى تفسيره واكثر المفسرين قالوا ان هذا قد مضى انتهى ويمكن دفعه بانه اراد بالمفسرين المشهورين منهم اوانه لم يطلع على خلافهم وعلى تقدير الخلاف لايلزم عدم وقوع انشقاق القمر فى عهده صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اجمعوا على تحققه بالاحاديث السنية وانما الخلاف فى معنى الآية هل يراد به الانشقاق الماضى او الانشقاق الآتى والله سبحانه وتعالى اعلم (اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابو على الغسانى (من كتابه) لان المصنف ليس له الا الاجازة فى بابه (ثنا) اى حدثنا (القاضى سراج بن عبد الله ثنا الاصيلى ثنا المروزى) تقدم ذكرهما (ثنا الفربرى) بكسر الفاء وفتح الراء وقيل غيره وقد سبق ذكره (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا مسدد) بفتح الدال المهملة المشددة وهو كاسمه مسدد بصرى اسدى (ثنا يحيى) اى ابن سعيد روى عنه احمد وغيره واخرج له الائمة الستة (عن شعبة) اى ابن الحجاج امير المؤمنين فى الحديث (وسفيان) اى ابن عيينة احد الاعلام وهو الاعور الكوفى (عن الاعمش عن ابراهيم) اى النخعى (عن ابى معمر) بفتح الميمين ازدى كوفى مخضرم (عن ابن مسعود) اى موقوفا كما ساقه القاضى عن البخارى وقد اخرجه البخارى فى تفسيره وقد اخرجه ايضا عنه مسلم والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح (قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زمانه (فرقتين) اى فلقتين كما فى رواية الترمذى عن ابن عمر بمعنى قطعتين وفى الصحيحين بلفظ شقين بكسر الشين المعجمة اى نصفين وفى لفظ فى حديث جبير فانشق القمر باثنتين وفى رواية ابى نعيم فى الدلائل فصار قمرين (فرقة) بالنصب على البدلية ويجوز رفعها على الابتدائية اى منهما فرقة (فوق الجبل) اى جبل حراء اوابى قبيس (وفرقة دونه) اى اسفل منه اوقريب منه هذا وقد قال الحجازى يجوز النصب والضم افصح منه ومنه قوله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله قلت وقد يقال الضم اصح اذ اعلى النعت والا فالبدل فى مثل هذا التركيب افصح كما حقق فى قوله تعالى الحمد لله رب العالمين (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رآه منشقا (اشهدوا) الظاهر انه خطاب للكفار فانهم اهل الانكار والمعنى اشهدوا على نبوتى اوالخطاب للمؤمنين فالمعنى اشهدوا على معجزتى واخبروا من بعدى من امتى (وفى رواية مجاهد) اى فى الصحيحين عن ابن مسعود زيادة قوله (ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى بعض طرق الاعمش ونحن بمنى) وفى نسخة زيادة قوله بمنى وهذا لايعارض قول انس وذلك كان بمكة لانه لم يصرح بانه عليه الصلاة والسلام كان ليلتئذ بمكة فمراده ان الانشقاق كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وفيه ايماء الى انه لم يشاهد القضية بالرؤية بل وصلت اليه بالرواية لانه اذ ذاك كان ابن اربع او خمس بالمدينة (ورواه) اى الحديث المذكور (ايضا عن ابن مسعود الاسود) اى كما ذكره احمد فى المسند واسود هذا تابعى جليل روى عن عمر رضى الله تعالى عنه وعلى ومعاذ وغيرهم له ثمانون حجة وعمرة وكان يصوم حتى احتضر ويختم القرءآن فى ليلتين (وقال) اى ابن مسعود (حتى رأيت الجبل بين فرجتى القمر) بضم الفاء وتفتح اى فلقتيه (ورواه) اى الحديث المسطور (عنه) اى عن ابن مسعود (مسروق انه) اى انشقاقه (كان بمكة) كما رواه البيهقى فى دلائله

(وزاد) اى مسروق فى رواية عنه (فقال كفار قريش سحركم ابن ابى كبشة) بفتح كاف فسكون موحدة فشين معجمة يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو كبشة اسم رجل تأله قديما وفارق دين الجاهلية وعبد الشعرى فشبه المشركون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به وقيل بل كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخت من الرضاعة تسمى كبشة وكان ابوه من الرضاعة يكنى بها وقيل بل كان فى اجداده لامه من يكنى بذلك قيل وذكر بعضهم ان جماعة من جهة ابيه وامه يكنون بابى كبشة (فقال رجل منهم) وروى من القوم قيل انه ابو جهل (ان محمدا ان كان سحر القمر) اى لعيونكم وقت السحر (فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض) اى اهلها (كلها) اى جميعها (فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا) اى الانشقاق (فاتوا) اى جاء بعضهم من بلد آخر (فسألوهم) اى اهل مكة من قريش (فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك) اى كما ذكر من انشقاق القمر فرقتين (وحكى السمرقندى نحوه) اى بمعناه مع اختلاف فى مبناه (وقال) اى السمرقندى فيما رواه (فقال) وفى نسخة قال (ابو جهل هذا سحر) اى نوع من الاختلاف (فابعثوا الى اهل الآفاق) اى بنسبتهم الى اختلاف المطالع فى حيز الخلاف والشقاق (حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا) اى اومارأوا ذلك كذلك هنالك (فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه منشقا) اى بوصف الانشقاق (فقالوا) يعنى الكفار (هذا سحر مستمر) اى دائم بنعت الاستمرار او ذاهب وماض وزائل ومار (ورواه) اى الحديث السابق (عن ابن مسعود علقمة) اى ابن قيس الليثى النخعى ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وروى عن اصحابه الكرام كابى بكر وعمر وعثمان وغيرهم (فهؤلاء الاربعة) اى مجاهد وابو معمر والاسود ومسروق وعلقمة (عن عبد الله) اى رووه كلهم عن ابن مسعود على وفق ما رواه عنه معمر فتدبر (وقد رواه غير ابن مسعود) اى من الصحابة (كما رواه ابن مسعود) اى فليس هو شاذا فى هذه الرواية (منهم) اى ممن رواه (انس وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه الشيخان عنهما وهما وان لم يدركا باعينهما فقد سمعا من حضر وروى ومرسل الصحابة بالاجماع حجة (وابن عمر) اى فيما رواه مسلم والترمذى (وحذيفة) اى ابن اليمان كما عند ابن جرير وابن ابى حاتم وابى نعيم فى الدلائل (وعلى) اى ابن ابى طالب قال الدلجى لا يعرف مخرجه (وجبير بن مطعم) اى على ما رواه احمد والبيهقى عنه (فقال على من رواية ابى حذيفة الارحبى) بفتح الهمزة فسكون الراء ففتح الحاء المهملة فموحدة مكسورة فياء نسبة الى قبيلة من همدان وقيل الى مكان اخرج له مسلم والترمذى والنسائى وفى نسخة الارجى بجيم بعد راء ساكنة وفى اخرى بزاى بدل الراء قال الحلبى وكلاهما تصحيف والصواب ما تقدم والله تعالى اعلم (انشق القمر) هذا مقول على كرم الله وجهه وفى نسخة وانشق القمر بالواو العاطفة اما على كلام سبق له او اراد الحكاية (ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وقد شاهدناه (وعن انس سأل اهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يريهم آية) اى معجزة باهرة وعلامة ظاهرة على صدق ما ادعاه من النبوة والرسالة (فاراهم انشقاق القمر مرتين) اى فرقتين كما فى نسخة صحيحة (حتى رأوا حراء بينهما) وهو جبل على ثلاثة اميال من مكة على يسار المار منها الى منى وهو بكسر الحاء المهملة ممدود ويقصر ويصرف ولا يصرف ويؤنث ويذكر وقد خطأ الخطابى فتح الحاء وقصر الراء وقال النووى والصحيح انه مذكر مصروف (ورواه) اى الحديث (عن انس قتادة) اى بهذا اللفظ (وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه) اى عن انس (اراهم القمر مرتين) اى شقين او فلقتين ويؤيده انه فى نسخة فرقتين وقيل بمعنى كرتين وقوله (انشقاقه) بالنصب بدل اشتمال من القمر وفى صحيح مسلم فاراهم انشقاق القمر مرتين قال الحلبى هذه المسألة فتشت عنها كثيرا حتى وجدتها فى كلام ابى عبد الله ابن امام الجوزية ذكرها فى كتابه اغاثة اللهفان فذكر كلاما وفيه ان المرات يراد بها الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ما تستعمل فى الافعال واما الاعيان فكقوله فى الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اى شقين وفلقتين ولما خفى هذا على من لم يحط به علما زعم ان الانشقاق وقع مرة بعد مرة فى زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيرته انه غلط وانه لم يقع الانشقاق الا مرة واحدة انتهى وقال شيخى العراقى فى سيرته التى نظمها انه انشق مرتين بالاجماع وان ذلك متواتر وقد راجعته بكتاب وذكرت له فيه كلام ابن القيم فلم يرد جوابه على ما اقول ولعله اعرض عن الجواب اكتفاء بما بين فى الكتاب ان ارادة الفلقتين بالمرتين هو الصواب وقال العسقلانى واظن قوله بالاجماع يتعلق بقوله انشق لا بمرتين فانى لا اعلم من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق ولعل قائل مرتين اراد فلقتين وهذا الذى لا يتجه غيره جمعا بين الروايات هذا (ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) اى النوفلى (ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) اى ابن مسعود ولد اخى عبد الله بن مسعود وهو الفقيه الاعمى احد الفقهاء السبعة معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم (ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة

ابو

ابو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح هو الامام مقرئ الكوفة يروى عن عمر وعثمان وعنه عاصم ابن ابى النجود وابو اسحق (ومسلم ابن ابى عمران الازدى) والمقصود نفى توهم ان يكون احد من الرواة وقع منفردا او شاذا فى الرواية بل ثبت تعدد الصحابة والتابعين فى اسناد هذه الحكاية (واكثر طرق هذه الاحاديث) اى مما بيناه وبين السلف (صحيحة والآية مصرحة) بكسر الراء اى ودلالة الآية فى هذه القضية صريحة فتكاد ان تصيره متواترة معنوية وان لم تكن لفظية (ولا يلتفت) بصيغة المجهول اى ولا ينظر عن صوب اقبال قبول (الى اعتراض مخذول) اى متروك النصرة من المبتدعة كطبقة المعتزلة وجمهور الفلاسفة وعامة الملاحدة الواقع فى قول مائل الى المجاز وعادل عن الحقيقة فى مدلول الآية متشبثا باصلهم الفاسد بان الاجرام العلوية لا يتأتى فيها الانخراق والالتئام ومتمسكا (بانه) اى الشان (لو كان هذا) اى الانشقاق واقعا ولو وقع هذا الامر (لم يخف على اهل الارض) اى كلهم اذ هو شئ ظاهر لجميعهم وهذا المقدار بيان الاعتراض واما بيان خذلانه فهو قوله (اذ لم ينقل لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة) اى انتظروا انشقاق القمر حتى نظروا شقاقه او رأوا خلافه فى تلك الليلة وهذا معنى قوله (فلم يروه انشق) اى مع ان القاعدة الاصولية مضبوطة بان رواية المثبت مقدمة على رواية النافى بلا شبهة كما فى رواية الهلال مشاهدة هذا ومن المعلوم انهم لم يترصدوه لكونهم غافلين عن القضية ذاهلين عن المقدمة المطوية وانما اراد المصنف فرض الوقوع فى البلية فبطل قول الدلجى بعد قوله فلم يروه انشق وفيه نظر لتوقف رصده على معرفة انه سينشق فى ليلة فيرصدونه ثم قال المصنف على طريق ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان (ولو نقل الينا عمن لا يجوز عليهم) اى لتوافقهم وتواطئهم (لكثرتهم) اى المتعاضدة (على الكذب لما كانت علينا به) اى بسبب نفيهم على فرض ترصدهم (حجة) اى دلالة قاطعة ملزمة (اذ ليس القمر فى حد واحد لجميع اهل الارض) اى لاختلاف مطالعه وتباين مقاطعه كما بينه بقوله (فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين) وفى نسخة على آخرين (وقد يكون) اى القمر فى مرأى (من قوم بضد ما هو من مقابلتهم) اى بضد مرأى من قوم مخالفيهم (من اقطار الارض) اى جوانبها (او يحول بين قوم وبينه) اى بين القمر (سحاب او جبال) وكذا حجاب (ولهذا) اى ولكونه ليس فى حد واحد من العباد (نجد الكسوفات) اى محو احد النيرين (فى بعض البلاد دون بعض) اى من البلاد حتى لا يوجد فيها كسوف اصلا وقد نقل الحافظ المزى عن ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه وجد فى بلاد الهند بناء قديما مكتوبا عليه بنى ليلة انشق القمر (وفى بعضها) اى ونجد الكسوفات فى بعض البلاد او فى بعض الاوقات بالنسبة الى بعض العباد (جزئية) اى وقوعها باعتبار بعض اجزائه (وفى بعضها كلية) اى وقوعها يستوفى اطرافه كلها (وفى بعضها لا يعرفها) اى الكسوفات (الا المدعون لعلمها) اى الماهرون والحاذقون بمعرفتها (ذلك تقدير العزيز) اى الغالب بقدرته (العليم) اى المحيط علمه بارادته وحكمته ووقع فى اصل المصنف الحكيم بدل العليم ولا يرد عليه انه مخالف للفظ التنزيل لانه ما قصد به الآية اذ ليس عليه شئ من الدلالة هذا (وآية القمر كانت ليلا) اى مبهما وقته ومجهولا عنه قال الخطابى الحكمة فى وقوعها ليلا ان من طلبها من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعض من قريش خاص فوقع لهم ذلك ليلا ولو اراد الله تعالى ان تكون هذه المعجزة نهارا لكانت داخلة تحت الحس قائمة للعيان بحيث يشترك فيها الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله تعالى بلطفه اجرى سنته بالهلاك فى كل امة اتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا وخص هذه الامة بالرحمة فجعل آية نبيها عقلية وذلك لما اوتوه من فضل الفهم بالنسبة الى سائر الامم والله سبحانه وتعالى اعلم (والعادة من الناس بالليل) اى بحسب الاغلب (الهدو) بضم الهاء والدال فواو مشددة او ساكنة بعدها همزة على اصل الكلمة ومعناه قوله (والسكون) اى عن الحركة والمشى والتردد فى الطرق مع قطع النظر عن ملاحظة ما فى السماء وترصدهم الى مراكز القمر ناظرين اليه غير غافلين عنه ولعل ذلك انما كان فى قدر اللحظة التى هى مدرك البصر (وايجاف الابواب) بهمزة مكسورة وتحتية ساكنة فجيم اى اغلاقها بسرعة (وقطع التصرف) اى بالتردد فى داخل البيوت من اغلاقها واحكامها (ولا يكاد يعرف من امور السماء) اى لا سيما فى فصل الشتاء (شيئا) اى من امر السماء لحجاب البناء وعدم توجه نظارهم الى صوب الهواء (الا من رصد ذلك) اى انتظره قصد المشاهدة ومنه قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اى بالطريق المنتظر (واهتبل به) بفوقية فموحدة اى تحيل واعتنى بنظره (ولذلك) اى ولكون آيته كانت ليلا وفى نسخة وكذلك (ما يكون الكسوف القمرى) اى بخلاف الشمسى النهارى (كثيرا) خبر كان اى لم يكن وقوعه كثيرا (فى البلاد) وجعل الدلجى كثيرا حالا من اسم كان وخبرها فى البلاد (واكثرهم لا يعلم به) اى والحال ان اكثر الناس او اكثر اهل البلاد لا يعلم بكسوف القمر (حتى يخبر) اى بوقوعه فى السحر والمعنى لا يقع فيها كثيرا مع عدم

تعلق العلم به الا يسيرا (وكثيراما) اى واحيانا كثيرة (يحدث الثقات) اى من العلماء بالهيئة الفلكية (بعجائب يشاهدونها من انوار) اى ظاهرة (ونجوم طوالع عظام) اى باهرة (تظهر فى الاحيان بالليل) اى فى بعض الاوقات او الساعات منه (ولا علم لاحدها) اى من غيرهم وفى نسخة ولا علم عند احد منها ثم هذا انما يتعلق بانشقاق القمر على ما نزل به الآية وورد فيه صحيح الخبر وصريح الاثر واما رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فاختلف المحدثون فى تصحيحه وضعفه ووضعه والاكثرون على ضعفه فهو فى الجملة ثابت باصله وقد يتقوى بتعاضد الاسانيد الى ان يصل الى مرتبة حسنه فيصح الاحتجاج به (وخرج) بتشديد الراء اى اخرج (الطحاوى فى مشكل الحديث) وهو الامام الحافظ العلامة صاحب التصانيف المهمة روى عنه الطبرانى وغيره من الائمة وهو مصرى من اكابر علماء الحنفية لم يخالف مثله بين الائمة الحنفية وكان اولا شافعيا يقرأ على خاله المزنى ثم صار حنفيا توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وطحا من قرى مصر قال بعضهم كان اولا شافعيا ثم تقلد مذهب مالك كذا نقله التلمسانى ولعله انتقل من مذهب مالك الى مذهب ابى حنيفة كما يشهد به كتبه فى الرواية والدراية (عن اسماء) واصله وسماء من الوسامة فابدلت واوه همزة وقيل جمع اسم والاول اولى وهو منقول عن سيبويه ولعل وجهه ان اطلاق الجمع على المفرد بعيد جدا مع ان اسم الجمع لا يجعل علما ابدا (بنت عميس) بضم مهملة وفتح ميم فتحتية ساكنة فسين مهملة وتقدمت ترجمتها (من طريقين) اى باسنادين وكذا الطبرانى رواه باسانيد رجال بعضها ثقات (انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى اليه) اى مرة (ورأسه فى حجر على) اى ابن ابى طالب كرم الله وجهه (فلم يصل) اى على العصر (حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد ما افاق من الاستغراق (أصليت يا على قال لا فقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك) اى لما بينهما من الملازمة (فاردد عليه) اى لاجله (الشمس) اى شرقها كما فى نسخة بالتحريك ويسكن وهو منصوب على الظرفية اى فى ارتفاعها او على البدلية اى ضوءها (قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت) اى رجعت على ادراجها من مغربها بعد ما غربت (ووقفت على الجبال والارض) ويروى وقعت بالعين بدل الفاء (وذلك بالصهباء) بالمد ويقصر وهو موضع على مرحلة من خيبر وكذا رواه ابن مردويه بسند فيه ضعف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على ولم يكن صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه (قال) اى الطحاوى (وهذان الحديثان ثابتان) اى عنده وكفى به حجة (ورواتهما ثقات) اى فلا عبرة بمن طعن فى رجالهما وانما جعله حديثين لروايته له من طريقين هذا وقال ابن الجوزى فى الموضوعات حديث رد الشمس فى قصة على رضى الله عنه موضوع بلا شك وتبعه ابن القيم وشيخه ابن تيمية وذكروا تضعيف رجال اسانيد الطحاوى ونسبوا بعضهم الى الوضع الا ان ابن الجوزى قال انا لا اتهم به الا ابن عقدة لانه كان رافضيا بسب الصحابة انتهى ولا يخفى ان مجرد كون راو من الرواة رافضيا او خارجيا لا يوجب الجزم بوضع حديثه اذا كان ثقة من جهة دينه وكان الطحاوى لاحظ هذا المبنى وبنى عليه هذا المبنى ثم من المعلوم ان من حفظ حجة على من لم يحفظ والاصل هو العدالة حتى يثبت الجرح المبطل للرواية واما ما قال الذهبى تبعا لابن الجوزى من انه ولو قيل بصحته لم يفد ردها وان كان منقبة لعلى لوقوع صلاته اداء لفواتها بالغروب فمدفوع لقيام القرينة على الخصوصية مع احتمال التأويل فى القضية بان يقال المراد بقولها غربت اى عن نظرها او كادت تغرب بجميع جرمها او غربت باعتبار بعض اجزائها او ان المراد بردها حبسها وبقاؤها على حالها وتطويل زمان سيرها بطئ تحركها على عكس طى الازمنة وبسطها وهو سبحانه قادر على كل شئ شاء واما ما ذكره الذهبى من قوله وقد روى هشام عن ابن سيرين عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لم ترد الشمس الا على يوشع بن نون وذكره ابن الجوزى من ان فى الصحيح ان الشمس لم تحبس لاحد الا ليوشع فالجواب ان الحصر باعتبار الامم السالفة مع احتمال وروده قبل القضية اللاحقة (وحكى الطحاوى ان احمد بن صالح) وهو ابو جعفر الطبرى المصرى الحافظ سمع ابن عيينة ونحوه وروى عنه البخارى وغيره وقد كتب عن ابن وهب خمسين الف حديث وكان جامعا يحفظ ويعرف الحديث والفقه والنحو مات بمصر سنة مائتين وثمان واربعين وكان ابوه من اهل طبرستان وجرت بين احمد هذا وابن حنبل مذاكرات وكتب كل واحد منهما عن صاحبه وكان يصلى بالشافعى (كان يقول لا ينبغى لمن سبيله) وفى نسخة لمن يكون سبيله (العلم) اى بسير سيد الانبياء (التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة) اى وآيات الرسالة (فروى يونس بن بكير) بالتصغير وهو الحافظ ابو بكر الشيبانى عن هشام بن عروة والاعمش ومحمد بن اسحق بن يسار امام المغازى وعنه ابو كريب وابن نمير والعطاردى قال ابن معين صدوق وقال ابو داود ليس بحجة يوصل كلام ابن اسحق بالاحاديث اخرج له مسلم متابعة وقد خرج له البخارى فى الشواهد واخرج له

ابو داود والترمذى وابن ماجه (فى زيادة المغازى روايته) اى فى روايته كما فى نسخة (عن ابن اسحق) اى امام اهل المغازى (لما اسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ليلة المعراج (واخبر قومه بالرفقة) بضم الراء ويجوز تثليثها اى الجماعة من الرفقاء (والعلامة التى فى العير) بكسر العين المهملة اى القافلة من الابل والدواب يحمل الطعام وغيره من التجارات (قالوا) اى الكفار (متى تجئ) اى القافلة الى مكة (قال يوم الاربعاء) بالمد وهو بتثليث الباء والاجود كسرها كذا فى المحكم وقال ابن هشام فيه لغات فتح الهمزة وكسر الباء وكسر الهمزة وفتح الباء وكسرهما قال وهذه افصح اللغات (فلما كان ذلك اليوم) اى الموعود وهو بالرفع على انه نعت لذلك المتقدم الذى هو اسم كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة وفى بعض النسخ المعتمدة ضبط بالنصب ولا وجه له (اشرفت قريش) اى اقبلت (ينظرون) اى ينتظرون (وقد ولى النهار) بتشديد اللام المفتوحة اى ادبر اوله واقبل آخره (ولم تجئ) اى العير (فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة) اى بسط فى ساعاته (وحبست عليه الشمس) اى بطئ تحركها وقيل توقفت وقيل ردت على ادراجها كما تقدم والله تعالى اعلم هذا وقد حبست الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم فى يوم من ايام الخندق حين شغل عن صلاة العصر كما ذكره المصنف فى غير هذا الكتاب وحبست لداود كما ذكره الخطيب فى كتاب النجوم وضعف رواته كما نقله عنه مغلطاى فى سيرته وفى تفسير البغوى انها حبست لسليمان عليه السلام لقوله تعالى ردوها على ونوزع بان الضمير عائد الى الصافنات الجياد وايضا لم يكن هنالك مأمورون صالحون لرد الشمس عليه مع مخالفته للحديث الصحيح الصريح فى حصر حبس الشمس ليوشع مما بين الامم المتقدمة نعم ذكر الشيخ معين الدين فى معراج النبوة انها حبست لابى بكر رضى الله تعالى عنه ايضا والله سبحانه وتعالى اعلم هذا وقد قال بعضهم حديث رد الشمس له صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بصحيح وان اوهم تخريج القاضى له فى الشفاء عن الطحاوى من طريقين فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن تيمية العجب من القاضى مع جلالة قدره وعلو خطره فى علوم الحديث كيف سكت عنه موهما صحته وناقلا ثبوته موثقا رجاله انتهى وفى المواهب قال شيخنا قال احمد لا اصل له وتبعه ابن الجوزى فاورده فى الموضوعات ولكن قد صححه الطحاوى والقاضى عياض واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث ابى هريرة انتهى قال القسطلانى وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه ابن العراقى فى شرح التقريب عن اسماء بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا فى حاجة فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع عليه الصلاة والسلام رأسه فى حجر على فقال له النبى صلى الله عليه وسلم صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله تعالى فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حين ردت حتى صلى العصر قال وروى الطبرانى ايضا فى معجمه الاوسط بسند حسن عن جابر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امر الشمس فتأخرت ساعة من النهار انتهى وقال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر قلت وفى معناه الشمس بل سلطانها اكبر وابهر ونورها اتم الكمال قرب غروبها لم تظهر للاكثر فتدبر واما ما قال الجوزجانى بعد ان نقل عن ابن الملقن فى شرح العمدة انه روى الحسن وغيره عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا لم تحبس الشمس الا ليوشع حيث سار الى بيت المقدس هذا الحديث فيه رد لحديث اسماء فقد قدمت الجواب عنه واما قوله وهذا حديث منكر مضطرب لانه عليه الصلاة والسلام افضل من على ولم ترد الشمس له بل صلى العصر بعد ما غربت فمردود عليه لانها انما ردت على على ببركة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ان كرامات الاولياء فى معنى معجزات الانبياء وقد سبق عن البغوى انها ردت عليه ايضا فانما صلى العصر الا فى وقتها مع ان المفضول قد يوجد فيه ما لا يوجد فى الفاضل كما يلزم من القول بعدم حبسها الا ليوشع فتأمل وتوسع

(فصــــل)

(فى نبع الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة وتكثيره ببركته (اما الاحاديث فى هذا) اى فى هذا النوع من جنس المعجزة (فكثيرة جدا) منصوب على المصدر واريد به المبالغة فى الكثرة فان ذلك فى مواطن متعددة واعداد مختلفة كما ذكره ابن حبان فى صحيحه ففى بعضها اتى بقدح وفى بعضها زجاج وفى بعضها جفنة وفى بعضها ميضأة وفى بعضها مزادة وفى بعضها كانوا خمس عشرة مائة وفى بعضها ثمانمائة وفى بعضها زهاء ثلاثمائة وفى بعضها ثمانين وفى بعضها سبعين انتهى وفى صحيح البخارى فى حديث جابر فى قصة نبع الماء من بين اصابعه انهم

كانوا الفا وار بعمائة وفى رواية عنهم انهم كانوا خمس عشرة مائة وهذه القصة كانت بالحديبية وفى عددهم اقوال مختلفة ثم هذه المعجزة اعظم من تفجر الماء من الحجر كما وقع لموسى عليه السلام فان ذلك من عادة الحجر فى الجملة قال الله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار واما من لحم ودم فلم يعهد من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى اعلم (وروى حديث نبع الماء من بين اصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود) اما حديث انس فرواه الشيخان عنه ايضا الا ان المصنف ساقه شاهدا بسنده الى الامام مالك عنه فقال (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه رحمه الله بقراءتى عليه ثنا القاضى عيسى بن سهل ثنا ابو القاسم حاتم ابن محمد) وقد تقدم ذكرهم (ثنا ابو عمر ابن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (حدثنا ابو عيسى) هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير الليثى وقد سبق ذكره (ثنا يحيى) وفى نسخة عن يحيى وهو يحيى بن يحيى الليثى وفى نسخة صحيحة قبل قوله ثنا يحيى ثنا عبد الله بن يحيى عن ابيه يحيى ويؤيده ما قال الحلبى انه سقط رجل بين ابى عيسى وبين يحيى وهو عبد الله ابو مروان ولابد منه وقد تقدم على الصواب وكذا يأتى على الصواب ايضا وحاصله ان عبد الله يروى عن يحيى عن ابيه ويحيى عن مالك (قال ثنا مالك) وهو امام المذهب (عن اسحق بن عبد الله ابن ابى طلحة عن انس بن مالك) وهو عمه لامه (رأيت) وفى نسخة قال اى انس رأيت (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحانت صلاة العصر) اى وقد قرب وقتها او دخل فان الحين الوقت (فالتمس الناس الوضوء) بفتح الواو اى ماء الوضوء بضمها وفى نسخة بضمها والمعنى ماء بتقدير مضاف والمؤدى واحد وقيل يطلق كل على كل لكن الظاهر ان احدهما مجاز (فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بوضوء) اى فى اناء (فوضع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه) اى من الماء او من الاناء او من ماء ذلك الاناء (قال) اى انس (فرأيت الماء ينبع) بتثليث الموحدة والضم اشهر اى يفور (من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم) قال النووى فى كيفية النبع قولان احدهما ان الماء كان يخرج من نفس اصابعه وينبع من ذاتها وهو قول اكثر العلماء وثانيهما انه تعالى اكثر الماء فى ذاته فصار يفور من بين اصابعه (فتوضأ الناس) اى منه (حتى توضؤا من عند آخرهم) اى الى انتهاء اواهم فالقضية معكوسة للمبالغة والمراد جميعهم وقال النووى من هنا بمعنى الى وهى لغة (ورواه ايضا عن انس قتادة) كما فى صحيح مسلم (وقال) اى انس او قتادة عنه (باناء) اى فاتى باناء (فيه ماء يغمر اصابعه) بسكون الغين المعجمة وضم الميم اى يغطيها ويسترها (اولا يكاد يغمر) شك من الراوى (قال) اى قتادة لانس كما صرح به الترمذى (كم كنتم) اى حينئذ وكم اسم استفهام وسؤال عن العدد (قال زهاء ثلثمائة) بضم زاى وهاء ممدودة اى كما قدر ثلثمائة (وفى رواية عنه) اى عن انس (وهم بالزوراء) بفتح الزاى وسكون الواو فراء ممدودة مكان يعرف بالمدينة قرب المسجد (عند السوق) وفى البخارى بالسوق اى سوق المدينة قال الداودى وهو مرتفع كالمنار (ورواه ايضا حميد) بالتصغير وهو الطويل وكان طوله فى يديه مات وهو قائم يصلى ثقة لكنه يدلس اخرج له الائمة الستة (وثابت) تقدم ذكره (والحسن) اى ابن ابى الحسن البصرى (عن انس) اى كلهم عنه الا ان البخارى انفرد بالاولى والثالثة واتفقا على الثانية (وفى رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين) اى كانوا ثمانين اى رجلا كما فى نسخة (ونحوه عن ثابت عنه) اى نحو مروى حميد عن انس فى العدد ورد عن ثابت عن انس (وعنه) اى وعن انس (ايضا) اى برواية ثابت او غيره (وهم نحو من سبعين رجلا) لعل رواية السبعين والثمانين فى غير قصة الحديبية لما سبق من تعدد القضية ثم رأيت النووى قال انهما قضيتان جرتا فى وقتين فحدث بهما جميعا انس (واما ابن مسعود ففى الصحيح) اى للبخارى وغيره (من رواية علقمة عنه) كما فى نسخة اى عن عبد الله بن مسعود (بينما) اى بين ساعات او اوقات (نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حاضرون (وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء) قيل انما طلب الماء كيلا يظن انه موجد للماء فان ذلك لله سبحانه وتعالى وفيه ان الكل من عنده تعالى (فاتى) اى جيء (بماء) اى فى نحو سقاء (فصبه فى اناء ثم وضع كفه) اى مع اصابعه (فيه فجعل الماء ينبع) اى فشرع يخرج (من بين اصابع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما ينبع من الارض وفى نبعه احتمالان من زيادة الكمية او الكيفية وهو الظاهر كما يدل عليه طلبه فضل الماء ويشير اليه ما سبق من الترجمة فى قوله تعالى وتكثيره ببركته (وفى الصحيح) اى للبخارى وغيره (عن سالم) اى الاشجعى (ابن ابى الجعد) وهو من ثقات التابعين روى عنه انه قال اشترانى مولاى بثلاثة دراهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى اتانى امير البلد زائرا فلم آذن له (عن جابر عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف وتشدد بئر بين مكة وجدة قبيل جدة واما قول الدلجى بين مكة والطائف فوهم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديه ركوة) جملة حالية

والركوة بفتح الراء وتضم اناء من جلد نحو الابريق ذكره الدلجى وهو غير ملائم لوضع اليد فيه اللهم الا ان يقال المراد به وضع اليد على فيه عند خروج الماء منه ثم رأيت فى القاموس ان الركوة مثلثة زورق صغير انتهى وهو يحتمل ان فمه كبير ثم رأيت التلمسانى ذكر انها للماء من الادم كالتور يتوضأ منه (فتوضأ منها واقبل الناس نحوه) اى متعطشين اليه (وقالوا) عطف على واقبل الناس وجعل الدلجى الواو للحال اى قائلين (ليس عندنا ماء الا ما فى ركوتك) اى التى هى موجودة فى حضرتك (فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده فى الركوة) اى ثانيا (فجعل الماء يفور) اى يرتفع متدفقا (من بين اصابعه كامثال العيون) اى كامثال مياهها او شبه اصابعه بمنابع عيون الماء اى بين كل اصبعين يفور الماء كالعين (وفيه) اى فى حديث سالم (فقلت) اى لجابر (كم كنتم) اى يومئذ (قال لو كنا مائة الف) اى مثلا (لكفانا) اى لكونه معجزة (كنا) اى لكنا كنا (خمس عشرة مائة) يعنى الفا وخمسمائة وقيل ثمانين الفا ورجلا او اربعين او خمسة وعشرين رجلا او الفا وستمائة بناء على الاختلاف فى عدد من بايع تحت الشجرة قال الحلبى فيقال اربع عشرة مائة وكذا هو فى الصحيح واكثر الروايات كما قال البيهقى انه الف واربعمائة هذا وقال اليمنى قوله كنا خمس عشرة مائة هذه اللغة الى الآن نجد سمعتها منهم لا تألف السنتهم الآلاف بل يقولون عشر مائة واحدى عشرة مائة وعشرون مائة وهلم جرا (وروى مثله) اى مثل حديث سالم كما فى مسند الدارمى (عن انس عن جابر) وهو من رواية الاصاغر عن الاكابر فانهما صحابيان قال الحلبى كذا فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء وعلى عن التى بين انس وجابر صح يعنى ان انسا رواه عن جابر فان صح ذلك فرواية انس عن جابر ليست فى الكتب الستة (وفيه) اى وفى هذا الحديث (انه كان بالحديبية) يعنى فالاختلاف مبنى على اختلاف عدد من حضر فى تلك القضية (وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت) الوليد هذا ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام روى عن ابيه وعنه ابنه عبادة (عنه) اى عن جابر (فى حديث مسلم الطويل) صفة للحديث (فى غزوة بواط) بضم الموحدة وتخفيف الواو فى آخره طاء مهملة (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء) بفتح الواو وتضم وفى نسخة صحيحة الوضوء من غير الباء اى ناد الناس له او به او نصبه على الاغراء اى اعطوا او ناولوا الماء وهو بيان النداء (وذكر الحديث بطوله وانه) اى الشان (لم نجد) بالنون وفى نسخة بالياء وفى اصل الدلجى لم يجدوا (الا قطرة) اى شيأ قليلا من الماء (فى عزلاء شجب) بالاضافة وهو بفتح العين المهملة فسكون الزاى فلام ممدودة فم المزادة الاسفل والشجب بمعجمة مفتوحة فجيم ساكنة فموحدة ما بلى من القربة وعتق من السقاية (فاتى) اى فجيء (به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمره) بالراء اى فغطاه وستره وفى اصل الدلجى بالزاى اى فكبسه بيده وعصره (وتكلم بشىء) اى من الاسماء او الدعاء والثناء (لا ادرى ما هو وقال ناد بجفنة الركب) بفتح الجيم وسكون الفاء وهى اكبر قصاع الاطعمة والركب اسم جمع او جمع للراكب كالصحب وهم العشرة فصاعدا او الباء مزيدة ولما كانت الجفنة محل الآية نوديت فكانها تعقل او على حذف اى يا قوم هاتوها او عدى النداء بالباء لتضمنه معنى الاتيان اى ائت بها واحضرها (فاتيت بها) اى فجئت بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الحلبى هو مبنى لما لم يسم فاعله اى فأتونى بها وفى نسخة فأتيها بضم همزه وكسر ثانيه (فوضعتها بين يديه وذكر) اى جابر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق) بتشديد الراء ونشر (اصابعه وصب جابر عليه) اى الماء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بسم الله) اى وعلى بركة رسول الله وروى بسم الله كما امره على ما فى اصل المؤلف (قال) اى جابر (فرأيت الماء يفور) اى يظهر مرتفعا (من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت) اى ارتفع ماؤها ودار (حتى امتلأت) ورواية مسلم ثم فارت الجفنة فدارت كذا ذكره الدلجى تبعا للحلبى قيل لان المقام مقام آية فكلما نبع الماء استدارت الجفنة وحديث جابر هذا ليس فى شىء من الكتب الستة الا فى مسلم على ما صرح به الحلبى وغيره (وامر الناس بالاستقاء) اى باخذ الماء (فاستقوا حتى رووا) اى باجمعهم وهو بضم الواو الاولى واصله رويوا كرضوا ولقوا (فقلت هل بقى احد له حاجة) يجوز ان تكون هل نافية كما فى قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وفى حديث وهل ترك لنا عقيل من دار اى ما بقى من محتاج الى الماء (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يده كما فى اصل الدلجى وغيره (من الجفنة وهى ملأى) فعلى من الملء ويجوز ان تكون هل استفهامية ورفعه يده بعد جوابهم ما بقى لاحد حاجة ولا يبعد ان يكون المراد بقوله فقلت تردده فى نفسه انه هل بقى لاحد حاجة اليه ام لا فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده شهادة لنفى البقاء فيكون كرامة اخرى (وعن الشعبى) بفتح اوله تابعى جليل لحديثه هذا مرسل وهو حجة عند الجمهور خلافا للشافعى (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (فى بعض اسفاره باداوة ماء) وهى بكسر الهمزة اناء صغير من جلد يتخذ للماء ويسمى المطهر (وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها) اى غير ما فى الاداوة هذه

وهى لم تكف الجماعة شربا ووضوأ (فسكبها) اى صبها (فى ركوة) اى اناء صغير من جلد يشرب فيها الماء كانت معه كما فى نسخة (ووضع اصبعه) بتثليث الهمزة والباء والاشهر كسر الهمزة وفتح الباء والمراد الجنس اى اصابعه (وسطها) بفتح السين وسكونها اى فى وسطها (وغمسها) اى غطس اصابعه وادخلها (فى الماء وجعل الناس يجيئون) اى يأتون اليه (ويتوضؤن) اى منه (ويقومون) اى عنه وفى نسخة صحيحة ثم يقومون (قال الترمذى) اى صاحب الجامع (وفى الباب) اى وفى الاحاديث الواردة فى هذا النوع من الكتاب (عن عمران بن حصين) وهو كما سيأتى فى الفصل الآتى من هذا الباب (ومثل هذا) اى ماذكر من خوارق العادة (فى هذه المواطن الحفلة) بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء اى الممتلئة المجتمعة الغزيرة وفى نسخة الحفيلة بزيادة الياء وهما بمعنى (والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة) بضم التاء وسكون الهاء وتفتح اى تتوصل تهمة كذبه (الى المحدث به) بكسر الدال المشددة اى المخبر به (لانهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (كانوا اسرع شئ الى تكذيبه) اى تكذيب من اخبر به لو عرفوا انه كاذب فى خبره (لما جبلت) بصيغة المجهول اى خلقت وطبعت (عليه النفس) اى النفوس كما فى نسخة صحيحة (من ذلك) اى الاسراع الى التكذيب (ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل) اى باجمعهم لانكارهم على الباطل ولو من بعضهم لكونه فرض كفاية على كلهم (فهؤلاء) اى المذكورون من الصحابة وغيرهم (قد رووا هذا) اى الحديث الذى سبق من نبع الماء من بين اصابعه (واشاعوه) اى نقلوه وافشوا اسنده (ونسبوا حضور الجماء الغفير له) وفى نسخة الجم الغفير اى الجمع الكثير كما فى قضية الحديبية (ولا ينكر احد من الناس) اى ممن حضر تلك الوقعة (عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه) اى من شربهم وسقيهم (وشاهدوا) اى باعينهم فى غيرهم (فصار كتصديق جميعهم لهم) فيكون اجماعا سكوتيا منهم

(فصل)

(ومما يشبه هذا) اى النوع (من معجزاته) وهو نبع الماء من بين اصابعه لكرامته (تفجير الماء ببركته وانبعاثه) بالرفع اى نورانه وجريانه (بمسه) اى اياه بجارحته (ودعوته) اى بلسانه او جنانه (فيما روى مالك) اى رواه كما فى نسخة (فى الموطأ) بتشديد الطاء المفتوحة فهمزة وقيل بالف مقصورة وكذا اخرجه مسلم فى صحيحه (عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك) وهى غزوة معروفة كانت سنة تسع من الهجرة (وانهم وردوا العين) اى التى كانت فيها (وهى تبض) بكسر الموحدة وتشديد المهملة اى تلمع وتلع او المعجمة اى تقطر وتسيل واختاره النووى (بشئ) اى قليل (من ماء) اى مما يسمى ماء (مثل الشراك) بالجر على انه نعت لشئ او ماء وفى نسخة بالرفع على تقدير هو وفى اخرى بالنصب على انه حال من شئ اى مماثلا للشراك فى طوله وعرضه وهو سير رقيق يجعل فى النعل والمقصود المبالغة فى حد القلة (فغرفوا) اى اغترف القوم (من العين بايديهم حتى اجتمع) اى الماء كما فى نسخة (فى شئ) اى من الاناء فيما لديهم (ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه ثم اعاده) اى الماء المغسول به (فيها) اى فى العين التى بها ماء يسير (فجرت) الفاء عاطفة اى فسالت (بماء كثير فاستقى الناس) اى فشربوا منه واسقوا دوابهم (قال) اى معاذ (فى حديث ابن اسحق) اى فيما يرويه امام اهل المغازى عنه (فانخرق) بالنون والخاء المعجمة والراء اى انفجر وجرى (من الماء ماله حس) بكسر الحاء المهملة وتشديد السين اى حركة وصوت لجريه (كحس الصواعق) جمع صاعقة وهو صوت شديد وربما كان معه نار لطيفة حديدة لا تمر بشئ الا اتت عليه واهلكته لكنها مع حدتها سريعة الخمود (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوشك) اى يسرع ويدنو ويقرب (يا معاذ ان طالت بك حياة) اى مدة عمرك (ان ترى ما ههنا) اى الموضع الذى ههنا لاجل كثرة ما فيه من الماء (قد ملئ) بصيغة المجهول اى امتلأ (جنانا) بكسر الجيم جمع جنة بالفتح وهى البستان الكثير الاشجار وهى مرة من مصدر جنه جنا اذا ستره فكأنها مرة واحدة بشدة التفافها واظلالها ونصبه على التمييز قال الحلبى هذا ذكره ابن اسحق فى طريق تبوك وقت الرجعة ولفظه ثم انصرف قافلا يعنى من تبوك الى المدينة وكان فى الطريق ماء ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادى المشقق فذكر القصة والله تعالى اعلم (وفى حديث البراء) اى على ما رواه البخارى عنه (وسلمة بن الاكوع) اى كما رواه مسلم عنه (وحديثه) اى حديث سلمة (اتم) اى من حديث البراء (فى قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة) اى الف واربعمائة (وبئرها لا تروى) اى بضم التاء وكسر الواو اى لا تكفى بمائها (خمسين شاة) قال المزى المعروف عند اهل الحديث خمسين اشاء بفتح الهمزة والمد وهى النخلة الصغيرة ذكره الشمنى وقال التلمسانى هو الصواب (فنزحناها) اى فنزعنا ما فيها كله (فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباها) بفتح الجيم والموحدة المخففة مقصورا ما حول فمها وبالكسر ما جمع فيها من الماء وليس مرادا هنا ويروى شفاها بفتح

المعجمة والفاء مقصورا اى جانبها وطرفها (قال البراء واتى) اى جئ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بدلو) اى فيه ماء (منها فبصق) اى بزق فيه (فدعا) اى بالبركة فى مائها او كب ما فى الدلو فيها وهذه رواية البراء من غير شك وتردد بينهما (وقال سلمة) اى ابن الاكوع (فاما دعا واما بصق فيها) بكسر الهمزة على الشك فيهما ولعله اطلع على احدهما دون الجمع بينهما بخلاف البراء فمن حفظ حجة على من لم يحفظ وعلى كل تقدير (فجاشت) بالجيم والشين المعجمة اى فارت البئر وارتفع ماؤها بوصف الكثير (فارووا انفسهم وركابهم) اى سقوا ذواتهم ودوابهم (وفى غير هذه الروايتين) اى رواية البراء ورواية سلمة وكان الاولى ان يقول وفى غيرها تين الروايتين كما فى نسخة او فى هذه الرواية عنهما (هذه القصة) اى قصة زيادة ماء البئر وفى نسخة فى هذه القصة (من طريق ابن شهاب) اى الزهرى (فى الحديبية) وقد ابعد الدلجى حيث قال هذه القصة اى قصة الحديبية لما آله الى قصة الحديبية فى الحديبية (فاخرج) اى النبى صلى الله عليه وسلم (سهما من كنانته) بكسر الكاف اى جعبته وهى كنانته التى فيها سهامه لانها تكنها وتسترها (فوضع) اى سهمه وهو بصيغة الفاعل ويؤيده نسخة وضعه بابراز الضمير وفى نسخة ضبط بصيغة المفعول وهو اتم مبنى واعم معنى (فى قعر قليب) اى عمق بئر لم تطو يعنى لم تبن وقيل عادية وهو يؤنث ويذكر ولذا قال (ليس فيه ماء فروى الناس) بكسر الواو اى بانفسهم ودوابهم (حتى ضربوا بعطن) بفتح المهملتين منزل الابل حول الماء لتبرك فيه اذا شربت لتعاد الى الشرب مرة اخرى وهو ضرب مثل للاتساع والاستغناء لاسيما فى باب الاستقاء والمعنى حتى رووا ورويت ابلهم قال التلمسانى والذى نزل بسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو البراء بن عازب وقيل ناجية (وعن ابى قتادة وذكر) على ما رواه البيهقى عنه (ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض اسفاره فدعا بالميضأة) بكسر الميم وسكون التحتية وفتح الضاد المعجمة والهمزة مقصورا وقد يمد فوزنها مفعلة او مفعالة من الوضوء بزيادة الميم للآلة اى مطهرة كبيرة يتوضأ منها والمعنى فطلبها (فجعلها فى ضبنه) بكسر ضاد معجمة وسكون موحدة فنون فهاء ضمير اى حضنه بين كشحه وابطه (ثم التقم فمها) اى ادخله فى فمه تشبيها له بالالقمة لانه ادخل فمه فيها كما توهم التلمسانى (والله اعلم) اى وانا لا اعلم (نفث) اى أنفخ بريق او بلا ريق (فيها ام لا) اى ام لم ينفث (وشرب الناس حتى رووا) بضم الواو اى بانفسهم ودوابهم (وملؤا كل اناء معهم تخيل) اى بصيغة المجهول اى تصور فى ذهنى (انها) اى الميضأة ملأى (كما اخذها منى) اى على حالها ما نقص شئ منها او قال التلمسانى وروى اليه اقول والظاهر انه تصحيف لديه (وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله) اى مثل مروى ابى قتادة (عمران بن حصين) بالتصغير (وذكر الطبرى) وهو محمد بن جرير (حديث ابى قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان) وفى نسخة صحيحة ان على انه بيان لما ذكره الطبرى مخالفا لغيره وهو ان (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم) اى باصحابه (ممدا) اى معينا (لاهل مؤتة) بضم الميم وسكون الهمزة ويبدل قرية بين تبوك وحوران من الشام (عند ما بلغه قتل الامراء) اى امرائه وهم زيد ابن حارثة مولاه عليه الصلاة والسلام وجعفر بن ابى طالب وعبد الله ابن ابى رواحة (وذكر) اى الطبرى (حديثا طويلا فيه معجزات) اى باهرة (وآيات) اى علامات وكرامات ظاهرة (للنبى صلى الله عليه وسلم) اى تعظيما لقدره وتفخيما لامره (وفيه اعلامهم) اى اخباره لاصحابه (انهم يفقدون الماء) بكسر القاف اى يعدمونه ولا يجدونه (فى غد) فهو من اعلام النبوة لقوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا (وذكر) اى الطبرى (حديث الميضأة) اى كما سبق (قال) اى ابو قتادة (والقوم) اى اصحابه (زهاء ثلاثمائة) اى قدرها تخمينا قال المزى الوجه نصب زهاء ولكن اهل الحديث يرفعونه ذكره الشمنى (وفى كتاب مسلم) يعنى صحيحه (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لابى قتادة) اى بعد ما قال لهم انهم يفقدون الماء فى غد (احفظ على) اى لاجلى وفى نسخة علينا (ميضأتك فانه) اى الشان (سيكون لها نبأ) اى خبر عظيم قال القاضى فى الاكمال قال الامام للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث معجزتان قولية وهى اخباره بالغيب انها سيكون لها نبأ وفعلية وهى تكثير الماء القليل (وذكر) اى الطبرى (نحوه) اى نحو ما سبق مما ذكره غيره (ومن ذلك) اى ومما يدل على تفجر الماء من بين اصابعه (حديث عمران بن حصين) اى كما فى الصحيحين عنه انه قال (حين اصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه عطش) اى شديد (فى بعض اسفارهم) وفى نسخة من اسفارهم (فوجه رجلين) بتشديد الجيم اى فارسلهما وهما على بن ابى طالب وعمران بن حصين (من اصحابه) كما صرح بهما فى بعض طرق هذا الحديث (واعلمهما انهما يجدان امرأة) لا يعرف اسمها الا انها اسلمت بعد ذلك (بمكان كذا) وفى نسخة بتكرار كذا وبعين الموضع فى حديث صاحبه حاطب ابن ابى بلتعة وهو روضة خاخ (معها بعير عليه مزادتان) تثنية مزادة بفتح الميم ظرف من جلد يجعل فيه الماء كالراوية اكبر من القربة وميمها زائدة وهى من مادة الزيادة لزيادتها على القربة ولا يبعد ان تكون

مأخوذة من الزاد والله تعالى اعلم بالمراد ثم قيل هي الراوية مجازا وانما الراوية هو البعير الذي يحملها
(الحديث) اى بطوله والمعنى فذهبا على اثرها وطلباها (فوجداها واتيا بها النبي) وفى نسخة الى النبي
(صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فى اناء) اى مما عنده (من مزادتيها)
اى بعض مائهما (وقال فيه ماشاء الله) اى من ثناء ودعاء واسماء (ثم اعاد الماء) اى رد الماء المأخوذ (فى المزادتين
ثم فتحت) بصيغة المجهول ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل (عزاليهما) بفتح العين المهملة والزاى تثنية عزلاء
وهو فمها الاسفل واللام مفتوحة وقيل هو جمع فاللام مكسورة (وامر الناس) وفى نسخة ثم امر الناس (فملأوا
اسقيتهم) جمع سقاء وهو اناء من جلد يتخذ للماء (حتى لم يدعوا) بفتح الدال اى لم يتركوا (شيأ) اى من اوانيهم (الاملأوه
قال عمران) وفى نسخة وعن عمران بن حصين (ويخيل الى) بصيغة المضارع المجهول من التخييل وفى نسخة بصيغة
الماضى المعلوم من التخيل اى وتصور عندى وتقرر فى ذهنى (انهما) اى المزادتين (لم تزدادا) وفى نسخة بصيغة
الافراد اى كل واحدة منهما (الا امتلاء) بكسر التاء على المصدر ية اى من زيادة البركة فى الكمية والكيفية
(ثم امر) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه ان يزودوها من زادهم زيادة على ماتوهمت انهم اخذوا من
مزادتيها وفق مرادها (فجمع) بصيغة المفعول (للمرأة) وفى نسخة لها (من الازواد) جمع الزاد اى من جملتها (حتى ملأ)
اى ذلك الزاد وفى نسخة ملأوا (ثوبها وقال) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (اذهبى فانا لم نأخذ من مائك شيأ)
اى من كميته (ولكن الله سقانا) اى بسبب زيادة كيفيته ببركة اسمائه (وعن سلمة بن الاكوع) وفى نسخة وقال
سلمة (قال النبي) وفى نسخة نبي الله (صلى الله تعالى عليه وسلم هل من وضوء) بفتح الواو اى أمعكم او أعندكم
او أثم ماء وضوء (فجاء رجل باداوة) بكسر الهمزة اى اناء صغير من جلد يتخذ للماء (فيها نطفة) اى شئ يسير من الماء
(فافرغها) اى صبها (فى قدح فتوضأنا كلنا) بالرفع توكيد لنا (ندغفقه دغفقة) بدال مهملة وغين معجمة ففاء فقاف اى
نصبه صبا كثيرا (اربع عشرة مائة) بيان لقوله كلنا اى الف واربعمائة (وفى حديث عمر) كما رواه ابن خزيمة فى صحيحه
والبيهقى والبزار عنه (فى جيش العسرة) اى الضيق والشدة وهى غزوة تبوك سنة تسع من الهجرة وكانت فى نهار حر
ووقت الثمار وكثرة ظلال الاشجار (وذكر) اى عمر رضى الله عنه (ما اصابهم) اى المسلمين (من العطش) اى الشديد
(حتى ان الرجل) بكسر الهمزة وتفتح (لينحر بعيره) بفتح اللام المؤكدة (فيعصر فرثه) اى ما فى كرشه (فيشربه فرغب
ابو بكر) اى مال وتوجه (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدعاء) اى امره او فى حمله على الدعاء (فرفع يديه) اى
ويدعو ربه ويتضرع لديه ويثنى عليه ويلتجئ اليه (فلم يرجعهما) من رجع المتعدى اى لم يرديه بعد رفعهما اليه
وفى نسخة فلم ترجعا من رجع اللازم اى لم تغير اليدان عن حالهما (حتى قالت السماء) اى امطرت فان القول يستعمل
فى جملة من الفعل وقيل مالت وروى قامت بالميم اى اعتدلت بالسحاب او قامت توجهها بالخيرات (فانسكبت)
اى فانصب ماؤها بكثرة (فملأوا ما معهم من آنية) اى جميع اوانيهم (ولم تجاوز) اى السماء المراد بها السحاب
وفى نسخة بالتذكير اى ولم يتعد المطر (العسكر) ما انتهى عنهم بل كان السحاب كالظلة عليهم وفيه ايماء الى انه ما كان
من القضايا الاتفاقية بل كان معجزة وكرامة خاصة لديهم (وعن عمرو بن شعيب) اى ابن محمد بن محمد بن عبد الله بن
عمرو بن العاص اخرج له الائمة الاربعة (ان ابا طالب قال للنبى صلى الله عليه وسلم وهو رديفه) جملة حالية تحتمل
احتمالين خلافا للتلمسانى حيث جزم بان ضميرهو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمضاف لابى طالب والرديف الراكب
من خلف (بذى المجاز) بفتح الميم والجيم وزاى فى آخره سوق عند عرفة من اسواق اهل الجاهلية (عطشت) بكسر
الطاء قال الحلبى وهذا الحديث الذى ذكره القاضى هنا معضل ولا اعلمه فى الكتب الستة والرواية عن ابى طالب
معلوم ما فيها انتهى وذكر الدلجى عن ابن سعد انا اسحق بن يوسف الازرق ثنا عبد الله بن عوف عن عمرو
هو ابن دينار ان ابا طالب قال كنت بذى المجاز ومعى ابن اخى يعنى نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له عطشت
(وليس عندى ماء) وروى عنده وروى معى وعند مثلث العين ذكره التلمسانى (فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى عن البعير (وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب) قال الدلجى الظاهر ان هذا كان قبل البعثة يعنى
فيكون من الارهاصات ولا يبعد ان يكون بعد النبوة فهو من المعجزات ولعل فيه ايماء الى انه سيظهر نتيجة هذه
الكرامات من بركة قدم سيد الكائنات فى اواخر الزمان قريب الالف من السنوات عين فى عرفات تصل الى مكة
وحواليها من آثار تلك البركات هذا وابو طالب لم يصح اسلامه واما قول التلمسانى وروى اسلام امه باسناد صحيح
وروى اسلام ابويه فمردود عليه كما بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة ردا على السيوطى فى رسائله الثلاث
(والحديث) اللام للجنس اى والاحاديث (فى هذا الباب كثيرة) اى غير ما ذكر فى هذا الكتاب (ومنه الاجابة بدعاء

الاستسقاء وما جانسه) اى من انواع استجابة الدعاء

(فصل)

(ومن معجزاته تكثير الطعام) اى كمية او كيفية (ببركته) اى ببركة حصول وجوده او وصول يده (ودعائه) اى لربه
مقرونا بثنائه (قال) اى المصنف (ثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله تعالى) هو الحافظ ابن سكرة (حدثنا العذرى)
بضم مهملة فسكون معجمة (ثنا الرازى ثنا الجلودى) بضم الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج) يعنى صاحب
الصحيح (ثنا سلمة بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة وهو ابو عبد الرحمن
النيسابورى حجة اخرج له مسلم والاربعة مات سنة ست واربعين ومائتين بمكة (ثنا الحسن بن اعين) بفتح فسكون
ففتحتين ثقة اخرج له الشيخان وابو داود والنسائى (ثنا معقل) بفتح الميم وكسر القاف صدوق تردد فيه ابن معين
اخرج له مسلم وابو داود والنسائى (عن ابى الزبير) بالتصغير حافظ ثقة روى عنه مالك والسفيانان واخرج له مسلم
والاربعة واخرج له البخارى مقرونا بقوله كان مدلسا واسع العلم (عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
يستطعمه) اى يطلب طعاما منه لاهله (فاطعمه شطر وسق شعير) الوسق بفتح الواو وتكسر ستون صاعا وشطر الشئ
نصفه وهو بفتح اوله ولا يصح كسره قال النووى والشطر هنا معناه شئ كذا فسره الترمذى (فما زال) اى ذلك الرجل
السائل المستطعم منه عليه الصلاة والسلام (يأكل منه) اى من ذلك الطعام (وامرأته وضيفه) اى كذلك فهما
مرفوعان او معهما فهما منصوبان ويروى وصيفه بواو فمهملة (حتى كاله) اى ليعرف نقصانه وكماله ويوجب اكتياله
ما يبين حاله ومآله ففنى بهذه الحركة وزالت عنه البركة (فأتى) اى الرجل (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى
بانه كاله وجرب حاله (فقال لولم تكله) اى وما جربته (لاكلتم منه) اى كلكم طول عمركم (ولقام بكم) اى باودكم مدة
بقائكم وفى هذا الحديث ان البركة اكثر ما تكون فى المجهولات والمبهمات وكان الصوفية من هنا قالوا المعلوم شوم قيل
والحكمة فى ذلك ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف قلبه وفى تركه يكون متكلا على ربه والاتكال عليه
سبحانه وتعالى مجلبة للبركة واما الحديث الآخر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فقالوا المراد ان يكيله عند اخراج
النفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط ان يبقى الباقى مجهولا ثم هذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث
وذلك انه استعان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاح امرأة فالتمس النبى عليه الصلاة والسلام ما سأله
فلم يجد له فبعث ابا رافع الانصارى وابا ايوب بدرعه فرهناها عند يهودى فى شطر وسق من شعير فدفعه عليه الصلاة
والسلام اليه قال فاطعمنا منه ثم اكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه كذا ذكره التلمسانى وهو
خلاف ظاهر ما حرره القاضى ويمكن الجمع بينهما (ومن ذلك) اى مما يدل على ما هنالك من تكثير الطعام ببركته ودعائه
عليه الصلاة والسلام (حديث ابى طلحة المشهور) بالرفع صفة لحديث وهو المروى فى الصحيحين عن انس فى قصته
وابو طلحة هذا هو عم انس بن مالك زوج ام سليم انصارى نجارى خزرجى بدرى احد النقباء قال فيه صلى الله تعالى
عليه وسلم صوت ابى طلحة فى الجيش خير من فئة ذكرانه قتل يوم حنين عشرين رجلا واخذ سلبهم روى عنه ابنه
عبد الله وابن زوجته انس بن مالك (واطعامه) بالرفع (صلى الله تعالى عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا) وجزم مسلم
فى روايته بثمانين رجلا (من اقراص) اى قليلة (من شعير جاء) وفى نسخة اتى (بها) اى بتلك الاقراص وفى نسخة به
اى بما ذكر (انس تحت يده اى ابطه) يعنى حال كون انس واضعا لها تحت ابطه من كمال قلتها (فامر بها) اى بالاقراص
او بفتها (ففتت) بضم الفاء وتشديد الفوقية الاولى مفتوحة اى فجعلت فتاتا والمعنى كسرها باصابعه وثردها
وفى حديث اذا فل طعامكم فاثردوه (وقال فيها) اى فى حق الاقراص (ما شاء الله ان يقول) اى من ثناء ودعاء واسماء
وامر بمجيء عشرة عشرة حتى اكل القوم كلهم الحديث بطوله قال النووى وانما اذن صلى الله تعالى عليه وسلم لعشرة
عشرة ليكون ارفق بهم فان القصعة التى فت فيها تلك الاقراص لا يتحلق عليها اكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم
لبعدها عنهم وقيل لئلا يقع نظر الكثير على الطعام اليسير فيزداد حرصهم ويظنون انه لا يكفيهم فتذهب بركته ويحتمل
ان يكون اضيق المنزل وهو اقرب (وحديث جابر) اى ومن ذلك حديث جابر كما رواه البخارى عنه (فى اطعامه
صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق) اى زمن حفره وهو يوم الاحزاب (الف رجل من صاع شعير وعناق) بفتح
اوله وهى الانثى من اولاد المعز ما لم يتم لها سنة (قال جابر فاقسم بالله لاكلوا) اى منه (حتى تركوه) اى على حاله
وفى اصل الدلجى لاكلوا حتى تركوه شبعا وغاية للاكل حتى تركوه غاية للشبع (وانحرفوا) اى مالوا الى حرف اى جانب
وطرف والمعنى وانصرفوا (وان برمتنا) بكسر الهمزة حالية والبرمة بضم الموحدة هى القدر من حجر او مدر (لتغط)
بفتح التاء وكسر الغين المعجمة وتشديد المهملة اى تغلى من حرارة النار تحتها حتى يسمع غطيطها وهو صوت غليانها

(كما هى) اى على هيئتها الاولى وماهيتها بكمالها كأنه لم يؤخذ منها شئ وما كافة مصححة لدخول الكاف على الجملة وهى مبتدأ والخبر محذوف اى مثل ماهى قبل ذلك (وان عجيننا ليخبز) اى كما هو وكل ذلك بعدان شبعوا وتركوا وانصرفوا (وكان) اى وقد كان (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق) اى بزق (فى العجين والبرمة وبارك) اى ودعا لهما بالبركة (رواه عن جابر سعيد بن ميناء) بكسر الميم ممدود او يقصر ويجر ولا يجر بناء على انه مفعال او فعلاء وحديث سعيد هذا عن جابر فى الصحيحين (وايمن) بفتح الميم عطف على سعيد وهو ايمن الحبشى المكى وامه ام ايمن حاضنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاته اخو اسامة بن زيد لامه استشهد يوم حنين وحديثه عن جابر فى الخندق اخرجه البخارى فى المغازى وزيد فى بعض النسخ الصحيحة هنا بعد قوله ايمن (وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار وامرأته ولم يسمهما) اى الراوى عنهما لكن جهالتهما لا تضر لكونهما صحابيين (قال) اى ثابت او كل من الرجل والمرأة (وجيء بمثل الكف) اى من العجينة (فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبسطها) اى يدلكها او يوسعها (فى الاناء ويقول ماشاء الله) اى من الدعاء والثناء (فأكل منه من فى البيت والحجرة) بضم الحاء وتفتح ناحية قريبة من الدار (والدار) اى وما حولها من الفناء (وكان ذلك) اى المقام (قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك) اى المرام (وبقى) اى ذلك الطعام (بعد ما شبعوا امثل ما كان فى الاناء) اى سابقا ببركته عليه الصلاة والسلام (وحديث ابى ايوب) اى ومن ذلك حديث ابى ايوب بدرى مشهور وهو خالد بن زيد انصارى نجارى عقبى بدرى نزل عنده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو ابن عوف حين قدم المدينة فلم يزل عنده حتى بنى مسجده ومساكنه شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفد على ابن عباس البصرة فقال انى اخرج لك عن مسكنى كما خرجت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن مسكنك واعطاه ما اغلق عليه ولما قفل اعطاه عشرين الفا وار بعين عبدا مرض فى غزوة القسطنطينية فقال اذا مت فاحملونى فاذا صاففتم العدو فادفنونى تحت ارجلكم فدفن عند باب القسطنطينية فقبره مع سورها فقال مجاهد فكانوا اذا محلوا كشفوا عن قبره فيمطرون وحديثه هذا رواه الطبرانى والبيهقى عنه (انه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولابى بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما) بضم الزاى اى مقدار ما يشبعهما وفيه اشعار بكمال اختصاصهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف الانصار) خصهم بالدعوة كى يسلموا بالالفة ومشاهدة المعجزة اذ كان ذلك اول الهجرة وسماهم انصار العلمه بانهم يسلمون على يديه وينصرون دينه (فدعاهم فاكلوا حتى تركوا) وفى نسخة تركوه اى الاكل او الطعام والثانى اظهر فى المرام لقرينة المقام والاول (ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك) اى فدعاهم فاكلوا حتى تركوه (ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم) اى اظهر الاسلام او ثبت على ذلك المرام قال التلمسانى فى الاصل هكذا الاحتى اسلم وصوابه حتى اسلم (وبايع) اى على الجهاد ونصرته عليه الصلاة والسلام لما شاهد المعجزة فى بركة ذلك الطعام (قال ابو ايوب فاكل من طعامى مائة وثمانون رجلا) وكان عشرين اكلوا بعد المائة والستين (وعن سمرة بن جندب) بضم الجيم والدال وتفتح وحكى بكسرهما وكان الاظهر ان يقول وحديث سمرة بن جندب وهو ما رواه الترمذى والبيهقى وصححاه والنسائى عنه ولفظه (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جيء (بقصعة) بفتح القاف لا بكسر (فيها لحم فتعاقبوها) اى تناوبوها فى تناولها الصحابة جماعة بعد جماعة (من غدوة) بضم فسكون فقتحتين لانها معرفة (حتى الليل) اى الى آخر نهار تلك الغدوة مع اخذ بعض الوقت من العشية (يقوم قوم ويقعد آخرون) جملة مستأنفة مبينة للتعاقب والمناوبة فلا ينافى ما قال التلمسانى هكذا فى الاصل والمعروف من حديث سمرة من غدوة الى الظهر وقال فقيل لسمرة هل كان يمد قال فمن اى شئ نعجب ما كان يمد الا من هاهنا واشار الى السماء (ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى بكر) على ما فى الصحيحين عنه (كنا عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثين) اى رجلا (ومائة) اى رجلا وهو لغة فى مائة وثلاثين (وذكر) اى عبد الرحمن (فى الحديث) اى فى حديثه هذا (انه عجن صاع) من طعام بصيغة المفعول وفى نسخة عجن صاعا (من طعام وصنعت شاة) بصيغة التأنيث للمجهول ويحتمل المتكلم على بناء الفاعل وفى اصل الدلجى وصنع شاة اى فرغ من شأنها وهذا ايجاز بليغ اذ بسطه ان يقول وذبحت وسلخت وقطعت وهذا من كمال صانعه اذ العادة ان يعجز واحد عن القيام بامورها كلها فقد روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى بعض اسفاره يأمر باصلاح شاة فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر على سلخها وقال آخر على طبخها فقال عليه الصلاة والسلام وعلى جمع الحطب فقالوا انا نكفيك فقال قد علمت انكم تكفونى ولكنى اكره ان اتميز عنكم لان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين اصحابه وقام عليه الصلاة والسلام وجمع الحطب فى ذلك المقام

(فسوى سواد بطنها) على بناء المفعول ويحتمل الفاعل والمراد بسواد بطنها كبدها خاصة او معالية بها مما فى جوفها واختاره الهروى والنووى الاول وخص الكبد لانه اصل الحياة وقيل القلب (قال) وفى نسخة ثم قال اى عبد الرحمن (وايم الله) بهمزة وصل او قطع وضم الميم ويكسر وهو من الفاظ القسم كعمر الله وعهد الله واصله وايمن الله كما فى نسخة وهو جمع يمين والمعنى اقسم ببركة الله وقدرته وقوته (ما من الثلاثين ومائة) اى احد (الا وقد حزله) بفتح الحاء وتشديد الزاى (حزة) بفتح الحاء وتضم اى قطع له قطعة من سواد بطنها قال الحلبى قوله حزة بفتح الحاء فى النسخة التى وقفت عليها ولا اعرفها واحفظها الا بالضم وهى القطعة المحزوزة واما بالفتح فالمرة من الحز وليست المراد هنا انما المراد القطعة انتهى ولا يخفى ان الظاهر ان المرة من الحز هو المراد فى هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام ثم رأيت الشمنى جوز الوجهين فتم النظام (ثم جعل) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منها) اى من لحم الشاة وما معه من الطعام (قصعتين) اى جفنتين كبيرتين (فاكلنا اجمعون وفضل) بفتح الضاد فى الماضى وضمها فى المستقبل وبكسرها فى الماضى وفتحها فى المضارع اى وزاد (فى القصعتين) وقيل الاول من الفضل فى السؤدد والثانى من الفضلة وهى بقية الشئ وقد سوى بينهما الجوهرى حيث قال فضل منه شئ مثل دخل يدخل وفيه لغة اخرى مثل حذر يحذر (فحملته) اى ذلك الزائد (على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابى عمرة الانصارى عن ابيه) اى ابى عمرة وهو انصارى بدرى له حديث فى بركة الطعام فى بعض غزواته عليه الصلاة والسلام رواه عنه ابنه عبد الرحمن قال ابن المنذر قتل ابو عمرة مع على رضى الله عنه بصفين اخرج له النسائى فقط كذا قرره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه ابن سعد والبيهقى عنه انتهى وليس بينهما تناف اذ حصر الاول بالنسبة الى صحاح الستة وهما خارجان عنهم البتة (ومثله) اى مثل مروى عبد الرحمن (سلمة بن الاكوع وابى هريرة) كما رواه البخارى عنهما (وعمر بن الخطاب) كما رواه ابو يعلى بسند جيد عنه (فذكروا) اى هؤلاء الثلاثة (مخمصة) بفتح الميمين اى مجاعة شديدة (اصابت الناس مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد) جمع الزاد والباء زائدة كما فى نسخة اى فطلبها ليبارك فيها فتكثر كميتها او كيفيتها (فجاء الرجل بالحثية من الطعام) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة فتحتية اى باليسير منه ويكون قدر الغرفة وفى نسخة بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة فنون فتاء وهى ما يحمل فى الحضن (وفوق ذلك) اى فى الكثرة او القلة (واعلاهم) اى فى الزيادة (الذى يأتى بالصاع من التمر فجمع على نطع) بكسر النون وفتحها مع سكون الطاء وبفتحتين وكعنب بساط من الاديم كذا فى القاموس وقال الحلبى تلميذه افصحهن كسر النون وفتح الطاء انتهى وتبعه الشمنى وهو خلاف ما يتبادر من عبارة القاموس وكذا هو على خلاف ما هو المشهور على السنة العامة من فتح النون وسكون الطاء مع انه اخف انواع هذه اللغة هذا وقد وقع فى اصل الدلجى فجعله باللام بدل فجمعه بالميم فاحتاج لقوله اى ما جمع من الازدواد والظاهر انه تصحيف والله تعالى اعلم بالمراد (وقال سلمة فحزرته) بفتح الحاء المهملة والزاى فسكون الراء اى خمنته وقدرته (كربضة العنز) بفتح الراء وسكون الموحدة فمعجمة وقيل بكسر الراء وصوب لانه للهيئة والفتح للمرة اى مثل جثتها اذا بركت والعنز هى الانثى من المعز واشار سلمة بهذا الى قلة التمر (ثم دعا الناس) اى طلبهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (باوعيتهم) الاوعية والازودة واحد وقوله فى نص الحديث حتى ملأ القوم ازودتهم قال القاضى فى الاكمال كذا الرواية فيه فى جميع اصول شيوخنا والازودة هى الاوعية كما قال فى الحديث الآخر اوعيتهم (فما بقى فى الجيش وعاء) بكسر الواو اى ظرف واناء (الا ملأوه وبقى منه) اى قدر ما جعل كما فى نسخة اى جمع اولا (واكثر) اى وقد يقال اكثر (ولو ورده اهل الارض لكفاهم) اى لما فيه من خير كثير ولعل هذا معنى قوله تعالى بقية الله خير لكم (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ابى شيبة والطبرانى فى الاوسط بسند جيد انه قال (امرنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادعو له) اى اطلب انا لاجله (اهل الصفة) بالضم والتشديد اى من فقراء المهاجرين وكانوا كثيرين ممن لم يكن له منزل فاووا موضعا مظللا من مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم فعن ابن سعد بسنده الى ابى هريرة قال رأيت ثلاثين رجلا من اهل الصفة يصلون خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس عليهم اردية ثم قال ابو الفتح اليعمرى منهم ابو هريرة وابو ذر وواثلة بن الاسقع وفى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة لقد رأيت سبعين من اهل الصفة وقد عد من اهل الصفة ابو نعيم فى الحلية مائة ونيفا فيهم ابو هريرة وابن الاسقع واصحاب بئر معونة وفى عوارف المعارف للسهروردى انهم كانوا نحو اربعمائة والله تعالى اعلم وعد منهم سعد ابن ابى وقاص وعمار بن ياسر وعقبة بن عامر وسلمان وبلال وصهيب وحذيفة وغيرهم قال فى نظم الدرر واهل الصفة اضياف الاسلام لا يأوون على اهل ولا مال ولا على احد اذا اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا اتته هدية ارسلها اليهم واشركهم فيها وقال صاحب الكشاف اصحاب الصفة كانوا نحو

اربعمائة رجل من مهاجرى قريش لم يكن لهم مسكن فى المدينة ولا عشيرة كانوا فى صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان عنده فضل طعام اتى بهم اذا امسى (فتتبعتهم) بتشديد الموحدة اى فتفحصتهم (حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة) اى قصعة مبسوطة (فاكلنا منها ما شئنا وفرغنا وهى مثلها حين وضعت) يعنى انها ما زادت ولا نقصت (الا ان فيها اثر الاصابع) اى اصابع الآكلين فانها زادت (وعن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبيهقى بسند جيد انه (قال جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا اربعين) اى رجلا (منهم قوم) اى بعض (يأكلون الجذعة) اى الشاة الجذعة وهى بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة الداخلة فى السنة الثانية اذا كانت من المعز وما اتى عليه ثمانية اشهر من الضان قيل والمراد بها هنا الابل كما ورد مفسرا فى بعض الاحاديث وهو منها ما يدخل فى الخامسة او الرابعة (ويشربون الفرق) بفتح الفاء والراء وتسكن مكيال يسع ثلاثة آصع بكيل الحجاز وقيل اناء يسع اثنى عشر صاعا بصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك ستة عشر رطلا (فصنع لهم مدا من الطعام) اى قدر مد وهو بضم الميم مكيال وهو رطلان او رطل وثلث او ملء كفى الانسان المعتدل اذا ملأهما ومد يديه بهما وبه سمى مدا قال صاحب القاموس وقد جربت ذلك فوجدته صحيحا (فاكلوا) اى منه (حتى شبعوا وبقى كما هو) اى كان لم يؤكل شئ منه (ثم دعا بعس) بضم عين وتشديد سين مهملتين قدح كبير من خشب يروى الثلاثة والاربعة من لبن (فشربوا حتى رووا) بضم الواو (وبقى كأنه لم يشرب منه) اى شئ (وقال انس) اى على ما رواه الشيخان واللفظ لمسلم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى) اى تزوج ودخل (بزينب) اى بنت جحش قال الحلبى المعروف ان مثل هذه القصة اتفقت فى بنائه بصفية وفى شرح مسلم للمصنف ان الراوى ادخل قصة فى قصة وقال بعضهم فى حديث الصحيح يحتمل انه اتفق الشيئان يعنى الشاة والحيس (امره) اى انسا (ان يدعو له قوما سماهم) اى جماعة منهم باسمائهم وخصهم ثم عممهم بعطف غيرهم حيث قال (وكل من لقيت) اى فدعوتهم (حتى امتلأ البيت والحجرة) وهى موضع منفرد عنه وقيل يريد بالبيت الصفة وهكذا جاء مفسرا فى حديث انس الآتى فى آخر هذا الفصل وهو قوله تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصنعت ام سليم حيسا الى قوله حتى ملأوا الصفة والحجرة الحديث وكانت لكل واحدة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم حجرة هى بيتها (فقدم) وفى نسخة وقدم (لهم تورا) بفتح الفوقية اناء من صفر او حجارة كالاجانة وهى التى تسمى مركنا طستا او سطلا وقيل كان (فيه قدر مد من تمر جعل حيسا) اى بضم سمن واقط اليه وربما يجعل عوضا عن الاقط دقيق او فتيت او سويق (فوضعه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قدامه) اى بين يديه (وغمس ثلاث اصابعه) اى فيه (وجعل القوم) اى شرعوا (يتغدون) بتشديد الدال المهملة المفتوحة من الغداء وهو خلاف العشاء وفى نسخة بالذال المعجمة وهو ما يؤكل اعم من العشاء والغداء قال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها بالذال المعجمة وهو غير مناسب لان الغذاء بكسر الغين وبالذال المعجمتين اعم من الغداء بفتح الغين وبالدال المهملة وفى صحيح مسلم فدعا الناس بعد ارتفاع النهار فذكر القصة وفيه ايضا من حديث اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار اى ارتفع وهذا صريح فى ان ذلك كان فى صدر النهار يعنى فيناسب الدال المهملة لكن فيه ان المعنى الاخص مندرج فى المعنى الاعم والله تعالى اعلم (ويخرجون) اى حتى خرج آخرهم (وبقى التور) اى بما فيه (نحوا مما كان) وهو تمييز النسبة بقى او حال من التور (وكانوا) وفى نسخة وكان القوم (احدا واثنين وسبعين) وفى اصل الدلجى احدا وثلاثين او اثنين وسبعين (وفى رواية اخرى فى هذه القصة) اى قصة وليمة زينب (اومثلها) اى او فى مثل هذه القصة وهى قصة وليمة صفية (ان القوم كانوا زهاء ثلاثمائة) بضم الزاى اى قدرها (وانهم اكلوا حتى شبعوا) بكسر الباء (وقال لى) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان شبعوا (ارفع) اى التور وفى اصل التلمسانى اترفع بلام الامر وتاء المخاطب وهو قليل ومنه قوله تعالى فبذلك فلتفرحوا فى قراءة شاذة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لتأخذوا مصافكم هذا وعن ابن عمر مرفوعا اذا وضعت القصعة فليأكل احدكم مما يليه ولا يتناول من ذروة القصعة فان البركة تأتيها من اعلاها ولا يقوم الرجل حتى ترفع المائدة ولا يرفع يده وان شبع حتى يرفع القوم وليعذر فان ذلك يخجل جليسه ولعله يكون له بالطعام حاجة رواه يحيى ابن ابى كثير عن عروة عن ابن عمر فرفعته (فلا ادرى) وفى اصل الدلجى فما ادرى (حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت) بصيغة التأنيث على بناء المجهول فيهما ولعل التأنيث باعتبار معنى التور من الاجانة ونحوها ولا يبعد ان يكون بصيغة الفاعل للمتكلم على ان المفعول محذوف والتقدير وضعته ورفعته واقول بل حين رفعت لحصول البركة وتعلق المعجزة حين رفعها بخلاف حال وضعها (وفى حديث جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر

(عن ابيه) اى ابى جعفر محمد (عن على) اى ابن ابى طالب جد والد محمد وهو زين العابدين على بن الحسين بن على كذا رواه ابن سعد منقطعا لان محمدا ووالده لم يدركا عليا فقول الحلبى رواية الباقر عن على مرسلة فيه نوع مسامحة (ان فاطمة طبخت قدرا) اى طعام قدر او ذكرت المحل وارادت الحال (لغدائهما) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة (ووجهت عليا) اى ارسلته (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى اصل التلمسانى فى النبى اى فى طلبه والتوجه اليه او فى بمعنى الى (ليتغدى معهما) اى فجاءها (فامرها فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة) وهن كن تسعا عائشة وحفصة وزينب وام حبيبة وام سلمة وسودة وميمونة قرشيات وصفية قرظية وجويرية مصطلقية (ثم له عليه الصلاة والسلام ثم لعلى ثم لها) اى ولا ولادها ولمن كان معها (ثم رفعت القدر وانها لتفيض) بفتح الفوقية اى لتفور وتسيل من جوانبها (قالت) اى فاطمة (فاكلنا) وفى نسخة واكلنا (منها ما شاء الله) اى ان نأكل منها (وامر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عمر بن الخطاب ان يزود) بتشديد الواو المكسورة اى يعطى الزاد (اربعمائة راكب من احمس) بفتح الهمزة والميم اسم رجل نسب اليه قبيلة معروفة والحماسة الشجاعة والشدة فى الديانة ولذا سميت قريش الحمس لتشددهم فى دينهم وذلك انهم كانوا ايام منى لا يستظلون ولا يدخلون البيوت من ابوابها وفى رواية اربعمائة راكب من مزينة وهى قبيلة من مضر (فقال يا رسول الله ما هى الا اصوع) بضم الواو جمع صاع قال الجوهرى وان شئت ابدلت من الواو المضمومة همزة وفى نسخة آصع بهمزة ممدودة وصاد مضمومة قال ابن قرقول وجاء فى كثير من الروايات آصع والصواب اصوع (فقال اذهب) اى فزودهم منه (فذهب فزودهم منه وكان) اى الذى اعطاهم (قدر الفصيل) اى ولد الناقة اذا فصل عن امه اى فطم (الرابض) بكسر الموحدة اى المقيم او البارك (من التمر وبقى) اى التمر بعد تزويدهم منه (بحاله) اى كأن لم يؤخذ منه شئ (من) اى هذا الحديث من (رواية دكين) بالتصغير واوله دال وقيل راء (الاحمسى) رواها ابو داود فى الادب الا انه قال عن دكين بن سعيد المزنى قال اتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسألناه الطعام اى الزاد فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقى بنا الى علية بضم العين وتشديد اللام المكسورة فتحتية مشددة اى غرفة فاخذ المفتاح من حجزته بالزاى ففتح اى فاعطانا ما اعطانا قال الحلبى يقال له الاحمسى والمزنى والخثعمى له صحبة وليس له فى الكتب الا فى سنن ابى داود وليس له فيه الا هذا الحديث وهو مختصر منه (ومن رواية جرير) يعنى ايضا (ومثله من رواية النعمان) بضم النون (ابن مقرن) بتشديد الراء المكسورة وقيل بالسكون والتخفيف احمسى ايضا اسلم مع اخوته الستة وقال السهيلى بنو مقرن المزنى هم البكاؤون الذى نزل فيهم قوله سبحانه وتعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الآية (الخبر) بالرفع اى الحديث هذا (بعينه) اى من غير زيادة ونقصان فيه على ما رواه احمد والبيهقى بسند صحيح عنه (الا انه قال) اى النعمان (اربعمائة راكب من مزينة) اى كما مر عن ابى داود هذا والخبر مرفوع على انه خبر ومثله مبتدأ وابعد الدلجى بقوله منصوب باعنى (ومن ذلك) اى من قبيل تكثير الشئ ببركة دعائه وعظمة شانه (حديث جابر فى دين ابيه بعد موته) كما رواه البخارى عنه (وقد كان) اى جابر (بذل لغرماء ابيه اصل ماله) اى اراد ان يبذل لهم او عرض عليهم ورضى لهم ان يأخذوا جميع ماله وبذل بالمعجمة اى اعطى واما بالمهملة فبمعنى العوض (فلم يقبلوه) اى استحقارا لاصل ماله لعدم الوفاء بكماله كما بينه بقوله (ولم يكن فى ثمرها) اى ثمر البساتين المعبر عنها باصل ماله اى ثمر نخيل جابر او ابيه بكماله (كفاف دينهم) بفتح الكاف اى وفاء لادائه قال الدلجى ومنه قول الحسن ابدأ بمن تعول ولا تلام على كفاف اى اذا لم يكن عندك كفاف فلا تلام على عدم اعطائه انتهى والكفاف قوت الرزق والاظهر ان المعنى فلا تلام على تحصيل ما يكفيك من المال عن السؤال وتشتت البال ثم صدر الكلام وهو قوله ابدأ بمن تعول من حديثه عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن حكيم بن حزام (فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ان امره) اى جابرا (بجدها) بفتح الجيم وتشديد الدال المهملة اى بقطع ثمرها (وجعلها بيادر فى اصولها) بفتح الموحدة وكسر الدال المهملة جمع بيدر اى جعلها كومات تحت نخيلها (فمشى فيها) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ودعا) اى بالبركة فيه (فاوفى) اى اعطى (منه جابر غرماء ابيه وفضل) تقدم الكلام عليه وقال التلمسانى تثلث ضاده والكسر اعلى اى زاد (مثل ما كانوا يجدون) بضم الجيم وكسرها وتشديد الدال المهملة اى يقطعون (كل سنة وفى رواية مثل ما اعطاهم) اى فضل (قال) اى جابر (وكان الغرماء يهود) خبر كان غير منصرف علم طائفة من اليهود (فعجبوا) بكسر الجيم اى فتعجبوا (من ذلك) اى لما عظم موقعه عندهم مع خفاء سببه اذ هو شأن العجب وسبب تعجبهم هو وفاء دينهم الكثير من الشئ اليسير مع زيادته بدعائه وبركته فان هذا وامثاله مما ذكر سابقا ولاحقا من اجل المعجزات واعظم الكرامات (قال ابو هريرة) على ما رواه البيهقى عنه (اصاب الناس مخمصة) اى مجاعة شديدة (فقال لى رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم هل من شئ) اى هل عندك بعض شئ فمن تبعيضية لا زآئدة كما قاله الدلجى ثم تنكير شئ للتقليل
فيفيد المبالغة فى المطالبة ولو بشئ يسير اوقدر حقير (قلت نعم) اى عندى (شئ) اى قليل (من التمر فى المزود)
بكسر الميم وفتح الواو وعاء من جلد يجعل فيه الزاد (قال فائتنى به) اى فاتيته به (فادخل يده فاخرج قبضة)
بفتح القاف اى مرة من القبض بمعنى مقبوضة كالغرفة بمعنى المغروفة وهى مأخوذة من القبض وهو الاخذ بجميع
الكف وبالضم اسم للشئ المقبوض كالغرفة بالضم بمعنى المغروف والرواية بالفتح كما ذكر الحجازى وهو ملء
الكف قال الحلبى ويفتح ايضا ويؤيده ما فى القاموس القبضة وضمها اكثر ما قبضت عليه من شئ هذا
وفى نسخة بالصاد المهملة ففى القاموس قبصه تناوله باطراف اصابعه وذلك المتناول القبصة بالفتح والضم
والقبصة من الطعام ما حملت كفاك ويضم انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى ابلغ فى المعنى (فبسطها) اى بيده (ودعا بالبركة)
اى لما فيها (ثم قال ادع عشرة) اى فدعوتهم (فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة) بالنصب اى دعوتهم (كذلك)
على ما فى نسخة اى فاكلوا حتى شبعوا وهكذا بقية من هنالك (حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا) اى وتركوا
فضلهم وقد سبقت الحكمة فى الاقتصار على العشرة فى الجفنة وقيل خصت العشرة لان لها فضلا حيث ان الله
تعالى اقسم بها وفى العشر ليلة القدر وفيها ليلة النحر وفيها يوم عاشورآء وقال تعالى واتممناها بعشر وقال تلك
عشرة كاملة (وقال) وفى نسخة قال وفى نسخة ثم قال اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خذ ما جئت به) اى مع
الزيادة الحاصلة من البركة (وادخل يدك) اى فيه (واقبض منه) بكسر الموحدة (ولا تكبه) بفتح التاء وضم
الكاف وتشديد الموحدة المفتوحة وقد تضم اى لا تقلبه (فقبضت) اى فاخذت (على اكثر ما جئت به فاكلت منه
واطعمت) اى غيرى ايضا (حياة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مدة حياته (وابى بكر وعمر الى ان قتل
عثمان) وهو عام خمس وثلاثين (فانتهب منى) بصيغة المجهول اى سلب (فذهب) اى فاستمر غائبا عنى فى المكان
ولعل فقده حينئذ لفساد الزمان (وفى رواية) اى حسنة للترمذى (لقد) وفى نسخة فقد (حملت من ذلك التمر كذا وكذا)
كناية عن تعدد مقدار ما حمله (من وسق فى سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية فى غزوة تبوك) اى من
الرواية (وان التمر) بكسر الهمزة والجملة حالية (كان بضع عشرة تمرة) وروى بضعة عشر والاول اولى (ومنه) اى
ومن تكثير الطعام ببركة دعائه عليه الصلاة والسلام (ايضا) كما فى نسخة اى كما وقع مكررا فى مقام المرام
(حديث ابى هريرة) كما رواه البخارى (حين اصابه الجوع) يعنى ابا هريرة (فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم) اى
فامره ان يتبعه فتبعه (فوجد) اى النبى او ابو هريرة (لبنا) اى قليلا (فى قدح) اى صغير (قد اهدى اليه) اى الى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (وامره) اى اباهريرة (ان يدعو اهل الصفة) اى بقيتهم اليه (قال) ابو هريرة رضى الله
تعالى عنه (فقلت) اى فى نفسى (ما هذا اللبن) اى ما تأثيره (فيهم) والاستفهام بمعنى النفى اى لا يغنى من شبعهم شيأ
(كنت) اى انا وحدى (احق ان اصيب منه شربة) اى مرة واحدة واغرب التلمسانى فى قوله بضم الشين (اتقوى بها)
يعنى ولعلها تكفينى ام لا ومع هذا امتثلت الامر (فدعوتهم) اى فحضروا (وذكر) اى ابو هريرة (امر النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم له ان يسقيهم) بفتح الياء الاولى وضمها ولفظ الدلجى وامرنى ان اسقيهم ولعله نقل بالمعنى
وتغيير فى المبنى (فجعلت) اى شرعت (اعطى الرجل فيشرب حتى يروى) بفتح الياء والواو (ثم يأخذه الآخر) اى
فيشرب (حتى) يروى وهكذا حتى (روى جميعهم) بكسر الواو ولفظ الدلجى حتى رووا جميعهم بضم الواو على صيغة
الجمع (قال) اى ابو هريرة (فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح) اى قدح اللبن (وقال بقيت انا) تأكيد
لضمير بقيت ليصح عليه عطف قوله (وانت) نحو قوله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة (اقعد) امر ادب (فاشرب
فشربت ثم قال اشرب) اى فشربت كما فى اصل الدلجى (وما زال يقولها) اى كلمة اشرب (واشرب حتى قلت لا)
اى لا اشرب او لا اقدر على زيادة الشرب (والذى بعثك بالحق) اى الى كافة الخلق (ما اجد) وفى نسخة صحيحة لا اجد
(له مسلكا) اى مساغا وهو يحتمل ان يكون جوابا للقسم او مستأنفا مبينا لامتناعه كأنه علة له (فاخذ) اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم (القدح فحمد الله) اى على ما منحه من البركة (وسمى وشرب الفضلة) اى البقية وفيه ايذان
بان افضل القوم يكون آخرهم شربا ذكره الدلجى وفى الحديث ساقى القوم آخرهم شربا رواه الترمذى وابن ماجه عن
ابى قتادة وغيرهما عن غيره وفيه تنبيه ايضا على وجه حكمة تأخير ابى هريرة عن القوم مع الاعياء الى وجه اختيار
الايثار لا سيما حال المخمصة والاضطرار والله تعالى اعلم بهذه الاسرار وعن عبد الله بن الحارث عن ابيه عن ابى
عبد الرحمن السلمى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذوا عند الفقرآء ايادى فان لهم دولة قيل يا رسول
الله وما دولتهم قال ينادى يوم القيامة يا معشر الفقرآء قوموا فلا يبقى فقير الا قام حتى اذا اجتمعوا قيل ادخلوا الى

صفوف اهل القيامة فمن صنع معكم معروفا فاوردوه الجنة قال فجعل يجتمع على الرجل كذا وكذا من الناس
فيقول له الرجل الم اكسك فيصدقه ويقول الآخر يا فلان الم اكلم لك فلانا فلا يزال يخبرونه بما صنعوا اليه وهو
يصدقهم حتى يذهب بهم جميعا حتى يدخلهم الجنة فيبقى قوم لم يكونوا يصنعون المعروف فيقولون يا ليتنا كنا نصنع
المعروف حتى ندخل الجنة وعن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان ممن كان قبلكم
ملك مسرف على نفسه وكان مسلما واذا اكل طعامه طرح ثفالة طعامه على مزبلة فكان يأوى اليها عابد فان وجد
كسرة اكلها وان وجد بقلة اكلها وان وجد عرقا تعرقه قال فلم يزل كذلك حتى قبض الله ذلك الملك فادخله
النار فخرج العابد الى الصحرآء مقتصرا على بقلها ومائها ثم انه سبحانه وتعالى قبض ذلك العابد فقال له هل
لاحد عليك معروف تكافئه قال لا يا رب قال فمن اين كان معاشك وهو اعلم به منه قال كنت آوى الى مزبلة ملك
فان وجدت كسرة اكلتها وان وجدت بقلة اكلتها وان وجدت عرقا تعرقته فقبضته فخرجت الى البرية مقتصرا على
بقلها ومائها فامره تعالى ان خذ بيده فادخله الجنة من معروف كان منه اليك وهو لم يعلم به اما انه لو علم به ما ادخلته
النار (وفى حديث خالد بن عبد العزى) اى ابن سلامة الخزاعى له صحبة روى عنه ابنه مسعود الا ان حديثه ليس فى
الكتب الستة على ما فى التجريد كما ذكره الحلبى وقال الدلجى حديثه هذا رواه البيهقى عنه (انه اجزر النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم) اى اعطاه (شاة) اى تصلح للجزر وهو الذبح ولا تكون الا من الغنم فلا يقال اجزرت القوم ناقة لانها قد
تصلح لغير الذبح اذ نزل عليه بالجعرانة وظل عنده وامسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة فارسل الى رجل
من تهامة يقال له محرش بن عبد الله ليأخذ به طريقا الى مكة يأمن فيه على نفسه لخوفه من دخولها وحده فانحدر به
الى الوادى حتى بلغا اشعاب قال يا محرش من هذا المكان الى الكروما والاه فهو لخالد وما بقى من الوادى فهو لك
ثم سار به حتى قضى نسكه واحله محرش اى حلقه ثم رجعا الى خالد (وكان عيال خالد) بكسر العين اى من يموله
(كثيرا) اى عددهم (يذبح الشاة) حال او استئناف مبين لكثرتهم واللام فى الشاة للجنس فهو فى حكم النكرة اى
قد يذبح خالد شاة (فلا تبد عياله) بضم الفوقية وكسر الموحدة وتشديد الدال المهملة من بد الشئ وابده فرقه واعطى
كل واحد بدته اى نصيبه على حدته قال الهروى وفى الحديث اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا اى متفرقين واحدا
بعد واحد والمعنى لا تكفى الشاة كلهم اذا فرقت عليهم (عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر
الهمزة جملة حالية (اكل من هذه الشاة) اى التى اجزرها اياه (وجعل فضلتها) اى بقيتها (فى دلو خالد ودعا له بالبركة
فنثر) بفتح الموحدة فضم المثلثة بعدها رآء اى كثر (ذلك لعياله) وفى نسخة صحيحة بالنون والمثلثة المفتوحتين
اى انتثر ذلك لعياله حتى وسعهم وقيل اى صبه واخرجه ورمى به (فاكلوا وافضلوا) اى ودخلوا فى زيادة البركة (ذكر
خبره الدولابى) بضم الدال المهملة انصارى رازى سمع محمد بن بشار وغيره من طبقته بالحرمين والعراق ومصر
والشام وغيرها وصنف التصانيف وروى عنه ابن ابى حاتم وابن عدى والطبرانى وغيرهم قال الدارقطنى تكلموا فيه
وما تبين فى امره الا خيرا توفى بين مكة والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلثمائة هذا وقد قال ابن ماكولا
فى الاكمال ما لفظه واما خناش اوله خاء معجمة مضمومة وبعدها نون وآخره شين معجمة فهو ابو خناش خالد بن عبد
العزى فى الصحابة ذكره ابو بشر الدولابى فى كتاب الاسماء والكنى بسنده الى ان قال عن مسعود بن خالد عن خالد
ابن عبد العزى بن سلامة انه اجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله
عظما عظما وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكل منها ثم قال ارنى دلوك يا ابا خناش ووضع فيها فضلة الشاة
ثم قال اللهم بارك لابى خناش فانقلب به فنثره لهم وقال تواسعوا فيه فاكل عياله وافضلوا ذكره الحلبى (ومن حديث
الآجرى) بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد رآء وبعدها ياء نسبة صاحب كتاب الشريعة وهو ابو بكر محمد بن الحسين
ابن عبد الله البغدادى منسوب الى عمل الآجر (فى نكاح النبى صلى الله عليه وسلم لعلى فاطمة) اى فى تزويجها له
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة) اى من دقيق خبز شعير او حنطة
(وذبح جزور) اى بعير (لوليمتها) وفى نسخة ويذبح جزورا بصيغة المضارع وفى اخرى وبذبح جزور بمصدر مضاف
(قال) اى بلال (فاتيته بذلك) اى لجئت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالذى امره ان يصنعه من القصعة (فطعن
فى رأسها) اى فى اعلاها بيده لتنزل البركة عليه (ثم ادخل الناس) اى امرهم بالدخول عليه (رفقة رفقة)
بضم الرآء وجوز تثليثها اى جماعة بعد جماعة (يأكلون منها) وفى نسخة صحيحة فأكلوا منها (حتى فرغوا) اى
عنها (وبقيت منها فضلة) وفى نسخة فضلة منها اى بقية وزيادة (فبرك) بتشديد الرآء اى فدعا بالبركة (فيها وامر
بحملها الى ازواجه) اى من النساء التسع (وقال) اى لهن بعد ارساله اليهن (كلن) اى بانفسكن (واطعمن من

عشيكن) اى اتاكن وحضر عندكن فان البركة توافى كلكن (وفى حديث انس) كما رواه الشيخان (تزوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعض نسائه) قال الحلبى تقدم ان هذا كان فى ابتنائه بصفية (فصنعت اى ام سليم حيسا) بالتصغير تقدم مبناه ومعناه (فجعلته فى تور) سبق كذلك (فذهبت) اى انا وفى نسخة فبعثتنى (به) اى بالتور (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ضعه وادع لى فلانا وفلانا) اى كابى بكر وعمر خصوصا (ومن لقيت) اى من غيرهما عموما (فدعوتهم) اى المعينين جميعهم (ولم ادع) بفتح الدال اى ولم اترك (احدا لقيته) اى فى طريقى ذاهبا وآتيا (الا دعوته وذكر) اى انس (انهم) اى المدعوين والمجتمعين لا كما قال الدلجى اى الذين دعاهم (كانوا زهاء ثلثمائة) اى مقدارهم تقريبا (حتى ملأ والصفة والحجرة فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحلقوا) بفتح اللام المشددة اى استديروا كالحلقة المفرغة (عشرة عشرة) اى كل عشرة حلقة او كل حلقة عشرة (ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) اى المسمى بالحيس الذى صنعته ام سليم وجاء به انس اليه عليه الصلاة والسلام (فدعا فيه) اى بما شاء الله من الدعاء (وقال ما شاء الله ان يقول) اى من اصناف الاسماء وانواع الثناء (فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لى ارفع) فرفعته (فما ادرى حين وضعت كانت اكثر ام حين رفعت) بصيغة المجهول فيهما ولا يبعد ان يضبط بصيغة المتكلم المعلوم وتأنيث الضمير مع انه راجع الى التور باعتبار الآنية ووقع فى اصل الدلجى وضع ورفع بصيغة التذكير فيتعين كونهما للمفعول كما لا يخفى (واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة) اى التى اولها فصل نبع الماء من بين اصابعه (فى الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل) وفى نسخة حديث الفصل هذا ووقع فى اصل الدلجى حديث هذه الفصول (بضعة عشر) بكسر الباء وتفتح اى ثلاثة عشر او اكثر (من الصحابة) واما قول الجوهرى تقول بضع سنين وبضعة عشر رجلا فاذا جاوزت العشر لا تقول بضع وعشرون فهو منقوض بقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بضع وعشرين درجة وبقوله فى حديث مسلم وغيره الايمان بضع وسبعون شعبة (رواه عنهم) اى روى معنى حديث هذا الفصل او هذه الفصول عمن ذكر من الصحابة (اضعافهم من التابعين ثم) اى بعدهم رواه عن اضعافهم منهم (من لا يعد) بصيغة المجهول اى لا يحصر وفى نسخة لا يعد (بعدهم) اى من تابعيهم (واكثرها) اى واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة (وردت فى قصص مشهورة) بكسر القاف اى حكايات مأثورة (ومجامع مشهودة) اى محضورة مما تقدم فيها (ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق) اى على وفق الصدق حذرا من التكذيب فى رواية منها (ولا يسكت الحاضر لها) اى المشاهد لها (على ما انكر منها) حذرا من ان ينسب اليه ما لا يليق بجنابه

(فصل)

(فى كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى المصنف (حدثنا احمد ابن محمد بن غلبون) بفتح فسكون فضم موحدة وهو منصرف وقد يمنع بناء على ان مطلق المزيدتين علة عدم الانصراف (الشيخ الصالح فيما اجازنيه) هذه لغة حكاها ابن فارس والمعروف اجازه لى ذكره الحلبى وغيره (عن ابى عمر) وفى نسخة ابى عمرو بالواو (الطلمنكى) بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة (عن ابى بكر المهندى) بكسر الدال (عن ابى القاسم البغوى) بفتحتين وهو الحافظ الكبير المسند البغوى الاصل البغدادى ابن بنت احمد ابن منيع البغوى روى عن احمد بن حنبل عاش مائة وثلاث سنين وتوفى ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلثمائة وله ترجمة فى الميزان وقال فى آخرها وهذا الشيخ الحجازى يعنى به ابا العباس احمد بن الشحنة راوى صحيح البخارى وغيره بينه وبين البغوى اربعة انفس وهذا شئ لا نظير له فى الاعصار وذلك ان الحجازى توفى سنة ثلاث وسبعمائة فيكون بين وفاته ووفاة البغوى اربعمائة سنة وبضع عشرة (حدثنا احمد بن عمران الاخنسى) بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن ابى الدنيا وغيرهم (ثنا ابو حيان) بتشديد التحتية (التيمى) وفيه ان الاخنسى لم يدركه على ما صرح به المزى ولعله اسقط محمد بن فضيل ويؤيده انه وجد فى نسخة صحيحة قبله ثنا محمد بن فضيل ويؤيده ما سيأتى مما ساق المصنف فى اول فصل فى الآيات فى ضروب الحيوانات حديثا فى اسناده حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد ابن فضيل الخ والله تعالى اعلم (وكان) اى ابو حيان (صدوقا) وقد روى عن ابى زرعة والشعبى وعنه يحيى القطان وابو اسامة اخرج له الائمة الستة (عن مجاهد) تابعى جليل (عن ابن عمر) وقد رواه الدارمى والبيهقى والبزار ايضا عنه (قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر فدنا) اى قرب (منه اعرابى) اى بدوى (فقال يا اعرابى اين تريد قال اهلى) اى اريد اهلى او اهلى اريدهم وفى نسخة الى اهلى اى مرادى التوجه اليهم (قال هل لك) اى ميل ورغبة (الى خير) اى من اهلك او خير محض لك فى حالك ومآلك (قال وما هو) اى ذلك الامر او الخير (قال تشهد) اى

ان تشهد اى شهادتك او خبر معناه امر اى اشهد (ان) مخففة من المثقلة حذف اسمها اى انه (لا اله) موجود او معبود او مشهود (الا الله وحده) حال مؤكدة اى متوحدا او منفردا (لا شريك له) اى فى وحدانية ذاته وسبحانية صفاته (وان محمدا عبده ورسوله) الى كافة مخلوقاته (قال من يشهد لك على ما تقول) اى من دعوى التوحيد والرسالة (قال هذه الشجرة السمرة) بفتح فضم وهى بدل مما قبلها فانها من الطلح شجر عظام من العضاه له شوك كثير وظل يسير قالوا وهو شجر الصمغ العربى (وهى بشاطئ الوادى) اى طرفه وجانبه (فاقبلت) اى بمجرد قوله عليه الصلاة والسلام هذه الشجرة تشهد على حقية الاسلام وفى نسخة صحيحة فادعها فانها تجيبك وفى اخرى تجبك قال اى الاعرابى فدعوتها فاقبلت وهذا ابلغ فى قبول الاجابة والمعنى فشرعت الشجرة فى الاتيان اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ومنه الاخدود وهو الشق فى الارض اى حال كونها تشق الارض وتسعى اليه على ساق بلا قدم (حتى قامت) اى وقفت كما فى نسخة (بين يديه فاستشهدها ثلاثا) اى طلب منها ان تشهد ثلاث مرات (فشهدت) اى ثلاثا (انه) اى الامر (كما قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام ان الله واحد لا شريك له وانه عبد الله ورسوله (ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة) بالتصغير وهو ابن الحصيب بن عبد الله الاسلمى اسلم حين مر به عليه الصلاة والسلام مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق وشهد الحديبية ومات بمدينة مرو بخراسان غازيا واما بريدة بن سفيان الاسلمى فلا صحبة له وان ذكره بعضهم فى الصحابة بل هو تابعى متكلم فيه كما رواه البزار عنه انه قال (سأل اعرابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية) اى علامة تكون معجزة دالة على صدق الرسالة (فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال) اى بريدة (فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها و بين يديها وخلفها) اى من جهاتها كلها واضطربت فى مكانها وارتفعت فى شأنها متوجهة بجميع دواعيها الى داعيها (فتقطعت عروقها) اى المتعلقة باصولها (ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها) حالان متداخلان او مترادفان (مغبرة) بتشديد الراء او الباء (حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله) قال الدلجى لعله صلى الله تعالى عليه وسلم رد عليها السلام مكافأة لها لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى وتعليله غير مستقيم كما لا يخفى (قال) وفى نسخة فقال (الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها) بكسر الموحدة سماعا وتفتح قياسا (فرجعت) اى بعد امره لها (فدلت عروقها) بتشديد اللام اى ارسلتها ومكنتها (فى ذلك) اى المكان قال التلمسانى الموضع سقط عند العرفى وثبت عند غيره (فاستوت) اى قائمة (فقال الاعرابى ائذن لى) يقرأ فى الوصل بسكون همزة الاصل وفى الابتداء بهمزة الوصل وابدال همزة الاصل بالياء اى مرنى (اسجد لك) جواب الامر وفى نسخة صحيحة ان اسجد لك (قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد) اى غير الله سبحانه وتعالى (لامرت المرأة ان تسجد لزوجها) اى لما عليها من حقوقه (قال فائذن لى) وفى نسخة فقال ائذن لى (اقبل) وفى نسخة ان اقبل (يديك ورجليك فاذن له) اى فقبلها (وفى الصحيح) اى صحيح مسلم (فى حديث جابر بن عبد الله) اى الانصارى كما فى نسخة وهما صحابيان جليلان (الطويل) نعت الحديث (ذهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقضى حاجته) كناية عن فعل الغائط او البول (فلم ير شيئا يستتر به) اى من عيون الانس والجن فتحير فى امره (فاذا بشجرتين) اى ثابتتين او نابتتين (بشاطئ الوادى) اى فى جانبه (فانطلق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذهب (الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال) اى لها كما فى نسخة (انقادى على) اى استسلمى لى واطيعينى (باذن الله) اى بامره وتيسيره (فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده) اى يلاينه وينقاد له وهو بالخاء والشينين المعجمات الذى جعل فى انفه خشاش وهو بالكسر عود يربط عليه حبل ويجعل فى انفه ويشد به الزمام لينقاد بسهولة ثم ان كان من شعر فهو خزامة او من صفر او حديد فهو برة بضم موحدة فتخفيف راء (وذكر) اى جابر (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فعل بالاخرى) اى من الشجرتين (كذلك) اى مثل ما فعل بالاولى (حتى اذا كان بالمنصف) بفتح الميم واسكان النون وفتح الصاد وتكسر اى وسط الطريق (بينهما) اى بين موضعيهما وهو بيان او تأكيد (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للشجرتين (التئما) اى اجتمعا وانضما (على باذن الله فالتأمتا وفى رواية اخرى) اى لمسلم وغيره (فقال يا جابر قل لهذه الشجرة) اى التى بشاطئ الوادى (يقول لك رسول الله الحقى) بفتح الحاء اى اجتمعى واتصلى (بصاحبتك) اى بنظيرتك وهى الشجرة التى فى مقابلتك (حتى اجلس خلفكما) اى فاقضى حاجتى مستترا بكما وفى اصل الدلجى حتى يجلس بناء على المعنى (ففعلت فرجعت) اى الشجرة عن حالتها التى كانت عليها وفى نسخة فزحفت بالزاى والحاء المهملة والفاء اى انتقلت من محلها (حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما) الظاهر ان القضية متكررة وان الشجرة الواحدة ما كانت تصلح ان تكون سترة (فخرجت احضر) بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وكسر المعجمة اى

اعدو واجرى وانما فعل ذلك رضى الله تعالى عنه لئلا يحس به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قريب منه فيتأذى بقربه (وجلست احدث نفسى) اى بهذا الامر الغريب والحال العجيب (فالتفت) اى فنظرت الى احد طرفى (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فاجأنه بغتة فابصرته (مقبلا والشجرتان قد افترقتا) اى من محل اجتماعهما وانتقلتا الى موضعهما (فقامت كل واحدة منهما على ساق) اى فى منبتها (فوقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقفة) اى خفيفة (فقال برأسه) اى فأماله اوفا وما به الى الشجرتين (هكذا يمينا وشمالا) تفصيل لماقبله اجمالا ولعله كان وداعا للشجرتين اولمن هنالك من الملائكة واما قول الدلجى وقد تبعه التلمسانى اذنا منه لهما بالرجوع الى مكانهما فيأباه الفاء كما لا يخفى على اهل الوفاء (وروى اسامة بن زيد نحوه) اى كما رواه البيهقى وابو يعلى بسند حسن عنه (قال قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) اى غزواته (هل تعنى) بالفوقية اى تقصد وتعين (مكانا لحاجة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لقضاء حاجته فيه وتصحف الدلجى وضبط لفظ يعنى بالتحتية وتكلف بقوله هل استفهام اكتفى به عن المستفهم عنه استهجانا للتصريح باسمه ومن ثمة بينه الراوى بقوله يعنى مكانا للحاجته ثم هذا انما يصح بناء على نسخة هل ترى يعنى مكانا الخ وقد تبعه التلمسانى فقال اى ترى اوتجد وهو اما حذفه للعلم به واما حذفه الراوى لانه لم يسمعه اولم يفهمه اولم يجده فى اصله انتهى وكله تكلف وتعسف مستغنى عنه (قلت ان الوادى ما فيه موضع بالناس) اى ليس فيه مكان مستقر بهم بل كله خال عنهم فالتفت الى كلامه حيث لم يكن على وفق مرامه (فقال هل ترى من نخل او حجارة) اى ولو فى بعد واغرب التلمسانى فى قوله ان بالناس معمول ان اى غاص اوملئان اوعامر او كائن وكائن بعيد هنا ثم قال موضع يستتر فيه اويقضى الحاجة وحذف للعلم به (قلت ارى نخلات) بفتح الخاء (متقاربات) بكسر الراء وتفتح وفى اصل التلمسانى مقاربات (قال انطلق وقل لهن رسول الله) وفى نسخة ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لتستره بكن (وقل للحجارة) اى لجنسها من الحجارات هنالك (مثل ذلك) اى كما قلته للنخلات من الاتيان لمخرجه (فقلت لهن ذلك فوالذى بعثه بالحق) فيه تلويح الى جواز القسم بالامر العظيم ذكره الدلجى والصواب انه قسم بفعل الله الكريم (لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة) اى ورأيت الحجارة (يتعاقدن حتى صرن ركاما) بضم الراء اى متراكمة بعضها فوق بعض (خلفهن) اى وراء النخلات (فلما قضى حاجته قال لى قل لهن) اى لمجموع النخلات والحجارات (يفترقن) اى ليفترقن او مجزوم على جواب الامر مبالغة فى تأثيره لهن نحو قوله تعالى قل للذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية ثم قال جابر (والذى نفسى بيده) وغاير بين القسمين تفننا (لرأيتهن) اى النخلات والحجارة (يفترقن) اى بجميع افرادهن (حتى عدن) بضم العين اى صرن على حالهن ورجعن (الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة) بسين مهملة بعدها تحتية مخففة مفتوحتين فالف فموحدة اسم امه وابوه مرة وله صحبة ايضا حضر الحديبية وخيبر والفتح والطائف وفى تجريد الذهبى ان يعلى بن مرة بن وهب الثقفى بايع تحت الشجرة وله دار بالبصرة ولم يتعرض لكونه ابن سيابة وقد ذكره فى التهذيب فجعلهما واحدا وكذا المزى جعلهما واحدا ثم قال وزعم ابو حاتم انهما اثنان انتهى وسيأتى قريبا فى كلام المصنف ما يؤيد الاول وقد روى حديثه هذا احمد والبيهقى والطبرانى بسند صحيح عنه انه قال (كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسير) اى سير سفر (وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر) اى يعلى (فامر) اى المصطفى (وديتين) بفتح الواو وكسر الدال المهملة وتشديد التحتية اى نخلتين صغيرتين وضبطهما الشمنى بفتح الواو فسكون الدال وتخفيف الياء (فانضمتا) اى اجتمعتا وفى اصل الحجازى فانضما قال وصححه المزى بالتأنيث وكذا رأيته فى النسخ المصححة (وفى رواية اشائتين) بفتح الهمزة والشين المعجمة الممدودة بمعنى وديتين وضبط فى نسخة بكسر الهمزة وهو سبق قلم مخالف لما فى كتب اللغة (وعن غيلان بن سلمة الثقفى) بفتحتين نسبة الى قبيلة ثقيف وغيلان هذا بفتح الغين المعجمة اسلم بعد الطائف وله عشر نسوة فامره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمسك اربعا ويفارق سائرهن فذهب فقهاء الحجاز الى انه يختار اربعا كما شاء وفقهاء العراق الى ان يمسك الاربع التى تزوجها اولا وهو ممن وفد على كسرى وخبره معه عجيب قال له كسرى ذات يوم اى ولدك احب اليك فقال له غيلان الصغير حتى يكبر والمريض حتى يبرأ والغائب حتى يؤوب فقال له كسرى زه مالك ولهذا الكلام هذا من كلام الحكماء وانت من قوم جفاة لا حكمة فيهم فما غذاؤك قال خبز البر قال هذا العقل من البر لا من اللبن والتمر وكان شاعرا توفى فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه (مثله) اى نحو ما سبق من مروى غيره (فى شجرتين) اى من اجتماعهما وافتراقهما (وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثله فى غزاة حنين) بفتح الغين اى غزوته (وعن يعلى بن مرة) وهو ابوه

(وهو ابن سيابة) وهى امه (ايضا) اى هما واحد لا اثنان كما توهم بعضهم (وذكر) اى يعلى (اشياء) اى من خوارق العادات (رآها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ان طلحة) بالتنوين واحدة الطلح شجر عظيم من شجر العضاة وبه سمى طلحة (او سمرة) تقدم انها بضم الميم وانها من شجر الطلح فاوشك من الراوى كذا قرره الشراح وارادوا الشك فى رواية المبنى مع اتحاد المعنى والاظهر ان السمرة نوع خاص من جنس شجر الطلح ويحتمل ان يكون او بمعنى بل (جاءت) اى احداهما او اخراهما (فاطافت به) اى المت به وقاربته على ما فى القاموس وفى اصل الدلجى فطافت به اى دارت حوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) اى الشجرة المذكورة (استأذنت) اى ربها (ان تسلم على) اى فأذن لها فجاءت وسلمت (وفى حديث عبد الله بن مسعود) اى عند الشيخين (آذنت) بهمزة ممدودة وفتح الذال والنون اى اعلمت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجن) اى باتيانهم اليه وحضورهم لديه (ليلة استمعوا له) اى لقرآنه او لكلامه (شجرة) فاعل آذنت وهى سمرة على ما فى بعض السنن قال الدلجى وفيه تلويح بانه لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته انتهى وفيه انه ثبت تصريح بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم للقرآءة عليهم وقد اخبر ببعض صورهم مما رآه لديهم نعم فيه ايماء باتيان الشجرة فى حضورهم حال الابتداء (وعن مجاهد عن ابن مسعود) نقل الحافظ العلاء عن ابى زرعة انه مرسل ولا مضرة فانه عند الجمهور حجة (فى هذا الحديث) اى المتقدم آنفا (ان الجن قالوا من يشهد لك) اى بانك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (قال هذه الشجرة) اى الحاضرة (تعالى يا شجرة) بفتح اللام وسكون الياء وقد تكسر لامه كما قرئ فى تعالوا بالضم واغرب التلمسانى حيث جزم بان اللام مكسورة واقتصر عليها اى ارتفعى الى عن مقامك واطلبى من عندى مرامك (فجاءت تجر عروقها) اى من محل اصولها (لها) اى لعروقها (قعاقع) بفتح القاف الاولى وكسر الثانية جمع قعقعة وهى حكاية حركة شئ يسمع له صوت من سلاح ونحوه (وذكر) اى مجاهد او ابن مسعود (مثل الحديث الاول) اى فى مبناه (او نحوه) اى باعتبار معناه من اتيان الشجرة وبيان الشهادة ورجوعها الى مكانها الاول فتأمل (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد) راعى الترتيب بينهم لا باعتبار مراتبهم بل على حسب رواياتهم لكن كان حقه على هذا ان يقدم اسامة ويعلى على ابن مسعود والا فهو اجل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة ثم قوله (وانس بن مالك وعلى بن ابى طالب وابن عباس) بناء على ما سيأتى عنهم وقوله (وغيرهم) اى كالحسن وابن فورك وابن اسحق من الائمة المذكورين هنا ومنهم عمر او عمرو على اختلاف فيهما (قد اتفقوا على هذه القصة نفسها) اى باعتبار مبناها او معناها (ورواها عنهم من التابعين اضعافهم) اى فى العدة لا فى الرتبة (فصارت فى انتشارها) اى فشو هذه القصة (من القوة حيث هى) اى على حالها الاول (وذكر ابن فورك) بضم الفاء يصرف ويمنع وهو الاظهر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم سار فى غزوة الطائف) وهى كانت فى السنة الثامنة بعد الفتح وبعد حنين وفى اصل الدلجى زيد وحنين (ليلا) اى من الليالى (وهو وسن) بفتح الواو وكسر المهملة صفة مشبهة من الوسن بفتحتين وهو اول النوم ومقدمته ومنه السنة واصلها الوسنة كالعدة والمعنى ليس بمستغرق فى النوم بل هو نعسان (فاعترضته) اى ظهرت فى عرض وجهه (سدرة) اى وهو سائر (فانفرجت له نصفين حتى جاز) اى جاوز (بينهما وبقيت) اى تلك الشجرة (على ساقين) اى من غير التئام لهما (الى وقتنا) اى هذا كما فى نسخة (وهى) اى تلك الشجرة (هنالك) اى فى طريق الطائف (معروفة معظمة) قلت ولعلها كانت واما فى زماننا هذا فليست مشهورة (ومن ذلك) اى ومن قبيل ما ذكر من اجابة الشجرة (حديث انس) كما رواه ابن ماجه والدارمى والبيهقى عنه (ان جبريل قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورآه) اى وقد رأى جبريل النبى عليهما الصلاة والسلام (حزينا) اى من تكذيب قومه له فالجملة حال من ضمير قال (اتحب ان اريك آية) اى علامة على صحة نبوتك وصدق رسالتك (قال نعم) اى احب ان ترينى آية من آيات ربى ليطمئن قلبى (فنظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى شجرة) اى بعيدة كائنة (من وراء الوادى) اى الذى كان فيه والمعنى من قدامه او خلفه (فقال) اى لجبريل ويحتمل عكس هذا القيل (ادع تلك الشجرة) اى فدعاها (فجاءت تمشى) اى اليه (حتى قامت) اى وقفت (بين يديه قال) كامر (مرها فلترجع) اى الى منبتها كما فى نسخة وفى نسخة الى مكانها اى فامرها بالرجوع الى محلها (فعادت الى مكانها) اى مما كانت فيه اى فى ابتداء حالها (وعن على نحو هذا) اى الحديث الذى رواه انس (ولم يذكر) اى على (فيه) اى فى مرويه وفى نسخة فيها اى فى هذه الرواية (جبريل) يعنى بل فيه (قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه ابو نعيم عنه (اللهم ارنى آية) اى معجزة اطمئن بها وادفع الحزن عنى بسببها ويكون من جملة نعمها (لا ابالى) اى لا اكترث ولا احزن

(من كذبنى بعدها فدعا شجرة) اى بجانبه (وذكر) اى على (مثله) اى مثل حديث انس (وحزنه صلى الله تعالى
عليه وسلم لتكذيب قومه) اى لا لضيق حاله وقلة ماله فكان حزنه لامر دينه ومرضاة ربه فان قلت سبق فى حديث
هند ابن ابى هالة ان ابن القيم قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجوز ان يكون حزنه على الكفار لان الله
تعالى قد نهاه عنه قلت لعل الحزن فى الحديث المفسر هنا قبل النهى عن حزنه على الكفار على ان حزنه
لتكذيب قومه لا يلزم ان يكون حزنا عليهم لجواز ان يكون لما نسبوه اليه مما هو معصوم منه وهو الكذب عليه
(فطلبه) بالرفع اى واستدعاؤه (الآية) اى المعجزة (لهم) اى لاستقامة امته اواقامة حجته (لاله) اى
لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكمال يقينه فى معرفته وعدم تردد فى طويته (وذكر ابن اسحق) اى
امام المغازى وكذا رواه ابو نعيم عن ابى امامة (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارى ركانة) بضم الراء وهو
ابن عبد يزيد صحابى صارعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وامار كانة المصرى الكندى غير منسوب فمختلف
فى صحبته كذا حققه الفيروزابادى (مثل هذه الآية) اى المعجزة (فى شجرة دعاها) اى طلبها (فأتت) اى جاءت اليه
(حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعى فرجعت) اى الى محلها (وعن الحسن) اى برواية البيهقى مرسلا (انه عليه الصلاة
والسلام شكا الى ربه من قومه) اى بعضهم (وانهم يخوفونه) اى بضربه اوحبسه او اخراجه اوقتله (وسأله آية) اى
علامة (يعلم بها) اى يزيد علمه بها ويطمئن قلبه بسببها (ان لا مخافة عليه) ان مخففة من المثقلة اى انه كذا ذكره الدلجى
والظاهر ان ان هنا مصدرية ومحلها نصب على المفعولية والمعنى يعرف بها عدم المخافة عليه من ايصال اذيتهم اليه
(فاوحى اليه) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل وفى اخرى فاوحى الله اليه (ان ائت وادى كذا) وروى
أرأيت وادى كذا اى ابصرت اوعلمت وان مصدرية اوتفسيرية (فيه شجرة) اى عظيمة وهى بالرفع مبتدأ خبره
الجار قبله قال التلمسانى او بالنصب بفعل مضمر اى فانظر فيه شجرة اواطلب انتهى ولا يخفى تكلفه بل تعسفه كما يدل
عليه قوله (فادع غصنا منها) اى من الشجرة او اغصانها (يأتك) وفى نسخة يأتيك باثبات الياء على انه مرفوع
او مجزوم على لغة (ففعل) اى ما ذكر (فجاء) اى الغصن منها (يخط الارض خطا) اى يشقها شقا باثرها فى الاتيان
اليه (حتى انتصب) اى وقف (بين يديه) اى امامه وقدامه واغرب التلمسانى حيث فسر انتصب بقوله حبس وغرابته
من جهة المبنى والمعنى لا تخفى (فحبسه ماشاء الله) اى من زمان بقائه لديه (ثم قال له ارجع كما جئت) اى على وجه
خرق العادة (فرجع) اى يخط الارض خطا حتى قام بمنبته (فقال يا رب علمت ان لا مخافة على) اى بعد اراءتك لى
هذه الآية وكان صاحب البردة اشار الى هذه الزبدة بقوله

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط فى اللقم

(ونحو منه) اى من مروى الحسن كما رواه البزار وابو يعلى والبيهقى بسند حسن (عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى
ابن الخطاب وفى نسخة عن عمرو اى ابن العاص (وقال) اى احدهما (فيه) اى فى مرويه او وقال النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فى دعائه بعد قوله اللهم (ارنى آية لا ابالى من كذبنى بعدها وذكر) وفى نسخة فذكر اى الراوى المختلف فيه
بقية الحديث (نحوه) اى نحو ما رواه الحسن (وعن ابن عباس) كما رواه البخارى فى تاريخه والدارمى والبيهقى
(انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاعرابى ارأيت) اى اخبرنى (ان دعوت هذا العذق) بكسر العين المهملة
وسكون الذال المعجمة اى العرجون بما فيه من الشماريخ والعرجون عود العذق الذى تركبه الشماريخ وهى العيدان
التى عليها البسر والعذق بالفتح النخلة كلها (من هذه النخلة) اى الحاضرة واجابنى (اتشهد انى رسول الله قال نعم
فدعاه فجعل ينقز) بضم القاف ويكسر وبالزاى اى فشرع يثب اليه متوجها لديه (حتى اتاه) اى اتى النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم (فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذى) بتشديد الراء اى اخرجه فى جامعه (وقال هذا حديث
صحيح) ووقع فى اصل الدلجى وغيره حسن صحيح فقيل جمع بينهما لروايته من طريقين احداهما تقتضى صحته
والاخرى حسنه اوحسن لذاته صحيح لغيره باعتبار تعاضد رواياته اوحسن لغة صحيح حجة

(فصل)

(فى قصة حنين الجذع له صلى الله تعالى عليه وسلم ويعضد) بضم الضاد اى يقوى ويؤيد (هذه الاخبار) اى الاحاديث
السابقة الواردة فى كلام الاشجار ومجيئها الى سيد الاخيار (حديث انين الجذع) وفى نسخة حنين الجذع اى شوقه
اليه وبكائه لديه صلى الله تعالى عليه وسلم والجذع بكسر الجيم اصل النخلة والمراد به هنا ما كان من عمد المسجد
وكان يتكئ عليه حال الخطبة وسيجئ بقية القصة (وهو) اى وحديثه هذا (فى نفسه) اى باعتبار مبناه (مشهور)

اى عند السلف (منتشر) اى عند الخلف (والخبر به) اى بانينه وحنينه باعتبار معناه (متواتر) اى يفيد العلم القطعى
لمن اطلع على طرق الحديث الآحادى المفيد بانفراده العلم الظنى قال الحلبى وكذا قال غيره انه متواتر وقد ابعد التلمسانى
حيث قال اراد به التواتر اللغوى يقال تواترت الكتب اى جاء بعضها فى اثر بعض من غير ان ينقطع والاول
اظهر فتدبر وقد قال السهيلى حديث خوار الجذع وحنينه منقول بالتواتر لكثرة من شاهد خواره من الخلف
وكلهم نقل ذلك او سمعه من غيره فلم ينكره انتهى وسيبه ما بينه المصنف بقوله (قد خرجه) بتشديد الراء اى اخرجه
(اهل الصحيح) اى ممن التزم الصحة فى رواياته الواردة فى كتابه كالبخارى ومسلم وابن حبان وابن خزيمة (ورواه من
الصحابة بضعة عشر) بكسر الموحدة وتفتح اى ثلاثة او اكثر الى تسعة اذ البضع منها اليها (منهم) اى بعضهم وهم
عشرة منهم (ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة وقد رواه عنه الشافعى وابن ماجه والدارمى والبيهقى (وجابر بن عبد
الله) اى الصحابى ابن الصحابى وسيأتى حديثه (وانس بن مالك) وهو خادمه عليه الصلاة والسلام وحديثه فى الترمذى
وصححه (وعبد الله بن عمر) وهو اشهر من ان يذكر (وعبد الله بن عباس) اى عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وسهل
ابن سعد) الساعدى رضى الله تعالى عنهما وحديثه رواه الشيخان (وابو سعيد الخدرى) رواه عنه الدارمى (وبريدة)
بالتصغير وقد سبق ذكره (وام سلمة) اى ام المؤمنين رواه عنها البيهقى (والمطلب) بتشديد الطاء (ابن ابى وداعة)
بفتح الواو وهو من مسلمة الفتح وقد رواه عنه الزبير بن بكار فى اخبار المدينة (كلهم) اى جميع المذكورين وغيرهم
(يحدث) افرد ضميره باعتبار لفظ كل اى يحدثون (بمعنى هذا الحديث) اى وان كانت الفاظهم مختلفة فى باب التحديث
وعلى هذا المبنى حصل التواتر فى المعنى (قال الترمذى وحديث انس صحيح) اى اسناده (قال) وفى نسخة وقال (جابر)
اى ابن عبد الله كما فى نسخة صحيحة (كان المسجد) اى مسجد المدينة وهو المسجد النبوى (مسقوفا على جذوع نخل)
بمعنى نخيل فانه اسم جنس ثم بناه عمر ثم عثمان رضى الله تعالى عنهما (وكان) وفى نسخة فكان (النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) اى دائما او غالبا (اذا خطب يقوم الى جذع) اى معين (منها) اى من تلك الجذوع (فلما صنع له
المنبر) بصيغة المجهول وقد صنعه له غلام امرأة من الانصار او غيره من اثل الغابة وله ثلاث درجات (سمعنا لذلك
الجذع صوتا كصوت العشار) بكسر مهملة فمعجمة جمع عشراء بضم وفتح ممدودة وهى الناقة الحامل او التى
اتى لحملها عشرة اشهر على القول الاشهر وظاهر هذا الحديث ان الجذع بمجرد صنع المنبر قبل طلوع سيد البشر صدر
منه البكاء لما احس من علامة قرب البعد عن مقام دنا وحال الاتكاء (وفى رواية انس) اى وهى قوله فلما قعد على المنبر
خار الجذع كخوار الثور اى صاح كصياحه (حتى ارتج) بتشديد الجيم اى اضطرب وارتعد (المسجد) اى باهله (لخواره)
بضم الخاء المعجمة وبالواو وفى نسخة بالباء السببية بدل اللام للعلة وفى نسخة بضم الجيم فهمزة مفتوحة بعدها الف
وهو اظهر فى هذا المقام باعتبار تمام المرام ففى القاموس جأر جؤارا اذا رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث والبقرة
والثور صاحا واما الخوار بضم الخاء المعجمة من صوت البقر والغنم والظباء والسهام انتهى قال الحجازى واما بالخاء
المعجمة والواو المخففة فصياح الثور ولا اعلم به رواية انتهى والحلبى جعله اصلا ونسب الاول الى نسخة فى الهامش
واليمنى اقتصر على الثانى وجوز الشمنى الوجهين والحاصل ان رواية الجيم اعم وفى الدراية اتم والله تعالى اعلم
(وفى رواية سهل) اى ابن سعد الساعدى (وكثر بكاء الناس لما رأوا به) اى من الحنين والانين من جهة التبعد عن
خدمة سيد المرسلين اومن خشيته من التنزل فى درجته وهو بكسر اللام وتخفيف الميم و يجوز بفتح اللام وتشديد
الميم كما قرئ بهما فى قوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا (وفى رواية المطلب) اى ابن ابى وداعة السهمى
وزيد فى نسخة صحيحة وابى ويشير اليه قول الحلبى وهو بضم الهمزة وفتح الموحدة ثم ياء مشددة (حتى تصدع) بتشديد
الدال اى تشقق (وانشق) عطف تفسير قاله الدلجى وغيره والاظهر ان المعنى واستمر على انشقاقه (حتى جاء) اى اتاه
(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوضع يده عليه) اى تسلية لما لديه (فسكت) اى حيث سكن اليه وسيأتى فى رواية انه
عانقه بيديه (زاد غيره) اى غير المطلب ومن معه وقال الدلجى فى رواية الشافعى عن ابى بن كعب فقال النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (ان هذا بكى لما فقد) بالوجهين اى بعد (من الذكر) اى الموعظة البليغة فى الخطبة ومنه قوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله (وزاد غيره) اى غير ذلك الغير وفى رواية ابى يعلى عن انس (والذى نفسى بيده) اى بتصرف قدرته
وقبضة ارادته (لو لم التزمه) اى اعتنقه (لم يزل هكذا) اى باكيا (الى يوم القيامة تحزنا) بضم الزاى اظهارا للحزن
الزائد على الصبر (على رسول الله) اى على فراقه (صلى الله عليه وسلم) وما احسن من قال من بعض ارباب الحال

الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

(فامر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدفن تحت المنبر) اى حتى يقرب الى الذكر وما يتبعه من اثر الخير

(كذا فى حديث المطلب) اى السهمى (وسهل بن سعد) اى الساعدى (واسحق) اى ابن عبد الله ابن ابى طلحة وهو تابعى روى عن ابيه وعدة وعنه مالك وابن عيينة وجماعة وهو حجة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن انس) وهو عمه من امه (وفى بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره اوجعلت فى السقف) اى فى سقف المسجد شك من الراوى ولعل وجه التأنيث كونه جذع النخلة فاكتسب التأنيث من الاضافة وفى اصل التلمسانى فدفن قال وفى طريق فدفنت فاراد الخشبة وقال البرقى انما دفنه وهو جماد لانه صار فى حكم المؤمن لحبه وحنينه قلت ولعل دفنه تحت منبره ليكون على قربه ولا يحرم من سماع ذكره واما المنبر فقد احترق اول ليلة من رمضان سنة اربع وخمسين وستمائة وكان ذلك على الناس من اعظم مصيبة (وفى حديث ابى) اى ابن كعب (فكان) اى اولا (اذا صلى النبى صلى الله عليه وسلم صلى اليه) وهو لا ينافى انه عند خطبته كان يعتمد عليه (فلما هدم المسجد) اى عند ارادة تجديده وتوسيعه فى تجديده وهو فى خلافة عثمان رضى الله عنه ليزيد فيه من جهة القبلة توسعة للامة او فى ايام اباحة يزيد المدينة فى احد الايام الثلاثة (اخذه ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض) كذا فى النسخة المصححة والمراد بها الدابة التى يقال لها الارضة سميت بفعلها واضيفت اليه فى آية سبأ بقوله دابة الارض تأكل منسأته قال المزى المشهور عند اهل الحديث الارضة (وعاد رفاتا) بضم الراء ففاء فتاء فوقية اى وصار دقاقا وفتاتا قال الحلبى قوله الى ان اكلته الارض كذا فى النسخة التى وقفت عليها بالشفاء والحديث المذكور اعنى حديث ابى وهو مطول فى مسند احمد وفيه الارضة وهى دابة تأكل الخشب وهو باختصار فى سنن ابن ماجه فى الصلاة انتهى وهذا يدل على تصحيح رواية جعله فى السقف وينبغى ان يحمل رواية دفنه تحت منبره بعد ان اكلته الارض عند ابى حفظا له عن تفرقه وصونا له عن مهانته وتحرقه وما احسن مناسبة ما تحت منبره كون قبره لحصول دوام ذكره وتمام شكره فان منبره على حوضه وحوضه داخل فى روضه (وذكر الاسفرائنى) بكسر الهمزة وسكون السين وفتح الفاء وكسر فراء ممدودة فهمزة فنون فياء نسبة الى بلد فى العجم فى خراسان وفى نسخة بنون بين يائين والظاهر ان المراد به ابو اسحق ويحتمل انه ابو حامد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه الى نفسه لجاءه يخرق) بضم الراء وكسرها اى يشق (الارض فالتزمه) اى اعتنقه تودعا منه (ثم امره فعاد الى مكانه) والحاصل ان قصة حنين الجذع واحدة لرجوعها الى معنى واحد فى المآل وما وقع فى الفاظها من اختلاف الاقوال مما ظاهره التغاير الموجب للاشكال فمن تفاوت تقول الرجال والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (وفى حديث بريدة فقال يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطابا للجذع (ان شئت اردك الى الحائط) اى البستان (الذى كنت فيه) اى اولا على حالك قبل ان تصير محولا كما بينه بقوله (ينبت لك) بصيغة الفاعل ويجوز بالبناء للمفعول اى يخرج لك (عروقك) وتنبت فى محل اصولك (ويكمل) بفتح فسكون فضم وبضم ففتح فتشديد ميم مفتوحة اى ويتم (خلقك) اى خلقتك على ما عليه فطرتك (ويجدد لك خوص) بضم الخاء ورق النخل (وثمرة) بالمثلثة (وان شئت اغرسك) بكسر الراء (فى الجنة) اى الموعودة (فيأكل اولياء الله تعالى من ثمرك) اى ثمرك (ثم اصغى له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى له سمعه وقرب رأسه اليه (يستمع ما يقول) اى مما يرده عليه (فقال بل تغرسنى فى الجنة فيأكل منى اولياء الله تعالى) اى فى دار النعمة (واكون) اى نابتا ونابيا (فى مكان لا ابلى فيه) بفتح الهمزة واللام اى لا اخلق ولا اعتق ولا افنى قال الحلبى ابلى بفتح الهمزة ووقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن مضموم الهمزة بالقلم ولا يصح قلت يصح ان يكون مجهولا من ابلاه متعدى بلى كما صرح باسناده صاحب القاموس (فسمعه) اى كلام الجذع (من يليه) اى يقربه والضمير له اى للنبى عليه الصلاة والسلام قيل وممن سمعه ابن عمر رضى الله عنهما قال غاب الجذع فلم ير بعد ذلك ذكره التلمسانى (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد فعلت) اى قبلت اوجزمت على هذا الفعل اوغرست كما اردت (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن) اى البصرى (اذا حدث بهذا) اى الحديث (بكى وقال يا عباد الله الخشبة) اى مع كونها فى حد ذاتها ليست من اهل الرقة والخشية (تحن) بفتح فكسر فتشديد نون اى تميل (الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شوقا اليه لمكانه) اى لمكانة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عنده سبحانه وتعالى اولاجل مكانه المتبعد من مكانها (فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه) ولله در القائل من اهل الفضائل

والقى حتى فى الجمادات حبه * فكانت لاهدآء السلام له تهدى
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن انين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * اما نحن اولى ان نحن له وجدا

اذا كان جذع لم يطق بعد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

(رواه) اى الحديث الذى مر (عن جابر حفص بن عبيد الله) بالتصغير (ويقال عبد الله بن حفص) قال الحلبى ويقال جعفر بن عبد الله والصواب الاول وانه حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك يروى عن جده وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه ابن اسحق واسامة بن زيد وجماعة قال ابو حاتم لا يثبت له السماع الا من جده انتهى وحديثه هذا عن جابر فى البخارى (وايمن) اى الحبشى مولى ابن ابى عمرة المخزومى قال الذهبى فى الميزان ما روى عنه سوى ولده عبد الواحد ففيه جهالة لكن وثقه ابو زرعة وقال ابن القطان اذا وثق وروى عنه واحد انتفت الجهالة وقد اخرج البخارى وحده لايمن (وابو نضرة) بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه المنذر بن مالك تابعى يروى عن على مرسلا وعن ابن عباس وابى سعيد وعنه قتادة وعوف قال الحلبى وقع فى النسخة التى وقفت عليها الآن بالشفاء ابو بصرة بنقطة تحت الباء وهذا شئ لا نعرفه ولا اعلم ابا بصرة غير واحد واسمه جميل وهو صحابى غفارى وليس له شئ عن جابر فيما اعلم (وابن المسيب) تابعى جليل (وسعيد بن ابى كرب) بفتح فكسر وهو منصرف وفى نسخة بفتح فسكون وهو همدانى وثق (وكريب) بالتصغير يروى عن مولاه ابن عباس وعائشة وجماعة وعنه ابناه وموسى بن عقبة وطائفة وثقوه (وابو صالح) اريد به ذكوان السمان وقد تقدم (ورواه) اى الحديث الذى سبق (عن انس بن مالك الحسن) اى البصرى (وثابت) وهو كاسمه ثابت (واسحق بن ابى طلحة) مر ذكره (ورواه عن ابن عمر نافع) اى مولاه وهو من اعلام التابعين (وابو حية) بتشديد التحتية كلبى كوفى روى عن عمر وهناك ابو حية روى عن على (ورواه ابو نضرة) وهو الذى سبق ذكره قال التلمسانى وهو فى الموضعين فى الاصل بموحدة من اسفل وصاد مهملة وصوابه بنون مفتوحة وضاد معجمة وهكذا عند الحلبى والانطاكى (وابو الودال) بتشديد الدال اى رويا الحديث المتقدم كلاهما (عن ابى سعيد وعمار بن ابى عمار) بتشديد الميم اى روى الحديث المذكور (عن ابن عباس وابو حازم) بكسر الزاى وهو سلمة بن دينار الاعرج المدنى احد الاعلام (وعباس) بتشديد الموحدة (ابن سهل) اى ابن سعد الساعدى كلاهما (عن سهل بن سعيد) اى عن ابيه (وكثير بن زيد) اى الاسلمى او الايلى (عن المطلب) اى ابن ابى وداعة (وعبد الله بن بريدة) وهو قاضى مرو وعالمها (عن ابيه والطفيل بن ابى) بالتصغير فيهما كنيته ابو بطن لعظم بطنه (عن ابيه) اى ابى بن كعب (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (رضى الله تعالى عنه فهذا حديث كما تراه اخرجه) وفى نسخة خرجه (اهل الصحة) اى من ارباب الحفظ والثقة (ورواه من الصحابة من ذكرنا) اى من اجلائهم (وغيرهم) بالرفع (من التابعين ضعفهم) اى زائد عليهم اوقدرهم مرتين منضمين (الى من لم نذكره) اى للاختصار اولعدم الاستحضار اولعدم الاشتهار (وبمن دون هذا العدد) اى وبجمع اقل من هذا العدد المذكور وفى نسخة وبدون هذا العدد (يقع العلم) اى القطعى (لمن اعتنى بهذا الباب) اى اهتم بشانه وجمع جميع ما يتعلق ببيانه (والله المثبت) بتشديد الموحدة ويجوز تخفيفها اى من شاء من عباده (على الصواب)

(فصل)

(ومثل هذا) اى ماذكر من حنين الجذع (وقع له فى سائر الجمادات) اى بقيتها او جملتها من غير النباتات التى هى قريبة من الحيوانات فهو فى باب المعجزة اقرب وفى خرق العادة اغرب (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) وفى نسخة ابن محمد (حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد ابن المرابط) بضم الميم وكسر الموحدة اذن له ابو عمرو الدارانى (ثنا المهلب) بتشديد اللام المفتوحة (ثنا ابو القاسم ثنا ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا المروزى ثنا الفربرى) بفتح الفاء وبكسر (ثنا البخارى) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) بتشديد النون المفتوحة (ثنا ابو محمد الزبيرى) بالتصغير نسبة الى جده فانه محمد بن عبد الله بن الزبير وليس من ولد الزبير بن العوام بل هو كوفى مولى لبنى اسد قال بندار ما رأيت احفظ منه وقال آخر كان يصوم الدهر (قال ثنا اسرائيل) اى ابن يونس ابن ابى اسحق اسماعيل السبيعى الكوفى احد الاعلام وثقه احمد وغيره وضعفه ابن المدينى وغيره اخرج له الائمة الستة (عن منصور) اى ابن المعتمر ابو عتاب السلمى من ائمة الكوفة يروى عن ابى وائل وزيد بن وهب وعنه شعبة والسفيانان (عن ابراهيم) اى ابن يزيد النخعى (عن علقمة) اى ابن قيس (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال لقد كنا) اى نحن معشر الصحابة معه صلى الله عليه وسلم (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) جملة حالية والحديث هذا فد ساقه القاضى كما رأيت من رواية البخارى وهو من علامات النبوة وخوارق العادة وقد اخرجه الترمذى فى المناقب وقال حسن صحيح ذكره الحلبى (وفى غير هذه الرواية عن ابن مسعود) وفى اصل الدلجى وفى رواية عنه ايضا وقال كما فى الترمذى (كنا نأكل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه) اى تسبيح الطعام والجملة حالية من ضمير نأكل (وقال انس) وفى نسخة وعن

انس كما روى ابن عساكر فى تاريخه (اخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى) اى حجارة دقاق (فسبحن فى يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن) اى حولهن واضعا لهن (فى يد ابى بكر فسبحن ثم) اى
بعده وقعن (فى ايدينا فما سبحن وروى مثله) اى مثل حديث انس (ابو ذر رضى الله عنه) على ما رواه البزار والطبرانى
فى الاوسط والبيهقى عنه (وذكر) اى ابو ذر (انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله عنهما) ولعل القضية متعددة
(وقال على) وفى نسخة وعن على (كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها) اى جهاتها
واطرافها (فما استقبله) اى ما واجهه (شجرة) وفى نسخة شجر (ولا جبل) اى حجر كما روى (الا قال له السلام عليك
يا رسول الله) رواه الدارمى والترمذى بسند حسن قال ابن اسحق وهذا مما بدئ به صلى الله عليه وسلم من النبوة (وعن
جابر بن سمرة عنه عليه الصلاة والسلام انى لاعرف) وفى رواية الآن (حجرا بمكة كان يسلم على) اى يقول السلام
عليك يا رسول الله رواه مسلم (قيل انه الحجر الاسود) وقيل انه الحجر المتكلم ومال اليه القابسى وقال انه الحجر المبنى
الجدار المقابل لدار ابى بكر قال السهيلى روى فى بعض المسندات انه الحجر الاسود (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها
انها قالت قال النبى صلى الله عليه وسلم لما استقبلنى جبريل بالرسالة جعلت) اى شرعت (لا امر) بفتح همز وضم
ميم وتشديد راء من المرور (بحجر ولا شجر) وفى نسخة صحيحة بتقديم شجر على حجر وهو الاظهر فتدبر (الا قال السلام
عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه) كما رواه البيهقى (لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر
الا سجد له) اى انقاد وتواضع له بنحو السلام او بسجود التحية والاكرام كاخوة يوسف عليه السلام له او كالملائكة لادم
عليه السلام بجعله قبلة (وفى حديث العباس) على ما رواه البيهقى ايضا (اذ اشتمل عليه) اى على عمه (النبى صلى الله
عليه وعلى بنيه) اى بنى عمه وهم عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم (بملاءة) بميم مضمومة ولام فالف ممدودة ربطة
كالملحفة قطعة واحدة واما قول الدلجى بهمزة ممدودة فسهو قلم من اثر وهم نشأ له تبعا للحلبى فى قوله بهمزة مفتوحة
ممدودة (ودعا لهم) اى للعباس وبنيه (بالستر من النار) بفتح السين مصدر والاسم بالكسر بمعنى الحجاب ويؤيد الاول
قوله (كستره اياهم بملاءته) كأن قال يا رب هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء بنوه فاسترهم من النار كسترى اياهم بملاءتى
هذه (فامنت) بتشديد الميم اى تكلمت بكلمة آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء اى عتبته
(وحوائط البيت) جمع حائط يعنى الجدار اى وجدرانه المحدقة به من جميع نواحيه (آمين آمين) كررا مانا كيدا
او تقريرا لوقوعه مكررا او باعتبار كل من الاسكفة والحوائط وآمين بالمد ويقصر مبنى على الفتح ومعناه استجب او افعل
وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد عن ابيه) اى محمد الباقر ابن زين العابدين
على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق) اى من سعف
او غيره (فيه رمان وعنب) اى من فواكه الدنيا او الجنة (فاكل منه النبى صلى الله عليه وسلم) اى من مجموعهما
او من كل منهما او من طبقهما (فسبح) اى ما فى الطبق عندما كله قال الدلجى لم ادر من رواه قلت يكفى انه رواه المصنف
وهو من اكابر المحدثين ولولا ان الحديث له اصل لما ذكره ولذا قال القسطلانى فى المواهب ذكره القاضى عياض
فى الشفاء ونقله عنه عبد الحافظ ابو الفضل فى فتح البارى (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه احمد والبخارى
والترمذى وابن ماجه عنه انه قال (صعد) بكسر العين اى طلع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر وعمر
وعثمان رضى الله عنهم احدا) بضمتين وهو جبل عظيم قرب المدينة (فرجف بهم) بفتح الجيم اى اضطرب من هيبتهم
وارتعد من خشيتهم (فقال اثبت احد) اى يا احد (فانما عليك نبى) اى ثابت النبوة (وصديق) اى مبالغ فى ثبوت
الصداقة (وشهيدان) اى ثابتان فى مرتبة الشهادة ومنزلة حسن الخاتمة بالسعادة ووقع فى اصل الدلجى بعد قوله
فرجف بهم فضربه برجله وهو غير موجود فى النسخ المعتبرة وفى اصل التلمسانى او صديق او شهيد فهى كالواو
للمصاحبة او للتفصيل (ومثله) اى مثل ما روى انس فى احد روى (عن ابى هريرة فى حراء) بكسر الحاء وبمد الراء
منصرفا وممنوعا وقصره وهو جبل بمكة على يسار الذاهب الى منى (وزاد) اى ابو هريرة (معه) اى مع ما ذكر (وعلى)
اى قوله وعلى بالعطف على ما قبله فالمعنى روى ومعه على (وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبى او صديق
او شهيد) وفى رواية وسعد ابن ابى وقاص بدل وعلى فتحركت الصخرة فقال اسكن حراء فما عليك الا نبى او صديق او شهيد
رواه مسلم والترمذى فى مناقب عثمان ولم يذكر سعدا وقال اهدأ بدل اسكن (والخبر) اى الذى رواه مسلم والترمذى
عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه رواه الترمذى والنسائى (فى حراء ايضا عن عثمان قال) اى عثمان (ومعه عشرة من
الصحابة انا فيهم وزاد) اى عثمان (عبد الرحمن) اى ابن عوف كما فى نسخة (وسعدا) وهو ابن ابى وقاص (قال) وفى نسخة
وقال اى عثمان (ونسيت) بفتح فكسر والاولى بضم فكسر مشددا (الاثنين) لعلهما طلحة والزبير (وفى حديث سعيد

ابن زيد) اى كما رواه ابو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه (ايضا مثله) اى مثل الخبر المروى قبله (وذكر
عشرة وزاد) اى سعيد (نفسه) اى ذكرها فيهم (وقد روى) بصيغة المجهول اى فى حديث الهجرة من السيرة (انه) اى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حين طلبته قريش قال له ثبير) بفتح المثلثة وكسر الموحدة اسم لجبل بظاهر مكة
على ما فى القاموس وفى النهاية جبل معروف انتهى والمشهور انه جبل عظيم بمنى قبالة مسجد الخيف على يسار
الذاهب الى عرفات واما قول الشمنى جبل بمزدلفة فمعناه انه متصل باخر مزدلفة واما قول الحجازى جبل عظيم
بالمزدلفة على يمنة الذاهب من منى الى عرفة فالظاهر انه سهو او هو من اسمائه وليس بمراد هنا (اهبط يا رسول الله) اى
انزل عنى (فانى اخاف ان يقتلوك على ظهرى فيعذبنى الله تعالى) اى بمشاهدة هذا الامر فوقى وتحمل هذا الفعل
منى (فقال حراء الى) اى التجئ واصعد الى وارتفع لدى (يا رسول الله) وكان الخوف غالبا على ثبير والرجاء على حراء
(وروى ابن عمر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ) اى على المنبر (وما قدروا الله حق قدره) اى وما عظموه حق
عظمته او ما عرفوه حق معرفته بجعلهم له شريكا فى الوهيته ووصفهم اياه بما لا يليق بربوبيته (ثم قال) اى النبى صلى
الله تعالى عليه وسلم (يمجد الجبار نفسه) بتشديد الجيم اى يذكر ذاته بوصف المجد والشرف والعظمة وروى يحمد
(يقول) كذا فى نسخة وهو جملة حالية (انا الجبار انا الجبار) بالرفع باثبات التكرار وهو الذى يجبر العباد على وفق
ما اراد ويقهرهم بالفناء عن البلاء (انا الكبير) اى العظيم الذات الكريم الصفات قال الحجازى انا الجبار مرتين
وانا الكبير ويروى مرتين (المتعال) اى المتعالى وهو الرفيع الشان المنزه عن التعلق بالزمان والمكان ونحوهما
من سمات الحدثان وصفات النقصان (فرجف المنبر) اى اضطرب اضطرابا شديدا وذلك لعظمة الله وهيبته (حتى
قلنا ليخرن) بفتح اللام والياء وكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء والنون اى ليسقطن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
(عنه) اى عن المنبر (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه البزار والبيهقى (قال كان حول البيت) اى
على جدرانه ذكره الدلجى (ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل) بفتح الموحدة المخففة او المشددة اى مسمرة (بالرصاص)
بفتح الراء على ما فى القاموس قيل ويكسر (فى الحجارة) اى من احجار البيت ولا يبعد ان تكون الاصنام موضوعة على
حجارات كائنة حول البيت منصوبة بتسميرها فيها بالرصاص وكذا كانت الاصنام داخل البيت وفوقه ايضا
قال الدلجى وروى ابو يعلى نحوه اى عنه وانه قال (فلما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسجد) اى المسجد
الحرام وهو يطلق على الكعبة وما حواها من البقعة (عام الفتح) اى سنة فتح مكة (جعل) اى شرع (يشير بقضيب)
اى بسيف لطيف او عود ظريف (فى يده) حال من قضيب (اليها) متعلق بيشير قال الحلبى وفى رواية صحيحة بقضيب
يشبه القوس والقوس قضيب انتهى والتشبيه يحتمل ان يكون من حيثية طوله وعرضه او من جهة انحراف
فى وسطه (ولا يمسها) اى بيده تجنبا عنها الا لبعدها كما ذكره الدلجى (ويقول) اى ما امره الله ان يقول (جاء الحق)
اى ظهر الحق واهله (وزهق الباطل) اى اضمحل وذهب اصله (الآية) اى ان الباطل كان زهوقا اى غير ثابت فى نظر
اهل الحق دائما (فما اشار) اى به كما فى نسخة اى بقضيبه (الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا) اى ولا اشار به (لقفاه
الا وقع لوجهه) اى سقط عليه هيبة مما اشار به اليه (حتى ما بقى منها صنم) اى الا خر ساقطا اما الى وجهه واما الى قفاه
(ومثله فى حديث ابن مسعود) اى على ما رواه الشيخان عنه (وقال) اى ابن مسعود (فجعل يطعنها) بفتح العين وبضم
وهو اولى من عبارة الحلبى بضم العين ويفتح لما فى كلام استاذه صاحب القاموس طعنه بالرمح كمنعه ونصره ضربه
مع ما فى الفتح من الخفة المعادلة لثقل العين كما حرر فى يسع ويضع ويدع ويقع ثم المراد بالطعن هنا مجرد
الاشارة لما سبق صريحا فى العبارة والمعنى يشير اليه فى صورة الطاعن لديه (ويقول) اى كما امر به فى آية
اخرى (جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) اى ظهر الحق ولم يبق للباطل ابتداء ولا اعادة او ما يبدئ الصنم
خلقا ولا يعيده او لا يبدئ ضرا لاهله فى الدنيا ولا يعيده فى العقبى (ومن ذلك) اى من قبيل ما ذكر عن الجمادات
(حديثه) اى خبره الذى رواه الترمذى والبيهقى (مع الراهب) وهو بحيرا بفتح الباء الموحدة وكسر الحاء المهملة
مقصورا وقيل ممدودا واسمه جرجس او جرجيس بزيادة ياء ابن عبد القيس من نصارى تيماء او بصرى ذكره ابن
منده وابو نعيم فى الصحابة لايمانه به صلى الله تعالى عليه وسلم قبل بعثته (فى ابتداء امره) اى امر ظهوره
(اذ خرج تاجرا) ظرف لحديثه معه او لابتداء امره (مع عمه) اى ابى طالب وفيه انه لم يكن فى خروجه معه
تاجرا بل تعرض له عند خروجه فقال تتركنى وليس لى احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع ميسرة
غلام خديجة وفى هذه لقى نسطور الراهب وقصته معه مشهورة وفى كتب السير مسطورة فقوله تاجرا
حال من عمه لا من ضمير خرج (وكان الراهب) اى بحيرا (لا يخرج) اى فى عادته (الى احد) اى ممن كان ينزل

المكان (فخرج) اى فى ذلك الزمان (وجعل يتخللهم) اى شرع يطلب احدا فى خلال من كان فى تلك المحال (حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين بعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش) اى من المشركين (ما علمك) اى ما سبب علمك به و بقربه عند ربه (قال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد) اى الاشجار والاحجار (الا لنبى وذكر القصة) اى على ما اوردها اهل الاخبار من انه قال وانى لاعرفه بخاتم النبوة اسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما اتاهم به كان صلى الله تعالى عليه وسلم فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه (ثم قال) اى الراهب او الراوى (فاقبل وعليه غمامة تظله فقال انظروا الى الغمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم سبقوه) وفى نسخة قد سبقوه (الى فىء الشجرة) بفتح الفاء وسكون التحتية بعدها همزة اى الى ظلها (فلما جلس مال الفىء) اى فىء الشجرة (اليه) فقال انظروا امال الفىء اليه ثم قال انشدكم الله تعالى ايكم وليه قالوا ابو طالب واذا بسبعة من الروم قد اقبلوا فسألهم فقالوا ان هذا النبى قد خرج من بلاده فى هذا الشهر فوجهوا الى كل جهة جماعة ووجهونا الى جهتك فقال افرأيتم امرا اراده الله تعالى أيقدر احد يدفعه قالوا لا فاقاموا عنده ثلاثة ايام ولم يزل يناشد عمه حتى رده و بعث معه ابو بكر بلالا وزوده الراهب زيتا وكعكا قيل وذكر ابى بكر و بلال فيه وهم

(فصــــل)

(فى الآيات) اى الشاهدة بثبوت نبوته وصدق رسالته وما خص به من بديع الكرامات ومنبع المعجزات (فى ضروب الحيوانات حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ) سبق ذكره (حدثنا ابى) قال الحلبى تقدم ابوه فاضبط فى بعض النسخ بصيغة التصغير تصحيف وتحريف (ثنا القاضى ابو يونس ثنا ابو الفضل الصقلى) بفتح الصاد وتكسر وسكون القاف (حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه عن جده) اى كليهما (قال حدثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل) بالتصغير وهذا هو الاصل الصحيح ووقع فى اصل المؤلف باسقاط ثنا محمد بن فضيل (ثنا يونس ابن عمرو) بالواو قال ابو معين ثقة وقال ابو حاتم لا يحتج به (ثنا مجاهد عن عائشة) قال يحيى بن سعيد لم يسمع منها قال وسمعت شعبة ينكران يكون سمع منها وتبعه على ذلك يحيى بن معين وابو حاتم الرازى وحديثه عنها فى الصحيحين وقد صرح فى غير حديث بسماعه منها والله تعالى اعلم (قالت كان عندنا داجن) بكسر الجيم ما يألف البيت من الحيوان كالشاة والطير مأخوذ من المداجنة وهى المخالطة والملازمة (فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة عندنا مؤخر (قر وثبت مكانه) اى الداجن (فلم يجئ ولم يذهب) اى ولم يغير شأنه توقيرا له وتكريما وهيبة منه وتعظيما (واذا خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء وذهب) اى تردد واضطرب وهذا الحديث رواه احمد والبزار وابو يعلى والطبرانى والبيهقى والدارقطنى وهو صحيح وفى المدعى صريح (وروى عن عمر) رضى الله تعالى عنه بصيغة المجهول اشعارا بضعفه فقد قال الحافظ المزى لا يصح اسنادا ولا متنا وقال ابن دحية انه موضوع لكن قال القسطلانى قد رواه الائمة فنهايته الضعف لا الوضع فممن رواه الطبرانى والبيهقى قال وروى ايضا باسانيد عن عائشة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وما ذكرناه وامثالها (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى محفل) بفتح الميم وكسر الفاء اى مجمع (من اصحابه اذ جاء اعرابى قد صاد ضبا) بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة حيوان معروف يقال اذا فارق جحره لم يهتد اليه وهو لا يشرب واطول الحيوان روحا بعد ذبحه ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول فى كل اربعين يوما قطرة (فقال) اى الاعرابى (من هذا قالوا نبى الله فقال واللات) بواو القسم (والعزى) وهما صنمان كانوا يعبدونهما فى وسط الكعبة (لا امنت بك) اى بنبوتك ورسالتك وفى نسخة لا او من بك (او) بسكون الواو (يؤمن) بالنصب اى الى ان يؤمن او حتى يؤمن كما فى نسخة (بك هذا الضب) اى فاومن انا ايضا بك حينئذ (وطرحه بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى القى الضب بين جهتى يديه يعنى قدامه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له يا ضب فاجابه بلسان مبين) اى بين او مبين حروفه (يسمعه القوم جميعا لبيك) اى اجابتى لك مرة بعد مرة (وسعديك) اى وساعدنى اطاعتك كرة بعد كرة (يا زين من وافى القيامة) اى يا زينة من اتاها وحضرها (قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام له (من تعبد) اى ممن يسمى الها (قال الذى فى السماء عرشه) اى ملكوته سبحانه (وفى الارض سلطانه) اى ملكه المظهر شانه (وفى البحر سبيله) اى طريق آياته ولعله من باب الاكتفاء فان فى البر كثيرا من عجاباته (وفى الجنة رحمته) اى ثوابه من اثرها للمطيعين (وفى النار عقابه) اى من اثر سخطه للعاصين (قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين) اى آخرهم وهو بفتح التاء على ما قرأ به عاصم بمعنى ختموا به و بكسرها بمعنى ختمهم و يؤيده قرآءة ابن مسعود ولكن نبينا ختم النبيين (وقد افلح) اى فاز

(من صدقك) بتشديد الدال اى اطاعك (وقد خاب) اى خسر (من كذبك) اى عصاك (فاسلم الاعرابى ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة) بالرفع (عن ابى سعيد الخدرى) كما رواه احمد والبزار والبيهقى وصححه (بينا) وفى نسخة بينما على ان ما زآئدة كافة واما الف بينا فقيل هى اشباع فلا تمنع الجر وقيل مانعة له منه وهو المشهور عند الجمهور (راعى يرعى غنما له عرض الذئب لشاة منها) اى وقت رعى غنمه فاجأ عروض الذئب اى ظهوره فى تعرضه لشاة من جملة قطيع الغنم (فاخذها) اى الراعى (منه فاقعى الذئب) اى الصق استه بالارض ونصب ساقيه ونخذيه ووضع يديه على الارض (وقال للراعى ألا تتقى الله) اى اما تخاف والمعنى خف الله تعالى فالاستفهام للتوبيخ لا للانكار الداخل على النفى المفيد لتحقق ما بعده كما ذكره الدلجى (حلت بينى و بين رزقى) بضم الحاء اى منعت رزقى عنى وهو جملة مبينة قائمة مقام العلة (قال الراعى العجب) اى كل العجب (من ذئب يتكلم بكلام الانس) اى فى مقام الانس (فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك) اى واغرب فيما هنالك (رسول الله بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهى ارض ذات حجارة سود حول المدينة السكينة (يحدث الناس بانباء من قد سبق) وفى نسخة صحيحة ما بدل من وانما كان اعجب لانه اخبار عما لم يعلم به غير الرب (فاتى الراعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره) اى بكلام الذئب له (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للراعى (قم فحدثهم) اى الحاضرين والغائبين (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام بعد ان حدثهم الراعى اوقبله (صدق) اى الراعى فى قوله و بالحق نطق فى نقله (والحديث فيه قصة) اى طويلة او عظيمة وهو الاظهر لقوله (وفى بعضه طول) اى فى بعض الفاظه طول اى ليس هذا محل بسط تلك الفصول وروى انه لما جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واخبره صدقه ثم قال انها امارات بين يدى الساعة فقد اوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه ثم نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله و يخبره فخذه بما احدث اهله بعده (وروى حديث الذئب عن ابى هريرة) اى من طرق (وفى بعض الطرق عن ابى هريرة فقال الذئب انت اعجب واقفا على غنمك) حال (وتركت) اى والحال انك قد تركت (نبيا) اى خدمته وصحبته مع انه نبى عظيم ورسول كريم (لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا) اى رفعة ورتبة (قد فتحت له ابواب الجنة) اى وكذا لمن تبعه من اكابر الامة (واشرف اهلها) اى واطلع اهل الجنة (على اصحابه ينظرون قتالهم) اى فى الغزوة و ينتظرون وصالهم بالشهادة وحسن مآلهم فى الجنة (وما بينك) اى والحال انه لا حائل بينك (و بينه الا هذا الشعب) بكسر اوله اى قطع هذا الوادى وهو ما انفرج بين الجبلين (فتصير فى جنود الله) اى احزابه المجاهدين (فقال الراعى من) وفى نسخة ومن (لى بغنمى) اى من يقوم لى برعاية غنمى (قال الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما عنده من غنمه (وذكر) اى الراعى (قصته) اى مع الذئب (واسلامه ووجوده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على وفق ما حكاه الذئب له (يقاتل فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عد) بضم العين وسكون الدال المهملة اى ارجع (الى غنمك تجدها) جواب الامر اى تصادفها (بوفرها) بفتح الواو وسكون الفاء اى بتمامها وكمالها ما نقص شئ منها (فوجدها كذلك) اى كما اخبره (وذبح للذئب شاة منها وعن اهبان) بضم الهمزة (ابن اوس) بفتح اوله اى وروى عنه ايضا (وانه) بكسر الهمزة و يجوز فتحها (كان صاحب القصة) اى الحكية (والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع) على ما فى الروض الانف (وانه كان صاحب هذه القصة ايضا) فيه ايماء الى تعدد القصة وتكرر القضية (وسبب اسلامه) اى فى هذه الرواية (بمثل حديث ابى سعيد) متعلق بروى المقدرة قبل قوله وعن اهبان والحاصل انه اختلف فى اسم الراعى المتكلم معه الذئب فقيل هو اهبان بن اوس السلمى ابو عقبة سكن الكوفة وقيل اهبان بن عقبة وهو عم سلمة بن الاكوع وكان من اصحاب الشجرة وقيل اهبان بن عباد الخزاعى وقيل اهبان بن صيفى وعن الكلبى هو اهبان بن الاكوع وعند السهيلى هو رافع بن ربيعة وقيل سلمة بن الاكوع والجمع ممكن بحمل القصة على تعدد القضية واختلاف المراد باهبان فى الرواية (وقد روى ابن وهب مثل هذا) اى مثل ما جرى فى اخذ الذئب شاة (انه جرى لابى سفيان بن حرب) اى والد معاوية (وصفوان بن امية) بالتصغير (مع ذئب وجداه اخذ ظبيا) اى اراد اخذه (فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب) اى تعظيما للحرم المحترم (فعجبا) بكسر الجيم اى فتعجبا (من ذلك) اى من انصرافه عما هنالك (فقال الذئب اعجب من ذلك) اى مما تعجبتما (محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة) اى الى سببها وهو الايمان (وتدعونه الى النار) اى موجبها وهو الكفران فهذا مقتبس من قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون ويا قوم ما لى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم

ان ماتدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار فستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد (فقال ابو سفيان) اى اصفوان (واللات والعزى لئن ذكرت هذا) اى الخبر (بمكة) اى فيما بين اهلها (لتتركنها خلوفا) بضم الخاء المعجمة واللام اى بلا راع ولا حام كذا فى النهاية ويقال حى خلوف اذا غاب رجالهم وبقى نساؤهم وقيل اى متغيرة اخذا من خلوف فم الصائم والمعنى ان اهلها بعد سماعهم هذا تغيرت احوالهم وذهبوا الى المدينة ولم يبق احد منهم الا دخل فى الاسلام معهم ولعل هذا كان سبب اسلامهم فى آخر امرهم (وقد روى مثل هذا الخبر) اى الذى جرى لابى سفيان واحبابه (وانه) بفتح الهمزة وكسرها (جرى لابى جهل واصحابه) الا انه لم يسلم لما جرى لما سبق له من الشقاوة الابدية فى كتابه هذا وعند ابن القاسم عن انس كنت مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فشردت على منه غنمى فجاء الذئب فاخذ منها شاة فاشتدت الرعاء خلفه فقال الذئب طعمة اطعمنيها الله تعالى تنزعونها منى فبهت القوم فقال ما تعجبون الحديث وفى الروض ايضا فى غزوة ذات السلاسل وهى فى آخر الكتاب ما لفظه وذكر فى هذه السرية صحبة رافع ابن ابى رافع لابى بكر وهو رافع بن عمير وهو الذى كلمه الذئب وله شعر مشهور فى تكلم الذئب له وكان الذئب قد اغار على غنمه فاتبعه فقال له الذئب الا ادلك على ما هو خير لك قد بعث الله نبيه وهو يدعو الى الله فالحق به ففعل ذلك رافع واسلم (وعن عباس بن مرداس) بكسر الميم وكان الاولى ان يقول ومن ذلك حديث عباس بن مرداس (لما تعجب من كلام ضمار) بكسر الضاد المعجمة وبفتح وميم مخففة فالف فراء ذكره الصغانى وغيره وفى نسخة بالدال (صنمه) بالجر بدل من ضمار او بيان فانه اسم لصنم كان يعبده هو ورهطه (وانشاده) اى ومن قراءته برفع صوته (الشعر الذى ذكر فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) روى ان مرداس لما احتضر قال لابنه عباس اى بنى اعبد ضمارا فانه سينفعك ولا يضرك فتفكر عباس يوما عند ضمار وقال انه حجر لا ينفع ولا يضر ثم صاح باعلى صوته يا الهى الاعلى اهدنى للتى هى اقوم فصاح صائح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مدة * قبل البيان من النبى محمد
وهو الذى ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى
قل للقبائل من سليم كلها * اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق عباس ضمارا ثم لحق بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم (فاذا طائر سقط) اى وقع ونزل بين يديه (فقال يا عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك) اى بتخلفك عن مورث انسك (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعو) وفى نسخة صحيحة يدعوك (الى الاسلام وانت جالس) اى بعيد عن مقام المرام (فكان) اى كلام الطائر (سبب اسلامه) والحديث هذا كما فى الطبرانى الكبير بسند لا بأس به قريب مما هنا (وعن جابر بن عبد الله) كما روى البيهقى عنه (عن رجل) وهو اسلم او يسار وهو رجل اسود استشهد فى غزوة خيبر كما ذكره ابو الفتح اليعمرى فى سيرته (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (على بعض حصون خيبر وكان) اى الرجل (فى غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم) اى مع اصحابها (قال احصب) بفتح الهمزة وكسر الصاد اى ارم بالحصباء وهى دقاق الحصى (وجوهها) اى لترجع الى دور مالكيها (فان) اى لان وفى نسخة بان اى بسبب ان (الله سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها) اى بكمالها من غير خلاف لها (ففعل فسارت كل شاة) اى فى طريقها (حتى دخلت الى اهلها وعن انس) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائط انصارى) اى بستان واحد من الانصار (وابو بكر وعمر ورجل من الانصار) اى معه (وفى الحائط غنم) وهو بحركتين الشاء لا واحد لها من لفظها والواحد شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والاناث وعليهما جميعا (فسجدت له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام سجود التحية والاكرام وانقادت له باظهار الاسلام فانه مبعوث الى كافة الانام كما اختاره بعض الاعلام والظاهر ان سجودها كان بوضع الجبهة بعد القيام لقوله (فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها) اى فانها مع قلة عقلها اذا كانت تسجد لك فكيف نحن مع كثرة انتفاعنا بك لكن امرنا متوقف على اذنك (الحديث) بتثليث المثلثة وسيأتى تمامه (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه البزار بسند حسن (دخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر) اى ابو هريرة (مثله) اى مثل حديث انس لا مثل حديث ابى هريرة كما توهم الدلجى فقالوا هذه بهيمة لا تعقل فسجدت لك ونحن نعقل فنحن احق ان نسجد لك فقال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر لو صلح لامرت المرأة ان تسجد لزوجها لما له من الحق عليها (ومثله) اى مثل حديث ابى هريرة (فى البعير) وفى نسخة صحيحة فى الجمل (عن ثعلبة بن مالك) كما رواه

ابو نعيم قال المزى قدم ثعلبة من اليمن على دين يهود فنزل فى بنى قريظة فنسب اليهم ولم يكن منهم ولم يعرف من الصحابة من اسمه ثعلبة ابن ابى مالك غيره واسم ابى مالك عبد الله (وجابر بن عبد الله) كما رواه احمد والدارمى والبزار والبيهقى عنه (ويعلى بن مرة) كما رواه احمد والحاكم والبيهقى بسند صحيح عنه (وعبد الله بن جعفر) كما رواه مسلم وابو داود عنه قال ابو هريرة (كان لا يدخل احد الحائط) اى ذلك البستان من غير اهله (الا شد عليه الجمل) اى حمل وصال عليه حفظا لحائطه واستغرابا للداخل ورعاية لصاحبه (فلما دخل عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعاه) اى الجمل فجاءه خاضعا وانقاد له خاشعا (فوضع مشفره) بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفاء فراء اى شفته (على الارض وبرك) بتخفيف الراء اى ناخ (بين يديه فخطمه) اى فوضع فى رأسه بخطامه من رسنه وزمامه (وقال ما بين السماء والارض شئ) اى من حيوان او غيره (الا يعلم) اى الا انه يعلم وفى نسخة لا يعلم اى ليس يوجد بينهما شئ لا يعلم قال المزى المعروف الا يعلم وقد يكون رواية (انى رسول الله) اى اليه او الى غيره (الا عاصى الجن والانس) اى الا كافر الثقلين والصيغة تحتمل الافراد والجمع بان حذفت نونه للاضافة (ومثله) اى مثل هذا المروى بعينه (عن عبد الله ابن ابى اوفى وفى خبر آخر فى حديث الجمل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سألهم عن شأنه) اى حاله معهم فى مآله (فاخبروه انهم ارادوا ذبحه) الاولى نحره وكانه اراد ذبحه اللغوى (وفى رواية ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لهم) اى لاهل الجمل (انه شكا الى كثرة العمل وقلة العلف وفى رواية انه) اى الجمل (شكا الى انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه فى شاق العمل من صغره فقالوا نعم) قال بئس الجزاء ارادوه له كذا نقله الدلجى والظاهر اردتموه له وفى اصل صحيح تم الحديث بقوله نعم والله تعالى اعلم (وقد روى فى قصة العضباء) وهى الناقة المشقوقة الاذن ولقب ناقة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن عضباء ذكره الفيروزابادى فقيل انها والقصوى والجدعاء واحدة وقيل اثنتان وقيل ثلاث ولم يكن بها عضب ولا جدع وقيل كان باذنها عضب (وكلامها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتعريفها له بنفسها) اى بذاتها وحالاتها (ومبادرة العشب اليها فى الرعى) اى فى رعيها (وتجنب الوحوش عنها وندائهم) والاظهر وندائها (لها انك لمحمد) اى فى زمان حالك او فى مآلك (وانها لم تأكل ولم تشرب بعد موته حتى ماتت ذكره الاسفراينى) حكى ابن عباس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ذات ليلة وناقة باركة فى الدار فلما مر بها قالت السلام عليك يا زين القيامة يا رسول رب العالمين قال فالتفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليها فقال وعليك السلام فقالت يا رسول الله انى كنت لرجل من قريش يقال له اعضب فهربت منه فوقعت فى مفازة فكان اذا غشينى الليل احترستنى السباع فنادت بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واذا اصبحت واردت ان ارتع نادتنى كل شجرة الى الى فانك مركب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى وقعت هنا قال فسماها عضباء شق لها اسما من اسم صاحبها ثم قالت الناقة يا رسول الله ان لى اليك حاجة قال وما هى قالت تسأل الله ان يجعلنى من مراكبك فى الجنة كما جعلنى فى الدنيا قال صلى الله تعالى عليه وسلم قضيت ذكره التلمسانى (وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جعلت عليه ظلا (يوم فتحها) بفتح فسكون وفى نسخة بفتحات (فدعا لها بالبركة) هذا وقد قيل انها من نسل الحمامة التى باضت على باب الغار بعد دخول سيد الابرار لكن قال الدلجى واما قصة العضباء فلم ادر من رواها ولا حديث حمام مكة (وروى عن انس) وفى نسخة عن ابن مسعود (وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة) على ما رواه ابن سعد والبزار والطبرانى والبيهقى وابو نعيم عنهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال امر الله ليلة الغار شجرة) وفى نسخة شجرا (فنبتت تجاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم التاء المبدلة من الواو اى قبالته التى تقتضى مواجهته قال الدلجى هو مجاز عن انبتها كما فى كونوا قردة قلت الظاهر انه امر تكوين وانه على حقيقته كما حقق فى قوله تعالى انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (فسترته) اى تلك الشجرة عن اعين الفجرة وقد ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فيما شرح من الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما دخل الغار ومعه ابو بكر انبت الله على بابه الراءة مثل الطاعة قال قاسم بن ثابت وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار اعين الكفار وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى الراءة من اعلاث الشجر وتكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر ابيض يحشى منه المخاد ويكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن ذكره السهيلى والاعلاث من الشجر القطع المختلطة مما يقدح به من المرخ واليبيس على ما فى القاموس (وامر حمامتين فوقفتا) بالفاء وروى بالعين اى نزلتا (بفم الغار) اى لئلا يظن الاغيار دخول سيد الابرار ومن معه من اصحابه الكبار قال الدلجى فسمت صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما اى دعا لهما وانحدرا الى الحرم فافرخا كل حمام فيه (وفى حديث آخر) وفى نسخة صحيحة وان (العنكبوت نسجت على بابه) اى على فم الغار فلما اتى

الطالبون له) اى لسيد الاخيار (ورأوا ذلك) اى ماذكر من وقوف الحمامتين ونسج العنكبوت (قالوا لو كان فيه احد) اى ممن دخله هذا الوقت (لم تكن الحمامتان ببابه) اى ولا نسج العنكبوت ولعابه (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا) اى ولم يدركوا مرامهم وفى مسند البزار ان الله عز وجل امر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل اليه حمامتين وحشيتين وان ذلك مما صد المشركين عنه وان حمام الحرمين من نسل تينك الحمامتين (وعن عبد الله بن قرط) بضم القاف وسكون الراء له صحبة ورواية قال ابن عبد البر كان اسمه فى الجاهلية سلطانا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله انتهى قتل بارض الروم والحديث رواه الحاكم والطبرانى وابو نعيم عنه انه (قال قرب) بضم القاف وتشديد الراء المكسورة اى ادنى (الى النبى صلى الله عليه وسلم بدنات) بفتحتين جمع بدنة وحكى بضمتين وهى ناقة او بقرة ذكره الجوهرى وزاد ابن الاثير وهى بالابل اشبه وسميت بدنة لعظمها وسمنها فلا يلتفت الى قول الدلجى وهى خاصة بالابل ولا يلزم من الحاقه صلى الله تعالى عليه وسلم البقرة بها فى الاجزاء عن سبعة تناول اسمها للبقرة شرعا بل الحديث وآية الحج يمنعانه انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت اطلاق البدنة على البقرة لغة والحاقها بالابل شريعة فالمخالفة فيهما مكابرة ومنع الحديث وآية الحج اياه مصادرة (خمس او ست او سبع) شك من الراوى (لينحرها يوم عيد) اى من اعياد الاضحى (فازدلفن اليه) افتعلن من الزلف وهو القرب ومنه قوله تعالى حكاية ليقربونا الى الله زلفى ابدلت تاؤه دالا لمجاورتها الزاى ومنه المزدلفة والمعنى تقربن منه (بايتهن يبدأ) اى فى نحرها قال المزى صوابه بايتهن بتاء التأنيث وفيه بحث (وعن ام سلمة كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحراء) اى بادية قفراء (فنادته ظبية يا رسول الله) فالتفت فاذا هى موثقة واعرابى نائم (قال) اى لها (ما حاجتك قالت صادنى هذا الاعرابى ولى خشفان) تثنية خشف وهو بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ولد الظبية الصغير (فى ذلك الجبل فاطلقنى) بفتح الهمزة وكسر اللام اى من القيد وارسلنى (حتى اذهب الى ولدى فارضعهما) بضم الهمزة وكسر الضاد (وارجع) اى اليك (قال اوتفعلين) بفتح الواو اى اتقولين هذا القول وتفعلين هذا الرجوع وفى نسخة صحيحة وتفعلين فالهمزة مقدرة وفى رواية قال اخاف ان لا ترجعى قالت ان لم ارجع فانا شر ممن يأكل الربا وشر ممن ينام عن صلاة العشاء وشر ممن يسمع اسمك ولم يصل عليك (قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت) اى بعد ما ارضعت (فاوثقها) اى فربطها النبى صلى الله عليه وسلم على حالها (فانتبه الاعرابى) اى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى المعالجة اياها او عندها (وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق) اى نعم هو ان تطلق او هو خبر معناه امر وفى نسخة صحيحة اطلق (هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء) اى تجرى (وتقول) اى الظبية (اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله) رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق وضعفه جماعة من الائمة حتى قال ابن كثير لا اصل له وان من نسبه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد كذب لكن طرقه يقوى بعضها بعضا وقد رواه ابو نعيم الاصبهانى فى الدلائل باسناد فيه مجاهيل عن ام سلمة نحو ما ذكره المصنف وكذا رواه الطبرانى بنحوه وساقه الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب من باب الزكاة (ومن هذا الباب) اى باب طاعة الحيوانات من طريق خرق العادات لبعض صحابته من تمام بركته صلى الله تعالى عليه وسلم (ما روى من) وفى نسخة فى (تسخير الاسد لسفينة) غير منصرف للتأنيث والعلمية (مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتقته ام سلمة وشرطت عليه ان يخدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه مهران عند الاكثر وكنيته ابو عبد الرحمن على الاشهر ولقبه عليه الصلاة والسلام سفينة لقضية مشهورة (اذ وجهه) اى كان التسخير حين ارسله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الى معاذ باليمن) اى حال اقامته فيه لقضائه (فلقى) اى سفينة (الاسد فعرفه) بتشديد الراء اى فذكر له (انه مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه كتابه) اى مكتوبه عليه الصلاة والسلام الى معاذ او غيره (فهمهم) بهاءين وميمين مفتوحتين فعل ماض من الهمهمة وهى الكلام بالخفية (وتنحى عن الطريق) اى وتبعد وتأخر الاسد عن طريق سفينة (وذكر) اى سفينة (فى منصرفه) اى مرجعه (ايضا مثل ذلك) قال الدلجى لم ادر من رواه كذا وقد رواه البيهقى ان لقيه الاسد انما كان حين ضل عن الجيش فى ارض الروم قلت يحمل على تعدد الواقعة كما يشير اليه قول المصنف (وفى رواية اخرى عنه) اى عن سفينة كما رواه البيهقى والبزار (ان سفينة) اى من السفن (تكسرت به) اى وسفينة فى تلك السفينة (فخرج الى جزيرة) وهى ارض ينجزر البحر عنها (فاذا الاسد) اى حاضر والمعنى فاجاءه بغتة (فقلت له انا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل يغمزنى) بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضم بعدها زاى اى يشير الى ويحرك على (بمنكبه) بفتح الميم وكسر الكاف اى بما بين كتفه وعنقه (حتى اقامنى) اى دلنى (على الطريق) وفى ايراده هذا الحديث اشارة الى ان كرامة الولى بمنزلة معجزة النبى من حيث الدلالة على صدق

النبوة والرسالة فان الكرامة متفرعة على صحة المتابعة (واخذ عليه الصلاة والسلام) كان الاولى ان يقال ومن ذلك انه اخذ عليه الصلاة السلام (باذن شاة لقوم من بنى عبد القيس) قبيلة كبيرة مشهورة (بين اصبعيه) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وجوز تثليث كل منهما فالوجوه تسعة (ثم خلاها) اى تركها (فصار لها ميسما) بكسر الميم وفتح السين اى صار اثر اصبعيه لها علامة وهو فى الاصل الحديدة التى يكوى بها او يجعل بسببها علامة فاطلاقه على العلامة مجاز فى العبارة ظاهر العلاقة (وبقى الاثر فيها) اى فى اصل تلك الشاة (وفى نسلها بعد) بالضم اى بعدها قال الدلجى لا ادرى من رواه (وما روى) اى ومن ذلك ما روى (عن ابراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار) فى سيرة مغلطاى كان له صلى الله عليه وسلم من الحمير يعفور وعفير ويقال هما واحد وآخر اعطاه سعد بن عبادة (اصابه) اى فى سهمه وفى نسخة الذى اصابه (بخيبر وقال) اى الحمار وهو كان اسود (له اسمى يزيد بن شهاب) يعنى ونعتى ان الله تعالى اخرج من نسل جدى ستين حمارا كلهم لم يركبه الا نبى وقد كنت اتوقعك ان تركبنى ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودى وكنت اعثر به عمدا وكان يجيعنى ويضربنى على ما رواه ابن ابى حاتم عن حذيفة وفى رواية يجيع بطنى ويضرب ظهرى (فسماه النبى صلى الله عليه وسلم يعفورا) بالقصر وفى نسخة بالتنوين وفى نسخة يعفور كيعقوب (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (كان يوجهه) اى يرسله (الى دور اصحابه) اى بيوتهم (فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم) اى يطلب منهم اجابة الدعوة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات) اى ودفن (تردى) اى رمى بنفسه (فى بئر) اى لابى الهيثم بن التيهان (جزعا) اى فزعا (وحزنا) بفتحتين او بضم فسكون (فمات) اى فصارت قبره رواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى منظور وقال لا اصل له واسناده ليس بشىء وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات قلت قصة يعفور ذكرها غير القاضى فقد نقلها السهيلى فى روضه عن ابن فورك فى كتاب الفصول قال السهيلى وزاد الجوينى فى كتاب الشامل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اراد احدا من اصحابه ارسل هذا الحمار اليه فيذهب حتى يضرب برأسه الباب فيخرج الرجل فيعلم ان قد ارسل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية فاذا خرج اليه صاحب الدار اومأ اليه ان أجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اخرجه ابن عساكر عن ابى منظور وله صحبة نحو ما سبق وقال هذا حديث غريب وفى اسناده غير واحد من المجهولين ورواه ابو نعيم عن معاذ بن جبل كما تقدم والله تعالى اعلم (وحديث الناقة التى شهدت عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه) رواه الطبرانى عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم من حديث ابن عمر قال الذهبى وهو موضوع وفيه نظر (وفى العنز) اى وفى حديث العنز كما فى نسخة صحيحة وهى الانثى من المعز (التى اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى عسكره) اى حال كونه فيما بين جنده فى غزوة له (وقد اصابهم عطش) اى شديد (ونزلوا على غير ماء) اى لضرورة بهم (وهم زهاء ثلثمائة) احوال متتابعة مترادفة او متداخلة (فحلبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاروى الجند) اى جميع العسكر (ثم قال لرافع) اى مولاه كذا قاله الدلجى لكن مولاه ابو رافع ولذا قال الحلبى رافع هذا لا اعرفه بعينه وفى الصحابة جماعة كثيرة يقال لكل منهم رافع (املكها) بفتح الهمزة وكسر اللام اى اوثقها او اربطها واحفظها (وما اراك) بضم الهمزة اى ما اظنك تملكها وتحفظها (فربطها) اى وغفل عنها (فوجدها قد انطلقت) اى ذهبت برأسها بحيث لم يدر احد عنها (رواه ابن قانع) وقد سبق ذكره (وغيره) منهم ابن سعد وابن عدى والبيهقى عن مولى ابى بكر رضى الله عنه (وفيه) اى وفى حديث ابن قانع (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذى جاء بها) اى الله سبحانه وتعالى (هو الذى ذهب بها) فيه ايماء الى ان ايجادها واعدامها كليهما من خرق العادة (وقال) اى النبى صلى الله عليه وسلم (لفرسه عليه الصلاة والسلام) كذا فى بعض النسخ المصححة وانما محله قبله بعد قال كما لا يخفى ثم قيل كانت افراسه صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرين اتفق منها على سبعة (وقد قام الى الصلاة) اى والحال انه قد اراد قيامه اليها (فى بعض اسفاره) متعلق بقام كما هو اقرب او بقال وهو انسب (لا تبرح) اى لا تفارق مكانك (بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته) اى فى صوب قبلته او فى جهة مقابلته (فما حرك عضوا) اى من اعضائه وهو بضم اوله وبكسر (حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى حتى فرغ منها كما فى اصل الدلجى والحق فى بعض النسخ هنا وزعم بعضهم انه من الام (ويلتحق بهذا) بصيغة المجهول او المعلوم (ما روى الواقدى) بكسر القاف قاضى العراق يروى عن ابن عجلان وثور وابن جريج وعنه الشافعى رحمه الله والصغانى قال البخارى وغيره متروك وقد ذكر له ترجمة حسنة ابن سيد الناس فى اول سيرته وذكر فيها ثناء الناس عليه وجرحهم له وانه نسب الى وضع الحديث وفى آخرها استقر الاجماع على وهن الواقدى (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك) اى لتبليغ الرسالة

اليهم وتحقيق الحجة لديهم (فخرج ستة نفر منهم) اى من رسله (فى يوم واحد فاصبح كل واحد منهم) اى صار لما بلغ عندهم
واراد تبليغهم (يتكلم بلسان القوم الذين بعثه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم) اى من الملوك واتباعهم
من غير تعلم للسانهم وتعرف بشانهم قال الكلاعى فى النقاية وفى حديث ابن اسحق قال عليه الصلاة والسلام ان الله
بعثنى رحمة كافة فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى فقال اصحابه وكيف اختلفوا
يارسول الله قال دعاهم الى الذى دعوتكم اليه فامامن بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا فكره
وجهه وتثاقل فشكا عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك الى الله تعالى فاصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة
الامة التى بعث اليها (والحديث فى هذا الباب) اى فى معنى هذا النوع من المعجزة (كثير) اى ورد بطرق متعددة
وقضايا متكثرة (وقد جئنا منه بالمشهور) اى فى صحته وثبوته (وماوقع) اى ومماورد (منه فى كتب الائمة) اى
المعروفين بالسنة والسيرة

(فصــــل)

(فى احياء الموتى وكلامهم) اى للاحياء قال القرطبى فى تذكرته وكذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احيى الله على يديه
جماعة من الموتى قال الحلبى وقد ذكر القاضى فيما يأتى جماعة منهم (وكلام الصبيان) اى الاطفال قبل اوان التكلم
(والمراضع) جمع راضع على خلاف القياس وهو اخص من الاول فتأمل و يحتمل ان يكون العطف تفسيريا ووقع
فى اصل الدلجى وكلام الصبيان المراضع بالوصف بدون العاطف (وشهادتهم) اى الصبيان (له بالنبوة)
اى المتضمنة للرسالة (صلى الله تعالى عليه وسلم حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقرآئى عليه والقاضى
ابو الوليد محمد بن رشد) بضم فسكون (والقاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمى) سبق (وغير واحد)
اى وكثيرون من مشايخنا (سماعا) اى رواية (واذنا) اى اجازة (قالوا) اى كلهم (ثنا ابو على الحافظ) الظاهر انه
ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر (ثنا ابو زيد) اى عبد الرحمن بن يحيى كما فى نسخة (ثنا احمد بن سعيد
ثنا ابن الاعرابى) تقدم (ثنا ابو داود) صاحب السنن (ثنا وهب بن بقية) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية
روى عنه مسلم والبغوى ثقة (عن خالد هو الطحان) بتشديد الحاء احد العلماء ثقة عابد زاهد يقال اشترى نفسه
من الله ثلاث مرات يتصدق بزنة نفسه فضة (عن محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وابى سلمة
وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى (عن ابى سلمة) وهو احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر
(عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) قال المزى فى الاطراف كذا وقع هذا الحديث فى رواية سعيد عن ابن الاعرابى
عن ابى داود مسندا موصولا وعند باقى الرواة عن ابى سلمة وليس فيه ابو هريرة فهو مرسل (ان يهودية) وهى زينب
اخت عبد الله بن سلام وقيل زينب بنت الحارث (اهدت للنبى صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية) بفتح الميم وكسر
اللام وتحتية مشددة اى مشوية (سمتها) بتشديد الميم من السم لا من التسمية اى وضعت السم فيها (فاكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم) بالرفع ويجوز نصبه وفى نسخة واكل القوم اى منها ايضا (فقال ارفعوا ايديكم)
اى عنها (فانها اخبرتنى) اى حينئذ (انها مسمومة فمات) اى من اكلها (بشر بن البرآء) بفتح الباء وتخفيف الراء
وهو ابن معرور واياك ان تجعلها فانه تصحيف مغرور وهو خزرجى سلمى شهد العقبة و بدرا واحدا قيل انه مات فى الحال
وقيل لزمه وجعه حتى مات بعد سنة وقضية خيبر كانت فى اول السابعة او فى آخر السادسة (وقال) اى النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (ماحملك) اى ايتها اليهودية (على ماصنعت قالت) اى حملنى ما تردد فى باطنى من انك (ان كنت
نبيا لم يضرك الذى صنعت وان كنت ملكا) بكسر اللام اى ممن يدعى ملكا (ارحت الناس منك قال) اى ابو هريرة
كما رواه البيهقى عنه موصولا وابو داود عن ابى سلمة مرسلا (فامر بها) اى بقتلها (فقتلت وقد روى هذا الحديث)
اى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (انس) اى كما فى الصحيحين (وفيه قالت اردت قتلك) ان لم تكن نبيا (فقال
ما كان الله ليسلطك على ذلك) و يروى ليسلط على ذلك و يسلطك على اى على قتلى فانى نبى موعود بكمال دينى وعصمة
روحى (فقالوا انقتلها) وفى رواية ألا نقتلها (فقال لا) اى لا تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر فلما مات امر
بقتلها به (وكذلك روى) اى هذا الحديث وفى نسخة وكذلك عن ابى هريرة (من رواية غير وهب) اى ابن بقية وهو شيخ
ابى داود (قال) اى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه (فما عرض لها) اى فما تعرض لها ولم يأمر بقتلها (ورواه ايضا
جابر بن عبد الله) كما رواه ابو داود والبيهقى عنه (وفيه) اى فى حديثه (اخبرتنى به هذه الذراع قال) اى جابر
(ولم يعاقبها) اى ولم يؤاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما صدر عنها قبل موت بشر منها (وفى رواية الحسن)
اى البصرى (ان فخذها كلمنى انها مسمومة) قلت وفى الجمع بينهما نصاب الشهادة (وفى رواية ابى سلمة ابن عبد الرحمن

فقالت) اى الشاة بكمالها او بعض اجزآئها (انى مسمومة) اى فلا تأكل منى (وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق) اى امام
المغازى (وقال فيه) اى فى حديثه (فتجاوز عنها) اى عفا ابتدآء (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه الشيخان
(عن انس انه قال فمازلت اعرفها) اى اثر سمها (فى لهوات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح اللام والهاء
جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة فى سقف اقصى الفم (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن سعد
وهو فى الصحيح (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى وجعه الذى مات فيه) وفى نسخة منه (مازالت اكلة
خيبر) بضم الهمزة اى لقمتها وخيبر بلدة على اميال من المدينة السكينة اكل بها من الشاة المسمومة (تعادنى)
بضم التاء وتشديد الدال اى يراددنى ويراجعنى ويعاودنى الم سمها فى اوقات معينة لها وهو مأخوذ من العداد
بكسر العين وهو اهتياج وجع اللديغ لوقت معلوم فانه اذا تمت له سنة من حين اللدغ هاج به الالم (فالآن) وفى نسخة
والآن اى وهذا الزمان الذى انا فيه (اوان قطعت ابهرى) والاوان بفتح الهمزة ويكسر بمعنى الوقت وهو هنا بفتح
النون لاضافته الى المبنى كما فى قوله على حين عاتبت المشيب على الصبا * او بضمها على انه مرفوع على الخبرية اى فهذا
الزمان اوان قطعت على بناء الفاعل وهو الاكلة ومفعوله ابهرى وهو بهمزة مفتوحة وسكون موحدة وفتح هاء
عرق يكتنف الصلب والقلب اذا قطع لم يبق معه حياة وهو الذى يمتد الى الحلق فيسمى الوريد والى الظهر فيسمى
الوتين فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا اوان قتلنى السم فكنت كمن انقطع ابهره كذا ذكره التلمسانى
والظاهر انه على ظاهره وان السم سرى الى ابهره وقال الداودى الالم الذى حصل له من الاكلة هو نقص لذة ذوقه
قال ابن الاثير وليس يبين لان نقص الذوق ليس بالم قلت هو الم من العذاب الاليم كما يشهد به الذوق السليم (وحكى
ابن اسحق) اى فى المغازى (ان) مخففة من المثقلة اى ان الشان (كان المسلمون) اى الصحابة والتابعون (ليرون)
بفتح اللام وضم الياء اى ليظنون وفى نسخة صحيحة بفتح الياء اى ليعتقدون (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم مات شهيدا) اى نوعا من الشهادة (مع ما اكرمه الله به من النبوة) اى لئلا يخلو من نوع من ابواب السعادة
وهذا لا ينافى قوله تعالى والله يعصمك من الناس اذ المراد به عصمته من القتل على ايديهم واما مادونه فقد احتمل
صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذات الله ومرضاته حتى سم وسحر وكسرت رباعيته كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم حين اصيبت اصبع رجله بحجر فى طريقه (هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت)
وقد اجيب بان الآية نزلت بتبوك والسم كان بخيبر قبل ذلك والله تعالى اعلم (وقال ابن سحنون) بفتح السين وضم
النون منصرفا وممنوعا وهو محمد بن سحنون بن سعيد التنوخى (اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قتل اليهودية التى سمته) هو محمول على آخر امرها فلا ينافى ماورد من عدم التعرض لها فى ابتدآء حالها فقول
الدلجى ان دعوى ابن سحنون يردها مامر من حديث انس وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما من رواية غير وهب بن
بقية ليس فى محله اذا سبق ان كل واحد من الحديثين يحمل نفيه قبل موت البرآء وهذا معنى قول المصنف (وقد ذكرنا
اختلاف الروايات فى ذلك) اى بحسب ما يتبين التخالف هنالك (عن ابى هريرة وانس وجابر) اى ابتدآء لا انتهاء
كما يشير اليه قوله (وفى رواية عن ابن عباس انه دفعها الى اولياء بشر بن البرآء فقتلوها) اى بعد موت البرآء فارتفع
النزاع وثبت ماذكره ابن سحنون من الاجماع (وكذلك) اى مثل هذا الاختلاف او نحوه قد اختلف (فى قتله للذى
سحره قال الواقدى وعفوه عنه اثبت عندنا) اى من قتله (وروى) وفى نسخة وقد روى عنه (انه قتله) ولعله عفا عنه
اولا بسبب سحره المتعلق بخاصة نفسه ثم قتله لما صدر عنه بالنسبة الى غيره اولدفع ضرره عن المسلمين فى آخر امره
او اوحى اليه بعد عفوه ان يأمر بقتله وهذه الجملة معترضة (وروى الحديث) اى حديث الشاة المسمومة (البزار عن ابى
سعيد) اى الخدرى (فذكر مثله) اى نحو ما سبق (الا انه قال) اى ابو سعيد (فى آخره) اى فى آخر حديثه (فبسط) اى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) اى مدها (وقال) اى لاصحابه كما فى نسخة (كلوا باسم الله) اى مبتدئين باسمه
ومستعينين بذكره (فاكلنا) اى منها (وذكرنا اسم الله) اى عليها (فلم تضر منا احدا) عن الحافظ ابن حجر انه منكر ذكره
الدلجى ولعل وجه الانكار عموم نفى الاضرار مع انه ثبت فى الصحيح موت البرآء منه كما سبق به التصريح وكذا تقدم انه
صلى الله تعالى عليه وسلم تضرر منها الى ان توفى بسببها وحصل له مرتبة الشهادة بها هذا والحديث رواه الجزرى ايضا
فى الحصين بلفظ وامر الصحابة فى الشاة المسمومة التى اهدتها اليه اليهودية ان اذكروا اسم الله وكلوا فاكلوا ولم يصب
احدا منهم شئ واسنده الى مستدرك الحاكم قال صاحب السلاح رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى سعيد الخدرى وقال
صحيح الاسناد انتهى لكن قال بعض مشايخنا وفيه تأمل لا يخفى اذ المشهور بين اصحاب الحديث وارباب
السير انه لم يأكل من تلك الشاة المسمومة احد من الصحابة الا بشر بن البرآء اكل منها القمة ومات منها وامر النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم باحراق تلك الشاة ودفنها تحت التراب واحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على كاهله من اجل الذى اكل من الشاة حجمه ابو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبنى بياضة من الانصار والله سبحانه وتعالى اعلم بالاسرار (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح) اى الذين التزموا الصحة (وخرجه الائمة) اى البقية من اصحاب السنن المشتملة على الصحيح وغيره من الاقسام (وهو حديث مشهور) اى بين الخاص والعام عند الجمهور من علماء الاعلام (واختلف ائمة اهل النظر) اى من المتكلمين وغيرهم (فى هذا الباب) اى باب خلق الله تعالى الكلام فى الاجسام (فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى) اى فى محل من الموجودات اعم من الحيوانات والنباتات والجمادات كما بينه مثلا بقوله (فى الشاة الميتة) بتخفيف الياء ويجوز تشديدها (او الحجر او الشجر) ذكرها بلفظ او للتنويع (وحروف واصوات) برفعهما عطف على كلام (يحدثها الله تعالى فيها) اى يوجدها فى هذه الاشياء بلا حياة لها لعدم توقف ما ذكر عليها (ويسمعها) بضم الياء وكسر الميم اى من شاء من خلقه (منها) اى من الاصوات والحروف (دون تغيير اشكالها) اى انواع صورها (ونقلها عن هيئتها) اى حالتها وصفتها وتمام حقيقتها (وهو) اى هذا القول (مذهب الشيخ ابى الحسن) اى الاشعرى (والقاضى ابى بكر) اى ابن الطيب الباقلانى (رحمهما الله) اقول فعلى هذا كلام الشاة من جنس سلام الحجر وكلام الشجر فلا يصلح ان يكون مستند الاحياء الموتى على ما ساقه المصنف كما لا يخفى بخلاف ما يستفاد من قوله (وآخرون ذهبوا الى ايجاده) اى الله سبحانه وتعالى (الحياة) وفى نسخة الى ايجاد الحياة لها اولا (ثم الكلام) بالنصب او الجر اى ثم ايجاد الكلام (بعده) اى بعد ايجاد الحياة بجامع عدم تغيرها عن حالها (وحكى هذا ايضا عن شيخنا) اى معشر اهل السنة (ابى الحسن) اى الاشعرى (وكل) اى من القولين (محتمل) اى لايجاد الحياة فيها ولعدمها ولما كان التناقض بين القولين دفعه المصنف بحمل القول الثانى على الكلام النفسى لاستلزامه الحياة وحمل الاول على اللفظى لعدم استلزام خلقه فى محل خلافها فيه بقوله (والله اعلم اذ لم نجعل) اى نحن ويجوز بصيغة الغائب اى ابو الحسن (الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها) اى فيه (فاما اذا كانت) اى الحروف والاصوات (عبارة عن الكلام النفسى فلا بد من شرط الحياة لها) اى للاصوات (اذ لا يوجد كلام النفس الا من حى) اقول وظاهر الايات والاحاديث يؤيد القول الاول فتأمل منها قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وحديث ان الجبل ينادى الجبل باسمه اى فلان هل مر بك احد ذكر الله تعالى فاذا قال نعم استبشر الحديث مع انه ليس هنالك خرق للعادة فالصحيح من مذهب اهل السنة والصريح من مشرب الصوفية ان الاشياء لها معرفة بموجدها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وان لها السنة مسبحة لخالقها ويفهمها جنسها ومن اراد الله ادراكها (خلافا للجبائى) بضم الجيم وتشديد الموحدة بعدها الف ممدودة نسبة الى جبى قرية بالسواد وهو من متقدمى المعتزلة وكان اماما فى علم الكلام واخذه عن يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره وعنه اخذ الشيخ ابو الحسن الاشعرى علم الكلام وله معه مناظرات مستحسنة بعد ما اقام على الاعتزال معه اربعين سنة ثم رجع حاله وحسن مآله ومال الى مذهب اهل السنة وصار امام الائمة قيل انه مالكى المذهب وقال السبكى اخذ فقه الشافعى عن ابى اسحق المروزى توفى عام ثلاثين وثلاثمائة واما الجبائى فمات سنة ثلاث وثلثمائة (من بين سائر متكلمى الفرق) اى فرق الاسلامية اذ لم يوافقه احد منهم (فى احالته) اى عدم امكانه (وجود الكلام اللفظى والحروف والاصوات الا من حى مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم) اى الجبائى (ذلك) اى ما ذكره من التركيب (فى الحصى) اى الذى سبح فى يد المصطفى (والجذع) اى الذى حن وان (والذراع) اى الذى تكلم وبين (وقال) اى الجبائى (ان الله خلق فيها حياة وخرق) بالراء اى شق ويروى خلق (لها فما ولسانا وآلة) اى مما يتوقف النطق عليها (مكنها) بتشديد الكاف وفى نسخة امكنها اى اقدرها الله تعالى (بها من الكلام وهذا) اى ما ادعاه دعوى بلا بينة منه فانه كما قال المصنف (لو كان) اى وجد ما ذكره (لكان نقله والتهمم به) اى الاهتمام بنقله (آكد) لكونه اغرب واعجب فنقله اهم (من التهمم بنقل تسبيحه) اى الحصى فى يديه صلى الله تعالى عليه وسلم (وحنينه) اى الجذع اليه (واخباره) اى الذراع له كذا فى شرح الدلجى ولم يوجد لفظ واخباره فى الاصول المعتمدة (ولم ينقل احد من اهل التفسير) اى شراح الحديث وفى نسخة من اهل السير اى ارباب التواريخ (والرواية) اى من المحدثين (شيأ من ذلك) اى مما ادعاه الجبائى (فدل) اى عدم نقلهم ما ادعاه (على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه فى النظر) اى فى نظر العقل وخبر النقل اذ المقام مقام خرق العادة وهو انما يكون على وفق القدرة والارادة وهو سبحانه وتعالى على كل شئ قدير (والله الموفق) اى للتيسير

كل عسير وفى نسخة والموفق الله لا سواه (وروى وكيع) الظاهر انه ابن الجراح وقد تقدم (رفعه) بالنصب وفى نسخة بصيغة الفعل اى رفع حديثه (عن فهد بن عطية) بالفاء فى اوله وبالدال فى آخره وفى نسخة بالراء وكلاهما لا يعرف على ما ذكره الدلجى تبعا للحلبى وفى المواهب عن مهد بالميم والدال ولعله تصحيف وانما روى البيهقى عن سمر بن عطية بكسر السين المهملة وسكون الميم فى آخره راء عن بعض اشياخه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اتى بصبى) اى جيء به اليه (قد شب) اى صار شابا (لم يتكلم قط فقال له من انا فقال رسول الله) اى انت رسوله (وروى) بصيغة المجهول وقد رواه البيهقى وابن عساكر (عن معرض) بضم ميم وتشديد راء مكسورة وروى معرض بكسر اوله كانه آلة (ابن معيقيب) بالتصغير وفى نسخة معيقب بحذف الياء الثانية (رأيت من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) وفى المواهب اسند الحديث الى معيقيب اليمانى قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورأيت منه عجبا اى خرق عادة متضمنا لكرامة (جيء) اى اليه (بصبى يوم ولد فذكر مثله) اى قال له من انا قال رسول الله (وهو حديث مبارك اليمامة) قال ابن دحية هو موضوع ذكره الدلجى ولعله موضوع باسناد غير معروف لما تقدم من ان الحديث هذا رواه البيهقى وابن عساكر فتأمل فانه محل زلل (ويعرف) اى حديث المبارك ايضا (بحديث شاصونة) بضم الصاد وسكون الواو فنون فتاء وضبط فى بعض النسخ بتحتية بدل النون وفى اخرى بفتح الصاد والواو وسكون الياء فهاء مكسورة هو ابو عبيد من اهل اليمن (اسم راويه) اى راوى حديث المبارك قال الحلبى هذا الصبى هو مبارك اليمامة وهو مذكور فى الصحابة قال الذهبى فى تجريده فى الصحابة مبارك اليمامة فى حديث معرض الصحابة (وفيه) اى فى مروى شاصونة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صدقت) اى فيما نطقت (بارك الله فيك) اى فى عمرك وفى امرك (ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها) اى بعد هذه الكلمة او الشهادة (حتى شب) اى بلغ زمن التكلم وفيه ايماء الى ان المراد بالغلام هنا هو الصبى قبل ان يصير شابا فهذا غير الصبى الذى تقدم والله تعالى اعلم (فكان) وفى نسخة صحيحة وكان (يسمى مبارك اليمامة) اى لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا له بالبركة اضيف الى اليمامة لانه كان من اهلها وفى القاموس ان اليمامة جارية زرقاء كانت تبصر الراكب من مسيرة ثلاثة ايام و بلاد الجو منسوبة اليها سميت باسمها وهى اكثر نخيلا من سائر الحجاز وهى دون المدينة فى وسط الشرق عن مكة هذا وقد جمع الجلال السيوطى رحمه الله جميع من تكلم وهو صغير فى هذه الابيات

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

(وكانت هذه القصة بمكة فى حجة الوداع) بفتح الواو وتكسر وهى سنة عشر من الهجرة (وعن الحسن) اى البصرى (اتى رجل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واسلم هو وامرأته (فذكر) اى الرجل له (انه طرح بنية) بالتصغير (له فى وادى كذا) يعنى وانها هلكت على ظنه بها او تردد فى حياتها او مماتها (فانطلق) اى فذهب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معه الى الوادى) اى المعهود (وناداها) اى البنية ابوها او النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (باسمها يا فلانة اجيبى) اى دعوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (باذن الله تعالى) اى بامره وتيسيره (فخرجت) اى من الوادى وظهرت فيه (وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما) اى بالحياة الاصلية او المجددة رددتك عليهما والا فاتركك (فقالت) وفى نسخة قالت (لا حاجة لى بهما) وفى نسخة فيهما (وجدت الله خيرا لى منهما) والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه كذا ذكره الدلجى ثم سياقه يحتمل ان يكون من كلام الصغار او فى احياء الموتى لان القضية تحتملهما الا ان المصنف رحمه الله لم يرتب فى هذا المحل اذ كان اللائق به ان يذكر اولا ما يتعلق باحياء الموتى ثم يأتى بكلام الصبيان على طبق العنوان ثم رأيت الحديث فى دلائل البيهقى صريحا فى احيائها حيث ذكر انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا اؤمن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يا فلانة قالت لبيك وسعديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اتحبين ان ترجعى الى الدنيا فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من ابوى ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا فكان حق المصنف ان يقدم هذا الحديث بهذا اللفظ فى صدر الباب ليكون مطابقا للعنوان الكتاب

ثم يذكر ما اخرجه ابو نعيم ان جابرا ذبح شاة وطبخها وثرد فى جفنة واتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان عليه الصلاة والسلام يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه صلى الله عليه وسلم جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قامت تنفض ذنبها كذا ذكره صاحب المواهب واما ما ذكروا عنه عليه الصلاة والسلام من احياء ابويه وايمانهما به على ما رواه الطبرانى وغيره عن عائشة فاتفق الحفاظ على ضعفه كما صرح به السيوطى وقال ابن دحية هو موضوع مخالف للكتاب والسنة وقد بينته فى رسالة مستقلة لتحقيق هذه المسألة ردا على العلامة السيوطى فى رسائله الثلاث المؤلفة وبيان الدلائل المضعفة (وعن انس) كما رواه ابن عدى والبيهقى وابن ابى الدنيا وابو نعيم (ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز) اى مات حال وجودها (عمياء فسجيناه) بتشديد الجيم اى غطيناه (وعزيناها) بتشديد الزاى اى امرناها بالصبر وحملناها على الشكر لوعد الاجر والحذر من الوزر ودعونا لها بجبر المصيبة ولولدها بالمغفرة (فقالت مات ابنى) اى أمات (قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم) اى من نيتى فى هجرتى (انى هاجرت اليك والى رسولك رجاء) بالنصب اى من اجل املى (ان تعيننى على كل شدة) اى واقعة لى (فلا تحملن على) بتشديد الياء (هذه المصيبة) اذ لست لحملها مطيقة هذا ولا يبعد ان يكون ان بمعنى اذ لكن الاولى ما قدمناه من ان الترديد غير راجع الى علمه سبحانه وتعالى بل الى معلومه من حيث عدم جزمها بكون هجرتها خالصة وقد ابعد الدلجى بقوله تجاهلا منها فيه (فما برحنا) بكسر الراء اى ماذهبنا من مكاننا ولا زلنا فى موضعنا (حتى كشف الثوب) كذا فى اصل الدلجى اى الى ان كشفه وفى الاصول المعتمدة ان كشف الثوب اى فما زايلنا كشفه وما فارقنا رفعه (عن وجهه) بعد دعائها الى احيائه (فطعم وطعمنا) بكسر العين اى فعاش مدة بدعائها واكل واكلنا معه وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هى ابلغ منها حيث حصل للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماته لاحتمال اغمائه مع وجود سكته لكن زال الغم بدعاء الام (وروى) اى على ما نقله البيهقى (عن عبد الله بن عبيد الله الانصارى كنت فيمن دفن ثابت بن قيس ابن شماس) بتشديد الميم قال الحلبى ثابت هذا انصارى خطيب الانصار وقد شهد له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة وذلك انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية احتبس ثابت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان فى اذنيه صمم فكان يرفع صوته وقال لقد علمتم انى من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانا من اهل النار فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة روى عنه بنوه وانس (وكان) اى ثابت (قتل باليمامة) وكانت وقعة اليمامة سنة اثنى عشرة فى خلافة الصديق (فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان) وفى نسخة وعثمان (البر) بفتح الموحدة (الرحيم) اى البار لقومه عامة والرحيم برحمة خاصة (فنظرنا) اى مختبرين حاله من حياة وموت (فاذا هو ميت) فهذا الحديث دليل كلام الموتى لا احيائهم كما لا يخفى (وذكر عن النعمان بن بشير) كما رواه الطبرانى وابو نعيم وابن منده عنه وابن ابى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت عن انس (ان زيد بن خارجة) بالخاء المعجمة ثم الجيم (خر ميتا) اى سقط من قيام او قعود حال كونه ميتا وجوزان يكون التقدير وقد خر حيا فمات به فى عقبه ويؤيده ما فى رواية ابن ابى الدنيا على ما نقله عنه القسطلانى فبينما هو يمشى فى طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفى (فى بعض ازقة المدينة) بكسر الزاى وتشديد القاف جمع زقاق اى بعض طرقها المسلوكة فى داخلها (فرفع) اى جسده (وسجى) اى غطى وجهه (اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن) بضم الراء اى يبكين بصياحهن (حوله) اى ومعهن رجال من اهله (يقول انصتوا انصتوا) بفتح الهمزة وكسر الصاد فيهما اى اسكتوا واستمعوا والتكرير للتأكيد فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب (فحسر) بصيغة الفاعل اى كشف غطاءه (عن وجهه) وفى نسخة بصيغة المفعول ويؤيده انه فى رواية فحسروا عن وجهه (فقال) اى القائل على لسانه كما فى رواية (محمد رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (النبى الامى وخاتم النبيين) اى آخرهم (كان ذلك) اى كونه رسولا نبيا اميا وخاتما كليا (فى الكتاب الاول) اى اللوح المحفوظ الذى كل ما فيه لا يبدل (ثم قال) اى زيد (صدق صدق) اى رسول الحق والتكرير للتأكيد او صدق فيما اخبر به عن الابتداء كما انه صدق فيما انبأ به عن الانتهاء (وذكر ابا بكر وعمر وعثمان) اى بخير او بانهم صدقوا فيما عاهدوا الله عليه او بانهم ممن قال تعالى فيهم والذى جاء بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزآء المحسنين وذلك لما كشف له من احوال الآخرة هذا وقد تصحف على الدلجى حيث قال صدق صدق امر مخاطب (ثم قال) اى زيد (السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته) وهو سلام وداع اما غيبة واما مشاهدة ويؤيده انه فى رواية قال هذا رسول الله الخ قال التلمسانى روى تركناه او قول الظاهر

انه

انه تصحيف (ثم عاد ميتا كما كان) اى عودا لبدئه واعلم ان صاحب الاستيعاب ذكر فى زيد بن خارجة بن زيد انه هو الذى تكلم بعد الموت لا يختلفون فى ذلك قال الذهبى وهو الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد قال ابن عبد البر توفى فى زمن عثمان فسجى بثوب ثم انهم سمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم فقال احمد احمد فى الكتاب الاول صدق صدق ابو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى امر الله فى الكتاب الاول صدق صدق عمر بن الخطاب القوى الامين فى الكتاب الاول صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجه مضت اربع وبقى سنتان اتت الفتن واكل الشديد الضعيف وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر اريس وما بئر اريس هذا وعن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفى فلما كفن واتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اخرجه ابو بكر بن الضحاك والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصـــــل)

(فى ابرآء المرضى وذوى العاهات) اى الآفات (قال) اى المصنف (اخبرنا ابو الحسن على بن مشرف) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وتشديد الرآء المفتوحة (فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال) اى ابو الحسن او كل منه ومن غيره (ثنا ابو اسحق الحبال) بتشديد الموحدة (ثنا ابو محمد ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة (ثنا ابن الورد) وهو راوى سيرة ابن هشام (عن البرقى) بفتح الموحدة وسكون الرآء وهو ابو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم ابن ابى زرعة البغدادى الزهرى مولاهم (عن ابن هشام) هو الامام الاديب العلامة ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب صاحب السيرة قال السهيلى مشهور بكمال العلم متقدم فى علم النسب والنحو والادب واصله من البصرة قدم مصر وحدث بالمغازى وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين (عن زياد البكائى) بفتح الموحدة وتشديد الكاف نسبة الى جده اشتهر بالبكاء وقيل سمى به لانه دخل على امه وهى تحت ابيه فبكى وصاح وقال انه يقتل امى روى عنه احمد وقال ابن معين لا بأس به فى المغازى خاصة (عن محمد بن اسحق) وهو الامام فى المغازى (ثنا ابن شهاب) وفى نسخة ابن هشام والاول هو الصواب والمراد به الزهرى وهو احد مشايخ ابن اسحق المذكور (وعاصم بن عمر بن قتادة) اى ابن النعمان الظفرى يروى عن ابيه وجابر وعنه جماعة صدوق وكان علامة فى المغازى مات سنة عشرين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة (وجماعة) اى آخرون (ذكرهم) اى ابن اسحق (بقضية احد) اى فى غزوته (بطولها) اى بجميع ما يتعلق بها ومنها هذه القصة بخصوصها وقد رواها البيهقى ايضا (قال) اى ابن اسحق (وقالوا) اى مشايخنا المذكورون (قال سعد ابن ابى وقاص) اى فى غزوة احد وهو احد العشرة المبشرة (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليناولنى السهم لا نصل به) بالصاد المهملة حديدة السهم والرمح وفى نسخة بالضاد المعجمة وهو تصحيف وتحريف (فيقول ارم به) اى فارمى به فيقتل من اصابه وهذا من خرق العادة ولعل هذا كان بعد فراغ السهام التى لها نصل (وقد رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عاصم ابن عمر بن قتادة مرسلا (يومئذ) اى يوم احد (عن قوسه) وهى المسماة بالكتوم لانخفاض صوتها اذا رمى عنها (حتى اندقت) بتشديد القاف اى انكسرت وفى نسخة حتى اندقت سيتها كذا فى السير (واصيب) وروى واصيبت (يومئذ عين قتادة يعنى ابن النعمان) بضم النون وهو تفسير من الراوى (حتى وقعت على وجنته) بتثليث الواو والفتح افصح اى سالت على اعلى خده فاتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى امرأة احبها واخشى ان رأتنى تقذرنى فاخذها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وفى رواية انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ما هذا يا قتادة فقال هذا ما ترى يا رسول الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يا رسول الله ان الجنة اجر جزيل وعطاء جليل جميل ولكنى اكره ان اعير بالعور فردها الى واسأل الله لى الجنة فقال افعل فاعادها الى موضعها ودعا له بالجنة وهذا معنى قوله (فردها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلا ووصله ابن عدى والبيهقى عن عاصم عن جده قتادة ورواه البيهقى من وجه آخر عن ابى سعيد الخدرى عن قتادة (فكانت) اى عينه المردودة (احسن عينيه) لانها المقبولة وكانت ايضا احدهما نظرا ولا ترمد اذا رمدت الاخرى ولهذا ظهر ضعف قول التلمسانى يجوزان يكون اكتفى بذكر احدى العينين عن الاخرى اذ روى انهما اصيبتا معا فردهما النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبرئتا انتهى ويمكن الجمع بتفرق القضيتين هذا وقد وفد على عمر بن عبد العزيز رجل من ذريته فسأله عمر من انت فقال

ابونا الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد

فعادت كما كانت لاول امرها * فياحسن ماعين وياحسن ماخد

فوصله عمر واحسن جائزته وقال

تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

واخرج الطبرانى وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقى السهام بوجهى دون وجه رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فاخذتها بيدى وسعيت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه واجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا
(وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة) اى كما تقدم قيل وهو الذى قدم على عمر بن عبد العزيز كما سبق (ويزيد
ابن عياض بن عمر بن قتادة) كذا فى النسخ ولم يعرف فى رواة الحديث بل ولا فى حملة العلم احد يقال له يزيد بن عياض
ابن عمر بن قتادة وقال الحلبى الصواب يزيد بن عياض عن ابن عمر بن قتادة فيكون سقط عن وذلك لان عاصم بن عمر
شيخ يزيد هذا ويزيد بن عياض ليثى حجازى حدث عن نافع وابن شهاب والمقبرى وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة
وعنه على بن الجعد وشيبان وعدة قال البخارى وغيره منكر الحديث وقد رماه مالك بالكذب وقد اخرج له الترمذى
وابن ماجه ولا يحتمل ان يكون يزيد بن عياض يروى عن عمر بن قتادة لان عمر بن قتادة لم يروعنه الا ولده عاصم
ولا يعرف الا بروايته عنه وجده ذكره ابن حبان فى الثقات (ورواها) اى قصة قتادة (ابو سعيد الخدرى عن قتادة)
فهى رواية الاكابر عن الاصاغر (وبصق) اى بزق (على اثر سهم فى وجه ابى قتادة) كما رواه البيهقى من حديث
ابى قتادة وهو الحارث بن ربعى وقيل غير ذلك (فى يوم ذى قرد) بفتح القاف والراء فدال مهملة وحكى السهيلى عن ابى
على الضم فيهما وهو منصرف ماء على ليلتين وقيل ليلة من المدينة بينها وبين خيبر وقال انها غزوة الغابة كان يومه قبل
خيبر بثلاثة ايام ذكره الحجازى قال ابن سعد كانت فى ربيع الاول سنة ست وفى البخارى بعد حنين بثلاثة ايام وقبل
الحديبية وفى مسلم نحوه وقال ابن القيم فى الهدى وهذه الغزوة كانت بعد الحديبية وقد وهم فيها جماعة من اهل المغازى
والسير فذكروا انها قبل الحديبية ثم استدل على صحة ما قاله بما اورده فيه (قال) اى ابو قتادة (فما ضرب على)
اى ضربانا (ولا قاح) من القيح وهى المدة لا يخالطها دم يقال منه قاح الجرح يقيح اذا حصل فيه مادة بيضاء (وروى
النسائى) بالقصر ويمد باسناده فى سننه وهو الذى تأخر بعد الثلاثمائة من اصحاب الكتب الستة سمع قتيبة
وطبقته واصحاب مالك انتهى اليه علم الحديث وروى عنه الكتانى وابن السنى (عن عثمان بن حنيف) بضم مهملة
وفتح نون وعثمان هذا هو اخو عبادة وسهل وله صحبة ورواية شهد احدا وما بعدها وهو احد من تولى مسح سواد العراق
لعمر وولى البصرة لعلى (ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لى عن بصرى) اى يزيل عنه ما يحجبه (قال
انطلق) وفى نسخة صحيحة فانطلق اى اذهب (فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم انى اسألك واتوجه اليك) اى ملتجئا
ومتوسلا (بنبيى) وفى رواية بنبيك (محمد نبى الرحمة يا محمد) فيه التفات (انى اتوجه بك الى ربك ان يكشف لى عن بصرى
اللهم) التفات آخر (شفعه فى) بتشديد الفاء والياء اى اقبل شفاعته فى حقى (قال) اى عثمان الراوى (فرجع) اى
الاعمى (وقد كشف الله عن بصره) والظاهر ان قوله يا محمد من جملة الدعاء المأمور به فلا يكون التصريح باسمه من
باب سوء الادب فى ندائه فلا يحتاج الى تكلف الدلجى بقوله ولعله كان قبل علمه بتحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا هذا وقد رواه الترمذى ايضا وقال حسن صحيح غريب والنسائى
فى اليوم والليلة وابن ماجه فى الصلاة والحاكم والبيهقى وصححاه (وروى) كما رواه ابو نعيم والواقدى عن عروة (ان ابن
ملاعب الاسنة) بضم الميم وكسر العين والاسنة بتشديد النون جمع سنان وهو الرمح ويقال له ملاعب الرماح ايضا وتعبيره
بالملاعب ابلغ من اللاعب سمى به لتقدمه وشجاعته فكأنه يلاعبها قال الحلبى لا اعرف ابنه واما هو فعامر بن مالك عم
عامر بن الطفيل وقد ذكره بعضهم فى الصحابة لكن قال الذهبى فى تجريده والصحيح انه لم يسلم وقد قدم المدينة فعرض عليه
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الاسلام فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام فى قصة بئر معونة (اصابه استسقاء) اى المرض
المعروف بكثرة شرب الماء وسببه اجتماع ماء اصفر فى البطن (فبعث الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واحدا
يستشفيه (فاخذ) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بيده حثوة من الارض) بفتح الحاء المهملة وسكون المثلثة لغة فى
حثية بالياء من حثا التراب عليه يحثو ويحثيه والمعنى اخذ قبضة منها (فتفل عليها) اى بصق قال ابو عبيد النفث
بالفم شبيه بالنفخ واما التفل فلا يكون الا ومعه شئ من الريق (فاعطاها رسوله) اى الذى جاء من عنده
(فاخذها متعجبا يرى) بضم الياء او فتحها اى يظن او يعتقد (ان قد هزئ به) بضم هاء وفتح وكسر زاى
فهمز وان مخففة من المثقلة اكتفاء بمرفوعها واسمها ضمير الشان وضمير به راجع الى ابن الملاعب وذلك

للشاع فى هذا الباب ان ذلك تراب (فاتاه بها) اى بالحثوة (وهو على شفا) بفتح الشين المعجمة مقصورا منونا وهو حرف
كل شئ ومنه قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار اى حرفها او طرفها ويقال اشفى المريض على الموت وما بقى
الا شفا اى قليل واشفى عليه اشرف اى والحال انه مشرف على الموت (فشربها) اى بانضمامها الى ما عنده من الماء
فكانه عرف بالايماء اليه انه نافع للاستسقاء (فشفاه الله تعالى) اى عافاه مما ابتلاه (وذكر العقيلى) بضم المهملة
وفتح القاف صاحب كتاب الضعفاء قال ابن القطان ابو جعفر العقيلى مكى ثقة جليل القدر عالم بالحديث مقدم فى الحفظ
توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة (عن حبيب بن فديك) مصغر فدك بالدال المهملة (ويقال فريك) اى بالراء
وبالاول رواه البيهقى والطبرانى ورواه ابن ابى شيبة بالثانى واما حبيب فبفتح الحاء المهملة وروى بضم المعجمة مصغرا
(ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا) وروى انه عليه الصلاة والسلام سأله عما اصابه قال كنت اقود جملا لى
فوقعت رجلى على بيض حية فعميت (فنفث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نفخ (فى عينيه فابصر)
اى بهما (فرأيته) اى ابى بعد ذلك (يدخل الخيط فى الابرة وهو ابن ثمانين) اى سنة كما فى رواية وفى رواية وان عينيه
لمبيضتان فى المواهب رواها ابن ابى شيبة والبغوى والبيهقى والطبرانى وابو نعيم (ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد فى
نحره) اى صدره (فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فبرأ) بفتح الراء ويكسر وقيل برأ من المرض بفتح الراء
وبرئ من الدين بكسرها قال الدلجى لا ادرى من رواه انتهى قال الحلبى كلثوم بن الحصين ابو ذر الغفارى شهد احدا
وبايع تحت الشجرة واستخلفه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة فى عمرة القضاء وعام الفتح واصيب بسهم
فى نحره فسمى المنحور وجاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبصق عليه فبرأ روى الزهرى عن ابن اخيه عنه وقد
اخرج له احمد فى المسند والبخارى فى كتاب الادب المفرد وليس له فى الكتب الستة شئ (وتفل) اى بصق رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم (على شجة عبد الله بن انيس) بالتصغير والشجة الضربة فى الوجه والرأس فقط وقد يسمى
بذلك ما يكون فى سائر الجسد مجازا (فلم تمد) بضم التاء وكسر الميم وتشديد الدال من امد الجرح صارت فيه مدة اى
قيح والمعنى لم تحصل مادة من القيح فى ذلك الجرح والحديث رواه الطبرانى وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بعث عبد الله بن رواحة فى نفر من اصحابه منهم عبد الله بن انيس الى اليسير بن رزام وكان بخيبر يجمع غطفان لغزو
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك
فلم يزالوا به حتى خرج معهم فحمله عبد الله بن انيس على بعيره حتى اذا كانوا بالقرقرة على تسعة اميال من خيبر ندم
اليسير بن رزام على مسيره الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ففطن له عبد الله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به
ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط فامه فلما قدم عبد الله بن انيس على رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه (وتفل فى عينى على يوم خيبر وكان) اى على (رمدا) بفتح الراء وكسر
الميم اى ذا رمد بفتحتين وهو وجع العين وفى الحديث لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين (فاصبح بارئا) بكسر
الراء بعدها همزة اى فصار معافى والحديث رواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى ففى البخارى فى غزوة خيبر انه
صلى الله تعالى عليه وسلم قال اين على بن ابى طالب فقالوا يا رسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فدعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع وفى رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة
عن ابيه قال فارسلنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى على فجئت به اقوده ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وعند الطبرانى
من حديث على قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الراية يوم خيبر وعند
الحاكم من حديث على فوضع صلى الله تعالى عليه وسلم رأسى فى حجره ثم بصق فى راحته فدلك بها عينى وعند الطبرانى
فما اشتكيتهما حتى الساعة قال ودعا لى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر قال فما اشتكيتهما
حتى يومى هذا (ونفث) اى ثلاث نفثات (على ضربة بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت) بفتح الراء وفى نسخة
فبرئت بكسر الراء وهى لغة اهل الحجاز وفى رواية فما اشتكاها قط رواه البخارى (وفى رجل زيد بن معاذ) اى ونفث فيها
(حين اصابه السيف الى الكعب) اى الى كعب رجله (حين قتل ابن الاشرف) وهو كعب بن الاشرف اليهودى
وقصته مشهورة (فبرئت) اى رجله رواه عبد بن حميد فى تفسيره عن عكرمة ورواه ابن اسحق والواقدى ايضا لكن
قالا بدل زيد بن معاذ الحارث بن اوس ورواه البيهقى من حديث جابر وذكر بدلهما عباد بن بشر وهو ممن حضر
قتل كعب واما زيد بن معاذ فقال الحلبى لا اعرف انه ذكر فى هذه الواقعة بل ولا فى الصحابة احد يقال له زيد بن معاذ
الا ان يكون احد نسب الى جده او جدله اعلى بل الذى جرح فى رأسه او رجله على الشك من الراوى فى قتل كعب
ابن الاشرف انما هو الحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بدرى قتل يوم احد وله ثمان وعشرون سنة

وقيل الذى حضر كعبا هو الحارث بن اوس بن النعمان الحارثى وقد حكى الذهبى القولين ثم قال وقيل هما واحد نسب الى جده الاعلى لكن افترقا بالنسب كما ترى انتهى وقد سمى فى رواية البخارى الذين قتلوا كعبا منهم الحارث ابن مسلم وكذا مسلم فى الجهاد فعليه الاعتماد هذا وقد قال بعضهم ان زيد بن معاذ هو ابن اخى سعد بن معاذ وانه نقله غير القاضى كذلك ولعلهما اطلعا على المراد (وعلى ساق على بن الحكم) بفتحتين صحابى وهو اخو معاوية بن الحكم السلمى (يوم الخندق اذ انكسرت) اى نفث حين انكسرت ساقه (فبرأ) وفى نسخة فبرئ (مكانه) اى ولم يتعذ زمانه (وما نزل عن فرسه) اى والحال انه لم يقدر على نزوله عن فرسه اذ جاءه يستشفيه رواه ابو القاسم البغوى فى معجمه (واشتكى على ابن ابى طالب) اى مرض او اشتكى وجعا (فجعل) اى شرع على او قصد (يدعو) اى يطلب الله تعالى ان يعافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اشفه) روى بالضمير وهاء السكت وكذا قوله (اوعافه) والشك من الراوى (ثم ضربه برجله) اى لتصيبه بركة فعله بعد اثر قوله (فما اشتكى ذلك الوجع بعد) بضم الدال اى ماشكاه بعد دعائه واصابة رجله لبعض اجزائه رواه البيهقى (وقطع ابو جهل يوم بدر يد ابن معوذ) بتشديد الواو المكسورة وتفتح (ابن عفراء) بمهملة ففاء فراء ممدودة قال الحلبى والمعروف ان ابن ابى جهل عكرمة فعل ذلك بمعاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وكذا نقله ابو الفتح اليعمرى ابن سيد الناس عن القاضى عياض ثم قال معوذ صحابى معروف قتل يوم بدر وهو من جملة اربعة عشر قتيلا من المسلمين فى وقعة بدر رضى الله تعالى عنهم اقول ولا منع من الجمع فتأمل (فجاء) اى معوذ او معاذ (يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عليها (فالصقها فلصقت) بكسر الصاد (رواه ابن وهب ومن روايته ايضا) وكذا رواه البيهقى عن ابن اسحق (ان خبيب ابن يساف) بفتح الياء وفى نسخة اساف بكسر الهمزة ويفتح واما خبيب فهو بخاء معجمة وموحدتين بصيغة التصغير فى النسخ وهو موافق لما فى القاموس ومطابق لما ذكره الحلبى وضبطه الدلجى بمهملة ويائين بينهما مثلثة والظاهر من كلامه انه بفتح اوله وكسر ثانيه (اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حال كونه معه اى بقربه (بضربة على عاتقه) اى ما بين منكبه وعنقه (حتى مال شقه) بكسر الشين وتشديد القاف اى احد شقيه بانفصاله عنه بحد سيفه (فرده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بامالته الى محله (ونفث عليه حتى صح) اى التأم قال الحلبى وخبيب هذا خزرجى شهد بدرا واحدا وما بعدهما وكان نازلا بالمدينة فتأخر اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى بدر فلحقه فى الطريق فاسلم وشهد بدرا فضربه رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فتفل عليه ولأمه ورده فانطلق فقتل الذى ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك وكانت تقول لاعدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فيقول لاعدمت رجلا عجل اباك الى النار وتوفى فى خلافة عثمان (واتته امرأة من خثعم) قبيلة معروفة (معها صبى به بلاء) اى عارض (لا يتكلم) اى بسببه (فاتى بماء فمضمض فاه) اى فمه (وغسل يديه) الظاهر الى رسغيه (ثم اعطاها اياه) اى الماء (وامرها بسقيه) اى بشرب الصبى منه (ومسه به) اى مسحه بيده ووقع فى اصل الدلجى وامرها ان تسقيه ومس به اى مس صلى الله تعالى عليه وسلم الصبى بالماء (فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل) بضم الضاد المعجمة وتفتح اى يزيد ويغلب (عقول الناس) رواه ابن ابى شيبة عن ام جندب مرفوعا وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها به جنون فمسح) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (صدره فثع ثعة) بمثلثة ومهملة مشددة فيهما اى قاء مرة (فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود) بتثليث الجيم ولد الكلب والسبع (فشفى) بصيغة المجهول اى برئ من جنونه وفى نسخة فسعى بفتح السين والعين المهملة اى مشى واشتد عدوا والظاهر انه تصحيف ثم فاعل سعى الجرو وهو الاقرب او المبتلى وهو الانسب والحديث رواه احمد والبيهقى وابن ابى شيبة ففى مسند احمد ثنا حماد ثنا يزيد حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد السبخى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان امرأة جاءت بولدها الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان به لمما وانه يأخذه عند طعامنا فيفسد علينا طعامنا قال فمسح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من فيه مثل الجرو الاسود فشفى وقد ذكره احمد ايضا من طريق اخرى فقال حدثنا ابو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن فرقد فذكر نحوه الا انه قال فثع اى سعل انتهى والظاهر ان قوله سعل بيان لسبب قيئه اى فسعل فقاء (وانكفأت القدر) بهمزة مفتوحة بعد الفاء اى انقلبت البرمة وسقطت (على ذراع محمد بن حاطب) بحاء مهملة وطاء مكسورة فوحدة وفى نسخة حاتم وهو غير صحيح والمراد به ابن الحارث بن معمر القرشى من بنى جمح ولد بالحبشة قيل هو اول من سمى فى الاسلام محمدا له صحبة (وهو طفل) جملة حالية (فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه) اى على فوره رواه النسائى والطيالسى والبيهقى (وكانت فى كف شرحبيل) بضم اوله ويقال له شراحيل (الجعفى) بضم الجيم (سلعة) بكسر السين وتفتح وسكون اللام وهى زيادات تحدث فى الجسد بين الجلد

واللحم كالغدة تكون من قدر حمصة الى قدر بطيخة اذا غمزت باليد تحركت (تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة) بكسر العين اى لجامها وزمامها (فشكاها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فما زال) اى النبى صلى الله عليه وسلم (يطحنها) بفتح الحاء اى يعالجها او يفحصها بكفه (حتى رفعها) اى ازالها من كفه (ولم يبق لها اثر) اى فى محلها رواه الطبرانى والبيهقى (وسألته جارية) اى بنت او مملوكة (طعاما وهو يأكل) جملة حالية (فناولها من بين يديه) اى بعض ما لديه (وكانت) اى قبل ذلك (قليلة الحياء) لعلها الخلل كان بعقلها (فقالت انما اريد من الذى فى فيك) اى فى فمك (فناولها ما فى فيه ولم يكن) اى من عادته (يسأل شيأ فيمنعه) بالنصب على جواب النفى (فلما استقر) اى ما كولها الذى ناولها (فى جوفها القى عليها من الحياء ما) اى شئ عظيم منه حتى بسببه (لم تكن امرأة فى المدينة) اى فضلا عن غيرها (اشد حياء منها) اى ببركته ويمن همته

(فصـــل)

(فى اجابة دعائه عليه الصلاة والسلام) اى القوم وعلى بعض (وهذا باب واسع) اى متسع ذيله وما يتعلق به (جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال منصوب على المصدر أى وسعا كثيرا (واجابة دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم) اى بالخير تارة (وعليهم) اى بالشر تارة وهذا مفهوم كلام المصنف بحسب الظاهر ولكن الاظهر ان المراد به انه دعا لبعض منهم بالمنفعة ولآخرين منهم بالمضرة ولذا قال التلمسانى فكانه اوصله نفعا وصب عليه شرا (وهذا امر متواتر فى الجملة) وفى نسخة على الجملة اى لا على التفصيل (معلوم ضرورة) اى عند اهل السيرة (وقد جاء فى حديث حذيفة) اى من رواية احمد بن محمد بن حنبل فى مسنده (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوات) اى اثرها (ولده وولد ولده) وفيه تنبيه على صحة معنى ما يقال الولد سر ابيه ويؤيده قوله تعالى وكان ابوهما صالحا قيل كان بينهما سبعة آباء (قال) اى المصنف (حدثنا ابو محمد العتابى) بتشديد الفوقية (بقراءتى عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد) وفى نسخة بالتصغير والاول هو الصحيح (ثنا ابو الحسن) بكسر التاء (القابسى) بكسر الموحدة (ثنا ابو زيد المروزى حدثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (حدثنا محمد بن اسماعيل) اى البخارى صاحب الجامع وقد اخرجه مسلم ايضا (ثنا عبد الله ابن ابى الاسود) اى البصرى من رواية مالك (ثنا حرمى) بفتح الحاء والراء وهو ثابت بن روح وكنيته ابو عمارة ابن ابى حفصة (ثنا شعبة عن قتادة عن انس بن مالك قال قالت امى) وهى ام سليم بنت ملحان (يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر ماله) اى حلالا (وولده) اى صالحا (وبارك له فيما آتيته) اى اعطيته من المال والولد فاوتى مالا كثيرا واولادا مات له فى الطاعون الجارف سبعون ولدا من صلبه غير اولاد اولاده (ومن رواية عكرمة) اى على ما انفرد بها مسلم وهو ابن عمار الحنفى اليمامى وكان مجاب الدعوة (قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون) بضم الياء وتشديد الدال اى يعد بعضهم بعضا ويزيدون (اليوم على نحو المائة) قال التلمسانى وفى رواية الصحيحين والمصابيح ليتعادون بزيادة التاء (وفى رواية) وهى غير معروفة (وما اعلم احدا اصاب اليوم من رخاء العيش) اى سعة المعيشة وكثرة النعمة (ما اصبت) اى ببركة دعوة صاحب النبوة واثر كثرة الملازمة والخدمة هذا واستدل بعضهم بدعائه عليه السلام لانس على تفضيل الغنى على الفقر واجيب بانه مختص بدعاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بورك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه مضرة (ولقد دفنت بيدى) بتشديد الياء (هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا) بكسر السين ويجوز ضمها وفتحها وهو الجنين الذى يسقط قبل تمامه (ولا ولد ولد) اى لا احسبها فى العدد قال الحلبى واعلم ان فى البخارى فى الصوم من رواية حميد عن انس قال حدثنى ابنتى امينة انه دفن لصلبى مقدم الحجاج البصرة عشرون ومائة وقيل وكان مقدمه سنة خمس وسبعين وقد ولد لانس بعد ذلك اولاد كثيرة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ونقل عن ابن قتيبة انه وقع على الارض من صلب المهلب ابن ابى صفرة البصرى ثلاثمائة ولد (ومثله) وفى نسخة صحيحة ومنه اى ومن دعائه المجاب (دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة) على ما رواه البيهقى (قال) اى عبد الرحمن كما فى نسخة صحيحة (فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه) اى فتوحات كثيرة واموالا غزيرة (ومات فحفر الذهب) بصيغة المجهول اى استخرج مما كان مدفونا (من تركته) بفتح فكسر اى متروكاته بعد خيراته ومبراته (بالفؤوس) بضم الفاء والهمزة وسكون الواو جمع فاس بالهمز ويبدل كراس ورؤوس وكأس وكؤوس (حتى مجلت) بفتح الجيم ويكسر اى تنفطت من كثرة العمل (فيه الايدى واخذت كل زوجة) اى من زوجاته (ثمانين الفا وكن اربعا) فجملته ثلثمائة وعشرون الفا (وقيل مائة الف) بالنصب اى اخذت كل واحدة منهن مائة الف فجملته اربعمائة الف (وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه) اى الذى مات فيه (على نيف) بتشديد التحتية المكسورة وتسكينها اى زيادة

يعني كسر (وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا) اى الف دينار فى سبيل الله كما صرح به عروة بن الزبير وكذا اوصى بالف
فرس فى سبيل الله كما ذكره الحجازى وغيره (بعد صدقاته الفاشية) اى الكثيرة الشائعة (فى حياته وعوارفه العظيمة)
اى معروفاته الجزيلة قبل مماته (اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير) بكسر العين اى بقافلة (فيها سبعمائة
بعير وردت عليه) اى جاءت من سفر تجارة (تحمل من كل شئ) اى من اجناس الاموال وانواعها (فتصدق بها) اى
بالابعرة السبعمائة (و بما عليها) اى من انواع البضائع المختلفة (و باقتابها) جمع قتب بالتحريك وهو للبعير كالاكاف
لغيره (واحلاسها) جمع حلس بالكسر وهو كساء يلى ظهر البعير تحت القتب وفى ذكرهما مبالغة فى الاستيفاء وتأكيد
للاستقصاء هذا وقد قال الحلبى الذى استحضره من صدقات عبد الرحمن بن عوف انه تصدق بشطر ماله اربعة
آلاف ثم باربعين الفا ثم باربعين الف دينار ثم تصدق بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وفى الترمذى
انه اوصى لامهات المؤمنين بحديقة بيعت باربعمائة الف قال الترمذى حديث حسن وقال الزهرى اوصى لمن بقى
من اهل بدر لكل رجل باربعمائة دينار وكانوا مائة فاخذوها واخذ عثمان فيمن اخذوا واوصى بالف فرس فى سبيل الله
انتهى وروى انه رضى الله تعالى عنه لما حث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصدقة جاءه باربعة آلاف درهم
وقال يارسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال صلى الله تعالى
عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله فى ماله (ودعا لمعاوية) اى ابن ابى سفيان (بالتمكين
فى البلاد فنال الخلافة) اى اصابها فى الجملة اوعلى وفق ما اراد اذ الصحيح انه لايسمى خليفة على خلاف بعد نزول
الحسن والمعتمد ان الخلافة تمت بخلافة الحسن بعد ابيه بستة اشهر لقوله عليه الصلاة والسلام الخلافة بعدى فى امتى
ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه احمد والترمذى بسند صحيح وكذا ابن حبان عن سفينة ثم رأيت انه قيل صوابه
الامارة وقد روى ابن سعد دعاءه عليه الصلاة والسلام اللهم علمه الكتاب ومكنه فى البلاد وقه العذاب وروى انه
عليه الصلاة والسلام قال لن يغلب معاوية وقد بلغ عليا هذه الرواية فقال لو علمت ما حاربته (ولسعد ابن ابى وقاص)
اى دعا له (ان يجيب الله دعوته فما دعا) اى سعد (على احد الا استجيب له) رواه الترمذى موصولا ورواه البيهقى عن
قيس ابن ابى حازم مرسلا بلفظ اللهم استجب له اذا دعاك وحسنه وقد استجيب له دعاء دعوات مروية فى الصحيح وغيره منها
ان رجلا نال من على كرم الله وجهه بحضرته فقال اللهم ان كان كاذبا فارنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها
مارواه البخارى انه دعا على ابى سعدة اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوى فلقد رأيته شيخا كبيرا
سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد (ودعا) اى النبى
صلى الله عليه وسلم (بعز الاسلام بعمر اوابى جهل فاستجيب له فى عمر) رواه الامام احمد والترمذى فى جامعه وغيرهما
عن ابن عمر به مرفوعا ولفظه اللهم ايد الاسلام باحب هذين الرجلين اليك بابى جهل اوبعمر بن الخطاب وصححه ابن
حبان والحاكم فى مستدركه عن ابن عباس اللهم ايد الدين بعمر بن الخطاب وفى لفظ اعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح
الاسناد وفيه عن عائشة اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه
واما مايدور على الالسنة من قولهم اللهم ايد الاسلام باحد العمرين فلا يعلم له اصل فى المبنى وان كان يصح نقله بالمعنى
بناء على تغليب عمر على عمرو بن هشام وهو اسم ابى جهل وكان يكنى اباالحكم فكناه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
باجهل فغلبت عليه هذه الكنية (وعن ابن مسعود) وفى نسخة وقال ابن مسعود (مازلنا اعزة) جمع عزيز اى اقوياء
وعظماء اوظاهرين قاهرين (منذ اسلم عمر) قلت وفى الآية اشارة الى هذه العزة حيث نزل عند اسلامه قوله تعالى
ياايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين فانه رضى الله تعالى عنه كان تمام الاربعين (واصاب الناس فى بعض
مغازيه) اى سير غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم (عطش) اى شديد (فسأله عمر الدعاء) اى الاستسقاء (فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم) بالنصب اى قدر كفايتهم (ثم اقلعت) بفتح الهمزة واللام اى اقشعت السحابة وانجلت (ودعا
فى الاستسقاء) اى يوم جمعة على المنبر فى المدينة كما رواه الشيخان عن انس (فسقوا) بصيغة المفعول (ثم شكوا اليه
المطر) اى كثرته حيث خيف ضرره فى الجمعة الثانية وهو على منبره (فدعا) اى بكشفه (فصحوا) بفتح الصاد وضم
الحاء وفتحها اى فانكشف ما بهم من الصحابة (وقال لابى قتادة افلح وجهك) جملة خبرية فى المبنى دعائية فى المعنى
اى بقى وفاز وظفر (اللهم بارك له) اى لابى قتادة (فى شعره) بفتح العين ويسكن (وبشره) بفتحتين اى ظاهر جلده
حتى يستمر احسنه (فمات) اى ابو قتادة (وهو ابن سبعين سنة) جملة حالية وكذا قوله (وكانه ابن خمس عشرة)
بسكون الشين المعجمة وتكسر رواه البيهقى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (للنابغة) اى الجعدى واسمه قيس
ابن عبد الله وقيل عكسه حين انشده قصيدته الرائية (لايفضض الله) بضم الضاد المعجمة الاولى وكسر الثانية

على

على ان لا ناهية وضمهما على ان لا نافية وهى ابلغ اى لايسقط وقيل لايكسر من فض كسر وفرق وروى لايفض الله
فاك من الفضاء وهو الخلاء اى لايجعل الله فاك فضاء لا اسنان فيه (فاك) اى اسنانك او اسنان فيك باعتبار احد المجازين
كقوله تعالى واسأل القرية (فما سقطت له سن) رواه البيهقى وابن ابى اسامة وروى مثله عن عمه العباس قال
يارسول الله انى مدحتك فقال لايفضض الله فاك فانشد الابيات السابقة (وفى رواية فكان) اى النابغة (احسن
الناس ثغرا) بفتح المثلثة وسكون الغين المعجمة اى سنا وقيل هو ما تقدم من الاسنان ويؤيد الاول عموم قوله
(اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة) هو لغة فى مائة وعشرين (وقيل اكثر من هذا) فقيل عاش
مائة وثمانين سنة وقيل مائتين واربعين سنة وكان فى الجاهلية يصوم ويستغفر وبقى الى ايام ابن الزبير واخرج له
بقى بن مخلد حديثا واحدا وفى الشعراء جماعة غيره يقال لكل منهم النابغة واذا اطلق فهو المراد واختلف فى سبب
الدعاء له فقيل قوله

بلغنا السما فى مجدنا وسناءنا * وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال الى اين يا ابا ليلى قال فقلت الى الجنة فقال نعم ان شاء الله وقال الحديث وقيل قوله

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له * بوادر تحمى صفوه ان يكدرا

ولا خير فى جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اجدت فلا سقطت له سن (ودعا لابن عباس) كما رواه الشيخان (اللهم فقهه
فى الدين) اى علمه ما يحتاج اليه فى امر الدين من الامور الواضحة للمجتهدين (وعلمه التأويل) اى تأويل الكتاب
والسنة من آل يؤول الى كذا اذا رجع اليه واريد به صرف اللفظ عن ظاهره لدليل لولاه ما صرف عن حاله (فسمى)
اى ابن عباس (بعد) بضم الدال اى بعد دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم له (الحبر) بفتح الحاء وتكسر اى حبر الامة وهو
عالمها سمى به وهو المداد لمزاولته له غالبا فى اداء المراد وفى نسخة البحر بدل الحبر اى بحر العلم (وترجمان القرآن) بفتح
التاء وضم الجيم وضمهما وحكى فتحهما اى مفسره ومعبره والترجمان فى الاصل من يترجم الكلام اى ينقله من لغة
الى لغة اخرى وفى القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان (ودعا لعبد الله بن جعفر) اى ابن
ابى طالب (بالبركة فى صفقة يمينه) اى تبايعه وسمى صفقة لوضع كل من المتبايعين يده فى يد الآخر عرفا وعادة (فما اشترى
شيأ الا ربح فيه) رواه البيهقى عن عمرو بن حريث (ودعا للمقداد) اى ابن الاسود (بالبركة فكان له) وفى نسخة صحيحة
عنده (غرائر) بفتح الغين جمع غرارة بالكسر وهى جوالق (من المال) رواه البيهقى فى الدلائل عن ضباعة بنت
الزبير (ودعا بمثله) اى بمثل ما دعا للمقداد من البركة (لعروة ابن ابى الجعد) قال ابن المدينى اخطأ من قال فيه عروة بن الجعد
وانما هو ابن ابى الجعد انتهى وهو صحابى مشهور وحديثه هذا رواه البخارى (وقال) اى عروة كما رواه احمد (فلقد كنت
اقوم) اى اقف كما فى نسخة (بالكناسة) بضم الكاف موضع اوسوق بالكوفة وكانوا يرمون فيه كناسات دورهم
(فما ارجع) اى عنها (حتى اربح) بفتح الموحدة اى استفيد (اربعين الفا) يحتمل الدينار والدرهم (وقال البخارى
فى حديثه فكان) اى عروة (لو اشترى التراب) اى مثلا (ربح فيه وروى مثل هذا) اى الدعاء بالبركة (لغرقد) بغين معجمة
فراء ساكنة (ايضا) قال الدلجى لا ادرى من رواه (وندت) بنون وتشديد دال اى نفرت وذهبت على وجهها شاردة
(له) اى لغرقد (ناقة فدعا) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما هو ظاهر الكلام (فجاء بها) وفى نسخة صحيحة فجاءه
بها (اعصار ريح) بالاضافة والاعصار بالكسر ريح عاصف يستدير فى الارض ثم يسطع الى السماء مستديرا كالعمود
(حتى ردها) اى الاعصار الناقة (عليه) اى على غرقد (ودعا لام ابى هريرة) اى بالهداية كما رواه مسلم وغيره
(فاسلمت) فعن ابى هريرة قال دعوت امى يوما الى الاسلام وهى مشركة فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ما اكره فاتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكى فقلت يارسول الله ادع الله ان يهدى ام ابى هريرة
فقال اللهم اهد ام ابى هريرة فخرجت مستبشرا بدعوته عليه السلام فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت امى
خشف قدمى فقالت مكانك يا ابا هريرة وسمعت خضخضة الماء واغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب
ثم قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا ابكى
من الفرح فحمد الله وقال خيرا (ودعا لعلى ان يكفى) بصيغة المفعول اى يحفظ (الحر والقر) بضم القاف وفتحها
وتكسر البرد وشديده اى شرهما (فكان) اى على (يلبس فى الشتاء ثياب الصيف وفى الصيف ثياب الشتاء
ولا يصيبه) و يروى ولا يبيئه ويروى ولا يؤذيه (حر ولا برد) اى مع اختلاف الاحوال والحديث رواه ابن ماجه
والبيهقى (ودعا لفاطمة ابنته ان لايجيعها) (قالت فما جعت بعد) اى بعد ذلك الدعاء ابدا رواه

البيهقى عن عمران بن حصين (وسأله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الطفيل) بالتصغير اى ابن عمرو كما فى نسخة وهو ابن طريف الازدى الدوسى قتل يوم اليمامة وكان شريفا مطاعا فى قومه روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة انه قال لما قال الطفيل بن عمرو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان دوسا قد غلب عليهم الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال عليه السلام اللهم اهد دوسا (آية) اى علامة تكون كرامة (لقومه) اى عندهم (فقال اللهم نور له فسطع) اى ظهر ولمع (له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف ان يقولوا مثلة) بضم الميم وبفتح وبكسر وسكون المثلثة اى تنكيل وعقوبة وهى مرفوعة وقيل منصوبة (فتحول) اى فاستجيب دعاؤه وانتقل ذلك النور (الى طرف سوطه فكان يضيء فى الليلة المظلمة) وروى الظلماء (فسمى ذا النور) كالحسنين ابنى على واسيد بن حضير وعباد بن بشر وحمزة بن عمرو الاسلمى وقتادة بن النعمان كل سمى بذلك واما ذو النورين فهو لقب عثمان لانه تزوج بنتين لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحديث هذا رواه ابن اسحق بلا اسناد والبيهقى عنه وابن جرير من طريق الكلبى (ودعا على مضر) على وزن عمر وهم قبيلة (فاقحطوا) بصيغة المجهول اى فدخلوا فى القحط باحتباس المطر عنهم وانقطاع الخير منهم (حتى استعطفته قريش) اى طلبوا منه ان يعطف عليهم ويرحمهم (فدعا لهم) اى بالمطر (فسقوا) بصيغة المجهول اى فاعطوا مطرا فاخصبوا رواه النسائى عن ابن عباس والبيهقى عن ابن مسعود واصله فى الصحيحين (ودعا على كسرى) بكسر الكاف وتفتح لقب لكل ملك الفرس وهو هنا ابرويز بن هرمز قال الطبرى وتفسيره المظفر بن هرمز بن انوشروان وتفسيره بالعربية مجدد الملك (حين مزق كتابه) بتشديد الزاى اى شق مكتوبه (ان يمزق الله ملكه) اى يمزق الله ملكه فمزقه كل ممزق (فلم تبق له باقية) اى نفس باقية او اثر وبقية قال السهيلى ولما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وقع امره فى الانحطاط الى ان قتله ابن له يقال له شيرويه ومات ابنه الذى قتله بعد ابيه بزمن يسير وسببه ان ابرويز قيل له ان ابنك شيرويه يريد قتلك قال اذا قتلنى فانا اقتله ففتح خزانة الادوية وكتب على حقة السم الدواء النافع للجماع وكان ابنه مولعا بالجماع فلما قتل اباه وفتح الخزانة ورأى تلك الحقة تناول منها فمات من ذلك ومات سائر اولاده واكثر اقاربه بعد دعائه عليه الصلاة والسلام لستة اشهر وماتت عنهم الدولة حتى انقرضوا عن آخرهم (ولا بقيت لفارس) بكسر الراء مصروفا وممنوعا اى لاهل فارس (رياسة فى سائر اقطار الدنيا) اى نواحيها رواه البخارى من طريق ابن عباس (ودعا على صبى قطع عليه) اى بمروره بين يديه (الصلاة) اى صلاته كما فى نسخة (ان يقطع الله اثره) ومن جملته مشى قدميه كما قال ونكتب ما قدموا وآثارهم (فاقعد) بصيغة المجهول اى صار مقعدا لا يستطيع النهوض وفى رواية قطع صلاتنا قطع الله اثره وفى اصل الدلجى دابره بدل اثره فتكلف فى وجهه بان الدابر فى الاصل الآخر ومنه قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى آخرهم فلم يبق احد منهم ثم استعير للزمانة كما هنا لسلب قوة مشيه هذا والحديث رواه ابو داود والبيهقى ورواه ابن حبان عن سعيد بن عبد العزيز عن يزيد بن مهران يقول مررت بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت وقد ضعف عبد الحق وابن القطان اسناده وكذا ابن القيم وقال الذهبى اظن انه موضوع ثم على تقدير ثبوته فيه اشكال وهو انه عليه الصلاة والسلام كيف يدعو على الصبى وهو غير مكلف بالاحكام مع ان القاضى جزم بذلك فى مقام المرام وجوابه نقل عن البيهقى فى المعرفة ان الاحكام انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة قال الحلبى وفى كلام السبكى انها انما صارت متعلقة بالبلوغ بعد احد ثم قال الحلبى او يقال ان هذا من باب خطاب الوضع لانه اتلاف لا يشترط فيه التكليف انتهى وتبعه الانطاكى وقرره التلمسانى وفيه ان الصلاة صحيحة بالاجماع فليس من الاتلاف بلا نزاع نعم اتلاف لكمال الحال فى حضور البال وهو غير مقتض لهذا النكال ولذا قال الدلجى واجيب هنا بما لا يشفى ثم اقول ولعل الصبى كان من اولاد الكفار وقد امره اهله بان يقطع الصلاة على سيد الابرار فاراهم صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة اظهارا للمعجزة ودفعا للمذلة او كان الصبى مراهقا فظنه عليه الصلاة والسلام بالغا وفى قطعه قاصدا فتبين انه كان صبيا قاصرا او يكون من باب قضية الخضر مع الصغير مكاشفا (وقال لرجل) هو بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعى العير الاشجعى قيل كان منافقا (رآه يأكل بشماله) فقال له (كل بيمينك فقال لا استطيع) اى ان آكل بيمينى لعذر بى (فقال لا استطعت) ان تأكل بيمينك دعا عليه لكونه كاذبا فيما ادعاه (فلم يرفعها) اى يمينه بعد ذلك (الى فيه) اى فمه لا عند اكله ولا فى حال غيره والحديث رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع واستدل به على وجوب الاكل باليمين ولا دلالة فيه عند المحققين (وقال لعتبة) بضم اوله وفى نسخة بالتصغير (ابن ابى لهب) اى ابن عبد المطلب بن هاشم (اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد) اى ليلا وهو مسافر وقد جعله اصحابه بينهم محيطين به فتخطاهم نائمين فافترسه رواه ابن اسحق عن عروة بن الزبير عن هبار بن الاسود

والحاكم من حديث ابى نوفل ابن ابى عقرب عن ابيه والبيهقى من طرق عن عبد الرحمن ابن ابى بكر رضى الله تعالى عنهم قال الحلبى واعلم ان عتبة اسلم يوم الفتح وكذا اخوه معتب ولم يهاجرا من مكة وهذا هو المشهور وبعضهم جعل هذا عقير الاسد وجعل عتيبة المصغر هو الذى اسلم وصحب والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابى والله تعالى اعلم وسبب دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عروة بن الزبير ان عتيبة ابن ابى لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى بالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه الصلاة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فرجع عتيبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش فانى اخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله هذا وفى نسخة زيد هنا وقال لامرأة اكلك الاسد فاكلها قيل هذا بخطه ليس من الرواية (وحديثه المشهور) اى كما رواه الشيخان (من رواية عبد الله بن مسعود فى دعائه على قريش حين وضعوا السلا) بفتح المهملة مقصورا هو للبهيمة كالمشيمة لبنى آدم وهى جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قال الشمنى ان شقت عن وجه الفصيل ساعة ينتج والا قتلته وكذا اذا انقطع السلا فى البطن فاذا خرج السلا سلمت الناقة وسلم الولد وان انقطع فى بطنها هلكت وهلك الولد وقيل يخرج بعد الولد (على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم) اى قريشا مجملا ومفصلا حيث قال اللهم عليك الملأ من قريش اللهم عليك بابى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامثالهم (فقال) وفى نسخة وقال اى ابن مسعود (فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر) اى معظمهم فان اشقاهم عقبة ابن ابى معيط الذى وضع على رقبته السلا حمل من بدر اسيرا فقتله على بعرق الظبية بامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له مقفلهم من بدر الى المدينة ولعل الحكمة فى تأخير الاشقى ليشاهد العقوبة فى اصحابه فى الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى قال الحلبى وعمارة بن الوليد لم يقتل ببدر ايضا وانما جرى له قصة مع النجاشى مشهورة وقد سحر فصار متوحشا وهلك على كفره بارض الحبشة فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه (ودعا على الحكم ابن ابى العاص) اى ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو ابو مروان عم عثمان اسلم يوم الفتح وتوفى فى خلافة عثمان (وكان يختلج بوجهه ويغمز) بكسر الميم (عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بمجلس خلفه صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا تكلم يحرك شفتيه وذقنه حكاية لفعله ويرمز مشيرا بعينه او حاجبه (اى لا) اى اراد به رد الكلام استهزاء وسخرية (فرآه) اى النبى عليه الصلاة والسلام مرة (فقال كن كذلك) وفى نسخة صحيحة كذلك كن (فلم يزل يختلج) اى يرتعد ويضطرب (الى ان مات) رواه البيهقى من طرق عن عبد الرحمن ابن ابى بكر وعن ابن عمر وعن هند بن خديجة وفى رواية فضرب به فصرع شهرين ثم افاق مختلجا قد اخذ لحمه وقوته وقيل مرتعشا وقال التلمسانى قوله يغمز اما بسبب لانه كان يخبر المنافقين بسر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لانه كان يحكى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه وامره ونحوه اولا بالفتح وتشديد الواو خلاف الاخير وروى اى لا باى التفسيرية ولا النافية فعلى الاول معناه كان يختلج اولا قبل الدعوة ثم اختلج ثانيا بها او معناه انه كان صحيحا ثم هلك بالدعوة فهو مفعول يختلج اى يختلج اولا اى قبل الدعوة ويجوز ان يريد بالاول زمن الصحة وبالثانى زمن السقم فيكون خبر الكان او مفعول يختلج اولا يشير الى ما كان عليه من الاستهزاء فكنى باولا عنه لان فعله انما كان عن جهالة ولا يخرجه ذلك عن عداد الصحابة فقد ذكر فيهم وعلى الثانى تفسير لفعله وحذف ما بعدها تشنيعا لذكره لان ذكر مثل هذا لا يليق لان فيه تنقيص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه لا يكون كذلك الاولى او الاحق وما شاكل هذا بموطن او موطنين فى غيبته او حضوره والله تعالى اعلم (ودعا على محلم) بكسر اللام المشددة (ابن جثامة) بفتح الجيم وتشديد المثلثة (فمات) فى حمص ايام ابن الزبير على ما قاله السهيلى (لسبع) اى بعد سبعة ايام (فلفظته الارض) بفتح الفاء واعجام الظاء اى قذفته الارض ورمته على ظهرها بعد دفنه فى بطنها وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما لفظته الارض ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين سوحى جبل فاكلته السباع والسوح هو الشق (ثم ووري) بضم اوله مجهول وارى اى ستر تحت الارض (فلفظته مرات) ظرف للفعلين (فالقوه) بفتح القاف اى رموه (بين صدين) بفتح الصاد وبضم جبلين او واديين (ورضموا عليه) بفتح الراء والضاد المعجمة اى كوموا عليه (بالحجارة) رواه البيهقى عن قبيصة بن ذؤيب وابن جرير موصولا عن ابن عمر وقال الحسن بلغنى انه دعا الحديث وسبب دعائه على محلم انه كان بعث سرية للغزو فيها محلم فاسر عليهم عامر بن الاضبط فلما بلغوا بطن واد قتل محلم عامرا غدرا فجرى ما جرى

(وجحده رجل) اى من الصحابة على ماذكره الدلجى ولعله كان منافقا (بيع فرس) اى انكره (وهى) القصة (التى شهد فيها خزيمة) بالتصغير (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بانه اشتراه منه مع انه لم يره وجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته وحدها مقبولة عن اثنين (فرد الفرس بعد) بالضم اى بعد جحده وشهادة خزيمة له (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الرجل) والمعنى فرد على الرجل فرسه (وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك له فيها) اى فرسه (فاصبحت شاصية برجلها) اى رافعة من سبب نفعها شاصا بصره اى شخص (وهذا الباب اكثر من ان يحاط به) اى بجميع فصوله من فروعه واصوله

(فصل)

(فى كراماته و بركاته وانقلاب الاعيان) اى بتحولها وتغيرها عن حالتها الاولى (له فيما لمسه اوباشره صلى الله تعالى عليه وسلم) والكرامة اسم من الاكرام (انا) اى اخبرنا كما فى نسخة (احمد بن محمد) اى ابن غلبون الخولانى (ثنا) اى حدثنا (ابوذر الهروى اجازة وثنا القاضى ابوعلى سماعا) تقدم انه الحافظ ابن سكرة (والقاضى ابوعبدالله محمد ابن عبدالرحمن وغيرهما) اى وغير القاضيين ايضا (قالوا) اى جميعهم (حدثنا ابوالوليد القاضى ثنا ابو ذر الهروى) سبق (ثنا ابومحمد) وهو السرخسى (وابواسحق) وهو المستملى (وابوالهيثم) وهو الكشميهنى (قالوا) اى الثلاثة (ثنا الفربرى) بكسر ففتح على الاشهر (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع الصحيح (ثنا يزيد بن زريع) بالتصغير وهو ابومعاوية البصرى الحافظ قال الحلبى وقد سقط واحد بين البخارى وبين يزيد بن زريع فان يزيد بن زريع ليس شيخا للبخارى وانما هو شيخ شيوخه والساقط هو عبدالاعلى بن حماد وقد اخرج البخارى هذا الحديث الذى ذكره القاضى فى كتاب الجهاد عن عبدالاعلى بن حماد عن يزيد بن زريع بالسند الذى ساقه القاضى قال الحجازى وكذا وجدته فى النسخة المعتمدة انتهى وعبدالاعلى هذا روى عن الحمادين ومالك وعنه الشيخان وابو داود وابو يعلى والبغوى (ثنا سعيد) اى ابن ابى عروبة (عن قتادة عن انس بن مالك ان اهل المدينة فزعوا) بكسر الزاى اى خافوا واستغاثوا (مرة) اى وقتا من الاوقات (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الناس حين خرج من المدينة (فرسا لابى طلحة) اى مستعارا منه (كان) اى الفرس (يقطف) بضم الطاء ويكسر اى يقارب خطوه فى سرعة وزيد فى اصل الدلجى به فقال اى بابى طلحة (اوبه قطوف) بضم اوله شك ممن رواه عن انس ذكر الدلجى اوممن بعده قال الجوهرى القطوف من الدواب البطئ وقال ابوزيد هو الضيق المشى وقد قطفت الدابة قطفا والاسم القطاف (وقال غيره) اى غير انس (بطأ) بفتح الطاء المهملة المشددة فهمزة اى لضيق الخطى وهو من البطئ وعند الطبرى ثبطا اى ثقيلا وقال ابوعبيد فى قوله تعالى فثبطهم اى عوقهم (فلما رجع) اى من الفزع الى المدينة ولم ير بأسا (قال) اى لابى طلحة (وجدنا فرسك بحرا) اى واسع الجرى سريع العدو (فكان) اى ذلك الفرس (بعد) اى بعد ركوبه اوقوله هذا (لا يجارى) بضم الياء وفتح الراء من الجرى بالجيم اى لا يسابق ولا يبارى والمعنى لا يسبقه غيره حينئذ (ونخس جمل جابر) بالنون والخاء المعجمة المفتوحتين اى طعنه عند دبره اوجنبه بمحجن اونحوه (وكان) اى الجمل (قداعيى) اى عجز عن المشى وتعب عن السير (فنشط) بكسر الشين المعجمة وفى مضارعه بفتحها اى خف واسرع وفى النهاية وكثيرا ما يجيء فى الرواية انشط وليس بصحيح (حتى كان) اى انتهى نشاطه الى ان صار جابر (ما يملك) ويروى لا يملك (زمامه) رواه الشيخان (وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل) بضم الجيم وفتح العين المهملة فتحتية ساكنة (الاشجعى خفقها) اى ضربها (بمخفقة) بكسر الميم وفتح الفاء اى بدرة (معه وبرك عليها) بتشديد الراء اى دعا بالبركة لها (فلم يملك) اى جعيل بعد ذلك (رأسها نشاطا) بفتح النون اى من اجل اسراعها (وباع من نسلها) وفى نسخة من بطنها (باثنى عشر الفا) وهذا من اثر دعائه بالبركة لها وما قبله من اثر ضربه وتوجهه اليها فهما لف ونشر مرتب لما قبلهما رواه البيهقى (وركب حمارا قطوفا) بفتح القاف (لسعد بن عبادة فرده) اى من محله الذى انتهى اليه اومن وصفه الذى كان عليه (هملاجا) بكسر فسكون ثم جيم اى سريع الهرولة فارسى معرب ويسمى الآن رهوانا (لا يساير) بصيغة المفعول اى لا تسايره دابة الا سبقها رواه ابن سعد من حديث اسحق بن عبدالله ابن ابى طلحة (وكانت شعرات من شعره) بفتح العين ويسكن اى من شعراته كما فى نسخة صلى الله تعالى عليه وسلم (فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتح القاف واللام وضم السين ما يوضع على الرأس مثل الكوفية (فلم يشهد بها) اى فلم يحضر خالد بتلك القلنسوة (قتالا الا رزق النصر) بصيغة المفعول ونصب النصر اى اعطى الفتح والظفر رواه البيهقى (وفى الصحيح) اى من رواية مسلم وابى داود والنسائى وابن ماجه (عن اسماء بنت ابى بكر) اى الصديق رضى الله تعالى عنهما (انها اخرجت جبة طيالسة) بالاضافة كما فى شرح مسلم للنووى وفى نسخة بالوصف جمع طيلسان بفتح اللام وتثليث

فارسى معرب وفى نسخة طيالسية بزيادة تحتية وفسرت بالخلق وهو امامن اصلها واما لما طرأ عليها الان هذه الجبة صارت بيد اسماء بعد موت اختها عائشة وهى ماتت بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بنحو خمس واربعين سنة وفسرت بالاكسية وبالخضراء ثم طيالسة بالتنوين لانها فى زنة رفاهية وعمانية (وقالت) اى اسماء (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يلبسها) بفتح الموحدة (فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها) جملة حالية اومستأنفة مبينة وهى بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة المتكلم هذا وقال المصنف (وحدثنا القاضى ابوعلى) وهو ابن سكرة (عن شيخه ابى القاسم ابن المأمون) اخذ عن ابى محمد الباجى (قالت كانت عندنا قصعة) بفتح القاف ومن لطائف كلام ارباب اللغة لاتفتح الجراب ولا تكسر القصعة (من قصاع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف جمع (فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون) وفى نسخة فيستشفون (بها) اى فيشفيهم الله تعالى ببركة نسبتها (فاخذ جهجاه) بالتنوين وهو بالجيمين والهائين ابن سعد اوسعيد اومسعود وقال الطبرى المحدثون يزيدون فى آخره الهاء والصواب جهجا بدون هاء فى آخره (الغفارى) بكسر اوله حضر بيعة الرضوان وعن عطاء عنه انه كان يشرب حلاب سبع شياه فلما اسلم لم يتم حلاب شاة (القضيب) هو عصا النبى التى كان الخلفاء يتداولونها (من يد عثمان) اى وهو على المنبر (ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) وفى نسخة فصاح الناس به (فاخذته فيها الاكلة) بفتح فكسر ويسكن وبكسر فسكون وبفتحتين اى الحكة وفى نسخة بمد فكسر (فقطعها) اى ركبته وتذكير الضمير العائد الى الاكلة بتأويل الداء (ومات قبل الحول) رواه ابونعيم فى الدلائل وابن السكن فى معرفة الصحابة وقال ابن عبدالبر هو الذى تناول العصا من يد عثمان وهو يخطب وكانت عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى بعد عثمان بسنة ذكره الحلبى ثم كسر العصا ليس صريحا فى كلام القاضى وهو صريح فى كلام ابن عمر ولكنى رأيت فى حاشية على كتاب الروض الانف للسهيلى عن ابن دحية نقلا عن ابن العربى فى كتاب العواصم انه لا يصح كسر العصا ممن اطاع ولا من عصا قلت وكذا يخالف بين قوليهما حيث قال القاضى مات قبل الحول وقال ابن عبدالبر توفى بعد عثمان بسنة والله سبحانه وتعالى اعلم (وسكب) اى صب (من فضل وضوئه) بفتح الواو وبضم اى ماء وضوئه (فى بئر قباء) بهمز مصروف ويمنع وقد يقصر ولعلها بئر اريس (فما نزفت) اى ما فنيت ولا نقصت وفى نسخة بصيغة المجهول ففى الصحاح نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ونزفت هى فيتعدى ولا يتعدى ونزفت ايضا على ما لم يسم فاعله وحكى الفراء نزفت البئر اذا ذهب ماؤها (بعد) اى بعد صبه الى يومنا هذا رواه البيهقى عن انس (وبزق فى بئر كانت فى دار انس فلم يكن) اى ماء (بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (اعذب منها) اى اطيب واحلى ماء من تلك البئر رواه ابونعيم ولله در القائل من صاحب الشمائل

ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

(ومر على ماء فسأل عنه فقيل) اى له كما فى نسخة (اسمه بيسان) بكسر موحدة و تفتح فسكون تحتية (وماؤه ملح) بكسر فسكون مبالغة مالح اى اجاج (فقال بل هو نعمان) بضم اوله وفى نسخة صحيحة بفتحه واختاره التلمسانى للمشاكلة ولو كسر لكان له وجه وجيه لقضية حسن المقابلة وهو مأخوذ من النعمة بكسر اولها اوفتحها (وماؤه طيب نطاب) اى بمجرد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل بيسان موضعان احدهما بالشام وهو المراد فى حديث الدجال والاخر بالحجاز وهو الذى مر به عليه الصلاة والسلام فى غزوة ذى قرد فسأل عنه فقيل له اسمه بيسان فقال هو نعمان وهو طيب فغير صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه فغير الله وصفه ورسمه فاشتراه طلحة فتصدق به فسماه عليه السلام طلحة الفياض (فاتى) كذا فى نسخة صحيحة والظاهر واتى بالواو كما فى بعض النسخ المصححة وهو بصيغة المفعول اى وجيء (بدلو من ماء زمزم فمج) بفتح الميم وتشديد الجيم اى القى من فيه ماء (فيه) اى فى الدلو وهو مؤنث وقد يذكر على ما فى القاموس (فصار اطيب من المسك) رواه ابن ماجه وروى البيهقى عن وائل الحضرمى ولم يقل من ماء زمزم (واعطى الحسن والحسين) اى كلا منهما (لسانه فمصاه) بتشديد الصاد (وكانا يبكيان عطشا) جملة حالية وعطشا مفعول من اجله لا تمييز كما اختاره الحلبى (فسكتا) اى بسكون عطشهما رواه الطبرانى عن ابى هريرة (وكان لام مالك) اى الانصارية روى عنها عطاء بن السائب بواسطة رجل او البهزية روى عنها طاووس والظاهر ان المراد بها الاول وقال شارح الصواب ام انس بن مالك فسقط ذكر انس قاله ابوعلى الغسانى وهى ام سليم بنت ملحان (عكة) بضم مهملة فكاف مشددة اناء من جلد يجعل فيه السمن (تهدى) بضم التاء وكسر الدال اى ترسل (فيها للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمنا) اى ما يتأدم به (فامرها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا تعصرها) بضم الصاد اى امرها بترك عصرها (ثم دفعها اليها فاذا هى مملوءة سمنا فيأتيها بنوها يسألونها الادم) بضم فسكون وبضمتين وهو كل ما يؤتدم به (وليس

عندهم شئ) من الادم اومن السمن (فتعمد اليها) بكسر الميم اى تقصد على العكة (فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها) وفى نسخة ادمهم اى تديم ذلك الادام (حتى عصرتها) رواه مسلم عن جابر (وكان يتفل) بضم الفاء وكسرها (فى افواه الصبيان المراضع) بفتح الميم اى اولاد المراضع كما قاله الحلبى وهو الظاهر وقال الدلجى جمع رضيع بمعنى مرضع اسم مفعول (فيجزئهم) بضم الياء وكسر الزاى فهمزة ويسهل لا كما قال الدلجى بفتح التحتية اى يكفيهم (ريقه الى الليل ومن ذلك) اى من قبيل كراماته (بركة يده) اى الحاصلة (فيما لمسه) اى مسه بها مطلقا (اوغرسه) اى من شجر وغيره كما فى اصل الدلجى وفى النسخ المصححة وغرسه (لسلمان) بالواو وهو الظاهر لانه حديث مستقل رواه البيهقى عن سلمان انه عليه الصلاة والسلام غرسه له (حين كاتبه مواليه) وهم يهود واصله من فارس من قوم مجوس فخرج يطلب الدين وطريق اليقين وجعل ينتقل من دين الى دين حتى اخذه قوم من العرب فباعوه فكاتبوه (على ثلاثمائة ودية) بتشديد التحتية صغير فسيل النخل (يغرسها لهم) بكسر الراء (كلها) بالرفع اى جميعها (تعلق) بفتح اللام وتضم اى تمسك وتحبل (وتطعم) بضم التاء وكسر العين اى تعطى الثمرة وتدرك (وعلى اربعين اوقية) بضم الهمزة وتشديد التحتية على المشهور وبحذف الهمزة وفتح الواو فى لغة وهى كانت اربعين درهما من فضة فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد هنا وزنها لقوله (من ذهب) قال الحلبى انما كاتب سلمان مولاه فقيه مجاز ولكن جاء فى بعض طرقه وهو فى المسند انه عليه الصلاة والسلام اشتراه من قوم من اليهود بكذا وكذا درهما وعلى ان يغرس لهم كذا وكذا من النخل يعمل فيها سلمان حتى تدرك (فقام النبى عليه الصلاة والسلام وغرسها له) اى لسلمان اولمالكه (بيده الا واحدة) بالنصب (غرسها غيره) وهو عمر بن الخطاب على ماذكره ابن عبد البر بسنده فى الاستيعاب وهو فى مسند احمد ايضا وفى طريق اخرى ذكرها البخارى فى غير صحيحه ان الذى غرسها سلمان فيجمع بينهما بان واحدة غرسها عمر واخرى غرسها سلمان اوان يكونا غرسا واحدة فلم تطعم ويكون الراوى مرة عزا غرسها لعمر ومرة عزا غرسها لسلمان ان كان الراوى واحدا وهو بريدة كما رواه احمد وان كان غيره فيكون فيه مجاز كذا حققه الحلبى ويؤيد الثانى من القولين قوله (فاخذت كلها) اى نبتت واثمرت (الا تلك الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وردها) اى بيده الكريمة (فاخذت) اى اخذت عروقها وثبت فى محلها (وفى كتاب البزار) بتشديد الزاى وفى آخره راء (فاطعم النخل) اى جنس ماذكر (من عامه الا واحدة) اى التى غرسها غيره عليه الصلاة والسلام (فقلعها وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه) اى سلمان (مثل بيضة الدجاجة) بفتح الدال وتثلث اى مقدارها وزنا او حجما (من ذهب بعد ان ادارها) اى تلك القطعة التى هى كالبيضة (على لسانه) اى مبالغة للبركة فى شانه واذا جاز حمله على حقيقته فلا معنى لقول الدلجى لعله اراد بذلك انه برك عليها اى دعا فيها بالبركة فلم يسمعه من شاهده فظن انه انما ادارها عليه (فوزن) اى سلمان (منها لمواليه اربعين اوقية وبقى عنده مثل ما اعطاهم) اى كمية وازيد منه كيفية وكان سلمان من المعمرين عاش على الاصح مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة وقيل اربعمائة سنة مائة فى المجوسية ومائة فى اليهودية ومائة فى النصرانية ثم لما اسلم قال يارب عمرنى فى الاسلام مائة سنة فعاش مائة فى الاسلام وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه وهو احد الذين اشتاقت اليهم الجنة ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وماترك شيأ يورث عنه (وفى حديث حنش) بمهملة فنون مفتوحتين فمعجمة (ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وفى بعض النسخ المصححة بالتصغير وهو حديث طويل ارواه قاسم بن ثابت فى الدلائل من طريق موسى بن عقبة عن المسور بن مخرمة عنه وقال شارح لم اره اثرا فى كتاب الصحابة لابن عبد البر ولا خبرا فعلى من رآه ان يرسمه هنا (سقانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت) بكسر الراء اى مازلت (اجد شبعها) بكسر ففتح (اذا جعت وريها) بكسر راء فتشديد تحتية (اذا عطشت) بكسر الطاء (وبردها اذا ظمئت) بكسر الميم من الظمأ وهو العطش الشديد من كثرة الحر او شدة الحرارة (واعطى قتادة بن النعمان) بضم النون (وصلى معه العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة) جملتان معترضتان وردتا اعتراضا بين اعطى ومفعوله الثانى كذا ذكره الدلجى والظاهر ان الجملة واحدة وان قوله فى ليلة ظرف لقوله صلى (عرجونا) بضم العين والجيم ويكسر مع فتح الجيم وقرئ بهما وهو اصل العذق الذى يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا ولعله هو العذق مطلقا وقيل اذا يبس واعوج وهو الملائم لقوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم (وقال انطلق به فانه سيضيء لك بين يديك عشرا) اى عشرة اذرع اونحوها والعدد اذا حذف مميزه جاز تذكيره وتأنيثه (ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا) اى جسما اذا سواد او جسما وشخصا (فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون) هو اصل العذق كما تقدم (حتى دخل بيته ووجد

السواد فضربه حتى خرج) رواه احمد عن ابى سعيد بسند صحيح وفى توثيق عرى الايمان للبارزى فانه قنفذ بدل فانه شيطان ولا تنافى فلعله تمثل بصورته اسود (ومنها) اى ومن كراماته مما كان سببا لانقلاب الاعيان (دفعه) اى اعطاؤه عليه الصلاة والسلام (لعكاشة) بضم اوله وتشديد الكاف وتخفيفه (جذل حطب) بكسر جيم ويفتح وسكون ذال معجمة اى اصل شجرة واراد به هنا عودا وقيل هو الحطبة او الخشبة الغليظة (وقال اضرب به حين انكسر سيفه) ظرف لدفعه (يوم بدر) اى زمن وقعته (فعاد) اى فتحول (فى يده سيفا) وفى نسخة فصار فيكون مجازا عنه اذ لم يكن قط سيفا فيعود (صارما) اى قاطعا (طويل القامة ابيض) اى بريق اللمعان (شديد المتن) من المتانة وهى القوة او قوى الظهر فان المتن هو اصل الشئ الذى به قوامه بمنزلة الظهر للاعضاء ومنه متن الحديث (فقاتل به) اى فى وقعة بدر حتى انقضت (ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف) اى لقتال الكفرة (الى ان استشهد) اى عكاشة (فى قتال اهل الردة وكان هذا السيف يقال له) وفى نسخة يسمى (العون) بالمصدر للمبالغة او بمعنى المعين او المعان والله المستعان رواه البيهقى وقال الخطابى يجب ان يعلم ان الذين لزمهم اسم الردة من العرب كانوا صنفين صنف منهم ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا الى الكفر وهم المعنيون بقول ابى هريرة وكفر من كفر وهم اصحاب مسيلمة ومن نحا نحوهم فى انكار نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والصنف الآخر هم الذين فرقوا بين الصلاة والزكاة فاقروا بالصلاة وانكروا الزكاة يعنى اعطاءها الا وجوبها وهؤلاء هم اهل بغى وانما لم يخصوا بهذه السمة لدخولهم فى غمار اهل الردة بخلاف المسلمين فاضيف الاسم فى الجملة الى الردة اذ كانت اعظم الامرين خطبا وصار مبدأ قتال اهل البغى مؤرخا بايام على رضى الله تعالى عنه اذ كانوا منفردين فى عصره ولم يختلطوا باهل شرك فى دهره (ودفعه) اى ومنها دفعه عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن جحش) بفتح جيم فسكون مهملة (يوم احد وقد ذهب سيفه) جملة حالية اعتراضية (عسيب نخل) اى جريدة منه مما لا خوص عليه وما نبت عليه الخوص فهو سعف والخوص الاوراق (فرجع) اى انقلب (فى يده سيفا) رواه البيهقى وفى سيرة ابن سيد الناس انه اعطى سلمة بن اسلم يوم بدر قضيبا من عراجين ابن طاب كان فى يده فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر ابى عبيدة انتهى ونقله الواحدى باسناده (ومنه) اى ومن هذا النوع (بركته فى درور الشياه الحوائل) بالهمز جمع الحائل وهى الشاة العديمة اللبن (باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد) بفتح الميم والموحدة وقصتها ما رواه ابن سعد والطبرانى عن ابى معبد الخزاعى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما هاجر ومعه ابو بكر ومولاه عامر بن فهيرة وعبد الله بن الاريقط استأجره دليلا وهو على دين كفار قريش فاخذ بهم طريق الساحل فمروا بقديد على ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وكانت برزة تحتبى بفناء بيتها فتطعم وتسقى من مر بها وكانوا مرملين مسنتين فطلبوا منها اللبن فلم يجدوا فرأوا عندها شاة خلفها الجهد عن الغنم فقال اتأذنين لى ان احلبها قالت نعم فدعا بها فاعتقلها ومسح ضرعها وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم تركه عندها وارتحلوا فجاء زوجها ابو معبد يسوق اعنزا عجافا يتساوكن هزالا فرأى اللبن فعجب فقال أنى لك هذا قالت مر بنا رجل مبارك الحديث (واعنز معاوية) بفتح همزة وسكون عين وضم نون جمع قلة لعنز اى شاة انثى وفى اصل العز فى المصحح من اصل المؤلف معونة بفتح الميم وضم العين وبالنون من العون والظاهر انه تصحيف فقد ذكر الطبرى فى كتاب الدلائل معاوية (ابن ثور) بفتح مثلثة وسكون واو وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه بشر فدعا له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح رأسه واعطاه اعنزا عشرا فقال محمد بن بشر بن معاوية بن ثور فى ابيه

وابى الذى مسح الرسول برأسه * ودعا له بالخير والبركات

والتقدير وقصتها كما رواه ابن سعد وابن شاهين عن الجعد بن عبد الله (وشاة انس) اى وقصتها (وغنم حليمة مرضعته وشارفها) وهى المسنة من النوق وقيل من الابل وقيل من المعز على ما رواه ابو يعلى والطبرانى وغيرهما بسند حسن (وشاة عبد الله بن مسعود) اى كما رواه البيهقى (وكانت) اى تلك الشاة (لم ينز) بفتح الياء وسكون النون وضم الزاى اى لم يثب ولم يعل (عليها الفحل) اى للضراب وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح ضرع شاة حائل لا لبن لها لابن مسعود فدرت وكان ذلك سبب اسلامه (وشاة المقداد) كما فى صحيح مسلم وكلها كانت مثل شاة ام معبد وقد درت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقصة شاة المقداد مختصرة ما روى عنه انه قال اقبلت انا وصاحبان لى وقد ذهب اسماعنا وابصارنا من الجهد يعنى الجوع فعرضنا انفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاث اعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب فكان يشرب

كل انسان نصيبه ونرفع للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل فيشرب فوقع في نفسي ذات ليلة ان نبي الله يأتي الانصار فيتحفونه مابه حاجة الى هذه الجرعة فشربتها ثم ندمت على مافعلت خشية انه اذا جاء فلم يجده يدعو علي فاهلك وجعل لايجيء النوم واما صاحباي فناما فجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كعادته وكشف عن نصيبه فلم يجد شيأ فرفع رأسه الى السماء فقلت الآن يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني قال فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز ايتها اسمن اذبحها له فاذاهن حفل كلهن فعمدت الى اناء فحلبت فيه حتى علته رغوة فجئت به اليه فشرب ثم ناولني فلما عرفت ان النبي قد روي واصبت دعوته ضحكت حتى القيت على الارض فقال احدى سوءتك يامقداد يعني انك فعلت سوءة من الفعلات فما هي قال فقلت يارسول الله كان من امري كذا وكذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ماهذه الا رحمة من الله (ومن ذلك) اى من قبيل كراماته وزيادة بركاته كما رواه ابن سعد عن سالم ابن ابي الجعد مرسلا (تزويده اصحابه سقاء) بكسر اوله اى وعاء (ماء بعدان اوكأه) بالف بعد الكاف اى ربطه بالوكاء وهو خيط يشد به الوعاء (ودعا به فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه) بضم اللام المشددة اى فتحوا السقاء بحل الوكاء (فاذابه) اى فيه وفي نسخة فاذاهو فاجأهم ذلك الماء في السقاء (لبن طيب وزبدة) بتاء وحدة وفي اصل الدلجي زبده بالاضافة اى زبد اللبن (في فيه) وفي نسخة فمه اى في فم السقاء (من رواية حماد ابن سلمة) متعلق بقوله تزويده قال الحلبي هو الامام ابو سلمة احد الاعلام قال ابن معين اذا رأيت من يقع فيه فاتهمه على الاسلام وقد تقدم عليه الكلام (ومسح على رأس عمير بن سعد) بضم عين وفتح ميم وفي نسخة عمر بن سعد كلاهما صحابي قال الحلبي وما اعرف من جرت له القصة منهما قلت ولا يبعد ثبوت القضية عنهما ففي كل نسخة اشارة الى احدهما بل روى الزبير بن بكار في اخبار المدينة عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد انه عبادة لا عمير ولا عمر فتدبر (وبرك) اى دعا بالبركة (فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب) اى رأسه خصوصا او شعره عموما والله تعالى اعلم (وروى مثل هذه القصص) اى الروايات المتضمنة للحكايات الدالة على عموم البركات (عن غير واحد) اى عن كثيرين من الصحابة (منهم السائب بن يزيد) وقد سبق ذكره (ومدلوك) وهو ابن سفيان الفزاري مولاهم اسلم مع مواليه علق البخاري حديثه وقيل هو مولى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذكره ابن حبان في ثقاته فقال مدلوك ابو سفيان كان يسكن الشام اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم فدعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومسح برأسه فكان رأس ابي سفيان ما مسه من يد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسود وسائر رأسه ابيض (وكان يوجد لعتبة بن فرقد) اى ابن يربوع السلمي له صحبة ولي الموصل لعمر وكان شريفا وشهد خيبر وابتنى بالموصل دارا ومسجدا واما ابنه عمرو فمن الاولياء ذكره الذهبي (طيب يغلب طيب نسائه) اى رائحة وفائحة (لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره) رواه البيهقي والطبراني (وسلت الدم) اى مسحه واماطه (عن وجه عائذ) بالذال المعجمة بعد الهمزة (ابن عمرو) اى ابن هلال ابو هبيرة المزني بايع تحت الشجرة وكان من الصالحين (وكان) اى وقد كان (جرح يوم حنين) وفي نسخة يوم احد (ودعا له فكانت) اى بعده كما في نسخة اى بعد سلته من موضعه (له غرة) اى بياض في وجهه من غير سوء به (كغرة الفرس) وفي اصل الدلجي ولا كغرة الفرس اى بل اعلى منها رواه الطبراني (ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي) بضم الجيم له وفادة (ودعا له) اى بالبركة (فهلك) اى مات (وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض وموضع كف النبي) وفي نسخة كف رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره) اى بقية شعر رأسه (اسود فكان) اى قيس بسبب تلك الغرة في جبهته (يدعى الاغر) اى تشبيها لما في وجهه من البياض كغرة الفرس ذكره ابن الكلبي (وروي مثل هذه الحكاية) اى من مسح الرأس وظهور اثر المسح كما رواه البيهقي (لعمرو ابن ثعلبة الجهني) قال الحلبي هذا الآخر لا اعرفه وقال الدلجي لعله خزيمة بن سواد بن الحارث اذ قد روى ابن سعد عن وجه السعدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم مسح وجهه فصارت له غرة بيضاء (ومسح وجه قتادة بن ملحان) بكسر الميم وسكون اللام قال الحلبي مسح رأسه ووجهه ولعل غالب مسحه كان على وجهه ولذا اقتصر عليه (فكان لوجهه بريق) اى لمعان عظيم (حتى كان ينظر في وجهه) بصيغة المجهول (كما ينظر في المرآة) بكسر الميم والهمزة الممدودة رواه احمد والبيهقي (ووضع يده على رأس حنظلة بن حذيم) بكسر حاء مهملة وسكون ذال معجمة ففتح تحتية وفي نسخة بالجيم مصغرا وهو تصحيف وضبطه التلمساني بخاء معجمة مضمومة وراء مفتوحة ومثناة من اسفل ساكنة قال وروي مثل ما قدمناه واخترناه قال وكذا ذكره ابو عمر وهو الذي روى حديث لا يتم بعد احتلام قال الذهبي حديثه في مسند احمد ولابيه صحبة وذكر في التجريد حنيفة والد حذيم له صحبة ولابنه حنظلة قيل ولابن ابنه ايضا لكن قال موسى بن عقبة فيما نقله عنه ابن الجوزي وغيره ما نعلم اربعة ادركوا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم الا هؤلاء يعني ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن وابنه محمد ويكنى ابا عتيق قال الحلبي ومحمد ابو عتيق الصحيح انه تابعي ولو قال موسى بن عقبة عبد الله بن الزبير وامه اسماء وابوها ابو بكر وابوه ابو قحافة لكان صوابا فان هؤلاء لا خلاف في صحبتهم (وبرك عليه) اى دعا له بالبركة (فكان حنظلة يؤتى بالرجل) اللام للعهد الذهني فهو في حكم النكرة اى برجل من الرجال (قد ورم وجهه) بكسر الراء اى تورم وانتفخ (والشاة) اى وبالشاة (قد ورم ضرعها) بفتح اوله اى ثديها (فيوضع) وفي نسخة فيضع اى محل الورم منهما (على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم) اى من رأسه (فيذهب الورم) اى من وجه الرجل وضرع الشاة رواه البيهقي وغيره (ونضح) بالحاء المهملة وقيل بالمعجمة وقيل بمهملة ان اعتمد وبمعجم ان لم يعتمد رش (في وجه زينب) اى ربيبته (بنت ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان) وفي نسخة فما كان يعرف (في وجه امرأة من الجمال مابها) اى مثل ما كان بوجهها من الكمال رواه ابن عبد البر في استيعابه وروي ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها ابنتها في ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل في ظلمة فقال انظروا زيانبكم لئلا اطأ عليها او قال اخروا حكاه السهيلي هكذا ومن قصتها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل فدخلت عليه فنضح في وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وتوفيت يوم مات معاوية (ومسح على رأس صبي به عاهة) اى آفة من قرع ونحوه (فبرأ) اى زال ما به (واستوى شعره) اى على حاله بل احسن منه في مآله هذا الحديث لا يعرف من رواه بهذا اللفظ الا ان ابا نعيم روى عن الاوزاعي انه انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن له مجنون فمسح وجهه ودعا له فلم يكن في الوفد احد بعد دعوته له اعقل منه اى ببركة دعائه وكان القياس ان يقال ولا احسن منه ببركته ومسح وجهه هذا وزيد في نسخة هنا وروى مثله في خبر المهلب بن قبالة بفتح القاف والباء الموحدة المخففة وباللام وروى هلب بن قنافة بضم الهاء وسكون اللام وآخره موحدة وقنافة بضم القاف وفتح النون مخففة وبالفاء كذا ذكره ابو عمر وقيل وهو الصواب ولعلهما قصتان لرجلين وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عدي بن قنافة الطائي وفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو اقرع فمسح على رأسه فنبت شعره فسمي المهلب (وعلى غير واحد) اى ومسح على كثيرين (من الصبيان المرضى والمجانين) عطف على الصبيان (فبرؤا) بفتح الراء وبكسرها فعوفوا من مرضهم وجنونهم (واتاه رجل به ادرة) بضم همزة وتفتح وسكون دال وبفتحتين اى نفخة في خصيته (فامره ان ينضحها) بفتح الباء وكسر الضاد المعجمة اى يرشها (بماء من عين) اى ماء وفي نسخة من عين غس بفتح غين معجمة وتشديد سين مهملة (مج) اى صب من فيه (فيها) اى في تلك العين وفي نسخة فيه اى في الماء او في ذلك المكان (ففعل) اى النضح (فبرأ) قال الدلجي لا اعلم من رواه (وعن طاوس) يكتب بواو ويقرأ بواوين كداود والهمز غلط فيهما وهو ابن كيسان اليماني من ابناء الفرس وقيل اسمه ذكوان فلقب به لانه كان طاوس القراء كما قاله ابن معين روى عن ابي هريرة وابن عباس وعائشة وخلق وعنه الزهري وسليمان التيمي وابنه عبد الله بن طاوس وجمع وهو رأس في العلم والعمل توفي بمكة سنة ست او خمس ومائة اخرج له الائمة الستة (لم يؤت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ماجيء (باحد به مس) اى جنون اوله (فصك) بتشديد الكاف اى ضرب (في صدره الا ذهب) اى ما به من المس (والمس الجنون) لانه يحصل بسببه كذا وقفه المصنف على طاوس ولم يعلم من رواه عنه من المخرجين (ومج) بتشديد الجيم اى صب من فمه (في دلو) اى فيه ماء (من بئر) وسبق في رواية القاضي من بئر زمزم (ثم صب) بفتح الصاد وبضم اى كب الدلو يعني ماءه (فيها) في تلك البئر (ففاح) اى سطع وانتشر (منها ريح المسك) اى مثل ريحه تشبيها بليغا وانما شبه به لانه اعلى انواع الرائحة وان كان رائحة ماء مجه اتم اصناف الفائحة لان مصدرها الخاتمة والفاتحة رواه احمد عن وائل بن حجر وفي شرح التلمساني فمج اطيب من المسك هكذا رواه ومجه وابه فصار اطيب او فعاد اطيب ويجوز ان يكون معناه فصار المج اطيب من المسك (واخذ قبضة من تراب) بضم القاف وتفتح اى مقبوضة منه (يوم حنين) وفي نسخة يوم بدر وهو اصل التلمساني قال وروي حنين بحاء مهملة والكل صحيح والمعنى حين وقع من بعضهم الفرار ومن باقيهم القرار (ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه) اى قبحت ماخوذة من الشوهة وهو القبح واول من تكلم به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره التلمساني (فانصرفوا يمسحون القذى) بقاف مفتوحة وذال معجمة والف مقصورة جمع قذاة وهي ما يقع في العين وغيرها من تراب وتبنة ونحوها اى يميطونها او يزيلونها (عن اعينهم) رواه مسلم عن سلمة بن الاكوع (وشكا اليه ابو هريرة النسيان) اى نسيان ما يسمعه من الحديث والقرآن (فامره ببسط ثوبه) اى بفتحه ونشره لديه (وغرف) اى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده فيه) اى تشبيها بمن اخذ شيأ والقاه في ثوبه (ثم امره بضمه) اى بجمع ثوبه الى صدره (ففعل فما نسي شيأ) اى من امره في عمره

(وما روى عنه فى هذا كثير) اى ما يروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا المعنى وهو الدعاء لذهاب النسيان كثير طرقه ولا يبعد ان يكون المعنى وما يروى عن ابى هريرة لاجل هذا كثير مع ان زمن صحبته يسير وهو اربع سنين (وضرب فى صدر جرير بن عبد الله) اى البجلى (ودعا له) اى بالثبات ظاهرا وباطنا ولذا خص الضرب بصدره لانه محل الرهبة والجزع (وكان) اى جرير (ذكر له) اوكان صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر له (انه لا يثبت على الخيل) اى حال جريها (فصار من فرسان العرب) بضم الفاء اى شجعانهم وفى نسخة من افرس العرب (واثبتهم) اى على الخيل من ركبانهم كذا فى الصحيحين (ومسح رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) اى ابن اخى عمر بن الخطاب (وهو صغير) جملة حالية من عبد الرحمن لا من زيد كما توهم الدلجى (وكان دميما) بدال مهملة اى قبيحا وذميما لكونه هزيلا قصيرا والدمامة بالمهملة فى الخلق وبالمعجمة فى الخلق بالضم وعلى هذا ينشد

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

(فدعا له بالبركة ففرع) بفاء وراء مفتوحتين فمهملة اى طال وعلا وغلب (الرجال) وفى نسخة الناس (طولا وتماما) رواه الزبير بن بكار عن ابراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزبيرى عن ابيه

(فصـــل)

(ومن ذلك) اى من قبيل هذا النوع المكنون (ما اطلع عليه) بضم همز وسكون مهملة وفى نسخة بتشديدها مضمومة اى ما الهم اليه (من الغيوب) اى الامور المغيبة فى الحال (وما يكون) اى سيكون فى الاستقبال (والاحاديث فى هذا الباب) اى فى هذا النوع من انواع الكتاب (بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره) بصيغة المفعول فيهما ويجوز فتح الياء وكسر الزاى والغمر الماء الكثير فى البحر الكبير اى لا يحاط غايته ولا تفنى نهايته (وهذه الجملة) اى الآتية وفى نسخة وهذه المعجزة (من جملة معجزاته المعلومة على القطع) اى على الوجه القطعى والطريق اليقينى (الواصل الينا خبرها على التواتر) اى لدينا (لكثرة رواتها) اى مع اختلاف مبانيها الدالة (واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب) اى على اطلاعه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض المغيبات عنا (حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهرى) بكسر الفاء المعروف بالطرطوشى (اجازة وقراءة) وفى نسخة وقرأته (على غيره) اى رواية (قال ابو بكر) احترازا عن غيره (ثنا ابو على التسترى) بضم التاء الاولى وفتح الثانية بينهما سين مهملة لا معجمة كما فى لسان العامة وهو احد رواة سنن ابى داود (ثنا ابو عمر الهاشمى ثنا اللؤلؤى) بهمزتين وقد تبدل الاولى راوى سنن ابى داود (ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن وانما اسند المصنف هنا من حديث ابى داود عن حذيفة ورواه عنه مع رواية الشيخين لما فى روايته له من طريق آخر من الزيادة كما سيأتى (ثنا عثمان ابن ابى شيبة) روى عنه الشيخان وغيرهما (ثنا جرير) بفتح الجيم فكسر الراء روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة وله مصنفات (عن الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن ابى وائل) هو شقيق بن سلمة الاسدى الكوفى مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام لكن لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان من العلماء العاملين (عن حذيفة) اى ابن اليمان (قال قام فينا) اى خطيبا او واعظا او معناه خطبنا (مقاما) بفتح الميم فى مكان او قياما (فما ترك) وفى نسخة ما ترك (شيأ) اى مهما (يكون) اى يحدث من القدم (فى مقامه ذلك) ظرف لما ترك (الى قيام الساعة الا حدثه) وفى نسخة حدث به اى حدث بوجوده (حفظه) ما ذكره (من حفظه) اى جميعه (ونسيه من نسيه) اى بعضه او كله (قد علمه) متعلق بيكون اى عرف هذا الخبر (اصحابى هؤلاء) اى من الصحابة الحاضرين او الموجودين قال الدلجى لم ار هذه الزيادة من مختصات رواية ابى داود لان لفظه قد علمه اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم (وانه) اى الشان (ليكون منه) اى ليحدث ويقع مما اخبرنا به (الشئ) اى الذى قد نسيته فأراه موجودا فى الاعيان (فاعرفه) اى انه مما اخبرنا به (واذكره) اى اتذكره بعد ما نسيته (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) اى كما اذا غاب وجه الرجل عن الرجل فينساه (ثم اذا رأه عرفه) اى بعد نسيانه اياه قال الدلجى الى هنا رواية الشيخين وزاد ابو داود بسند آخر من طريق قبيصة بن ذؤيب عن ابيه عن حذيفة وان كان صنيعه يقتضى اتصاله به (ثم قال) اى حذيفة كما فى اكثر النسخ (ما ادرى انسى اصحابى) اى حقيقة (ام تناسوه) اى تكلفوا نسيانه لقلة اهتمامهم به لقيامهم بما هو اهم منه ولما اراد الله من اختصاص كل منهم ببعض ما استفادوا عنه (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) اى اميرها يقودها الى المحاربة ويجرها الى المخاصمة بالطرق الباطلة او محدث بدعة كعلماء المبتدعة من الخوارج والروافض والمعتزلة يحدث من زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه) اى مع قائد الفتنة (ثلثمائة فصاعدا) اى فاكثر والجملة صفة قائد (الا قد سماه) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك القائد (لنا) اى لاجلنا (باسمه واسم ابيه وقبيلته) اى الى

تؤوبه (وقال ابوذر) اى على ما رواه احمد والطبرانى بسند صحيح وابو على وابن منيع عن ابى الدرداء عنه انه قال (لقد تركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مات عنا (وما يحرك طائر جناحيه فى السماء الا ذكرنا) بتشديد الكاف اى افهمنا (منه) من ذلك الطائر او تحريكه (علما) اى حكما اجماليا او تفصيليا (وقد خرج اهل الصحيح) اى من التزم صحة ما رواه كالشيخين وابن حبان وابن خزيمة والحاكم فى كتبهم المعروفة (والائمة) كمالك واحد وبقية اصحاب الكتب الستة وغيرهم ممن لم يلتزموا فى كتبهم الصحة (ما اعلم به) مفعول خرج اى ما اخبر به (اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور) اى الغلبة (على اعدائه) وفى نسخة على اعدائهم (وفتح مكة) تخصيص بعد تعميم وهذا مما رواه الشيخان وغيرهما (وبيت المقدس) كما رواه البخارى عن عوف بن مالك (واليمن والشام والعراق) كما فى الصحيحين عن سفيان ابن ابى زهير (وظهور الامن حتى تظعن) بسكون المعجمة وفتح المهملة اى ترحل (المرأة من الحيرة) بمهملة مكسورة مدينة بقرب الكوفة واخرى عند نيسابور (الى مكة لا تخاف الا الله) على ما رواه البخارى عن عدى ابن ابى حاتم (وان المدينة) اى السكينة (ستغزى) بالغين والزاى على بناء المفعول وهو من الغزو اى ستحارب وتقاتل وفى رواية بمهملتين قال الحافظ المزى الرواية فى الحديث بالعين المهملة والراء يعنى من العرى اى تصير عراء والمعنى ستخرب ليس فيها احد فقد رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها الا العوافى وهذا لم يقع بعد كما اختاره النووى وغيره وانما يقع قرب الساعة وقال التلمسانى وقع هذا فى زمن يزيد بن معوية ندب عسكرا من الشام الى المدينة فنهبها والوقعة معروفة بالحرة وهى ارض بظاهر المدينة ذات حجارات سود وقتل فيها كثير من ابناء المهاجرين والانصار وكانت فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد (وتفتح خيبر على يدى على فى غد يومه) كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد بلفظ لاعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق فى عينيه فبرأ وفتح الله على يديه (وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون من زهرتها) اى يعطون من بهجتها من كثرة المال وسعة الجاه كما رواه الشيخان من طرق (وقسمتهم) اى ومن تقسيمهم فيما بينهم (كنوز كسرى) بكسر الكاف ويفتح اى ملك فارس (وقيصر) اى وكنوزه وهو ملك الروم كما فى الصحيحين من طرق عن ابى هريرة وغيره (وما يحدث بينهم) اى بين امته (من الفتن) بكسر ففتح جمع فتنة وفى نسخة الفتون بالضم مصدر فتن بمعنى الافتتان (والاختلاف والاهواء) على ما رواه الشيخان من طرق ولعل المراد بالاختلاف ظهور التنافس فى الملك واختلاف امر الامراء وبالاهواء ظهور المعتزلة والغلاة من اهل البدعة (وسلوك سبيل من قبلهم) اى وسلوكهم على نهج من تقدمهم من الامم فقد رواه الشيخان عن ابى سعيد بلفظ لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل اليهود والنصارى قال فمن (وافتراقهم) اى اختلافهم (على ثلاث وسبعين فرقة) اى طائفة كما رواه احمد وابو داود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة قيل واصولهم ثمانية معتزلة عشرون فرقة وشيعة اثنتان وعشرون فرقة وخوارج على سبع فرق ومرجئة على خمس فرق ونجارية ثلاث فرق وجبرية محضة فرقة واحدة ومشبهة فرقة واحدة وطرقهم مختلفة (الناجية منها) اى من تلك الفرق (واحدة) اى فرقة واحدة كما فى نسخة صحيحة وهم الذين قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هم الذين على ما انا عليه واصحابى وهم اهل السنة والجماعة من الفقهاء كالائمة الاربعة والمحدثين والمتكلمين من الاشاعرة والماتريدية لخلو مذاهبهم من البدعة (وانه) اى الشان وفى نسخة وانها اى القصة وفى نسخة صحيحة وانهم (سيكون لهم) اى لامته (انماط) بفتح الهمزة جمع نمط وهو ضرب فراش ويغشى عليه الهودج ايضا وهذا فى الصحيحين عن جابر وفى الترمذى عن على (ويغدو) اى يصبح او يمر (احدهم فى حلة ويروح) اى يمسى او يرجع (فى اخرى ويوضع بين يديه صحفة) اى اناء كالقصعة المبسوطة (وترفع) اى من بين يديه (اخرى) اى صحفة اخرى (ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة) وفيه ايماء الى ان الدنيا تبسط عليهم بالسعة (ثم قال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مخاطبا لاصحابه الكرام (آخر الحديث) اى فى آخر الكلام (وانتم اليوم خير منهم يومئذ) فالواو العاطفة رد لقولهم نحن يومئذ خير من اليوم ظنا منهم انهم يصرفون الدنيا فى طرق العقبى فالمعنى ليس الامر كما تظنون بل وانتم اليوم خير لان ما قل وكفى خير مما كثر والهى وفيه تنبيه على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر (وانهم اذا مشوا المطيطاء) بضم الميم وفتح الطائين بينهما ياء ساكنة والكلمة ممدودة وتقصر وهى مشية فيها مد اليدين والتبختر والخيلاء ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى وفى نسخة المطيطيا بزيادة ياء بعد طاء مكسورة او مفتوحة (وخدمتهم بنات فارس والروم) اى بسبيهم اياهن (رد الله بأسهم) اى شدة عداوتهم بكثرة محاربتهم (بينهم) اى لطغيانهم بكثرة المال وسعة الجاه والاقبال (وسلط) اى

الله (شرارهم على خيارهم) لان الغالب غلبة اهل الشر فى الشوكة والدولة الدنيوية والحديث رواه الترمذى عن ابن عمر كما قاله الدلجى واما ماذكره الحلبى من ان الحديث رواه الذهبى فى ميزانه من ترجمة محمد بن خليل الحنفى الكرمانى ولفظه وروى عن ابن المبارك عن ابن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث ثم قال لا يصح فلا يعارض ما تقدم فان عدم صحته يحمل على روايته مع انه لا يلزم من عدم الصحة نفى الثبوت بطريق الحسن وهو كاف فى الحجة هذا وقد ثبت انهم بعد ان فتحوا بلاد فارس والروم وغنموا اموالهم وسبوا ذراريهم واستخدموهم سلط الله على عثمان شرارا فقتلوه وعلى على جماعة حتى قتله اشقاهم وهلم جرا الى ان قتل زياد بامر يزيد وشرار اعوانهم الحسين واصحابه خيار زمانهم وقد سلط بنو امية سبعين سنة على بنى هاشم ففعلوا ما فعلوا (وقتالهم الترك) كما فى الصحيحين بلفظ لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة والظاهر ان المراد بهم التتار ولعل القضية متأخرة او وقعت وليس لنا بها معرفة (والخزر) اى وقتالهم الخزر بضم معجمة وسكون زاى فراء طائفة من الترك جمع اخزر والخزر بفتحتين ضيق العين وصغرها وكذا ضبط الاصل ايضا فى كثير من النسخ واقتصر عليه الشمنى وفى حديث حذيفة كانى بهم خنس الانوف خزر العيون فالعطف تفسيرى (والروم) وهم طائفة معروفة وقد سبق فى الصحيح قتالهم مع قيصر فلا وجه لقول الدلجى لا ادرى من روى حديث الطائفتين (وذهاب كسرى) اى ذهاب ملكه بذهابه (وفارس) اى وذهاب قومه اى من ارض العراق وغيره (حتى لا كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر) اى ملك الروم من الشام ونحوه (حتى لا قيصر بعده) رواه الشيخان بدون فارس وذكر الحارث عن ابن محيريز مرفوعا فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا وقد وقع ما اخبر به من زوال ملكهما من اقليمهما فلم يبق من كسرى وقومه طارفة عين بدعوته صلى الله تعالى عليه وسلم ان يمزق كل ممزق وقيصر اعنى به هرقل قد انهزم من الشام فى خلافة عمر رضى الله عنه تعالى الى اقصى بلاده فافتتح المسلمون بلادهما فلله الحمد والمنة واخذ السهيلى من هذا ان لا ولاية للروم على الشام الى يوم القيامة انتهى واراد بالروم كفارهم من الفرنج والنصارى ثم قيل التقدير ولا مثل كسرى ولا مثل قيصر لانه علم ولا تدخل عليه لا الا اذا كان اول بالنكرة (وذكر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الروم ذات قرون) اى كلما هلك قرن خلفه قرن الى آخر الدهر قال القارى معناه ان هلك منهم رئيس خلفه آخر وليسوا كالفرس لانهم مزقوا وقد ورد فى هذا المعنى حديث وكانه تفسير لهذا قال عليه السلام فارس نطحة او نطحتان ثم لا فارس بعد هذا ابدا والروم ذات قرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن اهل صخر وبحر هيهات آخر الدهر انتهى (وبذهاب الامثل فالامثل) اى الافضل فالافضل (من الناس) اى من الصحابة والتابعين واتباعهم ومن بعدهم والفاء مؤذنة بترتيب التفاضل فاثبتت الامثلية للاول ثم للثانى وهكذا حتى تبقى حثالة لا يبالهم الله اباله (وتقارب الزمان) كما فى حديث الترمذى لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة اى العرفية والساعة الضرمة بالنار والمراد به آخر الزمان واقتراب الساعة لان الشئ اذا قل وقصر تقارب اطرافه والظاهر انه اريد به زمن عيسى فانه لكثرة الخيرات تستقصر الاوقات للاستلذاذ بالمسرات او زمن الدجال فانه لكثرة اهتمام الناس بما يدهمهم من همومهم لا يدرون كيف تنقضى ايامهم او اريد به تسارع الازمنة فيتقارب زمانهم فى المنحة او المحنة او اريد به قلة البركة فى اعمالهم مع كثرة الحركة فى احوالهم (وقبض العلم) اى بقبض العلماء لحديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة (وظهور الفتن والهرج) بفتح الهاء فسكون الراء فجيم قيل لغة حبشية ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل القتل (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى حديث الشيخين عن ام المؤمنين زينب (ويل) اى هلاك عظيم (للعرب من شر قد اقترب) ولعل المراد به فتنة عثمان فى محنة المحاصرة وفتنة على مع معاوية وفتنة الحسين مع يزيد وهلم جرا من المزيد ويفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد (وانه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (زويت له الارض) اى جمعت وضمت (فارى) بصيغة المفعول وفى نسخة فرأى (مشارقها ومغاربها) ولفظ مسلم عن ثوبان ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها اى جمع لى وطواها بتقريب بعيدها الى قريبها حتى اطلعت على ما فيها جميعها (وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها) وهذه الجملة من تتمة حديث مسلم عن ثوبان ولفظه وسيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها والمعنى زويت لى جملة الارض مرة

واحدة وستفتحها امتى جزأ فجزأ حتى تملك جميع اجزائها (ولذلك) اى ولاجل تقييده لها بمشارقها ومغاربها (كان امتدت) بتشديد الدال اى ثبتت امته وانتشرت ملته وفى نسخة وكذلك كان بكاف التشبيه والمعنى وكذا وقع ثم استأنف للبيان امتدت (فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند) بدل او بيان للمشارق والمغارب (اقصى المشرق) بيان لارض الهند او بدل منه (الى بحر طنجة) بفتح طاء وسكون نون وفتح جيم بلدة عظيمة بساحل بحر المغرب (حيث لا عمارة) بكسر اوله (وراءه) اى فيما وراء ذلك المكان (وذلك) اى ما ملكته امته (ما لم تملكه امة من الامم ولم يمتد فى الجنوب) بفتح الجيم اى فى الجهة الغربية اذا توجهت للقبلة وهو ريح يخالف الشمال مهبه من مطلع سهيل اى الى مطلع الثريا (ولا فى الشمال) بكسر اوله وهو الجهة الشرقية اذا توجهت للقبلة (مثل ذلك) اى مثل امتداد جهتى المشرق والمغرب ولعل فى اتيانهما بلفظ الجمع ايماء الى ما هنالك وكذلك الى ظهور كثرة العلماء منهما بالنسبة الى غيرهما وان علماء المشرق اكثر واظهر من علماء المغرب فتدبر (وقوله) اى كما رواه مسلم عن سعد ابن ابى وقاص مرفوعا (لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق) اى على طريق الحق ومنهج الصدق وسبيل الطاعة من الجهاد وتعليم العلوم للعباد (حتى تقوم الساعة) اى الى قرب القيامة (ذهب ابن المدينى) هو الامام ابو الحسن على بن عبد الله المدينى الحافظ يروى عن ابيه وحماد بن زيد وخلق وعنه البخارى وابو داود والبغوى وابو يعلى قال شيخه عبد الرحمن ابن مهدى على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة تلوموننى على حب على ابن المدينى والله لا نعلم منه اكثر مما يتعلم منى وكذا قال يحيى القطان فيه وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن توفى بسامرا هذا والمدينى نسبة الى المدينة المشرفة قاله ابن الاثير وقال ان اصل المدينى منها ثم انتقل الى البصرة وقال ان الاكثرين ينسب الى المدينة مدنى ثم قال واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة واما الجوهرى فقال المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور هذا وهو بفتح الميم وكسر الدال وسكون الياء لا بصيغة التصغير كما توهمه بعض معاصرينا من العلماء (الى انهم) اى اهل الغرب (العرب لانهم المختصون بالسقى بالغرب) بغين معجمة فسكون راء (وهى الدلو) اى العظيمة وفى نسخة وهو الدلو (وغيره) اى غير ابن المدينى (يذهب الى انهم اهل المغرب وقد ورد المغرب) اى بدل الغرب فارتفعت الشبهة فى مبناه (كذا فى الحديث بمعناه) لكن فيه انه لا يعلم من رواه نعم يروى عن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس اقوم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة وهم على الحق مستمسكون لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة (وفى حديث آخر من رواية ابى امامة) كما رواه احمد والطبرانى عنه مرفوعا (لا تزال طائفة من امتى) اى امة الاجابة (ظاهرين على الحق) اى مستعلين عليه غير مختفين لديه (قاهرين لعدوهم) اى غالبين عليهم من قهره غلبه واللام للتقوية (حتى يأتيهم امر الله) اى بفنائهم او خفائهم (وهم كذلك) اى لا يثبون على ما هنالك (قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال وضبطه بضم الميم وفتح الدال المشددة ولعل مثل هذا الحديث حمل ابن المدينى على تأويل ما تقدم وقال غيره المراد باهل الغرب اهل الشام لانه غرب الحجاز بدلالة روايته وهم بالشام لكن لا منع من الجمع بان يوجد فى كل منهما جمع يقومون بامر الحق من اظهار العلم وافشاء شعار الدين والاجتهاد فى باب الجهاد مع الكفار والملحدين ويؤيده ما رواه مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بملك بنى امية) فيما رواه الترمذى والحاكم عن الحسن بن على ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان وهو ضعيف وعن ابى هريرة وفى سنده الزنجى وهو غير معروف ذاتا وحالا والمراد ببنى امية بنو مروان بن الحكم ابن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف واول خلفائهم وافضلهم عثمان بن عفان ثم معاوية ابن ابى سفيان وهو اول الملوك بقى تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر ثم ابنه يزيد ثلاث سنين واشهر ثم معاوية ابن يزيد ومات بعد اربعين يوما ثم مروان بن الحكم ومات بعد سبعة اشهر ثم عبد الملك بن مروان ومات فى شوال سنة ست وثمانين ثم بويع ابنه الوليد وكان مدته تسع سنين ثم بويع اخوه سليمان بن عبد الملك وكانت ولايته سنتين ثم بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان وولايته سنتان ثم بويع هشام بن عبد الملك بن مروان ومات سنة خمس وعشرين ومائة ثم بويع الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقتل سنة ست وعشرين ومائة ثم بويع يزيد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المسمى بالناقص وكانت ولايته خمسة اشهر ثم بويع ابرهيم بن الوليد بن عبد الملك فخلع نفسه ومدته سبعون يوما ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخرهم

وبمجموعهم اربعة عشر ماعدا عثمان رضى الله تعالى عنه (وولاية معاوية) اى ابن ابى سفيان وهو منهم لكن خص لانه متميز عنهم باشياء منها قوله (ووصاه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما رواه البيهقى عنه بلفظ ما حملنى على الخلافة الا قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا معاوية ان ملكت وفى رواية اذا وليت فأحسن وضعفه البيهقى ثم قال غيره ان له شواهد منها حديث سعيد بن العاص ان معاوية اخذ الاداوة فتبع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل ومنها حديث راشد بن سعد عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم اوكدت ان تفسدهم يقول ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية منه صلى الله تعالى عليه وسلم فنفعه الله بها (واتخاذ بنى امية مال الله دولا) بضم ففتح جمع دولة بضم فسكون وقد يفتح اوله اى متداولة متناوبة فيهما من غير استحقاق لها والحديث رواه الترمذى والحاكم عن الحسن ابن على ورواه البيهقى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بلفظ بنوا ابى العاص اربعين رجلا اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا وعن ابى سعيد الخدرى اذا بلغوا ثلاثين الحديث (وخروج ولد العباس) اى ابن عبد المطلب وفى نسخة وخروج بنى العباس اى ظهورهم فى غلبة امورهم (بالرايات السود) اى الاعلام الملونة بالسواد تفاؤلا بغلبتهم على العباد (وتملكهم) بضم الميم اى تملكهم (اضعاف ما ملكوا) اى ملك غيرهم من ملوك البلاد فقد رواه احمد والبيهقى باسانيد ضعيفة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال تظهر الرايات السود لبنى العباس حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم فى اسناده عبد القدوس وهو ضعيف وفى روايات تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايلياء وهى بيت المقدس فى اسناده رشد بن سعيد وهو ضعيف واما اولاده الخلفاء واحفادهم الامراء فاولهم ابو العباس السفاح بويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم ابو جعفر المنصور ثم المهدى بن المنصور ثم الهادى موسى بن الهادى ثم الرشيد ابو جعفر هارون بن المهدى ومات بطوس ثم الامين محمد بن الرشيد وقتل ثم المأمون بن الرشيد ثم المعتصم بالله وهو محمد بن هارون ثم الواثق واسمه هارون ابو جعفر ثم المتوكل ابو الفضل جعفر بن محمد المعتصم ثم المنتصر ابو جعفر محمد بن المتوكل ثم المستعين بالله احمد ابن محمد بن المعتصم وخلع نفسه ثم المعتز بالله بن المتوكل على الله ثم المهتدى بالله ابو عبد الله بن الواثق ثم المعتمد ابو العباس ابن المتوكل ثم المعتضد احمد بن احمد الواثق ابن المتوكل ثم المكتفى على بن المعتضد ثم المقتدر جعفر بن المعتضد ثم القاهر محمد بن المعتضد وخلع نفسه عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وقد ارتكب امورا قبيحة لم يسمع بمثلها فى الاسلام قال بعضهم صليت فى جامع المنصور ببغداد فاذا انا بانسان عليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت بطانتها وبعض قطن فيها وهو يقول ايها الناس تصدقوا على فانى كنت بالامس اميرا وصرت اليوم فقيرا فسألت عنه فقيل لى انه القاهر بالله وكانت له حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل انسانا ثم الراضى محمد بن جعفر ثم المتقى بعد اخيه وهو ابو اسحق ابراهيم بن المقتدر بالله ثم الفضل وهو المطيع لله بن المقتدر بالله وخلع نفسه ثم الطائع عبد الكريم ابن الفضل بن المطيع ثم القادر بالله ثم ولده القائم بامر الله ثم ابنه المقتدى بامر الله ثم ابنه المستظهر بالله ثم ابنه المسترشد بالله ثم ابنه المستكفى بالله وكان خلفاء بنى العباس ثلاثين وكلهم ببغداد الى ان استولى عليهم الزمان سنة ست وخمسين وستمائة ولله الامر من قبل ومن بعد (وخروج المهدى) بفتح الميم وتشديد التحتية قال الحلبى واسمه محمد بن عبد الله من ولد فاطمة من ولد الحسن كما فى احاديث انتهى واصل احاديثه فى ابى داود فى سننه وقيل من اولاد الحسين وقيل من ذريتهما وليس المراد به احد الائمة الاثنى عشرية كما اعتقد الشيعة وانه مختف فى المكان وسيظهر فى آخر الزمان ولا احد المشايخ الذى انتهت اليه الطائفة المهدوية القائلة بانه جاء ومضى وان من لا يعتقد ذلك فهو ضال وقد افرد شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مفردة فى معرفة المهدى فعليك بها وينبغى ان لا يتوهم ان المهدى هذا من بنى العباس ولذا ذكر الحلبى احاديث مما يوهم انه هو ثم دفعه بان المراد غيره فقال رواه احمد والبيهقى باسانيد ثابتة بقوية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تقتتل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم ولد خليفة لا يصير الى واحد منهم ثم تقبل الرايات السود من خراسان فيقتلونكم مقتلة لم تروا مثلها ثم يجئ خليفة الله المهدى فاذا كان كذلك فاتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله وفى اسناده مجهول وفيه ابو اسماء وهو ضعيف وفى رواية اخرى يخرج رجل من اهل بيتى عند انقطاع من الزمان وظهور الفتن يقال له السفاح يكون عطاؤه حثيا فى سنده عطية العوفى وهو ضعيف قال التلمسانى وعلامة وقته خسوف القمر اول ليلة من رمضان او ثالثه او السابع والعشرين وهى علامة لم تكن منذ خلق الله السموات والارض (وما ينال اهل بيته) اى وما يصيبهم من المحن كقضية الحسنين وبقية ائمة اهل البيت (وتقتيلهم وتشريدهم) اى تطريدهم كما اخبره

فيما رواه الحاكم من حديث ابى سعيد ان اهل بيتى سيلقون بعدى من امتى قتلا وتشريدا وضعفه الذهبى (وقتل على) كما رواه احمد عن عمار بن ياسر والطبرانى عن على وصهيب وجابر بن سمرة (وان اشقاها) اى اشقى الطائفة او الثلاثة حيث تيسر له ما قصده فان من العصمة ان لا تقدر بخلاف من قصد قتل معاوية وابن العاص فكان اشقاهم بل اشقى الآخرين لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال يا على أتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة أتدرى من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك ولما جرح هذا الشقى عليا دخل عليه فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان اعش فانا ولى دمى عفوا وقصاصا وان مت فالحقوه بى اخاصمه عند رب العالمين فلما مات على اخرج من السجن وقطع عبد الله بن جعفر يديه ورجليه وكحل عينيه بمسمار محمى وجعل يقرأ اقرأ باسم ربك الذى خلق الى آخر السورة وان عينيه لتسيلان ثم امر به فقطعوا لسانه ثم جعلوه فى قوصرة واحرقوه بالنار (الذى يخضب) بكسر الضاد اى يصبغ (هذه من هذه اى لحيته من راسه) يعنى بدمها قال الاسنوى فى المهمات تبعا للنووى فى تهذيبه ان الاشقى هو عبد الرحمن بن ملجم بميم مضمومة فلام ساكنة فجيم مفتوحة او مكسورة (وانه) اى عليا (قسيم النار) اى والجنة كما قيل (على حبه جنه * قسيم النار والجنه) فهو من باب الاكتفاء ويشير اليه قوله (يدخل اولياءه الجنة واعداءه النار) والمعنى ان الناس فريقان فريق معه وهم مهتدون وفريق عليه فهم ضالون اعداءه فيكون سببا لدخولهما الجنة والنار وبلا تمه ما ضبط فى نسخة يدخل بصيغة المعلوم من باب الافعال لكن الحديث لا يعرف من رواه الا انه قد جاء ما يقوى معناه (فكان) اى على (فيمن) وفى نسخة ممن (عاداه الخوارج) وهم المحكمية خرجوا عليه عند التحكيم وكانوا اثنى عشر الفا اصحاب صلاة وصيام قال فيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحقر احدكم صلاته فى جنب صلاتهم وصومه فى جنب صومهم لا يجاوز قرآنهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية على ما جاء فى طرق (والناصبة) بالموحدة الذين يتدينون ببغض على رضى الله تعالى عنه وقد نصبوا له الحرب وقد روى ستكون امتى فرقتين فيخرج من بينهما مارقة يلى قتلها اولاهم بالحق وهم الذين قتلهم على بالنهروان وكانوا اربعة آلاف ولم يقتل من المسلمين سوى تسعة (وطائفة ممن ينتسب) بالياء والتاء وروى ينسب (اليه) اى الى حب على كرم الله وجهه (من الروافض كفروه) اى لتركه فى زعمهم الكاذب الخلافة لغيره وهى حقه فكانه رضى بالباطل وسكت عن الحق مع قدرته عليه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يقتل عثمان وهو يقرأ فى المصحف) بضم الميم ويكسر ويفتح ورواه الترمذى عن ابن عمر ولفظه ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا مظلوما لعثمان وحسنه (وان الله) بفتح الهمزة وكسرها (عسى ان يلبسه) بضم اوله (قميصا) اى خلعة الخلافة والتلبس بها (وانهم) اى اهل الفتنة (يريدون خلعه) اى عزله عنها فامتنع من الانخلاع عنها لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله ان يقمصك قميصا فان ارادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فقتلوه ظلما وعدوانا فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها (وانه) اى الشان (سيقطر دمه) بضم الطاء وفى نسخة بصيغة المجهول اى ستقع قطرات دمه (على قوله تعالى فسيكفيكهم الله) كما رواه الحاكم عن ابن عباس قال الذهبى انه موضوع لكن نقل المحب الطبرى فى الرياض ان اكثرهم روى ان قطرة من دمه او قطرات سقطت على قوله تعالى فسيكفيكهم الله فى المصحف ونقل عن حذيفة قال اول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت احد وفى قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به فى قبره اخرجه السلفى الحافظ (وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا) كما رواه البيهقى فهو سد باب الفتنة كما اخبر به حذيفة (وبمحاربة الزبير لعلى) كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة من طرق انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم له وذكره به على يوم الجمل فقال بلى والله لقد نسيته منذ سمعته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك فقال ذكرنى على حديثا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلة فقال قد حلفت لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب (وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بنباحها وهو بضم نون وتكسر فموحدة اى صياحها والحوأب بمهملة ثم همزة مفتوحتين موضع بين البصرة ومكة نزلته عائشة لما توجهت للصلح بين على ومعاوية فلم تقدر اتفاقا فكانت وقعة الجمل (وانه يقتل حواليها) اى حول بعض الازواج وهى عائشة رضى الله تعالى عنها (قتلى كثير) اى جمع كثير من المقتولين قيل قتل يومئذ نحو من ثلاثين الفا وفى نسخة كثيرة نظرا الى الجماعة (وتنجو بعدما كادت) اى الى الهلاك كما رواه البزار بسند

صحيح عن ابن عباس (فنبحت) بفتح الباء وكسرها اى كلاب ذلك الموضع (على عائشة عند خروجها) اى توجهها من
مكة (الى البصرة) كما رواه احمد وكذا البيهقى بلفظ لما اتت الحوأب سمعت نباح الكلاب فقالت ما اظننى الا راجعة
انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا اينكن تنبح عليها كلاب الحوأب ترجع لعل الله ان يصلح بك بين
الناس (وان عمارا) وهو ابن ياسر (تقتله الفئة الباغية) رواه الشيخان ولفظ مسلم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لعمار تقتلك الفئة الباغية وزاد وقاتله فى النار (فقتله) اى عمارا (اصحاب معاوية) اى بصفين ودفنه على رضى الله
تعالى عنه فى ثيابه وقد نيف على سبعين سنة فكانوا هم البغاة على على بدلالة هذا الحديث ونحوه وقد ورد
اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وقد كان مع على رضى الله تعالى عنه واما تأويل معاوية او ابن العاص
بان الباغى على وهو قتله حيث حمله على ما ادى الى قتله فجوابه ما نقل عن على كرم الله وجهه انه يلزم منه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قاتل حمزة عمه والحاصل انه لا يعدل عن حقيقة العبارة الى مجاز الاشارة الا بدليل ظاهر من عقل
او نقل يصرفه عن ظاهره نعم غاية العذر عنهم انهم اجتهدوا واخطأوا فالمراد بالباغية الخارجة المتجاوزة لا الطالبة
كما ظنه بعض الطائفة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك) اى مشقة وهلاك
فى الآخرة بقتله ظلما (وويل لك من الناس) اى فى الدنيا فلقد حاصره الحجاج بمكة ورمى البيت بالمنجنيق فهدم ركنه
الشامى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام على ما رواه الشيخان (فى قزمان) اى فى حقه وهو بضم القاف وسكون
الزاى ذكره الحلبى رجل من المنافقين قاتل قتالا شديدا (وقد ابلى مع المسلمين) بفتح الهمزة واللام جملة حالية
ابانت شجاعته ومحاربته لغير الله بدليل قوله عليه الصلاة والسلام (انه من اهل النار) فقتل نفسه اى فى خيبر
كما ذكره البخارى وصوبه المصنف واقره النووى ومسلم فى حنين والخطيب تبعا لاصحاب السير فى احد واقره النووى
ولعل الاشخاص متعددة فكل ذكره فى قضية (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى جماعة فيهم) اى فى حق
جماعة من جملتهم (ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا فى النار) اى يكون فى موته فى نار الدنيا الا انه يدخل
فى نار العقبى كما توهم الدلجى على ما سيأتى فعامله موتا وهو ابهام او تورية وايهام (فكان بعضهم) اى تلك الجماعة
(يسأل عن بعض) اى عن حياته ومماته كما رواه البيهقى عن ابن حكيم الضبى اذا لقيت اباهريرة سالنى عن سمرة فاذا
اخبرته بحياته وصحته فرح وقال كنا عشرة فى بيت فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخركم موتا فى النار فمات
منا ثمانية ولم يبق غيرى وغيره وفى رواية للبيهقى عنه وكان اذا اراد احد ان يغيظ اباهريرة قال مات سمرة فيصعق ويغشى
عليه ثم مات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه قبل سمرة (فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف) بكسر الراء فيهما اى
اصابه خلل فى بدنه وخبل فى عقله (فاصطلى بالنار) اى استدفأ بها (فاحترق فيها) وفى تاريخ ابن عساكر عن ابن
سيرين ان سمرة اصابه كزاز هو داء من البرودة او برد شديد لا يكاد يدفأ منه فامر بقدر عظيمة فملئت ماء واوقد تحتها
واتخذ فوقها مجلسا فكان يصل اليه بخارها فيدفأ فلم يلبث ان سقط به فاحترق ويوافقه ما رواه البيهقى عن بعض اهل
العلم انه مات فى الحريق تصديقا لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اغرب الدلجى حيث استدل به بانه
يدخل النار فى الآخرة ثم يخرج منها ثم قال ويحتمل انه يورد النار بقتل زياد وابن زياد بحضرته خلقا كثيرا ثم ينجى
منها بايمانه بشهادة حديث البيهقى عن ابن سيرين كان سمرة عظيم الامانة صدوق الحديث يحب الاسلام واهله قال
عبد الله بن صبيح لابن سيرين بهذا وبصحبته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نرجو له بعد تحقيق قول رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فيه الخبر انتهى ولا يخفى ان هذا الحديث ما يقتضى دخوله فى النار ثم نجاته منها بل الظاهر
نجاته منها ابتداء وان احتراقه فى الدنيا يكون سبب خلاصه عنها فى العقبى على تقدير وقوع ذنب يستحقها والا فهو
موجب زيادة درجة عالية فى الجنة وغرفها ثم حضوره مجلس زياد وابن زياد حين قتلهما خلقا كثيرا لا يدل على
استحقاق عذاب ولا استيجاب عتاب اذ لم يعرف انه كان راضيا بفعلهما وربما كان مكرها فى حضوره عندهما هذا
وللبيهقى انه استجمر فغفل عنه اهله حتى اخذته النار ولا يخفى امكان الجمع بين هذا وما تقدم والله تعالى اعلم واما حديث
البيهقى عن اوس بن خالد كنت اذا قدمت على ابى محذورة سألنى عن سمرة واذا قدمت على سمرة سألنى عن ابى
محذورة فسألت ابا محذورة عن سؤالهما اياى فقال كنت انا وسمرة وابو هريرة فى بيت النبى عليه الصلاة والسلام
فجاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال آخركم موتا فى النار فمات ابو هريرة رضى الله تعالى عنه ثم ابو محذورة ثم سمرة
فلا يخلو من الاشكال السابق من معارضته فى المقال والله تعالى اعلم بالحال (وقال) اى النبى عليه الصلاة
والسلام كما رواه ابن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فى حنظلة) اى ابن ابى عامر
الانصارى (الغسيل) اى مغسول الملائكة (سلوا زوجته عنه) اى عن حاله قبل موته (فانى رأيت الملائكة تغسله)

اى بعد قتله شهيدا باحد مع ان الشهيد لا يغسل (فسألوها فقالت انه خرج جنبا) حين غدات احد شق رأسه وسمع
الهيعة وكان قد ابتنى بها تلك الليلة (واعجله الحال عن الغسل) اى عن تمامه لمبادرته الى القتال ومسارعته للامتثال
(قال ابو سعيد) اى الخدرى (ووجدنا رأسه يقطر دما وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (الخلافة فى قريش)
رواه احمد والترمذى ولعل المراد به ان الخلافة على استحقاقها فى طائفة من قريش وهم الخلفاء الاربعة فيكون
اخبارا عن الغيب المطابق للواقع بعده واما اذا اريد به الحكم بان الخلافة منحصرة فيهم وان شرط صحة الخلافة
ان يكون الخليفة واحدا منهم كما ذكره الدلجى فلا يلائم سياقه فى هذا الباب كما لا يخفى على اولى الالباب ويؤيد
ما قدمناه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن معاوية (ولن يزال هذا الامر) اى امر الخلافة
(فى قريش ما اقاموا الدين) يعنى فاذا لم يقيموا امر الدين على ما ينبغى انتقل الامر عنهم الى غيرهم فكان كما اخبرهم
زاد البخارى فى رواية ولا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه اى فى الدنيا او فى العقبى قال النووى انعقد الاجماع
فى زمن الصحابة ومن بعدهم على ان الخلافة مختصة بقريش لا تجوز لغيرهم ولا عبرة بمن خالف فيه من اهل البدعة
(وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يكون) اى سيوجد (فى ثقيف) بفتح فكسر هو ابو قبيلة من هوازن
(كذاب ومبير) بضم فكسر اى مهلك من اباره اهلك مأخوذ من البوار وهو الهلاك ومنه قوله تعالى وكنتم قوما بورا
اى هالكين (فرأوهما الحجاج والمختار) اى فرأى السلف ان احدهما الحجاج وهو بفتح الحاء كليب بن يوسف والآخر
المختار ابن ابى عبيد وان الثانى هو الكذاب والاول هو المبير فهما لف ونشر مشوش ففى حديث اسماء بنت ابى بكر من
طريق مسلم وغيره انها قالت مشافهة للحجاج حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى ثقيف كذابا ومبيرا
فاما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال الترمذى فى جامعه ويقال الكذاب المختار والمبير الحجاج
ثم ذكر بسنده الى هشام بن حسان قال احصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة وعشرين الفا انتهى واما المختار فهو
الكذاب حيث زعم ان جبريل اتاه يوحى الكتاب فقد رواه البيهقى عن رفاعة بن شداد قال دخلت على المختار
يوما فقال دخلت وقد قام جبريل من هذا الكرسى فاهويت الى السيف فذكرت حديثا حدثنيه
عمرو بن الحمق الخزاعى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا امن الرجل رجلا على دمه ثم قتله رفع له لواء
الغدر يوم القيامة فكففت عنه قال النووى فى شرح مسلم واتفق العلماء على ان المراد بالكذاب المختار ابن ابى
عبيد وبالمبير الحجاج بن يوسف انتهى وكان المختار واليا على الكوفة ولقبه كيسان واليه ينسب الكيسانية
كان خارجيا ثم صار زبيديا ثم صار شيعيا وكان يدعو الى محمد بن الحنفية ومحمد يتبرأ منه وكان ارسل ابن الاشتر بعسكر
الى ابن زياد لقتال الحسين فقتله وقتل كل من كان فى قتل الحسين ممن قدر عليه وكان غرضه فى ذلك صرف وجوه
الناس اليه والتوسل به الى تحصيل الامارة لديه فكان يظهر الخير ويضمر الشر ولما ولى مصعب بن الزبير البصرة
من جهة عبد الله بن الزبير قاتل المختار وقتله (وان) وفى نسخة صحيحة وبان (مسيلمة) بضم الميم وفتح السين ثم كسر
اللام (يعقره الله) بكسر القاف اى يهلكه او يقتله او يهلكه قتلا فقتله وحشى بن حرب فى قتال اهل الردة زمن ابى
بكر رواه الشيخان بلفظ ولئن توليت ليعقرنك الله (وان فاطمة) اى بنته الزهراء (اول اهله) اى اهل بيته كما فى
نسخة (لحوقا به) اى موتا ووصولا اليه ففى الصحيح عن الزبيرى عن عروة عن عائشة مكثت فاطمة بعد وفاته صلى الله
تعالى عليه وسلم ستة اشهر (وانذر بالردة) اى وحذر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه وخوفهم وعرفهم بانها
ستكون كما فى حديث الشيخين لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وفى حديث مسلم
لا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من امتى بالمشركين وحتى تعبد قبائل من امتى الاوثان فوقعت الردة فى خلافة
ابى بكر ارتد عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين وكفى الله امرهم بالصديق صاحب مقام التحقيق (وان)
وفى نسخة وبان (الخلافة) اى الحقيقية الحقية (بعده ثلاثون سنة ثم تكون) اى تصير الخلافة (ملكا) اى سلطنة
بالغلبة فقد روى احمد والترمذى وابو يعلى وابن حبان عن سفينة بلفظ الخلافة بعدى فى امتى ثلاثون سنة ثم ملك بعد
ذلك (فكانت) اى الخلافة (كذلك) اى ثلاثين سنة (بمدة الحسن بن على) اى بمضى مدة خلافته وهى ستة اشهر تقريبا
وفيه دلالة على ان معاوية لم يحصل له ولاية الخلافة ولو بعد فراغ الحسن له بالامارة ويشير اليه ما رواه البخارى فى تاريخه
والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة بلفظ الخلافة بالمدينة والملك بالشام ثم اعلم ان خلافة ابى بكر كانت سنتين وثلاثة
اشهر وعشرين يوما وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر واربعة ايام وخلافة عثمان احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا
وثمانية عشر يوما وخلافة على اربع سنين وعشرة اشهر وتسعة وتمامها خلافة الحسن (وقال) اى النبى عليه الصلاة
والسلام (ان هذا الامر) اى امر الدين (بدأ) بهمزة اى ابتدأ او بالف اى ظهر (نبوة ورحمة) اى نبوة مقرونة

بالرحمة العامة (ثم يكون) اى الامر (رحمة وخلافة) اى رحمة فى ضمن الخلافة (ثم يكون) اى الامر (ملكا) قال
التلمسانى وفى اصل المؤلف ثم ملكا (عضوضا) بفتح العين اى سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية فكانهم
يعضون بالنواجذ فيه عضا حرصا على الملك وبعض بعضهم بعضا حرصا على الهلاك وفيه ايماء الى ما قال عارف بهذا
الباب الدنيا جيفة وطالبها الكلاب وفى النهاية ثم يكون ملك عضوض اى يصيب الرعية عسف وظلم فكانهم
يعضون فيه عضا باسنانهم اى يتحملون فيه محنة شديدة فى شانهم وفى رواية وسترون بعدى ملكا عضوضا وفى اخرى
ثم يكون ملوك عضوض قيل وهو جمع عض بالكسر اى شرير خبيث (ثم يكون) اى الامر (عتوا) بضمتين فتشديد
اى تكبرا (وجبروتا) بفتحتين فعلوت من الجبر بمعنى القهر مبالغة اى تجبرا وقهرا (وفسادا فى الامة) اى فى امر دينهم
ودنياهم هذا ولفظ البيهقى ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا
وجبرية وفسادا فى الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله تعالى
وقد ابتدأ هذا الفساد من بدء امارة يزيد وولاية زياد وهلم جرا فى الزيادة الى يومنا هذا فيما بين سلاطين البلاد والله
رؤف بالعباد (واخبر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بشأن اويس) اى ابن عامر (القرنى) بفتحتين اى منسوب
الى بطن من مراد قبيلة باليمن وغلط الجوهرى فى نسبته الى قرن المنازل روى انه كان به بياض فدعا الله فاذهبه
الا قدر دينار اودرهم وله ام كان بها بارا ولو اقسم على الله لأبره وقال من لقيه فليستغفر وعن عمر مرفوعا يأتى
عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم قرن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له والدة هو بها بر لو
اقسم على الله لأبره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل قال الاورنجانى فى شرح المشارق الامداد جمع مدد والمراد
هنا القافلة قال وكان عمر اذا اتى عليه امداد اليمن يسألهم أفيكم اويس بن عامر فلما كانت السنة التى توفى فيها عمر قام على
على ابى قبيس فنادى باعلى صوته يا اهل الحجيج من اليمن أفيكم اويس فقام شيخ طويل اللحية فقال انا لا ندرى من اويس
ولكن ابن اخى يقال له اويس وهو اخمل ذكرا واهون امرا من ان نرفعه اليك وانه ليرعى ابلا حقيرا بين اظهرنا فقال له
عمر ابن اخيك قال بازاء عرفات فركب عمر وعلى سراعا الى عرفات فاذا هو قائم يصلى والابل حوله ترعى فسلما عليه
وقالا من الرجل قال عبد الله قالا قد علمنا ان اهل السموات والارض كلهم عبيد الله فما اسمك الذى سمتك به امك قال
يا هذان ما تريدان قالا وصف لنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اويسا القرنى واخبرنا ان تحت منكبه الايسر لمعة
بيضاء فاوضحها لنا فان كانت بك فانت هو فاوضح منكبه فاذا اللمعة فاشتدا يقبلانه وقالا نشهد انك اويس
القرنى فاستغفر لنا غفر الله لك قال ما اخص باستغفارى نفسى ولا احدا من ولد آدم ولكنه فى المؤمنين والمؤمنات
والمسلمين والمسلمات يا هذان قد اشهر الله لكما حالى وعرفكما امرى فمن انتما قال على اما هذا فعمر امير المؤمنين
واما انا فعلى بن ابى طالب فاستوى اويس قائما ورحب بهما فقال له عمر مكانك يرحمك الله حتى ادخل مكة فآتيك
بنفقة من عطائى وفضل كسوة من كسوتى فقال يا امير المؤمنين ما اصنع بالنفقة والكسوة اما ترى على ازارا ورداء
من صوف متى اخرقهما او قد اخذت من رعايتى اربعة دراهم متى آكلها يا امير المؤمنين ان بينك وبينه عقبة كؤودا
ولا يجاوزها الا كل ضامر مخف به فاخف يرحمك الله فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الارض ثم نادى باعلى صوته
الا ليت عمر لم تلده امه الا من يأخذها بما فيها ولها ثم قال يا امير المؤمنين خذ انت ههنا حتى اخذ عنها فولى عمر ناحية
مكة وساق اويس ابله فوافى القوم وخلا عن الرعاية واقبل على العبادة حتى لقى الله تعالى وروى الحاكم فى مستدركه
عن على كرم الله وجهه مرفوعا خير التابعين اويس ولا ينافيه قول احمد وغيره ان خيرهم سعيد بن المسيب
لان مرادهم فى العلوم الشرعية لا فى اكبرية الدرجة العلية قال الحلبى وقد قتل مع على بصفين فى وقعتها وقال ابن
حبان واختلفوا فى محل موته فمنهم من يزعم انه مات على جبل ابى قبيس بمكة ومنهم من يزعم انه مات بدمشق
ويحكون فى موته قصصا تشبه المعجزات التى رويت عنه وقد كان بعض اصحابنا ينكر كونه فى الدنيا ثم ساق بسنده
الى شعبة قال سألت عمرو بن مرة وابا اسحق عن اويس القرنى فلم يعرفاه اقول ولعلهما لم يعرفاه لعدم كونه من رواة
الحديث اذ لم يرو شيأ وكان غلب عليه حب الخمول والعزلة والخلوة وكره الصحبة والخلطة وقد علم كل اناس مشربهم
وعرف كل طائفة مذهبهم (وبامراء) اى وبان امراء (يؤخرون الصلاة عن وقتها) فقد روى مسلم من طرق عن ابى ذر
ولفظه كيف انت اذا كنت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرنى قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها
معهم فصل فانها لك نافلة زاد فى رواية اخرى والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووى اى عن وقتها المختار لا عن
جميع وقتها وروى يميتون الصلاة وهو بمعنى يؤخرون قال وقد وقع هذا فى زمن بنى امية (وسيكون فى امتى) وفى اصل
الدلجى فى امته (ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة) رواه احمد والطبرانى والبزار منهم مسيلمة الحنفى والاسود العنسى بالنون

والمختار ابن ابى عبيد الثقفى وسجاح بفتح السين فجيم زعمت انها نبية فى زمن مسيلمة (وفى حديث آخر ثلاثون دجالا)
وفى نسخة رجلا (كذابا احدهم) وفى نسخة وهى الاولى آخرهم (الدجال الكذاب) اى الاعور الذى يقتله عيسى
ابن مريم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة ولفظهما ان بين يدى الساعة ثلاثين رجلا كذابا (كلهم يكذب) وفى نسخة
يكذبون (على الله ورسوله) قال الحلبى وفى الصحيح قريب من ثلاثين وقد جاء تعيين عددهم فى حديث آخر انهم
سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والدجل تمويه الشئ وتغطيته والمموه الدجال وهو الكذاب ايضا لانه يدجل
الحق بالباطل (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يوشك) اى يقرب (ان يكثر فيكم العجم) اى ضد العرب
لا الفرس فقط (يأكلون فيئكم) بفتح الفاء وسكون الياء مهموزا اى اموالكم (ويضربون رقابكم) اى يريقون
دماءكم او يبالغون فى ايذائكم وقد وقع فى دولة الترك من بعدهم رواه البزار والطبرانى باسناد صحيح (ولا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه) اى يسترعيهم مسخرين له كراعى غنم يسوقها بعصاه وهو كناية عن طاعة الناس له
واستيلائه عليهم ولم يرد نفس العصا الان فى ذكرها دليلا على خشونته وعسفه بهم فى اطاعته (رجل) قال القرطبى
فى تذكرته لعله الجهجاه (من قحطان) وهو ابو اليمن رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظهما
لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام فيما رواه
الشيخان (خيركم قرنى) ولفظهما خير امتى وفى رواية خير الناس قرنى وهم الصحابة (ثم الذين يلونهم) وهم التابعون
(ثم الذين يلونهم) وهم الاتباع وثم تفيد التنزل فى الرتبة الى ان يرتفع الاشتراك فى الخيرية فيستقيم قوله (ثم يأتى بعد ذلك
قوم) وفى تغيير العبارة ايماء الى ما اشرنا اليه وفى رواية لهما ثم ان بعدكم قوما (يشهدون ولا يستشهدون) بصيغة
المجهول اى يبادرون بتأدية الشهادة قبل ان يطلب منهم اداؤها فانها لا تقبل واما حديث خير الشهود من يأتى
بالشهادة قبل ان يسألها فمعناه ان يظهر عند غير القاضى ان عنده الشهادة حيث جهل او شك صاحب الشهادة
انها عنده ام لا او هل يظهر الشهادة ام يخفيها وقيل يشهدون بالزور قال الحلبى وقيل معناه يحلفون ولا يستحلفون
كما قال فى رواية اخرى يسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه كذبا شهادته واليمين تسمى شهادة ومنه قوله تعالى
فشهادة احدهم (ويخونون ولا يؤتمنون) بفتح الميم (وينذرون) بضم المعجمة وتكسر (ولا يوفون) اى بنذرهم
وفى رواية ولا يفون من وفى يفى (ويظهر فيهم السمن) بكسر ففتح وفى حديث يكون فى آخر الزمان قوم يتسمنون
وفى رواية ويل للمتسمنات يوم القيامة وفى رواية ويخلف قوم يحبون السمانة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم
لمالك بن الصيف أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال له فانت الحبر السمين فقال ما انزل الله على
بشر من شئ (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه) رواه البخارى ولفظه
قال الزبير اتينا انسا فشكونا اليه الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتى زمان الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته
من نبيكم وفى رواية اشر منه وهو لغة كاخير فى خير قال بعض الحفاظ الا والذى بعده شر منه فيما يتعلق بالدين قال
الحلبى والذى فهم الحسن غير ذلك حيث سئل الحسن فقيل له ما بال زمن عمر بن عبد العزيز بعد زمن الحجاج فقال
لا بد للناس من تنفيس يعنى ان الله تعالى ينفس عباده وقتا ما ويكشف البلاء عنهم حينا ما قلت وهو ما ينافى
ما سبق من التنزل فى امر الدين كما هو مشاهد فى نظر ارباب اليقين فان كلما يبعد عن النور يبقى الظلمة فى الظهور فالبعد
عن الحضرة يفيد هذا الترتيب فى الحالة ويشير اليه صدر الحديث خير القرون قرنى ثم وثم فى الجملة بل جاء فى حديث
رواه احمد والبخارى والنسائى عن انس مرفوعا لا يأتى عليكم عام ولا يوم الا والذى بعده شر منه حتى تلقوا ربكم
(وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (هلاك امتى على يدى اغيلمة) تصغير تحقير لاغلمة جمع غلام يعنى
صبيان (من قريش) وفى رواية اعوذ بالله من امارة الصبيان وقال ان اطعتموهم اذلتكم وان عصيتموهم اهلكتكم
اذ هم صغار الاسنان (وقال ابو هريرة راويه) اى راوى هذا الحديث (لو شئت لسميتهم لكم) اى لبينتهم وقلت لكم
انهم (بنو فلان وبنو فلان) لكنى ما شاء تسميتهم صريحا خوف الفساد والفتنة الان فى العبارة اشارة بالكناية
والمراد يزيد بن معاوية فانه بعث الى المدينة السكينة مسلم بن عقبة فاباحها ثلاثة ايام فقتل من خيار اهلها
كثيرا فيهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء وبعده بنو امية مروان بن الحكم بن العاص فلقد صدر عنهم ما اوجب
ان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ منهم كما رواه الشيخان انه قال ان آل ابى فلان ليسوا لى باولياء ولكن لهم رحم
سأبلها ببلالها فالمكنى هو الحكم بن العاص وبنوه فانهم آله فكنى عنهم بعض رواة هذا الحديث حذرا منهم اذ
كانوا ولاة الامر واصحاب الشر هذا وقد قال القرطبى هم والله تعالى اعلم يزيد بن معاوية وعبد الله بن زياد ومن
جرى مجراهم من احداث ملوك بنى امية (واخبر) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بظهور القدرية) كما رواه الترمذى

وابوداود والحاكم انه قال القدرية مجوس هذه الامة اشارة الى مدح امته وذمهم جعلهم مجوسا حيث شابه مذهبهم
مشربهم فالمجوس اثبتوا الهين زعموا ان الخير من فعل النور وسموه يزدان والشر من فعل الظلمة وسموه اهرمن
وقد قال الله تعالى وجعل الظلمات والنور اى خلقهما واما القدرية فزعموا خالقين خالق الخير وهو الله وخالق الشر
وهو الانسان وقد قال تعالى الله خالق كل شئ وهو ما ينافى ان ينسب اليه الفعل خلقا وايجادا والينا عملا واكتسابا
(والرافضة) بالالف بمعنى الرفضة اى واخبر بظهور الطائفة الرافضة اى التاركة لحب جل الصحابة وقد رواه البيهقى
من طرق كلها ضعيفة الا انها يتقوى بعضها ببعض ويعضدها ما رواه البزار بلفظ يكون فى امتى قوم فى آخر
الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام اى بالكلية لانهم يستحلون سب الصحابة و يكفرون اهل السنة والجماعة
او المعنى يتركون كمال الاسلام و جماله ان لم يصدر منهم ما ينافى احكام الايمان وفى رواية يلفظونه اى يرمونه فاقتلوهم
فانهم مشركون اى مشابهون لهم حيث لم يعملوا بالكتاب والسنة (وسب آخر هذه الامة اولها) اى واخبر بظهور
هذا الامر من الرافضة وقد رواه ابو القاسم البغوى عن عائشة مرفوعا بلفظ لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها
اولها وللترمذى من حديث طويل عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولعن هذه الامة اولها فارتقبوا عند ذلك
ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتتابع كنظام قطع سلكه والتتابع بالياء التحتية هو الوقوع فى الشر
كما انه بالموحدة يستعمل فى الخير هذا وقد ظهر لعن السلف على لسان الروافض والخوارج جميعا واعل مذمة الرافضة
فى بعض الاحاديث وردت بالمعنى اللغوى الشامل لكل من الطائفتين وان كان العرف خصها باعتبار الغلبة
(وقلة الانصار) اى واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بقلتهم والاظهر ان المراد بهم طائفة معروفة من الصحابة
وقد يتوسع و يراد بهم ذريتهم ايضا ولا يبعد ان يراد بهم انصار الدين ومعاونيهم حتى يشمل المهاجرين وغيرهم
وقد رواه البخارى عن ابن عباس خرج علينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه فجلس على
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون و يقل الانصار اى بعدى (حتى يكونوا كالملح
فى الطعام) كناية عن غاية قلتهم فيما بين اهل الاسلام وتمام الكلام فمن ولى منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع آخرين
فليقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم (فلم يزل امرهم يتبدد) اى يتفرق (حتى لم يبق لهم جماعة وانهم) اى واخبر
انهم (سيلقون بعده اثرة) بفتحتين وبكسر فسكون وحكى بضم فسكون اى ايثار الناس انفسهم عليهم فيما هم اولى به
من العطايا ومناصب القضايا ففى الصحيحين بلفظ انكم سترون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال
اليعمرى كانت هذه الاثرة زمن معاوية (واخبر بشأن الخوارج) اى على على بالنهروان وكانوا اربعة آلاف
فقتلهم على قتلا ذريعا ولم يقتل ممن معه الا تسعة (وصفتهم) اى و بيان حالهم وافعالهم حيث قال فرقة يحسنون
القول و يسيئون الفعل او العمل يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون اليه حتى يرتد الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم
(والمخدج) بضم الميم وسكون المعجمة وفتح الدال المخففة و بالجيم اى الناقص وكان ناقص اليد واسمه نافع وفى نسخة
مشددة اى بناقص الخلق (الذى فيهم) اى بان احدى ثدييه مثل ثدى المرأة (وان سيماهم التحليق) اى علامتهم
المبالغة فى حلق شعورهم وقيل جلوسهم حلقا حلقا (ويرى) بصيغة المجهول وقال الدلجى بصيغة الخطاب العام
(رعاء الغنم) وفى اصل الدلجى رعاء الشاء وهو نائب الفاعل او المفعول الاول والثانى قوله (رؤس الناس) اى رؤساءهم
(والعراة الحفاة) وفى نسخة والحفاة العراة (يتبارون) بفتح الراء اى يتفاخرون (فى البنيان) اى فى اطالة بيوتهم
وتحسينها وتزيينها فقد روى الشيخان معناه ببعض مبناه فلمسلم وان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان
وللبخارى واذا تطاول رعاء الابل البهم فى البنيان وله ايضا واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس فذلك من اشراطها
ولهما وان ترى الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض وفيه اشارة الى ان ارباب الجهالة والقلة والذلة يغلبون
على اهل العلم والغنى والعزة (وان تلد الامة ربتها) اى سيدتها فان ولد الامة من سيدها كسيدها لانه سبب لعتقها
فهى بنتها فبالاولى ابنها قال الحلبى وفى رواية ربها وفى رواية بعلها اى تلد مثل سيدها ومالكها ومتصرفها اراد به
كثرة السبى والسرارى فى اوقات السعة او فى ازمنة الفتنة او كناية عن كثرة العقوق وقلة تأدية الحقوق (وان قريشا)
اى واخبر بان كفار قريش بالخصوص (والاحزاب) اى وسائر طوائف الكفار (لا يغزونه ابدا) واعله بعد غزوة
الخندق فعن سليمان بن صرد انه عليه الصلاة والسلام قال حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزونا
نحن نسير اليهم (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هو يغزوهم) اى يبدأهم بالمحاربة كما وقع له ولاصحابه بفتح مكة
واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعده اى لا يكفرون فيغزون وقوله فى رواية اخرى

لا تغزى هذه بعد اليوم الى يوم القيامة اى لا تعود مكة دار كفر يغزى عليه واما ما قيل من ان المعنى لا يغزوها كفار
ابدا فان المسلمين قد غزوها مرات فيرده قصة القرامطة وكذا حديث يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة
يقلعها حجرا حجرا (واخبر بالموتان) بضم الميم وتفتح اى بالوباء (الذى يكون بعد فتح بيت المقدس) كما رواه البخارى عن
عوف بن مالك قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى
الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم القعاص بضم القاف داء يأخذ الغنم
لا يلبثها ان تموت ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى من العرب حى الا
دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بنى الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية اى راية تحت كل غاية اثنا عشر الفا
انتهى وكان هذا الموتان فى خلافة عمر بعمواس من قرى بيت المقدس وبها كان عسكره وهو اول طاعون
وقع فى الاسلام مات به سبعون الفا فى ثلاثة ايام وبنوا الاصفر هم الروم لان جدهم المنسوبون اليه كان اصفر
وهو روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام (وما وعد من سكنى البصرة) بفتح الموحدة وحكى ضمها الا انه
لا يجوز فى النسبة اتفاقا فقد روى ابو داود عن انس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يا انس ان الناس يمصرون
امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها بتشديد اللام اى
ساحلها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها اى نواحيها الظاهرة بها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف
وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير ولعل هذه الامور وردت معنوية او ترد بعد ذلك صورية هذا وقد بنى البصرة
عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنها الناس سنة ثمانى عشرة لم يعبد الصنم قط على ارضها (وانهم
يغزون فى البحر كالملوك على الاسرة) كما فى الصحيحين بلفظ كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل على ام حرام
بنت ملحان من خالات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها
يوما فاطعمته ثم جلست تفلى رأسه فنام ثم استيقظ يضحك فقالت ما يضحكك قال ناس من امتى عرضوا على غزاة
فى سبيل الله يركبون ثبج) اى وسطه ومعظمه وقيل ظهره (هذا البحر ملوكا على الاسرة او كالملوك على الاسرة فقالت
ادع الله تعالى ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام ثم استيقظ يضحك فقالت ما يضحكك فقال كالاول فقالت ادع الله تعالى
ان يجعلنى منهم فقال انت من الاولين فركبت البحر فى زمن معاوية فصرعت عن دابتها بعد خروجها منه فهلكت
والاسرة جمع سرير وهو بساط الملك (وان) اى واخبر بان (الايمان لو كان منوطا) اى معلقا (بالثريا لناله رجال
من ابناء فارس) وهم المشهورون الآن باسم العجم ولفظ الشيخين عن ابى هريرة كنا عند النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان
الفارسى ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء وجمع اسم الاشارة مع ان المشار اليه واحد لارادة
الجنس ولو ههنا لمجرد الفرض والتقدير مبالغة لحدة فطنتهم وقوة فطرتهم واراد بآخرين التابعين اللاحقين بالصحابة
السابقين واعلاهم فى هذا المقام الافخم هو الامام الاعظم والله تعالى اعلم (وهاجت ريح) اى هبت بشدة
(فى غزاته) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغزاته فى بعض غزواته وهى غزوة تبوك من ارض الشام على
ما ذكره الدلجى او غزوة بنى المصطلق كما قرره الحلبى وهو اولى بالاعتماد (فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (هاجت
لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك) اى موت المنافق على وفاق ما اخبره هنالك وهذا المنافق هو رفاعة
ابن زيد بن التابوت احد بنى قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين كذا قاله ابو اسحق على ما ذكره
الحلبى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الطبرانى عن رافع بن خديج (لقوم من جلسائه) وهم ابو هريرة
الدوسى وفرات بن حيان العجلى والرجال بن عنقوة اليمامى وهو المراد من قوله (ضرس احدكم)
اى واحد منكم لا كل واحد منكم (فى النار اعظم من احد) اى هيئة وصورة فى هذا تلويح بان يموت احدهم كافرا
لحديث ضرس الكافر فى النار مثل احد رواه مسلم وغيره (قال ابو هريرة فذهب القوم يعنى) اى يريد بقوله ذهبوا
(ماتوا فبقيت انا ورجل فقتل) اى ذلك الرجل (مرتدا يوم اليمامة) ناحية شرقى الحجاز معروفة (واعلم) اى اخبر
صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه ابو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهنى (بالذى غل) اى خان فاخذ من الغنيمة قبل
القسمة (خرزا من خرز يهود) بفتح الخاء المعجمة والراء فزاى وهى الجواهر وما ينتظم من نحوها والمراد بها الفصوص
من الحجارة (فوجدت) اى تلك الخرز (فى رحله) اى بعد موته فعن زيد بن خالد الجهنى قال توفى رجل يوم خيبر فذكروا
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله قال ففتحنا متاعه فوجدنا خرزات
من خرزات يهود ما تساوى درهمين (وبالذى) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان عن ابى هريرة

بالذى (غل الشملة وحيث هى) اى وبالمكان الذى هى فيه وهى كساء يشتمل به الرجل ولفظهما اهدى رجل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحلا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه سهم عائر اى لايدرى راميه فقتله فقالوا هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلا والذى نفسى بيده ان الشملة التى اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ذكره الدلجى وقال الحلبى الذى غل الشملة هذا كركرة قال النووى يقال بكسر الكافين و بفتحهما جعله فى المبهمات وكذا هو فى سنن ابن ماجه فى الجهاد (وناقته) ضبط بالرفع فى النسخ ولعل التقدير وكذا ناقته اى قضيتها او وحيث هى وناقته كما فى اصل التلمسانى والظاهر جرها اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البيهقى بناقته ومكانها (حين ضلت) اى ضاعت وفقدت (وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها) اى برسنها اوزمامها وذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من غزوة بنى المصطلق اخذتهم ريح كادت ان تدفن الراكب وهى التى اخبر انها هاجت لموت منافق وضلت ناقته عليه الصلاة والسلام فى تلك الليلة فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل عليه السلام واخبره بقول المنافق و بمكان الناقة واخبر صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه بهما وقال ما ازعم انى اعلم الغيب ولكن الله اخبرنى بقول المنافق و بمكان ناقتى وهى فى الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق (وبشأن كتاب حاطب) بكسر الطاء وهو ابن ابى بلتعة وكان مكتوبه بالخفية (الى اهل مكة) وهم سهيل بن عمرو وعكرمة ابن ابى جهل وصفوان ابن ابى امية من مسلمة الفتح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجزله ما وعده وقيل كتب ان محمدا قد نفر فاما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر ذكرهما السهيلى ولا منع من الجمع فتدبر ومن فضائل حاطب على ما فى نظم الدرانه عليه السلام حين بعثه الى المقوقس قال له ان كان صاحبك نبيا فلم لم يدع على قومه حين اخرجوه من بلده فقال له حاطب منعه الذى منع عيسى من الدعاء على من رام صلبه فاسكته بذلك واجازه هنالك (وبقصة عمير) وفى نسخة بقضية عمير وهو بالتصغير ابن وهب بن خلف (مع صفوان) اى ابن امية بن خلف (حين ساره) بتشديد الراء اى خافت صفوان بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم (وشارطه) اى جعل له جعلا (على قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نخاب سعيهما وضاع كيدهما (فلما جاء عمير للنبى) وفى نسخة الى النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الامر) اى الذى جاء بصدده (والسر) اى المخفى عن غيره (اسلم) اى عمير وكذا اسلم صفوان بعد حنين ذكره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق والبيهقى والطبرانى (واخبر بالمال الذى تركه عمه العباس عند ام الفضل) اى زوجته وهى لبابة بنت الحارث اول امرأة اسلمت بعد خديجة وقيل بل هى فاطمة بنت الخطاب وفى نسخة ام الفضيل بالتصغير وهو غلط محض بل لم يعلم فى الصحابيات من يقال لها ام الفضيل بالتصغير وكان ذلك (بعد ان كتمه) اى العباس ذلك الخبر عن الغير (فقال) اى العباس (ما علمه غيرى وغيرها) اى وما هذا الا باعلام الله سبحانه اياك (فاسلم) اى فصار سبب اسلامه بعد ان فدى نفسه فقيل له لم لم تسلم قبل الفداء ليبقى لك ما افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين مما طمعوا من مالى اقول ولعله اخر اسلامه بعد ان تحقق حاله لئلا يظن به انه انما اسلم لئلا يدفع ماله والحديث رواه احمد عن ابن عباس والحاكم وصححه والبيهقى عن الزهرى وغيره مرسلا (واعلم انه) وفى نسخة بانه اى النبى عليه السلام (سيقتل) اى بيده (ابى بن خلف) كما رواه البيهقى عن عروة وسعيد بن المسيب مرسلا وسبق انه عليه السلام جرحه باحد فى عنقه فمات بسرف (وفى عتبة) وفى نسخة عتيبة وهى الصواب كما تقدم (ابن ابى لهب) اى واعلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى شأنه (انه يأكله كلب من كلاب الله) وفى نسخة يأكله كلب الله وابعد الدلجى فى تقديره هنا حيث قال وقال فى عتبة لعدم دلالة عليه وللزوم كسر همزة انه مع ان الرواية بالفتح (وعن مصارع اهل بدر) اى واعلم كما فى مسلم عن مواضع هلاك كفار قريش ممن قتل بها بقوله هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان (فكان كما قال) اى كما اخبره فى الحال (وقال) اى النبى عليه السلام كما روى الشيخان وغيرهما من طرق (فى الحسن) اى ابن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنهما (ان ابنى هذا سيد) اى كريم حليم (وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين) وفى رواية ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اى جماعتين كثيرتين من اشياعه واتباع معاوية وقد بلغت كل فئة اربعين الفا قال الحسن البصرى فلما ولى ما اهريق بسببه محجمة دم وقال هشيم لما سلم الامر لمعاوية قال له معاوية قم فتكلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذى اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرئ كان احق به منى او حق لى تركته لمعاوية ارادة

اصلاح المسلمين وحقن دمائهم وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر ونزل وفى رواية خطب معاوية ثم قال قم يا حسن فكلم الناس فتشهد ثم قال ايها الناس ان الله هداكم باولنا وحقن دماءكم بآخرنا وان لهذا الامر مدة والدنيا دول وان الله قال لنبيه عليه الصلاة والسلام قل ان ادرى أقريب ام بعيد ما توعدون انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفى شرح السنة قد خرج مصداق هذا الحديث فى الحسن بترك الامر حين صارت الخلافة اليه وكان احق بها واهلها فسلمها الى معاوية وترك الملك والدنيا ورعا ورغبة فيما عند الله واشفاقا على الامة من الفتنة لا من القلة والذلة اذ كان معه يومئذ اربعون الفا قد بايعوه على الموت فاصلح الله به بين الفرقتين اهل الشام فرقة معاوية واهل العراق فرقة الحسن (ولسعد) اى وقال كما رواه الشيخان لسعد ابن ابى وقاص فى مرضه بمكة وقد قال له سعد اخلف عن اصحابى (لعلك تخلف) بفتح اللام المشددة اى يؤخر موتك (حتى ينتفع بك اقوام) اى من الابرار (ويستضر) وفى نسخة بصيغة المجهول اى ويتضرر (بك آخرون) اى اقوام من الفجار زيد فى رواية اللهم امض لاصحابى هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم لكن البائس سعد ابن خولة يرثى له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان مات بمكة وذلك لكراهتهم الموت بارض هاجروا منها حذرا من ردهم على اعقابهم بموته فيها (واخبر) اى فيما رواه الشيخان عن انس (بقتل اهل مؤتة) بضم ميم فهمزة ساكنة ويبدل (يوم قتلوا) اى امراء غزوها فقال اخذ الراية زيد بن حارثة فاصيب ثم جعفر ابن ابى طالب فاصيب ثم عبد الله بن رواحة فاصيب ثم خالد بن الوليد من غير امرة ففتح الله على يديه (وبينهم) اى والحال ان بينه عليه الصلاة والسلام وبين اهل مؤتة وامراءهم الكرام (مسيرة شهر او ازيد) اى بل اكثر ويؤيده ما فى نسخة بالواو فاو بمعنى الواو او بمعنى بل ولعل الدلجى حمل او على الشك من الراوى فقال بل اقل من شهر لانها من ارض البلقاء آخر حوران الشام الى جهة مدينة الاسلام (وبموت النجاشى) بفتح النون ويكسر وتخفيف آخره ويشدد لقب لكل من ملك الحبشة واسم هذا اصحمة وكان ممن آمن واخبر عليه الصلاة والسلام بموته كما رواه الشيخان عن ابى هريرة (يوم مات) اى سنة تسع من الهجرة وهو بارضه وصلى عليه صلاة الغائب عن اصحابه وقد احضرت جنازته لديه (واخبر فيروز) بكسر الفاء وتفتح وسكون الياء وبضم الراء غير منصرف للعجمة والعلمية اى واخبره صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى (حين ورد عليه) وفى نسخة اذ ورد عليه اى حين وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رسولا من كسرى) اى ملك فارس وهو وزيره (بموت كسرى ذلك اليوم) اى فى يوم ورود فيروز او فى يوم موت كسرى (فلما حقق فيروز القصة) اى ما قصه عليه من موته فى وقته (اسلم) فقال فيروز فوزا عظيما (واخبر) اباذر) كما رواه احمد (بتطريده) اى باخراجه من المدينة الى الربذة (كما كان) اى كما وقع فى زمان عثمان بن عفان وفى اصل الدلجى فكان كما كان اى فكان اخباره بتطريده كما كان ثم لا ينافيه ما فى دلائل النبوة للبيهقى من ان امرأته ام ذر قالت والله ما سيره عثمان الى الربذة ولكن قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ البناء سلعا فاخرج فلما بلغه وجاوز خرج ابوذر الى الشام وذكر رجوعه ثم خروجه الى الربذة وموته بها اذ يمكن حمل كلامها على ان تسييره عثمان لم يكن قهرا عليه اذ كان امكنه ان يمتنع منه الا انه وافق حكمه امره صلى الله تعالى عليه وسلم بخروجه اختيارا فاختار خروجه من غير ان يكون هنالك اكراه واجبار والا فالامر باخراجه محقق بلا شبهة لقوله (ووجده فى المسجد) اى مسجد المدينة (نائما فقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (له) اى لابى ذر (كيف بك اذا اخرجت منه) اى من هذا المسجد وما حواليه (قال اسكن المسجد الحرام) اى وما حوله من الحرم (قال فاذا اخرجت منه الحديث) اى بطوله قيل كان اخرجه عثمان الى الشام لانه كان اذا مر به عثمان يقرأ قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم ثم رضى عليه فرده الى المدينة ثم اخرجه الى الربذة قرية خربة فسكنها الى ان مات (وبعيشه وحده وبموته وحده) اى واخبران اباذر يعيش وحيدا ويموت فريدا فكان كما اخبره عليه الصلاة والسلام على ما رواه احمد وابن راهويه وابن ابى اسامة والبيهقى واللفظ له قالت ام ذر لما حضرت اباذر الوفاة بكيت فقال وما يبكيك فقلت وما لى لا ابكى وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندى ما يسع كفنا لى ولا لك قال فابشرى ولا تبكى فانى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المسلمين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات فى قرية وجماعة فانا ذلك الرجل فابصرى الطريق فبينما انا وهو كذلك اذا انا برجال على رحالهم كانهم الرخم فألحت بثوبى فاسرعوا حتى دخلوا عليه فقال لهم كما قال ثم قال انتم تسمعون انه لو كان عندى ثوب يسع كفنا لى او لامرأتى لكفنت فيه انى انشدكم الله ثم انشدكم الله ان لا يكفننى رجل منكم كان اميرا او عريفا او بريدا او نقيبا وليس منهم احد الا قارف ما قال الا فتى من الانصار قال انا اكفنك يا عم فى ردائى هذا وثوبين فى عيبتى من غزل امى قال فيكفنى فكفنه وقاموا

فدفنوه وعن ابن مسعود قال لما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى غزوة تبوك تخلف ابوذر ثلاثة ايام بعيره فقالوا يارسول الله تخلف ابوذر فقال دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم قال فابطأ عليه بعيره اخذ متاعه فحمله على ظهره ثم خرج ماشيا يتبع اثر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى شدة الحر وحده فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمعت عيناه وقال يرحم الله اباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده فكان كذلك لما مات رضى الله تعالى عنه بالربذة لم يكن معه الا امرأته وغلامه فلما غسلاه وكفناه وضعاه على قارعة الطريق ينتظران من يعين على دفنه اذا اقبل عبدالله بن مسعود فى رهط من اهل العراق فلما رآهم الغلام قام اليهم وقال هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاعينونا على دفنه فنزل ابن مسعود وجعل يبكى رافعا صوته ويقول صدق رسول الله فى قوله (واخبران اسرع ازواجه به لحوقا) اى وصولا اليه بعد موته (اطولهن يدا فكانت زينب) اى بنت جحش (اسرعهن لحوقا به لطول يدها بالصدقة) رواه مسلم ولفظه عن ام المؤمنين عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرعكن لحوقا بى اطولكن يدا فكن يتطاولن ايتهن اطول يدا فكانت زينب اطولنا يدا لانها كانت تعمل بيدها وتصدق ورواه الشعبى مرسلا فقال قلن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فى الصدقة وللبخارى عن عائشة اجتمع زوجاته صلى الله تعالى عليه وسلم فقلن له اينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذنا قصبة نذرعها وكانت سودة بنت زمعة اطولنا ذراعا فتوفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفنا ان طول يدها فى الصدقة وكانت تحب الصدقة قال الدلجى وهو مخالف لحديث مسلم والشعبى مع منافاة ما افاده قولها ان طول يدها كان بالصدقة من انه طول معنى لما افاده قولها كانت اطولنا ذراعا من انه طول حسا انتهى ولا منافاة اظنها الا ان المراد بالطول هو الحسى فتبين لها بعدها ان المقصود هو الطول المعنوى كما هو المعتبر عند ارباب النظر مع ما فى العبارة من حسن الاشارة الى ان التلويح ابلغ من التصريح وان فى التعمية حسن التورية عند الفصيح ثم يمكن الجمع بين ماورد فى الصحيحين ان تكون احداهما اسرع حقيقيا والاخرى اضافيا ولعل الاسرع منهما هى الاكثر منهما مبادرة الى الصدقة وهذا مما الهمنى الله من التحقيق والله ولى التوفيق ثم رأيت الحلبى قال زينب هذه هى بنت جحش توفيت سنة عشرين او احدى وعشرين لا زينب بنت خزيمة التى تدعى ام المساكين لانها توفيت فى آخر ربيع الاول على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة (واخبر بقتل الحسين) اى ابن على رضى الله تعالى عنهما (بالطف) بفتح الطاء وتشديد الفاء مكان بناحية الكوفة على شط نهر الفرات واشتهر الآن بكربلاء كانه مركب من الكرب والبلاء وحذفت الباء الاولى تخفيفا والاكتفاء بحسب الايماء واستشهد وهو ابن خمس وخمسين سنة ووجد به ثلاث وثلاثون طعنة وثلاث وثلاثون ضربة وكان جميع من حضر معه من اهل بيته وشيعته سبعة وثمانين منهم على بن الحسين الاكبر وكان يرتجز ويقول

انا على بن الحسين بن على * نحن وبيت الله اولى بالنبى * تالله لا يحكم فينا ابن الدعى

وقتل من ولد اخيه عبدالله بن الحسن والقاسم بن الحسن ومن اخوانه العباس بن على وعبيدالله بن على وجعفر بن على وعثمان بن على ومحمد بن على وهو اصغرهم ومن ولد جعفر بن ابى طالب محمد بن عبدالله بن جعفر وعون بن عبدالله ابن جعفر ومن ولد عقيل بن ابى طالب عبدالله بن عقيل وعبدالرحمن بن عقيل وجعفر بن عقيل وقتل معه من الانصار اربعة والباقى من سائر العرب ودفنوا بعد قتلهم بيوم وذكر ابو الربيع ابن سبع فى مناقب الحسين عن يعقوب ابن سفيان قال كنت فى ضيعتى فصلينا العتمة ثم جلسنا فى البيت ونحن جماعة فذكروا الحسين بن على فقال رجل ما من احد اعان على قتل الحسين الا اصابه عذاب قبل ان يموت وكان فى البيت شيخ كبير فقال انا ممن شهدها وما اصابنى امر اكرهه الى ساعتى هذه فطفئ السراج فقام لاصلاحه فقارت النار فاخذته فجعل يبادر بنفسه الى الفرات ينغمس فيه فاخذته النار حتى مات قلت بل جمع له بين الاحراق والاغراق (واخرج بيده تربة) اى قبضة من التراب (وقال فيها مضجعه) بفتح الميم والجيم وبكسر اى مقتله او مدفنه رواه البيهقى من طرق ولفظ حديثه عن عائشة ان جبريل كان عند النبى صلى الله عليه وسلم فدخل حسين فقال جبريل من هذا فقال ابنى فقال ستقتله امتك وان شئت اخبرتك بالارض التى يقتل فيها فاشار بيده الى الطف من العراق فاخذ تربة حمراء فاراه اياها (وقال) اى النبى عليه السلام كما رواه ابن عدى والبيهقى (فى زيد بن صوحان) بضم اول المهملتين اختلف فى صحبته (يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت يده فى الجهاد) ولفظ البيهقى عن على قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن صوحان وفى اسناده هذيل بن بلال ضعفه البيهقى وفى الحديث ايماء الى

جواز تعلق الروح بالاجزاء من غير تمام الاعضاء كما حققه العلماء (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام والتحية والثناء (فى الذين كانوا معه) اى كما سبق ذكرهم من الشيخين وعثمان وغيرهم رضى الله تعالى عنهم (على حراء) اى وقد تحرك بهم كما مر فى الانباء والمعنى قال فى حقهم وعلو شأنهم مخاطبا للجبل (اثبت) اى مع الثابتين من الاعلام (فانما عليك نبى وصديق وشهيد) وفى نسخة باو فى الموضعين فهى للتنويع ولفظ مسلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان على حراء هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير فتحرك فقال اهدأ فما عليك الا نبى او صديق او شهيد زاد بعضهم سعدا مكان على (فقتل على وعمر وعثمان) كذا فى النسخ ولعل تقديم على لثبوت شهادته بصريح الخبر وفى اصل الدلجى فقتل عمر وعثمان وعلى (وطلحة والزبير وطعن سعد) اى وجرح وحصلت له الشهادة بسبب الجراحة وبشهادة الحديث وقال التلمسانى اى اصابه طاعون وهو شهادة لكل مسلم انتهى لا كما قال الدلجى ولم تنله الشهادة كما لا يخفى على اهل الافادة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقى (لسراقة) بضم السين وهو ابن مالك بن جعشم بضمتين (كيف بك) اى كيف حالك (اذا البست سوارى كسرى) تثنية السوار بكسر السين وتضم وجمعه اسورة وجمع الجمع اساور وهو ما يلبس فى اليد وفيه تنبيه على هلكه وزوال ماله وملكه مع كمال شوكته وقوته منتقلا الى اصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم وائمة امته (فلما اتى عمر بهما) اى جيء بسواريه (البسهما اياه) اى سراقة اظهارا لتحقق ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا (وقال) اى عمر (الحمد لله الذى سلبهما كسرى) اى ملك العجم (والبسهما سراقة) اى واحدا من بدو العرب ولعل فى تقديم المفعول الثانى ايماء الى الاهتمام بذكرهما وما يعقبه من شكرهما فاندفع اعتراض الدلجى ولو قال البسه اياهما لكان اولى (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابونعيم فى الدلائل عن جرير بن عبدالله والخطيب فى تاريخه (تبنى) اى ستبنى (مدينة بين دجلة) بكسر الدال وتفتح نهر مشهور بالعراق (ودجيل) بالتصغير بالاهواز عليه مدن كثيرة مخرجه من اصفهان (وقطربل) بضم قاف وسكون مهملة فضم راء وموحدة فلام مشددة ممنوعا من الصرف موضع بالعراق (والصراة) بمهملة مفتوحة نهر بالعراق وفى بعض الاصول بالهاء بدل الصاد ذكره الشمنى قال الحلبى والهراة كذا فى الاصل وهو بفتح الهاء بلد معروف وفى القاموس الهراة بلد بخراسان وقرية بفارس والنسبة هروى محركة (تجبى اليها) بضم التاء وسكون الجيم وفتح الموحدة اى تجمع وتجلب الى تلك المدينة (خزائن الارض) لانها صارت دار الملك (يخسف بها) اى يستحق ان يخسف بها لكثرة ظلم اهلها ولان بناءها اسس على شفا جرف هار (يعنى) اى يريد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بها) اى بتلك المدينة (بغداد) من بيان لغاتها وقد بناها ابو جعفر الدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس لكن قال احمد بن حنبل لم يحدث به اى بحديث بغداد ثقة ومداره على عمار بن سيف وهو مغفل وقال الذهبى فى ميزانه حديثه منكر (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه) رواه احمد ورواه البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال وولد لاخى ام سلمة من امها غلام فسموه الوليد فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تسموا باسماء فراعنتكم فسموه عبدالله فانه سيكون فى هذه الامة رجل يقال له الوليد بن عبدالملك ثم رأينا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبدالملك لفتنة الناس اذ خرجوا عليه لامور اقترفها فقتلوه فانفتحت به الفتن على الامة كذا ذكره الدلجى وقال الحديث فى مسند احمد من حديث سعيد بن المسيب عن عمر رضى الله تعالى عنه وسعيد اختلف فى سماعه من عمر وقد ذهب احمد الى انه سمع منه وقد ذكر هذا الحديث ابن الجوزى فى موضوعاته من طريق احمد ثم نقل عن ابن حبان انه خبر باطل الى آخر كلامه (وقال) اى كما فى الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة) وهى الاسلام او الخلافة فوقع كما اخبر فى حرب صفين فان صفوان بن عمرو قال كان اهل الشام ستين الفا فقتل منهم عشرون الفا واهل العراق مائة وعشرون الفا فقتل منهم اربعون الفا (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لعمر) اى ابن الخطاب كما رواه البيهقى وشيخه الحاكم عن الحسن بن محمد مرسلا (فى سهيل بن عمرو) اى فى شأنه وقد قال له عمر يا رسول الله دعنى انزع ثنيته فلا يقوم خطيبا فى قومه فقال دعها (عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان) اى الامر (كذلك) اى مثل ما اخبر عنه هنالك (فانه قام بمكة) اى عند الكعبة (مقام ابى بكر) اى فى مرتبته وثبات حالته فى المدينة (يوم بلغهم موت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتخفيف اللام اى وصلهم خبر موته صلى الله تعالى عليه وسلم (وخطب بنحو خطبته) اى بمثل خطبة الصديق فى المدينة يومئذ (وثبتهم) بتشديد الموحدة اى حملهم على الثبات فى الدين (وقوى بصائرهم) بتشديد الواو اى وصار سببا لتقوية كشف بصائرهم فى اليقين فقال من كان محمد الهه فان محمدا قد مات والله حى لا يموت وكانت خطبة ابى بكر من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت

الان ابابكر رضى الله تعالى عنه زاد عليه باتيان الايات البينة الدالة على موته صلى الله تعالى عليه وسلم لزيادة كماله فى ارتبة قال البيهقى ثم الحق فى ايام عمر بالشام مرابطا فى سبيل الله حتى مات بها فى طاعون عمواس (وقال لخالد) اى ابن الوليد (حين وجهه) بتشديد الجيم اى ارسله (لاكيدر) بالتصغير ملك كندة اختلف فى اسلامه وصحبته (انك تجده يصيد البقر) اى بقر الوحش قال الخطيب كان نصرانيا ثم اسلم وقيل بل مات نصرانيا وجمع بينهما بانه اسلم ثم ارتد قال ابن منده وابو نعيم الاصبهانى فى كتابيهما معرفة الصحابة ان اكيدر هذا اسلم واهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة سيراء فوهبها لعمر قال ابن الاثير اما الهدية والمصالحة فصحيحان واما الاسلام فغلطا فيه فانه لم يسلم بلا خلاف بين اهل السير وكان اكيدر نصرانيا فلما صالحه عليه الصلاة والسلام عاد الى حصنه وبقى فيه ثم ان خالدا حاصره زمن ابى بكر فقتله مشركا نصرانيا لنقض العهد قال وذكر البلاذرى ان اكيدر لما قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعاد الى دومة بضم الدال ويقال دومة الجندل موضع بين مكة و برك الغماد والحجاز والشام فلما توفى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ارتد اكيدر ومنع ما قبله فلما سار خالد من العراق الى الشام قتله (فوجدت هذه الامور كلها فى حياته وبعد موته) اى وقعت هذه الاخبار المذكورة جميعها الا ان منها ما وقع فى حياته ومنها ما وقع او سيقع بعد مماته (كما قاله عليه الصلاة والسلام) اى على نهج ما اخبر به عنه فى ذلك المقام من المعنى المرام (الى) اى منضمة او منتهية الى (ما اخبر به جلساءه من اسرارهم) اى خفيات احوالهم (وبواطنهم) اى مكنونات احوالهم كقوله لرجل وصف له بالعبادة هل حدثت نفسك انه ليس فى القوم خير منك قال نعم وفى رواية ومواطنهم اى ومشاهدهم وفى اصل التلمسانى ومواصلتهم اى مواصلة الناس من اهل الاسلام ونقل ما يصنعون الى اخوانهم الكفرة (واطلع عليه) اى والى ما انكشف عليه (من اسرار المنافقين) اى فيما بينهم (وكفرهم) اى من جهة بواطنهم كما ظهر منهم فى غزوة تبوك وهم سائرون بين يديه انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاعلمه به فقالوا انما كنا فى شئ من امرك بل كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر فوبخهم الله وكذبهم بقوله تعالى قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (وقولهم فيه) اى ومن تكلمهم فى حقه عليه الصلاة والسلام (وفى المؤمنين) اى من اصحابه الكرام كما وقع لرئيس المنافقين عبد الله ابن ابى حين قال لاصحابه وقد استقبله نفر من اصحاب النبى عليه الصلاة والسلام انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بسيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق فى دين الله ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فاثنوا عليه فنزلت فيهم واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الايات (حتى ان) مخففة (كان بعضهم) اى المنافقين (ليقول لصاحبه) اى رفيقه اذا طعن فى الاسلام واهله (اسكت) اى من نحو هذا الكلام (فوالله لو لم يكن عنده من يخبره) اى شئ من الاشياء (لاخبرته حجارة البطحاء) اى صغار الحصى كما وقع يوم فتح مكة حين دخل النبى عليه الصلاة والسلام فى البيت وامر بلالا ان يؤذن فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا انه لم يسمع هذا فقال الحارث ابن هشام اما والله لو اعلم انه حق لاتبعته وفى رواية اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا فقال ابو سفيان لا اقول شيأ لو تكلمت لاخبرته عنى هذه الحصباء فلما خرج قال لهم لقد علمت الذى قلتم واخبرهم فقال عتاب والحارث نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك (واعلامه) اى ومن اخباره عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين عن عائشة (بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم) اى من يهود (وكونه) اى ومن كون سحره (فى مشط) بضم الميم وسكون المعجمة وتثلث وبضمهما ما يمشط به (ومشاقة) وفى نسخة صحيحة ومشاطة وكلاهما بضم اولهما بمعنى وهو ما يسقط من الشعر عند امتشاطه (فى جف طلع نخلة) بضم الجيم وتشديد الفاء اى وعائه فى غشائه الذى يكون فوقه ويروى جب بالموحدة وهما بمعنى وهو داخلها وقوله (ذكر) بفتحتين صفة طلع او نخلة على ان التاء للوحدة كالنخلة وليس بفعل ماض معلوم او مجهول كما يتوهم من اقوال الدلجى (وانه) اى السحر فيما ذكر (القى فى بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة وسكون الراء وهى بالمدينة بستان لبنى زريق ويقال له بئر ذى اروان كذا فى مسلم وكلاهما صحيح وما فى مسلم اصح وادعى ابن قتيبة انه الصحيح ذكره النووى واما بالواو قبل الراء فموضع بين قديد والجحفة (فكان) اى فوقع الامر (كما قال) اى من خبر السحر (ووجد على تلك الصفة) اى الهيئة من كونه فى مشط ومشاطة (واعلامه) اى ومن اخباره (قريشا) كما رواه البيهقى عن الزهرى (باكل الارضة) بفتح الهمزة والراء دويبة تاكل

الخشب (ما فى صحيفتهم التى تظاهروا) اى تعاونوا وتناصروا (بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم) اى قرابتهم مما بينهم وبينهم نسب يجمعهم (وانها) اى وبان الارضة (ابقت فيها كل اسم لله) وقد روى ابن ابى الدنيا فى سيرته مرسلا انها لم تترك فيها اسما لله الا لحسته وبقى فيها ما كان من شرك او ظلم او قطيعة رحم وقد ذكر الروايتين ابو الفتح اليعمرى فى سيرته ولعل القضية متعددة او وقع وهم لبعض فى قلب الرواية والمذكور فى الاصل هو الانسب بالدراية فان لله الاسماء الحسنى باقية على صفحات الدهر بالنعت الاسنى ثم رايت الحلبى اختار ان كونها لحست اسم الله اقوى وان كان فيه ابن لهيعة وهو مرسل والاخر ذكره ابن هشام انتهى ولا يخفى ان التعارض اذا وقع فيجمع مهما امكن والا فيرجح والا فيحمل على التعدد اذا تصور بان يقال علقت واحدة فى الكعبة واخرى عندهم والله تعالى اعلم (فوجدوها) اى الصحيفة (كما قال) اى من اكل بعض ما فيها وابقاء باقيها (ووصفه) عطف على اعلامه اى ونعته عليه الصلاة والسلام (لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه فى خبر الاسراء) اى فى صبيحة ليلة اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى منتهيا الى السماء (ونعته اياه) اى بيت المقدس لهم على ما هو (نعت من عرفه) اى كنعت من عرفه حق معرفته (واعلامهم) اى واعلامه اياهم (بعيرهم) بكسر العين اى بقافلة ابلهم (التى مر عليها فى طريقه) اى حين رجع من مسيره الى مقام تحقيقه (وانذارهم) اى اعلامهم (بوقت وصولها) وان جملا اورق يقدمها فى يوم كذا قبل ان تغيب الشمس فى مغربها (فكان) اى فوقع ذلك (كله كما قال) اى كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم (الى ما) اى مع ما (اخبر به من الحوادث التى تكون) اى ستوجد وتأتى امرها (ولم تأت بعد) بضم الدال اى ولم تقع عقب زمن اخباره بل ستأتى بعد ازمان متباعدة عن آثاره (منها) اى من الحوادث التى تكون (ما ظهرت مقدماتها) بكسر الدال المشددة وتفتح وفى نسخة مقدماته (كقوله) اى فيما رواه ابو داود (عمران بيت المقدس) بضم العين اى كثرة عمارته باستيلاء الكفار على امارته (خراب يثرب) اى سبب خراب المدينة المشرفة وضعف جماعته (وخراب يثرب خروج الملحمة) اى علامة ظهور الحرب والفتنة (وخروج الملحمة فتح القسطنطينية) بضم القاف والطاء الاولى وتفتح وبكسر الطاء الثانية بعدها ياء ساكنة فنون وتاء تانيث كذا فى النسخ المصححة وفى رواية السجزى بزيادة مشددة وهى دار ملك الروم ثم كل سابقة مما ذكر علامة متعقبة للاحقة وفى حاشية الحجازى وقسطنطينية ويروى بلام التعريف وفيها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة ومع تشديدها ومع حذفها وحذف النون والقاف مضمومة بكل حال ثم اختلفوا هل افتتحت ام لا فقيل كان ذلك فى زمن عمر او عثمان وقيل لا بل انما ستفتح مع قيام الدجال والله تعالى اعلم بالحال (ومن اشراط الساعة) اى والى ما اخبر به من علاماتها المتقدمة كما فى الصحيحين ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل والزنى وشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد (وآيات حلولها) اى علاماته المؤذنة بوقوعها وحصولها الحديث مسلم لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات خسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم (وذكر النشر والحشر) اى ومن ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم اياهما فى اشراط الساعة فالمراد بهما ما يقع قبل القيامة من التفرقة والجمع كما حكى النووى عن العلماء من ان آخر اشراطها فى الدنيا قبل النفخة الاولى نفخة الصعق اى الموت بدليل ذكره مع آيات حلولها ولقوله عليه الصلاة والسلام ويحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل معهم كما فى حديث مسلم يحشر الناس اى احياء الى الشام على ثلاث طرائق راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسى معهم حيث امسوا واما ما بعد بعثهم من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والتعاقب عليها بل هو على ما ورد من كونهم حفاة عراة غرلا كما بدأكم تعودون هذا ووقع فى اصل الدلجى والنشر بعد الحشر وفسره بالبعث وهو اعادة ما افناه ولا يخفى انه لا يناسب المقام مع انه لغة غير مطابق للمرام فالصواب ما قدمناه فى الاصل من النسخ المصححة المشيرة الى ان الحشر بعد النشر فى علامات الساعة بخلاف يوم القيامة فان الحشر قبل النشر لانه يجمع الخلق اولا ثم يفرق بينهم كما اخبر عنه سبحانه وتعالى بقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير (واخبار الابرار) جمع بر او بار اى وذكر اخبارهم بما يسرهم مجملا وتفصيلا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اخبارا عن الله سبحانه وتعالى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (والفجار) جمع فاجر من فاسق وكافر واخبارهم اى بما يسوءهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الفجار يوم القيامة يبعثون فجارا الا من اتقى الله وصدق (والجنة والنار) اى ومن ذكرهما (وعرصات القيامة) اى وذكر

مواقفهما من الميزان والحوض والصراط وغيرها وكان الانسب تأخير الجنة والنار عن عرصات القيامة هذا وان اردت تفصيل ذلك فى الجملة فعليك بكتاب شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى المسمى بالبدور السافرة فى احوال الآخرة (وبحسب هذا الفصل) بسكون السين والباء زائدة كما فى قولهم بحسبك درهم اى حسبك والمعنى كفى هذا الفصل من كماله فى الفضل (آن يكون ديوانا مفردا) اى دفترا منفردا (يشتمل على اجزآءه وحده) اى متوحدا غير منضم الى غيره (وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التى ذكرناها كفاية) اى غنية لمن له دراية (وا كثرها فى الصحيح) اى رواية (وعند الائمة) اى من كتب اصحاب السنة (والله ولى التوفيق) اى بالهداية فى البداية والنهاية

(فصـــــل)

(فى عصمة الله تعالى له) اى فى وقايته وحمايته (من الناس وكفايته من آذاه) اى وكفاية الله اياه شر من آذاه ممن عاداه ويروى وكفاية من آذاه (قال الله تعالى والله يعصمك من الناس) اى يمنعك منهم ويكفيك عنهم (وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اى بمرأى منا ومرعى فى حفظنا وجمع العين مناسبة لضميرها او مبالغة فى تعبيرها (وقال أليس الله بكاف عبده) وفى انكار النفى مبالغة فى اثبات الكفاية (قيل بكاف محمدا اعدآءه المشركين) فالمراد بعبده الفرد الاكمل او المعهود الافضل ويؤيده ان المشركين كانوا يقولون له انا نخاف ان يعتريك آلهتنا بسوء لعيبك اياها وقد روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها فقال له سادنها انى احذركها يا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شئ فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه اى مما لا يقدر على نفع وضر فى نفسه (وقيل) اى فى معنى الآية (غير هذا) اى القول بقصر الكفاية على محمد بل كافيه ولا كافى غيره فتكون الاضافة للجنس ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى أليس الله بكاف عباده بصيغة الجمع (وقال انا كفيناك المستهزئين وقال واذ يمكر بك الذين كفروا الآية) وقد سبق معناهما وما يتعلق بمبناهما وقد قال الله تعالى ايضا فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اى بالاقوال والاحوال (اخبرنا القاضى الشهيد ابو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (بقرآءتى عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافرى) بفتح الميم وضم وكسر الفاء هو الاشبيلى وهو المعروف بابن العربى سمع نصر بن ابراهيم المقدسى وطبقته وروى عنه جماعة توفى بفاس سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وهو على دابته بباب فاس وقد كان سقى سما فمات شهيدا مظلوما (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو الحسين) بالتصغير وهو الصواب (الصيرفى) وهو المبارك بن عبد الجبار (ثنا ابو يعلى البغدادى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر السين والجيم بينهما نون ساكنة (ثنا ابو العباس المروزى ثنا ابو عيسى الحافظ) اى الترمذى كما فى نسخة وهو صاحب الجامع (ثنا عبد بن حميد) بالتصغير وتقدم ان هذا من غير اضافة (ثنا مسلم بن ابراهيم) اى الازدى سمع ابن المبارك وغيره روى عنه البخارى وابو داود والدارمى (ثنا الحارث ابن عبيد) هو ابو قدامة الايادى البصرى روى عن ثابت البنانى اخرج له مسلم واستشهد به البخارى (عن سعيد الجريرى) بضم الجيم وفتح الرآء روى عن ابى الطفيل ويزيد بن الشخير وعنه شعبة ويزيد بن هارون (عن عبد الله ابن شقيق) هو العقيلى البصرى يروى عن عمر وابى ذر والكبار وعنه قتادة وايوب قال احمد ثقة تحمل عن على رضى الله تعالى عنه (عن عائشة) قال الحلبى اخرجه الترمذى فى التفسير عن الحارث بن عبيد عن سعيد الجريرى عن عبد الله ابن شقيق قال ولم يذكروا عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحرس) بصيغة المجهول اى يحفظ من الاعدآء (حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس) اى يحرسك من قتلهم اياك (فاخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأسه من القبة) هى بيت صغير من الخيام مستدير من بيوت العرب (فقال لهم ايها الناس انصرفوا) الى رحالكم وكونوا على حالكم (فقد عصمنى ربى عز وجل) اى فقد تكفل بعصمتى ومحافظتى من كيد اعدآئى من غير واسطة لى (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل) بفتح الياء وكسر القاف اى يستريح (تحتها) من القيلولة وهى نوم نصف النهار ومنه قوله تعالى او هم قائلون ومنه شعر الهاتف بمكة فى حديث الهجرة الى المدينة

جزى الله رب الناس خير جزآئه * رفيقين قالا خيمتى ام معبد

اى نزلا فيها عند القائلة وهى وقت الاستراحة من الظهيرة (فاتاه اعرابى) اى بدوى (فاخترط سيفه) اى سله من غمده ومرجع الضمير اما هو عليه السلام واما الاعرابى (ثم قال من يمنعك منى فقال الله) اى الله يمنعنى منك (فارعدت) وفى نسخة صحيحة فرعدت بالبناء للمفعول فيهما وفى نسخة فارتعدت ويروى فذعرت بذال معجمة من الذعر وهو

الفزع لكن لا يلائم اسناده الى قوله (يد الاعرابى) اى اصابته رعدة وحركة مضطربة من الخوف (وسقط سيفه) وفى اصل الدلجى وسقط السيف من يده (وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه) اى دماؤه ونحوه (فنزلت الآية) اى آية والله يعصمك من الناس وما رواه من الزيادة فغير معروف عند ارباب الدراية (وقد رويت هذه القصة) اى مثلها (فى الصحيح) اى للبخارى وغيره (وان غورث بن الحارث) فوعل آخره مثلثة ويهمل اوله ويعجم مكبرا ومصغرا كما فى الرواية الاخرى وتقدم انه اسلم وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وروى انه دعثور فعلول كبهلول وعينه مهملة ذكره التلمسانى (صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكيت) وفى نسخة وهى الاولى وقد حكى (مثل هذه الحكاية انها) وفى نسخة وانها (جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه) جملة حالية (لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر) بصيغة المجهول والمعلوم (مثله) اى مثل قوله من يمنعك او مثل ما حكى من انه اخترط سيفه الخ فرده الله خاسئا (وقد روى) اى كما فى سيرة ابن اسحق الكبرى موصولا عن جابر بن عبد الله (انه وقع له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (مثلها فى غزوة غطفان) بفتحتين قبيلة (بذى امر) بفتحتين موضع معروف من ديارهم ويقال انها غزوة نجد ايضا وولى المدينة حينئذ عبد الله ابن ام مكتوم استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليها حين خرج اليها محاربا لهم (مع رجل اسمه دعثور) بالضم (ابن الحارث) اى الغطفانى والظاهر ان الخبرين واحد ويؤيده قول الذهبى فى تجريده الاشبه انه غورث بن الحارث وقال الحجازى ويروى غويرث (وان الرجل) اى المشار اليه (اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه) من الاغرآء اى الزموه وحثوه على فعله هذا وفى نسخة اغووه اى اضلوه (وكان) اى الرجل (سيدهم) اى رئيسهم (واشجعهم) جملة معترضة (قالوا له اين ما كنت تقول) اى من دعوى القدرة واظهار الشجاعة (وقد امكنك) اى والحال انك قد تمكنت من الفتك فيه (فقال انى نظرت الى رجل ابيض طويل دفع فى صدرى فوقعت لظهرى) وفى نسخة الى ظهرى (وسقط السيف) اى من يدى (فعرفت انه ملك واسلمت قيل وفيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم) اى قصدوا ان يمدوها فتكا واهلاكا (فكف ايديهم عنكم) اى فمنعها الله ان تمد اليكم (الآية) تمامها واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وفى رواية ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بعسفان قد صلوا الظهر جميعا فندموا ان لا كانوا اكبوا عليه وهموا ان يوقعوا بهم فعلا اذا قاموا الى صلاة العصر فنزلت صلاة الخوف وقيل اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بنى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم دية مؤمنين قتلهما عمرو بن امية خطأ ظنهما كافرين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس نطعمك ونقرضك فاجلس فى صفة فهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فاخبره جبريل فخرجوا من عندهم سالمين (وفى رواية الخطابى ان غورث بن الحارث) وفى نسخة غويرث مصغرا واختاره الحلبى وتبعه الحجازى وروى الخطابى ان غورث او غويرث بن الحارث المحاربى على الشك أهو بالعين المهملة او المعجمة ولم يشك فى التصغير والمشهور ما ذكره الحافظ المزى ان غورث بالمعجمة غير مصغر كما اورده المصنف فيما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم (المحاربى) بضم الميم وكسر الرآء والموحدة (اراد ان يفتك) بكسر التاء الفوقية وضم وحكى الفتح ايضا اى يأخذ على غرة وغفلة باطشا (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقتله فجأة (فلم يشعر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (الا وهو قائم على رأسه منتضيا) بالضاد المعجمة والتحتية اى سالا (سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب من وجهه) اى انقلب او سقط ومن ابتدائية او بمعنى على وفى اصل الدلجى فاكب لوجهه اى عليه (من زلخة) بضم زاى وتشديد لام مفتوحة فخاء معجمة وقيل مشددة (زلخها) بضم اوله وكسر ثانيه مخففة اى من اجل زلخة (بين كتفيه وندر) اى خرج وسقط (سيفه من يده والزلخة وجع الظهر) اى بحيث لا يتحرك من شدته ويروى بتخفيف اللام من الزلخ وهو الزلق (وقيل فى قصته) اى قصة غورث (غير هذا) اى ما ذكر من نوع آخر وهو ما روى انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عليه السلام متقلد بسيفه قال ابن هشام وكان محلى بفضة فقال يا محمد ارنى سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر مرة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومرة الى السيف فقال من يمنعك منى يا محمد قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشام السيف ومضى فانزل الله هذه الآية (وذكر) بصيغة المجهول اى وذكر بعضهم وفى اصل الدلجى ذكر بصيغة الفاعل اى ذكر الخطابى (ان فيه) اى فى غورث (نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) اى كما سبقت (وقيل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف قريشا) اى من ان يقتلوه او يخذلوه (فلما نزلت هذه الآية) اى ونحوها من قوله تعالى والله يعصمك من الناس

وما اختير ناس الجمع بينهما اولى مما قال الدلجى اى هذه الآية او والله يعصمك (استلقى) جواب لما اى رقد على قفاه
اوكناية عن استراح من اذى من آذاه (ثم قال من شاء فليخذلنى) اومن شاء فلينصرنى فان ربى لا يخذلنى فالامر
للتهديد نحو قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اوالمعنى فليخذلنى اى فليقتلنى فانه لا يقدر على ذلك فالامر
للتعجيز (وذكر عبد بن حميد قال كانت حمالة الحطب) وهى العوراء اخت ابى سفيان ابن حرب زوجة ابى لهب عم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بنت هشام اخت ابى جهل (تضع العضاه) بكسر العين وفى آخر الكلمة هاء وقفا ووصلا
وهى اشجار عظام ذات شوك ولعل التقدير ترمى شوكها وقد تصحف على الحلبى حيث ضبط بفتح الغين والضاد المعجمتين
وهو مخالف لما فى الاصول المعتمدة والحواشى المعتبرة (وهى جمرة) جملة حالية ولعل المراد تشبيه الشوك بالجمرة حال
حدتها فان الجمرة هى النار المتوقدة ثم اعلم ان بعضهم ذكر فى معناه انه شجر لجمره حرارة شديدة وقد قال اهل التفسير
انها كانت تضع الشوك ولذا سميت حمالة الحطب على احد الاقوال ولعلها كانت تضع الشوك مرة والجمر اخرى
اوكانت تجمع بينهما والله تعالى اعلم (على طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وكان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يمشى عليها (فكأنما يطأها كثيبا اهيل) بفتح فسكون فتحتية فلام وروى بميم وهما بمعنى اى رملا
سائلا حيث لم يتضرر بها (وذكر ابن اسحق عنها) اى عن حمالة الحطب ورواه ابو يعلى والبيهقى وابن ابى حاتم عن اسماء
بنت ابى بكر رضى الله تعالى عنهما (انها) اى حمالة الحطب (لما بلغها نزول تبت يدا أبى لهب) وزيد فى نسخة وتب
(وذكرها) اى وبلغ ذكر الله اياها (بما ذكرها الله مع زوجها من الذم) اى بقوله وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل
من مسد (اتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ومعه ابو بكر وفى يدها فهر) بكسر الفاء
وسكون الهاء بعدها راء حجر ملء الكف (فلما وقفت عليهما) اى قريبا من مكانهما (لم تر) جواب لما اى ما رأت
(الا ابا بكر واخذ الله ببصرها) اى اصرفه وحجبه (عن نبيه عليه الصلاة والسلام فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد
بلغنى انه يهجونى) اى يذمنى (والله لو وجدته) اى حاضرا اولو صادفته (لضربت بهذا الفهر فاه) اى فمه فرجعت خائبة
خاسئة (وعن الحكم ابن ابى العاص) والد مروان بن الحكم عم عثمان بن عفان اسلم يوم الفتح وقد روى ابو نعيم
فى الدلائل والطبرانى بسند جيد عنه (قال تواعدنا) اى اجتمعنا وعاهدنا انا معشرا من الكفار (على النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) اى على قتل النبى المختار واستمر هذا الاصرار (حتى اذا رأيناه) اى فى موضع (سمعنا صوتا خلفنا)
اى صوتا عظيما من ورائنا (ماظننا انه بقى بتهامة) اى بارضها والمراد بها هنا مكة (احد) اى حيا هكذا فى الاصول
بقى ووقع فى اصل الدلجى لم يبق فتكلف بل تعسف حيث قال الظن وان الم به حرف النفى فليس بمنفى بل المنفى ظناهو
البقاء اى ظننا انه لم يبق بتهامة احد هذا وتهامة او لها من ذات عرق الى البحر (فوقعنا) اى سقطنا (مغشيا علينا) اى
من فزع ما سمعنا وهول ما ظننا (فما افقنا) اى ما انتبهنا (حتى قضى صلاته) اى فرغ عليه الصلاة والسلام منها
(ورجع الى اهله) اى مضى كما فى نسخة (ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا) اى قاصدين له (حتى اذا رأيناه) اى خاليا فى مكان
(جاءت الصفا والمروة) اى حضرتا اوتصورتا بصورتهما (فحالتا بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
ابن حذيفة) بالرفع هو عبد الله بن حذيفة بن غانم العدوى اسلم عام الفتح وصحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان
مقدما فى قريش معظما وكانت فيه وفى بنيه شدة وقد ادرك بنيان الكعبة حين بناها ابن الزبير فعمل فيها ثم قال
قد عملت فى الكعبة مرتين مرة فى الجاهلية بقوة غلام يافع وفى الاسلام بقوة شيخ فان وهو صاحب الانبجانية (ليلة)
اى من الليالى حال غفلة (قتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب على نزع الخافض وهو على كما فى نسخة
صحيحة (فجئنا منزله) اى لنتفحص حاله (فسمعنا له) اى صوتا وفى نسخة فسمعناه اى اصوته (فافتتح) اى ابتدأ
القراءة (وقرأ الحاقة) اى الساعة الواجب وقوعها الثابت مجيئها اوتحقق الامور فيها وتعرف حقيتها (ما الحاقة)
خبر المبتدأ اى اى شئ هى فوضع المظهر موضع المضمر تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها (الى فهل ترى لهم من باقية)
اى ما ترى لهم من بقية اوبقاء اونفس باقية وما بينهما معلوم من القرآن وتفسيره مما لا يحتاج الى البيان (فضرب
ابو جهم على عضد عمر وقال) عمر (انج) امر من نجا ينجو (وفرا) وفى نسخة ففرا اى ذهبا كلاهما (هاربين) اى
شاردين وفيه مبالغة لا تخفى (فكانت) اى القضية وقال الدلجى اى المواعدة اوقراءة الحاقة (من مقدمات اسلام
عمر) اى مقتضياته وكذا من اسلام ابى جهم على ما تقدم (ومنه) اى ومن قبيل اخذ بصر الاعداء محافظة لسيد
الاحياء (العبرة المشهورة) بكسر العين وهى ما يعتبر من القضية العامة (والكفاية التامة عندما اخافته قريش) اى
خوفوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (واجتمعت) وفى نسخة واجمعت اى عزمت (على قتله ويبتوه) بتشديد التحتية
اى دبروه ليلة ليقتلوه غيلة على غرة وغفلة (فخرج عليهم من بيته) كما رواه ابن اسحق والبيهقى عنه عليه السلام

(فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم) اى حجبها عن رؤيته (وذر التراب) بذال معجمة فراء مشددة اى نثره
وفرقه (على رؤسهم) قال الحلبى وكانوا مائة وفى نسخة بتخفيف الراء فهمزة وهو تصحيف وتحريف (وخلص منهم)
اى نجا وتخلص من غير ان يصيبه شئ وفى رواية انه خرج من ظهر البيت طأطأت له جارية اسمها مارية خادمته عليه
السلام حتى تسور الجدار الذى للبيت من ظهره (وحمايته) اى ومنه حفظه بحجبه (عن رؤيتهم) اى له ولابى بكر
(فى الغار) متعلق باحد المصدرين وقال الدلجى حال والتقدير وهما فى الغار وهو تكلف بل تعسف (بما هيأ الله
له من الآيات) اى قدره (له من الآيات) اى من خوارق العادات (ومن العنكبوت) عطف بيان لبعض ما قبله (الذى نسج عليه)
اى على باب الغار وهو غار ثور جبل بيمنة مكة (حتى قال امية بن خلف) وهو ممن مات كافرا (حين قالوا) اى اصحابه
(ندخل الغار) بصيغة الاخبار على تقدير الاستفهام وروى ادخل فعل امر اى رجاء ان يكون فيه مختفيا (ما اربكم
فيه) بفتح الهمزة والراء وهو مقول امية اى اى شئ حاجتكم الداعية لدخولكم فى الغار (وعليه من نسج
العنكبوت ما ارى) بضم الهمزة وفتحها اى شئ اظن (انه قبل ان يوجد محمد) اى كائن اوموجود على باب الغار وفى
نسخة انه الا من قبل ان يولد محمد وفى نسخة ما رابكم بدل ما اربكم اى اى شئ اوقعكم فى الريبة وشبه المظنة انه فى الغار
والحال الخ (ووقفت) بالفاء وروى بالعين اى سقطت (حمامتان على فم الغار) وهو نقب فى الكهف (فقالت قريش)
اى كلهم او بعضهم (لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام) اى لكمال نفرته عن الانام (وقصته) اى ومن ذلك قصته
عليه السلام كما رواه الشيخان عن البراء (مع سراقة بن مالك بن جعشم) بضم جيم وشين معجمة (حين الهجرة) بكسر
الهاء وقال التلمسانى بفتح وبكسر (وقد جعلت قريش فيه) اى فى حق النبى (وفى ابى بكر) اى فى اخذهما (الجعائل)
جمع جعيلة اوجعالة بالفتح وهى الاجرة على شئ فعلا اوقولا والجعل بالضم الاسم وبالفتح المصدر فقد بروقد عين
السهيلى ذلك فقال بذلت قريش مائة ناقة لمن يردعليهم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (فانذر به) على بناء المفعول اى
فاعلم سراقة بتوجهه صلى الله تعالى عليه وسلم مهاجرا الى المدينة (فركب فرسه واتبعه) بتشديد الفوقية اى تبعه
رجاء ان يلحقه (حتى اذا قرب) بضم الراء اى دنا (منه دعا عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لما رأى عليه من
آثار الشر وتوهم الضر (فساخت) بالخاء المعجمة اى غاصت وغابت فى الارض وانخسفت (قوائم فرسه فخر عنها) اى
فسقط اونزل عنها (واستقسم بالازلام) جمع زلم بفتحتين اوبضم ففتح وهى سهام لا ريش بها ولا نصل كان يكتب على
احدها افعل وعلى الاخر لا تفعل وغيرهما مغفل وكان محلها داخل الكعبة عند السدنة كما فى تفسير قوله تعالى
وان تستقسموا بالازلام وكان بعضهم يضعها فى متاعه وجعبته فاذا عرض له مهم اخرج منها سهما فان خرج له
افعل فعل اولا تفعل انفعل وان خرج المغفل اعاد العمل وقيل كان المكتوب على الواحد امرنى ربى وعلى الثانى نهانى
ربى والثالث غفل لا شئ عليه وقيل ان الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها ذلك والاول اعرف واصل معنى
استقسم ضرب بها لاخراج ما قسم الله له من امره ونهيه وطلب معرفة تمييزه بكونه ان خرج له ما يحب فعله اوخرج
له ما يكره كف عنه وهذا كله بناء على زعمه (فخرج له ما يكره) اى من الفال وعلى كل قال مع هذا ما التفت عن تلك
الحال (ثم ركب فرسه ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو) اى النبى (لا يلتفت) اى اليه اومطلقا
(وابو بكر يلتفت) اى الى سراقة اوالى جوانبه اوالى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اتينا) بصيغة المجهول اى لحقنا من طلبنا اى لحقونا اواتانا البلاء وجاءنا العناء (فقال لا تحزن ان الله معنا) اى
ناصرنا ومغيثنا اومعية خاصة من قرب الرب الينا وفيه ايماء الى ما ورد من ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة
(فساخت) اى قوائم فرسه (ثانية) اى مرة اخرى (الى ركبتيها وخر عنها فزجرها) اى صاح عليها ونهرها (فنهضت)
اى فقامت ووثبت (ولقوائمها مثل الدخان) بتخفيف الخاء وتشدد اى من آثار الغبار المرتفع (فناداهم) اى النبى
والصديق وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر (بالامان) اى بطلبه (فكتب له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امانا) اى امر
بكتابته لقوله (كتبه ابن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء وسكون الياء كان اسود وهو ممن عذب فى الله قتل ببئر معونة
والتمس ليدفن فلم يوجد فرأوا ان الملائكة دفنته وهو قديم الاسلام اسلم قبل ان يدخل عليه السلام دار الارقم ابن ابى
الارقم ثم ما تقدم هو فى الصحيح قال التلمسانى اشتراه ابو بكر من الطفيل بن عبد الله بعد ما اسلم فاعتقه وكان يرعى الغنم
فى جبل ثور ثم يروح بها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابى بكر فى الغار وكان رفيقهما الى المدينة حين هاجرا
وشهد بدرا واحدا وقتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة يروى عنه انه قال حين طعنت ابن فهيرة رأيت نورا خرج من
الطعنة (وقيل ابو بكر) اى وتقل فى السيرة انه كتبه ابو بكر وجمع بان عامرا كتبه اولا فلم يرض سراقة الا بكتابة ابى بكر
لسيادته المعروفة فى قريش وان عامرا مولاه قال الحلبى وكتابه عليه السلام نيف وار بعون نفرا ومنهم الخلفاء الاربعة

وا كثرهم ملازمة لكتابته عليه السلام زيد بن ثابت ثم معاوية ابن ابى سفيان بعد الفتح ذكر ذلك غير واحد من الحفاظ انتهى وقيل معاوية لم يكتب الوحى وانما كتب غيره والله تعالى اعلم (واخبرهم) اى سراقة (بالاخبار) اى اخبار الاغيار من كفار قريش وما جعلوه من الجعائل فيهما (وامره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يترك احدا) اى ممن يلقاه من ورآئه (يلحق بهم) بل يدفعه عن اتصاله اليهم و يلحق بالرفع وهو حال وفى نسخة بالنصب ووجهه اسقاط ان وابقاء عملها وهو قليل ومعناه هنا بعيد جدا (فانصرف) اى سراقة (يقول للناس) اى المقبلين اطلبهم (كفيتم) بصيغة المجهول (ماهاهنا) اى ما يتصور وجوده فى جهتها والمعنى ليس احد ممن تطلبونه ههنا واغرب التلمسانى فى قوله امنتم من خوفكم وعصمتم مماهنا (وقيل بل قال لهما) اى سراقة (ادعوا كما دعوتما على) اى بالمضرة (فادعوا لى) اى بالمنفعة (فنجا) اى بعد ما دعواله (ووقع فى نفسه ظهور النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فكان من مقدمات اسلامه (وفى خبر آخر) غير معروف عند اهل الاثر (ان راعيا عرف خبرهما) اى من انهما توجها الى صوب المدينة ونحوها (فخرج) اى من مكانه (يشتد) اى يعدو عدوا سريعا (يعلم) اى حال كونه يريد ان يعلم وفى نسخة ليعلم (قريشا) اى باحوالهما (فلما ورد مكة ضرب) بصيغة المفعول اى ضرب بعض حجبه (على قلبه) وحبس على خاطره (فما يدرى ما يصنع) اى من كمال الذهول والغفلة والدهشة والوحشة (وانسى ما خرج له) اى لاجله وفى نسخة اليه اى الى حصوله (حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق) فى المغازى (وغيره) كابى نعيم فى الدلائل عن ابن عباس انه اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ابو جهل بصخرة وهو) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام (ساجد وقريش ينظرون) اى اليه كما فى نسخة (ليطرحها عليه) وحلف لئن رآه ليدمغنه (فلزقت) بكسر الزاى اى لصقت كما فى رواية (بيده ويبست) بكسر الموحدة اى جفت (يداه الى عنقه) اى مغلولتين اليه وممنوعتين من الحركة له به فى طرحها عليه (واقبل يرجع) اى وشرع راجعا (القهقرى) بفتح القافين مقصورا هو الرجوع الى الورآء فقوله (الى خلفه) تأكيد لما قبله او تجريد لمعناه من اصله (ثم سأله) اى ابو جهل (ان يدعوله ففعل) اى دعاله ولم يؤاخذه كرما وشفقة وحلما ولما كان بينهما قرابة ورحما مما يقتضى لطفا ورحما (فانطلقت يداه) اى عقب ما دعا الله تعالى (وكان) اى ابو جهل (قد تواعد مع قريش بذلك) اى بطرح صخرة عليه (وحلف) اى عندهم (لئن رآه) اى ساجدا كما فى نسخة (ليدمغنه) اى ليصيبن دماغه وليهلكنه (فسألوه عن شأنه) اى عن رجوعه بعد ظهور طغيانه (فذكر انه عرض لى) وفى نسخة له اى ظهر (دونه) اى بين يديه او حواليه (فحل) اى من الابل او نحوه (ما رأيت مثله) اى عظمة وهيبة (قط) اى ابدا (هم) وفى نسخة فهم (بى) اى قصد لى (ان يأكلنى فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذاك جبريل) اى تمثل له بصورة الفحل (لو دنا) اى قرب منى (لاخذه) اى اخذ عزيز مقتدر (وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة) وهو ابو جهل ابن هشام بن المغيرة او احد اقاربه (اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره) اى محا قوة نظره (فلم يره) اى النبى صلى الله عليه وسلم كما فى نسخة (وسمع قوله فرجع الى اصحابه) اى وهو اعمى (فلم يرهم حتى نادوه) اى فعرف مكانهم ثم رآهم او استمر على عماه (وذكر) اى السمرقندى (ان فى هاتين القصتين) اى قصة ابى جهل والتى بعدها وروى القضيتين (نزلت انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الايتين) وفى نسخة الى قوله مقمحون والاقماح رفع الرأس وغض البصر وقد روى ابو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس بلفظ ان ناسا من قريش قاموا اليأخذوه فاذا ايديهم مجموعة الى اعناقهم واذا هم عمى لا يبصرون فقالوا ننشدك الله والرحم فدعا حتى ذهب ذلك عنهم فنزلت يس الى قوله لا يؤمنون (ومن ذلك ما ذكره ابن اسحق) اى وغيره كما فى نسخة صحيحة كالكلبى فى تفسيره (فى قصته اذ خرج الى بنى قريظة) وقال الحجازى وغيره الذى ذكره ابن اسحق وغيره من اهل السير ان ذلك كان من بنى النضير وهو سبب غزوهم لا من بنى قريظة فان سببهم غزوة الخندق ثم قريظة والنضير اخوان هما ابنا الخزرج من ذرية هارون اخى موسى عليه السلام بالتصغير قال الحلبى والصواب ان يقول بنى النضير كما فى سيرة ابن سيد الناس (فى اصحابه) وفى نسخة فى نفر من اصحابه اى مع جماعة منهم الخلفاء الاربعة فيهم (فجلس الى جدار بعض آطامهم) بمد الهمزة اى ابنيتهم المرتفعة كالحصون فتخافتوا بينهم انكم لن تجدوه على مثل هذه الحالة من يعلو على مثل هذا الجدار ويرسل عليه ما يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه ينقض ما بيننا وبينه من العهد وانما نقض بنى قريظة قبيل غزوة الخندق لانهم ظاهروا قريشا على النبى صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد وسيأتى من عند السمرقندى انه خرج الى بنى النضير فذكر القصة فهذه هى الصواب (فانبعث) اى فقام واسرع اشقاهم (عمرو بن جحاش) بفتح الجيم وتشديد الحاء او بكسر وتخفيف والشين معجمة قتل كافرا (احدهم) وفى نسخة منهم اى احد منهم (ليطرح عليه رحى) بالقصر ويمد (فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعد اخبار جبريل بذلك كما سيأتى (فانصرف الى المدينة) اى وتبعه

اصحابه (واعلمهم) اى بعد انصرافه او قبله (بقصتهم) اى بما لهم على قتله (وقد قيل ان هذه الآية) وفى نسخة ان قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية) اى بتمامها (فى هذه القصة) اى قصة بنى النضير (نزلت وحكى السمرقندى انه) اى النبى عليه السلام (خرج الى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين) اى فى دية الاثنين من قبيلة بنى كلاب بكسر اوله (اللذين قتل) اى قتلهما كما فى رواية (عمرو بن امية) اى الضمرى وفى نسخة الكلابى الذى قتله عمرو بن امية فالمراد به الجنس اذ صرح ابو الفتح اليعمرى فى السيرة انهما من بنى عامر وقتلهما عمرو على ظن انهما كافران بعد قتل اصحابه ببئر معونة ورجوعه الى المدينة عتيقا العامر بن الطفيل العامرى وذلك للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده اذ كان بين بنى النضير وبنى عامر عقد وحلف على يده صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يعلم به عمرو بن امية (فقال) اى له كما فى نسخة صحيحة (حيى) بالتصغير (ابن اخطب) بالخاء المعجمة وهو والد صفية ام المؤمنين (اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك) اى نضيفك مع اصحابك (ونعطيك ما سألتنا) اى من الاستعانة فى الدية (فجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وتواسى) بالواو والهمزة وهو افصح اى تشاور (حيى معهم) اى مع يهود (على قتله فاعلمه جبريل بذلك فقام) اى وحده (كانه يريد حاجته) اى قضاء حاجته واستمر على مشيته (حتى دخل المدينة) فلما استلبث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصحابه قاموا فى طلبه ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال فتحصنوا بحصونهم فقطع نخيلهم وحرقها تنكيلا لهم ثم قال لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر وهذه القصة بعينها هى الاولى وكان هذه عند القاضى قضية اخرى والله تعالى اعلم بما هو اولى واحرى هذا وحيى والد صفية ام المؤمنين يهودى قتل على كفره مع بنى قريظة صبرا (وذكر اهل التفسير الحديث) اى السابق المروى (عن ابى هريرة) وفى نسخة ومعنى الحديث عن ابى هريرة وفى اصل الدلجى وعن ابى هريرة والحديث فى صحيح مسلم وسنن النسائى (ان ابا جهل وعد قريشا) اى وحلف عندهم وعهد (لئن رأى محمدا يصلى ليطأن رقبته) وفى نسخة على رقبته اى ليضعن رجله فوق رقبته صلى الله تعالى عليه وسلم واللام جواب قسم محذوف اى والله لا موطئة للقسم كما توهم الدلجى (فلما صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تلبس بالصلاة (اعلموه) اى اخبروا ابا جهل (فاقبل) اى على قصد اذيته من وضع الرجل على رقبته (فلما قرب منه ولى) اى ادبر (هاربا) اى فارا (ناكصا على عقبيه) اى راجعا الى خلفه مخالفا لحلفه (متقيا بيديه) اى متحفظا بهما الشئ ظهر عليه متوجها اليه (فسئل) اى عن سبب رجوعه واتقائه (فقال لما دنوت منه) اى قربت (اشرفت) اى اطلعت (على خندق) اى واد او حفير (مملوء نارا كدت) اى قاربت (اهوى) بكسر الواو اى اسقط (فيه وابصرت هولا عظيما) اى امرا شديدا يهول ويفزع (وخفق اجنحة) اى وابصرت ضرب اجنحة وتحريكها (قد ملأت) اى الاجنحة لكثرتها (الارض) اى جميعها (فقال عليه السلام تلك) اى اصحاب تلك الاجنحة (الملائكة) اى لا الطيور (لو دنا) اى ابو جهل منى حينئذ (لاختطفته) اى لاخذته الملائكة بسرعة (عضوا عضوا) اى بان وقع كل عضو وجزء منه فى يد ملك او جمع منهم (ثم انزل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كلا) اى حقا (ان الانسان ليطغى ان رآه) اى لاجل ان علم نفسه (استغنى) عن ربه (الى آخر السورة ويروى) بصيغة المجهول وفى نسخة وروى والحديث لابى نعيم فى الدلائل (ان شيبة) وفى نسخة ان رجلا يعرف بشيبة (ابن عثمان الحجبى) بفتح الحاء والجيم منسوب الى الحجبة جمع الحاجب بمعنى البواب فانه كان من سدنة الكعبة المشرفة وفى نسخة الجمحى بالجيم المضمومة وفتح الميم فحاء وهى غلط كما صرح به الحلبى (ادركه) اى لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم حنين) وهو واد بقرب ذى المجاز او ماء بقرب الطائف من الحجاز (وكان حمزة قد قتل اباه وعمه) جملة معترضة مشيرة الى الباعث على القضية من اخذ الثأر كما فى عادة الجاهلية (فقال) اى عثمان (اليوم ادرك ثأرى) بمثلثة وهمزة ويجوز تخفيفها اى دم حميمى من ابى وعمى بانتقامى فيه (من محمد) اى بان اقتله بدل حمزة فانه ابن اخيه وهذا يرد قول من قال انه اسلم يوم الفتح ولعله اظهر اسلامه ولم يحقق مرامه ثم ان التلمسانى ضبط الثار بالتاء المثناة الفوقية وهو تصحيف وتحريف (فلما اختلط الناس) اى اشتغلوا فيما بينهم من الحرب (اتاه) اى عثمان (من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه) اى فيقتله (قال فلما دنوت منه ارتفع الى) اى لدى (شواظ) بضم اوله وبكسر اى لهب (من نار اسرع من البرق فوليت هاربا) اى حذرا منه (واحس بى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فدعانى) اى بجنبه (فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى) جملة حالية (فما رفعها) اى يده (عنى الا وهو احب الى) وقال لى ادن) اى اقرب الى العدو (فقاتل فتقدمت امامه اضرب) اى الناس (بسيفى واقيه بنفسى) اى واحفظه بدفع الناس عنه ووقايته منهم بتفدية نفسى (ولو لقيت ابى) اى والدى فرضا (تلك الساعة لاوقعت به) اى بابى

وقتلته (دونه) اى دون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاوزا عنه اومدافعا منه واعلم ان فى السيرة لابى الفتح اليعمرى عن ابن سعد ان طلحة ابن ابى طلحة وهو كبش الكتيبة صاحب اللواء قتله على ثم حمل اللواء عثمان ابن ابى طلحة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره وبدا سحره اى رئته وفى التجريد والتذهيب للذهبى فى ترجمة شيبة ابن ابى طلحة ان عليا قتل اباه يوم احد ذكره الحلبى ففى نسبة قتلهما الى حمزة نوع مسامحة (وعن فضالة بن عمرو) بفتح الفاء اى ابن الملوح الليثى وفى نسخة عمير بالتصغير عوض عمرو بالواو وهو الموافق لما ذكره الذهبى فى الصحابة على ما حرره الحلبى والحديث رواه ابن اسحق وابن سيد الناس (اردت قتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة) وفى رواية زاد رسول الله (قلت نعم قال ما كنت) وفى رواية ماذا (تحدث به نفسك قلت لا شئ) وفى رواية زاد كنت اذكر الله تعالى (فضحك واستغفر لى) اى قال غفر الله لك ما خطر ببالك اواراد به استحقاق الغفران بتوفيق الايمان وفى رواية فضحك النبى ثم قال استغفر الله (ووضع يده على صدرى فسكن قلبى) اى واطمأن بمعرفة ربى (فوالله ما رفعها) اى يده عن صدرى (حتى ما خلق الله شيأ احب الى منه) ومن منشور ذلك) اى مما ذكر من عصمة الله سبحانه وتعالى له على ما رواه ابن اسحق والبيهقى بلا سند وابو نعيم فى الدلائل مسندا الى عروة (خبر عامر بن الطفيل) اى ابن مالك العامرى سيد بنى عامر فى الجاهلية كذا قال الذهبى فى تجريد الصحابة وقال روى عنه ابو ذبابة ذكره المستغفرى واجمع اهل النقل على ان عامرا مات كافرا وقد اخذته غدة وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية قال الحلبى ولا شك فيما قاله الذهبى فى قصته لما فى صحيح البخارى بنحو من اللفظ الذى ذكره (واربد) بفتح فسكون ففتح (ابن قيس) هو لبيد ابن ربيعة لامه ولبيد صحابى وكان اربد شاعرا ايضا بعث الله عليه صاعقة فاحرقته كافرا بالله سبحانه وتعالى وفيه نزل قوله تعالى فيرسل الصواعق الآية (وفدا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى متفقين على قتله (وكان عامر قال له) اى لاربد (انا اشغل عنك وجه محمد) اى بالكلام معه (فاضربه انت) اى من خلفه (فلم يره فعل شيأ) اى مما قاله (فلما كلمه فى ذلك) اى بالمعاتبة عن تقصيره هنالك (قال له والله ما هممت) اى ما عزمت (ان اضربه الا وجدتك بينى وبينه افاضربك) الهمزة الاولى استفهام انكارى والثانية للمتكلم وهو اربد والمخاطب هو عامر قال البرقى فى غريب الموطأ وفد عامر واربد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدعواه ان يجعل الامر بعده الى عامر ويدخلان فى دينه فابى عليه الصلاة والسلام فقال له اكون على اهل الوبر وانت على اهل المدر فابى عليه الصلاة والسلام فخرجا من عنده (ومن عصمته تعالى له) وفى نسخة ومن عصمته له تعالى وهو خطأ فاحش (ان كثيرا من اليهود) اى من احبارهم ورهبانهم (والكهنة) اى ممن يزعم انه يخبر عن الكوائن المستقبلة (انذروا به) اى اعلموا الناس بقرب نوره وخوفوهم بظهوره فان الانذار اعلام بتخويف (وعينوه لقريش) اى وبينوه لهم خصوصا من جهة نسبه وحسبه وعلامة ولادته وامارة سيادته وسعادته (واخبروهم بسطوته بهم) اى بغلبته عليهم وشوكته لديهم (وحضوهم) اى حثوهم وحرضوهم (على قتله) اى قبل ظهور نصره (فعصمه الله تعالى) اى من كيد كل عدو ومكره (حتى بلغ) بتخفيف اللام اى وجد وتم (فيه امره) وفى نسخة حتى بلغ عنه امره بتشديد اللام ونصب امره (ومن ذلك نصره بالرعب) بسكون العين وبضم اى بالخوف فى قلب اعدائه (مسيرة شهر) اى من كل جانب له (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما رواه الشيخان

(فصــــل)

(ومن معجزاته الباهرة) اى آياته الظاهرة (ما جمعه الله له من المعارف) اى الجزئية (والعلوم) اى الكلية والمدركات الظنية واليقينية اوالاسرار الباطنية والانوار الظاهرية (وخصه) اى وما خصه به (من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين) اى ما يتم به اصلاح الامور الدنيوية والاخروية واستشكل بانه صلى الله تعالى عليه وسلم وجد الانصار يلقحون النخل فقال لو تركتموه فتركوه فلم يخرج شيأ اواخرج شيصا فقال انتم اعلم بامر دنياكم واجيب بانه انما كان ظنا منه لا وحيا وقال الشيخ سيدى محمد السنوسى اراد انه يحملهم على خرق العوائد فى ذلك الى باب التوكل واما هنالك فلم يمتثلوا فقال انتم اعرف بدنياكم ولو امتثلوا وتحملوا فى سنة اوسنتين لكفوا امر هذه المحنة انتهى وهو فى غاية من اللطافة (ومعرفته) بالرفع عطفا على ما والاقرب جره بالعطف على الاطلاع (بامور شرآئعه) اى احكامه المتعلقة بالعبادات والمعاملات (وقوانين دينه) اى من القواعد الكلية المندرج تحتها الفروع الجزئية (وسياسة عباده) اى الجامعة بين صلاح معاش الخلق ومعادهم (ومصالح امته) اى المتعلقة بامر زادهم فى حق عبادهم وزهادهم (وما) اى ومعرفته بما (كان فى الامم قبله) اى من احوالهم وما جرى لهم من نجاة وهلاك فى ما آلهم

(وقصص الانبياء والرسل) اى من دعاة الخلق الى دين الحق (والجبابرة) اى من الكفرة والفجرة المتكبرة (والقرون الماضية) اى فى الازمنة الخالية (من لدن آدم) بضم الدال وسكون النون وبسكون الدال وكسر النون ويروى من زمن اى من ابتداء زمن آدم (الى زمنه) اى زمن الخاتم سيد العالم صلى الله عليهما وسلم (وحفظ شرآئعهم وكتبهم) اى مما قذفه الله فى قلبه فروى قلبه عن ربه (ووعى سيرهم) بسكون العين اى واحاطة انواع سيرتهم واصناف طريقتهم مع اتحاد جنس ملتهم (وسرد انبائهم) اى وذكر اخبارهم متتابعا (وايام الله فيهم) اى ووقائعه الكائنة فيهم من الهلاك والنجاة (وصفات اعيانهم) اى افاضلهم كذا قاله التلمسانى والاظهر ان المراد بهم جماعة معينة من المؤمنين كذى القرنين والخضر ولقمان ومن الكافرين كفرعون وقارون وهامان (واختلاف آرائهم) جمع رأى بمعنى اهوائهم كعبادة قوم ابراهيم الاوثان وقوم موسى العجل وقول النصارى بالاقانيم الثلاثة من العلم والحياة وروح القدس وتعبيرهم عنها بالاب والام والابن (والمعرفة بمددهم) بضم الميم جمع مدة اى ايام مكثهم فى الدنيا جملة (واعمارهم) اى على اختلافها قلة وكثرة (وحكم حكمائهم) بكسر الحاء وفتح الكاف اى والمعرفة بما صدر من انواع الحكمة عن اصناف حكمائهم (ومحاجة كل امة) اى مجادلتهم ومغالبتهم (من الكفرة) اى بما يناسبهم فى الدعوة كابطال الاصنام بان ليس لها منفعة ولا قدرة لها على مضرة وكمحاجة نصارى نجران فى دعواهم ان عيسى ابن الله فدعاهم الى المباهلة فابوا وبذلوا له الجزية (ومعارضة كل فرقة من الكتابين) اى من اهل الكتابين وهما التوراة والانجيل (بما فى كتبهم) كمعارضة يهود فى دعواهم ان من زنى منهم محصنا عقوبته التجبيه والتحميم اى بسود وجوههما ويحملان على دابة يخالف بين وجوههما بجعل ظهر احدهما الى ظهر الآخر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انشدكم بالله ما تجدون فى التوراة على من زنى قال حبرهم اذ نشدتنا فعليه الرجم فامر صلى الله تعالى عليه وسلم بهما فرجما عند باب مسجده فى بنى غنم بن مالك بن النجار (واعلامهم باسرارها) اى واعلامه اهل الكتاب باسرار كتبهم (ومخبآت علومهم) اى مخفيات اخبارهم وفى نسخة علومها (واخبارهم) اى واعلامه اياهم (بما كتموه من ذلك) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة والانجيل (وغيروه) اى بذكر اضداده وبتصحيفه اوتحريفه لمبناه اومعناه (الى الاحتواء) اى مع احتوائه واشتمال علومه فى بنائه (على لغات العرب) اى مع كثرتها واختلاف مادتها وبنيتها وهيئتها فى تأديتها من متداولاتها (وغريب الفاظ فرقها) بكسر الفاء وفتح الراء اى غرآئب معانى طوآئف العرب من شواذها ونوادرها (والاحاطة بضروب فصاحتها) اى بانواع فصاحتها فى مفرداتها ومركباتها حيث خاطب كل فرقة بلغاتها كما مر فى مخاطبته لاقيال حضرموت فى محاوراتها (والحفظ لايامها) اى وقائع العرب فى الحرب فى اوقاتها (وامثالها) اى كلماتها التى يضربون المثل بها كقولهم الصيف ضيعت اللبن ونحوها ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حمى الوطيس اى اشتد حمى تنور الحرب (وحكمها) اى والحكميات الواردة فى لسانها مع اللطافة فى شأن بيانها وسلطان برهانها (ومعانى اشعارها) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد

الا كل شئ ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زآئل

وكانشاده نحو قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * وقوله * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وامثالها (والتخصيص بجوامع كلمها) اى مما مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة وقد جمعت اربعين حديثا مما اشتمل كل على كلمتين فقط (الى المعرفة) اى منضمة الى المعرفة (بضرب الامثال الصحيحة) اى من الكلمات البديعة المشيرة الى المرادات الصريحة (والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض) اى الخفى بالنسبة الى الجاهل (والتبيين للمشكل الى) اى مع (تمهيد قواعد الشرع) اى مما شرع لنا من طريق الاصل لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم مبينا المنازل والفرع (الذى لا تناقض فيه) اى فيما ارسل الينا وفى نسخة فيها اى فى قواعد لدينا (ولا تخاذل) اى ولا تعارض فيما انزل علينا اى لا كثيرا ولا يسيرا كما قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (مع اشتمال شريعته) اى المتضمنة لمكارم الافعال (على محاسن الاخلاق) اى فى طريقته (ومحامد الآداب) اى المورثة لمجامع الاحوال فى حقيقته (وكل شئ مستحسن مفصل) بالصاد اى مبين ومعين وفى نسخة بالمعجمة اى مفضل على غيره كما يشير الى هذا المرام قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (لم ينكر منه) اى من شرعه ولو هو (ملحد) اى جائر لكنه (ذو عقل سليم) اى وطبع قويم (شيأ) اى اصلا (الا من جهة الخذلان) وهو عدم توفيق العرفان فينكره من غير البرهان بل على جهة العدوان وطريق الطغيان (بل كل جاحد له) اى منكر لما ذكر (وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه) اى فيما ظهر لديه (واستحسنه دون طلب اقامة برهان عليه) اى كما سبق من كلام المغيرة وابى جهل وابى طالب (ثم ما احل لهم من الطيبات) اى مما حرم على غيرهم منها كلحم كل ذى ظفر وشحم البقر (وحرم عليهم من

الخبائث) كالميتة والدم ولحم الخنزير مما احل لغيرهم كالخمر (وصان) اى وما حفظ (به انفسهم) اى دماءهم (واعراضهم) بفتح الهمزة جمع عرض (واموالهم من المعاقبات والحدود) اى المرتبة على اسبابها كالقصاص وحد القذف والسرقة (عاجلا) اى فى الدنيا (والتخويف) وفى اصل الدلجى والتحريق (بالنار آجلا) اى فى العقبى (مما لا يعلم ولا يقوم به) اى بعمل كله (ولا يبعضه الا من مارس الدرس) اى من درس الكتب الالهية (والعكوف على الكتب) اى القيام والاطلاع على كتب العلماء الربانية (ومشافنة بعض هذا) بالمثلثة والفاء والنون اى متابعة بعض ماذكر (الى الاحتواء) اى مع اشتمال شريعته (على ضروب العلم وفنون المعارف كالطب) بكسر الطاء وتثلث (والعبارة) بكسر العين اى التعبير للرؤيا (والفرائض) اى المتعلقة بالارث (والحساب) اى كمية الاعداد (والنسب) بفتحتين اى معرفة الانساب (وغير ذلك من العلوم) اى انواعها الآتى بعضها (مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها) قال الدلجى اى فى شريعته والظاهر فى هذه المعارف (قدوة) بضم القاف وكسرها وتفتح اى مقتدى (واصولا) اى قواعد كلية (فى علمهم) اى فى اساس علومهم (كقوله عليه الصلاة والسلام) على مارواه ابن ماجه عن انس (الرؤيا لاول عابر) اى معبر ذى رأى ثاقب عالم بالعبارة على وجه الاشارة اذا اصاب وكان يحسن تعبيرها فاذا اعتبر شروطها وعبرها وقعت وكان ابن سيرين يقول انى اعتبرت الحديث والمعنى انه يعبرها به كما يعبرها بالقرآن فيعبر الغراب مثلا برجل فاسق والمرأة بالضلع اخذا من تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم له فاسقا وتسميتها ضلعا (وهى) اى الرؤيا (على رجل طائر) كما رواه ابوداود والترمذى وصححه اى قدر جار وقضاء ماض وحكم نافذ من خير او شر او نفع او ضر وقال ابن قتيبة اراد انها غير مستقرة يقال للشئ اذا لم يستقر هو على رجل طائر وعلى قرن ظبي وقال ابن الاثير هو من قولهم اقتسموا دارا فطار سهم فلان ناحية كذا يعنى ان الرؤيا هى التى يعبرها المعبر الاول فكانها سقطت ووقعت حيث عبرت كما يسقط الذى يكون على رجل الطائر بادنى حركة انتهى والحاصل ان هذا تمثيل وتصوير لجعلها على قدر قدره الله تعالى لصاحبها بشئ متعلق برجل طائر يسقط بادنى حركة فاذا عبرها اول عابر فكانها كانت على رجله فسقطت وكل حركة جرت لك من شئ فهو طائر ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه اى حركاته فى عباداته ومعاملاته فى ذمته غير منفكة عنه (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما هذا وقد قيل الرؤيا امثال يضرب بها ملك الرؤيا والله يعلم بها من يشاء وروى ان امرأة اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت رأيت كان جائزة بيتى قد انكسرت فقال عليه الصلاة والسلام يرد الله غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل ذلك فاتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابابكر رضى الله تعالى عنه فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قيل لك (الرؤيا ثلاث) اى ثلاثة انواع (رؤيا حق) بالاضافة اى ثابت موافق وصدق مطابق كرؤية الانبياء والاصفياء فانها تخرج على وجوهها او على نحو ما اول بها (ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه) فيراها فى منامه فهى اضغاث احلام وخيالات منام (ورؤيا تحزين) بالجر وفى نسخة بالرفع (من الشيطان) بان يرى فى منامه ما يكون سببا لحزنه كما فى حديث مسلم جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت فى المنام كان رأسى قطع فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اذا الم الشيطان باحدكم فى منامه فلا يحدث به الناس وفى رواية اذا رأى فى منامه ما يحبه فليحمد الله واذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره (وقوله) اى فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة مرفوعا (اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب) وفى رواية اذا اقترب والمراد اقتراب الساعة ويؤيده حديث فى آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب وقيل المراد قصر الايام والليالى على الحقيقة وقيل تقارب الليل والنهار من الاعتدال لقول العابرين ان اصدق الازمان لوقوع العبارة وقت انفتاق الانوار والازهار ووقت ادراك الثمار حين يستوى الليل والنهار وفى بعض الاخبار اصدق الرؤيا بالاسحار رواه احمد والترمذى وابن حبان والبيهقى عن ابى سعيد هذا وكان الانسب للمصنف ان يرتب كل ما يتعلق بعلم من العلوم المذكورة على وفق ما قدمه من المعارف المسطورة لكنه رحمه الله شوش النشر وقدم الرؤيا على الطب ثم قال (وقوله) كما رواه الدارقطنى فى العلل عن انس وضعفه وابن السنى وابونعيم فى الطب عن على وعن ابى سعيد وعن الزهرى مرسلا (اصل كل داء البردة) بفتحتين وقد تسكن الراء اى التخمة وثقل الطعام على المعدة وسميت بردة لانها تبرد المعدة فلا يستمرئ الطعام فى العادة وعلاجه اولا بالقئ وثانيا بالاسهال (وما روى عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فى حديث ابى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (من قوله المعدة) بفتح فكسر وقيل بكسر فسكون (حوض البدن) لجمعها الطعام كجمع الحوض الماء (والعروق اليها واردة) اى تتصاعد اليها بمنافع الطعام نفعا لابدان الانام (وان) وصلية

(كان هذا) اى الحديث (حديثا) وفى نسخة وان كان هذا الحديث (لا نصححه) اى لا نحكم بصحته بل ولا بثبوته (لضعفه) اى لضعف سنده عند بعضهم (وكونه موضوعا) اى عند غيرهم (تكلم عليه الدارقطنى) اى مضعفا له والله سبحانه وتعالى اعلم (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابن عباس (خير ما تداويتم به السعوط) بفتح فضم ما يجعل فى الانف من الدواء (واللدود) ما يسقاه المريض فى احد شقى فمه (والحجامة) بكسر اوله (والمشى) بفتح فكسر فشدة المسهل ويقال بفتح ميم فسكون شين فتخفيف وسمى به لحمله صاحبه على كثرة المشى الى الخلاء (وخير الحجامة) اى وقوله عليه الصلاة والسلام كما رواه الحاكم عن ابن عباس وصححه خير الحجامة (يوم سبع عشرة) اى من كل شهر (وتسع عشرة) بسكون الشين وتكسر (واحدى وعشرين) زاد ابوداود عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا كان شفاء من كل داء هذا والتأنيث باعتبار مضاف مقدر اى يوم ليلة سبع عشرة مراعاة للاسبق منهما فان ليلة الشهر منه وقيل سبق الليل فى الوجود ايضا وفى قوله تعالى نسلخ منه النهار ايماء الى ذلك وانه اصل هنالك وابعد الدلجى فى قوله بحذفه المميز كما فى حديث من صام رمضان فاتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله فان لفظ اليوم مميز مستغنى عن مميز آخر واما قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا فلمجرد التأكيد (وفى العود) اى وفى قوله كما رواه البخارى عن ام قيس فى العود (الهندى) قيل هو القسط البحرى وقيل عود التبخر قاله ابن الاثير (سبعة اشفية) قيل المراد بها الكثير (منها ذات الجنب) كما فى حديث وخص بالذكر لانه اصعب داء قلما يحصل فيه شفاء (وقوله) اى كما رواه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد) اى بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة (فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) والنفس بفتحتين بمعنى التنفس وفى الاصول المذكور لطعامه وشرابه ولنفسه بالاضافة (وقوله) اى فى علم النسب كما رواه احمد والترمذى (وقد سئل عن سبأ) بكسر الهمزة وبفتحها وبابدالها الفا كما قرئ بها فى قوله تعالى لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية (أرجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل) اى هو ابو قبيلة سميت به مدينة بلقيس باليمن ومن ثم قيل اسم مدينة (ولد عشرة) اى ولد له عشرة اولاد وهو بمكة (تيامن منهم ستة) اى اخذوا نحو اليمن فتولدوا ونزلوا فيه واكثر قبائله منهم وهم كندة والاشعرون والازد ومذحج وانمار وحمير الذين منهم خثعم وبجيلة وفى الحديث الايمان يمان والحكمة يمانية لان الايمان بدا من مكة لانها من تهامة وتهامة من اليمن (وتشاءم اربعة) اى اخذوا نحو الشام وهو من العريش الى الفرات وهم عاملة ولخم وجذام وغسان (الحديث بطوله) اى مما يدل على طول باعه فى هذا الفن (وكذلك جوابه فى نسب قضاعة) بضم القاف (وغير ذلك) اى من سائر النسب (مما اضطربت العرب) بصيغة الفاعل او المفعول ورجحه التلمسانى اى اضطربت واختلفت والتجأت او التجئت (على شغلها بالنسب) اى مع كمال اشتغالهم بعلم النسب (الى سؤاله) اى سؤالهم اياه (عما اختلفوا فيه من ذلك) ومن ذلك ما رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبرانى عن عمرو ابن مرة الجهنى قال صلى الله تعالى عليه وسلم من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك بن حمير (وقوله) اى كما رواه البزار وقال العسقلانى انه منكر (حمير) بكسر فسكون ففتح ممنوعا قبيلة معروفة من اليمن (رأس العرب) اى اساسها واصلها (ونابها) اى عمدة اهل كلامها لشرفهم فانهم ولد معد بن عدنان من ولد اسماعيل بن خليل الرحمن (ومذحج) بالذال المعجمة والحاء المهملة والجيم كمجلس على ما فى القاموس وقيل بفتح وهو قبيلة فعبارة الدلجى بالدال المهملة (هامتها) بتخفيف الميم وهى وسط الرأس اى اشرفها او رأسها (وغلصمتها) بفتح الغين المعجمة ثم لام ساكنة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ فى الحلق وهو اشارة الى تمكنهم فى الشرف وعلوهم واصالتهم وعظمهم (والازد) بالزاى الساكنة قبيلة من اليمن (كاهلها) بكسر الهاء مقدم الظهر ما بين كتفيه وهو محل الحمل اى عمدتها (وجمجمتها) بجيمين مضمومتين عظم الرأس المشتمل على الدماغ اى سادتها وقيل جماجم العرب هى القبائل التى تجمع البطون فكاهل مضر تميم (وهمدان) بفتح فسكون فدال مهملة قبيلة معروفة (غاربها) بكسر الراء ما بين السنام والعنق (وذروتها) بكسر الذال وضمها او بفتح وسكون الراء اى اعلاها والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين ما لهذه القبائل من الفضائل وهذا من علم الانساب (وقوله) اى فى علم الحساب كما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان الزمان قد استدار) اى رجعت اشهره الى ما كانت من حرمة وغيرها وبطل نسئ الجاهلية من تأخيرهم حرمة شهر الى آخر وكانت حجة الوداع التى ذكر فى خطبتها هذا الحديث فى السنة التى استدار فيها (كهيئته) اى ترتيبه وصفته (يوم خلق الله السموات والارض وقوله) اى فى معرفة المساحة كما رواه الشيخان عن ابن عمرو (فى الحوض) اى الكوثر (زواياه سواء) اى مربع تربيعا مستويا لا يزيد طوله على عرضه (وقوله) اى فى معرفة جمع العدد كما رواه ابوداود (فى حديث الذكر) اى الاذكار حيث قال تسبح عشرا وتحمد عشرا وتكبر عشرا وتلك

ثلاثون (وان الحسنة بعشر امثالها فتلك) اى الكلمات المذكورة دبر الصلوات المزبورة بمجموعها (مائة وخمسون على
اللسان والف وخمسمائة فى الميزان وقوله) اى فيما رواه الطبرانى بسند ضعيف عن ابى رافع (وهو بموضع) اى فى موضع
ليس به حمام وفى اصل التلمسانى ومر بدل وهو وعلى كل فالجملة حال (نعم موضع الحمام هذا) وهذا من علم الهندسة
ومعرفة المساحة فكان اولى بعد ذكر الحوض لما بينهما من المناسبة (وقوله) كما رواه الترمذى عن ابى هريرة وصححه
(مابين المشرق والمغرب قبلة) اى لاهل المدينة ونحوهم ممن هو فى جنوبه اوشماله قال التلمسانى هذا فى طيبة ولكل
مدينة بين مشرقها ومغربها لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جعل جميع مايقع بين المشرق والمغرب قبلة ومساحة
الكعبة لاتفى بمابينهما وانما تفى جهتها فهو حجة العامة فى عدم اشتراط اصابة عين الكعبة للنائى عنها وهذا من
جملة علوم الهندسة المتعلقة بمعرفة القبلة وظاهره ان القبلة هى الجهة لاعين الكعبة والافلا وجه للخصوصية فهو حجة
للحنفية على الشافعية (وقوله) اى فى معرفة الفرس (لعيينة) بالتصغير وهو ابن حصين الفزارى من المؤلفة قلوبهم
شهد حنينا والطائف قال الذهبى وكان احمق مطاعا دخل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واساء الادب فصبر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على جفوته واعرابيته وقد ارتد ثم امر فمن عليه الصديق ثم لم يزل مظهر الاسلام وكان
يتبعه عشرة آلاف قناة انتهى وقال غيره اسلم يوم الفتح وقيل قبله وقال الواقدى انه عمى فى خلافة عثمان (اوللاقرع)
اى ابن حابس التميمى وفد بعد الفتح وشهد مع خالد بن الوليد حرب اهل العراق وكان على مقدمته واستعمله عبد الله بن
عامر على جيش سيره الى خراسان فاصيب هو والجيش بجوزجان وكان من المؤلفة (انا افرس) مأخوذ من الفراسة
اى انا اعرف (بالخيل منك) وفى نهاية غريب الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم عرض الخيل وعنده عيينة فقال له
انا اعلم بالخيل منك فقال له وانا افرس منك (وقوله) اى كما رواه الترمذى عن زيد بن ثابت (لكاتبه) اى لاحد من كتابه
اولكاتبه الاخص به وهو زيد وقيل معاوية وفى ابى داود عن ابن عباس قال السجل كان كاتبا للنبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وقد سبق فى كلام الحلبى ان كتابه بلغوا ثلاثا واربعين الآن ابن ابى سرح ارتد ثم رجع ومات ساجدا لله
واما ابن خطل فقتل يوم الفتح وهو متعلق باستار الكعبة لقوله عليه الصلاة والسلام من قتل ابن خطل فهو فى الجنة
واختلف فى قاتله (ضع القلم) اى اذا فرغت (على اذنك) اى فوقها (فانه) اى وضعه هذا (اذكر) اى اكثر تذكرا قال
الحلبى لانه يقتضى التؤدة وعدم العجلة (للممل) بضم الميم الاول وكسر الثانى وتشديد اللام اى للممل كما فى نسخة من
امللت وامليت وبهما ورد القرآن وليملل الذى عليه الحق فهى تملى عليه (هذا) اى ماذكر مما جمع له صلى الله تعالى
عليه وسلم من المعارف والعلوم (مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لايكتب) والاظهر ان الاشارة الى ماسبق
من تعليم بعض كتابه مايتعلق بعلم الخط وآدابه واما عدم كتابته فلحديث انا امة لانكتب ولا نحسب ذكره الدلجى وفيه
ان نفى الشئ عن الجنس لايوجب انتفاءه عن جميع افراده بدليل انه كان فيهم من يكتب فالاولى هو الاستدلال بقوله
تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (ولكنه) اى مع كونه اميا (اوتى علم
كل شئ) اى لدنيا (حتى قد وردت آثار) اى اخبار (بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها) اى من تطويلها
وتدويرها (كقوله لاتمد) وفى نسخة لاتمدوا اى لاتطولوا (بسم الله الرحمن الرحيم) اى سينه من غير تبيين سنه مخافة
ان يظن بامدودة فيقرأ بالباء والميم من غير سين بينهما لما روى الدارمى عن زيد بن انس اذا كتبت فبين السين
فى بسم الله الرحمن الرحيم (رواه ابن شعبان) وهو ابو اسحق المصرى المالكى له ترجمة فى الميزان قال فيها وهاه ابن حزم
ولا ادرى لماذا انتهى ومات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة (من طريق ابن عباس وقوله) اى كما فى مسند الفردوس
(فى الحديث الآخر الذى يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلاة والسلام فقال له ألق الدواة) بفتح
الهمزة وكسر اللام امر من الاق الدواة اذا جعل لها ليقة واصلح لها مدادها وهو بمعنى مجرده لاق على ما فى القاموس
فقول الجوهرى وألاق لغة اى قليلة لاردية (وحرف القلم) بتشديد الراء المكسورة امر من التحريف اى اجعل طرف
شقه الايمن ازيد من الطرف الآخر قليلا لانه اسرع فى الكتابة وابدع فى اللطافة (وانصب الباء) اى طولها (وفرق السين)
اى سنانها (ولا تعور الميم) اى لاتطمسها بل بين وسطها وهو بتشديد الواو بعد العين المهملة واما ما فى اصل الدلجى
بالقاف بعد كونه عينا فاصلح فى نسخة قرئت على المصنف وعليها خطه فخطأ فاحش وتصحيف وتحريف
لما فى القاموس قار الشئ قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوره (وحسن الله) اى جميع حروفه (ومد الرحمن)
اى اكثر حروفه من الحاء والميم والنون او آخرها وهو الاولى (وجود الرحيم) اى حروفه لاسيما الميم وقد روى الديلمى
عن انس اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن اى مد البيد له الرحمن مدا وقيل خص الرحمن بالمد لعموم
الرحمة الشاملة للدنيا والآخرة وخص الرحيم بالتجويد لانه يخص اصحاب التوحيد (وهذا) اى ماذكر مما ثبت

بان مما اوتيه من المعارف معرفة حروف الخط (وان لم تصح الرواية) اى من احد رواة الحديث واصحاب الدراية
(انه عليه الصلاة والسلام كتب) اى بيده (فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة) اى لحكمة تقتضى هنالك
كما قدمنا ذلك قال الدلجى ولا يبعد ايضا وان كان يحرم عليه التوصل اليهما معرفة ان يقع امنه فى وقت معجزة له
وكرامة بشهادة ما فى صحيح البخارى فاخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن
عبد الله وفيه فى عمرة القضاء انه قال لعلى امح رسول الله قال لا والله لا امحوك ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب
فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله انتهى ولا يخفى ان لفظ كتب وقع مجازا لاشك فيه على ما قاله الحلبى وقال
ابو الوليد الباجى حقيقة وهو فى هذا القول شاذ منفرد عن الجماعة والمسألة شهيرة وملخصها ان اللفظة صحيحة مبنى
وهى مجاز معنى لانها ليست بصحيحة اصلا كما توهم عبارة المصنف هذا ووقع فى سيرة ابى الفتح اليعمرى ما لفظه
وقد روى البخارى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتب ذلك بيده قال الحلبى قوله بيده لم ارها فى صحيح البخارى
والله سبحانه وتعالى اعلم ثم اعلم ان المراد بالقراءة القراءة بالنظر لا مطلق القراءة فالمعنى منع الكتابة والقراءة
من الكتابة وقد ابعد التلمسانى فى جعل القراءة معطوفة على العلم اى رزق العلم والقراءة ومنع الكتابة انتهى وبعده
لايخفى فى اعراب المبنى واغراب المعنى (واما علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معانى اشعارها)
اى خصوصا (فامر مشهور وقد نبهنا على بعضه) اى بعض ماورد عنه فى لغات العرب لافى اشعارهم (اول الكتاب)
وفى نسخة فى اول الكتاب اى على ماسبق من غرائب مبانيها وبيان معانيها ومنها قوله عليه الصلاة والسلام وقد
انشده كعب بن زهير فى لاميته قوله (قنوآء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل) فقال لاصحابه ما
الحرتان فقالوا العينان فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الاذنان وما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم هو المعروف عند
العرب الاول فى الحرتين ومنها ما انشده كعب بن مالك فى قصيدته العينية وفيها قوله

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة * مدربة فيها القوانس تلمع

فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيصلح ان يقول مجالدنا عن ديننا فقال كعب نعم فقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فهو احسن فقال كعب مجالدنا عن ديننا على ما قاله نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وكذلك حفظ
كثير من لغات الامم) اى مما عدا العرب (كقوله فى الحديث سنه سنه) بفتح السين وتخفيف النون وتشدد فهاء
ساكنة فيهما وفى رواية سناه سناه وفى اخرى سنا سنا بفتح مهملتها وكسرها رواية القابسى وشدد نونها وخففها
ابو ذر وغيره قال ابن قرقول كلها بفتح السين وتشديد النون الا عند ابى ذر فانه خفف النون والا القابسى فانه كسر
السين وقال ابن الاثير فى النهاية قيل سنا بالحبشية حسن وهى لغة وتخفف نونها وتشدد وفى رواية سنه وفى اخرى
اسناه بالتشديد والتخفيف فيهما وقال الهروى فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ الخميصة بيده ثم البسها
ام خالد وقال ابلى واخلقى ثلاث مرات ثم نظر الى علم فيها اخضر واصفر فجعل يقول يا ام خالد سنا سنا بالحبشية
حسن وهى لغة انتهى وام خالد هذه هى ابنة خالد بن سعيد التى ولدت بارض الحبشة وهى امرأة الزبير بن العوام
وهى التى كساها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى صغيرة وابوها اول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم
ومات باجنادين شهيدا استعمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على صنعاء اليمن فلما توفى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم اراد ابو بكر رضى الله تعالى عنه ان يستعمله قال له لا اعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم (وهى) اى معنى هذه الكلمة (حسنة بالحبشية) اى باللغة المنسوبة الى الحبشة ولا يبعد ان تكون عربية
وحذف الحاء للايماء الى قصد الرمزية وقال عكرمة السنا الحسن ولا يبعد ان يطلق السنا بمعنى النور ويراد به الحسن
والظهور (وقوله) اى كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (ويكثر الهرج) بهاء مفتوحة فراء ساكنة فجيم (وهو
القتل بها) اى بالحبشة وقد سئل عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال القتل ونص عليه كثير من ائمة اللغة فهو من توافق
اللغتين واما قول ابن قرقول الهرج باسكان الراء فسره فى الحديث بالقتل بلغة الحبش فقوله بلغة الحبش من بعض
الرواة والا فهى كما عرفت عربية صحيحة (وقوله فى حديث ابى هريرة اشكنب درد) بفتح الهمزة وسكون الشين وتفتح
والكاف ساكنة فنون وفتح الباء وتكسر وتضم وتسكن فدال بين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة وفى نسخة
الاولى منهما معجمة وفى اخرى دردم بميم فى آخره (اى وجع البطن بالفارسية) فان اشكنب هو البطن ودرد معناه
الوجع ولعل اصلها اشكم بدردم بكسر الهمزة وفتح الكاف بعده ميم وباتصال الباء بدردم بالمهملتين وميم المتكلم
فيكون فيه نوع تقريب اولفظ غريب هذا والحديث رواه ابن ماجه وفى سنده داود بن علية والكلام فيه معروف قال
الذهبى فى ميزانه روى جماعة عن داود بن علية عن مجاهد عن ابى هريرة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا ابا هريرة

اشكنب دردقات لا الحديث اخرجه احمد فى مسنده والاصح مارواه المحاربى عن ليث عن مجاهد مرسلا وقوله لا يدل على استفهام مقدر اوملفوظ ان تكن الشين مفتوحة فانه لغة و يدل ايضا على بطلان نسخة زيادة الميم لكنه فيه اشكال وهوانه لايظهر وجه خطاب ابى هريرة بهذه الكلمة اللهم الاان يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة ثم رأيت التلمسانى ذكر الحديث ولفظه قال ابوهريرة دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مضطجع على بطنه فقلت له ماهذا يارسول الله فقال أشكنب دردم ثم فسره صلى الله تعالى عليه وسلم وتمام الحديث وعليك بالصلاة فانها شفاء من كل سقم ونقل الانطاكى من اكمال ابن ماكولا عن ابى الدرداء قال رآنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانانائم مضطجع على بطنى فضربنى برجله فذكر الحديث قال وهو مخالف لما تقدم قلت ولا منع من الجمع والله تعالى اعلم هذا وحديث العنب دو دو يعنى ثنتين ثنتين والتمر يك يعنى واحدة مشهور على السنة العامة ولا اصل له عند الخاصة (الى غيرذلك) اى مع غير ماذكر من المعارف السنية والعوارف البهية (مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به) اى بكله (ولا ببعضه) اى عادة (الامن مارس الدرس) اى داوم المدارسة ولازم المدرسة (والعكوف على الكتب) اى المواظبة على مطالعة الكتب المطولة (ومثافنة اهلها) بالمثلثة والفاء والنون اى مجالسة اهل العلوم وفى نسخة بالقاف والموحدة بمعنى المباحثة (عمره) بالنصب اى فى جميع ايام عمره من غير ضياع دهره (وهو) اى والحال انه عليه الصلاة والسلام (رجل) معروف وموصوف (كما قال تعالى) فى حقه عند قوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (امى) اى منسوب الى امه يعنى كما ولدته (لم يكتب) اى بيده (ولم يقرأ) اى بنظره اومطلقا قبل بعثه (ولا عرف) اى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بصحبة من هذه صفته) اى بمصاحبة اهل الدراسة والقرآءة والكتابة (ولا نشأ) اى ولا انتشأ ولا تربى (بين قوم لهم علم) اى دراية (ولا قرآءة) اى رواية (بشئ من هذه الامور) اى التى يمكن بمدارستها الاتصاف بممارستها (ولا عرف هو قبل) اى قبل بعثته ودعوى نبوته (بشئ منها) اى من امور القرآءة والدراسة والكتابة ويروى ولا عرف هو قبل شيأ (قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله) اى قبل نزول القرآن (من كتاب) اى من الكتب الالهية وغيرها (ولا تخطه بيمينك) اى ولا تكتبه من قبل ايضا وقوله بيمينك اى بيدك تأكيد كما فى قولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى (الآية) تمامها اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت قارئا كاتبا لشك اهل الباطل المتعلق بغير الطائل اذ لا كل كاتب وقارئ قادر ان يأتى بهذا الكتاب الذى عجز عن الاتيان باقصر سورة منه جميع ارباب الالباب والحاصل ان صدور هذا النور وظهور هذه الامور على يد الامى اظهر معجزة وابهر كرامة وابعد شبهة مما لو ظهر على يد القارئ الكاتب لاسيما وقد كان يحصل الارتياب لاهل الكتاب لكونه النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل هذا والجمهور على انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكتب وقيل كتب مرة واحدة وهو قول الباجى وصوبه بعضهم فانه لا يقدح فى المعجزة كونه كتب مرة واحدة بل يكون معجزة ثانية قال القرطبى فى مختصره قوله فى البخارى فاخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب فكتب ظاهر قوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب بيده وقد انكره قوم تمسكا بقوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية ولا نكرة فيه فان الخط المنفى عنه الخط المكتسب من التعلم وهذا خط خارق للعادة اجراه الله تعالى على انامل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم مع بقائه انه لا يحسن الكتابة المكتسبة وهذا زيادة فى صحة نبوته انتهى ولا يخفى ان فى قوله وما كنت تتلو من قبله اى من قبل نزول القرآن وحصول النبوة والرسالة اشارة الى انه كان ممنوعا من القرآءة والكتابة وهو لا ينافى ان يعطيهما الله تعالى له بعد تحقق رسالته زيادة فى الكرامة (انما كانت غاية معارف العرب النسب) اى علم النسب لكل قبيلة الى حدها من ابيها وجدها (واخبار اوائلها) اى وقائع سلفها من هزلها وجدها وتنعمها وكدها (والشعر) اوزانها وقوافيها (والبيان) اى النثر فى الخطب وامثالها ومايتعلق بما فيها حتى كاد ان يكون بيانهم فى شعرهم ونثرهم سحرا وشاع وذاع فيما بينهم ذكرا وفكرا وبلغوا غاية البلاغة ووصلوا نهاية الفصاحة نظما ونثرا (وانما حصل ذلك لهم بعد التفرغ لعلم ذلك) اى عمرا (والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه) اى عصرا (وهذا الفن) اى النوع من العلم بجميع افنانه واغصانه فى جميع احيانه وازمانه (نقطة من بحر علمه) اى ونكتة من نهر فهمه وشكلة من شطر كلمه (صلى الله تعالى عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد) اى انكار المائل عن الحق والمعاند (بشئ مما ذكرناه) اى من المطالب والمقاصد (ولا وجد الكفرة حيلة) اى مكيدة يتشبثون بها فى عقيدة (فى دفع ما قصصناه) وفى نسخة ما نصصناه اى حكيناه وبيناه (الا قولهم اساطير الاولين) اى هو يعنى القرآن اقاصيص السابقين كما حكى الله عنهم بقوله وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا وقد تولى الله سبحانه وتعالى جوابهم بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وانما

يعلمه بشر) اى من الاعجام اوالاروام (فرد الله قولهم) اى مقولهم هذا الا كما قال الدلجى هو اساطير الاولين وانما يعلمه بشر (بقوله لسان الذى يلحدون) وفى قرآءة بفتح الياء والحاء اى يميلون (اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان) بكسر العين اى المعاينة والمشاهدة (فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان) اى الفارسى كما فى نسخة صحيحة وسماه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سلمان الخير (او العبد الرومى) وهو غلام حويطب بن عبد العزى اسلم وكان ذا كتب (وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات) اى القرآنية او المعجزات البرهانية والعلامات الفرقانية فلا يتصور انه كان يعلمه سلمان (واما الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فى اسمه) اى كما سيأتى من انه يعيش او بلعام او جبر او يسار (وقيل بل كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس عنده) اى اليه و يقبل عليه لما كان يلمح قابلية الهداية لديه (عند المروة وكلاهما اعجمى اللسان) اى وضعيف البيان (وهم الفصحاء اللد) بضم اللام وتشديد الدال جمع الالد وهو شديد الخصومة (والخطباء اللسن) بضم فسكون جمع الالسن وقيل جمع لسن بفتح فكسر وهو المنطلق اللسان فى ميدان النطق والبيان (قد عجزوا) بفتح الجيم وتكسر (عن معارضة ما اتى به) اى اظهره (والاتيان بمثله) بل عن الاتيان باقصر سورة من نحوه (بل عن فهم وصفه) وفى نسخة رصفه بالراء والظاهر انه تصحيف وقيل معناه الاتقان (وصورة تأليفه) اى تركيبه (ونظمه) اى سلكه فهم اذا عجزوا عن هذا كله (فكيف باعجمى الكن) افعل للمبالغة من اللكنة وهى بالضم العجمة فى اللسان والعى فى النطق والبيان وابعد الدلجى فى تعبيره اى ابكم (وقد كان سلمان او بلعام الرومى) بالموحدة المفتوحة وسكون اللام و يقال بلعم (او يعيش) بفتح التحتية الاولى وكسر العين قال الذهبى فى تجريده يعيش غلام ابن المغيرة قال عكرمة هو الذى نزل فيه يقولون انما يعلمه بشر وقال الحلبى يعيش رأيتهم قد ذكروه فى الصحابة (او جبر) بفتح جيم وسكون موحدة هو غلام للفاكه بن المغيرة اسلم وقد روى ان مولاه كان يضربه و يقول له انت تعلم محمدا فيقول له لا والله بل هو يعلمنى و يهدينى قال الحلبى ما رأيت له ذكرا فى الصحابة وكذا فى قوله (او يسار) بفتح التحتية (على اختلافهم فى اسمه) اى اختلاف العلماء فى تعيينه او اختلاف السفهاء فى نسبته من كمال تحيرهم فى تبيينه (بين اظهرهم) اى كانوا كلهم فيما بينهم عارفين باخبارهم (يكلمونهم) وفى نسخة يكلمونه (مدى اعمارهم) بفتح الميم والدال مقصورا اى مدتها (فهل حكى عن واحد منهم) كسلمان والرومى (شئ) اى صدور شئ ما (من مثل ما كان يجيئ به محمد صلى الله عليه وسلم) اى من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة (وهل عرف واحد منهم) اى وهم عندهم (بمعرفة شئ من ذلك) اى مما جاء به عليه الصلاة والسلام (وما منع) اى وعلى الفرض والتقدير اى شئ منع (العدو) اى اعداءه من المنكرين وروى المغرور (حينئذ على كثرة عدده) بفتح العين اى اعدادهم (ودؤوب طلبه) بضم دال وهمزة فسكون واو فموحدة اى جده وتعبه فى كده (وقوة حسده ان يجلس الى هذا) اى من سلمان اوغيره واخطأ الدلجى بقوله اى ما جاء به عليه السلام (فيأخذ عنه) وفى نسخة عليه (ايضا) اى على زعمه (ما يعارض به) اى ما جاء به عليه السلام (و يتعلم منه ما يحتج به على شغبه) بسكون الغين المعجمة و تفتح على لسان العامة اى على تهيج شره وخصامه كذا فى اصل الدلجى وهو ظاهر جدا وفى النسخ على شيعته فعلى للعلة اى لاجل مشايعيه ومتابعيه (كفعل النضر بن الحارث) تقدم انه قتل كافرا (بما كان يمخرق) من المخرقة بالخاء المعجمة وهى كلمة مولدة كما ذكره الجوهرى اى يزخرف (به من اخبار كتبه) اى مما لا يجدى نفعا له ولغيره (ولا غاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قومه) اى غيبة يمكن فيها من تعلمه (ولا كثرت اختلافاته) ترداداته (الى بلاد اهل الكتاب) وفى نسخة الكتب اى كالمدينة ونحوها من بلاد قومه (فيقال) بالنصب (انه استمد منهم) اى استفاد عنهم (بل لم يزل) اى من اول عمره الى آخر امره (بين اظهرهم) اى بينهم (يرعى) اى الغنم (فى صغره وشبابه) وقال الدلجى يرعى من المراعاة وهى الملاحظة والمحافظة وهو بعيد جدا (على عادة ابنائهم) اى ابناء سلفهم وفى اصل الدلجى ابنائهم باصلاح ابنائهم وكذا فى نسخة صحيحة وهو ظاهر جدا (ثم لم يخرج عن) وفى نسخة من (بلادهم الا فى سفرة) اى واحدة (او سفرتين) اى مرة مع عمه ابى طالب فرده من الطريق باشارة بحيرا واخرى فى تجارته لزوجته خديجة ومعه غلامها ميسرة والترديد باو نظرا الى ان الخرجة الاولى هل تسمى سفرة اولا فاندفع قول الحلبى وهاتان السفرتان ذكرهما جماعة وكان ينبغى ان يقول الا فى سفرتين على انه قد يقال المعنى بل سفرتين (لم يطل فيهما) و يروى فيهما (مكثه) بضم الميم و تفتح اى اقامته ولبثه (مدة يحتمل) بصيغة المعلوم او المجهول (فيها تعليم القليل) اى اليسير (فكيف الكثير) اى فكيف يحتمل فيها تعليم الكثير والاستفهام للانكار (بل كان فى سفره فى صحبة قومه ورفاقة عشيرته) بفتح الراء (لم يغب عنهم ولا خالف حاله)

بالنصب اوالرفع والمعنى وما اختلف حاله (مدة مقامه بمكة من تعليم) اى عن معلم عربى ومن بيان لحاله لامزيدة
كما قاله الدلجى وفى نسخة ومن تعلم وهو الاظهر (واختلاف الى حبر) بفتح الحاء وتكسر اى عالم يهودى واغرب الدلجى
بقوله بكسر المهملة افصح من فتحها نعم كذلك فى معنى المداد الا انه ليس ههنا المراد (اوقس) بفتح القاف وبكسر
وضمه خطأ فسين مشددة اى عالم نصرانى وكذا القسيس (اومنجم) اى متعلق بعلم النجوم (اوكاهن) اى ممن يزعم انه
يخبر عن كائن (بل لو كان بعد) بضم الدال اى بعد مكثه وتصور تعلمه (هذا كله) اسم كان وفى اصل الدلجى بل لو كان
هذا كله بعد وهو ظاهر جدا وفى نسخة صحيحة بل لو كان هذا بعد كله (لكان مجيء ما اتى به فى) وفى نسخة من
(معجز القرءآن) بل من معجزاته (قاطعا لكل عذر ومدحضا) اى مزيلا ودافعا (لكل حجة) اى داحضة وفى نسخة
صحيحة لكل شبهة (ومجليا) بضم ميم وسكون جيم وتخفيف لام فتحتية مخففة وفى نسخة بفتح الجيم وكسر اللام
المشددة لا كما قال الحلبى باسكان الخاء والمعنى كاشفا وموضحا (لكل امر) اى مما يلوح عليه مخايل ريبته

(فصـــل)

(ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) اى خصوصياته فى حالاته (وكراماته وباهر آياته) اى غالب معجزاته (انباؤه)
بفتح الهمزة اى اخباره الواقعة له (مع الملائكة والجن وامداد الله) اى اعانته (له بالملائكة) اى المقربين كما فى وقعة بدر
وحنين (وطاعة الجن له) بجن نصيبين (ورؤية كثير من اصحابه لهم) اى للملائكة والجن وهذا اجمالى يتبين لك بعد
تفاصيل احواله (قال تعالى وان تظاهرا) بتشديد الظاء وتخفيفها والخطاب لعائشة وحفصة اى وان تعاونا (عليه)
اى على النبى بما يسوءه لديه من الافراط فى الغيرة لكثرة ميلهما اليه (فان الله هو مولاه) اى ناصره (وجبريل)
بكسر الجيم وفتحها (الآية) اى وصالح المؤمنين كابى بكر وعمر والملائكة اى بقيتهم بعد ذلك اى بعد نصره سبحانه
وتعالى ظهير اى مظاهرون له (وقال تعالى اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا) اى بانى معكم
معينا لهم (وقال اذ تستغيثون ربكم) اى بمناجاتكم ومناداتكم باغياث المستغيثين اغثنا اعنا على اعدائنا وعن عمر
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الكفار الفا واصحابه ثلاثمائة اى فى بدر فرفع يديه مستقبلا يقول اللهم
انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله
حسبك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم) اى ربكم (انى ممدكم) اى بانى معاونكم (الآيتين) اى
بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال اى متتابعين وبفتحها اى يردف بعضهم ببعض وكان الظاهر ان يقول الآية
ولعله اراد الاشارة بالآيتين من السورتين اى الانفال والبقرة وهى قوله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم
ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين فيكون الايماء الى القصتين من بدر واحد حيث وقع الوعد فى الثانى مقيدا بشرط الصبر ولما فقد
فقد المدد والنصر ولا يبعد ان يراد بالآيتين قوله اذ يوحى وقوله اذ تستغيثون بل هو الاظهر فتدبر (وقال واذ صرفنا)
اى املنا ووجهنا (اليك نفرا من الجن) اى جن نصيبين (يستمعون القرءآن الآية) اى فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين الآيات هذا وقد ورد انه لما حرست السماء نهضوا فوافوا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بوادى النخلة منصرفه يقرأ فى صلاة الصبح فاستمعوا اقرآءته واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن
فثابت ايضا كما بينته فى محله وسيأتى ايضا تقريره بعضه (حدثنا سفيان بن العاصى) كذا بالياء والاظهر انه بلا ياء فانه
معتل العين لا اللام كما قدمنا (الفقيه) سبق ذكره (بسماعى عليه) اى فى حضورى لديه (حدثنا ابو الليث
السمرقندى) اى من ائمة الحنفية (ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء ويسكن (حدثنا ابو احمد الجلودى) بضم
الجيم وتفتح (ثنا ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا مسلم) اى القشيرى
النيسابورى صاحب الصحيح (ثنا عبيد الله) مصغرا (ابن معاذ) بضم الميم قال ابو داود كان يحفظ عشرة آلاف
حديث روى عنه مسلم وغيره (ثنا ابى) ابو معاذ بن معاذ التميمى العنبرى الحافظ قاضى البصرة قال احمد اليه المنتهى
فى التثبت بالبصرة (ثنا شعبة) امام جليل فى الحديث (عن سليمان الشيبانى) اخرج له الائمة الستة (سمع زر بن حبيش)
بالتصغير وزر بكسر الزاى وتشديد الراء هو ابو مريم الاسدى عاش مائة وعشرين سنة وكان من اكابر القرآء المشهورين
من اصحاب ابن مسعود وسمع عمر وعليا وعنه عاصم ابن ابى النجود وخلق (عن عبد الله) اى ابن مسعود (قال) اى الله
سبحانه وتعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) اى ابن مسعود (رأى) اى النبى صلى الله عليه وسلم (جبريل
فى صورته) اى اصل خلقته (له ستمائة جناح) يدل على كمال عظمته كما يشير الى مزيته قوله تعالى جاعل الملائكة
رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير وهذا الموقوف اخرجه البخارى

ومسلم والترمذى والنسائى قال التلمسانى قيل رآه فى صورته مرتين خاصة وما عداهما لم يره هو وغيره من الملائكة
الا فى صورة الادميين ليأنس بهم ومن تمام الحديث له ستمائة جناح مثل الزبرجد الاخضر فغشى عليه (والخبر)
اى الحديث والاثر (فى محادثته) اى مكالمته عليه الصلاة والسلام (مع جبريل واسرافيل وغيرهم)
بصيغة الجمع لتعظيمهما اولان اقل الجمع اثنان وفى نسخة وغيرهما (من الملائكة) كعزرائيل وملك الجبال ومالك خازن
النار (وما شاهده من كثرتهم) كحديث اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك اما راكع
او ساجد (وعظم صور بعضهم) كعزرائيل واسرافيل وسائر حملة العرش (ليلة الاسراء مشهور) اى رواه الائمة كخبر
يا محمد هذا ملك الجبال يسلم عليك قال التلمسانى وروى ابن عباس مرفوعا انه رأى ليلة المعراج فى مملكة الله تعالى
رجالا على افراس بلق شاكى السلاح طول كل واحد مسيرة الف سنة وكذلك طول كل فرس يذهبون متتابعين
لا يرى اولهم ولا آخرهم قال فقلت يا جبريل من هؤلاء قال ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ثم قال
انا اهبط واصعد واراهم هكذا يمرون لا ادرى من اين يجيئون ولا اين يذهبون ذكره النسفى فى زهر الرياض قاله
الانطاكى (وقد رآهم) اى الملائكة وفى اصل الدلجى رآه اى جبريل (بحضرته) اى بحضوره عليه السلام وهى
بفتح فسكون وقال التلمسانى ان الحاء مثلثة ويقال ايضا بسكون الضاد وفتحها (جماعة من اصحابه) اى الكرام
(فى مواطن مختلفة) اى متفاوتة الايام (فرأى اصحابه) اى بعضهم (جبريل عليه السلام فى صورة رجل يسأله
عن الاسلام) وفى نسخة زيادة والايمان والحديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق متعددة والمعنى فى صورة رجل
غير معروف كما فى اصل الحديث المذكور فقول الدلجى كدحية ليس فى محله وان تبع بتوشيح شرحه (ورأى
ابن عباس واسامة) اى ابن زيد كما فى نسخة وهو ابن حارثة (وغيرهما عنده) اى بحضرته (جبريل فى صورة دحية)
بكسر الدال وتفتح وهو ابن خليفة الكلبى المشهور بالحسن الصورى وقد اسلم قديما وشهد المشاهد كلها بعد بدر
وارسله عليه السلام بكتاب معه الى عظيم بصرى ليدفعه الى هرقل واما رؤية ابن عباس له فرواها الترمذى ولفظه
ابن عباس رأى جبريل مرتين واما رؤية اسامة له فرواها الشيخان عنه وفيها ان ام سلمة رأته واما غيرهما كعائشة
فروى رؤيتها البيهقى وقال التلمسانى وحارثة بن النعمان رأى جبريل مرتين واقرأه جبريل عليه السلام وجرير بن عبد
الله البجلى مسحه ملك وحنظلة ابن ابى عامر غسلته الملائكة وحسان بن ثابت ايده الله بجبريل لمنافحته عن رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم وسعد بن معاذ نزل لجنازته سبعون الف ملك ما نزلوا من قبل قط (ورأى سعد) اى ابن ابى
وقاص كما فى الصحيحين (على يمينه ويساره جبريل وميكائيل) لف ونشر مرتب على ما هو الظاهر المتبادر (فى صورة
رجلين عليهما ثياب بيض) بالوصف وتجوز الاضافة قال الحلبى فى مسلم يعنى جبريل وميكائيل ولم يسميا فى البخارى
فكونهما جبريل وميكائيل لم يقله سعد وانما الراوى عنه قاله عنه او من دونه ذكر ذلك والله تعالى اعلم قلت ولفظ مسلم
رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يعنى
جبريل وميكائيل (ومثله) اى ومثل ما روى سعد (عن غير واحد) اى صدر عن كثير من الصحابة (وسمع بعضهم زجر
الملائكة) بفتح الزاى وسكون الجيم اى حثهم وحملهم على السرعة (خيلها يوم بدر) اى كما رواه عن عمر (وبعضهم رأى
تطاير الرؤس من الكفار) اى فى بدر (ولا يرون الضارب) كما رواه البيهقى عن سهل بن حنيف وابى واقد الليثى وقال
ابو داود المازنى على ما فى رواية ابن اسحق انى لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه اذ وقع رأسه قبل ان يصل اليه
سيفى فعرفت انه قتله غيرى (ورأى ابو سفيان ابن الحارث) بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(يومئذ) اى يوم بدر (رجالا بيضا) بكسر الباء جمع ابيض ولم يضم الباء محافظة على الياء (على خيل بلق) بضم فسكون
جمع ابلق والبلق محركة سواد وبياض كالبلقة بالضم (بين السماء والارض) وفى نسخة لا يقوم لها شيء اى لا يطيق
ولا يقاوم لتلك الرجال شيء اى مما خلق الله تعالى فان ملكا واحدا كاف فى اهلاك اهل الدنيا جميعا فقد اهلك جبريل
مدائن قوم لوط بريشة من جناحه وثمود بصيحة من صياحه هذا وقد روى البيهقى عن سهيل بن عمرو انه هو الذى رآهم
لكن لا منع من الجمع بعد تحقق السمع (وقد كانت الملائكة تصافح عمران بن حصين) كما رواه ابن سعد عن قتادة وفى مسلم
انها كانت تسلم عليه (وارى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لحمزة جبريل فى الكعبة فخر) اى سقط حمزة (مغشيا
عليه) اى من عظمته وهيبته وحديثه هذا رواه البيهقى عن مسلم بن يسار مرسلا (ورأى ابن مسعود الجن) كما رواه
البيهقى عنه (ليلة الجن) اى ليلة امر النبى عليه الصلاة والسلام ان ينذرهم (وسمع) اى ابن مسعود (كلامهم
وشبههم) اى فى الخلق والنطق (برجال الزط) بضم الزاى وتشديد الطاء قوم من السودان اوالهنود طوال قال الحلبى
وفى حديث مسلم عنه انه لم يكن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الجن لكن ذكر ابن سيد الناس فى سيرته

ما لفظه ان الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود من طرق متظافرة يشهد بعضها لبعض ويشيد بعضها بعضا قال ولم تنفرد طريق ابن زيد الا بما فيها من التوضى بنبيذ التمر انتهى وقد جاء الحديث الذى ذكره من غير طريق ابن زيد وهو فى ابن ماجه من حديث ابن عباس وفيه الوضوء بنبيذ التمر لكن فى السند عبد الله بن لهيعة والعمل على تضعيف حديثه وهو مرسل صحابى والعمل على قبوله خلافا لبعض الناس اى من الشافعى واتباعه هذا وقد ورد من طرق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطب ذات ليلة ثم قال ليقم من لم يكن فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقام عبد الله بن مسعود فحمله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع نفسه فقال ابن مسعود خرجنا من مكة فخط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حولى خطا وقال لا تخرج عن هذا الخط فانك ان خرجت عنه لم تلقنى الى يوم القيامة ثم ذهب يدعو الجن الى الايمان ويقرأ القرءان حتى طلع الفجر ثم رجع بعد طلوع الفجر وقال لى هل معك ماء اتوضأ به قلت لا الا نبيذ التمر فى اداوة فقال تمرة طيبة وماء طهور واخذه وتوضأ به وصلى الفجر وقد روى ابو داود والترمذى وابن ماجه والدارقطنى عن ابن مسعود نحوه وكذا الطحاوى وغيره وقد اثبت البخارى كون ابن مسعود مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثنى عشر وجها فلا يلتفت الى قول الدلجى واما حديث ابن مسعود انه حضر معه ليلة الجن فضعيف ففى صحيح مسلم انه لم يكن معه فانا نقول رواية البخارى اصح وارجح والقاعدة ان الاثبات مقدم على النفى عند الاثبات مع ان ليلة الجن كانت ست مرات او المراد بنفى كونه معه انه لم يحضر مجلس المحاورات والله اعلم بالحالات (وذكر ابن سعد) وهو مصنف الطبقات الكبرى والصغرى ومصنف التاريخ ويعرف بكاتب الواقدى سمع ابن عيينة وابن معين وحدث عنه ابن ابى الدنيا وغيره مات سنة ثلاثين ومائتين (ان مصعب بن عمير لما قتل يوم احد) اى وكان صاحب الراية (اخذ الراية ملك على صورته فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول له) اى ظنا منه انه هو (تقدم) الى جهة العدو (يا مصعب فقال له الملك) اى مرة فى جوابه (لست بمصعب فعلم) بصيغة الفاعل او المفعول اى فعرف (انه ملك) لكن روى ابن ابى شيبة فى مصنفه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم احد أقدم مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله الم يقتل مصعب قال بلى لكن قام مكانه وتسمى باسمه انتهى وفيه احتمال انه عرفه من اول الوهلة وانه لم يعرفه حتى عرفه ثم كان يقول له مصعب من قبيل تجاهل العارف او تنزيل المجهول منزلة المعلوم او تسمية له باسمه او على تقدير مضاف نحو نائبه والله تعالى اعلم (وقد ذكر غير واحد من المصنفين) كالبيهقى وابن ماكولا فى اكماله (عن عمر بن الخطاب انه قال بينا نحن جلوس) يروى انا جالس (مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرد عليه) اى السلام (وقال نغمة الجن) بفتح النون اى هذه حركته وصوته وفى نسخة نغمة جنى (من انت) اى منهم (قال انا هامة) بتخفيف الميم وفى بعض الروايات الهام (ابن الهيم) بكسر فسكون تحتية وفى نسخة صحيحة بفتح هاء وكسر تحتية مشددة او مخففة (ابن لاقس) بكسر القاف او لاقيس بزيادة تحتية (ابن ابليس) كان اسمه عزازيل قال التلمسانى وهو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقد ذكره البغوى فى تفسيره عن مجاهد قال من ذرية ابليس لاقيس بالياء (فذكر انه لقى نوحا ومن بعده) اى من الانبياء وغيرهم (فى حديث طويل) قال بعضهم انه موضوع كما ذكره الحلبى (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علمه سورا من القرءآن) قال الحلبى وفى الميزان فى حديثه المذكور انه عليه السلام علمه المرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والمعوذتين وقل هو الله احد الحديث بطوله ذكر الانطاكى وغيره انه قال بينا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فى بعض جبال مكة او عرفات اذ اقبل شيخ اعرج بيده عصا يتوكأ عليها فقال السلام عليك يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مشية الجن ونغمتهم قال نعم من اى الجن انت قال انا الهام بن الهيم بن لاقيس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم كم اتى عليك قال انا كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاما اطوف فى الآكام وافسد اطايب الطعام وامنع من الاستعصام وآمر بقطيعة الارحام فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بئس صفة الشاب المؤمل والشيخ المرجو قال مهلا يا محمد دعنى عنك من اللوم انما جئتك تائبا وكانت توبتى فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وعلى يديه ولقد كنت معه فى السفينة وعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فاهلكهم الله بالريح العقيم فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع صالح فى مسجده حين دعا على قومه فاخذتهم الصيحة فعاتبته فى دعائه على قومه حتى بكى وابكانى وقال والله اصبحت من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ولقد كنت مع ابراهيم يوم قذف فى النار واسعى بين منجنيقه واطفاء نيرانهم حتى جعلها الله عليه بردا وسلاما وان موسى بن عمران اوصانى ان بقيت الى ان يبعث عيسى ابن مريم ان اقرئه منه

السلام فلقيت عيسى فاقرأته السلام وقال لى عيسى ابن مريم ان بقيت الى ان تلقى محمدا فاقرئه منى السلام فجئت اقرأ عليك السلام فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على عيسى السلام ما دامت السموات والارض وعليك يا هام فانك قد اديت الامانة فما حاجتك قال ان موسى علمنى التوراة وعيسى علمنى الانجيل واحب ان تعلمنى شيأ من القرءآن فاقرأه فى صلاتى فعلمه عشر سور من القرءان فلم ير بعد انتهى لكن قال ابن نصر هذا الحديث موضوع وقاله ابن الجوزى ايضا وقال العقيلى لا اصل له والله تعالى اعلم (وذكر الواقدى) وكذا روى النسائى والبيهقى عن ابى الطفيل (قتل خالد) اى ابن الوليد (عند هدمه العزى) تأنيث الاعز سمرة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتا (للسوداء التى خرجت له) اى لخالد من الشجرة بعد قطعها (ناشرة) اى مفرقة (شعرها عريانة) اى واضعة يدها على رأسها داعية باويلها (فجزلها) بجيم وزاى مخففة وتشدد للمبالغة اى قطعها نصفين (بسيفه) وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك انى رأيت الله قد اهانك وروى فجدلها بتشديد الدال اى فصرعها وفى رواية فخزلها بالخاء المعجمة والزاى المخففة اى فقطعها (واعلم) اى خالد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى له كما فى نسخة (تلك العزى) زيد فى رواية لن تعبد ابدا وفى رواية تلك شيطانة (وقال عليه السلام) كما فى الصحيحين عن ابى هريرة (ان شيطانا) من شطن اذا بعد لبعده عن الخير او من شاط اذا هلك لاهلاكه فى الشر (تفلت) بتشديد اللام اى تخلص بغتة (البارحة) اى فى الليلة الماضية (ليقطع على صلاتى) والمعنى تعرض لى بغتة ليغلبنى فى اداء صلاتى غفلة (فامكننى الله منه) اى اقدرنى الله عليه (فاخذته فاردت ان اربطه) بكسر الموحدة وتضم (الى سارية من سوارى المسجد) اى منضما الى اسطوانة من اسطوانات مسجد المدينة (حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخى سليمان رب اغفر لى) اى ما صدر عنى فى امر دينى وهو بدل من دعوة اخى (وهب لى) اى من الدنيا (ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى) اى لا يتسهل لغيرى فى حياتى او بعد مماتى مبالغة فى زيادة خارقة للعادة (فرده الله خاسئا) اى خائبا وهذا صريح فى ان هذا الشيطان احد الجن الموثقة بالقيود لدلالة تفلت عليه ولاشارة التنكير اليه فلا وجه لقول الحلبى هذا الشيطان يحتمل ان يكون ابليس وانه جاء ليلقى فى وجهه عليه السلام شهابا من نار فاخذه ويحتمل ان يكون غيره والذى ظهر لى انهما قصة واحدة انتهى كلامه وقال القاضى يفهم منه ان مثل هذا مما اختص به سليمان عليه السلام دون غيره من الانبياء واستجيبت دعوته فى ذلك ولذلك امتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اخذه اما تواضعا او تأدبا او تسليما لدعوة سليمان عليه السلام قلت والتسليم اولى واسلم واما ما نقل عن الحجاج انه قال لقد كان حسودا فصريح فى كفره وقال ابن عطية وهذا من فسقه وقال ابن عرفة كان بعضهم يقول هذا من جهله والله سبحانه وتعالى اعلم بحاله وما له (وهذا باب واسع) اى لا يمكن استقصاؤه ولا يتصور استيعابه

(فصل)

(ومن دلائل نبوته) اى دلالات بعثته من اول حالته (وعلامات رسالته) وبخط القاضى وعلامة رسالته (ما ترادفت به الاخبار) اى تتابعت وتواترت الآثار (عن الرهبان والاحبار) اى من زهاد النصارى وعبادهم وعلماء اليهود وقوادهم كخبر الراهب بحيرا وكان فى زمنه اعلم النصارى وقد سافر به عمه ابو طالب فى اشياخ من قريش الى الشام فوافوا ابصرى من ديار الشام فنزل من صومعته وكان قبل ذلك لا ينزل لمن نزل به الحديث وقد تقدم وكخبر حبر بنى عبد الاشهل من اليهود اذ اتى نادى قومه فذكر البعث والحساب والميزان والجنة والنار وذلك قبل مبعثه عليه السلام فقالوا ويحك هذا كائن وان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار ويجزون باعمالهم قال نعم ولوددت ان حظى من تلك النار ان توقدوا اعظم تنور ثم تقذفونى فيه وتطبقوه على وانى انجو به من النار غدا فقيل له ما علامة ذلك قال نبى يبعثه الله من هذه البلاد واشار بيده الى مكة قالوا متى فرمى بطرفه الى اصغر القوم فقال ان يعش هذا يدركه فلما بعث آمنا به وصدقناه وكفر هو به فقلنا له ألست الذى قلت ما قلت واخبرتنا فقال ليس به (وعلماء اهل الكتب) اى من غيرهم وفى نسخة الكتاب على قصد الجنس وفى اصل الدلجى وعلماء اهل الزمان فهو من باب عطف العام على الخاص (من صفته وصفة امته) كخبر عبد الله بن سلام قال فى التوراة صفة محمد عليه الصلاة والسلام وعيسى ابن مريم يدفن معه وخبر كعب الاحبار قال نجد فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار الى ان قال مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحامدون يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء الحديث وقد سبق (واسمه) اى محمد فى التوراة واحمد فى الانجيل وقال وهب بن منبه فى الزبور يا داود سيأتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا لا اغضب عليه ابدا ولا يعصينى ابدا وقد غفرت له قبل ان يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة واعطيتهم من النوافل مثل ما اعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الانبياء والرسل

حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء (وعلاماته) اى كما فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والنعلين والهراوة ونحو ذلك (وذكر الخاتم الذى بين كتفيه) كما هو فى كتب اهل الكتاب وقد بينت فى شرح الشمائل هذا الباب (وما وجد فى ذلك من اشعار الموحدين) وفى اصل الدلجى وما وجد من ذلك فى اشعار الموحدين اى القائلين بالوحدة الالهية (المتقدمين) اى فى زمن الجاهلية (من شعر تبع) بضم التاء وتشديد الموحدة احد ملوك اليمن وشعره هذا بعد منصرفه من المدينة وكان قد نازل اهلها الاوس والخزرج واليهود فكانوا يقاتلونه نهارا ويضيفونه ليلا واستمر ثلاث ليال فاستحيى فارسل ليصالحهم فخرج اليه من الاوس احيحة بن الجلاح ومن يهود بنيامين القرظى فقال له احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين ايها الملك هذه بلدة لا تقدر ان تدخلها قال ولم قال لانها منزل نبى يبعثه الله من قريش فانشده شعرا منه

الفى الى نصيحة كى ازدجر * عن قرية محجورة بمحمد

قال التلمسانى وهو ابو كريب الذى كسا البيت ولم يسبقه اليه احد ومن شعره المتواتر عنه قوله

شهدت على احمد انه * رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

فى ابيات كتبها واودعها الى اهله فكانوا يتوارثونها كابرا عن كابر الى ان هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فادوها اليه ويقال كان الكتاب والابيات عند ابى ايوب الانصارى رضى الله تعالى عنه (والاوس بن حارثة) والحارثة بحاء مهملة ابن لام الطائى وهو ممن يوحد الله تعالى من اهل الفترة (وكعب بن لؤى) بضم لام فقتح همزة وتبدل وتشديد تحتية وهو سابع اجداده عليه الصلاة والسلام واما ما فى نسخة لؤى بن كعب فخطأ (وسفيان بن مجاشع) اى واشعارهم فيه صلى الله تعالى عليه وسلم لكنها غير مشهورة (وقس بن ساعدة) بضم القاف وتشديد السين اسقف نجران وكان من حكماء العرب ومن شعره

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث

لم يخلنا منه سدى * من بعد عيش واكترث

ارسل فينا احمدا * خير نبى قد بعث

صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

وقد رأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعكاظ وغيره ومن ثم عده ابن شاهين وغيره فى الصحابة (وما ذكر) عطف على ما وجد اى وما نقل (عن سيف بن ذى يزن) بفتح الياء والزاى مصروفا وغير مصروف وهو من ملوك حمير ومن كان شريفا من اهل اليمن يقال له ذو يزن وقد ذكره الذهبى فى الصحابة وقال ما لفظه سيف بن ذى يزن اهدى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حلة وهو مشهور وانتهى وقال الدلجى خبره انه قال لجده عبد المطلب بن هاشم وقد وفد عليه ومن معه من قومه ليهنوه بنصرته على الحبشة انى مفض اليك من سر علمى ما لو غيرك لم ابح به اذ قد رأيتك معدنه فاكتمه حتى يأذن الله فيه انى اجد فى علمنا الذى ادخرناه لانفسنا وحجبناه عن غيرنا خبرا عظيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة قال فما هو قال اذا ولد بتهامه غلام بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم به الزعامه الى يوم القيامه فقال ايها الملك لقد اتيت بخبر ما آب به وافد ثم قال ايها الملك ابن لى ما ازداد به سرورا قال سيف هذا حينه الذى يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وقد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن العرض ويفتح بهم كرائم اهل الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال ايها الملك قد اوضحت بعض الايضاح قال سيف والله انك لجده فهل احسست بشئ مما ذكرت لك قال نعم انه كان لى ابن كنت به معجبا وعليه شفيقا وانى زوجته كريمة من كرائم قومى آمنة بنت وهب فجاءت بغلام سميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه قال له سيف فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله تعالى لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك عمن معك فلست آمن عليك ان يحسد ولك اوانا وهم ولولا انى اعلم انى اموت قبل مبعثه لجعلت يثرب دار ملكى فانها مهاجره واهلها انصاره وبها قبره ولولا خوفى عليه لاعلنت على حداثة سنه امره ولاوطأت على انوف العرب كعبه وقد صرفت ذلك اليك من غير تقصير منى معك واذا حال الحول فاتنى بخبره وما يكون من امره فمات سيف قبل الحول وقد ذكره الذهبى فى الصحابة مع ايمانه به فى حياته ولم يره فالحق انه مخضرم والله تعالى اعلم (وغيرهم) اى كالراهب الذى قال لسلمان الفارسى اذ قال له بمن توصينى اكون عنده بعدك اعبد الله اى بنى والله ما اعلم احدا

على

على ما كنا عليه اوصيك ان تكون عنده ولكن قد اظلك زمان نبى يبعث من الحرم مهاجره بين حرتين فى ارض سبخة ذات نخل فيه علامات لا تخفى بين كتفيه خاتم النبوة يأكل الهدية دون الصدقة فان استطعت ان تخلص اليه فافعل (وما عرف) بتشديد الراء على بناء الفاعل لا المفعول كما وهم الدلجى اى وما اعلم (به من امره) اى بعضه (زيد ابن عمرو بن نفيل) بالتصغير قال الحلبى زيد هذا والد سعيد احد العشرة وهو ابن عم عمر بن الخطاب وكان زيد يتعبد فى المقبرة قبل النبوة على دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويتطلب احكامه الكرام ويوحد الله ويعيب على قريش ذبائحهم على الانصاب ولا يأكل مما ذبح على النصب وكان اذا دخل الكعبة قال لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم جاء ذكره فى احاديث وتوفى قبل النبوة فرثاه ورقة بن نوفل بابيات معناها انه خلص نفسه من جهنم بتوحيده واجتنابه عبدة الاوثان وفى صحيح البخارى فى كتاب المناقب ذكره وبعض مناقبه قال الدلجى ذكر زيد عن راهب بالجزيرة اذ قال له وقد سأله عن دين ابراهيم عليه السلام ان كل من رأيت يعنى من الاحبار والرهبان فى ضلال انك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته وقد خرج فى ارضك نبى او هو خارج يدعو اليه ارجع اليه فصدقه واتبعه فلقيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث يتلدح فقال له اى عم ما لى ارى قومك قد انفوك قال اما والله ان ذلك لغير نائرة منى اليهم ولكنى اراهم على ضلالة فخرجت ابتغى هذا الدين ثم اخبره بما عرف به راهب الجزيرة من امره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال فرجعت فلم اخبر شيأ بعد فقدم صلى الله تعالى عليه وسلم له سفرة فيها لحم فقال انا لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه ثم مات قبل ان يبعث فقال صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث يوم القيامة امة وحده كما رواه النسائى هذا وعده ابن منده له ولغيره ممن رأه عليه السلام واجتمع به قبل البعثة من الصحابة الكرام توسع فى الكلام اذ لم يجتمع به صلى الله تعالى عليه وسلم بعدها مؤمنا (وورقة بن نوفل) اى وما عرف به من امره ورقة بن نوفل بن اسد عن رهبان كثيرين وقد اخبرته خديجة بنت خويلد بن اسد بما اخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبى هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه كان يستبطئ الامر حتى قال شعرا

تبكر ام انت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح

لفرقة قوم لا احب فراقهم * كانك عنهم بعد يومين نازح

فاخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح

فذاك الذى وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح

الى سوق بصرى والركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح

يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق ابواب لهن مفاتح

بان ابن عبد الله احمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح

وظنى به ان سوف يبعث صادقا * كما بعث العبدان هود وصالح

وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ويبدو من الذكر واضح

ويتبعه حيا لؤى جماعة * شبابهمو والاشيبون الجحاجح

فان ابق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح

والا فانى يا خديجة فاعلمى * عن ارضك فى الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكر بعضهم بانه صحابى بل هو اول الصحابة من انه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم اتاه بعد مجئ جبريل اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذى خلق عليه وبعد قول ورقة له ابشر فانا اشهد انك الذى بشر به ابن مريم وانك على ناموس عيسى وانك نبى مرسل وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأه فى الجنة وعليه ثياب خضر وفى مستدرك الحاكم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى الجنة وعليه جبة او جبتان واما ما نقله الذهبى عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة قبل الرسالة فواهى جدا ويرده ما فى صحيح البخارى عنه صريحا (وعثكلان) بفتح العين والكاف وتضمان واقتصر عليه بعضهم (الحميرى) بكسر الحاء وفتح الياء نسبة الى حمير ابى قبيلة من اليمن ومنهم كانت الملوك فى الدهر الاول اى وما عرف به من امره من الرهبان الكنى لم ار من ذكره فى معرض البيان (وعلماء اليهود) وفى نسخة وعلماء يهود اى من كتبهم او من اخبارهم عن احبارهم كقول عالم منهم كان بمكة يتجر فى نادى من قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال الله اكبر اما اذا اخطأكم خبره فانظروا واحفظوا ما اقول لكم

ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كانهن عرف فرس فتفرقوا متعجبين من قوله فسأل كل اهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فاخبروا اليهودي به فقال اذهبوا تنظره فدخلوا به على امه فرأى العلامة فخر مغشيا عليه ثم افاق فقالوا ويلك مادهاك فقال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به معشر قريش ليسطون بكم سطوة يطير خبرها في المشرق والمغرب (وشامول) بشين معجمة ثم ميم وفي آخره لام لا كاف كما في اصل الدلجي (عالمهم صاحب تبع) وهو الذي مر بالمدينة ومعه رهبان فقالوا له ان هذه مهاجر نبي آخر الزمان وانا لن نبرح منها لعلنا ندركه او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها او توالدوا بها فيقال الانصار من ذريتهم (من صفته وخبره) بيان لما عرف به زيد ومن ذكر من بعده (وما الفي) بضم همزة فكسر فاء واما القاف كما في نسخة فهو تصحيف والمعنى ما وجد (من ذلك) اي مما دل على ما ذكر من صفته وخبره (في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء) اي علماء هذه الامة (وبينوه) ففي التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم عليه السلام ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخشوع وقال لموسى عليه السلام اني مقيم لهم نبيا من بني اخوتهم مثلك واجري قولي في فيه يقول لهم ما آمرهم والرجل الذي لا يقبل قول النبي الذي يتكلم باسمي فانا انتقم منه وفي الانجيل قال عيسى عليه السلام اني اطلب الى ربي فارقليطا يكون معكم الى الابد وفيه على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي اي بالنبوة هو الذي يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد اخبرتكم به قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفارقليط معناه كاشف الخفيات وفيه اقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط وان انطلقت ارسلت به اليكم فاذا جاء يفند العالم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر اذن روح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه (ونقله عنهما) اي عن التوراة والانجيل وفي اصل الدلجي عنهم فان صح نسخة فالضمير الى العلماء لكنه لا يلائم قوله (ثقات ممن اسلم) وفي نسخة ثقات من اسلم بالاضافة (منهم) اي من علماء اليهود والنصارى (مثل ابن سلام) هو الحبر عبد الله بن سلام من علماء اليهود واخباره شهيرة كثيرة (وابني سعية) بفتح فسكون فتحتية او فنون والمعروف انهما اثنان كما في بعض النسخ وبني سعية من غير الف لعله سهو او محمول على ان اقل الجمع اثنان واما قول الحلبي فيحتمل ان القاضي رأى معهما اسد بن عبيد فظنه اخاهما فهو من الظن السوء به نعم قوله ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة ظن حسن وتوجيه مستحسن هذا وفي دلائل النبوة للبيهقي وسيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحق قال اسيد او ثعلبة ابني سعية واسيد بن عبيد نفر من هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير يعني نسبهم فوق ذلك وهم بنو اعم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا قدم علينا قبل البعثة بسنتين حبر من يهود الشام يقال له ابن الهيبان فاقام عندنا فكنا نستسقي به فحضرته الوفاة فجئناه فقال يا معشر يهود ما ترونه اخرجني من الرخاء الى ارض البؤس قالوا انت اعلم قال انما خرجت اتوقع مبعث نبي قد اظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه احد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال اولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا احداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا فاسلموا واحرزوا اموالهم واولادهم واهليهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وبنيامين) سمي اخي يوسف (ومخيريق) بالتصغير وخاؤه معجمة قال السهيلي انه اسلم واوصى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف اوصى بسبعة حوائط قال الحلبي قاتل يوم احد حتى قتل وقال الواقدي كان حبرا عالما فآمن بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من بني النضير انتهى وقد صرح غير واحد من الحفاظ بانه اسلم (وكعب) اي كعب الاحبار (واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود) اي ولو بعد موته عليه الصلاة والسلام مثل كعب فانه تابعي مخضرم ولم ير النبي عليه الصلاة والسلام وانما اسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (وبحيرا) بفتح باء وكسر حاء فراء ممدودا او مقصورا ممن شهد له بالرسالة قبل دعوى النبوة فهو من الصحابة ان لم يشترط الاجتماع بعد البعثة (ونسطور) بفتح النون وسكون السين وفي نسخة نصطور وفي نسخة بنون في آخره بدل الراء (الحبشة) قيده بهم احترازا من نسطور الشام وهو الذي جرى له ما جرى مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في متجره لخديجة في رحلته الثانية الى الشام (وضغاطر) بفتح اوله وكسر الطاء وهو الاسقف الرومي اسلم على يد دحية الكلبي وقت الرسالة فقتلوه فهو تابعي مخضرم وذكره الذهبي في تجريد الصحابة (وصاحب بصرى) بضم موحدة وسكون مهملة مقصورا والمراد به عظيم بصرى كما في البخاري (واسقف الشام) بضم همزة وقاف وتشديد فاء ولعله نسطوره المحترز عنه فيما تقدم (والجارود) اي ابن

العلاء وفد في قومه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن اكرمك لا اثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله ثم آمن قومه (وسلمان) اي الفارسي (والنجاشي) وهو اصحمة (ونصارى الحبشة واساقف نجران) بفتح الهمزة وكسر القاف وتخفيف الفاء جمع اسقف اي علمائهم ورؤسائهم ونجران بفتح نون وسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر كذا في القاموس وقال الذهبي في تجريد الصحابة ما لفظه اسقف نجران قال ابو موسى لا ادري اسلم ام لا ولم يذكره غيره نقله الحلبي (وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك) اي بصحة نبوته وعموم رسالته (هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وفي نسخة بسكون الراء وفتح القاف وفي اخرى بفتح الهاء والقاف (وصاحب رومة) كذا في اكثر النسخ وقال الحلبي صوابه رومية بتخفيف الياء كما في الصحيح وهي مدينة رياسة الروم وعلمهم (عالما النصارى ورئيساهم) كما في البخاري ثم هرقل كتب الى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى جاءه كتاب من صاحبه يوافقه على خروج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه نبي ويروى النصرانية ورئيساها (ومقوقس) بضم الميم وكسر القاف الثانية (صاحب مصر) اي ملك القبط قال الذهبي في تجريد الصحابة المقوقس صاحب الاسكندرية اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مدخل له في الصحابة ذكره ابن منده وابو نعيم وما زال نصرانيا ومنه اخذت مصر واسمه جريج انتهى وسماه الدارقطني جريج بن مينا انتهى واثبته ابو عمر في الصحابة ثم امر بان يضرب عليه وقال يغلب على الظن انه لم يسلم وكانت شبهته في اثباته في الصحابة رواية رواها ابن اسحق عن الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة قال اخبرني المقوقس انه اهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدحا من قوارير وكان يشرب فيه قال الحلبي فائدة انهم شخص آخر معدود في الصحابة يقال له المقوقس في معجم ابن قانع قال الذهبي اعله الاول (والشيخ صاحبه) وهذا لا يعرف اسمه (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء ممدودا ومقصورا قال الحلبي اسمه عبد الله ذكر السهيلي عن النقاش انه اسلم وقال الدلجي اسلم ثم ارتد الى دينه والله تعالى اعلم (وابن اخطب) هو حيي ابو صفية ام المؤمنين (واخوه) هو ابو ياسر بن اخطب قتلا كافرين صبرا مع اسرى بني قريظة (وكعب ابن اسد) صاحب عقد بني قريظة وعهدهم موادعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم نقض العهد فقاتلهم النبي عليه السلام فغلبهم فقتل مقاتلتهم وسبى ذريتهم فقتلوا صبرا ومعهم كعب بن اسد وكانوا ستمائة او سبعمائة او ثمانمائة او تسعمائة (والزبير) بفتح الزاي وكسر الباء (ابن باطيا) بكسر الطاء قال الدلجي وفي نسخة باطا بلا تحتية وقال الحلبي وفي غير هذا المؤلف باطا بلا مد ولا همزة وهو والد الزبير والد عبد الرحمن بن الزبير الذي تزوج امرأة رفاعة القرظي الحديث كما في البخاري وقال ابن منده وابو نعيم هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد بن امية الاوسي (وغيرهم) اي وقد اعترف بثبوت نبوته وحقية رسالته هؤلاء وغيرهم (من علماء اليهود ممن حمله الحسد) وهو ارادة زوال نعمة الغير (والنفاسة) بفتح النون من نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم تره يستاهله انفة (على البقاء) اي بقائه على الكفر في الدنيا (والشقاء) اي تعبه بالعذاب في العقبى وفي نسخة الشقاوة وفي اصل الدلجي وبعض النسخ على البقاء على الشقاء اي المداومة على الشقاوة (والاخبار في هذا) اي فيما ذكر من دلالات نبوته وعلامات رسالته (كثيرة لا تنحصر) اي بحيث لا تحصى ولا تستقصى (وقد قرع) بفتح القاف وتشديد الراء اي ضرب عليه السلام بشدة وابلغ بحدة (اسماع يهود) وفي نسخة اليهود (والنصارى بما ذكر) اي اخبر النبي عليه الصلاة والسلام (انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه) كقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية وفي الانجيل ايضا جد في امري واسمع واطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل الى آخر ما تقدم وفي التوراة ايضا قال موسى رب اني اجد في التوراة امة خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اني اجد فيها امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال اجد امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن في كتبهم نظرا ولا يحفظونها فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد الحديث وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى احمد ومحمدا صادقا سيدا امته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وامرتهم بالغسل من الجنابة كما امرت الانبياء وامرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وامته على الامم كلها اعطيتهم ستا لم اعطها غيرهم لا اواخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به انفسهم عجلته لهم اضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي اضعاف مضاعفة واعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة

والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعونى استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا او اصرف عنهم سوأ او ادخره لهم فى الآخرة (واحتج) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم) حيث انكروا نعته ونعت امته (بما انطوت) اى اشتملت (عليه من ذلك) اى النوع (صحفهم) اى كتبهم (وذمهم) اى النبى عليه السلام (بتحريف ذلك) اى بتغيير مبناه او تغيير معناه (وكتمانه) اى بعدم تبيانه (وليهم السنتهم) اى فتلها وصرفها (ببيان امره) اى وتبيان ذكره (ودعوتهم) بالتاء وفى نسخة ودعواهم (المباهلة) بالنصب على نزع الخافض والمعنى وقرع اسماع نصارى نجران بما امره ربه به من دعواهم الى المباهلة اى الملاعنة الكاملة (على الكاذب) اى فى المعاملة فابوا حذرا من العقوبة وبذلوا له الجزية كما مرت القصة (فمنهم) اى من اليهود والنصارى (الامن فر) اى هرب وفى نسخة صحيحة نفر اى اعرض (عن معارضته وابدآء) بكسر الهمزتين والمد وفى نسخة وابدى بصيغة الماضى اى اظهر (ماالزمهم من كتبهم اظهاره) كآية الرجم وغيره (ولو وجدوا) اى فى كتبهم (خلاف قوله لكان اظهاره) اى المسارعة اليه فى مقام الجدال (اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال) اى طرح المقاتلة بين الرجال (وقد قال لهم) اى لليهود حين قالوا عند ما قرع سمعهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الاية لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فرد الله عليهم بقوله تعالى (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فبهتوا ولن يقدروا ان يأتوا فثبت انها لم تحرم الا عليهم بظلمهم وبغيهم وهو امر له بمحاجتهم ومدافعتهم بما فى كتابهم تبكيتا وتوبيخا لهم (الى ما انذر به) اى مع ما اعلم بظهوره ووجود نوره (الكهان) اوبما خوفوه من حلول البأس والنقم بمن خالف وما اسلم (مثل شافع بن كليب) بالتصغير وفى نسخة بسين مهملة وهو من كهان العرب الا انه غير معروف النسب (وشق) بكسر اوله وتشديد ثانيه من كهانهم لم يكن له سوى عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فكانه شق انسان (وسطيح) بفتح فكسر كاهن بنى ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن فى بدنه عظم سوى رأسه بل جسد ملقى لا جوارح له لا يقدر على جلوس اذا غضب انتفخ فجلس وزعم الكلبى انه عاش ثلاثمائة سنة وانه خرج مع الازد ايام سيل العرم ومات فى ايام شيرويه بن هرمز والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهو الذى اول رؤيا الموبذان ان ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها بما حاصله ان ملكه يزول بظهور النبى عليه الصلاة والسلام وقد فتح بلاده فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه على يد الصحابة الكرام (وسواد بن قارب) بكسر الراء ازدى كان كاهنهم فى الجاهلية اخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان رئيه اخبره ان الله يبعث نبيا فانهض اليه على ما سيأتى مفصلا (وخنافر) بضم الخاء المعجمة وكسر الفاء كاهن بنى حمير اسلم على يد معاذ ولم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فهو تابعى مخضرم (وافعى نجران) بفتح همزة وسكون فاء فعين مهملة مقصورا كاهنهم فى الجاهلية وهذا هو الظاهر المتبادر من السباق واللحاق وقال الحلبى ما ادرى ما اراد القاضى احية ام شخص اسمه افعى (وجذل بن جذل) بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة فيهما (الكندى) بكسر الكاف قبيلة وهو كاهنهم فيها (وابن خلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (الدوسى) بفتح الدال (وسعدى) بضم السين وفتح الدال مقصورا (بنت كريز) بالتصغير وفى آخره زاى وفى نسخة صحيحة سعدا بن بنت كريز وفى اصل الدلجى سعد بن كرز (وفاطمة بنت النعمان) ويروى نعمان وهو بضم النون الاولى ولم تعرف لهم ترجمة (ومن لا يعد كثرة) اى ممن اخبر بظهوره وطلوع نوره (الى) اى مع (ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته) اى من بيان حصول نبوته (وحلول وقت رسالته) كقول باجر صنم مازن الطائى وهو مازن السادن وقد عتر له عتيرة يا مازن انهض واقبل * تسمع كلاما تجهل * هذا نبى مرسل * جاء بحق منزل * آمن به كى تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل * فقلت هذا والله لعجب ثم عترت له بعد ايام اخرى قال يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * وهو نبى من مضر * بدين الله الكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر سقر * قلت هذا والله لعجب وخير يراد وقدم علينا رجل من الحجاز فقلنا ما وراءك فقال ظهر رجل من تهامة يقول اجيبوا داعى الله اسمه احمد فقلت هذا والله نبأ ما سمعت منه فكسرته ورحلت اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فشرح لى الاسلام فاسلمت وكقول صنم عمرو بن جبلة يا عصام يا عصام جاء الاسلام وذهب الاصنام وقول صنم طارق من بنى هند بن حرام يا طارق يا طارق بعث النبى الصادق (وسمع) بصيغة المجهول اى وما سمع (من هواتف الجن) كذا فى اصل الدلجى وفى النسخ الجان وهو غير ظاهر فانه ابو الجن ولعله لغة والهاتف هو الصائح بالشئ الداعى اليه كسماع ذباب بن الحارث هاتفا منهم يا ذباب يا ذباب اسمع العجب العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو بمكة فلا يجاب وكسماع ابن مرة الغطفانى جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وكسماع خالد بن بطيح جاء الحق القائم والخير الدائم وكسماع سواد بن

قارب من رئيه وهو نائم ليلا قم فافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث نبى من لؤى بن غالب ثم قال شعر

عجبت للجن واجناسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنوا الجن كارجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

ثم نبهنى وافزعنى وقال يا سواد ان الله بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد ثم نبهنى فى الليلة الثانية وقال

عجبت للجن وطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس قداماها كاذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى نابها

ثم نبهنى فى الثالثة وقال

عجبت للجن واخبارها * وشدها العيس باكوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ليس ذووا الشر كاخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم * ما مؤمنوا الجن ككفارها

فوقع فى قلبى حب الاسلام فاتيته عليه الصلاة والسلام بالمدينة فلما رآنى قال مرحبا بك يا سواد قد علمنا ما جاء بك فقلت له قد قلت شعرا فاسمعه منى ثم انى انشدت

اتانى رئيى ليلة بعد هجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * اتاك نبى من لؤى بن غالب
فشمرت عن ساقى الازار ووسطت * بى الذعلب الوجناء عقد السباسب
فاشهد ان الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين شفاعة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
فكن لى شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال افلحت يا سواد (ومن ذبائح النصب) جمع نصيب بمعنى منصوب للعبادة اى وما سمع منها كسماع عمر رضى الله تعالى عنه من عجل رأى رجلا يذبحه لنصب يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله (واجواف الصور) اى وما سمع من اجوافها كما مر عن مازن السادن وغيره (وما وجد من اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور) مفعول ثان لوجد او حال من ضميره (بالخط القديم ما) اى الذى (اكثره مشهور) اى كما هو فى كتب السير وغيرها مسطور (واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور) اى فى كتب العلماء الاخيار بنقل الثقة فى الاخبار

(فصل)

(ومن ذلك) اى مما يدل على نبوته ورسالته (ما ظهر من الآيات) اى خوارق العادات (عند مولده) اى قرب ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم (وما حكته امه) اى آمنة بنت وهب انها اتيت فقيل لها قد حملت بسيد هذه الامة فاذا خرج فقولى اعيذه بالواحد من شر كل حاسد (ومن حضره) اى وما حكاه من حضر مولده (من العجائب) اى مما يأتى قريبا (وكونه) بالرفع اى وجوده (رافعا رأسه) اى للدعاء (عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء) كما رواه البيهقى عن الزهرى مرسلا (وما رأته) اى امه (من النور الذى خرج معه عند ولادته) حتى رؤيت منه قصور بصرى كما رواه احمد والبيهقى عن العرباض وابى امامة (وما رأته اذ ذاك) اى وقت ولادته (ام عثمان ابن ابى العاص) اى الثقفى (من تدلى النجوم) اى نزولها ودنوها منه تبركا بحضرته (وظهور النور) اى الذى سطع منه باشعته (عند ولادته حتى ما تنظر) اى ام عثمان (الا النور) وفى رواية الا النور كما رواه البيهقى والطبرانى عن ابنها عنها (وقول الشفاء) بكسر اوله ممدودا ومقصورا والاول هو المفهوم من القاموس حيث قال الشفاء الدواء وسموا شفاء وقد صرح بالمد ايضا فى اسماء الاسانيد وقال الحلبى الشفا بكسر الشين المعجمة وبالفاء مقصور فيما اعلمه انتهى والتحقيق ان الشفاء مصدر فى الاصل ثم نقلته العرب علما للمؤنث واما قول الدلجى بمعجمة مفتوحة ففاء مشددة فالظاهر انه تصحيف وتحريف (ام عبد الرحمن بن عوف) قال الذهبى وهى بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرات (لما سقط عليه الصلاة والسلام على يدى) بالتثنية وفى نسخة بالافراد على ارادة الجنس (واستهل) بتشديد اللام اى رفع صوته بلا عطس

وقال الحمد لله بدليل قولها (سمعت قائلا يقول رحمك الله) وقال الحلبي اى صاح وقال الدلجى عطس لا صاح من غير
ان يذكر الحمد لله فالجمع اولى كما لا يخفى والمناسب لعلو شانه وظهور برهانه ان لا يكون اول كلامه عبثا فى مرامه
بل يكون ذكرا ملائما لمقامه على طبق ما ورد عن آدم عليه السلام من انه عطس عند وصول روحه الى بعض اعضائه
الكرام (واضاء لى ما بين المشرق والمغرب) اى مما يتنور بنوره من معمورة العالم وتحقيق هذا المبحث قد تقدم
ويشير اليه قولها (حتى نظرت الى قصور الروم) اى بارض الشام رواه ابو نعيم فى الدلائل عن ابنها عبد الرحمن بن عوف
عنها (ومما تعرفت به حليمة) اى السعدية (وزوجها) المسمى بالحارث وذكر ابن اسحق بسنده انه اسلم (ظئراه) بكسر
اوله وسكون همزة تثنية الظئر وهى المرضعة وقد يطلق على ابى الرضاعة ايضا كما هنا وقد يقال انه للتغليب
(من بركته ودرور لبنها) اى نزوله بكثرة (له) اى لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم ولولدها رضيعه بعد ان لم يكن لها لبن
يغنيه (ولبن شارفها) بكسر الراء اى درور لبن ناقتها المسنة (وخصب غنمها) بكسر الخاء المعجمة روى ابن اسحق وابن
حبان والطبرانى وابو يعلى والحاكم والبيهقى بسند جيد عن عبد الله بن جعفر عنها انها قالت اخذته وتركته المراضع
ليتمه فجئت به رحلى فاقبل عليه ثدياى فشرب حتى روى وشرب اخوه حتى روى وقام زوجى الى شارفنا فوجدها
حافلا فحلب ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال والله انى لاراك قد اخذت نسمة مباركة الم ترى ما بتنا به
الليلة من الخير والبركة قالت وكانت اتانى قمراء قد اذمت بالركب فلما رجعنا الى بلادنا سبقت حتى ما يتعلق بها حمار
فتقول صواحبى هذه اتانك التى خرجت عليها معنا فاقول والله انها لهى فقلن والله ان لها شانا فقدمنا ارض بنى
سعد به وما اعلم ارضا اجدب منها وان غنمى لتسرح ثم تروح شباعا لبنا فنحلبها وما حولنا ارض تبض لها شاة بقطرة لبن
وان اغنامهم لتسرح ثم تروح جياعا عافية ولون لرعيانهم اسرحوا مع غنم ابن ابى ذؤيب فيسرحون فتروح جياعا ما
فيها قطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فنحلبها فلم يزل الله يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه (وسرعة شبابه) اى
وما نعرف ظئراه من سرعة شبابه بالنسبة الى جنابه (وحسن نشأته) اى نمائه وبهائه فى كبر جثته قبل تكامل هيئته
قالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا فقدمنا به على امه ونحن اضن شئ به لما رأينا فيه من البركة بسببه ثم
قلنا لها دعينا نرجع به حذرا عليه من وباء مكة فاذن لنا بها حتى قالت نعم (وما جرى من العجائب) وهى ما عظم وقوعه
وخفى سببه (ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البيهقى وابن ابى الدنيا وابن السكن عن مخزوم بن شاهين
(من ارتجاج ايوان كسرى) اى اضطرابه جدا وتحركه شديدا مع احكام بنائه من غير خلل نشأ به والايوان بالكسر
الصفة العظيمة واصله اووان فأعل كديوان وسبق ان كسرى بكسر اوله ويفتح معرب خسرو لقب ملوك الفرس
كقيصر لقب ملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشى لملوك الحبشة (وسقوط شرفاته) بضم الشين المعجمة والراء وتفتح
وحكى سكونها جمع شرفة بضم فسكون وهو جمع قلة وضعت موضع كثرة لانهن اربع عشرة ولعل الحكمة فى عدولها
عن الكثرة الى القلة تحقير الها لخراب ما لها وهذا وقد ملك منهم ملوك بعددها عشرة فى اربع سنين واربعة الى خلافة
عثمان وفتح المسلمين (وغيض بحيرة طبرية) بفتحتين مدينة معروفة فى الشام بناحية الاردن ذات حصن بينها
وبين بيت المقدس نحو مرحلتين وهى من الارض المقدسة والبحيرة مصغرة مع انها عظيمة وغيضها انتقص ماءها هذا
والمعروف ان الغائضة هى بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس قال الحلبى اللهم الا ان يريد عند خروج يأجوج ومأجوج
فان اوائلهم يشرب ماءها ويجيء آخرهم فيقول لقد كان بها ماء انتهى وبعده عن السياق من السباق واللحاق لا يخفى
وفى نسخة صحيحة بدل طبرية ساوة والله تعالى اعلم (وخمود نار فارس) اى انطفائها وقت غيض بحيرتها فكانهما
طفئت بمائها (وكان لها الف عام لم تخمد) بفتح التاء وضم الميم وتفتح فانه ورد من باب نصر ينصر وباب علم يعلم (وانه)
اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه (كان اذا اكل مع عمه ابى طالب
وآله) اى واهل بيته (وهو صغير) جملة حالية معترضة (شبعوا) بكسر الباء (ورووا) بضم الواو (واذا) وفى نسخة فاذا
(غاب) اى عنهم (فاكلوا فى غيبته لم يشبعوا) بفتح الباء وزيد فى نسخة ولم يرووا بفتح الواو ولعل النسخة الاولى مبنية
على الاكتفاء او على تغليب شبع الطعام على رى الماء (وكان سائر ولد ابى طالب) بفتحتين وبضم فسكون اى بقية
اولاده او جميعهم (يصبحون) اى يدخلون فى الصباح (شعثا) بضم اوله جمع اشعث اى مغبرة شعورهم مغبرة
وجوههم متغيرة الوانهم بقرينة المقابلة بقوله (ويصبح صلى الله تعالى عليه وسلم صقيلا) اى صافى اللون (دهينا)
اى مدهون الشعر بريق الوجه (كحيلا) اى كانه مكحول العينين هذا واولاده عقيل وطالب وجعفر وعلى وام هانئ
وجمانة وام طالب فاسلموا كلهم الا طالبا مات كافرا ويقال ان الجن اختطفته ثم اعلم انه قال الحلبى استعمل القاضى
رحمه الله سائر بمعنى جميع والشيخ ابو عمرو بن الصلاح انكر كون سائر بمعنى جميع وقال ان ذلك مردود عند اهل اللغة

معدود فى غلط العامة واشباههم من الخاصة قال الزهرى فى تهذيبه اهل اللغة اتفقوا على ان سائر بمعنى الباقى
وقال الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص ومن اوهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يستعملون
سائر بمعنى الجميع وهو فى كلام العرب بمعنى الباقى واستدل بقصة غيلان لما اسلم على عشر نسوة وقال له صلى الله تعالى
عليه وسلم امسك اربعا وفارق سائرهن انتهى وقال ابن الصلاح ولا التفات الى قول صاحب الصحاح سائر الناس
جميعهم فانه ممن لا يقبل ما ينفرد به وقد حكم عليه بالغلط وهذا من وجهين احدهما تفسيره ذلك بالجميع وثانيهما
انه ذكره فى سير وحقه ان يذكر فى سار وقال النووى وهى لغة صحيحة ذكرها غير الجوهرى ولم ينفرد بها وافقه عليها
الجواليقى فى اول شرح ادب الكاتب الى آخر كلام النووى فى تهذيبه انتهى كلام الحلبى وتبعه الدلجى فى تفسيره
السائر بالجميع وقال صاحب القاموس السائر الباقى لا الجميع كما توهم جماعات اوقد يستعمل له فقد ضاف اعرابى
قوما فامروا الجارية بتطييبه فقال بطنى عطرى وسائرى ذرى انتهى ولا يخفى انه يحتمل كلام الاعرابى
ان يكون السائر بمعنى الباقى بل هو المتبادر على ما هو الظاهر والتحقيق ان السائر بمعنى الباقى حقيقة وبمعنى الجميع
مجازا وانه مأخوذ من السؤر مهموزا وهو البقية الملائمة لمعنى الباقى بخلاف السور معتلا وهو سور البلد المناسب
لمعنى الجميع وبهذا يرتفع الخلاف لمن ينظر بعين الانصاف ويظهر فساد ما فى كلام ابن الصلاح من المناقضة ونوع من
المعارضة (قالت ام ايمن) وهى بركة بنت محصن (حاضنته) اى مربيته ومرضعته ايضا على ما قيل وهى مولاة له
صلى الله تعالى عليه وسلم حبشية اعتقها ابو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلمت قديما وابنها ايمن بن عبيد الحبشى
ثم تزوجها زيد بن حارثة زارها ابو بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف فى زمن وفاتها (ما رأيته صلى الله تعالى عليه
وسلم اشتكى) اى بلسانه (جوعا ولا عطشا صغيرا) اى حال كونه صغيرا (ولا كبيرا) اذ كان ربه يطعمه ويسقيه بمعنى
يخلق قوتهما فيه وحديثها رواه ابن سعد وابو نعيم فى الدلائل (ومن ذلك حراسة السماء) بكسر الحاء اى حفظها من
بلوغ الجن اليها (بالشهب) اى بالنجوم رجوما لئلا يكون لهم هجوما (وقطع رصد الشياطين) اى ترصدهم وانتظارهم
ظهور شئ اليهم ونزول خبر عليهم (ومنعهم استراق السمع) اى بالكلية فانهم كانوا لا يسمعون الا القول الحق من ملائكة
السماء فيلقونه الى اوليائهم فيكذبون معه ما شاؤا من انبائهم فمنعوا منه بظهور نوره صلى الله تعالى عليه وسلم
فلما بعث اشتد الامر بهم وكثر الحرس عليهم كما قال تعالى حكاية عنهم وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا الايات (وما نشأ) بالهمزة اى ومن ذلك ما تربى (عليه) وجبل اليه (من بغض الاصنام) كما فى حديث البيهقى
عن زيد بن حارثة قال كان صنم يتمسح به المشركون اذا طافوا بالبيت فطفت به قبل البعثة فلما مررت بالصنم
تمسحت به فقيل لى لا تمسه ثم طفنا فقلت فى نفسى لامسنه حتى انظر ما يقول فمسحته فقال الم تنه قال زيد فو الذى
اكرمه بالذى اكرمه ما التمس صنما قط (والعفة) اى وما نشأ من النفرة (عن امور الجاهلية) اى معايبها (وما خصه
الله به من ذلك) اى من الاعمال الرضية والاحوال الزكية (وحماه) اى وحفظه قبل بعثته من الصفات الرديئة
والسمات الدنيئة (حتى فى ستره) بفتح السين اى تستره من التعرى وهو كشف العورة (فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة)
كما رواه الشيخان عن جابر والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنه (اذ) اى حين (اخذ ازاره) اى بامر عمه العباس
(ليجعله على عاتقه) وهو ما بين المنكب والعنق (ليحمل عليه الحجارة) اى ولم تظهر عليه الامارة (وتعرى) اى
وانكشفت عورته (فسقط الى الارض) اى مائلا اليها وطمحت عيناه الى السماء (حتى رد) اى بنفسه (ازاره
عليه فقال له عمه ما بالك) وفى نسخة ما لك اى ما حالك (فقال انى نهيت عن التعرى) وفى رواية وكنت وابن اخى
نحمل الحجارة على رقابنا وازرنا تحتها فاذا غشينا الناس اتزرنا فبينا انا امشى ومحمد امامى خر لوجهه وهو
ينظر الى السماء فقلت ما شأنك فاخذ ازاره وقال انى نهيت ان امشى عريانا قال فكنت اكتمها الناس مخافة ان يقولوا
مجنون (ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره) اى على ما مر فى حديث بحيرا الراهب كما رواه الترمذى والبيهقى
(وفى رواية) اى لابن سعد عن نفيسة بنت منبه (ان خديجة رضى الله تعالى عنها ونساءها رأينه لما) بتشديد الميم
اى حين (قدم وملكان يظلانه فذكرت) اى خديجة (ذلك) اى خبر الاظلال (لميسرة) اى غلامها قال الحلبى لا اعلم
له ذكرا فى الصحابة وكان توفى قبل النبوة والا فلو ادركها لاسلم انتهى وفيه بحث لا يخفى والله تعالى اعلم
(فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه فى سفره) اى من اول امره الى آخره (وقد روى ان حليمة رأت غمامة تظله
وهو عندها) كما رواه الواقدى وابن سعد وابن عساكر فى تاريخه عن ابن عباس (وروى ذلك) اى تظليل الغمامة له
(عن اخيه من الرضاعة) وفى رواية عن اخته بالفوقية وهى اصح كما فى سيرة ابى الفتح اليعمرى من ان حليمة
بعد رجوعها من مكة كانت لا تدعه ان يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه حتى وجدته

مع اخته فقالت فى هذا الحر فقالت اخته بامه ما وجدانى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت الحديث قال الحلبى فهذا اصرح بان يكون ما فى الاصل غلط تصحف على الكاتب اللهم الا ان يروى ان اخاه من الرضاعة رأى ذلك ايضا والله تعالى اعلم (ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشب ما حولها) اى كثر عشبه وهو الكلأ مادام رطبا والمعنى انه نبت فيه عشب كثير (واينعت) بتقديم التحتية على النون (هى) اى الشجرة والمعنى ادرك ثمارها ونضجت ومنه قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه اى نضجه (فاشرقت) بالقاف اى اضاءت بحسن صفائها كاشراق الشمس بضيائها ويروى بالفاء اى علت وارتفعت (وتدلت) بتشديد اللام وفى اصل الدلجى بلامين اى استرسلت ونزلت (عليه اغصانها بمحضر من رآه) قال الدلجى لم ادر من رواه (وميل فىء الشجرة) اى ظلها (اليه فى الخبر الآخر) اى المتقدم عن بحيرا الراهب (حتى اظلته وما ذكر) اى ومن ذلك ما ذكره الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن عبد الرحمن بن قيس وهو مطعون عن عبد الملك بن عبد الله بن الوليد وهو مجهول عن ذكوان (من انه كان لا ظل لشخصه فى شمس ولا قمر لانه كان نورا) اى بنفسه والنور لا ظل له لعدم جرمه وهذا معنى ما فى النوادر ولفظها لم يكن له ظل فى شمس ولا قمر ونقله الحلبى عن ابن سبع ايضا (وان الذباب) اى ومن ذلك ما ذكر من ان الذباب (كان لا يقع على جسده ولا ثيابه) قال الدلجى لا علم لى بمن رواه انتهى وقال الحلبى نقل ايضا بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن ابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط قلت فعلى جسده بالاولى كما لا يخفى (ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحى اليه) اى بنزول القرآن عليه كما فى الصحيحين ولفظ البخارى ثم حبب اليه الخلاء اى العزلة عن الملا (ثم اعلامه بموته ودنو اجله) كما رواه الشيخان وغيرهما (وان قبره بالمدينة) وفى نسخة فى المدينة (وفى بيته) كما رواه ابو نعيم فى الدلائل عن معقل بن يسار ولفظه المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وروى البيهقى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه ان قبره يكون فى بيته (وان بين بيته ومنبره) وفى نسخة صحيحة وبين منبره (روضة من رياض الجنة) كما سيأتى ما فيه من الاحاديث الواردة (وتخيير الله له عند موته) اى بين الدنيا والآخرة كما رواه البيهقى فى الدلائل عن عائشة بلفظ كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة فسمعته فى مرضه الذى مات فيه يقول مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فظننا انه كان يخير وفى رواية قالت لما نزلت به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم افاق فاشخص بصره الى سقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى وهى آخر كلمة تكلم بها وفى رواية ان جبريل قال له ان ربك يقرئك السلام ورحمة الله ويقول ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك الى ربى يصنع بى ما يشاء (وما اشتمل) اى ومن ذلك ما احتوى (عليه حديث الوفاة) كما رواه الشافعى فى سننه والعدنى فى مسنده والبيهقى فى دلائله (من كراماته وتشريفه) اى بخدمة الملائكة له وعموم رسالته اليهم وارسال جبريل اليه يقول ان الله يقرئك السلام ورحمة الله وفى رواية قال يا محمد ان الله ارسلنى اليك اكراما وتفضيلا وخاصة لك ليسألك عما هو اعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال اجدنى مغموما مكروبا (وصلاة الملائكة) اى ومن ذلك صلاة الملائكة (على جسده) اى بعد خروج روحه الشريفة (ما رويناه) بصيغة الفاعل ويحتمل المفعول (فى بعضها) اى فى بعض الروايات والاسانيد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وان الملائكة يدخلون قبلكم من حيث يرونكم ولا ترونهم فيصلون على صلاة الجنازة بتحريم وتكبير وتسليم ثم صلى عليه اصحابه كذلك كما رواه يحيى بن يحيى فى الموطأ بلاغا قال اخبرنا مالك انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وصلى عليه الناس افذاذا لا يؤمهم احد ورواه الشافعى فى الام بلفظ فقد صلى الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرادى لا يؤمهم احد وذلك لعظم امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتنافسهم فى ان لا يتولى الامامة فى الصلاة عليه واحد من الائمة صلوا عليه مرة بعد مرة اقول الاظهر انهم صلوا عليه فى محله ولا كان يسع ذلك المحل اماما لقومه كله فصلوا فرادى لادراك فضله وتكرار الصلاة عليه من خصوصيات حكمه هذا ومن زعم ان المراد بالصلاة هنا الدعاء فقد عدل عن الحقيقة من غير قرينة صارفة (واستئذان ملك الموت عليه) اى ومن طلب اذن ملك الموت فى الدخول عليه لقبض روحه (ولم يستأذن على غيره قبله) اى من الانبياء والاصفياء فضلا عما بعده من العلماء والاولياء وروى ان جبريل قال ان ملك الموت بالباب يستأذن عليك ولم يستأذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ائذن له فقال السلام عليك يا محمد ان الله امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها (وندائهم الذى سمعوه ان لا تنزعوا) بكسر الزاى غيبا وخطابا اى لا تخلعوا (القميص عنه) اى عن بدنه (عند غسله) بضم الغين او فتحه وذلك حين قالوا ما ندرى انجرده من ثيابه ام نغسله بها فالقى عليهم النوم فما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم سمعوا قائلا لا يدرون من

هو غسلوه وعليه ثيابه فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوقه ورواه ابو داود والبيهقى وصححه واستشهد له بما رواه عن شيخه ابى عبد الله الحاكم من طريق بريدة قال اخذوا فى غسله فاذاهم بمناد من داخل لا تخرجوا عنه قميصه (وما روى من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته) اذ سمعوا قائلا لا يرون شخصه يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ان فى الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركا من كل فائت فبالله ثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب رواه البيهقى فى دلائل النبوة ونقله الدلجى وقال الحلبى حديث تعزية الخضر رواه الشافعى من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن جده على بن الحسين رضى الله عنه قال لما مرض النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وفى آخره قال على أتدرون من هذا هذا الخضر وهذا مرسل وقد رواه الشافعى ايضا فى الام باسناد ضعيف الا انه لم يقل الخضر بل سمعوا قائلا يقول وانما ذكره اصحاب الشافعى قاله النووى فى شرح المهذب وقال بعض مشايخى اخرجه الحاكم فى المستدرك من رواية انس وفيه فقال ابو بكر وعلى هذا الخضر لكن فى اسناده عباد بن عبد الصمد وهو ضعيف وقد اخرجه الشافعى ايضا فى غير الام وفيه فقال أتدرون من هذا هذا الخضر رواه الطحاوى عن المزنى عنه فى السنن المشهورة (الى ما ظهر على اصحابه من كراماته) اى الظاهرة (وبركاته) اى الوافرة (فى حياته ومونه) اى بعد مماته (كاستسقاء عمر بعمه) اى العباس كما رواه البخارى (وتبرك غير واحد) اى كثيرين من الصحابة والتابعين (بذريته) كالحسنين وزين العابدين وصالحى اولادهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين وارضاهم

(فصل)

(قال القاضى ابو الفضل رحمه الله قد اتينا) اى اوردنا (فى هذا الباب) اى الرابع من ابواب الكتاب (على نكت) بضم ففتح اى لطائف ونوادر (من معجزاته واضحة) صفة نكت وقال الدلجى حال مما قبله (وجمل من علامات نبوته مقنعة) نعت جمل وهو بضم ميم وسكون قاف وكسر نون وفتح عين وقال الدلجى حال من جمل اى تغنى من عرف حقيقتها (فى واحد) خبر مقدم (منها) اى من النكت والجمل (الكفاية والغنية) بضم فسكون اى الاكتفاء والاغتناء فى باب الاعتناء (وتركنا الكثير) اى من الانباء (سوى ما ذكرنا) اى من النكت والجمل (واقتصرنا من الاحاديث الطوال) بكسر الطاء اى الطويلة الاذيال (على عين الغرض) اى نفس المراد (وفص المقصد) اى زبدة المقصود والفص للخاتم بفتح الفاء ويثلث والصاد مشددة والمقصد بفتح الصاد وتكسر قال الحلبى بكسر الصاد وجد بخط النووى (ومن كثير الاحاديث) اى واقتصرنا وقد ابعد الحلبى فى تقديره واثبتنا (وغريبها) اى مما انفرد رواتها (على ما صح) اى سنده (واشتهر) اى نقله عند اهله (الا يسيرا) اى شيأ قليلا (من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة) اى من نقاد الامة وحفاظ السنة بحيث انه خرج عن حيز الغرابة (وحذفنا الاسناد فى جمهورها) اى اكثرها (طلبا للاختصار) اى حذرا من الاكثار الممل للنظار (وبحسب هذا الباب) بسكون السين وزيادة الباء اى ويكفى فى هذا الباب الرابع الموضوع فى المعجزات (لو تقصى) بتاء وقاف مضمومتين فصاد مشددة مكسورة اى لو استقصى وضبطه الدلجى بالفاء اى لو تتبع (ان يكون ديوانا) اى دفترا او مصنفا على حدة (جامعا) اى محيطا وحاويا (يشتمل على مجلدات عدة) بكسر فتشديد اى كثيرة وقال الدلجى وحسب مبتدأ خبره ان يكون ديوانا وجواب لو محذوف اى لامكن (ومعجزات نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (اظهر) اى اكثر واجهر (من سائر معجزات الرسل) الاظهر من معجزات سائر الرسل (بوجهين) اى نظرا الى الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (احدهما كثرتها) اى مع شهرتها اذ الكثرة لا تستلزم الشهرة (وانه لم يؤت نبى معجزة الا وعند نبينا مثلها) اى شبهها ونظيرها (او ما هو ابلغ منها) اى دلالة كانشقاق القمر والاسراء ونحوهما واما معجزة القرآن المجيد كما مثل به الدلجى فهذا ليس محلها (وقد نبه الناس على ذلك) اى على هذا المعنى على وجه الاستقصاء منها انه تعالى خلق آدم بيده فقد شرح صدر نبينا بنفسه وانه رفع ادريس مكانا عليا فقد رفعه فى المعراج دنوا الدنيا وغير ذلك مما يطول بيانها وقد سبق بعضها وسيأتى شئ منها (فان اردت فتأمل فصول هذا الباب) اى من معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ومعجزات من تقدم من الانبياء) اى وقابل بين واحدة مع ما يناسبها من الانباء (تقف على ذلك) اى المعنى (ان شاء الله تعالى واما كونها) اى معجزاته (كثيرة فهذا القرآن) اى ظاهر كثرته (وكله معجز) اى والحال ان جميعه باعتبار كله وجزئه معجز (واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين) بل عند اكثر المدققين حيث قالوا اعجازه بالفصاحة والبلاغة (سورة انا اعطيناك الكوثر) اى اقصر سورة نحوها (او آية قدرها) لقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله وفى حكم السورة قدرها الا اقلها (وذهب بعضهم) اى ممن قال بالصرفة (الى ان كل آية منه) اى من القرآن (كيف كانت) اى وجدت طويلة او قصيرة (معجزة) خبران (وزاد آخرون) اى على ما ذكر (ان كل جملة منتظمة منه) اى من القرآن وفى اصل الدلجى

منتظمة منه (معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين) ويؤيده ظاهر قوله تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين
ولعل الاعجاز اولا كان بعشر سور ثم بسورة ثم بحديث كما هو اسلوب التدريج على وجه الترقى (والحق) اى الثابت
عند الجمهور (ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله) وفى نسخة من مثله (فهو) اى اتيان نحو سورة
(اقل ما تحداهم) اى طلب معارضتهم (به مع ما ينصر هذا) اى يؤيده ويقويه (من نظر) اى نظر اعتبار وتفكر
واستبصار (وتحقيق) اى مشتمل على تدقيق (يطول بسطه) اى والقصد وسطه (واذا كان هذا) اى اكثر ما تحداهم
به اقل (ففى القرءآن من الكلمات) اى الاسمية والفعلية والحرفية (نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف) بتشديد
التحتية وتخفيفها اى وبعض زيادة وجمع بينه وبين نحو مبالغة فى الملاحظة لقصد المحافظة (على عدد بعضهم) اى من
عد كلماته (وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر) اى الى آخرها (عشر كلمات فيجزأ القرءآن) بتشديد الزاى فهمز مبنيا
للمفعول وفى نسخة فيتجزأ بالهمز وفى اخرى بالالف وفى اصل الدلجى فتجزى القرءآن بصيغة المصدر المضاف (على
نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر) اى كلماتها العشر (ازيد) بالنصب وعلى اصل الدلجى وبعض النسخ بالرفع اى اكثر
(من سبعة آلاف جزء) اى حصة (كل واحد منها معجز فى نفسه) اى مع قطع النظر عما قبله وما بعده وما فيه من اخبار
الله تعالى عن نبأ ما قبله وما بعده (ثم اعجازه كما تقدم) اى فى محله (بوجهين) اى من طرق الاعجاز (طريق بلاغته) اى
باشتماله على لطائف الاعجاز (وطريق نظمه) اى بسلوكه بين الاطناب والايجاز (فصار فى كل جزء من هذا العدد) اى من
السبعة آلاف (معجزتان) اى باعتبار الطريقين (فتضاعف العدد من هذا الوجه) اى الذى له جهتان فيصير اربعة
عشر الفا (ثم فيه) اى فى القرءآن من حيث مجموعه (وجوه اعجاز اخر) بضم ففتح (من الاخبار بعلوم الغيب) اى
مما تقدم او تأخر (فقد يكون فى السورة الواحدة) اى حقيقة او حكما (من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب)
كقصة موسى وهارون وفرعون وهامان وقارون (كل خبر منها بنفسه) اى بانفراده (معجز) اى مستقل فى بابه
(فتضاعف العدد) اى فتزايد المبلغ المضاعف (كرة اخرى) اى فى الجملة لا فى نحو كل سورة فلا يصير ثمانية وعشرين الفا
على ما جزم به الدلجى (ثم وجوه الاعجاز الاخر التى ذكرناها) قال الدلجى وهى الغيبية وفيه انها مما سبق ذكره
(توجب التضعيف) اى الى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى (هذا) اى التضعيف الوافر (فى حق القرءآن) هو الظاهر
(فلا يكاد يأخذ العد) اى العدد كما فى نسخة (معجزاته) اى لكثرتها (ولا يحوى) اى ولا يكاد يشمل (الحصر براهينه)
لعظمتها (ثم الاحاديث الواردة) اى الصريحة (والاخبار الصادرة) اى الصحيحة (عنه عليه الصلاة والسلام فى هذه
الابواب) اى المذكورة فيها من المعجزات وخوارق العادات والاخبار عن المغيبات (وعن ما دل على امره) اى
ظهور امره وحكمه (مما اشرنا الى جمله) بضم ففتح اى الى جمل من مفصله (يبلغ نحوا من هذا) اى التضعيف
(الوجه الثانى) اى من وجهى كون معجزاته اظهر من معجزات غيره (وضوح معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى
ظهورها وانتشارها واشتهارها (فان معجزات الرسل كانت) اى واردة على ايديهم (بقدر همم اهل زمانهم) اى حالا
ومقدارا فى شأنهم (وبحسب هذا الفن) بفتح السين (الذى قد سما فيه قرنه) اى علا وارتفع اهل عصره شهرة بمعرفة
ذلك الفن فى دهره كما بينه بقوله (فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة
تشبه ما يدعون قدرتهم عليه) اى وما يزعمون مهارتهم لديه ويوجهون هممهم اليه (فجاءهم منها) اى على يد موسى
(ما خرق عادتهم) اى من انقلاب العصا حية تسعى واليد السمراء بيضاء من غير سوء (ولم يكن) اى ذلك المعجز (فى قدرتهم)
اى فى نطاق قواهم وقدرهم (وابطل سحرهم) وما اظهره من التخييل عند مكرهم (وكذلك زمن عيسى عليه السلام
اغنى) افعل تفضيل من الغاية اى انهى (ما كان) اى علم اهله (الطب) بكسر الطاء ويثلث وهو علاج الامراض
الظاهرة وفى نسخة اعنى بالعين المهملة بمعنى اعجز وفى اخرى بالغين المعجمة والنون اى اوفى وفى اخرى بالمهملة والنون
اى اقصد وكلها صحيحة على ما لا يخفى (واوفر ما كان اهله) اى اكثر ما كان اهل قرنه فى تتبعه (فجاءهم) اى على يد
عيسى (امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه) اى شيأ لم يظنوا وجوده لديه وامره مفوضا اليه (من احياء الميت)
ويروى الموتى وفى نسخة الميتة (وابراء الاكمه) اى الذى ولد ممسوح العين ذكره الدلجى قال الحلبى الاكمه هو الذى
يولد اعمى ويقال الاعشى وقد قال البخارى فى الصحيح ان الاكمه من يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وهو تفسير
للاعشى على ما لا يخفى (والابرص) من فى بدنه بياض من المرض المعروف (دون معالجة ولا طب) اى مداواة بل كان
يأتيه من اطاق الاتيان لديه ومن لم يطق ذهب اليه عليه الصلاة والسلام فربما اجتمع عنده الالوف من المرضى
وذوى العاهات فيداويهم بالدعوات والآيات (وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام) اى كانت
بقدر علم اهل زمانهم من الانام (ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجملة معارف العرب وعلومها)

اى من الجزئيات والكليات (اربعة) اى من انواع المدركات واصناف الملكات (البلاغة) اى المقرونة بالفصاحة
(والشعر) اى النظم المقابل للنثر (والخبر) بفتحتين اى الاخبار بانساب العرب وايامها من وقائعها ومعرفة تاريخها
وتفصيل ما جرى فيها من ضروب خروجها وفنون رجوعها (والكهانة) بكسر الكاف وتفتح وهى مزاولة الخبر عن
الكائنات واظهارها وادعاء معرفة اسرارها (فانزل) بصيغة المجهول اى فانزل الله تعالى كما فى نسخة وفى اخرى
زيادة عليه (القرءآن الخارق لهذه الاربعة فصول) اى المتقدمة وهى البلاغة والشعر والخبر والكهانة (من
الفصاحة) اى من اجل فصاحة القرءآن (والايجاز) اى وايجاز الفرقان (والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم)
بفتح النون والميم اى نوعه ونهجه (ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذى لم يهتدوا) اى فصحاؤهم وبلغاؤهم
وخطباؤهم وشعراؤهم (فى المنظوم) اى من كلامهم (الى طريقه) اى فى مرامه (ولا علموا فى اساليب الاوزان)
اى نظما ونثرا وفى اصل الدلجى فى اساليب الكلام والافنان من النثر المسجع والنظم المرصع (منهجه) اى طريقته
السهلة الممتنعة (ومن الاخبار) بكسر الهمزة (عن الكوائن والحوادث) اى الكائنات والمحدثات من الاعيان
والاكوان (والاسرار) اى فى البواطن (والمخبئات) اى فى الظواهر والضمائر (فتوجد على ما كانت) اى ذاتا او صفة
(ويعترف المخبر) بفتح الباء اى من اخبر (عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان) اى ولو كان ذلك المعترف المخبر (اعدى
العدو) اى بكونه من اهل الكفر والنكر (فابطل) اى القرءآن او النبى او الله سبحانه وتعالى (الكهانة التى تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها) بتشديد المثلثة اى اقتلعها (من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم) بفتح الصاد اى
جعلها معدة لحفظ السماء من استراق الشياطين السمع من الانباء حيث ترميهم بشهب منفصلة من نارها لا انفسها
لثبوتها فى مقارها كقبس اخذ من نار وهى ثابتة لم تنقص مما لها من مقدار (وجاء) اى فى القرءآن (من الاخبار)
بفتح الهمزة (عن القرون السالفة) اى السابقة (وانباء الانبياء والامم البائدة) اى الهالكة ومنه حديث الحور
العين نحن الخالدات فلا نبيد ابدا (والحوادث الماضية) اى الواقعات المتقدمة من المنفعة والمضرة (ما) اى شئ
او الذى (يعجز من تفرغ لهذا العلم) اى فى صرف جميع عمره (عن بعضه) اى عن معرفة بعض امره (على الوجوه التى
بسطناها) اى اوضحناها (وبينا المعجز فيها) اى مع ما وضحناها ورتبناها (ثم بقيت هذه المعجزة) المتعلقة بالفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الكوائن الحادثة الجامعة (لهذه الوجوه) اى المذكورة المسطورة المضمومة (الى الفصول
الاخر) اى المتقدمة (التى ذكرناها فى معجزات القرءآن) اى فيما مضى من البيان (ثابتة الى يوم القيامة) اى حال كونها
مستمرة دائمة (بينة الحجة) اى ظاهرة الدلالة فى الاعجاز مع غاية الايجاز (لكل امة تأتى) اى بعد جماعة تنقضى
(لا تخفى وجوه ذلك) اى المعجز المتقدم (على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه الى) اى منضما الى (ما اخبر به من الغيوب)
بضم الغين وكسرها اى المغيبات (على هذا) وفى نسخة على هذه (السبيل) فان السبيل يذكر ويؤنث ومنه قوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر (فلا يمر عصر ولا زمن) اى ولا ينقضى قرن ودهر (الا ويظهر فيه صدقه) اى زيادة
صدقه او موجب تصديقه (بظهور مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة (على ما اخبر) اى على طبقه ووفقه واغرب الدلجى
بقوله على ما اخبر من وجوه الفصاحة والايجاز والبلاغة (فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان) فيستمر الايقان ويتقوى
العرفان (وليس الخبر كالعيان) بكسر اوله اذ غاية افادة الخبر غالبا الظنية ونهاية افادة المعاينة يقينية (وللمشاهدة
زيادة فى اليقين) اى المستفاد مثلا من المتواتر استدلالا (والنفس اشد طمأنينة) اى سكونا (الى عين اليقين) اى الذى
تفيده المعاينة (منها) اى من الطمأنينة (الى علم اليقين) اى المستفاد بالتواتر استدلالا (وان كان كل) اى من علم
اليقين وعين اليقين (عندها) اى عند النفس (حقا) اى ثابتا وصدقا لكن عين اليقين اسكن لها على ازدياد طمأنينتها
واعون لها على عدم ترددها ووسوستها ومن ثم لما قيل للخليل اولم تؤمن اى بعلم الوحى المقدر والاستدلال بالخبر
المكرر قال بلى اى ربى ولكن ليطمئن قلبى بمصاحبة علم العيان لعلم البرهان ومن ههنا قيل علمان خير من علم واحد
(وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم) بل اندرس بعضها حال حياتهم كما اشار اليه بقوله (وعدمت)
بصيغة المجهول اى وانعدمت (بعدم ذواتها) اى بعدم وجودها وتحقق صفاتها وفى اصل الدلجى بعدم ذواتهم اى
وجودا فى الدنيا والا فثبت ان الانبياء فى البرزخ احياء فالجملة تأكيد لما قبلها وعلى الاول تأسيس وهو اولى فى محلها
(ومعجزة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تبيد) اى لا تفنى ابدا (ولا تنقطع) اى ولا تنقضى سرمدا (واياته) اى
علاماته الدالة على صدقه (تتجدد) اى يوما فيوما (ولا تضمحل) بتشديد اللام اى ولا تزول اصلا (ولهذا) اى المعنى
الاعلى (اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) اى الذى هو غاية المرام فى هذا المقام المندرج (فيما حدثنا القاضى الشهيد
ابو على) اى الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى ابو الوليد) وهو الباجى (حدثنا ابو ذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن

حمويه السرخسى (وابو اسحق) اى المستملى (وابو الهيثم) اى الكشميهنى (قالوا) اى كلهم (حدثنا الفربرى) بكسر الفاء وتفتح (ثنا البخارى) اى صاحب الجامع (ثنا عبد العزيز بن عبد الله) اى العامرى الاويسى الفقيه عن مالك ونافع مولى ابن عمر (ثنا الليث) اى ابن سعد (عن سعيد عن ابيه) اى ابى سعيد المقبرى روى ان عمر جعله على حفر القبور فسمى به توفى سنة مائة (عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والحديث كما ترى رواه البخارى وقد اخرجه مسلم والنسائى ايضا (قال ما من الانبياء نبى) هو اعم من رسول (الا اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) اى ليس نبى منهم الا اعطاه الله من المعجزات شيأ الجأ من شاهده الى الايمان به فخص كل نبى بما اثبت دعواه من خوارق العادة التى اعطاه مولاه فى زمانه و بعد انقراضه اختفى شانه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى (وانما كان الذى اوتيت) اى بخصوص ما انعم على (وحيا اوحاه الله الى) اى معجزا فى اعلى طبقات البلاغة واقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة ولذا رتب عليه قوله (فارجو) اى بسبب بقائه وظهور ضيائه (انى اكثرهم) وفى اصل الدلجى ان اكون اكثرهم (تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث) اى المذكور (عند بعضهم وهو) اى هذا المعنى المسطور هو (الظاهر) اى المتبادر (والصحيح) اى الصريح (ان شاء الله تعالى) اى فلا يعدل عما ذكرناه (وذهب غير واحد) اى كثيرون (من العلماء فى تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا) اى وتأويل غلبة معجزة نبينا (عليه الصلاة والسلام الى معنى آخر) اى غير ما افاده منطوقا (من ظهورها بكونها) اى من قوة معجزة نبينا بسبب كونها (وحيا) اى خفيا (وكلاما) اى جليا (لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه) بالحاء المهملة من الحيلة (ولا التشبيه) اى من حيث انه لا يتصور فيه التمويه (فان غيرها) اى غير معجزة نبينا (من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها) اى قصد والابطالها (باشياء طمعوا فى التخييل بها) اى بتلك الاشياء (على الضعفاء) اى ليتوصلوا بذلك الى ابطال معجزات الانبياء (كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم) اى فى معارضة معجزة موسى بالقاء العصا (وشبه هذا) بالرفع اى وشبيه هذا الذى فعله سحرة فرعون (مما يخيله الساحر) اى جنسه على الضعيف فى دينه وامر يقينه (او يتحيل فيه) اى يطلب الحيلة فى دفعه انه صدق او فى اثباته انه حق (والقرآن كلام) اى الله تعالى كما فى اصل الدلجى كلام الله تعالى والاظهر انه اريد به هنا انه مطلق كلام اى اعجاز القرآن واقع فى كلام (ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه) اى فى الكلام (عمل) اى مما يوجب التمويه (فكان) اى القرآن (من هذا الوجه عندهم) اى عند ارباب هذا المعنى (اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه) اى مما يكدر امر المعجزة وينافيه (والتأويل الاول) اى الذى هو المعول (اخلص) اى اظهر واخص (وارضى) عند النفوس الخلص (وفى هذا التأويل الثانى ما يغمض) اى بصيغة المفعول مخففا وقال الحلبى مشددا اى يغطى (الجفن) بفتح الجيم وسكون الفاء اى غطاء العين (عليه) و يروى عنه (ويغضى) بصيغة المجهول من الاغضاء بمعنى الاغماض وفى اصل الدلجى بالفاء وهو تصحيف وتحريف كما لا يخفى والتحقيق انه لا منع من الجمع وان بناء الثانى على التدقيق والله ولى التوفيق وعلى كل تقدير ظهر الوجهان فى ثبوت المعجزة للقرآن (ووجه ثالث) اى وهنا وجه آخر وفى نسخة صحيحة وجه بدون عاطفة والمعنى وجه ثالث فى كون القرآن معجزا خارقا للعادة (على مذهب من قال بالصرفة) بفتح الصاد وقيل بكسرها وهو مذهب بعض المعتزلة والشيعة حيث قالوا صرف الله هممهم عن الاتيان باقصر سورة منه مع تمكنهم عنه (وان المعارضة) اى بمثله فى الجملة (كانت فى مقدور البشر فصرفوا عنها) اى بسلب دواعيهم لا بسلب قدرتهم كما ذكره الدلجى فانه مذهب آخر كما سيأتى (او على احد مذهبى اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم) اى من جنس كلامهم الذى لهم القدرة عليه (ولكن لم يكن ذلك) اى الاتيان بمثله بعد من تمكنهم منه (قبل ولا يكون بعد) اى قبل التحدى ولا بعده كما ذكره الدلجى والاظهر ان المراد بقوله قبل الزمان السابق وبقوله ولا يكون بعد الزمان اللاحق الى يوم القيامة ويؤيده قوله (لان الله لم يقدرهم) اى على الاتيان بمثله قبله (ولا يقدرهم عليه) اى بعده (وبين المذهبين فرق بين) بتشديد التحتية المكسورة اى ظاهر لتمكنهم على المذهب الاول منه الا انهم صرفوا عنه وعدم تمكنهم منه على الثانى مع كونه من جنس مقدورهم (وعليهما) اى وعلى المذهبين (جميعا) اى جميعهما (فترك العرب) وفى نسخة بغير الفاء اى ترك معارضتهم الاتيان (بما فى مقدورهم) اى فى الجملة (او ما هو من جنس مقدورهم) اى فى الصورة (ورضاهم بالبلاء) اى العناء فى ابدانهم (والجلاء) اى عن اوطانهم وهو بفتح الجيم الخروج من البلد (والسباء) بكسر السين ممدودا اى والسبى كما فى نسخة اى اسر اطفالهم ونسائهم واعيانهم (والاذلال) اى لانفسهم فى بعض الاحوال (وتغيير الحال) اى بما لقتهم من الخبر

الى الشر (وسلب النفوس) اى فى حال القتال (والاموال) اى بذلها فى فك رقابهم من الاغلال (والتقريع) اى قهرا (والتوبيخ) اى زجرا (والتعجيز) اى بالاذلال (والتهديد) اى بعظائم النكال (والوعيد) اى بوخائم الوبال (ابين آية) خبر لقوله ترك والمعنى اظهر علامة وابهر دلالة (للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته) اى والاعراض والامتناع عن معارضة نحوه (وانهم) بكسر الهمزة ويجوز فتحها (منعوا عن شئ هو من جنس مقدورهم) وفى نسخة مقدرتهم بضم الدال وتفتح اى قدرتهم (والى هذا) اى المذهب الثانى (ذهب الامام ابو المعالى) اى عبد الملك ابن ابى محمد (الجوينى) بالتصغير النيسابورى وهو الملقب بامام الحرمين افصح الشافعية وله اليد الباسطة فى الطول من علمى الكلام والاصول توفى سنة ثمان وسبعين واربعمائة (وغيره) اى من علماء اهل السنة والجماعة (قال) اى ابو المعالى (وهذا عندنا ابلغ من خرق العادة بالافعال البديعة فى انفسها كقلب العصا حية ونحوها) كاخراج اليد البيضاء واحياء الموتى وغيرهما (فانه قد يسبق الى بال الناظر) اى قلب المتأمل (بدارا) بكسر الباء اى مبادرة ومسارعة من اول وهلة قبل التأمل فى حقيقة امره وخفية سره (ان ذلك) اى ما ذكر من قلب العصا حية ونحوها (من اختصاص صاحب ذلك بمزيد معرفة فى ذلك الفن وفضل علم) اى فى ذلك النوع كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر (الى ان يرد ذلك) اى السابق الى بال الناظر مما ذكر من وهم الخاطر (صحيح النظر) اى فيتحقق الفهم و يضمحل الوهم ويتبين للقلب الحى ان قلب العصا حية ونحوها مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل فاعل القوى والقدر (واما التحدى للخلائق) اى طلب المعارضة منهم باعتبار السابق واللاحق (المئين) وفى نسخة مئين جمع مائة وفى نسخة فى المئين (من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله) اى على وفق مرامهم (فلم يأتوا) اى الخلائق بتمامهم كما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (فلم يبق بعد توفر الدواعى على المعارضة ثم عدمها) اى بترك المناقضة (الا ان منع الله الخلق عنها) اى عن المعارضة لاحد الوجوه الثلاثة فى بيان المعجزة (بمثابة ما لو قال نبى) اى وقد طلب منه آية وعلامة دالة على صدق دعواه للنبوة (آيتى ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم) وفى نسخة مع مقدرتهم (عليه وارتفاع الزمانة عنهم) اى عن بعضهم للاستواء فى حال عجزهم ولا يبعد ان تكون الواو بمعنى او التنويعية (فلو كان ذلك) اى الذى قال ذلك النبى (وعجزهم الله عن القيام) اى فى ذلك المقام (لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة) اى فى اقامة البرهان وابانة التحقيق (وبالله التوفيق) ونظيره قوله تعالى لزكريا آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (وقد غاب عن بعض العلماء) اى خفى عليه (وجه ظهور آيته) اى معجزته التى هى القرآن (على سائر آيات الانبياء) اى فى باقى الازمان ولم يدر انها ببقائها معلومة لكل واحد فى كل اوان متلوة بكل مكان (حتى احتاج للعذر عن ذلك) اى الذى زعمه من عدم ظهورها هنالك (بدقة افهام العرب وذكاء البابها) اى شدة فطانة فهومهم وحدة علومهم (ووفور عقولهم) اى وكثرة تعقلهم وتأملهم (وانهم ادركوا المعجزة فيه) اى فى القرآن (بفطنتهم) اى ما الجأهم الى الاعتراف بكونه من معجزتهم (وجاءهم من ذلك) اى مما ادركوا فيه هنالك (بحسب ادراكهم) بفتح السين اى بمقتضى ادراكاتهم لغاية فصاحته ونهاية بلاغته (وغيرهم) مبتدأ اى وغير العرب (من القبط) اى قوم فرعون (وبنى اسرائيل) اى قوم موسى (وغيرهم) اى ممن بعدهم ما عدا العرب (لم يكونوا بهذه السبيل) اى بهذه الطريقة من دقة الفهم وذكاء الفطنة (بل كانوا من الغباوة) بفتح الغين المعجمة وهى عدم الفطنة وكمال الجهالة (وقلة الفطنة) اى فى بعض القضية (بحيث جوز عليهم) اى على عقولهم (فرعون انه ربهم) كما قال الله تعالى حكاية عنه انا ربكم الاعلى وقد قال عز وعلا فاستخف قومه فاطاعوه واضل فرعون قومه وما هدى (وجوز عليهم السامرى) وكان من عظماء بنى اسرائيل واسمه موسى بن ظفر (ذلك) اى كون ظهور ربهم (فى العجل فعبدوه بعد ايمانهم) اى بموجبات ايقانهم (وعبدوا) اى طائفة من بنى اسرائيل (المسيح) اى عيسى بن مريم (مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه) اى اليهود (وما صلبوه ولكن شبه لهم) اى كما اخبر الله عنهم والمعنى صلبوا من القى عليه الشبه بعد قتله كما قال تعالى وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه (فجاءتهم) اى اليهود (من الآيات الظاهرات البينة) اى الواضحة (للابصار) اى المنفتحة (بقدر غلظ افهامهم) اى وغلظ اوهامهم (ما) فاعل جاء وفى نسخة مما (لا يشكون فيه ومع هذا) اى المجئ بالامور الظاهرة والاحوال الواضحة (قالوا) وفى نسخة فقالوا اى خطابا لنبيهم كما حكى الله عنهم بقوله تعالى واذ قلتم يا موسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) اى معاينة ظاهرة (ولم يصبروا على المن والسلوى) اى على اكلهما وجعلوا الترنجبين من الحلوى والسمانى من طير الشوى طعاما واحدا وقالوا لن نصبر على طعام واحد (واستبدلوا الذى هو ادنى) اى اقرب الى الدناءة وادون فى المقدار والمرتبة كالبقل والقثاء والفوم والعدس (بالذى هو خير) اى فى المرتبة واللذة

وعدم الحاجة الى الكد والمشقة واقرب الى الحيلة (والعرب على جاهليتها) اى على حالتها التى كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بامور الشريعة واحوال الديانة (اكثرها يعترف بالصانع) بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولذا جاء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكلمة التوحيد وهو ان يقولوا لا اله الا الله لا بان يقولوا الله موجود لان هذا مما اجمع عليه اهل الملل والنحل ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا وما يهلكنا الا الدهر ان الدهر خالقهم اذ لم يقل به احد منهم بل ارادوا به ان طول الزمان ودورة الدوران يقتضى ان يحيى بعضنا ويموت بعضنا فنسبوا بعض الافعال الى الدهر كما ذهب يتفوهون به اهل العصر وقد قال تعالى انا الدهر اى خالقه او المتصرف فيه (وانما كانت) اى العرب (تتقرب بالاصنام الى الله تعالى زلفى) اى تقربا كما قال تعالى حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ومنهم من آمن بالله وحده) اى وصفه من عبد غيره (من قبل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من قبل ارساله (بدليل عقله وصفاء لبه) اى آمن بتوحيد ربه كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة وكذا ورقة بن نوفل الا انه ادرك البعثة وآمن به وتشرف بالصحبة (ولما جاءهم) اى العرب (الرسول بكتاب الله) وهو القرآن الكريم والفرقان القديم (فهموا حكمته) اى لحدة فطنتهم وشدة معرفتهم (وتبينوا بفضل ادراكهم) اى بزيادة قابليتهم واهليتهم (لاول وهلة معجزته فآمنوا به) اى بعضهم اولا وجلهم آخرا (وازدادوا كل يوم ايمانا) اى واكتسبوا يوما فيوما احسانا وايقانا (ورفضوا الدنيا) اى تركوها (كلها) اى مالها وجاهها (فى صحبته) اى وبيمن همته وبركة متابعته (وهجروا ديارهم واموالهم) اى وفارقوها باختيارهم (وقتلوا آباءهم وابناءهم) اى وسائر اقاربهم واحباءهم (فى نصرته) اى فى نصرة دينه وقوة يقينه (واتى) اى واورد ذلك البعض من العلماء (فى معنى هذا) اى المبنى من عبارات البلغاء واعتبارات الفصحاء واشارات العقلاء (بما يلوح له رونق) اى بما يلمع له ضياء ويلمع له صفاء (ويعجب منه) بصيغة المفعول اى ويبرق من اثره وظهور امره (زبرج) بكسر الزاى والراء بينهما موحدة ساكنة وفى آخره جيم اى زينة من ذهب او جوهر او وشى (لو احتيج اليه) اى الى كلامه (وحقق) اى امره فى مرامه (لكنا) يروى فقد (قدمنا من بيان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وظهورها) اى ووضوح امرها (ما يغنى عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها) مثل معقولات المعانى ومحسوسات المبانى وقصد الاستغناء عن هذا الاستعلاء ونحن نقول لا منع من الجمع فان الآيات والمعجزات لكل منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع ورضى الله تعالى عنهم اجمعين (وبالله استعين) اى فى كل وقت وحين (وهو حسبنا) اى كافينا ووافينا وشافينا (ونعم الوكيل) اى اعتمادا واستنادا معاشا ومعادا باطنا وظاهرا واولا وآخرا

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء وعلى آله وصحبه نجوم الاقتداء والاهتداء وعلى اتباعهم من العلماء والاولياء والحمد لله الذى هدانا لهذا واغنانا عما سواه وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم اختم لنا بالخيرات اعمالنا وبالمبرات آجالنا وبالمسرات احوالنا واغفر لنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات انك قريب مجيب الدعوات آمين آمين آمين يا رب العالمين ويا ارحم الراحمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وقد تم نصف الكتاب بعون الملك الوهاب ويتلوه القسم الثانى الذى ليس له ثان فى هذا الباب عند ارباب الالباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب حرره مصنفه الجانى فى اوائل جمادى الثانى من شهور عام عشرة بعد الالف السابع من عالم المبانى رحمه الله تعالى رحمة واسعة بمنه امين



فهرست الجزء الثانى من شرح الشفا للعلامة منلا على القارى

فصل وقد





بسم الله الرحمن الرحيم

ذى الجلال والاكرام * الذى يجب ان يبدأ بذكره المرام * ويختم بشكره الكلام (القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام) اى القسم الثانى من كتاب الشفا فى حقوق المصطفى فى بيان ما يجب على المكلفين من حقوق خاتم النبيين وسيد المرسلين (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وهذا) اى القسم الثانى (قسم) اى عظيم (لخصنا فيه الكلام) اى اقتصرنا واختصرنا (فى اربعة ابواب على ماذكرناه) اى وفق ما قررناه وحررناه (فى اول الكتاب ومجموعها) اى مجموع ابواب هذا القسم الاربعة (فى وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام) اى الايمان به فيما جاء به عن ربه (واتباعه فى سنته) اى فى وجوب متابعته فى شريعته وطريقة حقيقته (وطاعته) اى وفى جوب امتثال اوامره واجتناب زواجره كما بينه فى فصول الباب الاول (ومحبته) اى وفى وجوب محبته وجعل محبته تابعة لمحبته كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به لان محبته سبب لمتابعته ومتابعته علامة لمحبة الله تعالى ابتداء ومحبة الله تعالى اياه انتهاء كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله كما عينه فى فصول الباب الثانى (ومناصحته) اى وفى وجوب قبول نصحه له فى امره ونهيه ونصحه لرسوله ودينه كما ورد الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم وقد اوضحنا معنى هذا الحديث فى شرح الاربعين والمناصحة مفاعلة للمبالغة قصد هنا منها المبالغة فى النصح وهو الخلوص لغة والنصيحة فى الشريعة كلمة يعبر بها عن جملة هى ارادة الخير للمنصوح له (وتوقيره) اى وفى وجوب تعظيمه لقوله تعالى وتعزروه وتوقروه كما بينه فى فصول الباب الثالث (وبره) اى وفى وجوب الاحسان باهل وده والقيام بحكمه وامره (وحكم الصلاة عليه والتسليم) اى وفى وجوب حكمهما من وجوب وغيره (وزيارة قبره) اى وفى بيان زيارة قبره وما يتعلق به كما حسنه فى الباب الرابع وهذا الامر اجمالى سيرد عليك القدر التفصيلى فى ضمن الابواب وفصولها بالوجه التكميلى

(الباب الاول)

فى فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم) اى فى بيان فرضية تصديقه فى المعتقدات وفى وجوب طاعته فى الواجبات واستحباب متابعته فى المستحبات او التقدير وفى وجوب اتباع شريعته التى تعم جميع الحالات وفى المغايرة بين الفرض والوجوب ايماء بان الاول ركن الدين ومهماته والاخيران من مكملاته ومتمماته ولا يلزم من عدمهما فقد الاول بخلاف العكس فتأمل (اذا تقرر بما قدمناه) اى فى ضمن ما تحرر (ثبوت نبوته) اى بظهور معجزاته (وصحة رسالته) اى بوضوح آياته (وجب الايمان به) لانه فرع ثبوتهما كتوقف المشروط على الشرط (وتصديقه فيما اتى به) اى من عند ربه تعالى من جهة الوحى الجلى او من طريق الوحى الخفى والمعنى

ووجب تصديقه بجميع ما فى الكتاب والسنة وان كان وجوب تصديقه من جهة السنة ثابتا بالكتاب ايضا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولقوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا اى مخالفتهما فيما امرا به ونهيا عنه وبما قررنا ظهرت المغايرة فى العطف واما كونه عطف تفسير كما ذكره الدلجى رحمه الله عند من يقول الايمان هو التصديق فقط فلا وجه له لان المحققين على ان الايمان هو التصديق والاقرار شرط لاجراء احكام الاسلام والاعمال شرط الكمال بخلاف المعتزلة والخوارج حيث ادخلوا الاعمال فى اجزاء الايمان وعلى كل تقدير ففرق بين الايمان برسالته عليه الصلاة والسلام وتصديق ما جاء به من الاحكام حتى لا يحرم الحلال ولا يحلل الحرام (قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله) وهو الفرد الاكمل والنبى الافضل (والنور الذى انزلنا) اى القرآن المشبه بالنور الفرقان بين الحق والباطل والبرهان المزيل لظلمات الشكوك والظنون والاوهام الحاصلة للجاهل والغافل وسمى نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر ما فيه لغيره (وقال انا ارسلناك شاهدا) اى بتصديق من بعثت اليهم وخلاصهم وهدايتهم وبتكذيبهم وضلالتهم (ومبشرا) اى بالجنة ونعيمها للمؤمنين (ونذيرا) اى بالنار والجحيم للكافرين (لتؤمنوا) قرئ بالخطاب والغيبة فى السبعة اى لتصدقوا (بالله ورسوله) قال الدلجى رحمه الله الخطاب له ولامته اى على سبيل التغليب اولهم تنزيلا لخطابه منزلة خطابهم انتهى والاظهر ان الضمير للامة على قراءة الخطاب والغيبة كما يدل عليه سياق الكلام والله اعلم بحقيقة المرام (وقال تعالى فآمنوا بالله) اى بذاته وصفاته (ورسوله) اى الثابت رسالته بمعجزاته (النبى) اى الجامع بين نعتى الرسالة والنبوة التى هى عبارة عن ولايته التى يأخذ بها الفيض السبحانى ويفيد النوع الانسانى (الامى) اى المنسوب الى ام القرى وهى مكة المكرمة كما قال تعالى لتنذر ام القرى ومن حولها او المنسوب الى امة العرب التى غالبهم لم يقرأ ولم يكتب كما ورد انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الحديث او المنسوب الى الام يعنى على الوصف الذى خرج به من بطن امه ما كتسب شيأ من القراءة والكتابة ونحوهما وفيه ايماء الى انه على اصل الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها وكما ورد كل مولود يولد على الفطرة (الآية) اى الى آخرها وهو قوله تعالى (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى بما انزل عليه وعلى غيره من الرسل او باسمائه وصفاته (واتبعوه) فى مأموراته ومنهياته (لعلكم تهتدون) تفوزون بما تسعدون ببركاته (فالايمان بالنبى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم واجب) اى امتثالا لامر ربه (متعين) اى لا يمكن التخلص عن حكمه (لا يتم) اى لانه لا يتم لاحد (الايمان) اى الشرعى (الا به) اى الا بالايمان به او الا بسببه (ولا يصح الاسلام) اى استسلام الاحكام (الا معه) اى الا مع الايمان به او مع موافقة انقياده فى حكم ربه وفى نسخة ايمان واسلام بتنكيرهما ثم هذا بناء على تغايرهما حقيقة واتحادهما شريعة (قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا) قيل وضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمانين فهو كافر وعندى ان الاظهر فى المعنى ان يقال واعتدنا للكافرين منهم ومن غيرهم فيكون المعنى الاعم هو الاتم او المعنى اعتدنا لمن مات على كفره لتكون الآية جامعة بين النذارة والبشارة وهذا الملحظ اولى لانه يشمل الكل كما لا يخفى (حدثنا ابو محمد الخشنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين نسبة الى قبيلة خشينة وقد تقدم وفى نسخة زيد الفقيه وقوله (بقراءتى عليه) اى لا بمجرد سماعى لديه (ثنا) اى قال حدثنا (الامام ابو على الطبرى) بفتح مهملة وموحدة (ثنا) اى حدثنا (عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وبسكن وفى نسخة القارى وهو تصحيف وقد تقدم ايضا (ثنا) اى حدثنا (ابن عمرويه) بفتح مهملة وسكون ميم وفتح راء وواو وسكون تحتية فكسرها وضبط ايضا بضم راء وسكون واو فتحتية وفوقية مفتوحتين وهو الجلودى وقد تقدم (ثنا) اى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسين) رحمة الله تعالى عليه هذا هو مسلم صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (امية) بالتصغير (ابن بسطام) بكسر الموحدة وفتحها ويصرف وقد يمنع (ثنا) اى حدثنا (يزيد بن زريع) بضم الزاى مصغرا اخرج له الائمة الستة (ثنا) اى حدثنا (روح) بفتح الراء اخرج له الستة ما عدا الترمذى رحمه الله (عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب) احد علماء المدينة روى عنه شعبة ومالك واخرج له مسلم والاربعة (عن ابيه) هو عبد الرحمن بن يعقوب الجهنى اخرج له مسلم والاربعة (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت) اى امرنى الله تعالى اذ لا آمر له سواه (ان اقاتل الناس) اى بمقاتلة الكفار وهو عام خص منه من اقر بالجزية (حتى يشهدوا ان) اى انه (لا اله الا الله) استثناء من الكثرة المفهومة من الله اذ مفهومه كلى فى الذهن يتوهم منه الكثرة فى الخارج مع انه ليس هناك الا واحد واجب الوجود الموصوف بنعوت الكرم والجود وفى رواية حتى يقولوا لا اله الا الله (ويؤمنوا بى وبما جئت به) اى بما امرنى ربى او الهمنى

فى قلبى (فاذا فعلوا ذلك) اى آمنوا بهما والتزموا احكامهما اواذا فعلوا ماقاتلهم لاجله (عصموا منى دماءهم) اى
منعوها فلا يجوز سفك دمائهم واخذ اموالهم بسبب من الاسباب (الا بحقها) اى الا بحق يتعلق بها كقتل نفس
بعدوان وزنى بعد احصان وكفر بعد ايمان كما ورد وبالحق بها ترك صلاة وزكاة بتأويل باطل فيهما (وحسابهم على الله)
اى فيما يسرونه من كفر ومعصية فالحكم بالايمان لظواهرهم والله متولى لسرآئرهم والحديث هذا قد اخرجه
القاضى كما ترى من عند مسلم وهو فى الايمان ورواه البخارى رحمه الله ايضا وفى رواية اخرجها الستة عن ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه قال السيوطى وهو متواتر ولفظه امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وانى
رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وفى رواية عن انس رضى الله تعالى
عنه قيل وما حقها قال زنى بعد احصان او كفر بعد اسلام او قتل نفس فيقتل بها (قال القاضى ابو الفضل رحمه
الله تعالى) يعنى المصنف (والايمان به) اى بالنبى عليه الصلاة والسلام (هو تصديق نبوته) اى انبائه عن الحق
(ورسالة الله تعالى له) اى الى الخلق والاضافة فيهما بمعنى الباء او فى اى تصديقه بهما او فيهما وهذا باعتبار ذاته
وصفاته (وتصديقه فيما جاء به) اى من معتقداته (وما قاله) اى وفى جميع مقولاته من مأموراته ومنهياته (ومطابقة
تصديق القلب بذلك) اى بما ذكر (شهادة اللسان) بالنصب وقيل بالرفع اى اقراره (بانه رسول الله) اى الى جميع
افراد الانس والجن او الى الخلق كافة (فاذا اجتمع) اى فى العبد (التصديق به بالقلب) وهو حقيقة الايمان
(والنطق) اى معه (بالشهادة بذلك) اى بما ذكر (باللسان) اى وبالاقرار الذى هو شطر او شرط على خلاف بين
الاعيان (تم) اى كمل (الايمان به) اى بالجنان (والتصديق له) اى باللسان (كما ورد فى هذا الحديث) اى حديث
ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (نفسه) اى بعينه الا انه (من رواية ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما اى لا من ابى هريرة
رضى الله تعالى عنه (امرت ان) اى بان (اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) الحديث
اخرجه الشيخان وقد سبق ان هذا اللفظ جا من طريق ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ايضا وقد رواه اصحاب الستة عنه
الا انه بلفظ انى رسول الله (وقد زاده) اى النبى عليه الصلاة والسلام (وضوحا فى حديث جبرآئيل) عليه السلام
اى سؤاله عنه (اذ قال) اى حين قال جبرآئيل عليه السلام (اخبرنى عن الاسلام فقال) اى النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة وفى نسخة قال (ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله) وهو الاقرار فعده
من الاسلام وهو الانقياد الظاهرى دال على ان الايمان هو التصديق القلبى والانقياد الباطنى (وذكر اركان الاسلام)
اى بقية اركانه اذ الجملة خمسة كما ورد بنى الاسلام على خمس حيث قال وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان
وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا (ثم سأله) اى سأله جبرآئيل عليه السلام (عن الايمان فقال ان تؤمن بالله) اى
تصدق بحقيقة ذاته وحقيقة صفاته (وملائكته) اى بانهم عباد مكرمون مطيعون معصومون لا يوصفون بذكورة
ولا انوثة (وكتبه) اى بانها منزلة من عنده (ورسله) اى بانهم مبعوثون من الله تعالى الى خلقه صادقون فيما جاؤا
به (الحديث) وتمامه واليوم الآخر اى وبانه وما فيه كالبعث والحساب والثواب والعقاب حق وصدق وتؤمن
بالقدر خيره وشره اى حلوه ومره والحديث بطوله مذكور فى الاربعين وقد شرحناه فى المبين المعين وهو حديث رواه
الستة وغيرهم (فقد قرر) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الايمان) اى بالله سبحانه وتعالى وبما يجب الايمان به
من غيره (محتاج) وفى نسخة يحتاج (الى العقد بالجنان) بفتح الجيم اى الاعتقاد الجازم بالقلب (والاسلام) اى وان
الاسلام (به) اى الانقياد الظاهرى اليه وهو الاقرار به (مضطر الى النطق باللسان) اى ليتم بالبيان فان اللسان
ترجمان الجنان (وهذه الحال) وفى نسخة الحالة (المحمودة التامة) وفى نسخة هى المحمودة التامة اى عند الخاصة والعامة
فانه حينئذ نور على نور وسرور على سرور وجمع بين الظاهر والباطن فيصدق عليه انه مؤمن مسلم اذ لا خلاف بين
اهل السنة انه حينئذ مؤمن وان اختلفوا فى كون الاقرار شطرا للايمان او شرطا لاجرآء احكام الاسلام فاندفع
قول الدلجى رحمه الله ان هذا ذهاب منه الى ان الايمان اسم لفعل القلب واللسان وعليه بعض الاشعرية وغيرهم واما
قوله ووصفها بكونها تامة مؤذن بان العقد بالجنان كاف وان لم ينطق باللسان فهو مع كونه مناقضا لما سبق له من
البيان مدفوع بالفرق الظاهر بين التمام والكمال كما لا يخفى على ارباب الحال لان تمام الشئ يتوقف على حصول جميع
اجزآئه بخلاف كماله فانه يتوقف على وجود ضيائه وبهائه وهو ههنا بان يكتسب جميع الاوامر ويجتنب جميع الزواجر
من الصغائر والكبائر والمعتزلة والخوارج جعلوا الاركان من اجزآء الايمان والله المستعان هذا ويدل على ما قررنا
ويشهد لما حررنا قوله (واما الحالة المذمومة) اى عند جميع الامة المسلمة (فالشهادة باللسان دون تصديق
القلب) اى من غير اعتقاد الجنان (وهذا) اى الاعتقاد المشتمل على الشقاق (هو النفاق) اى الحقيق وهو ابطان

الكفر

الكفر واظهار الايمان وهذا كافر اذا علم حاله بالاتفاق (قال الله تعالى) حال لازمة اى متعاليا عما لا يليق بذاته
وصفاته (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) اى توهيما منهم انه شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم
لازعما منهم كما قاله الدلجى رحمه الله لانهم ما يزعمون ذلك حيث يعلمون حقيقة ما هنالك (والله يعلم انك لرسوله) اى
كما اظهروه ولو كان مخالفا لما ابطنوه والجملة احتراس من نفى رسالته المتوهم من قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون) ولذا فسره المصنف بقوله (اى كاذبون فى قولهم) اى فى دعواهم (ذلك) اى كونك رسول الله صادرا
(عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه) اى والحال انهم لا يعتقدون قولهم انك لرسول الله (فلما لم يصدق)
اى لم يوافق (ذلك) اى قولهم وظواهرهم (ضميرهم) اى قلوبهم وبواطنهم وفى نسخة ضمائرهم وهو يحتمل الرفع
والنصب (لم ينفعهم ان يقولوا) اى مجرد قولهم (بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم) اى لاعتقادهم ان قولهم ذلك كذب وخبر
على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فخرجوا عن اسم الايمان) اى عن ان يسموا بما اشتق منه فلم يكونوا مؤمنين
فى الدنيا (ولم يكن لهم فى الآخرة حكمه) اى حكم الايمان فلا يحشرون مع المؤمنين (اذ لم يكن معهم) اى ايمان
كما فى نسخة (ولحقوا بالكافرين) وفى نسخة بالكفار (فى الدرك الاسفل من النار) بفتح الرآء وسكونها اى الطبقة
السفلى من دركاتها كما ان المخلصين من المؤمنين فى اعلى اماكن الجنة وارفع درجاتها (وبقى عليهم حكم الاسلام)
اى بحسب ظواهر الاحكام فيعاملون كالمسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم (باظهار شهادة اللسان) اى بسبب
اظهارها منهم وهذا (فى احكام الدنيا المتعلقة بالائمة) اى ائمة الدين من العلماء العاملين (وحكام المسلمين) اى من
القضاة والسلاطين (الذين احكامهم على الظواهر) اى جارية وسارية (بما اظهروه من علامة الاسلام) اى من
الاذعان والانقياد وقبول الاحكام وهذا كله بحسب الظواهر (اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرآئر ولا امروا) اى
الائمة والحكام (بالبحث عنها) اى عن السرآئر (بل نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك)
اى التحكم هنالك (وقال) اى فيما رواه البخارى لاسامة بن زيد لما قتل من اضطره فاسلم أقتلته بعد ان اسلم فقال معتذرا
انما اسلم مكرها فقال (هلا شققت عن قلبه) اى لم ما كشفت عن ضميره وهذا امر تعجيز اذ لا اطلاع على قلب احد
الا لربه وقيل هلا اذا دخل على المضارع يفيد الامر كقولك هلا تضرب زيدا واذا دخل على الماضى يفيد التوبيخ
كقولك هلا ضربت زيدا والحديث فى صحيح مسلم عن اسامة بن زيد قال بعثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فى سرية فصبحنا الحرقات من جهينة فادركت رجلا فقال لا اله الا الله فطعنته فوقع فى نفسى من ذلك فذكرته للنبى
عليه الصلاة والسلام فقال أقال لا اله الا الله وقتلته قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح فقال هلا شققت
عن قلبه حتى تعلم أقالها ام لا الحديث والمعنى أقالها عن قلبه ام لم يقل عن قلبه وابعد الانطاكى حيث قال الفاعل
فى قوله أقالها هو القلب (والفرق) وفى نسخة وللفرق (بين القول) اى باللسان (والعقد) اى بالجنان (ما جعل)
بصيغة المفعول او الفاعل وما مصدرية اى جعله او موصولة اى الذى جعله النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
(فى حديث جبرآئيل) عليه السلام اى المتقدم (الشهادة) بالرفع او النصب اى الاقرار (من الاسلام) اى
من اركانه حيث قال مجيبا له عن سؤاله عنه ان تشهد (والتصديق من الايمان) اى وجعله فيه منه بقوله مجيبا له
عن سؤاله عنه ان تؤمن (وبقيت حالتان اخريان بين هذين) اى الحالين وهما الحالة المحمودة للخلص المؤمنين والحالة
المذمومة للمنافقين فيحتاج الى بيانهما (احداهما ان يصدق) اى المكلف (بقلبه ثم يخترم) بالخاء المعجمة على صيغة
المجهول اى يقتطع ويموت (قبل اتساع وقت الشهادة) اى قبل ان يأتى بها (بلسانه) اى لضيق زمانه (فاختلف فيه)
اى فى انه مؤمن ام لا (فشرط بعضهم من تمام الايمان القول والشهادة به) فعلى هذا لا يكون مؤمنا لعدم تمكنه
من الاتيان بها وهذا قول ضعيف سوآء قيل ان الاقرار شرط لاجرآء الاحكام لا لحقيقة الاسلام او شطر لان قائله
قائل بانه ركن قابل لسقوطه فى بعض الانام كالاخرس وحال ضيق المقام (ورآه بعضهم) اى المصدق المذكور قبل
تمكنه من الاقرار المسطور (مؤمنا) اى مصدقا ومسلما (مستوجبا للجنة) اى لعذره بعدم تمكنه من الاتيان به
وايضا لو لم يعتبر ايمانه للزم ان يكون فى النار مخلدا وهو غير واقع كما اشار اليه المصنف حيث قال (لقوله عليه الصلاة
والسلام) اى فيما رواه الشيخان (يخرج) بصيغة المفعول او الفاعل (من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان)
وفيه تلويح الى انه وان صغر قدره فقد عظم عند الله تعالى امره ولا يضيع اجره وقد قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة
وهى كل جزء من اجزآء الهباء فى الهوآء والمراد بها غاية القلة التى قد يعبر عنها بالعدم اى لا يظلم اصلا (فلم يذكر) اى
النبى عليه الصلاة والسلام (سوى ما فى القلب) اى لان غيره غير نافع عند الرب فى العقبى لا لاقتضاء احكام ظاهر الاسلام
فى الدنيا (وهذا) اى المؤمن بالجنان العاجز عن اقرار اللسان (مؤمن بقلبه) اى فينفعه ايمانه عند ربه (غير عاص

اى حيث اطاعه وآمن به (ولا مفرط بترك غيره) اى بترك غيرامره من اقراره لعدم ادراك وقته وفقد استقراره (وهذا)
اى الرأى من هذا البعض (هو الصحيح فى هذا الوجه) اى لما بيناه من الوجه الذى عيناه (الثانية) اى الحالة الثانية
(ان يصدق بقلبه) اى ويكتفى بعلم ربه (ويطول مهله) بفتح الميم وسكون الهاء وتحرك اى زمانه (وعلم ما يلزمه من
الشهادة) اى النطق بها (فلم ينطق بها جملة) اى مطلقا (ولا استشهد فى عمره) اى ولا تشهد فى عمره مرات كثيرة
كما كان اللائق به ان يكررها ويتلذذ بذكرها ويقوم بشكرها (ولا مرة واحدة) اى بل ولا كرة (فهذا) اى المؤمن
المذكور بالوصف المسطور (اختلف فيه ايضا) اى كما اختلف فيما قبله (فقيل هو مؤمن) اى لانه اتى بما يكفى من
مقصود الايمان (لانه مصدق) اى بقلبه وهو من احسن الاحوال (والشهادة من جملة الاعمال) اى اركان الاسلام
الموجبة للكمال (وهو) فى نسخة فهو (عاص بتركها) اى بترك الشهادة كالوترك الصلاة والزكاة (غير مخلد) اى
فى النار كما فى نسخة والمعنى ان دخلها لا يخلد فيها كما هو شأن المؤمن العاصى حيث يكون تحت المشيئة الا ان هذا
القول لا يصح عند من يقول الاقرار شطر وكذا عند من يقول انه شرط حيث لا يوجد المشروط بدون الشرط حال
امكان وجوده فبطل قول الدلجى وهذا كما مر عند المحققين هو الحق ولا يعصى عند من يقول الايمان هو التصديق
فقط انتهى ولا يخفى انه مخالف للاجماع لان تارك الشهادة مع القدرة عاص عند الكل من غير نزاع وانما الخلاف فى انه
مؤمن اوليس بمؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده) اى اعتقاده وتصديقه بالجنان
(شهادة) اى اقرارا بالله وبرسوله وفى نسخة شهادة اللسان وهى بالنصب وقيل بالرفع وكلاهما جائز لان من قارن
الشئ فقد قارنه ذلك الشئ وانما قيل بنفى ايمانه (اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان) اى قبول احكام اسلام
(وهى) اى الشهادة (مرتبطة مع العقد) اى جزم القلب (ولا يتم التصديق مع المهلة) بضم فسكون اى مع الامهال
زمانا يسعه القيام بشرطه او شطره (الا بها) اى بالشهادة سواء قلنا انها شرط او شطر كما بينا (وهذا) اى القول الثانى
(هو الصحيح) اى فى انه ليس بمؤمن لعدم قرانه عقد جنانه باقرار لسانه مع تمكنه من بيانه فى مهلة زمانه واما
قول الدلجى ان هذا انما يقول به من يجعل الاعمال جزأ منه فخطأ ظاهر اذ اجمع اهل السنة على ان الاعمال ليست
جزأ من حقيقة الايمان خلافا للخوارج والمعتزلة واما نسبة هذا القول الى الشافعى رحمه الله والمحدثين فمحمول على
انها جزء من كمال الايمان وانما الخلاف لفظى فى مراتب الايقان فبطل قول الدلجى ان الايمان قول وعمل واعتقاد كما
هو مذهب الفقهاء والمحدثين او قول واعتقاد كما هو مذهب ابى حنيفة رحمه الله واشياعه انتهى ولا يخفى ان هذا
غفلة منه عن تحقيق الاشعرى واتباعه ثم هذا الخلاف فيما اذا لم يؤمر باداء الشهادة واذا امر بها وامتنع وتأبى عنها
كابى طالب فهو كافر بالاجماع (وهذا) اى ما ذكرنا فى بحث الايمان وفى نسخة وهذه اى هذه المسائل او الاقوال التى هى
الوسائل التى كتب فيها الرسائل لينتفع بها كل طالب وسائل (نبذ) بنون مفتوحة وسكون موحدة فذال معجمة اى شئ
قليل يسير على ما فى القاموس وهو مطابق لما فى النسخ المعتبرة وموافق لما فى الشروح المعتمدة واما ما ذكره الدلجى من
قوله بنون وباء موحدة مفتوحتين وفى نسخة بضم النون وسكون الباء جمع النبذة فليس فى النسخ وهو مخالف لما فى
كتب اللغة بل فى القاموس ان النبذة بفتح النون وتضم الناحية ولا ريب ان هذا المعنى لا يناسب مقام المرام فهو مخالف
الرواية والدراية نعم فى نسخة نبذ بضم ففتح جمع نبذة اى قطعة يسيرة والمعنى ان ما ذكر من الايمان وما يتعلق به صحة
وعدما فى هذا المكان شئ يسير يترتب عليه امر كثير (يفضى) من الافضاء اى يوصل ويؤدى (الى متسع من الكلام
فى الاسلام والايمان وابوابهما) اى مما يتعلق بهما من الاحكام (وفى الزيادة فيهما والنقصان) وفيه ان لا خلاف
فى زيادة مراتب الاسلام المتعلقة بالاعمال ونقصانها وانما الخلاف فى زيادة نفس الايمان ونقصانه ويتفرع عليهما
قوله (وهل التجزى ممتنع على مجرد التصديق) اى كما عليه اهل التحقيق (لا يصح) اى التجزى وهو قبول الزيادة
والنقصان اصلا (فيه) اى فى الايمان (جملة) اى اجمالا بل يحتاج الى بيانه تفصيلا كما اوضحه بقوله (وانما يرجع)
اى التجزى (الى ما زاد عليه) اى على نفس الايمان (من عمل) اى واحسان قول (وقد يعرض فيه) بكسر الراء وبضم
اى يحصل التجزى فى التصديق (لاختلاف صفاته وتباين حالاته) اى وتغاير مقاماته وتفاوت درجاته (من قوة يقين)
اى علمى (وتصميم اعتقاد) اى عن دليل قوى (ووضوح معرفة) اى بانضمام مشاهدة (ودوام حالة) اى من غير فتور
فيها ولا قصور عنها (وحضور قلب) اى بالغيبة عن غير الرب وهو حال الاطمئنان ومقام الاحسان الذى بينه عليه
الصلاة والسلام بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه ولا شك ان مقام الاحسان واحكام الاركان من احكام
الايمان وكمال الاتقان لان الايمان يقبل الزيادة والنقصان كما حققناه فى شرح الاربعين ودققناه فى شرح الفقه الاكبر
بتوفيق المعين (وفى بسط هذا) اى المبحث الشريف (خروج عن غرض التأليف) لان المقصود منه اداء حقوق

صاحب الاصطفاء بمتابعته على وجه الاستيفاء (وفيما ذكرنا غنية) اى استغناء عن تطويله (فيما قصدنا) اى اردنا
(ان شاء الله تعالى) اى ان كان على وفق ارادته سبحانه وتعالى (فصل) (واما وجوب طاعته) اى الطاعة
النبى عليه الصلاة والسلام فى حكومته واتباع شريعته (فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به) مجملا (وجبت
طاعته) اى مطلقا وهو جواب الشرط (لان ذلك) اى وجوب طاعته (مما اتى به) اى من جملة ما جاء به من الدين
بالضرورة (قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله) ذكر الله تحسين وتزيين وتوطئة وتنبيه على ان طاعته
فى طاعة رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهادة افراد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه اى عن رسوله وبدليل قوله تعالى
من يطع الرسول فقد اطاع الله اويقال افراد الضمير ايماء الى ان الطاعتين متلازمتان او الضمير الى كل واحد منهما
والاظهر ان المعنى اطيعوا الله تعالى فيما انزل من كتابه والرسول فيما اوحى اليه من خطابه فى مقام ايجابه (وقال قل
اطيعوا الله والرسول) ولم يقل واطيعوا الرسول لما سبق من تلازم الطاعتين وتداوم الحالتين واما حيث قال اطيعوا
الله واطيعوا الرسول كما فى نسخة صحيحة فللاشارة الى استقلاله بالطاعة فيما ثبت عنه بالسنة وضبط الشريعة (وقال
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) اى بطاعتهما ومتابعة شريعتهما (وقال وان تطيعوه) اى نبى الخلق (تهتدوا)
اى الى الحق (وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه المبلغ والآمر فى الحقيقة هو الله وقد نزلت الآية فى المنافقين
حين قال النبى عليه الصلاة والسلام من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقالوا لقد قارف الشرك وهو
ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى (وقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى اعطاكم من
امره وامتثاله فتمسكوا به (وما نهاكم عنه) اى عن اتيانه (فانتهوا) اى عنه لوجوب طاعته وامتثال متابعته (وقال
ومن يطع الله والرسول فاولئك الآية) اى فالذين اطاعوهما يكونون (مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين) المبالغين فى التصديق والصدق والتحقيق من العلماء والاولياء (والشهداء والصالحين) اى القائمين بحقوق
الله وحقوق خلقه الجامعين بين تعظيم امره والشفقة على عباده ومن بيانية حال منه او من ضميره (وحسن اولئك
رفيقا) اى لانهم فى اعلى عليين (ذلك الفضل من الله) اى لا يجب عليه سبحانه وتعالى شئ (وكفى بالله عليما) اى بالمطيعين
والعاصين (وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) اى بامره وتيسيره (فجعل) اى الله (طاعة رسوله طاعته)
اى طاعة نفسه بقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله (وقرن طاعته بطاعته) اى فى كثير من آياته (ووعد على ذلك)
اى ما ذكر من الطاعة والاطاعة (بجزيل الثواب) بقوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الآية (واوعد على
مخالفته بسوء العقاب) بقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم (واوجب امتثال
امره واجتناب نهيه) بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (قال المفسرون والائمة) اى
المجتهدون (طاعة الرسول فى التزام سنته) اى طريقته ومواظبة متابعته (والتسليم) اى الاذعان والانقياد (لما جاء به)
اى من شريعته (وقالوا) اى المفسرون (ما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم) ونهاهم عن
معصيته لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله اى الا ليطيعه من بعث اليهم بسبب اذنه لهم فى طاعته
او بتوفيقه لمتابعته فمن لم يطعه فى شريعته ولم يرض برسالته فهو كافر فى ملته (وقالوا من يطع الرسول فى سنته)
الاولى سننه بصيغة الجمع ليلائم قوله (يطع الله فى فرائضه) جواب الشرط والمعنى من يطع الرسول فيما امر به ونهى
عنه مما لم يرد به القرآن الكريم يطع الله فى فرائضه الثابتة فى الفرقان العظيم لان امره ونهيه من امره ونهيه لقوله
تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله عليه الصلاة والسلام لا ألفين احدكم على اريكته يأتيه الامر
مما امرت او نهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا فى كتاب الله عملنا به فهذا نهى مؤكد منه صلى الله تعالى عليه وسلم
لمن لم يعمل بسنته اذ العمل بها كالعمل بكتاب الله وشريعته (وسئل سهل بن عبد الله) اى التسترى (عن شرائع
الاسلام) اى جميعها (فقال وما آتاكم الرسول فخذوه) اى فتمسكوا به فى امره ونهيه (وقال السمرقندى) اى الفقيه
ابو الليث رحمه الله (يقال اطيعوا الله فى فرائضه والرسول فى سنته) اى فى شريعته الشاملة لفريضته وسنته المستفادة
من احاديثه الواردة وفق طريقته (وقيل اطيعوا الله تعالى فيما حرم عليكم) والاول ابلغ لان الفرض يشمل فعل
الواجب الحتم وترك الفعل المحرم (والرسول فيما بلغكم) اى اوصلكم من امره ونهيه ولو لم يسنده الى ربه (ويقال
اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية) اى بوصف الوحدة ونعت العبودية له وحده (والنبى بالشهادة له بالنبوة) اى المقترنة
بالرسالة وفى نسخة بالرسالة والاولى اشمل والثانية اكمل وكان الجمع بينهما افضل اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما
للمنة لديه والمعنى ان هذه الاطاعة اقل ما يطلق عليه اسم الطاعة (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بفتح فتشديد فوقية
(بقراءتى عليه) اى لا بسماعى لديه (ثنا) اى قال حدثنا (حاتم بن محمد) اى ابن الطرابلسى (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن

على بن محمد بن خلف) بفتحتين وهو القابسى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (البخارى) وهو صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (عبدان) بفتح فسكون موحدة وهو بوزن التثنية غير مصروف وهو العتكى المروزى يقال تصدق بالف الف (انا) اى اخبرنا (عبد الله) اى ابن وهب فيما يغلب على الظن لان مسلما روى هذا عن اثنين عنه به (انا) اى اخبرنا (يونس) اى ابن يزيد الايلى احد الاثبات روى عن القاسم وعكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وابن وهب اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن الزهرى) تابعى جليل (قال اخبرنا ابو سلمة بن عبد الرحمن) احد الفقهاء السبعة على قول الاكثر (انه سمع اباهريرة رضى الله تعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اطاعنى) اى فيما جئت به عن الله تعالى (فقد اطاع الله) لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ومن عصانى فقد عصى الله) وهو اللازم لجعل طاعته طاعته والحاصل ان الاول معلوم الكتاب والثانى مفهوم الخطاب (ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى) اى بطريق القياس لان طاعته من طاعته لكن بشرط ان يامر بطاعته لا بمعصيته كما يستفاد من اطاعته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق والحديث الاول رواه الشيخان وان اسنده المصنف من طريق البخارى (وطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله وطاعة له) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم باتباعه فيما امر ونهى ومن جملة ذلك تأميراميره هنالك (وقد حكى الله تعالى عن الكفار فى دركات جهنم) اى طبقاتها السفلية بحسب مقامات اهلها فى المعاصى الجليه والخفية حيث قال (يوم تقلب وجوههم فى النار) اى تصرف من جهة الى جهة استيعابا لجميع اعضائهم واستيفاء لسائر اجزائهم كقطعة لحم تدور فى قدر غلت فترامى بها الغليان من ناحية الى اخرى والمراد من الوجوه ذواتهم او اريد بها اشرف اعضائهم والطف اجزائهم لاسيما وسائر البدن تابع لها فى اقبالها وادبارها (يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا) باثبات الالف رسما واختلفت القراءة وقفا ووصلا (فتمنوا طاعته) اى حين شاهدوا التعنى (حيث لا ينفعهم التمنى وقال) وفى نسخة وقد قال (عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الشيخان (اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بشئ) وفى نسخة بامر اى مأموربه ايجابا او ندبا (فأتوا منه ما استطعتم) اى من غير ترك لواجب (وفى حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام كل امتى) اى جميعهم (يدخلون الجنة الا من ابى) اى امتنع عن دخول الجنة والظاهر انه استثناء منقطع والمراد بالامة امة الاجابة ودخول الجنة اعم من ان يكون اولا او آخرا ولا يبعد ان يكون الاستثناء متصلا على ان المراد بالامة امة الدعوة وان المعصية مختصة بالكفر (قالوا ومن أبى) وفى نسخة قالوا يارسول الله ومن يأبى اى عن دخول الجنة مع ان فيها حصول النعمة ووصول المنة (قال من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى) اى بتركه الطاعة التى هى سبب لدخولها او موجب لوصولها والحديث رواه الحاكم بلفظ كلكم يدخل الجنة الا من ابى الحديث كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير برواية البخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ولفظه كل امتى يدخلون الجنة الا من ابى من اطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد ابى (وفى الحديث الآخر الصحيح) اى الذى رواه البخارى فى صحيحه (عنه عليه الصلاة والسلام مثلى ومثل ما بعثنى الله تعالى به) اى مما يورث الفوز بنصر الدنيا وذخر العقبى والمعنى حالتنا العجيبة الشان وصفتنا الغريبة البرهان (كمثل رجل اتى قوما) اى جاءهم يحذرهم من عدوهم وراءهم (فقال ياقوم انى رأيت الجيش) اى عسكر العدو (بعينى) بصيغة التثنية للمبالغة فى التأكيد ودفع توهم المجاز فى الخبر الاكيد (وانى انا النذير العريان) اى المخوف الذى ليس له غرض فى التحذير بل هو عارى عن تلبيس وتدليس فى وصف النذير وقيل هذا مثل ضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبالغة فى صدق النذارة لانه اذا كان عريانا كان ابين وقيل بل كان يتجرد عن ثيابه ويلوح بها فى مقام خطابه ليجتمعوا اليه ويحققوا ما اراد به وقيل هو الذى سلب العدو ما عليه من الثوب فاتى قومه عريانا يخبرهم فصدقوه لما عليه من آثار الصدق (فالنجاء) بفتح النون قبل الجيم ممدودا وقد يقصر وهو منصوب على الاغراء اى الزموا النجاء وهو الاسراع الى المنجى والملجأ فى حال البلاء لتسلموا من الاعداء وقيل انه منصوب على المصدر اى انجوا النجاء بمعنى اطلبوا النجاة وهو فى غالب النسخ مرة واحدة وفى بعضها النجاء النجاء مرتين للتأكيد او احدهما اشارة الى امر الدنيا والآخر ايماء الى امر العقبى (فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا) بتخفيف الدال وقطع الهمزة وفى بعض النسخ بتشديدها ووصل الهمزة فقيل هما لغتان تستعملان فى سير الليل كله وقال اكثرهم ادلج سار آخر الليل وادلج سار الليل كله وقيل ان ساروا من آخر الليل فادلجوا بالتشديد وان ساروا من اول الليل فادلجوا بالتخفيف والقول الاكثر هو الاوسط المعتبر لكن المراد فى الحديث هو المعنى الاعم فتدبر (فانطلقوا على مهلهم) بسكون الهاء ويفتح اى

فذهبوا على مهلتهم بوصف تؤدتهم من غير عجلتهم (فنجوا) اى فتخلصوا من عدوهم ونهبتهم وفى حديث على اذا سرتم الى العدو فمهلا مهلا واذا وقعت العين على العين فمهلا مهلا قال الازهرى الساكن الرفق والمتحرك التقدم اى اذا سرتم فتأنوا واذا لقيتم فاحملوا اى وتعنوا (وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم) اى دخلوا فى الصبح فى محلهم (فصبحهم الجيش) بتشديد الموحدة اى نزلوا عليهم وقت صباحهم قبل رواحهم (فاهلكهم) اى الجيش (واجتاحهم) اى استأصلهم ولم يبق واحدا منهم (فذلك) اى المثل المذكور (مثل من اطاعنى) اى انقاد لى فى الطاعة على وجه الصدق (واتبع ما جئت به) اى من الامر الحق فيه ايماء الى انه لا ينبغى لاحد ان يكتفى بظاهر الطاعة عن اتباع ما جاء به من العبادة (ومثل من عصانى) اى بالوجه المطلق (وكذب ما جئت به من الحق) فيه اشارة الى ان مطلق العصيان غير مستأصل للانسان بل العصيان مع التكذيب هو الموجب لاستئصال البنيان لكونه كمال العدوان (وفى الحديث الآخر) اى الذى رواه الشيخان (فى مثله) بفتحتين اى فى تمثيله صلى الله تعالى عليه وسلم (كمثل من بنى دارا) واصل هذا المثل منسوب الى الملائكة حيث قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام اما فى حال اليقظة واما فى حال المنام مثله كمثل رجل بنى دارا (وجعل فيها مأدبة) بضم الدال المهملة وقد تفتح اى اطعمة ملونة موضوعة للدعوة (وبعث داعيا) اى الى الناس ليحضروها ويأكلوا منها (فمن اجاب الداعى) اى بقبول الدعوة (دخل الدار) اى دار النعمة (واكل من المأدبة) اى على قدر الطاقة فى الطاعة (ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار) اى دار القربة (ولم يأكل من المأدبة) اى لان نصيبه الفرقة والحرقة (فالدار الجنة) اعدت للمتقين الذين اجابوا دعوة سيد المرسلين (والداعى) اى الى الله تعالى ودار نعمته (محمد) صلى الله عليه وسلم (فمن اطاع محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد اطاع الله) لانه الداعى اليه بامره (ومن عصى محمدا) صلى الله عليه وسلم (فقد عصى الله تعالى) اى بخروجه عن حكمه (ومحمد فرق) بفتح فسكون اى فارق (بين الناس) اى من المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه فهو مصدر وصف به للمبالغة كرجل عدل وفى نسخة بفتح الراء مشددة ومخففة بالقاف اى فصل بينهم باعزاز المطيعين واذلال العاصين

(فصـــل)

(واما وجوب اتباعه) اى متابعته (وامتثال سنته) اى طريقته (والاقتداء بهديه) اى سمته وحالته وسيرته (فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) اى تدعون محبته وتريدون مودته (فاتبعونى) اى فيما يظهر منى من شريعته وطريقته وحقيقته (يحببكم الله) جواب الامر وهو جواب الشرط اى يرض عنكم ويكشف حجب قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) اى جميع عيوبكم (وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبى الامى) وفى وصفه به تلويح الى ان كمال علمه من معجزاته (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى بكتبه وآياته (واتبعوه) اى فى اوامره وزواجره (لعلكم تهتدون) ببركات ظواهره وسرائره (وقال تعالى فلا وربك) زيدت لا لتأكيد معنى القسم كما قاله الدلجى تبعا لغيره لكن يأباه الجمع بين الفاء والواو فالاظهر ان تقديره فليس الامر كما يظنون من انهم يصلون الى الله تعالى من غير ان يتبعوا رسوله وربك (لا يؤمنون) اى بى ولا بك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) اى اختلفوا فى امرهم ويرضوا بحكمك فى حقهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا (مما قضيت) اى حكمت به او من حكمك (ويسلموا تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره (اى ينقادوا لحكمك) يعنى انقيادا كاملا يكون لجميع احكامك شاملا ولظواهرهم وبواطنهم كافلا (يقال) اى فى اللغة (سلم) بتشديد اللام (واستسلم واسلم اذا انقاد) اى مطلقا (وقال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة) بكسر الهمزة وضمها اى خصلة (حسنة) من حقها ان يؤتسى ويقتدى بها (لمن كان يرجو الله) اى ثوابه او لقاءه (واليوم الآخر) اى نعيم الآخرة او ان كان يخاف عقابه او حجابه واليوم الآخر اى حسابه وعذابه (وقال محمد بن على الترمذى) اى الحكيم وهو ليس صاحب الجامع (الاسوة فى الرسول) اى معناها فى حقه (الاقتداء به) اى فى امر شريعته (والاتباع لسنته) اى طريقته (وترك مخالفته فى قول او فعل) وكذا فى جميع ما علم من حالته (وقال غير واحد) اى كثير من المفسرين (بمعناه) اى بمعنى قول الحكيم وان اختلف عنهم مبناه (وقيل هو) اى قوله تعالى لقد كان لكم الآية (عتاب) اى ملامة من الله (للمتخلفين عنه) اى فى غزواته وخصوص حالاته وعلو درجاته ورفعة مقاماته (وقال سهل) اى ابن عبد الله كما فى نسخة وهو التسترى من اكابر الصوفية (فى قوله تعالى) اى فى تفسيره (صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة) وفى نسخة سنته اى انعم عليهم بسبب اتباع طريقته (فامرهم الله تعالى بذلك) اى باتباع شريعته (ووعدهم الاهتداء باتباعه) اى بمتابعته حيث قال واتبعوه لعلكم تهتدون (لان الله تعالى ارسله بالهدى) اى بالهداية الموصلة الى المولى (ودين الحق) اى الملة الثابتة بمخالفة الهوى (ليزكيهم) اى يطهرهم من الشرك والمعاصى (ويعلمهم الكتاب) اى القرآن الجامع لمكارم الاخلاق (والحكمة)

اى السنة او الاحكام المحكمة والمعارف الصادرة عن اهل الحكمة ممن جمع بين ايقان العلم واتقان العمل (ويهديهم الى
صراط مستقيم) هو الدين القويم بالطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى العقبى (ووعدهم) اى على اتباعه (محبته تعالى
فى الآية الاخرى) وهى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذا معنى قوله
(ومغفرته) اى ووعدهم غفران ذنوبهم (اذا اتبعوه) اى فى الايمان به وامتثال امره ونهيه (وآثروه) بالف ممدودة
اى قدموه على انفسهم وآثروه (على اهوائهم) واختاروا هداه على آرائهم واحبوه ازيد من آبائهم وابنائهم (وما تجنح)
بفتح النون وتضم اى وعلى ما تميل (اليه نفوسهم) اى من محبة الجاه والمال والجمال المتعلقة بالامور الدنيوية الشاغلة
عن المراتب الدينية والمناقب الاخروية (وان صحة ايمانهم) اى واخبر فى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون الآية ان صحته
(بانقيادهم له) اى لامره (ورضاهم بحكمه) اى فيما شجر بينهم (وترك الاعتراض عليه) اى فيما حكم لهم او عليهم
(وروى) كما فى تفسير ابن المنذر (عن الحسن) اى البصرى (ان اقواما) اى جمعا كثيرا (قالوا يا رسول الله انا نحب الله)
اى ونطلب رضاه (فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية وروى) قال الدلجى لا ادرى
من رواه (ان الآية) اى هذه الآية (نزلت فى كعب بن الاشرف) وهو يهودى قتل غيلة كافرا بالله تعالى (وغيره) اى
من اليهود (وانهم قالوا نحن ابناء الله) زعما منهم انهم اشياع عزير (واحباؤه) يعنون به كما قال المصنف (ونحن
اشد حبا لله) اى مقربون قرب الاولاد من آبائهم بل هم مبعدون عنه بعدا عدى الاعداء من اعدائهم اذ لو كانوا ابناءه
واحباءه لم يأتوا قبيحا من عيوبهم ولما عذبوا بذنوبهم مسخا فى الدنيا ومسا بالنار دائما فى العقبى لا اياما معدودات
كما زعموا وعنوا من جهة النفس والهوى وقد اجاب عنه سبحانه وتعالى بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
ممن خلق يغفر لمن يشاء بالايمان ويعذب من يشاء بالكفران والله على كل شىء قدير من الاحسان والخذلان وهذا
لا ينافى قوله (فانزل الله الآية) اى آية قل ان كنتم تحبون الله حيث لا مانع من تعدد الجواب فى مقام الخطاب
والعتاب (وقال الزجاج معناه) اى معنى ما ذكر من الآية ومعنى ان كنتم تحبون الله (ان تقصدوا طاعته) اى
تريدوها وتحبوا القيام بحقها (فافعلوا ما امركم به) اى رسولنا وهذا تفسير بالمعنى لقوله تعالى فاتبعونى اى اتبعوا
امرى ونهيى (اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا) اى ونهيا (ومحبة الله لهم) اى لعباده (عفوه
عنهم) اى برأفته (وانعامه عليهم برحمته) حتى يدخلهم فى جنته (ويقال الحب من الله) اى للعبد (عصمة) اى
حفظ له عن المعصية (وتوفيق) اى للعبادة (ومن العباد) اى والحب من العباد لله (طاعة) اى اطاعة له فى امره ونهيه
ومتابعة رسوله (كما قال القائل) قيل القائل رابعة العدوية وفى الاحياء ان قائله عبد الله بن المبارك (تعصى الاله
وانت تزعم حبه هذا) اى الجمع بين اختيار المعصية واظهار المحبة (لعمرى) بفتح العين اعتراض بين المبتدأ والخبر وما
فى حيزه من جار ومجرور وخبر اقسم به والتقدير والله لبقائى او لعمرى مما اقسم به ان هذا الامر (فى القياس) وفى نسخة
فى الفعال وهو موافق لتفسير ابى الليث واحياء الغزالى (بديع) اى عجيب وغريب وبعيد عن القياس او من فعال
الناس لانه (لو كان حبك صادقا لاطعته) كما هو القياس لكنك لم تطعه فلم يكن حبك له صادقا بدليل قوله (ان المحب
لمن يحب مطيع) وفى رواية يطيع (ويقال محبة العبد لله) اى غاية ميله اليه سبحانه وتعالى (تعظيمه له) اى فى شانه
(وهيبته منه) اى فى سلطانه (ومحبة الله له) اى للعبد (رحمته له) اى بانعامه فيكون من الصفات الافعالية
(وارادته الجميل له) اى باكرامه فيكون من النعوت الذاتية والجميل منصوب على انه مفعول المصدر الذى هو ارادته
(وتكون) اى وقد تكون المحبة (بمعنى مدحه وثنائه عليه) اى على العبد عند ملائكته وعلى السنة رسله او على
السنة الخلق فانها اقلام الحق (قال القشيرى) وهو الامام ابو القاسم صاحب الرسالة والتفسير (فاذا كان) اى الحب
(بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات) والاظهر ما قدمناه (وسيأتى بعد) اى بعد ذلك (فى ذكر محبة
العبد غير هذا) اى غير ما ذكرنا (بحول الله تعالى) اى بتصرفه وقوته وهو متعلق بسيأتى (حدثنا ابو اسحق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه قال ثنا) اى حدثنا (ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره غين معجمة (عيسى بن سهل وثنا)
اى وحدثنا وفى نسخة واخبرنا (ابو الحسن يونس بن مغيث) اسم فاعل من الاغاثة (الفقيه) اى الكامل فى الفقه
(بقراءتى عليه) اى هذا الحديث (قالا) اى عيسى ويونس كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن حاتم) بكسر الفوقية (قال
ثنا) اى حدثنا (ابو جعفر الجهنى) بضم ففتح نسبة الى قبيلة جهينة بالتصغير (ثنا) اى حدثنا (ابو بكر الآجرى)
بهمزة ممدودة وضم جيم وتشديد راء وهو الامام الحافظ القدوة (ثنا) اى حدثنا (ابراهيم بن موسى الجوزى) بفتح
الجيم وسكون الواو وكسر الزاى منسوب الى الجوز (ثنا) اى حدثنا (داود بن رشيد) بالتصغير خوارزمى روى عنه
مسلم وابو داود وابن ماجه والبغوى والسراج وخلق اخرج عنه السنة ما عدا الترمذى ووثقه غير واحد (ثنا) اى

حدثنا

حدثنا (الوليد بن مسلم) هو الحافظ ابو العباس عالم اهل الشام روى عنه احمد واسحق قال ابن المدينى ما رأيت
فى الشاميين مثله اخرج له الجماعة وهو مدلس (عن ثور بن يزيد) هو الحافظ الحمصى روى عن خالد بن معدان وعن عطاء
وعنه القطان وابو عاصم وكان ثبتا قدريا اخرجوه من حمص واحرقوا داره اخرج له البخارى والاربعة (عن خالد
ابن معدان) هو الكلاعى عن معاوية وثوبان وغيرهما يقال كان يسبح فى اليوم اربعين الف تسبيحة وقيل غير ذلك
اخرج له الجماعة (عن عبد الرحمن بن عمرو السلمى) بضم ففتح هو الصواب كما فى سنن ابى داود وجامع الترمذى وسنن
ابن ماجه وفى بعض النسخ الاسلمى (وحجر) بضم مهملة وسكون جيم (الكلاعى) بفتح الكاف (عن العرباض)
بكسر العين المهملة وفى آخره ضاد معجمة (ابن سارية) اى ابن نجيح السلمى من البكائين من اهل الصفة اخرج له اصحاب
السنن الاربعة (فى حديثه) اى فى حديث رواه العرباض (فى موعظة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فعليكم
بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) اى الخلفاء الاربعة ومن سار سيرتهم كعمر بن عبد العزيز والراشد اسم فاعل
من الرشد وهو خلاف الغى والمهدى من هداه الله تعالى الى الحق (عضوا) بفتح وتشديد (عليها بالنواجذ) بالذال
المعجمة اى تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع اضراسه (واياكم ومحدثات الامور) تحذير منها ومن الرضى بها جمع
محدثة وهى ما لم يكن معروفا من كتاب ولا سنة ولا اجماع امة (فان كل محدثة بدعة وكل بدعة) بالنصب وفى نسخة
بالرفع (ضلالة) وخص منها البدعة الحسنة بحديث من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومنه قول عمر
رضى الله عنه فى التراويح نعمت البدعة هذه والحديث فى الاربعين للنووى وقد اوضحنا فى شرحه المبين المعين بيان
مبناه وعيان معناه وقد اخرجه ابو داود فى السنة عن احمد بن حنبل عن الوليد بن مسلم بالسند الذى ساقه القاضى
والترمذى فى العلم وقال حسن صحيح وابن ماجه فى السنة والمصنف عدل عن السنن الثلاث واخرجه من خارجها
طلبا للعلو فى الاسناد فان بينه وبين شيخ شيخ ابى داود فى هذا الحديث وهو الوليد بن مسلم ستة اشخاص ولا يتفق له ذلك
فى رواية ابى داود (زاد فى حديث جابر) على ما رواه مسلم (بمعناه) اى زيادة افادت عدم روايته بلفظه ومبناه (وكل
ضلالة فى النار) اى وكل محدثة فيها باسقاط المكرر (وفى حديث ابى رافع) كما رواه الشافعى فى كتابه الام عن
سفيان بن عيينة عن سالم ابى النضر عن عبيد الله بن ابى رافع عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكذا رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه عنه عليه الصلاة والسلام (لا الفين) بضم الهمزة وكسر الفاء ونون مشددة
اى لا اجدن (احدكم متكئا على اريكته) اى جالسا على سريره او فراشه متكئا على مقعده او مائلا فى قعوده معتمدا على
احد شقيه كما هو شأن الجهلة من المتكبرين الراضين بالقعود مع المتخلفين كما قيل شعر ❊ دع المكارم لا ترحل لبغيتها ❊
واقعد فانك انت الطاعم الكاسى (يأتيه الامر من امرى) اى يبلغه امر من امورى او من امورى بدليل قوله
(مما امرت به) على ان من فيه بيانية وبدلالة رواية الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على اريكته
فيقول بيننا وبينكم كتاب الله تعالى (او نهيت عنه فيقول لا ادرى) اى غير القرآن ولا اتبع سوى الفرقان (ما وجدنا
فى كتاب الله اتبعناه) اى وما وجدنا فى غيره او مخالفا فيه تركناه والحديث جاء محذرا من ترك امتثال اوامره واجتناب
زواجره لانه عليه الصلاة والسلام جاء مبينا لما فى القرآن من الاحكام ولقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله واطيعوا الله والرسول وقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقوله قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعونى وامثال ذلك مما يدل على انه لا يسوغ لمسلم ان يخالفه فى امر او نهى هنالك (وفى حديث عائشة
رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (صنع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ ترخص فيه) اى اختار
الرخصة على العزيمة فى عمل ذلك الشىء عملا بقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب ان يؤتى برخصه كما يحب ان يؤتى
بعزائمه والظاهر ان ما ترخص فيه هو الافطار فى السفر او القصر وهو الاظهر لقوله عليه الصلاة والسلام صدقة
تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ومن هنا قال ابو حنيفة ان القصر واجب واتمامه اساءة (فتنزه عنه) اى تبعد عن
ذلك الشىء او عن الترخص فيه (قوم) اى جماعة من الرجال ما بلغوا مبلغ الكمال (فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم فحمد الله) اى شكره (واثنى عليه) اى فيما افاض اليه (ثم قال ما بال قوم) اى ما حالهم وشأنهم (يتنزهون
عن الشىء اصنعه) جملة وصفية او حالية (فوالله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية) اذ بقدر المعرفة بالله وصفاته تكون
الخشية من عقوباته وحجاب حالاته ومقاماته كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وروى عنه عليه
الصلاة والسلام) من حديث ابى الشيخ وابى نعيم والديلمى (انه قال القرآن صعب) اى باعتبار مبناه (مستصعب)
بكسر العين وتفتح اى باعتبار معناه (على من كرهه) اى ولم يتلذذ بمقتضاه ومفهومه انه سهل متيسر على من احبه
وارتضاه كما يشير اليه قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فهو كالسيل ماء للمحبوبين ودماء
للمحجوبين وشفاء للمؤمنين وشقاء للعاصين (وهو) اى القرآن (الحكم) بفتحتين الحاكم العدل والفاتح الفصل والجد

الذى ليس فيه الهزل اوذوا الحكمة من كمال الفضل (فمن استمسك بحديثى) اى تعلق به من كمال رضاه (وفهمه) اى
القرآن من جهة معناه (وحفظه) اى من جهة مبناه اى ضبط حكمه وراعاه (جاء) اى ورد (يوم القيامة مع
القرآن) اى بعلمه وعمله بهما (ومن تهاون بالقرآن وحديثى) بان لم يعمل بهما ولو حفظهما وفهمهما (فقد خسر
الدنيا والآخرة) اى وذلك الخسارة الظاهرة (امرت امتى) بصيغة المجهول للتأنيث وفى نسخة بصيغة الفاعل المتكلم
والاول هو الظاهر اى امرهم الله (ان يأخذوا بقولى) اى اعتقادا لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى
يوحى (ويطيعوا امرى) اى اعتمادا لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (ويتبعوا سنتى) اى استنادا لقوله
تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون (فمن رضى بقولى) اى بحديثى (فقد رضى بالقرآن) وفى الكلام قلب للمبالغة اى فمن
رضى بالقرآن فقد رضى بقولى ومن لم يرض بقولى فلم يرض بالقرآن قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وقال عليه الصلاة والسلام من اقتدى بى فهو منى اى متصل بى ومعى او من اشياعى واتباعى وقد رواه
عبد الرزاق فى مصنفه من مراسيل الحسن الا انه بلفظ من استن بسنتى اى اتبعها وعمل بها فهو منى (ومن رغب
عن سنتى) يقال رغب فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا لم يرده والمعنى ومن مال عنها كراهة لها (فليس منى)
كما فى الصحيحين (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله
تعالى) هذا مقتبس من قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا (وخير الهدى) بالنصب ويجوز رفعه (هدى محمد)
وهو بفتح الهاء وسكون الدال فيهما بمعنى السمت والطريقة وضبط فى بعض النسخ بضم الهاء وفتح الدال على انه ضد
الضلالة لقوله تعالى قل ان هدى الله هو الهدى والمعنى به سيرته السنية وطريقته الرضية وهيئته السوية (وشر
الامور) بالوجهين (محدثاتها) جمع محدثة بالفتح وهى البدعة التى تخالف الكتاب والسنة واجماع الائمة قال الدلجى
لا ادرى من روى هذا الحديث ولعله انكره من حيث اسناده الى ابى هريرة والا فقد ورد من حديث جابر كما رواه احمد
ومسلم والنسائى وابن ماجه ولفظه اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى وان افضل الهدى هدى محمد وشر
الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار الحديث وروى البيهقى فى الدلائل وابن عساكر
عن عقبة بن عامر الجهنى وابو نصر السجزى فى الابانة عن ابى الدرداء مرفوعا وابن ابى شيبة عن ابن مسعود
رضى الله تعالى عنه موقوفا بلفظ اما بعد فان اصدق الحديث كتاب الله تعالى واوثق العرى كلمة التقوى
وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وخير السنن سنة محمد واشرف الحديث ذكر الله تعالى واحسن القصص
هذا القرآن وخير الامور عوازمها وشر الامور محدثاتها واحسن الهدى هدى الانبياء واشرف الموت قتل
الشهداء واعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وخير الهدى ما اتبع وشر العمى عمى القلب واليد
العليا خير من اليد السفلى وما قل وكفى خير مما كثر والهى وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة
ومن الناس من لا يأتى الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا واعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى
غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وخير ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الكفر
والنياحة من عمل الجاهلية والغلول من جثاء جهنم والكنز كى من النار والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم
والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون وشر المكاسب كسب الربا وشر المأكل مال اليتيم والسعيد
من وعظ بغيره والشقى من شقى فى بطن امه وانما يصير احدكم الى موضع اربعة اذرع والامر بآخره وملاك العمل خواتمه
وشر الرؤيا رؤيا الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق وقتال المؤمن كفر واكل لحمه من معصية الله تعالى
وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يتأل على الله يكذبه ومن يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره
الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ومن يتبع السمعة يسمع الله به ومن يصبر يضعف الله له ومن يعص الله يعذبه الله
اللهم اغفر لى ولامتى اللهم اغفر لى ولامتى استغفر الله لى ولكم كذا فى الجامع الصغير وانما ذكرته لما فيه من النفع الكثير
للصغير والكبير (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة العاصى والاولى هى الاولى لما
حققناه فيما سبق من اصل المبنى (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العلم) اى اصوله (ثلاثة) اى اقسام (وما سوى
ذلك) يعنى كل علم سوى هذه الثلاثة وما يتعلق بها مما تتوقف عليه (فهو فضل) اى زائد لا يفتقر الى علمه وان لم يسع
المرء جهله (آية محكمة) اى احكم بيانها فلم يحتج الى زيادة فى شأنها (وسنة قائمة) اى احاديث ثابتة مستمرة العمل
بها دائمة (وفريضة عادلة) اى فى القسمة او عادلة ومساوية فى العمل بها الكتاب والسنة وهى الثابتة باجماع
الامة او قياس الائمة رواه ابو داود وابن ماجه (وعن الحسن بن ابى الحسن رحمهما الله تعالى) اى البصرى كما رواه
عبد الرزاق عن معمر عن زيد عن الحسن مرسلا والدارمى عن ابن مسعود موصولا (قال عليه الصلاة والسلام

عمل قليل فى سنة) اى مصاحب لها (خير من عمل كثير فى بدعة) اى من اصلها لان ذلك وان قل كثر نفعه بل هو
نفع كله وذا اكثر ضررا ونفعه قليل وان كثر عمله ففى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ادخلوا فى امم اى معهم والحاصل ان
الاقتصاد فى السنة افضل من الاجتهاد فى البدعة ولو كانت مستحسنة (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى
يدخل العبد الجنة) اى اعلى مراتبها (بالسنة) اى بسبب القيام بها (تمسك بها) اى اخذها وعمل بمقتضاها ففاز
بمقام القدس ومرام الانس وفى نسخة تمسك بها فالاولى استئناف والثانية حال والحديث غير معروف المبنى لكنه
صحيح المعنى (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الطبرانى فى الاوسط (قال
المتمسك بسنتى عند فساد امتى) اى حين يكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى
فيها خير من الساعى فان قلت من تمسك بالسنة اذا فسدت الامة اجيب بان المراد اكثر الامة ولا يبعد ان يراد
بفسادهم سوء اعتقادهم بترك العمل بالاحاديث واعتمادهم على مجرد ما يفهمونه بعقولهم الكاسدة وآرائهم
الفاسدة كما هو طريق اهل البدعة بخلاف مذهب اهل السنة والجماعة حيث جمعوا بين الكتاب والسنة على
ما ورد (له اجر مائة شهيد) اى حيث جاهد فى طريق سديد (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الترمذى (ان بنى
اسرائيل افترقوا) اى تفرقوا (على اثنتين وسبعين ملة) اى مذهبا ومشربا وفى نسخة فرقة اى جماعة (وان امتى)
اى اهل الدعوة والاجابة (تفترق) وفى رواية ستفترق (على ثلاث وسبعين) اى بزيادة ملة (كلها) اى جميع الملل
السابقة والنحل اللاحقة (فى النار) اى فى طريقها فكأنهم فيها (الا واحدة) اى الا اهل ملة واحدة او الا جماعة
(قالوا) اى بعض الصحابة (ومن هم يا رسول الله قال الذى) اى الجمع والفوج الذى او اهل الطريق الذى (انا عليه
اليوم واصحابى) اى من متابعة الكتاب والسنة ومجانبة الامور المحدثة والبدعة (وعن انس رضى الله تعالى عنه
قال صلى الله تعالى عليه وسلم من احيى سنتى) اى اشاعها بعملها او اذاعها بنقلها (فقد احيانى) اى رفع ذكرى
واظهر امرى (ومن احيانى كان معى) اى مشاركا لى فى علو قدرى وفى نسخة كان معى فى الجنة اى مصاحبا لى
فى النعمة رواه الاصبهانى فى ترغيبه واللالكائى فى السنة (وعن عمرو بن عوف المزنى) كما رواه الترمذى وحسنه ابن
ماجه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيى سنة من سنتى) اى من سننى (قد اميتت بعدى)
اى بترك ذكرها او العمل بها (فان له من الاجر مثل من) اى مثل اجر من (عمل بها من غير ان ينقص) اى ذلك الاجر
الذى يكون له (من اجورهم) اى من اجور من عمل بها تبعا له (شيأ) مفعول ينقص وقد اعتبر فى ضميرهم معنى من
دون لفظها (ومن ابتدع بدعة ضلالة) بالاضافة او بالوصف اى بدعة سيئة كالبناء على القبور وتجصيصها
لا بدعة مستحسنة كالمنارة وترصيصها (لا ترضى الله ورسوله) من الارضاء صفة كاشفة والمعنى لا تكون موافقة
للكتاب والسنة ولا مأخوذة من القياس او اجماع الامة (كان عليه) اى من الاثم (مثل آثام من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزار الناس شيأ) اى من آثام من عمل بها تبعا له (فصـــــل) (واما ما ورد عن السلف) اى الصالحين
من الصحابة والتابعين (والائمة) اى العلماء العاملين المجتهدين فى امر الدين (من اتباع سنته) وفى نسخة فى اتباع
سنته فالجار متعلق بورد وعلى الاول بيانية (والاقتداء بهديه) اى طريقته (وسيرته) اى هيئته فالاول بيان الكمية
والثانى بيان الكيفية او هما بمعنى اى ما قاله وحاله وهذا الامر التقريرى اولى من القول بالعطف التفسيرى
(فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن بن ابى تليد) بفتح فوقية وكسر لام فتحتية (الفقيه) اى الكامل
فى الفقه (سماعا عليه) اى لا قراءة لديه ولا بواسطة اليه (قال ثنا) اى حدثنا (ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر
(ثنا) اى حدثنا (سعيد بن نصر ثنا) اى حدثنا (قاسم بن اصبغ) بفتح همزة وموحدة وغين معجمة منونة كذا فى نسخة
مضبوطة والظاهر انه غير منصرف كاحمد واسلم والله تعالى اعلم (ووهب بن مسرة) بفتح ميم وسين مهملة وتشديد
راء (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا) اى حدثنا (يحيى بن يحيى) الليثى
راوى الموطأ وفى نسخة اقتصر على يحيى الاول لشهرته فتأمل (ثنا) اى حدثنا (مالك) وهو الامام صاحب المذهب
(عن ابن شهاب) اى الزهرى (عن رجل من آل خالد بن اسيد) بفتح فكسر وفى نسخة بالتصغير وخالد اخو عتاب اسلم
عام الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم واما الرجل فغير معروف (انه سأل عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا ابا عبد
الرحمن) يكتب بلا الف ويقرأ بها على الصحيح (انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر فى القرآن) اى فى قوله تعالى
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة الآية الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (ولا نجد صلاة السفر)
اى بوصف القصر فى القرآن صريحا والا فصلاة الخوف متضمنة للقصر فى الآية على ما ورد فى السنة (فقال ابن عمر
يا ابن اخى) اى فى الاسلام جريا على عادة العرب فى خطاب الاقوام وايماء الى الشفقة على الانام (ان الله بعث الينا محمدا

عليه الصلاة والسلام ولا نعلم شيأ) اى من الاحكام (وانما نفعل كما رأيناه يفعل) اى فنتبعه ونقتدى به فى جميع اموره وقد رأيناه يقصر فى السفر فقصرنا معه بل وقد امرنا بالقصر واوجب علينا هذا الامر بقوله هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته والامر للوجوب ولذا قال ابو حنيفة بان الاتمام اساءة ومكروه كراهة تحريمية والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبين للشريعة بالكتاب والسنة فمن ترك شيأ منهما فقد وقع فى الضلالة والبدعة والحديث رواه مالك والنسائى وابن ماجه (وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله) اى ابن مروان بن الحكم الاموى القرشى وامه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو تابعى جليل وامام جيل وخامس الخلفاء على ما قيل روى عن عبد الله بن جعفر وانس وابن المسيب وجماعة وعنه ابناه والزهرى وعدة اخرج له اصحاب الكتب الستة مات بدير سمعان من ارض حمص سنة احدى ومائة وله من العمر اربعون ومدة ولايته سنتان وخمسة اشهر وايام ومناقبه ظاهرة ومراتبه متواترة وهذا الحديث رواه عنه اللالكاءى فى السنة انه قال (سن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شرع طريقة مرضية (وولاة الامر) اى وسن الخلفاء الراشدون (بعده سننا) اى موافقة لقواعد الكتاب والسنة كجمع عمر رضى الله تعالى عنه الناس على ابى بن كعب فى صلاة التراويح وامر عثمان رضى الله تعالى عنه بكتابة المصاحف ثم بعثها الى الافاق (الاخذ بها) اى العمل بسنته وسنة من بعده (تصديق لكتاب الله) اى حيث قال وما آتاكم الرسول فخذوه (واستعمال لطاعة الله) اى فى طاعة رسوله لقوله سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى والمراد الخلفاء الاربعة رضى الله تعالى عنهم وان عم كل من سار بسيرتهم من الائمة (وقوة على دين الله) اى واستعمال سنته وسنة من اتى على طريقته تقوية على كمال ملته وجمال شريعته (ليس لاحد تغييرها) اى بزيادة ونقصان فيها (ولا تبديلها) اى بغيرها ظنا انه احسن منها (ولا النظر) اى ولا يجوز لاحد النظر (فى رأى من خالفها) اى بلا دليل شرعى من اجماع او قياس بل بمجرد رأيه واتباع عقله وقد تسفه الدلجى هنا من قلة فهمه وكثرة جهله وسوء ظنه بالامام الاعظم والهمام الافخم الاقدم حيث قال وكفاك هذا حاجا بالغاء قول من قال بنفوذ شهادة الزور ظاهرا وباطنا وقوله لو اقام رجل شاهدى زور ان فلانة امرأته فشهدا بذلك جاز له ان يطأها مع علمه بانه ليست زوجته وهذا لم يرد به كتاب ولا سنة انتهى ولا يخفى ان الخلق عيال ابى حنيفة فى الفقه كما صرح به الشافعى فهل يتصور لامام المجتهدين ان يتكلم برأيه المجرد فى امر الدين او يتوهم ان يكون جاهلا بالكتاب والسنة وهو امام الائمة ومقتدى اكثر الامة فهذا ظن فاسد ووهم كاسد ولكنه خلف اسلفه كما بينته فى تشييع الحنفية لتشنيع الشافعية مع ان المسألة المذكورة هى الرواية المشهورة عن على كرم الله وجهه حيث قال شاهداك زوجاك فبهذا اعلم ان هذا القائل لم يصل الى مقام الاجتهاد والتأييد بل هو واقع فى حضيض التقليد بل حمله عليه التعصب الجاهلى والتكسب الغافلى حيث تكلم بهذا القيل ولم يعرف ان المجتهد اسير الدليل كما قال الشافعى بجواز نكاح الرجل ووطئه بنته الحاصلة من الزنى نظرا الى ما قام عنده من الدليل مع عدم النفات الى قبح صورى فى هذا القيل والله سبحانه وتعالى يهدى الى سواء السبيل (من اقتدى بها) اى بسنته وسنتهم (مهتدى) اى مادام مقتديا بها وفى نسخة فهو مهتد (ومن استنصر بها) اى استعان بها واستوثق بسببها واستدل على مطلوبه بدلوائها (منصور) اى فهو منصور كما فى نسخة (ومن خالفها) اى فلم يتمسك بها وعمل بغيرها (واتبع غير سبيل المؤمنين) اى المجتمعين عليها (ولاه الله ما تولى) اى جعله واليا لما تولاه من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الوبال (واصلاه جهنم) اى ادخله فيها واحرقه بها (وساءت) اى قبحت جهنم (مصيرا) اى مرجعا له ولمن تبعه والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقال الحسن بن ابى الحسن) اى البصرى رحمه الله تعالى (عمل قليل فى سنة خير من عمل كثير فى بدعة) وقد سبق هذا الحديث مرفوعا فلعله جاء عنه موقوفا ايضا فلذا ذكره هنا مكررا ليكون تأكيد الامر مقررا والمعنى ان الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة (وقال ابن شهاب) اى الزهرى كما اخرجه عنه اللالكاءى فى السنة (بلغنا عن رجال من اهل العلم) اى من الصحابة والتابعين (قالوا الاعتصام بالسنة نجاة) اى الاستمساك بها سبب خلاص من ورطة الهلاك ووصمة الانهماك (وكتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما فى سنن سعيد بن منصور عنه رضى الله تعالى عنه (الى عماله) اى بالامصار (بتعلم السنة) اى الاحاديث او السنن وفى نسخة بتعليم السنة اى للناس (والفرائض) اى تفصيلها وتمييزها عما عداها واريد بها علم الفرائض وقسمة المواريث (واللحن اى اللغة) تفسير من احد رواة الحديث او من المصنف والمراد باللغة اصولها المفردة الشاملة لعلم الصرف وفروعها المركبة الكاملة

لعلم

اعلم النحو المتعلق بالمبانى وكذا علم البيان والمعانى (وقال) اى عمر رضى الله تعالى عنه ايضا على ما رواه الدارمى (ان اناسا يجادلونكم يعنى بالقرآن) تفسير فى الاصل اى بظواهر الايات القرآنية ومجملات الدلالات الفرقانية (فخذوهم بالسنن) وفى نسخة بالسنة اى فغالبوهم بالاحاديث النبوية لانها مبينة للاحكام الدنيوية والاخروية وهذا معنى قوله (فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله تعالى) اى من غيرهم لانهم جامعون بينهما بخلاف من اقتصر على معرفة احدهما فالمراد باصحاب السنن العلماء بالحديث المبين للكتاب واما قول الدلجى كالبخارى ومسلم وابى داود فخارج عن صوب الصواب (وفى خبره) اى خبر عمر الذى رواه مسلم عنه (حين صلى) اى عمر رضى الله تعالى عنه (بذى الحليفة) بالتصغير وهو مكان معروف قرب المدينة ميقات اهلها ومن مر بها من غيرها (ركعتين) اى سنة الاحرام واتى فى ذلك المقام (فقال اصنع) اى افعل انا (كما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصنع) اى فى حجته محافظة على سلوك محجته واتباع سنته وطريقته وحجته والظاهر انه اراد القران كما يدل عليه قوله (وعن على رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (حين قرن) بين الحج والعمرة قيل اى تمتع اذ القران قد يطلق على التمتع من حيث ان القارن متمتع ايضا بسقوط احدى السفرتين وحصول ثواب الهدى بالجمع بين العبادتين كما انه قد يطلق التمتع على القران بالمعنى اللغوى الشامل للمعنى الشرعى ولعل قوله تعالى فمن تمتع بالعمرة من هذا القبيل (فقال له عثمان رضى الله عنه) وهو الصواب بخلاف ما فى نسخة فقال له عمر (ترى) من الرأى لا من الرؤية اى تعلم (انى انهى الناس عنه) اى عن القران او التمتع (وتفعله) اى انت مخالفا لامرى (قال) اى على لعثمان (لم اكن ادع) اى ولادعا وتاركا وبروى لا ادع (سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقول احد من الناس) وفيه دليل صريح ونقل صحيح انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا فى حجة الاسلام ويدل عليه سكوت عثمان على وجه الالزام وكأنه كان يظن ان افضل انواع الحج هو الافراد والتمتع مبنيا على ان اشهر الحج تكون مخصوصة بالحج وان العمرة تقع فى غيرها قبلها او بعدها كما كان عليه اهل الجاهلية قبل حجه عليه الصلاة والسلام من ان العمرة فى اشهر الحج من افجر الفجور ولدفع هذا الاحرام امر صلى الله تعالى عليه وسلم بعض الصحابة بفسخ الحج للعمرة ولعله ما بلغ عثمان هذا المعنى او كان له تأويل فى هذا المبنى وقد قيل وانما نهى عثمان عن المتعة لتكون اشهر الحج للحج لا غير ولتكون العمرة فى غيرها حتى يزار البيت فى اشهر الحج وبعدها وقيل انما نهى عنها لمنفعة اهل مكة ليكون لهم موسمان فى كل عام والله اعلم وحمل فعله صلى الله تعالى عليه وسلم على احدهما الا على الجمع بينهما كما عليه المحققون الذين جمعوا بين الرواية والدراية هذا وقال الحلبى فى النسخة التى وقفت عليها فقال له عمر وفى الهامش عثمان عوض عمر وعليه صح وفى صحيح البخارى وسنن النسائى كلاهما فى الحج من حديث مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضى الله تعالى عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما فلما رأى على تنهيه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة وقال ما كنت لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول احد واخرج الشيخان والنسائى كلهم فى الحج من حديث سعيد بن المسيب قال اجتمع على وعثمان بعسفان وكان عثمان ينهى عن المتعة والعمرة فقال على ما تريد الى امر فعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنهى عنه دعنا منك فقال انى لا استطيع ان ادعك فلما رأى على ذلك اهل بهما جميعا واخرج مسلم من حديث عبد الله بن شقيق كان عثمان ينهى عن المتعة وكان على يأمر بها فقال عثمان لعلى كلمة فقال على لقد علمت انا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رجل ولكنا كنا خائفين انتهى ولا يظهر وجه الخوف فانه عليه الصلاة والسلام حج بيت الله الحرام بعد فتح مكة وغلبة اهل الاسلام ثم المراد بالتمتع التمتع اللغوى وهو القران فلا مخالفة بين الاحاديث المروية عن على كرم الله تعالى وجهه والله اعلم (وعنه) اى عن على وهو غير معروف عنه (انى) وفى نسخة صحيحة الا انى اى انتبهوا فانى (لست بنبى) اى لا يوحى الى بوحى جلى (ولا يوحى الى) اى بوحى خفى اعمل به (ولكنى اعمل بكتاب الله تعالى وبسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة وسنة نبيه (ما استطعت) اى قدر ما قدرت بحسب الطاقة البشرية (وكان ابن مسعود يقول) كما رواه الدارمى والطبرانى واللالكاءى فى السنة عنه وعن ابى الدرداء (القصد فى السنة) اى التوسط فى العمل بها بين الكثرة والقلة (خير من الاجتهاد فى البدعة) اى احسن من المبالغة فى بذله الوسع والطاقة والكثرة من الطاعة فى حال الاخذ بالبدعة ولو كانت مستحسنة واما تقييد الدلجى بالضلالة فنشأ من بعض الجهالة لانه اقوبلت بالسنة الثابتة ولا شك انها خير من البدعة الحسنة ولا معنى لمقابلتها ببدعة الضلالة اذ لا خير فيها فى جميع الحالة لا محالة (وقال ابن عمر) رضى الله تعالى عنهما كما رواه عبد بن حميد فى مسنده باسناد صحيح (صلاة السفر ركعتان) اى لا زيادة عليهما كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام قولا وفعلا فى الليالى والايام (من خالف السنة) اى لم يقبلها (كفر) اى قارب الكفر او كفر بالنعمة فان القصر رخصة وهى منة ولذا سمى صدقة وقيل من

خالفها عنادا اومستحلا فقد كفر وخرج عن دائرة الاسلام بامتناع قبول احكامه عليه الصلاة والسلام وهذا اذا كانت السنة متواترة معلومة من الدين بالضرورة وتركهما من غيرتأويل لها (وقال ابى بن كعب) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه واللالكائى فى سنته (عليكم بالسبيل) اى الزموا طريق الطاعة (والسنة) اى ومتابعة الشريعة (فانه ماعلى الارض من عبد) اى من عبيده سبحانه وتعالى (على السبيل) اى سبيل الله تعالى (والسنة) اى سنة رسول الله والمعنى يكون ثابتا على طريق الكتاب والسنة (ذكر الله فى نفسه) اى فى باطنه والمعنى بحضور قلبه سواء كان الذكر بلسانه اوبمجرد ذكر جنانه ولاشك ان الجمع اولى لظهور برهانه فلامعنى لقول الدلجى اى بدون تلفظ لوضوح بطلانه (ففاضت عيناه) اى سالت دموعهما من اثر بكائه (من خشية الله) اى من خوف عقابه اوحجابه (فيعذبه) بالنصب اى الالم يعذبه (الله ابدا) اى لافى دنياه ولافى آخرته حيث طلب مرضاة مولاه وفى نسخة فيعذبه بالرفع (وماعلى الارض من عبد على السبيل) اى الطريقة المرضية (والسنة) اى الهيئة السنية (ذكر الله فى نفسه) اى من غيران يتعلق به الرياء والسمعة (فاقشعر جلده) اى انقبض واجتمع (من خشية الله) اى من عظمة مولاه (الاكان مثله) بفتحتين اى صفته العجيبة وحالته الغريبة (كمثل شجرة قد يبس ورقها) اى اوراقها وذهب رونقها ورواجها (فهى كذلك) اى فبينما هى فى اوقات كونها كذلك (اذا اصابتها ريح شديدة) اى من جوانبها (فتحات) بتشديد الفوقية الثانية اى فتناثر (عنها ورقها) كرر بدلا اوتأكيدا لبعد المسافة بينهما باعتراض المثل (الاحط عنه خطاياه) بصيغة المجهول اى وضع عنه ذنوبه ومحى عنه عيوبه (كما تحات عن الشجرة ورقها) اى تساقط (فان اقتصادا) اى توسطا (فى سبيل) اى فى طريق خير (وسنة) اى طريقة حسنة من كتاب وسنة (خيرمن اجتهاد) اى مبالغة فى الطاعة وسع الطاقة (فى خلاف سبيل وسنة) اى فى مخالفتهما (وموافقة بدعة) اى ولوحسنة لابدعة ضلالة كما قاله الدلجى هنا ايضا وهذا عطف تفسير ولم يوجد فى بعض النسخ (وانظروا) اى وتأملوا واحرصوا منكم (ان يكون عملكم ان) كان (اجتهادا واقتصادا) اى مبالغة فى الجد اوتوسطا فى الجهد (ان يكون) بدل من ان يكون الاول اوتأكيد له لبعد المسافة بينهما باعتراض الشرط والمعنى ان يوجد (على منهاج الانبياء عليهم السلام) اى شريعتهم ويروى مناهج الانبياء اى شرائعهم (وسنتهم) اى طريقتهم لتصلوا الى مقام حقيقتهم (وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز) اى نوابه (الى عمر) اى اليه حال كونه (يخبره بحال بلده) اى بما عليه اهله من فساده (وكثرة لصوصه) اى سراقه ونهابه (هل نأخذهم) بالنون وفى نسخة صحيحة بالياء التحتية (بالظنة) بكسر الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اى التهمة والمعنى هل نؤاخذهم ونعاقبهم بمجرد العلامات الدالة على اخذ السرقة عملا بالسياسة (او) وفى نسخة ام (نحملهم على البينة) اى عند انكارهم (وماجرت عليه) فيه (السنة) وفى نسخة صحيحة وماجرت به السنة اى من ان البينة على المدعى واليمين على من انكر فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وماجرت عليه السنة) اى وبما يترتب عليهما من غرم وقتل وقطع ونحوها (فان لم يصلحهم الله تعالى) اى بذلك (فلا اصلحهم الله) اى ايضا بخلاف ماهنالك ولايبعد ان تكون الجملة الثانية دعائية والاول اظهر والمعنى ان الله تعالى حكيم فى صنعه وعليم فى حكمه فلا تجوز الزيادة والنقصان فى حده وقد روى ان بعض الملوك كان يقتل اللصوص بالسياسة ومع هذا تكثرالسرقة فذكر ذلك لبعض العلماء هنالك فقال له اعمل بالسنة تندفع بها الكثرة فسمع كلام ذلك الامام وعمل بالشريعة فى تلك الاحكام فقلت السرقة فسأله عن الحكمة فقال لما كثرت مشاهدة قطع الايدى اعتبراهل الفساد وقل اللصوص فى العباد (وعن عطاء) اى ابن رباح اوعطاء الخراسانى (فى قوله) اى فى تفسير قوله تعالى (فان تنازعتم) اى اختلفتم انتم واولوا الامر منكم (فى شئ) اى من امور الدين (فردوه) اى ارجعوا فيه (الى الله والرسول اى الى كتاب الله وسنة رسول الله) اى الى حكمهما فيكم وهذا يشمل حياته ومماته عليه الصلاة والسلام (وقال الشافعى رحمه الله تعالى) وهو الامام المجتهد روى عن مالك وروى عنه احمد واخرج له اصحاب السنن الاربعة وذكره البخارى فى موضعين من صحاحه فى الركاز والعرية ويقال انه غيره ومال الى كل قول بعض وولد سنة خمسين ومائة يوم مات ابو حنيفة رحمه الله تعالى ومات سنة اربع ومائتين (ليس فى سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الااتباعها) اى اقتداؤها علما وعملا قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وهذا قريب فى المعنى مما يحكى عنه اذا صح الحديث فهو مذهبى (وقال عمر رضى الله تعالى عنه) فيما رواه الشيخان (ونظر الى الحجر الاسود) جملة معترضة حالية (انك) والله كما فى نسخة (حجر لاتنفع ولاتضر) اى فى حد ذاتك وهو لاينافى ماورد من انه يشهد لمن استلمه يوم القيامة (ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك ماقبلتك ثم قبله) وهذا يدل منه رضى الله تعالى عنه على كمال المتابعة للسنة وخبر لولا واجب الحذف

عند النحاة لان طول الكلام سد مسد الخبر مع الجواب لكن المسألة معضلة فان خبر لولا منقسم الى اقسام ثلاثة قسم واجب الحذف وهو مادل على كون مطلق كقولك لولا زيد لهلك عمرو وقسم واجب الاثبات وهو مادل على كون مقيد اذ لوحذف لمافهم المعنى كقوله عليه الصلاة والسلام لعائشة رضى الله تعالى عنها لولا قومك حديثوا عهد بجاهلية لنقضت الكعبة وبنيتها على قواعد ابراهيم فلوحذف حديثوا عهد لكان المعنى لولا قومك على كل حال من احوالهم لنقضت الكعبة ومن جملة احوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل فكل مالم يفهم عند الحذف يتعين الاتيان به ومنه قول الشافعى

ولولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت اليوم اشعر من لبيد

وكذا قول الخنساء ترثى اخاها صخرا

ولولا كثرة الباكين حولى * على اخوانهم لقتلت نفسى

ومنه قول عمر هذا والتقدير لولا رؤيتى تقبيل النبى عليه الصلاة والسلام مستصحبة لما قبلتك وقسم ان شئت اثبتته وان شئت حذفته كقولك لولا اخو زيد ينصره لغلب فمن راعى الكون المطلق حذف ومن راعى الكون المقيد اثبت (وروئى) وفى نسخة رئى بكسر الراء وسكون الياء فهمزة على بناء المجهول من رؤية قلوب رأى (عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما) كما رواه احمد والبزار بسند صحيح (يدير ناقته فى مكان) اى يطيفها حوله حتى عاد الى موضع اوله (فسئل عنه) اى عن سبب فعله وان ادارته لاى شئ (فقال لاادرى) اى وجهه وحكمته (الا انى رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعله) اى مرة وفى نسخة يفعله (ففعلته) اى اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم فى فعله وهذا يشير الى ان اكابر الصحابة كانوا يتبعونه فى الامور العادية ايضا (وقال ابو عثمان الحيرى) بمهملة مكسورة فمثناة تحتية محلة بنيسابور كان يسكنها وهو شيخ الصوفية بها ذكره الذهبى فى المشتبه وفى نسخة الجنيدى بالتصغير وهو تصحيف وتحريف على ماقاله ابو القاسم القشيرى فى رسالته من نسبة هذا القول اليه والثناء عليه بقوله فمنهم ابو عثمان سعيد ابن اسماعيل الحيرى المقيم بنيسابور وكان قد صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد نيسابور مع شاه الكرمانى على ابى جعفر الحداد واقام عنده وزوجه ابو جعفر بنته مات سنة ثمان وتسعين ومائتين (من امر السنة) بتشديد الميم اى من جعل السنة اميرا وحاكما (على نفسه قولا وفعلا) اى واعتقادا (نطق بالحكمة) لانه تبع من لاينطق عن الهوى واختار سبيل الهدى (ومن امر الهوى على نفسه) بان تبع رأيه وهواه فى فعله وقوله وامور دنياه واخراه (نطق بالبدعة) اى بالامور الخارجة عن طريق السنة والمائلة عن السبيل المرضى لمولاه (وقال سهل التسترى اصول مذهبنا) اى معاشر الصوفية لاجماعة المتصوفة بشهادة الاضافة (ثلاثة الاقتداء بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الاخلاق) اى الاحوال الباطنة (والافعال) اى الاعمال الظاهرة (والاكل من الحلال) اى الطيب الخارج عن الشبهة (واخلاص النية فى جميع الاعمال) اى تخليصها من شوائب الرياء والسمعة اذ قد تصير العادات بها عبادات والكل مأخوذ من مكارم افعاله ومحاسن اقواله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وزيد فى نسخة وقد كان على خلق عظيم (وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت كان خلقه القرآن) اى يأتمر باوامره وينتهى بزواجره (وجاء فى تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه) اى العمل الصالح الذى يرفعه الله تعالى اويرفع الكلم الطيب الى الله تعالى (هو الاقتداء به) اى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة اى فى جميع اقواله وافعاله واحواله وقد فسر الكلم الطيب بقول لااله الاالله وقيل هو ذكر من تسبيح وتهليل وقراءة قرآن وغير ذلك والهاء فى قوله يرفعه راجع الى الكلم الطيب وعليه اكثر المفسرين فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل كما جاء فى الحديث لايقبل الله قولا الابعمل ولاعملا الابنية ولانية الاباصابة السنة (وحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله تعالى) هو امام المذهب احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيبانى الزاهد الربانى روى عن البخارى وغيره وعنه ابناه وجمع وفى نسخة ان احمد بن حنبل (قال كنت يوما مع جماعة تجردوا) اى عن ثيابهم (ودخلوا الماء) اى بلاستره والظاهر ان الجملة حالية والمعنى انهم تجردوا عن ثيابهم بعد ان دخلوا وسط الماء على ان الواو لمطلق الجمع (فاستعملت الحديث) اى اطلاق الحديث الذى رواه مثله الترمذى ايضا (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايدخل الحمام) بصيغة النهى وقيل بالنفى واريد النهى بل هو ابلغ (الابمئزر) بكسر ميم وسكون همز ويبدل وفتح زاى اى الا بازار يستر عورته (ولم اتجرد) اى انا من ثيابى احتياطا فى ذلك المقام (فرأيت) اى فى المنام (تلك الليلة) اى القابلة من يوم تجردهم (قائلا يقول لى يا احمد ابشر) اى بكل خير وفى نسخة ابشر يا احمد (فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك اماما) اى يقتدى بك (قلت من انت قال جبريل)

(فصـــل)

(ومخالفة امره) وكذا مناقضة نهيه بعد الانقياد لحكمه (وتبديل سنته) اى بتغييرها مبنى او بتفسيرها معنى على خلاف مراده وطريقته (ضلال) اى فى الاعتقاد (وبدعة) اى فى الاجتهاد لا تصلح للاعتماد (ومتوعد) بفتح العين المشددة اى موعود (من الله تعالى عليه) اى ماذكر من المخالفة والمبادلة (بالخذلان) اى بترك النصرة له وعدم التوفيق للطاعة وخلق المعصية فيه فى الدنيا (والعذاب) اى وبالعقوبة فى العقبى (قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره) اى معرضين عنه اومانعين عن مقتضى حكمه (ان تصيبهم فتنة) اى كراهة ان يلحقهم محنة وبلية فى الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم) اى مؤلم فى العقبى والاية دالة على ان الامر للوجوب الاكيد حيث رتب على تركه الوعيد الشديد (وقال تعالى ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه لان كلا من المتخالفين يكون فى شق غير شق الآخر (من بعد ماتبين له الهدى) اى ظهر له الحق ببيان المولى (ويتبع غير سبيل المؤمنين) اى غير ماهم عليه من اعتقاد علم او اعتماد عمل (نوله ماتولى) اى نجعله واليا لما تولاه من ضلال وبدعة (ونصله جهنم) اى ندخله فيها ونحرقه بها (وساءت) اى جهنم (مصيرا) اى مرجعا لهم والآية مؤذنة بحرمة مخالفة الاجماع (حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابى جعفر وعبد الرحمن بن عتاب) بتشديد الفوقية وفى نسخة ابوا محمد بلفظ التثنية فان كلاهما مكنى بابى محمد (بقراءتى عليهما) قيل هو فوق السماع لانه ادل على القابلية الظاهرة فى الطباع (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن القابسى) بالقاف وكسر الموحدة (ثنا) اى حدثنا (الحسن) وفى نسخة صحيحة الحسن (ابن مسرور الدباغ) اى صانع الدبغ او بائعه (ثنا) اى حدثنا (احمد بن ابى سليمان ثنا) اى حدثنا (ابن سحنون) بفتح سين وضم نون (ابن سعيد) وهو عبد السلام (ثنا) اى حدثنا (ابن القاسم ثنا) اى حدثنا (مالك) وهو امام دار الهجرة رحمه الله تعالى (عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) كذا رواه مسلم وابو داود عنه والنسائى عنه واختار المصنف طريق مالك فان بينه وبين مالك سبعة اشخاص وبينه وبين مسلم ثمانية (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى المقبرة) بتثليث الباء والفتح افصح والظاهر ان المراد به مقبرة البقيع فى المدينة (وذكر الحديث) اى بطوله (فى صفة امته) اى نعتهم وفضلهم حيث قال لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون على غرا محجلين من اثر الوضوء الحديث (وفيه) وفى جملته (فليذادن) بفتح اللام القسمية وضم الباء وذال معجمة فالف ودال مهملة فنون مشددة من الذود وهو الطرد والبعد اى فليصدن وليمنعن (رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال) اى عن مزاحمة بعير الرجال فى الشرب من حوض ماء الزلال (فاناديهم) اى ظنا انهم من اصحابى واهل ناديهم (فاقول الا) اى تنبهوا (هلم) اى تعالوا واقبلوا وهو بلغة قريش يستوى فيه الواحد والجمع بخلاف بنى تميم فانهم يقولون هلم هلما هلموا هلمى والاول افصح وبه ورد التنزيل قال هلم شهداءكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الخليل اصله لم من قولهم لم الله شعثه اى جمعه كانه اراد لم نفسك الينا اى اقرب والهاء للتنبيه وحذف الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا فى الامر بالاقبال (فيقال) اى فيقول المانعون والدافعون وهم الملائكة الجامعون (انهم قد بدلوا بعدك) اى دينهم كفرا بدليل قوله (فاقول فسحقا فسحقا فسحقا) اى ثلاث مرات وهو بسكون الحاء وضمها بمعنى بعدا وانتصب بتقدير الزمهم الله سحقا او اسحقهم الله سحقا اى فابعدهم الله بعدا او فطردهم الله طردا ابدا بدليل حديث انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم قال النووى اختلف العلماء فى المراد بهم على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون فيجوز ان يحشروا بالغرة والتحجيل فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للسيما التى عليهم فيقال ان هؤلاء بدلوا بعدك اى لم يموتوا على ماظهر من اسلامهم وثانيها ان المراد بهم من كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام من اهل الاسلام ثم ارتدوا بعده فيناديهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وان لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه فى حياته من اسلامهم فيقال ارتدوا بعدك والثالث ان المراد اصحاب المعاصى والكبائر الذين ماتوا على التوحيد واصحاب البدع فلا يقطع لهؤلاء بالنار بل يجوز ان يذادوا عقوبة لهم ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ثم اعلم ان فى بعض النسخ فلا يذادن بزيادة الف بعد اللام فتصير لا نافية واكثر الرواة عن مالك فى الموطأ على الاول ورواه يحيى ومطرف وابن نافع على الثانى ورده ابن وضاح بناء على الرواية الاولى وكلاهما صحيح المبنى بل النافية افصح فى المعنى اى فلا تفعلوا فعلا يوجب ذلك هنالك ومنه حديث فلا الفين احدكم على رقبته بعير اى لا تفعلوا ما يوجب ذلك كذا فى بعض حواشى الشفاء من ان قوله فلا يذادن لا معنى له لا معنى له (وروى انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال) اى فى حديث طويل مما رواه الشيخان عنه آخره (فمن رغب) وفى نسخة صحيحة من رغب (عن سنتى) اى اعرض عنها او مامال اليها (فليس منى) اى بمتصل بى او ليس من اتباعى واشياعى (وقال) اى النبى

عليه الصلاة والسلام كما فى الصحيحين (من احدث فى امرنا) ولمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا وفى رواية من ادخل فى ديننا وهو كذلك فى نسخة وفى اخرى فى امرنا هذا على ما فى رواية صحيحة اى هذا الامر الواضح الكامل الذى لا يحتاج الى زيادة احداث (ما ليس منه) اى شيئا لم يكن له من الكتاب والسنة عاضد ظاهر او خفى ملفوظ او مستنبط وفى نسخة ما ليس فيه (فهو) اى ذلك المحدث او ذلك الشئ المحدث (رد) اى مردود غير مقبول وهذا الحديث اصل فى الاعتصام بالكتاب والسنة ورد الاهواء والبدعة (وروى ابن ابى رافع) كما اخرجه ابو داود والترمذى وابن ماجه واسمه عبيد الله (عن ابيه) اى ابى رافع مولى النبى عليه الصلاة والسلام (عن النبى) وفى نسخة ان النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته) نهى لنفسه عليه الصلاة والسلام ان يراهم فى ذلك المقام مريدا به نهيهم عن ان يكونوا عليها فانهم اذا كانوا عليها اوجدهم كذلك لديها (يأتيه) حال ثانية او جملة استئنافية بيانية اى يجيئه (الامر من امرى) اى حكمى (مما امرت به او نهيت عنه) اى مما هو غير ظاهر فى الكتاب (فيقول لا ادرى) اى غير القرآن (ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه زاد) اى الراوى ابو داود والترمذى والحاكم (فى حديث المقدام) بكسر الميم الاولى وهو ابن معدى كرب روى عنه صلى الله عليه وسلم (الا) للتنبيه (وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى) اى فيجب اجتناب ما حرمه لانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فالكتاب وحى جلى والسنة وحى خفى (وقال عليه السلام) كما رواه ابو داود فى مراسيله والدارمى والفريابى وابن جرير وابن المنذر وابن ابى حاتم عن يحيى بن جعدة (وجيء بكتاب) جملة حالية معترضة مؤذنة بانه سبب للمقالة اى وقد جيء بمكتوب من التوراة (فى كتف) اى من الشاة والجائى به عمر او ابنته حفصة او عائشة رضى الله تعالى عنهم او غيرهم ولا منع من الجمع كما يشير اليه قوله (كفى بقوم حمقا) بضم فسكون اى حماقة وجهالة (او قال ضلالا) اى ضلالة وغواية والشك من الراوى والباء زائدة فى فاعل كفى ونصب ما بعده على التمييز المحول عن الفاعل والمعنى كفى الحمق او الضلال قوما (ان يرغبوا) اى يميلوا او يعرضوا (عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم) اى ملتفتين ومقبلين الى ما جاء به غير نبيهم يعنى ولو كان نبيا الى غيرهم كما يدل عليه قوله فى رواية ولو كان موسى عليه السلام حيا لما وسعه الا اتباعى (او كتاب) اى او الى كتاب (غير كتابهم) اى النازل اليهم ولو كان من كتب الله تعالى الى غيرهم هذا ولفظ ما رووه جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كفى بقوم حمقا او ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم اليهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم (فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) اى دائما ما بقيت الدنيا (وقال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (هلك المتنطعون) ماخوذ من النطع وهو الغار الاعلى من الفم ثم استعير لكل تعمق قولا وفعلا اى المتعمقون فى كلامهم الغالون فى اقوالهم وافعالهم المتكلمون باقصى حلوقهم المبالغون فى خوضهم (وقال ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابو داود وغيره (لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعمل به) اى فى حال (الا عملت به) اى اقتفاء بسنته الجيدة واقتداء بسيرته الحميدة (انى اخشى) اى اخاف خوفا عظيما (ان تركت شيئا من امره) اى الذى كان عليه فى دينه (ان ازيغ) اى اميل عن الحق والهدى واقبل على موافقة النفس وموافقة الهوى

* (الباب الثانى) *

(فى لزوم محبته عليه الصلاة والسلام) اى فى ذكر ما يؤذن بوجوب لزوم محبته لكل مكلف من امته فى لوازم ملته (قال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم) اى اصولكم وفروعكم (واخوانكم) اى امثالكم واقرانكم (وازواجكم) اى اشباهكم من نسائكم ورجالكم (وعشيرتكم) وفى قراءة وعشيراتكم بصيغة الجمع اى جميع اقاربكم او كل من تعاشرونه وتصاحبونه ماخوذ من العشرة (واموال اقترفتموها) اى اكتسبتموها من النقود والاجناس (الآية) وهى (وتجارة تخشون كسادها) اى تخافون قلة رواجها ونقصان نفاقها ونفادها (ومساكن) من البيوت والبساتين (ترضونها) يعجبكم سكونها (احب اليكم) حبا اختياريا (من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) اى من حب الله ورسوله ومجاهدة فى طاعته وعبادته (فتربصوا) امر تهديد اى فانتظروا (حتى يأتى الله بامره) اى بمحنة عاجلة او نقمة آجلة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لا يرشد الخارجين عن محبة الله ومرضاته الى موافقات نفوسهم وهوى متابعتها (فكفى بهذا) اى التهديد والوعيد الشديد (حضا) اى تحريضا وحثا (وتنبيها) اى نبيها (ودلالة) اى واضحة (وحجة) اى لائحة (على الزام محبته) اى اثبات مودته عليه الصلاة والسلام وفى نسخة على التزام محبته اى قبولها (ووجوب فرضها) اى ثبوت حتمها (وعظم خطرها) بكسر العين وفتح الظاء المعجمة او بضم فسكون والخطر بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى القدر اى عظمة شأنها ورفعة قدرها (واستحقاقه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لها) اى للمحبة

الكاملة (عليه الصلاة والسلام) اى الكامل التمام (اذ قرع) بفتح قاف وتشديد راء اى لانه وبخ (الله تعالى) اى ارتفع شأنه وسطع برهانه (من كان ماله) اى من تجارة ومساكن وغيرها (واهله) اى ماله من الاقارب عموما (وولده) اى واولاده خصوصا (احب اليه) اى الى نفسه (من الله ورسوله) اى من رضاهما واتباع امرهما (واوعدهم) اى خوفهم (بقوله فتربصوا حتى يأتى الله بامره) اى بالذى اراد بكم من سوء فى الدنيا او العقبى او فيهما جميعا (تم فسقهم) بتشديد السين اى نسبهم الى الفسق (بتمام الآية) اى بما تتم الآية به فى الدلالة وهو آخرها حيث قال والله لا يهدى القوم الفاسقين (واعلمهم) اى بطريق الكناية (انهم ممن ضل) اى بخذلانه سبحانه وتعالى (ولم يهده الله تعالى) اى الى برهانه وتحقيق ايمانه (حدثنا ابو على الغسانى) بفتح الغين المعجمة وتشديد المهملة (الحافظ) اى الجيانى (فيما اجازنيه) اى من غير سماع منه ولا قراءة عليه (وهو) اى هذا المروى (مما قرأته على غير واحد) اى على كثير من المحدثين غيره ولعله خصصه بالرواية عنه لعلو سنده او صحة نسبه (قال) اى الغسانى (ثنا) اى حدثنا (سراج بن عبد الله القاضى ثنا) اى قال حدثنا (ابو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (ثنا) اى حدثنا (المروزى) بفتح الميم والواو (ثنا) اى حدثنا (ابو عبد الله محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسماعيل) اى البخارى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن ابراهيم) اى الدورقى البغدادى روى عنه اصحاب الكتب الستة وله مسند توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين (ثنا) اى حدثنا (ابن علية) بالتصغير هو الامام ابو بشر اسمعيل بن ابراهيم ابن القاسم المشهور بابن علية وهى امه روى عنه احمد واسحق وابن معين وجماعة امام حجة اخرج له الستة (عن عبد العزيز بن صهيب) بالتصغير هو البنانى الاعمى التابعى اخرج له الجماعة وقال احمد ثقة (عن انس رضى الله تعالى عنه) وكذا رواه مسلم والنسائى (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) الخطاب يشمل الموجودين ومن بعدهم من المولودين وفى رواية مسلم عبد وفى رواية غيرهما احد اى لا يكمل ايمان احد بدلالة رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان والمعنى لا يعتد بايمانه (حتى اكون احب) اى اشد حبا (اليه من ولده ووالده) اى خصوصا (والناس اجمعين) اى وسائر الخلق عموما حبا اختياريا يوجب اكرامه عليه الصلاة والسلام واجلاله فى مقام الاحترام واعلم ان المراد بالحب هنا ليس الحب الطبيعى التابع لهوى النفس فان محبة الانسان لنفسه من حيث الطبع اشد من محبة غيره وكذا محبة ولده ووالده اشد من محبة غيرهما وهذا الحب ليس بداخل تحت اختيار الشخص بل خارج عن حد الاستطاعة فلا مؤاخذة به لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد الحب العقلى الاختيارى الذى هو ايثار ما يقتضى العقل رجحانه وان كان على خلاف الطبع الا ترى ان المريض يكره الدواء بطبعه ومع ذلك يميل اليه باختياره ويهوى تناوله بمقتضى عقله لما علم او ظن ان صلاحه فيه وكذلك المؤمن اذا علم ان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يأمر ولا ينهى الا بما فيه صلاح دينه ودنياه وآخرته وعقباه وتيقن انه عليه الصلاة والسلام اشفق الناس عليه والطفهم اليه فحينئذ يرجح جانب امره بمقتضى عقله على امر غيره وهذا اول درجات الايمان واما كماله فهو ان يصير طبعه تابعا لعقله فى حبه عليه الصلاة والسلام قيل ومن محبته نصر سنته والذب عن شريعته والاقتداء بسيرته (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه نحوه) مبتدأ متقدم الخبر والمعنى انه روى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه بمعناه وان اختلف مبناه (وعن انس رضى الله تعالى عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين (ثلاث) اى خصال ثلاث (من كن فيه) اى من وجدن واجتمعن فى حقه (وجد) اى ادرك بنفسه (حلاوة الايمان) اى فى قلبه والتذ به كما يجد حلاوة العسل من تناوله غير ان الالتذاذ الاول عقلى روحانى والثانى حسى نفسانى والجملة خبر او صفة لثلاث (ان يكون الله تعالى ورسوله) بدل من ثلاث على الاول وخبره على الثانى او خبر مبتدأ محذوف وهو هى اوهن ان يكون الله تعالى ورسوله عنده (احب اليه مما سواهما) ولم يقل ممن سواهما العموم ما والمعنى من كل شئ مما عداهما وفى تثنية ضميرهما هنا مع انكاره عليه الصلاة والسلام على خطيب ثناهما بقوله ومن يعصهما فقد غوى بقوله بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اشارة الى ان المعتبر فى المحبتين هو مجموعهما الا كل واحدة بانفرادها ودلالة على ان كل واحد من العصيانين مستقل بلزوم الغواية له بشهادة العطف فانه فى تقدير التكرير وقيل ان الجامع هنا يجوز له ما يجوز لغيره وقيل انما انكره عليه لوقوفه على يعصهما وردّ بقوله قل ومن يعص الله ورسوله ويمكن دفعه بان المراد بالامر هو الابتداء به حين وقف عليه (وان يحب المرء) اى الشخص اعم من الرجل والمرأة واغرب الانطاكى حيث توهم ان المرء مختص بالرجل واتى بما لا يناسب المقام فى تحصيل المرام (لا يحبه) اى لشئ (الا لله تعالى) اى لا لامر آخر اى فى مبتغاه وفيه ايماء الى ان محبة رسول الله ايضا انما هو لمحبة الله تعالى ورضاه (وان يكره ان يعود فى الكفر) اثبات ايمانه وكمال

ايقانه (كما يكره ان يقذف فى النار) بصيغة المجهول اى يرمى فى النار فى هذه الدار وذلك لان المرء لا يكمل ايمانه ولا يتحقق ايقانه حتى يعتقد انه تعالى هو المنعم على الاطلاق فى تقسيم الارزاق والاخلاق لا مانح سواه ولا مانع ما عداه وان النبى عليه الصلاة والسلام واسطة بيننا وبينه فى ايصال المرام ساع بهدايته له فى المرتبة والمقام لاصلاح شانه ورفعة مكانه وذلك مشعر بوجوب تصحيح محبتهما وترجيح مودتهما (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) كما رواه البخارى (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت) اى والله لانت (احب الى من كل شئ الا من نفسى) اى روحى (التى بين جنبى) صفة كاشفة اى التى فى بدنى وبها قوام امرى ونظام قدرى ولذة حياتى الموجبة لكراهة مماتى وهذا اجرى منه بناء على صدق مقاله وحسن مرامه حيث ظن ان المراد بمحبته عليه الصلاة والسلام هو الحب الطبيعى فى هذا المقام (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه) اى حبا اختياريا يوجب اختيار محبة رسول الله ورضاه على محبة المخلوقين مما سواه لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله تعالى ليس عليكم فى الدين من حرج فلما تفطن لهذا المعنى من هذا المبنى (قال عمر والذى انزل عليك الكتاب لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الآن يا عمر) اى فى هذا الزمان قد استقمت ايمانا وتكملت ايقانا ولا يبعد ان يكون الاستفهام مقدرا ابطالهذا الامر الذى وجب ان يكون من اول الوهلة مقررا (قال سهل) اى ابن عبد الله التسترى رحمه الله تعالى (من لم ير ولاية الرسول) اى امره وحكمه (عليه) اى جاريا على نفسه (فى جميع الاحوال) وفى نسخة صحيحة فى جميع احواله اى من افعاله واقواله (ويرى نفسه فى ملكه) بكسر الميم اى فى تصرف نفسه وتدبير امره واما ما فى بعض النسخ من زيادة عليه الصلاة والسلام بعد قوله ملكه فلا يصح نعم لو وجد يرى مجوزه وما لكان له وجه (لا يذوق حلاوة سنته) اى طراوة سيرته (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم) اى ايمانا كاملا (حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث) اى الى آخره فهو مجرور او منصوب بتقدير اعنى ونحوه او مرفوع اى تمام الحديث سبق وهو قوله وماله وولده والناس اجمعين

(فصل)

(فى ثواب محبته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مما يرجوه محبه فى الدنيا ويامله فى دار العقبى (حدثنا ابو محمد بن عتاب) بتشديد الفوقية (بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (ابو القاسم حاتم) بكسر التاء (ابن محمد ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن على ابن خلف) بفتحتين وهو الحافظ القابسى (ثنا) اى حدثنا (ابو زيد المروزى) تقدم (ثنا) اى حدثنا (محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا) اى حدثنا (محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا) اى حدثنا (عبدان) هو عبد الله ابن عثمان (ثنا) اى حدثنا (ابى) اى ابوه عثمان بن جبلة بن ابى داود العتكى المروزى اخرج له الشيخان (ثنا) اى حدثنا (شعبة) وهو امام جليل (عن عمرو بن مرة) احد الاعلام وكان من الائمة العاملين الكرام روى عن ابن ابى اوفى وابن المسيب وجماعة وعنه سفيان وغيره قال ابن ابى حاتم ثقة يرى الارجاء اخرج له الستة (عن سالم بن ابى الجعد) تابعى جليل (عن انس رضى الله تعالى عنه) لا يخفى ان هذه الطريق التى اخرجها القاضى عن البخارى هى فى الادب من جملة الصحيح واخرجه من طريق اخرى فى الاحكام ايضا واخرجه مسلم فى الادب وليس لسالم بن ابى الجعد فى الكتب الستة عن انس رضى الله تعالى عنه غير هذا الحديث (ان رجلا) قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ابو موسى او ابو ذر وقيل غيرهم والله تعالى اعلم (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال متى الساعة) اى القيامة او ساعة القيامة وحالة الندامة والملامة (يا رسول الله) كانه اظهر الشوق اليها والذوق لديها (قال ما اعددت لها) اى ما اعددت لما يصيبك من اهوالها وشدائد احوالها (قال ما اعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة) من فيها زائدة للمبالغة والمراد بها العبادات النافلة (ولكنى احب الله ورسوله) اى اطيعهما فيما اوجب رضاهما من الفرائض وهذا زبدة معنى قول صاحب البردة ولم اصل سوى فرض ولم اصم* اى سوى فرض (قال انت مع من احببت) وفيه ايماء الى ان دعوى المحبة مع مجرد الاطاعة الواجبة كافية والمعية فى الجملة دلالة صحيحة وافية واما دعوى المحبة مع ارتكاب المعصية فمذمومة واضحا بها على هذا الادعاء مذمومة ثم لما كثرت المتابعة زادت المحبة وكانت المعية حتى وصلت الى هذه المرتبة العينية والحالة الجمعية (وعن صفوان بن قدامة رضى الله عنه) بضم القاف قال الذهبى روى عنه ابنه عبد الرحمن ولهما صحبة وقيل هو تابعى ولابيه صفوان صحبة (قال هاجرت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وهو بالمدينة السكينة (فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك ابايعك) بالجزم على جواب الامر ويجوز رفعه على الاستئناف (فناولنى يده) فبايعته (فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب) اجاب بحكم عام شامل تام وفيه اشارة الى ان المعية على قدر المحبة الموجبة للطاعة والحديث رواه الترمذى والنسائى عن

صفوان بن قدامة (وروى هذا اللفظ) اى فى هذا الحديث (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس) رضى الله تعالى عنهم (وعن ابى ذر رضى الله تعالى عنه بمعناه) اى بدون هذا اللفظ ومبناه وفى الجامع الصغير المرء مع من احب رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذى والنسائى عن انس رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن ابن مسعود وفى رواية الترمذى المرء مع من احب وله ما اكتسب وفى هذه الزيادة اشارة الى ان قرب المعية على قدر كسب الجمعية كما يشير اليه قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين كما يومى اليه البيان بالانبياء وغيرهم فالناقص فى الصلاح مع محبة كمل الصالحين يحشر معهم كما قيل

احب الصالحين ولست منهم * لعلى ان انال بهم شفاعه
واكره من بضاعته المعاصى * ولو كانوا سواء فى البضاعه

وعلى هذا القياس فى الصديقين والشهداء واما العلماء فهم ورثة الانبياء (وعن على كرم الله وجهه) كما رواه الترمذى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين رضى الله تعالى عنهما) الظاهر ان احدهما عن يمينه والآخر عن شماله (فقال من احبنى) اى لله تعالى (واحب هذين واباهما وامهما) اى لاجلى اولذواتهم المشتملة على حسن صفاتهم (كان معى) اى مقربا عندى (فى درجتى) اى فى جوارى فى الجنة اوفى درجة اهل بيتى لما سبق من ان المرء مع من احب (يوم القيامة) وكذا فيما بعده حال دخول الجنة (وروى) اى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله تعالى عنهما (ان رجلا) قال البغوى فى تفسيره ان الآية الاتية نزلت فى ثوبان مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن النقاش انها نزلت فى عبد الله بن زيد بن عبد ربه (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر) اى عنك رؤية (حتى اجىء) اى احضر لديك (فانظر اليك) اى لتقر عينى ويسكن قلبى (وانى ذكرت موتى وموتك) اى انه لابد من وقوعهما معا او متعاقبا (فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين) اى المرسلين (وان دخلتها) اى بالفرض والتقدير (لا اراك) اى لان احدا لا يكون مع الانبياء سواك فاكون محروما عن رؤية طلعتك هنالك فتصير جنة النعيم فى نظرى حينئذ كنار الجحيم (فانزل الله تعالى) اى تسلية للعشاق عن حصول الفراق (ومن يطع الله والرسول) اى يحبهما ويتبع امرهما (فاولئك) اى المحبون لاحبائى والمشتاقون لاوليائى (مع الذين انعم الله عليهم) اى بنعمة المعية والقربة فى المرتبة الجمعية (من النبيين) اعم من المرسلين (والصديقين) اى المبالغين فى الصدق والتصديق والكاملين فى مقام اليقين والتحقيق (والشهداء) اى بسيف المجاهدة وسلاح المحاربة فى طريق العبادة (والصالحين) اى القائمين بحقوق الله وحقوق خلقه (وحسن اولئك رفيقا) اى ما احسنهم رفيقا وفقنا الله الى كمال متابعتهم وجمال محبتهم توفيقا (فدعا به) اى نادى الرجل الذى شكاه (فقرأها عليه) وشفاه مما كان خائفا انه على شفاه (وفى حديث آخر) لا يعرف مخرجه (كان رجل عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينظر اليه) اى الى وجهه صلى الله عليه وسلم (لا يطرق) بكسر الراء وفى نسخة ما يطرف اى لا يغض بصره لديه (فقال ما بالك) اى شأنك وحالك (قال) وفى نسخة فقال (بابى انت وامى) اى افديك بهما (اتمتع من النظر) وروى بالنظر (اليك) اى فى الدنيا (فاذا كان يوم القيامة رفعك الله تعالى) فى اعلى الدرجة (بتفضيله) اى بسبب تفضيله سبحانه وتعالى اياك على من سواك فحينئذ بالضرورة لا اراك (فانزل الله الآية) اى الماضية تسلية لما سيأتى من الاحوال الاتية (وفى حديث انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الاصفهانى فى ترغيبه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال من احبنى كان معى فى الجنة) اى وان تفاوتت الدرجة على تفاوت مراتب المحبة المقتضية لحسن الطاعة على وفق المتابعة

(فصـــل)

(فيما روى عن السلف) اى الصحابة والتابعين (والائمة) اى من الخلف فى امر الدين من المجتهدين (من محبتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشوقهم له) اى اشتياقهم الى رؤيته ووصولهم الى قرب درجته (حدثنا) وفى نسخة قال حدثنا (القاضى الشهيد) هو ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (ثنا الرازى ثنا) اى حدثنا (الجلودى) بضم الجيم (ثنا) اى حدثنا (ابن سفيان) وهو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم عنه (ثنا) اى حدثنا (مسلم) اى صاحب الصحيح (ثنا) اى حدثنا (قتيبة) بالتصغير لقبه وهو ابن سعيد واختلف فى اسمه (ثنا) اى حدثنا (يعقوب بن عبد الرحمن) هذا هو القارى بتشديد الياء المدنى نزيل الاسكندرية (عن سهيل) بالتصغير وفى نسخة سهل (عن ابيه) ابوه هو ابو صالح السمان واسمه ذكوان (عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من اشد امتى) وفى نسخة من اشد الناس (لى حبا ناس) اى جماعة وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور المتقدم ونعته (يكونون بعدى) اى يولدون بعد حياتى ويوجدون بعد وفاتى (يود احدهم) اى يتمنى (لو رآنى) اى ان يبصرنى (باهله وماله) اى بدلهما (وتقدم مثله عن ابى ذر) وفى نسخة وقد تقدم حديث عمر رضى الله تعالى عنه اى فى هذا المعنى (وقوله) اى فى آخر المبنى (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانت احب الى من نفسى) اى روحى (وما تقدم من الصحابة فى مثله) اى فى مثل هذا ورد كثيرا (وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه) وفى نسخة العاصى بالياء والاول هو الصواب كما ذكرنا تحقيقه فيما سبق من شرح الكتاب (ما كان احد) اى من الخلق (احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان) المعروف عبدة بنت خالد بن صفوان روت عن ابيها ذكرها ابن حبان فى ثقاته فالسهو اما من الكتاب او من صاحب الكتاب والله اعلم بالصواب (قالت ما كان خالد يأوى الى فراش) اى مرقد له (الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى الى رؤيته (والى اصحابه من المهاجرين والانصار) اى الذين سبقوه (يسميهم) اى يذكرهم باسمائهم واحدا بعد واحد (ويقول هم) اى جميعهم ويروى منهم (اصلى) اى فى اصول الدين (وفصلى) اى وفرعى فى فرع المجتهدين او معناهما حسبى ونسبى وقيل الاصل الوالد والفصل المولود والمعنى ان كبارهم وصغارهم بمنزلة آبائى واولادى واما ما نقله الحلبى عن الجوهرى ان الكسائى قال قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان فلا يظهر وجهه كما لا يخفى على اهل البيان (واليهم يحن قلبى) بكسر الحاء اى يميل (طال شوقى اليهم فعجل ربى قبضى) اى قبض روحى (اليك) اى الى رحمتك (حتى) اى يكرر الجملة الآخيرة او الجمل كلها حتى (يغلبه النوم) فوت الاقران موجب الاحزان (وعن ابى بكر رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة وروى عن ابى بكر كما رواه ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه (انه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى بعثك بالحق) اى ارسلك الى الخلق (لاسلام ابى طالب كان اقر لعينى) اى اشد سرورا عندى (من اسلامه يعنى اباه) عثمان بن عامر رضى الله تعالى عنه (ابا قحافة) بضم القاف عاش بعد ابنه وخصه من تركة ابى بكر رضى الله تعالى عنه السدس فرده فى اولاده وتوفى سنة اربع عشرة (وذلك) اى قال وسبب ذلك (ان اسلام ابى طالب كان اقر لعينك) يعنى والله غالب على امره ولعله قال ذلك حين نزل قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين او حين اسلم ابوه عام الفتح وهناه النبى عليه الصلاة والسلام (ونحوه عن عمر رضى الله تعالى عنه) اى نظير حديث ابى بكر ما رواه البيهقى والبزار عن ابن عمر عن عمر رضى الله تعالى عنهما (انه قال) اى قال نحو حديث الصديق (للعباس) اى تسلية وترغيبا له فى الاسلام ان قاله قبل اسلامه او تهنئة له وترحيبا به ان كان بعده (ان تسلم) بفتح الهمزة على ان ان مصدرية اى اسلامك (احب الى) اى بالحب الشرعى (من اسلام الخطاب) اى لو وجد فرضا (لان ذلك) اى اسلامك (احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بحسب ميله الطبيعى ورجح الدلجى كون ان بكسر الهمزة شرطية وهو بعيد رواية ودراية (وعن ابن اسحق) اى امام المغازى وكذا عن البيهقى عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابى وقاص مرسلا (ان امرأة من الانصار) اى من بنى دينار كما فى رواية ابن اسحق (قتل ابوها واخوها وزوجها) اى فى سبيل الله تعالى (يوم احد) اى زمن وقعته (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى قتال كفار قريش وكسر المسلمين وانهزام بعض المؤمنين واستشهاد طائفة من الموقنين واشاعة قتل سيد المرسلين على لسان المشركين والمنافقين (فقالت ما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة الفاعل ويجوز كونه للمفعول اى ما جرى له وكيف حاله (قالوا خيرا) اى فعل خيرا وفى نسخة بخير اى هو بخير فى بدنه وسالم من عدوه (هو) وفى نسخة وهو (بحمد الله كما تحبين) اى من الصحة والعافية (قالت) اى لبعض اصحابه (ارنيه حتى انظر اليه) اى ليطمئن قلبى لديه وفى نسخة صحيحة ارونيه بصيغة الجمع (فاروه فلما رأته قالت كل مصيبة) اى من قتل اب واخ وزوج وغيرهم (بعدك) اى بعد سلامتك او غير مصيبتك (جلل) بفتح الجيم واللام الاولى اى هين وجاء فى رواية ابن اسحق مفسرا تريد صغيرة اى هينة حقيرة لا شاقة كبيرة (وسئل على بن ابى طالب كرم الله وجهه) لا يدرى مخرجه (كيف كان حبكم) اى معشر الصحابة او جماعة اهل البيت (لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اى على رضى الله عنه (كان) اى النبى صلى الله عليه وسلم (والله) قسم معترض (احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ) بفتحتين مقصورا ويجوز مده وهو شدة العطش وفى اعادة الجار اشعار بانه اشد نفعا لانه روح الروح وايماء الى انه احب اليهم من ارواحهم (وعن زيد بن اسلم رحمه الله) اى الفقيه العمرى تابعى جليل روى عن ابن عمر وجابر وعنه مالك وغيره اخرج له اصحاب الكتب الستة والحديث

رواه عنه ابن المبارك فى الزهد (خرج عمر رضى الله تعالى عنه ليلة يحرس الناس) اى يحفظهم بمراعاته و يخبر عن احوالهم على عادته فى ايام خلافته (فرأى مصباحا) اى سراجا (فى بيت) اى فقصده (واذا عجوز تنفش) اى تندف (صوفا) وهو بضم الفاء والشين المعجمة من النفش وهو تفريق الشئ باصابعك حتى ينتشر كالتنفيش (وتقول) اى وهى تنشد رجزا (على محمد صلاة الابرار) جمع بر او بار والمراد بالصلاة هنا تعظيمهم له فى الدنيا باعلاء ذكره واظهار امره وفى الآخرة بتضعيف اجره ورفعة قدره (صلى عليه الطيبون الاخيار) جمع خير بالتشديد والتخفيف (قد كنت) اى انت (قواما) اى كثير القيام للعبادة وفى رواية صوّاما وجعله الدلجى اصلا اى كثير الصيام للرياضة (بكا) بضم الموحدة مقصورا منونا لغة فى الممدود اى ذو بكاء او اريد به المبالغة كرجل عدل يعنى لكثرة بكائه كانه عين البكاء وهذا المعنى انسب لمقابلة ماقبله وقد اغرب الدلجى بقوله قصر لضرورة الوزن واصله بفتحها ممدودا مشدد الكاف مبالغة فى كثرة البكاء ولا يخفى وجه غرابته فى المبنى وقيل البكاء برفع الصوت ممدود والدمع بلا صوت مقصور واما ماوقع فى بعض النسخ المقروءة بكاء بتشديد الكاف وبالمد والتنوين فهو مستقيم معنى ولكنه سقيم وزنا ومبنى وكذا مافى نسخة من ضبطه بالتشديد منونا بدون مد وهو الذى ذهب اليه الدلجى وقال الانطاكى وفى بعضها بكاء بالتخفيف فان المشدد قد يخفف للوزن انتهى والصواب ماقدمناه كما لا يخفى (بالاسحار) ايماء الى قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار واشارة الى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يكن الديك اكيس منك ينادى بالاسحار وانت نائم اى غافل عن البكاء والاستغفار (ياليت شعرى) اى اتمنى علمى وشعورى بتيقنى وحضورى (والمنايا اطوار) اى تارات جملة حالية بين المعمولين اعتراضية افادت بها ان مايحول بين المرء ومتمناه حالات شتى مختلفة بحسب تفاوتها فى اطوار الموت واسرار الفوت فان المنايا جمع منية وهى الموت من منى الله عليك اى قدر ومن ثمه سمى منية لانه مقدر بوقت معين وقد ورد ان منشدا انشد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شعر

لا تأمنن وان اسيت فى حرم * حتى تلاقى مايمنى لك المانى

فالخير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال صلى الله عليه وسلم لو ادرك قائل هذا الاسلام لاسلم والمعنى حتى تلاقى ماقدر لك المقدر وهو الله سبحانه وتعالى وهى تريد والله اعلم لان المنية تارة تأخذ الكرام واخرى تبيد اللئام والمعنى ليت علمى حاضر اعلم به (هل تجمعنى) بفتح الميم وضم العين وتخفيف النون وفى نسخة بفتح العين وتشديد مابعدها (وحبيبى) بفتح الياء لغة لا كما قال الانطاكى ضرورة (الدار) يعنى ام يحولان بينى وبينه المزار (تعنى) اى المرأة بقولها حبيبى (النبى صلى الله عليه وسلم) وبقولها الدار الجنة دار القرار (فجلس عمر رضى الله تعالى عنه يبكى) اى للاشتياق او للفراق او الافتراق (وفى الحكاية طول) اى ليس هذا مقام ايرادها (وروى) اى فى عمل اليوم والليلة لابن السنى (ان عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما خدرت رجله) بفتح معجمة وكسر مهملة اى فترت عن الحركة وضعفت باجتماع عصبها من جهة كسل وفتور اصابها كانها رجل ناعس ولم يذهب مابها (فقيل له اذكر احب الناس اليك يزل عنك) بضم الزاى اى يزول عنك هذا الانقباض بسبب مايترتب على ذكر المحبوب من الانبساط (فصاح) اى فنادى باعلى صوته (يا محمداه) بسكون الهاء للندبة وكأنه رضى الله تعالى عنه قصد به اظهار المحبة فى ضمن الاستغاثة (فانتشرت) اى رجله فى الفور (ولما احتضر بلال رضى الله عنه) بصيغة المفعول اى حضرته الوفاة وقاربه الممات (نادت امرأته) وهى صحابية على ماذكره الذهبى فى آخر النساء من التجريد ما لفظه زوجة بلال اتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل عن بلال اثم بلال (واحزناه) بضم حاء فسكون زاى ويجوز فتحهما وصحف على الدلجى وضبط بفتح الحاء والراء وبالموحدة بدل النون قال وهو فى الاصل النهب والسلب فكأنها الفجعها وحزنها بموته قد نهبت وسلبت (فقال) اى بلال (واطرباه) اى فرحاه وهو يؤيد ماقدمناه معنى وان كان انسب لما قاله الدلجى مبنى وفى نسخة بل واطرباه بصريح الاضراب للابطال ثم رجزمنا سبا للحال واستدلالا لذلك المقال (القى غدا) ويروى نلقى (الاحبه) بالهاء وقفا (محمدا وصحبه) وفى نسخة صحيحة وحزبه وقد روى عن عمار ايضا انه قال بصفين الآن القى الاحبه محمدا ثم حزبه (ويروى ان امرأة) وفى نسخة ويروى عن امرأة وفى حاشية الحلبى ان امرأة هاشم قال ولا اعرفها (قالت لعائشة رضى الله تعالى عنها اكشفى لى) اى بينى لى وارينى (قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكشفته لها) اى بكشف الستارة عنه لاجلها (فبكت حتى ماتت) اى حزنا على فراقه او شوقا الى لقائه (ولما اخرج اهل مكة) اى كفارهم كما رواه البيهقى عن عروة (زيد بن الدثنة) بدال مهملة مفتوحة فمثلثة مكسورة وتسكن فنون مفتوحة مخففة فهاء تأنيث بياضى خزرجى بدرى احدى (من الحرم) متعلق باخرج (ليقتلوه) اى صبرا وكان قد اسر مع خبيب يوم الرجيع فباعوهما بمكة

(قال له) اى لزيد (ابو سفيان بن حرب) اى ابن امية وهو ابو معاوية اسلم عام الفتح وهذا الكلام قبل الاسلام (انشدك الله تعالى) بضم الشين اى اسألك الله واذكرك به او اقسم عليك به وفى نسخة صحيحة انشدك بالله (يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك) اى يكون فى مكانك ومهانتك (يضرب عنقه) بصيغة المجهول والعنق بضمتين وبضم فسكون وكصرد الجيد ويؤنث (وانك) وفى نسخة وانت (فى اهلك) اى والحال انك تكون فيما بين اهلك وطول املك (فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه) اى مع كمال امنه وعزته (تصيبه شوكة) اى فضلا عن ان يصيبه محنة فوقها (وانى) وفى نسخة وانا (جالس فى اهلى) ولعله ذكره لمقابلة كلام ابى سفيان لانه حال مقيدة فى هذا الشأن بل الانسب للمبالغة ان يقول وانا فى هذه الحال فكيف اذا كنت فيما بين اهلى ومالى من المنال والمعنى ان ما اصابنى فى طريقه من المحنة لم ينقص لى شيأ فى حقه من المحبة (فقال ابو سفيان ما رأيت من الناس احدا) اى من الاتباع (يحب احدا) اى من المتبوعين (كحب اصحاب محمد محمدا) اى احتراما مؤكدا واحتشاما مؤبدا قال الحلبى ماذكره القاضى قاله ابن اسحق ونقل ابو الفتح اليعمرى فى سيرته الكبيرة ذلك عن ابن اسحق وذكر عن ابن عقبة ان الذى قيل له اتحب ان محمدا مكانك هو خبيب بن عدى حين رفع على الخشبة فقال لا والله فضحكوا منه انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن جرير والبزار عنه (قال كانت المرأة اذا اتت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مهاجرة اليه فى المدينة السكينة (حلفها بالله ماخرجت) اى هى من ارضها اليه (من بغض زوج) اى من اجل كراهة زوج لها (ولا رغبة) بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور والمراد بها العلة وبالجر عطفا على المجرور اى ولا من اجل الميل (بارض) اى فى بلدة (عن ارض) اى انصرافا عن بلدة لقلة رغبة فيها (وما خرجت) اى عن ارضها (الا حب الله ورسوله) ووقف ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فيما رواه ابن سعد (على ابن الزبير) اى عند جذعه الذى صلبه عليه الحجاج بالمعلاة (بعد قتله) اى عند البيت (فاستغفر) اى ابن عمر رضى الله عنهما (له) اى لابن الزبير (وقال كنت والله) وفى نسخة والله كنت (فيما علمت) وفى نسخة ما علمت اى مدة على بك (صواما قواما) اى كثير الصيام والقيام (تحب الله ورسوله)

(فصل)

(فى علامة محبته عليه الصلاة والسلام) وفى اصل الدلجى فى علامة حبه على انه مصدر مضاف الى معموله اى يذكر فيه مايؤذن بحب غيره له (اعلم انه) وفى نسخة ان (من احب شيأ آثره) بالمد اى اختاره على نفسه (وآثر موافقته) على مخالفته (والا) اى وان لم يؤثرها (لم يكن صادقا فى حبه) اى فى مودته (وكان مدعيا) اى فى محبته وكان كما قيل

وكل يدعى وصلا بليلى * وليلى لا تقر لهم بذاك

(فالصادق فى حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من تظهر علامة ذلك عليه) اى دلالة الحب لديه (واولها) اى اول علاماته واسبق دلالاته (الاقتداء به) اى فى ملته (واستعمال سنته) اى فى طريقته (واتباع اقواله وافعاله) اى فى جميع احواله (وامتثال اوامره) اى وجوبا وندبا (واجتناب نواهيه) اى حرمة وكراهة (والتأدب بآدابه) اى فى جميع ابوابه من مكارم شمائله ومحاسن فضائله (فى عسره ويسره) اى فى وقت ضره وشكره على صعوبة امره وسهولته ومحنته ونعمته وجوعه وشبعه وبلائه ورخائه وقبضه وبسطه ومحوه وصحوه وفنائه وبقائه (ومنشطه ومكرهه) بفتح اولهما وثالثهما مصدران بمعنى النشاط والكراهة او اسما زمان اى فى حال سعته وضيقه او حال رضاه وغضبه او وقت فرحه وحزنه او زمن انشراح صدره او انقباض امره (وشاهد هذا) اى دليل ماذكر كله (قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله) اى تريدون طاعته او تدعون محبته (فاتبعونى) اى فى طريقته (يحببكم الله) يقبكم عليه ويقربكم اليه وتمامه قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم اى يتجاوز عما فرط من عيوبكم (وايثار ماشرعه) اى وشاهده ايضا تقديم ما اظهره واختيار مابينه من وجوب ومندوب ومحظور ومكروه ومباح ونحوه (وحض عليه) اى وايثار ماحث وحرض على فعله او تركه (على هوى نفسه) اى على ما تميل اليه نفس المحب (وموافقة شهوته قال الله تعالى) اى فى مدح الانصار من جهة الايثار الذى هو فى الجملة من شيم الابرار وسمة الاحرار (والذين تبوؤا الدار والايمان) اى اتخذوا المدينة منزلا والايمان منزلة ومحلا والمعنى لزموهما ولم يفارقوهما (من قبلهم) اى من قبل نزول المهاجرين عليهم (يحبون من هاجر اليهم) ولا يثقل احد من قريش ولا غيرهم عليهم (ولا يجدون فى صدورهم) كذا فى النسخ المصححة وفق الآية ووقع فى اصل الدلجى فى انفسهم فقال صوابه فى صدورهم (حاجة) اى حزازة (مما اوتوا) اى لم يخطر ببالهم ماتطمع به نفوسهم الى ما اعطى المهاجرون وغيرهم من فيء وغيره (ويؤثرون) اى يقدمون

المهاجرين وغيرهم (على انفسهم) فى محبة الله ورسوله (ولو كان بهم خصاصة) اى مجاعة وشدة حاجة حتى
ان من كان عنده داران او بستانان ترك احسنهما للمهاجرين ومن كان عنده امرأتان نزل عن احدى زوجتيه
التى كانت اكرمهما لديه وزوجها باحدهم بين يديه هذا وسبب نزول الآية انه عليه الصلاة والسلام قسم اموال بنى
النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة محاويج ابادجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث
ابن الصمة وقال لبقية الانصار ان شئتم شركتكم فى هذا الفيء معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم
كانت لكم دياركم واموالكم ولا تأخذوا منه شيأ فقالوا بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالفيء علينا
ولا نشاركهم فيه اصلا (واسخاط العباد) اى وشاهده ايضا اسخاط العباد (فى رضى الله تعالى) اى فى تحصيل
رضاه فمن ارضاه تعالى بسخط عباده رضى عنه وارضى عنه العباد ومن ارضاهم بسخطه سخط عليه واسخطهم عليه
كما ورد به حديث هذا مبناه او معناه (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) وهو ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل بن خيرون) بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة وراء مضمومة وهو غير منصرف فى النسخ
المصححة (قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو يعلى البغدادى) ويقال له ابن زوج الحرة (ثنا) اى حدثنا (ابو على
السنجى) بكسر السين وسكون النون والجيم (ثنا) اى حدثنا (محمد بن محبوب) ويروى احمد بن محبوب (ثنا) اى
حدثنا (ابو عيسى) اى الترمذى الامام (ثنا) اى حدثنا (مسلم بن حاتم) اى الانصارى امام جامع البصرة وثقه
الترمذى وغيره (ثنا) اى حدثنا (محمد بن عبد الله الانصارى) قاضى البصرة روى عن حميد وابن عوف وطبقتهما
وعنه البخارى واحمد وابن معين وخلائق اخرج له الائمة الستة (عن ابيه) اى عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن انس
ابن مالك الانصارى روى عن عمومته والحسن وجماعة وعنه طائفة قال ابو حاتم صالح ووثقه غيره وقال النسائى ليس
بالقوى وقال ابو داود لا اخرج حديثه لكن اخرج له البخارى والترمذى وابن ماجه (عن على بن زيد) اى
ابن جدعان التيمى البصرى الضرير تابعى احد الحفاظ وليس بالثبت وقال منصور بن زاذان لما مات الحسن قلنا
لابن جدعان اجلس مجلسه اخرج له مسلم متابعة (عن سعيد بن المسيب) تقدم ذكره (قال قال انس بن مالك رضى الله
تعالى عنه قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بنى) بكسر الياء المشددة وفتحها لغتان وقرآءتان
متواترتان وهو تصغير شفقة (ان قدرت ان تصبح وتمسى) اى تدخل فى الصباح والمساء او يمر عليك النهار والليل (ليس
فى قلبك غش) اى حقد وحسد (لاحد) اى من المسلمين جملة حالية معترضة (فافعل) اى كن ثابتا على هذا العمل فان
من غشنا فليس منا على ما ورد (ثم قال لى يا بنى وذلك) اى المقام (من سنتى) اى من طريقتى (ومن احيى سنتى) اى
بالعمل بها او بانتشارها فى تعلمها وتعليمها او يروى ومن احب سنتى (فقد احبنى) اى بالغ فى حبى (ومن احبنى) اى
بالمبالغة (كان معى فى الجنة) اى فى درجة ارباب المحبة واصحاب القربة (فمن اتصف بهذه الصفة) الظاهر بهذه الصفات
التى هى علامات المحبة او المراد بهذه الصفة احياء السنة وامثالها من انواع الموافقة والمتابعة الصادقة (فهو كامل
المحبة لله تعالى) اى اصالة (ولرسوله) اى تبعا (ومن خالفها) اى هذه الصفات (فى بعض هذه الامور) اى المذكورة
(فهو ناقص المحبة ولا يخرج) اى ولكن لا يخرج مع هذا (عن اسمها) اى عن اسم المحبة فيجوز اطلاق المحب عليه
فى الجملة (ودليله) اى ودليل عدم خروج ناقص المحبة عن اصل المحبة (قوله عليه الصلاة والسلام) اى كما فى حديث
البخارى عن عمر رضى الله عنه (للذى حده فى الخمر) اى لاجله وفى حقه وهو عبد الله الملقب بالحمار كذا وقع فى صحيح
البخارى وهو صاحب مزاح كان يهدى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويضحكه (فلعنه بعضهم) وفى صحيح البخارى
فقال بعض القوم اخزاه الله تعالى قال بعض الحفاظ القائل به هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رواه البيهقى وفى
رواية له فقال رجل من القوم اللهم العنه (وقال) اى ذلك البعض تعليلا لطعنه ولعنه (ما اكثر ما يأتى به فقال النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله) وفى كلام الدمياطى فى حواشيه على البخارى ان هذا
وهم منه فان صاحب القصة نعيمان تصغير نعمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم بن مالك بن النجار
شهد العقبة مع السبعين وبدرا واحدا والخندق وسائر المشاهد واتى به فى شرب الخمر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
فجلده اربعا او خمسا فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يشرب واكثر ما يجلد فقال عليه الصلاة والسلام
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وكان صاحب مزاح انتهى وقال الواقدى بقى نعيمان حتى توفى ايام معاوية وكان
كثير المزاح يضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مزاحه انتهى ومما يحكى عن نعيمان هذا انه كان لا يدخل
فى المدينة طرفة او تحفة الا اشترى وجاء بها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول اهديته لك فاذا جاء صاحبه
طالبه بثمنه جاء به الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال يا رسول الله اعطه ثمن متاعه فيقول النبى عليه الصلاة

والسلام اولم تهده فيقول يا رسول الله لم يكن والله عندى ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وفى هذا الحديث بشارة عظيمة واشارة جسيمة لعصاة المؤمنين وحجة واضحة وبينة
لائحة لاهل السنة والجماعة على الخوارج والمعتزلة حيث قالوا بكفر من فعل كبيرة اوهى مخرجة له من الايمان
ولا تدخله فى الكفر فيثبتون لصاحبها منزلة بين المنزلتين ويقولون بتخليده فى النار (ومن علامات محبة النبى)
اى محبته للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم كثرة ذكره له) اى فى الحالات والاوقات (فمن احب شيأ اكثر من ذكره) اى
وصرف اليه غالب فكره وقوله من احب شيأ اكثر من ذكره حديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن عائشة
رضى الله تعالى عنها (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (كثرة شوقه الى لقائه) اى الى مشاهدة
طلعة ذاته فى دار بقائه (فكل حبيب) اى محب (يحب لقاء حبيبه) اى محبوبه والجملة كالعلة لما قبلها (وفى حديث
الاشعريين) اى ابى موسى واصحابه (عند قدومهم المدينة) اى من اليمن او الحبشة (انهم كانوا يرتجزون) اى
يقولون هذا الرجز قبل حصول الصحبة ووصول القربة (غدا نلقى الاحبه) جمع حبيب فعيل بمعنى مفعول (محمدا
وصحبه) ويروى وحزبه والمراد بالرجز هنا الشعر الذى يشبه الرجز اذ ليس هذا من بحر الرجز المعروف فانه بالتحقيق
ضرب من الشعر وزنه مستفعلن ست مرات سمى لتقارب اجزائه وقلة حروفه وزعم الخليل انه ليس بشعر وانما هو
انصاف من ابيات واثلاث (وتقدم قول بلال) اى انشاده هذا الرجز عند موته شوقا الى لقائه (ومثله قال عمار قبل
قتله) وفى نسخة وكما قال عمار اى ابن ياسر ابو اليقظان العبسى من السابقين المعذبين فى الله البدريين وكان معذبا
بالنار فى ايدى المشركين وكان عليه الصلاة والسلام يمر به فيمر يده عليه ويقول يا نار كونى بردا وسلاما على عمار
كما كنت على ابراهيم روى عنه على وابن عباس وغيرهما قتل بصفين مع على عن ثلاث وتسعين وقد قال صلى الله
تعالى عليه وسلم له تقتلك الفئة الباغية وقتله ابو الغادية واسمه يسار بن سبع سكن الشأم ونزل واسط وعداده فى الشاميين
ادرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
وكان محبا لعثمان رضى الله عنه وكان اذا استأذن على معاوية يقول قاتل عمار بالباب اخرج له احمد فى المسند
(وما ذكرناه) اى وتقدم ايضا ما ذكرناه (من قصة خالد بن معدان) وفى نسخة فى قصة خالد بن معدان (ومن علاماته)
اى ومن دلالة شوق المحب الى لقاء محبوبه (مع كثرة ذكره تعظيمه له) اى لذاته او لامره (وتوقيره) اى له كما فى نسخة
(عند ذكره) اى تنويها لرفعة محله (واظهار الخضوع) وفى نسخة واظهاره الخضوع وفى نسخة الخشوع بدل
الخضوع والمعنى بهما التواضع والتذلل ظاهرا وباطنا (والانكسار) اى بوصف الافتقار وفى نسخة الانكماش
اى الانقباض والاجتماع (مع سماع اسمه) اى حين سماع اسمه او وصفه (قال اسحق) وفى نسخة ابو اسحق
(التجيبى) بضم التاء الفوقية وتفتح وقيل هو الاصح وبكسر الجيم نسبة الى تجيب بطن من كندة منهم كنانة بن بشر
التجيبى قاتل عثمان رضى الله تعالى عنه وتجوب قبيلة من حمير منهم ابن ملجم قاتل على كرم الله وجهه (كان
اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده) اى بعد وفاته (لا يذكرونه) اى فى حال من الاحوال (الا خشعوا)
اى خضعوا وتذللوا (واقشعرت جلودهم) اى انقبضت لحسرتهم عليه (وبكوا) اى لفراقه شوقا اليه (وكذلك)
اى ومثل اصحابه فى ذلك (كثير من التابعين منهم) وفى نسخة كان منهم (من يفعل ذلك) اى يخشع ويقشعر ويبكى
(محبة له وشوقا اليه ومنهم) اى من التابعين او من الصحابة والاتباع اجمعين (من يفعله) اى ما ذكر من الخشوع
والاقشعرار والبكاء (تهيبا) اى مهابة (وتوقيرا) اى اجلالا وعظمة والحاصل ان بعضهم كانت المحبة غالبة عليهم
وبعضهم كانت المخافة ظاهرة لديهم وهما مقامان شريفان لطائفتين من الصوفية السنية لكن مقام الرجاء والمحبة
افضل من مقام الخوف والهيبة بالنسبة الى المنتهين وعكسه بالاضافة الى المبتدئين ويسمى الاولون بالطيارين
والآخرون بالسيارين ثم هذه الاوصاف المحمودة كلها مقتبسة من قوله تعالى فى مدح المؤمنين الموقنين حيث قال
تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام الى ان قال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم
الى ذكر الله الآية فذكر الله وذكر رسوله متلازمان فى حصول كل واحد ووصوله (ومنها) اى ومن علامات محبة
الانسان للنبى عليه الصلاة والسلام (محبته لمن احب النبى) بالرفع اى احبه النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويجوز
ان ينصب كما فى نسخة وهو المعنى الاعم الاتم لكن الاول هو المناسب لسياق الكلام والله تعالى اعلم ولذا عطف
عليه بقوله (ومن) اى ولمن (هو بسببه) اى بسبب نسبه ونسبته وفى نسخة نسبه اى منسوبه (من آل بيته)
اى اهل بيته وفى اصل الحجازى بنون وشين معجمة وموحدة (وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة من عاداهم)
اى تجاوز الحد الشرعى فى حقهم من الكفار (وبغض من ابغضهم) اى كرههم وقلاهم من الفجار (وسبهم) اى

وبغض من شتمهم من كلاب اهل النار (فمن احب شيأ) اى احدا (احب من يحب) وفى نسخة من يحبه اى ذلك المحبوب ويبغض من يبغضه (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى وغيره (فى الحسن والحسين) اى فى حقهما وشأنهما (اللهم انى احبهما فاحبهما) اى زدلهما الهدى والتوفيق فى الدنيا وحسن المثوبة ورفعة الدرجة فى العقبى (وقال) اى فى رواية (من احبهما فقد احبنى) اى فكانه احبنى (ومن احبنى) حقيقة (فقد احب الله تعالى ومن ابغضهما فقد ابغضنى) اى فكانه ابغضنى (ومن ابغضنى) حقيقة (فقد ابغض الله تعالى) اى ومن ابغض الله فقد كفر بالله (وفى رواية) اى اخرى (فى الحسن) اى قال فى حق الحسن وحده (اللهم انى احبه فاحب من يحبه وقال) اى فى رواية الترمذى (الله الله) بالنصب فيهما اى اتقوه واحذروه (فى اصحابى) ولا تذكروهم بسوء فانهم احبابى (لا تتخذوهم غرضا) بمعجمتين اى هدفا ترمونهم بما لا يليق من الكلام كما يرمى الهدف بالسهام وفى نسخة عرضا بالعين المهملة والظاهر انه تصحيف (بعدى) اى فى غيبتى ايام حياتى او بعد مماتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب حبه اياى او حبى اياهم (احبهم ومن ابغضهم فببغضى) اى فبسبب بغضه اياى (ابغضهم) ومن هنا قول بعض المالكية من سبهم قتل (ومن آذاهم) اى بما يسوؤهم (فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله تعالى) اى خالفه وكره الله فعله (ومن آذى الله يوشك) اى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى الله تعالى كما فى نسخة ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اى كما رواه البخارى وغيره (فى فاطمة) اى فى شأنها (انها بضعة) بفتح الموحدة وتكسر اى جزء وقطعة (منى) اى من لحمى ودمى (يغضبنى ما اغضبها) وفى نسخة ما يغضبها وقد ورد هذا الحديث حين خطب على رضى الله تعالى عنه جويرية ابنة عدو الله ابى جهل على فاطمة رضى الله تعالى عنها قال مسرور بن مخرمة سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى ان ينكحوا ابنتهم على بن ابى طالب فلا اذن ثم لا اذن الا ان يريد ابن ابى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم فانما هى بضعة منى فمن ابغضها ابغضنى فهذا من خصوصياتها (وقال) اى فى رواية (لعائشة رضى الله تعالى عنها فى اسامة بن زيد) اى فى حقه (احبيه فانى احبه) وقد ورد انه اراد عليه الصلاة والسلام ان ينحى مخاط اسامة فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها دعنى حتى انا الذى افعل قال يا عائشة احبيه فانى احبه (وقال) كما فى الصحيحين (آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم) اى علامة كمال ايمان من آمن او علامة نفس ايمانه حبهم ويؤيده ظاهر الحديث وحديث لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق ولعل وجه تخصيصهم انهم كانوا مختلطين فيما بين المنافقين والمخلصين او للاشعار بان حكم المهاجرين اولى بذلك كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ايماء الى جلالة رتبة الهجرة وانه عليه الصلاة والسلام نبى مهاجر من المهاجرين وقد جاء بطريق العموم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق كما رواه الحاكم فى مستدركه عن انس رضى الله تعالى عنه (وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) اى كما تقدم (من احب العرب فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) ظاهر مبناه اخبار ولا يبعد ان يكون معناه انشاء اى من احبهم فينبغى ان يكون بسبب حبى لهم احبهم حيث يكونون صالحين وكذا البغض اذا كانوا طالحين لما ورد عنه عليه الصلاة والسلام من احب لله وابغض لله فقد استكمل ايمانه وفى رواية حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر فمن احب العرب اى جنسهم والمراد مؤمنوهم او متقوهم فقد احبنى ومن ابغض العرب فقد ابغضنى رواه الطبرانى فى الاوسط عن انس رضى الله تعالى عنه وروى ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب ابى بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب اصحابى فعليه لعنة الله ومن حفظنى فيهم فانا احفظه يوم القيامة والاحاديث كثيرة فى هذا الباب وبالجملة فيجب على كل احد ان يحب اهل بيت النبوة وجميع الصحابة من العرب والعجم لا سيما جنسه عليه الصلاة والسلام ولا يكون من الخوارج فى بغض اهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب اهل البيت ولا يكون من جملة الاروام حيث يكرهون العرب بالطبع الملام ويذمونهم على الاطلاق بسوء الكلام فانه يخشى عليهم من سوء الختام (فبالحقيقة من احب شيأ احب كل شئ يحبه) اى يحب ذلك الشئ وهذا اظهر (وهذه) اى الطريقة الموافقة للحقيقة (سيرة السلف) اى سمة الصحابة والتابعين فى حبهم ما احبه عليه الصلاة والسلام فى جميع الحالات (حتى فى المباحات وشهوات النفس) اى فيحبون ما اشتهاه ويتكلمون بمقتضاه ويكلفون انفسهم بموافقة ما يهواه مبالغة فى طاعة مولاه (وقد قال انس رضى الله تعالى عنه حين راى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع

الدباء) بالمد ويقصر اى يطلبه (من حوالى القصعة) بفتح اللام والقاف اى من اطرافها لكمال محبته له (فمازلت) اى مادمت وعشت (احب الدباء من يومئذ) بفتح الميم وكسرها اى من حين رأيته يتتبعه ويأكل حباله لحبه عليه الصلاة والسلام اياه وروى عن انس رضى الله تعالى عنه انه ما صنع لى طعام ويوجد الدباء الا وقد جعل فيه وقد روى فى مجلس ابى يوسف انه عليه الصلاة والسلام كان يحب الدباء فقال رجل انا ما احب الدباء فسل له السيف وقال جدد الاسلام والا قتلتك نظرا الى ظاهر معارضته له عليه السلام (فهذا الحسن بن على وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضى الله عنهم) اى ابن ابى طالب (اتوا سلمى) اى خادمته صلى الله تعالى عليه وسلم ومولاة له او مولاة عمته صفية زوجة ابى رافع قابلة ابنه ابراهيم وداية ابنته فاطمة وغاسلتها مع اسماء بنت عميس قال الحلبى فى الصحابيات وسلمى غير هذه خمس عشرة امرأة وانما يدل على انها المراد هنا ما اخرجه الترمذى فى الشمائل بسنده عنها انهم اتوها (وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يشتهيه ويستحسن اكله فقالت يا بنى لا تشتهيه اليوم قال بلى اصنعيه لنا فقامت واخذت شيأ من الشعير فطحنته ثم جعلته فى قدر وصبت عليه شيأ من زيت ودقت الفلفل والتوابل فقربته فقالت هذا مما كان يعجب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويستحسن اكله (وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) على ما فى الصحيحين واما ما وقع فى اصل الدلجى من ابن عباس بدل ابن عمر فليس فى محله (يلبس) بفتح الموحدة (النعال السبتية) بكسر السين نسبة الى السبت وهو جلد البقر المدبوغ بالقرظ وهو ورق السمر وقيل صمغه يتخذ منه النعال سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها اى ازيل وقيل منسوبة الى موضع يقال له سوق السبت بالكسر (ويصبغ) بتثليث الموحدة وضمها اشهر (بالصفرة) اى بالحناء (اذ راى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل ذلك) اى مثل ما ذكر من لبس النعال السبتية وصبغ اللحية بالصفرة لكمال المتابعة فى هيئة الموافقة من الكمية والكيفية (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (بغض من ابغض الله ورسوله) بالنصب فى النسخ المصححة اى من ابغضهما ووقع فى اصل الدلجى بالرفع فقال اى من ابغضاه والاول ايضا قد نص عليه الحلبى وهو الاظهر فتدبر لان بغض الله تعالى للعبد ارادة عقابه وايقاع الهوان به وهذا غير معلوم لنا بخلاف من ظهر منه بغضهما كابى لهب وابى جهل ونحوهما واسم الله للتزيين وللاشعار بان من ابغض رسوله فقد ابغضه والا فلا يوجد فى العالم من ابغض الله تعالى فكل يدعى محبته الا ان اكثرهم اخطأوا طريق ما يقتضى مودته ولذا اكتفى بضميره عليه الصلاة والسلام فى قوله (ومعاداة من عاداه) اى من اتخذه عليه الصلاة والسلام عدوا (ومجانبة من خالف سنته) اى طريقته اى عمل بغيرها (وابتدع فى دينه) اى اظهر البدع فى سبيله (واستثقاله) اى عد المؤمن المحب ثقيلا (كل امر) اى من قول او فعل او حال ويروى واستثقال كل امر (يخالف شريعته قال الله تعالى) اى اعلاما بما ذكر من كمال محبته (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) اى يكملون فى الايمان بحسب الباطن والظاهر (يوادون من حاد الله ورسوله) اى يحابون ويصادقون من خالفهما والمعنى انه لا ينبغى ان يكون هذا الامر بل حقه اى يمتنع مبالغة فى النهى عنه بمجانبة اعدائهما (ولو كانوا آباءهم) اى اصولهم (او ابناءهم) اى فروعهم (او اخوانهم) اى اقرانهم (او عشيرتهم) اى اقاربهم واهل صحبتهم وهو تعميم بعد تخصيص (وهؤلاء) اى المؤمنون بالله واليوم الآخر حقا (اصحابه) اى عدلا وصدقا (قد قتلوا احباءهم) اى احبابهم واصحابهم (وقاتلوا آباءهم وابناءهم فى مرضاته) اى فى سبيل رضى الله ورسوله روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الآية عنى بها جماعة من الصحابة فقوله ولو كانوا آباءهم يريد اباعبيدة قتل اباه يوم احد او ابناءهم يريد ابابكر رضى الله تعالى عنه لانه دعا ابنه للبراز يوم بدر فامره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقعد او اخوانهم يريد مصعب بن عمير لانه قتل اخاه يوم احد او عشيرتهم يريد عليا ونحوه ممن قتلوا عشائرهم كذا فى مبهمات القرآن لشيخ مشايخنا الجلال السيوطى وقد قتل عمر خاله العاص بن هشام يوم بدر على ما نقله الدلجى (وقال له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (عبد الله بن عبد الله بن ابى) وكان ابوه علم النفاق ورأس الكفر ورئيس الشقاق وهو من اكابر اهل الوفاق (لو شئت) لو اردت وامرت بقتله (لاتيتك برأسه يعنى) اى يريد بضميره (اباه) اى عبد الله والحديث رواه البخارى وقال ذلك لما هموا بابيه حين بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وعنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا رسول الله بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن ابى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرلى به وانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه منى وانى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل عبد الله بن ابى يمشى فى الناس فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقى معنا استشهد عبد الله يوم اليمامة في خلافة ابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه سنة اثنتى عشرة روى عنه ابو هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما (ومنها) اى من علامات محبته عليه الصلاة والسلام (ان يحب القرءآن الذى اتى به عليه الصلاة والسلام وهدى به) اى بسببه الانام (واهتدى) اى في نفسه باخلاق الكرام (وتخلق به) اى اتخذه خلقا في جميع الاحكام (حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) اى في تفسير قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم (كان خلقه القرءآن) اى كان ممتثلا باوامره ومنتهيا عن زواجره ومتمسكا بادابه وما اشتمل عليه من مكارم اخلاقه نحو قوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وامثاله (وحبه للقرءآن) اى علامة حبه له (تلاوته) اى دوام قراءته (والعمل به) والانسب ما في نسخة من تأخيره عن قوله (وتفهمه) اى طلب فهمه في مواعظه وقصصه ووعده ووعيده وبيان احوال انبيائه واوليائه وعاقبة اعدائه (ويحب) اى وان يحب (سنته) اى احاديثه (ويقف عند حدودها) اى اوامرها ونواهيها (قال سهل بن عبد الله) التسترى (علامة حب الله حب القرءآن وعلامة حب القرءآن حب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلامة حب النبى عليه الصلاة والسلام حب السنة) اى حب احاديثه واخباره واحواله وسيره وآثاره (وعلامة حب السنة) اى بعد علمها وفهمها (حب الآخرة) اذ اقل العلم معرفة ان الدنيا فانية والآخرة باقية ونتيجته ان يعرض عن الدنيا ويقبل على العقبى وهذا معنى قوله (وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا) لانهما لا يجتمعان لقوله عليه الصلاة والسلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد شبهتا بالضرتين وبالكفتين (وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها) اى لا يأخذ ولا يمسك منها (الا زادا) اى قدر ما يتزود به (وبلغة) بضم فسكون اى مقدار ما يبلغه (الى الآخرة) فان تحصيل الزيادة على قدر الضرورة وبال وحسرة فان حلالها حساب وحرامها عقاب والاشتغال بها حجاب وفي اصل الحجازى زاد وبلغة بالرفع فيقرأ لا يدخر مجهولا (وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لا يسأل احد عن نفسه) اى عن طيب حالها وخبث مآلها (الا القرءآن) فانه ميزان الانسان للعدل والاحسان (فان كان يحب القرءآن) اى تلاوته ومتابعته (فهو يحب الله ورسوله) اى ومن يحبهما فهما يحبانه ايضا والمعنى انه لا ينبغى لاحد ان يرضى بما في نفسه من الدعوى فانه كما قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (ومن علامات حبه) اى اصل حب المؤمن المحب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم شفقته) اى خوفه ومرحمته (على امته ونصحه لهم) اى قيامه بنصيحتهم في امرهم ونهيهم وموعظتهم (وسعيه في مصالحهم) اى الدينية والدنيوية الضرورية (ورفع المضار عنهم) اى بعد وقوعها ووصولها وفي نسخة ودفع المضار عنهم اى عند خوف حصولها (كما كان عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين رؤفا رحيما) والرأفة شدة الرحمة ولعلها كانت مختصة بكمل المؤمنين وعموم الرحمة لعامة المؤمنين مع انه كان رحمة للعالمين وفيه اشارة الى حسن المتابعة وكمال الموافقة وايماء الى قوله عليه الصلاة والسلام تخلقوا باخلاق الله تعالى والمعنى ان التخلق يكون بقدر التعلق في باب التحقق (ومن علامة تمام محبته) اى وكمال متابعته (زهد مدعيها) اى قلة رغبة مدعى محبته عليه الصلاة والسلام (في الدنيا) اى التى هى دار الاكدار ومقام الآلام (وايثاره) اى اختياره (الفقر) اى قلة المال على كثرته (واتصافه به) اى بالفقر حال ضرورته ويكون غنى القلب في صورته وهذا انما يكون باعراضه عنها وتركه الالتفات اليها وعدم الاقبال عليها وسئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه ان الفقر الى من يحبنى منكم) اى حبا بالغا (اسرع من السيل) اى الواقع عند نزوله (من اعلى الودى او الجبل) شك من الراوى (الى اسفله) فان الله سبحانه وتعالى ربى اكثر الاصفياء والاولياء بوصف الفقر المؤدى الى المسكنة والفناء بخلاف الغنى فانه غالبا يؤدى الى العجب والغرور والجفاء ويشهد لذلك انه عليه الصلاة والسلام لما عرض عليه الملك الجبال بقوله ان شئت جعل الله لك الاخشبين ذهبا ابى وفي حديث آخر ان ربه عرض عليه ان يجعل له بطحاء مكة ذهبا فقال لا يا رب ولكنى اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وكانه عليه الصلاة والسلام اختار ان يكون زينته تارة بوصف الجمال وتارة بنعت الجلال كما هو حال ارباب الكمال (وفي حديث عبد الله بن مغفل) بتشديد الفاء المفتوحة مزنى من اصحاب الشجرة روى عنه الحسن البصرى وغيره وتوفى بالبصرة سنة ستين قال الحسن رحمه الله مانزل البصرة اشرف منه (قال رجل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول) اى تأمل في قولك وتفكر في امرك فانك ادعيت دعوى فلا بد من تحقيق مالها من المعنى ليكون مبنيا على اساس التقوى (قال انى والله) وفي نسخة والله انى (لاحبك ثلاث مرات) اى ذكرها مكررا بالقسم مؤكدا مقررا (قال

ان كنت تحبنى) اى حبا كاملا وان كنت صادقا في دعوى محبتى اللازم منها كمال متابعتى (فاعد) بفتح همزة وكسر عين وتشديد دال مفتوحة ويجوز كسرها اى فهيئ (للفقر تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم اى اتخذ له عدة ووقاية تقتضى رعاية وتستوجب عناية وتستجاب هداية واصل التجفاف لبسة للفرس تمنعه السلاح وتقيه الاذى من الجراح وقد يلبسه الانسان وروى جلبابا وهو الازار قال القتيبى معناه ان يرفض الدنيا ويزهد فيها ويصبر على الفقر والتقلل منها وكنى بالتجفاف او الجلباب عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر البدن وقال ابن الاعرابى اى لفقر الآخرة يعنى يعمل عملا لا يكون في الآخرة فقيرا مفلسا حقيرا وعن على كرم الله وجهه من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او قال تجفافا (ثم ذكر) اى النبى عليه الصلاة والسلام قاله الدلجى والصواب اى ذكر عبد الله بن مغفل (نحو حديث ابى سعيد بمعناه) اى الذى تقدم قبله وهو قوله عليه الصلاة والسلام ان الفقر الى من يحبنى الى آخره غير ان في حديث عبد الله بن مغفل للفقر اسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه

(فصل)

(في معنى المحبة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى محبة العبد لهما (وكثرت عباراتهم في ذلك) اى وتعددت اشاراتهم هنالك (وليست ترجع) اى مقالاتهم (بالحقيقة) اى في الحقيقة كما في نسخة (الى اختلاف مقال) اى لاتفاق ما فيها في مآل (ولكنها اختلاف احوال) كما قال قائل

شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

(فقال سفيان) اى الثورى او ابن عيينة (المحبة اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام) اى علامة محبة العبد لله تعالى او نتيجة محبة الله تعالى للعبد حسن المتابعة ومداومة الموافقة لصاحب الرسالة وهذا معنى قوله (كانه) اى الشأن او سفيان (التفت) اى في كلامه مشيرا (الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية) اى يحببكم الله (وقال بعضهم محبة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اعتقاد نصرته) اى اعتقاد وجوب نصرة دينه وملته (والذب عن سنته) اى ودفعه عن امانة سيرته (والانقياد لها) اى لشريعته وفي نسخة له اى لذاته وحقيقته (وهيبة مخالفته) اى خوف مخالفة طريقته بملاحظة عظمته وهذا الكلام ايضا ايماء الى علامة المحبة او نتيجة المودة (وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب) وروى ذكر المحبوب اى لما ورد من ان من احب شيأ اكثر من ذكره حيث لا يذهل المحبوب عن فكره في تمام امره ودوام دهره (وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب) وهذا اقرب في بيان المطلوب (وقال بعضهم المحبة مواطأة القلب) اى موافقته (لمراد الرب يحب ما يحب) اى يحب المحب ما يحب المحبوب فالجملة استئنافية وفي نسخة صحيحة ما احب وفي اخرى بحب بالجار والمجرور على ان الباء لبيان المواطأة وكذا قوله (ويكره ما يكره) وفي نسخة ما كره بصيغة الماضى وفي الكشاف محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم (وقال آخر المحبة ميل القلب الى موافق له) اى لقلب المحب من الامور الحسية النفسية الدنية او الاحوال المعنوية الدينية وهذا قريب من المحبة الحقيقية (واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة) اى نتائجها (دون حقيقتها وحقيقة المحبة) اى من حيث هى (هو الميل) اى ميل الجنان (الى ما يوافق الانسان) اى بموجب الطبع او بمقتضى الشرع (ويكون موافقته له) اى ويحصل موافقة القلب للانسان وميله له (اما لاستلذاذه) اى لتلذذ الانسان (بادراكه) اى بادراك ما يميل اليه مما يوافقه باحدى مشاعره الحسية سواء كانت على وفق الشهوات النفسية او على طبق اللذات الانسية (كحب الصور) وروى الصورة (الجميلة) اى من المبصرات اعم من ان تكون من الحيوانات او النباتات او الجمادات حيث وقعت بالاشكال الموزونة (والاصوات الحسنة) اى من المسموعات من الواردة على لسان الانسان او الطير او سائر الحيوانات (والاطعمة) اى من المأكولات (والاشربة) اى من المذوقات (اللذيذة) قيد لهما (واشباهها) اى كحب الرائحة الطيبة من المشمومات والنعومة واللينة من الملموسات (مما كل طبع سليم) اى لا قلب سقيم (مائل اليها) اى ومقبل عليها (لموافقتها له) اى بمقتضى طبيعته مع قطع النظر عن موافقة شريعته (او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة) اى مبنية على مبانى لطيفة (كحب الصالحين) اى من الانبياء والاولياء (والعلماء) وكذا الشهداء (واهل المعروف) اى من الاصفياء (والمأثور عنهم السير الجميلة) اى الاحوال الجليلة (والافعال الحسنة) اى والاقوال المستحسنة وهذا تعميم بعد تخصيص ليشمل الملوك والامراء والفقراء والاغنياء (فان طبع الانسان) اى الكامل في هذا الشأن (مائل الى الشغف) بالغين المعجمة وقيل بالمهملة

وقرئ بهما قوله تعالى قد شغفها حبا يقال شغفه الحب اى بلغ شغافه وهو غلاف قلبه وهى جلدة رقيقة على
القلب كالحجاب دونه والمعنى مائل الى الحب الذى يخرق شغاف القلب وحجابه حتى يبلغ الفؤاد الذى هو سويداء القلب
ومحل المراد (بامثال هؤلاء) اى الموصوفين بمراتب الثناء (حتى يبلغ) اى الشغف (بقوم) اى من اتباع عالم او شيخ او كريم
(التعصب لقوم) اى كانوا على ضدهم هو بالنصب على انه مفعول يبلغ وكذا قوله (والتشيع) اى كمال التتبع ومنه
حديث القدرية شيعة الدجال وفى نسخة صحيحة حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع (من امة) اى طائفة
(فى اخرى) اى فى جماعة وفى نسخة فى آخرين (ما يؤدى) اى ما ذكر من التعصب والتشيع (الى الجلاء) بالفتح والمد
اى الخروج (عن الاوطان وهتك الحرم) بضم ففتح اى قطع ستارة حرمة الذرية والنسوان (واخترام النفوس)
بالخاء المعجمة اى استئصالها باقتطاع الارواح من الاشباح (او يكون حبه اياه) اى ميل الانسان الى موافقة هواه
(لموافقته له من جهة احسانه له) وفى نسخة اليه (وانعامه عليه فقد جبلت النفوس) اى خلقت مجبولة ومطبوعة
(على حب من احسن اليها) وفى نسخة من احسن اليه وفى اخرى له فقد وردجبلت القلوب على حب من احسن
اليها وبغض من اساء اليها رواه ابن عدى وابو نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصححه وورد
فى الدعاء اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى (فاذا تقرر لك هذا) اى ثبت عندك هذا الكلام (نظرت) اى رأيت
(هذه الاسباب) اى اسباب المحبة من الجمال الصورى والكمال المعنوى والاحسان الوفى (كلها) اى جميعها موجودة
ثابتة (فى حقه عليه الصلاة والسلام فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة)
اى على وجه التمام (اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منهما) اى من الشمائل الدالة
عليهما والفضائل المشيرة اليهما (قبل) اى قبل هذا الباب فيما سبق من الكتاب (ما لا يحتاج الى زيادة) اى وكثرة
اطناب (واما احسانه) اى الدنيوى الصورى (وانعامه) اى الدينى والاخروى (على امته) اى اتباع ملته
(فكذلك قد مر) ويروى مضى (منه) اى بعضه (فى اوصاف الله تعالى) اى فيما اعطاه الله تعالى (له) واثنى عليه
من الصفات الجميلة والنعوت الجليلة (من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته) اى وخوفه عليهم
(واستنقاذهم) اى استخلاصهم (به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم) اى بحسب مراتب ايمانهم ومناقب
انعامهم (ورحمة للعالمين) اى بجميع اعيانهم (ومبشرا) بالنصب على الحكاية او التقدير كان مبشرا للمؤمنين
المطيعين بالجنة (ونذيرا) اى مخوفا للعاصين بالعقوبة (وداعيا الى الله) اى الى محل قربه (باذنه) اى بتيسيره وتوفيقه
(ويتلو عليهم آياته) اى آيات القرآن المشتملة على معجزاته (ويزكيهم) اى يطهرهم بنصائح بيناته (ويعلمهم الكتاب)
اى احكامه الخفية (والحكمة) اى السنة الجلية (ويهديهم الى صراط مستقيم) اى طريق قويم ودين قديم
(فاى احسان اجل قدرا واعظم خطرا) اى امرا (من احسانه) عليه الصلاة والسلام (الى جميع المؤمنين) اى
خصوصا (واى افضال) اى اكرام واقبال (اعم منفعة واكثر فائدة) اى اتم نتيجة (من انعامه على كافة المسلمين)
اى جميع المنقادين ولو من اهل الذمة والمنافقين (اذ كان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ذريعتهم) اى وسيلة
اهل الاسلام (الى الهداية) اى هدايتهم الى سبل السلام ودلالتهم الى مقام الكرام (ومنقذهم من العماية) بفتح
العين اى ومخلصهم من الغواية ومنجيهم من الضلالة الى الهداية (وداعيهم الى الفلاح) اى الفوز والنجاح
(والكرامة) اى بحملهم على الصلاح (ووسيلتهم الى ربهم) اى الى تقربهم اليه (وشفيعهم) اى لديه (والمتكلم عنهم)
اى فى الزام الحجة بما يلقى عليه (والشاهد لهم) اى مزكيهم بالخير (والموجب) اى الطالب وفى نسخة المحب
(لهم البقاء الدائم) اى الى الابد (والنعيم السرمد) اى المستمر الذى لا نهاية له ولا غاية (فقد استبان) اى ظهر
(لك انه عليه الصلاة والسلام مستوجب) اى مستحق (للمحبة الحقيقية) اى والمودة العرفية (شرعا) اى وطبعا
(بما قدمناه) ويروى لما مر (من صحيح الآثار) اى وصريح الاخبار المنقولة عن المشايخ الاخيار والعلماء الاحبار
(وعادة) اى رسوما عادية (وجبلة) اى خلقة طبيعية (بما ذكرناه) اى من ان جميع ما يصل الينا من نعم الدارين فهو من
انعامه علينا (آنفا) اى زمانا قريبا وهو بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة (لافاضة الاحسان) اى
على جميع افراد الانسان (وعمومه الاجمال) اى المعاملة بالجميل فى جميع الاوقات والاحوال (فاذا كان الانسان)
اى بطبعه (يحب من منحه) اى اعطاه عطية من لبن او غيره من هدية (فى دنياه مرة او مرتين) اى ولو على وصف القلة
(معروفا) اى ما عرف حسنه شرعا وطبعا وفى الحديث اهل المعروف فى الدنيا اهل المعروف فى العقبى وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يأتى اصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة فيغفر لهم بمعروفهم وتبقى حسناتهم
فيعطونها لمن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخل الجنة فيجتمع لهم الاحسان فى الدنيا والآخرة (او استنقذه)

اى

اى استخلصه وفى نسخة انقذه اى انجاه واخلصه (من هلكة) بفتحتين كان الاولى ان يقال من مهلكة (او مضرة)
اى مما فيه هلاك نفس او ضرر مال او تلف حال او نقصان جاه (مدة) اى من الزمان قليلة او كثيرة (التاذى بها)
اى بالمضرة وكذا بالهلكة (قليل) اى ايامه (منقطع) اى زائل دوامه (فمن منحه) اى اعطى الانسان (ما لا يبيد)
اى ما لا ينفد ولا ينقص (من النعيم) اى المقيم بجنة طيبة وحالة حسنة ويروى من النعم (ووقاه) اى حفظه
وحماه (من عذاب الجحيم) وكذا من الماء الحميم (اولى بالحب) اى بالمحبة من غيره وفى نسخة وهى اصل الدلجى فهو اى
فهذا المانح الكامل والباعث الكافل اولى ما يحب بصيغة المجهول والظاهر انه تصحيف (واذا كان يحب بصيغة
المجهول (بالطبع) اى من غير اختيار الطبيعة بل بحكم اصل الجبلة (ملك) اى من الملوك ولو لم يره ولم يحصل له بره وهو
نائب فاعل يحب (لحسن سيرته) اى معاملته فى رعيته (او حاكم) اى امير او وزير يحب (لما يؤثر) اى يروى ويخبر (عنه
من قوام طريقته) بكسر القاف اى من اعتدال سيرته ونظام عدله فى حكومته (او قاض) بعجمة قال الدلجى
او مهملة اى متودد اى واعظ ويروى يحب مبنيا للفاعل فتنصب الثلاثة بعده (بعيد الدار) اى عن من يحبه بالطبع
(لما يشاد) بصيغة المجهول من اشاد البناء اذا رفعه اى يشاع ويذاع ويروى لما فشا اى ظهر وانتشر (من علمه)
اى المقرون بعمله (او كرم شيمته) اى حسن خلقه مع رعيته (فمن جمع هذه الخصال) اى وبل زاد من هذه الاحوال
(على غاية مراتب الكمال) جملة فى محل نصب على الحال اى مجموعة وليست فى بعض النسخ موجودة والمعنى فهو
صلى الله تعالى عليه وسلم (احق بالحب واولى بالميل) اى اليه (وقد قال على رضى الله تعالى عنه فى صفته عليه الصلاة
والسلام من رآه بديهة) اى فى اول وهلة (هابه) اى توقيرا وتعظيما (ومن خالطه معرفة) تمييز اى علما بكريم خصاله
وعميم فعاله (احبه) اى حبا عظيما بجماله وكماله صلى الله وسلم عليه وعلى آله

(فصل)

(فى وجوب مناصحته صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبول نصحه وخلوص النصح له (قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج) اى لبس على الفقراء اثم فى ترك الغزاة كمزينة وجهينة وبنى عذرة (اذا نصحوا لله ورسوله)
اى اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما سرا وعلانية فى امرهما (ما على المحسنين من سبيل) اى طريق معاقبة
ولا معاتبة لاحسانهم فى ايمانهم كما يشير اليه وضع الظاهر موضع المضمر والاظهر ان وجه العدول عن الضمير افادة
المعنى الاعم والايماء الى ان هذا الحكم لمن دام على هذا الوصف واستحكم والله تعالى اعلم (والله غفور) لهم ولغيرهم
(رحيم) بهم وبامثالهم (قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله) اى معناه (اذا كانوا مخلصين) اى فى افعالهم
واقوالهم (مسلمين فى السر والعلانية) اى منقادين فى جميع احوالهم (حدثنا القاضى) وفى نسخة صحيحة الفقيه
(ابو الوليد بقراءتى عليه ثنا) اى حدثنا (حسين بن محمد) الظاهر انه ابو على الغسانى على ما ذكره الحلبى (ثنا) اى
حدثنا (يوسف بن عبد الله) وهو حافظ الغرب ابو عمر بن عبد البر (ثنا عبد المؤمن) وفى نسخة ابن عبد المؤمن (ثنا
ابو بكر التمار) بتشديد الميم (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا احمد بن يونس) وهو ابو عبد الله اليربوعى الحافظ
الكوفى يروى عن الثورى وجماعة وعنه الشيخان وطائفة قال احمد بن حنبل لرجل اخرج الى احمد بن يونس
فانه شيخ الاسلام اخرج له اصحاب الكتب الستة قال ابو حاتم كان ثقة متقنا كذا حققه الحلبى وفى نسخة احمد
ابن يوسف والظاهر انه تصحيف (ثنا زهير) بالتصغير وهو ابن محمد التميمى المروزى اخرج له الائمة الستة (ثنا سهيل
ابن ابى صالح عن عطاء بن يزيد) اى الليثى اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن تميم الدارى) نسبة الى جده الدار
ويقال له الديرى ايضا نسبة الى دير كان يتعبد فيه قبل الاسلام اسلم سنة تسع من الهجرة وكان نصرانيا قبل ذلك
وتوفى سنة اربعين ومن مناقبه الفخام انه عليه الصلاة والسلام روى عنه حديث الجساسة على المنبر كما فى آخر صحيح
مسلم وفيها رواية الفاضل عن المفضول والتابع عن المتبوع وقبول خبر الواحد وذكر الدارقطنى انه روى عن
الشيخين وروى ايضا عن محرز كما فى الصحيح وعن امرأة لا استحضر الآن اسمها كما فى المسند (قال) اى الدارى
(قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة) اى ثلاث مرات
للمبالغة وقد ساق المصنف هذا الحديث بسند ابى داود وقد اخرجه ابو داود فى الادب ولفظه الدين النصيحة من غير
تكرار واخرجه مسلم فى الايمان بنحوه وليس فيه تكرار ان الدين النصيحة ثلاثا بل مرة واحدة ولفظه الدين النصيحة
بغير ان واخرجه النسائى فى البيعة ولفظه فى الطريق الاولى ان الدين النصيحة مرة وفى نسخة انما الدين النصيحة مرة
(قالوا) اى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (لمن) اى النصيحة لمن (يا رسول الله قال لله ولكتابه) كما فى الاصول
(ولرسوله ولائمة المسلمين) ويروى ولائمة المسلمين (وعامتهم) اى جميع افراد جماعتهم (قال ائمتنا) اى من المالكية

ذكره الدلجى والظاهر اى علمائنا ومشايخنا اذ لا خلاف فى هذه المسألة وهى قوله (النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم واجبة) اى فرض عين على كل احد وفى شرح مسلم للنووى عن بعضهم انها فرض كفاية يسقط بقيام بعض عن الباقين انتهى ولعله محمول على تفاصيل ما يتعلق بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله بان يقوموا بجميع الامور الشرعية والاحكام الفرعية ومن جملتها علم التفسير والحديث والفقه والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيله وهذا لا ينافى قول الجمهور حيث ارادوا وجوب النصيحة الاجمالية الموجبة للطاعة التفصيلية هذا وليس قوله ولكتابه من عبارة المصنف ولعله سبق قلم (قال الامام ابو سليمان البستى) بضم موحدة وسكون سين ففوقية بلد بسجستان والمراد به الخطابى (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة) بالتنوين بدون اضافة ذكره الدلجى ويجوز الاضافة كما فى كثير من النسخ وعلى الاول تقديره هى (ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها) اى عن تلك الجملة (بكلمة واحدة) اى غيرها بصيغة (تحصرها) اى تجمع معناها وتحصرها (ومعناها) اى النصيحة (فى اللغة) اى لسان العرب (الاخلاص) فمعنى النصيحة الحالة الخالصة مأخوذة (من قولهم) اى استعمال العرب فى محاوراتهم (نصحت العسل اذا خلصته) بالخطاب وهو بتشديد اللام اى ميزته بنار لطيفة (من شمعه) بفتح الميم ويسكن اى مومه ففى القاموس الشمع محركة وتسكين الميم مولد وهو الذى يستصبح به او موم العسل الواحدة بهاء (وقال ابو بكر بن اسحق الخفاف) بتشديد الفاء الاولى (النصح) بضم النون (فعل الشئ الذى به الصلاح والملائمة) اى المناسبة والمرابطة وقد تخفف الهمزة ياء فيقال الملايمة وهى الموافقة بين الاشياء (مأخوذ من النصاح) بكسر النون (وهو الخيط الذى يخاط به الثوب) اى يلائم بين اجزائه ويصلح للمرء ان يلبسه على اعضائه (وقال ابو اسحق الزجاج نحوه) اى قريبا من معناه وفى الجملة من هذه المادة قوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا اى خالصة صالحة بان تكون كاملة شاملة (فنصيحة الله تعالى) اى نصيحة العبد له سبحانه وتعالى (الاعتقاد له بالواحدانية) اى فى الالوهية والربوبية (ووصفه بما هو اهله) اى من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام ونحوها (وتنزيهه) اى تبعيده (عما لا يجوز) اى اطلاقه (عليه) من النعوت السلبية فانه ليس بجوهر ولا عرض ولا فى مكان وغيرها (والرغبة فى محابه) بتشديد الموحدة اى الميل فى كل ما يحبه الله ويرضاه (والبعد من) وفى نسخة عن (مساخطه) اى والتبعد عن جميع ما يكرهه وينهاه (والاخلاص فى عبادته) اى فيما يأمره الله من امور دنياه وعقباه وما ذكر فهو فى الحقيقة راجع الى العبد فى نصحه لنفسه لانه تعالى غنى عنه وعن عمله (والنصيحة لكتابه الايمان به) اى اولا (والعمل بما فيه) ثانيا سواء كان عالما به او جاهلا (وتحسين تلاوته) اى وتزيين قراءته (والتخشع عنده) اى اظهار الخشوع واكثار الخضوع فى حضرته (والتعظيم له) اى لكتابه بادب يقتضى اجلاله وبوصف يوجب اكماله (والتفقه فيه) اى طلب الفهم لمبانيه والعلم بمعانيه (والذب عنه) اى الدفع عما لا يليق به وينافيه (من تأويل الغالين) بالغين المعجمة من الغلو اى المجاوزين عن الحد كالمعتزلة واضرابهم (وطعن الملحدين) اى من الزنادقة واصحابهم (والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته) اى اولا (وبذل الطاعة له) اى الانقياد لحكمه (فيما امر به ونهى عنه قاله) اى جميع ما يتعلق بالنصيحة او ما خص بها لرسوله وهو اقرب والى ما بعده انسب (ابو سليمان) وهو الخطابى (وقال ابو بكر) اى الخفاف وقيل المراد به ابو بكر الآجرى (موازرته) اى النصيحة لرسوله هى معاونته ومعاضدته فى دينه وملته (ونصرته) اى اعانته على اعدائه واهل محاربته (وحمايته) اى المدافعة عنه وممانعة من اراد نوعا من اسائته (حيا وميتا) اى فى حال حياته ومماته (واحياء سنته بالطلب) اى بالعمل بها (والذب عنها) اى وبالدفع لمن يلحد فيها او يزيغ عنها (ونشرها) اى اظهارها التمسك بها (والتخلق باخلاقه الكريمة) اى الاتصاف بمحاسن شمائله وبما من فضائله الجزيلة (وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحق التجيبى) بضم الفوقية وتفتح وكسر الجيم فتحتية فموحدة فياء نسبة كما مر (نصيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التصديق بما جاء به) اى مجملا او مفصلا (والاعتصام بسنته) اى باحاديثه علما وعملا (ونشرها) اى للخلق كملا (والحض) اى الحث والتحريض (عليها) اى لمن يعمل بها جملا (والدعوة) اى دعوة الخلق (الى الله) اى دينه مجملا (والى كتابه) اولا (والى رسوله) ثانيا (واليها) اى والى السنة (والى العمل بها) آخرا (وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب) اى من الواجبات المؤكدة عليها (اعتقاد النصيحة) وهى ارادة الخير (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لطريقته واهل ملته (وقال ابو بكر الآجرى) بمد همزة وضم جيم وتشديد راء وهو صاحب كتاب الشريعة (وغيره) اى من علماء الامة (النصح له يقتضى نصحين) اى باختلاف حالاته (نصحا فى حياته ونصحا بعد مماته ففى حياته نصح اصحابه له بالنصر) اى بالمعاونة (والمحاماة) اى بالمدافعة (عنه) اى عن ذاته

(ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له) اى وبالقبول والانقياد لامره ونهيه (وبذل النفوس والاموال دونه) اى عنده حماية لجماله ورعاية لاحواله (كما قال تعالى) فى حقهم (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) اى من الثبات معه حال بلائه ورخائه ووقت قتاله مع اعدائه (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره وعهده ومنهم من ينتظر اى وعده وما بدلوا تبديلا اى ما غيروا وتحويلا وهم الانصار (وقال) اى فى حقهم ايضا (وينصرون الله) اى دينه (ورسوله الآية) اى اولئك هم الصادقون وهم المهاجرون (واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال) اى ملازمة التعظيم والتكريم (وشدة المحبة له) اى بكثرة الرغبة اليه والانقياد الطاعة لديه (والمثابرة) اى المواظبة والمداومة (على تعلم سنته) وفى نسخة على تعليم سنته (والتفقه) بالرفع او الجر اى التفهم (فى شريعته ومحبة آل بيته) اى اقاربه وعترته (واصحابه) اى وجميع صحابته واهل عشرته (ومجانبة من رغب عن سنته) اى مباعدة من مال عن طريقته واعرض عن متابعة شريعته وحقيقته (والمنحرف عنها) اى انصرف عن ملته بكليته وجملته (وبغضه) بالرفع اى عداوته (والتحذير منه) اى من صحبته (والشفقة) اى المرحمة (على امته والبحث عن تعرف اخلاقه) اى تعلم شمائله وتفهم فضائله (وسيره وادابه والصبر على ذلك) اى ما ذكر من اقواله وافعاله واحواله (فعلى ما ذكره) اى الآجرى (تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه) اى فى تحقيق المحبة بانها نتيجة الطاعة والمتابعة (وحكى الامام ابو القاسم القشيرى) وهو الاستاذ صاحب الرسالة الصوفية (ان عمرو) بفتح اوله (ابن الليث احد ملوك خراسان ومشاهير الثوار) هو بالثاء المثلثة المضمومة وتشديد الواو فى آخره راء وهم الابطال الشجعان (المعروف بالصفار) بتشديد الفاء (رؤى) بضم الراء وكسر الهمزة على انه مجهول رأى ويروى بكسر الراء فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة على انه مجهول راء لغة فى رأى على ما فى القاموس (فى النوم) اى بعد موته (فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى) اى ذنوبى (فقيل له بماذا) اى باى سبب غفر لك (فقال صعدت) بكسر عينه اى طلعت (ذروة الجبل) بكسر المعجمة وضمها ويحكى فتحها اى اعلاه (يوما) اى من الايام (فاشرفت على جنودى) اى اطلعت عليهم (فاعجبنى كثرتهم فتمنيت انى حضرت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى بعض غزواته (فاعنته ونصرته) اى على عداه (فشكر الله لى ذلك) اى جازانى بثوبته وانى على تذكرى عنده لا اكتمه او سراياه (وغفر لى) اى وسامحنى فيما وقع منى وصدر عنى لخلوص نيتى وصدق طويتى انتهى كلام القشيرى (واما النصح لائمة المسلمين) اى من العلماء العاملين والامراء الكاملين (فطاعتهم فى الحق) اى ثابتة على الخلق وواجبة الا انه عليه الصلاة والسلام قال لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق رواه احمد والحاكم عن عمران رضى الله عنه وروى الشيخان وغيرهما عن على كرم الله وجهه ولفظه لا طاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذ ولى الخلافة فقال اطيعونى ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لى عليكم وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ومعونتهم) اى ومعاونتهم قولا وفعلا فى مؤونتهم (فيه) اى فى امر الحق وفعل العدل (وامرهم) اى اياهم (به) اى بالحق اذا عدلوا عن العدل لكن بطريق اللطف والرفق كما هو شأن اهل الفضل وقد قال تعالى فقولا له قولا لينا وقال عز وجل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة (وتذكيرهم اياه) اى اذا نسوه (على احسن وجه) اى الطف طريق (وتنبيههم على ما غفلوا عنه) بان خفى عليهم شئ من الاحكام (وكتم عنهم) بصيغة المفعول اى ستر عنهم امر (من امور المسلمين وترك الخروج عليهم) اى بالبغى ولو جاروا (وتضريب الناس) بالضاد المعجمة اى وترك اغراء العامة وتحريشهم (وافساد قلوبهم عليهم) اى على الائمة (والنصح) كان الاولى ان يقال واما النصح (لعامة المسلمين) اى لعوامهم فهو (ارشادهم) اى دلالتهم وهدايتهم (الى مصالحهم) اى الاخروية (ومعونتهم) اى مساعدتهم ومعاضدتهم (فى امر دينهم ودنياهم) بالقول والفعل) اى بما ينفعهم معاشا ومعادا (وتنبيه غافلهم) اى بتذكير ما غفل عنه (وتبصير جاهلهم) اى بتعريف ما جهله (ورفد محتاجهم) اى معاونة فقرائهم فى حال بلائهم وعنائهم (وستر عوراتهم) اى بالالباس او بستر عيوبهم عن الناس (ودفع المضار عنهم وجلب المنافع) اى ايصالها (اليهم) وهو بفتح الجيم وسكون اللام مصدر واما الجلب محركة فاجاب من خيل وغيرها على ما فى القاموس فقول الحلبى هنا هو بسكون اللام وفتحها ليس فى محله ثم هذا كله مستفاد من قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى ومن حديثه عليه الصلاة والسلام ان الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون اخيه المسلم وان الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله

(الباب الثالث)

(فى تعظيم امره ووجوب توقيره وبره) اى فى تعظيم امره بقبوله وامتثاله والتوقير التعظيم ومحله فى ظاهره وباطنه

وجميع احواله والبر هو الاحسان اى وجوب الاحسان الى ما يتعلق به عليه الصلاة والسلام من اهل بيته وعلماء
امته (قال الله تعالى) اى تعظم شانه وظهر سلطانه وبرهانه (يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) احوال
مقدرة واوصاف مقررة اى شاهدا على من ارسلناك اليهم فانت مقبول عندنا لهم وعليهم ومبشرا لمن آمن منهم
بالجنة والقربة ومخوفا لمن كفر بالحرقة والفرقة (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية) اى بكمالها بالخطاب
على الالتفات وفى قراءة بالغيبة اى تصدقوا وتقووا دينه وتعظموا امره والظاهر ان الضمائر لله لقوله سبحانه
وتعالى وتسبحوه ومن فرق فقد ابعد ثم اعلم ان قوله قال الله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك الى قوله تعالى وتوقروه
هكذا وقع فى اكثر الاصول وهذه الآية فى سورة الفتح وليس فيها يا ايها النبى وانما هو انا ارسلناك كما هو فى بعض
النسخ نعم فى سورة الاحزاب وقعت الآية مصدرة بقوله سبحانه وتعالى يا ايها النبى انا ارسلناك الا انه ليس فيها
لتؤمنوا بالله والحاصل انه وقع تركيب بينهما بالانتقال فى تصورهما (وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا) اى
امرا ومعناه لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا بحذف احدى تائيه وفتح الاخرى (بين يدى الله ورسوله) اى
قدامهما بمعنى قبل اذنهما وآخر الآية واتقوا الله ان الله سميع عليم (ويا ايها) اى وبعدها يا ايها (الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى) اى لا تجاوزوا باصواتكم حدا يبلغ صوته فضلا عن ان يعلوه بل عليكم ان تغضوها حتى
يكون صوته فوق اصواتكم لتكون حرمته عليكم لائحة ومنزلته عندكم واضحة بان يخفض الصوت بين يديه ويخافت
المتكلم اليه تعظيما وتكريما لديه (الثلاث الآيات) اى اقرأ الآيات الثلاث واكملها الان البقية لها مدخل فى تحقيق
القضية وهى قوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول اى اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم اى
مخافة حبوطها وانتم لا تشعرون اى بحبوطها وبطلانها ان الذين يغضون اصواتهم اى يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب والاجلال او مخافة مخالفة النهى فى الاقوال اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اى جربها للتقوى
ودربها لتقواها ومرنها لتكلفها والمعنى علم سرها وعلانيتها لهم مغفرة اى كثيرة لسيئاتهم واجر عظيم على
طاعاتهم واعلم انه تنبغى هذه المراعاة ايضا بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فى مسجده لا سيما عند مشهده وكذا عند
قراءة حديثه ومسنده وكذا عند سماع القرآن وتفسير الفرقان كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا)
اى برفع الصوت فوق صوته او بندائه باسمائه فلا تقولوا يا محمد يا احمد بل قولوا يا نبى الله ويا رسول الله كما خاطبه به
سبحانه وعظم شانه ذكره مجاهد وقتادة ولا منع من الجمع بين المعنيين فى الآية فالمعنى نادوه باوصافه الحميدة
المذكورة فى كلام الرب مع خفض صوت مراعاة للادب (فاوجب الله) اى تعالى على خلقه (تعزيره وتوقيره) اى
تكريمه وتبجيله (والزم) اى اتباعه (اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تعزروه تجلوه) من الاجلال
(وقال المبرد) بتشديد الراء المفتوحة وقد سبق ذكره (تعزروه تبالغوا فى تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه) الظاهر
تنصروه اى دينه او رسوله وهذه المبانى متقاربة المعانى واعلم ان من يقال له الاخفش ثلاثة اصغر وهو ابو الحسن على
ابن سليمان بن الفضل المعروف بالاخفش الصغير النحوى كان عالما روى عن المبرد وثعلب وغيرهما وروى عنه الحريرى
وغيره وهو ثقة توفى فى شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة فجأة ببغداد واما الاوسط فهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة
المجاشعى بالولاء النحوى البلخى المعروف بالاخفش النحوى احد نحاة البصرة من ائمة العربية واخذ النحو عن
سيبويه وكان اكبر منه وكان يقول ما وضع سيبويه فى كتابه شيأ الا وعرضه على رحمه الله تعالى وكان يرى انه
اعلم به منى وانا اليوم اعلم به منه وهذا هو الذى زاد فى العروض بحر الخبب وله تصانيف كثيرة منها الاوسط فى النحو
وتفسير معانى القرآن وغير ذلك توفى سنة خمس عشرة ومائتين وكان يقال له الاخفش الصغير فلما ظهر على بن سليمان
المعروف بالاخفش المتقدم صار هذا اوسطا واما الاكبر فهو ابو الخطاب عبد الحميد بن حميد من اهل هجر من مواليهم
وكان نحويا لغويا وله الفاظ لغوية انفرد بنقلها واخذ عن سيبويه وابى عبيدة ومن فى طبقتهما وهذا ملخص كلام
ابن خلكان والاخفش هو الصغير العين مع سوء بصره وقد يكون الخفش علة وهو الذى يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار
ويبصر فى الشئ فى يوم غيم ولا يبصر فى يوم صاح قاله الجوهرى قال الحلبى والظاهر ان مراد القاضى هو الاوسط
والله اعلم (وقال الطبرى) بفتحتين وهو محمد بن جرير (تعينونه وقرئ) اى شاذا (تعززوه بزايين) بيائين لا بهمز وياء
كما يتوهم (من العز) اى مجرد العز بمعنى الشدة والقوة كما قال تعالى فعززنا بثالث بالتخفيف والتشديد ونقل هنا الى
التعزيز من باب التفعيل للمبالغة والتكثير (ونهى) اى الله سبحانه وتعالى وفى نسخة بصيغة المجهول (عن التقدم
بين يديه بالقول وسوء الادب) اى بالفعل (بسبقه بالكلام) وروى فى الكلام (على قول ابن عباس وغيره رضى الله

تعالى عنهم وهو اختيار ثعلب) وهو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية ابو العباس احمد بن يزيد الشيبانى مولاهم
البغدادى المقدم فى نحو الكوفيين مولده سنة مائتين (قال سهل بن عبد الله) اى التسترى (لا تقولوا قبل ان يقول)
اى لا تبدؤا بالكلام عنده (واذا قال فاستمعوا له وانصتوا) اى اسكتوا قال الحجازى يروى بعكسه قلت فيصير عكس
الآية والمعنى انه يجب السماع عند كلامه الذى هو الوحى الخفى كما يجب سماع القرآن الذى هو الوحى الجلى وفيه
ايماء الى رعاية هذا الادب عند سماع الحديث المروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المصنف (ونهوا) اى اصحابه
واحزابه (عن التقدم) اى المبادرة (والتعجل) وفى نسخة والتعجيل (بقضاء امر) اى بحكم شئ (قبل قضائه فيه وان
يفتاتوا) افتعال من الفوت اى يسبقوه (بشئ) اى منفردين برأيهم دونه فى تصرفهم (فى ذلك من قتال او غيره من امر
دينهم الا بامره ولا يسبقوه به) اى ولو فى امر دنياهم والمعنى ان يكونوا تابعين له فى جميع قضاياهم من امور دنياهم
واخراهم (والى هذا) اى المعنى المذكور (يرجع قول الحسن) اى البصرى (ومجاهد والضحاك والسدى
والثورى) اى يوافق قول هؤلاء ذلك المقال فى المآل (ثم وعظهم) اى نصحهم الله (وحذرهم) بالتشديد اى وخوفهم
(مخالفة ذلك) المنهى هنالك (فقال واتقوا الله) اى احذروا مخالفته واحترسوا من معاقبته (ان الله سميع) باقوالكم
(عليم) باحوالكم (قال الماوردى اتقوه يعنى فى التقدم) اى بشئ من القول والفعل بين يديه قبل ان يعرف منه
ميل اليه (وقال السلمى) وهو ابو عبد الرحمن (اتقوا الله فى اهمال حقه) اى فى الاوامر (وتضييع حرمته) اى فى
الزواجر (انه) وفى نسخة صحيحة ان الله (سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته) تعظيما لمقامه
وتكريما لمرامه (والجهر) اى ونهاهم عن الجهر (له بالقول) اى فى محاوراتهم (كما يجهر بعضهم لبعض) فى مخاطباتهم
(ورفع) اى بعضهم (صوته) اى لبعض فى مجلسه (وقيل) اى روى (كما ينادى بعضهم بعضا باسمه) كما هو احد القولين
فى قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما تقدم والله اعلم (وقال ابو محمد مكى اى لا تسابقوه
بالكلام وتغلظوا) بضم التاء وكسر اللام اى ولا تغلظوا (له بالخطاب) اى بالقول (ولا تنادوه باسمه) اى العلم (نداء
كنداء (بعضكم بعضا) اى باسمه الذى سماه به ابواه (ولكن عظموه) اى باطنا (ووقروه) اى ظاهرا (ونادوه باشرف
ما يحب) اى ما يحبه (ان ينادى به) اى من وصف رسالة او نعت نبوة بان تقولوا (يا رسول الله يا نبى الله) اى وامثالهما
من نحو يا حبيب الله يا خليل الله وهذا فى حياته وكذا بعد وفاته فى جميع مخاطباته (وهذا) اى مقول مكى (كقوله) اى
كقول الله سبحانه وتعالى (فى الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التأويلين) اى
التفسيرين المشهورين فى الآية وقد قدمنا هذا التأويل عن مجاهد وقتادة فى اول الباب والتأويل الاخر هو ما روى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما احذروا دعاء الرسول عليكم اذا اسخطتموه فان دعاءه موجب ليس كدعاء غيره
(وقال غيره) اى غير مكى (لا تخاطبوه الا مستفهمين) اى عن قول او فعل تريدون صدوره منكم ايجوز هذا ام لا وفى
رواية الا مستفتين اى وجلين خائفين (ثم خوفهم الله بحبط اعمالهم) بفتح الحاء وسكون الباء اى بحبوطها وابطالها
(ان هم فعلوا ذلك) اى المنهى هنالك (وحذرهم منه) اى مما يتعلق به من المهالك (قيل نزلت الآية) اى الآية التى بعد
هذه الايات وهى قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات (فى وفد بنى تميم وقيل فى غيرهم اتوا النبى صلى الله
عليه وسلم فنادوه) اى على عادة الاعراب فيما بينهم عند الوقوف على الابواب (يا محمد يا محمد) مرتين (اخرج الينا فذمهم
الله تعالى بالجهل) اى الغالب عليهم (ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون) اى آداب اولى الالباب وابعد الدلجى
حيث قال المراد بالآية قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول فانه يابى عنه قوله فذمهم الله الى آخره ومما يدل على ما اخترناه
قوله (وقيل نزلت الآية الاولى) اى ما قبل هذه الآية وهى قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم (فى محاورة) بحاء مهملة
اى مكالمة ومجاوبة (كانت) اى وقعت (بين ابى بكر وعمر بين يدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قدامه
(واختلاف) وروى لاختلاف (جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما) اى امامه فنهيا عن ذلك وغيرهما كذلك لان
العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب روى انه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر
رضى الله تعالى عنه امر القعقاع بن سعيد بن زرارة وقال عمر رضى الله تعالى عنه امر الاقرع بن حابس قال ابو بكر
ما اردت الا خلافى قال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت (وقيل نزلت) كما روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما (فى ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم وتخفيف (خطيب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى مفاخرة
بنى تميم) فعن جابر قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب اخرج الينا يا محمد نحن ناس من بنى تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
لنشاعرك ونفاخرك فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ما بالشعر بعثت ولا بالفخر امرت ولكن هاتوا
فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس قم فاجبه فقام فاجابه وكان احسن

قولا (وكان فى اذنيه صمم) اى ثقل (فكان يرفع صوته) اى عند تكلمه وربما تأذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به (فلما نزلت هذه الآية) اى آية لا ترفعوا (اقام فى منزله) اى بيت نفسه وحرم من مجالس انسه عليه الصلاة والسلام (وخشى ان يكون حبط عمله ثم) اى بعد تفقده عليه الصلاة والسلام له واطلاعه على خبره وطلبه الى محضره (اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى معتذرا (فقال يا نبى الله لقد خشيت) اى بعد نزول هذه الآية (ان اكون هلكت) اى بحبوط عملى وقنوط املى (نهانا الله ان نجهر بالقول) اى مطلقا فى الشرع (وانا امرؤ جهير الصوت) بحسب الطبع (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تسلية له عما تقدم (يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة) اى سعيدا (فقتل يوم اليمامة) فى خلافة الصديق تحقيقا للكرامة (وروى) كما اخرجه البزار من طريق طارق بن شهاب (ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه لما نزلت هذه الآية) اى لا ترفعوا اصواتكم (قال والله لا اكلمك بعدها) وفى نسخة صحيحة بعد هذا (الا كأخى السرار) بكسر السين المهملة اى الامثلها لصاحب النجوى والمسارة والمعنى لا اكلمك الا سرا (وان عمر رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (كان اذا حدثه) اى كلمه عليه الصلاة والسلام (حدثه كأخى السرار) اى فى خفض صوته كما بينه بقوله (ما كان يسمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الياء وكسر الميم (بعد الآية) وفى نسخة بعد هذه الآية اى بعد نزولها (حتى يستفهمه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عمر عما ساره به لكمال اخفائه (فانزل الله فيهم) اى فى ابى بكر وعمر وامثالهما رضى الله تعالى عنهم (ان الذين يغضون اصواتهم) اى يخفضونها (عند رسول الله) مراعاة للادب او محاذرة من مخالفة الرب (اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اى جربها لها ومرنها عليها حتى صاروا اقوياء على احتمال مشاقها من انواع الابتلاء وقيل اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه (وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات فى غير وفد بنى تميم) اى كما مر وهو صريح فيما قدمناه (نادوه باسمه وروى عن صفوان بن عسال) بمهملتين وتشديد الثانية صحابى مشهور وقد اخرج عنه الترمذى والنسائى (انه قال بينا) بالف معوضة عن المضاف اليه اى بين اوقات كان ويروى بينما (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سفر اذ ناداه اعرابى) نسبة الى اعراب البادية ممن آثار الجهل عليهم بادية (بصوت له جهورى) بفتح الجيم والواو اى شديد عال والواو زائدة قال الجوهرى جهر بالقول رفع صوته وجهور وهو رجل جهورى الصوت وجهير الصوت (يا محمد يا محمد) وفى نسخة صحيحة يا محمد ثلاث مرات (فقلنا له اغضض) بضم عينه اى اخفض (من صوتك فانك) اى فى ضمن غيرك (قد نهيت عن رفع الصوت) اى عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال الله تعالى) اى تعظيما له وتعليما لنا (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) اى لا تخاطبوه به واختلف فى سببه (قال بعض المفسرين هى لغة كانت فى الانصار) بمعنى راقبنا وتأن علينا حتى نفهم كلامك الوارد الينا (نهوا عن قولها) اى عن هذه الكلمة تعظيما (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) و (تبجيلا له) اى تفخيما (لان معناها) اى مفهوم كلمة راعنا وهو الامر بالمراعاة من باب المفاعلة (ارعنا) بفتح العين امر من الرعاية (نرعك) مجزوم على جواب الامر (فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى) بصيغة المجهول اى يلاحظ ويحافظ (على كل حال) اى سواء رعاهم ام لا (وقيل بل كانت اليهود) اى حين سمعوا هذه الكلمة من الآية انتهزوا الفرصة بما عندهم من الغفلة (تعرض بها) من التعريض بمعنى الكناية (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالرعونة) وهى الحماقة والمعنى تلوح بهذه الكلمة المستعملة فى مبناها مرادا بها غير مقتضاها من مبناها (فنهى المسلمون عن قولها) اى وامروا ان يقولوا وانظرنا بدلها (قطعا للذريعة) اى الوسيلة الى مقاصدهم الشنيعة (ومنعا للتشبه) اى تشبه المؤمنين (بهم فى قولها) اى فى التفوه بها (لمشاركة اللفظة) اى اللفظة فى المبنى ومخالفتها فى المعنى (وقيل غير هذا) اى غير ما ذكر من التفسير فى معنى الآية محله الكتب المطولة

(فصل)

(فى عادة الصحابة فى تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله) الاولى تأخيره عليه الصلاة والسلام الى هذا المقام (حدثنا القاضى ابو على الصدفى) بفتحتين وهو ابن سكرة (وابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (الاسدى) بفتحتين نسبة الى قبيلة (بسماعى عليهما فى آخرين) اى مع جماعة اخر من المشايخ او من التلامذة ويؤيد الاول قوله (قالوا) بصيغة الجمع ويؤيد الثانى ما فى نسخة قالا بصيغة التثنية (ثنا) اى حدثنا (احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن) وفى بعض النسخ بصيغة التصغير والصواب هو الاول (ثنا محمد بن عيسى) اى الجلودى (ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم) صاحب الصحيح (ثنا محمد بن المثنى) اسم مفعول من التثنية (وابو معن) بفتح فسكون (الرقاشى) بفتح الراء وتخفيف القاف ثم شين معجمة بصرى ثقة (واسحق بن منصور) هذا هو الكوسج الحافظ (قالوا) اى ثلاثتهم

(ثنا الضحاك بن مخلد) بسكون خاء معجمة بين فتحتين ابو عاصم الشيبانى النبيل البصرى روى عنه انه قال ما داست قط ولا اغتبت احدا منذ عقلت تحريم الغيبة روى عنه البخارى وغيره اخرج له الائمة الستة (انا) اى انبأنا وفى نسخة اخبرنا (حيوة) بفتح فسكون (ابن شريح) بالتصغير (قال حدثنى يزيد بن ابى حبيب) عالم اهل مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء (عن ابن شماسة) بضم الشين المعجمة وفتحها فميم مخففة وبعد الالف سين مهملة واسمه عبد الرحمن (المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء توفى اول خلافة يزيد بن عبد الملك (قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر) وفى نسخة فذكر لنا اى ابن شماسة (حديثا طويلا فيه عن عمرو قال) وتتمة ايضا فحول وجهه الى الجدار فجعل يقول (وما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا اجل) اى اعظم (فى عينى منه) وفى نسخة بصيغة التثنية (وما كنت اطيق) بضم الهمزة اى اقدر (ان املأ عينى منه اجلالا له) اى وكمالا له (ولو سئلت) وفى نسخة ولو شئت (ان اصفه) اى اذكر نعت ظاهر خلقه (ما اطقت) اى ما قدرت لعدم احاطتى باوصافه خبرا (لانى لم اكن املأ عينى منه) اى نظرا (وروى الترمذى) اى صاحب السنن لا الحكيم الترمذى وكذا الحاكم (عن انس رضى الله تعالى عنه كان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس) حال (فيهم ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى من جملتهم او فيما بينهم ابو بكر والجملة حال ايضا (فلا يرفع احد منهم اليه بصره) اى نظره اجلالا لمحضره (الا ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فانهما كانا ينظران) اى يطالعان (اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما) اى لكمال فضلهما على غيرهما قال الحلبى اخرجه الترمذى فى مناقب ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقال غريب لا نعرفه الا من حديث الحاكم وقد تكلم بعضهم فيه انتهى (وروى اسامة بن شريك) بفتح فكسر ثعلبى كوفى صحابى وقد روى عنه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى (قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه حوله) الجملة حال وفى نسخة حوله جلوس اى جالسون والمعنى انهم محيطون به متحلقون لديه متأدبون بين يديه (كانما على رؤسهم الطير) بالرفع اى بحيث لو فرض ان يكون طير على رؤسهم لا يتحرك لسكونهم حال جلوسهم (وفى حديث صفته) بكسر ففتح اى نعته ووصفه عليه الصلاة والسلام وتصحف على بعضهم بصفية ام المؤمنين وليس لها هذا الحديث (اذا تكلم اطرق جلساؤه) اى ارخوا رؤسهم (كانما على رؤسهم الطير) اخرجه الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة رواه عنه الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه (وقال عروة بن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى الثقفى على ما رواه البخارى عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بن ابى العاص انه (حين وجهته قريش) اى ارسلته (عام القضية) اى قضية صلح الحديبية (الى النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى طلب الصلح سنة سبع من الهجرة النبوية سمى بها لانه كتب فيها هذا ما قاضى عليه الصلاة والسلام اى صالح واما ما ذكره الانطاكى من ان القضية كانت فى السنة السابعة بعد الحديبية فهو وهم لانها تسمى عام القضاء وقد تسمى عام القضية الا انها ليست هذه القضية (ورأى) اى عروة (من تعظيم اصحابه له ما رأى) اى مما لا يكاد يستقصى (وانه) بالفتح عطفا على ما رأى وبالكسر على الجملة الحالية (لا يتوضأ) اى لا يستعمل الوضوء (الا ابتدروا وضوءه) بفتح الواو وقد يضم اى سارعوا الى بقية ما توضأ به من الماء او الى ما تقاطر منه من الاعضاء (وكادوا يقتتلون عليه) اى لفرط حرصهم عن التبرك بما لديه او بما اصابه من يديه ومن لم يصب منه شيأ يكون من نصيبه اخذ من بلل يد صاحبه (ولا يبصق) بضم الصاد (بصاقا) اى ولا يبزق بزاقا من الفم (ولا يتنخم نخامة) بضم النون ما يخرج من اقصى الحلق ومن مخرج الخاء المعجمة (الا تلقوها) اى اخذوها من الهواء (باكفهم) اى من غاية الهوى ونهاية الهدى (فدلكوا بها وجوههم واجسادهم) اى فبالغوا فى مسح اعضائهم بها (ولا تسقط منه شعرة) بسكون العين وتفتح (الا ابتدروها) اى بادروا الى اخذها وحفظها سواء كانت من رأسه او بقية مسامه (واذا امرهم بامر) اى من امر ونهى (ابتدروا امره) اى امتثاله (واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده) اى ان طلب جوابا منهم والا سكتوا وسمعوا كلامه وفهموا مرامه (وما يحدون) بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اى ما يشخصون (اليه نظرا تعظيما له) اى وهيبة وتكريما له (فلما رجع) اى عروة (الى قريش قال يا معشر قريش انى جئت كسرى) بكسر الكاف ويفتح وفتح الراء وقد يقال هو لقب ملك فارس اى حضرته (فى ملكه) اى تحت سلطنته وتحت هيبته وعظمته (وقيصر) اى وجئت قيصر وهو لقب ملك الروم (فى ملكه) اى فى معظم ملكه (والنجاشى) بفتح النون ويكسر وبتشديد الياء ويخفف وهو لقب ملك الحبشة (فى ملكه) اى فى دياره وداره (وانى والله ما رأيت ملكا) اى من الملوك المذكورة معظما ومكرما (فى قوم) اى فيما بين جنده (قط) اى ابدا (مثل محمد فى اصحابه وفى رواية) اى اخرى كما فى نسخة (ان) بكسر همز وسكون نون اى ما (رأيت) اى ما ابصرت او ما علمت (ملكا) اى من الملوك (قط تعظمه اصحابه ما يعظم)

اى مثل مايعظم (محمداً اصحابه وقد رايت) اى ابصرت اصحابه وعلمت احبابه واحزابه (قوما لا يسلمونه) بضم الياء
وسكون السين وكسر اللام اى لا يخذلونه (ابدا) من اسلمته الى شئ ثم خص بالالقاء فى المهلكة بدليل حديث
انى وهبت لخالتى غلاما وقلت لها لا تسلميه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اى لا تعطيه لمن يعلمه احدى هذه الصنائع
فكراهة القصاب والحجام لما يباشرانه من النجاسة مع تعذر الاحتراز ولما فيه من لوازم القساوة وقلة المرحمة واما الصائغ
فلما يدخل صنعته من الغش والربا وخلف الوعد والايمان الكاذبة (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم
(لقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحلاق يحلقه) اى يحلق شعر رأسه امابعد عمرة اوبعد الحج
اذلم يحلق فى غيرهما (واطاف به اصحابه) اى داروا حوله ليأخذوا من شعره ويتبركوا باثره (فما يريدون) اى من كمال
اتفاقهم (ان تقع شعرة) اى من شعراته (الا فى يد رجل) اى من طلاب بركاته واختلف فى اسم من حلق رأس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والصحيح المشهور انه معمر بن عبد العزيز العدوى كما ذكره النووى فى شرح مسلم
وفى صحيح البخارى زعموا انه معمر وعن ابن عبد البر ان خراشا حلقه يوم الحديبية انتهى واما فى عمرة الجعرانة فقيل
حلقه ابو هند والله اعلم (ومن هذا) اى ومن جملة تعظيم اصحابه وتكريم احبابه (لما اذنت قريش) اى مراعاة (لعثمان
رضى الله عنه) اى حين قدومه مكة (فى الطواف بالبيت) اى بعد منعهم منه (حين وجهه النبى صلى الله عليه وسلم
اليهم فى القضية) اى فى قضية صلح الحديبية (ابى) اى امتنع عثمان ان يطوف به (وقال ما كنت لافعل) اى الطواف
وحدى (حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم) لكمال ادبه وجمال طلبه وكان ذلك حين انتهى اليها النبى صلى الله
عليه وسلم قاصدا مكة ليعتمر فصده المشركون فدخل عثمان الى مكة للصلح وتقدم بقية القضية فى الفصل التاسع من اول
الكتاب (وفى حديث طلحة رضى الله عنه) اى ابن عبيد الله احد العشرة المبشرة وسيأتى بعض منقبته قريبا وقد روى
عنه الترمذى وحسنه (ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لاعرابى جاهل سله) يعنون النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم (عمن قضى نحبه) اى فى قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
اى وفى بنذره ومنهم من ينتظر امر قضائه وقدره فى تحقيق امره وروى ان رجالا من الصحابة منهم عثمان بن عفان
وسعيد بن زيد وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم رضى الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وقد ثبت طلحة يوم احد وبذل جهده فى القتال حتى شلت يده اذ وقى بها
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر انه اصيب فى جسده بضعا وثمانين من بين طعن وضرب (وكانوا يهابونه
ويوقرونه) اى يعظمونه ولهذا ما كانوا بانفسهم يسألونه وكان عليه الصلاة والسلام يتحمل من الاعراب ما لا يتحمل
من الاصحاب (فسأله) اى الاعرابى (فاعرض عنه) اى عن جوابه ولم يلتفت الى ما بما لاقى يسابه (اذ طلع طلحة
رضى الله تعالى عنه) اى الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه) فكانه الزم نفسه
ان يصدق الله تعالى فى قتل اعدائه فى الحرب وقد وفى بعهده يوم احد وقيل المراد بالنحب هو الموت فكانه التزم
ان يقاتل حتى يموت ففى الحديث ايماء الى انه سيموت شهيدا وفى الحلية انه عليه الصلاة والسلام تلا على المنبر فمنهم
من قضى نحبه فسأله رجل من هم فاقبل على طلحة بن عبيد الله وقال هذا منهم وفى تفسير ابن ابى حاتم ان عمارا منهم
وهذا يحتمل التأويلين المتقدمين وفى تفسير يحيى بن سلام المغربى هم حمزة واصحابه والظاهر ان المراد بهم شهداء احد
ولا يبعد ان يقال المراد بهم الشهداء والثابتون فى مقاتلة الاعداء واختار ابن الملقن المعنى الاول حيث قال والذى
يظهر لى انهم المقتولون معه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى وما قلناه هو الاتم والاعم والله تعالى اعلم وقد قتل طلحة
رضى الله تعالى عنه فى وقعة الجمل سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة قال الحلبى وفى الصحابة اربعة عشر غيره
ممن يقال له طلحة (وفى حديث قيلة) بقاف مفتوحة فتحتية ساكنة بنت مخرمة العنبرية على ما رواه ابو داود
فى الادب والترمذى فى الشمائل (فلما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالسا القرفصاء) بضم القاف والفاء
اى جلسة المحتبى بيديه (ارعدت) اى اضطربت (من الفرق) بفتحتين اى الخوف والفزع (وذلك هيبة له وتعظيما
وفى حديث المغيرة) الذى رواه الحاكم فى علوم الحديث والبيهقى فى المدخل (كان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم يقرعون) اى يضربون (بابه بالاظافر) وفى نسخة بالاظافير اى ضربا خفيفا ودقا لطيفا تعظيما وتكريما
وتشريفا وفى حديث عمر رضى الله تعالى عنه انه اخذ قدح سويق فشربه حتى قرع القدح جبينه اى ضربه
والمعنى شربه جميعه (وقال البراء بن عازب رضى الله عنه) كما روى ابو يعلى (لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم عن الامر فاؤخر) وفى نسخة فأؤخره اى فاؤخر سؤاله (سنتين) بصيغة التثنية وفى نسخة سنين بصيغة
الجمع (من هيبته) اى من كمال هيبته وجلال عظمته صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل)

واعلم ان حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه) بنصبهما اى بعد وفاته (لازم) اى على كل مسلم
(كما كان) اى ماذكر واجبا (حال حياته) اى لانه الآن حى يرزق فى علو درجاته ورفعة حالاته (وذلك) اى التعظيم
والاكرام (عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه) اى كلامه (وسنته) اى وذكر طريقته (وسماع اسمه) وكذا
نعته (وسيرته) اى فى جميع هيئاته من حركاته وسكناته (ومعاملة آله) اى اهل بيته (وعترته) بكسر اوله اى ذريته وقرابته
(وتعظيم اهل بيته) اى من ازواجه وخدمه ومواليه (وصحابته) اى اهل صحبته (قال ابو ابراهيم) زيد فى نسخة
اسحق (التجيبى) بضم التاء وتفتح وبكسر الجيم (واجب على كل مؤمن متى ذكره) اى بنفسه (او ذكر عنده) اى على
لسان غيره (ان يخضع) اى ظاهرا (او يخشع) اى باطنا (ويتوقر) اى يتكلف الوقار والرزانة فى هيئته (ويسكن من
حركته ويأخذ) اى يشرع ويسرع (فى هيبته واجلاله) اى فى مقام تعظيمه واكرامه (بما كان يأخذ به نفسه) اى يطالب
منها (لو كان) اى فرضا (بين يديه) اى امام عينيه (ويتأدب) بالنصب او الرفع (بما ادبنا الله به) اى من وجوب تعظيمه
وتكريمه وخفض الصوت ونحوه (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (وهذه) اى الطريقة المرضية (كانت سيرة
سلفنا الصالح) يروى الصالحين اى المتقدمين من الصحابة والتابعين (وأئمتنا الماضين) اى العلماء العاملين (حدثنا
القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعرى وابو القاسم احمد بن بقى) بفتح موحدة وكسر قاف وتشديد تحتية
(الحاكم وغير واحد) اى وكثيرون (فيما اجازونيه) هذه لغة فى اجازوه لى (قالوا) اى كلهم (اخبرنا ابو العباس احمد بن عمر
ابن دلهاث) بكسر داله وسكون لامه ومثلثة فى آخره (قال ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن على بن فهر) بكسر فاء فسكون
هاء ثم راء (ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج) بفتح الفاء والراء الجيم (ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب) بضم ميم
فسكون نون ففوقية (قال ثنا يعقوب بن اسحق بن ابى اسرائيل ثنا ابن حميد) بالتصغير (قال ناظر) اى جادل وباحث
(ابو جعفر) هذا هو المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ثانى خلفاء بنى العباس (امير المؤمنين)
اطلاق هذا عليه غير معروف بين المصنفين (مالكا) اى الامام (فى مسجد رسول صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ورفع
صوته فى كلامه معه (فقال له) اى مالك كما فى اصل صحيح (يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذا المسجد) اى خصوصا
لانه بقرب قبره عليه الصلاة والسلام (فان الله تعالى) وفى نسخة عز وجل (ادب قوما) اى معظمين (فقال لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبى الآية) اى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون
(ومدح قوما) اى مكرمين (فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية) اى اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم (وذم قوما) اى من الاعراب (فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية)
اى اكثرهم لا يعقلون (وان حرمته ميتا) بالتشديد والتخفيف (كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر) اى خضع
وخشع لمقالة مالك رحمه الله تعالى وفيه تنبيه نبيه على انه يجب التأدب بين يدى العالم لما روى من ان الشيخ
فى قومه كالنبى فى امته (وقال) اى ابو جعفر لمالك رحمه الله تعالى (يا با عبد الله) بحذف الالف كتابة واثباته
قراءة (استقبل القبلة) استفهام استرشاد والتقدير أأستقبلها (وادعو) اى الله سبحانه وتعالى بعد الزيارة (ام استقبل
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال) اى مالك (ولم تصرف وجهك عنه) اى عن رسولك (فهو) وفى نسخة
صحيحة وهو اى والحال انه (وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام) اى وسائر الانام (الى الله يوم القيامة) اى
كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة (بل استقبله واستشفع به) اى اطلب
شفاعته وسل وسيلته فى قضاء مراداتك واداء حاجاتك (فيشفعك الله) بتشديد الفاء اى يقبل الله به شفاعتك
لامرك ولغيرك وفى نسخة فيشفعه اى فيقبل شفاعته فى حقك ويعفو عن ذنبك بوسيلة نبيك (قال الله تعالى)
اى مصداقا لذلك فيما اخره مالك (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالمعصية (جاؤك) اى للمعذرة والتوبة (الآية) يعنى
فاستغفروا الله اى بلسانهم وجنانهم واستغفر لهم الرسول فيه التفات عدل اليه تفخيما لشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لوجدوا الله اى لعلموه توابا رحيما اى متعوتا بهذين الوصفين حين تاب عليهم ورحمهم بعدم المؤاخذة على ما صدر منهم
(وقال مالك رحمه الله وقد سئل عن ابى ايوب السختيانى) اى عن مقامه ومرتبته وهو بسين مفتوحة وتضم وبسكون
معجمة فتحتية مكسورة نسبة لبيع السختيان وهو الجلد المدبوغ معرب وهو عنزى وقيل جهنى مولاهم يروى عن ابن
سيرين وجماعة وعنه شعبة وطائفة قال ابن علية كنا نقول عنه الفى حديث وقال شعبة ما رأيت مثله كان سيد الفقهاء
وحدث عن ام خالد بنت خالد واسمها آمنة وحديثه عنها فى البخارى وقال فى اثره ولم اسمع احدا يقول قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم اى من غير ذكر واسطة سوى ام خالد والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله (ما حدثتكم) اى

ماروبت لكم حديثا (عن احد) اى من اتباع التابعين (الا وابو ايوب افضل منه وقال) اى مالك رحمه الله للدلالة على ذلك (وحج) اى ابو ايوب (حجتين) اى مرتين (فكنت ارمقه) بضم ميم اى انظر اليه واتأمل لديه (ولا اسمع منه) اى كلاما يكون عليه اولا اسمع منه حديثا يحدثني به (غيرانه كان اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم بكى) الظاهر يبكى (حتى ارحمه) اى من شدة بكائه وكثرة عنائه شوقا اليه صلى الله عليه وسلم (فلما رايت منه ما رأيت) اى من حسن فعاله ما يقتضى بعض كماله واجلاله للنبى صلى الله عليه وسلم (كتبت عنه) اى الحديث ورويت عنه العلم (وقال مصعب بن عبدالله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى يروى عن مالك وغيره وعنه الشيخان وغيرهما (كان مالك اذا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة بصيغة المفعول وهو يشمل ما ذكره وذكره غيره عنده ويؤيده ان فى نسخة فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يتغير لونه وينحنى) اى يميل ظهره (حتى يصعب) بضم العين اى يشتد (ذلك على جلسائه) اى من اجل مشاهدة شدة عنائه (فقيل له يوما فى ذلك) اى فى تهوين الامر على نفسه هنالك (فقال لو رأيتم ما رأيت) اى لو عرفتم ما عرفت من جلال مقامه وجمال مرامه (لما انكرتم على ما ترون) اى ما تبصرون من اضطراب حالى وتغير مقالى ولا يبعد ان يكون المعنى لو ابصرتم ما ابصرت من مشاهدة جماله ومطالعة جلاله فى مقام مكاشفة كماله (لقد كنت ارى محمد بن المنكدر) اى التيمى المدنى الحافظ يروى عن ابيه وعائشة وابى هريرة وهو مرسل قاله ابن معين وابو زرعة وعن ابى قتادة قال العلائى والظاهر ان ذلك مرسل وعن ابى ايوب وجابر وعنه شعبة ومالك والسفيانان امام مسن له بكاء وتوفى سنة ثلاثين ومائة (وكان سيد القراء) جملة معترضة (لا نكاد نسأله عن حديث ابدا) اى قط (الا يبكى) من لوعة الاحتراق بلذعة الافتراق (حتى نرحمه) من كثرة بكائه وشدة عنائه (ولقد كنت ارى جعفر بن محمد) اى الصادق كما فى نسخة وهو بالنصب لقب جعفر ولقب ابيه الباقر وهو ابن زين العابدين بن على بن الحسين بن على رضى الله عنهم (وكان كثير الدعابة) بضم الدال المهملة اى المزاح (والتبسم) يعنى لكمال خلقه وجمال خلقه والجملة معترضة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصفر) بتشديد الراء اى تغير لونه وتحول كونه (وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت) اى ترددت (اليه زمانا) اى كثيرا (فما كنت اراه) اى اشاهده (الا على ثلاث خصال) اى احدى حالات ثلاث (اما مصليا واما صامتا) اى ساكتا متفكرا (واما يقرا القرآن) كان الاولى ان يقول واما قارئا للقرآن (ولا يتكلم الا فيما يعنيه) بفتح الياء وكسر النون اى ينفعه فى دينه عملا بقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وامتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (وكان) اى الامام جعفر الصادق (من العلماء والعباد) اى ممن جمع بين العلم والعمل وترك الهوى وطول الامل (الذين يخشون الله) اى يخافون عقوبته ويهابون عظمته (عز) اى شانه وسلطانه (وجل) اى برهانه سبحانه وتعالى (ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم) اى ابن محمد بن ابى بكر الصديق التيمى ولد زمن عائشة رضى الله تعالى عنها وسمع اباه وابن المسيب وعنه شعبة ومالك وابن عيينة ثقة ورع مكثر امام قال ابن عيينة كان افضل زمانه وكذلك ابوه وقد توفى بالمدينة سنة ست وعشرين ومائة (يذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فينظر الى لونه) بصيغة المفعول (كانه نزف) بضم النون وكسر الزاى اى سال (منه الدم) ولم يبق منه شئ وهو كناية عن اصفرار وجهه وضعف بدنه (وقد جف لسانه) بفتح الجيم وتشديد الفاء اى يبس (فى فمه) اى فلم يطق على تمام كلامه من كمال اكرامه واحترامه (هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم) اى اعظاما لمقامه (ولقد كنت آتى) اى اجيء (عامر بن عبد الله بن الزبير) اى ابن العوام العابد الكبير القدر سمع اباه وجماعة وعنه مالك وطائفة قال ابن عيينة اشترى نفسه من الله تعالى ست مرات توفى بعد عشرين ومائة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) اى كثيرا (حتى لا يبقى فى عينيه دموع ولقد رايت الزهرى) وهو محمد بن شهاب (وكان من اهنأ الناس) بفتح همز وسكون هاء فنون فهمزة اى الطفهم فى العشرة (واقربهم) اى فى المودة (فاذا ذكر عنده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته) اى لتغير حاله واختلاف مقاله فى مقام جلاله (ولقد كنت اتى صفوان بن سليم) بالتصغير وهو الامام القدوة المدنى ممن يستسقى بذكره يروى عن ابن عمر وعبدالله بن جعفر وابن المسيب وعنه مالك وغيره (وكان من المتعبدين المجتهدين) يقال انه لم يضع جنبه على الارض اربعين سنة (فاذا ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكى) فان البكاء هو الشفاء من العناء والشقاء والمعنى استمر على البكاء (حتى تقوم الناس عنه ويتركوه) اى حذرا من رؤيته على تلك الحالة المحزنة (ويروى عن قتادة رضى الله عنه انه كان اذا سمع الحديث) اى حديثه عليه الصلاة والسلام (اخذه العويل) بفتح المهملة وكسر الواو اى صوت الصدر بالبكاء (والزويل) بفتح الزاى وكسر الواو اى القلق به والعناء واصل الزويل عدم الاستقرار يقال زال عن مكانه يزول زوالا وزويلا (ولما كثر على مالك الناس) اى اجتمعوا

عليه بكثرة بعدما كانوا يوصف قلة (قيل له لو جعلت مستمليا) اى مبلغا للناس (يسمعهم) من الاسماع اى ليسمع القوم كلهم لكثرتهم وبعد بعضهم وجواب لو مقدر اى لكان حسنا او معناه التمنى اى تمنينا جعلك احدا مستمليا (فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) اى توقيرا له وتكريما وتعزيزا له وتعظيما (وحرمته حيا وميتا سواء) لان فناءه فى الحقيقة بقاء فانه حى يرزق بدار اللقاء (وكان ابن سيرين) من اجلاء التابعين (ربما يضحك) اى يتبسم (فاذا ذكر عنده حديث النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى خاف وخضع وتواضع كذا فى نسخة هنا والظاهر انه مكرر لما سيأتى فى الفصل الذى يليه (وكان عبد الرحمن بن مهدى) وهو احد الاعلام فى الحديث روى عنه احمد قال ابن المدينى اعلم الناس بالحديث هو عبد الرحمن بن مهدى وقال الزهرى ما رأيت فى يده كتابا يعنى كان حافظا (اذا قرأ حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم امرهم) اى الناس او اصحابه (بالسكوت) اى رعاية لحرمته وعناية لفهم مقولته (وقال) اى عبد الرحمن مقتبسا من القرآن (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) يعنى وكذا فوق صوت راوى حديثه (ويتأول انه يجب له) اى لاجله (عند قراءة حديثه) اى روايته بعد مماته (ما يجب له عند سماع قوله) اى كلام نفسه فى حال حياته

(فصل)

(فى سيرة السلف) اى طريقتهم (فى تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسنته) ولعله اراد بالحديث قوله وبالسنة فعله (حدثنا الحسين بن محمد الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابو الفضل بن خيرون) بفتح اوله المعجم فسكون تحتية فضم راء يمنع وقد يصرف (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد صنف التصانيف وخرج على الصحيحين روى عنه البيهقى والخطيب وابو اسحق الشيرازى قال الخطيب كتبنا عنه توفى ببغداد سنة خمس وعشرين واربعمائة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابو الحسن الدارقطنى) بفتح الراء ويسكن وهو الحافظ الامام شيخ الاسلام المنسوب الى دارقطن محلة ببغداد (ثنا على بن مبشر) بفتح ميم وسكون موحدة وكسر معجمة (ثنا احمد بن سنان) بكسر اوله وتنوين آخره (القطان) بفتح القاف وتشديد الطاء هو الحافظ ابو جعفر الواسطى روى عنه الشيخان وغيرهما قال ابن ابى حاتم هو امام اهل زمانه (ثنا يزيد بن هارون) وهو ابو خالد الواسطى السلمى احد الاعلام قال احمد حافظ متقن وقال ابن المدينى ما رأيت احفظ منه وقال العجلى ثبت متعبد حسن الصلاة جدا يصلى الضحى ست عشرة ركعة وقد عمى (ثنا المسعودى) اى عبد الرحمن بن عتبة الكوفى احد الاعلام روى عنه ابن المبارك ووكيع ثقة كثير الحديث توفى سنة ستين ومائة (عن مسلم البطين) بفتح الموحدة وكسر المهملة ابو عبدالله مسلم بن عمران الكوفى يروى عن ابى وائل وعلى بن الحسين وابى عبد الرحمن السلمى والاعمش وابن عون وثقه احمد وغيره (عن عمرو بن ميمون) هو الازدى يروى عن عمر ومعاذ وطائفة وكان كثير الحج والعبادة (قال) اى عمرو بن ميمون كما فى رواية الدارمى (اختلفت الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى ترددت الى خدمته (سنة فما سمعته يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بصريح اسمه وكانه كان يكتفى بضمير اسمه (الا انه حدث يوما) اى وقتا من زمانه (فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم علاه كرب) بفتح فسكون اى غلبه غم يأخذ بالنفس (حتى رأيت العرق يتحدر) بتشديد الدال وفى نسخة ينحدر بالنون اى يسيل نازلا (عن جبهته) اى من جهة كثرته (ثم قال) اى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه حديثه الذى رويته لكم عنه عليه الصلاة والسلام (هكذا) اى بهذا اللفظ (ان شاء الله تعالى) اى لكمال احتياطه (او فوق ذا) اى بقليل (او مادون ذا) اى ببعض شئ (او ما هو قريب من ذا) اى مما اوله فى نقل هذا وهذا كله تفاديا من الدخول فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على فليتبوأ مقعده من النار وكان ابو الدرداء ايضا اذا حدث قال مثله وكان انس رضى الله عنه اذا حدث قال او كما قال (وفى رواية فتربد وجهه) بتشديد الموحدة اى فتغير لون وجه ابن مسعود وزيد فى نسخة الى غبرة وهى سواد مشوب ببياض فان الربدة لون الى الغبرة قال الهروى يقال تربد لونه اى تلون وصار كلون الرماد (وفى رواية وقد) وفى نسخة فقد (تغرغرت عيناه) اى امتلأت عينا ابن مسعود دمعا يتردد فيهما من الغرغرة وهى فى الاصل ان يجعل المشروب فى الفم ويردد الى الحلق من غير ان يبلع ومنه حديث ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اى ما لم تبلغ روحه حلقومه تشبيها لها بالشئ الذى يتغرغر به المريض (وانتفخت اوداجه) جمع ودج وهو ما احاط بالعنق من عروق الحلق التى يقطعها الذابح (وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم) مصغر قرم بالقاف اى مقدام فى المعركة وعن على انا ابو الحسن القرم المقدام فى الرأى وهو فى الاصل فحل الابل والمعنى انا فيهم بمنزلته (الانصارى قاضى

المدينة) اخرج له الترمذى فقط (من مالك بن انس) وهو امام دار الهجرة (على ابى حازم) بكسر الزاى وحاؤه مهملة
وهو سلمة بن دينار الاعرج احد الاعلام يروى عن سهل بن سعد وابن المسيب وعنه مالك وابو ضمرة قال ابن خزيمة
ثقة لم يكن فى زمانه مثله (وهو يحدث) اى والحال ان ابا حازم يحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فجازه) اى
جاز الموضع او الشيخ وهو بمعنى جازبه وجاوزه والمعنى لم يجلس اليه ليأخذ الحديث عنه (وقال) اعتذارا لمن اورد عليه
السؤال بلسان القال او ببيان الحال (انى لم اجد موضعا اجلس فيه) اى متادبا (فكرهت ان آخذ) اى اسمع
واتحمل (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا قائم) قال الدلجى والعجب منه رحمه الله تعالى انه كان
مع مبالغته فى تعظيم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقدم عليه عمل اهل المدينة وان خالفه ويقول هذا
لم يصحبه عمل فجعل العمل بحديثه صلى الله تعالى عليه وسلم مشروطا بعمل غيره مع قوله تعالى وما آتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولم يوافقه احد من علماء الامصار على ذلك قال الشافعى كنت اظن انه لم يخالف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم الا فى ستة عشر حديثا فوجدته يعمل بالفرع ويترك الاصل فكثت سنة استخير الله تعالى
فى مخالفته ولما خالفه سعى به المالكية الى السلطان فامره بان يخرج من مصر فقال له اجلنى ثلاثة ايام فاجله
فليلة الثالث مات السلطان فمكث الشافعى والف كتبه الجديدة بها الى ان توفى بها تاسع عشرى جمادى الآخرة
سنة اربع ومائتين رحمه الله تعالى انتهى ولا يخفى ان المجتهد اسير الدليل واصول الفقهاء مختلفة فى التعليل فمذهب مالك
ان عمل اهل المدينة بناء على انهم اخذوا عن آبائهم من المهاجرين والانصار التابعين لسيد الابرار مقدم على حديث
بظاهره يخالفهم فكانه جعل عملهم بمنزلة اجماعهم وهذا يشبه اختلاف اصول علمائنا الحنفية وهو ان الراوى اذا
عمل بخلاف روايته دل على ان حديثه منسوخ او توهم فى نقله ورجع عنه بفعله ونظيره هذا عمل اهل مكة فى الطواف
بارسال اليد حيث يكون بمنزلة الاجماع المانع من ان يكون وضع اليد فيه مستحبا بل يحكم فيه بانه مكروه لكونه
بدعة واما قول الشافعى فى حقه مع قلة ادبه فمحمول على ظنه به انه كان يخالف ظاهر احاديث النبوة وهكذا شأن
كل مجتهد بالنسبة الى غيره من الائمة مع ان الفضل للمتقدم بلا شبهة وقوله فوجدته يعمل بالفرع دون الاصل هو
الفعل الذى لا يليق ان يصدر مثله من ارباب الفضل (وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب) بتشديد الياء المفتوحة
وقد تكسر (فسأله) اى الرجل (عن حديث وهو) اى والحال ان ابن المسيب (مضطجع) اى واضع جنبه على
الارض (فجلس وحدثه) ولعله كان مريضا فتكلف فى جلوسه (فقال الرجل وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت
وتمنيت (انك لم تتعن) بالعين المهملة وتشديد النون اى لم تتعب ولم تتكلف العناء لنفسك بجلوسك (فقال انى كرهت
ان احدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا مضطجع) جملة حالية (وروى) بصيغة المجهول اى نقل (عن
محمد بن سيرين) بمنع صرفه للعلمية وزيادة الياء والنون على مذهب الفارسى وهو احد الاعلام يروى عن ابى هريرة
وعمران بن حصين ولم يسمع منه قاله الدارقطنى وروايته عنه فى الصحيح وقد تعقب الدارقطنى النووى فى شرح مسلم
فقال بل هو معدود فيمن سمع منه انتهى وكان ثقة حجة كثير العلم ورعا بعيد الصيت قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما
وله سبعة اوراد فى الليل وترجمته طويلة (انه قد يكون يضحك) اى مع اصحابه (فاذا ذكر عنده حديث رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم خشع) اى ظاهرا وباطنا (وقال ابو مصعب) هو احمد بن ابى بكر بن القاسم بن الحارث
ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ابو مصعب الزهرى العوفى قاضى المدينة وعالمها سمع مالكا وطائفة
وعنه جماعة وهو ثقة حجة ولا عبرة بقول ابى خيثمة لابنه احمد لا تكتب عن ابى مصعب واكتب عمن شئت (كان مالك
ابن انس رضى الله عنه لا يحدث بحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو على وضوء) اى طهارة (اجلالا له)
اى لحديثه عليه الصلاة والسلام (وحكى مالك ذلك) اى مثل ذلك (عن جعفر بن محمد) وهو الصادق وقد تقدم
(وقال مصعب بن عبد الله) اى ابن مصعب بن ثابت الزبيرى (كان مالك بن انس رضى الله تعالى عنه اذا حدث عن
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اذا اراد تحديثه عنه (توضأ وتهيأ) اى بالمشط ونحوه (ولبس ثيابه) اى غير
ثياب البذلة (ثم يحدث قال مصعب فسئل) اى مالك (عن ذلك) اى عن سبب ما ذكر هنالك (فقال انه حديث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى المقام مقام تحديثه عليه الصلاة والسلام فيجب التوقير على الانام (قال
مطرف) بتشديد الراء المكسورة وهو ابن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار ابو مصعب اليسارى المدنى مولى
ميمونة الهلالية وهو ابن اخت الامام مالك بن انس يروى عن خاله ونافع القارى وعنه البخارى وابو زرعة (كان
اذا اتى الناس مالكا) اى وقفوا على بابه (خرجت اليهم الجارية) اى الخادمة اولا باذنه ليعلم من هو فيعامله بما يليق
بشأنه من دخول او خروج ونحوه (فتقول) اى الجارية (لهم يقول لكم الشيخ تريدون) اى أتريدون (الحديث)

اى نقل الاحاديث النبوية (او المسائل) اى رواية الفروع الفقهية والاستفهام للاستعلام لا للتقرير كما وهم الدلجى
على ما لا يخفى عند ذوى الافهام (فان قالوا المسائل) اى نريدها (خرج اليهم) اى على هيئته من غير تغير فى حالته (وان
قالوا الحديث) اى نطلبه (دخل مغتسله) اى موضع اغتساله (فاغتسل) اى غسلا كاملا او توضأ وضوأ كاملا
او معناه فتطهر (وتطيب) الواو للمعية فلا ينافى كونه قبل قوله (ولبس ثيابا جددا) بضمتين جمع جديد حقيقة
او حكما فيشمل النظيف المغسول (ولبس ساجه) بالاضافة الى ضميره اى طيلسانه وقيل الاخضر ههنا خاصة
وفى القاموس هو الطيلسان الاخضر او الاسود (وتعمم) اى لبس عمامته (ووضع على رأسه رداءه وتلقى) بصيغة
المجهول اى توضع (له منصة) بكسر ميم وبفتح وبفتح نون وتشديد صاد مهملة سرير العروس وقيل مثل المخدة العالية
وقيل المراد بها الكرسى (فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع) اى آثاره من الخضوع (ولا يزال) قيل اى الشأن
والظاهر ان الضمير لمالك (يبخر) بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة وروى يتبخر (بالعود) ويعاد بالعود (حتى يفرغ من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره) اى غير مطرف (ولم يكن) اى مالك رحمه الله (يجلس على تلك المنصة
الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخلاف سائر العلوم من التفسير والفقه ونحوهما (قال ابن
ابى اويس) وهو اسماعيل بن عبد الله بن اويس الاصبحى ابن اخت مالك بن انس يروى عن خاله مالك وابيه وجماعة
وعنه الشيخان وعلى البغوى وطائفة قال ابو حاتم محله الصدق وضعفه النسائى (فقيل لمالك فى ذلك) اى فسئل
عن سبب ما فعله هنالك (فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا احدث) بالنصب
ويرفع (به) اى بحديثه عليه الصلاة والسلام (الا على طهارة) اى كاملة (متمكنا) اى على حالة فاضلة لا متكئا
ومعتمدا على شقة مائلة (قال) اى ابن ابى اويس (وكان) اى خاله مالك (يكره ان يحدث) بكسر الدال المشددة اى يتكلم
بالحديث النبوى (فى الطريق) اى سائرا (وهو قائم او مستعجل) خوفا من الخطأ او الخطل ومن ثمة قيل شعر

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ❋ وقد يكون مع المستعجل الزلل

(وقال) اى مالك فى تعليل ذلك (احب ان افهم) بالتشديد اى الطالب (حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
بالوجه الاتم (قال ضرار بن مرة) بضم ميم وتشديد راء اى ابو سنان الشيبانى الكوفى يروى عن سعيد بن جبير وعنه
شعبة ونحوه وكان من العباد والثقات (كانوا) اى السلف (يكرهون ان يحدثوا) اى الحديث كما فى نسخة (على غير
وضوء) اى طهارة (ونحوه عن قتادة رضى الله عنه) اى وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرؤ الا على وضوء
(وكان الاعمش) اى سليمان بن مهران (اذا حدث) اى اراد ان يحدث (وهو على غير وضوء تيمم قال عبد الله بن المبارك
كنت عند مالك) اى يوما (وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة) كذا فى النسخ المصححة ووقع فى اصل الدلجى ستة
عشر مرة فقال صوابه ست عشرة مرة اذ التاء انما تلحق فى مثل هذا التركيب ثانى جزئيه (وهو) اى مالك (يتغير لونه
اى من شدة الالم (ويصفر) اى ويميل الى صفرة من اثر السم (ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى محافظة على اكماله ومراعاة لاجلاله (فلما فرغ من المجلس) اى مجلس التحديث (وتفرق عنه الناس) اى العامة
(قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم لدغتنى عقرب ست عشرة مرة وانا صابر فى جميع ذلك وانما صبرت
اى هنالك (اجلالا لحديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابن مهدى مشيت يوما مع مالك الى العقيق)
قال الجوهرى كل مسيل شقه ماء السيل فهو عقيق وقال الحلبى العقيق واد عليه مال من اموال اهل المدينة
وهو على ثلاثة اميال وقيل ميلين وقيل سبعة قال ابن وضاح وهما عقيقان احدهما عقيق المدينة عق عن
حرتها اى قطع وهو العقيق الاصغر وفيه بئر رومة والعقيق الاخر اكبر من هذا وفيه بئر على مقبرة منه
وهو من بلاد مزينة وهو الذى اقطعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلال بن الحارث ثم اقطعه عمر
الناس فعلى هذا تحمل المسافتان لا على الخلاف والعقيق الذى جاء فيه انك بواد مبارك هو الذى يبطن
وادى ذى الحليفة وهو الاقرب منها والعقيق ميقات اهل العراق موضع قريب من ذات عرق قبلها
بمرحلة او مرحلتين والظاهر انه ليس المراد وانما المراد واحد من التى بالمدينة ولعله الاول وفى بلاد العرب
مواضع كثيرة تسمى العقيق والله ولى التوفيق (فسألته عن حديث فانتهرنى) اى زجرنى (وقال لى كنت فى عينى اجل)
اى اعظم (من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نمشى) جملة حالية (وسأله) اى مالكا
(جرير بن عبد الحميد القاضى) اى الضبى يروى عنه احمد واسحق وابن معين وله مصنفات (وهو قائم) حال من مالك
او من جرير (فامر) اى مالك (بحبسه فقيل له انه قاض فقال) اى مالك (القاضى احق من ادب) بصيغة المجهول اى
هو اولى ليتأدب به غيره او ليتعلم الادب قال الدلجى ودب كذا بالواو والاصل الهمزة يعنى فابدلت الهمزة واوا كما فى

وكذوا كذا انتهى لكن لا اصل له هنا فان الودب سوء الحال لا غير على ما فى القاموس زيادة على الصحاح (وذكر) بصيغة المفعول اى وحكى (ان هشام بن الغازى) وفى نسخة الغاز بلا ياء قال الحلبى هذا هشام بن الغاز بن ربيعة الجوشنى يروى عن مكحول وعطاء وقد توفى سنة ست وخمسين ومائة فهو معاصر لمالك وقد توفى قبل مالك والله تعالى اعلم بذلك وقال بعض الفضلاء لا نعلم لهشام بن الغازى رواية عن مالك رحمه الله وانما الحكاية عن هشام بن عمار الدمشقى ونقل ذلك عن الحافظ الرشيد العطار انتهى فاخطأ الدلجى فى جزمه بقوله وصوابه هشام بن عمار خطيب جامع دمشق ثم قوله واما ابن الغاز فتابعى لم يرو عن مالك لموته قبل مالك غير صحيح لما ثبت قبل ذلك انه كان معاصرا لمالك وهو لا ينافى موته قبل مالك ثم لا يبعد انه سمع مالكا ولم يرو عنه ولعل هذه القضية سبب ذلك والحاصل انه اوغيره (سال مالكا عن حديث وهو واقف) اى قائم كما سبق (فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه) اى حن عليه لما وقع له من الاهانة لديه (فحدثه عشرين حديثا) اى استمالة لخاطره اليه واما قول الدلجى اى خاف عليه لضربه اياه بلا ذنب يوجب ذلك فغير مستقيم لانه يلزم من ذلك اسناد الذنب الى مالك مع ان للاستاذ تاديب الطالب بما يرى هنالك (قال) وفى نسخة فقال (هشام وددت) بكسر الدال اى تمنيت واحببت (لو زادنى سياطا) اى كثيرة (ويزيدنى حديثا) اى بدل كل سوط (قال عبد الله بن صالح) الظاهر انه ابو صالح الجهنى كاتب الليث روى عنه ابن معين والبخارى قال الفضل بن الشعرانى ما رأيته الا يحدث او يسبح (كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران) صفة لهما والاصل امتناع توسط الواو بين الصفة والموصوف كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون الا انها لما شابهت الحال توسطتهما لتأكيد لصوقها بالموصوف كما فى قوله عز وجل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (وكان قتادة يستحب) بصيغة الفاعل اى يستحسن (ان لا يقرأ) اى هو او احد ولا يبعد ان يضبط بصيغة المفعول (احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة) تأكيد لما قبله وضبط فى نسخة بصيغة المجهول فتحصل المغايرة بان يحمل الاول على فعله والثانى على غيره واما قول الدلجى اى بغسل بقرينة ما قبله فلا يدفع الاشكال بل يقوى الاعضال والله تعالى اعلم بالحال والاظهر ان يراد بالطهارة المعنى الاعم الشامل للتيمم ويؤيده قوله (وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء) جملة حالية اعتراضية بين الشرط وجزائه (تيمم) اى اعتناء بتعظيم حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل)

(ومن توقيره صلى الله عليه وسلم) اى تعظيمه وتكريمه (وبره) اى ومن طاعته فى امره وزجره (بر آله) اى احسان اهل بيته وعشيرته ولا وجه لتخصيص الدلجى هنا ببنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل وان خص الاولان بالخمس (وذريته) اى نسله وعترته الشاملة لبناته وللحسنين واولادهما من الائمة وغيرهم (وامهات المؤمنين ازواجه) اى زوجاته الطاهرات وهن عائشة الصديقة بنت الصديق وخديجة بنت خويلد وحفصة بنت الفاروق وام حبيبة بنت ابى سفيان اخت معاوية وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابى امية وميمونة بنت الحارث وزينب بنت جحش وجويرية بنت ضرار وصفية بنت حيى كذا ذكره الدلجى وكان الاولى ان يقدم خديجة الكبرى ام فاطمة الزهراء رضى الله عنهما (كما حض عليه) بتشديد الضاد المعجمة اى حث وحرض على برهم (عليه السلام) اى فى احاديث كثيرة (وسلكه) اى مسلكه (السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم) اى بالقول والفعل كما وجب عليهم قال ابن الفقاعى السلف الصالح هم الصدر الاول من التابعين (قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) استئناف تعليل لامرهن بالامر الاهم ونهيهن عن ان يقترفن المآثم صونا لاعراضهن عن ان تتدنس بالرجس واستعير الرجس للمعصية تنفيرا لهن عنها وترغيبا فيما امرهن بخلافها واعله سبحانه وتعالى خاطبهن بخطاب الذكور لانهن فى مقام الكمال كانهن فى حال الرجال كما قال تعالى فى حق مريم وكانت من القانتين وورد كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام رواه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى موسى والاظهر ان فيه تغليبا ليشمل بقية آله واهل بيته ولذا قال (اهل البيت) نصب على النداء او المدح (ويطهركم) عن الاخلاق الدنية والاحوال الردية (تطهيرا) اى بليغا كثيرا والرجس على ما قال الزهرى اسم لكل مستقذر من عمل واراد باهل البيت نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانهن فى بيته وروى ذلك عن ابن عباس وعن ابى سعيد الخدرى وجماعة من التابعين انهم على وفاطمة والحسن والحسين اقول ولا منع من الجمع واما تخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما لما ورد انه عليه الصلاة والسلام خرج غداة يوم وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله فيه ثم الحسين فادخله ثم فاطمة فادخلها ثم على فادخله ثم قال انما يريد الله

ليذهب

ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاجهم على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فمردود بان تخصيصهم بكونهم اهل البيت يكذبه ما قبل الاية وما بعدها والحديث انما هو مؤذن بانهم من اهله لا ان غيرهم ليس باهله (وقال تعالى وازواجه امهاتهم) تشبيه لهن بالامهات فى وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن بدليل قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ولم يتعد الى بناتهن فانهن فى غير ذلك كالاجنبيات ولذا قالت عائشة رضى الله عنها لسنا امهات النساء ارادت انهن انما كن امهات الرجال لانهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم عليهم وهذا الحكم غير متحقق فى حق النساء لانهن لو كن امهاتهن لما جوز زواج بناتهن (اخبرنا الشيخ ابو محمد ابن احمد العدل) مبالغة العادل (من كتابه) متعلق باخبرنا (وكتبت من اصله) اى المروى عن مشايخه (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسن المقرئ) بالهمز فى آخره وقد يخفف اى معلم قراءة القرآن (الفرغانى) منسوب الى فرغانة بفتح الفاء وسكون الراء وغين معجمة ناحية من المشرق (حدثتنى ام القاسم بنت الشيخ ابى بكر الخفاف) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الفاء الاولى (قالت حدثنى ابى ثنا) اى قال حدثنا (حاتم) بكسر الفوقية (هو ابن عقيل) بالتصغير (حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل حدثنا يحيى هو الحمانى) بكسر المهملة وتشديد الميم ثم نون فياء نسبة (حدثنا وكيع) اى ابن الجراح احد الاعلام يروى عن الاعمش وغيره وعنه احمد ونحوه قال احمد ما رأيت اوعى للعلم منه كان احفظ من ابن مهدى وقال حماد بن زيد لو شئت لقلت انه ارجح من سفيان وقال احمد لما ولى حفص بن غياث القضاء هجره وكيع (عن ابيه) اى الجراح بن مليح بن عدى الرواسى وثقه ابو داود ولينه بعضهم (عن سعيد بن مسروق) اى الثورى يروى عن ابى وائل والشعبى وعنه ابناه سفيان ومبارك وابو عوانة ثقة اخرج له الائمة الستة (عن يزيد بن حيان) بفتح حاء مهملة فتحتية مشددة تيمى ثقة اخرج له مسلم وابو داود والنسائى (عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله) بفتح الهمزة وبضم الشين (اهل بيتى) بالنصب على نزع الخافض وفى نسخة طبق رواية اخرى فى اهل بيتى اى اسألكم الله فى حق اهل بيتى بالاحسان اليهم والشفقة عليهم او اقسم عليكم بالله ان تراعونى فى اهل بيتى (ثلاثا) اى قالها ثلاث مرات مبالغة فى الحث على احترامهم (قلنا لزيد) وهو ابن ارقم راوى الحديث لان صاحب البيت ادرى بما فيه (من اهل بيته) اى من المراد بهم فى هذا الحديث (قال آل على وآل جعفر وآل عقيل) وهم اولاد ابى طالب (وآل عباس) وفى نسخة وآل العباس والمراد هم وآلهم ممن يرجع اليهم فى النسب ما لهم وقد يقحم الآل كما فى قوله تعالى آل موسى وآل هارون تفخيما لشأنهما ثم اعلم ان هذا الحديث فى مسلم اخرجه فى الفضائل واخرجه النسائى فى المناقب ولو اخرجه القاضى من مسلم لوقع له اعلى من الطريق الذى ساقه وكذا لو اخرجه من النسائى الا انه اراد التنوع فى الروايات لان من شأن الحفاظ ان الحديث اذا كان فى الكتب الستة او احدها يخرجونه من غيرها لكن فى الغالب انما يصنعون هذا لطلب العلو او الزيادة فيه او تصريح مدلس بالسماع او الاخبار او التحديث او لكون الطريق اسلم او لغير ذلك مما هو معروف عند اربابه والله اعلم (وقال عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه الترمذى عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه (انى تارك فيكم ما) اى شيأ عظيما فما موصوفة صفتها (ان اخذتم به) او موصولة فالشرطية صلتها اى ان تمسكتم به وعملتم به ويروى ما ان تمسكتم به (لن تضلوا) اى عن الحق بعده ابدا (كتاب الله وعترتى اهل بيتى) تفصيل بعد اجمال وقع بدلا او بيانا (فانظروا) اى فتأملوا وتفكروا (كيف تخلفونى) بتخفيف النون وتشدد اى كيف تعقبونى (فيهما) اى فى حقهما ووقع فى اصل الدلجى كتاب الله وعترتى بين الشرط والجزاء وهو مخالف للاصول المعتمدة ثم المراد بعترته اخص قرابته وقيل المراد علماء امته فالتمسك بالقرآن التعلق بامره ونهيه واعتقاد جميع ما فيه وحقيته والتمسك بعترته محبتهم ومتابعة سيرتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) لا يعرف راويه (معرفة آل محمد براءة من النار) اى من الحرها وسقم بردها (وحب آل محمد جواز على الصراط) بفتح الجيم سلك المسافر برخصة المرور والعبور اى سبب سهولة لمجاوزته الصراط (والولاية) بفتح الواو اى النصرة والاعانة والمحبة (لآل محمد امان من العذاب) وبكسرها لغة ايضا كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى ما لكم من ولايتهم من شئ فقد قرأها حمزة بالكسر فقول الدلجى واما بكسرها فمن الولاية بمعنى الملك ليس فى محله مع ان الولاية قد تأتى بمعنى تولى الامر وضد التبرى وبمعنى المحبة ومنه ما ورد اللهم وال من والاهم (وقال بعض العلماء معرفتهم هى معرفة مكانهم) اى مكانتهم وقرب شأنهم (من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى نسبا وحسبا (فاذا) وفى نسخة واذا (عرفهم بذلك) اى بما ذكر قربة ورتبة (عرف وجوب حقهم) فى التكريم (وحرمتهم) فى التعظيم (بسببه) اى بسبب نسبة النبى الكريم عليه التحية والتسليم (وعن عمر بن ابى سلمة) كما رواه الترمذى وهو ربيبه عليه الصلاة والسلام وابن اخيه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة مولاة عمه ابى لهب ولد بالحبشة (لما نزلت) اى هذه الآية (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

الآية وذلك) اى نزولها كان (فى بيت ام سلمة) اى زوجته عليه الصلاة والسلام ام الراوى وهى آخر امهات المؤمنين
موتا توفيت فى امارة يزيد والجملة معترضة (دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء) جواب لما اى غطاهم به
قدام وجهه (وعلى خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد
ابن ابى وقاص) كما رواه مسلم (لما نزلت آية المباهلة) اى الملاعنة مفاعلة من البهلة وهى اللعنة فاذا اختلف قوم
فى شئ اجتمعوا فقالوا لعنة الله على الظالم منا والمراد من آية المباهلة قوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اى نتضرع الى الله فنجعل لعنة الله على
الكاذبين (دعا) جواب لما اى طلب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء
اهلى) اى الاقربون (فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما مر (فى على)
اى فى حقه (من كنت مولاه) اى وليه وناصره (فعلى مولاه) اى يدفع عنه ما يكره قال الشافعى رحمه الله يعنى به
ولاء الاسلام قال الله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم والاظهر الاستدلال بقوله
تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون لما روى انها نزلت فى على
كرم الله وجهه وانما اتى بصيغة الجمع لتعظيمه او المراد به هو وامثاله مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب هذا
وذهب اكثرهم الى ان الحديث بمعنى البر والصلة ومراعاة الذمة ومنهم من ضعفه وقال ابو العباس معناه من احبنى
وتولانى فليتوله وقال الحافظ ابو موسى اى من كنت اتولاه فعلى يتولاه قيل وكان سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى
لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام الحديث (وقال النبى
صلى الله عليه وسلم) على ما روى احمد عن ابى ايوب الانصارى انه عليه الصلاة والسلام قال فى على من كنت مولاه
فعلى مولاه (اللهم وال من والاه) اى احب من احبه وراعاه (وعاد من عاداه) اى ابغض من ابغضه وما ارضاه قال
فى الكشاف الموالاة خلاف المعاداة مفاعلة من الولى وهو القرب كما ان المعاداة مفاعلة من العدو وهو البعد (وقال)
كما رواه مسلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (فيه لا يحبك الا مؤمن) اى كامل الايمان (ولا يبغضك الا منافق)
اى ناقص الايقان وقد روى عدى بن ثابت عن زر بن حبيش عن على رضى الله تعالى عنه قال عهد الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وورد فى بعض الاحاديث النظر الى وجه على
عبادة (وقال للعباس رضى الله تعالى عنه) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (والذى نفسى بيده لا يدخل قلب
رجل الايمان) اى على وجه الاحسان (حتى يحبكم لله ورسوله) والخطاب لاهل بيت النبوة (ومن آذى عمى)
اى العباس (فقد آذانى) اى فكانه آذانى (وانما عم الرجل صنو ابيه) بكسر الصاد وقد تضم اى مثله فى ان اصلهما
واحد فهو كالعلة لكون حكمهما فى الايذاء سواء واصله النخلتان تخرجان من اصل واحد ومنه قوله تعالى ونخيل
صنوان وغير صنوان فالاخ صنو لاخيه الشقيق (وقال للعباس) كما روى البيهقى عن ابى اسيد الساعدى (اغد)
بضم همزة وصل وضم الدال امر من غدا يغدو اى ائتنى غدوة وهى اول النهار (مع ولدك) بفتحتين وبضم فسكون
اى اولادك من ذكور واناث لشمول الولد لهما (فجمعهم) اى غدوة عليه (وجللهم) بالجيم وتشديد اللام الاولى
اى غطاهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بملاءته) بضم اوله وتخفيف اللام والمد اى ريطته او كسائه (وقال اللهم
هذا عمى وصنو ابى وهؤلاء) اى اولاده (اهل بيتى فاسترهم من النار) اى فى دار القرار (كسترى اياهم) فى هذه الدار
(فامنت) بتشديد الميم اى قالت آمين (اسكفة الباب) بضم الهمزة والكاف وتشديد الفاء اى عتبته (وحوائط
البيت) اى جدرانه المحيطة به من جميع جهاته (آمين آمين) اى مكررا وهو مقول على وجه التأكيد او من طريق
التجريد وهو بالمد اشهر من قصره ولا يجوز تشديد ميمه على الصحيح وهو اسم مبنى على الفتح معناه استجب وفى الحديث
آمين خاتم رب العالمين اى طابعه على العباد فكانه خاتم الكتاب بصونه من الفساد (وكان) اى النبى عليه الصلاة
والسلام كما فى البخارى عن اسامة وغيره (يأخذ بيد اسامة بن زيد) اى ابن حارثة مولاه (والحسن) اى وبيد الحسن بن
على رضى الله عنهما (ويقول اللهم انى احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضى الله عنه ارقبوا محمدا) بضم القاف اى راعوه
واحترموه (فى اهل بيته وقال) اى الصديق (ايضا) كما فى الصحيحين (والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم احب الى ان اصل) اى صلتهم (من قرابتى) اى من صلة اقاربى لقرب مكانتهم عنده مع مراعاة قوله تعالى
قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما روى الترمذى وحسنه وابن ماجه
عن يعلى بن مرة (احب الله من احب حسنا) وفى رواية حسينا وفى نسخة وحسينا والجملة دعائية ولا يبعد ان تكون
خبرية (وقال) كما تقدم مرادا (من احبنى واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما) اى واحب اباهما

على المرتضى (وامهما) فاطمة الزهراء (كان معى) اى مشاركا لى (فى درجتى) اى جوارى (يوم القيامة) لان من
احب قوما حشر معهم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله) رواه الترمذى وحسنه عن سهل
ابن ابى وقاص بلفظ من يرد هوان قريش اهانه الله لانهم افضل بنى ادم اجمالا وهم ولد النضر بن كنانة من بنى اسماعيل
ابن ابراهيم خليل الرحمن (وقال) كما روى البزار عن على وابن ابى شيبة عن سهل ابن ابى خيثمة (قدموا قريشا) اى
فى الخلافة ونحوها (ولا تقدموها) بحذف احدى التائين (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (لام سلمة
لا تؤذينى فى عائشة) اى افضلها نسبا وحسبا روى ان الناس كانوا يتحرون بهدايا هم يوم عائشة
يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان نساء النبى عليه الصلاة والسلام كن حزبين
فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر ام سلمة وسائر نسائه عليه الصلاة والسلام فكلم حزب ام سلمة
ام سلمة ان كلمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول للناس من اراد ان يهدى الى النبى عليه الصلاة والسلام
فليهده حيث كان فكلمته فقال لا تؤذينى فى عائشة فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة وتمام الحديث
فى المصابيح (وعن عقبة بن الحارث) كما فى البخارى (رأيت ابا بكر) اى الصديق (رضى الله عنه وجعل الحسن على
عنقه) جملة حالية (وهو) اى ابو بكر (يقول بابى) اى افديه بابى (شبيه بالنبى) اى هو شبيه به فى كثير من الوجوه (ليس
شبيها بعلى) اى فى بعض الوجوه (وعلى يضحك) اى فرحا بفعل الصديق وقوله الدال على انه الصديق فى مقام التحقيق
وممن كان شبيها به عليه الصلاة والسلام من آله جعفر بن ابى طالب وقثم بن العباس والسائب بن يزيد بن عبد يزيد بن
هاشم بن المطلب جد الشافعى وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومن غير آله كثيرون منهم شخص من اهل البصرة
يقال له كابس بن ربيعة بن مالك السامى بالسين المهملة قبله معاوية بين عينيه واقطعه قطيعة وكان انس اذا رآه بكا
وسيأتى قريبا ذكر كابس فى اصل الكتاب وقال الذهبى فى التهذيب فى ترجمة عبد الله بن جعفر ان النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم اتاهم بعد ما اخبرهم بقتل جعفر فقال لا تبكوا بعد اليوم وذلك بعد ثالثه ثم قال ائتونى ببنى اخى فجئ
بنا كانا افرخ فقال ادعوا الى الحلاق فامره فحلق رؤسنا ثم قال اما محمد فشبه عمنا ابى طالب واما عبد الله فشبه خلقى
وخلقى ثم اخذ بيدى فاشالها ثم قال اللهم اخلف جعفرا فى اهله وبارك لعبد الله فى صفقته فجاءت امنا فذكرت يتمنا
فقال العيلة تخافين عليهم وانا وليهم فى الدنيا والآخرة هذا والحسن بن على كان يشبهه بنصفه الاعلى والحسين بنصفه
الاسفل ولعل هذا هو السر فى ان اكثر الذرية من الحسين رضى الله تعالى عنه (وروى عن عبد الله بن الحسن) اى ابن
حسن كما فى نسخة وهو ابن على بن ابى طالب يروى عن ابيه وامه فاطمة بنت الحسن وعنه مالك وابن علية اخرج له
اصحاب السنن الاربعة مات سنة خمس واربعين ومائة (قال اتيت عمر بن عبد العزيز) اى ابن مروان بن الحكم
(فى حاجة فقال لى اذا كان لك حاجة فارسل الى) اى احدا (واكتب) اى لى كتابا واذكر حاجتك ويروى
او اكتب الى (فانى استحيى من الله ان يراك) وفى نسخة ان اراك (على بابى وعن الشعبى) فيما رواه الحاكم وصححه
البيهقى وغيره (قال صلى زيد بن ثابت) اى الانصارى (على جنازة امه ثم قربت له بغلته) بصيغة المجهول (ليركبها فجاء
ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد) تكريما له وتعظيما (خل عنه) اى دع الركاب وتباعد منه (يا ابن عم رسول الله
فقال) اى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (هكذا نفعل) وفى نسخة هكذا امرنا ان نفعل (بالعلماء) اى اكراما واحتراما
(فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا) بصيغة المفعول اى امرنا الله ورسوله (ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم ورأى ابن عمر محمد بن اسامة) اى ابن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال
ليت هذا عبدى) بفتح اوله وسكون الموحدة من العبودية بمعنى المملوكية وهى كما فى المطالع رواية البيهقى ورواية
القابسى بكسر اوله وسكون النون والاول اوجه انتهى وقال المزى بالنون هو المشهور قال الحجازى وهو الصحيح
فى الشفاء قيل وكذا فى البخارى الذى سمع على العراقى بالقلم (فقيل له) اى لابن عمر رضى الله تعالى عنهما (هو محمد بن
اسامة فطأطأ ابن عمر رأسه) اى اطرقه (ونقر بيده الارض) اى حياء مما صدر عنه (وقال) اى ابن عمر فى حقه (لو رآه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبه) اى لحب اباه اسامة (وقال الاوزاعى) كما حكى ابن عساكر فى تاريخ
دمشق (دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومولاه واسمها فاطمة
(على عمر بن عبد العزيز) اى حين كان اميرا المدينة نيابة عن ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان او فى
ايام خلافته (ومعها مولى لها يمسك بيدها) اى يقودها لكبرها او لضعف بصرها (فقام لها عمر) اى ابن عبد العزيز
(ومشى اليها) اى خطوات (حتى جعل يديها) وفى نسخة يدها (بين يديه ويداه فى ثيابه) اى تأدبا معها (ومشى بها
حتى اجلسها على مجلسه) بفتح اللام وهو موضع التكرمة وهو الذى نهى الشارع عن الجلوس فيه بغير اذن صاحبه

وبكسرها المحل الذى يجلس فيه كما يقال مسجد بالكسر للبيت الطاهر الذى يسجد فيه وبالفتح لموضع الجبهة فى السجود (وجلس بين يديها) اى متوجها اليها (وما ترك لها حاجة الا قضاها) لكونها بانت حبه ومولاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) اى فى ديوان الارزاق على مارواه الترمذى وحسنه (لابنه عبد الله فى ثلاثة آلاف) اى من الدراهم (ولاسامة فى ثلاثة آلاف وخمسمائة) اى زيادة على مافرض لابنه مع ان كليهما صحابى ابن صحابى وجلالة عمر وفضيلة ابنه غير مخفية على احد وكان التقسيم حينئذ بحسب المراتب فى المناقب لا على عدد الرؤس كما فى زمن الصديق رضى الله عنه (قال عبد الله لابيه لم فضلته) اى اسامة على (بما فضلته فوالله ماسبقنى) اى اسامة (الى مشهد) اى من المشاهد (فقال) اى عمر (له) اى لابنه انما فضلته (لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ابيك) قاله تواضعا والا فهو كان احب اليه من زيد لما فى الصحيحين عن عمرو بن العاصى رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله اى الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولعل زيدا كان احب الموالى اليه وفاطمة احب بناته وعليا احب اقاربه فلا تعارض (واسامة احب اليه منك) اى من حيثية كونه ابن مولاه (فآثرت) اى اخترت بالتقديم والتخصيص (حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على حبى) بكسر الحاء فيهما بمعنى المحبوب ويجوز ان تكون مضمومة مصدر حب قال الحلبى الحديث فى البخارى فى الهجرة عن نافع مولى ابن عمر ان عمر كان فرض للمهاجرين الاولين اربعة آلاف وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمسمائة فقيل له هو من المهاجرين فلم نقصته من اربعة آلاف قال انما هاجر به ابواه يقول ليس هو كمن هاجر بنفسه ولعل مانقله القاضى كان اولا ومافى الصحيح كان آخرا انتهى ولا يخفى انه لامنع من الجمع فى وقت واحد ايضا ثم قال وقوله هاجر به ابواه فيه نظر لان امه زينب بنت مظعون ماتت بمكة ولم تهاجر واجيب بان المراد بالابوين هنا الاب وزوجة الاب (وبلغ معاوية) اى ابن ابى سفيان كما روى ابن عساكر (ان كابس بن ربيعة) قد سبق ذكره (يشبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى الصورة فوجه معاوية اليه (فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه) اى بالاقبال بين يديه والمثول لديه (وقبل بين عينيه) اى مابينهما (واقطعه المرغاب) بميم مكسورة وقد تفتح فراء ساكنة فمعجمة فموحدة موضع اى جعل له اقطاعا يتفرد به انتفاعا (لشبهه) بفتحتين اى لمشابهته (صورة رسول الله) بالاضافة (صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ان مالكا رحمه الله) وهو ابن انس صاحب المذهب (لما ضرب به جعفر بن سليمان) اى ابن على بن عبد الله بن عباس فهو ابن عم ابى جعفر المنصور بقول بعضهم له انه لا يرى الايمان ليعتكم شيأ لان يمين المكره لا تلزم فغضب جعفر ودعاه وجرده (ونال منه ما نال) اى من ضرب وغيره فانه مدت يده حتى انخلعت كتفه لواز يلت منه (وحمل) اى الى بيته (مغشيا) اى عليه كما فى نسخة (دخل عليه الناس) جواب لما (فافاق) اى من غشيته (فقال) وفى نسخة وقال اى لمن فى حضرته (اشهدكم انى جعلت ضاربى) اى الآمر بضربى ويروى صاحبى (فى حل) اى فى براءة من ضربه اياى (فسئل) اى مالك (بعد ذلك) اى بعد جعله فى حل عن سببه هنالك ويروى فقيل له فى ذلك (فقال خفت ان اموت فالقى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاستحيى منه ان يدخل بعض آله) اى من ان يدخل بعض اقاربه من بنى عمه (النار بسببى وقيل ان المنصور اقاده من جعفر) اى طلب ان يقتص له منه ويقيده ففيه تجوز والمعنى اراد ان يؤدبه لقلة ادبه مع مالك (فقال له) اى مالك (اعوذ بالله) اى من ذلك (والله ما ارتفع منها) اى من اسواطه (سوط عن جسمى الا وقد جعلته فى حل لقرابته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فلم يزل مالك فى علو ورفعة بعد ذلك (وقال ابو بكر بن عياش) بتحتية مشددة وشين معجمة هو ابن سالم الاسدى الحناط بالحاء المهملة والنون المشددة المقرئ احد الاعلام اختلف فى اسمه على احد عشر قولا وصحح ابو زرعة ان اسمه شعبة ووافقه الشاطبى وصحح ابن الصلاح والمزى ان اسمه كنيته يروى عن حبيب بن ابى ثابت وعاصم وابى اسحق وعنه احمد وعلى واسحق وابن معين والعطاردى قال احمد صدوق ثقة ربما غلط وقال ابو حاتم هو وشريك فى الحفظ سواء وفى الميزان اثنان غيره يقال لكل منهما ابو بكر بن عياش قال الانطاكى مات فى جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين ومائتين وله ست وتسعون سنة اخرج له البخارى والاربعة (لو اتانى ابو بكر وعمر وعلى لبدأت بحاجة على قبلهما) اى قبل الشيخين (لقرابته) اى القريبة ويروى لقرباه (من رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا له وجه وجيه فى الاقدمية من هذه الحيثية واما قوله (ولأن اخر) بفتح همزة وكسر خاء معجمة وتشديد راء اى لأن اسقط (من السماء الى الارض) اى من المقام الاعلى الى المكان الادنى (احب الى من ان اقدمه عليهما) اى فى الافضلية فدفع توهم التفضيل فى القضية ثم فيه انه يجب على التابع ان يقدم من قدمه المتبوع ولذا اذن عمر رضى الله تعالى عنه بالدخول لبلال وسلمان قبل العباس وابى سفيان رضى الله عنهم حين اجتمعوا على باب عمر فقال ابو سفيان للعباس اتريد ان يقدم

علينا الموالى فقال العباس الذنب منا حيث تأخرنا فيما كان يجب التقدم علينا وهذا الذى اختاره ابن عياش رأى له والا فالجمهور على ان الافضل يستحق التقديم فى كل شئ فتأمل (وقيل لابن عباس رضى الله عنهما) كما رواه ابو داود والترمذى وحسنه (ماتت فلانة لبعض ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وسميت باسمها الا ان الراوى نسيها (فسجد) اى لعظم المصيبة وفقد الاعزة ولا يبعد ان يكون المراد بسجد صلى ركعتين لقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة (فقيل له) اى لابن عباس (أتسجد فى هذه الساعة) بهمزة الاستفهام التعجبية بناء على مخالفة العادة العرفية (فقال) اى ابن عباس (اليس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم آية) اى علامة خارقة للعادة من نحو كسوف وخسوف وشدة ريح وكثرة ظلمة (فاسجدوا) اى فصلوا (واى آية اعظم) اى خطرا وافخم قدرا (من ذهاب ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى واحدة بعد واحدة حيث انهن من اخص اصحابه واقرب احزابه (وكان ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما) اى مع جلالتهما (يزوران ام ايمن) واسمها بركة (مولاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وتقدم ترجمتها (ويقولان كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزورها) اى فيتعين علينا زيارتها تبركا بها وتأسيا بزيارته اياها والحديث رواه مسلم (ولما وردت) كما روى ابن سعد عن عمر بن سعد بن ابى وقاص مرسلا قال لما وردت (حليمة السعدية) اى امه من الرضاعة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى زائرة مسترفدة وفى سيرة الدمياطى ان الواردة عليه انما هى ابنتها الشيماء اخته من الرضاعة (بسط لها رداءه وقضى) اى نفذ (حاجتها) رعاية لحرمة الرضاعة وفى الحديث حسن العهد من الايمان (فلما توفى) اى رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت) وفى نسخة صحيحة وفدت اى امه او اخته من الرضاعة (على ابى بكر وعمر رضى الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك) اى مثل صنيعه عليه الصلاة والسلام فى الاكرام ومزيد الانعام مراعاة لحرمتها وتأسيا برعايتها ثم اعلم ان العلامة ابا محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى انكر اسلام حليمة وقال ان هذه القصة للشيماء ابنتها لكن رد عليه مغلطاى فى مؤلف له سماه التحفة الجسيمة فى اسلام حليمة فيمكن الجمع بينهما فى القضية والله تعالى اعلم بالحقيقة الحقية

(فصـــل)

(ومن توقيره) اى تعظيمه (وبره) اى ومن احسانه (عليه الصلاة والسلام توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم) اى حقوقهم من فتح البلاد ودفع اهل الفساد وايصال انواع العلوم الى اصناف العباد (والاقتداء بهم) اى فى افعالهم واقوالهم لقوله عليه الصلاة والسلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (وحسن الثناء عليهم) اى اجمالا كما قال تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذا فى مقام التفصيل اكمالا تبجيلا له عليه الصلاة والسلام واجلالا (والاستغفار لهم) لقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية (والامساك عما شجر) اى اختلف (بينهم) وما وقع لهم من التشاجر والاختلاف الصادر عنهم باجتهاد فلمصيبهم اجران ولمخطئهم اجر واحد كما ورد وكما قال الشاطبى رحمه الله تعالى

وسلم لاحدى الحسنيين اصابة * والاخرى اجتهاد رام صوبا فامحلا

وفى الحديث اذا ذكر اصحابى فامسكوا وفى حديث آخر اياكم وما شجر بين اصحابى (ومعاداة من عاداهم) اى من الرافضة والناصبة لان الصحابة لاشك انهم اولياء الله وقد ورد من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب (والاضراب) اى الاعراض (عن اخبار المؤرخين) بفتح الهمزة وكسرها اى عن اقوال اصحاب التواريخ فان غالبهم غير صحيح بل كذب صريح (وجهلة الرواة) اى ممن نقلوا الحكايات عن غير الثقات (كالرافضة) اى الطائفة التى رفضوا محبة الصحابة (وضلال الشيعة) اى ممن زعم متابعة على ومتابعته وهو برئ منهم ومتبعد عنهم واصل الشيعة الفرقة المتفقة على ملة من الطريقة ومنه قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ الآية وتطلق على الفرقة الذين يفضلون عليا كرم الله وجهه ويزعمون انهم من شيعته اى من اتباع سيرته (والمبتدعين) اى فى الدين كبعض المعتزلة (القادحة فى احد منهم) اى الطاعنة فى احد من الصحابة وهم برآء واتقياء فيجب ان يسكت عنهم (وان يلتمس لهم) بصيغة المفعول وكذا (فيما نقل عنهم) اى فى حقهم (من مثل ذلك) اى من موجب طعنهم (فيما كان بينهم من الفتن) اى المؤدية الى المحن اى يطلب (احسن التأويلات) اذ كلهم عدول بشهادة الله تعالى لهم حيث قال وكذلك جعلناكم امة وسطا اى عدولا (ويخرج لهم) بتشديد الراء المفتوحة اى يحمل لافعالهم (اصوب المخارج) اى المحامل (اذهم اهل لذلك) اى احقاء بهذا المسلك (ولا يذكر احد منهم بسوء) لان الله قد اثنى عليهم فى مواطن كثيرة من كتابه ووصى النبى عليه الصلاة والسلام امته فى تعظيم اصحابه بنحو قوله لا تسبوا اصحابى مع تعميم قوله عليه الصلاة والسلام لا تذكروا موتاكم الا بخير ولانه من الفواحش المحرمة باجماع اهل السنة على خلاف انه يعزر فاعله او يقتل

(ولا يغمص) بصاد مهملة على صيغة المجهول اى لا يعاب (عليه) اى على احد منهم (امر) اى يطعن به فيه لحديث الله الله فى اصحابى اى اتقوه فيهم فلا تنقصوهم ولا تحقروهم بل عظموهم ووقروهم وفى الحديث لما قتل ابن آدم اخاه غمص الله الخلق اى صغرهم وحقرهم فنقصهم وطعن فيهم طولا وعرضا وقوة وقوتا وفى نسخة يغمض بضاد معجمة والظاهر انه تصحيف وقيل فى معناه اى يصغر او يحتقر واغمض نام وفى الامر والبيع استجاز مالا يستجاز اوحط من ثمنه (بل يذكر حسناتهم وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك) اى عن غيره مما لا يليق بهم هنالك (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الطبرانى وابن اسامة عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم وذكرهم بما لا ينبغى فى حقهم (قال الله تعالى محمد رسول الله) هو خبر مبتدأ محذوف هو هو والجملة من مبتدأ وخبر (والذين معه) اى من الصحابة مبتدأ خبره (اشداء على الكفار رحماء بينهم) اى بالنسبة الى الابرار وسائر المؤمنين ولو من الفجار لقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (الى آخر السورة) يعنى (تراهم ركعا سجدا) اى راكعين ساجدين فى غالب اوقاتهم (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) فى سائر حالاتهم وهو بكسر الراء وضمها (سيماهم) اى علامة انوارهم لائحة (فى وجوههم من اثر السجود) اى من تأثير طاعاتهم واسرارهم (ذلك) اى الذى وصفوا به (مثلهم) اى صفتهم العجيبة وحالاتهم الغريبة المذكورة (فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) مبتدأ خبره (كزرع) تمثيل مستأنف (اخرج شطأه) بسكون الطاء وفتحها اى فراخه من اشطأ الزرع اذا افرخ (فآزره) من الموازرة اى المعاونة واصل معناه من جهة مبناه شد ازره وقواه (فاستغلظ) اى صار غليظا اى بعد ما كان دقيقا رقيقا (فاستوى على سوقه) بالواو والهمز جمع ساق بالوجهين اى استقام على قصبه قيل فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (يعجب الزراع) بكثرته وقوته واستحكام حالته حتى اعجب الناس من الابرار (ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم) من بيانية عند اهل السنة (مغفرة واجرا عظيما) هذا وقيل قوله تعالى والذين معه كناية عن الصديق واشداء على الكفار عبارة عن الفاروق ورحماء بينهم اشارة الى عثمان تراهم ركعا سجدا ايماء الى على يبتغون فضلا من الله ورضوانا تعميم بعد تخصيص واستدل به على تكفير الروافض والخوارج الفجار حيث قال تعالى ليغيظ بهم الكفار (وقال) اى عز وجل (والسابقون) اى فى مناقب الايمان ومراتب الاحسان (الاولون من المهاجرين) وهم من اسلم قبل الهجرة او من صلى الى القبلتين او من شهد بدرا (والانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة والعقبة الثانية وكانوا سبعين ومن آمن حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير (الآية) اى والذين اتبعوهم باحسان اى اللاحقون بهم الى يوم القيامة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم المرضية ورضوا عنه بما منحهم به من انعم الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها وفى قراءة المكى من تحتها الانهار خالدين فيها اى مقدرين الخلود فى نعيمها ذلك الفوز العظيم (وقال) اى عز وعلا وفى نسخة وقال تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك) اى فى الحديبية (تحت الشجرة) وتسمى بيعة الرضوان وقد تقدمت القضية (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من قتالهم اعداء الله وثباتهم مع رسول الله وهم عثمان ابن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ونحوهم (الآية) اى فمنهم من قضى نحبه اى نذره حتى قتل شهيدا كحمزة ومصعب وانس بن النضر ومنهم من ينتظران يقضى نحبه اى نذره ليفوز بالشهادة كعثمان وطلحة وسعيد وما بدلوا عهدهم تبديلا ولقد ثبت معه طلحة يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه السلام اوجب طلحة اوجب طلحة (حدثنا القاضى ابو على) اى ابن سكرة (ثنا) اى حدثنا (ابو الحسين) اى المبارك بن عبد الجبار الصيرفى (وابو الفضل) اى ابن خيرون (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو يعلى) اى البغدادى احمد بن عبد الواحد المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر اوله (ثنا محمد بن محبوب) المشهور بالمحبوبى (ثنا الترمذى) وهو الحافظ ابو عيسى صاحب السنن (ثنا الحسن) وفى نسخة صحيحة الحسين بالتصغير (ابن الصباح) بتشديد الموحدة وهو البزار براء فى آخره (ثنا سفيان بن عيينة) وهو الامام الجليل (عن زائدة) اى ابن قدامة ابو الصلت الثقفى الكوفى ثقة حجة صاحب سنة توفى غازيا بالروم سنة ستين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن عبد الملك) رأى عليا وسمع جريرا والمغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسفيانان اخرج له الائمة الستة (ابن عمير) بالتصغير (عن ربعى) بكسر راء فسكون موحدة وكسر مهملة فتشديد تحتية (ابن حراش) بكسر مهملة وتخفيف راء وفى آخره معجمة هو ابو مريم العبسى سمع عمر وابن مسعود وعنه منصور وابو مالك الاشجعى حجة قانت لله لم يكذب قط وحلف انه لا يضحك حتى يعلم اين مصيره فما ضحك الا بعد موته توفى سنة اربع ومائة اخرج له الائمة الستة (عن حذيفة) هو ابن اليمانى ابو عبد الله العبسى وفى الصحابة جماعة يقال لكل منهم حذيفة ومنهم من له رواية فلهذا ميزت هذا بابيه واليمانى

اثبات الياء فيه اصح من تركها وهو صحابى ايضا رضى الله تعالى عنهما ثم اعلم ان هذا الحديث قد اخرجه المصنف من عند الترمذى كما رأيت وقد اخرجه الترمذى فى المناقب به ورواه ايضا من طريق اخرى واخرجه ابن ماجه فى السنة من طريقين وقد اخرجه ابن حبان والحاكم من حديث حذيفة ورواه الحاكم من حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه وصحح اسناده (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدى ابى بكر وعمر) هذا امر بطاعتهما متضمن لثنائه عليهما ومؤذن بحسن سيرتهما وصدق سريرتهما ومشير الى انهما يكونان خليفتيه من بعده (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى عبد بن حميد عن ابن عمر (اصحابى كالنجوم) بجامع الاهتداء اذ بها يقتدى فى غياهب الظلمة الشنيعة وبهم يهتدى الى محاسن مراتب انوار الشريعة (بايهم اقتديتم اهتديتم) ولعل الحديث مقتبس من قوله سبحانه وتعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ويقويه قوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ثم اعلم ان قوله وقال اصحابى حديث آخر وقد اخرجه الدارقطنى فى الفضائل وابن عبد البر من طريقه من حديث جابر وقال هذا اسناد لا تقوم به حجة ورواه عبد بن حميد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما قال البزار منكر لا يصح ورواه ابن عدى فى الكامل باسناده عن نافع عن ابن عمر بلفظ فبايهم اخذتم بقوله بدل اقتديتم واسناده ضعيف ورواه البيهقى فى المدخل من حديث عمر ومن حديث ابن عباس بنحوه ومن وجه آخر مرسلا وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة قال الحلبى وكان ينبغى للقاضى ان لا يذكره بصيغة جزم لما عرف عند اهل الصناعة وقد سبق له مثله مرارا اقول يحتمل انه ثبت باسناد عنده او حمل كثرة الطرق على ترقيه من الضعيف الى الحسن بناء على حسن ظنه مع ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال والله اعلم بحقيقة الاحوال (وعن انس رضى الله تعالى عنه) فى رواية البزار وابى يعلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل اصحابى) زاد البغوى فى المصابيح وشرح السنة فى امتى (كمثل الملح فى الطعام) بجامع الصلاح اذ بهم صلاح الدنيا وفلاح العقبى (لا يصلح الطعام الا به) اى بالملح بحسب الحاجة الى القدر المصلح له قال الحسن قد ذهب ملحنا فكيف نصلح (وقال) عليه السلام (الله الله) بنصبهما اى اتقوه اوراعوه (فى اصحابى) اى فى خاصة (لا تتخذوهم غرضا) اى هدفا للطعن (بعدى) اى بعد موتى او بعد غيبتى لانى اقوم بنصرتى فى حياتى وحضرتى (فمن احبهم فبحبى) اى اياهم او فبحبهم لى (احبهم) ويؤيده قوله (ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم) وهذا بحسب الاعتقاد والاحوال واما باعتبار الاقوال والافعال فكما بينه بقوله (ومن آذاهم) اى باللسان او الاركان (فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله) اى فكانه آذاه (ومن آذى الله يوشك) بكسر الشين وتفتح اى يقرب (ان يأخذه) اى اخذ شديد ويؤاخذه بعذاب اكيد ولعل الحديث مقتبس من مجموع قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه مسلم وغيره (لا تسبوا اصحابى) قال النووى هو من اكبر الفواحش وسيأتى عن المصنف انه عده من الكبائر ويعزر عند الجمهور ويقتل عند بعض المالكية وكذا عند بعض الحنفية ففى بعض كتبهم ان سب الشيخين كفر (فلو انفق احدكم) اى كل يوم كما رواه عبد بن حميد فى مسنده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه مرفوعا لو انفق احدكم كل يوم (مثل احد) اى ما لا قدره او انفاقا مثله (ذهبا) تمييز (ما بلغ) اى جميعه (مد احدهم) وفى نسخة صحيحة مد اصحابى وهو بضم ميم وتشديد دال وخص بالذكر لانه اقل ما كانوا يتصدقون به واصله كان الرجل يمد كفيه فيملأهما طعاما اى قدر مد طعام احدهم مما انفقوا فى محلهم (ولا نصيفه) لما قارنه من صدق نية وصفاء طوية مع شدة الحاجة وكمال الآلة وقد ورد سبق درهم مائة الف درهم والنصيف بفتح فكسر بمعنى النصف بتثليث النون كما يقال عشر وعشير وقال الارزنجانى فى شرح المشارق النصيف مكيال معروف وهو دون المد والضمير فى نصيفه راجع الى احدهم لا الى المد والمعنى ان احدكم لا يدرك بانفاق مثل احد ذهبا من الفضيلة ما ادرك احدهم بانفاق مد من الطعام او نصيف منه ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى (وقال) اى فيما رواه الديلمى عن عويم بن ساعدة وابو نعيم فى الحلية عن جابر رضى الله عنه (من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) تأكيد لمن ذكر او للناس فقط اى كلهم اى الطرد والبعد عن الحق والسب والذم من الخلق (لا يقبل الله منه) اى ممن سبهم (صرفا) بفتح الصاد المهملة وسكون الراء اى توبة او نافلة (ولا عدلا) بفتح العين وسكون الدال اى فدية او فريضة وقال الماوردى الجمهور على ان الصرف الفريضة والعدل النافلة وعكسه الحسن وقال الاصمعى ان الصرف التوبة والعدل الفدية ومعنى القبول تكفير الذنوب بهما قال النووى

ومعنى الفدية هنا انه لا يجد فى القيامة فدآء يفتدى به بخلاف غيره من المذنبين الذين يتفضل الله تعالى على من يشاء منهم بان يفديه من النار بيهودى او نصرانى كما ثبت فى الصحيح وفى الحديث ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابوابها دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد لها مساغا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لها والا رجعت الى قائلها (وقال) كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه (اذا ذكر اصحابى فامسكوا) اى عن الطعن فيهم (وقال) كما رواه الديلمى (فى حديث جابر رضى الله عنه ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابى) وخير غيرهم بطريق الاولى وكذا من الامم الاولى (وفى اصحابى كلهم خير) الحديث خيركم قرنى فهم خيرة الله من خلقه بفتح الياء وسكونها اى من اختاره الله (وقال) كما روى الطبرانى فى الاوسط عن ابى سعيد الخدرى بسند حسن (من احب عمر فقد احبنى ومن ابغض عمر فقد ابغضنى) لما اوتيه من كرم الشيم وعلو الهمم (قال) وفى نسخة وقال (مالك ابن انس رضى الله تعالى عنه وغيره) اى من العلماء (من ابغض الصحابة) اى بجنانه (وسبهم) اى بلسانه والواو بمعنى او (فليس له فى فيء المسلمين حق) اى فيما ينال من اهل الشرك بعد ما تضع الحرب اوزارها وحكمه ان يكون لكافة المسلمين فاراد مالك رحمه الله بنفى حق من ابغض الصحابة وسبهم من الفيء انه يخرج بذلك عن جماعة المسلمين (ونزع) بنون مفتوحة فزاى فمهملة بصيغة الفاعل وقيل بصيغة المفعول اى بعد عن الفيء فلا حق له فيه فهو تاكيد لما قبله فتكون الباء فى قوله (باية الحشر) سببية والاظهر انه بصيغة الفاعل وان ضميره الى مالك وغيره يقال نزع باية من القرآن اذا تلاها محتجا بها اى واستدل كل منهم على قوله ذلك باية الحشر وهى قوله تعالى (والذين جاؤا) عطف على المهاجرين فى قوله للفقرآء المهاجرين اى وللفقرآء الذين جاؤا (من بعدهم) حين قوى شأن الملة اوهم تابعوهم باحسان الى يوم القيامة (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اى آمنوا قبلنا (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) اى حقدا وغشا (للذين آمنوا) اى من السابقين واللاحقين (ربنا انك رؤف رحيم) بالمحسنين روى عن مالك رحمه الله انه قال من تنقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان فى قلبه عليهم غل فليس له حق فى فيء المسلمين ثم تلا قوله تعالى وما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ قوله رؤف رحيم اراد ان الله تعالى قد بين من له الحق فى الفيء فى هذه الآية ورتبهم على ثلاث منازل الفقرآء المهاجرين والذين تبوؤا الدار يعنى المدينة وهم الانصار والذين جاؤا من بعدهم يعنى التابعين الذين يجيئون بعد المهاجرين والانصار الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا الى قوله تعالى ولا تجعل فى قلوبنا غلا اى بغضا للذين آمنوا فان فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين (وقال) اى مالك بن انس رضى الله عنه (من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار) وعن مالك ايضا انه قال حين تلا قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار من اصبح وفى قلبه غيظ على اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اصابته هذه الآية (وقال عبد الله بن المبارك خصلتان) اى صفتان كريمتان (من كانتا فيه نجا) من محن الدنيا والآخرة (الصدق) اى مع الحق والخلق (وحب اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال ايوب) وفى نسخة ابو ايوب وهى غير صحيحة (السختيانى) بفتح اوله وضمه وسكون المعجمة وكسر الفوقية سبق ذكره (من احب ابا بكر) اى محبة كاملة (فقد اقام الدين) اى بقدم تقدم اليقين (ومن احب عمر فقد اوضح السبيل) اى بين سبيل الله وهو الاسلام وعينه (ومن احب عثمان فقد استغنى بنور الله) اى عن الاستضاءة بما سواه (ومن احب عليا فقد اخذ) وفى نسخة فقد استمسك (بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كلهم (فقد برئ من النفاق) اى فهو مؤمن كامل صادق فى الوفاق (ومن انتقص) وفى نسخة ومن ابغض (احدا منهم فهو مبتدع) اى صاحب بدعة (مخالف للسنة والسلف الصالح) اى من اكابر الائمة (واخاف ان لا يصعد) بفتح اوله وبضمه اى لا يطلع (له عمل الى السماء) يعنى لا يقبل منه طاعة (حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه) اى لهم كما فى نسخة (سليما) اى من الغل والحقد (وفى حديث خالد بن سعيد) اى ابن العاص بن امية بن عبد شمس كنيته ابو سعيد وخالد هو ابن عمرو بن سعيد فسعيد جده قالت بنته ام خالد واسمها امية كان ابى خامسا فى الاسلام وقيل كان رابعا او ثالثا وقيل واسلم قبل ابى بكر او قبل على رضى الله عنه والله اعلم (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال) قال الحلبى وهو صحابى مشهور لكن لا استحضر له شيأ فى الكتب الستة ولا فى مسند احمد ولا فى مسند بقى ابن مخلد وان كان هذا من غيرهم فان كان تابعيا كان هذا الحديث مرسلا والا فمتصلا انتهى ووجدت بخط شيخ مشايخنا الحافظ السخاوى على هامش حاشية الحلبى ما صورته وجدت بخط الحافظ ايك على بعض نسخ الشفاء ما صورته كذا فيه خالد بن سعيد وانما هو خالد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشى والحديث ليس من روايته عن النبى

صلى

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا عن الصحابة وانما رواه خالد عن سهل بن يوسف بن سهل بن مالك ابن اخى كعب بن مالك عن ابيه عن جده سهل قال لما قدم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال (ايها الناس انى راض عن ابى بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس انى راض عن عمر وعن على وعن عثمان) وفى نسخة وعن عثمان وعن على (وطلحة) وفى نسخة عن طلحة اى ابن عبيد الله (والزبير) اى ابن العوام (وسعد) اى ابن ابى وقاص (وسعيد) اى ابن ابى زيد بن عمرو بن نفيل (وعبد الرحمن بن عوف) اى الزهرى (فاعرفوا ذلك لهم) ولم يذكر ابا عبيدة مع انه عاشرهم ولعله سقط من الراوى (ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية) بالتخفيف وتشدد وهى قرية سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بينها وبين مكة مرحلة وقد جاء فى الحديث وهى بئر قال ابو حنيفة ومالك وهى من الحرم وخالفهما الشافعى رحمهم الله وقال ابن القصار والواحدى بعضها من الحل وفى صحيح البخارى والحديبية خارج الحرم اى باعتبار بعضها فلا ينافى ما تقدم والله تعالى اعلم (احفظونى) اى راعونى (فى اصحابى واصهارى) اى خصوصا وهم آباء زوجاته ابو بكر وعمر وابو سفيان رضى الله عنهم (واختانى) اى ازواج بناته عثمان وعلى وابو العاص بن ربيعة (لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة) بكسر اللام من الظلم وهو الجور وبالفتح اسم ما يأخذه ظالم وقيل كل منهما يطلق على الآخر والكسر اكثر وعليه الاكثر (فانها) اى مظلمتهم (مظلمة لا توهب فى القيامة غدا) والحديث رواه الطبرانى فى معجمه الكبير من رواية على بن محمد بن يوسف بن شيبان بن مسمع ثنا سهل بن يوسف بن سهل بن اخى كعب عن ابيه عن جده فذكره (وقال رجل للمعافى) بفتح الفاء (ابن عمران) وهو ابو مسعود الازدى الموصلى احد الاعلام يروى عنه بشر الحافى وغيره قال شيخه الثورى رحمه الله هو ياقوتة العلماء اخرج له البخارى وغيره (اين عمر بن عبد العزيز) اى مقامه فى العدل والفضل (من معاوية فغضب) اى من قوله لما لاح له من اضمار افضلية ابن عبد العزيز على معاوية (وقال لا يقاس على اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم احد) اى لانهم خير من بعدهم لما سبق من حديث الديلمى والبزار ان الله اختار اصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين وحديث الشيخين خير امتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم عد بعض مناقبه التى تقتضى علو مراتبه حتى بالنسبة الى بعض اصحابه فقال (معاوية صاحبه وصهره) اى اخو ام حبيبة من امهات المؤمنين (وكاتبه) اى لمكاتيبه وغيرها (وامينه على وحى الله عز وجل) اى حيث كان يكتب الوحى على خلاف فيه ولعل السائل سأله عن عمله وزهده وعدله لكن المسئول عدل عن جوابه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا ذكر اصحابى فامسكوا وللايماء الى ان كل ما وقع منه يكون مكفرا ببركة صحبته ونتيجة خدمته ولذا لما سئل بعض العلماء مثل هذا السؤال قال فى الحال لغبار انف فرس معاوية مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خير من الف عمر ابن عبد العزيز ويؤيده قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ومعاوية وان اسلم عام الفتح لكن له سبق ظاهر على من اسلم بعده سوآء كان من الصحابة او التابعين والحاصل انه لا احد من علماء هذه الامة ومشايخ هذه الملة يبلغ مرتبة الصحابة ومنقبة الخدمة فان رؤيته عليه الصلاة والسلام كانت اكسيرا تؤثر تأثيرا كثيرا لمن رآه وآمن به صغيرا وكبيرا (واتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جىء (بجنازة رجل) بفتح الجيم وكسرها (فلم يصل عليه وقال) اى جوابا للسؤال عن الاشكال وهو امتناعه عن تلك الحال مع انها من جملة الكمال (كان يبغض عثمان) اى بغير وجه شرعى (فانا ابغضه) رواه الترمذى عن جابر وضعفه (وقال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن انس رضى الله تعالى عنه (فى الانصار) اى فى حقهم (اعفوا عن مسيئهم) اى عثراتهم (واقبلوا من محسنهم) اى كمالاتهم وللبخارى اوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين والانصار ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما روى ابو نعيم والديلمى عن عياض الانصارى وابن منيع عن انس رضى الله تعالى عنه (احفظونى) بفتح الفاء اى احفظوا وصيتى (فى اصحابى) اى عموما (واصهارى) اى خصوصا ولعله تغليب يشمل اختانه ايضا قال النووى فى شرح مسلم عن اهل اللغة الاختان جمع ختن اقارب زوج الرجل والاحماء اقارب زوج المرأة والاصهار يعم الجميع (فانه) اى الشأن (من حفظنى فيهم) اى راعانى فى حقهم (حفظه الله تعالى فى الدنيا والآخرة) اى من الهوان والعقوبة (ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه) اى تبرأ منه واعرض عنه (ومن تخلى الله عنه يوشك) بكسر الشين وتفتح اى يقرب ويسرع (ان يأخذه) اى يؤاخذه بما يستحقه من الوعيد ان اخذه اليم شديد (وعنه عليه الصلاة والسلام) فيما روى سعيد ابن منصور عن عطاء بن ابى رباح مرسلا (من حفظنى فى اصحابى كنت له حافظا يوم القيامة) اى من سوء العقوبة (وقال) كما رواه الطبرانى بسند ضعيف (من حفظنى فى اصحابى ورد على الحوض) اى وسقيته منه مع اصحابى رعاية

لحقوق صحبتهم وخدمتهم ومحبتهم (ومن لم يحفظنى فى اصحابى) اى من جهة حقوقهم (لم يرد على الحوض) اى من قريب (ولم يرنى الامن بعيد) وهذا اشد وعيد (قال مالك رحمه الله هذا النبى مؤدب الخلق الذى هدانا الله به) اى ارشدنا به الى امر الدين وعلم اليقين (وجعله رحمة للعالمين يخرج فى جوف الليل الى البقيع) بالموحدة فى اوله اى مقبرة اهل المدينة (فيدعو لهم) اى بالرحمة (ويستغفر لهم) اى عما فرط لهم من الزلة (كالمودع لهم) كما فى حديث مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يبالغ فى الدعاء والاستغفار لهم كالمودع عند الوداع لا يترك شيأ مما يهم المودع الاذكره واوصى به (وبذلك امر الله وامر النبى) صلى الله عليه وسلم (بحبهم) اى بمحبة الصحابة (وموالاتهم) اى موالاة من والاهم من اهل السنة والجماعة (ومعاداة من عاداهم) اى من الخوارج والروافض وسائر اهل البدعة (وروى عن كعب رضى الله عنه) اى كعب الاحبار كما ذكره الحلبى (ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الاوله شفاعة يوم القيامة) اى لمن بينه وبينه زيادة المودة وقال الدلجى وحديث كعب ابن سعد ليس مؤمن من آل محمد الاله شفاعة (وطلب) اى كعب (من المغيرة بن نوفل) اى ابن الحارث بن عبد المطلب ابن هاشم (ان يشفع له يوم القيامة) له رواية وكان من انصار على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وله جماعة اخوة ووالده نوفل اسر يوم بدر ففداه عمه العباس رضى الله تعالى عنه وهو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما جده الحارث بن عبد المطلب فهو اكبر ولد عبد المطلب وبه كان يكنى قال الحافظ عبد الغنى المقدسى لم يدرك الاسلام واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة وابو سفيان وعبد الله وكان نوفل اسن اخوته واسن من اسلم من بنى هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم وقد ذكره الحافظ ابو عمر بن عبد البر فى استيعابه فيكون خامسا غير انه يقال ومنهم من يجعل المغيرة اسم ابى سفيان والصحيح الاول يعنى انه غيره انتهى ولم يتعقب هذا الحافظ ابو الفتح اليعمرى حين ذكره واما الذهبى فقد ذكر فى كنى التجريد ابا سفيان فقال اسمه المغيرة قاله ابراهيم بن المنذر انتهى ولم يتعقبه وقال فى المغيرة بن الحارث ابن عبد المطلب قال ابن عبد البر هذا اخو ابى سفيان فوهم بل هو ابو سفيان انتهى والله تعالى اعلم (قال سهل ابن عبد الله التسترى لم يؤمن بالرسول) اى حق ايمانه (من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره) اى ولم يترك زواجره

(فصل)

(ومن اعظامه) اى تعظيم قدره فوق قدر غيره (واكباره) اى اعظام امره زيادة على اعظام امر غيره (اعظام جميع اسبابه) اى اسباب وصلته ومودته وفى حديث كل سبب ونسب ينقطع الاسببى ونسبى والمراد جميع ما ينسب اليه ويعرف به صلى الله عليه وسلم (واكرام مشاهده) اى مواضعه التى حضرها اونزل بها (وامكنته) اى مساجده (من مكة) كبيت خديجة رضى الله تعالى عنها مهبط الوحى ودار الارقم بن ابى الارقم وغار حراء وثور ومولده (و) من (المدينة) كمسجده وبيوته ومواطنه (ومعاهده) اى واكرام معاهده التى كان يتعاهدها كقبا اذ قد ورد انه كان يزورها كل سبت راكبا وماشيا (وما لمسه) اى مسه (عليه الصلاة والسلام اوعرف به) بصيغة المجهول اى مما يمكن اكرامه الآن واعظامه فى هذا الزمان (وروى عن صفية بنت نجدة) بفتح نون وسكون جيم فدال مهملة (قالت كان لابى محذورة) وهو مؤذنه عليه الصلاة والسلام بمكة ولم يزل مقيما بها يؤذن حتى مات سنة تسع وخمسين قال الواقدى وتوارث الاذان بعده بمكة ولده وولد ولده الى اليوم فى المسجد الحرام وقيل كان مؤذنه بقبا ايضا وهو قرشى جمحى روى عنه ابن ابى مليكة وغيره اخرج له مسلم والاربعة واحمد فى المسند (قصة) بضم القاف وتشديد الصاد المهملة ما اقبل على الجبهة من شعر الرأس (فى مقدم رأسه) سمى بذلك لانه يقص وقال ابن دريد كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهرى شعر الناصية (اذا قعد وارسلها) اى لم يعقدها (اصابت الارض) اى وصلت اليها من طولها (فقيل له) اى لابى محذورة (الا تحلقها) اى الا تقصرها بحلق اوبقص (فقال لم اكن بالذى احلقها) آثر التكلم رعاية للمعنى على الغيبة باعتبار المبنى مع انها هنا هى القياس بدلالة اعادة الضمير الى الذى ولفظه لفظ الغائب ايثارا لتغليب التكلم عليها الان الذى وان كان بلفظه هو الغائب الا انه فى المعنى عبارة عن المتكلم (وقد مسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده وروى ابن عمر رضى الله عنهما) ماضى مجهول من الرؤية ابصر حال كونه (واضعا يده على مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها على وجهه) اى ومسح بها تبركا بموضع لمسه (وكانت فى قلنسوة خالد بن الوليد) بفتحتين فسكون فضم اى فى قبعته اوكوفيته (شعرات) بفتحتين (من شعره) بفتح العين ويسكن ويروى من شعراته (عليه الصلاة والسلام فسقطت قلنسوته فى بعض حروبه فشد عليها شدة) بفتح الشين اى ربطة طالت فيها المدة (انكر) وفى نسخة حتى انكر (عليه اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بعضهم (لكثرة من قتل فيها) اى فى مدة تلك الشدة وهى يحتمل ان يكون مفعولا به لانكر

اومفعولا له (فقال) اى خالد معتذرا (لم افعلها بسبب القلنسوة) اى ذاتها كما توهمتم لانكم سببها ما عرفتم (بل) اى فعلته (لما تضمنته من شعره صلى الله تعالى عليه وسلم لئلا اسلب) بصيغة المجهول اى لئلا انزع (بركتها) بالنصب على انه مفعول ثان (وتقع) اى ولئلا تقع (فى ايدى المشركين) اى الانجاس الذين لم يعرفوا قدرها (ولهذا) اى ولتعظيم مشاهده وآثار معاهده (كان مالك رحمه الله تعالى لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول) اى فى وجهه اوفى جواب سائله (استحيى من الله ان اطأ) اى من ان ادوس (تربة) اى جملة تراب (فيها) اى دفن فى اجزاء تلك التربة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحافر دابة) متعلق باطأ اذ لو امكن للانسان ان لا يطأها برجليه وكان يقدر على ان يمشى فيها بعينيه لكان لائقا لتعظيم ما لديه صلى الله تعالى وسلم عليه (وروى عنه) اى عن مالك رحمه الله (انه وهب للشافعى كراعا) بضم اوله اى خيلا (كثيرا كان عنده فقال له الشافعى رحمه الله امسك منها دابة) اى واحدة تركبها عند الحاجة (فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمى) بضم ففتح وهو الامام الجليل (عن احمد بن فضلويه) بضم اللام وهو نظير نفطويه وعمرويه ونظائرهما فى التلفظ بالوجهين على ما تقدم (الزاهد وكان) اى احمد (من الغزاة الرماة) بضم اولهما جمع الغازى والرامى يعنى ممن يحسنهما والجملة معترضة (انه قال ما مسست) بكسر السين الاولى وتفتح اى ما لمست (القوس) اى قوسى اوقوس غيرى (بيدى الاعلى طهارة منذ بلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ القوس) اى تناول قوسه اوقوس غيره (بيده وقد افتى مالك رحمه الله فيمن قال تربة) ويروى ان تربة (المدينة رديئة) بالهمز وقد تشدد وهى فعيلة من الرداءة اى خبيثة غير طيبة (يضرب) بصيغة المجهول وفى نسخة يضرب بالباء السببية والصيغة المصدرية المضافة الى (ثلاثين درة) بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير ونصبها على التمييز (وامر بحبسه) اى تغليظا لامره (وكان له) اى والحال انه كان لهذا المعزر (قدر) اى جاه وعظمة امر عنده ومنزلة عند غيره (وقال) اى مالك رحمه الله زيادة على ما هنالك (ما احوجه) ما تعجبية (الى ضرب عنقه) اى فى جريمة ذلك (تربة دفن بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يزعم انها غير طيبة) اى مع انه عليه الصلاة والسلام سمى المدينة طابة طيبة (وفى الصحيح) اى عند الشيخين عن على وانس رضى الله تعالى عنهما (انه قال عليه الصلاة والسلام فى المدينة) اى فى شأنها (من احدث فيها حدثا) اى امرا مبتدعا منكرا لا يعرف فى السنة وقيل هو عام فى الآثام (او آوى) بالمد ويقصر اى ضم اليه اواليها (محدثا) بكسر الدال اسم فاعل اى جانيا بان اجاره ونصره على خصمه وحال بينه وبين ان يقتص منه اوبفتحها فيكون نفس الامر المبتدع وايواؤه الرضى به والصبر عليه وافشاؤه فمن رضى ببدعة واقر عليها محدثها ولم ينكرها مع القدرة على انكارها فقد آواها وقواها (فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا) اى نافلة (ولا عدلا) اى فريضة (وحكى ان جهجاها) بفتح اوله وفى نسخة جهجاه بلا تنوين (الغفارى) بكسر اوله قال الحلبى وهذا هو ابن مسعود وقال ابو عمر هو ابن سعد بن حرام وقال الطبرى المحدثون يزيدون فيه الهاء والصواب جهجا بدون هاء انتهى قال الذهبى جهجاه بن قيس وقيل ابن سعد الغفارى مدنى روى عنه عطاء وسليمان ابنا يسار وشهد بيعة الرضوان وكان فى غزوة المريسيع اجيرا لعمر الى ان ذكر عن ابن عبد البر انه هو الذى تناول العصا من يد عثمان رضى الله عنه فذكر القصة ثم قال وتوفى بعد عثمان بسنة وسيأتى قريبا انه مات قبل الحول اى من كسر العصا وقد تقدم الكلام على حديث كسر العصا فيما مضى (اخذ قضيب النبى) اى عصاه (صلى الله تعالى عليه وسلم من يد عثمان رضى الله تعالى عنه وتناوله ليكسره على ركبته) اى معتمدا عليها (فصاح به الناس) اى لمنعه عنه (فاخذته الآكلة) بمد وكسر كاف مرض معروف (فى ركبته فقطعها) اى فقطع ركبته خوفا من سرايتها الى بقيته (ومات قبل الحول) اى الحول الذى وقع كسره فيه (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه مالك وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (من حلف على منبرى) اى فوقه اوعنده اوحوله (كاذبا) اى يمينا فاجرة (فليتبوأ مقعده من النار) تهديد شديد ووعيد اكيد (وحدثت) بضم الحاء وتشديد الدال اى حكى لى (ان ابا الفضل الجوهرى لما ورد المدينة) اى السكينة (زائرا) اى مريدا للزيارة (وقرب من بيوتها) بضم الباء وكسرها (ترجل) بتشديد الجيم اى نزل عن دابته (ومشى باكيا منشدا) حالان متداخلان والانشاد قراءة شعر نفسه اوغيره والبيتان لابى الطيب احمد بن الحسين المتنبى وسيأتى ترجمة المتنبى ان شاء الله سبحانه وتعالى (ولما رأينا رسم من لم يدع لنا) رسم الدار اثرها (فؤادا) اى قلبا (لعرفان الرسوم ولا لبا) اى عقلا (نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة) الكور بالضم رحل الناقة باآلته كالسرج باآلته للفرس وكرامة نصب على العلة (لمن بان) اى ظهر رسمه (عنه) بالاشباع (ان نلم) من الالمام اى ننزل (به ركبا) من اسماء الجمع كرهط اوجمع راكب كصحب وصاحب فهو تمييز اوحال من ضمير نلم اى راكبين (وحكى) يروى وروى (عن بعض المريدين) اى للزيارة (انه لما اشرف على مدينة النبى

صلى الله تعالى عليه وسلم انشأ) ويروى انشد جعل (يقول متمثلا) اى شاهدا او واقفا فان حقيقة المثول هو الانتصاب على القدمين وقد يراد به القيام فى الامر والنهوض فيه بالهمة ولعله المراد هنا (رفع الحجاب لنا) بصيغة المجهول اى كشف الذى كان بيننا وبين من قصدنا جناب حضرته وباب عزته (فلاح لناظر) اى لمع ولمح (قمر تقطع) بصيغة المضارع مجهولا او بحذف احدى التائين او بصيغة الماضى معلوما اى تضمحل (دونه) اى عنده (الاوهام) وتنقطع لديه الافهام بسطوع نوره بكمال ظهوره (واذا المطى بنا بلغن محمدا) جمع مطية وهى التى يركب مطاها اى ظهرها ويقال يمطى بها فى السير اى يمد ومنه قوله تعالى يتمطى (فظهورهن على الرحال) بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم (حرام) مكافاة لهن على ايصالهن كما قال (قرب بنا من خير من وطئ الثرى) اى التراب او الارض (فلها علينا حرمة وذمام) بكسر اوله اى عهد وامان والابيات لابى نواس الحكمى يمدح بها الامين اى امين الدولة كذا بخط السخاوى وقد ذكر السهيلى فى روضه فى غزوة موتة كقول ابى نواس (وحكى عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له فى ذلك) حذرا عليه من النصب هنالك (فقال) اى فى الجواب (العبد الابق) اى الهارب الشارد من سيده (يأتى) اى أيأتى (الى بيت مولاه راكبا) وفى نسخة الى باب مولاه وفى اخرى لا يأتى (لوقدرت ان امشى على رأسى) بل على عينى (ما مشيت على قدمى) وهذا علامة الحب الصادق والادب الفائق وفى نسخة بتشديد الياء مشى (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) يعنى المصنف (وجدير) خبر مقدم اى حقيق ولائق وخليق (لمواطن) اى بمكة والمدينة (عمرت) بصيغة المجهول مخففا ومشددا (بالوحى) اى بوحى النبوة (والتنزيل) اى وتنزيل القرآن (وتردد فيها) وفى نسخة بها اى فى الاتيان اليها (جبرائيل) اى دائما (وميكائيل عليهما السلام) اى احيانا (وعرجت) اى صعدت (منها الملائكة) اى المقربون (والروح) اى وارواح الانبياء والمرسلين او الروح الامين (وضجت) بتشديد الجيم اى صوتت (عرصاتها) اى اماكنها وجهاتها والمعنى ارتفعت الاصوات فى عرصاتها وهى جمع عرصة وهى كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء (بالتقديس) اى التطهير عن التشبيه (والتسبيح) اى التنزيه (واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها) اى عن تلك الاماكن (من دين الله) اى المأخوذ من كتابه (وسنة رسوله ما انتشر مدارس آيات) جمع مدراس مفعال من الدرس وهو مكانه وفى الحديث تدارسوا القرآن اى تعاهدوه بتلاوته وهذا خبر مبتدأ محذوف اى وهذه مدارس آيات (بينات) اى واضحات او مبينات (ومساجد وصلوات) اى دعوات او عبادات (ومشاهد الفضائل) اى من مكارم الشمائل (والخيرات) اى الطاعات والمبرات (ومعاهد البراهين) اى الدلالات الواضحات (من الآيات) اى الخارقة للعادات (والمعجزات) اى على وفق الكرامات (ومناسك الدين) اى مذابحهم ومعابدهم (ومشاعر المسلمين) اى معالمهم ومعارفهم (ومواقف سيد المرسلين) اى اماكن وقوفه ومواطن حضوره ومنابع نوره (ومتبوأ خاتم النبيين) بفتح الواو وكسر تاء خاتم وفتحها ويروى مثواه بسكون المثلثة اى منزله ومأواه من مكة (حيث انفجرت النبوة) اى ظهرت ظهور الماء النازل من السماء (واين) اى من مكة وعينها (فاض عبابها) بضم اوله معظم السيل وارتفاعه وكثرة تموجه كذا فى القاموس اى سال عذبها الغمر بها (ومواطن مهبط الرسالة) بكسر الموحدة اى اماكن انزالها ونزولها من مكة حين ايصالها او وصولها وفى نسخة ومواطن طويت فيها الرسالة (واول ارض مس جلد المصطفى ترابها) بالرفع كذا فى بعض الاصول والاظهر نصبه والمراد به بعد الموت وفيه تلميح الى قول الشاعر

بلاد بها نيطت على تمائمى * واول ارض مس جلدى ترابها

(ان تعظم) بتشديد الظاء المفتوحة (عرصاتها) بفتحتين جمع عرصة بفتح فسكون وهى فى الاصل كل مكان واسع لا بناء فيه والتقدير تعظيم اماكنها وهو المبتدأ المقدم خبره وانما قدم عليه لمزيد تشويق السامع اليه ومن ثم طول الكلام فى المسند ليحسن كل الحسن فى المرام اذ بازدياد طوله يزداد حسنه وطوله كما ان بازدياده عليه يزداد الشوق اليه ومنه قول الشاعر

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

(وتنسم) بالبناء للمفعول اى تستنشق وفى نسخة وتنشم (نفحاتها) جمع نفحة من نفح الطيب اذا فاح وفى الحديث ان لربكم فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها وفى رواية تعرضوا النفحات رحمة الله تعالى (وتقبل) بتشديد الموحدة المفتوحة (ربوعها) بضمتين جمع ربع بفتح فسكون موحدة وهو المنزل ودار الاقامة وفى حديث مكة وقد قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اسامة بن زيد اين تنزل غدا يا رسول الله وهل ترك لنا عقيل من رباع جمع ربع ايضا (وجدراتها) بضم الجيم وبالفوقية فى اخرها لا بالنون وان كان هو ايضا جمع جدار وهو ما يحاط به عليها لمراعاة الصحب

(يادار

(يادار خير المرسلين) ويروى زين المرسلين (ومن به) قال الحلبى الذى ظهر لى ان هذا الشعر من قول المصنف انتهى وناداها من لوعة الاحتراق ولذعة الافتراق عن تلك البقعة المنيعة وسكان تلك الرقعة الرفيعة وقال يادار خير المرسلين لحديث البخارى انا سيد الاولين والاخرين ثم قال ومن به اى بسبب وجوده وكرمه وجوده (هدى الانام) اى هداية الخلق (وخص) اى هو (بالآيات) اى المنزلة والمعجزات المكملة (عندى لاجلك لوعة) اى شدة محبة وكثرة مودة موجبة لزيادة حرقة فى حالة فرقة (وصبابة وتشوق وتوقد الجمرات) الصبابة بفتح اولها اى رقة الشوق ودقة الذوق وعن النخعى كان يعجبهم ان يكون للغلام صبوة لانه اذا تاب فربما كان ارعوآؤه باعثا له على شدة اجتهاده وكثرة ندمه على ما فرط من عمله فى سبق قدمه وابعد له عن ان يعجب بحاله او يتكل على كماله ولان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص (وعلى عهد) اى وعد وعقد (ان ملأت محاجرى) بفتح الميم مادار بالعين اى نواظرى (من تلكم الجدرات) بضمتين (والعرصات) بفتحتين (لاعفرن) بتشديد الفاء المكسورة اى لالوثن واغبرن (مصون شيبى) اى شيبى المصون ووجهى المكنون بتقليبى لهما (بينها) اى بين المذكورات من الجدرات والعرصات (من كثرة التقبيل) اى تقبيل تلك الاماكن الشريفة (والرشفات) بفتحتين فقاف كذا فى الاصول ولعل معناها رمى سائر الاعضاء على تلك الاجزاء المنيفة من الرشق وهو الرمى بالنبل ففيه تجريد وتشبيه وفى اصل الدلجى بالفاء وكذا فى بعض النسخ المصححة فقال جمع رشفة وهى مص المحب ريق محبوبه انتهى ولا يخفى انه مع عدم وجوده فى كتب اللغة غير موافق لكلام الشاعر ومطلوبه ثم لو صحت الرواية بالفاء لتعين ان يقال المراد بها رشفات المشتاق ريقه لكمال حرارة شوقه ومرارة ذوقه فى ذلك المكان الموصوف بحسنه وبريقه ففى القاموس رشفه مصه ورشف الماء قليلا قليلا اسكن للعطش (لولا العوادى) جمع عادية وهى شغل يصرفك عن الشئ يريد والله تعالى اعلم ما يعترى الانسان من العوارض التى تكون عوائق (والاعادى) جمع عدو (زرتها) اى تلك المنازل بسير المراحل (ابدا) اى دائما (ولو) اى وان كانت زيارتى (سحبا) من قولك سحبت الشئ فانسحب اى جررته فانجر اى سيرا ومشيا (على الوجنات) بفتحتين جمع وجنة بفتح فسكون وبكسر اولها او بضم وهى اعلى الخد (لكن سأهدى) تكلم من الاهداء (من حفيل تحيتى) اى تحيتى الحافلة الكثيرة الكاملة (لقطين تلك الدار والحجرات) اى لمقيمها وخادمها من قطن بالمكان اذا لزمه وفى حديث الافاضة نحن قطين الله تعالى اى سكان حرمه بحذف المضاف ومنه قول زيد بن حارثة فانى قطين البيت عند المشاعر والحجرات بضمتين جمع حجرة بضم فسكون وهى بيت صغير من الدار منفرد عنها من الحجر وهو المنع او من الحجر لكونها مبنية منه (اذكى) بمعجمة اى اهدى من كثير التحية والثناء ما هو اضوع (من المسك المفتق) بمثناة فوقية مشددة اى المشقق ويقال فتق المسك اذا خلط به ما يذكى رائحته وقيل معناه المستخرج الرائحة (نفحة) تمييز للنسبة فى اذكى ازيل عن اصله للتفصيل بعد الاجمال ليكون اوقع فى نفس ارباب الاحوال (تغشاه) اى تحل بركاته وتغطيه (بالاصال) جمع اصيل من بعد العصر الى المغرب كذا قاله الدلجى تبعا للحلبى والاولى ان يقال من بعد الزوال (والبكرات) بضمتين جمع بكرة بضم فسكون اى اول النهار والمراد بهما الدوام فى الايام والليالى تابعة لها كما لا يخفى على الانام وفى القاموس الاصيل العشى والعشاء اول الظلام او من المغرب الى العتمة او من زوال الشمس الى طلوع الفجر والعشى والعشية آخر النهار (وتخصه بزواكى الصلوات) بفتح الياء اى بطواهرها وكذا فى قوله (ونوامى التسليم والبركات) اى بنواهرها ويروى بفضائل الصلوات ولطائف التسليم ولو روى بشرائف الصلوات ولطائف التسليم لكان الطف

(الباب الرابع)

اى من القسم الثانى (فى حكم الصلاة عليه والتسليم) اى عليه اولديه واخبر التسليم على السلام مع ان كليهما مصدر سلم لافادة زيادة التوكيد ولتحقق مطابقة لفظ التنزيل صلوا عليه وسلموا تسليما (وفرض ذلك) اى فرضيته (وفضيلته) وفى نسخة وفضله اى وفضل ذلك والمعنى فى بيان الحكم فى كميتها وكيفيتها واختلاف العلماء فى حقيقتها (قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى يعظمونه بالثناء عليه (الآية) تمامها يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اى ادعوا له وقولوا اللهم صل وسلم عليه والواو تفيد الجمعية لا المعية كما عليه الاصولية وارباب العربية فلا دلالة فى الاية على كراهية افراد الصلاة عن السلام وعكسه كما ذهب اليه النووى واتباعه من الشافعية وقد اوضحت المسألة فى رسالة مستقلة (قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته يباركون على النبى) اى ان الله يبارك له فى امره ويزيد فى قدره وتدعو الملائكة ربه ان يرفع ذكره ويظهر امره ففيه اشارة الى ان فى قوله يصلون مجازا مرسلا لا جمعا بين الحقيقة والمجاز ولا استعمال المشترك فى معنييه كما هو مبين فى الاصول لاهل الوصول (وقيل ان الله

يترحم على النبى) اى يبالغ فى انزال الرحمة عليه فكانه يطلب من نفسه الرأفة اليه (والملائكة يدعون له) اى ويتواضعون لديه (قال المبرد واصل الصلاة الترحم وهى) وفى نسخة فهى (من الله رحمة) اى انزالها وايصالها (ومن الملائكة رقة) اى موجبة للرحمة (واستدعاء للرحمة من الله تعالى) اى على نبى الامة وكاشف الغمة (وقد ورد) ويروى وقد روى (فى الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس) اى فى مسجد ونحوه (ينتظر الصلاة) اى الآتية او اذانها واقامتها (اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء) لكنه يليق بالامة ولا يبعد ان يكون دعاؤهم للنبى بان يقولوا اللهم عظم شانه وتمم برهانه واكرامته واظهر ملته وارفع درجته (وقال بكر) وفى نسخة ابو بكر (القشيرى الصلاة من الله تعالى لمن دون النبى) اى لغيره (رحمة) اى عامة (وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف) وهو رحمة خاصة (وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة) اى المقربين (وصلاة الملائكة الدعاء) اى بزيادة الاكرام والانعام للنبى عليه الصلاة والسلام (وقال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وقد فرق) بتشديد الراء وتخفيفها وهو اولى اى فصل (النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة) اى فى الحديث الذى رواه الشيخان وغيرهما من اصحاب السنن اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد (فدل انهما) اى الصلاة والبركة (بمعنيين) اى متغايرين لان المراد بالصلاة الثناء وبالبركة كثرة الخير والنماء (واما التسليم الذى امر الله تعالى به عباده) اى بقوله وسلموا تسليما وهو يحتمل ان يكون بمعنى الانقياد كما قال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ويحتمل ان يراد به التسليم الذى بمعنى التحية فان السلام تحية اهل الاسلام او خصوص الدعاء بالسلامة من الآفة للنبى عليه الصلاة والسلام (فقال القاضى ابو بكر بن بكير) بضم موحدة فكاف مفتوحة فتحتية ساكنة (نزلت هذه الآية على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فامر الله تعالى اصحابه ان يسلموا عليه) وكذا امرهم النبى ان يسلموا عليه فى الصلاة بان يقولوا السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته (وكذلك من بعدهم) اى من التابعين وغيرهم (امروا) اى تبعا لهم (ان يسلموا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند حضورهم قبره) اى خصوصا (وعند ذكره) اى عموما (وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة لك) اى حاصلة لك او السلامة الكاملة من الآفات الشاملة خاصة لك (ومعك) اى ومصحوبة معك لا تنفك عنك فى جميع احوالك (ويكون السلام مصدرا) اى كالسلامة (كاللذاذ واللذاذة) فانهما مصدران من لذ يلذ الا انهما من الثلاثى المجرد والاولان من المزيد (والثانى) اى من الوجوه (اى السلام) اى اسمه (على حفظك) اى محافظتك من موجبات قصورك (ورعايتك) اى مراعاة جميع امورك (متول له) اى متصرف لما ذكر من حفظك ورعايتك او متول عونه ونصره له (وكفيل به) اى ضمين بقيامه ومتكفل بنظام مرامه (ويكون هنا) اى فى الوجه الثانى (السلام اسم الله) اى مصدر وصف به مبالغة ومعناه ذو السلامة من كل نقص وآفة (الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له) اى المصالحة والموافقة (والانقياد) اى بالاذعان وترك المخالفة (كما قال تعالى فلا) اى فليس الامر كما زعموا (وربك) وقيل التقدير فوربك بشهادة فوربك لتسألنهم زيدت فيه لا لتأكيد القسم لا لتظاهر لا فى (لا يؤمنون) جواب القسم لان استواء النفى والاثبات فى زيادتها للتأكيد كما فى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون يأبى ذلك (حتى يحكموك) اى يجعلوك حاكما (فيما شجر بينهم) اى فيما وقع لهم من التنازع والاختلاف (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا) اى ضيقا شرعا لا طبعا اوشكا (مما قضيت) اى حكمت به (ويسلموا) اى وينقادوا لما حكمت به (تسليما) مصدر مؤكد لفعله بمنزلة تكريره اى وينقادوا انقيادا ظاهرا وباطنا لا ريبة فيه

(فصل)

(اعلم ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض) اى واجب مقطوع به (فى الجملة) وفى نسخة على الجملة اى اجمالا (غير محدد) وفى نسخة غير محدود اى غير موقت ومقدر (بوقت) اى بزمان معين (لامر الله بالصلاة عليه) والاصل فى الامر الوجوب كما عليه الجمهور (وحمل الائمة) يحتمل ان يكون مصدرا او ماضيا كما فى نسختين صحيحتين والمراد ائمة المجتهدين (والعلماء) اى من المفسرين والمحدثين (له) اى لامر الله (على الوجوب) بمعنى الفرض (واجمعوا عليه) اى على الوجوب والمراد باجماعهم اتفاق اكثرهم لقوله (وحكى ابو جعفر) اى محمد بن جرير الشافعى (الطبرى ان محمل الآية) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى الآية محمولة باعتبار امرها (عنده على الندب وادعى فيه الاجماع) اى على الندب (ولعله) اى الاجماع المذكور (فيما زاد على مرة) اى لئلا يخالف الاجماع المذكور (والواجب منه) مبتدأ

وهو اسم فاعل مشتق فلامه اسم موصول صلته (الذى يسقط به الجرح) بفتح الجيم وسكون الراء اى الطعن والقدح (وما ثم ترك الفرض) اى ويسقط به الاثم المترتب على تركه (مرة) خبر المبتدأ المقدم لانها اقل ما توجد فيها الماهية المطلوبة فيحمل عليها (كالشهادة له بالنبوة) اى المقرونة بالرسالة لوجوبها مرة اجماعا (وما عدا ذلك) اى واما ما زاد على مرة فيها (فمندوب) اى مستحب ومطلوب (مرغب فيه) اى مرغوب (من سنن الاسلام وشعار اهله) اى علامتهم فى احكام الاحكام (قال القاضى ابو الحسن ابن القصار) اى من المالكية (المشهور عن اصحابنا) اى علمائنا (ان ذلك) اى ما ذكر من ان الصلاة (واجب فى الجملة) اى فرض غير موقت بوقت معين (على الانسان وفرض عليه) اى على كل فرد من افراد الانسان من المؤمنين (ان يأتى به) اى بهذا الفرض وفى نسخة بها اى بالصلاة (مرة من دهره) اذ به يخرج من عهدة امره (مع القدرة على ذلك) اى على الاتيان بها اذ هى شرط له ولهذا تسقط عن الابكم (وقال القاضى ابو بكر ابن بكير) بضم موحدة وفتح كاف احد المالكية (افترض الله على خلقه) اى المؤمنين (ان يصلوا على نبيه) اى تعظيما وتكريما (ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك) اى الافتراض (لوقت معلوم) اى فى وقت معين وزمان مبين (فالواجب) اى مروءة او احتياطا او المراد به الوجوب الذى دون الفرض (ان يكثر المرء منها) اى من الصلاة (ولا يغفل) بضم الفاء اى لا يذهل (عنها) والمعنى انه تعالى لم يوقت ذلك ليشمل سائر الاوقات هنالك كما قيل فى الذكر انه سبحانه وتعالى قال اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فجعل لكل عبادة وقتا معينا الا ذكره عز وجل فانه لم يجعل له زمانا معينا سواء يكون ذكرا لسانيا او جنانيا وكذلك الصلاة عليه غير موقتة حيث قرن ذكره بذكره البتة (قال القاضى ابو محمد ابن نصر الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجبة فى الجملة) هذا قول مجمل وفى بيان تفصيله (قال القاضى ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من اهل العلم) اى من الائمة المجتهدين (الى) وفى نسخة بدونها (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان) اى بقيد الايمان المذكور فى القرآن فلا تجب على اهل الكفر والكفران (لا تتعين فى الصلاة) بمعنى انها لا تجب فيها ولا انها لا تصح الا بها كما قال الشافعى (وان) اى وذهبوا الى ان (من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعى) اى تبعا له (الفرض منها) اى من الصلاة (الذى امر الله) اى فى قديم كلامه (به) اى باتيانه (ورسوله) اى وامر به رسوله (عليه السلام) اى فى حديثه (هو فى الصلاة) اى منحصر فيها وهو عقب تشهدها قبل سلام تحللها واستدلوا بحديث ابى مسعود البدرى فى صحيحى ابن حبان والحاكم اما السلام عليك يا رسول الله فقد عرفناه اى فيما علمناه من تشهد الصلاة وهو السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا قال قولوا اللهم صل على محمد الى آخره زاد ابن ماجه وغيره والسلام على كما قد علمتم وفيه انه لا دلالة على فرضيتها على وجه خصوصيتها وبحديث ابن مسعود فيما رواه ابن ابى شيبة وسعيد بن منصور والحاكم بسند صحيح يتشهد الرجل فى الصلاة ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بعد وفيه ان هذا اخبار عن اقوال تقال فى الصلاة ولا دلالة على وجوب الصلاة بشهادة كون الدعاء مستحبا اجماعا وبحديث ابن عمر فيما رواه العمبرى بسند جيد لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على فى الصلاة اللهم صل على محمد وآل محمد الخ وفيه انه يحتمل ان المراد لا تكون صلاة كاملة ومع وجود الاحتمال يمتنع الاستدلال وقال الشافعى قد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم علمهم تشهد الصلاة وورد انه علمهم كيف يصلون عليه فيها فلم يجز ان نقول بوجوب التشهد فيها دون وجوب الصلاة عليه انتهى ولا يخفى انه يجوز ان يقع الامران ويكون احدهما للوجوب والاخر للندب على ان لفظ الحديث الصلاة المشتملة على آله والشافعى لم يقل بوجوب الجمع بينهما مع انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالدعاء فيها ايضا وهو مندوب ايضا قال الدلجى وزعم القرافى فى ذخيرته انه يستدل على وجوب الصلاة عليه عليه السلام فيه بالاجماع ولم يصب فى زعمه اذ لا اجماع على وجوبها فيه اقول ولعله اراد ان الاجماع على وجوب الصلاة فى الجملة وتعين الوقت فيه بالسنة وهذا معنى قوله (وقالوا) اى اصحاب الشافعى رحمهم الله (واما فى غيرها) اى غير الصلاة (فلا خلاف فى انها غير واجبة) اى فيتعين كونها فى الصلاة واجبة اذ لا بد من وجوبها مرة كما مر فقول الدلجى الامرة واحدة كما مر غير مستقيم فتدبر (واما فى الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر) وفى نسخة ابو جعفر بلفظ التثنية فانه كنية لهما (الطبرى) وهو محمد بن جرير من اكابر الشافعية (والطحاوى) وهو محمد بن احمد بن سلام من اكابر الحنفية (اجماع المتقدمين) اى من الصحابة والتابعين (والمتاخرين) اى من علماء الامة المجتهدين (على ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى التشهد غير واجبة) وعارضهما الدلجى بنقل النووى فى شرح المهذب ومسلم وابن كثير وابن قيم الجوزية وكثير بن

قالوا وجوبها عليه فيه عن أئمة من الصحابة كعمر وابنه عبد الله وابن مسعود وابى مسعود البدرى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم ومن التابعين محمد بن كعب القرظى والشعبى والباقر ومقاتل رحمهم الله ومن غيرهم احمد بن حنبل كما قال ابو زرعة الدمشقى الاخر عملا حتى ان بعضهم اوجب ان يقال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وقد الزم من قال من الحنفية بوجوبها فيه لتقدم ذكره فيه وفيه ان لهم ان يلتزموه لذكره لا لصحتها والظاهر ان الصحابة المذكورين وغيرهم لم ينصوا بوجوبها اذ هذا اصطلاح حادث وانما كانوا يقولون بوقوعها من غير ان يتعرضوا لكونه واجبا او مندوبا اللهم الا ان صرحوا بعدم صحة الصلاة بدونها او بصحتها من غير وجودها فحينئذ يعرف الاجماع بثبوتها او نفيها ولهذا قال ابن حجر العسقلانى لم ار من الصحابة احدا صرح بعدم الوجوب الا ما نقل عن النخعى وبهذا الاعتبار قال المصنف (وشذ الشافعى) اى انفرد هو ومن تبعه (فى ذلك) اى القول بوجوبها وعدم صحة الصلاة بدونها (فقال) اى الشافعى (من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من بعد التشهد الاخير) وفى نسخة الاخر وهو واشهد ان محمدا رسول الله (قبل السلام) اى سلام التحليل (فصلاته فاسدة) اى لانها ركن تفسد بتركه (وان صلى عليه قبل ذلك) اى قبل اشهد ان محمدا رسول الله على ما قاله الدلجى او قبل ذلك التشهد بان يقول بعد التشهد الاول (لم تجزه) كان حقه ان يقول لم تجزئه كما فى نسخة صحيحة لانه مهموز من اجزأه يجزئه اذا كفاه (ولا سلف) اى لا سابقة قدم (له) اى للشافعى والمعنى ان احدا من السلف ما وافقه (فى هذا القول) اى من الصحابة والتابعين وسائر المجتهدين (ولا سنة يتبعها) بتشديد التاء وتخفيفها اى من الاحاديث الدالة على وجوبها فيه ومن اعجب العجائب قول الدلجى وان تعجب فعجب قوله بعدم وجوبها عليه فيه منكرا على رأس المجتهدين الشافعى الى آخر ما ذكره فان الشافعى لم يكن رأس المجتهدين اصلا بل رأسهم واساسهم ابو حنيفة ومالك وامثالهما قطعا فيما يتعلق بالاجتهاد فصلا فلهما على غيرهما فى الفقه والحديث فضل واما قوله من ان موضوع هذا الكتاب يقتضى وجوب الصلاة عليه عليه السلام فامر خارج عن تحقيق المرام ثم قوله ان هذا ن ورطة العصبية فالمصنف منزه عن حمية الجاهلية ثم اغرب فى قوله لم اقل ذلك غمصا لمن شذ عما هدى امام الامة اليه من طيب القول بل امتثالا لقول عمر اذا رأيتم من يمزق اعراض الناس لا تقربوا عليه قالوا نخاف لسانه فقال ذلك احرى ان لا تكونوا شهداء (وقد بالغ فى انكار هذه المسألة عليه) اى على الشافعى (لمخالفته فيها من تقدمه) اى من السلف ممن لم يقل بوجوبها عليه (جماعة) اى من علماء الخلف (وشنعوا) بتشديد النون اى طعنوا (عليه الخلاف فيها) اى فى هذه المسألة (منهم الطبرى) وهو محمد بن جرير من الشافعية (والقشيرى) اى صاحب الرسالة منهم ابو بكر ابن العلاء المالكى (وغير واحد) اى وكثيرون من غيرهم (وقال ابو بكر ابن المنذر) هو الامام الاوحد محمد بن ابراهيم ابن المنذر النيسابورى شيخ الحرم توفى بمكة سنة تسع اوعشر وثلثمائة (يستحب ان لا يصلى احد صلاة) اى فرضا ونافلة (الا صلى فيها على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عقب التشهد الذى بعده التحليل (فان ترك ذلك) اى الاستحباب (فصلاته مجزئة) اى كافية له (فى مذهب مالك واهل المدينة) اى من علمائها السبعة (وسفيان الثورى واهل الكوفة من اصحاب الرأى) اى اهل الرأى الثاقب الذى هو من اعلى المناقب وقد سماهم أئمة الحديث به لاخذهم فيما اشكل من الحديث او فيما لم يرد به حديث بآرائهم (وهو قول جل اهل العلم) بضم الجيم وتشديد اللام وفى نسخة جل بضم جيم وفتح ميم وتخفيف لام اى اكثرهم وجمهورهم (وحكى عن مالك وسفيان) اى الثورى (انها فى التشهد الاخير مستحبة وان تاركها فى التشهد) اى الاخير (مسئ) اى ملام بترك السنة (وشذ الشافعى فاوجب على تاركها) اى عمدا او سهوا (فى الصلاة) فرضا او نفلا (الاعادة) لانها عنده ركن من اركانها الثلاثة عشر التى لا تتم الصلاة الا بها ولا تجبر بسجود سهو (واوجب اسحق) اى ابن ابراهيم بن راهويه المروزى عالم خراسان روى عنه الجماعة خلا ابن ماجه ثقة حجة توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين (الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان) ووافقه الخرقى من الحنابلة (وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن محمد ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو (ان الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فريضة) اى فى مذهب المالكية وهذا يحتمل ان يريد مرة او كلما ذكر او فى تشهد الصلاة (قال ابو محمد) هو ابن ابى زيد (يريد) يعنى ابن المواز (ليست) اى الصلاة عليه (من فرائض الصلاة) اى من اركانها (وقاله) اى وكذا قاله (محمد بن عبد الحكم وغيره) ومحمد بن عبد الحكم هذا هو الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى صاحب الشافعى يروى عن ابن وهب وطائفة وعنه النسائى وابن خزيمة والاصم وآخرون قال ابن خزيمة ما رأيت فى الفقهاء اعرف باقاويل الصحابة والتابعين منه مات سنة ثمان وستين ومائتين (وحكى ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد (وعبد الوهاب ان ابن المواز يراها) اى يرى الصلاة

(فريضة فى الصلاة كقول الشافعى) وصححه ابن الحاجب فى مختصره وابن العربى فى سراج المريدين وقال ابن عبد السلام المالكى وهو ظاهر كلام ابن المواز (وحكى ابو يعلى العبدى) بفتح مهملة وسكون موحدة (المالكى عن المذهب) اى مذهب مالك (فيها ثلاثة اقوال الوجوب) اى كما قال الشافعى واشياعه (والسنة) اى المؤكدة كما قال ابو حنيفة واتباعه (والندب) اى كما ذهب اليه مالك وبعضهم ولا فرق عند اكثر الشافعية بين السنة والندب واما عند غيرهم فتغايرهما بان السنة ما واظب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم والندب ما لم يواظب عليه وبه قال بعض الشافعية كالقاضى حسين (وقد خالف الخطابى من اصحاب الشافعى وغيره) بالرفع اى وغير الخطابى منهم الحافظ العراقى وابو امامة ابن النقاش (الشافعى فى هذه المسألة) اى حيث لم ير واله حجة واضحة من الادلة (قال الخطابى وليست) اى الصلاة عليه (بواجبة فى الصلاة وهو) اى عدم وجوبها (قول جماعة الفقهاء) اى من السلف والخلف (الا الشافعى) اى بالاصالة وانما وافقه من وافقه من الخلف على سبيل التبعية (ولا اعلم له فيها) اى فى المسألة (قدوة) بضم القاف وكسرها ويحكى فتحها اى مقتدى من السلف (والدليل على انها ليست من فروض الصلاة) وفى نسخة من فرائض الصلاة (عمل السلف الصالح) اى اقتفاء (قبل الشافعى) اى وجوده وظهوره (واجماعهم عليه) اى على ان ترك الصلاة عليه غير مفسد للصلاة (وقد شنع الناس) اى من المتأخرين (عليه) اى على الشافعى (هذه المسألة) اى فيها (جدا) اى بطريق المبالغة او مبالغين له فى التخطئة (وهذا تشهد ابن مسعود) اى الذى هو اصح الفاظ التشهد حيث رواه اصحاب الكتب الستة ولهذا اختاره بعض العلماء والمشايخ من الشافعية ايضا وقد ذكر ابن الملقن التشهدات الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فى تخريج احاديث الرافعى فبلغت ثلاثة عشر تشهدا ثم اجمعوا على جواز جميع الفاظ التشهد الوارد وانما الخلاف فى الاختيار فاختار ابو حنيفة تشهد ابن مسعود لكونه اصح سندا واختار الشافعى تشهد ابن عباس واختار مالك تشهد عمر الذى قرأه فوق منبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واما قوله (الذى اختاره الشافعى) فغير مشهور عنه بل الثابت عنه فى كتب اصحابه ان الذى اختاره تشهد ابن عباس لزيادة المباركات فيه الموافقة لقوله تعالى تحية من عند الله مباركة طيبة (وهو) اى تشهد ابن مسعود (الذى علمه له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس فيه الصلاة عليه وكذلك) مثل تشهد ابن مسعود (كل من روى التشهد عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كابى هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابى سعيد الخدرى وابى موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير) اى وغيرهم لما سبق (لم يذكروا فيه صلاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ولو كانت الصلاة فرضا كالتشهد لما تركوا ذكرها وفيه بحث لا يخفى اذ كل واحد منهما فرض على حدة ولا يلزم من ذكر احدهما ذكر الآخر لا سيما وقد اختلف مقام التعليم مع انه يمكن تاخير وجوب الصلاة بعد تقديم فرض التشهد (وقد قال ابن عباس) كما فى مسلم (وجابر) كما رواه الحاكم والنسائى (كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن) اى وانه اخص بالوجوب بخلاف الصلاة عليه فانه ما ورد فيها مثل هذا الاهتمام (ونحوه) اى ونحو ما ذكر عنهما روى عن ابى سعيد) اى الخدرى (وقال ابن عمر رضى الله عنهما) كما رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه (كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر) اى وهو فوقه (كما يعلمون) اى الفقهاء وفى نسخة بصيغة الخطاب اى كما تعلمون انتم (الصبيان فى الكتاب) بضم فتشديد اى فى المكتب وموضع تعليم الكتاب (وعلمه) اى التشهد (ايضا على المنبر عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اى ولم يرد عن احد منهم ذكر الصلاة عليه فى هذا الباب (وفى الحديث لا صلاة لمن لم يصل على) رواه ابن ماجه والحاكم فى مستدركه قال وليس على شرطهما اذ لم يخرجاه والطبرانى والدار قطنى قال وليس عندهم بقوى والعمرى والبيهقى بلفظ لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ولا صلاة لمن لم يصل على نبيه ولا صلاة لمن لم يحب الانصار (قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل على مرة فى عمره) وانما اوله بحديث البيهقى الدال على ان المراد به نفى الكمال اذ الاجماع منعقد على صحة صلاة من لا يحب الانصار والاتفاق على صحة من لم يذكر اسم الله على وضوئه خلافا لاحمد فاندفع قول الدلجى بانه تحكم وترجيح بلا مرجح وصرف للنفى عن المتبادر منه وضعا اعنى الحقيقة المجزئة الى ناقص لا غناء له ثم هذا كله لو ثبتت صحته (وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث) اى بجميع طرقه ويعمل بالحديث الضعيف ولا يستدل به قال السخاوى فى القول البديع وعن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا وضوء لمن لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم رواه ابن ماجة وابن ابى عاصم وسنده ضعيف وفى بعض طرقه من الزيادة لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه ومعناه لا وضوء كامل الفضيلة والتسمية عندنا من الفضائل ولا اعلم من قال بوجوبها الا ما جاء عن احمد فى احدى الروايتين عنه وبه قال اسحق بن راهويه واهل الظاهر فيتعين حمل الحديث على ما تقدم وهو مثل قوله لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وما اشبه

ذلك (وفى حديث ابى جعفر) الصادق محمد الباقر ابن زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهم (عن ابن مسعود عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صلى صلاة) اى فرضا اونافلة (لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل منه) اى قبولا كاملا وفى نسخة وقد روى موقوفا من قبل ابن مسعود رضى الله عنه (قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر محمد بن على بن الحسين رضى الله عنه) اى ابن على بن ابى طالب قال الحلبى وعلى كونه مرفوعا ايضا يكون منقطعا لان ابا جعفر لم يدرك ابن مسعود واين ابو جعفر من ابن مسعود فانه على ماقيل ولد سنة عشر ومائة وابن مسعود توفى سنة اثنتين وثلاثين (لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا على اهل بيته لرأيت) من الرأى اومعناه لظننت (انها لا تتم) اى لا تكمل وليس معناه انها لا تصح فبطل قول الدلجى قد حكم القاضى ولم يشعر على نفسه بان للشافعى فيما قاله سلفا هو ابو جعفر وقد انقلب عليه قول الشاهد لديه

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ❋ وينكر الفم طعم الماء من سقم

على ان الصلاة على اهل البيت ليست من فروض الصلاة اجماعا وعليه الشافعى وغيره فلو سلم ان مراد جعفر الصادق عدم صحة الصلاة بدونها فيكون ممن انفرد بها على انه لم يسنده الى نفسه بل يرويه غايته ان حديثه مسند متصل او منقطع وقد حكم بانه حديث ضعيف لا يصح الاستدلال به وزيد فى بعض النسخ (وراويه) اى ناقل هذا الحديث عن ابى جعفر (جابر الجعفى) بفتح الجيم وسكون العين (وهو ضعيف)

❋(فصـــل)❋

(فى المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام) وفى نسخة التسليم (على النبى صلى الله عليه وسلم ويرغب) بصيغة المجهول من الترغيب وهو ضد الترهيب وفى نسخة ويترغب (من ذلك) اى مما ذكر من المواضع وكان الاظهر ان يقول منها (فى تشهد الصلاة كما قدمناه) اى من الادلة واقوال الائمة (وذلك) اى محلها (بعد التشهد) اى الاخير على ما عندنا (وقبل الدعاء) اى قبل الدعاء الحديث ثم ليتخير من الدعاء ما شاء (حدثنا ابو على القاضى) اى ابن سكرة (رحمه الله تعالى بقراءتى عليه قال ثنا) اى حدثنا (الامام ابو القاسم البلخى ثنا الفارسى) بكسر الراء (عن ابى القاسم الخزاعى) بضم اوله (عن الهيثم) بفتح الهاء وسكون التحتية وفتح المثلثة وهو ابن كليب وفى نسخة صحيحة عن ابى سعيد الهيثم ابن كليب وعلى بن سعيد ضبة وكنية الهيثم ابو سعيد فلعله اراد بالضبة ان الكنية ليست فى الاصل والله اعلم (عن ابى عيسى الحافظ) اى الترمذى صاحب الجامع (ثنا محمود بن غيلان) مروزى حافظ يروى عن ابن عيينة وغيره وعنه اصحاب الكتب الستة سوى ابى داود (ثنا عبد الله بن يزيد) وفى نسخة زيد والصواب الاول وهو ابن عبد الرحمن (المقرئ) اسم فاعل من الاقراء وهو تعليم القراءة بتجويد الاداء وهو القصير مولى آل عمر بن الخطاب اصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابى حنيفة وموسى بن على بن رباح بالموحدة وحرملة وحيوة بن شريح وغيرهم وعنه البخارى واحمد وابن راهويه وابن المدينى وخلق كثير وثقه النسائى وغيره توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين (ثنا حيوة) وفى نسخة عن حيوة (ابن شريح) وحيوة بفتح حاء وسكون ياء وشريح بالتصغير (حدثنى) وفى نسخة حدثنا (ابو هانئ) بكسر نون فهمز (الخولانى) بفتح الخاء (ان عمرو بن مالك) وفى نسخة عمر والصواب بالواو (الجنبى) بفتح الجيم وسكون النون فموحدة فياء نسبة الى جنب بطن من مذحج البصرى وثقه ابن معين توفى سنة اثنتين وثلاثمائة اخرج له اصحاب السنن الاربعة (اخبره انه سمع فضالة) بفتح الفاء (ابن عبيد) وفى نسخة ابن عبيد الله والصواب الاول وهو انصارى اوسى شهد احدا والحديبية وولى قضاء دمشق لمعاوية (يقول سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته) اى فى آخرها (فلم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل الدعاء بها (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عجل هذا) بكسر الجيم مخففة اى استعجل فى دعائه لنفسه قبل ثنائه على ربه الذى هو وسيلة لقبوله وفى نسخة عجل بتشديد الجيم المفتوحة اى عجل امر الدعاء على الصلاة (ثم دعاه) اى طلبه (فقال له ولغيره) اى فخاطبه خطابا عاما غير مختص به (اذا صلى احدكم) اى وقعد فى التشهد الاخير (فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه) اى بقوله التحيات لله الخ (ثم ليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى كما مر (ثم ليدع بعد) اى بعد الصلاة عليه (بما شاء) اى بما احتاج اليه اى بما لا يسأل من الناس والحديث اخرجه الترمذى فى الدعوات وقال صحيح واخرجه ابو داود ونحوه فى الصلاة وكذا النسائى (ويروى من غير هذا السند بتمجيد الله) اى بتعظيمه وهو بتقديم الميم على الجيم بدل بتحميده بتقديم الحاء على الميم ومعناهما متقاربان (وهو) اى اللفظ الثانى او سنده (اصح) اى مما قبله عند المصنف وفيه بحث اذ روى الاول ابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم ثم لا دلالة فى الحديث على وجوب الصلاة كما توهمه الدلجى لان هذا امر شفقة ونصيحة فى مراعاة السنة بدليل امره بالدعاء المجمع على انه للاستحباب

بل فيه دليل على عدم الوجوب حيث انه لم يأمره باعادة الصلاة (وعن عمر بن الخطاب قال الدعاء والصلاة) اى المكتوبة والنافلة (معلق) اى كل منهما (بين السماء والارض لا يصعد) بفتح اوله وضمه اى لا يطلع ولا يرفع (الى الله) اى محل قبوله او مكان عرشه (منه) اى مما ذكر من الدعاء والصلاة (شئ) اى منهما (حتى يصلى) اى الداعى وفى نسخة بصيغة المجهول فى صلاته (على النبى صلى الله عليه وسلم) اى قبل دعائه رواه الترمذى الا انه فى الحصن الحصين بلفظ حتى يصلى على نبيك وفيه تنبيه نبيه على ان منشأ الحكم المذكور هو وصف النبوة ونعت الوسيلة (وعن على كرم الله وجهه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمعناه) رواه ابو الشيخ فى الثواب عنه (وقال) اى على فى رواية زيادة (وعلى آل محمد) ولفظ البيهقى فى شعب الايمان الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد واهل بيته وفى رواية وآل محمد وهذا معنى قوله (وروى ان الدعاء محجوب) اى ممنوع عن كمال حصوله وجمال وصوله (حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم) وفى الاقتصار عليه مرة وضم آله اخرى اشعار بان ذكر اهل بيته انما هو لبيان الاحرى ثم اعلم ان حديث على رواه الطبرانى فى الاوسط موقوفا وروى الحسن بن عرفة عن على مرفوعا وسنده ضعيف والصحيح وقفه لكن قال المحققون من علماء الحديث ان مثل هذا لا يقال من قبل الرأى فهو مرفوع حكما (وعن ابن مسعود) كما روى عبد الرزاق والطبرانى بسند صحيح عنه (اذا اراد احدكم ان يسأل الله شيأ) اى فى الصلاة وغيرها (فليبدأ بمدحه) وفى نسخة بحمده (والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى) اى هو (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ويمكن ان يكون يصلى مجزوما وبقاء الياء على لغة نحو قوله تعالى انه من يتقى ويصبر على رواية قنبل عن ابن كثير وهو الملائم لما قبله وما بعده من قوله (ثم ليسأل) اى مطلوبه (فانه اجدر) اى احق واليق حينئذ (ان ينجح) بضم الياء وكسر الجيم او بفتحهما من نجح ينجح والنجح اذا اصاب طلبته وتيسرت حاجته ونجحت وانجحت وانجحه الله وفى الحديث دليل على استحباب الصلاة حيث علل بقوله فانه اجدر ان ينجح فتأمل وتدبر (وعن جابر) فى رواية البزار وابى يعلى والبيهقى فى شعب الايمان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجعلونى) اى مؤخرا مع كونى مقدما (كقدح الراكب) اى حيث يعلقه من ورائه ويلتفت اليه عند حاجته قال الهروى معناه لا تؤخرونى فى الذكر كتأخير الراكب تعليق قدحه فى آخر رحله بعد فراغه من التعبية ويجعله خلفه قال حسان ❋ كما نيط خلف الراكب القدح الفرد انتهى ونحوه لابن الاثير وقد اخذه منه او التقدير لا تجعلونى مثل ماء قدح الراكب فى الالتفات اليه عند الحاجة وتركه عند حال السعة قيل وما قدحه يا رسول الله قال (فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه) اى فى رحله (ويرفع متاعه) اى على مركوبه او يضع القدح حيث وقع ويرفع متاعه حيث ارتفع (فان احتاج الى شراب) اى شربه (شربه او الوضوء) اى او احتاج اليه (توضأ واه) اى وان لم يحتج الى شربه ولا الى وضوئه (هراقه) اى صبه وفى نسخة اهراقه بسكون الهاء وقيل بفتحها والهاء فى هراق بدل من همزة اراق يقال اراق الماء يريقه وهراقه يهريقه هراقة ويقال فيه اهرقت الماء اهريقه اهرافا فيجمع بين البدل والمبدل قال الجازى ولا تفتح الهاء مع الهمزة (ولكن اجعلونى فى اول الدعاء واوسطه وآخره) اى اذكرونى بالصلاة على فى هذه المواطن خصوصا فانكم لن تستغنوا عنى عموما (وقال ابن عطاء للدعاء اركان) اى يقوم بها كالاخلاص (واجنحة) اى يطير بها او يصعد بسببها ولا بد من وجودها كاكل الحلال (واسباب) اى احوال للاجابة كحالة السجود والقراءة (واوقات) اى ازمنة خاصة لها كالسحر وساعة الجمعة وقد بيناها كلها فى شرح الحصن الحصين (فان وافق) اى الدعاء (اركانه) بان قارنها (قوى) اى باستناده اليها (وان وافق اجنحته طار فى السماء) اى صعد اليها (وان وافق مواقيته) اى ازمنته وامكنته (فاز) اى نجح اجابته وقضيت حاجته واستجيب قوله (وان وافق اسبابه انجح) اى ظفر بطلبته (فاركانه حضور القلب) اى لمشاهدة الرب (والرقة) اى اللينة من اثر الرحمة (والاستكانة) اى الخضوع والتضرع والمذلة (والخشوع) اى الانكسار والافتقار والخشية (وتعلق القلب بالله) اى بنفى ماسواه (وقطعه) اى الداعى (للاسباب) وفى نسخة عن الاسباب اى اعتمادا على رب الارباب (واجنحته الصدق) بان لا يجرى على لسانه الكذب ونحوه ويكون صادقا فى قوله وفعله وبارا فى عهده ووعده (ومواقيته الاسحار) اى ونحوها من مواقيت الاذكار وخصت بالاسحار لانها وقت الخلو عن الاغيار والخلوص عن الاكدار (واسبابه الصلاة) اى انواعها بجعلها فى اول الدعاء واوسطه وآخره (على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلاتين على لا يرد) اى بلا اجابة بل يستجاب البتة وقد قال الشيخ ابو سليمان الدارانى اذا سألت الله حاجة فابدأ بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ادع بما شئت ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو اكرم من ان يدع ما بينهما (وفى حديث آخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء) وهو مضمون حديث

الترمذی عن عمر (وفی دعاء ابن عباس الذی رواه عنه حنش) بفتح مهملة ونون فشین معجمة وهو ابن عبد الله شیبانی
صنعانی دمشقی نزل افریقیة روی عن علی وغیره وثقه ابو زرعة وغیره توفی سنة مائة (فقال فی آخره واستجب دعائی
ثم تبدأ بالصلاة علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم ان تصلی) ای بان تصلی وفی نسخة فتقول اللهم انی اسألك ان تصلی
(علی محمد عبدك ونبیك ورسولك افضل ما صلیت علی احد من خلقك اجمعین) تأکید لما قبله (آمین) بالمد وبقصر
قال الحلبی هذا الحدیث الذی اشار الیه القاضی لیس هو فی الکتب الستة والذی لحنش عن ابن عباس حدیث یا غلام
انی اعلمك کلمات احفظ الله یحفظك الحدیث اخرجه الترمذی فی الزهد وحدیث آخر عند ابن ماجه انه علیه السلام
قال لابن مسعود معك ماء قال لا نبیذ فی سطیحة الحدیث اخرجه ابن ماجه فی الطهارة ولیس له عن ابن عباس
شیء فی بقیة الکتب ولا فیها الا هذین لحنش هذا ترجمته فی المیزان وصحح علیه انتهی والحاصل ان الحدیث لیس له
اصل صحیح لکن الضعیف یذکر فی الفضائل والمصنف امام جلیل فی حسن الشمائل ومن حفظ حجة علی
من لم یحفظ والمثبت مقدم والله اعلم (ومن مواطن الصلاة علیه عند ذکره او سماع اسمه او کتابه) وفی نسخة او کتابه
(او عند الاذان) ای الاعلام الشامل للاقامة (وقد قال علیه السلام) کما فی روایة مسلم عن ابی هریرة (رغم)
بکسر الغین وبفتح ای لصق بالتراب وذل (انف رجل ذکرت عنده فلم یصل علی) وفی حدیث بعثت مرغمة للمشرکین
وفی هذا دعاء علیه ای لحقه هوان ومذلة مجازاة بترك تعظیمی بالصلاة علی حین سمع اسمی (وکره ابن حبیب) وهو عبد
الملك القرطبی احد الائمة ومصنف الواضحة (ذکر النبی صلی الله تعالی علیه وسلم عند الذبح) ولعل وجه الکراهة
توهم اشتراك اسمه باسم الله سبحانه بان یقول باسم الله وصلی الله تعالی علیه وسلم واما ان قال باسم الله والنبی ونحوه
فلا شك انه حرام ولا یحل اکل تلك الذبیحة وربما یکفر قائله والحاصل ان اصحاب ابی حنیفة کرهوا الصلاة فی هذا
الموطن کما ذکره صاحب المحیط وعلله بان قال لان فیها ایهام الاهلال لغیر الله تعالی (وکره سحنون) بفتح فسکون
فضم وهو منصرف وهو ابو سعید عبد السلام (الصلاة علیه عند التعجب وقال) ای فی تعلیله (لا یصلی علیه الا علی
طریق الاحتساب وطلب الثواب) عطف تفسیر لما قبله ویؤیده ما قال بعض ائمتنا من ذکر الله عند فتح سلعته او نشر
سلعته وارادة ترویجها او اجتماع الناس علیها یکفر وفی تحفة الملوك ومنحة السلوك للعینی ویحرم التسبیح والتکبیر
والصلاة علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم عند عمل محرم او عرض سلعة او فتح متاع انتهی فما ذکره الانطاکی من قوله
کذلك کره اصحابنا الحنفیة للسوقی ان یصلی علیه علیه السلام عند فتح بضاعته وعرضها علی المشتری لانه یقصد بذلك
تحسین بضاعته وترغیب المشتری فی تجارته لا الاحتساب وطلب الثواب ینبغی ان یحمل علی الکراهة التحریمیة
واذا قصد المثوبة وغیرها فتکون الکراهة تنزیهیة والله اعلم (قال) وفی نسخة وقال (اصبغ) بفتح فسکون فوحدة
مفتوحة فغین معجمة وهو غیر مصروف وهو ابن فرج بن سعید بن نافع ابو عبد الله الاموی مولی عمر بن عبد العزیز
المصری الفقیه روی عن ابن وهب والدراوردی وطائفة وعنه البخاری وجماعة قال ابن معین کان اعلم خلق الله
برأی مالك صدوق عالم ورع (عن ابن القاسم) وهو ابو عبد الله المصری الفقیه صاحب مالك وثقه غیر واحد ورع
زاهد اخرج له البخاری والنسائی وورد عنه قال خرجت الی مالك اثنی عشرة مرة انفقت فی کل مرة الف دینار
(موطنان لا یذکر فیهما) بصیغة المفعول (الا الله الذبیحة والعطاس) بضم اوله وهو العطسة (فلا تقل) بصیغة
الخطاب وفی نسخة بصیغة الغیبة مجهولا (فیهما) ای فی الذبیحة والعطاس (بعد ذکر الله محمد رسول الله) ای
لاختصاص ذکر الله تعالی بهما ویؤیده ما رواه ابو محمد الخلال بسنده عن معاذ بن جبل رضی الله تعالی عنه عن
النبی صلی الله تعالی علیه وسلم انه قال موطنان لا حظ لی فیهما عند العطاس والذبح واخرج الدیلمی فی مسند
الفردوس له من طریق الحاکم عن انس وهو عند البیهقی فی السنن الکبری عن الحاکم من غیر ذکر الصحابی عن
رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم قال لا تذکرونی فی ثلاثة مواطن عند العطاس وعند الذبیحة وعند التعجب
(ولو قال بعد ذکر الله صلی الله تعالی) وفی نسخة وصلی الله تعالی (علی محمد لم یکن تسمیته) وفی نسخة تسمیة
(له مع الله) لانها جملة منفصلة عما قبلها (وقاله) ای وذکره ایضا (اشهب) وهو ابن عبد العزیز بن داود ابو عمر القیسی
المصری الفقیه روی عن اللیث ومالك وطائفة وعنه سحنون وجماعة توفی بعد الشافعی بثمانیة عشر یوما وله اربع
وستون سنة اخرج له ابو داود والنسائی قال ابن یونس هو احد فقهاء مصر وذوی رأیها وقال ابن عبد البر
کان فقیها حسن الرأی والنظر فضله ابن عبد الحکم علی ابن القاسم فی الرأی (قال) ای اشهب (ولا ینبغی ان تجعل
الصلاة علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم فیه) ای فیما ذکر او فی کل منهما (استنانا) وفی نسخة استنانا
ای سنة واستحسانا خلافا للشافعی حیث قال لا اکره مع التسمیة علی الذبیحة ان یقول صلی الله تعالی وسلم علی

محمد بل احب ذلك (وروی النسائی) وکذا ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاکم وصححه (عن اوس بن اوس) ثقفی
صحابی سکن دمشق اخرج له اصحاب السنن الاربعة واحمد فی المسند قال الحلبی وفی الصحابة من اسمه اوس خمسة
واربعون (عن النبی صلی الله تعالی علیه وسلم الامر بالاکثار من الصلاة علیه یوم الجمعة) ولفظه قال قال رسول الله
صلی الله تعالی علیه وسلم من افضل ایامکم یوم الجمعة فیه خلق آدم وفیه قبض وفیه الصعقة فاکثروا فیه من الصلاة
علی فان صلاتکم معروضة علی قالوا کیف تعرض صلاتنا علیك وقد ارمت ای بلیت قال ان الله عز وجل
حرم علی الارض ان تاکل اجساد الانبیاء ورواه ایضا احمد وابن ابی عاصم والبیهقی والطبرانی وابن خزیمة وصححه
النووی فی الاذکار وجاء فی هذا الباب احادیث کثیرة وفی بعضها تعین عدد الصلاة بثمانین وفی بعضها بمائة
وفی بعضها بالف وکذا ورد احادیث فی الصلاة علیه لیلة الجمعة (ومن مواطن الصلاة علیه والسلام) ای الجمع بینهما
(دخول المسجد) ای بعد تحققه وحصوله او قصد دخوله ووصوله (قال ابو اسحق ابن شعبان) ای المصری المالکی
(وینبغی لمن دخل المسجد ان یصلی علی النبی صلی الله تعالی علیه وسلم وعلی آله ویترحم علیه وعلی آله ویبارك علیه
وعلی آله ویسلم) ای علیه وعلی آله کما فی نسخة (تسلیما ویقول اللهم اغفر لی ذنوبی وافتح لی ابواب رحمتك واذا خرج
من المسجد (فعل مثل ذلك) ای من الصلاة والدعاء ویروی یقول مثل ذلك (وجعل موضع رحمتك فضلك) وهذا
مأخوذ من حدیث احمد وابی یعلی والترمذی وحسنه عن فاطمة رضی الله عنها کان رسول الله صلی الله علیه وسلم
اذا دخل المسجد قال صلی الله علی محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لی ذنوبی وافتح لی ابواب رحمتك واذا خرج قال صلی الله
علی محمد وسلم ثم قال اللهم اغفر لی ذنوبی وافتح لی ابواب فضلك واصله فی حدیث مسلم ولیس فیه ولا فی غیره وترحم
وبارك ثم لا یخفی مناسبة طلب الرحمة فی دخول المسجد للطاعة وملائمة طلب الفضل وهو الرزق عند خروجه
علی وجه الاباحة کما یشیر الیه قوله سبحانه فاذا قضیت الصلاة فانتشروا فی الارض وابتغوا من فضل الله (وقال
عمرو بن دینار) هو ابو محمد مولی قیس مکی امام روی عن ابن عباس وابن عمر وجابر وعنه شعبة والسفیانان والحمادان
وهو عالم حجة اخرج له الائمة الستة (فی قوله) ای الله سبحانه (فاذا دخلتم بیوتا) بکسر الباء وضمها (فسلموا علی
انفسکم) ای علی اهلیکم تحیة من عند الله مبارکة طیبة (قال) ای ابن دینار وهو من کبار التابعین المکیین
وفقهائهم (ان) وفی نسخة فان (لم یکن فی البیت احد فقل السلام علی النبی ورحمة الله وبرکاته) ای لان روحه علیه
السلام حاضر فی بیوت اهل الاسلام (السلام علینا وعلی عباد الله الصالحین) ای من الانبیاء والمرسلین والملائکة
المقربین (السلام علی اهل البیت) لعله اراد بهم مؤمنی الجن (ورحمة الله وبرکاته) وظاهر القرآن عموم البیوت
لا سیما وسابقه بیوتکم وبیوت آبائکم الایة ویؤیده حدیث انس متی لقیت احدا من امتی فسلم علیه یطل عمرك واذا
دخلت بیتك فسلم علیهم یکثر خیر بیتك وصل صلاة الضحی فانها صلاة الابرار الاوابین (قال ابن عباس) ای
فی روایة ابن ابی حاتم (المراد بالبیوت هنا المساجد) ولعله اراد انها تشمل المساجد فانها افضل البیوت کما یشیر الیه
قوله سبحانه فی بیوت اذن الله ان ترفع الایة فالتنوین للتکثیر او اراد ان التنوین للتعظیم فیختص بالمساجد لانها
اعلی المشاهد (وقال النخعی) وهو ابراهیم بن یزید العالم الجلیل (اذا لم یکن فی المسجد احد فقل السلام علی رسول الله
واذا لم یکن فی البیت احد فقل السلام علینا وعلی عباد الله الصالحین) ولا منع من الجمع فیهما (وعن
علقمة) ای ابن قیس الفقیه النبیه (اذا دخلت المسجد) ای انا (اقول السلام علیك ایها النبی ورحمة الله وبرکاته صلی
الله وملائکته علی محمد) ای اجمع بین الصلاة والسلام علیه (ونحوه عن کعب) ای کعب الاحبار (اذا دخل المسجد
واذا خرج) ای فی الوقتین (ولم یذکر الصلاة) ای کعب بخلاف علقمة (واحتج ابن شعبان لما ذکره) ای فیما من انه
ینبغی لمن دخل المسجد ان یصلی الخ وروی لما ذکر (بحدیث فاطمة بنت رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم
ان النبی صلی الله تعالی علیه وسلم کان یفعله اذا دخل المسجد) لکن سبق انها لم تذکر فیه ترحما ولا مبارکة
وحدیثها اخرجه الترمذی فی الصلاة وفیه ارسال فاطمة بنت الحسین ولم یذکر فاطمة بنت النبی صلی الله علیه وسلم
واخرجه ابن ماجه فی الصلاة ایضا (ومثله) ای ومثل حدیثها ومثل حدیث علقمة (عن ابی بکر ابن عمرو بن حزم)
ای الانصاری قاضی المدینة وامیرها روی عن السائب بن یزید وغیره وعنه الاوزاعی ونحوه اخرج له الائمة الستة
(وذکر) وفی نسخة فذکر (السلام والرحمة وقد ذکرنا هذا الحدیث) ای حدیثها (آخر القسم) ای الثانی وفی نسخة
فی آخر هذا القسم (والاختلاف فی لفظه) ای من روایة عنها (ومن مواطن الصلاة علیه ایضا الصلاة علی الجنائز
وذکر) ای وروی (عن ابی امامة انها من السنة) قال الحلبی ابو امامة هذا الظاهر انه سعد بن سهل بن حنیف بن
واهب بن الحکم بن ثعلبة ابو امامة الانصاری ولد فی زمان رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم وسماه علیه السلام

وكذا وبرك عليه وحديثه مرسل وروى عن عمرو عنه الزهرى ويحيى بن سعد وخلق فان قيل لم قلت ان ابا امامة هذا الظاهر انه سعد فالجواب ان حديثه المشار اليه هو فى مستدرك الحاكم رواه من طريق يونس عن الزهرى اخبرنى ابو امامة ابن سهل انه اخبره رجال من الصحابة فى الصلاة على الجنازة انه يكبر الامام ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخلص الصلاة فى التكبيرات الثلاث ثم يسلم تسليما خفيفا حتى ينصرف والسنة ان يفعل من وراءه مثل مافعل امامه قال الزهرى حدثنى بذلك ابو امامة وابن المسيب يسمع فلم ينكر فذكرت الذى قال لمحمد بن سويد فقال وانا سمعت الضحاك بن قيس يحدث عن حبيب بن مسلمة فى صلاة صلاها على الميت مثل الذى حدثنا به ابو امامة على شرطهما سكت عليه الذهبى ولم يتعقبه وله حديث فى سنن النسائى السنة فى الصلاة على الجنازة ان يقرأ فى التكبيرة الاولى بام القرءآن مخافتة ثم يكبر ثلاثا والتسليم عند الاخيرة ثم اعلم ان التكبيرات عندنا اركان واما الثناء بعد الاولى والصلاة بعد الثانية والدعاء بعد الثالثة فسنن ولو قرأ الفاتحة بنية الثناء جاز وذكر الدلجى ان الصلاة على النبى عند الشافعى من اركانها ومحلها كما جزم به فى المنهاج التكبيرة الثانية لحديث النسائى ومحمد ابن نصر المروزى عن ابى امامة ابن سهل الصحابى لا ابى امامة الباهلى قال السنة فى الصلاة على الجنائز ان يكبر ثم يقرأ بام القرءآن ثم يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى التكبيرة الاولى ثم يسلم حديث صحيح صححه الحاكم وحكمه الرفع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ومن مواطن الصلاة التى مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها) اى على عاملها (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرسائل) اى المكاتيب والوسائل (ويكتب بعد البسملة) او الحمدلة لا قبلهما (ولم يكن هذا) اى ابتداء الرسائل بها (فى الصدر الاول) اى فى زمنه عليه السلام مطلقا او فى زمن اصحابه شائعا فلا ينافى ماذكره الدلجى من انه اول من فعله من الخلفاء ابو بكر بشهادة مافى سيرة الكلاعى ان بنى سليم لما ارتدوا كتب الى عامله عليهم طريفة بن حاجر بسم الله الرحمن الرحيم من ابى بكر خليفة رسول الله الى طريفة بن حاجر سلام عليك فانى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو واسأله ان يصلى على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اما بعد الخ وفى اذكار النووى عن حماد بن سلمة ان مكاتبة المسلمين كانت من فلان الى فلان اما بعد سلام عليك الخ واصله كتابه عليه السلام الى هرقل عظيم الروم ثم احدث هذه الزنادقة هذه المكاتبات المبدوءة بالطلبقة اى اطال الله بقاك (واحدث) بصيغة المجهول اى وابتدع ابتداء الرسائل بها (عند ولاية بنى هاشم) اى بنى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم واولهم السفاح (فمضى به عمل الناس فى اقطار الارض) اى نواحيها (ومنهم من يختم به) اى بما ذكر من الصلاة عليه عليه السلام (ايضا) مع الابتداء به او بدونه (الكتب) اى المكاتيب (وقال عليه السلام من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط بسند حسن والخطيب فى شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ فى الثواب وغيرهم (ومن مواطن السلام) اى بانفراده (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تشهد الصلاة) اى فى اثنائه (قال) كذا فى نسخة اى المصنف (حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرى الخطيب رحمه الله تعالى وغيره) اى من مشايخه المعروفة عنده ولا يضره قول الحلبى لا اعرفه (قال) اى ابو القاسم (حدثتنى كريمة) وفى نسخة صحيحة قالوا حدثتنا (بنت محمد) وفى نسخة بنت احمد وقد تقدمت (قالت ثنا) اى حدثنا (ابو الهيثم) اى الكشميهنى (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا ابو نعيم) بالتصغير هو الفضل بن دكين الحافظ يروى عن الاعمش وطائفة وعنه البخارى وجماعة (ثنا الاعمش) وهو سليمان بن مهران (عن شقيق بن سلمة) اى الاسدى مخضرم سمع عمر ومعاذا وقال ادركت سبع سنين من سنى الجاهلية وكان من العلماء العاملين اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله بن مسعود) وقد رواه اصحاب الكتب الستة عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اعتمد الدلجى على اصله السقيم فقال ظاهره على انه موقوف عليه وهو فى حكم المرفوع (قال اذا صلى احدكم) اى فرضا او نفلا (فليقل) اى فى كل قعدة من صلاته وجوبا (التحيات لله والصلوات والطيبات) اى العبادات القولية والفعلية والمالية كلها لله (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) قال الدلجى وانما قال عليك دون على النبى تبعا للفظه عليه السلام وقت علمهم وعدوله اليه ليخاطبوه اذ كان حيا فلما توفى ذهب بعضهم الى الغيبة بشهادة حديث البخارى عن ابن مسعود كنا نقول السلام عليك وهو بين ظهرانينا فلما قبض قلنا السلام على النبى قلت ان ثبت عنه انه اراد به ذا فى الصلاة فهذا مذهبه المختص به اذا جمع الائمة الاربعة على ان المصلى يقول ايها النبى وان هذا من خصوصياته عليه السلام اذ لو خاطب مصل احدا غيره وبقول السلام عليك بطلت صلاته (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها) اى جملة السلام علينا الى آخرها (اصابت) اى السلامة او كلمة السلام (كل عبد صالح فى السماء) من

الملائكة (والارض) من الانبياء والاولياء والصالح من يقوم باداء حقوق الله وحقوق عباده (هذا) اى وقت اداء الصلاة او تشهد الصلاة (احد مواطن التسليم عليه وسنته اول التشهد) اى بعد الثناء على الله سبحانه وقبل ان يقول اشهد (وقد روى مالك) اى فى الموطأ (عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه كان يقول ذلك) اى السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم) اى ليخرج من صلاته (واستحب مالك فى المبسوط) وفى نسخة فى المبسوطة (انه يسلم بمثل ذلك) اى استحب فيها ان يقال مارواه ابن عمر (قبل السلام) اى من صلاته قال الدلجى وليس هذا من مشهور مذهبه (قال محمد بن سلمة اراد) اى مالك (ماجاء عن عائشة وابن عمر رضى الله تعالى عنهما انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) اى ورحمة الله (واستحب العلماء ان ينوى الانسان) اى المصلى اماما او مأموما او منفردا (حين سلامه) اى من صلاته عن يمينه ويساره وفى نسخة عند سلامه (كل عبد) وفى نسخة على كل عبد (صالح فى السماء والارض من الملائكة وبنى آدم والجن) اى ممن حضره فان اصحاب ابى حنيفة على ان الامام ينوى بطرفيه من ثم من الملك والبشر وكذا المقتدى الا انه ينوى امامه ايضا فى تسليمة واحدة اذا كان فى احد طرفيه وفيهما اذا كان محاذيا والمنفرد ينوى الملك فقط وذكر الدلجى ان اصحاب الشافعى على ان الامام ينوى بسلامه المقتدين به وهم ينوون بسلامهم الرد عليه وغيره ينوى به من عن يمينه ويساره وهو الرد (وقال مالك رحمه الله فى المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم) قال الدلجى وهذا غريب ليس من مشهور مذهبه ثم اعلم ان مواطن الصلاة عليه تزيد على اربعين موضعا ولعله سبحانه وتعالى ان وفقنى على جمعها اجعلها فى رسالة مستقلة مع ماورد فيها من الادلة

* (فصل) *

(فى كيفية الصلاة عليه والتسليم) اى بالفاظ وردت عنه عليه الصلاة والسلام وثبتت عند العلماء الاعلام (قال) كذا فى نسخة اى المصنف (حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتى عليه ثنا القاضى ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة فغين معجمة عيسى بن سهل (ثنا ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية (حدثنا ابو بكر ابن واقد) بالقاف المكسورة (وغيره) اى من المشايخ (حدثنا ابو عيسى) المفهوم من كلام الدلجى انه الامام الترمذى وهو الظاهر عند الاطلاق وقال الحلبى هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير ووافقه الانطاكى ويؤيده قوله (ثنا عبيد الله) قال الحلبى هذا عم ابى عيسى الذى قبله وهو عبيد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) هذا هو يحيى ابن يحيى الليثى احد رواة الموطا عن مالك (ثنا مالك) وهو الامام (عن عبد الله بن ابى بكر بن حزم) وفى نسخة ابى بكر ابن عمرو بن حزم روى عنه السفيانان (عن ابيه عن عمرو بن سليم) بالتصغير (الزرقى) بضم الزاى وفتح الراء المخففة فقاف فياء نسبة انصارى يروى عن ابى قتادة وابى هريرة رضى الله تعالى عنهما وعنه الزهرى وطائفة (انه قال اخبرنى ابو حميد) بالتصغير (الساعدى) منسوب الى بنى ساعدة من الانصار خزرجى مدنى له صحبة بقى الى حدود ستين (انهم) اى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم (قالوا يارسول الله كيف نصلى عليك) وهو مطلق يشمل حال الصلاة وغيرها (قال قولوا) ربما يستدل به على فرضية الصلاة عليه فى الصلاة لان الاصل فى الامر الوجوب والاجماع على عدم وجوبها فى غير الصلاة ولعل الجمهور حملوه على الاستحباب مطلقا الا انها فى الصلاة آكد والله اعلم (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم) قيل الآل مقحمة وقيل المراد آل ابراهيم معه والتشبيه من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر لا من باب الحاق الناقص بالكامل فانه صلى الله تعالى عليه وسلم اكمل الخلق فالصلاة المطلوبة له من الحق محمولة على الافضل فالمعنى صل عليه صلاة مشهورة كشهرة صلاة الملائكة على ابراهيم لقوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وقد ورد فى بعض طرق الحديث زيادة انك حميد مجيد (وبارك) وفى رواية اللهم بارك (على محمد) اى اثبت وادم مامنحته اليه وانعمته عليه (وازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد) اى محمود بذاتك وصفاتك سواء حمدت اولم تحمد على لسان مخلوقاتك او حامد بكمالاتك على ما اظهرته من آلائك فى مصنوعاتك فهو الحامد والمحمود سبحانه وتعالى لا نحصى ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه واسنده اليه بنحو قوله فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (مجيد) اى كريم كثير الاحسان عظيم كبير الامتنان والحديث قد اخرجه القاضى من موطأ يحيى بن يحيى كما ترى وقد اخرجه البخارى ومسلم وابو داود والنسائى وابن ماجه كلهم عن مالك به فان قيل لم عدل عن اخراجه من الكتب المذكورة

فالجواب انه يقع له من الموطأ اعلى لان بينه وبين مالك فيه ستة اشخاص من غير اجازة فى الطريق (وفى رواية مالك)
اى فى الموطأ (عن ابى مسعود الانصارى رضى الله عنه) اى البدرى لنزوله بدرا وقيل لحضوره اياه وابو مسعود
هذا هو عقبة بن عمرو وقد تقدم (قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله) اى آل محمد (كما صليت على آل ابراهيم) وهو
صلى الله عليه وسلم ايضا من اشرف آله فتكون الصلاة مضاعفة عليه فى حاله واذا دخل فى الآل يرتفع ما سبق
فى التشبيه من الاشكال والله اعلم بالحال واعلم انه استشكل هذا الحديث بناء على القاعدة الاغلبية من ان المشبه
يكون افضل من المشبه به فقيل ان ذلك كان قبل ان يعلم انه افضل من ابراهيم عليهما السلام وقيل صدر عنه صلى الله
تعالى عليه وسلم تواضعا عند ربه او هضما لنفسه او تادبا مع جده وقيل سأل صلاة يتخذه بها خليلا كما اتخذ ابراهيم
خليلا وهذا الايتم الا بما قيل من انه اراد المشابهة فى اصل الصلاة لا قدرها كما فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم وقيل التشبيه وقع فى الصلاة على الآل والكلام تم عند قوله صل على محمد وقوله
وعلى آل محمد كلام مستأنف والمعنى وصل على آل محمد كما صليت ويحكى هذا عن الشافعى لكن تكلفه لا يخفى وقيل
هو على ظاهره والمراد اجعل لمحمد وآله صلاة كصلاة ابراهيم وآله فالمسئول مقابلة الجملة بالجملة لان المختار من القول
فى الآل انهم جميع الاتباع فيدخل فى آل ابراهيم خلائق لا يحصون من الانبياء كذا ذكره الانطاكى ولا يحتاج الى
تفسير الآل بالاتباع لان الانبياء عليهم السلام بعد ابراهيم كلهم من ذريته فانبياء بنى اسرائيل من نسل اسحق ونبينا
من نسل اسماعيل فهو صلى الله عليه وسلم من جملة آله فآله باعتبار هذا المعنى وما له اعظم والله اعلم (وبارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد) اى فى جميع الاحوال (مجيد) اى كثير البر والنوال
(والسلام كما قد علمتم) بكسر لام مخففة مع فتح اوله او مشددة مع ضم اوله اى كما عرفتم فى التشهد (وفى رواية كعب
ابن عجرة) بضم مهملة وسكون جيم وهو من اصحاب الشجرة روى عنه الشعبى وابن سيرين وغيرهما مات سنة احدى
وخمسين والحديث رواه الائمة الستة عنه مرفوعا (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم) وفى نسخة على
آل ابراهيم (وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد) اى مبالغ فى المجد والشرف والكرم وعن
على كرم الله وجهه اما نحن بنو هاشم فانجاد امجاد اى اشراف كرام (وعن عقبة بن عمرو) اى كما رواه مسلم وغيره
عنه مرفوعا (فى حديثه اللهم صل على محمد النبى الامى) اى الذى على اصل خلقته لم يتعلم قراءة ولا كتابة بعد ولادته
فيكون ظهور كمال علمه من خوارق عاداته (وعلى آل محمد) قال الشافعى رحمه الله هم من حرمت عليهم الزكاة قال
الدلجى ويؤيده قول الحسين بن على انا آل محمد لانأكل اولا يحل لنا الصدقة والاظهر ان المراد جميع
اقاربه واهل بيته وقيل ازواجه وذريته او جميع امته ورجحه النووى فى شرح المهذب وقيده القاضى حسين
بالاتقياء منهم فى حديث البخارى وربما يقال امة الاجابة كلهم اتقياء فان اول التقوى ترك الشرك وقد ورد كل تقى
آلى ثم على قدر مراتب التقوى تحصل المشاركة فى المقام الاعلى (وفى رواية ابى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه
اللهم صل على محمد عبدك) اى الاكمل (ورسولك) اى الافضل فالاضافة للتعظيم والتكريم اوللعهد المخرج توهم
التعميم وفيه ايماء الى الاعتراف بالعبودية والتحدث بنعمة رسالة الربوبية (وذكر معناه) اى معنى الحديث ومبناه
ويروى وذكر بمعناه (وحدثنا القاضى ابو عبد الله التميمى سماعا عليه وابو على الحسن بن طريف) بفتح مهملة (النحوى)
اى المنسوب الى النحو لمهارته فى علمه وشهرته فى فنه (بقراءتى عليه قالا) اى كلاهما (ثنا) اى حدثنا (ابو عبد الله
ابن سعدون) بفتح سين وضم دال مهملتين ممنوع وقيل مصروف (الفقيه) اى العالم بالفقه (ثنا ابو بكر المطوعى)
بفتح الواو مشددة (قال ثنا ابو عبد الله الحاكم) اى النيسابورى شيخ اهل الحديث فى عصره وصاحب التصانيف
فى دهره ولد سنة احدى وعشرين وثلاثمائة فى ربيع الاول وطلب من صغره الحديث باعتناء ابيه وخاله فسمع سنة
ثلاثين وثلاثمائة ورحل الى العراق وهو ابن عشرين وحج ثم جال فى خراسان وما وراء النهر وسمع من الفى شيخ تقريبا
وفى مستدركه احاديث ضعيفة وموضوعة ايضا لا يخفى بطلانها على من له معرفة بها وقد وثق جماعة قد ضعفهم
هو فى مواضع اخر وذكر انه تبين جرحهم بالدليل توفى فى صفر سنة خمس واربعمائة (عن ابى بكر ابن ابى دارم) بكسر
الراء (الحافظ) اى الشيعى التميمى محدث الكوفة سمع ابراهيم بن عبد الله ابن القصار واحمد بن موسى الحمار وغيرهما
روى عنه الحاكم وتكلم فيه وابو بكر ابن مردويه وآخرون وكان موصوفا بالحفظ لكن كان يترفض واتهم بالكذب
توفى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة (عن على بن احمد العجلى) بكسر مهملة وسكون جيم (عن حرب) بالموحدة
وفى نسخة حارث بالمثلثة (ابن الحسن) وهو الطحان قال الازدى ليس حديثه بذاك قاله فى الميزان قال الحلبى لكن
ذكره ابن حبان فى ثقاته (عن يحيى بن المساور) بضم الميم وكسر الواو وقال الذهبى فيه عن جعفر الصادق قال الازدى

كذاب (عن عمرو بن خالد) هو ابو خالد القرشى مولى بنى هاشم كوفى نزل واسط يروى عن حبيب ابن ابى ثابت
وزيد بن على وابى جعفر الباقر وجماعة وعنه حجاج بن ارطاة واسرائيل واسماعيل ابن ابى عياش وخلق كذاب له ترجمة
قبيحة فى الميزان (عن زيد بن على بن الحسين) اى ابن على بن ابى طالب وهو ابو الحسين العلوى المدنى اخو محمد الباقر
وعبد الله وعمر وعلى وحسين روى عن ابيه وابان بن عثمان وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه الزهرى وزكريا
ابن ابى زائدة وشعبة وعمرو بن خالد وخلق ذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة استشهد سنة
اثنتين وعشرين ومائة (عن ابيه على) ابوه على بن الحسين بن على بن ابى طالب زين العابدين يروى عن ابيه وعائشة
وابى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وابو الزناد وخلق قال الزهرى ما رأيت قرشيا افضل منه ثقة
مأمون (عن ابيه الحسين عن ابيه على بن ابى طالب قال) اى على (عدهن) اى الكلمات الآتية فالضمير مبهم مفسر
بما بعده (فى يدى) وفى نسخة بصيغة التثنية (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع على انه فاعل عد (وقال)
اى النبى عليه الصلاة والسلام (عدهن فى يدى جبريل وقال هكذا) اى الكلمات المعدودة (نزلت) بتسكين تاء
التأنيث وفى نسخة نزلت بهن (من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم) وفى نسخة ربنا اى يا ربنا (انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد) وهذا المقدار تقدم انه صحيح رواه اصحاب الكتب الستة عنه صلى الله عليه وسلم (اللهم وترحم)
بتشديد الحاء على صيغة الدعاء اى اظهر الرحمة الوافية والرأفة الكافية (على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن) اى اظهر الحنان وهو على ما فى القاموس كسحاب الرحمة والرزق والبركة
والوقار والهيبة ورقة القلب والحنان كشداد من اسمائه سبحانه وتعالى ومعناه الذى يقبل على من اعرض عنه
فلا يبعد ان يقال المعنى على قصد التجريد فى المبنى اللهم واقبل (على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد) قال
الحلبى هذا الحديث مسلسل وقد رويته عن غير واحد مسلسلا وقال الدلجى ما اورده المصنف هنا عن ابى عبد الله
الحاكم نقد قال النميرى اسناده ذاهب وفيه عمرو بن خالد الواسطى وهو متروك لوضعه على اهل البيت وفيه حرب
ابن الحسين الطائى ويحيى بن المساور وهما مجهولان قلت غايته ان الحديث ضعيف وقد اجمع العلماء على انه يعمل به
فى فضائل الاعمال (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه) اى برواية ابى داود عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم من سره) اى اعجبه (ان يكتال) بفتح الياء وروى بضمها اى يأخذ الاجر الاعلى (بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت) بالنصب على المدح او بتقدير يعنى وفى نسخة بالجر على انه بدل من الضمير فى علينا (فليقل) اى فى صلاته
او فى جميع حالاته (اللهم صل على محمد النبى) اى الموصوف بالرسالة (وازواجه امهات المؤمنين) ايماء الى قوله تعالى
وازواجه امهاتهم (وذريته) اى اولاده وحفدته (واهل بيته) اى اقاربه وهو تعميم بعد تخصيص مشيرا الى قوله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت (كما صليت على ابراهيم) اى بقولك رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد ولهذا ختم بقوله (انك حميد مجيد وفى رواية زيد بن خارجة الانصارى) وهو الخزرجى
الحارثى المتكلم بعد الموت على الصحيح وقيل هو ابوه وذلك وهم لانه قتل يوم احد وهذا تكلم فى زمن عثمان بن عفان
رضى الله تعالى عنه قال ابن منده شهد بدرا والحديث رواه الديلمى فى مسند الفردوس عنه (سألت النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم كيف نصلى عليك فقال صلوا) اى الصلاة بشرائطها واركانها وسننها (واجتهدوا فى الدعاء) اى
بعد التحريمة وفى الركوع والسجود وفى آخر الصلاة (ثم قولوا) اى وقولوا وعبر بثم للترقى او للتراخى فى الاخبار ولا يبعد
ان يراد بالاجتهاد فى الدعاء المبالغة فى الثناء بالتحيات الواردة عن سيد الانبياء ثم قولوا بعد السلام المندرج فى ضمن
التحيات قبل السلام الصارف عن الصلاة (اللهم بارك) اى اكثر الصلاة والرحمة (على محمد وعلى آل محمد كما باركت
على ابراهيم انك حميد مجيد) وفى الحديث دليل على انه يجوز الاكتفاء بهذا اللفظ الوارد وان كان ما سبق افضل واكمل
فتأمل (وعن سلامة الكندى) بكسر الكاف ذكره ابن حبان فى الثقات (كان على رضى الله تعالى عنه يعلمنا)
وفى رواية يعلم الناس (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لداخل الصلاة وخارجها وهو موقوف
وقد صح سنده قال الدلجى لكن اعل وان صح سنده بان روايته عنه مرسلة اذ لم يدركه انتهى وهو مردود بما ذكره
ابن حبان انه روى عن على وروى عنه نوح بن قيس الطاحى انتهى ومثل هذا لا يقال فى الارسال ثم رأيت قال الشيخ
ابن كثير فى تفسيره روينا من طريق سعيد بن منصور ويزيد بن الحباب ويزيد بن هارون ثلاثتهم عن نوح بن قيس
ثنا سلامة الكندى ان عليا كان يعلم الناس (اللهم داحى المدحوات) بتشديد الواو وفى رواية المدحيات بتشديد

التحتية فهما اسما مفعول من دحايدحو ويدحي اي ياباسط المبسوطات كالارض اذ خلقها ربوة ثم دحاها اي بسطها ومدها مد الاديم قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها والى الارض كيف سطحت وفي الآيتين رد على اهل الهيئة القائلة بغير هذه الكيفية من الكرة المخالفة للادلة النقلية بمجرد التوهمات العقلية (وبارئ المسموكات) من برأ الشئ اى خلقه بريئا من التفاوت قال تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وفى قرآءة من تفوت اى نقصان وزيادة وقصور فى مادة اى خالق المرفوعات من سمكه اذا رفعه كالسموات فانها امر تفعة عن السفليات مسيرة خمسمائة عام كما ثبت فى الروايات وروى سامك المسموكات اى رافعها وما احسن المناسبة بين الفقرتين فان معنى الاولى واضعها وخافضها كما قال تعالى والارض وضعها للانام وفى العبارة ترقى فى الكلام وفيه ايماء الى انه سبحانه وتعالى يرفع قوما ويضع آخرين كما تقتضيه اسماؤه الجمالية وصفاته الجلالية (اجعل شرائف صلواتك) اى خيارها وارفعها قدرا واتمها نورا قيل للاعمش لم لم تستكثر من الرواية عن الشعبي فقال كان يحقرني كنت آتي مع ابراهيم النخعي فيرحب به ويقول لي اقعد ثم ايها العبد ثم يقول

لا يرفع العبد فوق سنته * ما دام فينا بارضنا شرف

ولعله كان يعمل بما روى نزل الناس على قدر منازلهم فلا يكون تحقيرا له (ونوامي بركاتك) الاضافة فيها وفيما قبلها من قبيل اضافة الصفة الى الموصوف اى بركاتك النامية الزاكية الدائمة فى الزيادة الكافية الوافية (ورافة تحننك) اى اجعل رأفة تنشأ من تحننك والرأفة اشد الرحمة وفى نسخة تحننك بتاء فوقية فمهملة فنونين اى رحمتك ومنه قوله تعالى وحنانا من لدنا اى واجعل اشد تعطفك وترحمك (على محمد عبدك ورسولك) اى الجامع لوظيفة العبودية والقيام بحق الربوبية (الفاتح لما اغلق) بصيغة المجهول اى المبين لمشكلات الامور قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فهو فاتح لما عسر من ابواب كنوز المبرات واسباب رموز المسرات اذ قد فتح باقامة الحجة واشاعة المحجة ابواب الهداية واسباب الرعاية المانعة عن الوقوع فى الغواية وفى الحديث اوتيت مفاتيح خزآئن السموات والارض وكانه اراد ما سهله الله تعالى له ولامته من فتح البلاد واخراج كنوزها للعباد وفى حديث آخر اوتيت مفاتيح الكلام اى ما منحه الله تعالى من البلاغة والبراعة والفصاحة والنصاعة بالوصول الى حقائق المباني ودقائق المعاني مما اغلق على غيره من الخلق اجمعين (والخاتم) بكسر التاء وفتحها (لما سبق) اى من النبيين والمرسلين وفيه تلويح الى قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولا يبعد ان يراد بالفاتح الاسناد المجازى مشيرا الى انه الذى افتتح به الموجودات وابتدئ به الكائنات كما قال اول ما خلق الله روحي او نوري اولانه كالعلة الغائية فى ظهور المراتب الاسمائية كما ورد لولاك لما خلقت الافلاك وكما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو الاكمل فى مقام العبادة وحالة العبودية (والمعلن الحق) بالجر على الاضافة وبالنصب على المفعولية بنزع الخافض اى المظهر لامر الحق (بالحق) اى بطريق الصدق وليس المراد بهما معنى واحدا حتى يصح للدلجي ان يقول وضعه موضع ضميره قصدا لزيادة تمكينه وتلويحا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلن الا به نعم يمكن ان يراد بالحق اسمه تعالى فالمعنى انه مظهر للحق بمعاونة الحق ايماء الى مقام الجمع من ملاحظة فنائه وبقائه (والدامغ لجيشات الاباطيل) جمع جيشة وهى المرة من جاش اذا فار وارتفع والاباطيل جمع باطل على غير قياس وفى نسخة الاباطل بلا ياء واصل الدمغ اصابة الدماغ وهو مقتل والمراد به هنا الدفع ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق اى القامع لظهورها والدافع لشرورها (كما حمل) بضم الحاء وتشديد الميم المكسورة وهو خبر مبتدأ محذوف اى هذه الحال من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ذكر من الكمال مثل حال وصفه بما حمله من اعباء الرسالة واثقال النبوة (فاضطلع) بالضاد المعجمة افتعال من الضلاعة وهى القوة ومنها الاضلاع اى فقوى على ما حمله ونهض (بامرك) اى باذنك وتيسيرك واعانتك اياه عليه وتوفيقك له او فقام بما امورك الذى كلفته حمله (لطاعتك) اى لاجلها او ممتثلا لها وفى نسخة صحيحة بطاعتك فالباء للسببية تشارك اللام فى معناها (مستوفزا) بكسر الفاء بعدها زاى اى منتصبا ناهضا وقائما مستعجلا (فى مرضاتك) اى لطلب ما فيه رضاك او فى تحصيل مرضاتك وزاد الدلجي فى اصله بغير نكل فى قدم بضم نون وسكون كاف وكسر قاف وسكون دال من نكل به اذا جعله عبرة لغيره ومنه قوله تعالى فجعلناها نكالا والمعنى بغير جبن فى اقدام ولا وهن فى عزم اى ولا ضعف فى امر حزم وحكم حتم وجزم وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لابي بكر متى توتر قال اول الليل وقال لعمر متى توتر قال آخر الليل فقال لابي بكر اخذت بالحزم ولعمر اخذت بالعزم ولا خير فى عزم بلا حزم واما قول المصنف (واعيا لوحيك) فهو من وعى يعي وعيا اذا حفظ وفهم ومنه قوله تعالى اذن واعية ويقال للاناء الوعاء لحفظه ما فيه من نحو الماء اى مراعيا لما اوحيته اليه وفاهما لما بينته

لديه صلى الله وسلم عليه (حافظا لعهدك) اى الذى عاهدك عليه من الايمان بالوهيتك والاقرار بوحدانيتك والاخلاص فى عبوديتك والقيام بحق رسالتك وفى هذا تلويح الى قوله عليه الصلاة والسلام وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اى مقيم عليهما ومتمسك بهما مدة استطاعتي وحالة طاقتي لعجزي عن بلوغ كنه ما اوجبته علي من اطاعتي فى عبادتي وطاعتي او عن دفع ما قضيته علي فى سابق قضائك اى ان كنت قضيت علي ان انقض العهد وقتا ما فاني اتنصل منه معتذرا اليك (ماضيا) اى جاريا ومستمرا او مقدما (على نفاذ امرك) بالذال المعجمة اى على امضائه ترغيبا اليك وترهيبا لما لديك (حتى اورى قبسا) من اوريت الزند اذا اوقدته فاخرجت ناره والقبس بفتحتين ما اقتبس اى اخذ من النار فهو شعلة منها ومنه قوله تعالى بشهاب قبس واستعير النار هنا للنور والجملة غاية لما قبلها اى لم يزل مجاهدا فى ابلاغ ما امر به مرغبا فى موافقته مرهبا من مخالفته حتى اظهر دينا بينا كالقبس نورانيا (لقابس) اى لطالب النور الموجب للحضور والسرور (آلاء الله) بالرفع مبتدأ اى نعمه (تصل باهله اسبابه) بالنصب اى وسائله التى قدرها وذرآ نعمه التى قررها وفى اللوح المحفوظ حررها وفى اصل الدلجي لقابس آلاء الله بالاضافة اى لمبتغي سوابغ نعمه ومواهب كرمه تصل باهله اى باهل القبس يعني بالمبتغين له اسبابه بالرفع اى وسائله الموصلة اليه من العناية وتوفيق الهداية من البداية الى النهاية مما به الفوز ابدا معاشا ومعادا (به) اى به عليه الصلاة والسلام (هديت القلوب) بصيغة المفعول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى قلوب اهل السلام من بين الانام فانقادت مذعنة لقبول الاحكام (بعد خوضات الفتن والآثام) اى بعد دخول القلوب فى ميدان فتن الايام وشروعها فى مهاوى المعاصي والآثام (وانهج) اى عين وبين (موضحات الاعلام) وسقط فى اصل الدلجي لفظ وانهج فقال موضحات متعلق بهديت والاصل الى موضحات فحذف الجار واوصل الفعل اقول وعلى تقدير صحة تركه وانهج لا يبعد ان يقال المعنى حال كون تلك القلوب مبينات اعلام الغيوب وقال الانطاكي هو بفتح الضاد على بناء المفعول اى فاصبحت القلوب بما رزقت من الهداية به عليه الصلاة والسلام منشورات الاعلام انتهى ولا يخفى ان ما قدمنا اولى وانسب بقوله (ونائرات الاحكام) من نار لازما بمعنى ظهر اى واضحاتها وبيناتها وقول الحلبي نايرات بالنون اوله ومثناة تحت بعد الالف محمول على ما قبل الاعلال والا فيقرأ بالهمز فلا اشكال (ومنيرات الاسلام) من انار متعديا اى ومظهرات احكامه ورافعات اعلامه (فهو) بضم الهاء واسكانها لغتان مشهورتان وقرآءتان متواترتان والضمير راجع اليه صلى الله وسلم عليه (امينك المأمون) اى حافظ دينك وعهدك الذى ائتمنته عليه وفوضت امر بيانه اليه (وخازن علمك المخزون) اى وسائر ما استودعته من اسرار الربوبية التى تعجز عن ادراكها عامة ارباب العبودية كما قيل صدور الاحرار قبور الاسرار (وشهيدك) اى الشاهد عندك للانبياء والاصفياء وعلى اممهم الاشقياء (يوم الدين) اى يوم الجزاء وفصل القضاء قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فقيل المراد بالاشارة الى هؤلاء امته من العلماء والاولياء وهم شهداء على امم سائر الانبياء ويدل عليه قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولا منع من الجمع بين الشهادة للاصل والفرع (وبعيثك) اى مبعوثك الذى بعثته اى ارسلته (نعمة) اى للمؤمنين اى هداية ودلالة للكافرين (ورسولك بالحق) اى الى الخلق (رحمة) اى للعالمين لمن آمن فى الدنيا والاخرى ولمن كفر فى الدنيا لا فى العقبى (اللهم افسح له) اى وسع لاجله المقام الاعلى (فى عدنك) اى فى جنة عدنك ودار كرامتك فعدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة من عدن بالمكان اذا اقام به ولم يبرح منه سمى بها جنتها العلاقة الظرفية قيل عدن اسم جنة من جملة الجنان فهو فى الجنان كآدم فى نوع الانسان والصحيح انه اسم لجملة الجنان فكلها جنات عدن قال تعالى جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب وقال جنات عدن يدخلونها وقال ومساكن طيبة فى جنات عدن وجنات عدن التى وعدتهم والاشتقاق ايضا يدل على انه اعم والله اعلم ويروى فى عدلك ولعله بكسر العين وتخفيف الدال بمعنى وعدك اى فى موضعه ومحله (واجزه) بهمزة وصل وسكون جيم فزاى مكسورة ومنه قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وهذا هو الاصل المطابق للرواية الموافق للدراية وكانه تصحف على الدلجي حيث لم يذكر هذا الوجه الوجيه وقال يجوز ان يكون بهمزة قطع وجيم مكسورة وزاى من اجازه اذا اعطاه انتهى ولا يوجد فى القاموس هذا المعنى ثم قال ويجوز ان يكون بوصل وجيم مضمومة وراء اى اعطه اجره وفيه انه لا يتعدى الى مفعولين ويجوز فى مضارعه الكسر والضم ويجوز قطع همزه ممدودا مع كسر جيمه يقال أجره يأجره ويأجره وآجره كآجره فيرجع الى المعنى الاول فتأمل ثم رأيت الحلبي قال فى النسخة المذكورة بفتح الهمزة ثم جيم ساكنة ثم بالزاى المكسورة والصواب بوصل الهمزة انتهى وبه تبين خطأ الانطاكي حيث قال هو بهمزة مفتوحة مقطوعة وقوله (مضاعفات الخير) اى انواع الخير المضاعفة اضعافا كثيرة (من فضلك) اذ

لا يجب عليك شئ من عندك (مهنئات) بكسر النون المشددة وفى نسخة بفتحها وهو حال من مضاعفات من هنأنى الطعام يهنأنى اذا ساغ بلا تنغيص وكل ما اتاك بلا تعب كذا ذكره الدلجى وهو توهم انه من الثلاثى المجرد وليس كذلك بل هو من باب التفعيل (غير مكدرات) بكسر الدال المشددة وفتحها صفة لمهنئات اى غير منغصات (من فوز نوالك) بالزاى اى من اجل الظفر باجرك (المحلول) اى الذى يحل فيه وفسر بالمنول وتصحف الفوز على الدلجى فقال من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة اى من سريع فضلك الذى لا ابطؤ فيه (وجزيل عطائك) اى كثيره (المعلول) مأخوذ من العلل بفتحتين وهو الشرب ثانيا بعد النهل بفتحتين وهو الشرب اولا وقد وهم الدلجى حيث قال فى الاول بفتحات ثلاث وفى الثانى بثلاث فتحات والمعنى عطاؤك المضاعف تعل به عبادك مرة بعد اخرى فشبه وافر عطائه بمنهل عذب يرده العطاش ومنه قول كعب بن زهير رحمه الله كانه منهل بالراح معلول (اللهم أعل) بفتح الهمزة وكسر اللام امر من الاعلاء وفى نسخة عل بفتح العين وتشديد اللام المكسورة امر من التعلية اى ارفع (على بناء الناس) وفى رواية على بناء البانين جمع بان اسم فاعل من بنى يبنى بناء بالكسر (بناءه) والمعنى ارفع على عمل العاملين عمله او على منازلهم فى الجنة منزله او اعل بناء دينه على بناء اديان سائر الناس فيكون ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله اى ليعليه ويغلبه وفى نسخة بالمثلثة المفتوحة فى الموضعين بدل الموحدة المكسورة وقال الدلجى او اطل على ذواتهم ذاته حتى لا يطوله احد بشهادة قول سليمان عليه السلام من هدم بناء ربه تبارك وتعالى فهو ملعون يعنى من قتل انسانا ظلما من حيث ان اصل البناء ضم شئ الى شئ وهو اجزاء خلقها الله مضموما بعضها الى بعض مركبة فشبه بالبناء لذلك انتهى ولا يخفى ان هذا الدعاء انما يناسب فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم فانه كان لا يكتنفه طويلا الا طالهم مع انه كان ربعة الى الطول اقرب فى سائر احواله المناسب الى التوسط فى اعتداله اللهم الا ان يقال المراد باطالة ذاته بقاء جسده الشريف بعد مماته على ما كان عليه مدة حياته فان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء عليهم السلام وبلاغه قوله (واكرم مثواه لديك) اى منزله ومأواه عندك (ونزله) بضمتين ويسكن الزاى اى اجره وثوابه وجزاءه وهو فى الاصل الطعام المهيأ للضيف (واتم) بتشديد الميم المفتوحة وفى نسخة واتمم (له نوره) اى الذى سألك ان تجعله فى قلبه وبصره وسمعه وعن يمينه وعن شماله ليتحلى بانوار المعارف ويتجلى باسرار العوارف وفى الحديث تلميح الى قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا (وأجره) بفتح الهمزة وسكون الجيم فراء اى جزاءه الذى يوجب سروره قال الحلبى الاجر معروف وهو منصوب معطوف على ما قبله من قوله نوره والمفهوم من قول الدلجى واجزه الجزاء الاوفى انه تصحف عليه الراء بالزاى وانه جعله امرا معطوفا على اكرم او اتم وكانه تبع الحجازى فى قوله ويروى واجزه بهمزة وصل من الجزاء (من انبعاثك) مصدر من باب الانفعال من البعث اى من بعثك اياه وفى نسخة من الافتعال والجار متعلق باكرم وهو انسب او باتم وهو اقرب والمعنى لاجل اقامتك اياه من قبره (له مقبول الشهادة) اى تزكية لامته اذا شهد وللانبياء انهم قد بلغوا الامم الرسالة بعد ما جحدوا تبليغهم اى اياهم يوم القيامة ونصبه على الحال من ضميره له او على المفعولية وكذا قوله (مرضى المقالة) اى مقبول الشفاعة (ذا منطق عدل) مصدر سمى به فوضع موضع عادل مبالغة فى جعل منطقه عدلا اى ذا منطق مستقيم وذا كلام قويم ووهم الدلجى حيث قال مبالغة فى جعل نفسه عدلا فانه لو اريد به هذا المعنى لنصب عدل فى المبنى كما لا يخفى (وخطة فصل) اى وذا خطة فصل والخطة بضم المعجمة وتشديد المهملة الامر والحال والقصة والفصل القطع او الفرق او بمعنى الفاصل اى ذا حالة رشد وهداية واستقامة والمعنى اذا الم به خطب عظيم وامر مشكل جسيم فصله برأى قويم وفى حديث الحديبية لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى الا اعطيتهم اياها (وبرهان عظيم) اى وذا دليل واضح وبيان قاطع عظيم فى ميدان البيان بحيث يصير الشئ الغائب كالامر العيان (وعنه) اى وعن على كرم الله وجهه (ايضا فى الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى جملة الفاظها الواردة عنه كرم الله وجهه (ان الله وملائكته يصلون على النبى) اى فنحن اولى بذلك (الآية) يعنى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما يعنى لا سيما وقد امرنا بذلك تصريحا بعد ما اشير اليه تلويحا فيجب علينا اداء اجابته والقيام بحق اطاعته بان نقول (لبيك) اى اقامة بعد اخرى بخدمتك ودوما بحضرتك (اللهم) اى يا الله أمنا برحمتك واقصدنا بمنتك ونعمتك (ربى) اى يا ربى (وسعديك) اى نساعد عبادتك مساعدة بعد مساعدة فى طاعتك (صلوات الله البر) بفتح الموحدة وتشديد الراء وهو ابلغ من البار ولذا لم يرد فى اسمائه ومعناه كثير البر بعباده المؤمنين من اولى البر وفى الحديث تمسحوا بالارض فانها بكم برة اى عليكم مشفقة كالوالدة البرة بولدها البار يعنى ان منها خلقكم وفيها معاشكم ومنها بعد الموت معادكم وقد قيل البر البار باهله وقال تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا واما البحر فانه يغرق اهله ولا يفرق حزنه دمه وقد ورد البحر من جهنم

رواه الحاكم والبيهقى عن يعلى بن امية (الرحيم) اى كثير الرحمة بالمؤمنين وكبير العناية بالمحسنين (والملائكة المقربين) اى وصلواتهم (والنبيين) وهم اعم من المرسلين (والصديقين) اى العلماء العاملين (والشهداء والصالحين) اى القائمين بحقوق الله تعالى وبحقوق الخلق اجمعين (وما سبح لك من شئ) اى وصلوات جميع الاشياء فهذا تعميم بعد تخصيص كقوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فما موصولة معطوفة على ما قبلها ومن بيانية لها وفى نسخة بدون العاطفة فما مصدرية ومن زائدة اى صلواتهم دائمة مستمرة مدة تسبيح شئ لك اى ما دام يسبحك شئ (يا رب العالمين) اى مربيهم ومدبر امورهم (على محمد بن عبد الله خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها (وسيد المرسلين) لكونهم تحت لوائه يوم الدين (وامام المتقين) اى من ارباب اليقين (ورسول رب العالمين) اى الى كافة الخلق اجمعين (الشاهد) اى للانبياء (البشير) للاولياء (الداعى اليك باذنك) اى بامرك وتيسيرك (السراج المنير) اى من ابصر بنوره ذو العماية واستبصر بظهوره ذو الغواية (وعليه السلام) اى مما يغشى غيره من الملام وسوء المقام ومن دعائه عليه الصلاة والسلام اذا دخل رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلمه لى وسلمنى منه اى لا يغشانى فيه ما يحول بينى وبين صومه وسلمه لى اى حذرا من ان يغم على الهلال اوله وآخره فيلتبس على صوما وفطرا وسلمنى منه اى بعصمتى فيه (وعن عبد الله بن مسعود) كما رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان (اللهم اجعل صلواتك) اى اجناسها (وبركاتك) اى انواعها (ورحمتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير) اى الكثير على الامة (ورسول الرحمة) اى على الكافة (اللهم ابعثه مقاما) نصبه على الظرفية اى مقاما عظيما وهو المقام المحمود الذى يحمده الاولون والاخرون بالشفاعة الكبرى والصغرى لقوله عليه الصلاة والسلام هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولا يبعد ان يراد بامته جماعته المحتاجة الى شفاعته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه مقاما يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة يجمع الناس فى صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا معنى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (يغبطه) بكسر الموحدة اى يتمنى مثل مقامه (فيه الاولون والآخرون) وفى الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط اى بخبط ورقها دون قطعها والمقصود ان الغابط كالخابط ينتفع بالمغبوط والمخبوط من غير ان يحصل هناك ضرر لاحد منهما (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم) اى من الانبياء من ذريته (انك حميد مجيد) وقد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه (وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول من اراد ان يشرب بالكأس الاوفى) اى بالحظ الاعلى (من حوض المصطفى) اى من بحر شرعه المرتضى فى الدنيا ومن نهر كوثره فى العقبى (فليقل) اى دائما او كثيرا بالقلب الاصفى (اللهم صل على محمد وعلى آله) اى من يؤول اليه امره ويعظم لديه قدره وهو يحتمل التعميم والتخصيص ويروى وعلى آل محمد (واصحابه) اى من ادرك جمال صحبته وتشرف برؤية طلعته (واولاده) اى الشاملة ابنائه واحفاده (وازواجه) اى زوجاته وسرياته (وذريته) ولو كان بواسطة كثيرة فى نسبته (واهل بيته) اى المتناول لمواليه وخدمه (واصهاره) اى من بينه وبينه مصاهرة كالشيخين والختنين (وانصاره) اى من المهاجرين والانصار (واشياعه) اى اتباعه من اهل القرى والامصار (ومحبيه) اى من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار (وامته) اى الداخل فيهم المؤمنون الفجار (وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاووس عن ابن عباس) فى رواية عبد بن حميد وعبد الرزاق بسند جيد واسماعيل القاضى فى فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن ابن عباس (انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى) اى العظمى وهى التى بفصل القضاء بين اهل الموقف بما يستحقون من الجزاء (وارفع درجته العليا) اى مرتبته العالية ومنزلته الغالية (وآته سؤله) اى أعطه مسؤوله (فى الآخرة والاولى) اى الدنيا وسميت اولى لتقدمها على الاخرى (وعن وهيب) بالتصغير وفى نسخة وهب (ابن الورد) وهو عبد الوهاب المكى الزاهد روى عن حميد بن قيس وجماعة وعنه عبد الرزاق وطائفة ثقة حجة (انه كان يقول فى دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك لنفسه) اى من الخيرات (واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك) اى من المقامات (واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيامة) اى من الكرامات (وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه) اى فى رواية ابن ماجه والبيهقى والديلمى والدارقطنى وتمام فى فوائده (انه كان يقول اذا صليتم على النبى عليه الصلاة والسلام فاحسنوا الصلاة عليه) اى فى المبنى والمعنى (فانكم لا تدرون) اى

مايترتب عليه هنا لك (لعل ذلك) اى اذاقبل (يعرض عليه) اى يبلغ اليه (وقولوا) اى مثلا (اللهم اجعل صلواتك)
اى انواع دعواتك العامة (ورحمتك وبركاتك) اى الخاصة (على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير) اى لنفسه (وقائد الخير) اى لغيره (ورسول الرحمة) اى لجميع الامة فانه كاشف الغمة (اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم) زيد فى نسخة فى العالمين (انك حميد مجيد) وقد سبق ان هذه
الجملة الاخيرة من اصح انواع الصلوات مما ورد فيه الروايات (ومايؤثر) اى مايروى (من تطويل الصلاة) وفى نسخة
فى تطويل الصلاة (وتكثير الثناء على اهل البيت) قال الحجازى ويروى عن اهل البيت وهو الملائم لقوله (وغيرهم) اى
من اصحابه وازواجه واتباعه واشياعه (كثير) اى يطول ذكره ويحتاج الى مؤلف مستقل حصره (وقوله) اى
وقول ابن مسعود رضى الله تعالى عنه موقوفا ومرفوعا (والسلام كما قد علمتم) اى بالوجهين المتقدمين (هو ما علمهم
فى التشهد من قوله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفى تشهد على
رضى الله تعالى عنه) هذا غير معروف سنده (السلام على نبى الله السلام على انبياء الله ورسله) تعميم بعد تخصيص
(السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم) اى بالموت
وغيره (ومن شهد) اى حضر عنده (اللهم اغفر لمحمد) وسيأتى الكلام على غفرانه عليه الصلاة والسلام (وتقبل
شفاعته واغفر لاهل بيته) اى من ازواجه وذريته (واغفر لى ولوالدى وما ولدا وارحمهما) سيأتى تحقيقه (السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) وفيه اشكال حيث دعا بالمغفرة لوالديه
وما ولدا والرحمة لهما مع ثبوت موت ابيه وبعض اخوته كافرين قال الدلجى ولعل الناسخ زاد الالف سهوا وانما
الدعاء بهما لولديه الحسنين ومن ولداه انتهى والاظهر انه قال ذلك لتعليم غيره لا للدعاء لنفسه وفيه اشكال آخر
وهو ما بينه المصنف بقوله (جاء فى هذا الحديث عن على الدعاء للنبى بالغفران وفى حديث الصلاة) بالاضافة اى الذى
اسنده (ايضا) ويروى فى حديث الصلاة عليه والضمير له عليه الصلاة والسلام ويروى عنه اى عن على قبل ذلك وهو
المذكور فى اوائل هذا الفصل (قبل) اى من طريق الحافظ ابى عبد الله الحاكم فقبل مبنى على الضم وقوله (الدعاء له
اى للنبى عليه الصلاة والسلام (بالرحمة) خبر اى الدعاء له بالرحمة فى حديث الصلاة على النبى المروى عن على (ولم يأت
فى غيره من الاحاديث المرفوعة المعروفة) فهل يجوز الدعاء له بهما اولا والظاهر انه يجوز اما الرحمة فظاهر فانها
احد معانى الصلاة وقد قال تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت مرادا به ابراهيم عليه السلام وآله واما المغفرة
فحيث وقع له عليه الصلاة والسلام طلب المغفرة لنفسه سبعين مرة وفى رواية مائة مرة امتثالا لقوله تعالى واستغفر
لذنبك جاز لغيره غايته ان ذنبه المترتب عليه الغفران مأول بالغفلة عن المولى وارتكاب خلاف الاولى او الاشتغال
بالامور المباحة او رؤية التقصير فى مقام الطاعة وامثال ذلك مما يليق بشانه وعلو مكانه لحسنات الابرار سيئات
المقربين مع انه قد غفر له ما تقدم من ذنبه فهو من باب التأكيد فى القضية او من قبيل التلذذ بذكر العطية نحو الدعاء
بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا فمعنى اغفر له وارحمه اى ادم له المغفرة الشاملة والرحمة الكاملة (وقد ذهب
ابو عمرو بن عبد البر) وهو من اكابر علماء المالكية (وغيره الى انه لا يدعى للنبى صلى الله عليه وسلم بالرحمة وانما يدعى له
بالصلاة والبركة التى تختص به) وفى كون البركة تختص به نظر ظاهر (ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة) ويروى بالغفران
نعم هذا هو الاولى ولكن لا جل النهى يحتاج الى دليل مثبت للدعوى وقد اغرب الدلجى حيث قال لافتقارهم اليهما
دونه ووجه غرابته ان كل احد محتاج الى غفران الله تعالى ورحمته وكم ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام بقوله اللهم
اغفر لى وارحمنى وانما الكلام فى دعاء غيره له بهما لانه كان فى مقام التواضع والادب كما يقتضى استغناء الرب ثم رأيت فى
شمائل الترمذى ان واحدا من الصحابة قال له عليه الصلاة والسلام غفر الله لك فقال ولك وهذا تقرير منه عليه الصلاة
والسلام على جواز مثل هذا الكلام (وقد ذكر ابو محمد ابن ابى زيد) اى المالكى فى رسالته زيادة الترحم (فى الصلاة على
النبى صلى الله عليه وسلم) اى بقوله (اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت) بتشديد الحاء وفى نسخة ترحمت (على ابراهيم
وآل ابراهيم ولم يأت هذا) اى الدعاء له عليه الصلاة والسلام بالمغفرة والرحمة ويروى ولم تأت هذه الرواية (فى حديث
صحيح) قال الدلجى اذ ما ورد بزيادتهما كله ضعيف وفيه انه يعمل بالضعيف فى فضائل الاعمال وانما يحتاج الى الحديث
الصحيح او الحسن فى الاحكام من الاقوال واما قول النووى فى شرح مسلم المختار ان الرحمة لا تذكر فمسلم لانه خلاف
الاولى واما ما جزم به فى الاذكار بان ذكرها بدعة ففيه بحث لانه قد ورد فى بعض الطرق ولو كان ضعيفا فلا يعد بدعة
لا سيما وهى لا تنافى سنة وعلى تقدير التسليم فليكن بدعة حسنة ويقويه ما ذكره المصنف بقوله (وحجته) اى دليل

ابن ابى زيد الذى اخذ به استحباب طلب الرحمة (قوله) اى قول النبى عليه الصلاة والسلام حال تعليم امته (فى السلام
السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته) ومما يؤيده قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ويصره ان رحمته
عامة للخواص والعوام ولا يستغنى احد عن هذا الانعام العام ثم اعلم ان الرافعى ذكر فى الشرح الكبير عن الصيدلانى
انه قال ومن الناس من يزيد وارحم محمدا كما رحمت على آل ابراهيم وربما يقولون ترحمت وهذا لم يرد فى الخبر وانه غير
فصيح فانه لا يقال رحمت عليه وانما يقال رحمته واما الترحم ففيه معنى التكلف فلا يحسن اطلاقه فى حق الله
سبحانه وتعالى انتهى ولا يخفى ان نفى الصيدلانى ورود الخبر بلفظ ارحم محمدا وآل محمد كما ترحمت على ابراهيم غلط نشأ
من جهله بطريق الحديث فمن حفظ حجة على من لم يحفظ فهذه الرواية فى مستدرك الحاكم من رواية ابن مسعود باسناد
صححه وقال فى موضع آخر بل قد ورد به خبر صحيح قال الحلبى وقد راجعت تلخيص المستدرك للذهبى فرأيت ما لفظه
بعد انهاء سنده الى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تشهد احدكم فى الصلاة
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وقد جاء فى جملة حديث وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت
وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وكذا جاء فى رواية على وابن عباس وجابر وجاء ايضا فى حديث
مسلسل وترحم محمدا الى آخره وقد ذكر القاضى مثل هذا فيما تقدم ومما يؤيد جواز الرحمة ما فى النسائى الصغير باسناده
عن عكرمة قال ظاهر رجل امرأته واصابها قبل ان يكفر فذكر ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه
الصلاة والسلام ما حملك على ذلك فقال رحمك الله يا رسول الله رأيت خلخالها او ساقها الحديث وقد جاء مرسلا
ومسندا ففى تقريره عليه الصلاة والسلام دليل على جوازه ورد على من عده بدعة او حكم عليه بالكراهة واما قوله
ان الترحم فيه معنى التكلف فممنوع بل يراد به المبالغة فى انزال الرحمة فاندفع به قول الغزالى انه لا يجوز ترحم وقول
الرافعى انه لا يحسن ولعلهما ما بلغهما الرواية فبنيا الحكم على ظاهر الرواية والعجب من النووى انه قال واما ما قاله
بعض اصحابنا وابن ابى زيد المالكى من استحباب زيادة وارحم محمدا وآل محمد فهذه بدعة لا اصل لها وكانه غفل
عما ورد وذهل عن قول الشافعى فى الرسالة وكان خيرته المصطفى لوحيه المنتخب لرسالته المفضل على جميع خلقه
بفتح رحمته وختم نبوته الى ان قال محمد عبده ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ورحم وكرم انتهى فقد قال رحم فى حقه
فهذا رد على مقلده هذا وقد قال شمس الائمة السرخسى من اصحابنا الحنفية لا بأس بقول وارحم محمدا لان الاثر
ورد به ولا عتب على من اتبع الاثر ولان احدا لا يستغنى عن رحمة الله تعالى

(فصــــل)

(فى فضيلة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والتسليم عليه والدعاء له) اى وفى فضيلتهما (حدثنا احمد بن محمد
الشيخ الصالح من كتابه ثنا) اى حدثنا (القاضى يونس بن مغيث) بضم فكسر (ثنا ابو بكر ابن معاوية) اى ابن الاحمر
الاندلسى وقد روى النسائى الكبير بعضه سماعا وبعضه اجازة (ثنا النسائى) اى صاحب الجامع (انا) بالموحدة
او النون اى اخبرنا او انبأنا (سويد) بالتصغير (ابن نصر) بالمهملة وهو المروزى يروى عن ابن المبارك وابن عيينة وعنه
الترمذى والنسائى ثقة (انا) اى اخبرنا او انبأنا (عبد الله) اى ابن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى مولاهم المروزى
ابو عبد الرحمن شيخ خراسان يروى عن سليمان التيمى وعاصم الاحول والربيع بن انس وعنه ابن مهدى وابن معين
وابوه تركى مولى تاجر وامه خوارزمية وقبره بهيت يزار ويتبرك به اخرج له الائمة الستة (عن حيوة) بفتح فسكون
(ابن شريح) بالتصغير (قال اخبرنى كعب بن علقمة) اى التنوخى المصرى تابعى يروى عن سعيد بن المسيب وطائفة
وعنه الليث وجماعة ذكره ابن حبان فى الثقات واخرج له مسلم وابو داود والترمذى والنسائى (انه سمع عبد الرحمن
ابن جبير) بالتصغير مولى نافع قرشى مصرى مؤذن ثقة فقيه مقرئ توفى سنة سبع وتسعين اخرج له مسلم وغيره
(انه سمع عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بدونه والحديث رواه مسلم وابو داود والترمذى ايضا عنه (يقول سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن) اى اذانه (فقولوا مثل ما يقول) اى جوابا له واختلف
فى الحيعلتين والاصح انه يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله وقيل يجمع بينهما (وصلوا على) اى بعد اجابة المؤذن
(فانه) اى الشان (من صلى على مرة) اى واحدة كما فى نسخة (صلى الله عليه عشرا) اى لوعده سبحانه وتعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وهذا اقل مراتب اضعاف اعمالها وهو لا ينافى ما ورد فى مسند احمد بسند حسن
موقوفا على عبد الله بن عمرو وهو مرفوع اذ لا مجال للاجتهاد فيه من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم مرة صلى الله
عليه بها سبعين مرة نعم لا يبعد ان هذه المضاعفة تكون بخصوص يوم الجمعة اذ وردان الاعمال كلها فيه بسبعين

ضعفا وهو يؤيد ما ورد انه اذا وافق يوم عرفة يوم الجمعة كان حجه بسبعين حجة (ثم سلوا) اى الله تعالى كما فى نسخة
(لى الوسيلة) وهى المرتبة الجليلة (فانها منزلة) اى درجة جميلة (فى الجنة لا تنبغى) اى لا تليق او لا تحصل (الا لعبد)
اى عظيم (من عباد الله) اى الصالحين (وارجو ان اكون انا هو) اى ذلك العبد فقوله هو خبر كان ووضع موضع اياه
وانا تأكيد لاسمها او مبتدأ خبره هو والجملة خبرها ويجوز ان يكون موضع اسم اشارة اى ان اكون انا ذلك العبد
كما اشرنا اليه (فمن سأل لى الوسيلة) اى وهى نهاية مراتب الفضيلة (حلت عليه الشفاعة) ويروى شفاعتى اى
غشيته ونزلت به وفى نسخة حلت له الشفاعة اى ثبتت وفى رواية وجبت له شفاعتى اى حقت (وروى انس بن مالك
رضى الله تعالى عنه) كما فى شعب الايمان (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال من صلى على صلاة) اى واحدة
(صلى الله عليه عشر صلوات) اى قبلها بما يشكر عبده (وحط) اى وضع (عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفى رواية) اى لابى يعلى (وكتبت له عشر حسنات) اى ثوابها (وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما رواه ابن ابى شيبة
فى مسنده (عنه عليه الصلاة والسلام ان جبريل نادانى) اى خاطبنى (فقال من صلى عليك صلاة صلى الله
تعالى عليه عشرا) اى عشر مرات (ورفعه عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف) كما رواها الحاكم وصححها
والبيهقى فى شعبه (عنه عليه الصلاة والسلام لقيت جبريل فقال لى انى ابشرك) اى اخبرك بما يسرك
(ان الله تعالى) بكسر ان وفتحها (يقول من سلم عليك سلمت عليه) اى عشرا او اكثر (ومن صلى عليك صليت عليه)
وفى الحديث ايماء الى جواز انفراد كل منهما عن الآخر فتدبر (ونحوه) اى نحو مروى ابن عوف (من رواية ابى هريرة
ومالك بن اوس) بفتح فسكون (ابن الحدثان) بفتحهما ادرك زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورأى ابا بكر وسمع
عمر وعثمان وبقية العشرة رضى الله تعالى عنهم وعنه الزهرى وابن المنكدر وقال انس بن عياض عن سلمة بن وردان
عنه انه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة واحمد بن صالح صحح هذا
الحديث والاصح عند الذهبى انه عنده تابعى وحديثه مرسل (وعبد الله ابن ابى طلحة) اى زيد بن سهل الانصارى
وفى بعض النسخ عبيد الله مصغرا والصواب الاول ولد فى حياته عليه الصلاة والسلام وهو اخو انس لامه حنكه
عليه السلام وسماه توفى زمن الوليد فهو تابعى له رواية روى عن ابيه ثقة اخرج له مسلم والنسائى وله عشرة بنين كلهم
قرأوا القرآن (وعن زيد بن الحباب) بضم المهملة وبالموحدتين (سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قال
اللهم صل على محمد وانزله المنزل) وفى رواية المقعد (المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتى) وهذا الحديث
سقط منه رجال فان زيد بن الحباب ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من اتباعهم وانما روى عن مالك بن انس
والضحاك بن عثمان ومالك بن مغول وعبد الله بن لهيعة وعنه احمد بن حنبل نعم هذا الحديث محفوظ من رواية
رويفع بن ثابت الانصارى مرفوعا وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة بفتح اللام وكسر الهاء عن بكر
ابن سوادة عن زياد بن نعيم عن وفاء بن شريح الحضرمى قيل ولعل المصنف اورده فى اصله عن زيد بن الحباب عن رويفع
ابن ثابت على جهة الارسال وسقط ذكر رويفع من بعض نسخ الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (وعن ابن مسعود)
اى مرفوعا (اولى الناس بى) اى اقرب الناس منى واحقهم بشفاعتى (يوم القيامة اكثرهم على صلاة) رواه الترمذى
وابن حبان (وعن ابى هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام قال من صلى على فى كتاب) اى بان كتب فيه
الصلاة (لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى اسمى) يروى ما دام اسمى (فى ذلك الكتاب) رواه الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ
فى الثواب بسند ضعيف لكنه يعتبر فى هذا الباب وربما يقال يكتب له الثواب ما نقل ايضا من ذلك الكتاب والله اعلم
بالصواب (وعن عامر بن ربيعة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة) اى واحدة او اكثر (صلت
عليه الملائكة ما صلى على) اى مدة صلاته على (فليقلل) امر من التقليل او من الاقلال (من ذلك) اى من قول
الصلاة اى عبد كما فى نسخة (او ليكثر) امر من التكثير او الاكثار والمراد به الاخبار واختيار ما هو المختار رواه احمد وابن
ماجه والطبرانى فى الاوسط بسند حسن (وعن ابى بن كعب) على ما رواه الترمذى وحسنه (كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل) بضمهما ويسكن الثانى وفى رواية المصابيح اذا ذهب ثلثا الليل (قام) اى من نومه
او فراشه (فقال يا ايها الناس) كانه ينادى اهل بيته او خواص امته (اذكروا الله) اى فى حال الانتباه واتركوا ما عداه
(جاءت الراجفة) اى النفخة الاولى التى ترجف الارض باهلها والمعنى قرب مجيئها ويموت كل احد عندها (تتبعها
الرادفة) اى تعقبها النفخة الثانية ويبعث الخلق كلهم بعدها وثبت ان ما بين النفختين اربعون سنة يقول الله سبحانه
وتعالى لمن الملك اليوم ويجيب بذاته عز شانه لله الواحد القهار او يقول الخلق بلسان الحال فى جواب ذلك السؤال
لله الواحد القهار واليوم كذلك فى نظر ارباب الاسرار واصحاب الانوار لا ملك الا لله الواحد القهار رب السموات

والارض وما بينهما العزيز الغفار وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث (جاء الموت بما فيه) اى من سكراته ومنكراته
او بما فيما بعده ولا منع من الجمع من البعث والحساب والميزان والكتاب وما يترتب عليها من الثواب والعقاب
ويحتاج كل احد الى شفاعته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الباب (فقال) الظاهر وقال اذ لا يظهر وجه رابطة بالفاء
(ابى بن كعب) وهو اقرأ الصحابة (يا رسول الله انى اكثر الصلاة عليك) اى لكثرة محبتى اليك رجاء حصول الشفاعة لى
لديك ويروى انى اكثر من الصلاة عليك (فكم اجعل لك من صلاتى) اى من زمان دعائى لنفسى او من اوقات عبادتى
النافلة (قال ما شئت) اى قدر ما اردت من تقربك بى (قال) اى ابى (الربع) بالنصب اى اجعل لك من صلاتى ربع
اوقاتى (قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ما شئت) اى اخترت قليلا او كثيرا (وان زدت) اى على الربع
(فهو خير) اى لك كما فى نسخة صحيحة (قال الثلث) بضمتين ويسكن الثانى وهو بالنصب كما مر (قال ما شئت
وان زدت فهو خير) قال الحجازى وذكر بعد الربع النصف الى آخره وفى غالب نسخ الشفاء ذكر الربع ثم الثلث ثم النصف
الى آخره وهذا الحديث فى الترمذى ولم يذكر فيه الثلث (قال النصف قال ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين
قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتى) اى اوقات دعائى (كلها لك) اى لذكرك وما يتعلق به
من الصلاة عليك (قال اذا) بالتنوين اى حينئذ (تكفى) بصيغة المفعول المخاطب وفى رواية همك اى ما يهمك
من امر دينك ودنياك وهو بالنصب على انه مفعول ثانى لتكفى وفى نسخة يكفى بصيغة المجهول الغائب وهمك
بالرفع على نيابة الفاعل ويلائمه قوله (ويغفر ذنبك) بصيغة المجهول منصوبا وذنبك مرفوعا والحاصل انه عليه
الصلاة والسلام لم ير ان يعين له حدا مقدرا من الليالى والايام لئلا يغلق عليه باب المزيد فى مقام المرام او لانه به يحصل
كفاية المهمات الدينية والدنيوية والاخروية على وجه النظام ونظيره قوله عليه السلام عن الله من شغله ذكرى
عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وكان الحديث السابق مستند الطائفة السنية الاويسية حيث
يداومون على الصلوات المصطفوية (وعن ابى طلحة) وهو زيد بن سهل وحديثه هذا رواه النسائى وابن حبان
والبيهقى فى شعب الايمان بسند صحيح انه قال (دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره) بكسر الموحدة
اى بشاشة بشرته (وطلاقته) اى بساطته واطافته (ما لم اره قط) اى ابدا قبل ذلك (فسألته) اى عن سبب ما هنالك
(فقال وما يمنعنى) اى عن هذا السرور (وقد خرج جبريل عليه السلام) اى ظهر (آنفا) بالمد والقصر وقد قرئ
بهما فى السبعة اى هذه الساعة فكانها قدام الانف من كمال قربها (فاتانى ببشارة من ربى ان) بفتح الهمزة اى هى
ان او بان (الله بعثنى اليك ابشرك انه) بالكسر والفتح (ليس احد من امتك) اى امة الاجابة (يصلى عليك الا صلى الله
عليه وملائكته بها) اى بدلها او بسببها (عشرا) فهذا الذى يوجب بشرا ويفيد بشرى ويقتضى نشرا (وعن جابر
ابن عبد الله) على ما رواه البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال حين يسمع النداء) اى
الاذان او الاقامة او الاعلام باحدهما (اللهم رب هذه الدعوة) اى الدعاء الى العبادة (التامة) اى الكاملة الشاملة
(والصلاة القائمة) اى الدائمة الفاضلة لا يغيرها ملة ولا ينسخها شريعة (آت محمدا الوسيلة) اى الذريعة المنيعة
وفى نسخة والدرجة الرفيعة وفى نسخة بزيادة الفضيلة وقد ورد ان الوسيلة منزلة فى الجنة فالفضيلة اعم من الوسيلة
(وابعثه مقاما محمودا) وفى نسخة المقام المحمود وقد ورد هو المقام الذى اشفع فيه لامتى اى خصوصا بعد ان اشفع للخلق
عموما (الذى وعدته) اى له فى الآخرة الذى بدل من مقاما محمودا وقوله وعدته اى فى القرآن قال تعالى عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا (حلت له الشفاعة) اى الخاصة (يوم القيامة وعن سعد بن ابى وقاص) كما رواه مسلم
(من قال) يروى انه قال من قال (حين يسمع المؤذن) اى صوته (يتشهد وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له)
مقول (وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا) نصبه
وما قبله من الاسمين على التمييز (غفر له) اى ذنبه (وروى ابن وهب) اى بسند منقطع (ان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم قال من سلم على عشرا فكانما اعتق رقبة) اى فى الاجر والمثوبة (وفى بعض الآثار ليردن) من الورود بمعنى
ليأتين (على اقوام ما اعرفهم) يروى لا اعرفهم (الا بكثرة صلاتهم على) رواه الاصبهانى فى ترغيبه عن انس (وفى آخر)
اى وفى اثر آخر (ان) بكسر الهمزة وفتحها (انجاكم) اى اسبقكم نجاة (يوم القيامة من اهوالها ومواطنها) اى
مواقفها (اكثركم على صلاة وعن ابى بكر) اى الصديق كما فى نسخة (الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
امحق للذنوب) اى اطفأ (من الماء البارد للنار والسلام عليه افضل من عتق الرقاب) رواه الاصبهانى فى ترغيبه
بلفظ الصلاة عليه افضل من عتق الرقاب وحبه عليه الصلاة والسلام افضل من مهج الانفس او من ضرب السيف
فى سبيل الله وفى الجامع الصغير الصلاة على نور على الصراط فمن صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين

عاما على ماروا ه الطبرانى والدارقطنى فى الافراد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه

(فصـــل)

(فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واثمه) اى واثم من لم يصل عليه وفى معناه من لم يسلم عليه لانه ثبت فى الاية الشريفة وجوبهما فى الجملة الا انه ليس فيها مايدل على لزوم الاتيان بهما على وجه المعية (حدثنا القاضى الشهيد ابو على) اى ابن سكرة (رحمه الله ثنا) اى حدثنا (ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف وهو البغدادى (وابو الحسين الصيرفى) وفى نسخة ابو الحسن والصواب بالتصغير (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو يعلى) اى ابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين (ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى) اى الامام الترمذى صاحب الجامع (ثنا احمد بن ابراهيم الدورقى) اى البغدادى والدورقى نسبة الى نوع من القلانس ووهم من اعترض على المزى بانه منسوب لبلد فقد صرح ابو احمد الحاكم فى الكنى فى ترجمة يعقوب بما قاله المزى وله تصانيف قال ابو حاتم صدوق اخرج له مسلم وغيره (ثنا ربعى) بكسر الراء وسكون الموحدة (ابن ابراهيم) اى ابن مقسم الاسدى روى عنه احمد والزعفرانى (عن عبد الرحمن بن اسحق) اى ابن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشى العامرى مولاهم المدنى يروى عن المقبرى والزهرى وعنه يزيد بن زريع وابن علية قال ابو داود قدرى ثقة وضعفه بعضهم وقال البخارى ليس ممن يعتمد على حفظه (عن سعيد ابن ابى سعيد) اى المقبرى (عن ابى هريرة رضى الله عنه) وكذا رواه مسلم عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رغم) بكسر الغين وفتحها (انف رجل) اى ذل ولصق بالتراب (ذكرت عنده) بصيغة المفعول (فلم يصل على) اى اعراضا او تهاونا لا كسلا او نسيانا (ورغم انف رجل دخل رمضان) اى عليه (ثم انسلخ) اى خرج عنه (قبل ان يغفر له) اى بان لم يفعل فيه مايستحق به غفران ذنوبه (ورغم انف رجل ادرك) اى بلغ (عنده ابواه الكبر) بالنصب على المفعول من ادرك والفاعل ابواه وانما خص حال الكبر لانه احوج حال الانسان الى الخدمة والاحسان (فلم يدخلاه الجنة) بضم الياء وكسر الخاء اى بان لم يبرهما حتى يكونا سببا لدخوله الجنة والمعنى ان برهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة سبب لدخول الجنة (قال عبد الرحمن) اى راوى ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (واظنه) اى اباهريرة (قال او احدهما) اى بطريق الشك او على سبيل التنويع ويؤيده قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وابعد الدلجى فى جعل ضمير اظنه راجعا اليه صلى الله تعالى وسلم عليه (وفى حديث آخر) كما رواه الطبرانى عن ابن عباس وانس وعبد الله بن الحارث بن جزء وكعب بن عجرة ومالك ابن الحويرث ورواه البزار عن جابر بن سمرة وابى هريرة وعمار بن ياسر (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صعد المنبر) بكسر العين اى طلع عليه (فقال) اى عقب صعوده (آمين) بالمد ويجوز قصره قيل معناه اللهم استجب وفى الحديث آمين خاتم رب العالمين (ثم صعد درجة فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله معاذ عن ذلك) اى عن قوله آمين وسبب تكراره هنالك (فقال ان جبرآئيل اتانى فقال يا محمد من سميت) بضم السين وتشديد الميم المكسورة على لفظ الخطاب اى ذكرت (بين يديه) اى عنده والمعنى من ذكر اسمك له وهو حاضر بسمعه (فلم يصل عليك) اى عقب ذكر اسمك (فمات) اى تاركا الصلاة عليك غير تائب مما وقع له من التقصير بالنسبة اليك (فدخل النار) اى بسبب ترك صلاته لا ستهانة او عدم مبالاة او لغيره من خطيئاته مع حرمان شفاعته فى شدة حالته (فابعده الله تعالى) اى عن ساحة رحمته وميدان مغفرته والجملة خبرية مبنى وانشائية معنى ولذا قال جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام (قل آمين فقلت آمين) وهذا فى الدرجة الاولى من المنبر وانما قدم هذه الحالة على البقية لانها كالمقدمة فى القضية (وقال) اى جبرآئيل فى الدرجة الثانية (ومن ادرك رمضان فلم يقبل منه) اى صيامه وقيامه (فمات مثل ذلك) بالرفع ويجوز نصبه بل هو الاظهر فتدبر اى فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وهذا فى حق من حقوق الله سبحانه (ومن ادرك) وفى نسخة وقال اى جبرآئيل من ادرك (ابويه او احدهما فلم يبرهما) بفتح الياء والباء والراء المشددة اى لم يقم بواجبهما (فمات مثل ذلك) وفى نسخة مثله وهذا مما يتعلق بحقوق العباد (وعن على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى وصححه والبيهقى فى شعب الايمان والنسائى من حديث ابنه الحسين عن ابيه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال البخيل) اى كل البخل كما فى رواية (الذى) اى هو الذى (ذكرت عنده فلم يصل على) اى حيث بخل على بزيادة الفضيلة وعلى نفسه بزيادة المثوبة الجزيلة (وعن جعفر ابن محمد) كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عنه (عن ابيه) اى مرسلا فان جعفرا هذا هو الصادق وابوه هو الباقر وهو تابعى فالحديث مرسل ورواه الطبرانى فى الكبير عن محمد جد الحسين موصولا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطئ طريق الجنة) بضم الهمزة وكسر الطاء وجوز الدلجى كونه

مبنيا للفاعل ايضا وكانه قصد به النسبة المجازية (وعن على بن ابى طالب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل) اى كامل البخل حيث بخل بما لم ينقص من ماله ويزيد من جماله وكماله فى حاله وماله (من ذكرت عنده فلم يصل على) وقد تقدم هذا الحديث والظاهر ان هذا من زيادة الكتاب والله اعلم بالصواب وفى الجامع الصغير بلفظ البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على رواه احمد والترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم عن الحسين مرفوعا (وعن ابى هريرة) كما رواه ابو داود والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عنه (قال ابو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا) اى مكان جلوس او جلوسا وفى نسخة صحيحة مجلسهم (ثم تفرقوا) اى قاموا عنه ويروى ثم تفرقوا عنه (قبل ان يذكروا الله ويصلوا) اى وقبل ان يصلوا (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانت) اى وقعت (عليهم من الله ترة) بمثناة فوقية مكسورة وراء مخففة مفتوحة اى منقصة او تبعة وهاء ترة عوض عن واوه المتروكة كعدة وصقة ومنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم وروى ترة بالنصب اى كانت الجلسة او التفرقة عليهم مضرة (ان شاء) اى الله (عذبهم) اى بتركهم كفارة المجلس لما صدر عنهم ويكون عدلا (وان شاء غفر لهم) اى مع تقصيرهم ويكون فضلا (وعن ابى هريرة) على ما رواه البيهقى فى الشعب عنه مرفوعا (من نسى الصلاة على) اى تركها (نسى طريق الجنة) اى تركها واخطأها وضبطه الدلجى بضم اوله وتشديد ثانيه وتبعه الانطاكى (وعن قتادة) اى من رواية عبد الرزاق عن معمر عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الجفاء) بفتح الجيم والمد ضد الوفاء وقد يراد به الاذى (ان اذكر عند الرجل) لم يرد به رجلا معينا فهو كالنكرة فى المعنى وان كان معرفة فى المبنى ونظيره قوله تعالى فاكله الذئب (فلا يصلى على) لغلظ طبعه وعدم مراعاة شرعه (وعن جابر) كما رواه البيهقى (عنه عليه الصلاة والسلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا) اى منه (على غير صلاة) حال وفى نسخة من غير صلاة صفة مصدر محذوف اى تفرقا صادرا عن غير صلاة (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فى حال من الاحوال (الا تفرقوا عن انتن) اى الا حال كونهم متفرقين عن حال انتن ويروى على انتن (من ريح الجيف) بما صدر عنهم من ردى الكلام ومذمومه فى مقام المرام (وعن ابى سعيد) كما رواه البيهقى فى الشعب وسعيد بن منصور (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبى صلى الله عليه وسلم) اى اولا يذكرون الله تعالى فيه كما فى رواية (الا كان) اى ذلك المجلس (عليهم حسرة) اى يوم القيامة كما فى رواية ولان الجنة لا حسرة فيها فلا بد من هذا القيد ليستقيم قوله (وان دخلوا الجنة) والمراد بالحسرة الندامة اللازمة لمقاصيرهم من سوء آثار كلامهم فقول الدلجى بعد قوله وان دخلوا الجنة فيزدادوا حسرة ليس فى محله (لما يرون) اى فيها (من الثواب) اى الاجر العظيم بالصلاة على النبى الكريم (وحكى ابو عيسى الترمذى) اى صاحب السنن (عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل) اى رجل بل اى شخص (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرة فى المجلس) اى فى مجلس (اجزأ) بالهمز واجزى لغة فيه اى كفى (عنه ما كان فى ذلك المجلس) اى مادام فيه دفعا للحرج وهذا هو قول الطحاوى من اصحابنا وهو المعتمد المعتقد والله اعلم وعن صاحب المجتبى من ائمتنا بتكرر الوجوب بتكرره وان كثر وفى الجامع الصغير كرر آية السجدة فى المجلس الواحد يكفيه سجدة واحدة وكذا فى الصلاة ولا تسن السجدة لكل مرة وفى الصلاة تسن لكل مرة

(فصـــل)

(فى تخصيصه) اى تخصيص الله اياه (عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه) او سلم عليه (من الانام) اى الخلائق من طوائف الاسلام (ثنا) اى حدثنا كما فى نسخة (القاضى ابو عبد الله التميمى ثنا الحسين بن محمد) وهو ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر الحافظ) اى ابن عبد البر الحافظ المغرب (ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة) بالمهملتين (ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا ابن عوف) اى الطائى الحافظ الحمصى شيخ ابى داود والنسائى وغيرهما (ثنا المقرى) هو ابو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد القصير مولى عمر بن الخطاب اصله من ناحية البصرة نزل مكة وروى عن ابى حنيفة وغيره وعنه البخارى واحمد وابن راهويه وابن المدينى اخرج له الائمة الستة (ثنا حيوة) بفتح مهملة فسكون تحتية (عن ابى صخر) بفتح مهملة وسكون معجمة (حميد) بالتصغير (ابن زياد) وصخر هذا هو الخراط رأى سهل بن سعد وروى عن ابى صالح السمان وابى سلمة وخلق وعنه ابن وهب وجماعة قال احمد ليس به بأس (عن يزيد بن عبد الله بن قسيط) بضم قاف وفتح سين مهملة وسكون تحتية ليثى يروى عن ابن المسيب وعنه مالك والليث وثقه النسائى اخرج له الائمة الستة (عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم على الا رد الله على روحى حتى ارد عليه) اى على من سلم على (السلام) مفعول ارد والحديث رواه ابو داود واحمد والبيهقى وسنده حسن وظاهره

الاطلاق الشامل لكل مكان وزمان ومن خص الرد بوقت الزيارة فعليه البيان والمعنى ان الله سبحانه يرد روحه الشريف عن استغراقه المنيف ليرد على مسلمه جبرا لخاطره الضعيف والاظهر المعتمد انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره كسائر الانبياء في قبورهم وهم احياء عند ربهم وان لارواحهم تعلقا بالعالم العلوي والسفلي كما كانوا في الحال الدنيوي فهم بحسب القلب عرشيون وباعتبار القالب فرشيون والله سبحانه اعلم باحوال ارباب الكمال هذا وقال الانطاكي يمكن ان يقال رد الروح كناية عن اعلام الله تعالى اياه بان فلانا صلى عليك او عن علمه عليه السلام باحوال المسلم من بين الانام (وذكر ابو بكر ابن ابي شيبة) وهو الحافظ الكبير الحجة صاحب التصانيف روى عن ابن المبارك وجماعة وروى عنه الشيخان وطائفة ووثقه الجماعة قال الذهبي ابو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته) اى من غير واسطة (ومن صلى علي نائيا) اى بعيدا عني (بلغته) بصيغة المجهول مشددا اى بلغتنيه الملائكة وفي رواية ابلغته والحديث ايضا رواه ابو الشيخ في الثواب والبيهقي في الشعب (وعن ابن مسعود) قال الشمني هو الصواب وقال الحلبي عن ابي مسعود وهو عقبة بن مسعود الانصاري (ان) بفتح الهمزة وكسرها (لله ملائكة سياحين) اى سيارين (في الارض يبلغوني) بتخفيف النون وتشديدها وهو من باب التفعيل او الافعال اى يوصلوني (عن امتي السلام) اى علي فارده عليهم رواه احمد والنسائي وابن حبان والحاكم والبيهقي في الشعب (ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر) اى موقوفا ويحتمل ان يكون مرفوعا (اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه) اى السلام (يؤتى به) اى يبلغه (منكم في كل جمعة) لا يعرف من رواه لكن ورد اكثروا من الصلاة علي في كل يوم جمعة فان صلاة امتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة رواه البيهقي عن ابي امامة ورواه عن انس بلفظ اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا او شافعا يوم القيامة وروى ابن ماجه عن ابي الدرداء اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها وهذا معنى قوله (وفي رواية فان احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها) اى اول ما يفرغ من غير توقف بخلاف سائر الايام فانه يكون موقوفا الى مجيء يوم الجمعة وفي نسخة حتى يفرغ منها فالمعنى ان جميع صلاته وان اطال في كمانه تعرض عليه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس وابو يعلى عن الحسن وخالد بن معدان مرسلا اكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي (وعن الحسن) برواية الطبراني وابي يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني) اى تصل الي بواسطة الملائكة يوم الجمعة وروى ابن مردويه عن ابي هريرة صلوا علي فان صلاتكم علي زكاة لكم وروى ابن عدي عن ابن عمر وابي هريرة صلوا علي صلى الله عليكم وروى احمد والنسائي وجماعة صلوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد (وعن ابن عباس) كما رواه اسحق بن راهويه في مسنده والبيهقي في شعبه موقوفا (ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه) بضم موحدة وتشديد لام مكسورة ويجوز فتحها مخففة (وذكر بعضهم ان العبد) اى من عباد الله (اذا صلى على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرض عليه اسمه) اى اسم المصلي عليه بخصوصه (وعن الحسن بن علي) كما رواه ابن ابي شيبة وعنه ابو يعلى عن زين العابدين علي بن الحسين (اذا دخلت المسجد) اى اردت دخوله او اذا حققت وصوله (فسلم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي) اى قبري كما في رواية لانه في بيته (عيدا) والمعنى لا تجعلوا زيارة قبري عيدا او معناه النهي عن الاجتماع لزيارته عليه السلام اجتماعهم للعيد من الايام وقد كانت اليهود والنصارى يجتمعون لزيارة قبور انبيائهم ويشتغلون باللهو والطرب مع آبائهم وابنائهم ونسائهم فنهى النبي صلى الله عليه وسلم امته عن ذلك تحذيرا لهم عما يقع من الفساد هنالك ويؤيده حديث لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ويحتمل ان يراد به الحث على كثرة زيارته اذ هي افضل القربات وآكد المستحبات بل قريبة من درجة الواجبات فالمعنى اكثروا من زيارتي ولا تجعلوها كالعيد تزورونني في السنة مرتين او في العمر كرتين بدليل احاديث كثيرة وردت بالحث عليها او بوجوب الشفاعة لمن اتى اليها وقيل يحتمل ان يكون نهيه عليه السلام لدفع المشقة عن الامة بناء على كمال الرحمة ويؤيده قوله الآتي وصلوا علي حيث كنتم او الكراهة ان يتجاوزوا في تعظيم قبره زيادة على قدره بنحو السجدة وغيره (ولا تتخذوا بيوتكم قبورا) اى كالقبور لا يصلى فيها او المعنى اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم لما روى احمد عن زيد بن خالد لا تتخذوا بيوتكم قبورا صلوا فيها ويؤيده قول الخطابي لا تجعلوها وطنا للنوم فقط لا تصلون فيها فان النوم اخو الموت والميت لا يصلي او لا تجعلوها

قبور الموتاكم تدفنونهم فيها قال الخطابي وليس بشيء فقد دفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ودفع بان هذا من خصوصيات الانبياء بدليل قوله عليه السلام ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يجب ان يدفن فيه كما رواه الترمذي عن ابي بكر (وصلوا علي حيث كنتم) اى قريبا او بعيدا (فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم) رواه الطبراني وابو يعلى بسند حسن (وفي حديث اوس) هو اوس بن اوس الثقفي صحابي وفي الصحابة خمسة واربعون نفرا يسمون اوسا (اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي) اى من غير واسطة او من غير انتظار رابطة رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن سليمان بن سحيم) بضم سين وفتح حاء مهملتين فتحتية ساكنة مدني يروي عن ابن المسيب وجماعة وعنه ابن عيينة وطائفة اخرج له مسلم وغيره (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك) اى للزيارة (فيسلمون عليك افتفقه سلامهم) اى اتعرف كلامهم وتدري مرامهم (قال نعم وارد عليهم) اى سلامهم واقضي مرامهم رواه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبياء وفي شعب الايمان (وعن ابن شهاب) اى الزهري كما رواه النميري مرسلا (بلغنا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء) اى البيضاء النوراء (واليوم الازهر) اى الانور وروي في الليلة الغراء واليوم الاغر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فانهما) اى اليوم والليلة (يؤديان) اى ذلك (عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء وما من مسلم يصلي علي) اى صلاة (الا حملها ملك) اى تحملها عنه (حتى يؤديها) اى يوصلها (الي يسميه) اى لدي (حتى انه) اى الملك (ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا) كناية عن الفاظ الصلاة والسلام اجمالا وتفصيلا وتكثيرا وتقليلا فناهيك به تعظيما وتبجيلا

(فصل)

(في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي) وزيد في نسخة ابو الفضل يعني المصنف (وفقه الله) وفي نسخة رحمه الله تعالى فالاولى من كلامه والاخرى من كلام غيره (عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى من سائر الانبياء واقول بل هي مستحبة لما روى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه والخطيب عن انس مرفوعا صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما استحقها لان المراد بها تعظيم من يصلي عليه ويؤيده الحديث الصحيح كما صليت على ابراهيم وهو في المدعى كالصريح (وروي عن ابن عباس) كما في شعب الايمان للبيهقي وسنن سعيد بن ابي منصور (انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله رضي الله تعالى عنه اخذ من قوله تعالى في حق الانبياء عليهم السلام سلام على نوح سلام على ابراهيم سلام على موسى وهارون وسلام على المرسلين ومن مفهوم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما حيث يستفاد منه ان الجمع بينهما من خصوصيته عليه السلام مما بين الانام (وروي عنه) اى عن ابن عباس كما في فضل الصلاة عليه عليه السلام لاسماعيل القاضي (لا ينبغي الصلاة على احد الا النبيين) ولعله رجع عن قوله الاول او مراده به الجمع على ما ذكرنا فتأمل فانه يمكن الجمع به على ما هو المعول (وقال سفين) اى الثوري او ابن عيينة (يكره ان يصلى) اى على احد اصالة (الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي) وفي حاشية الحلبي قوله وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي بالفاء والسين المهملة نسبة الى بلد بالمغرب قال ابن ماكولا ابو عمران الفاسي فقيه اهل القيروان في وقته (مذهب مالك انه لا يجوز) اى لا ينبغي (ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد وهذا) اى النقل (غير معروف من مذهبه) لكن يمكن ان يكون مراده الجمع بين الصلاة والسلام فانه حينئذ يكون وفق مشربه (وقد قال مالك) اى الامام (في المبسوطة) وفي نسخة صحيحة في المبسوط (ليحيى بن اسحق اكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى) اى بالجمع بين الصلاة والسلام (ما امرنا به) اى من الجمع بين الصلاة والسلام مختصا به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (قال يحيى بن يحيى) اى الليثي عالم الاندلس راوي الموطأ (لست آخذ بقوله) اى بقول مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد (ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم) اى بالاصالة (وعلى غيرهم) اى تبعا ويحتمل انه اراد به استقلالا لانا نتنزه عن مخالفة العلماء اجلالا (واحتج) اى يحيى لما قاله وفي نسخة صحيحة واحتجوا اى هو ومن تبعه (بحديث ابن عمر) اى الآتي انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر (وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اى اصحابه فيما امر (الصلاة عليه وفيه) اى وفي حديث تعليمه عليه السلام (وعلى آله وازواجه) وفيه انه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الانبياء تبعا وزيد في بعض النسخ هنا (وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفاسي) بالفاء والسين وفي نسخة القابسي بالقاف وبموحدة بعد الالف فسين مهملة (روي عن ابن عباس كراهة الصلاة على غير النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم قال وبه اقول) وفي نسخة و به نقول (ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله) وفي نسخة فان الله (بعثهم كما بعثني قالوا) اي يحيى واتباعه او جمهور العلماء وهو الظاهر من قوله (والاسانيد) اي الواردة (عن ابن عباس) من نحو قوله لا تجوز الصلاة على غير النبي عليه السلام (لينة) اي ضعيفة لا يصلح شيء منها للاحتجاج به على عدم جواز الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم (والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء) اي ونحوهما من الاستغفار وحسن الثناء (وذلك) اي جوازه (على الاطلاق) اي بالاتفاق (حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع) اي صريح (وقد قال الله هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية) تمامها ليخرجكم من الظلمات الى النور وفي المعالم للبغوي فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركتنا فيه فانزل الله تعالى هذه الاية (وقال) اي الله تعالى لنبيه عليه السلام (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) اي من رذيلة البخل (وتزكيهم) اي وتنمي مالهم (بها) اي بسببها (وصل عليهم) اي التفت اليهم وترحم عليهم واقبل عذر ما لديهم (الاية) وهي ان صلاتك سكن لهم اي تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وفيه ايماء الى خصوصيته بهذا الدعاء (وقال) اي الله سبحانه (اولئك عليهم صلوات من ربهم) اي تحيات ومدحات (ورحمة) اي انواع رحمات وظاهره ان الصلوات عامة للمؤمنين ولا يبعد ان يكون من باب التوزيع والتقسيم وان تكون الصلوات خاصة للانبياء والرحمة عامة للاصفياء (وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن عبد الله بن ابي اوفى (اللهم صل على آل ابي اوفى) ومن تتمة الحديث قوله (وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان) كناية عما ينسبون اليه وقد رواه ابو داود والنسائي عن قيس بن سعد بن عبادة انه عليه السلام قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة فهو مراد معهم كابي اوفى (وفي حديث الصلاة) اي في التشهد (اللهم صل على محمد وازواجه) وفي نسخة وعلى ازواجه (وذريته وفي آخر) اي حديث آخر (وعلى آل محمد قيل) اي المراد بهم (اتباعه) اي الى يوم القيامة (وقيل امته) اي امة الاجابة وهو قريب مما قبله وربما يقال هو اعم والاول اخص (وقيل آل بيته) اي اقاربه وازواجه وذريته (وقيل الاتباع والرهط والعشيرة) اي جميعهم ويروى الاتباع وهم الرهط وقيل رهط الرجل قبيلته وعشيرته قومه (وقيل آل الرجل ولده) اي اولاده واحفاده (وقيل قومه) اي المؤمنون من قريش او بني هاشم (وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة) عن زيد بن ارقم ان آل النبي صلى الله عليه وسلم من حرم الصدقة عليه وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس (وفي رواية انس) كما رواه الطبراني في الاوسط وابن مردويه (سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي) الظاهر ان كل تقي منهم والمعنى من ليس بمتق ليس بآلي ولا يبعد ان يكون المعنى كل من يكون تقيا يكون آلا وعلى التقديرين يؤيده قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون (ويجيء على مذهب الحسن) الظاهر انه الحسن البصري (ان المراد بآل محمد محمد نفسه) اي في بعض التراكيب (فانه) اي النبي عليه السلام او الحسن (كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم) اي على ما رواه النميري (اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد) زيد في نسخة يريد نفسه الشريفة الا انه لا يلائم قوله (لانه) اي قائله (كان لا يخل بالفرض) اي في الجملة وهو الصلاة على محمد (ويأتي بالنفل) وهو الصلاة على آله (لان الفرض الذي امره الله به) اي في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه (هو الصلاة على محمد نفسه) اي ذاته دون غيره بشهادة روايته الاخرى من طرق متعددة على محمد بدون آله (وهذا) اي كون الآل مقحما (مثل قوله عليه السلام) فيما رواه الشيخان (لقد اوتي) اي ابو موسى الاشعري (مزمارا) اي صوتا حسنا (من مزامير آل داود يريد) اي النبي عليه السلام (من مزامير داود) لانه لا يعرف احد من آله انه كان له مزمار ونظير هذا من التنزيل قوله مما ترك آل موسى وآل هارون (وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلاة) اي في الفاظها (اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي عند قبره (وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي) بفتح همز ودال وضم لام وقيل بضم الثلاثة وقيده به احترازا عن يحيى بن يحيى النيسابوري وزيد في نسخة والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر (وروى ابن وهب) وهو المصري العلم (عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل) اي للتهجد والاستغفار (ويصومون بالنهار قال القاضي) يعني المصنف وفي نسخة قال الفقيه القاضي (والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه ما قاله مالك) اي امام المذهب (وسفيان) اي الثوري او ابن عيينة (رحمهما الله وروي) اي وما روي (عن ابن عباس واختاره غير واحد) اي كثيرون (من

الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلي على غير الانبياء) وهم اعم من الرسل (عند ذكرهم) اي افرادا وانما تجوز اتباعا (بل هو) اي الصلاة وذكر باعتبار خبره وهو قوله (شيء يختص) يروى يخص (به الانبياء) اي عرفا وعادة وفيه رد على الرافضة (توقيرا لهم وتعزيزا) اي تعظيما وتبجيلا (كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه) اي فيما ذكر (غيره) فيقال قال تعالى وعز وجل وان كان الانبياء اعزة واجلاء وعن العيوب براء (كذا يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك) بالبناء للمفعول او الفاعل وفي نسخة ولا يشاركهم (فيه) اي في كل واحد منهما (سواهم كما امر الله) اي المؤمنين (بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة) المجتهدين من الصحابة والتابعين (وغيرهم) من العلماء الصالحين (بالغفران والرضى) وفيه ان الرضى مختص عرفا بالصحابة وان كانوا يدخلون في المغفرة تحت عموم الدعاء (كما قال تعالى يقولون) اي الذين جاؤا من بعدهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اي ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وقال تعالى والذين اتبعوهم) وفي نسخة والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم (باحسان) اي بايمان وايقان وطاعة واتقان الى يوم القيامة (رضي الله عنهم ورضوا عنه وايضا فهو) اي ذكر الصلاة والسلام على غير الانبياء (امر) ويروى فهذا امر (لم يكن معروفا في الصدر الاول) اي من السلف والخلف (كما قال ابو عمران) اي الفاسي (وانما احدثته الرافضة) اي التاركة محبة اكثر الصحابة (والمتشيعة) اي المظهرة انهم السابقون والمتابعون (في بعض الائمة) اي من اهل بيت النبوة (فشاركوهم) اي ائمتهم كعلي والحسنين وغيرهم (عند الذكر لهم بالصلاة) وكذا بالسلام فيقولون مثلا علي عليه السلام (وساووهم) اي ائمتهم (بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك) اي مقام المرام وهذا لا يليق بالكرام وذكر الانطاكي ان الرافضة فرقة من شيعة الكوفة وسموا بذلك لان زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره في ابي بكر وعمر فمنعهم عن ذلك فرفضوه ولم يبق معه الا مائتا فارس فقال لهم رفضتموني اي تركتموني فلقبوا بذلك ثم لزم هذا اللقب كل من غلا في مذهبه واستجاز الطعن في الصحابة والمتشيعة هم الذين ينسبون الى الشيعة وتقدم انهم فرقة يفضلون عليا ويزعمون انهم من شيعته اي اتباعه (وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك) اي وجعلوه شعارا لهم هنالك (وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحكم التبع) اي له صلى الله تعالى عليه وسلم (والاضافة اليه) اي فهو جائز (لا على التخصيص) اي بحكم الاستقلال (قالوا) اي العلماء المحققون (وصلاة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على من صلى عليه) اي من آل ابي اوفى ونحوه (مجراها مجرى الدعاء) اي مجرى تلك الصلاة محمول على مجرى الدعاء والرحمة (والمواجهة) اي حسن المقابلة حال المعاشرة (ليس فيها معنى التعظيم والتوقير) اي الذي اختص بارباب الكمال (قالوا) اي العلماء (وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اي في المناداة باسمه وفي رفع الصوت عنده (فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض) اي ليتميز به عن غيره (وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني) بكسر الهمزة وتفتح وفتح الفاء وتكسر (من شيوخنا) اي الفقهاء المالكية (وبه قال ابو عمر ابن عبد البر) وهو حافظ الغرب في البحر والبر

(فصل)

(في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع) ويروى مجتمع (عليها) اي مجتمع على كونها سنة وممن ادعى الاجماع النووي وابن الهمام بل قيل انها واجبة (وفضيلة مرغب فيها روي عن ابن عمر) فيما رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني وله طرق وشواهد حسنه الذهبي لاجلها (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي) اي حقت وثبتت وفي رواية حلت رواه الدارقطني وغيره وصححه جماعة من ائمة الحديث (وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا) اي ناويا ذلك الجناب وطالبا للثواب ليس له غرض آخر في هذا الباب فعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته (كان في جواري) بكسر الجيم اي مجاورتي وفي نسخة بضم الجيم اي في ذمتي وعهدي وجيرتي (وكنت له شفيعا يوم القيامة) قال الذهبي لا اعرف من رواه قلت قد رواه العقيلي وغيره بلفظ من زارني متعمدا كان في جواري يوم القيامة ورواه البيهقي ولفظه من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة وروى ابو عوانة من زارني بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة (وفي حديث آخر) اي مما رواه البيهقي وسعيد بن منصور في سننهما والدارقطني والطبراني

وابو يعلى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله عنهما (من زارنى بعد موتى) وفى رواية بعد وفاتى (فكانما زارنى فى حياتى)
والاحاديث فى هذا الباب كثيرة والروايات فيها شهيرة منها مارواه على مرفوعا من زار قبرى بعد موتى فكانما زارنى
فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وقد استدل به على وجوب الزيارة بعد الاستطاعة وعن انس بسند ضعيف بلفظ
مامن احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى الاوليس له عذر وعن ابن عدى بسند يحتج به من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى
(وكره مالك رحمه الله) قال ابن تيمية وتبعه طائفة فى ذلك (ان يقال زرنا قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اختلف
فى معنى ذلك) اى الداعى الى كراهية مالك (فقيل كراهية الاسم) وفى نسخة كراهية للاسم وفى اخرى كراهة الاسم اى
اسم الزيارة (لماورد) اى فى رواية احمد والترمذى وابن حبان عن ابى هريرة رضى الله عنه (من قوله عليه السلام لعن
الله زوارات القبور) بفتح الزاى وتشديد الواو اى المبالغات فى زيارة القبور وفيه انه عليه السلام انما لعنهن لانهن
مأمورات بالقرار فى بيوتهن فلا يصلح زيارتها لهن نعم قد يؤخذ منه انه لا يسن فى حقهن زيارته عليه السلام كما قال به
بعض الاعلام لكن الاصح انه لا يكره لهن ذلك اذا امن بشرائط فيما هنالك (وهذا) اى الاستدلال (يرده قوله) اى
فيما رواه مسلم (كنت نهيتكم) وفى نسخة من الكتاب نهيتم (عن زيارة القبور فزوروها) وفى نسخة بزيادة ولا تقولوا
هجرا بضم الهاء وسكون الجيم اى كلاما يوجب اثما وفيه بحث اذ يحتمل ان يكون خطاب الرجال بعد خطاب
النساء فيكون الحكم الثانى فى حقهم ناسخا لا فى حقهن ويؤيده التعليل فى حقهن بانهن قليلات الصبر كثيرات
الجزع والفزع لا يملكن انفسهن من الصياح والنياح واما التعليل فى حقهم فلان امواتهم فى صدر الاسلام كانوا
كفرة فنهوا عن زيارة قبورهم فلما كثر اموات المسلمين اجازهم زيارتهم لما فيها من العبرة لاهل الحياة ومنفعة
الدعوة للاموات فهذا حديث اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ (وقوله) اى ويرده ايضا قوله فيما مر عن ابن عمر وغيره
مرفوعا (من زار قبرى) اى وجبت له شفاعتى اوحلت له شفاعتى (فقد اطلق اسم الزيارة) اى فلم تكن الكراهة
لاسم الزيارة (وقيل) اى فى توجيه كلام مالك (لان ذلك لما قيل) اى لقول بعضهم (ان الزائر افضل من المزور وهذا)
اى الاستدلال (ايضا ليس بشئ) اى معتد به وفى نسخة ليس بين اى بظاهر فلم يلتفت اليه (اذ ليس كل زائر بهذه
الصفة) بل الغالب عكسه فى العرف والعادة (وليس هذا) اى هذا القول (عموما) اى عاما فى كل زائر (وقد ورد
فى حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم ولم يمنع هذا اللفظ) اى اطلاق لفظ الزيارة (فى حقه تعالى) ففى حق نبيه عليه
السلام بالاولى فلا يصح الاستدلال بهذا المبنى على هذا المعنى وزيد فى بعض النسخ هنا (وقال ابو عمران) اى الفاسى
وفى كثير من النسخ ابو عمر وهو ابن عبد البر (انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض) اى فيما بينهم (فكره تسوية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
مع الناس) اى عمومهم (بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه
ان السلام ايضا يستعمل عاما فلا يكون التعليل تاما (قال وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد الرحال)
وفى نسخة شد المطى (الى قبره عليه السلام يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد لا وجوب فرض)
اى موجب تهديد وفيه ان لفظ الزيارة قضية لغوية كالحج والعمرة والصلاة والزكاة وامثالها والوجوب والندب
والنافلة من الاحكام الشرعية (والاولى عندى ان منعه) اى منع هذا القول هنالك (وكراهة مالك له) اى لذلك
(لاضافته الى قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه) بكسر الهمزة وفتحها (لو قال زرنا النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يكرهه) اى مالك ومن تبعه وانما ذلك (لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل قبرى وثنا) اى كالوثن وهو
الصنم (يعبد بعدى) اى بعد موتى (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى يسجدون اليها
كما يسجدون للاوثان كما فعله بعض النصارى (فحمى) اى صان مالك (اضافة هذا اللفظ) اى لفظ الزيارة (الى
القبر والتشبه بفعل اولئك) اى العامة (قطعا للذريعة) اى الوسيلة (وحسما) اى قطعا (للباب) اى لفتح هذا
الباب (والله اعلم) اى بالصواب وفيه انه قد ورد بروايات متعددة التصريح بهذه اللفظة فلا يلتفت الى هذه العلة
منها مارواه ابو داود والطيالسى من زار قبرى كنت له شفيعا اوشهيدا ومنها حديث على مرفوعا من زار قبرى
بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى ومن لم يزر قبرى فقد جفانى وجاء عنه موقوفا من زار قبر رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كان فى جواره عليه السلام على انا اذا قلنا زرناه فالمعنى زرنا قبره لانه لا يتصور زيارة ذاته حقيقة
وبهذا المعنى ورد من زارنى بعد مماتى فكانما زارنى فى حياتى بلفظ التشبيه مع ان المعتقد انه وسائر الانبياء
فى قبورهم من الاحياء فانهم اولى بذلك من الشهداء بل قولنا زرنا قبره اولى من زرناه عند التحقيق والله ولى
التوفيق هذا وما وقع للشعبى والنخعى مما يقتضى كراهة زيارة القبور شاذ لا يعول عليه لمخالفته اجماع غيرهما

وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما افرط غيره حيث قال
كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى اقرب الى الصواب
لان تحريم ما اجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لانه فوق تحريم المباح المتفق عليه فى هذا الباب ثم يمكن
حمل كلام من حرم اوكره على صورة خاصة من الزيارة من الاجتماع فى وقت خاص على هيئة منكرة اوصفة مكروهة
من اجتماع الرجال والنساء فى وقت واحد لما فيه من اتخاذ قبره عيدا الموجب لما ورد فيه وعيدا (قال اسحق
ابن ابراهيم الفقيه وعالم بزل) اى من قديم الايام (من شأن من حج) اى من دين من قصد (بيت الله الحرام
المرور بالمدينة) اى مدينة الاسلام لزيارته عليه السلام اى اما قبل الحج واما بعده (والقصد) اى ايضا (الى الصلاة
فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لما ورد فيه من مزيد المضاعفة فى تلك المحال الكرام اذ قد ورد ان الصلاة
فيه بمائة الف (والتبرك برؤية روضته) اى خصوصا (ومنبره وقبره ومجلسه) اى محل جلوسه فى المسجد ومكان
صلاته عند الاسطوانات وغيرها (وملامس يديه ومواطئ قدميه) اى فى نحو المنبر (والعمود الذى كان يستند
اليه) وفى نسخة يسند ففى الصحاح سندت الى الشئ واستندت اليه بمعنى (وينزل جبرائيل بالوحى فيه) اى فى حال استناده
(عليه وبمن عمره) اى والتبرك بمن عمر مسجده مبنى ومعنى وقيل اى زاره (وقصده) اى وبمن قصده (من الصحابة
وأئمة المسلمين) اى من التابعين واتباعهم من المجتهدين والعلماء والصالحين (والاعتبار) بالرفع (بذلك) اى بما ذكره
(كله) اى بجميعه والحاصل انه لا منع من الجمع بين النيات فى تحصيل الطاعات لكن ينبغى ان يكون الغرض
الاصلى بعد حج فرض الاسلام زيارته عليه السلام ويتبعها حضور مشاهده الكرام (وقال ابن ابى فديك) بالتصغير
وثقه جماعة واحتج به اصحاب الكتب الستة (سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا) اى فى الحديث (انه) اى الشأن
(من وقف عند قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلا هذه الاية) وهى قوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على
النبى) الظاهر انه يقرأ ما بعدها ايضا وهو يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ثم قال صلى الله تعالى عليك
الاولى ان يزيد وسلم (يا محمد) الاولى ان يقول يا نبى الله ونحوه (من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله تعالى
عليك يا فلان) اى باسمه (ولم تسقط له) وفى نسخة لك (حاجة) بل ترفع والمعنى قضيت كل حاجة له دنيوية اواخروية
والحديث رواه البيهقى من طريق ابن ابى الدنيا (وعن يزيد ابن ابى سعيد المهرى) بفتح ميم وسكون هاء فراء فياء نسبة
(قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لى اليك حاجة) اى وهى انك (اذا اتيت المدينة سترى قبر النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) اى حقيقة او مجازا وهو محله وحوله (فأقرئه منى السلام) يجوز قطع همزه وكسر رائه ويجوز
وصل اوله وفتح عينه والحديث رواه ابن ابى الدنيا من طريق البيهقى فى الشعب عنه (قال غيره) اى غير المهرى وهو
حاتم بن وردان كما رواه البيهقى فى شعب الايمان (وكان) اى عمر بن عبد العزيز (يبرد) بضم ياء وسكون موحدة وكسر
راء اى يوجه ويسير (اليه البريد من الشام) اى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القاصد من الشام ليقرئه منه
السلام (قال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوقف) اى بين يديه (فرفع يديه حتى
ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم انصرف) لا يعرف استحباب رفع اليدين فى ذلك
المقام عن احد من الاعلام ولعله دعا الله سبحانه وتشفع به عليه السلام (وقال مالك فى رواية ابن وهب) اى عنه
(اذا سلم) اى هو او احد (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة) وذهب بعض
ارباب المناسك ان الزائر يسلم اولا وهو متوجه الى القبر ثم يدعو الله وهو مستقبل القبلة فوق رأسه عليه السلام
(ويدنو) اى ويقرب الى القبر قربا يناسب الادب (ويسلم ولا يمس القبر) وكذا جدار رقبته وشباك حجرته عليه السلام
(بيده) ولا يقبله لعدم وروده عن الصحابة الكرام ولانه اقرب الى مقام الادب ولان ذلك من عادة النصارى على
ما نقله الغزالى (وقال) اى مالك (فى المبسوطة لا ارى) اى لا اجوز (ان يقف) اى احد (عند قبر النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضى) هذا بظاهره يناقض ما سبق عنه اللهم الا ان يقال هذا بيان الاكمل فتأمل (قال
ابن ابى مليكة) بالتصغير تابعى تيمى مؤذن ابن الزبير وقاضيه قال بعثنى ابن الزبير على قضاء الطائف فكنت اسأل ابن
عباس واما ابو مليكة فصحابى (من احب ان يقف وجاه النبى صلى الله عليه وسلم) بكسر الواو وبضم اى فى مواجهته
ومقابلته (فليجعل القنديل) بكسر القاف معروف واما بفتحه فهو عظيم الرأس (الذى فى القبلة) اى فى جهتها
(عند القبر على رأسه) اى محاذيا لرأسه (وقال نافع) هو مولى ابن عمر من ائمة التابعين واعلامهم (كان ابن عمر يسلم على
القبر) اى على من فيه (رأيته) اى ابن عمر يفعل ذلك (مائة مرة واكثر) وفى نسخة او اكثر يعنى بل اكثر (يجئ الى القبر
فيقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى) وفى نسخة السلام على ابى

حفص وهو كنية عمر وهذا اقرب الى الادب (ثم ينصرف) اى ولم يزد على ذلك رواه البيهقى وغيره (وروى) وفى نسخة وربى اى ابصر (ابن عمر واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى موضع قعوده (من المنبر ثم وضعها) اى يده (على وجهه) رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى انه رأه واضعا يده على مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن قسيط) بفتح قاف فكسر مهملة او بالتصغير وهو الاصح (والعتبى) بضم عين فسكون فوقية فوحدة (كان اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خلا المسجد) اى عن عامة الناس (جسوا) بفتح الجيم وتشديد السين المهملة اى جسوا ومسوا (رمانة المنبر) اى العقدة المشابهة للرمانة (التى تلى القبر) يعنى التى كان يأخذها عليه السلام بيمينه (بميامنهم) متعلق بجسوا اى مسحوا بايمانهم طلبا لليمن والبركة فى زيادة الايمان وايقان الاحسان (ثم استقبلوا القبلة) يدعون اى الله سبحانه بهذه الوسيلة المشتملة على الفضيلة رواه ابن سعد (وفى الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثى) هو عالم الاندلس (انه) اى ابن عمر (كان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى عند قبره كما فى نسخة (فيصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر) اى وهو فى مكان يجمع بينهم فى السلام من غير تغير المقام فى القيام (وعند ابن القاسم) وهو فقيه مصر (والقعنبى) وهو احد الاعلام روى عنه البخارى ومسلم وغيرهما (ويدعو لابى بكر وعمر) اى بدل لفظة وعلى ابى بكر وعمر (قال مالك فى رواية ابن وهب) وهو عالم مصر (يقول المسلم) بتشديد اللام المكسورة اى الزائر (السلام) ويروى سلام (عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته قال) اى مالك (فى المبسوطة ويسلم على ابى بكر وعمر) اى باى لفظ كان (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم وهو احد الاعلام (وعندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة) اى بان يقول الصلاة عليك يا نبى الله او الصلاة على رسول الله ولا شك ان الجمع بينهما او بين السلام افضل واكمل كما دل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (ولابى بكر وعمر) يعنى ويدعو لهما ايضا (كما فى حديث ابن عمر من الخلاف) اى المتقدم حيث جاء فى رواية اخرى عنه انه كان يقول السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم السلام على ابى بكر السلام على ابى وفى رواية اخرى عنه انه كان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى ابى بكر وعمر وقد تقدم ان الصلاة على غير الانبياء تكره استقلالا فكيف يصح قول الباجى عندى انه يدعو للنبى بلفظ الصلاة ولابى بكر وعمر وغايته ان حديث ابن عمر فى الرواية الثانية ان ذكر الصلاة عليهما وقع تبعا او تغليبا والحاصل ان الافضل هو الجمع بين الصلاة والسلام للنبى الاكمل واما صاحباه فنخصهما بلفظ السلام فتأمل فانه القول المعول (وقال ابن حبيب) احد الائمة ومصنف الواضحة (ويقول) اى الزائر (اذا دخل مسجد الرسول) اى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كره بعض العلماء اطلاق الرسول من غير اضافة الى الله سبحانه لتوهم معناه اللغوى (بسم الله وسلام) اى تمام (على رسول الله عليه السلام) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (السلام علينا) اى وعلى عباد الله الصالحين (من ربنا) اى من جانبه ومن لطفه وكرمه (صلى الله وملائكته) الاولى زيادة وسلم (على محمد اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك وجنتك) اى بتوفيق اكتساب طاعتك واجتناب معصيتك (واحفظنى من الشيطان الرجيم) اى من وساوسه وهواجسه (ثم اقصد) فيه التفات اى ثم توجه (الى الروضة) اى الشريفة (وهى ما بين القبر والمنبر فاركع فيها) اى صل (ركعتين) اى قياما بحق الربوبية كما اقتضته العبودية (قبل وقوفك بالقبر) اى الزيارة المصطفوية واداء التحية النبوية (تحمد الله) اى حال كونك تثنى على الله سبحانه (فيهما) اى فى الركعتين وفى نسخة فيها اى فى الصلاة او فى الروضة (وتسأله) اى الله فيهما او بعد الفراغ منهما (تمام ما خرجت اليه) اى من المقاصد (والعون عليه) اى فى جميع المراصد (وان كانت ركعتاك) وهما تحية المسجد (فى غير الروضة اجزأتاك) اى كفتاك عن السنة (وفى الروضة) وكذا فى المواضع الفاضلة فى المسجد (افضل) اى لورود الاحاديث فى فضلها (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين بيتى) اى المختص بعائشة المعبر عنه فى رواية ما بين قبرى (ومنبرى روضة من رياض الجنة) اما حقيقة بان ينتقل اليها حال وصولها واما وسيلة بان تكون العبادة فيها سببا لدخولها وباعثة لوصولها فقد قال القتيبى معناه ان الصلاة والذكر فى هذا الموضع يورثان الجنة فكانه قطعة منها القول ولا منع من الجمع والله اعلم (ومنبرى على ترعة) بضم فوقية فسكون راء فعين مهملة اى عتبة او روضة مرتفعة (من ترع الجنة) رواه احمد بتمامه عن جابر والبزار عن ابى بكر والدارقطنى عن عمر بلفظ قبرى بدل بيتى ورواه بدون الجملة الاخيرة البيهقى عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر ورواه فقط احمد وابو عوانة عن سهل بن سعد والترعة فى الاصل الروضة على مكان مرتفع خاصة فان كانت فى مطمئن فهى روضة وورد ارتعوا فى رياض الجنة يعنى مجالس الذكر وفى رواية اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ونحو ذلك (ثم تقف) خبر معناه امر اى قف ايها الزائر

(بالقبر) اى قريبا منه ومقبلا عليه (متواضعا) اى متذللا فى نفسه (متوقرا) اى معظما لمن فى حضرته (فتصلى عليه وتثنى بما يحضرك) اى لديه (وتسلم على ابى بكر وعمر وتدعو لهما) اى بالغفران والرضوان (واكثر من الصلاة) اى الطاعة والعبادة او الصلاة على صاحب السعادة والسيادة (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالليل والنهار) اى فى ساعاتهما (ولا تدع ان تأتى مسجد قبا) اى ولا تترك اتيان ذلك المسجد وزيارة ذلك المشهد فانه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يأتيها كل يوم سبت راكبا وماشيا وقباء يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ويمنع والاشهر الاكثر مده وتذكيره وصرفه (وقبور الشهداء) اى شهداء احد وغيرهم اى ولا تترك اتيان زيارتهم واستدعاء شفاعتهم (وقال مالك رحمه الله فى كتاب محمد) يعنى واحدا من اصحابه ولعله محمد بن الحسن من اصحاب ابى حنيفة فانه روى عنه الموطأ (ويسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل) اى سلام القدوم والزيارة (وخرج) اى واذا اراد ان يخرج سلام الموادعة (يعنى) اى يريد بذلك وهو (فى المدينة) اولا وآخرا (وفيما بين ذلك) اى احيانا (قال محمد واذا خرج) اى اراد الزائر ان يخرج من المدينة (جعل آخر عهده الوقوف بالقبر) اى للزيارة قياسا على طواف الوداع (وكذلك من خرج) ولو من اهل المدينة (مسافرا) اى حال كونه مريدا للسفر وهذا كله بطريق الاستحباب واستحسان الآداب الموجب لمزيد الثواب (وروى ابن وهب عن فاطمة) اى البتول الزهراء (بنت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد) قال الدلجى بفتح تاء الخطاب ولا اعلم من رواه قلت بل الصواب ان المراد به عموم الخطاب وقد سبق روايته مع مخرجها فى الكتاب (فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة ضبط دخلت بكسر التاء وفصلى بياء المخاطبة (وقل) وفى نسخة وقولى فيه وفيما بعده (اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقل اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك وفى رواية اخرى) اى لابى داود عن ابى حميد واسيد (فليسلم مكان فليصل وفيه) اى فى هذا المروى (ويقول اذا خرج اللهم انى اسألك من فضلك وفى اخرى اللهم احفظنى) اى احرسنى واعذنى واعصمنى (من الشيطان الرجيم) اى المطرود المبعود (وعن محمد بن سيرين) احد اعلام التابعين (كان الناس) اى الصحابة (يقولون اذا دخلوا المسجد) اى المسجد النبوى او جنس المسجد الالهى (صلى الله وملائكته على محمد) جملة خبرية مبنى انشائية معنى (السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته باسم الله دخلنا) اى لا باسم غيره (وباسم الله خرجنا) والمعنى دخلنا مستعينين باسمه وخرجنا متمسكين باسمه ففى الحالين باسمه تعلقنا (وعلى الله توكلنا) اى وفى جميع احوالنا عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا (وكانوا يقولون اذا خرجوا) اى حين خروجهم من هنالك (مثل ذلك وعن فاطمة رضى الله عنها ايضا) اى كما تقدم عنها (كان النبى اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم) وفى نسخة صلى الله عليه وسلم اخرجه احمد والبيهقى فى الدعوات (ثم ذكر) اى ابن سيرين (مثل حديث فاطمة قبل هذا وفى رواية حمد الله وسمى وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر مثله) وهذا نقل بالمعنى وقد ثبت باختلاف المبنى فلا عبرة بقول الدلجى لا ادرى من رواها (وفى رواية) اى للترمذى وابن ماجه (بسم الله والسلام) وفى نسخة والصلاة (على رسول الله وعن غيرها) اى وروى عن غير فاطمة من الصحابة من طرق متعددة فلا يضر قول الدلجى لم اقف عليه لان من حفظ حجة على غيره وكذا الالتفات الى قول الحلبى لا اعرفه بعينه لانه يكفى ان المصنف رواه وهو حافظ ثقة حجة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل المسجد) اى حقيقة او اذا اراد دخوله (قال اللهم افتح لى ابواب رحمتك) اى الدينية والاخروية (ويسر لى ابواب رزقك) اى الحسية والمعنوية (وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وليقل اللهم افتح لى) اى ابواب رحمتك رواه ابن ماجه والنسائى فى اليوم والليلة وابن حبان وابن خزيمة (وقال مالك فى المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من اهل المدينة) اى كلما دخل به وخرج منه (الوقوف بالقبر) اى للزيارة (وانما ذلك) اى لازم (للغرباء) اى من الزائرين دون المقيمين وهذا كما قاله العلماء من ان الصلاة النافلة فى مكة افضل لاهل الاقامة والطواف افضل للغرباء النازلة (وقال) اى مالك رحمه الله (فيه) اى فى المبسوط (ايضا لا بأس لمن قدم) بكسر الدال اى نزل (من سفر) اى من اهل المدينة وغيرهم (او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيصلى عليه ويدعو له) اى بالسلام (ولابى بكر وعمر فقيل له) اى لمالك (فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون) بفتح الدال اى لا يجيئون (من سفر ولا يريدونه) اى ولا يقصدون السفر غالبا (و) هم مع ذلك (يفعلون ذلك) اى الوقوف على القبر للزيارة (فى اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا) اى ان تأخروا (فى الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن اى فى الاسبوع (او فى الايام) اى ولو اكثر من الجمعة (المرة) اى تارة (او اكثر) اى اخرى (عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال مالك

رحمه الله لم يبلغنى هذا عن احد من اهل الفقه) اى من المتقدمين (ببلدنا) يعنى المدينة (وتركه واسع) اى جائز يعنى ولو فعله فسائغ شائع لانه كما قال ابن مسعود ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن والقياس بوقت الوفاة على حال الحياة صحيح ولا شك ان الصحابة كانوا يكثرون السلام عليه فى حال حياته ويتشرفون بتكرار ملاقاته ويتبركون باخذ الفيض من انوار بركاته فاى مانع من التردد على بابه والتوسل الى جنابه على انه قد ثبت من صلى عليه نائيا بلغه ومن صلى عليه عند قبره سمعه نعم ان كانت الكثرة توجب الملالة فلا شك ان يقال فى حقها الكراهة كما يشير اليه حديث زر غبا تزدد حبا واما عند كثرة الشوق ومزية الذوق فلا سبيل الى المنع من تلك الحضرة ولو على سبيل المداومة كما يدل عليه حديث ابى بن كعب فى تكثير الصلاة والسلام عليه والحاصل ان تكثيرها مستحب بالاجماع فايقاعها اولى فى افضل البقاع ولعل السلف الصالح كان عندهم امور أهم من ذلك فكانت تشغلهم عن كثرة الوقوف هنالك وكذا نقول ان طلب العلم وتحصيله وتدريسه وتصنيفه اذا كان خالصا فى طريقه افضل من كثرة الطواف والزيارة بل اكمل من حج النافلة وقصد العمرة فاندفع بما قررنا وارتفع بما حررنا ما يفهم من ظاهر قوله (ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك) وقد قدمنا عذرهم انهم كانوا يشتغلون بامور كانت أهم هنالك (ويكره) اى الوقوف للزيارة من اهل المدينة (الا لمن جاء من سفر او اراده) اى السفر (قال ابن القاسم ورأيت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا) لا شك ان الزيارة فى تينك الحالتين اكثر استحبابا واظهر آدابا لكن لا يلزم منه انهم لم يكونوا فيما بين ذلك من الواقفين هنالك وقد سبق عن نافع ان ابن عمر كان يسلم على القبر رأيته مائة مرة او اكثر ولا شك انه كان من اهل المدينة فتدبر (قال) اى ابن القاسم (وذلك رأيى) اى المختار المطابق لظاهر قول مالك (قال الباجى) وهو بالموحدة والجيم (ففرق) اى مالك وفى نسخة بفتح فسكون اى فصل فارق (بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء قصدوا ذلك) اى فى رحلتهم (واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اجل القبر والتسليم) اى على صاحبه وفيه انه لا يلزمهم ترك ذلك واى مانع لما هنالك فهل ترى احدا قال بان الغرباء لهم الطواف حول الكعبة لانهم قصدوها فى سفرهم دون اهل مكة حيث لم يقصدوها فى اقامتهم (وقال عليه الصلاة والسلام) كما روى مالك فى الموطأ عن عطاء بن يسار مرسلا وعبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم (اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد) اى صنما يعبد من دون الله تعالى وانما قاله خوفا على امته واهل ملته ان يفعلوا مثل جهلة اهل الكتاب بالنسبة الى قبور انبيائهم ومشاهد اصفيائهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد) اى مسجودا بها او مشهودا فيها حيث عبدوها (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبرى عيدا) رواه ابن ابى شيبة موصولا عن على وسعيد بن منصور فى سننه مرسلا من طريقين وتقدم تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (ومن كتاب احمد بن سعيد الهندى فيمن وقف بالقبر لا يلصق به) لانه ناشئ عن قلة الادب مع رسول الرب (ولا يمسه) اى لعدم وروده بل ورد النهى عن مسه ولمسه (ولا يقف عنده طويلا) اى وقوفا طويلا او زمانا طويلا خوفا من الرياء والسمعة او من الملالة والسآمة (وفى العتبية) بضم العين المهملة وسكون الفوقية وكسر موحدة وتشديد تحتية منسوبة الى فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنفها وهو من موالى عتبة بن ابى سفيان اخذ عن يحيى بن يحيى الليثى وطبقته (يبدأ بالركوع) اى بصلاة التحية للمسجد (قبل السلام) اى على سيد الانام حين دخوله (فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قياسا على حال حياته فانه قد ورد ان واحدا من الصحابة دخل المسجد فجاء وسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ارجع وصل ركعتين ثم سلم على وفيه ايماء الى تقديم الحرمة الربوبية على تعظيم الخدمة النبوية (واحب مواضع التنفل منه مصلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث العمود المخلق) بضم ميم وفتح خاء معجمة ولام مشددة مفتوحة اى المخمر او المطلى بالخلوق بفتح اوله وهو نوع من الطيب المعبق (واما فى الفريضة فالتقدم الى الصفوف) اى افضل للمأمومين واما الامام فلا شك ان مقامه الافضل بمصلاه الاكمل (والتنفل فيه) اى فى مصلاه بل فى جميع مسجده افضل (للغرباء) دون اهل المدينة لحديث ورد بذلك (احب الى) وكذا الى غيره (من التنفل فى البيت) واهل وجهه ان لا مضاعفة فى الصلاة فى غير المسجد من مواضع المدينة بخلاف ذلك فى مكة فان الحرم كله تضاعف فيه الحسنة بمائة الف فالنوافل فى البيوت افضل لهم ولو كانوا من الغرباء

(فصل)

(فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الادب) وفى نسخة من الاداب (سوى ما قدمنا) اى من انواع الاستحباب (وفضله) اى فضل مسجده (وفضل الصلاة فيه) اى وما يتعلق به (وفى مسجد مكة) طردا للباب

وما يتعلق به من بعض الابواب (وذكر قبره ومنبره) اى وشرف ما بينهما وقدره (وفضل سكنى المدينة ومكة) اى سكانهما ومجاورى مكانهما وقدم المدينة بناء على معتقد مالك ومن وافقه على ذلك (قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه) واختلف المفسرون فى المراد به (روى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل اى مسجد هو قال مسجدى هذا) رواه مسلم والترمذى وصححه والنسائى عن ابى سعيد واحمد عن ابى بن كعب وسهل بن سعد وفى رواية لمسلم هو مسجدكم هذا مسجد المدينة فكان الاولى للمصنف ان يقول فقد ورد او ثبت اذ روى بصيغة المجهول موضوعة للتمريض غالبا (وهو قول سعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها وهو من اكابر التابعين فكان الاولى ان يؤخره عن قوله (وزيد بن ثابت وابن عمر) ثم يقول بعده (ومالك بن انس) واما ما ذكره الحلبى من ان اللائق تقديم ابن عمر على زيد بن ثابت فغير زيد بن ثابت لان زيدا من اكابر الصحابة وممن اخذ عنه ابن عباس وغيره وهو اجل كتبة الوحى وقد ورد فى حقه افرضكم زيد اى اعلمكم بالفرائض وهو امام فى علم القراءة والكتابة وغيرهما وابن عمر من صغار الصحابة والطبقة الثانية منهم رضى الله تعالى عنهم (وعن ابن عباس انه مسجد قباء) اى لانه اسسه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى فيه ايام اقامته بها من يوم الاثنين الى يوم الجمعة وهو اوفق للقصة فى سبب نزول الآية فقد روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا وقالوا بنينا مسجدا لذى الحاجة والعلة فصل فيه حتى نتخذه مصلى فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما رجع كرر عليه فنزلت ويؤيده انه روى البخارى فى تاريخه وجماعة عن محمد بن عبد الله بن سلام انه قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الذى اسس على التقوى مسجد قبا قال ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور خيرا أفلا تخبرونى فقالوا يا رسول الله انا نجد مكتوبا علينا فى التوراة الاستنجاء بالماء ونحن نفعله اليوم كذا ذكره شيخ مشايخنا الحافظ السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير المأثور ويقويه ما رواه الترمذى وابو داود ان هذه الاية نزلت فى اهل قباء فيه رجال يحبون ان يتطهروا وكذا ما رواه ابن ماجه ان هذه الاية لما نزلت فيه رجال قال عليه الصلاة والسلام واقفا على باب مسجد قباء يا معشر الانصار ان الله تعالى قد اثنى عليكم فى الطهور فما طهوركم الحديث وعندى ان الجمع ممكن بان يراد به جنس المسجد الذى اسس على التقوى وان ما ذكر من الطهور لاهل قبا لا ينافى الحمل على اهل مسجده من الانصار والله اعلم بحقائق الاخبار ودقائق الاسرار (حدثنا هشام) وفى نسخة هاشم (ابن احمد الفقيه بقراءتى عليه قال حدثنا الحسين) بالتصغير والاصح كما فى نسخة الحسن (ابن محمد الحافظ) اى حافظ عصره ومحدث دهره وهو الغسانى (ثنا) اى قال حدثنا (ابو عمر النمرى) بفتح النون وكسر الميم وهو ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود) اى صاحب السنن (ثنا مسدد) بفتح الدال الاولى مشددة (ثنا سفيان) اى ابن عيينة (عن الزهرى) وهو الامام ابن شهاب (عن سعيد بن المسيب) من قيل فيه انه افضل التابعين (عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال) جمع راحلة وهى الصالحة لان ترحل او يشد الرحل عليها والرحل للبعير كالسرج للفرس والمعنيان يحتملان هنا وفى النهاية الراحلة من الرحيل البعير القوى على الاسفار والاحمال للذكر والانثى والهاء للمبالغة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة والمعنى لا ينبغى ان تركب دابة لزيارة مسجد من المساجد (الا الى ثلاثة مساجد) لفضلها على غيرها فى كونها مشاهد (مسجد الحرام) بالجر بدل من الثلاثة وفى نسخة المسجد الحرام والمراد به المسجد الذى فى بلد الله الحرام المحترم عند سائر الانام وهو افضلها كما يشير اليه تقديمه فى هذا الحديث ومزيد المضاعفة فيها كما فى اخبار كثيرة وآثار شهيرة (ومسجدى هذا) يعنى مسجد المدينة احترازا من نحو مسجد قباء فلا يدل على حصر فضل مسجده على ما كان مشارا اليه فى مشهده (والمسجد الاقصى) وهو الابعد من المساجد بالنسبة الى العرب وهو الذى ببيت المقدس وهو مسجد كثير من الانبياء وقد دخله عليه الصلاة والسلام وصلى فيه فى ليلة الاسراء وقد اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وابو داود وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغى للعاقل ان لا يشتغل الا بما فيه صلاح دنيوى وفلاح اخروى ولما كان ما عدا المساجد الثلاثة متساوى المرتبة فى الشرف والفضيلة وكان التنقل والارتحال لاجله عبثا من غير المنفعة نهى الشارع عنه لان لا تشد خبر وقع نفيا واراد به نهيا (وقد تقدمت الآثار فى الصلاة والسلام) ويروى التسليم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند دخول المسجد) اى مطلق المساجد فبالاولى مراعاتها فى افضل المساجد (وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) الصواب ترك الياء فى آخره كما بينا وجهه اولا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا دخل المسجد) اى جنسه (قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم) اى ذاته

(وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم) رواه ابو داود (وقال مالك) اى فيما رواه البخارى والنسائى (سمع عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه صوتا) اى عظيما (فى المسجد) اى مسجد المدينة (فدعا بصاحبه) اى طلب صاحب الصوت
(فقال ممن انت) يروى من انت (قال رجل من ثقيف) اى من اهل الطائف (قال لو كنت من هاتين القريتين) اى مكة
والمدينة اى لفعلت نكالا اوامذبتك اولعزرتك وفى نسخة صحيحة لادبتك (ان مسجدنا) اى اهل المدينة خصوصا
(لا يرفع فيه الصوت) اى لما ورد من قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى وهو حى حاضر بعد مماته كما كان
فى حال حياته فيكون موجبا لمراعاته وقد قال بعض علمائنا ان رفع الصوت فى المساجد ولو بالذكر حرام لما يشوش
على اهلها العبادة و يشغل خاطرهم عما تتعلق به الارادة قال الدلجى وقد اتفق العلماء عليه بشهادة الحصر فى حديث
انما بنيت المساجد للذكر والعبادة هذا وفى صحيح البخارى بسنده الى السائب بن يزيد هو الكندى وله صحبة كنت
قائما فى المسجد فحصبنى رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فائتنى بهذين فجئته بهما فقال ممن انتما اومن
اين انتما قالا من اهل الطائف قال لو كنتما من اهل البلد لاوجعتكما ترفعان اصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ولعله سامحهما لكونهما قريبى العهد من الايمان والاسلام وآدابهما اولكونهما من الغرباء
فاوجب مراعاة حالهما (قال محمد بن مسلمة لا ينبغى لاحد ان يعتمد) وفى نسخة صحيحة ان يتعمد اى يقصد (المسجد)
اى فيه (برفع الصوت ولا بشىء من الاذى) اى من دخوله فيه اورميه من بصاق ونحوه (وان ينزهه عما يكره) اى
من بيعه وشرائه وحلاقة رأسه وقص ظفره وقتل قملة ونحوها فان المساجد لم تبن لذلك وانما بنيت لذكر الله
ولما يناسب هنالك (قال القاضى) يعنى المصنف (حكى ذلك كله القاضى اسماعيل فى مبسوطه) وهو الامام شيخ الاسلام
اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد الازدى مولاهم البصرى ثم البغدادى المالكى الحافظ صاحب
التصانيف ولد سنة تسع وتسعين ومائة وقرأ على قالون وتفقه واخذ علم الحديث وقاله عن ابن المدينى روى عنه
جماعة وتفقه عليه طائفة قال الخطيب كان عالما متقنا فقيها شرح مذهب مالك واحتج له وصنف المسند
وصنف فى علوم القرءآن وله كتاب احكام القرءآن لم يسبق الى مثله وكتاب معانى القرءآن وكتاب القراآت واستوطن
بغداد وولى قضاءها الى ان توفى وقال غيره صنف موطأ وصنف كتابا كبيرا نحو مائة جزء فى الرد على محمد بن الحسن لم يتمه
توفى اسماعيل فجأة فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين ومائتين روى النسائى فى الكنى عن ابراهيم بن موسى عن اسماعيل
القاضى عن ابن المدينى والحاصل انه ذكر فيه (فى باب فضل مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والعلماء كلهم
متفقون على ان حكم سائر المساجد هذا الحكم) اقول لكن لا شبهة فى تفاوت مراتب المساجد فى هذا الحكم وغيره
من المقاصد (قال القاضى اسماعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره فى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الجهر) اى
رفع الصوت (على المصلين فيما يخلط) بتشديد اللام المكسورة اى يلبس ويشبه (عليهم صلاتهم) اى من جهة
قراآتهم وعد ركعاتهم (وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت) اى بالكلام فرفع الصوت مرفوع على انه اسم ليس
ومما يخص محله النصب على الخبر والمساجد مرفوع على انه نائب الفاعل (فقد كره) بصيغة المفعول اى كره جماعة
(رفع الصوت بالتلبية) اى مع كونها ذكرا وسنة (فى مساجد الجماعات الا المسجد الحرام ومسجد منى) اقول هذا
الاستثناء انما هو على مقتضى مذهبه ومختار مشربه والا فالصحيح من مذهبنا انه يكره رفع الصوت مطلقا فى جميع
المساجد لانه لا فرق فى العلة المانعة منه فى كل المساجد وفى نسخة ومسجدنا قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ التى
وقفت عليها والظاهر انه تصحيف اذ لا معنى لاضافة المسجد الى القائل هنا ولعل الصواب ومسجد منى فقد قال
السروجى فى شرح الهداية وقال مالك لا يرفع المحرم صوته بالتلبية فى مساجد الجماعات لانها لم تبن لها الا فى المسجد
الحرام ومسجد منى قال وخالف الجماعة فيه وقد لبى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى مسجد ذى الحليفة
دبر صلاته ورووا تلبيته صلى الله عليه وسلم ولو لم يرفع بها صوته لما حفظوها منه هذا لفظه بحروفه انتهى كلام الانطاكى
وفيه ان تلبيته فى مسجد ذى الحليفة ليس كسائر المساجد اذ هو ليس من مساجد الجماعات بل مسجد موضوع
للاحرام وما يتعلق به من الصلاة والتلبية والحاصل ان مذهب الحنفية يستحب التلبية فى المسجد الحرام ومنى
وسائر المساجد التى فى بقاع الحرم لانها موضع النسك ولا يستحب اظهارها فى مساجد الامصار والحل لما روى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يلبى فقال ان هذا المجنون انما التلبية اذا برزت كذا فى الكافى
وفى احكام المساجد للشافعية يستحب التلبية فى المسجد الحرام وفى مسجد منى وابراهيم بعرفات وفى استحبابه
فى سائر المساجد قولان الجديد الاصح انه يستحب والقديم لا لئلا يشوش انتهى وقد علم بما ذكرنا ان الخلاف فى رفع
الصوت المشوش واما امر الاضافة فسهل اذا كان القائل مثلا فى مسجد نمرة او مسجد الخيف والله تعالى اعلم (وقال

ابو هريرة رضى الله تعالى عنه) اى فيما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام صلاة فى مسجدى هذا) اى مسجد
المدينة وقال النووى المضاعفة فيه مختصة بما كان فى زمنه عليه الصلاة والسلام وتحت نظر اصحابه الكرام
(خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضى) يعنى المصنف (اختلف الناس) اى العلماء فانهم هم الناس
(فى معنى هذا الاستثناء) يعنى الا المسجد الحرام هل يفيد الزيادة او النقصان او الاستواء (على اختلافهم) قال الدلجى
اى مع اختلافهم والاظهر ان على على بابها والمعنى اختلافا مبنيا على اختلافهم (فى المفاضلة بين مكة والمدينة)
اى كون ايهما افضل فى حق المجاورة (فذهب مالك رحمه الله فى رواية اشهب) اى ابن عبد العزيز (عنه) اى عن مالك
(وقاله ابن نافع صاحبه) اى صاحب اشهب او صاحب مالك (وجماعة اصحابه) كذا بالاضافة وفى نسخة وجماعة
من اصحابه اى من اصحاب مالك عنه (الى ان معنى الحديث) اى مراده ومقتضاه بحسب مبناه ومفهوم معناه
(ان الصلاة فى مسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلاة فى سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد
الحرام فان الصلاة فى مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون الالف) يعنى فالاستثناء
لبيان النقص فى الجملة وسيأتى ما يرد هذه المقولة (واحتجوا بما روى) اى فى مسند الحميدى (عن عمر بن الخطاب
رضى الله تعالى عنه صلاة فى المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه) وفيه انه يدل على ان صلاة فى المسجد
الحرام خير من مائة صلاة فى مسجد المدينة لانه داخل فيما سواه من غير ذكر استثناء فى مبناه فلا يتم قوله تبعا لهم
(فيأتى فضيلة مسجد الرسول عليه بتسعمائة وعلى غيره بالف) وسيأتى ما يناقضه ويعارضه بما هو اصح فى هذا
الباب مما روى عن عمر بن الخطاب والله اعلم بالصواب (وهذا مبنى على تفضيل المدينة على مكة) اقول بل تفضيل
المدينة على مكة مبنى على هذا اذ سبب تفضيل المكانين بموجب تشريف المسجدين والا فلا شك ان مكة لكونها
من الحرم المحترم اجماعا افضل من نفس المدينة ما عدا التربة السكينة فانها افضل من الكعبة بل من العرش على ما قاله
جماعة على انه لا فضيلة فى العبادة بالمدينة خارج مسجدها لعدم تعلق المضاعفة فى الحسنة بها بخلاف مكة
وما حولها من الحرم المحترم والله تعالى اعلم والحاصل انه ان ثبت افضلية مسجد المدينة يدل على افضلية المجاورة بها
لان المقصود من السكون فيها اتيان العبادة بها على ما قدمناه (وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) وفيه
ان روايته الحديث السابق ليس لها دلالة على مذهبه اللاحق (ومالك واكثر المدنيين) اى علماء اهل المدينة
وفقهائهم من التابعين (وذهب اهل مكة والكوفة) ومنهم ابو حنيفة واصحابه واحمد بن حنبل وسفيان الثورى
وحماد وعلقمة واصحاب الشافعى وغيرهم (الى تفضيل مكة) لحديث النسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه
عن عبد الله بن الحمراء قال رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الحرورة فقال والله انك لخير ارض الله
الى الله تعالى ولولا انى اخرجت منك ما خرجت (وهو قول عطاء) وهو من اكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب
من اصحاب مالك وحكاه الساجى) بالسين المهملة والجيم محدث البصرة وعنه اخذ الاشعرى مقالة اهل الحديث
وله كتاب جليل فى علل الحديث ذكره الشيخ ابو اسحق فى طبقاته فقال اخذ عن الربيع والمزنى وصنف كتاب اختلاف
الفقهاء وكتاب علل الحديث وتوفى بالبصرة سنة سبع وثلثمائة ذكره فى الميزان وقال احد الاثبات ما علمت فيه جرحا
اصلا وقال ابو الحسن ابن القطان مختلف فيه فى الحديث وثقه قوم وضعفه آخرون (عن الشافعى) اى نصا فى هذا الباب
(وحملوا الاستثناء فى الحديث المتقدم) اى عن ابى هريرة برواية الشيخين (على ظاهره) اى للزيادة
(وان الصلاة فى المسجد الحرام افضل) اى منها فى مسجده عليه الصلاة والسلام (واحتجوا) اى لتفضيل مكة على
المدينة (بحديث عبد الله بن الزبير عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه)
اى صلاة فى مسجدى هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام (وفيه) اى وزيد فى حديث ابن الزبير (وصلاة
فى المسجد الحرام افضل من الصلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة) فهذا منطوق وقع صريحا فلا يعارضه مفهوم
ولو كان صحيحا والحديث هذا مما ثبت فى مسند احمد بن محمد بن حنبل وغيره من حديث عبد الله بن الزبير ان النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام
وصلاة فى المسجد الحرام افضل من مائة صلاة فى مسجدى هذا وقال النووى فى شرح مسلم هذا حديث حسن رواه
احمد بن حنبل فى مسنده والبيهقى وغيرهما باسناد حسن انتهى وقد رواه ابن حبان فى صحيحه هذا وقال الدلجى
فى قوله بمائة صلاة اسقط منه المضاف الى صلاة اى بمائة الف صلاة اذ قد ورد كذلك عند احمد وابن ماجه عن جابر
باسنادين صحيحين بلفظ صلاة فى مسجدى افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام
افضل من مائة الف صلاة فيما سواه فحديث ابن الزبير هذا روى ابو هريرة صدره وعمر آخره (وروى قتادة مثله)

وفى نسخة وروى عن قتادة مثله اى مثل حديث ابن الزبير (فياتى فضل الصلاة فى المسجد الحرام على هذا) اى القول
الجمع المجتمع له بحديث ابن الزبير (على الصلاة فى سائر المساجد) اى ولو مسجد المدينة (بمائة الف) قال الحجازى يروى
بمائة والف اقول الظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى ثم اعلم ان العلماء صرحوا بان هذه المضاعفة فيما يرجع
الى الثواب فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب مائة الف فيما سواه ولا يتعدى ذلك الى الاجزاء عن الفوائت حتى لو كان
عليه صلاتان فصلى فى مسجد المدينة او المسجد الحرام او المسجد الاقصى صلاة لم تجزئه عنهما وهذا مما لا خلاف فيه
بين العلماء خلافا لما يغتر به بعض الجهلاء (ولا خلاف) اى بين علماء الامصار (ان موضع قبره صلى الله عليه وسلم افضل
بقاع الارض) اى بشرف قدره وكرمه عند ربه (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (الذى يقتضيه
الحديث) اى الوارد فى فضل المسجدين (مخالفة حكم مسجد مكة لسائر المساجد) ومن جملتها مسجده عليه الصلاة
والسلام بدليل حمل الاستثناء فى حديث ابى هريرة على ظاهره وحديث عمر رضى الله عنه صلاة فى المسجد الحرام خير
من مائة صلاة فيما سواه (ولا يعلم منه) اى من الحديث المذكور (حكمها) اى حكم مكة (مع المدينة) اى فى ايتهما
افضل من الاخرى الا انه يدل على ان المجاورة بمكة والمداومة فى مسجدها بالجماعة افضل من المجاورة بالمدينة لما يترتب
عليها من مزيد المضاعفة الا ان حديث حسنات الحرم بمائة الف ان ثبت صريح فى ان نفس مكة افضل من نفس
المدينة ما عدا البقعة السكينة ومما يدل عليه ايضا ما تقدم من حديث ابن الحمراء فانه حديث صحيح ودلالته على المدعى
صريح (وذهب الطحاوى) وهو ابو جعفر احمد بن محمد بن سلامة العالم المشهور فى المذهب الحنفى (الى ان هذا
التفضيل) اى فى المسجدين (انما هو فى صلاة الفرض) اى لان النافلة فى البيوت افضل (وذهب مطرف) بضم ميم
وكسر راء مشددة وهو اليسارى المدنى مولى ميمونة يروى عن خاله مالك ونافع القارى وعنه البخارى وابو زرعة
(من اصحابنا) اى المالكية (الى ان ذلك) اى التفضيل الوارد فى الصلاة فيهما (فى النافلة ايضا) اى منضمة
الى الفريضة اخذا بظاهر عموم الحديث وكذا قاله ايضا اصحاب الشافعى على ما نقله الحلبى (قال) اى الطحاوى
او مطرف فى تفضيل الصلاة والصوم فيهما (وجمعة خير من جمعة) اى فى غيرهما بما سبق فى فضلهما (ورمضان خير
من رمضان) اى كذلك (وقد ذكر عبد الرزاق فى تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها) اى من البلاد والظاهر على
غيرها (حديثا نحوه) اى نحو ما ذكر قبله رواه الطبرانى عن بلال بن الحارث رمضان بالمدينة خير من رمضان
وجمعة بها خير من جمعة بحذف المفضل عليه للعموم كذا ذكره الدلجى وفى الجامع الصغير رمضان بالمدينة خير من
الف رمضان فيما سواها من البلدان وجمعة بالمدينة خير من الف جمعة فيما سواها من البلدان رواه الطبرانى والضياء
عن بلال بن الحارث المزنى وورد رمضان بمكة افضل من الف رمضان بغير مكة رواه البزار عن ابن عمر (وقال عليه
الصلاة والسلام ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) رواه احمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى
والترمذى عن ابى هريرة (ومثله) اى مثل هذا اللفظ (عن ابى هريرة وابى سعيد) اى فى الموطأ (وزادا) وفى نسخة
صحيحة زاد اى ابو سعيد الخدرى (ومنبرى على حوضى) اى حقيقة او مجازا كما سيأتى (وفى حديث آخر) وقد سبق
مخرجه (منبرى على ترعة من ترع الجنة) بضم الفوقية وسكون الراء وقد تقدم معناها (قال الطبرى) الظاهر انه محمد
ابن جرير (فيه) اى فى الحديث الاول (معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه) اى مع عائشة فى مبيته وثواه
(على الظاهر) اى المتبادر من المعنى اللغوى للبيت (مع انه روى ما بينه) اى هذا المعنى وهو قوله (بين حجرتى ومنبرى
والثانى) اى ثانيهما (ان البيت هنا القبر) اى باعتبار ما له (وهو قول زيد بن اسلم فى هذا الحديث كما روى) اى فى بعض
الروايات (بين قبرى ومنبرى قال الطبرى) اى جمعا بين الروايات (واذا كان قبره فى بيته) اى فى آخر امره (اتفقت معانى
الروايات ولم يكن بينها خلاف) فى مبانى الاعتبارات (لان قبره عليه الصلاة والسلام فى حجرته وهو) اى حجرته وذكره
لتذكير خبره وهو (بيته وقوله) اى فى الحديث الآخر (ومنبرى على حوضى قيل يحتمل انه) منبره اى موضعه (بعينه
الذى كان فى الدنيا وهو اظهر) اى من غيره من الاقوال وذلك بان تنقل تلك البقعة بعينها الى ارض الآخرة فيقع من بقع
ارض الحوض فيها (والثانى ان يكون له هناك منبر) اى عند الكوثر (والثالث ان قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجى وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه) اى ايضا (موجب لذلك) اى لما سبق هنالك كما بينه بقوله (وان الدعاء والصلاة فيه) اى فيما بين بيته ومنبره (يستحق
ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف) كان حقه ان يقول كما روى فانه حديث رواه الحاكم فى مستدركه
عن ابى موسى وفى معناه الجنة تحت اقدام الامهات رواه القضاعى والخطيب فى الجامع عن انس رضى الله تعالى عنه
(والثانى ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون فى الجنة بعينها قاله الداودى) قيل هو الذى شرح البخارى (وروى

ابن عمر) اى كما رواه مسلم (وجماعة من الصحابة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى المدينة) اى فى فضلها
(لا يصبر على لأوائها) بفتح اللام وسكون الهمزة والمد اى ضيق المدينة وعنائها (وشدتها) اى وشدة بلائها
(احد الا كنت له شهيدا) مبالغة شاهد اى اشهد له بما اعلم من صبره عليها (او شفيعا) مبالغة شافع اى واشفع له (يوم
القيامة) واو هنا ليست للشك لانه رواه جابر وسعد ابن ابى وقاص وابن عمر وابو سعيد وابو هريرة واسماء بنت عميس
وصفية بنت ابى عبيد وهى تابعية على الصحيح فحديثها مرسل عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا اللفظ ويبعد
اتفاقهم على الشك وكذا يستحيل اتفاق رواتهم على الشك فاو هنا بمعنى الواو او للتقسيم كما صرح به النووى فيكون
شهيدا لبعض شفيعا لباقيهم او شهيدا لمطيعهم شفيعا لمذنبهم او شهيدا لمن مات فى حياته شفيعا لمن عاش بعد وفاته
وهذه خصوصية زائدة على شهادته فى القيامة على جميع الامم او على اصفياء هذه الامة وزائدة على شفاعته الكبرى
للخلق اجمعين والصغرى للمذنبين وقد ورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتلى
احد انا شهيد على هؤلاء اى شهادة خاصة توجب مزيد الرفعة والعلاء والحاصل انه عليه الصلاة والسلام له شهادات
متكاثرة وشفاعات متظاهرة فى مواقف الآخرة (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فيمن تحمل) اى رفع
حمله وامتعته ونقلها (من المدينة) وتحول عنها الى غيرها (والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) رواه الشيخان عن سفيان
ابن ابى زهير والمعنى لو علموا خيريتها لما فارقوها او لو كانوا من اهل العلم لعلموا خيريتها واصبروا على بليتها (وقال) اى
النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه الشيخان عن جابر (انما المدينة كالكير) بكسر الكاف وهو كير الحداد وهو المبنى
من الطين او هو الزق الذى ينفخ به النار والمبنى الكور قاله ابن الاثير (تنفى) اى المدينة (خبثها) بفتحتين او بضم
فسكون وهو منصوب على المفعولية (وينصع) بنون ساكنة فصاد مفتوحة فعين مهملتين اى ويخلص وقيل يبقى
ويذر (طيبها) بفتح طاء مهملة وتحتية مشددة مكسورة او بكسر فسكون وهو مرفوع على انه فاعل ولو روى
تنصع بالتأنيث وطيبها بالنصب لكان وجها وجيها قيل هذا القول صدر عنه عليه الصلاة والسلام على وجه
التمثيل بجعل المدينة وما يصيب ساكنها من الجهد والبلاء والقحط والغلاء كمثل الكير يميز به الخبيث من الطيب
فيذهب الوسخ ويبقى نحو الذهب ازكى ما كان واخلص وقد روى فى سبب ورود الحديث ان اعرابيا بايع النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم فاصاب الاعرابى حمى بالمدينة فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال يا محمد اقلنى بيعتى فابى ثم جاء
فقال اقلنى بيعتى فابى فخرج الاعرابى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث وعن عمر بن عبد العزيز
لما خرج من المدينة التفت اليها وبكى ثم قال نخشى ان نكون ممن نفته المدينة (وقال) اى فى حديث آخر رواه مسلم عن
جابر (لا يخرج احد من المدينة رغبة عنها) اى للزهد فيها والاعراض عنها وعدم الميل اليها (الا ابدلها الله تعالى
خيرا منه) اى راغبا فى سكناها صابرا على بلواها (وروى عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى سنن البيهقى والدارقطنى
عن عائشة بسند ضعيف (من مات فى احد الحرمين حاجا او معتمرا) اى قاصدا لاحدهما وهو اعم من قول الدلجى
حال كونه محرما بهما (بعثه الله تعالى يوم القيامة لا حساب عليه ولا عذاب وفى طريق آخر) للبيهقى فى الشعب
عن عمر والطبرانى عن جابر وسلمان (بعث من الآمنين يوم القيامة) وفى الجامع الكبير من مات فى احد الحرمين
استوجب شفاعتى وكان يوم القيامة من الآمنين رواه الطبرانى والبيهقى وضعفه عن سلمان (وعن ابن عمر) اى مرفوعا
رواه الترمذى وصححه وابن ماجه وابن حبان (من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها) تحريض على لزومها
واقامته بها ليتأتى له ان يموت فيها اطلاقا للمسبب على سببه كما فى قوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون (فانى اشفع
لمن يموت بها) اى قبل ان اشفع لمن مات فى غيرها قال التلمسانى وروى فانها تشفع وقد اجمعوا ان الموت بالمدينة افضل
مما عداها وقد ورد عن عمر رضى الله تعالى عنه اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك وقد استجاب الله
تعالى دعاءه وجمع له بين ما تمناه (وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس) اى جعله الله تعالى معبدا لهم وقبلة يعبدونه
فيها ويستقبلون ويتوجهون فى عباداتهم اليها (للذى ببكة) وهى لغة فى مكة من بكه اذا دقه لانها تدق اعناق الجبابرة
او لان الناس يزاحم بعضهم بعضا فى الطواف وقد روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فقيل كم بينهما فقال اربعون سنة (الى قوله آمنا) تمامه (مباركا) اى كثير النفع
خصوصا لمن حجه او اعتمره وطاف حوله وشاهد حاله (وهدى للعالمين) اى مرشدا لهم لانه قبلتهم ومتعبدهم (فيه
آيات بينات) اى علامات واضحات على قدرته سبحانه وتعالى وعزته وعظم شأنه (مقام ابراهيم) اى منها مكان قيامه
واثر قدم من اقدامه فى حجر صلد قام عليه لرفع الحجارة فى البناء او حين اذن بالنداء (ومن دخله) اى البيت او حرمه (كان
آمنا) من التعرض فى الدنيا ومن العذاب فى العقبى واما ما تتوهمه بعض العوام من ارجاع الضمير الى المقام فلا يصح

فى المرام لانه لا يتصور الدخول فى حقيقة المقام والمبنى حوله من حوادث الايام (قال بعض المفسرين آمنا من النار) ويدل عليه حديث يبعث الله من هذا الحرم سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وحديث الحجون والبقيع مقبرتا مكة والمدينة يؤخذ باطرافهما وينثران فى الجنة وقيل مبناه خبر ومعناه امر اى امنوه ولا تتعرضوا له وهذا توجيه قوله (وقيل كان) وفى نسخة بل كان (يأمن من الطلب) اى طلب الثار (من احدث حدثا) اى جنى جناية من قتل نفس او قطع جارحة (خارجا عن الحرم ولجأ) بالهمز اى التجأ وعاذ واما قول التلمسانى وروى او لجأ بالتنويع فلا يصح فى مقام التفريع (اليه فى الجاهلية) وكذا فى الاحكام الاسلامية على مقتضى قواعد علمائنا الحنفية فانه لا يتعرض اليه مادام فى الحرم المحترم الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج فاذا خرج منه اقتص منه ولعل عادة الجاهلية كانت على الاطلاق واما فى الاسلام فمن احدث حدثا فى الحرم ولو دخل الكعبة يخرج منها ويقتص منه بالاتفاق (وهذا) اى قوله تعالى ومن دخله كان آمنا (مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت) اى الكعبة وما حولها من ارض الحرم (مثابة للناس) اى مرجعا لهم او مكان مثوبة لهم (وامنا على قول بعضهم) اى من العلماء الحنفية على ما قدمنا عنهم او معناه يأمن من حجه او اعتمره او دخله من عذاب الآخرة او موضع امن لا يتعرض لاهله كقوله سبحانه وتعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم (وحكى ان قوما اتوا سعدون) بفتح السين وسكون العين وضم الدال والقياس صرف سعدون وحدون ولكنهما وقعا غير مصروفين فى كتب الحديث من الاصول المعتمدة (الخولانى) بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ونون قبل ياء النسبة (بالمنستير) بضم ميم وفتح نون وبكسر وسكون سين مهملة وفوقية مكسورة وتحتية ساكنة فراء مكان بالقيروان (فاعلموه ان كتامة) بضم الكاف وفوقية قبيلة من البربر (قتلوا رجلا واضرموا) بالضاد المعجمة اى اشعلوا واوقدوا (عليه النار طول الليل فلم تعمل) اى لم تؤثر (فيه) اى شيأ كما فى نسخة (وبقى) اى الرجل (ابيض اللون) اى زيادة على ما كان عليه او تبدل سواده بياضا وهو الاظهر وفى نسخة ابيض البدن (فقال) اى سعدون (لعله) اى المقتول (حج ثلاث حجج) اى مقبولة وهى بكسر الحاء وفتح الجيم الاولى جمع حجة بفتح الحاء وكسرها (قالوا نعم) اى حج ثلاث حجج (قال حدثت ان من حج حجة) اى واحدة (ادى فرضه) اى ان قام بشرائطه واركانه (ومن حج ثانية داين ربه) اى اقرضه قرضا حسنا وفى اصل الدلجى دان ربه اى اطاعه وعبده والظاهر انه تصحيف لما فى نسخة من زيادة فينادى غدا ملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم (ومن حج ثالثة حرم الله تعالى شعره وبشره) اى ظاهر جلده من باهر جسده (على النار) اى فى الدنيا والآخرة (ولما نظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الكعبة) اى يوم الفتح او وقت هجرته الى المدينة او فى حجة الوداع (قال مرحبا بك) يحتمل التأنيث والتذكير اى سهلا وفضلا (من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك) اى قدرا رواه الطبرانى فى الاوسط عن جابر (وفى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ما من احد يدعو الله تعالى عند الركن الاسود) هو حيث فيه الحجر الاسود وفى الترمذى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم قال الترمذى حسن صحيح وقال المحب الطبرى وقد اعترض بعض الملاحدة فقال كيف يسود الحجر خطايا اهل الشرك والكفران ولا يبيضه توحيد اهل المعرفة والايمان واجيب بان بقاءه اسود انما كان للاعتبار ليعلم ان الخطايا اذا اثرت فى الحجر فتأثيرها فى القلوب اعظم واكثر وللحجر الاسود آيات بينات منها انه يطفو على الماء ومنها انه لا يسخن بالنار ومنها حفظ الله تعالى له من الضياع منذ اهبط الى الارض مع ما وقع من الامور المقتضية لذهابه كالطوفان ومنها انه يقال هلك تحته ثلاثمائة بعير والله تعالى اعلم (الا استجاب الله تعالى له وكذلك عند الميزاب) لا يعرف مخرجه الا انا قد روينا فى رسالة الحسن البصرى الى اهل مكة ان الدعاء يستجاب فى حرمها وعند البيت والركن الاسود والملتزم وتحت الميزاب وهو الذى يقال له ميزاب الرحمة قال الحسن البصرى وسمعت ان عثمان بن عفان اقبل ذات يوم فقال لاصحابه ألا تسألونى من اين جئت قالوا من اين جئت يا امير المؤمنين قال مازلت قائما على باب الجنة وكان رضى الله عنه قائما تحت الميزاب يدعو الله تعالى وذكر الازرقى فى تاريخه عن عطاء قال من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه (وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين) رواه الديلمى وابن النجار ولفظهما من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفر الله ذنوبه كلها بالغة ما بلغت لكن قال السخاوى لا يصح وقد ولع به العامة كثيرا لا سيما بمكة حيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنام وشبهه

مما لا يثبت الاحاديث النبوية بمثله وقد ذكره المنوفى فى مختصره وقال فيه انه باطل لا اصل له والله اعلم ثم على تقدير صحته فهو محمول على تكفير الصغائر لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات (قال الفقيه القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (قرأت على القاضى الحافظ ابى على رحمه الله) هو ابن سكرة (حدثك) وفى نسخة حدثنا (ابو العباس العذرى) بضم العين وسكون الذال المعجمة (قال ثنا) اى حدثنا (ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروى) بفتح الهاء والراء منسوب الى هراة بكسر اوله مدينة عظيمة بخراسان (ثنا الحسن بن رشيق) بفتح الراء وكسر الشين المعجمة هو العسكرى مصرى مشهور عالى السند لين الحفظ وثقه جماعة وانكر عليه الدارقطنى انه كان يصلح فى اصله ويغيره (سمعت ابا الحسن) وفى نسخة ابا الحسين (محمد بن الحسن بن راشد) اى الانصارى يروى عن وراق الحميدى (سمعت ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدى) بالتصغير وهو القرشى المكى الفقيه الامام احد الاعلام وهو من اصحاب الشافعى مات بمكة سنة تسع عشرة ومائتين وهو اول رجل اخرج له البخارى فى صحيحه (قال سمعت سفيان بن عيينه قال سمعت عمرو بن دينار قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما دعا احد بشئ فى هذا الملتزم) بضم الميم وفتح الزاى وهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة قال الازرقى ذرعه اربعة اذرع سمى بذلك لان الناس يلتزمونه فى الدعاء ويقال له المدعى والمتعوذ بفتح الواو (الا استجيب له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ) ويروى مذ هنا وما بعده (سمعت هذا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا استجيب لى وقال عمرو بن دينار) اى الراوى عن ابن عباس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لى وقال سفيان) اى ابن عيينة الراوى عن عمرو بن دينار (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو) اى ابن دينار (الا استجيب لى وقال الحميدى) وهو الراوى عن ابن عيينة (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان) اى ابن عيينة (الا استجيب لى وقال محمد بن ادريس) يعنى الراوى عن الحميدى (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدى الا استجيب لى وقال ابو الحسن) وفى نسخة ابو الحسين (محمد بن الحسن) وهو الراوى عن ابن ادريس (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لى قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق) يعنى شيخه (قال فيه شيأ) اى مثل ما سبق عن بقية مشايخ السلسلة وعلى هذا فالمسلسل هنا منقطع (وانا فما دعوت الله تعالى بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لى من امر الدنيا) اى مما طلبته (وانا ارجو ان يستجاب لى من امر الآخرة) اى مما دعوته (قال العذرى) اى الراوى عن ابى اسامة (وانا فما دعوت الله بشئ فى هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابى اسامة الا استجيب لى قال ابو على) وهو تلميذ العذرى وشيخ المصنف (وانا قد دعوت الله فيه باشياء كثيرة استجيب لى بعضها وانا ارجو من سعة فضله) بكسر السين وفتحها اى واسع كرمه (ان يستجيب لى بقيتها) والاحاديث المسلسلة قل ان تكون متصلة وندر ان تكون صحيحة هذا وقد ذكر شيخ مشايخنا ابو الخير محمد ابن الجزرى فى الحصن الحصين انا قد روينا فى استجابة الدعاء فى الملتزم حديثا مسلسلا من طريق اهل مكة كذا ذكره مجملا من غير ان يبينه مفصلا وقد روى سعيد بن منصور والبيهقى فى سننهما من طريق ابى الزبير عن ابن عباس الملتزم بين الركن والباب لا يسأل الله تعالى احد فيه شيأ الا اعطاه قال ابو الزبير وقد دعوت الله مرة هنالك فاستجاب لى (قال القاضى ابو الفضل) لعله يعنى المصنف نفسه (ذكرنا) وفى نسخة وقد ذكرنا (نبذا) بضم النون وفتح الموحدة فذال معجمة اى قدرا يسيرا (من هذه النكت) بضم ففتح جمع النكتة وهى النقطة والمراد بها الفوائد اللطيفة والعوائد المنيفة (فى هذا الفصل) اى عظيم الفضل (وان لم تكن) اى النبذ او النكت (من الباب) اى باعتبار الاصل وانما ذكرناها فى اثناء الوصل (لتعلقها بالفصل الذى قبله حرصا على تمام الفائدة) اى وغاية منفعته (والله الموفق للصواب برحمته) وكرمه ولطفه

(القسم الثالث)

(فيما يجب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يثبت له ولا بد له من وقوعه (وما يستحيل فى حقه وما يمتنع) اى مع امكان وجوده (او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال تعالى وما محمد الا رسول) اى من جملة الرسل لا من الملائكة الذين لا يموتون الا عند النفخة الاولى (قد خلت من قبله الرسل) اى مضوا وانقرضوا او بعضهم ماتوا وبعضهم قتلوا واستردتهم فى امهم وسيخلو محمد كمن قبله (أفان مات) اى محمد (او قتل انقلبتم على اعقابكم) وهمزة الانكار التوبيخى منصبة على الانقلاب وفى الاية الايماء الى موت الناس حتى الانبياء وتمام الاية

(ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) وانما يضر نفسه حيث يجحد ربه (وسيجزى الله الشاكرين) اى الثابتين على دينهم والصابرين على يقينهم كانس بن النضر عم انس بن مالك فانه لما قيل له فى احد ألا ان محمدا قد قتل قال يا قوم ان كان محمد قتل فان ربه حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده قاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل (وقال) اى الله سبحانه (ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) اى لا الوهية لهما ولا نبوة وانما هى كثيرة الصدق والتصديق بالحق (كانا يأكلان الطعام) وهو مما ينافى الربوبية ولذا قيل هو كناية عن يبولان ويغوطان فهما محتاجان الى اكله اولا ومفتقران الى دفعه ثانيا (وقال وما ارسلنا قبلك) اى احدا (من المرسلين الا انهم) اى ان شأنهم (ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق وقال قل انما انا بشر مثلكم) اى لا ادعى انى ملك وانما اتميز عنكم بانى (يوحى الى انما الهكم اله واحد فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء) اى وباقيهم عليهم السلام (من البشر) اى من جنس بنى آدم وهو ابو البشر وسموا بشرا لظهور جلودهم اذ البشرة ظاهر الجلد (ارسلوا الى البشر) اى من نوعهم (ولولا ذلك) اى التناسب بان كان ارسل اليهم الملائكة (لما اطاق الناس مقاومتهم) اى لما استطاعوا مقابلتهم وملابستهم لضعف البنية البشرية وقوة القدرة الملكية فقد ورد ان جبريل قلع قرى قوم لوط من اصولها على جناحه ثم قلبها اى جعل عاليها سافلها او صاح بثمود صيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ورأى ابليس يكلم عيسى على عقبة بالارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه على اقصى جبل بالهند (والقبول) اى ولما اطاقوا قبول الاحكام واخذ الاسلام (عنهم) اى فى تبليغهم ما ارسلوا به اليهم اذ الجنسية علة الضم قال الحجازى ويروى عليهم اقول الظاهر انه تصحيف (ومخاطبتهم) اى ولما اطاقوا احال مكالمتهم لهم ومخالطتهم معهم (قال الله تعالى) اى فى جواب جمع اقترحوا وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون (ولو جعلناه) اى الرسول الذى اقترحوه (ملكا لجعلناه رجلا) اى لارسلناه فى صورة رجل وهذا معنى قوله (اى لما كان الا فى صورة البشر الذى) افرد نظرا الى لفظ البشر وفى نسخة الذين نظرا الى معناه (يمكنهم) يروى يمكنكم (مخاطبتهم) كما كان جبرائيل يتصور له عليه السلام فى صورة دحية وغيره وفى نسخة مخالطتهم (اذ لا يطيقون) اى جنس البشر (مقاومة الملك ومخالطته ورؤيته اذا كان على صورته) اى وهو على حقيقة ذاته الا نادرا على وجه خرق العادة كما وقع لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى جبريل فى صورته الاصلية مرتين وتتمة جواب المقترحين (وللبسنا عليهم ما يلبسون) اى ولو جعلناه فى صورة رجل لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا رأوه فى صورته قالوا ما هذا الا بشر مثلكم فيكذبونه كما كذبوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) اى الله تعالى لنبيه (قل) اى جوابا لقولهم أبعث الله بشرا رسولا انكارا منهم ان يرسل الله بشرا او اقرارا بان يصلح ان يكون الاله حجرا (لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين) اى ظاهرين كما يمشى بنو آدم فيها ساكنين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اى لا يمكن فى سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من جنسه) اى لتمكنه من مخالطته وتلقنه من مخاطبته (او لمن خصه الله تعالى واصطفاه) اى بان صفى مرآة روحه (وقواه على مقاومته) اى مقابلة الملك ومواجهته (كالانبياء والرسل) فيقومون بدعوة الخلق الى طريق الحق وكان المصنف ذهب فى الفرق بين النبى والرسول الى ما قاله بعضهم ان الرسول صاحب كتاب او شريعة مجددة والنبى بخلافه (فالانبياء والرسل وسائط بين الله تعالى) اى بواسطة ملائكته (وبين خلقه) اى المأمورين بطاعته وعبادته (يبلغونهم اوامره) اى ليمتثلوها (ونواهيه) ليجتنبوها (ووعده) اى على طاعتهم (ووعيده) اى على معصيتهم (ويعرفونهم بما لا يعلمون من امره) اى من امر ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته وقضائه من ايجاد وامداد وافناء وابقاء وغفران ذنب وتفريج كرب ورفع قوم ووضع آخرين (وخلقه) اى وما لم يعلموه من احوال خلقه ابتداء وانتهاء (وجلاله) اى ومن بيان عظمته وهيبته وجماله من رأفته ورحمته وكماله من عنايته ورعايته (وسلطانه) اى علو شأنه وظهور برهانه (وجبروته) اى قهره وقدرته (وملكوته) اى عزته وغلبته وحاصل الكل بيان تصرفه فى ملكه ومملكته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فظواهرهم) اى الانبياء (واجسادهم وبنيتهم) اى ابدانهم المركبة من اشباحهم وارواحهم او الممتزجة من العناصر الاربعة بالوجه المعتبر (متصفة باوصاف البشر طارئ عليها) اى هو جار وهو من طرأ مهموز الفاء (ما يطرأ على البشر من الاعراض) اى العوارض فى الاجسام (والاسقام) كسائر الانام (والموت والفناء) اى ولعله عطف تفسير والا فالفناء لا يطرأ على مطلق الارواح واما الاشباح فقد ورد ان الارض لا تأكل اجساد الانبياء (ونعوت الانسانية) وفى نسخة الادمية اى من القوى الشهوية والغضبية (وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى) اى باوصاف اعلى (من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى) بل متوجهة بالكلية الى المولى وهو الاولى (متشبهة) يروى متشبهة

(بصفات الملائكة) اى فى دوام الذكر والحضور من غير السآمة والفتور وفى القوة على الطاعة والعبادة من غير الملالة ففى البخارى انه اعطى قوة ثلاثين رجلا (سليمة من التغير) اى تغير العقل المورث لتغير النقل (والآفات) اى المنافية لارباب النبوات واصحاب الفتوات (لا يلحقها) اى ارواحهم واشباحهم (غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية) بفتح الضاد وضمها اى فتورها وقصورها فانهم اتم افعالا واصدق اقوالا واكمل احوالا الا انهم قد يغشاهم فترة لطبيعتهم على نعت العلة لكن لا تخرجهم عن كمال القوة وعلو الهمة (اذ لو كانت بواطنهم) اى اسرارهم العلية (خالصة للبشرية) اى من دواعيها (كظواهرهم) اى من لزوم مراعيها (لما اطاقوا الاخذ) اى اخذ العلم وتلقى الوحى (عن الملائكة ورؤيتهم) بالنصب اى ولا اطاقوا املاقاتهم (ومخاطبتهم) اى مكالمتهم (ومخالتهم) بتشديد اللام اى مخالطتهم كما فى نسخة مخالتهم بالفك وهى موادتهم ومصاحبتهم (كما لا يطيقه) اى ما ذكر من الاخذ وما بعده (غيرهم) اى غير الانبياء (من البشر) اى ولو كانوا من الاولياء (ولو كانت اجسامهم) اى اجسادهم كما فى نسخة (وظواهرهم) اى ابشارهم (متسمة) اى متصفة (بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر) اى من غيرهم (ومن ارسلوا) بصيغة المجهول (اليه) اى من اممهم (مخالطتهم) وفى نسخة مخاطبتهم اى الاخذ منهم والانتفاع بامرهم ونهيهم (كما تقدم) اى مما يدل على هذا (من قول الله تعالى) اى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (فجعلوا) بصيغة المجهول اى خلقوا متوسطين بين الارواح الملكية والاشباح البشرية جامعين بين الانوار الباطنية والاسرار الظاهرية فجبلوا (من جهة الاجسام والظواهر مع البشر) اى متشاركين (ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة) اى متناسبين (كما قال عليه الصلاة والسلام) اى فيما رواه البخارى وغيره (لو كنت متخذا من امتى خليلا) اى حبيبا تتخلل محبته خلال قلبى (لاتخذت ابا بكر خليلا) الا ان هذه المحبة الخالصة لقلبى مختصة بمودة ربى كما يشير اليه ما روى عنه عليه الصلاة والسلام لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والتحقيق ان المراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فانه فى مقام جمع الجمع يفنى عن ذاته ومقاماته ويستغرق فى مشاهدة ذات الله تعالى وصفاته (ولكن اخوة الاسلام) اى حاصلة بيننا بنعت الدوام ووصف التمام (لكن صاحبكم) يعنى نفسه الانفس (خليل الرحمن) لتخلل حبه فى قلبه بحيث لا يسع فيه غير ربه (وكما قال) اى فيما رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا (تنام عيناى ولا ينام قلبى وقال) اى فيما رواه الشيخان عن ابن عمر وابى هريرة وانس وعائشة جوابا لقولهم انك تواصل فكيف تنهانا (انى لست كهيئتكم) اى على صفتكم وماهيتكم (انى اظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام اى اصير او ادوم نهارا (يطعمنى ربى ويسقينى) محلهما النصب على الخبرية لاظل ان كانت ناقصة او على الحالية المتداخلة ان كانت تامة وفى رواية ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى اما بافاضته سبحانه عليه ما يقوم مقام طعامه وشرابه بدفع عنه مس الجوع والم العطش الناشئ لديه ويتقوى به على الطاعة وما يجب القيام اليه اى او بايصال رزق من الجنة له ليالى صيامه كما ورد انه عليه الصلاة والسلام كان يبيت يلتوى من الجوع ثم يصبح شبعان وهذا مبنى على ان طعام الجنة لا يفطر على ما قاله ابن الملقن ان كان يظل على ظاهره الموضوع للنهار وقيل اطعام الله تعالى لا يفطر والصحيح الاول وهو ان المراد بالطعام ما يقوم مقامه من القوة لانه لو اكل حقيقة لم يكن مواصلا ويمكن الجمع بانه يتقوى فى النهار ويأكل من طعام الجنة فى الليل كما يشير اليه رواية ابيت فالوصال حاصل فى الجملة له بخلاف غيره (فبواطنهم منزهة عن الآفات) اى المخلة بنعوتهم الملكية (مطهرة عن النقائص والاعتلالات) اى الممتلة على الاجسام الحيوانية (وهذه) اى النبذة (جملة) اى قضية مجملة (لن يكتفى بمضمونها كل ذى همة) اى علية (بل الاكثر) اى من ذوى الهمم الجلية (يحتاج) ويروى محتاج (الى بسط) اى للكلام فى احوالهم (وتفصيل) ولما يتعلق بافعالهم (على ما نأتى به) اى نبينه ونذكره (بعد هذا) اى البيان الاجمالى (فى البابين) اى الموضوعين للمقام التفصيلى (بعون الله تعالى) اى بمعونته وتوفيق هدايته (وهو) اى الله ربى (حسبى) كافى امرى الجليل والقليل (ونعم الوكيل) اى هو افضل من توكل اليه الامور ويعتمد عليه وتطمئن اليه الصدور

(الباب الاول)

(فيما يختص بالامور الدينية والكلام فى عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف وهذا من ملحقات بعض تلاميذه كما تشير اليه الترضية عنه (اعلم ان الطوارئ) بالهمز جمع الطارئ وهو ما يطرأ ويحدث (من التغيرات) اى الموجبة للفتورات ويروى التغييرات

يـانين والاولى هو الاولى كما لا يخفى (والآفات) اى الحاصلة بالعاهات (على آحاد البشر) اى عوامهم ويروى اجساد البشر اى ابدانهم (لا يخلوان نظراً) اى من ان تعرض (على جسمه) اى جسم البشر (او على حواسه) اى الخمس وهى السمع والبصر والشم والذوق واللمس (بغير قصد واختيار) اى من البشر بل بخلق الله تعالى لها فيه (كالامراض والاسقام) اى الاوجاع والآلام (او بقصد واختيار) اى او ان نظراً بهما (وكله) اى وكل ما ذكر مما نظراً بغير اختيار او باختيار (فى الحقيقة عمل وفعل) بل وعقد (ولكن جرى رسم المشايخ) اى دأبهم (بتفصيله الى ثلاثة انواع) اى باعتبار مواردها (عقد) بالجر والرفع (بالقلب) اى جزم وقصد به وعزم (وقول باللسان) اى يترجم عن الجنان (وعمل بالجوارح) اى الاعضاء والاركان (وجميع البشر) اى افرادهم من خواصهم وعوامهم (نظراً عليهم الآفات والتغيرات) بضم الياء التحتية المشددة اى الحالات المختلفة بالانتقال من حالة الى حالة كنعمة ومحنة وملك وهلك ونصر وقهر وكسر وجبر (فى هذه الوجوه كلها والنبى) اى جنسه (وان كان من البشر) اى من جملتهم وعلى طبيعتهم (ويجوز على جبلته) بكسر جيم فوحدة وبلام مشددة اى خلقته (ما يجوز على جبلة البشر) اى سائرهم (فقد قامت البراهين القطعية) اى الادلة اليقينية (وتمت كلمة الاجماع) اى ثبتت (على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التى تقع على الاختيار) اى لعصمة الله تعالى لهم منها (وعلى غير الاختيار) اى لكرامتهم على الله سبحانه فيها (كما سنبينه ان شاء الله تعالى فيما نأتى به من التفاصيل) اى تبيين كل منهما فى فصل على حدة

(فصـــــل)

(فى حكم عقد قلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهو احكامه ولزومه على الشىء وحقيقته (من وقت نبوته اعلم منحنا الله تعالى واياك توفيقه) اى اعطانا اياه بخلقه فينا جملة دعائية اعتراضية والخطاب عام والمعنى افهم (ان ما تعلق) اى الذى تعلق به قلب النبى (منه) اى بعضه ماهو (بطريق التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات (والعلم بالله) اى بذاته العلية (وصفاته) الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والايمان به) اى التصديق بوجوده والتحقيق بكرمه وجوده (وبما اوحى اليه) اى من الوحى الجلى او الخفى ليبلغه او يعمل به (فعلى غاية المعرفة) اى بجزئياته (ووضوح العلم واليقين) اى بكلياته (والانتفاء) اى وعلى غاية التنزه (عن الجهل بشىء من ذلك) اى مما ذكر من العلم المتعلق به سبحانه (او الشك) اى مطلق التردد (او الريب) اى الشبهة (فيه والعصمة) اى وعلى غاية الحفظ (من كل ما يضاد) بتشديد الدال اى ينافى (المعرفة بذلك واليقين) اى بما هنالك (هذا) اى الذى ذكرناه اجمالا من نسبته اليه (ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح) وفى نسخة فلا يصح (بالبراهين الواضحة) اى الادلة البينة (ان يكون فى عقود الانبياء سواه) اى غير ما تقدم (ولا يعترض على هذا) بصيغة المجهول اى وليس لاحد ان يعترض على قولنا هذا ويدفعه (بقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اى حيث حكى عنه سبحانه اذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى قال اولم تؤمن اى اما آمنت فالهمزة للتقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار بايجاب ما بعد النفى الموضوع له بلى (قال بلى) آمنت ولا شك فى ايمانى باحيائك الناشىء عن قوتك وقدرتك (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبى اذ لم يشك ابراهيم فى اخبار الله تعالى له باحياء الموتى) اى فى الدنيا والاخرى اذ كان اثبت ايمانا واتم ايقانا (ولكن اراد طمأنينة القلب) اى بمشاهدة فعل الرب اذ ليس الخبر كالمعاينة على ما ورد فى الاثر (وترك المنازعة) اى بسكون النفس او منازعة اهل المخاصمة (بمشاهدة الاحياء) وفى نسخة لمشاهدة الاحياء فاللام للعلة والباء للسببية (فحصل له العلم الاول) وهو علم اليقين (بوقوعه) اى بوقوع احيائه تعالى (واراد العلم الثانى) وهو عين اليقين (بكيفيته ومشاهدته) اى ملاحظة هيئته والحاصل انه فى مقام استزادة العلم اذ لا نهاية لمراتب تجليات الله وتعيناته ولذا قال لاعلم الخلق بالحق وقل رب زدنى علما وهذا الوجه الاول فى دفع الاعتراض الوارد على الخليل الاكمل (الوجه الثانى ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام انما اراد اختبار منزلته) اى باعتبار مرتبته ورفعة مكانته (عند ربه وعلم اجابته) اى واراد علم اجابة الله له (دعوته) وفى نسخة اجابة دعوته وينسب الى اصل المصنف (بسؤال ذلك من ربه) اى بطلبه منه ان يريه كيفية الاحياء باعادة التركيب والروح فى الموتى (ويكون) وفى نسخة فيكون (قوله تعالى اولم تؤمن اى تصدق) وفى نسخة صحيحة اى الم تصدق (بمنزلتك منى وخلتك) بضم الخاء وتشديد اللام اى وكونك خليلا عندى (واصطفائك) اى بالرسالة وغيرها الدى (الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين) اى معرفة تقبو لها ضعفا (وقوة طمأنينة) اى لاجل مشاهدة (وان لم يكن فى الاول) اى فى المقام الاول من علم اليقين (شك) اى تردد وشبهة (اذ العلوم الضرورية) اى البديهية (والنظرية) اى الفكرية (قد تتفاضل فى قوتها) اى وتتناقص فى ضعفها الا انه

لابد من ثبوت اصولها من غير تردد فى حصولها (وطريان الشك) اى حدوثه ووقوعه (على الضروريات ممتنع) اى من حيث ذاتها (ومجوز) بفتح الواو المشددة وفى نسخة ويجوز اى طريانه او جريانها (فى النظريات) اذ قد يلم بها الوهم ويندفع عنها الفهم (فاراد) اى ابراهيم (الانتقال من النظر) اى السابق (او الخبر) اى الصادق (الى المشاهدة) اى العينية المفيدة للزيادة اليقينية (والترقى) اى الصعود (من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة) وهذا اقتباس من قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه احمد وابن حبان عن ابن عباس مرفوعا ليس الخبر كالمعاينة ان الله عز وجل اخبر موسى عليه السلام بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا القاها فانكسرت ولا يبعد ان قوله ان الله عز وجل يكون مدرجا من قول ابن عباس والله سبحانه وتعالى اعلم (ولهذا قال سهل بن عبد الله) اى التسترى (سأل) اى ابراهيم (كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا فى حاله) اى بصيرة فى كماله (الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين) اى من قومه نمرود وسائر الجنود (بان ربه يحيى ويميت) كما قال تعالى حكاية عنه اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت اى لا غيره بشهادة تعريف الجزئين او بتقدير ضمير الفصل قبل الذى (طلب) جواب لما اى سأل (ذلك) اى اراءة كيفية احياء الموتى (من ربه ليصح احتجاجه) اى عليهم (عيانا) ويلجئهم الحق بيانا وهذا متوقف على صحة كون هذه الواقعة عند نمرود وجنوده وظاهر الآية انه انتقل من هذا الاستدلال وحصل له الزام لغيره فى الحال (الوجه الخامس قال بعضهم) يروى قول بعضهم (هو) اى قوله رب ارنى كيف تحيى الموتى (سؤال) اى طلب من الرب وارد (على طريق الادب المراد) اى المقصود به (اقدرنى) بفتح الهمزة وكسر الدال اى قدرنى وقونى (على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبى) اى حينئذ يكون معناه ليسكن (عن هذه) ويروى من هذه (الامنية) وهى التمنى والتشهى (الوجه السادس انه ارى) اى اظهر ابراهيم لغيره (من نفسه الشك) اى صورة (وما شك) اى حقيقة (ولكن) اى ارى ذلك تأدبا لما هنالك (ليجاوب) بفتح الواو وفى نسخة ليجاب اى ليجيبه ربه (فيزداد قربه) بالاضافة اى كمال قربه بمعرفة منزلته عند ربه وفى نسخة قربة اى عظيمة اذ المجاوبة تؤذن بالمقاربة (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام نحن احق بالشك من ابراهيم) ليس اعترافا منه بالشك لهما بل (نفى لان يكون ابراهيم شك وابعاد) اى زجر وطرد (للخواطر الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم) اذ قد ورد انه لما نزل واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى سمع قوم ذلك فقالوا شك ابراهيم ولم يشك نبينا (اى نحن) يعنى معاشر الانبياء او جماعة المؤمنين (موقنون بالبعث واحياء الله الموتى) اى ولم نشك فى قدرته على ذلك وفى ظهور هذه الحالة هنالك (فلو شك ابراهيم) اى ولو جاز له (لكنا اولى بالشك منه) وهذا القول منه صلى الله تعالى عليه وسلم (اما على طريق الادب) اى مع ابراهيم لانه بمنزلة الاب (او ان يريد) اى بنحن (امته الذين يجوز عليهم الشك) لفقد عصمتهم (او على طريق التواضع) اى هضم النفس (والاشفاق) اى الخوف من تركيبها (ان حملت) بضم الحاء وكسر الميم المخففة (قصة ابراهيم على اختبار حاله) بالموحدة اى امتحان كماله كما فى الوجه الثانى ليعلم منزلة قربه من ربه (او) اى وان حملت قصته على (زيادة يقينه) اى ليزداد حصول علم يقينه بوصول عين يقينه (فان قلت فما معنى قوله) اى الله سبحانه وتعالى (فان كنت فى شك) اى قلق واضطراب (مما انزلنا اليك) اى من كتاب ربك (فاسأل) قرئ بالتخفيف والنقل (الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) فانهم محيطون علما بصحة ما انزلنا اليك من ربك (الآيتين) يعنى لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى فيما انت عليه من الجزم واليقين ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسأل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فيه زيادة تنبيه وتهييج له على دوام ما هو عليه من اليقين وانتفاء الشك فى امر الدين (فاحذر) اى كل الحذر (ثبت الله قلبك) لو قال قلبى وقلبك لكان اولى (ان يخطر ببالك) بضم الطاء اى ان يمر بخيالك (ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس وغيره) اى من المتقدمين او المتأخرين (من اثبات شك للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى) اى الله كما فى نسخة (اليه وانه من البشر) اى وان الخاطرات ليس بها عبرة (فمثل هذا) اى الخاطر المذموم (لا يجوز عليه جملة) لثبوت عصمته من مثل هذا الامر (بل قد قال ابن عباس وغيره) اى باسانيد صحيحة منها ما رواه ابن حاتم عنه (لم يشك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسأل) اى احدا ممن قرأ الكتاب من قبله (ونحوه عن ابن جبير) وهو سعيد (والحسن) اى البصرى (وحكى قتادة) اى فيما رواه ابن جرير (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حين جمع الله له الرسل ليلة اسرى به (قال ما اشك ولا اسأل) لنزاهته وبراءة ساحته عن الشك لعصمته (وعامة المفسرين على هذا واختلفوا) اى المأولون (فى معنى الآية) اى آية فان كنت فى شك (فقيل المراد) اى المفاد بها (قل يا محمد للشاك ان كنت فى شك الآية) اى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفيه تنبيه نبيه لمن خالج قلبه شبهة ان يبادر الى دفعها ويطلب معرفتها من اهل العلم بها اذ شفاء العى السؤال كما ورد

فى حديث وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكران كنتم لاتعلمون (قالوا) اى . أولوا الاية بما ذكر (وفى السورة) اى وفى سورة الاية المذكورة (نفسها مادل) يروى مايدل (على هذا التاويل قوله) اى وهو قوله تعالى وفى نسخة فى قوله اى وهو فى قوله تعالى (قل ياايها الناس ان كنتم فى شك من دينى الاية) اى فلااعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبدالله الذى يتوفاكم وأمرت ان اكون من المؤمنين (وقيل المراد بالخطاب) اى بقوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك هم (العرب وغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن عداه من الامة فالمعنى فان كنت فى شك ايها المخاطب مثل قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ولايشكل بقوله مما انزلنا اليك فان القرءآن كما انزل الى النبى انزل الى امته قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا (كما قال) اى الله (لئن اشركت ليحبطن عملك الخطاب له والمراد غيره) كما فى قولهم اسمعى ياجارة اوهو وارد على سبيل الفرض والتقدير كما تفرض المحال فى مقام التقدير (ومثله فلاتك) وفى نسخة فى فلاتك اى ومثل التاويل السابق فى قوله فان كنت فى شك التاويل فى قوله تعالى فلاتك (فى مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره) اى مثل فان كنت فى شك الاية (كثير) اى فى القرءآن كقوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ماجاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الحق من ربك فلاتكونن من الممترين (قال بكر بن العلاء) من القضاة المالكية (الاتراه) اى الله تعالى (يقول ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله الاية) اى فتكون من الخاسرين (وهو عليه الصلاة والسلام كان) اى هو (المكذب) بفتح الذال المعجمة المشددة وهو منصوب على انه خبر كان (فيمايدعو اليه) اى من التوحيد (فكيف يكون ممن كذب به) يروى يكذب بعنى فدل على انه ليس المراد بالخطاب (فهذا) اى ماذكر (كله) اى جميعه (يدل على ان المراد بالخطاب غيره) اى سواء قلنا الخطاب له اولغيره اولكل من يصلح للخطاب (ومثل هذه الاية) اى آية فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فى ان المراد بالخطاب فيها غيره مقصود فى هذا الباب (قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمورهنا) اى وبيانه ان المأمور فى فاسأل به خبيرا (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسأل النبى والنبى هو الخبير) اى به تبارك وتعالى (المسئول) اى الذى ينبغى ان يسأل منه لانه المخبر عن الله تعالى (لا المستخبر السائل) فان هذا شأن آحاد الامة او الخبير المسئول به غيره عليه الصلاة والسلام اى اسأل عنه تعالى عالما يخبرك بجلال ذاته وكمال صفاته فالباء صلة اسأل بمعنى فتش عنه وعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء اواسأل احدا خبيرا به فالباء صلة خبيرا مبالغة فى الفاعل بمعنى مخبرا وخابر (وقيل) وفى نسخة صحيحة وقال اى بكر بن العلاء فى آية فان كنت فى شك (ان هذا الشك) وفى نسخة ان هذا الشاك (الذى امر) بصيغة المجهول وفى نسخة امر به (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه) اى الله كما فى نسخة وفى اخرى بالنون بدل القاف يعنى فيما حكاه الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام فى كتابه (من اخبار الامم) اى السابقة (لافيما دعا اليه من التوحيد والشريعة) وفيه انه لافرق فى نفى الشك عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى القصتين على السويتين (ومثل هذا) اى مثل ماار يد به غيره عليه الصلاة والسلام من الخطاب وسؤال الذين يقرؤون الكتاب (قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية) اى أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (المراد به) اى بالسؤال مجازا (المشركون) اى الموجودون من اممهم لاستحالة سؤاله من مضى منهم والمعنى اسأل من القيت من اممهم أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون بالاستفهام الانكارى التكذيبى (والخطاب مواجهة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مراد به غيره (قاله القتيبى) بقاف مضمومة وفوقية مفتوحة فتحتية ساكنة فموحدة فياء نسبة وفى نسخة بضم القاف وسكون الفوقية وفتحها فموحدة فالمراد بهما ابو عبدالله عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينورى صاحب المصنفات وقد تقدم والاظهر انه المراد والله اعلم وفى اخرى بعين مهملة ففوقية ساكنة فموحدة فالمراد به فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز العتبى القرطبى مصنف العتبية ويقال لها المستخرجة ايضا من موالى عتبة بن ابى سفيان (وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا من قبلك فحذف الخافض) وهو عن ولم يتعرض لحذف المفعول فى سلنا لوضوحه ولزومه (وتم الكلام ثم ابتدأ) اى الكلام كما فى نسخة بقوله (أجعلنا من دون الرحمن الى آخر الاية) اى آلهة يعبدون كما فى نسخة (على طريق الانكار اى ماجعلنا) اى آلهة فلا عبادة لها (حكاه مكى وقيل امر النبى) بصيغة المفعول وفى نسخة بلفظ الفاعل اى امر الله تعالى النبى (صلى الله عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك) اى هذا الانباء فقد روى انه عليه الصلاة والسلام ليلة اسرى به بعث الله آدم وولده من الانبياء والمرسلين فاذن جبريل ثم قال يامحمد صل بهم فلما فرغ قال له سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون (فكان) اى النبى عليه الصلاة والسلام (اشد يقينا) اى فى مراتب الكمال (ان يحتاج الى

السؤال) من غيره من الرجال ولو كانوا من الكمل فى الاحوال (فروى انه قال لااسأل) اى من احد (قد اكتفيت) اى بما ايقنت وعرفت (قاله ابن زيد) اى عبدالرحمن بن زيد بن اسلم وقد تقدم (وقيل امم من ارسلنا) وفى نسخة سل امم من ارسلنا يعنى انه على تقدير مضاف (هل جاؤهم) اى الرسل (بغير التوحيد) استفهام انكار اى ماجاؤا به بل اتفقوا على خلافه (وهو) اى هذا القيل (معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة) وهم من اكابر التابعين وعمدة المفسرين (والمراد بهذا) اى بقوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا (والذى قبله) اى من قوله فان كنت فى شك الى هنا (اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم بما بعثت) بصيغة المجهول اى ارسلت (به الرسل) اى من التوحيد اجماعا (وانه تعالى لم يأذن فى عبادة غيره لاحد) اى من الانبياء والامم (ردا على مشركى العرب وغيرهم فى قولهم انما نعبدهم) كذا وقع فى كثير من النسخ من الاصول لكن التلاوة انما هى مانعبدهم (الاليقربونا الى الله زلفى) وكذا فى قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكذا دعوى العرب انهم على دين اسماعيل وان ابراهيم كان مشركا كما كانت اليهود والنصارى مدعين ان ابراهيم على دينهم قال تعالى ردا عليهم ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين (وكذلك) اى ومثل ماذكر من الايات (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه) اى القرءآن (منزل) قرئ بالتشديد والتخفيف (من ربك بالحق) ووصف جميعهم بانهم يعلمون حقيقة مشعر بان جحودهم عن عناد فى كفرهم (فلاتكونن من الممترين) اى الشاكين (اى فى علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك) اى بماذكر من حقية ما لديك وحقيقة الكتاب المنزل عليك حسدا من عند انفسهم من بعد ماتبين لهم الحق (وليس المراد به) اى بقوله فلاتكونن من الممترين (شكه فيما ذكر فى اول الاية) اى آية فان كنت فى شك اذ المراد به هنا شكهم فى كونه رسول الله وهنالك الشك فيما انزل الله تعالى ولم يقع شك منه صلى الله عليه وسلم (وقد يكون) اى قوله تعالى فلاتكونن من الممترين هنا (ايضا على مثل ما تقدم) اى من انه عليه الصلاة والسلام امر ان يقول للشاك فان كنت فى شك مما انزلنا اليك او على انه المخاطب والمراد غيره (اى قل يامحمد لمن امترى فى ذلك) اى شك فيما هنالك هذا حق (فلاتكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية) وفى نسخة فى اول الاية اى التى فيها والذين آتيناهم الكتاب وهو قوله (أفغير الله ابتغى حكما) استفهام انكارى اى اطلب غيره تعالى يحكم بينى وبينكم ليظهر المحق منا والمبطل منكم لايكون ذلك منى ابدا ولاابتغى غيره احدا (الاية) وهى قوله تعالى وهو الذى انزل اليكم الكتاب اى القرءآن مفصلا مبينا فيه الحق والباطل (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يخاطب) بكسر الطاء ويروى خاطب (بذلك غيره) اى غير نفسه (وقيل هو) اى امره عليه الصلاة والسلام بالسؤال (تقرير) اى لمشركى قريش يحملهم على الاقرار بما يعرفون من ان الله لم يجعل من دونه آلهة تعبد وتوبيخهم على عبادة الاصنام (كقوله) تعالى اى خطابا لعيسى عليه السلام والمراد بالتوبيخ غيره (أأنت قلت للناس اتخذونى وامى) بفتح الياء وسكونها (الهين من دون الله وقد علم) اى الله سبحانه (انه) اى عيسى (لم يقل) اتخذونى الخ (وقيل معناه ما كنت فى شك) اى على ان ان نافية بمعنى ما واخطأ الدلجى خطأ فاحشا فى قوله ماهنا مصدرية اى مدة كونك فى شك (فاسأل) اى الذى يقرؤون الكتاب لعلمهم بصحة ماانزل اليك من ربك (تزدد) مجزوم على جواب الامر الذى هو سل اى تزد (طمأنينة) اى الى طمأنينتك (وعلما) اى برهانا ويقينا (الى علمك ويقينك وقيل) اى فى معناه (ان كنت فى شك اى فيما شرفناك) من كرم النبوة التامة وشرف الرسالة العامة (وفضلناك) ويروى وعظمناك (به) اى على غيرك بدلالة مافى التوراة ان الله تعالى قال لابراهيم ان هاجر تلد ويكون من ولدها من يده فوق الجميع وايديهم مبسوطة اليه بالخشوع (فاسألهم عن صفتك فى الكتب) اى السابقة (ونشر فضائلك) اى بين الامم السابقة ففى التوراة ياايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب بالاسواق ولايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء اى ملة ابراهيم الغراء فان العرب غيروا فيها كثيرا من الاشياء وفى الانجيل على لسان عيسى عليه السلام انا اطلب من ربى وربكم حتى يمنحكم فارقليط اى كاشفا للخفيات فيكون معكم الى الابد وفيه فاما فارقليط روح القدس الذى يرسله ربى باسمى اى بالنبوة هو يعلمكم ويمنحكم جميع الاشياء ويذكركم ماقلت لكم وقد اخبرتكم بهذا قبل ان يكون فاذا كان فآمنوا به (وحكى عن ابى عبيدة) وهو معمر بن المثنى من اكابر أئمة اللغة وله كتب كثيرة فى الصفات والغريب وايام العرب ووقائعها وكان الغالب عليه الشعر والغريب واخبار العرب توفى سنة عشر ومائتين وقد قارب المائة وله تفسير حديث فى الزكاة وكان ابو عبيد القاسم بن سلام يوثقه ويكثر الرواية عنه فى كتبه (ان المراد) اى المفاد من الاية (ان كنت فى شك) اى حاصل آنسته (من غيرك) اى من جانب غيرك

(فيما انزلنا) اى اليك من الحق والصواب فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبروك بحقيقة هذا الباب (فان قيل فامعنى
قوله حتى اذا استيأس الرسل) اى يئسوا من ايمان اممهم او من النصر فى الدنيا عليهم (وظنوا) اى الرسل (انهم
قد كذبوا) بصيغة المجهول (على قرآءة التخفيف) اى كما قرأ به الكوفيون لان ظاهر ها ظنهم انهم قد اخلفوا
ماوعدهم الله من النصر مع نزاهتهم من ان يظنوا بربهم ذلك الامر لانه سبحانه لايخاف وعده رسله (قلنا المعنى
فى ذلك (ماقالته عائشة رضى الله عنها معاذ الله) اى حاشاه واستجير بالله (ان تظن ذلك) اى الظن المذكور (الرسل
بربها) كان الاولى بربهم وكانه اراد جماعة الرسل (وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا) اى من النصر على مكذبيهم
وطالت مدة امهالهم (ظنوا ان من وعدهم النصر) اى به (من اتباعهم) بيان لمن (كذبوهم) بتخفيف الذال
والضمير الاول للموعودين من اتباع الرسل وهم المؤمنون والضمير الثانى للرسل اى اخلفوهم ماوعدوهم من
نصرهم على عدوهم وتوهموا ان الله تعالى اخلف رسلهم (وعلى هذا) اى مقول عائشة (اكثر المفسرين) فعلى هذا
ضمير ظنوا راجع الى الرسل (وقيل ضمير ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الرسل) الواو بمعنى او فالمعنى ان اتباعهم
ظنوا اذلم يروا لوعدهم النصر نتيجة واثرا ظاهرا بسبب تراخيه عنهم انهم قد كذبوا فيما اخبروا به قومهم من انهم
ينصرون عليهم او المعنى ان اممهم المكذبين لهم ظنوا انهم كذبوا اى كذبتهم رسلهم فى قولهم انهم منتصرون
عليهم (وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير) اى من التابعين (وجماعة من العلماء) اى المتقدمين والمتأخرين
(وبهذا المعنى قرأ مجاهد) اى شاذة (كذبوا بالفتح) اى بفتح الكاف والذال والتخفيف والمعنى ان الامم ظنوا ان
رسلهم كذبوا فى قولهم بالنصر عليهم (فلا تشغل) بفتح التاء والغين وفى نسخة بضم اوله وكسر ثالثه الا انه لغة
رديئة (بالك) اى قلبك (من شاذ التفسير بسواه) اى بغير ماذكرناه من قول عائشة وابن عباس وامثالهما
ولا يتوهم ان الرسل ظنوا به سبحانه انه اخلفهم ماوعدهم من نصرهم على عدوهم (مما لايليق بمنصب العلماء)
بكسر الصاد اى مقامهم ومرتبتهم (فكيف بالانبياء) فماسبق من نسبة الظن المذموم بالاتباع اما ان يحمل
على مجرد الخواطر التى لاتدخل تحت التكليف او على ان بعضهم كفروا بذلك وارتدوا عما هنالك (وكذلك) اى
مثل آية حتى اذا استيأس الرسل وارد من الاشكال (ماورد فى حديث السيرة) اى سيرة النبى عليه الصلاة
والسلام فى ابتدآء النبوة (ومبدأ الوحى) اى بالرسالة (من قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم اى على ما اخرجه
البخارى وغيره (لخديجة) اى بعد ما اخبرها ماجرى له مع جبريل بحرآء (لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك
فيما آتاه الله) اى من النبوة والرسالة والهداية والمعرفة وبروى فيما اتاه من الله تعالى (بعد رؤية الملك) اى واخباره
انه رسول الله (ولكن لعله خشى ان لايحمل قوته) لضعف قوة البشرية (مقاومة الملك) اى مصابرته فانه فى غاية
القوة القوية (واعباء الوحى) بالنصب اى لايحتمل اثقال تحمل الوحى وتبليغه وهو جمع عبء بكسر العين مهموزا
(لينخلع قلبه) كذا فى نسخة مصححة فلعل اللام للعاقبة والاظهر ما فى نسخة فينخلع بالفاء منصوبا اى فيزول حينئذ
قلبه عن مكانه ويحصل له جنون فى شانه (اوتزهق نفسه) اى تخرج روحه (هذا) اى التأويل (على ماورد
فى الصحيح) اى صحيح البخارى وغيره (انه قاله) اى القول السابق ويروى انه قال (بعد لقائه الملك او يكون
ذلك) اى المقول (قبل لقياه الملك) ويروى قبل لقائه الملك ولعله تكرر منه ذلك (واعلام الله تعالى) اى وقبل اخباره له
(بالنبوة لاول ماعرضت) بصيغة المجهول كذا فى نسخة مصححة والاظهر انه بصيغة الفاعل والمعنى فى اول
ماظهرت اولاجل اول مابرزت (عليه من العجائب) اى خوارق العادة من الامور الغرآئب كما بينه بالعطف
التفسيرى حيث قال (وسلم عليه الحجر والشجر) الظاهر ان المراد بهما الجنس فانه روى الدولابى بسنده عن ابن عباس
قال بعث الله محمدا على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة وفى آخره فلما قضى اليه الذى امر به انصرف رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم منقلبا الى اهله لايأتى على حجر ولا شجر الا سلم عليه الحديث ويحتمل ان يراد بالحجر الافراد
ففى صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانى لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم على قبل ان ابعث الحديث وقد وردانه الحجر الاسود على مارواه السهيلى وقيل ان الحجر المعروف بالمتكلم المركوز
فى جدار زقاق بيت خديجة (وبداية المنامات) اى ابتدآئه المقامات العاليات فكان لايرى منا ما الاجاء
مثل فلق الصبح (والتباشير) اى المقدمات المؤذنة بالبشارات ومنه تباشير الصبح اى اوآئله (كما روى فى بعض طرق
هذا الحديث) اى حديث مبدأ الوحى (ان ذلك) اى ماذكر من التباشير (كان اولا فى المنام ثم ارى) بصيغة المجهول
اى اراه الله (فى اليقظة مثل ذلك) اى الذى رأه فى المنام ويروى مثال ذلك (تأنيسا له عليه السلام) من الانس
بالضم ضد الوحشة تسكينا لقلبه (لئلا يفجأه الامر) بفتح الجيم والهمز اى لئلا يرد عليه امر النبوة بغتة (مشاهدة)

اى معاينة (ومشافهة) اى مخاطبة (فلا يحتمله) اى قلبه (لاول حالة) بالتنوين ويروى بالاضافة اى فى اول وهلة
من احواله (بنية البشرية) بكسر الموحدة وسكون النون لضعفها عن القوة الملكية (وفى الصحيح) اى للبخارى ومسلم
(عن عائشة رضى الله تعالى عنها اول ما بدئ به) بصيغة المجهول اى ابتدئ به (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
من الوحى) بيان لما واول مبتدأ خبره (الرؤيا الصادقة) وفى رواية الصالحة من النوم وانما اخبرت بذلك باخباره
عليه الصلاة والسلام او بعض اصحابه لها بما هنالك والا فهى لم تكن ولدت قبل بدئه به فالحديث من مراسيل
الصحابة وهى حجة بلا خلاف (قالت ثم حبب اليه الخلاء) بالمد اى الخلوة والعزلة لفراغ القلب بالذكر والفكر وظهور
النور وسرور الحضور والغيبة عما سواه ونفى الشعور واليه اشار الشاعر حيث قال فصادف قلبا خاليا فتمكنا (وقالت
الى ان) ورواية الشيخين حتى (جاءه الحق) اى الامر المحقق (وهو فى غار حرآء) بكسر الحاء وتخفيف الراء جبل على
ثلاثة اميال من مكة يمد ويقصر ويذكر باعتبار المكان فيصرف ويؤنث باعتبار البقعة فلا يصرف والغار الكهف
والنقب بالجبل وكذا المغارة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه) فيما روى ابن سعد عنه (مكث النبى صلى الله
تعالى عليه وسلم) بضم الكاف وفتحها اى لبث (بمكة خمس عشرة سنة) بسكون عشرة وبالكسر لغة تميم (يسمع
الصوت) اى صوت الملك (ويرى الضوء) اى نوره (سبع سنين ولا يرى شيأ) اى ظاهرا (وثمان سنين يوحى اليه) وهذا
انما يتمشى على القول بانه عليه الصلاة والسلام عاش خمسا وستين سنة والصحيح ان عمره ثلاث وستون سنة فبعد
البعثة بمكة ثلاث عشرة على الصحيح وبالمدينة عشرا بلا خلاف وقيل المراد بثلاث وستين ماعدا سنة الولادة والوفاة
فبهما يتم خمس وستون وفى المسألة قول آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام عاش ستين سنة وهو محمول على اسقاط
الكسر (وقد روى ابن اسحق) اى صاحب المغازى (عن بعضهم) الظاهر ان المراد به بعض الصحابة فان المطلق ينصرف
الى الاكمل (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال وذكر جواره) بكسر الجيم ويضم اى مجاورته واقامته متعبدا
(بغار حرآء) وهو نقب فيه والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وكرر قوله (قال) للتأكيد مع وجود الفصل (فجاءنى)
يعنى جبريل (وانا نائم) اى حقيقة او صورة اى مضطجع على هيئة النائم ولا يبعد ان يكون النوم كناية عن الغفلة
او الاستغراق فى الفكرة (فقال اقرأ فقلت ما اقرأ) اى اى شئ اقرأ فما استفهامية ويؤيده رواية وما اقرأ او ما نافية
بدلالة دخول الباء فى خبرها فى رواية البخارى ما انا بقارئ (وذكر) اى ابن اسحق او من روى عنه (نحو حديث
عائشة رضى الله تعالى عنها فى غطه) بفتح معجمة وتشديد مهملة اى فى ضم جبريل عليه السلام ضما شديدا وفى نسخة
اياه صلى الله تعالى عليه وسلم (واقرآئه له) وفى نسخة اياه (اقرأ باسم ربك) اى صدر هذه السورة قال القاضى
فى الاكمال حكمة هذا الغط له عليه الصلاة والسلام دفع اشتغاله عن الالتفات الى شئ من امر الدنيا ليتفرغ لما اتاه به
وفعل به ذلك ثلاثا وفيه دليل على استحباب التكرار ثلاثا وقد استدل به بعضهم على جواز تأديب المعلم ثلاثا (قال)
اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فانصرف) اى جبريل عليه السلام (عنى وهببت) بفتح الموحدة الاولى اى
استيقظت (من نومى) اى استنبهت من غفلتى او استفقت من استغراقى (كانما صورت) اى مثلت ونقشت وشكلت
سورة اقرأ (فى قلبى ولم يكن) اى الشأن وخبرها (ابغض الى من شاعر او مجنون) اى من قولهم له ذلك والجملة حالية
افادت شدة بغضه نسبة قريش له صلى الله تعالى عليه وسلم بواحد منهما فكيف بهما (قلت) اى فى نفسى اكتم حالى
(لاتحدث) بفتح الفوقية على انه حذف منه احدى التائين اى لاتحدث (عنى قريش بهذا ابدا) اى بقولهم له شاعر
او مجنون (ولاعمدن) بفتح اللام والهمز وكسر الميم وبفتح وتشديد النون اى لاقصدن (الى حالق) بمهملة وكسر لام
اى مكان عال (من الجبل فلاطرحن نفسى منه فلاقتلنها) اى حذرا من ان يسموه بشاعر او مجنون ولعل هذا بناء
على انه ظن ما تبين له من جانب الجن ولذا قال (فبينا انا عامد لذلك) اى قاصد لطرح النفس ومريد لما هنالك
(اذ سمعت منادياينادى من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل) اى مبلغ عن الله تعالى (فرفعت راسى فاذا)
اى ففاجأنى بغتة (جبريل على) ويروى فى (صورة رجل) حال من جبريل اى ممثلا فى صورة رجل او التقدير فظهر لى
على صورة رجل (وذكر الحديث) اى بتمامه واقتصرنا على محل مرامه (فقد بين) اى اظهر عليه الصلاة والسلام
ويروى بين لك (فى هذا الحديث) اى حديث ابن اسحق (ان قوله) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لما قال) لخديجة
رضى الله تعالى عنها لقد خشيت على نفسى (وقصده لما قصد) اى من طرح نفسه من الجبل (انما كان قبل لقاء
جبريل عليه السلام) اى فى اليقظة او فى عالم الحضرة (وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره) اى الله تعالى
(واصطفائه) اى اجتبائه وفى نسخة واظهار اصطفائه اى اظهار شأنه بالرفعة (له بالرسالة ومثله) اى شبيه
حديث ابن اسحق ان ماقال لخديجة انه خشى على نفسه انما كان قبل لقاء جبريل (حديث عمرو بن شرحبيل) بضم

معجمة وفتح راء وسكون مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة وهو غير منصرف ابوميسرة الهمدانى يروى عن عمر وعلى وعائشة وكان فاضلا عابدا حجة صلى عليه شريح قال الحلبى وهذا الذى ذكره القاضى عياض هنا هو فى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى ابى ميسرة عمرو بن شرحبيل (انه عليه الصلاة والسلام قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت ندآء وقد خشيت والله ان يكون هذا) اى ما سمعه من ندآء الملك (لامر) اى لم احط به خبرا يرهقنى من امرى عسرا قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وقال الدلجى الحديث رواه البيهقى عن عمرو بن شرحبيل (ومن رواية حماد بن سلمة) فيما رواه الطبرانى وابن منيع فى مسنده موصولا عن حماد عن عمار ابن ابى عمار عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة رضى الله تعالى عنها انى لاسمع صوتا) اى عظيما (وارى ضوأ) اى نورا كريما (واخشى ان يكون بى جنون) ولم يدر ان شأنه فيه فنون (وعلى هذا) اى على قوله لاسمع صوتا الحديث (يتأول) بصيغة المجهول (لو صح قوله فى بعض هذه الاحاديث) اى رواياتها (ان الابعد شاعر او مجنون) مقول قوله الذى تنازعه الفعلان قبله واعمل الاول اى يتأول قوله بذلك لخديجة ان صح بحمله على انه كان قبل لقاء الملك واعلام الله تعالى له انه رسول ولم يكن معناه الشك وعبر بالابعد عن نفسه الاسعد تحاشيا من ان يقال له شاعر او مجنون (والفاظا) اى وان فى هذه الاحاديث الفاظا ويروى والفاظها (يفهم منها معانى الشك فى تصحيح ما رآه) اى من الضوء وسمعه من الصوت (وانه) اى فى قوله ذلك (كان كله فى ابتدآء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله تعالى له انه رسوله) اى مما ينفى عنه الشك فيما آتاه الله تعالى واختصه به من المنح الالهية ما لم يؤته سواه (فكيف) اى لا يكون ذلك فى ابتدآء امره (وبعض هذه الالفاظ) اى التى نسب صدورها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يصح طرقها) اى اسانيدها لكون بعض من فيها متهما او مجهولا (واما بعد اعلام الله تعالى له) اى بانه رسوله (ولقائه الملك) اى وبعد ملاقاته وتحقق مخاطباته (فلا يصح) اى بان يصدر عنه عليه الصلاة والسلام (فيه ريب) اى شبهة ومرية (ولا يجوز عليه شك) اى تردد (فيما القى اليه) من المعارف الربانية والعوارف السبحانية (وقد روى ابن اسحق عن شيوخه) اى باسانيدهم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى) بصيغة المجهول اى يعوذ بالعوذ التى يرقى بها من الم به حمى ونحوها (من العين) اى من جهة اصابة العين (قبل ان ينزل عليه) اى الوحى او القرآن وهو بصيغة الفاعل او المفعول مخففا او مشددا ويؤيد الثانى (فلما نزل عليه القرآن) ومنه قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر (اصابه نحو ما كان يصيبه) اى قبل ذلك (فقالت له خديجة اوجه) بتشديد الجيم المكسورة اى ارسل (اليك من يرقيك) بفتح الياء وكسر القاف (قال اما الان) اى بعد نزول القرآن (فلا) اى فلا حاجة لى به اكتفاء بربه وكتابه اذ هو هدى وشفاء لقلبه واعلم انه قد وردت احاديث كثيرة بجواز الرقى وكذا فى النهى عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربى مما يعرف معناه كاسماء الله تعالى وصفاته وسور كلامه وآياته ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام اعرضوا على رقاكم قال جابر فعرضناها عليه فقال لا بأس بها انما هى من مواثيق الجن فكانه عليه الصلاة والسلام خشى ان يكون فيها مما يقال ويعتقد من الشرك فى زمن الجاهلية وان المنهى عنه منها ما لم يكن كذلك او ان يعتقد انها نافعة بنفسها كما اشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ما توكل من استرقى اى حق توكله والحاصل ان تركها مع التوكل افضل لقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث من يدخل الجنة بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون (وحديث خديجة رضى الله تعالى عنها) اى الذى رواه ابن اسحق والبيهقى عن فاطمة بنت الحسين وابو نعيم فى الدلائل موصولا من طريق ام سلمة عن خديجة (واختبارها) اى امتحان خديجة (امر جبريل عليه السلام) اى تحقق امره (بكشف رأسها) اى من شعرها (الحديث) اى بطوله (انما ذلك) اى الاختبار والتردد (فى حق خديجة) اى واقع وحاصل (لتحقق صحة) وفى نسخة صدق (نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان الذى يأتيه) اى بما يوحى اليه من ربه ويلقيه (ملك ويزول الشك عنها) اى ويرتفع التردد لها الناشئ مما قال لها من نحو لقد خشيت على نفسى واخشى ان يكون بى جنون (لانها) اى خديجة (فعلت ذلك) اى كشف رأسها (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لاجل امره (وليختبر) اى هو كما فى نسخة اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حاله بذلك) فيكون على بصيرة من امره هنالك (بل) لانتقال من حال الى حال افادان ما فعلته خديجة من الاختبار لم يكن بامر السيد المختار بل نشأ عن ابن عمها ورقة اذ (قد ورد فى حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة) قال ابو حيان يروى الموضوعات عن الثقات وقال ابو حاتم الرازى متروك الحديث (عن هشام) وهو اخو عبد الله الراوى وهشام احد الاعلام يروى عنه شعبة ومالك قال ابو حاتم ثقة امام (عن ابيه) اى عروة بن الزبير اى ابن العوام بن خويلد يروى عن ابويه

وخالته وعلية وطائفة وعنه جماعة قال ابن سعد كان فقيها عالما كثير الحديث ثبتا مأمونا قال هشام صام ابى الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) ام المؤمنين خالته (ان ورقة) وهو ابن نوفل بن اسد (امر خديجة) وهى بنت خويلد بن اسد (ان تختبر الامر) وفى نسخة تخبر بضم الموحدة اى تمتحن وتجرب (بذلك) اى الذى فعلته من كشف رأسها (وفى حديث اسماعيل ابن ابى حكيم) اى فيما رواه ابن اسحق وهو قرشى مدنى يروى عن سعيد بن المسيب وغيره وعنه مالك ونحوه وثقه ابن معين وغيره قال ابن سعد كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز فى خلافته توفى سنة ثلاثين ومائة (انها) اى خديجة (قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ابن عم) لاجتماعهما فى قصى نسبا لانه عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى وهى خديجة بنت خويلد بن اسد ابن عبد العزى بن قصى (هل تستطيع ان تخبرنى بصاحبك) اى تعلمنى بما ناه (اذا جاءك قال نعم) اى استطيع واخبرك به اذا جاءنى (فلما جاءه جبريل) ويروى جاء جبريل اى بعد سؤالها هذا (اخبرها) بمجيئه اليه (فقالت له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (اجلس الى شقى) بكسر الشين وتشديد القاف تريد احد جنبيها (وذكر الحديث الى آخره) وفيه فجلس اليه وكشفت رأسها فلم يدخل جبريل (وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم فاثبت) اى على ما انت عليه (وابشر) اى بكل خير مما لديه (وآمنت به) اى حينئذ او آمنت قبل لكن اطمأنت به فحصل لها عين اليقين بعد علم اليقين فهى اول من آمن به مطلقا او من النساء (فهذا) اى الذى قالته (يدل انها) اى على انها كما فى نسخة (مستثبتة) اسم فاعل من باب الاستفعال من الثبات اى طالبة للوثوق (لما) اى لاجل ما وفى نسخة بما اى بسبب ما (فعلته) اى من الاختبار (لنفسها) اى لايقانها (ومستظهرة به) اى مستقوية بما فعلته (لايمانها) اى به عليه الصلاة والسلام (لا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) تأكيد لقوله لنفسها ولا سقطت من اصل الدلجى فقال عدى باللام لتضمنه معنى الانقياد (وقول معمر) بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة ابن راشد سكن اليمن (فى فترة الوحى) بفتح الفاء اى انقطاعه عنه سنتين ونصف كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى الحديث فى صحيح البخارى فى التعبير وقال الدلجى فيما رواه احمد والبيهقى (فحزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر الزاى اى صار ذا حزن بسبب فتور الوحى وتأخره عنه (فيما بلغنا عنه) اى وصل الينا من مشايخنا (حزنا) اى عظيما (غدا) اى ذهب (منه) اى من اجله او قصد فيه (مرارا) اى مرة بعد اخرى (كى يتردى) اى يقصد السقوط ويروى كاد يتردى (من) رؤوس (شواهق الجبال) اى اعاليها وانما جمع باعتبار تكرار ما قصده (لا يقدح) لا يخل اى قول معمر (فى هذا الاصل) الذى قدمناه من ان ما قاله لخديجة من الخشية على نفسه لم يكن على الشك فيما منحه الله تعالى (لقول معمر عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فيما بلغنا) اى بطريق الاجمال (ولم يسنده) ليعلم حال الرجال من الانقطاع والاتصال (ولا ذكر رواته) ليعرف ثقاته (ولا من حدث به) اى من المخرجين (ولا ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اى فيكون الحديث مرفوعا او قاله صحابى فيكون موقوفا (ولا يعرف مثل هذا) اى والحال انه لا يعرف حقيقة هذا المقال ولا حقية هذه الحال وهو انه كاد يلقى نفسه من الجبال (الا من جهة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ولعله عليه الصلاة والسلام حدث عائشة رضى الله عنها خبر فترة الوحى وقال فيه فحزنت الى آخره بلفظ التكلم فروته عنه بلفظ الغيبة فحزن الى آخره فبلغ من لم يسمعه منها فقال فحزن فيما بلغنا الى آخره فلا يقدح فيما ذكر قال الحلبى ذكر ابو الفتح ابن سيد الناس فى سيرته ما لفظه ورويناه من طريق الدولابى ثنا يونس بن عبد الاعلى ثنا عبد الله بن وهب اخبرنى يونس بن يزيد عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها فذكر نحو ما تقدم وفى آخره ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما بلغنا حزنا الى آخره فهذا لم يكن فيه معمر بالكلية وهذا الذى ذكره هو فى البخارى فى التعبير من قول معمر كما عزاه القاضى اليه وقد وقفت على انه ساقه ابو الفتح من غير كلام معمر والذى يظهر انه من كلام الزهرى ويحتمل ان يكون من كلام غيره والله اعلم (مع انه) اى ما بلغهم من انه حزن (قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه) اى من انه كان قبل ان يلقاه جبريل وفيه انه يدفعه انه وقع فى زمن فترة الوحى ولا شك انه كان بعد لقائه جبريل (او انه فعل ذلك) اى ما ذكر من ارادة التردى (لما احرجه) بالحاء المهملة اى من اجل ما ضيق عليه البال واوقعه فى حرج ضيق الحال (من تكذيب من بلغه) اى اوصل ما ارسل به اليهم (كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك) اى ذابحها ومهلكها غيظا والمعنى اشفق على نفسك ان تقتلها (على آثارهم) اى من بعد اختيارهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى القرآن الجديد الانزال (اسفا) اى من اجل الاسف وهو اشد الحزن او متأسفا عليهم كما قال تعالى فى موضع آخر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات بان تتلهب على فراقهم جمرات (ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك) وهو ابن عبد الله النخعى يروى عنه ابو بكر ابن ابى شيبة وعلى بن حجر وثقه

ابن معين وقال غيره سيء الحفظ وقال النسائي لا بأس به (عن عبد الله بن محمد بن عقيل) بفتح فكسر وهو ابن ابي طالب
يروى عن ابن عمر وجابر وعدة وعنه جماعة قال ابو حاتم وغيره لين الحديث وقال ابن خزيمة واحتج به قال الواقدى
مات بالمدينة قبل خروج محمد بن عبد الله بن حسن سنة خمس واربعين ومائة (عن جابر بن عبد الله) كما رواه البزار
وروى الطبرانى نحوه عن ابن عباس (ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة) بفتح النون وسكون الدال المهملة وهو
مكان اجتماعهم حيث يتشاورون فى مهامهم (للتشاور فى شان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وهى دار بناها قصى
ابن كعب وجعل بابها الى الكعبة ليجتمع فيها العرب للمشاورة وللختان وللنكاح واذا قدمت عير نزلت فيها واذا
ارتحلت رحلت منها وسميت دار الندوة من الندى بتشديد الياء وهو مجتمع القوم قال الشمنى وهى الآن من الحرم
والله تعالى اعلم وهى الزيادة التى تلى ناحية سويقة من المسجد وهى مستقبلة الميزاب وسيأتى قصة مشورتهم واتفاقهم
على قتله عليه الصلاة والسلام (واتفق رأيهم على ان يقولوا) اى فى حقه (انه ساحر) كما مر عن ابى جهل وعن الوليد
ابن المغيرة (اشتد ذلك عليه وتزمل فى ثيابه) اى تلفف (وتدثر فيها) اى تغطى بها فوق الشعار اعنى ما يلى جسده
من الثياب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعارى والعرب دثارى (فاتاه جبريل عليه السلام فقال)
اى مناديا له (يا ايها المزمل) اى تارة واخرى (يا ايها المدثر) لما روى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كنت على حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيأ فنظرت فوقى فرأيت
شيأ وفى رواية عائشة رضى الله عنها فاذا به على كرسى بين السماء والارض يعنى جبريل فرعبت منه ورجعت الى
خديجة فقلت دثرونى دثرونى فقال يا ايها المدثر (اوخاف) اى اوانه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من اجل انه خاف
(ان الفترة) اى للوحى انما كانت (لامر) اى لاجل امر صدر عنه (اوسبب منه فخشى ان تكون) اى فترته (عقوبة من
ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد نهى عن ذلك) وفى نسخة شرع بالنهى عن ذلك اى عن التردى من الجبل لانه كان اول
الاسلام ولم تتبين الاحكام (فيعترض به) اى عليه فى هذا المقام (ونحو هذا) اى من ضيق البال وشدة الحال (فرار
يونس عليه السلام) وفيه ست لغات ضم النون وفتحها وكسرها مع ترك الهمز وبه حيث ذهب مغاضبا لقومه
متبرما من تكذيبهم تخويفا لهم ان يحل العذاب عليهم ظنا منه ان فراره بغير اذن ربه سائغ اذ لم يفعله الا غضبا لربه
وغيظا على مخالفى دينه ومع ذلك لا حظ (خشية تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب) ورجاء ان يؤمنوا به
بعد فقده فقد روى انهم لما فقدوه خافوا نزوله عليهم فاستغاثوا بربهم وقالوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى
لا اله الا انت وقالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وهذا
معنى قوله سبحانه وتعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم فلولا
كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى
حين (وقول الله فى يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه) كما قال تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وليس مراده انه سبحانه غير قادر عليه لان هذا لم يخطر ببال كافر فضلا
عن مؤمن لاسيما انبياء ورسولا روى ان ابن عباس دخل على معاوية فقال يا ابن عباس لقد ضربتنى امواج القرآن
البارحة فغرقت فما اجد لنفسى خلاصا الا بك ثم قرأ الآية ثم قال او يظن نبى الله ان لا يقدر الله عليه فقال
ابن عباس رضى الله تعالى عنه هذا من القدر اى بسكون الدال او فتحها لا من القدرة (قال مكى طمع فى رحمة الله
تعالى) اى سعة كرمه (وان لا يضيق عليه مسلكه فى خروجه) بغير اذنه مغاضبا لقومه ليؤمنوا بعد فقده (وقيل
حسن ظنه بمولاه انه لا يقضى عليه بالعقوبة) لما ورد فى الحديث القدسى انا عند ظن عبدى بى لكنه غفل
عن ان حسنات الابرار سيئات المقربين (وقيل نقدر عليه ما اصابه) اى من الابتلاء ببطن الحوت فى الماء وهو بضم اوله
فسكون ثانيه فكسر ثالثه مخفف نقدر عليه كذا ذكره الدلجى وهو غير صحيح فالصواب انه مخفف قدر بمعنى قدر مشددا
وقد ضبطه الحجازى بضم النون وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة (وقد قرئ) اى فى الشواذ (نقدر بالتشديد)
اى بتشديد الدال المكسورة وكذا قرئ نقدر مبنيا للفاعل وللمفعول مخففا ومثقلا (وقيل نؤاخذه) اى فظن ان لن
نؤاخذه بعتابه او عقابه (بغضبه وذهابه) اذ كان عليه ان يصابرهم ولا يفارقهم الا باذن من ربه (وقال) وفى نسخة
بلا واو العطف (ابن زيد) وفى نسخة ابو زيد وفى اخرى ابو يزيد والصواب الاول فقد نقل ذلك البغوى فى تفسيره عن
ابن زيد والظاهر انه عبد الرحمن بن زيد بن اسلم (معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام) اى الداخل على صدر
الكلام وحذف تخفيفا لدلالة المقام على المرام والمعنى اذهب مغاضبا أفظن ان لن نقدر عليه ويمكن ان يقدر
أذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه والتأويل لازم على كل تقدير لما علله المصنف بقوله (ولا يليق) اى لا يحسن

(ان يظن بنبى) اى فضلا عن رسول (ان يجهل) وروى انه جهل (صفة من صفات ربه) كالقدرة والعلم والارادة
ولذا استدل اهل السنة بطلب موسى عليه السلام الرؤية انها ممكنة فى الجملة ليس فيها استحالة خلافا للمعتزلة
والحاصل انه لا يتصور ان نبيا يظن انه تعالى لا يقدر عليه كما قدمناه (وكذلك) اى يحتاج الى تأويل (قوله)
اى الله سبحانه وتعالى (اذ ذهب مغاضبا) حيث يتوهم انه ذهب مغاضبا لربه فالصواب تأويله بوجه من
الوجوه (الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم) كما مر وهو المناسب ههنا لان المغاضبة مراغمة على ما فى القاموس
(وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما) اى من المفسرين (لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله
تعالى كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء) لاسيما المرسلين (وقيل مستحييا من قومه ان يسموه) بفتح الياء وكسر
السين وتخفيف الميم اى كراهة ان يصفوه (بالكذب) اذ قيل انه قال لهم أجلكم اربعين ليلة فقالوا ان راينا
اسباب الهلاك آمنا وظاهر هذا القيل ان مستحييا تفسير مغاضبا ولم ار هذا المبنى فى كتب اللغة بهذا المعنى فكان
الاولى ان يقال استحياء ولا يبعد ان يكون حالا اخرى مقدرة لتصحيح الكلام والله تعالى اعلم بالمرام (او يقتلوه) اى ذهب
مغاضبا لهم كراهة ان يقتلوه (كما ورد فى الخبر) لم يعرف له من الاثر الا ان الانطاكى قال وهو ما روى انه كان
عندهم من كذب ولم يكن له بينة قتل (وقيل مغاضبا لبعض الملوك) اى لاجله (فيما امره) اى يونس (به من التوجه
الى امر امره الله تعالى) اى امر الله الملك (به على لسان نبى آخر) اى غير يونس عليه السلام كان فى زمنه (فقال له
يونس غيرى اقوى عليه منى) اى اعتذارا منه او ارادة المحجة السهلة حذرا من غلبة المشقة (فعزم عليه) اى حمله
سبحانه وتعالى على الجد والصبر على مقاساة شدائد المر (فخرج لذلك) اى من اجل عزمه عليه ما لا طاقة له به
(مغاضبا) له تاركا ما امره به لصعوبته لديه ولهذا قال تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واصبر لحكم ربك
ولا تكن كصاحب الحوت (وقد روى عن ابن عباس) رضى الله عنهما (ان ارسال يونس عليه السلام ونبوته) اى
المقرونة بالرسالة الى قومه بنينوى اى من الموصل (انما كان بعد ان نبذه الحوت) وقد سقط ان المصدرية بعد بعد
فى اصل الدلجى فقال الحوت فاعل المصدر قبله المضاف الى معموله اى قذفه من بطنه (واستدل) اى ابن عباس
ويحتمل ان يكون بصيغة المجهول عطفا على روى اى وقد استدل لما روى عنه (بقوله) اى بظاهر قوله تعالى
(فنبذناه بالعراء) اى قذفناه من بطن الحوت بمكان عار عن البناء والشجر ونحوهما (وهو سقيم) اى اليم من حرارة
بطن الحوت (وانبتنا عليه) من كمال رأفتنا وجمال رحمتنا (شجرة من يقطين) يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
قيل هى الدباء لان الذباب لا يقع عليها فجعلها الله تعالى فوقه مظلة له كالقبة ويقال ان ريح القرع من ريح يونس
بقى فيه منه رائحة الى القيامة (وارسلناه) اى الى مائة الف او يزيدون يعنى فى رأى العين اذا رآهم الرآئى قال هم
مائة الف او اكثر والمراد وصفهم بالكثرة او او بمعنى بل ويؤيده انه قرئ ويزيدون بالواو ووجه الاستدلال ان الاصل
فى افادة الواو الترتيب كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام نبدأ بما بدأ الله تعالى به ان الصفا والمروة من شعائر الله
ولا يعدل عن هذا المعنى الا اذا عرف دليل خارج عن المبنى وهذا لا ينافى قولهم ان الواو لمطلق الجمع وانها لا تفيد
الترتيب فان مرادهم انه ليس نصا فى المعنى لاحتمال ارادة غيره من هذا المبنى اذا وجد دليل على هذا المدعى هذا
وقيل المراد بارسلناه ارساله الاول اليهم او هو ارسال ثان بعد ذلك اليهم او الى غيرهم لما قيل لما آمنوا سألوه ان يرجع
اليهم فابى تحاشيا من رجوعه للاقامة فيهم بعد هجرته عنهم وقال ان الله تعالى بعث اليكم نبيا (ويستدل ايضا) اى
لما روى عن ابن عباس من ان ارساله اليهم انما كان بعد نبذ الحوت له (بقوله) اى الله سبحانه وتعالى خطابا لنبينا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا تكن) اى حال ضجرك وقلة صبرك (كصاحب الحوت) اى يونس عليه السلام (اذ نادى
وذكر القصة) وهى قوله تعالى (اذ نادى) اى فى بطن الحوت (وهو مكظوم) اى مملوء غيظا (لولا ان تداركه) وفى قراءة
ابن مسعود وابن عباس لولا ان تداركته (نعمة من ربه) بعود رحمته اليه وقبول توبته عليه وقرأ الحسن تداركه بتشديد
الدال على ان اصله تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فى شأنه تتداركه نعمة من ربه (لنبذ بالعراء)
اى لطرح بالفضاء الخالى عن الماء والبناء (وهو مذموم) حال اعتمد عليها جواب لولا والمعنى لولا تداركه رحمته وعود
نعمته لكان على حال مذمته ومذلته (ثم قال فاجتباه ربه) اى قربه واصطفاه (فجعله من الصالحين) اى الكاملين
فى الصلاح والديانة وهم اصحاب النبوة والرسالة (فتكون هذه القصة اذن) اى على هذا (قبل نبوته) اى وارساله
اليهم (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم عن الاغر المزنى (انه) اى الشأن (ليغان على قلبى)
اى ليغطى ويستر والجار نائب الفاعل وهو بصيغة المجهول من الغين وهو اطباق الغيم فى مرأى العين وهو سحاب
لطيف كناية عن حجاب ظريف لما يعرض له عليه الصلاة والسلام مما يصرفه عن دوام ملازمة ذكر الملك العلام على

وجه التمام وهو الاستغراق فى بحر الشهود والفناء عن مطالعة ماسوى الله تعالى فى عالم الوجود لما يعرض له عما يصرفه عن ذلك المقام بسبب اشتغاله بامور امته ومصالحها من الاحكام المتعلقة بالخاص والعام اولاجل تصور قصوره فى مقام العبادة على الوجه التام (فاستغفر الله كل يوم) وفى نسخة فى كل يوم وفى نسخة فى اليوم (مائة مرة وفى طريق) اى للبخارى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه فاستغفر الله (فى اليوم اكثر من سبعين مرة) وهى لاتنافى الرواية الاولى على ان حاصلهما على ارادة الكثرة هو الاولى والحاصل انه كان يعد مايشغله عن ربه فى الصورة ذنبا بالنسبة الى مقامه الاعلى المعبر عنه لى مع الله وقت لايسعنى فيه ملك مقرب ولانبى مرسل والمحققون على انه اراد بالنبى المرسل ذاته الاكمل فى حاله الافضل المعبر عنه بالاستغراق فى لجة فناء بحر التوحيد وبر التفريد وبهذا تبين لك ان حسنات الابرار سيئات المقربين وكانت رابعة العدوية فى مثل هذه القضية قالت استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير والحاصل ان هذا سحاب غين فى الطريقة وحجاب عين فى الحقيقة وحجب الانبياء والاصفياء من الاولياء لم تكن الا نورانية لطيفة لا ظلمانية كثيفة (فاحذر) اى كل الحذر لخوف عظيم الخطر (ان يقع ببالك) اى ويخطر فى خيالك (ان يكون هذا الغين وسوسة او ريبا) بالموحدة اى شكا وشبهة وفى نسخة بالنون فيكون من قبيل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فالمعنى فاحذر ان تتوهم ان يكون هذا الغين رينا اى حجابا شينا (وقع فى قلبه عليه الصلاة والسلام) اى فينقلب عليك الملام (بل اصل الغين فى هذا) اى المكنى به فى المقام (ما يتغشى القلب ويغطيه) عما يقصده من المرام ولعل الحكمة فى ذلك عدم قوة البشرية لدوام ماهنالك (قاله) اى هذا المبنى اللغوى المترتب عليه المعنى الحقيقى (ابو عبيد) وهو معمر بن المثنى كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى هو القاسم بن سلام بتشديد اللام انتهى وهو الظاهر فى هذا المقام وروى قال ابو عبيد (واصله من غين السماء) وفيه ايماء الى مقام العلاء (وهو اطباق الغيم عليها) فهو سحاب عارض لا يمنع السماء عن مقام الاعتلاء (وقال غيره) اى غير ابى عبيد (الغين شئ يغشى القلب) بتشديد الشين وتخفيفها اى يستره ويخفيه (ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق) وهو السحاب الابيض (الذى يعرض فى الهواء) بالمد (فلا يمنع ضوء الشمس) اى بالكلية (وكذلك) اى مثل ماقدمنا لك فيما حذرناك من ان تفهم بالغين نوع وسوسة فى البين (لا يفهم) بصيغة المجهول ليكون اعم ولا يبعد ان يكون بصيغة الخطاب والمراد به الخطاب العام (من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين مرة فى اليوم اذ ليس يقتضيه) اى هذا المعنى (لفظه الذى ذكرناه) اى من المبنى (وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين) وفيه ان الرواية التى ذكرها المصنف بلفظ فاستغفر الله تقتضى ذلك بل الظاهر ان هذا العدد من الاستغفار يترتب على تحقق كل ماوقع من الغين فى عين الابرار نعم هذا لم يرد على ماورد بلفظ وانى لاستغفر الله فان صدر الحديث يشير الى انه قد يغان قلبه عن ربه وآخره يشعر بانه يستغفر الله تعالى كثيرا لاجله او بسبب غيره وحينئذ يحتمل ان يكون استغفاره لنفسه او لغيره من المؤمنين او للجمع بينهما وهو ظاهر قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات مع مافيه من تعليم الامة وتحثيثهم على كثرة الاستغفار والتوبة عن المعصية والغفلة والتقصير فى الطاعة والعبادة للاقتداء بسيد الانبياء على ان فى كثرة الاستغفار فتح باب الفناء وانكشاف مقام البقاء (فيكون المراد بهذا الغين) اى والله تعالى اعلم بحقيقته (اشارة الى غفلات قلبه) اى فى مقام المجاهدة (وفترات نفسه) اى فى مرام المشاهدة (وسهوها) اى اشتغالها بما هو اهم عليها (عن مداومة الذكر) اى اللسانى اذ لا يمنع مانع عن مواظبة الذكر الجنانى ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا خرج من الخلاء قال غفرانك تداركا لما فاته من ذكر اللسان فى ذلك الفضاء او اشعارا بانه قاصر عن القيام بشكر تلك النعماء كما اشار اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى (ومشاهدة الحق) اى فى مقام الفناء والاستغراق المطلق (بما كان) اى بسبب كونه (صلى الله تعالى عليه وسلم دفع اليه) بصيغة المجهول اى رد اليه وحمل عليه (من مقاساة البشر) اى من مكابدة لوازم البشرية من الاكل والشرب وسائر المقتضيات الطبيعية (وسياسة الامة) اى بالاحكام الشرعية (ومعاناة الاهل) اى مقاساة احوال العيال والاولاد والخدام والاحفاد ومكابدة الاقارب القريبة والبعيدة (ومقاومة الولى والعدو) اى مقابلتهما بما يصلح فى معاملتهما (ومصلحة النفس) اى تربيتها وارتياضها حتى تنقاد بتحمل مالها وتحمل ماعليها مما لا بد منه معاشا ومعادا (وكلفه) بصيغة المجهول اى وبما كلفه الله تعالى اى حمله (من اعباء اداء الرسالة) اى من اثقال تأديتها واشتغال تبليغها (وحمل الامانة) اى الخاصة والعامة المؤدية الى كمال الديانة كما اشار اليه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال اى على انفسها او على سكانها فابين اى امتنعن من قبول حملها بحسب القابلية حيث لم يخلقوا لها وما جعلهم الله من اهلها وحملها

الانسان لكمال قابليته وجمال اهليته انه كان اى فى علمه سبحانه وتعالى باعتبار جنسه ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ففى الآية دلالة على ان افراد المؤمنين لابد لهم من الاستغفار والتوبة ليستحقوا بذلك المغفرة والرحمة كما اشعر به قوله سبحانه وتعالى وكان الله غفورا رحيما للمسيئين والمحسنين (وهو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى كل هذا) اى ماذكرناه من اختلاف مقامه ويروى فى هذا كله (فى طاعة ربه وعبادة خالقه) فلا يكون الاستغفار على الحقيقة من التوبة عن المعصية وانما هو من حالة ادنى الى حالة اعلى فان السير فى الله تعالى لا يبلغ احد منتهاه (ولكن) اى الاستغفار مع هذا له سبب وهو انه (لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة) اى رتبة (واعلاهم درجة) اى قربة (واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه) اى عن ملاحظة غير ربه (وخلو همته وتفرده بربه) عن شهود غيره (واقباله بكليته) اى قلبا وقالبا (عليه) اى بتفويض جميع اموره اليه والقائه نفسه كالميت بين يديه (ومقامه هنالك ارفع حاليه) اى بالنسبة الى غير ذلك وجواب لما قوله (رأى عليه الصلاة والسلام حال فترته عنها) اى صورة (وشغله بسواها) اى ضرورة (غضا) بتشديد المعجمة الثانية اى نقصا وانحطاطا (من على حاله) اى رفيع كماله وبديع جماله (وخفضا عن رفيع مقامه) ومنيع مرامه (فاستغفر الله تعالى من ذلك) وطلب المقام الاعلى فيما هنالك (هذا) اى التأويل الذى حررناه (اولى وجوه الحديث واشهرها) اى واظهرها فيما قررناه وفى نسخة واشهدها اى وابينها اوادلها فيما ذكرناه (والى معنى ما اشرنا به) اى اليه كما فى نسخة وفى نسخة والى ما اشرنا به فيه من تأويل الحديث (مال كثير من الناس وحام حوله) اى دار فى جوانبه اهل الاستئناس (فقارب) اى امره (ولم يرد) اى احد حكمه وقيل لم يصله على انه من ورد (وقد قربنا غامض معناه) اى مشكل معناه مع ما يتعلق بحل مبناه (وكشفنا للمستفيد محياه) بضم الميم وتشديد الياء اى نقاب وجهه وحجاب امره وفى نسخة مخباه بخاء معجمة وتشديد موحدة اى مخفيه واصله الهمز كما فى قوله الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبأ فكانه ابدل للتخفيف مراعاة للسجع (وهو) اى التأويل المذكور (مبنى على جواز الفترات) اى التكاسل فى الطاعات والتغافل عن العبادات (والغفلات) اى عما يجب عليهم من الامور فى الاوقات (والسهو) اى الغلط او اللهو فى بعض الامور والحالات (فى غير طريق البلاغ) اى تبليغ الآيات وما يتعلق بامور الرسالات (على ما سيأتى) اى فى بعض المقامات (وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة) بفتح الميم وكسر الشين وسكونها اى مشايخهم فى الطريق المطلوب (ممن قال بتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) اى عما ذكر من نحو الفترة والغفلة (جملة) اى جميعا بطريق الاجمال من غير تفصيل واستثناء بعض الاحوال (واجله) بتشديد اللام اى وعده عليه الصلاة والسلام جليلا وفى مقام الكمال جميلا (ان يجوز عليه) اى من ان يصدر عنه وفى نسخة بصيغة المجهول مشددة الواو اى من ان يصدر تجويز ما سبق عليه (فى حال) اى من الحالات ووقت من الاوقات (سهو) اى ذهول فى المقامات (او فترة) اى قصور فى الطاعات وكسور فى المقامات ومال (الى ان معنى الحديث) اى المذكور بحسب المآل ان المراد بالغين (ما يهم خاطره) من اهمه الامر اذا ازعجه واقلقه (ويغم فكره) بفتح الياء وضم الغين المعجمة لا كما توهم الحلبى من انه بكسرها كما قبله وفى نسخة بضم اوله اى ويشغل سره (من امر امته) اى اهل دعوته واجابته (عليه الصلاة والسلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم) اى بوصف الدوام (فيستغفر لهم) اى فى ساعات من الايام فالاستغفار راجع الى عصاة امته عليه الصلاة والسلام (قالوا) اى الطائفة المتصوفة (وقد يكون الغين هنا) اى فى هذا الحديث (على قلبه السكينة) اى الوقار والطمأنينة (التى تتغشاه) وفى نسخة تغشاه اى تتنزل عليه مما يخشع له قلبه ويسكن روعه (لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه الصلاة والسلام عندها) اى عند نزولها وحال حصولها (اظهارا للعبودية) يروى لعبوديته (والافتقار) الى تجليات الربوبية (وقال ابن عطاء استغفاره وفعله) اى تضرعه وخضوعه واظهار خوفه (هذا تعريف للامة) اى تعليم لهم (يحملهم) بحاله استئنافية او حالية اى يبعثهم ويحثهم (على الاستغفار) اقول وهذا المعنى لا ينافى ماسبق عن بعض الابرار (قال غيره) اى غير ابن عطاء (ويستشعرون) من الشعور اى ويدركون من تعريفه لهم الاستغفار (الحذر) من الوقوع فى المعاصى على وجه الاصرار ووقع فى اصل الدلجى الحصر اى الحبس لانفسهم على الطاعة وفى نسخة الحظر اى المنع لها عن المعصية والحاصل انهم حينئذ يقعون فى الحذر والخوف على انفسهم (ولا يركنون الى الامن) اى لا يميلون ولا يسكنون اليه ولا يعتمدون عليه (وقد يحتمل ان تكون هذه الاغانة) فى القاموس غين على قلبه غينا تغشته السهوة او غطى عليه والبس او غشى عليه او احاطت به الرين كاغين فيهما انتهى وبهذا علم ان الاغانة لغة فى مبنى الغين والمراد بها ان هذه الغشية (حالة خشية واعظام) اى

ومقام هيبة (تغشى قلبه فيستغفر ربه حينئذ شكر الله وملازمة لعبوديته) اى وبمحافظة على مداومة عبودية مولاه (كما قال فى ملازمة العبادة) اى التى هى اخص من العبودية (أفلا أكون عبدا شكورا) حين قام عليه الصلاة والسلام فى صلاة الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا والحديث رواه الترمذى والفاء للعطف على مقدر تقديره أأترك الصلاة اعتمادا على الغفران فلا أكون عبدا شكورا للرحمن وقد قال فى حق نوح عليه السلام انه كان عبدا شكورا وقال عز وجل وقليل من عبادى الشكور وقيل المعنى ان غفران الله تعالى اياى سبب لان اصلى شكرا له فكيف اتركه ثم تخصيص العبد بالذكر للاشعار بان العبودية تقتضى صحة النسبة وليست تتصور الا بالعبادة وهى عين الشكر فالمعنى الزم العبادة وان غفر لى لا كون عبدا شكورا وكان من سأله ظن ان سبب تحمل مشقة العبادة اما خوف معصية او رجاء مغفرة فافاده ان لها سببا آخر اتم واكمل وهو الشكر على التأهل لها مع اكمال المغفرة واجزال النعمة وقد روى عن على كرم الله وجهه ان قوما عبدوا رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا شكرا فتلك عبادة الاحرار كذا نقله عنه صاحب ربيع الابرار (وعلى هذه الوجوه) اى الاخيرة كما فى نسخة وهى من قوله وقالوا وقد يكون الغين الى آخره (يحمل ما روى فى بعض طرق هذا الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه) بكسر الهمزة اى الشأن (ليغان على قلبى فى اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله تعالى) ولا يخفى ان هذه الرواية تؤيد ان المراد بالعدد فى الحديث السابق هو الغين المرتب عليه الاستغفار لا الاستغفار المجرد عن الغين كما قدمناه (فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولو شاء الله لجمعهم) اى الخلق باجمعهم (على الهدى) بتوفيقهم للايمان وترك العصيان لكن لم تتعلق المشيئة بما هنالك فلم يجمعهم على ذلك واما تأويل المعتزلة بان يأتيهم بآية ملجئة تجمعهم عليه لكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فمردود عليهم لان المشيئة لا تتعلق بالخارج عن الحكمة والحكم الالهية لا نهاية لها ولا غاية لمعرفتها بل اكثرها مجهول عندنا (فلا تكونن من الجاهلين) اى بصفات الله تعالى المقتضية لذلك فان منها الجلالية التى توجب هلاك الكفار وانتقامهم بالنار خالدين فيها ابدا ومنها الجمالية التى توجب الرحمة على المؤمنين وانعامهم بالجنة خالدين فيها ابدا (وقد قال) اى والحال انه قد قال وفى نسخة وقوله اى وما معنى قوله (لنوح عليه السلام) فلا تسألنى ما ليس لك به علم (انى اعظك ان تكون من الجاهلين) وحاصل الاشكال نهيهما عن كونهما من الجهال فاجاب عنه بقوله (فاعلم انه لا يلتفت فى ذلك الى قول من قال فى آية نبينا عليه الصلاة والسلام) وهى الآية الاولى (فلا تكونن ممن يجهل ان الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى) لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن جاهلا بهذا المقام ولا يجوز جهل الانبياء بصفاته الكرام امكن لا يلزم من نهيه عن كونه منهم انه منهم كما قال تعالى فى آيات كثيرة كقوله فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فان المراد به التهييج والتثبيت على تحقيق ذلك المرام والتعريض بان من كان على خلاف ذلك الاعتقاد فهو جاهل بالرشاد وضال عن طريق السداد (وفى آية نوح) وهى الآية الثانية (ولا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق) اى واخباره صدق (لقوله) اى لتصريح نوح نفسه (وان وعدك الحق اذ فيه) اى فيما قاله هذا القائل الجاهل مجترئا بقوله عليهما تفسيرا للآيتين (اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى) اى تجويز امكان ذلك لان النهى غالبا لا يكون الا هنالك والا فقد سبق انه لا يلزم من قوله فيهما اثبات الجهل لهما بصفة من صفات الله تعالى (وذلك) اى الجهل المذكور (لا يجوز على الانبياء) بل ولا على العلماء والاولياء (والمقصود) اى من نهى الانبياء عن هذه الاشياء (وعظهم ان لا يتشبهوا فى امورهم) اى من احوالهم واقوالهم واعمالهم وفى نسخة ان لا يتسموا بتشديد التاء اى لا يتصفوا (بسمات الجاهلين) بكسر السين المهملة اى بصفاتهم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى ايماء الى ذلك (انى اعظك وليس فى آية منهما دليل على كونهم على تلك الصفة) اى صفة الجهل (التى نهاهم عن الكون عليها) اى الاتصاف بها (فكيف) اى لا يكون الامر كذلك (وآية نوح قبلها فلا تسألنى) فيه قراآت اى فلا تطلبنى (ما ليس لك به علم) من نجاة ابنك (فحمل ما بعدها) اى ما بعد هذه الآية وهو قوله انى اعوذ بك ان اسألك ما ليس لى به علم (على ما قبلها) وهو قوله فلا تسألنى ما ليس لك به علم (اولى) لصراحتهما بعدم علمه بموجب ترك نجاة ابنه (لان مثل هذا) اى سؤال ما ليس له به علم من نجاة ابنه (قد يحتاج الى اذن) من ربه ليقدم عليه بامره (وقد تجوز اباحة السؤال فيه ابتداء) اى فى ابتداء الحال قبل النهى عن السؤال (فنهاه الله تعالى ان يسأله عما طوى) اى زوى الله تعالى (عنه علمه واكنه) بتشديد النون اى ستره وكتمه (من غيبه) اى عن ادراكه بالبصر او البصيرة ومن بيان لما وقوله (من السبب) بيان للغيب فكانه قال من الغيب الذى هو السبب (الموجب لهلاك ابنه) وفى نسخة لاهلاك ابنه مع انه قال تعالى واهلك الا من سبق عليه القول لكن لما

كان على وجه الاجمال حمله على هذا السؤال ليتبين له جملة الاحوال وقال الماتريدى ظن انه على دينه اذ كان يظهر له ذلك ويبطن كفره فاما هنالك والا لما تأتى له ان يقول ان ابنى من اهلى وقيل انه غلب عليه الشفقة الوالدية ومقتضى الطباع البشرية والاظهر قول الماتريدى ولذا قال المصنف (ثم اكمل الله نعمته عليه) اى هنالك (باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك) اى الموعودين بالنجاة كما قدمنا الاشارة اليه باداة المستثناة او المعنى ليس من اهلك حقيقة وان كان ابنك صورة حيث خالفك سيرة كما بينه سبحانه وتعالى بقوله (انه عمل) اى ذو عمل (غير صالح) وفى قراءة الكسائى انه عمل غير صالح بصيغة الفعل ونصب غير والمراد بعمل غير صالح الكفر فكل من كان من ذرية الانبياء ولم يكن من الاتقياء فلم يكن من اهلهم وان كان من نسلهم ولذا ورد آلى كل تقى (حكى معناه مكى وكذلك) اى ومثل امره سبحانه وتعالى لنوح عليه السلام (امر نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الآية الاخرى بالتزام الصبر) فى آية ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا (على اعراض قومه) اى عن الايمان به (ولا يحرج) بالحاء المهملة وفتح الراء اى لا يضيق صدرا (عند ذلك) الاعراض (فيقارب) اى حالك (حال الجاهل بشدة التحسر) كما يشير اليه صدر الآية وهو قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتأتيهم بآية اى ملجئة الى الايمان بالانبياء والمعنى لا تقدر على ذلك فلا تكونن من الجاهلين بما هنالك (حكاه ابو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء وجوز فيه الصرف وعدمه (وقيل معنى الخطاب) اى وجهه (لامة محمد) على ان الخطاب له والمراد غيره او الخطاب لغيره ابتداء اى فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكى وقال) اى مكى (مثله فى القرآن كثير) اى من الآيات التى فيها الخطاب له والمراد امته او التى لا يصلح فيها الخطاب له حقيقة فالمراد به خطاب غيره من الامة (فبهذا الفصل) اى الذى اوجب الزام مزيد الفضل (وجب القول) وفى نسخة فبهذا الفضل اوجب القول وفى اخرى يوجب القول (بعصمة الانبياء منه) اى مما ذكر من الجهل بالله تعالى وصفاته ومن السهو واللهو والفترة والغفلة (بعد النبوة قطعا) اى جزما من غير تردد وشبهة (فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك) اى والشرك من جملة ذلك بل هو اعظم ما هنالك (فما معنى وعيد الله تعالى) وفى اكثر النسخ المصححة فما معنى اذا وعيد الله تعالى بالتنوين بمعنى حينئذ وبجر وعيد وكان الاظهر ان يقال فاذا ما معنى وعيد الله تعالى (لنبينا عليه الصلاة والسلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه) بناء على ان الوعيد والتحذير غالبا انما يكون فيمن يتصور فيه فعل ذلك لا فيمن يكون معصوما من وقوعه فيما هنالك وصورة الوعيد والتحذير وقعت كثيرة فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام (كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك الآية) اى ولتكونن من الخاسرين وقبله ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الانبياء والرسل فتوحيد الخطاب باعتبار كل واحد منهم واطلاق الاحباط ظاهر على مقتضى مذهبنا والشافعية يحملونه على انه خاص بهم او على تقييده بموتهم عليه (وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية) وهى قوله تعالى فان فعلت فانك اذا من الظالمين (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الآية) يعنى قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اى لقاربت ان تميل الى مرادهم فادركك تثبيتنا وعصمتنا فلم تقارب الركون اليهم فضلا عن ان تركن اليهم اذا اى لو قاربت الركون اليهم فرضا وتقديرا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة مضاعفين والاصل عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا فحذف الموصوف واقيم صفته مقامه ثم اضيفت والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه الركون الى الكفر الموجب للعذاب (وقوله لاخذنا منه باليمين) وهو جواب لو فى قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا ما لا يصح نسبته الينا لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اى لاهلكناه وعذبناه وهذا تصوير لقتله صبرا بافظع ما يفعله الملوك قهرا فيؤخذ بيمينه فيضرب عنقه فيقطع وتينه وهو عرق يقال له حبل الوريد مناط القلب فاذا قطع مات صاحبه والمعنى ان المعصوم لا يفترى على الله تعالى حتى يتفرع عليه ما هدد به (وقوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) والمعنى ان المعصوم لا يتصور منه اطاعة ارباب الضلال حتى يضلوه عن طريق الوصال (وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك) اى بعد قوله ام يقولون افترى على الله كذبا فالمعنى ان يشأ يجعلك ممن يختم على قلبه حتى يجترئ بالكذب على ربه او المعنى يختم على قلبك فينسيك كلام ربك وقيل المعنى يربط عليه بالصبر فلا يشق عليه مقالة اهل الكفر فلا اشكال حينئذ (وقوله وان لم تفعل) اى ما امرت به من تبليغ جميع ما انزل اليك (فما بلغت رسالته) قرئ بالافراد والجمع اى حق رسالته او فكانك ما بلغت شيأ منها (وقوله اتق الله) كذا فى نسخة وقبله يا ايها النبى اتق الله كما فى اخرى اى دم

على تقواه (ولا تطع الكافرين والمنافقين) اى فيما يؤدى الى وهن فى الدين ومن المعلوم ان المعصوم لا يكون الا متقيا ولا يتصور فيه ان يطيع كافرا فالمعنى امره بالتقوى ونهيه عن اطاعة غير المولى (فاعلم) ايها المخاطب الاعم (وفقنا الله تعالى واياك) للطريق الاقوم (انه عليه الصلاة والسلام لا يصح) اى له (ولا يجوز عليه ان لا يبلغ) اى شيأ مما امر به (ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله تعالى) اى ولا ان يتكلف بالقول عليه (ما لا يجب) اى ما لا ينبغى ان يقال ولم يؤذن فى ذلك المقال (او يفترى عليه) اى من تلقاء نفسه (او يضل) بصيغة المجهول وفى نسخة بفتح الياء وكسر الضاد (او يختم على قلبه) بالبناء للمفعول (او يطيع الكافرين) اى اعم من المنافقين (لكن) وفى نسخة ولكن الله تعالى (يسر امره) اى سهله (بالمكاشفة والبيان فى البلاغ) اى فى تبليغه (للمخالفين) اى من اليهود والنصارى والمشركين (وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل) اى الطريق المرضى (فكانه ما بلغ) والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان خائفا من وقوع تقصيرله فى هذا المقام ولذا عقبه (وطيب نفسه) اى اراحه من تعبه (وقوى قلبه) بتوفيق ربه وتحقيق امره (بقوله والله يعصمك من الناس) اى مما بين الناس من ان يقع منك معصية او تقصير فى طاعة وهذا المعنى هو المناسب لهذا المقام كما يشير اليه السابق واللاحق للكلام وهو قوله تعالى والله لا يهدى القوم الكافرين وهو لا ينافى ماذكر بعضهم فى معناه انه سبحانه يعصمه من تعرض الكفار له بقتل ونحوه ففيه تنبيه نبيه على انه لا بدله من اكمال تبليغه وهذه التسلية له عليه الصلاة والسلام (كما قال لموسى وهارون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما) اى حافظكما وناصركما على اعدائكما وهذا كله (لتشتد بصائرهم) اى لتتقوى سرائرهم (فى الابلاغ) ويروى فى البلاغ اى فى باب تبليغ الرسالة (واظهار دين الله تعالى) فى كل حالة (ويذهب) بضم الياء وكسر الهاء وفى نسخة بفتحها اى وليزيل او يزول (عنهم خوف العدو المضعف) بتخفيف العين وتشديدها اى الموهن (للنفس) وفى نسخة صحيحة لليقين (واما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية) وقد سبقت (وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا) يجوز كسر همزه وفتحه والاشارة الى ماذكر من الاخذ والاذاقة (جزاء من فعل هذا) اى الافتراء والميل الى كلام الاعداء (وجزاؤك لو كنت) اى فرضا وتقديرا (ممن يفعله) اى يتصورله فعله (وهو لا يفعله) اى لا يجيء منه فعله وفى هذا مبالغة للزجر عما ذكر لغيره ممن يتصور منه فعله (وكذلك) اى ومثل ما تقدم من التأويل (قوله وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله) اى ولو كان الخطاب له بظاهره (فالمراد غيره) مبالغة فى زجره عن مخالفة امره (كما قال) اى الله تعالى مخاطبا للامة يا ايها الذين آمنوا على سبيل الحقيقة (ان تطيعوا الذين كفروا الاية) اى يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين وقد نزلت حين قال المنافقون للمؤمنين باحد عند انهزامهم اذا رجف بقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذبا ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم ولو كان محمد نبيا لما قتل ثم العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (وقوله) اى وكذلك قوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره) اى حقيقة ولو كان الخطاب له مجازا فيكون فيه تعريض لاستيقاظ الامة من نوم الغفلة (وان هذه) اى العقوبة المتفرعة (حال من اشرك) ومآل وبال من كفر ومن لم يوحد الله تعالى به وما افتر (والنبى عليه الصلاة والسلام لا يجوز عليه هذا) اى الاشراك لعصمته من ذلك اجماعا (وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين) مبتدأ وكان المصنف قدر فيه اما او توهم فاخبر عنه بقوله (فليس فيه انه اطاعهم) اذ لا يلزم من النهى عن الاطاعة مخالفة الطاعة (والله سبحانه ينهاه عما يشاء) حيث قال ولا تطع الكافرين (ويأمره بما يشاء) حيث قال اتق الله (كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية) اى بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين (وما كان طردهم عليه الصلاة والسلام ولا كان من الظالمين) والتحقيق فى مقام العصمة انه لا يأمره بالموافقة ولا ينهاه عن المخالفة لانه لا يتصور منه هذه الحالة فاما ان يحمل الآيتان على ما سبق من سائر الايات او على انه اريد به التهييج والاثبات او الامتنان عليه بهذه العصمة والثبات فى الحياة الى الممات

(فصــــل)

(واما عصمتهم من هذا الفن) اى من نوع المعصية مع الاجماع على عصمتهم من الكفر (قبل النبوة فللناس فيه خلاف) ففى شرح العقائد للعلامة التفتازانى الانبياء معصومون من الكذب خصوصا فيما يتعلق بامر الشرائع وتبليغ الاحكام وارشاد الامة اما عمدا فبالاجماع واما سهوا فعند الاكثرين وفى عصمتهم من سائر الذنوب تفصيل وهو انهم معصومون عن الكفر قبل الوحى وبعده بالاجماع وكذا عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية واما سهوا فجوزه الاكثرون واما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى واتباعه وتجوز سهوا بالاتفاق الا ما يدل على الخسة كسرقة

لقمة وتطفيف حبة لكن المحققون اشترطوا ان ينبهوا عليه فينتهوا عنه هذا كله بعد الوحى واما قبله فلا دليل على امتناع صدور الكبيرة وذهب المعتزلة الى امتناعها والحق منع ما يوجب النفرة كعهر الامهات والفجور والصغائر الدالة على الخسة اذا تقرر هذا فما نقل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يشعر بكذب او معصية فما كان منقولا بطريق الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى او كونه قبل البعثة وتفصيل ذلك فى الكتب المبسوطة (والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله تعالى وصفاته) اى الثبوتية والسلبية والفعلية والاضافية (والتشكك) وروى او التشكك والاول اولى ومعناه التردد (فى شيء من ذلك) اى من جميع جهاته المتعلقة بالامور الدينية والاخروية (وقد تعاضدت الاخبار والاثار) اى وتعاونت وتواترت الانباء (عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة) اى منقصة الجهل فى مرتبة المعرفة (منذ ولدوا) فهم معصومون قبل البلوغ ايضا عن الكفر والاصرار على المعصية (ونشأتهم) اى وبخلقتهم وفطرتهم وتربيتهم (على التوحيد والايمان) اى فى اعلى مراتب الايقان ومناقب الاحسان (بل على اشراق انوار المعارف) واطلاع اسرار العوارف (ونفحات الطاف السعادة) ورشحات اشراف الزيادة (كما نبهنا عليه فى الباب الثانى من القسم الاول) اى فى فصل الخصال المكتسبة (من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار) اى لا من الكفار ولا من الابرار (ان احدا) من الناس (نبيء) ويروى تنبأ اى جعل نبيا فى مقام الاستئناس (واصطفى) اى اختير عليهم (ممن عرف بكفر واشراك) عطف خاص على عام (قبل ذلك) اى قبل ظهور النبوة واظهار الرسالة (ومستند هذا الباب) اى مرجع هذا النوع من الكلام (النقل) اى الثابت فى مقام المرام (وقد استدل بعضهم) اى على عصمة الانبياء من بعض افراد المعصية على تقدير وقوعها منهم (بان القلوب تنفر عمن) ويروى عن كل من (كانت هذه سبيله) فيفوت غرض التبليغ وتحصيله (وانا اقول ان قريشا) وهم عمدة قبائل العرب (قد رمت نبينا عليه الصلاة والسلام بكل ما افترته) اى ذمته بجميع ما قدرت عليه من نسبته الى المسبة (وعير) بتشديد التحتية اى وعاب (كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها) اى من المعايب (واختلقته) بالقاف اى اخترعته من جميع المثالب (مما نص الله تعالى عليه) اى صرح به من الجنون والسحر والشعر والتعلم والافتراء وطلب الجاه وامثال ذلك وفى نسخة بالفاء بدل النون (ونقلته الينا الرواة) اى عن كفار الامم من الطعن فى الرسل (ولم نجد فى شيء من ذلك) اى من نص الحق ورواية الخلق (تعييرا لواحد منهم) يحتمل ان يكون الواحد معرفا وقع مضافا اليه وان يكون تعييرا مفعول لم نجد ولواحد متعلق به (برفضه) اى بتركه نبى (آلهته) اى من الاصنام بعدما كان يلتزم عبادتها (وتقريعه) اى وبتوبيخه (بذمه) متعلق بتعيير الواحد منهم (بتركه ما كان قد جامعهم) اى وافقهم (عليه) اى فى اول امره ولو فى حال صغره (ولو كان) اى وجد لاحد منهم (هذا) اى الامر المخالف للدين المنافى لتوحيد ارباب اليقين (لكانوا) اى الكفار (بذلك) اى باظهار ماذكر (مبادرين) اى مسارعين الى تعييره فى تغييره (وبتلونه) اى تغيره وانتقاله (فى معبوده) اى معبود غيره (محتجين) اى مستدلين على تقريعه وتوبيخه (ولكان توبيخهم) اى لومهم (له بنهيهم عما كان يعبد قبل) اى قبل دعوى النبوة (افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اشنع فى النسبة (واقطع) اى امنع (فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم) التى يدعون من دون الله (وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففى اطباقهم على الاعراض عنه) اى عن توبيخ احد منهم بعبادة غير الله (دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه) اى الى نقله (اذ لو كان لنقل) اى عنهم (وما سكتوا عنه) فانهم كانوا يفترون عليه ما لم يكن فيه موجودا فكيف اذا وجدوا اليه سبيلا محققا مشهودا (كما لم يسكتوا عند تحويل القبلة) اى صرفها عن الكعبة الى بيت المقدس او عن بيت المقدس الى الكعبة ويروى عن تحويل القبلة (وقالوا) اى كفار مكة او اليهود (ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) اولا من الكعبة او بيت المقدس (كما حكاه الله عنهم) بقوله سيقول السفهاء من الناس الاية (وقد استدل القاضى القشيرى) لعله ابو نصر عبد الرحيم ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى صاحب الرسالة اجمع على جلالته وامامته انتفع على امام الحرمين وعلى ابيه واعتقل لسانه فى آخر عمره وكان دائم الذكر وكان لا يتكلم الا بآى القرآن توفى سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور ولابى القاسم القشيرى ولد آخر اسمه عبد الرحمن كنيته ابو منصور احد اولاده من فاطمة بنت الاستاذ ابى على الدقاق وكان مستوعب العمر بالعبادة مستغرق الاوقات بالذكر والتلاوة مات سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة بمكة مجاورا وكان له ولد آخر اسمه عبد الله اكبر اولاده وكان من اكابر الامة فقهيا واصوليا وكان والده يحترمه ويعامله معاملة الاقران مولده سنة اربع عشرة واربعمائة ومات سنة سبع وسبعين واربعمائة قال الحلبى هذا الذى عرفته من اولاده ولم ار فيهم احدا قاضيا والله سبحانه وتعالى اعلم والحاصل انه استدل (على تنزيههم) اى براءة ساحتهم (عن هذا) عن مثل ماذكر من الشرك والكفر

(بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم) اى عهدهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد والديانة (ومنك الاية) اى ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم نخص اولوا العزم من الرسل وقدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اما التعظيم رتبته واما التقديم حقيقة نبوته بتقديم روحه ونوره فى عالم ظهوره الاولى فى بدء امره وآخر عصره فهو كالعلة الغائية متقدم الوجود متأخر الشهود وتتمة الآية واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عظيما ولعل هذا الميثاق فى عالم الارواح او كان لهم ميثاق خاص فى ضمن عموم ميثاق اهل الاشباح (وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه) اى لما آتيتكم بفتح اللام وقرأ حمزة بكسرها وقرأ نافع لما آتيناكم من كتاب وحكمة اى نبوة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقيل المراد برسول فرد من افراد هذا الجنس فالتنوين للتنكير وقيل المراد به رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فيكون التنوين للتعظيم ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ثم هذا الميثاق يحتمل فيما قدمناه ان يكون جملة ويحتمل ان كل نبى حين اعطائه سبحانه وتعالى له النبوة اخذ منه هذه البيعة على هذه الموافقة والمتابعة (قال) اى القاضى القشيرى (فطهره الله تعالى فى الميثاق) باماطة ما لا يليق بكريم قدره واحاطة ما يناسب تعظيم امره (وبعيد ان يأخذ) اى الله (منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره) اى وباعانة دينه وتقوية امره (قبل مولده بدهور) اى بازمنة طويلة (ويجوز عليه الشرك) يروى الشك ويجوز فى يجوز تشديد الواو المفتوحة او المكسورة (اى وغيره من الذنوب) اى الكبائر وكذا الاصرار على الصغائر فهذا هو المستبعد غاية البعد والواو للحال (هذا) اى امكان صدور الكفر والشرك منه (مالا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه) اى القشيرى ولعله اقتصر بعض مرامه (فكيف يكون ذلك) اى مجوزا (وقد اتاه جبريل) كما رواه مسلم عن انس (وشق قلبه) اى صدره كما فى نسخة (صغيرا) اى حال صغره وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه (واستخرج منه علقة) اى يكون للشيطان بها علاقة (وقال هذا حظ الشيطان منك) اى صورة لو تركها على تلك الحالة بلا طهارة كاملة تكون حائلة (ثم غسله) اى جبريل فى طست من ذهب بماء زمزم حتى ذهب عنه الحجاب الصورى وانكشف له النقاب النورى (وملأه حكمة) اى ايقانا واتقانا (وايمانا) اى تصديقا وبرهانا ثم لأمه واعاده فى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس فكنت ارى آثر المخيط فى صدره كذا فى المصابيح (كما تظاهرت) اى تواترت وتظافرت (به اخبار المبدأ) اى احاديث بدء خلقته وظهور آثار نبوته الى منتهى نعته فى اسرار رسالته ولا يخفى انه عليه الصلاة والسلام شق صدره مرتين مرة فى حال صباه عند مرضعته حليمة ومرة ليلة المعراج على ما تقدم والله اعلم (ولا يشبه) بتشديد الموحدة المفتوحة اى لا يلتبس (عليك) الامر فى تصويب العصمة عن المعصية قبل النبوة (بقول ابراهيم فى الكوكب والقمر والشمس هذا ربى) فانه بظاهره ينافى ما قدمناه على اطلاقه واجمعوا على انه لم يكن فى حال كبره (فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال) اى فى قضية الربوبية (وقبل لزوم التكليف) اى بالامور الشرعية (وذهب معظم الحذاق) جمع حاذق بالذال المعجمة المهرة المتقنين (من العلماء والمفسرين الى انه) اى ابراهيم (انما قال ذلك) اى هذا ربى (مبكتا) بتشديد الكاف المكسورة اى حال كونه موبخا (لقومه ومستدلا عليهم) اى يبطلان دينهم وما تخيل اليهم (وقيل) كان الظاهر ان يقال فقيل بفاء التفريع لتبيين وجه التبكيت والتفريع (معناه الاستفهام) اى المقدر فى الكلام (الوارد مورد الانكار) اى لتتميم المرام (والمراد أفهذا ربى) وفيه انه يكفى ان يقال أهذا ربى (وقال الزجاج قوله هذا ربى اى على قولكم) يعنى فى زعمكم (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عما يقوله يوم القيامة مخاطبا للكفرة (اين شركائى اى عندكم) وفى رأيكم (ويدل على انه) اى ابراهيم (لم يعبد شيأ من ذلك) اى ما ذكر من الكوكب والقمر والشمس (ولا اشرك بالله تعالى قط) اى ابدا (طرفة عين) اى غمضة ولمحة (قول الله تعالى عنه) اى حكاية (اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون) انكارا عليهم (ثم قال) اى بعد فى جوابهم له كما قال تعالى حكاية عنهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين (أفرأيتم) اى اخبرونى (ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) اى اسلافكم المتقدمون (فانهم عدو لى) اى فلا اعبد شيأ منها (الا رب العالمين) استثناء منقطع اى لكنه ودود لى فاعبده وحده لانه موصوف بنعوت الكمال الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين (وقال) اى الله تعالى فى حقه ويروى وقوله (اذ جاء ربه بقلب سليم اى من الشرك) وسائر العقائد الدنية والاخلاق الردية (وقوله) اى كما حكاه عنه سبحانه (واجنبنى) اى وبعدنى (وبنى) اى من صلبى (ان نعبد الاصنام) وثبتنا على دين الاسلام (فان قلت فما معنى قوله) اى بعد غيبوبة القمر واقوله (لئن لم يهدنى ربى لاكونن من

القوم الضالين قيل انه) اى معناه (ان لم يؤيدنى) اى ربى (بمعونته) اى توفيقه وعصمته (اكن مثلكم فى ضلالتكم وعبادتكم) اى لآلهتكم فهو انما قال ذلك المقال (على معنى الاشفاق والحذر) عن ان يقع فى الوبال بحسب المآل (والا فهو معصوم فى الازل من الضلال) والاظهر انه اظهار تلذذ بتلك الحال وتحدث بنعمة الله الملك المتعال هذا ثم الازل هو القدم واصله لم يزل فلما نسب اليه اختصر فقيل يزلى بالياء ثم ازلى بالهمز بدلا منه (فان قلت فما معنى قوله) اى الله سبحانه وتعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا) اقسموا ليكونن احد الامرين اما اخراجهم من قريتهم او عودهم فى ملتهم ولم يكونوا قط على طريقتهم (ثم قال) اى الله تعالى (بعد) اى بعد ذلك (عن الرسل) هذه البعدية لان الاية الاتية انما هى فى شعيب حيث قال له قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال اولو كنا كارهين (قد افترينا الاية) فهذا جواب عن شعيب ومن تبعه من المؤمنين ويمكن حمل العود على التغليب لا كما قال المصنف عن الرسل اللهم الا ان يتكلف ويقال التقدير قد افترينا نحن معاشر الانبياء وطائفة المؤمنين من الاولياء على الله كذبا اى فى دعوى التوحيد ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها او عصمنا من الركون اليها (فلا يشكل عليك لفظة العود) بناء على توهم انه بمعنى الرجوع فى هذا المقام (وانها تقتضى) اى حينئذ (انهم) اى الانبياء (انما يعودون) ويروى انهم يعودون (الى ما كانوا) ويروى لما كانوا (فيه من ملتهم) اى فان هذا المعنى خطأ فاحش وللعود معان (فقد تأتى هذه اللفظة فى كلام العرب) اى احيانا (لغير ما ليس له ابتداء) كذا فى بعض النسخ والصواب كما فى بعضها ما ليس له ابتداء كما بينه بقوله (بمعنى الصيرورة كما فى حديث الجهنميين) على ما فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى (عادوا حمما) بضم الحاء المهملة وفتح الميم اى صاروا فحما سودا قد امتحشوا (ولم يكونوا) اى الجهنميون (قبل ذلك) اى كذلك كما فى نسخة يعنى حمما ويروى قبل بضم اللام وبعده كذلك (ومثله قول الشاعر) ولم يعرف قائله وثبت ان عمر بن عبد العزيز انشده وكانه تمثل به وقيل انه لامية ابن ابى الصلت فى سيف بن ذى يزن وقيل لابى الصلت ابن ربيعة الثقفى وقيل للنابغة الجعدى وفى نسخة ومثله قوله (فعاد ابعد) ببناء الدال على الضم (ابوالا) وهذا عجز بيت صدره

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وفى بعض النسخ المعتمدة البيت بكماله اى هذه المناقب الجميلة وهى المكارم التى يترتب عليها المراتب الجزيلة ولا قعبان ضبط بكسر النون على انه تثنية القعب وهو بفتح القاف وسكون العين المهملة وحدة القدح الضخم ويروى الرجل وفى بعض النسخ بفتح النون على البناء وشيبا بصيغة المجهول اى خلطا فعادا اى القعبان والمراد ما فيهما من اللبن بذكر المحل وارادة الحال كقوله تعالى واسأل القرية بعدا اى بعد شربهما اى صار ابوالا واستعمال الابوال الا (وما كانا) اى ابن القعبين (قبل) اى قبل شربهما (كذلك) اى ابوالا هنالك واما ما ذكره الانطاكى شاهدا على ان عاد بمعنى صار من قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن قول ابن قتادة النعمان انه دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له من انت يا فتى فقال

انا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى احسن الرد

فعادت كما كانت لاحسن حالها * فيا حسنها عينا ويا حسن ما رد

وكان قد اصيبت عين قتادة يوم احد ووقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن عبد العزيز بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون فلا يخفى ان العود فيهما بمعنى الرجوع فليس ذكرهما فى محله (فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فليس) اى فنقول ليس (هو من الضلال الذى هو الكفر) اى اجماعا لما سبق من الدليل نقلا وعقلا واختلف فى المراد به (قيل ضالا عن النبوة) اى غائبا عنها او غير عارف بها (فهداك اليها) ويروى وهداك ذكره الحجازى وهو الملائم للآية (قاله الطبرى) وهو محمد بن جرير (وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك) اى الحال (وهداك الى الايمان) على وجه الكمال (والى ارشادهم) اليه بحسن المقال (ونحوه عن السدى وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اى لا تعرفها) الا بالالهام او الوحى (فهداك اليها) اى تارة بالوحى الجلى واخرى بالخفى (والضلال ههنا التحير) اى الناشئ عن عدم المعرفة (ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يخلو بغار حراء) بالصرف وعدمه على ما سبق ضبطه (فى طلب ما يتوجه به الى ربه) من قطع العلائق ودفع العوائق (ويتشرع به) اى ويطلب شرعا يمشى فى طبقه ويعمل على وفقه ويروى يسرع من الاسراع بالسين المهملة وعند شارح قائلا انه بخط المؤلف يشرع بضم الياء وسكون الشين المعجمة وكسر الراء رباعيا من اشرع جعله شريعة (حتى هداه الله تعالى الى الاسلام) اى الى شرائعه الاعلام وتفاصيله من الاحكام (قال) وفى نسخة حكى (معناه) اى معنى الكلام الذى

قدمناه (القشيرى) اى الاستاذ ابو ولده (وقيل لا تعرف الحق) اى الاجمالا (فهداك اليه) اى مفصلا (وهذا مثل قوله
تعالى وعلمك مالم تكن تعلم) اى من امور الدين واحكام اليقين (قاله على بن عيسى) الظاهران هذا هو الرمانى
المتكلم النحوى على ماذكره الحلبى ويروى قال على بن عيسى (قال ابن عباس لم تكن له ضلالة معصية) بالاضافة
وفى نسخة ضلالة فى معصية اى لاجلها يقع فى وبالها بل ضلالة طاعة لم يدر طريق كمالها (وقيل هدى بين امرك
بالبراهين) اى الادلة القاطعة والبينة الساطعة (وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة) اى ماتدرى ما محياك ومماتك
(فهداك الى المدينة) وجعلها محل حياتك ومنزل وفاتك وهدى بك اقواما كانوا عن الحق غافلين وآخرين كانوا له مذعنين
وآخرين كانوا له معاندين (وقيل المعنى ووجدك) اى هاديا (فهدى بك ضالا) يعنى فقدم واخر مراعاة للفواصل وهذا بعيد
عن القواعد القوابل (وعن جعفر) اى الصادق (ابن محمد) اى الباقر ابن زين العابدين ابن الحسين بن على (ووجدك
ضالا) اى حال بدء تجلى الاول (عن محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها) على الوجه الاكمل (فمننت عليك بمعرفتى)
لتعرف بها محبتى (وقرأ الحسن بن على ووجدك ضال) اى بالرفع على انه فاعل اى متحير فى الحال (فهدى) اى اهتدى
بك فى المآل ونال مقام الوصال (وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى) فهداك الى طريق محبتى وسبيل مودتى
(والضال المحب) اى فى بعض اللغات (كما قال) اى الله سبحانه وتعالى حكاية عن بنى يعقوب مخاطبين لابيهم
(انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا) ويروى هنا اى الضلال (فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله)
اى يعقوب (لكفروا) اى بيقين (ومثله) اى فى مبناه ومعناه (عند هذا) اى ابن عطاء (قوله) اى الله سبحانه حكاية
عنهم (انا لنراها فى ضلال مبين اى محبة بينة) اى ليوسف ومودة ظاهرة من كثرة التلهف والتأسف وفسر بعضهم
الضلال فى هذه الاية بالخطأ حيث اختار محبة الصغيرين على محبة اولاده الكبار العشرة الذين هم عصبة وارباب
قوة وشوكة (وقال الجنيد) هو ابو القاسم الخراز القواريرى نسبة لبيع القوارير وهى الزجاج المشهور بسيد الطائفة
وشيخ الطريقة اصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق وكان شيخ وقته وفريد عصره وكلامه فى الحقيقة معروف
مدون وتفقه على ابى ثور احد اصحاب الشافعى وكان يفتى فى حلقته وعمره عشرون سنة كذا ذكرا السبكى وقال بعضهم
تفقه على مذهب سفيان الثورى وصحب خاله السرى السقطى والحارث بن اسد المحاسبى وابى حمزة البغدادى توفى
سنة سبع وتسعين ومائتين آخر ساعة من يوم الجمعة ببغداد ودفن بالشونيزية عند خاله السرى ذكره السبكى فى طبقات
الشافعية ونقل عنه انه كان يقول الافضل للمحتاج ان يأخذ من صدقة التطوع وخالفه غيره وقال الاخذ من الزكاة
افضل لانها اعانة على واجب انتهى ولعله اراد التورع فان دائرة التطوع اوسع فى باب التبرع وكان يقول ما اخذنا
التصوف عن القيل والقال ولكن بالجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وكان يقول طريقتنا مضبوطة بالكتاب والسنة
من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به وقال ذات يوم ما اخرج الله الى الارض علما وجعل للخلق
اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان كل يوم يفتح حانوته ويسبل سترا ويصلى فيه اربعمائة ركعة (ووجدك
متحيرا فى بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه) اى لاظهاره لديك ما خفى عليك (لقوله وانزلنا اليك الذكر الاية) اى لتبين
للناس ما نزل اليهم ويؤيده قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان
علينا بيانه وقوله عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (وقيل وجدك) اى
ضالا بينهم (لم يعرفك احد بالنبوة) منهم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن (حتى اظهرك
الله تعالى فهدى بك السعداء) وابعد عنك الاشقياء (ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها) اى فى هذه الاية (انه وجدك
ضالا عن الايمان) اقول ولو فرض ان يقال يجب ان يأول بتفاصيل احكامه كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان (وكذلك) اى ومثل وجدك ضالا مما يورث اشكالا ويدفع حالا ومآلا (فى قصة موسى عليه الصلاة
والسلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيأ بغير قصد) اى تعمد قتل (قاله ابن عرفة) وهو
من كبار المفسرين المعتبرين المشهور بالعبدى المؤدب يروى عن ابن المبارك وغيره وعنه الترمذى وابن ماجه وابن
ابى حاتم والصفار وثقه ابن معين مات سنة سبع وخمسين ومائتين بسامرا وعاش مائة وسبعا او عشرا قيل المراد به
نفطويه ولا يبعد ان يكون المعنى من الذاهلين الى ما يفضى اليه الوكز ويؤيده قراءة ابن مسعود من الجاهلين
(وقال الازهرى) هو الامام اللغوى ابو منصور محمد بن احمد بن الازهر الهروى صاحب تهذيب اللغة وغير ذلك
مات سنة سبعين وثلاثمائة (معناه من الناسين وقد قيل ذلك) اى المعنى الذى ذكر (فى قوله تعالى ووجدك ضالا
فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما) بفتح همزة ان وكسرها (فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت
تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب) اى على وجه الصواب (ان السمرقندى) وهو الامام ابو الليث (قال معناه

ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال) اى
السمرقندى او بكر القاضى واقتصر الدلجى على الاول لزيادة البيان (ولا الايمان) يروى وارد الايمان (الذى هو
الفرائض والاحكام) وحاصله نفى تفاصيل شرائع الايمان والاسلام (قال وكان قبل) اى قبل الوحى (مؤمنا
بتوحيده) اى لربه اجمالا (ثم نزلت الفرائض) اى من الصلاة والصيام والزكاة وحج بيت الله الحرام التى لم تكن تدريها
اى اصلها او تفصيلها (قبل) اى قبل الوحى (فزاد بالتكليف) اى بتكليف كل فرض (ايمانا) اى ايقانا به واحسانا لقيامه
(وهذا) ويروى وهو (احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان) مخففة اى وانه (كنت من قبله) اى قبل
وحينا (لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون) فان الغفلة عن آيات الله بمعنى الاعراض
عنها او عدم الالتفات اليها ونفى الايمان بما يترتب عليها من توحيد الله تعالى وتحقيق قدرته فيها او تخصيص ارادته بها
كفر لا يجوز ان يكون وصف مؤمن من الاولياء فضلا عن ان يكون نعت نبى من الانبياء (بل) المعنى (كما حكى
ابو عبيد والهروى) اى عن المفسرين المعتبرين وتبعهما غيرهما (ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف) اى بقرينة
سابقها ولاحقها (اذ لم تعلمها الا بوحينا) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن اى هذه السورة وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة فيكون اظهارك اياها لك معجزة
(وكذلك) اى من المشكلات (الحديث الذى يرويه عثمان ابن ابى شيبة بسنده) اى حيث قال عن جرير عن سفيان
الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل (عن جابر رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان
يشهد) يروى شهد (مع المشركين مشاهدهم) اى محاضرهم وهى لا تخلو عن اصنامهم فانها كانت فى الكعبة
وحولها قريبا من ثلثمائة صنم وكان من حسن خلقه يعاشرهم لكونه من عشائرهم كما قيل * ودارهم مادمت فى دارهم
والفرق بين المداراة والمداهنة مما لا يخفى (فسمع) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ملكين خلفه احدهما يقول
لصاحبه اذهب حتى تقوم) انت او نحن (خلفه) وتبرك بظله (فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام
الاصنام) اى قريب ولعل المراد به رؤيتها ومشاهدتها او مخالطتهم ومصاحبتهم ويؤيده قوله (فلم يشهدهم بعد) اى
واعتزالهم بانفراده عنهم فى غار حراء ان كان هذا قبل الوحى او فى مسجد دار الخيزران ان كان بعده وهذا كله على تقدير
ان يصح نقله وفى اصل الانطاكى باستلام الاصنام وهو تناولها باليد او الفم (فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا)
بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة اى انكارا بليغا (وقال هذا موضوع) اى بحسب المراد (او شبيه) يروى بشبه
بتشديد الموحدة المفتوحة (بالموضوع) اى فى ايراد الاسناد (وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم) بكسر الهاء
ويفتح اى غلط واخطأ (فى اسناده) اى اسناد هذا الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر بن احمد بن حنبل
قال ابى ابو بكر اخو عثمان احب الى من عثمان فقلت ان يحيى بن معين يقول ان عثمان احب الى فقال ابى لا وقال
الازدى رأيت اصحابنا يذكرون ان عثمان روى احاديث لا يتابع عليها قال وقد يغلط وقد اعتمده الشيخان
فى صحيحيهما الى آخر كلامه ثم قال الا ان عثمان كان لا يحفظ القرآن فيما قيل ثم ذكر له تصاحيف فى القرآن (والحديث
بالجملة منكر) انكره الذهبى وغيره من العلماء (غير متفق على اسناده) اذ ليس هو فى شئ من الكتب الستة فلا يلتفت
اليه وان كان رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا عثمان ابن ابى شيبة ثنا جرير بن عبد الحميد الضبى عن سفيان
الثورى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد مع
المشركين مشاهدهم الحديث ورواه البيهقى ايضا وفيه الكلام الذى تقدم والله اعلم (والمعروف عن النبى صلى الله
عليه وسلم خلافه) اى خلاف ما يتوهم من الحديث المذكور وهو كونه استلم الاصنام (عند اهل العلم) اى بالسير (من
قوله) بيان لقوله خلافه (بغضت الى الاصنام) بصيغة المجهول اى بغضها الله الى من حال الصغر الى الكبر فانه يخالف
ان يقع منه الاستلام للاصنام ولعل الاستلام كناية عن القرب منها وعدم التبعد عنها كما ان بعض المريدين
تكلم مع سكران فى طريقه حال توجهه الى بعض المشايخ المكاشفين فقال له اشم منك رائحة الخمر وما ذاك الا لقربه
منه وعدم تبعده عنه وبالجملة باب التأويل واسع فهو اولى من الطعن فى الحديث مع انه مشهور شائع (وقوله) اى ومن
قوله (فى الحديث الاخر الذى روته ام ايمن) كما رواه ابن سعد عن ابن عباس عنها وهى حاضنة النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ومولاته وام اسامة رضى الله تعالى عنهما (حين كلمه عمه) اى ابو طالب (وآله) اى واقاربه (فى حضور بعض
اعيادهم) اى بان يحضرها على وفق مرادهم (وعزموا عليه فيه) اى الحوا وبالغوا (بعد كراهته) يروى كراهيته اى
الطبيعية (لذلك) اى الخروج (فخرج معهم) اى كرها (ورجع مرعوبا) اى مخوفا (فقال كلما دنوت منها) اى
من الاصنام واحدا بعد واحد من صنم (تمثل لى شخص) يروى رجل (ابيض طويل يصيح بى وراءك) اى الزمه وقيل

ارجع ورا ءك والمعنى تأخر وتباعد (لا تمسه) من المساس اى لا تمسكه اولا تقربه (فما شهد) اى فلم يحضر (بعد) اى بعد ذلك (لهم) اى للكفار (عيدا) اى مجضر عيد (وقوله) اى ومن قوله (فى قصة بحيرا) بفتح موحدة وكسر مهملة مقصورا وممدودا وقد رواها ابن سعد عن نفيسة بنت منيه (حين استحلف) اى بحيرا (النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه) اى بحيرا (بالشام) اى فى قريب منها (فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو) اى النبى عليه السلام (صبى) اى غير بالغ (ورأى) اى بحيرا (فيه علامات النبوة فاختبره بذلك) اى فامتحنه بحيرا بذلك الاستحلاف (فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما) اى باللات والعزى (فوالله ما ابغضت شيأ قط بغضهما) اى مثل بغضهما (فقال له بحيرا فبالله) اى فاسألك بالله ان لا اقول شيأ (الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا) بالالف اى ظهر (لك) الحديث (وكذلك المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام وتوفيق الله له) اى فى تحقيق مراعاة شرائع الاحكام (انه كان قبل نبوته يخالف المشركين) اى من قبيلة قريش (فى وقوفهم) اى عشية عرفة (بمزدلفة فى الحج) اى معللين بانهم من خواص الحرم المحترم فلا يخرجون بالكلية من الحرم خلافا لغيرهم حيث كانوا يقفون بعرفة وهذا مبنى قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس وقوله فاذا افضتم من عرفات (فكان يقف هو) اى النبى عليه الصلاة والسلام مخالفا لقومه (بعرفة) اى مراعاة لسابقة شرائع الاحكام (لانه) اى موضع عرفات (كان موقف ابراهيم عليه السلام) بل وموقف سائر الانبياء من آدم وغيره عليهم الصلاة والسلام وقد بينت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة والله تعالى اعلم

(فصــــل)

(قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد بان) اى ظهر (بما قدمناه عقود الانبياء) اى ما عقد عليه قلوبهم (فى التوحيد والايمان) اى الاجمالى قبل الوحى والتفصيلى بعده (والوحى) اى الجلى والخفى (وعصمتهم فى ذلك) اى عما ينافى ما هنالك (على ما بيناه) اى فيما قررناه وحررناه (فاما ما عدا هذا الباب) بالنصب او الجر اى غير باب التوحيد وما يتعلق به من التفريد (من عقود قلوبهم) اى ثبوتها ورسوخها (فجماعها) بكسر الجيم اى ما اجمع عليه اوجلتها (انها) اى قلوبهم (مملوءة علما ويقينا) اى مقرونين (على الجملة) اى من غير تفصيل فى المسألة (وانها) اى قلوبهم (قد احتوت) اى اشتملت (من المعرفة) اى فى الجزئيات (والعلم) فى الكليات (بامور الدين) اى جميعها (والدنيا) مما يحتاج اليه (ما لا شئ فوقه) اى شيأ لا مزيد عليه (ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث) اى اهتم بالآثار (وتأمل ما قلناه وجده) اى مطابقا لما ذكرناه (وقد قدمنا منه فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام فى الباب الرابع اول قسم) اى فى اول قسم (من هذا الكتاب) اى فى فصل ذكر معجزاته فى اواخر القسم الاول (ما ينبه على ما وراءه) اى من فصل الخطاب (الا ان) اى لكن (احوالهم فى هذه المعارف تختلف) اى بحسب اختلاف متعلقاتها (فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها) كما توهمت الشيعة فانه يرده قول الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام احطت بما لم تحط به (او اعتقادها) اى او من عدم اعتقادهم اياها (على خلاف ما هى عليه) اى على خلاف حقيقتها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار وهم يؤبرون النخل لا عليكم ان لا تفعلوا فتركوا تأبيره فلم يلقح منه ذلك الا قليل فقال انتم اعرف بدنياكم وكذا رجوعه الى رأى الحباب بن المنذر يوم بدر على ما مر (ولا وصم) بسكون الصاد المهملة اى لا عيب لهم ولا عتب (عليهم اذ همتهم) اى توجههم وعزيمتهم وفى نسخة هممهم (متعلقة بالآخرة وانبائها) اى اخبارها من احوالها واهوالها (وامر الشريعة وقوانينها) اى ضوابطها الكلية المشتملة على المسائل الجزئية (وامور الدنيا) اى باعتبار توجه الهمة اليها مبتدأ خبره (تضادها) كتضاد الضرتين والكفتين وقد ورد من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى (بخلاف غيرهم) اى غير الانبياء واتباعهم وهم العلماء والاولياء (من اهل الدنيا) كالكفار والفجار (الذين) قال الله فيهم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) اى لا باطنها من انها تعبر ولا تعمر (وهم عن الآخرة هم غافلون) اى مع انهم فى امر دنياهم عاقلون (كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى ولكنه) اى الشان (لا يقال) اى مع هذا (انهم) اى الانبياء (لا يعلمون شيأ من امر الدنيا) اى على وجه الاطلاق (فان ذلك يؤدى الى الغفلة) اى الى نسبة الغفلة (والبله) بفتحتين اى البلاهة المنافية لكمال العقل والفطانة فقيل الابله الذى لا عقل له وقيل الابله الكثير الغفلة ويقال الابله ايضا للذى طبع على الخير فهو غافل عن الشر وعليه الحديث اكثر اهل الجنة البله (وهم المنزهون عنه) اى عن مثل ذلك فانهم الكاملون المكملون فيما هنالك (بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا) اى لينبهوهم من غفلتهم ويمنعوهم عن بلاهتهم (وقلدوا) بصيغة المجهول اى وتقلدوا (سياستهم) اى محافظتهم عما يضرهم (وهدايتهم) اى دلالتهم الى ما ينفعهم (والنظر فى مصالح دينهم) يروى صلاح دينهم (ودنياهم) اى المرتبطة

بامور اخراهم (وهذا) اى ما ذكر (لا يكون) اى لا يتصور (مع عدم العلم بامور الدنيا بالكلية) ثم قد يكون لهم عدم علم ببعضها لعدم التفاتهم اليها فى الامور الجزئية (واحوال الانبياء وسيرهم) اى عند العلماء (فى هذا الباب معلومة) وفى الكتب مسطورة (ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد) اى عقد قلوبهم (مما يتعلق) يروى فيما يتعلق (بالدين) اى باموره (فلا يصح من النبى الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة) اى باسرها (لانه لا يخلو) اى من احد امرين (ان يكون) اى النبى عليه السلام (حصل عنده ذلك) اى العلم (عن وحى من الله فهو ما لا يصح الشك منه) اى من النبى عليه السلام (فيه على ما قدمناه) من انه لا يصح منه الا العلم بما اوحى (فكيف الجهل) اى فكيف يصح الجهل منه به (بل حصل له علم اليقين او يكون) اى اوان يكون النبى (فعل ذلك) وفى نسخة عقد ذلك (باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شئ) بصيغة المفعول او الفاعل (على القول) اى قول بعض العلماء (بتجويز وقوع الاجتهاد منه) اى من النبى (فى ذلك) اى فيما لم ينزل عليه فيه شئ وهو الحق المبنى (على قول المحققين) اى من علماء الدين وكبراء المجتهدين (وعلى مقتضى حديث ام سلمة) ام المؤمنين (انى انما اقضى بينكم برأيى) اى احيانا (فيما لم ينزل على فيه شئ خرجه) اى خرج حديث ام سلمة (الثقات) اى من الرواة كابى داود (وكقصة اسرى بدر) وهى معروفة وسيأتى بيانها وقد نزل فيها ما كان لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن فى الارض (والاذن للمتخلفين) اى من المنافقين عن غزوة تبوك حيث نزل فيها عفا الله عنك لم اذنت لهم (على رأى بعضهم) اى بان ما صدر عنه كان باجتهاد منه وقيل لا يجوز له الاجتهاد بالرأى المبنى على الظن لقدرته على علم اليقين بالوحى بانتظاره ورد بان انزال الوحى ليس فى قدرته وتحت اختياره مع انه قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده الا حقا) اى وصدقا (وصحيحا) اى صريحا (هذا هو الحق الذى لا يلتفت) اى معه (الى خلاف من خالف فيه) اى ممن اجاز عليه الخطأ فى الاجتهاد كما فى نسخة فقال بمنع اجتهاده مطلقا او بمنعه فى غير الاسرى والحروب وجوازه فيهما بل اجتهاده حق وصواب فيما لم ينزل عليه فيه شئ (لا على القول بتصويب المجتهدين) فيما لا قاطع فيه من مسائل الفروع (الذى هو الحق والصواب عندنا) اى على ما ذهب اليه الاشعرى والباقلانى ومختار ابى يوسف ومحمد وابن سريج بان كل مجتهد مصيب (ولا على القول الآخر) وهو مذهب الجمهور (بان الحق فى طرف واحد) وان مصيبه من المجتهدين فى كل مسئلة واحد مكلف باصابته لقيام امارة عليه واشارة اليه فان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد ولا اثم عليه بخلاف اجتهاد النبى فان الصواب عدم خطائه فى هذا الباب (لعصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ فى الاجتهاد فى الشرعيات) واما القول بانه قد يخطئ وينبه عليه فمما لا يلتفت اليه واما ما سبق من عتابه فى قصة اسرى بدر واذن المتخلفين عن تبوك فمحمول على انه كان خلاف الاولى (ولان القول فى تخطئة المجتهدين) اى على القول بان المصيب واحد منهم لا بعينه (انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تأمله وتفكره (واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شئ ولم يشرع له قبل) مبنى على الضم اى قبل نظره واجتهاده وفى نسخة قبل هذا (هذا) اى ما تقدم (فيما عقد عليه) اى النبى كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم قلبه) اى عزم عليه واستقر لديه (فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية) اى مما يحتاج الى بيان الامر فيه رعاية للرعية (فقد كان لا يعلم منها اولا) اى قبل الوحى والاذن (الا ما علمه الله شيأ شيأ) اى شيأ فشيأ على وجه التدريج بحسب ما يقتضيه الحكم والحكمة من الفعل والترك (حتى استقر علم جملتها) اى اجمالا وتفصيلا ويروى علم جميعها (عنده) بعد وصوله الى مقام يوجب كمالا وتكميلا (اما بوحى من الله او اذن له ان يشرع فى ذلك) اى فيما ابداه (ويحكم بما اراه الله) كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله اى وحيا جليا او الهاما خفيا (وقد كان ينتظر الوحى فى كثير منها) اى من النوازل ولم يبادر الى الاجتهاد فيها واوله فى الامور الكلية لا فى المسائل الفرعية المعلومة من القواعد الشرعية (ولكنه لم يمت حتى استفرغ) اى استوفى واستجمع وفى نسخة استقر اى ثبت واستمر (علم جميعها عنده عليه الصلاة والسلام) كما يدل عليه قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم (وتقررت معارفه لديه على التحقيق ورفع الشك) بصيغة المجهول اى ارتفع التردد (والريب) اى الشبهة (وانتفى الجهل) اى بان ينسب فى شئ اليه (وبالجملة فلا يصح منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (الجهل بشئ من تفاصيل الشرع الذى امر بالدعوة اليه اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه) اى الى ما لا علم به لديه صلى الله وسلم عليه (واما ما تعلق بعقده) اى بجزم قلبه فى معرفة ربه (من ملكوت السموات والارض) اى ظواهرهما وبواطنهما (وخلق الله تعالى) اى وسائر مخلوقاته العلوية والسفلية (وتعيين اسمائه الحسنى) اى المشتملة على نعوت الجمال وصفات الجلال كما يقتضيه ذات الكمال (وآياته الكبرى) اى العظمى من عجائب مخلوقاته وغرائب مصنوعاته

(والامور الآخرة) من نشر وحشر وشدآئد احوالها ومكايد اهوالها (واشراط الساعة) اى علاماتها من قطيعة الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وكثرة الظلم من الانام (واحوال السعدآء) فى جنة النعيم (والاشقياء) فى محنة الجحيم (وعلم ما كان) فى بدء الامر (وما يكون مما لم يعلمه) ويروى فيما لا يعلمه (الا بوحى فعلى ما تقدم) جواب اما اى فمحمول على ما سبق (من انه معصوم فيه لا بأخذه فيما اعلم به) بصيغة المجهول (منه شك) اى تردد (ولا ريب) اى شبهة لقوله تعالى فلا تكونن من الممترين (بل هو فيه على غاية اليقين) فى طريق الدين المبين (لكنه) اى الشان او النبى عليه الصلاة والسلام (لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك) بل ربما يقال انه لا يتصور له الاستقصاء بما هنالك (وان كان عنده من علم ذلك) اى بعضه مما حكم له فى القدر (ما ليس عند جميع البشر) اى افرادا وجمعا (لقوله) اى النبى (عليه الصلاة والسلام) فيما رواه البيهقى (انى لا اعلم الا ما علمنى ربى ولقوله) فيما رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (ولا خطر على قلب بشر) بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم (فلا تعلم نفس ما اخفى لهم) بصيغة المفعول وقرأ حمزة بصيغة المتكلم (من قرة اعين) اى مما تلذ به وبله اسم فاعل بمعنى دع واترك (وقول موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن) وفى قرآءة باثبات الياء (مما علمت رشدا) وقرأ ابو عمرو بفتحهما اى علما ذا رشد وفيه ان المفضول قد يتميز بشئ لم يكن عند من هو افضل منه كما يشهد له قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما رواه الديلمى عن انس رضى الله تعالى عنه (اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله) فيما رواه احمد (اسألك بكل اسم هو لك) اى خاصة (سميت به نفسك او استأثرت به) اى انفردت بعلمه عن غيرك ويروى واستأثرت به (فى علم الغيب عندك) قيل اسماء الله اربعة آلاف اسم الف استأثر بها والف اعلمها الملائكة والف اعلمها الانبياء والف فى الكتب المنزلة منها تسعة وتسعون فى القرآن وواحد فى صحف ابراهيم وثلاثمائة فى التوراة ومثلها فى الزبور ومثلها فى الانجيل (وقد قال تعالى وفوق كل ذى علم عليم) اى من هو اعلم منه (قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهى العلم الى الله تعالى) او فوق العلماء كلهم من هو اعلم منهم وهو الحكيم العليم (وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته لا يحاط بها) وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وقال ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء (ولا منتهى لها) اى لمعلوماته سبحانه وتعالى ازلا وابدا فلا يتصور ان يحيط به علم البشر (هذا) اى ما ذكر (حكم عقد النبى) اى جزم قلبه (فى التوحيد) اى فى توحيد ربه (والشرع) اى المكلف به من امره ونهيه (والمعارف الالهية) اى الاسرار الربانية (والامور الدينية) اى والانوار المنبعثة عن الاحوال الدينية والافعال الاخروية

(فصـــــل)

(واعلم ان الامة مجمعة) وفى نسخة مجتمعة (على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم) اى حفظه وحمايته (من الشيطان) لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (وكفايته) اى وعلى كفاية الله له وفى نسخة وحراسته (منه) اى من ضرره الظاهرى والباطنى كما بينه بقوله (لا فى جسمه) اى ظاهر جسده (بانواع الاذى) كالجنون والاغماء (ولا على خاطره بالوساوس) اى على وجه الالقاء وفى نسخة بالوسواس اى بجنسه الذى يوسوس فى صدور سائر الناس (وقد اخبرنا القاضى الحافظ ابو على) اى ابن سكرة (رحمه الله قال ثنا ابو الفضل ابن خيرون) بالمنع والصرف (العدل) اى الثقة (ثنا ابو بكر البرقانى) بفتح الموحدة هو الحافظ الامام احد الاعلام احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمى الشافعى شيخ بغداد (ثنا ابو الحسن الدارقطنى) وهو شيخ الاسلام والدارقطن محلة ببغداد (ثنا اسماعيل الصفار) بتشديد الفاء (ثنا عباس) بالموحدة والسين المهملة (الترقفى) بفتح المثناة فوق ثم رآء ساكنة ثم قاف مضمومة ثم فاء مكسورة ثم ياء النسبة ثقة متعبد اخرج له ابن ماجه (ثنا محمد بن يوسف) هذا هو الغريانى وعاش اثنتين وتسعين سنة (ثنا سفيان) اى الثورى على ما هو الظاهر (عن منصور) هو ابن المعتمر (عن سالم ابن ابى الجعد) الاشجعى الكوفى يروى عن عمر وعائشة مرسلا وعن ابن عباس وابن عمرو وعنه الاعمش وجماعة ثقة (عن مسروق) اى ابن الاجدع الهمدانى احد الاعلام يروى عن ابى بكر وعمر ومعاذ ومعاوية قال الشعبى وكان اعلم بالفتيا من قريش وقال ابو اسحق مسروق فانام الا ساجدا وقالت امرأة مسروق كان يصلى حتى تورم قدماه اخرج له الائمة الستة (عن عبد الله ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما منكم من احد) من زآئدة مؤكدة (الا وقد وكل) وفى نسخة الا وكل وهو بصيغة المجهول وفى نسخة الا وكل الله (به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة) وفى رواية من الملك (قالوا واياك يا رسول الله) اى او انت وكل بك قرينك من الجن (قال واياى) اى وقد وكل بى قرينى (ولكن الله تعالى اعاننى عليه فاسلم) بفتح الميم اى انقاد وقيل آمن وفى نسخة بضمها اى اسلم من شره (زاد غيره) اى

غير سفيان احد رواته (عن منصور فلا) ويروى ولا (يأمرنى الا بخير) هذا الحديث اخرجه المصنف كما ترى من حديث مسروق عن ابن مسعود والحديث فى مسلم لكن من حديث سالم ابن ابى الجعد عن ابيه عن ابن مسعود وانما كثر اخراجه من هذه الطريق دون طريق مسلم لما فيها من العلو مع صحة الاسناد كذا ذكره الحلبى وقال الدلجى هذا الحديث فى البخارى ولعله بسند آخر والله تعالى اعلم (وعن عائشة بمعناه) لا يعرف مخرج مبناه وروى فى الباب ايضا عن ابن عباس بسند احمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منكم احد الا وقد وكل به قرينه من الشياطين قالوا وانت يا رسول الله قال نعم ولكن الله اعاننى عليه فاسلم (وروى فاسلم بضم الميم) اى وفتح همزة المتكلم من السلامة (اى فاسلم انا منه) اى فاخلص (وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها) اى من جهة الدراية وممن صححها سفيان بن عيينة فانه زعم ان الشيطان لا يسلم كما نقله الغزالى فى الاحياء (وروى فاستسلم) اى بصيغة الماضى المعلوم (يعنى القرين انه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر) كرواية البخارى (الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث) اى بناء على الفعل الماضى مع انه يحتمل ان يكون معناه انقاد واستسلم ويؤيده رواية المتكلم (وروى بعضهم فاستسلم) اى اذعن وانقاد وقد ذكر ابن الاثير رواية فاسلم بفتح الميم ورواية فاسلم بضم الميم ورواية حتى اسلم اى انقاد كذا لفظه ثم قال ويشهد للاول يعنى رواية فتح الميم الحديث الآخر كان شيطان آدم كافرا وشيطانى مسلما (قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط) اى باعتبار جنسه (على بنى آدم) وفى نسخة على كل احد من بنى آدم (فكيف) اى الظن (بمن بعد) اى من شياطين الجن (عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام ويروى منه (ولم يلزم صحبته ولا اقدر) بصيغة المجهول اى مكن ولا جعل له قدرة (من الدنو منه) اى القرب من حضوره والمعنى ايقع فى وهم انه عليه الصلاة والسلام لا يسلم منه لا بل الاولى ان يسلم بدليل انه لم يكن له عليه كغيره من النبيين سلطان (وقد جاءت الآثار بتصدى الشيطان) اى بتعرضه (له فى كل موطن) اى من الصلاة وغيرها وفى نسخة فى غير موطن اى فى مواطن كثيرة (رغبة) اى لاجل الميل والتوجه (فى اطفائه نوره) ويأبى الله الا ان يتم نوره (واماتة نفسه) اى اهلاك ذاته واعدام صفاته (وادخال شغل) بضم فسكون وبضمتين وبفتح فسكون اى اشتغال بال (عليه اذ يئسوا) اى جنس الشيطان (من اغوآئه) اى اضلاله وافساد امره (فانقلبوا خاسرين) اى فرجعوا خائبين خاسئين ذليلين صاغرين (كتعرضه) اى الشيطان (له فى صلاته فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم واسره) اى استولى عليه وقهره ويروى فاسره (ففى الصحاح) اى البخارى ومسلم وغيرهما (قال ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه السلام) اى مرفوعا (ان الشيطان عرض لى) اى ظهر (قال عبد الرزاق) اى الصغانى زيادة على ما فى الصحيحين (فى صورة هر) لما اوتوه من قوة التشكل كالملائكة الا ان الملك لا يتصور الا بشكل حسن بخلاف الشيطان (فشد) بتشديد الدال اى حمل (على يقطع على الصلاة) حال او استئناف وابعد الدلجى فى قوله حذفت لام العلة منه للعلم بها وهو مأول بمصدر (فامكننى الله منه) اى فاقدرنى من اخذه واسره وقوانى على قهره (فذعته) بذال معجمة وقيل مهملة قال النووى وانكر الخطابى المهملة وصححها غيره وصوبه وان كانت المعجمة اوضح واشهر انتهى وعند ابن الحذآء فى حديث ابن ابى شيبة فذعته بذال وغين معجمتين وفتح عين مهملة مخففة وتشديد فوقية اى خنقته خنقا شديدا او دفعته دفعا عنيفا او معكته فى التراب كالغط فى الماء وفى رواية ابن ابى الدنيا عن الشعبى مرسلا اتانى شيطانى فنازعنى ثم نازعنى فاخذت بحلقه فوالذى بعثنى بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدى ولولا دعوة اخى سليمان اصبح طريحا فى المسجد (ولقد هممت) اى قصدت (ان اوثقه) اى اربطه (الى سارية) اى اسطوانة وفى رواية بسارية من سوارى المسجد (حتى تصبحوا) اى تدخلوا فى الصباح او تصيروا (تنظرون) وفى نسخة ناظرين (اليه فذكرت) اى فتذكرت (قول اخى) اى فى النبوة (سليمان) اى ابن داود وفى رواية دعوة اخى سليمان اى دعاءه (رب اغفر لى) قدم طلب المغفرة فانه الامر الدينى على المطلب الدنيوى المشار اليه بقوله (وهب لى ملكا الآية) اى لا ينبغى لاحد من بعدى اى لا يتسهل او لا يصح او لا يكون لاحد غيرى لتكون معجزة مختصة بى (فرده الله خاسئا) اى خائبا خاسرا قال المصنف فى شرح مسلم كما نقله عنه النووى انه مختص بهذا فامتنع نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من ربطه اما لانه لم يقدر عليه لذلك واما لانه لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه انه لا يقدر عليه او تواضعا وتأدبا انتهى او ايماء لكونه معجزة مختصة به (وفى حديث ابى الدردآء) وهو عويمر وقيل اسمه عامر ولقبه عويمر واختلف فى اسم ابيه على سبعة اقوال وبنته الدردآء روى عنه ابنه بلال وزوجته ام الدردآء توفى بدمشق سنة احدى وثلاثين وقد اسلم عقيب بدر الا انه فرض له عمر والحقه بالبدريين لجلالته (عنه عليه الصلاة والسلام) فيما رواه مسلم (ان) بفتح الهمزة ويجوز كسرها (عدو الله ابليس جاءنى بشهاب) اى بشعلة مضيئة مقتبسة (من نار ليجعله فى وجهى) اى ليحرقه

(والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصلاة) جملة حالية معترضة بين مارواه ابو الدرداء من لفظه صلى الله عليه وسلم
وبين ماذكره بمعناه لبيان وقت مجيء عدو الله الى حبيب الله (وذكر) اى ابو الدرداء (تعوذه بالله ولعنه له) بلفظ
اعوذ بالله منك العنك بلعنة الله تعالى وقوله عليه الصلاة والسلام (ثم اردت اخذه وذكر) اى ابو الدرداء (نحوه)
اى نحو حديث ابى هريرة رضى الله تعالى عنه من قوله والقد هممت ان اوثقه (وقال لاصبح موثقا) بفتح المثلثة اى
مقيدا (يتلاعب به ولدان اهل المدينة) اى صبيانهم وصغارهم (وكذلك) اى وكما فى حديث ابى الدرداء (فى حديثه)
فيما رواه البيهقى عن عبد الرحمن بن حبيش (فى الاسراء) اى الى بيت المقدس والسماء (وطاب عفريت له) برفع طالب
مضافا وفى نسخة بجره اى طالب خبيث متمرد بعفر اقرانه اى يصرعهم ويفزعهم ويرغمهم فى التراب ويهلكهم
(بشعلة نار فعلمه جبريل عليه السلام مايتعوذ به منه وذكره) اى هذا الحديث (فى الموطأ) بهمزة اوالف وهو كتاب
للامام مالك وفى حديث البخارى ان عفريتا تفلت على البارحة ليقطع على صلاتى فامكننى الله منه فاخذته
فذعته ولولا دعوة اخى سليمان لربطته بسارية من سوارى المسجد فاصبح يلعب به ولدان المدينة (ولما لم يقدر)
اى عدو الله (على اذاه بمباشرته) اى اياه (تسبب بالتوسط الى عداه) بكسر العين وهو اسم جمع اى اعدائه من كفار
قريش وغيرهم (كقضيته مع قريش فى الائتمار) اى التشاور (بقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتصوره)
اى ابليس (فى صورة الشيخ النجدى) وانما انتسب اللعين بذلك لانهم قالوا لاتدخلوا معكم احدا من اهل تهامة فان
هواهم مع محمد عليه الصلاة والسلام ومجمل القصة انه جاءهم وهم بدار الندوة بمكة وقد بلغهم اسلام الانصار من
اهل المدينة فى العقبة فجزعوا ولدفعه اجتمعوا فدخل عليهم وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم ولن تعدموا منى رأيا
ونصحا لكم فقال ابو البخترى ارى ان تحبسوه فى مكان وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه منكم فقال هشام بن عمرو ارى ان تحملوه على جمل
فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم مايصنع فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم فقال ابو جهل ارى ان تأخذوا
من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب
قريش كلهم فاذا طلبوا عقله اى ديته عقلناه فقال صدق الفتى فتفرقوا على رأيه فاخبره جبريل بذلك وامره
ان لايبيت فى مضجعه واذن له بالهجرة الى المدينة فخرج واخذ قبضة من تراب وجعل ينثره على رؤسهم ويقرأ
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لايبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر
الى آخر القصة فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين
(ومرة اخرى) اى وكتصوره (فى غزوة يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك) وهو ابن جعشم الكنانى على مارواه ابن ابى
حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه (وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية) يعنى وقال لاغالب
لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة فانكم لاتغلبون ولاتطاقون لكثرتكم عددا وعددا
واوهمهم ان لهم الغلبة ابدا حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الملتين فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
اى رجع القهقرى وكانت يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تريد ان تخذلنا أفرارا من غير قتال فدفع
فى صدر الحارث وقال انى برئ منكم انى ارى مالاترون انى اخاف الله وانطلق متبرئا من افعالهم ويائسا من احوالهم
لما رأى من امداد الله تعالى المؤمنين بالملائكة الدال على ان لهم النصرة والغلبة فانهزم الكفرة فقيل هزم الناس
سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغنى خبر هزيمتكم فلم يعلموا انه الشيطان حتى اسلم بعضهم (ومرة) اى
وتارة كرة اخرى (ينذر بشأنه) اى يخبر بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخوف الناس منه ويحذرهم عنه (عند بيعة
العقبة) اى عقبة منى السفلى ليلة بايع الانصار على انه ان اتاهم آووه ونصروه ودفعوا عنه كما يحمى الرجل عن
حريمه قال الامام ابو الليث فى تفسيره وقد هاجر اليهم بعد هذا بحولين (وكل هذا) اى وجميع ماذكر (فقد كفاه الله امره
وعصمه) اى حفظه ومنعه (ضره) بفتح اوله وضمه (وشره) ويروى من ضره وشره (وقد قال عليه الصلاة والسلام)
اى فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان عيسى عليه الصلاة والسلام كفى) بصيغة المجهول اى
وقى (من لمسه) اى جسه ومسه (فجاء) الفاء للتفريع فلما قصد (ليطعن) بفتح العين وبضم اى ليضرب (بيده فى
خاصرته) اى جنبه (حين ولد) اى حين خرج من بطن امه (فطعن فى الحجاب) اى المشيمة وهى الغشاء الذى يكون
الجنين فى داخله وقيل حجاب بين الشيطان وبين مريم والله اعلم والظاهر ان عيسى عليه السلام مختص بهذا الاكرام
خلافا لما ذكره الدلجى من تعميم الانبياء فى هذا المرام ففى حديث البخارى وغيره ما من مولود يولد الا ويمسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا الا مريم وابنها وذلك لدعاء جدته ربها ان يعيذ امه وذريتها من الشيطان الرجيم (وقال

عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن عائشة (حين لد فى مرضه) بضم اللام وتشديد الدال اى سقى دواء من احد
شق فمه بغير اذنه لغشيانه وظن انه اصابه وجع فى جنبه وذلك يوم الاحد وتوفى يوم الاثنين الذى يليه مع الزوال
فلما افاق قال لايبقى فى البيت احد الا لد فقال ذلك عقوبة لهم (وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب) وهو علم
لدمل كبير وقرحة تظهر فى باطن الجنب الايسر وتنفجر الى داخل فلما يسلم صاحبها (فقال) اعاده لطول الفصل
(انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على) وضمير انها الى اللدم له وانثه باعتبار صنعتهم لا كما قال الدلجى باعتبار
صدوره مرة واحدة ثم نسبه الى الشيطان لانه كان بسبب وسوسته لهم بذلك حتى فعلوا مالم يأذنهم هنالك (فان قيل)
اذا كان الله لم يسلطه عليه (فامعنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ) (اى نازغ وناخس منه) (فاستعذ بالله
الآية) اى قوله تعالى انه سميع عليم اى سميع لمقالك وعليم بحالك (فقد قال بعض المفسرين) اى لدفع هذا الاشكال
الوارد فى السؤال (انها) اى الآية (راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين) اى المصدر بقوله خذ العفو اى ماسهل
من اخلاق الناس من غير كلفة ومشقة حذرا من النفرة عن الحضرة وامر بالعرف اى المعروف من الفعل الجميل
وهذه الآية اجمع مكارم الانام بشهادة قول جبريل له عليهما السلام وقد سأله عنها فقال لاادرى حتى اسأل ربى
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (ثم قال) اى الله سبحانه
وتعالى اوبعضهم فى تفسير قوله (واما ينزغنك اى يستخفنك) يعنى يزعجك ويحملك على الخفة ويزيل حلمك (غضب
يحملك على ترك الاعراض عنهم) اى مثلا (فاستعذ بالله) ولاتطع من سواه (وقيل النزغ هنا الفساد كما قال) اى الله
تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لابيه ومن معه تحدثا بنعمة ربه وجاء بكم من البدو (من بعد ان نزغ الشيطان
بينى وبين اخوتى وقيل ينزغنك) اى معناه (يغرينك) من الاغراء بالغين المعجمة والراء وهو الالزام وفى نسخة يغوينك
بالواو من الاغواء (ويحركنك) اى بالقيام فى طلب ماله من المرام (والنزغ ادنى الوسوسة) اى حديث النفس
والخطرة التى ليس بها عبرة (فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه) اى مثلا (اورام الشيطان)
اى قصد (من اغرائه به) اى تسليطه وفى نسخة من اغوائه اى من اضلاله (وخواطر ادانى وسوسه) اى
مقدمات هواجسه (مالم يجعل) بصيغة المجهول اى لم يقدر الله تعالى (له سبيل اليه) اى بحيث يتسلط عليه
(ان يستعيذ منه فيكفى امره) بصيغة المفعول ونصب امره ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل اى فيكفى الله امره
ويدفع شره وضره (ويكون) اى استعاذته من وسوسته (سبب تمام عصمته) وظهور حالته عند امته مع افادة تعليمه
لاهل ملته (اذلم يسلط عليه باكثر من التعرض له) اى بمجرد وسوسته (ولم يجعل له قدرة عليه) اى لعصمته (وقد قيل
فى هذه الآية غير هذا) اى من الاقاويل فى باب التأويل (وكذلك) اى وكعصمته عليه الصلاة والسلام من ابليس
ووسوسته (لايصح ان يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس) بفتح الياء وكسر الباء او بضم اوله وتشديد الموحدة
اى يخلط (عليه) ويشكك فى امره اليه (لافى اول الرسالة ولابعدها) اى بالاولى (والاعتماد فى ذلك) اى فى عدم صحة
تصور الشيطان له فى صورة الملك (دليل المعجزة) فانما هى للتثبيت له بالعصمة والتأييد له بالحكمة وتوضيحه
انه لما كانت المعجزة قائمة مقام قول الله تعالى صدق عبدى لمدعى النبوة فمحال ان يجد الشيطان اليه سبيلا
بالغلبة (بل لايشك النبى) اى من الانبياء (ان ما يأتيه من الله الملك ورسوله) اى انه هو المرسل اليه بوحيه لديه
وفى نسخة على يديه (حقيقة) اى من غير تردد فيه (اما بعلم ضرورى يخلقه الله تعالى له) اى فيعتمد عليه (او ببرهان
يظهره لديه) وفى نسخة على يديه (لتتم كلمة ربك) اى ايها المخاطب بالخطاب العام وفيه ايماء الى ما فى التنزيل من قوله
وتمت كلمة ربك (صدقا) فى الاخبار والاعلام (وعدلا) فى الاحكام نصبهما على التمييز او الحالية لا كما قال الدلجى على
المفعولية (لامبدل لكلماته) ولامحول لارادته (فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولانبى)
هذا صريح فى الفرق بينهما والاظهر ان الرسول من اوحى اليه وامر بالدعوة والنبى اعم والله تعالى اعلم (الا اذا تمنى)
اى قرأ وتلا (القى الشيطان فى امنيته) اى تلاوته وقراءته مما يشغله به عن استغراقه فى بحور العوارف واشتغاله
بكنوز المعارف (الآية) يعنى فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يبطله ويزيله ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل
ما يلقى الشيطان الآية (فاعلم ان للناس فى معنى هذه الآية اقاويل) اى كثيرة شهيرة (منها) اى من تلك الاقاويل
(السهل) اى الهين المقبول (والوعر) اى الصعب الوصول وفى نسخة صحيحة بدله والوعث بسكون العين وبكسر
وبالمثلثة الطريق العسر ومنه ماورد اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر اى شدة مشقته (والسمين) اى الكلام
المتين القوى (والغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة اى المهزول الضعيف الردى (واولى ما يقال فيها) اى
فى الآية (ما عليه الجمهور من المفسرين) كما ذكره البغوى ايضا (ان التمنى هاهنا التلاوة) يقال تمنيته اذا قرأته

وفى مرثية عثمان رضى الله تعالى عنه تمنى كتاب الله اول ليله * وآخره لاقى حمام المقادر (والقاه الشيطان فيها) اى فى تلاوته (شغله) بفتح اوله وضمه وفى نسخة اشغاله اى شغل الشيطان اياه (بخواطر) اى ردية (واذكار من امور الدنيا) اى الدنية (للتالى) اى للقارئ من النبى فضلا عن غيره (حتى يدخل عليه) من الادخال اى يوصل اليه الشيطان او شغله اياه (الوهم) اى السهو والخطأ (والنسيان فيما تلاه) اى فيما قرأه من جهة مبناه اوطريق معناه (اويدخل غيرذلك فى) وفى نسخة على (افهام السامعين من التحريف) فى لفظ التنزيل ومبناه (وسوء التأويل) اى فى معناه (مايزيله الله تعالى وينسخه) اى يدفعه ويرفعه (ويكشف لبسه) بفتح اوله اى ويبين خلطه ويظهر غلطه (ويحكم اياته) اى ويثبت بيناته (وسيأتى الكلام على هذه الآية بعد) اى بعد ذلك فى فصل (باشبع من هذا) اى ابسط واوسع (ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندى) اى الامام ابو الليث الحنفى (انكار قول من قال بتسلط الشيطان) ويروى بتسليط الشيطان (على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح) يعنى فاذا كان لا يصح تسلط الشيطان على ملك سليمان من الامور الدنيوية فبالاحرى ان لا يصح له التسلط على الانبياء فيما يتعلق بالامر الدينى والاخروى (وقد ذكرنا) اى وسنذكر (قصة سليمان مبينة بعد هذا ومن قال) اى ونذكر من قال فى تأويله (ان الجسد) اى فى قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا (هو الولد الذى ولد له) اى ناقصا جاءت به احدى نسائه فالقته القابلة على كرسيه وذلك حين قال لاطوفن الليلة على نسائى كما من الحديث (وقال ابو محمد مكى فى قصة ايوب وقوله) اى وفى قوله اى الله سبحانه وتعالى حكاية عنه (انى مسنى الشيطان بنصب) بضم وسكون وقرأ يعقوب بفتحهما اى بتعب (وعذاب) زيد فى نسخة اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (انه) اى الشان لا يجوز لاحد ان يتأول) اى الآية برأيه ويزعم (ان الشيطان هو الذى امرضه والقى الضرر فى بدنه) لعدم قدرته على ذلك ولو قدر عليه لم يدع صالحا الا نكبه هنالك (ولا يكون ذلك) اى ما اصابه من المرض والضر العرض (الا بفعل الله تعالى وامره ليبتليهم) اى ليمتحنهم كما ورد اشد الناس بلاء الانبياء (ويثبتهم) من التثبيت او الاثبات اى يؤيدهم بالعصمة ويقويهم بالحكمة وفى نسخة ويثيبهم من الاثابة اى ويجازيهم على بلائهم ثوابا جزيلا وثناء جميلا واسناد المس الى الشيطان مجاز مراعاة للادب فى تعظيم الرب اقتداء بابراهيم حيث قال واذا مرضت فهو يشفين حيث لم يقل امرضنى مع ان ايوب عليه السلام ما حكى مجرد ضرر المرض بل شكا ما حصل له من نصب وعذاب كان الشيطان لهما من الاسباب فقد روى ان ابليس اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس كالخيل والبغال فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال لها هل تعرفيننى قالت لا قال انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى فانت لو سجدت لى سجدة واحدة رددت عليك المال والاولاد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال لها قال قد اتاك العدو والله ليفتنك عن دينك فعند ذلك قال مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها الى الكفر بالله سبحانه وتعالى قال مكى وقد قيل ان الذى اصابه به الشيطان ما وسوس به الى اهله (فان قلت فما معنى قوله تعالى) اى حكاية (عن يوشع) غير منصرف للعلمية والعجمة وهو ابن نون (وما انسانيه) بكسر الهاء وضمها لحفص (الا الشيطان) اى ان اذكره (وقوله) اى وما معنى قوله تعالى (عن يوسف عليه السلام) اى فى حقه (فانساه الشيطان ذكر ربه) بان وسوس له بخواطر عما يورثه ان يكل امره الى غير ربه مستعينا به فى خلاصه من السجن ونعبه لحديث رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة فى كشف الشدائد والضراء وان جدت فى الجملة الا انها غير لائقة بالانبياء والكمل من الاولياء (وقول نبينا عليه الصلاة والسلام) اى وما معنى قوله كما فى رواية مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه (حين نام عن الصلاة) اى صلاة الفجر (يوم الوادى) اى الذى امر بلالا ان يكلأ له فيه الفجر فغلبه النوم حتى مسهم حر الشمس (ان هذا واد به شيطان) ارتحلوا ثم قضى صلاة الصبح بعد ارتحالهم منه وهو مؤذن بجواز تأخير الفائتة بعذر فهو مخصص لعموم حديث البخارى من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك (وقول موسى عليه السلام) اى وما معناه (فى وكزته) اى القبطى وهو ضربه فى صدره بجمع كفه الذى صار سبب قتله (هذا من عمل الشيطان) اى لصدوره منه قبل ان يؤذن له فى ضربه او قتله وجعله من عمل الشيطان وتسميته ظلما واستغفاره منه جار على كريم عادة الانبياء من استعظام ما تركه اولى من الاشياء (فاعلم ان هذا الكلام) اى منهم عليهم السلام (قد يرد فى جميع هذا) اى مما حكى عنهم (مورد مستمر) بالنصب وفى نسخة على مورد مستمر (كلام العرب) اى مجرى دأبهم ومطرد عادتهم (فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله) لقبح منظره وسوء فعله فى طباع الناس

لاعتقادهم انه شر محض لا خير فيه (كما قال تعالى) فى مذمة شجرة الزقوم (طلعها) اى ثمرها (كانه رؤس الشياطين) لتناهى قبحه وهول منظره وهو تشبيه تخييلى كتشبيه الفائق فى حسن عظيم بملك كريم قال تعالى ان هذا الا ملك كريم (وقال) اى وكما قال (صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الشيخان فيمن يريد ان يمر بين يدى المصلى واول الحديث اذا صلى احدكم الى شئ يستره فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفعه فان ابى (فليقاتله فانما هو شيطان) اى انسى او جنى شبهه به تقبيحا لمروره بين يديه لمشابهة فعله فى قبح امره لشغل خاطره واذهاب خشوعه وخضوعه به (وايضا) مصدر من آض اذا رجع اى ونرجع ونقول (فان قول يوشع) لموسى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره (لا يلزمنا الجواب عنه) وفى نسخة عليه (اذ لم يثبت له فى ذلك الوقت) اى وقت كونه فى خدمة موسى (نبوة مع موسى) بل يظهر فيه انه لم يكن نبيا وانه كان تابعا لملازمته (قال تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته) ويروى قبل موته اى موت موسى نعم يلزم الجواب عنه لمن قال بعصمة الانبياء قبل النبوة وبعدها اذ لا سبيل للشيطان عليهم مطلقا وقد يقال نسبه للشيطان هضما لنفسه وتأدبا مع ربه (وقول موسى) اى فى حال وكز القبطى هذا من عمل الشيطان (كان قبل نبوته بدليل القرآن) فانه يدل على ان قتله كان قبل هجرته الى مدين اذ وقع سببا لها وقد روى انه لما قضى الاجل مكث بعده عند صهره شعيب عشرا اخرى ثم استأذنه فى العود الى مصر اواتفق له ذلك السفر وارساله كان بعد رجوعه من مدين الى فرعون وفيه انه لم يحتمل انه كان نبيا ولم يكن رسولا لقوله تعالى قبل هذه القصة ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ودخل المدينة الآية (وقصة يوسف) اى وهو فى السجن (قد ذكر) ويروى قد ذكرنا (انها كانت) اى كلها كما فى نسخة (قبل نبوته) اى على قول بعضهم والا فقد قال بعضهم انه نبئ فى الجب بدليل قوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون نعم رسالته كانت متأخرة (وقد قال المفسرون فى قوله فانساه الشيطان) اى ذكر ربه بعد قول يوسف له اذكرنى عند ربك (قولين) اى تأويلين (احدهما ان الذى انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبى السجن) وهو الشرابى (وربه) اى وسيده (الملك) بكسر اللام (اى انساه) اى الشيطان الشرابى (ان يذكر) من الذكر او التذكير والاول اوفق بقوله اذكرنى (للملك) وفى نسخة الملك (شأن يوسف عليه السلام) اى لينجيه من السجن وما فيه من تعب المقام ونصب الملام (وايضا فان مثل هذا) اى الانساء (من فعل الشيطان ليس فيه تسلط) اى بالاغواء (على يوسف عليه الصلاة والسلام) اى ولو كان حينئذ من الانبياء (ويوشع) اى وعليه وهو ولد ولده (بوساوس) ويروى بوسواس (ونزغ) اى خطر من هواجس (وانما هو) اى فعل الشيطان (بشغل خواطرهما) اى بسببه وفى نسخة بصيغة المضارع وفى اخرى شغل بصيغة المصدر وفى اخرى اشتغال خواطرهما (بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته بل ان كان بمقتضى ظاهره) اى سببا لغفلته (فقد تبين امر ذلك الشيطان بقوله) فى رواية مالك والبيهقى عن زيد بن اسلم (ان الشيطان اتى بلالا) اى حين قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اكلأ لنا الفجر اى احفظ وقته (فلم يزل يهدئه) بضم الياء وكسر الدال بالهمز من الاهداء او التهدية اى يسكنه عن الحركة (كما يهدأ الصبى) بصيغة المجهول بان يضرب عليه بالكف على وجه اللطف لينام من غير العنف (حتى نام) اى بلال فلم يستيقظ حتى ضربهم حر الشمس فقال ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسى الذى اخذ بنفسك يا رسول الله (فاعلم ان تسلط الشيطان فى ذلك الوادى الذى عرس به) بتشديد الراء اى نزل به فى الليل او آخره هو واصحابه حين قفلوا من غزوهم اى رجعوا (انما كان) اى فى الجملة (على بلال الموكل بكلاءة الفجر) بكسر الكاف وفتح اللام ممدودة وفى نسخة بكلائه الفجر اى حراسته ليخبرهم بطلوع الفجر ووقت صلاته (هذا) اى التأويل (ان جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه) اى قوله ذلك (تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة ترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم) كما رواه مالك والبيهقى (فلا اعتراض به فى هذا الباب لبيانه) اى بيان حديثهما (وارتفاع اشكاله) على منهج الصواب

(فصـــل)

(واما قوله عليه الصلاة والسلام فقامت) ويروى فقد قامت (الدلالة) اى جنس الدلالات (اللائحة) وفى نسخة صحيحة الدلائل الواضحة (بصحة المعجزة على صدقه) من الآيات الساطعة والبينات القاطعة كانشقاق القمر وغيره من خوارق العادة (واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ) اى تبليغ الشرائع والاحكام من الله الملك العلام لسائر الانام (انه معصوم فيه من الاخبار) بكسر الهمزة اى الاعلام (عن شئ منها بخلاف ما هو به) اى من المقصود والمرام والمعنى بخلاف الواقع (لا قصدا) اى بسبب (ولا عمدا) اى لا عن سبب (ولا سهوا) اى خطأ (ولا غلطا) اى

نسيانا وفى نسخة لا قصدا او عمدا ولا سهوا او غلطا (اما تعمد الخلف) بضم اوله وهو اخلاف الوعد وهو فى الآتى كالكذب فى الماضى وروى واما تعمده بالخلف (فى ذلك) اى فيما تقدم من امر البلاغ (فممتنع) اى ممتنع عقلا ونقلا (بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق) اى عبدى كما فى نسخة (فيما قال اتفاقا) بين علماء الامة (وباطباق اهل الملة اجماعا) اى فى الجملة (واما وقوعه) اى الخلف (على جهة الغلط فى ذلك فبهذه السبيل) اى فممتنف ايضا بدليل المعجزة المذكورة او بهذه الطريقة المسطورة بعينها (عند الاستاذ) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (ابى حامد الاسفراينى) بكسر الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان بنواحى نيسابور وهو امام المتبحرين فى علوم الدين كلاما واصولا وفروعا وابوابا وفصولا توفى بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثمانى عشرة واربعمائة (ومن قال بقوله) اى ممن تابعه وشايعه فى انه ممتنف لصدوره (من جهة الاجماع فقط) لانه حجة قاطعة (وورود الشرع) اى وممتنف ايضا من جهة ورود الكتاب والسنة وفى نسخة وورد الشرع (بانتفاء ذلك الغلط) لقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (وعصمة النبى) اى وممتنف ايضا من جهة عصمته قطعا (لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضى ابى بكر الباقلانى) بكسر القاف وتشديد اللام وقد تقدم عليه الكلام وهو الامام المالكى (ومن وافقه لاختلاف بينهم) اى بين الاستاذ والقاضى ومقلديهما (فى مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره) فى هذا الباب (فنخرج عن غرض الكتاب) ونورث السآمة والملالة من الاطناب (فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه) اى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خلف فى القول فى ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه) وبروى وبما اوحاه اليه (من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد) اعاد حرف النفى سابقا ولاحقا تأكيدا لعدم جواز خلفه فيما ذكرنا وصدقا (ولا فى حال الرضى) بكسر الراء وتضم اى المحبة وفى نسخة حالى الرضى وفى اخرى حين الرضى (والسخط) بفتحتين وبضم وكسر اى الغضب والكراهة (والصحة والمرض وفى حديث عبد الله ابن عمرو) اى ابن العاص بن وائل السهمى كما رواه احمد وابو داود والحاكم وصححه (قلت يا رسول الله اكتب) باستفهام مقدر او مقرر بابدال والمعنى ءاكتب (كل ما اسمع منك قال نعم) اكتب عنى كل ما سمعت منى (قلت فى الرضى والغضب قال نعم فانى لا اقول فى ذلك) اى فى الذى اقوله (الا حقا) لما عصمه ربه من الزلل والخطل فى القول والعمل (ولنرد) بفتح النون وكسر الراء من الورود اى ولنذكر (ما اشرنا) اى فيما حررنا (اليه من دليل المعجزة) وبروى فى دليل المعجزة (عليه) اى على ما قررنا (بيانا) اى برهانا (فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه) اى النبى (وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ) بالتشديد والتخفيف اى ولا يخبر (عن الله تعالى الا صدقا) بجبارته رعاية الامانة وحماية الصيانة والديانة (وان المعجزة قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عنى) وروى مقام قول الله تعالى صدق عبدى فيما يذكره (وهو يقول انى رسول الله اليكم لابلغكم) بالتشديد والتخفيف اى لاخبركم (ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم) بالبناء للفاعل مخففا او المفعول مثقلا لتفوزوا بكرم السيادة وعظم السعادة (وما ينطق عن الهوى ان هو) اى ما هو (الا وحى يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم) كما فى آية اخرى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ونحو هذا من الآيات فى الكتاب (فلا يصح ان يوجد منه فى هذا الباب) اى اى فى باب البلاغ عن ربه (خبر بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى ما اخبر به (على اى وجه كان) من قصد او غيره (فلو جوزنا عليه الغلط والسهو) اى نسبتهما اليه (لما تميز لنا) اى لما امتاز خبره (من غيره) اى من خبر غيره قال الحجازى سياق الكلام يدل على ان الضمير فى ذلك عائد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا اختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص) بتقييد حاله (فتنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما طريقه البلاغ (عن ذلك كله) اى عن الاخبار بشئ منه بخلاف ما هو به قصدا او عمدا او سهوا او غلطا (واجب برهانا) اى دليلا عقليا (واجماعا) اى اتفاقا نقليا (كما قاله ابو اسحق) اى الاسفراينى على ما تقدم والله تعالى اعلم

(فصل)

(وقد توجهت ههنا) اى فى هذا المبحث (لبعض الطاعنين) اى فى الدين (سؤالات) اى من الملحدين (منها ما روى) اى فيما اخرجه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم بسند منقطع عن سعيد بن جبير (من ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) اى سورته (قال) اى وقرأ (افرأيتم اللات) صنم كان لثقيف بالطائف او بنخلة من قريش وهى مؤنثة من لوى لانهم كانوا يلوون على طاعتها ويعكفون على عبادتها او يلتوون عليها اى يطوفون لديها وقيل مؤنث لفظة الجلالة (والعزى) تأنيث الاعز شجرة كانت لغطفان تعبدها بعث اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (ومناة) بالقصر ويمد صخرة كانت لهذيل وخزاعة تعبدها وتتقرب بها وتعتكف لديها

(الثالثة الاخرى) صفتان للتأكيد (قال) اى جرى على لسانه او حكى الشيطان بعد بيانه (تلك الغرانيق العلى) جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون ويقال غرنيق بضمها وفتح النون وسكون الراء والياء ويقال كقنديل وهى فى الاصل الذكور من طير الماء طويل العنق قيل هو الكركى ويقال للشاب الممتلئ شبابا وحسنا وبياضا اريد بها ههنا الاصنام اذ كانوا يزعمون انها تقربهم الى الله تعالى وشفعاؤهم عند الله فشبهوها بالطير الذى يعلو فى الهواء ويرتفع الى السماء (وان شفاعتها) وبروى وان شفاعتهن (لترتجى) بصيغة المجهول اى تتوقع وتؤمل فى التجاوز عن الذنب والزلل (وبروى ترتضى) اى بدل ترتجى اى تقبل (وفى رواية ان شفاعتها الترتجى وانها لمع الغرانيق العلى) بضم العين اى العالية (وفى اخرى والغرانقة العلى) والغرانقة ايضا جمع غرنيق (تلك للشفاعة ترتجى فلما ختم) اى النبى عليه الصلاة والسلام (السورة) اى سورة النجم (سجد) اى لله امتثالا لامر ربه (وسجد معه) اى جميع من كان حاضرا (المسلمون) اى الابرار (والكفار) اى الفجار (لما سمعوه) بفتح اللام وتشديد الميم او بكسر اللام وتخفيف الميم (اثنى على آلهتهم) اى بقوله تلك الغرانيق الى آخره (وما وقع) اى ومنها ما وقع (فى بعض الروايات ان الشيطان القاها) اى الكلمات السابقة فى مدح الالهة (على لسانه) اى وجرى على لسانه من غير شعور له على بيانه والاظهر انه كان على حكاية لسانه ومنوال بيانه (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمنى) اى فيما خطر بباله (ان لو نزل) وبروى انزل (عليه شئ يقارب بينه وبين قومه وفى رواية اخرى ان لا ينزل عليه شئ ينفرهم عنه) بتشديد الفاء اى يبعدهم عن قربه حتى ينفعهم برسالة ربه (وذكر) اى صاحب تلك الرواية (هذه القصة) ابتلاء للمحنة المشتملة على القصة وبروى هذه السورة (وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة) وبروى هذه السورة اى سورة النجم (فلما بلغ الكلمتين) اى وجرى ما سبق من احدى الحالتين (قال له ما جئتك بهاتين فحزن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خشية الفتنة فى حق الامة (فانزل الله تعالى) اى عليه (تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) فقد روى ابن جرير وسعيد بن منصور عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا جلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نادٍ لقريش كثير اهله فتمنى ان لا يأتيه من الله تعالى ما ينفرهم عنه فانزل الله تعالى والنجم فقرأها فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى التى الشيطان عليه عليه الصلاة والسلام تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فتكلم بها ثم مضى يقرأ حتى ختم فسجد وسجدوا معه جميعا ورضوا بما تكلم به فلما امسى اتاه جبريل فعرضها عليه فلما بلغ تلك الغرانيق العلى قال ما جئتك به قال افتريت على الله وقلت ما لم يقل فما زال مغموما حتى نزل وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فطابت نفسه وفى هذه الرواية الفاظ ما تصح بحسب الدراية (وقوله) اى ومنها قوله او انزل عليه ايضا قوله (وان كادوا ليفتنونك) اى ان الشأن قاربوا اى ليضلونك (الآية) اى عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا وردت فيما ارادته قريش منه عليه الصلاة والسلام ان يبدل الوعد وعيدا او الوعيد وعدا بقولهم له اجعل لنا آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك وكذا ما اقترحته ثقيف عليه من ان يضيف الى الله تعالى ما لم ينزل عليه بقولهم له لا ندخل فى امرك حتى تعطينا ما نفتخر به على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا ننحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا لغيرنا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول بل ترسل انت اليها من يكسرها وان تمنع من قصد وادى وج بعضد شجرة فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل امرنى الله تعالى به ثم جاؤا بكاتب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعشرون ولا تحشرون فقالوا ولا تنحنون وهو ينظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقام عمر فسل سيفه وقال اسعرت قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله تعالى قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فنزلت (فاعلم اكرمك الله تعالى ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث) اى الوارد فى قصة سورة النجم (مأخذين) اى طريقين نمنع بهما من يتشبث بهذه الروايات او يثق بها من الحكايات (احدهما فى توهين اصله) اى تضعيف نقله (والثانى على تسليمه) اى على تقدير وقوعه (اما المأخذ الاول) والمخلص المعول (فيكفيك) فى توهينه ورد تبيينه (ان هذا حديث) اى منكر من جهة الرواية والدراية حيث (لم يخرجه احد من اهل الصحة) كاصحاب الكتب الستة (ولا رواه ثقة) اى عن ثقة (بسند سليم) اى سالم من الاضطراب والعلة بل ولا رواه ثقة بسند (متصل) اى مرفوعا او موقوفا بل رواه جماعة باسانيد ضعيفة واهية مقطوعة او موضوعة او مرفوعة (وانما اولع) بصيغة المجهول اى تولع (به و) تعلق (بمثله المفسرون) اى المعتمدون على اقاويل ضعيفة (والمؤرخون) بتشديد الراء المكسورة بعد همزة وتبدل واوا اى ارباب التواريخ (المولعون) بضم الميم وفتح اللام اى الحريصون (بكل غريب) اى بنقل كل

مروى فيه غرابة (المتلقفون) اى المبتلعون وفى نسخة الملقفون بتشديد القاء المكسورة بعدها قاف اى المرقعون الملقطون (من الصحف) من دون سماع رواية وتصحيح دراية (كل صحيح وسقيم) اى ثابت وضعيف ثم اعلم ان ابا الفتح اليعمرى قال فى سيرته الكبرى ما لفظه بلغنى عن الحافظ عبد العظيم المنذرى انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواة بالكلية وكان شيخنا الحافظ عبد المؤمن بن خلف يخالفه فى ذلك انتهى وذكر الحلبى انه قال بعض شيوخى فيما قرأته عليه حين ذكر هذا الكلام انه باطل لا يصح منه شئ لا من جهة النقل ولا من جهة العقل (وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال لقد بلى) بضم الموحدة وكسر اللام اى ابتلى (الناس) وامتحنوا (ببعض اهل الاهواء) اى المبتدعة وفى نسخة بتقصى اهل الاهواء اى بتقصصهم على ما ذكره الانطاكى (والتفسير) اى اهل التفسير بالآراء المخترعة (وتعلق بذلك) اى بحديث سورة النجم (الملحدون) اى المائلون عن الحق (مع ضعف نقلته) اى رواته (واضطراب رواياته) اى من جهة اختلاف عباراته وفى نسخة روايته (وانقطاع اسناده) الموجب لعدم اعتماده وفى نسخة اسانيده (واختلاف كلماته) المقتضية لتفاوت دلالاته ويروى كلمته (فقائل) اى منهم (يقول انه) اى النبى عليه الصلاة والسلام قرأها (فى الصلاة وآخر يقول قالها) اى المقالة حين قرأها (فى نادى قومه) اى مجلسهم ومتحدثهم (حين نزلت عليه السورة) اى سورة النجم (وآخر يقول قالها وقد اصابته سنة) بكسر سين وتخفيف نون اى نعاس (وآخر يقول بل حدث نفسه) اى خطر فى باله تلك المقالة (فسها) اى فجرى على لسانه ما حصل له به الملالة (وآخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه) اى حاكيا صوته فى تقريرانه وهذا اقرب الاقوال بالنسبة الى نزاهة شانه لكن يشكل قوله (وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر يقول بل اعلمهم الشيطان) اى وسوس لهم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك) اى اعلام الشيطان واغواءه (قال والله ما هكذا نزلت) بصيغة المجهول مشددا او المعلوم مخففا (الى غير ذلك) اى مع غير ما ذكر من الحكايات الناشئة عن اضطراب الروايات (من اختلاف الرواة) اى الذين يقال فى حقهم انهم غير الثقات والحاصل ان الاضطراب وقع من جميع الجهات (ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين) اى المعتبرين كابن جرير وابى حاتم وابن المنذر (والتابعين) اى المعتمدين كالزهرى وقتادة وامثالهما (لم يسندها احد منهم) اى اسنادا متصلا يصلح اعتمادا (ولا رفعها الى صاحب) اى للرواية (واكثر الطرق) اى الاسانيد (عنهم فيها ضعيفة واهية) اى منكرة جدا ولو كانت متصلة (والمرفوع فيه) اى قليل ويروى فيها وفى رواية منه (حديث شعبة) وهو امام جليل (عن ابى بشر) بكسر موحدة وسكون شين معجمة تابعى صدوق ثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة (عن سعيد بن جبير) من اجلاء التابعين (عن ابن عباس قال) كذا فى نسخة (فيما احسب) اى اظن (الشك فى الحديث) جملة معترضة من كلام المصنف يعنى شك الراوى بقوله فيما احسب فى نفس الحديث لا فى كونه مرويا عن ابن عباس والحاصل ان سعيد بن جبير وان كان معتمدا لكن تردد (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان بمكة) فى هذه القضية او بغيرها والسورة مكية بلا خلاف فيها (وذكر القصة) وكان حق المصنف ان يذكر القصة كما ثبت فى الرواية وقد بينها الدلجى بقوله اى قصة نزول سورة النجم وهو فى نادى قومه بعد تمنيه ان لا ينزل عليه ما يفرق قومه عنه او ينزل عليه ما يطيب نفوسهم به عسى ان يؤمنوا فنزلت عليه سورة النجم فقرأها فلما بلغ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى ففرح المشركون ثم ختمها وسجد وسجد من حضر مسلمون وكفار (قال ابو بكر البزار) بتشديد الزاى وراء فى آخره حافظ مشهور (هذا الحديث لا نعلمه روى) اى لا نعرف انه روى (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره) اى ويعتمد عليه فى الجملة (الا هذا) اى الاسناد الى ابن عباس (ولم يسنده) اى الحديث (عن شعبة الا امية بن خالد) ثقة توفى فى سنة احدى ومائتين اخرج له مسلم (وغيره) اى غير امية ممن رواه (يرسله عن سعيد بن جبير) اى بحذف رجاله من اصحابه كابن عباس (وانما يعرف) اى اتصال سنده (عن الكلبى) وهو محمد بن السائب المفسر الاخبارى النسابة والاكثرون على انه غير ثقة خصوصا اذا روى (عن ابى صالح عن ابن عباس) اى موقوفا عليه وابو صالح هذا يروى عن مولاته ام هانئ وعن على وعنه السدى والثورى وعدة واخرج له اصحاب السنن الاربعة قال ابو حاتم وغيره لا يحتج به وقد تقدم انه لم يسمع من ابن عباس (فقد بين لك ابو بكر) اى البزار (رحمه الله تعالى) جملة دعائية (انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا) اى سوى طريق شعبة لقوة اسناده اذ كل رجاله ثقات (وفيه) اى فى حديث شعبة (من الضعف ما نبه عليه) اى البزار وغيره من اختلاف عباراته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وارساله واختلاف مواطن حالاته (مع وقوع الشك منه) اى مع ما وقع له فيه من الشك (كما ذكرناه) من انه (الذى لا يوثق به) الذى صفة للشك

والضمير

والضمير فى به يعود اليه اى مع وقوع الشك الذى لا يوثق به (ولا حقيقة) لصحة الحديث (معه واما حديث الكلبى فما لا يجوز الرواية عنه) اى عن الكلبى مطلقا (ولا ذكره) اى لهذا الحديث اصلا (لقوة ضعفه وكذبه) اى وكثرة كذبه ولذا ضعفه الجمهور (كما اشار اليه البزار رحمه الله تعالى والذى منه) اى من حديث سورة النجم (فى الصحيح) من رواية الشيخين (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ والنجم) اى من غير زيادة (وهو بمكة) اى قبل الهجرة (فسجد معه المسلمون والمشركون) ولم يبين ما سبب سجدة المشركين (والجن والانس) اى الحاضرون (هذا) اى الذى ذكرناه (توهينه) اى تضعيفه (من طريق النقل فاما من جهة المعنى) اى الذى يدركه العقل (فقد قامت الحجة) اى القاطعة (واجمعت الامة على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم ونزاهته) اى براءة ساحته (عن مثل هذه الرذيلة) اى الخصلة الدنية ويروى النقيصة اى المنقصة (قبل النبوة) ولو قبل البلوغ فكيف يتصور وقوعها بعد تمام النبوة ونظام الرسالة لا سيما وقت التلاوة ودرجها فى القرآءة والحاصل ان له عليه الصلاة والسلام عصمة ثابتة (اما من تمنيه ان ينزل عليه سورة مثل هذا من مدح آلهة غير الله تعالى وهو) اى مثل هذا التمنى (كفر) فلا يصح نسبته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم الا ان يكون وقعت خطرة لديه (او ان يتسور) اى او من ان يتسلط (عليه الشيطان) من تسور تصعد السور وهو الحائط المرتفع ومعناه هنا التسلط مجازا (ويشبه) بتشديد الموحدة اى يلبس (عليه القرآن) ويخلط عليه الفرقان (حتى يجعل فيه ما ليس منه) اى ولا يصح ان يكون منه (ويعتقد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه) اى حقيقة (حتى ينبهه عليه جبريل عليهما السلام) مع ان ذلك من الواضحات عند كل مؤمن موحد انه ليس من الايات البينات (وذلك) اى ما ذكر من التمنى والتسور والاعتقاد (كله ممتنع فى حقه عليه الصلاة والسلام او يقول) اى او من ان يتقوه (ذلك النبى من قبل نفسه عمدا) اى حال كونه ذا عمد (وذلك) اى تعمده (كفر او سهوا) اى حال كونه ساهيا (وهو معصوم من هذا كله) اى مما يكون كفرا سواء حال عمده او سهوه بخلاف سهوه فى غير الكفر او المعصية فانه يجوز جريانه عليه (وقد قررنا) اى مرارا (بالبراهين) اى الادلة الواضحة (والاجماع) اى اتفاق جميع الامة (عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان الكفر على قلبه) اى باعتقاد جنانه (او لسانه) اى جريانه بموجب عصيانه (لا عمدا ولا سهوا) تأكيد لما افاده ما قبله من نفى جريان الكفر عليه مطلقا (او ان يتشبه) اى او من ان يتلبس (عليه ما يلقيه الملك) اى يوحيه اليه من ربه (مما يلقى الشيطان) و يوسوس اليه من نكره ويروى مما يلقيه الشيطان (او يكون) اى او من ان يكون (للشيطان عليه سبيل) اى بالتسلط وقد قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (او ان يتقول) اى او من ان يفترى (على الله تعالى) وهو لا يتقول على الله (لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه) بصيغة المجهول او المعروف (وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل) اى افترى علينا مما لم يوح اليه بالفرض والتقدير (الاية) اى لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقد سبق ما يتعلق بمعناه وقيل فى تحقيق مبناه ان من صلة اى لاخذناه والاولى ان يقال فيه تضمين والتقدير لانتقمنا منه باليمين اى بالقوة القاهرة والقدرة الباهرة (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) اى قاربت تميل ادنى ميل (اذا) اى حينئذ (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذابا مضاعفا فى الدنيا وبعد الوفاة (الاية) اى ثم لا تجد لك علينا نصيرا اى معينا يكون دافعا عنا العقوبة (ووجه ثان) لتوهين هذه القضية (وهو استحالة هذه القصة نظرا) اى من جهة دلالة العقل لعصمته من مدح الآلهة واثبات شفاعتها (وعرفا) اى من جهة استبعاد العادة ان يصدر عن الانبياء مدح الشرك مع ذمهم له وحثهم على التوحيد على وجه التأكيد (وذلك) اى بيانه (ان هذا الكلام) اى المنقول فى هذا المقام (لو كان) اى بالفرض والتقدير (صحيحا كما روى) اى كما نقلوه صريحا (لكان بعيد الالتئام) بل عديم النظام (لكونه متناقض الاقسام) اى متباين المرام (ممتزج المدح بالذم) فى الشرك بان ذم الكفر فى آيات بينات ومدح فى هذه الايات المخترعات مع انه خلاف اجماع الانبياء والمرسلين فى جميع الحالات (متخاذل التأليف) بالخاء والذال المعجمتين متفاعل من الخذلان وهو ترك النصرة اى متخالفه فى ارتباط المرام (والنظم) اى ونظم الكلام وقد قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فعناه انه من عند الله ولم يجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يسيرا (ولما) بفتح لام وتخفيف ميم (كان النبى صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته من المسلمين) اى من اكابر الصحابة (وصناديد المشركين) اى رؤسائهم فى مكة من قريش وغيرهم (ممن يخفى عليه ذلك وهذا) اى ومثله (مما لا يخفى على ادنى متأمل) اى من افراد الموحدين (فكيف بمن) وفى نسخة صحيحة بمن (رجح) بفتح الجيم المخففة اى غلب (حلمه) اى تأنيه وتثبته فى امر الدين او عقله (واتسع فى باب البيان) اى بيان المرام

(ومعرفة فصيح الكلام عليه) بقوة فطرة وقدرة فطنة (ووجه ثالث) فى توهين هذه القصة (انه) اى الشأن (قد علم من
عادة المنافقين ومعاندى المشركين) وفى نسخة ومعاندة وفى اخرى ومعاداة المشركين (وضعفة القلوب والجهلة
من المسلمين نفورهم) بالرفع نائب فاعل علم اى تنفر المذكورين (لاول وهلة) اى فى اول ساعة فى دعوى النبوة
(وتخليط العدو) اى وعلم انقلابهم (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لادنى فتنة) اى لادنى مايؤدى الى فساد ومحنة
(وتعييرهم) اى وعلم تعييبهم (المسلمين) بمتاركة المشركين (والشماتة بهم) اى وعلم شماتة الكافرين بالمؤمنين
(الفينة بعد الفينة) بالفاء والنون المفتوحتين بينهما تحتية ساكنة اى الحين بعد الحين والساعة بعد الساعة ويقال
بال وبدونها وضبط الحلبى الشمات بضم الشين المعجمة وتشديد الميم وهو جمع شامت جمع تكسير واما الشمات بكسر
الشين وتخفيف الميم الخائنون بلا واحد قال فى القاموس وهو من الشماتة التى هى الفرح ببلية العدو وفى نسخة
الشمات بفتح الشين وتخفيف الميم وهو جنس الشماتة (وارتداد من فى قلبه مرض) اى وعرف هذا ايضا (ممن اظهر
الاسلام لادنى شبهة) علة للردة (ولم يحك احد فى هذه القصة شيئا) اى الطعن والمذمة مع العلل المتقدمة (سوى هذه
الرواية الضعيفة الاصل) المخالفة للنقل والعقل (ولو كان ذلك) اى صحيحا فيما ذكرهنالك (لوجدت قريش) اى كفارهم
(بها) اى بهذه القصة (على المسلمين الصولة) اى الاستطالة والغلبة (ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة) اى فى ان هذه
غير الطريقة المحجة كيف وقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين (كما فعلوا) اى انكروا
كفار قريش (مكابرة) اى معاندة (فى قصة الاسراء حتى كانت فى ذلك) اى فى اظهار ماذكر فيها (لبعض الضعفاء
ردة) اى سبب ارتداد وفتنة مع انه لم يكن فيه مايوجب كفرا وانما كان يتوهم منه ان يكون كذبا لوقوعه عجبا وهو
مقتضى خوارق العادات مطلقا (وكذلك ماروى) يروى ماورد (فى قصة القضية) اى فى امر قضية الحديبية وذلك
انه عليه الصلاة والسلام رأى رؤيا عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان
رجوعه بعد مااخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس اى امتحانا
لشأنهم واختبارا فى ضعف ايمانهم حيث قال بعض المنافقين والله مارأينا المسجد الحرام وقوة ايمان الصحابة
برهانهم حيث قال الصديق ما اخبرنا انا ندخلها هذه السنة وانا سندخلها ان شاء الله من غير شك وشبهة (ولا فتنة
اعظم من هذه البلية لو وجدت) اى لو صحت هذه القضية (ولا تشغيب) بالشين والغين المعجمتين اى لا تهييج للشر
والفتنة والفساد (للمعادى) اى للعدو من اهل العناد (حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت) اى وقوعها فى الجملة
(فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم) وروى عن متكلم وهو اولى (بسببها بنت شفة) اى لفظة تخرج من الشفة
(فدل على بطلها) بضم اوله مصدر اى على بطلان هذه الرواية (واجتثاث اصلها) اى استئصال نقلها بمخالفة الدراية
(ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين) بفتح الفاء المشددة اى
الغافلين عن الدراية فى الرواية (ليلبس به على ضعفاء المسلمين) اى مايوجب الفتنة وقد قال تعالى وكذلك جعلنا لكل
نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون
وروى مسلم عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سيكون فى آخر الزمان
ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم وعنه عليه الصلاة والسلام يكون فى آخر الزمان دجالون
كذابون يأتونكم من الاحاديث مالم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم (ووجه رابع) اى
فى توهين هذه القصة (ذكر الرواة هذه القصة) وفى نسخة لهذه القضية اى الواقعة فى سورة النجم (ان فيها نزلت
وان كادوا ليفتنونك) اى ليضلونك (الآيتين) اى عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا
ولولا ان ثبتناك الآيتين (وهاتان الآيتان تردان الخبر الذى رووه) اى تنافيانه وتعارضانه (لان الله تعالى ذكر
انهم كادوا ليفتنونه) اى قاربوا (حتى يفترى) اى فلم يقع شئ (وانه) اى الله سبحانه وتعالى (لولا ان ثبته لكاد) ويروى
لقد كاد (ان يركن اليهم) اى وقد ثبته فلم يقرب ان يميل اليهم ادنى ميل فلم يتحقق شئ (فمضمون هذا) اى ماذكر
من الآيتين (ومفهومه ان الله تعالى عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن) يروى حتى لم يكن يركن (اليهم شيئا قليلا
فكيف كثيرا وهم يروون) الواو للحال اى وهم راوون (فى اخبارهم الواهية) اى الضعيفة المنكرة (انه زاد على الركون)
اى الميل اليهم (والافتراء) اى على الله تعالى بتبديل الوعد والوعيد عليهم (بمدح آلهتهم وانه) ويروون انه (قال عليه
الصلاة والسلام) حين قال له جبريل ماجئتك بهذا (افتريت على الله تعالى وقلت مالم يقل) اى اعترافا بذنبه وتصديقا
لكلام ربه (وهذا) الذى ذكروه من الرواية (ضد مفهوم الآية) اى من عدم ركونه اليهم بحسب الدراية (وهى) اى

الاية

الآية تصريح مفهومها (تضعف الحديث) وتدفعه (لو صح) لان دلالة القرآن قطعية ورواية الحديث ظنية (فكيف
ولا صحة له) اى لا اصل هذه القضية (وهذا) اى مفهوم هذه الآية (مثل قوله تعالى فى الآية الاخرى ولولا فضل الله
عليك ورحمته) اى بالنبوة والعصمة (لهمت طائفة منهم) اى من المنافقين (ان يضلوك) عن القضاء بالحق بين الخلق
(وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شئ) لان وبال ضلالهم راجع اليهم وضرر شرهم عائد عليهم (وقد روى عن ابن
عباس) كما رواه ابن ابى حاتم وغيره (كل ما فى القرآن كاد) اى بمعنى قارب (فهو ما لا يكون) يروى مالم يكن اى
اذا كان الكلام موجبا لان نفس المقاربة تدل على عدم المواقعة ففى القاموس كاد يفعله قارب ولم يفعل مجردة
تنبئ عن نفى الفعل ومقرونة بالجحد تنبئ عن وقوعه (قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب) اى
بها ويروى لم يذهبها وكذا قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم ولم يخطفها (وقال) اى الله سبحانه (اكاد اخفيها
ولم يفعل) وفيه بحث اذ ما اظهرها الله لاحد كما يدل عليه سائر الآيات نحو ان الله عنده علم الساعة وقوله
يسألونك عن الساعة ايان مرساها فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها وقوله يسألونك عن الساعة ايان مرساها
قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو نعم قيل فى الآية اكاد اخفيها عن نفسى فيصح قوله ولم يفعل لانه
لم يتصور وانما ذكره للمبالغة فتدبر او يقال اكاد اخفى مجيئها فلا اقول هى آتية للمبالغة فى ارادة اخفائها
فيصح قوله ولم يفعل حينئذ ايضا وقد يقال اخفيها بمعنى اظهرها لانه من الاضداد والله سبحانه وتعالى اعلم
بما اراد هذا وقال فى القاموس وقد يكون كاد بمعنى اراد ومنه قوله اكاد اخفيها اى اريد اخفاءها عن غيرى
(وقال القشيرى القاضى) مر ذكره (ولقد طالبته) يروى ولقد طالبه (قريش) اى كفارهم (وثقيف) اى قبيلتهم
من اهل الطائف (اذ مر بآلهتهم) اى معرضا عنها غير مقبل عليها (ان يقبل بوجهه اليها) ويلتفت ببصره اليها
(ووعدوه الايمان به) اى والحال انهم وعدوه الايمان به بسبب اقباله (ان فعل فما فعل) اى الاقبال الصورى
فى الحال الضرورى (وما كان) وفى نسخة ولا كان اى ماصح منه (ليفعل) اى الاقبال المذكور وما كان الله
بحسب تقديره ان يفعل بنبيه الرفيع هذا الفعل الشنيع نقلا وعقلا فى تصويره فكيف يتصور مدحها فى صلاة او غيرها
وادراجها فى سورة وآيها (وقال ابن الانبارى) وهو الامام الحافظ ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار النحوى كان
من اعلم الناس بالادب والنحو ولد سنة احدى وسبعين ومائتين روى عنه الدارقطنى وابن حيوة والبزار وغيرهم كان
صدوقا دينا من اهل السنة صنف التصانيف الكثيرة وصنف فى القرآن والغريب والمشكل والوقف والابتداء
روى عنه انه قال احفظ ثلاثة عشر صندوقا وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيرا باسانيدها وقيل انه يحفظ
ثلاثمائة الف شاهد فى القرآن وقد املى كتاب غريب الحديث قيل انه خمس واربعون الف ورقة وكتاب شرح
الكافى وهو نحو الف ورقة وكتاب الاضداد وهو كبير جدا وكتاب الجاهليات فى سبعمائة ورقة وكان رأسا
فى نحو الكوفيين توفى ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (ما قارب الرسول) اى الركون الى الكفرة
(ولا ركن) اى ولا مال اليهم فيما قصدوه لثبوت تثبيت الله تعالى اياه المفهوم من لولا الامتناعية فى الآية (وقد ذكرت)
بصيغة المجهول (فى معنى الآية) اى آية وان كادوا ليفتنونك (تفاسير اخر) اى ضعيفة سخيفة (ما ذكرنا من
نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد سفسافها) اى رديئها واصله مايطير من غبار الدقيق اذا نخل والتراب اذا اثير
(فلم يبق فى الآية) اى فى معناها (الا ان الله امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما) وفى نسخة مما (كاده به الكفار) اى
مكروا (وراموا من فتنته) اى وقصدوا بعض محنته وبليته ليفترى على ربه ما يخالف مقتضى نبوته ورسالته (ومرادنا
من ذلك) اى ماذكرناه كله (تنزيهه) اى براءة ساحته (وعصمته) اى حمايته بما يجب من الرعاية (وهو مفهوم الآية)
عند ارباب العناية واصحاب الهداية (واما المأخذ الثانى) اى فى الكلام على مشكل هذا الحديث (فهو مبنى على
تسليم الحديث لو صح) اى اسناده (وقد اعاذنا الله تعالى) اى اجارنا (من صحته) اى تصحيحه (ولكن على كل حال)
وفى نسخة ولكن على ذلك من حال (فقد اجاب عن ذلك) اى عما نسب اليه من مدح الآلهة ويروى على ذلك
(ائمة المسلمين باجوبة منها الغث) بفتح معجمة وتشديد مثلثة اى الضعيف مما لا يجدى نفعا (والسمين) اى القوى الذى
يدفع الشبهة دفعا (فمنها) اى من الاجوبة (ماروى قتادة ومقاتل) قال الحلبى مقاتل اثنان مفسران لكل منهما
تفسير وينقل عنهما فاما الاول فهو مقاتل بن حيان البلخى الخراسانى الخراز احد الاعلام روى عن الضحاك
ومجاهد وعكرمة والشعبى وخلق وعنه ابن المبارك وآخرون عابد كبير القدر صاحب سنة وصدوق وثقه ابن معين
وابو داود وغيرهما وقال النسائى ليس به بأس وروى ابو الفتح اليعمرى عن وكيع انه قال ينسب الى الكذب قال
الذهبى واحسبه التبس عليه مقاتل بن حيان بمقاتل بن سليمان فان ابن حيان صدوق قوى الحديث والذى كذبه

وكيع فابن سليمان مات قبل الخمسين ومائة اخرج له مسلم والاربعة واما ابن سليمان فروى عن مجاهد والضحاك قال ابن المبارك ما احسن تفسيره لو كان ثقة وقال ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرءآن الذى يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب فى الحديث توفى مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة انتهى ولا يدرى من اراد القاضى منهما والحاصل ان قتادة ومقاتل رويا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اصابته سنة) بكسرة فتحة اى نوم وغفلة (عند قرآءته هذه السورة) اى النجم (لجرى هذا الكلام) اى مدح الالهة (على لسانه بحكم النوم) اى غلبته عليه (وهذا لا يصح) اى اصلا لا فى النوم ولا فى اليقظة (اذ لا يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثله) اى مثل ما نسب اليه (فى حالة من احواله) اذ ثبت انه ينام عيناه ولا ينام قلبه وايضا فان كل اناء يترشح بما فيه فمثل هذا لا يتصور من النبى النبيه (ولا يخلقه الله تعالى على لسانه) ما لا يناسب عظمة شانه (ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم) ولذا لم يكن يحتلم (ولا يقظة) بالاولى (لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الباب) اى باب الكفر والمعصية ولو صورة وقال الانطاكى يريد فيما كان طريقه البلاغ عن الله تعالى (من جميع العمد والسهو) اجماعا (وفى قول الكلبى) وهو محمد بن السائب مات سنة ست واربعين ومائة وسبق ذكره قريبا (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حدث نفسه) اى خطر فى خاطره (فقال ذلك الشيطان) اى الملقى فى نفسه (على لسانه) اى سهوا قال الدلجى وهو باطل اذ لم يجعل الله للشيطان عليه كغيره من الانبياء سبيلا واقول لا يبعد ان يكون مراد الكلبى ان الشيطان قال ذلك على لسانه وفق صوته وحكاية بيانه (وفى رواية ابن شهاب) اى الامام الزهرى (عن ابى بكر بن عبد الرحمن) اى ابن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى احد الفقهاء السبعة على قول يروى عن ابى هريرة رضى الله عنه وعائشة ولد زمن عمر وكف بصره باخره ويسمى الراهب اخرج له الائمة الستة توفى سنة اربع وتسعين (قال وسها) اى النبى عليه الصلاة والسلام فيما جرى على لسانه او سها عن بيان حاله والقاء الشيطان فى مقاله ويؤيده ظاهر قوله (فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان) اى من القائه وكان المصنف ذهب الى ان المعنى من وسوسته ولذا قال (وكل هذا) اى جميع ما ذكرناه اى بحسب ظاهره (لا يصح ان يقوله عليه الصلاة والسلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان على لسانه) اى حقيقة (وقيل لعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقرير) اى التسليم فى صحته او على تقدير استفهام الانكار المقصود منه حمل المخاطب على الاقرار بان الذى يضر وينفع انما هو الاله الواحد القهار (والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام هذا ربى) اى أهذا الحقير او المخلوق مثل ربى (على احد التاويلات) فى تلك الحالات (وكقوله بل فعله كبيرهم هذا) اى على وجه التورية التى هى من معاريض الكلام ففيها غنية عن الكذب فى المرام (بعد السكت) وهو وقفة لطيفة على فعله كما اختاره بعض ارباب الوقوف (وبيان الفصل بين الكلامين) اى السابق واللاحق وفى رواية بين الكلمتين اشارة الى ان التقدير بل فعله فاعله مطلقا او فاعله الذى تعرفونه ثم قال مبتدئا كبيرهم هذا وجعل الدلجى هذا من المتن وقال ما عزى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد السكت اى بينه وبين ما تلاه قبله وبيان الفصل بين الكلامين اى كلام الله تعالى وما عزى اليه ويؤيده قوله (ثم رجع الى تلاوته) اى بقية السورة (وهذا) التاويل (ممكن مع بيان الفصل) بين الكلامين (وقرينة) اى ومع قرينة (تدل على المراد) اى من انه انما قاله توبيخا وتقبيحا لقوامهم وتقريعا وتسفيها لعقولهم (وانه ليس من المتلو) اى من القرءآن (وهذا) اى التاويل وفى نسخة صحيحة وهو (احد ما ذكره القاضى ابو بكر) اى الباقلانى او ابن العربى المالكيان (ولا يعترض على هذا بما روى انه كان فى الصلاة) اى والكلام مبطل فيها (فقد كان الكلام قبل) اى قبل النهى عنه (فيها غير ممنوع) منه كما قرر فى حديث ذى اليدين حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين اى ساكتين (والذى يظهر ويترجح فى تأويله) اى فى تأويل ما عزى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (عنده) اى عند القاضى ابى بكر (وعند غيره من المحققين) اى من سائر العلماء المجتهدين المدققين (على تسليمه) اى فرض وقوعه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان كما امره ربه) اى بقوله ورتل القرءآن ترتيلا (يرتل القرءآن ترتيلا) اى يقرأه مترسلا (ويفصل الآى تفصيلا) اى ويبينها تبيينا مبينا (فى قرآءته) اى من كمال تؤدته (كما رواه الثقات عنه) يروى كما قال الثقات فعن عائشة وقد سئلت عن قرآءته لو اراد سامعها ان يعد حروفها لعدها (فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات) اى خلال تلاوة الآيات (ودسه) اى ادخاله على وجه الخفاء (فيها) اى فى السكتات او فى اثناء القرآءات (ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم) اى صوته ولهجته (بحيث يسمعه) من السماع او الاسماع (من دنا اليه) اى قرب منه (من الكفار) اى دون الابرار (فظنوها من قول النبى صلى الله عليه وسلم واشاعوها) اى افشوها بينهم (ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة) باللام

والباء اى بسبب حفظهم سورة النجم (قبل ذلك) اى قبل دس الشيطان ما هنالك (على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذم الاوثان وعيبها) اى وعيبه اياها (على ما عرف منه) ولا يخفى ان ما بين السكتات لا يتصور فيه جميع تلك الكلمات المختلقة ويبعد كون كل كلمة فى حال سكتة فالظاهر انه بعد قرآءته عليه الصلاة والسلام ومذمته الاصنام بقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقع له عليه الصلاة والسلام سكتة طويلة لعارض من نحو شغله او فكره فانتهز الشيطان الفرصة والقى تلك الجملة وسمعها الكفار دون الابرار وهذا ليس كما توهم الدلجى ورد قول المحققين بان هذا قول غير مرضى لايذانه بان الشيطان كان له عليه سبيل تمكنه من دسه خلال تلاوته كلام ربه انتهى هذا ولا يخفى ان شيخ الاسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر العسقلانى فى شرحه للبخارى اطال فى ثبوت هذه القصة وان لها طرقا صحيحة وطرقا اخر كثيرة صريحة تدل على اصل القضية فلابد من تأويلها وهذا احسن ما قيل فى التأويل ان الشيطان القى ذلك فى سكتة من سكتاته ولم يتفطن له عليه الصلاة والسلام وسمعه غيره فاشاعه بين الانام واما ما ذكره البغوى من ان الاكثرين على انها جرت على لسانه سهوا ونبه عليه وقرره الشيخ ابو الحسن البكرى على ما نقله عنه شيخنا عطية السلمى انه لا يقدح ذلك فى العصمة لكونه من غير قصد كحركة المرتعش فقد رده صاحب المدارك من أئمتنا فى تفسيره حيث قال اجرآء الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه ممتنع لان الشيطان لا يقدر على ذلك فى حق غيره ففى حقه اولى والقول بانه جرى ذلك على لسانه سهوا وغفلة مردود ايضا لانه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه حال تبليغ الوحى ولو جاز لبطل الاعتماد على قوله ثم اختار ما اختاره العسقلانى قال وكان الشيطان يتكلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامه فقد روى انه نادى يوم احد ألا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم (وقد حكى موسى بن عقبة) اى ابن ابى عياش (فى مغازيه نحو هذا) اى نحو ما ذكر عن المحققين قال الحلبى هو مولى آل الزبير ويقال مولى ام خالد زوج الزبير روى عنها وعن علقمة بن وقاص وعروة وخلق وعنه مالك والسفيانان وجماعة ثبت ثقة اخرج له الائمة الستة ومغازيه اصح المغازى كما قاله الامام مالك بن انس وهى مجلدة لطيفة وله اولاد فقهاء محدثون ووقع فى بعض النسخ محمد بن عقبة والاول هو الصواب (وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم) اى صدور الشاكين (ويكون ما روى) اى فيما (من حزن النبى صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى) فى هذه تسلية (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الآية) اى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته اى فى اثناء قرآءته ما ليس من تلاوته (فمعنى تمنى تلا) اى قرأ والامنية معناها التلاوة (قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى) وهى جمع امنية (اى تلاوة) اى مجرد قرآءة خالية عن دراية (وقوله) اى فى بقية الآية (فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه) اى ينفيه ويعدم اعتباره (ويزيل اللبس به) بفتح اللام اى خلط الحق بالباطل بسببه (ويحكم آياته) فى التنزيل ثم يحكم الله آياته اى يثبتها ويبقيها (وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من السهو) اى الناشئ من النسيان (اذا قرأ فينتبه) من الانتباه او التنبه اى فيتفطن (لذلك) ويتذكر لما هنالك (ويرجع عنه وهذا) التاويل (نحو قول الكلبى فى الآية انه حدث نفسه قال اذا تمنى اى حدث نفسه) يعنى على طريق السهو (وفى رواية ابى بكر بن عبد الرحمن نحوه) وهذا السهو بطريق النسيان الغالب على الانسان اجمعوا على جوازه منه عليه الصلاة والسلام وقد قال تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله (وهذا السهو فى القرآءة انما يصح) اى صدوره عنه عليه الصلاة والسلام (فيما ليس طريقه تغيير المعانى وتبديل الالفاظ) اى المبانى (وزيادة ما ليس من القرءآن) اى فى وجوه السبع المثانى (بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة) او انتقال من كلمة او آية الى اخرى لا يترتب عليه فساد المعنى (ولكنه) اى مع هذا (لا يقر) بصيغة المجهول وتشديد الراء اى لا يترك (على هذا السهو بل ينبه عليه) من التنبيه من باب التفعيل بصيغة المجهول وكذا قوله (ويذكر به) اى بما وقع له لينتهى عنه (للحين) اى فى وقته (على ما سنذكره فى حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز) اى عليه من السهو (ومما يظهر فى تأويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلى) بضم المهملة (فان سلمنا القصة) اى صحتها (قلنا لا يبعد ان هذا) اى ما وقع فيها (كان قرءآنا) اى ثم نسخ تلاوته (والمراد بالغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية) اى رواية مجاهد الغرانقة العلى ولا يظهر وجه تخصيص هذا التاويل بهذه الرواية اذ يصح على ما تقدم من الروايات ايضا كما لا يخفى على ارباب الدراية (وبهذا فسر الكلبى الغرانقة العلى) اى فى روايته ولا يلزم منه انه لا يجوز هذا التفسير لرواية غيره (انها الملائكة وذلك) اى الباعث له على تفسيرها بها هنالك (ان الكفار) اى من قريش وغيرهم (كانوا يعتقدون الاوثان) وفى نسخة ان الاوثان

(والملائكة بنات الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم) اى بقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية وذمهم بقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وبقوله أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون (ورد عليهم فى هذه السورة) وهى النجم (بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا) اى الذى ذكره (من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح) وهذا التأويل وامثاله يتعين لئلا يلزم كفر صريح وبه يندفع قول الدلجى وهذا التأويل وان كان صحيحا فى نفسه فاين للمقام يأبى عن سياق الكلام قلت ويمكن تأويل سائر الروايات على وجه يحصل به الالتئام على ان التأويل من شأنه ان يكون خلاف ظاهر المرام وانما يحتاج اليه للتخلص عما يرد فى الكلام من الملام (فلما تأوله المشركون على) حسب غرضهم من فساد عقيدتهم (ان المراد بهذا) وفى نسخة بذلك (الذكر الهتهم) اى مدح الهتهم ورجاء شفاعتهم (ولبس) من التلبيس (عليهم الشيطان) اى ابليس (ذلك) اى ما توهموه (وزينه فى قلوبهم والقاه اليهم) ان المراد به ما فهموه مما سمعوه (نسخ الله تعالى ما القى) ويروى ما يلقى (الشيطان) اى ازال ما كان موجبا لالقائه وباعثا لاغوائه (واحكم آياته) اى اثبت بقية آياته (ورفع تلاوة تلك اللفظتين) اى احداهما وفى نسخة صحيحة تينك اللفظتين (اللتين وجد الشيطان بهما) اى بسبب ما يتوهم من ظاهرهما (سبيلا) ويروى سببا (للتلبيس) وفى نسخة للالباس اى للشبهة المفتنة للناس والاشتباه والالتباس (كما نسخ كثير من القرآن) اى دراسته (ورفعت تلاوته) اى مع حكمه اودونه منها آية الرجم ومنها على ما ورد لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب (وكان فى ازال الله تعالى لذلك حكمة) وفى نسخة حكم اى له سبحانه وتعالى ايضا (ليضل به من يشاء ويهدى به من يشاء) كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا (وما يضل به الا الفاسقين) اى الخارجين عن طريق وفاقه الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (وليجعل) اى ليصير الله تعالى (ما يلقى الشيطان) اى مما يلبس به (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) اى داء شك من المنافقين (والقاسية قلوبهم) من المشركين المعاندين (وان الظالمين) من الجنسين (لفى شقاق بعيد) خلاف بعيد عن طريق سديد (وليعلم الذين اوتوا العلم) اى من المؤمنين (انه) اى ما نزله ثم نسخه (الحق من ربك فيؤمنوا به) اى زيادة على ايمانهم (فتخبت له قلوبهم) اى تطمئن زيادة على ايقانهم (الاية) اى وان الله لهادى الذين آمنوا بالدين القويم الى صراط مستقيم (وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما قرأ هذه السورة) اى النجم (وبلغ ذكر اللات) بالنصب على الحكاية وبالجر على الاعراب (والعزى ومناة الثالثة الاخرى خاف الكفار ان يأتى) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بشئ من ذمهما) اى زيادة على عيبهما (فسبقوا الى مدحهما بتلك الكلمتين) وفيه ماسبق ان الصواب كما فى نسخة بتينك الكلمتين (ليخلطوا) اى ليرموا (به) بالتخليط (فى تلاوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويشغبوا) بتشديد الغين المعجمة اى يثيروا الشر ويهيجوا الفتنة وفى نسخة يشنعوا من التشنيع اى ليعيبوا اويعيروا (عليه على عادتهم وقولهم) اى وعلى منهج مقالتهم (لا تسمعوا لهذا القرآن) اى مهما قدرتم (والغوا فيه) اى تشاغلوا عند قرآته برفع اصواتكم اذا عجزتم (لعلكم تغلبون) عليه فى قرآته (ونسب هذا الفعل) يعنى الالقاء (الى الشيطان) مع انه فعلهم (لحمله لهم عليه) لانه السبب الداعى اليه (واشاعوا ذلك) اى ما سبقوا به الى مدحهما افتراء منهم (واذاعوه) اى افشوه فيما بينهم (وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله) اى هو الذى قاله افتراء منهم فى نسبته اليه (فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى) عن حزنه (بقوله وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية) ايماء الى ان هذا من سنة الله التى قد خلت فى عباده واشعارا بان الكفر من شياطين الانس وانهم من اتباع شياطين الجن (وبين) اى ميز الله تعالى (للناس الحق) المنزل (من ذلك) اى مما ذكره (من الباطل) الملقى (وحفظ القرآن) اى جميع كلماته (واحكم آياته ودفع ما لبس) بتشديد الموحدة (به العدو) من الاباطيل (كما ضمنه الله تعالى) اى تكفله وتضمن حفظه المفهوم (من قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) اى من زيادة ونقص وتحريف وتبديل ولم يكل حفظه الى غيره بل تولاه بنفسه بخلاف الكتب الالهية قبله فانه لم يتول حفظها بل استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيها وحرفوها وبدلوها وهذا لا ينافى ان حفظ القرآن بحسب مبناه ومعناه فرض كفاية لان المعنى انه تعالى تكفل حفظ القرآن بهم وانه لم يكلهم فى مراعاته الى انفسهم بل يكون دائما فى عون حملتهم (ومن ذلك) اى من سؤالات بعض الطاعنين فى مراتب النبيين (ما روى من قصة يونس) وفى نسخة فى قصة يونس (عليه السلام انه وعد قومه العذاب من ربه) اى وخرج من عند قومه (فلما تابوا) اى بعد خروجه وظهور مقدمة وعيده (كشف عنهم العذاب) قيل يوم جمعة فى عاشوراء (فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا) اى ولو بحسب الصورة استحياء من قومه (فذهب مغاضبا) اى على هيئة

الغضبان على قومه او على قوله وكان عليه اولا ان يصابرهم منتظرا من ربه الاذن له فى خروجه وثانيا ان يرجع اليهم حيث تاب الله تعالى عليهم (فاعلم اكرمك الله تعالى) بالعقيدة الثابتة (انه) اى الشان وفى نسخة ان (ليس فى خبر من الاخبار الواردة فى هذا الباب) لا فى السنة ولا فى الكتاب (ان يونس قال لهم انه) اى الله سبحانه وتعالى (مهلككم) وفى نسخة يهلككم وفى اخرى مهلككم وعلى التسليم فيكون مقيدا بما ان ثبتوا على كفرهم فلا يستقيم ان يقول لا ارجع اليهم كذابا ابدا الا بظاهره (وانما فيه) اى وانما الوارد فى حقه من الاخبار (انه دعا عليهم بالهلاك) اى ان اصروا على الاشراك (والدعاء) انما هو انشاء بطلب (ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه) اى يونس (قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا) فيه ان هذا اخبار لا انشاء (فكان ذلك) اى مجيئه لهم فيما قال وفى نسخة كذلك اى كما قال فلا يكون كذابا ابدا غايته انه لما غامت السماء غيما شديدا اسود بدخان شديد سطوح يوم ثم لبسوا المسوح وعجوا فى السوح مظهرين الايمان والتوبة النصوح (ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم) برحمته المخصوصة بهم فى هذا الباب (قال الله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس) استثناء منقطع من القرى اذ المراد اهلها اى لكن قومه او متصل من ضمير آمنت والجملة فى معنى النفى اى ما آمنت قرية من القرى المحكوم على اهلها بالهلاك الا قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى الاية) اى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين (وروى فى الاخبار) اى فى بعض الاثار (انهم رأوا دلائل العذاب ومخايله) اى مظانه جمع مخيلة اى مظنة او سحابة فيها عقوبة وفى الحديث انه عليه الصلاة والسلام اذا رأى مخيلة اقبل وادبر وفى رواية اذا رأى فى السماء اختيالا تغير لونه خشية ان يكون عذابا ارسل كما وقع لقوم هود فاذا امطرت سرى عنه (قاله ابن مسعود) كما رواه ابن مردويه عنه مرفوعا وابن ابى حاتم موقوفا (وقال سعيد بن جبير غشاهم) اى غطاهم الله تعالى (العذاب كما يغشى الثوب القبر) وفى نسخة كما يغشى السحاب القمر (فان قلت فما معنى ما روى) عند ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس من (ان عبد الله ابن ابى سرح) بفتح السين المهملة وسكون الراء وفى آخره مهملة اسلم قبل الفتح وهاجر وكتب الوحى ثم ارتد ثم اسلم ومات ساجدا لله (كان يكتب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد مشركا) ويروى ارتد كافرا (وسار) وفى نسخة وصار اى رجع (الى قريش) اى بمكة (فقال لهم انى كنت اصرف محمدا) اى اغيره (حيث اريد) اى من تغيير كلامه وتغيير مرامه (كان يملى على عزيز حكيم فاقول) اى استفهاما (أو عليم حكيم) وفى نسخة فاقول او عليم حكيم (فيقول نعم كل صواب) اى فى نفس الامر اذ نزل عليه بهذا كتاب فيكون من السبعة الاحرف التى نسخ من كل باب (وفى حديث آخر) كما رواه ابن جرير عن السدى (فيقول له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب كذا) كناية عما كان يأمره بكتابته فى املاء نظرته (فيقول) اى ابن ابى سرح (اكتب كذا) بالف استفهام ملفوظة او محذوفة واغرب الدلجى فى تقدير انما اكتب كذا (فيقول) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى نسخة (اكتب كيف شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت) وهذا على اطلاقه غير صحيح فقد روى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله غفور رحيم بدل عزيز حكيم ولم يكن قارئا فانكره وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه بالعمل (وفى الصحيح) اى فى البخارى من طريق عبد العزيز وفى مسلم من طريق ثابت كلاهما (عن انس رضى الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ما اوحى اليه (بعد ما اسلم) وقرأ البقرة وآل عمران (ثم ارتد) كافرا فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فاعجبوا به فلبث ان قصم الله عنقه فيهم الحديث (وكان يقول ما يدرى محمد ما كتبت) اى له كما فى نسخة والمعنى ما يشعر بكتابتى فيما غيرت سهوا اوقصدا وفى نسخة ما يدرى محمد الا ما كتبت له (فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق) اى البين دليلا (ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق) اى تخليطه (بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية) ولو على طريق الرواية (اولا لا توقع فى قلب مؤمن ريبا) اى شكا وشبهة (اذ هى حكاية عن من ارتد وكفر بالله) وفى حال كفره رواه (ونحن) اى معاشر المحدثين من علماء المسلمين (لا نقبل رواية المسلم المتهم) اى فى عدالته بالكذب والمعصية (فكيف بكافر) اى مستحق العقوبة (افترى هو ومثله) من الكفرة والفجرة (على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا) الافتراء المروى عنهما فلا عبرة بهما (والعجب لسليم العقل) وفى نسخة لسليم القلب (يشغل بمثل هذه الحكاية سره) اى الا بارادة انه يدفع شره (وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين) اسم فاعل من ابغض ضد احب وروى منغص من التنغيص وهو التكدير وروى بالقاف من النقص (مفتر على الله ورسوله ولم ترد) اى هذه الحكاية (عن احد من المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد) لا برؤية ولا بسماع قضية (ما قاله وافتراه على نبى الله وانما) كان حقه ان يقول وقد قال تعالى انما (يفترى الكذب الذين

لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون) فيه اقتباس من القرآن الكريم اشعارا بانه نزل ردا لقولهم انما يعلمه بشر وانه على الله مفتر (وما وقع من ذكرها فى حديث انس) ولو فى الصحيح (وظاهر حكايتها) ولو بالتصريح (فليس فيه مايدل على انه) اى انسا (شاهده) اى الحاكى حال اسلامه وفى نسخة شاهدها اى الحكاية او القضية (ولعله حكى ما سمع) اى من غيره وهكذا بغير انتهاء امره الى تحقق سنده (وقد علل البزار حديثه ذلك) اى لذلك اولعلة خفية قادحة فى اسناد ذكرها هنالك (وقال) اى البزار (رواه ثابت) وفى نسخة عنه اى عن انس (ولم يتابع عليه) بصيغة المجهول (ورواه حميد) اى الطويل لطول كان فى يديه مات وهو قائم يصلى ووثقوه على انه كان يدلس (عن انس رضى الله تعالى عنه قال) اى البزار (واظن حميدا انه سمعه من ثابت) اى فدلس وروى عن انس (قال القاضى الامام) الظاهر انه المصنف ويؤيده انه فى نسخة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله (ولهذا والله تعالى اعلم لم يخرج اهل الصحيح) وفى نسخة اهل الصحة (حديث ثابت ولا حميد) فيه بحث اذ سبق ان حديثهما فى الصحيحين وكانه اراد غير هذا الحديث المتنازع فيه (والصحيح حديث عبد الله بن عزيز بن رفيع) وهو تابعى جليل ثقة روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه شعبة وابو بكر بن عياش توفى سنة ثلاث ومائة واخرج له الائمة الستة (عن انس الذى خرجه اهل الصحة) اى كلهم (وذكرناه) اى سابقا (وليس فيه عن انس قول شئ من ذلك) اى مما حكى (من قبل نفسه فى جميع الروايات الا من حكايته عن المرتد النصرانى) على ما تقدم والله تعالى اعلم (ولو) وفى نسخة فلو (كانت) اى تلك الرواية او الحكاية (صحيحة) اى فرضا وتقديرا (لما كان فيها) اى فى مضمونها (قدح) اى طعن (ولا توهيم) اى نسبة الى وهم وفى نسخة ولا توهين اى نسبة الى وهن وضعف فى ضبط (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اوحى اليه) اى من عند ربه (ولا جواز النسيان والغلط عليه والتحريف) اى الزيغ والميل (فيما بلغه) اى اوصله من الحق الى الخلق (ولا طعن فى نظم القرآن) اى لا من جهة مبانيه ولا من طريق معانيه (وانه من عند الله تعالى) اى العزيز الحميد (اذ ليس فيه) اى فيما قاله الكاتب (لو صح) اى قوله (اكثر من ان الكاتب قال له) اى للنبى عليه الصلاة والسلام (عليم حكيم او كتبه) اى قبل ان يتم النبى عليه الصلاة والسلام كلامه وفى نسخة اذا كتبه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك هو) اى مثل ما قلته او كتبته (فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها) اى لتلك الكلمة (اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول يدل عليها) او يشير اليها (ويقتضى وقوعها) اى فى محلها اللائق بها (بقوة قدرة الكاتب على الكلام) حيث كان من فصحاء الانام (ومعرفته به) اى بالكلام نظما ونثرا فى ترتيب المرام (وجودة حسه) اى ادراكه ودرايته (وفطنته) اى سرعة فهمه عند سماع روايته ونظير ذلك ما وقع لعمر رضى الله تعالى عنه فى موافقته حيث روى انه لما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر قال عمر رضى الله تعالى عنه فتبارك الله احسن الخالقين فقال له النبى عليه الصلاة والسلام كذلك انزلت (كما يتفق ذلك للعارف) باساليب الكلام (اذا سمع البيت) من الشعر (ان يسبق) فهمه لقوته (الى قافيته) قبل التمام (او مبتدأ الكلام) اى او اذا سمع ابتداء الكلام (الحسن) فى النثر فانه يسبق طبعه (الى ما يتم به) اى قبل تمام المرام كما فى وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وفى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها (ولا يتفق ذلك) التوافق (فى جملة الكلام) اى مما لا تدل فاتحته على خاتمته (كما لا يتفق ذلك فى آية) اى كاملة (ولا سورة) اى شاملة (وكذلك) اى يأول (قوله عليه الصلاة والسلام) لعبد الله ابن ابى سرح (كل صواب) اى كل ما قلته او كتبته (ان صح) سنده يروى ان صحت اى اسانيده (فقد يكون هذا فيما) كان (فيه من مقاطع الآى) اى رؤسها ومواقفها ويروى الآيات (وجهان) اى جائزان فى صدر الاسلام (وقراءتان) اى متواتران (انزلتا جميعا على النبى صلى الله عليه وسلم) الا ان احداهما صارت شاذة (فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته) ببركة صحبته وانعكاس مرآته (ومعرفته بمقتضى الكلام) وما يتعلق بفصاحته وبلاغته (الى الاخرى) اى قبل ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لها كما فى نسخة (فذكرها) اى الكاتب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ذكره لها) كما قدمناه على ما يشير اليه قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور عند ظهور الايمان يهدى الله لنوره من يشاء كعمر ويضل من يشاء كابن ابى سرح ويضرب الله الامثال للناس ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور بل له نار فى غاية من ظهور والامور مخبوءة تحت حجب ظلال وستور (فصوبها) اى القراءة الاخرى (له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بحسب الموافقة (ثم احكم الله من ذلك) اى مما ذكر من عليم حكيم بدل غفور رحيم ونحوه مما تقدم هنالك (ما احكم) اى ابقاه (ونسخ ما نسخ) اى ازاله لحكمة اقتضت هنالك كقوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وقوله وبلغوا عنا

انا قد لقينا ربنا فرضى عنا نزل فيمن قتل ببئر معونة من القرآن ثم نسخ (كما قد وجد ذلك) الاختلاف الآن ايضا (فى بعض مقاطع الآى مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز) اى القوى القادر على ثوابهم وعقابهم (الحكيم) فى ارادته من تعذيبه واثابته (وهذه قراءة الجمهور) وهم السبعة او العشرة (وقد قرأ جماعة) اى بطرق شاذة (فانك انت الغفور الرحيم وليست) اى هذه الجملة (فى المصحف) وفى نسخة من المصحف اى فهى متلوة لا مكتوبة ولذا صارت شاذة (وكذلك كلمات جاءت على وجهين فى غير المقاطع) بل فى اثناء الآى من المواضع (قرأ بهما معا) اى كليهما (الجمهور وثبتتا فى المصحف) اى فى مصحف الامام او جنس المصاحف العثمانية (مثل وانظر الى العظام) اى عظام الحمار (كيف ننشرها) بالراء وهى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو اى نحييها (وننشزها) بالزاى فى قراءة الباقين اى نحركها او نرفع بعضها الى بعض فى تركيبها (ويقض الحق) بضاد معجمة مكسورة فى قراءة ابى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى وحذف ياؤه فى الرسم على خلاف القياس تنزيلا للوقف منزلة الوصل اى يقضى القضاء الحق (ويقص الحق) بضم صاد مهملة مشددة اى يتبعه ويحكيه ويأمر به (وكل هذا) اى ماذكر من الخلاف فى القراءة او الرواية (لا يوجب ريبا) يورث شبهة (ولا يسبب) بتشديد الباء الاولى مكسورة اى لا يصير سببا وفى نسخة صحيحة لا ينسب (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم غلطا) اى سهوا (ولا وهما) بفتح الهاء وسكونها اى توهما (وقد قيل ان هذا) اى قول ابن ابى سرح لقريش بعد ردته كنت اصرف محمدا كيف اريد (يحتمل ان يكون فيما يكتبه) اى فيما كان يكتبه مكاتيب (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى على لسانه (الى الناس) اى من الملوك وغيرهم (غير القرآن فيصف) اى ابن ابى سرح (الله) سبحانه وتعالى بصفات تليق به من سميع بصير وعليم خبير وعليم حكيم وغفور رحيم حسب ما يوافق سجع الكلام ووفق المرام (ويسميه فى ذلك الكتاب) اى المكتوب (كيف شاء) على نهج المطلوب ويروى بما شاء وكثيرا ما يقع مثل ذلك الاختلاف بين المملى والمملى عليه ثم يحصل الائتلاف

* (فصل) *

(هذا القول) اى الذى تقدم (فيما طريقه البلاغ) اى التبليغ فى باب الرسالة (واما ماليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التى لا مستند لها الى الاحكام) المتعلقة بالامور الدنيوية فى حسن المعاش وتحسين الزاد (ولا اخبار المعاد) بفتح الميم اى احاديث الاحوال الاخروية فى ابد الآباد (ولا تضاف الى وحى) اى الهى جلى او خفى (بل فى امور الدنيا) اى التى ليس لها تعلق بالاخرى (واحوال نفسه) اى من حكاية غده وامسه (فالذى يجب) اى اعتقاده كما فى نسخة (تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبرئته (عن ان يقع خبره) اى حديثه (فى شئ من ذلك) اى مما قدمناه هنالك (بخلاف مخبره) بضم الميم وفتح الموحدة اى بضد ما اخبر به (لا عمدا ولا سهوا) اى نسيانا (ولا غلطا) اى خطأ (وانه معصوم من ذلك) اى من جميع ما ذكر (فى حال رضاه وسخطه) بفتحتين وبضم فسكون اى كراهته وغضبه (وجده) بكسر الجيم وهو ضد الهزل (ومزحه) فانه كان يمزح ولا يقول الا حقا ومنه قوله لامرأة لا تدخل الجنة عجوز (وصحته ومرضه) اى لسلامة قلبه وصحة لسانه (ودليل ذلك) اى ماذكر (اتفاق السلف) اى من الصحابة والتابعين (واجماعهم عليه) اى على انه لا يصدر شئ منه بخلاف اخباره عنه (وذلك) اى بيانه (انا نعلم من دين الصحابة) اى ديدنهم (وعادتهم مبادرتهم) اى مسارعتهم (الى تصديق جميع احواله) اى افعاله واقواله (والثقة) اى الاعتماد (بجميع اخباره) اى احاديثه وآثاره (فى اى باب كانت) من اطواره (وعن اى شئ) وفى نسخة وفى اى شئ (وقعت) اى اخباره (وانه) اى الشأن وفى نسخة صحيحة وانهم (لم يكن لهم توقف) اى تلبث وتمكث (ولا تردد فى شئ منها) اى من صحة اقواله وافعاله وثبوت احواله (ولا استثبات) اى ولا طلب ثبات نشأ عن تردد بعد نقل ثقات (عن حاله عند ذلك هل وقع فيها سهو اولا) لكمال متابعتهم فى اقواله وموافقتهم لافعاله حتى ورد انه عليه الصلاة والسلام لما خلع نعله فى الصلاة ورمى بها خلعوا نعالهم ورموا بها وكذلك فى طرح الخاتم تبعا له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولما احتج ابن ابى الحقيق) بضم المهملة وفتح القاف الاولى وسكون التحتية (اليهودى) من يهود خيبر (على عمر) فيما رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر (حين اجلاهم) اى اخرجهم عمر (من خيبر) وهو وطنهم ويروى عن خيبر (باقرار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) متعلق باحتج اى استدل اليهودى بتقريره عليه الصلاة والسلام (لهم فى ابقائهم فيها (واحتج عليه عمر بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى لابن ابى الحقيق (كيف بك اذا اخرجت من خيبر) بصيغة المجهول الخاطب (فقال اليهودى كانت) اى مقالته عليه الصلاة والسلام (هزيلة) تصغير هزلة وهى المرة من الهزل (من ابى القاسم) كنيته عليه الصلاة والسلام بابنه القاسم (قال له عمر كذبت يا عدو الله) وانما كذبه لنسبته له عليه الصلاة والسلام الى ما لا يليق به من الهزل وللاشارة الى ان كلامه كله قول فصل وما هو بالهزل فانه كان

اخبارا عما سيقع من عزة الاسلام وقوة الاحكام فيكون معجزة بهذا لا هزيلة رذيلة (وايضا فان اخباره وآثاره) اى من اقواله وافعاله (وسيره) اى سائر احواله (وشمائله) جمع شمال بالكسر وهو الخلق اى الجبلة من صفات كماله ونعوت جماله (معتنى) اى مهتم (بها) وهو بصيغة المجهول وكذا (مستقصى) اى مستوفى (تفاصيلها ولم يرد) اى وما ورد (فى شئ منها) اى من اقواله وشمائل احواله (استدراكه صلى الله عليه وسلم لغلط فى قول قاله او اعترافه بوهم) اى بوقوع سهو (فى شئ اخبر به ولو كان ذلك) اى ما ذكر من الغلط والوهم واقعا (لنقل) اى الينا (كما نقل) على ما رواه مسلم عن طلحة وانس ورافع بن خديج (من قصة رجوعه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة فى قصته عليه الصلاة والسلام ورجوعه (عن ما اشار به على الانصار فى تلقيح النخل) اى تأبيرها وهو جعل شئ من النخل الذكر فى الانثى وذلك انه مر بهم وهم يلقحونها فسألهم عن ذلك فاخبروه فقال لعلكم لو لم تفعلوا لكان خيرا فتركوا فلم تثمر على العادة فقال لهم انتم اعلم بدنياكم وقال انما انا بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشئ من رأيى فانما انا بشر (وكان ذلك) اى قوله عليه الصلاة والسلام للانصار (رأيا) اى من نفسه (لا خبرا) عن وحى من ربه ومن ثمة قال انتم اعلم بدنياكم وفيه تنبيه نبيه على انه لا يشترط فى حق ارباب النبوة العصمة عن الخطأ فى الامور الدنيوية التى لا تعلق لها بالاحكام الدينية والاحوال الاخروية لتعلق هممهم العليا بعلوم العقبى وغيرهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (وغير ذلك من الامور التى ليست من هذا الباب) اى باب تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان يقع خبره خلاف مخبره فى فصل الخطاب (كقوله) فيما رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى قال ارسلنى اصحابى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسأله الحملان الى غزوة تبوك فقال والله وفى نسخة زيادة انى لا احملكم وما عندى ما احملكم عليه ثم اتى صلى الله تعالى عليه وسلم بذود غر الذرى فاعطاه اياها فقال تغفلنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمينه فرجع اليه فاخبره فقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم (والله لا احلف على يمين) اى على عقد وعزم ونية قال الانطاكى اى على شئ مما يحلف عليه وسمى المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين (فارى غيرها) اى فعل غير المحلوف عليه يعنى فاعلم ان تركها (خيرا منها) اى من بقائها (الا فعلت الذى حلفت عليه) كذلك حملانهم (وكفرت عن يمينى وقوله) فيما رواه الشيخان عن ام سلمة (انكم تختصمون الى الحديث) تمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فمن اقتطعت له من حق اخيه شيأ فكانما اقتطع له قطعة من النار (وقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الائمة الستة عن الزبير من امره عليه الصلاة والسلام للزبير بن العوام ان يسقى نخله ولا يستوعب ثم يرسل الماء الى جاره من الانصار فقال الانصارى ان كان ابن عمتك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (اسق) بفتح الهمزة (يا زبير) اى نخلتك او حديقتك (حتى يبلغ الماء الجدر) بفتح الجيم وكسرها وسكون الدال المهملة وبالراء لغة فى الجدار والمراد هنا اصل الحائط كما ذكره النووى وقيل اصول الشجر وقيل جدر المشارب التى يجتمع فيها الماء فى اصول الشجر وفى نسخة الجدر بضمتين وهو جمع الجدار فاستوعب له عليه الصلاة والسلام بعد ان امره ان يسقى بدون استيعاب رعاية لجاره (كما سنبين كل ما فى هذا) اى الذى ذكرناه (من مشكل فى هذا الباب والذى بعده ان شاء الله تعالى مع اشباههما) اى نظائرهما مما وقع فى هذا الكتاب ويروى مع اشباههما (وايضا فان الكذب متى عرف) اى صدوره (من احد فى شئ من الاخبار) ولو جزئيا وهو بفتح الهمزة ويروى فى شئ والاخبار فهو بكسر الهمزة (بخلاف ما هو) متعلق بعرف حال من ضميره (على اى وجه كان) من المزاح ونحوه (استريب بخبره) بصيغة المجهول وكذا قوله (واتهم حديثه) وهو تفسير ما قبله قال ابو بكر لعمر رضى الله عنهما عليك بالرائب من الامور واياك والرائب منها اى الزم الصافى الخالص منها واترك المشتبه منها فالاول من راب اللبن يروب والثانى من رابه يريبه اى اوقعه فى الشك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى ما لا يريبك بضم الياء وفتحها (ولم يقع قوله فى النفوس موقعا) اى لم يؤثر فيها تأثيرا تقبله وتطمئن به (ولهذا) اى ولكون الكذب يورث الريبة فى الخبر والتهمة فى الاثر (ترك المحدثون) وفى نسخة ما ترك المحدثون على ان ما موصولة وقال الدلجى ما مزيدة لتأكيد معنى الترك وهو غريب (والعلماء) اى المجتهدون فهو اعم مما قبله (الحديث) اى نقله (عمن عرف) اى شهر (بالوهم) بفتح الهاء اى الغلط وبسكونها اى السهو (والغفلة) اى الذهول وعدم اليقظة (وسوء الحفظ) بقلة الضبط (وكثرة الغلط) فى المتن والسند (مع ثقته) اى اعتماده فى ديانته وامانته فى روايته وقد حكى ان البخارى امتنع عن الرواية عمن اخذ بدابته فخدعها لان فى حجره شعيرا ونحوه (وايضا فان تعمد الكذب فى امور الدنيا معصية) ويروى منقصة اى خصلة تورث المذمة عاجلا والعقوبة آجلا اذ هى الخروج عن الطاعة (والاكثار منه) اى من تعمد الكذب (كبيرة باجماع) اى من العلماء الاعلام كابى حنيفة ومالك وغيرهما من غير نزاع (مسقط للمروءة) ومخل بالعدالة (وكل هذا) اى ما ذكر (مما ينزه عنه

منصب النبوة) بفتح الميم وكسر الصاد اى ساحة الرسالة (والمرة الواحدة) مبتدأ وصفة مؤكدة له (منه) اى من الكذب (فيما) ويروى مما (يستشنع) بصيغة المجهول من مادة الشناعة وهى القباحة وكذا قوله (ويستبشع) من البشاعة وهى الكراهة وفى نسخة ويشاع من الاشاعة وفى اخرى ويشيع بالياء او النون من التشبيع او التشنيع اى فيما يستقبح ويستنكره (مما يخل بصاحبها) اى المرة (ويزرى بقائلها) اى يعيبه وينقصه ويحقره (لاحقة بذلك) خبر المبتدأ اى متصلة بما ينزه عنه منصب النبوة (واما فيما لا يقع هذا الموقع) اى من الامر المستبشع كالكذبة الواحدة فى حقيرة من الدنيا (فان عددناها) اى هذه المعصية (من الصغائر فهل تجرى على حكمها) اى حكم المرة الواحدة من الكذب (فى الخلاف فيها) اى قبل البعثة هل يصدر من الانبياء صغيرة اولا (مختلف فيه) وقد سبق بيان الخلاف (والصواب تنزيه النبوة) اى صاحبها او ذاتها مبالغة (عن قليله) اى الكذب (وكثيره) اى بالاولى (وسهوه وعمده) بخلاف غيرها من الصغائر اذ فيها القولان المشهوران للسلف والخلف (اذ عمدة النبوة) اى مدار امورها المقرونة بالرسالة (البلاغ) اى تبليغ الاحكام (والاعلام) اى بما يتعلق به حق الانام (والتبيين) اى تبيين ما انزل اليهم من الابهام (وتصديق ما جاء به النبى) اى فيما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام (وتجويز شئ من هذا) اى الذى يخل بمنصب النبوة سواء كان صغيرة او كبيرة قليلة او كثيرة (قادح فى ذلك) اى فى العمدة التى هى ابلاغ النبوة (ومشكك فيه) اى وموقع فى الريبة (مناقض للمعجزة) اى التى هى عبارة عن قول الرب صدق عبدى (فلنقطع عن يقين) اى لا عن ظن وتخمين وفى نسخة على يقين (بانه) اى الشان (لا يجوز على الانبياء خلف) اى تخلف كما فى نسخة اى مخالفة ووقوع (فى القول) من اقوالهم (فى وجه من الوجوه) اى فى حال من احوالهم (لا بقصد ولا بغير قصد ولا تسامح) اى تجن وفى نسخة بصيغة المجهول اى ولا ينبغى ان يتسامح ويتساهل وفى اخرى ولا يتسامح بياء الجر والتنوين (مع من تسامح) بصيغة الماضى وفى نسخة بصيغة المضارع الغائب كلاهما من باب التفاعل وفى نسخة سامح من باب المفاعلة وفى اخرى ولا يتسامح بتسامح على لفظ المصدر (فى تجويز ذلك) اى الخلف فى القول (عليهم) ولو كان (حال السهو) وفى نسخة فيما (ليس طريقه البلاغ نعم) كذا فى بعض النسخ المصححة ولم يتعرض له احد من المحشين ولم يظهر لنا وجهه المستبين (وبانه) اى وكذا نقطع بانه (لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة) اى اظهارها (ولا الاتسام) بتشديد التاء افتعال من الوسم وهو العلامة اى ولا يجوز الاتصاف (به فى امورهم) المتعلقة باخرتهم (واحوال دنياهم لان ذلك) اى الكذب لو صدر عنهم كان (يزرى) اى يحقرهم (ويريب بهم) اى يوقع امهم فى التهمة فيما جاؤا به عن ربهم (وينفر القلوب عن تصديقهم بعد) اى بعد ارسالهم بما امروا بتبليغ احوالهم (وانظر احوال عصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم) اى من العرب والعجم (وسؤالهم) بالنصب او الجر (عن حاله) اى تحول شانه (فى صدق لسانه وما عرفوا به) بتشديد الراء مبنيا للمفعول او الفاعل مشددا ومخففا اى والذى عرف قريش (من ذلك) اى صدق لسانه (واعترفوا به) حين سئلوا عنه (مما عرف) بصيغة المفعول ويروى واعترفوا بما عرف به اى علم من تحقق شأنه (واتفق النقل) ويروى واتفق اهل النقل (على عصمة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منه) اى من الكذب ونحوه (قبل وبعد) اى قبل البعثة وبعدها (وقد ذكرنا من الآثار فيه) اى فيما يتعلق به (فى الباب الثانى اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه) من تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ونحوه مما يشين لديه ومن جملته قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك بالتشديد والتخفيف اى لا ينسبونك الى الكذب قبل النبوة ولا بعدها

(فصل)

(فان قلت فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث السهو) اى الحديث الدال على السهو على ما رواه الشيخان (الذى حدثنا به الفقيه ابو اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضى ابو الاصبغ) بفتح الهمزة والموحدة بعدها غين معجمة (ابن سهل) هو القاضى عيسى بن سهل (قال ثنا حاتم بن محمد) تقدم (ثنا ابو عبد الله ابن الفخار) بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة (ثنا ابو عيسى) اى الترمذى على ما صرح به الدلجى وقال الحلبى تقدم انه يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى ابن كثير الليثى (ثنا عبد الله) قال الحلبى تقدم مرارا انه ابو مروان عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثى (ثنا يحيى) تقدم انه يحيى بن يحيى الليثى (عن مالك) اى ابن انس الامام (عن داود بن الحصين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين وثقه جماعة توفى سنة خمس وثلاثين ومائة اخرج له الائمة الستة (عن ابى سفيان) تابعى ثقة مولى ابن ابى احمد اخرج له الائمة الستة (انه قال سمعت ابا هريرة رضى الله تعالى عنه) قال الحلبى الحديث اخرجه من الموطا كما ترى وهو فى مسلم والنسائى من رواية ابى سفيان عن ابى هريرة واخرجاه جميعا عن عقبة عن مالك به فان قلت لم لم يخرجه القاضى من

مسلم فالجواب ان بينه وبين مالك فى الموطأ سبعة اشخاص ولو رواه عن مسلم كان كذلك ولكن الموطأ عندهم مقدم على غيره ايضا الموطأ يقع له من بعض الطرق اعلى مما ذكره بدرجة فيعلو له على مسلم ولكن لو اخرجه من عند النسائى كان يقع له اعلى من الموطأ عن ابى هريرة (يقول صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة العصر) وقيل الظهر (فسلم فى ركعتين) اى بعد فراغه منهما ومن تشهدهما (فقام ذو اليدين) وسمى به لان فى يديه او احداهما طولا وقيل لانه كان يعمل بكلتا يديه ووهم هنا الزهرى مع سعة علمه فقال ذو الشمالين ولا يصح لان ذا الشمالين قتل ببدر وذو اليدين شهد قصة ابى هريرة واسلام ابى هريرة بعد خيبر تأخر موته حتى روى عنه متأخرو التابعين كمطير وقيل انهما واحد ولا يصح لان ذا الشمالين خزاعى وذا اليدين سلمى (فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة) على بناء المفعول من القصر ضد الاتمام او بفتح فضم صاد وتاء تأنيث على صيغة الفاعل بمعنى النقص قاله ابن الاثير وقال النووى كلاهما صحيح والاول اشهر واصح وقال المزى الصحيح بناء قصرت لما لم يسم فاعله من قبل الرواية ومن قبل الدراية لان غيرها قصرها ولموافقة لفظ القرآن ان تقصروا من الصلاة انتهى ولا يخفى ان هذا يشير الى احتمال وجه آخر وهو ان يكون قصرت بفتحتين وتاء الخطاب وحينئذ يطابق قوله (ام نسيت) بفتح فكسر ثم تاء خطاب (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جوابا له (كل ذلك لم يكن) روى بالرفع والنصب فعلى الاول مبتدأ خبره لم يكن وعلى الثانى خبر كان مقدم عليها والمعنى كل ذلك لم يقع من قبلى بل انما كان من عند ربى ليسن الحكم فى امتى من جهتى (وفى الرواية الاخرى ما قصرت) بصيغة الغائبة للفاعل اى الصلاة كما فى نسخة (وما نسيت) بصيغة المتكلم وما يحتمل نافية واستفهامية ويؤيد الاول انه فى رواية اخرى لم انس ولم تقصر وفى نسخة ولا نسيت (الحديث بقصته) اى مشهور فى روايته (فاخبر بنفى الحالين) اى معا بناء على ما اختاره المصنف من ان ما نافية (وانهما لم تكن) اى حالة منهما اى مطلقا او القضية اصلا وفى رواية انهما لم يكونا اى النقص والنسيان (وقد كان احد ذلك) اى احد ما ذكر من الحالتين فى الواقع (كما قال له) وفى نسخة كما قال ذو اليدين (قد كان بعض ذلك يا رسول الله) فهذا يرجح كون ما نافية (فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك اجوبة بعضها بصدد الانصاف) اى متمسك بطريق الانصاف فى الرجوع الى الحق (ومنها) اى وبعضها (ما هو بنية التعسف والاعتساف) التعسف هو الخروج عن الجادة وركوب الامر بالمشقة وفى معناه الاعتساف وانما جمع بينهما للمبالغة ورعاية الفاصلة والمراد بالنية القصد والتوجه بالطوية وفى نسخة بتيه بكسر الفوقية فياء ساكنة فهاء وفسره الحلبى بالكبر والاظهر انه بمعنى التحير فى تيه الضلالة وبيداء الجهالة ولذا فسره التلمسانى بعدم الاهتداء (وها انا اقول) مبتدأ وخبر قرنا بتنبيه فى حق نبى نبيه (اما على القول) اى قول بعضهم (بتجويز الوهم) بفتح الهاء وسكونها اى السهو (والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ) بالنصب اى الابلاغ وفى نسخة من البلاغ اى من جهة التبليغ (وهو) اى هذا القول هو (الذى زيفناه) اى ضعفناه (من القولين) اعنى الجواز وعدمه (فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه) ولا اشكال فى تجويز نحوه (واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله) اى الشاملة لاقواله عليه الصلاة والسلام (جملة) اى جميعها مجملة (ويرى انه) اى ويعتقد انه عليه الصلاة والسلام (فى مثل هذا عامد لصورة النسيان) اى كالعامد فى هذه الصورة (ليسنه) فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه (لمن اعتراه مثله) اى اصابه نحوه من الامة فيقتدى به فى تدارك الحالة (وهو قول مرغوب عنه) اى مردود لنسبته الى التعمد فى القضية (نذكره) وفى نسخة وسنذكره (فى موضعه) اى مع بيان ضعفه (واما على احالة السهو) اى على كون السهو محالا (عليه فى الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول) اى التبليغ (كما سنذكره) اى على القول الاصح (ففيه اجوبة) اى مرضية (منها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره) اى بحسب ظنه فى قوله كل ذلك لم يكن (اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا) فلا شبهة فيه (واما النسيان فاخبر صلى الله تعالى عليه وسلم عن اعتقاده) اى وفق اجتهاده (وانه لم ينس فى ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا) اى بعدم نسيانه (عن ظنه وان لم ينطق به) اى وان لم يصرح به وان لم يقل لم انس فيما اظن به (وهذا) ويروى وهو (صدق ايضا) لا ريبة فيه ولا شبهة (ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع) اى مفعوله (الى السلام اى انى سلمت قصدا وسهوت عن العدد اى لم اسه فى نفس السلام وهذا محتمل) اى من جهة العربية (وفيه بعد) اى عن صحة حمل القضية (ووجه ثالث وهو ابعد) ويروى ابعدها اى من النقل والعقل فى تحقيق المعنى (ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ) اى المبنى (من قوله كل ذلك لم يكن اى لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما) وهذا بحسب مفهوم المعنى وهو غير معتبر عند الجمهور (ومفهوم اللفظ) اى المعتبر (خلافه) اى مخالف له لا سيما (مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة

وما نسيت) وفى نسخة ولا نسيت فانه دال على نفى وجودهما كليهما سواء تكون نافية او استفهامية وايضا لو كان مفهومه ما تقدم لم يقل ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله (هذا) اى الوجه الثالث (ما رأيت فيه لائمتنا) اى المالكية او الاعم فيشير الى انه مما ظهر له والله تعالى اعلم (وكل من هذه الوجوه) اى الثلاثة (محتمل اللفظ) وفى نسخة محتمل للفظ اى للمبنى وان كان الاخيران بعيدين فى المعنى (على بعد بعضها) وهو الوجه الثانى (وتعسف الآخر منها) وهو الوجه الثالث (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (والذى اقول) اى واختاره (ويظهر لى انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذى نفاه عن نفسه) لان اصل النسيان الترك فكره عليه الصلاة والسلام ان يقول تركت باختيارى (وانكره على غيره) جملة حالية اى وقد انكره عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (بقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا وكذا ولكنه نسى) بضم النون وتشديد السين المكسورة اى انساه الله اياها ولابى عبيد بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسى ولكنه نسى وهو ابين من الاول لكن فيه ان ظاهر الحديث يخص النسيان بآى القرآن فلا يعم سائر الاقوال والافعال من الشان ولعله مقتبس من قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله اى ما اراد الله تعالى انساءك اياه فينسيكه نعم ربما يعم الحكم كما نبه عليه المصنف وقال (وبقوله فى رواية الحديث الآخر) وفى نسخة فى بعض رواية الحديث الآخر (لست انسى) بفتح الهمزة والسين (ولكنى) وفى نسخة ولكن (انسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (فلما قال له السائل) وهو ذو اليدين (اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان) اى فى نفس الامر (ونسيانه) اى وانكر نسيانه هو (من قبل نفسه) اى باختياره وتقصير من جانبه (وانه) اى الشأن (ان كان جرى شىء من ذلك فقد نسى) بصيغة المجهول مشددا (حتى سأل غيره) اى من الصحابة كابى بكر وعمر رضى الله عنهما بقوله أحق ما يقول ذو اليدين قالوا نعم (فتحقق انه نسى) بصيغة المجهول مشددا اى انساه الله (واجرى عليه ذلك) بالبناء للمفعول وكذا قوله (ليسن) اى ليقتدى وفى نسخة بالبناء للفاعل اى ليجعله سنة يقتدى بها الامة (فقوله على هذا لم انس ولم تقصر) للبناء للفاعل او المفعول (وكل ذلك) اى وقوله كل ذلك وفى نسخة اذ كل ذلك (لم يكن صدق) خبر لقوله فقوله (وحق) تأكيد (لم تقصر) اى كما فى نفس الامر (ولم ينس حقيقة) اى من قبل نفسه (ولكنه نسى) اى انساه الله تعالى اياه فكراهته عليه الصلاة والسلام نسبة النسيان الى النفس انما هى لاسناد الحوادث كلها لله تعالى اذ هو المقدر لها وللاشعار الى انه لم يقصد الى نسيانه ولم يكن باختياره فلم ينسب الى تقصيره (ووجه آخر يؤذن بالفرق بين السهو والنسيان (استثرته) اى استخرجته من استثار بالمثلثة من باب الافتعال واصله استثورته ومنه قوله تعالى فاثرن به نقعا والمعنى استنبطته (من كلام بعض المشايخ) اى مأخوذ من متفرقات كلامه فى تحقيق مرامه (وذلك انه) اى بعض المشايخ (قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال) اى بعض المشايخ (لان النسيان غفلة وآفة) اى بلية ناقصة ولذا قال تعالى فلا تنسى اى باختيارك الا ما شاء الله بان ينسيك من غير تقصير منك (والسهو انما هو شغل) بضم وسكون وبضمتين وفى نسخة بالاضافة الى بال اى اشتغال حال وهو لا ينافى صاحب كمال لانه يتنبه منه بادنى تنبيه فيه (قال) اى ذلك البعض (فكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسهو فى صلاته ولا يغفل) بضم الفاء اى ولا يذهل (عنها بالكلية (وكان يشغله عن حركات الصلاة) اى وسكناتها من قرآءتها وركوعها وسجداتها (ما فى الصلاة شغلا بها) اى بتحصيلها وتكميلها من حضور وروم وخضوع وخشوع وتدبر قرآءة فى مبانيها او معانيها (لا غفلة عنها) بصرف الخاطر الى غيرها من الامور الدنيوية والاحوال الدينية بل لاستغراق وقع له فيها مما لا ينافيها (فهذا) اى القول بهذا المبنى (ان تحقق) بصيغة المفعول او الفاعل اى ثبت (على هذا المعنى لم يكن فى قوله ما قصرت) اى هى (وما نسيت) اى انا (خلف) بضم اى اخلاف (فى قول) لعصمته عليه الصلاة والسلام من الخلف فى الكلام والله تعالى اعلم بحقيقة المرام (وعندى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذى هو احد وجهى النسيان اراد والله تعالى اعلم انى لم اسلم من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكنى نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسى والدليل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح انى لانسى او انسى لاسن) وهذا اوضح واثر التكرار عليه لائح (واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة) اى فى الحديث كما فى نسخة (انها كذباته) جمع كذبة بفتح فكسر فى المفرد والجمع خلافا للتلمسانى حيث قال بفتح الذال جمع كذبة بسكونها (الثلاث المنصوصة) اى الصريحة (فى القرآن) فيما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (منها اثنتان قوله انى سقيم) فى الصافات فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم (وبل فعله كبيرهم هذا) فى سورة

الانبياء قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون (وقوله للملك عن زوجته) اى سارة حين اخذها وسأله عنها فقال (انها اختى) اى فى الاسلام خشية ان يقتلها لو قال انها زوجتى ولقد نجاها الله منه بما اعتراه من الخوف واخدمها هاجر ام اسماعيل ابى العرب جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم احد الذبيحين على ما ورد قال الحلبى فان قيل ما الحكمة فى عدوله عن قوله هذه زوجتى الى هذه اختى وظاهر الحال انه لو قال هذه زوجتى ربما كان الملك لا يتطرق الى امرأة زوجها معها ان كان يعمل بالشرع ولكنه صار كما وصف فى الحديث فما يبالى أكانت زوجة ام اختا بخلاف ما اذا قال هذه اختى ربما كان يقول الملك زوجنيها ويكون عدوله عن امرأتى الى اختى ادعى لاخذ الملك لها فالجواب ما قاله بعض مشايخى فيما قرأته عليه عن ابن الجوزى انه وقع له ان القوم كانوا على دين المجوس وفى دينهم ان الاخت اذا كانت مزوجة كان اخوها الذى هو زوجها احق بها من غيره وكان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستعصم من الجبار بذكر الشرع الذى يستعمله فاذا الجبار لا يراعى دينه وقد اعترض على هذا الجواب بان الذى جاء بمذهب المجوس زرادشت وهو متأخر عن ابراهيم عليه السلام واجيب بان لمذهبهم اصلا قديما ادعاه زرادشت وزاد عليه خرافات اخر انتهى وقيل كان من عادة ذلك الجبار ان لا يتعرض الا لذات الازواج ولذلك قال الخليل لها ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك وحكى ان الملك كان بمصر واراد ابراهيم ان يجتاز منها هو ومن معه من المؤمنين وكانوا ثلاثمائة وعشرين رجلا وجمع بينهم ما حناطه الذى يبيع طعامه وهو الذى وشى بسارة وحملها الى الملك فاهوى اليها بيده مرارا فلم يستطع وابراهيم ينظر اليهما من خارج القصر بعد ان امر الملك باخراجه ومثل الله تعالى لابراهيم القصر كالقارورة حتى انه ينظر من خارجه كل ما كان فى داخله (فاعلم اكرمك الله تعالى ان هذه) اى كلمات ابراهيم عليه السلام (كلها خارجة على الكذب) بفتح فكسر ويجوز كسر اوله وسكون ثانيه (لا فى القصد ولا فى غيره) اى من السهو والخطأ والنسيان (وهى) اى الكلمات الثلاث (داخلة فى باب المعاريض التى فيها مندوحة عن الكذب) اى سعة وفسحة عنه ومنه قول ام سلمة لعائشة قد جمع ذيلك فلا تندحيه اى لا توسعيه وتنشريه ارادت قوله تعالى وقرن فى بيوتكن وهذا مأخوذ من حديث ابى عبيد وغيره عن عمران بن حصين يرفعه ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وهو جمع معراض من التعريض ضد التصريح من القول فهى فى الحقيقة صدق عرض بها ليتوصل الى غرضه من مكايدة قومه والزامهم الحجة فى ذات الله تعالى ومرضاة ربه فمعاريض الكلام ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيأ ومراده شئ آخر وقد كان السلف يورون عند الحاجة والضرورة فقد روى عن ابراهيم النخعى انه كان اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال للجارية قولى له اطلبه فى المسجد وكان الشعبى اذا طلبه احد يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعى الاصبع فيها وقولى ليس ههنا (اما قوله انى سقيم فقال الحسن) اى البصرى (وغيره معناه سأسقم) من باب فرح وكرم والاول افصح (اى ان كل مخلوق معرض لذلك) بتشديد الراء المفتوحة اى معرض للسقم ومقابل له (فاعتذر لقومه من الخروج) اى تفاديا منه (معهم الى عيدهم) اى محل اجتماعهم (بهذا) التعريض روى انه ارسل اليه ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا وقد اراد التخلف عنهم فنظر الى نجم فقال ان هذا النجم ما طلع قط الا اسقم اى مشارف للسقم وهو الطاعون لانه كان اغلب اسقامهم وكانوا يرهبون العدوى فنفروا عنه وتخلصوا منه (وقيل بل سقيم بما قدر على من الموت) اى عرض لهم بان من كان هدفا للمنايا وغرضا للبلايا فهو سقيم بما قدر عليه من الموت كما روى ان رجلا مات فجأة فقيل مات وهو صحيح فقال اعرابى أصحيح وفى عنقه الموت (وقيل بل سقيم القلب بما اشاهده) ويروى بما شاهدته (من كفركم) بالرب (وعنادكم) بالميل عن طريق الحق والادب (وقيل بل) قال سقيم لانه (كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم) له اوانهم (فلما رآه اعتذر بعادته) التى تعتريه عند طلوعه وتغيره فى حالته (وكل هذا) اى ما ذكر من الاجوبة (ليس فيه كذب) اى صريح (بل خبر صحيح صدق) اى هو قول حق (وقيل بل عرض) بتشديد الراء اى ورى فى قوله (بسقم حجته عليهم) اى بعدم نفع موعظته لديهم (وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التى كانوا يشتغلون بها) اى تعظيما لها اذ عمدة الناظر فيها التخمين وهو لا يجدى نفعا فى مقام اليقين قيل كان القوم نجامين اى متعاطين لعلوم النجوم فاوهمهم انه استدل بامارة فى علم النجوم على انه سقيم وعرض بسقم حجته وضعف ما اراد من بيان بينته (وانه) اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان (اثناء نظره فى ذلك) اليهم (وقبل استقامة حجته عليهم فى حال سقم) بفتحتين وبضم فسكون اى تغير (باله ومرض حاله) لديهم فجعل سقم حجته وضعف موعظته سقما مجازا عن تعب القلب (مع انه) اى ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لم يشك هو) بل تيقن ايقانه (ولا ضعف ايمانه) بل قوى كل ساعة برهانه (ولكنه ضعف) اى بيانه (فى استدلاله عليهم وسقم نظره) اى فكره فيما يتوجه اليهم (كما يقال

حجة سقيمة ونظر معلول) اللغة الفصحى معل او معلل فقد قال ابن الصلاح قول الفقهاء والمحدثين معلول مردود عند اهل العربية وقال النووى انه لحن وقال صاحب المحكم والمتكلمون يستعملون لفظة المعلول كثيرا ولست منها على ثقة لان المعروف انما هو اعله فهو معل اللهم الا ان يكون على ما ذهب اليه سيبويه فى قولهم مجنون ومسلول من انهما جاآ على جننته وسللته وان لم يستعملا فى الكلام استغناء عنهما بافعلت واذا ارادوا جن وسل فانما يقولون جعل فيه الجنون والسل (حتى الهمه الله باستدلاله) اى الواضح لديهم (وصحة حجته عليهم بالكوكب والقمر والشمس ما نصه الله تعالى) اى ما صرحه وفى نسخة ما قصه اى حكاه حيث ذكر تبيانه (وقدمنا) وفى نسخة وقد قدمنا (بيانه) اى ما يوضح حجته وبرهانه (واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية) اى فاسألوهم ان كانوا ينطقون (فانه علق خبره) اى بفعل كبيرهم (بشرط نطقه) مع غيره (كانه قال ان كان ينطق) اى كبيرهم (فهو فعله) مع علمه بانه لا ينطق (فهو على طريق التبكيت) اى التوبيخ والتقريع (لقومه) فى اعتقادهم الفاسد وزعمهم الكاسد فى الوهية كواكب وحجارة لا تضر ولا تنفع وتعظيمهم لها وعبادتهم اياها (وهذا) القول بهذا المعنى (صدق) اى وحق ايضا (ولا خلف فيه) اصلا (واما قوله اختى فقد بين فى الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه لم يكذب ابراهيم فذكره (وقال انك) وفى نسخة فانك (اختى فى الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المؤمنون اخوة) وقد روى انها كانت بنت عمه ومثل هذه قد يقال لها الاخت فى النسب ايضا (فان قلت هذا) وفى نسخة فهذا (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد سماها) اى الكلمات الثلاث (كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال فى حديث الشفاعة ويذكر كذباته) على ما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه (فمعناه) اى معنى وصفها بكونها كذبات (انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا فى الباطن) اى فى نفس الامر (الا هذه الكلمات) اى الثلاث وهى انى سقيم وفعله كبيرهم وهذه اختى (ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه الصلاة والسلام) اى خاف (من مؤاخذته) وفى نسخة بمؤاخذته (بها) لعلو شأن الانبياء عن الكناية بالحق فى باب الانبياء فيقع ذلك منهم موقع الكذب من غيرهم فان حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار (واما الحديث) اى الذى رواه الشيخان عن كعب بن مالك (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد غزوة) اى ويريد سترها (ورى بغيرها) بتشديد الراء من التورية وهى الاخفاء وكانه جعل الشئ وراءه وجعل غيره نصب عينه وقيل ورى ستر مقصده واظهر غيره بان سأل عن طريق لا يريده فانه كان عليه الصلاة والسلام يسأل عن ناحية وطريقها او يخرج الى غيرها لئلا يأخذ العدو حذره (فليس فيه خلف فى القول وانما هو ستر لمقصده) وفى نسخة ستر مقصده بالاضافة وفى اخرى ستر بصيغة الماضى ونصب مقصده اى اخفى جهة قصده خوفا من اشتهاره (لئلا يأخذ عدوه حذره) بكسر اوله اى احتراسه واحترازه (وكتم وجه ذهابه) بالاضافة وفى نسخة بصيغة الماضى وفى اخرى كتم لوجه ذهابه اى جهة مقصده وطريق مطلبه (بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره) اى احوال الموضع الآخر (والتعريض بذكره) اى التلويح به وعدم التصريح بقصده وقد ورد استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان وفى الصحيح الحرب خدعة (لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا) بكسر الواو اى جهة قصدنا (الى موضع كذا بخلاف مقصده) ليكون خلفا (فهذا لم يكن) ولا يتصور ان يكون منه عليه الصلاة والسلام (والاول) وهو التعريض (ليس فيه خبر يدخله الخلف) بضم الخاء اى الاخلاف فيترتب عليه الكذب فى القول (فان قلت فما معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام وقد سئل اى الناس اعلم فقال انا اعلم) بناء على ظنه (فعتب الله تعالى عليه ذلك) حيث لم ينتظر الوحى هنالك او لم يفوض (اذ لم يرد العلم اليه) بان يقول الله تعالى اعلم او يقول انا والله اعلم ومن هنا تأدب العلماء فى اجوبتهم بقول والله تعالى اعلم (الحديث) رواه الشيخان عن ابى بن كعب مطولا (وفيه قال) اى الله تعالى (بل) وفى رواية بلى (عبد لنا بمجمع البحرين) وهو ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وقال السهيلى هو بحر الاردن وبحر القلزم وقيل غيره (اعلم منك) اى فى بعض العلوم لما فى الحديث يا موسى انى على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه وانت على علم علمك الله لا اعلمه وذكر السهيلى عن ابن عباس رضى الله عنه ان حكمة الله تعالى فى جمع موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام عند مجمع البحرين انهما بحران احدهما اعلم بالظاهر اعنى علم الشرعيات وما يتعلق بالذات والصفات وهو موسى عليه السلام والآخر اعلم بالباطن واسرار الملكوت من الكائنات وهو الخضر عليه السلام فكان اجتماع البحرين بمجمع البحرين هذا وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى عليه الصلاة والسلام ذكر الناس يوما حتى فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اى رسول الله هل فى الارض احد اعلم منك قال لا فعتب الله تعالى عليه

اذلم يرد العلم الى الله تعالى (وهذا) اى قول موسى انا اعلم (خبر قد انبأنا الله تعالى انه ليس كذلك فاعلم انه) اى الشأن (وقع) وفى نسخة قد وقع (فى هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هل تعلم احدا) اى من الناس (اعلم منك) بنصب اعلم على انه مفعول ثان وفى نسخة برفعه فتقديره هو اعلم منك (فاذا كان جوابه على علمه) اى مبنيا على ماغاب عنده من علمه (فهو) اى قوله انا اعلم بهذا الوجه (خبر حق وصدق لاخلف فيه ولاشبهة) مؤكدات لكونه خبرا حقا (وعلى الطريق الاخر) اى المروى عن ابى بن كعب كما مر (فمحمله على ظنه) اى الغالب (ومعتقده) انه اعلم بحسب علمه (كما لو صرح به) اى بظنه ومعتقده كان يقول انا اعلم فيما اظن واعتقد وانما ظن ذلك واعتقد بما ذكرهنالك (لان حاله) اى مرتبته (فى النبوة) المؤيدة بالرسالة (يقتضى ذلك) اى كونه اعلم الناس فى زمانه (فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه) بكسر اوله لابضم اوله كما وهم الدلجى اى ظنه (صدقا لاخلف فيه) فلا اشكال فيه اصلا (وقد يريد بقوله انا اعلم) متعلقا خاصا وهو ما بينه بقوله (بما يقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد) المتعلقة بالذات والصفات (وامور الشريعة) اى وظائف العبادات (وسياسة الامة) اى بحدود الزواجر والمنهيات وهو لا ينافى ان يكون غيره اعلم منه فى غيرها كما ورد انتم اعلم بامور دنياكم وكما عرف فى قضية الهدهد وقوله احطت بما لم تحط به وكما وقع لعمر فى موافقاته فانه قد يكون فى المفضول مالا يكون فى الفاضل مما لا ينقص فى فضله ومن هنا ورد فى معرفة الانساب علم لا ينفع وجهل لا يضر بل وقد يكون بعض العلوم مضرته اكثر من منفعته فلا محذور وحينئذ ان يكون بعض افراد الامة اعلم بوجه من صاحب النبوة (ويكون الخضر اعلم منه) اى من موسى ولو كان من امته على القول بولايته او نبوته (بامور اخر) اختص بها (مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى) له اياها (من علوم غيبه) الخاص به وفى نسخة من علوم غيبية (كالقصص المذكورة فى خبرهما) من قضية السفينة والغلام والجدار (فكان موسى اعلم) الناس مطلقا (على الجملة) اى عموما (بما تقدم) من علوم النبوة والرسالة وامور الشريعة واحكام السياسة (وهذا) اى الخضر عليه الصلاة والسلام (اعلم على الخصوص بما اعلم) بصيغة المجهول اى بما اعلمه سبحانه وتعالى (ويدل عليه) اى على ان ما اعلمه خاص (قوله تعالى وعلمناه من لدنا) اى مما يختص علمه بنا (علما) بطريق الوحى الجلى والخفى (وعتب الله) بسكون التاء اى ويدل عليه عتابه سبحانه وتعالى (ذلك) اى قوله انا اعلم (عليه فيما قاله لعلماء) اى المحدثون (انكار هذا القول عليه لانه) كما فى حديثه (لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا اولانه) اى الله سبحانه وتعالى (لم يرض قوله) اى لم يستحسن قول موسى عليه السلام انا اعلم (شرعا) اى من جهته رعاية لامته والمعنى لم يرض ان يكون قوله شرعا يقتدى به (وذلك) اى وسببه (والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لا يبلغ كماله) اى كمال موسى من جهة مرتبته (فى تزكية نفسه) اى طهارة حالته (وعلو درجته من امته) متعلق يقتدى (فيهلك) بالنصب اى يضيع من يقتدى به من امته فى قوله انا اعلم من غير تفويض واستثناء (لما تضمنه) اى قوله انا اعلم (من مدح الانسان نفسه) اى عند اطلاقه وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى (ويورثه ذلك) القول وهو انا اعلم (من الكبر والعجب) الا ان يكون تحدثا بنعمة ربه ظاهرا وباطنا (والتعاطى) الاجتراء على الاعطاء واخذ الاشياء (والدعوى) الخارجة عن المعنى (وان نزه عن هذه الرذائل) اى المذكورة (الانبياء) بشرف مقاماتهم ورفع درجاتهم وان تفاوتت فى الفضائل والفواضل وحسن الشمائل (فغيرهم بمدرجة سبيلها) بفتح الميم والراء اى مسلك طريقها وفى نسخة سيلها اى ممرها (ودرك ليلها) بفتح الراء بان يدركه ظلامها وفى اصل التلمسانى نيلها بالنون اى يدركه فيصيبه ضررها او يحصل له خطرها (الا من عصمه الله تعالى) من الاتصاف بها والخلاص عنها (فالتحفظ منها اولى لنفسه) قبل وقوعه فيها (وليقتدى به) بصيغة المجهول اى ليقتدى غيره به (ولهذا) اى التحفظ او الاقتداء (قال صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظا من مثل هذا) اى مدح النفس وما يترتب عليه له ولغيره (مما قد علم به) بصيغة المجهول وفى نسخة اعلم به (انا سيد ولد آدم) اى يوم القيامة على ما رواه مسلم وغيره (ولا فخر) اى لا اقوله افتخار النفس بل تحدثا بنعمة ربى (وهذا الحديث) يعنى سئل اى الناس اعلم (احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله) وفى نسخة بقوله اى الخضر (فيه) اى فى حديثه (انه) وفى نسخة انا (اعلم من موسى) وهكذا وقع فى كثير من الاصول وهو غير الصواب لان الضمير المضاف اليه القول عائد حينئذ على الخضر والضمير المجرور بفى عائد على الحديث السابق وليس فيه ان الخضر قال انا اعلم من موسى فالصواب ما فى بعض النسخ وهو لقوله فيه انه اعلم من موسى ويكون الضمير المضاف اليه القول عائد الى الله والضمير المنصوب بان عائدا على الخضر وقد سبق ان فى الحديث بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك (ولا يكون الولى اعلم من النبى) اى جنس الانبياء وفى نسخة من نبى وفيه انه لا يجوز ان يكون الولى اعلم من النبى مطلقا الا كما بينه الخضر مقيدا (واما الانبياء

فيتفاضلون فى المعارف) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكذا فى الدرجات كما قال ورفع بعضهم درجات (و بقوله وما فعلته عن امرى) اى من رأيى بل فعلته بامر ربى (فدل) على (انه بوحى) اما بواسطة ملك اوبدونها وايضا ليس لولى ان يقدم على قتل صبى بمجرد ما ينكشف له باعلام اوالهام انه كافر فى علم الله سبحانه وتعالى (ومن قال انه ليس بنبى قال يحتمل ان يكون فعله) للامور الثلاثة اولقتل الصبى فان غيره لا يحتاج ان يكون (بامر نبى آخر) كان فى زمانه (وهذا) القول (يضعف) اى ضعفا ظاهرا (لانه ما علمنا انه كان فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام نبى غيره الا اخاه هارون وما نقل احد من اهل الاخبار) اى الاحاديث (فى ذلك) اى فى كون نبى غيرهما حينئذ (شيأ يعول عليه) اى يعتمد ويستند اليه ويستعان به لديه (واذا جعلنا) اى قول السائل لموسى هل تعلم احدا (اعلم منك ليس على العموم) اى على اطلاقه (وانما هو) اى قوله اعلم محمول (على الخصوص وفى قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر) وفيه انه يشكل قتله الصبى على ما قدمنا فلا بد من القول بنبوته او بوجود نبى غير موسى وهارون عليهما السلام فى مدته (ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله تعالى والخضر اعلم) بالرفع او النصب (فيما رفع اليه) بصيغة المجهول (من موسى) متعلق باعلم وهذا بعينه فى نفس الحديث تقدم (وقال آخر) اى من الشيوخ (انما الجئ) اى اضطر (موسى الى الخضر للتاديب) اى التهذيب (لا للتعليم) ويرده قوله هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا الايات

(فصـــــل)

(واما ما يتعلق بالجوارح) اى بالاركان (من الاعمال ولا يخرج) بالواو لا بالفاء كما فى نسخة لان جواب اما سيجيء والجملة فيما بينهما معترضة والتقدير والحال انه لا يخرج (من جملتها) ويروى عن جملتها اى الاعمال (القول باللسان فيما عدا الخبر الذى) (وقع فيه الكلام) من قسميه الذى سبيله البلاغ والذى ليس سبيله البلاغ من المرام (والاعتقاد) اى ولا يخرج من جملتها ايضا الاعتقاد (بالقلب) لان محله الجنان يروى فى القلب (فيما عدا التوحيد) وما يتبعه من الايمان والاسلام والاحسان ومراتب الايقان والاتقان مما عقدت عليه قلوب الانبياء (وما قدمناه من معارفه المختصة به) اى بالقلب واحواله فانها لا تخرج من جملتها لانها من اعماله (فاجمع المسلمون) اى السلف المعتمدون (على عصمة الانبياء من الفواحش) اى قولا وفعلا وعقدا وهى الذنوب التى فحش قبحها وحرم على هذه الامة ومن قبلها (والكبائر الموبقات) بكسر الموحدة اى المهلكات وهو عطف تفسير ويروى والموبقات والاولى مختصة بارتكاب السيئات والاخرى باجتناب العبادات (ومستند الجمهور) اى اكثر العلماء (فى ذلك) اى فى القول بعصمتهم (الاجماع الذى ذكرناه) من المسلمين المتقدمين (وهو مذهب القاضى ابى بكر) اى ابن الطيب الباقلانى المالكى (ومنعها) اى عصمتهم (غيره) اى غير القاضى (بدليل العقل) لعدم احالته منع عصمتهم لامكانه فى نفسه (مع الاجماع) اى مع تكاثر قيامه عليها (وهو) اى الاجماع (قول الكافة) اى عامة المتأخرين (واختاره الاستاذ) بالدال المهملة او المعجمة (ابو اسحق) الاسفراينى الشافعى ولعل هذا الخلاف لفظى والجواز وعدمه عقلى والا فلا خلاف فى عصمة الانبياء عن الكفر قبل النبوة وبعدها وانما الخلاف فيما عداه من الكبائر والصغائر والجمهور على عصمتهم من الكبائر بخلاف ما سيأتى من الخلاف فى الصغائر (وكذلك لا خلاف انهم معصومون من كتمان الرسالة) لقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك (والتقصير فى التبليغ) اى ومن التقصير فيه لقوله فان لم تفعل فما بلغت رسالته وفى نسخة فانك تارك بعض ما يوحى اليك (لان ذلك) وفى نسخة لان كل ذلك اى كل واحد من الكتمان والتقصير (يقتضى العصمة) بالنصب (منه المعجزة) بالرفع ويروى مقتضى العصمة منه المعجزة (مع الاجماع على ذلك) اى على ما ذكر من ان عصمتهم من قبل الله تعالى باختيارهم وكسبهم واقتدارهم بمعنى انه تعالى لم يخلق فيهم كفرا ولا ذنبا كبيرا (من الكافة) اى من جهة عامة العلماء (والجمهور قائل) يروى والجمهور قائلون (بانهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار) وفى نسخة خلافا للنجار من المعتزلة (فانه قال لا قدرة لهم) ويروى لا قوة لهم (على المعاصى اصلا) وهو بنون وجيم مشددة حسين بن محمد واليه ينسب النجارية وهم اتباعه وهم يوافقون القدرية فى بعض اصولهم من نفى الرؤية ونفى الحياة والقدرة ويقولون بحدوث الكلام والقدرية يكفرونهم بسبب مخالفتهم اياهم فى بعض المسائل وهم اكثر من عشر فرق فيما بينهم كالبرغوثية والزعفرانية والمستدركة وغيرهم وهم فرقة من ثلاث وسبعين فرقة (واما الصغائر فجوزها) اى وجودها ووقوعها (جماعة من السلف وغيرهم) من الخلف كامام الحرمين منا وابى هاشم من المعتزلة حيث جوزوا الصغائر غير المنفرة (على الانبياء وهو مذهب ابى جعفر الطبرى وغيره من الفقهاء) اى المجتهدين (والمحدثين والمتكلمين) اى فى اصول الدين والمراد

بعض من كل منهم (وسنورد بعد هذا) اى فى فصل الرد على من اجاز الصغائر على الانبياء (ما احتجوا به)
اى ما استدلوا به من الادلة (وذهبت طائفة اخرى الى الوقف) اى التوقف فى امرهم (وقالوا العقل لا يحيل وقوعها)
اى الصغائر ولا الكبائر (منهم ولم يات فى الشرع) اى من الكتاب والسنة (قاطع باحد الوجهين) اى بجواز صدورها
عنهم (وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر) المختلف فى وقوعها منهم
(كعصمتهم من الكبائر) اى المتفق على عدم صدورها عنهم (قالوا لاختلاف الناس فى الصغائر) اى فى تعريفها
وتبيينها (وتعيينها) اى وعدم تمييزها (من الكبائر واشكال ذلك) اى ولاشتباه تمييزها بين الكبائر فقال بعضهم
هى كل ما يجب فيه حد وقيل ما ورد فيه وعيد وقيل هى امر نسبى وتوقف بعضهم عن الفرق (وقول ابن عباس رضى
الله عنهما) اى وقوله (وغيره ان كل ما عصى الله به فهو كبيرة) كما رواه ابن جرير عنه (وانه) بفتح الهمزة اى وان الشأن
(انما سمى منها الصغير باضافته الى ما هو اكبر منه) كاللمس والقبلة والمعانقة والمعالجة بالنسبة الى المجامعة فكل
باعتبار ما فوقه صغير وما تحته كبير وكلها معصية حتى الخلوة بالاجنبية (ومخالفة البارى تعالى فى اى امر
كان يجب كونها كبيرة) اى من حيث انها مخالفة لصاحب الكبرياء والعظمة والا فلا شبهة فى تفاوت مراتب المخالفة
ولذا قال تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وقال عز وجل والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش الا اللمم اى الصغائر وقد انشد صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم فاغفر جما * واى عبد لك لا الما وعن
ابى العالية اللمم ما بين حد الدنيا وحد الآخرة اى بين ما يجب به الحد فى الدنيا كشرب الخمر والزنى وبين ما اوعد الله
عليه العقاب فى العقبى كعقوق الوالدين واكل الربا واموال اليتامى ظلما (قال القاضى ابو محمد عبد الوهاب) اى
البغدادى المالكى صاحب الرحبة كان فقيها ديناله تصانيف جيدة العبارة منها كتاب المعونة فى شرح الرسالة توفى
بمصر سنة اثنتين واربعمائة ودفن بالقرافة الصغرى فيما بين قبة الامام الشافعى وباب القرافة بالقرب من ابن القاسم
واشهب (لا يمكن ان يقال فى) وفى نسخة ان فى (معاصى الله تعالى صغيرة) لما يلزم منه احتقار المعصية (الا على
معنى انها تغتفر) وفى نسخة تغفر (باجتناب الكبائر) اى معها لا بعين اجتنابها فانه مذهب المعتزلة بل بشرط
اجتنابها لكن بسبب اعمال حسنة بينها الشارع وعينها (ولا يكون لها) فى المؤاخذة بها (حكم مع ذلك) اى
مع غفران الله تعالى لها (بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها) بصيغة المفعول او الفاعل (فلا يحبطها) اى لا يذهبها
ولا يرفعها ولا يهدمها ولا يبطلها (شئ) اى من الطاعات وان كان ظاهر قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
يشمل الصغائر والكبائر الا ان علماء اهل السنة اجمعوا على ان المكفرات مخصوصة بالصغائر ويجوز ان الله تعالى يعذب
عليها او يغفر ما فوقها (والمشيئة فى العفو) اى فيما عدا الكفر (الى الله تعالى) كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفى نسخة فى العفو عنها اى عن الصغائر والكبائر لا عن الصغائر كما هو المتبادر (وهو)
اى ما ذهبوا اليه من عصمة الانبياء من الكبائر والصغائر (قول القاضى ابى بكر) اى الباقلانى من المالكية رحمه
الله تعالى (وجماعة أئمة الاشعرية) من باب عطف العام على الخاص اذ هو من اكابرهم (وكثير من أئمة الفقهاء)
كاتباع الماتريدية (وقال بعض أئمتنا) اى من اهل السنة او المالكية (ولا يجب) اى ولا يثبت (على القولين) وهما
قول العصمة وعدمها عقلا (ان يختلف) وكان الاظهر ان يقول ويجب على القولين ان لا يختلف (انهم) اى فى ان
الانبياء (معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ يلحقها ذلك) التكرار (بالكبائر) المختلف فى عصمتهم منها فان من
جملة الكبائر الاصرار على الصغائر فقد ورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار (ولا فى صغيرة) اى ولا يجب
ايضا ان يختلف فى صغيرة (ادت الى ازالة الحشمة) اى المهابة (واسقطت المروءة) بالهمز ويجوز ابدالها وادغامها
وهى الفتوة وكمال الرجولية (واوجبت الازراء) بتقديم الزاى على الراء اى الحقارة (والخساسة) اى الدناءة (فهذا)
اى النوع من الصغائر (ايضا مما يعصم منه) ويروى عنه (الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصبه) اى يضع منصب
النبى ويروى منصب المتسم اى الموصوف به (ويزدرى) بفتح اوله على ان الباء للتعدية فى قوله (بصاحبه) اى يحقره
وينقصه (وينفر) بتشديد الفاء اى يطرد (القلوب عنه) اى عن قبول كلامه وحصول مرامه (والانبياء منزهون عن
ذلك بل يلحق بهذا) اى فى التنزه (ما كان من قبيل المباح) الذى لا تبعة على فاعله ولا مذمة (فادى الى مثله) اى الى
شبه ما ينزهون عنه (لخروجه بما ادى اليه من اسم المباح الى الحظر) بفتح الحاء المهملة وسكون الظاء المعجمة اى المنع
(وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه) اى فعلا او قولا (قصدا وقد استدل بعضهم على عصمتهم من
الصغائر بالمصير) متعلق باستدل اى بمرجع الامر (الى امتثال افعالهم) اى افعال الانبياء (واتباع آثارهم وسيرهم)
ويروى سيرتهم اى احوالهم واقوالهم (مطلقا) اى من غير قيد ان تقع افعالهم واقوالهم قصدا كما قال تعالى اولئك

الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ان كنتم تحبون الله فاتبعونى (وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك
والشافعى وابى حنيفة) رحمهم الله لم ينصف المصنف فى ترتيب ذكر الائمة لا سيما فى تاخير ابى حنيفة عن الشافعى مع انه
مقدم على الكل مدة ورتبة (من غير التزام قرينة) دالة على وقوع قصد وتعمد فى افعالهم (بل مطلقا عند بعضهم
وان اختلفوا فى حكم ذلك) اى فى حكم اتباعهم من وجوب اوندب هنالك (وحكى ابن خويزمنداد) بضم الخاء
المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون التحتية وفتح زاى او كسرها وكسر ميم وسكون نون فدال مهملة فالف فذال معجمة
او فدال مهملتين بينهما الف تفقه على الابهرى وهو ضعيف فى الرواية مات فى حدود الاربعمائة (وابو الفرج) هو
المالكى صاحب كتاب الحاوى مات سنة ثلاثين وثلثمائة (عن مالك التزام ذلك) اى ما صدر عنهم (وجوبا وهو قول
الابهرى) بفتح الهمزة والهاء بلد عظيم بين قزوين وزنجان وجبل بالحجاز قال التلمسانى هم جماعة اكبرهم التميمى
مات سنة خمس وسبعين وثلثمائة (وابن القصار) بتشديد الصاد (واكثر اصحابنا) اى المالكية (وقول اكثر اهل العراق)
اى الثورى واصحاب ابى حنيفة (واحمد بن سريج) بسين مهملة مضمومة وفى آخره جيم وهو ابو العباس البغدادى
اخذ عن الانماطى بلغت مصنفاته اربعمائة توفى سنة ست وثلاثمائة وعمره سبع وخمسون سنة قال الشيخ ابو اسحق
تفضل على جميع اصحاب الشافعى حتى على المزنى (والاصطخرى) بكسر الهمزة وتفتح وبفتح الطاء وسكون الخاء المعجمة
وهو شيخ ابن سريج صنف كتبا كثيرة منها ادب القضاء استحسنه الائمة وكان زاهدا متقللا من الدنيا وكان فى اخلاقه
حدة ولاه المقتدر بالله قضاء سجستان ثم حسبة بغداد ولد سنة اربعين ومائتين وتوفى ببغداد سنة ثمان وعشرين
وثلاثمائة ودفن بباب حرب (وابن خيران) بالخاء المعجمة وسكون التحتية فراء فالف فنون البغدادى مات سنة عشرين
وثلاثمائة كان اماما جليلا وربما كان يعتب على ابن سريج فى ولايته للقضاء ويقول هذا الامر لم يكن فى اصحابنا انما
كان فى اصحاب ابى حنيفة وطلبه الوزير ابن الفرات بامر الخليفة للقضاء فامتنع فوكل ببابه وختم عليه بضعة عشر يوما
حتى احتاج الى الماء فلم يقدر عليه الا بمناولة بعض الجيران فبلغ الخبر الى الوزير فامر بالافراج عنه وقال ما اردنا بالشيخ
ابى على الا خيرا اردنا ان نعلم ان فى مملكتنا رجلا يعرض عليه قضاء القضاة شرقا وغربا وفعل به مثل هذا وهو لا يقبل
(من الشافعية) اى المذكورون هو ومن قبله من علماء الشافعية ذهبوا الى وجوب اتباع افعال الانبياء (واكثر
الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة) اى منهم او من غيرهم (الى الاباحة) الا اذا قام دليل على الوجوب او الندب
(وقيد بعضهم الاتباع) اى وجوبا او ندبا (فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد القربة) اى التقرب فى الاحوال
الاخروية (ومن قال بالاباحة فى افعاله) اى فى اتباع افعال النبى عليه الصلاة والسلام (لم يقيد) اى اتباعهم بما تقدم
(قال) اى ذلك البعض (ولو جوزنا عليهم الصغائر) اى فضلا عن الكبائر (لم يمكن الاقتداء بهم فى افعالهم) لعدم علمنا
بمقاصدهم واحوالهم (اذ ليس كل فعل من افعاله) اى كغيره منهم ويروى من افعالهم (يتميز مقصده) بكسر الصاد اى
مطلبه او قصده كما فى نسخة اى نيته ومستور طويته (به) اى بعمله الذى قصده أهو (من القربة) واجبا او ندبا
(او الاباحة) مما لا يترتب على فعله مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب (او) من (الحظر) اى المنع حراما او مكروها
او خلاف الاولى (او المعصية) اى المخالفة فى الجملة ويروى والمعصية (ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية
لا سيما) اى خصوصا (عند من يرى من الاصوليين) اى فى الفقه (تقديم الفعل) من الادلة (على القول اذا تعارضا)
وجهل المتأخر منهما وهم اصحاب الشافعى فاما عندنا فيرجح القول على الفعل لانه ادل على كونه للقربة لاحتمال ان
الفعل وقع وفق العادة او بحسب ما يناسب تلك الحالة ولذا قال اصحابنا ان الاعتمار من التنعيم افضل منه من الجعرانة
خلافا للشافعية مع ان عمرة عائشة كانت متأخرة حيث وقعت عام حجة الوداع وعمرة الجعرانة كانت سنة الفتح (ونزيد)
اى نحن (هذا) البحث (حجة) اى نزيل شبهة من زعم عدم امكان الاقتداء بالانبياء لابهام افعالهم من بين ما سبق من
الاشياء (بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه الصلاة والسلام) وكذا عن سائر الانبياء عليهم السلام
(مجمعون على انه) اى كغيره منهم (لا يقر) بضم ياء وفتح قاف وتشديد راء واخطأ الحلبى فى قوله يقر بكسر القاف وتبعه
غيره من المحشين وقال الانطاكى اى لا يقر غيره على منكر والصواب ما قدمناه وان المعنى لا يبقى ولا يترك (على منكر
من قول او فعل) بل ينبه ويذكر اينما نهى عنه ولم ينكر واختلفوا اهل من شرط ذلك الفور ام يصح على التراخى قبل
وفاته عليه الصلاة والسلام والصحيح الاول (وانه) اى النبى عليه الصلاة والسلام (متى رأى شيأ) اى علم من امته
قولا او فعلا (فسكت عنه صلى الله عليه وسلم) اى لم ينكر على فاعله (دل) سكوته (على جوازه) ويسمى مثل هذا
تقريرا (فكيف يكون هذا) التقرير (حاله فى حق غيره ثم يجوز) مضارع جاز وفى نسخة بصيغة المفعول من التجويز
وفى اخرى بصيغة المتكلم منه والمعنى كيف يتصور (وقوعه منه فى نفسه وعلى هذا المأخذ) اى المذكور سابقا (يجب

عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر) اى المنع عن ترك الاقتداء على وجه الحرمة وكان الاظهر ان يقول اذ الوجوب (او الندب على الاقتداء بفعله ينافى الزجر والنهى عن فعل المكروه) اى لغيره (وايضا فقد علم من دين الصحابة) اى دأبهم وعادتهم (قطعا الاقتداء بافعال النبى صلى الله عليه وسلم كيف توجهت فى كل فن) وفى نسخة وفى كل فن اى ومن دينهم الاقتداء بافعاله فى كل فن اى نوع من افعاله قصدا او سهوا من غير تفرقة بين فعل من افعاله (كالاقتداء باقواله) اى اتفاقا (فقد نبذوا خواتمهم) اى طرحوها (حين نبذ خاتمه) بكسر التاء وفتحها على ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام اتخذ له خاتما من ذهب ثم نبذه فاقتدوا به وروى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ خاتما من ذهب ثم نبذه ثم اتخذ خاتما من ورق (وخلعوا نعالهم) كما رواه احمد وابو داود (حين خلع صلى الله تعالى عليه وسلم) ويروى خلع نعله ولفظ الحاكم عن ابى سعيد صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم وعن ابى سعيد الخدرى قال بينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك القيت نعليك فقال ان جبريل اخبرنى ان فيهما قذرا الحديث ويناسب الباب حديث الصلاة الى القبلتين ومتابعة الصحابة له فى الجهتين (واحتجاجهم) بالرفع اى ومن دين الصحابة استدلالهم بجواز محاذاة القبلة حال قضاء الحاجة استقبالا واستدبارا (برؤية ابن عمر اياه) كما فى حديث الشيخين عنه قال رقيت يوما على بيت حفصة فرأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس) ورواية المصابيح مستدبر القبلة مستقبل الشام مع نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن الاستقبال والاستدبار فى تلك الحال كما فى حديث الشيخين عن ابى ايوب اذا اتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ولكن شرقوا او غربوا والجمع الشافعى بينهما بحمل رواية ابن عمر على البناء ورواية ابى ايوب على الفضاء وهو عندنا محمول على الضرورة او على ما قبل النهى (واحتج غير واحد) من الصحابة او الائمة اى كثير (منهم فى غير شئ) اى واحد بل فى اشياء كثيرة ويروى فى رؤية شئ (مما بابه العبادة او العادة بقوله) اى الصحابى كانس رضى الله عنه فيما رواه الشيخان انه قدم من سفر فرؤى على حمار يصلى لغير القبلة يومى فقيل له فقال (رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله) ولعله عليه الصلاة والسلام كان فعله خارج الباب فاخذ انس بجوازه مطلقا وكذا ابن عمر سئل عن اشياء فعلها فقال رأيته صلى الله تعالى عليه وسلم يفعله (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث الموطأ عن عطاء بن يسار ان رجلا قبل امرأته وهو صائم فوجد من ذلك وجدا شديدا اى حزن حزنا كبيرا فارسل امرأته تسأل عن ذلك فدخلت على ام سلمة فذكرت لها ذلك فاخبرتها ام سلمة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقبل وهو صائم فاخبرت زوجها فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله ما يشاء فرجعت امرأته الى ام سلمة فوجدت عندها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما بال هذه المرأة فاخبرته ام سلمة فقال (هلا اخبرتيها) بتشديد الموحدة واشباع كسرة التاء ياء وفى نسخة هلا اخبرتيها اى المرأة التى سألتك (انى اقبل وانا صائم) فقالت قد اخبرتها وذهبت الى زوجها فاخبرته فقال لسنا مثل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحل الله لرسوله ما يشاء فغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال انى اتقاكم لله واعلمكم بحدوده (وقالت عائشة رضى الله عنها محتجة) اى مستدلة بجواز تقبيل الرجل وهو صائم (كنت افعله انا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لا يعرف مخرجه على ما ذكره الدلجى وانما المعروف غسلها مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى اناء واحد على ما رواه الترمذى وكذا فى الترمذى عن عائشة اذا جاوز الختان الختان وجب الغسل فعلته انا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغضب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما مر فى حديث الموطأ (على الذى اخبر) بصيغة المجهول (بمثل هذا) اى تقبيله وهو صائم (عنه) اى عن النبى عليه الصلاة والسلام (فقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده) وروى ان رجلا جاء يستفتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تدركنى الصلاة يعنى صلاة الفجر وانا جنب فاصوم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا تدركنى الصلاة وانا جنب فاصوم فقال الرجل يحل الله لرسوله ما يشاء فغضب عليه الصلاة والسلام وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده اى محارمه حيث قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها مبالغة فى الزجر عنها واما قوله تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها فالمراد منها سهام المواريث المعينة وتزوج الزائدة على الاربع وزيادة الحد على جلد المائة فى الزانى والزانية ونحوها من الاحكام المبينة (والآثار) اى الاحاديث والاخبار (فى هذا) الباب (اعظم) وفى نسخة اكثر (من ان نحيط) اى نحن (بها) وفى نسخة من ان يحاط عليها (لكنه يعلم من مجموعها على القطع) فى مدلولها (اتباعهم) اى الصحابة (افعاله

واقتداؤهم

واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة فى شئ منها) اى من افعاله (لما اتسق) اى لما استوى وما انتظم ولا تحقق (هذا) الذى سبق (ولنقل عنهم) اى خلاف ما هنالك (وظهر بحثهم عن ذلك و) لما انكر عليه الصلاة والسلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه) بان الله يحل لرسوله ما يشاء (واما المباحات) ولو على سبيل المشتبهات (فجائز وقوعها منهم) بل متحقق صدورها عنهم (اذ ليس فيها قدح) اى منع (بل هى مأذون فيها وايديهم كايدى غيرهم من الامم مسلطة عليها) بجواز الامتداد اليها فقد ورد فى الحديث ان الله سبحانه امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا كلوا من الطيبات واعملوا صالحا (الا انهم) اى الانبياء وكذا اتباعهم الكمل من الاصفياء (بما خصوا به من رفيع المنزلة) ومنيع الحالة (وشرحت) اى وبما انفسحت (له صدورهم من انوار المعرفة) اى واسرار الحكمة (واصطفوا) بصيغة المجهول مخففة الفاء من الاصطفاء اى واختيروا (به) فى علو حالهم (من تعلق بالهم) اى قلبهم وتعلق حالهم ويروى من تعلق بالتنوين وبالهم بتشديد الميم (بالله والدار الآخرة) فى مآلهم (لا يأخذون) اى لا يتناولون شيأ (من المباحات الا الضرورات) لزهدهم فى الدنيا وتوجههم الى العقبى وطلبهم رضى المولى فيكتفون بها (مما يتقوون) اى استعانة (به على سلوك طريقهم) فى تقوية ابدانهم وتهيئة زادهم لمعادهم (وصلاح دينهم) المتوقف على اصلاح شأنهم (وضرورة دنياهم) المعينة على امور اخراهم مما لا بد منه ولا محيص عنه (وما اخذ على هذا السبيل) اى وفق الشريعة والطريقة (التحق) ضبط بصيغة المجهول والمعلوم اى انقلب (طاعة وصار قربة) لان استعمال المباحات وافعال العادات اذا اقترنت بتزيين النيات وتحسين الطويات انقلبت طاعات وعبادات كما انها تنقلب بفساد النيات مكروهات بل محرمات وهذا معنى قول سيد السادات ومنبع السعادات انما الاعمال بالنيات (كما بينا منه) اى من بعض تحقيق هذا الكلام وتدقيق هذا المرام (اول الكتاب) اى فى اوله (طرفا) اى نبذا طرفا (فى خصال نبينا عليه الصلاة والسلام فبان لك) اى تبين (عظيم فضل الله على نبينا) اى خصوصا كما قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما (وعلى سائر انبيائه) ويروى الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (بان جعل افعالهم قربات وطاعات) اى عبادات وان كانت فى صورة عادات فان عادات السادات سادات العادات (بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية) بخلاف المحرومين من هذه المرتبة فان عباداتهم رسوم وعادات وطاعاتهم عين المخالفة فى الحالات كما قال بعض ارباب الحال من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب

(فصل)

(وقد اختلف فى عصمتهم) اى الانبياء (من المعاصى) اى جملة المناهى (قبل النبوة) واظهار الرسالة (فمنعها قوم) بناء على عموم العصمة الشاملة للاحوال المتقدمة والمتأخرة (وجوزها آخرون) حيث خصوا العصمة بحال النبوة (والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب) اى سابق ولاحق (وعصمتهم من كل ما يوجب الريب) اى شبهة مخالفة علام الغيب (فكيف) لا يكون الامر كذلك والعجب من ذكر الخلاف هنالك (والمسألة) اى والحال انها مع ثبوت المخالفة (تصورها كالممتنع) اى المستحيل فى الذهن حصولها (فان المعاصى) كالكبائر (والنواهى) كالصغائر (انما تكون) اى فى حيز المنع (بعد تقرر الشرع) اى ثبوته من الاصل والفرع (وقد اختلف الناس فى حال نبينا عليه الصلاة والسلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا للشرع) وفى نسخة لشرع (قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشئ) اى من التكاليف او لشرع كما فى نسخة (وهذا قول الجمهور فالمعاصى على هذا القول) ويروى هذا الوجه (غير موجودة ولا معتبرة فى حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية) من الوجوب والمندوب والحرام والمكروه (انما تتعلق بالاوامر والنواهى وتقرير الشريعة) اى باصولها وفروعها كما هى وهذا بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم ظاهر لكن يشكل بالنسبة الى اولاد ابراهيم عليه السلام مثلا كاسماعيل واسحق واولاد يعقوب على القول بنبوتهم فانه لا شك انهم كانوا متبعين شريعة ابيهم او جدهم وكذا بالنسبة الى سليمان عليه السلام فانه كان على دين ابيه داود بل وكذا داود وسائر انبياء بنى اسرائيل حيث كانوا على شريعة ابراهيم عليه السلام وانما نسخ فى التوراة والانجيل بعض الامور وايضا بنو اسماعيل وهم العرب كانوا يدينون بدين ابراهيم عليه السلام ويفتخرون به وانما حدث كفرهم بعبادتهم الاصنام واحداث بعض الاحكام من نحو السائبة والحام وتجويز اكل الميتة ونحوها من الحرام وكان فى جبلتهم وطريقتهم تحريم الزنى وقتل النفس بغير حق وتقبيح اكل مال اليتيم والسرقة ومذمة الكذب وامثالها مما اتفق الانبياء القدماء على قبح افعالها واقوالها فينبغى ان يرجع الخلاف الى كيفية عبادته لانه عليه السلام كان قبل النبوة فى مرتبة اباحته (ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها) اى على صحة تلك الحالة او المقالة (فذهب سيف

السنة) اى القاطع فى الحجة المبينة (ومقتدى فرق الامة) اى فى علم الكلام والمسائل المهمة (القاضى ابو بكر) اى
ابن الطيب الباقلانى المالكى (الحمان طريق العلم بذلك) اى بكونه عليه الصلاة والسلام متبعا للشرع فى عبادة ربه
هنالك (النقل) اى الينا ووصل لدينا اى فوآئد الاثر (وموارد الخبر من طريق السمع) اى الوارد على السنة نقلة
يكونون فى مرتبة الجمع (وحجته) اى القاضى ابى بكر (انه) اى الشأن (لو كان ذلك) اى وقع هنالك (لنقل) اى
الينا ووصل لدينا (ولما امكن كتمه وستره فى العادة) اى فى جرى العادة الغالبة علينا (اذ كان) اى نقل خبره (من
مهم امره واولى ما اهتبل به) بضم الفوقية وكسر الموحدة اى اغتنم به فى انتهاز فرصة لكون تعبده (من سيرته ولفخر)
بفتح الخاء اى لافتخر (به اهل تلك الشريعة) على امته (ولاحتجوا به عليه) اى باتباع شريعة قبله بعد ادعاء نبوته
(ولم يؤثر) اى لم يرو (شئ من ذلك جملة) فى سيرته من سريرته وعلانيته وفيه ان الظاهر المتبادر من حاله عليه الصلاة
والسلام انه كان قبل النبوة على دين جده الخليل عليه السلام فى امر التوحيد وحج البيت السعيد وما كان
معروفا من ملته وما الهمه الله سبحانه من معرفته مع انه لا احتجاج لاحد من ارباب الملل اذ كان بعضهم يدعى
النبوة بعد متابعة بعض الانبياء السابقة كما وقع لانبياء بنى اسرآئيل عليهم السلام (وذهبت طائفة الى امتناع
ذلك عقلا) حيث لم يجدوا بتصريح القضية نقلا (قالوا لانه) اى الشأن (يبعد ان يكون متبوعا من عرف) ويروى
من كان (تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح) العقليين (وهى طريقة غير سديدة) اى غير مستقيمة (واستناد
ذلك الى النقل كما تقدم للقاضى ابى بكر اولى واظهر) وقد قدمنا من بيان النقل ما يبطل ما بنوا عليه اساس العقل
ومما يقويه ان موسى عليه السلام لما قتل القبطى قبل النبوة استغفر ربه وعد قتله معصية ولا شك انه كان على دين
من قبله من انبياء بنى اسرآئيل وتابعا ثم صار بعد ذلك متبوعا وانما العقل يمنع فى الجملة امتناع كون واحد تابعا
ومتبوعا من جهة واحدة لا من جهة مختلفة الا ترى الى قوله تعالى فآمن له لوط فانه كان تابعا لابراهيم عليه
السلام فى عموم ملته ومتبوعا فى خصوص امته ونظير ذلك كون عيسى عليه السلام متبوعا فى اول امره ويكون
تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم فى آخر عصره (وقد قالت طائفة اخرى بالوقف فى امره عليه السلام) اى فى شانه
قبل بعثته للعجز عن معرفته (وترك قطع الحكم عليه) اى على حاله هنالك (بشئ فى ذلك اذ لم يحل) من الاحالة
وفى نسخة اذ لا يحيل اى لم يمنع (الوجهين منها العقل ولا استبان عندها) اى تلك الطائفة او المسألة (فى احدهما)
اى احد الوجهين (طريق النقل وهو مذهب ابى المعالى) اى ابن ابى محمد الجوينى المعروف بامام الحرمين من اتباع
الشافعى وقد وافقه فى ذلك الغزالى ولا ادرى نصف العلم والعجز عن درك الادراك ادراك (وقالت فرقة ثالثة انه)
ويروى ومالت فرقة ثالثة الى انه (كان عاملا بشرع من قبله) اى فى الجملة لاستحالة ان يكون عليه الصلاة والسلام
مباحيا قبل البعثة (ثم اختلفوا) اى الفرقة الثالثة (هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه) لعدم
ما يدل على تبيينه (واحجم) بتقديم الحاء على الجيم اى تأخر وبعكسه اى تقدم او تأخر فهو من الاضداد (وجسر
بعضهم) اى اجترأ واقتحم ومنه قول الشاعر

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والمعنى اقدم (على التعيين وصمم) اى عزم عليه وجزم (ثم اختلفت هذه المعينة) بكسر التحتية صفة الفرقة (فيمن كان
يتبع) من ارباب النبوة قبل البعثة (فقيل نوح) وهو بعيد بحسب الزمان وكذا باعتبار معرفة احكام هذا
الشان مع ان دينه منسوخ لظهور نبوة خليل الرحمن (وقيل ابراهيم) وهو الظاهر المتبادر والاظهر انه
تابع لاسماعيل فانه كان رسولا بعد الخليل وهو على ملته ولم يعرف تبديل فى شريعته (وقيل موسى)
وهذا لا يصح اذ ملته نسخت بعيسى (وقيل عيسى) وفيه ان موسى وعيسى انما كانا مبعوثين الى بنى
اسرآئيل ولم يكن نبينا منهم (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة) حكى القاضى
المؤلف هذه الاقوال الاربعة وبقى قولان احدهما آدم وهذا حكى عن ابن برهان بفتح الموحدة وثانيهما ان جميع
الشرآئع شرع له حكاه بعض شراح المحصول عن المالكية واظن ان هذا هو الاوجه من الاوجه السابقة واللاحقة
وهو المناسب لمقامه عليه الصلاة والسلام من مرتبة الجمع فى المرام ولانه كان مظهرا لاسم الذات المستجمع لجميع
الصفات غايته انه كان قبل البعثة على تلك الحالة الجامعة بطريق الاجمال وبعدها على وجه التفصيل فى مراتب الكمال
فلا ينافى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وهذا هو غاية الايقان ونهاية الاتقان والله المستعان
(والاظهر فيها) اى فى المسألة (ما ذهب اليه القاضى ابو بكر) الباقلانى (وابعدها مذاهب المعينين) بكسر الياء المشددة
(اذ لو كان شئ من ذلك لنقل الينا كما قدمناه ولم يخف) اى عن احد (جملة) اى جميعا هنالك (ولا حجة لهم فى ان

عيسى عليه السلام آخر الانبياء) اى انبياء بنى اسرآئيل (فلزمت شريعته من جاء بعدها) وفى نسخة بعده (اذ لم يثبت
عموم دعوة عيسى عليه السلام) كما يدل عليه قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرآئيل انى رسول الله اليكم
(بل الصحيح انه لم يكن لنبى دعوة عامة الا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) فان دعوته عامة للجن والانس بل الى
الخلق كافة كما بينته فى الصلات العلية بخلاف دعوة نوح فانه كان مختصا للانس دون الجن وسليمان كان مبعوثا
اليهما الا انه مخصوص ببنى اسرآئيل والله تعالى اعلم بحقيقة الاقاويل (ولا حجة ايضا للآخر) يروى للآخرين (فى قوله
تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) لان امره باتباعها انما كان بعد الوحى اليه والكلام قبله (ولا للآخر) اى ولا للآخرين
(فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) فانه ايضا بعد الوحى ومع هذا (فيحمل هذه الآية) وفى نسخة فيحتمل
وفى اخرى فتحمل هذه الآية كما قبلها (على اتباعهم فى التوحيد) اى توحيد الذات وتفريد الصفات وما يتعلق به
من امور النبوات والفروع الكليات المجمع عليها فى جميع الحالات لاختلاف كل نبى فيما جاء كما قال تعالى لكل
جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وهذا (كقوله اولئك) اى المذكورون من الانبياء والاصفياء (الذين هدى الله) اى
هداهم واجتباهم واصطفاهم ومن متابعة الهوى زكاهم ونجاهم وعن المعاصى عصمهم ونجاهم (فبهداهم اقتده)
بسكون الهاء للسكت وفى قرآءة بكسر الهاء وفى رواية باشباعها والضمير الى المصدر فتدبر (وقد سمى الله تعالى فيهم)
اى فى الذين هدى الله (من لم يبعث) اى بالنبوة (ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب على قول من يقول انه
ليس برسول) وهذا مردود بقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات الآية نعم لم يعرف له شريعة تخصه وهو
ليس من لوازم الرسالة (وقد سمى الله تعالى جماعة منهم) اى من الانبياء (فى هذه الآية شرآئعهم) وفى نسخة
وشرآئعهم (مختلفة لا يمكن الجمع بينها) اى فى الاحوال المؤتلفة (فدل) اى اختلافهم (ان المراد) بهداهم
(ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى) بنعت التفريد ولا يبعد ان يكون بعض الشرآئع المجمع عليها
داخلا فى الامر بالاقتدآء بجميع افراد الانبياء (وبعد هذا) الذى تقرر وتحرر (فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول) بالرفع (فى سائر الانبياء غير نبينا) عليه وعليهم الصلاة والسلام (او يخالفون بينهم) اى ويفرقون بينه وبينهم
ففيه تفصيل مبنى على اصولهم (اما من منع الاتباع عقلا فيطرد) بتشديد الطاء اى فيستمر (اصله) ولم يختلف نقله
من منعه (فى كل رسول) من غير تفرقة (بلا مرية) بكسر الميم ويضم اى بغير شك وشبهة (واما من مال الى النقل
فاينما تصور له) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول (وتقرر اتبعه) وعمل كما يقتضى امره (ومن قال) ويروى من يقول
(بالوقف فعلى اصله) من غير مفارقة لفصله (ومن قال بوجوب الاتباع) اى قبل الوحى (لمن قبله) من الانبياء
(فيلتزمه) اى القول بموجبه (بمساق حجته فى كل شئ) وفى نسخة فى كل نبى

(فصــــل)

(هذا) الذى قدمناه من فصل العصمة (حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال) المنكرات الصادرة (عن قصد) اى
تعمد (وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف) اى ويؤاخذ به فاعله (واما ما تكون) اى المخالفة فيه من
الاعمال (بغير قصد وتعمد كالسهو) وهو الذهول بالغفلة فى الجملة (والنسيان) وهو الذهول بالمرة والكلية
(فى الوظائف الشرعية) سوآء يكون من ارتكاب المنهيات او اجتناب المامورات (مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب
به وترك المؤاخذة عليه) كالسهو فى الصلاة والكلام والنسيان فى الصيام وجواب اما قوله (فاحوال الانبياء فى ترك
المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سوآء) كما يشير اليه قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا
وحديث رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه كما رواه الطبرانى عن ثوبان مرفوعا بسند صحيح
(ثم ذلك) اى عدم المؤاخذة بالسهو والنسيان (على نوعين) احدهما (ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع) فيما يعمل به
من الاصل والفرع (وتعلق الاحكام) امرا ونهيا وحدا وسائر شرآئع الاسلام (وتعليم الامة بالفعل) اى جنسه
(واخذهم باتباعه) ويروى باتباعهم (فيه) اى فى ذلك الفعل ونحوه (وما هو) اى وثانيهما ما هو (خارج عن هذا)
الذى طريقه البلاغ (مما يختص بنفسه) من واجبات ومندوبات ومباحات ومكروهات ومحرمات (اما الاول) اى
من النوعين وهو ما طريقه البلاغ من الاحكام عملا وقولا (فحكمه) اى فى الالمام بالسهو به (عند جماعة من العلماء حكم
السهو فى القول فى هذا الباب) اى باب ما طريقه البلاغ (وقد ذكرنا الاتفاق) من العلماء (على امتناع ذلك) اى امتناع
المخالفة فى القول (فى حق النبى عليه الصلاة والسلام) اى من الانبياء (وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا) بالاولى
(فكذلك) اى فمثل ما قالوا فى باب القول بعصمة النبى من امتناع جواز ذلك (قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز
طروء المخالفة) بضم الطاء والراء فواو ساكنة فهمزة وقد تبدل مشددة اى طريانها وجريانها وحدوثها وعروضها (فيها)

اى فى الافعال (لا عمدا ولا سهوا الا نها) اى الافعال منهم (بمعنى القول) الصادر عنهم (من جهة التبليغ والاداء) اذ الامم مأمورون بمتابعات الانبياء قولا وفعلا ولا محيص لهم عن الموافقة اصلا (وطرو هذه العوارض) اى من السهو والخطأ والنسيان (عليها) اى على افعال الانبياء (يوجب التشكيك) للامم الموافقة (وبسبب المطاعن) من الطوائف المخالفة والمطاعن جمع مطعن محل الطعن وفى نسخة وبسبب الطاعن اسم فاعل من طعن فيه وعليه اذا عاب وقدح (واعتذروا) اى هولاء العلماء (عن احاديث السهو) اى فى بعض صلواته عليه الصلاة والسلام (بتوجيهات نذكرها بعد هذا) فى فصل على حدة (والى هذا) اى منع طرو المخالفة (مال ابو اسحق) اى الاسفراينى (وذهب الاكثر من الفقهاء) اى من ارباب الفروع من الاصول (والمتكلمين) اى من اصحاب الاصول (الى ان المخالفة فى الافعال البلاغية والاحكام الشرعية) اى من الامور العلمية والعملية (سهوا) تمييز او منصوب بنزع الخافض اى عن سهو (وعن غير قصد) عطف بيان (منه) اى من النبى (جائز عليه) اى وقوعه منه (كما تقرر من احاديث السهو فى الصلاة) اى الثابتة فى الصحيحين وغيرهما من الكتب الستة قال النووى وهذا هو الحق (وفرقوا) اى المجوزون له (بين ذلك) الفعل من الافعال الشرعية (وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق فى القول) اى من حيث شهد الله بان صدق عبدى (ومخالفة ذلك) الصدق ولو سهوا (تناقضها) اى تعارض المعجزة (واما السهو فى الافعال فغير مناقض لها) اى المعجزة لانه ليس من جنسها (ولا قادح) اى وغير طاعن (فى النبوة) لثبوتها مع وقوعه منها العدم منافاته لها (بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر) بكسر السين اى علاماته وذلك لان الانسان مشتق من النسيان واول الناس اول الناس فقد قال تعالى فى حق آدم عليه السلام فنسى (كما قال عليه الصلاة والسلام انما انا بشر انسى) بفتح اوله (كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى) رواه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه (نعم) ليس نسيانه كنسيان غيره من كل وجه (بل حالة النسيان والسهو) اى نسيانه وسهوه (هنا) اى فى هذا المحل بخصوصه (فى حقه عليه الصلاة والسلام سبب افادة علم) لامته (وتقرير شرع) المته (كما قال عليه الصلاة والسلام) فى حديث الموطأ بلاغا يعرف وصله (انى لا انسى) بفتح الهمزة والسين اى بانسائه سبحانه كما قال تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله انساءك اياه (او انسى) بصيغة المفعول مشددا ويجوز مخففا اى ينسينى الله تعالى (لاسن) بفتح الهمزة وضم السين وتشديد النون اى لابين لكم ما يفعله احد منكم نسيانا لتأنسوا بى وتقتدوا بفعلى (بل قد روى لست انسى) اى حقيقة (ولكن انسى) بصيغة المجهول كما مر (لاسن) وهذا نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ايماء الى مقام الجمع (وهذه الحالة) اى من نسيانه لبيان (زيادة له فى التبليغ) اى تبليغ الرسالة (وتمام عليه فى النعمة) حيث امر الامة بان يقتدوا به فيما صدر عنه على جهة السهو والغفلة ولعل فيه ايماء الى قوله تعالى ويتم نعمته عليك (بعيدة عن النقض) بالضاد المعجمة اى عن ورود النقض من جواز وجود السهو والخطأ ووجوب الاقتداء (واعتراض الطعن) اى به وبغيره على السنة السفهاء وفى نسخة صحيحة بعيدة عن سمات النقص بالصاد المهملة اى النقصان واغراض الطعن اى على مجرد وقوع السهو والنسيان حيث تبين الحكمة الالهية فى ذلك الشان (فان القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر) بضم التاء وفتح القاف وتشديد الراء اى لا تبقى ولا تترك (على السهو والغلط بل ينبهون عليه) لينتبهوا ويتداركوا ما وقع لهم من السهو (ويعرفون) بصيغة المجهول مشددا الراء (حكمه) اى حكم السهو وما يترتب عليه (بالفور) فى الحال اى من غير تراخ (على قول بعضهم) وهو الصحيح (وقبل انقراضهم) او قبل موته (على قول الآخرين واما ما ليس طريقه البلاغ) اى تبليغ شرائع الاسلام (ولا بيان الاحكام من افعاله عليه الصلاة والسلام وما يختص به من امور دينه) اى اسرار ربه (واذكار قلبه) اى انوار لبه (مما لم يفعله ليتبع فيه) بل لينتفع به فى زيادة قربه عند ربه (فالاكثر من طبقات علماء الامة) وكذا من طوائف مشايخ الملة (على جواز السهو) اى الذهول والغفلة (والغلط عليه) لغلبة الاستغراق لديه (فيها) اى فى افعاله حين نزول الواردات اليه ولا يلحقه بذلك معرة ولا منقصة (ولحوق الفترات) اى الزلات بالنسبة الى علو الحالات (والغفلات) لعوارض الحادثات (بقلبه) المستغرق فى بحر حب ربه (وذلك) اى الحال الذى يعتريه هنالك (بما كلفه) بصيغة المجهول اى بما طوقه الحق ويروى بما تكلفه (من مقاساة الخلق) اى مكابدتهم (وسياسة الامة) اى محافظتهم ويروى وسياسات الامة (ومعاناة الاهل) من عاناه قاساه اى ملاحظة احوالهم ومراعاة افعالهم رفقائهم وعونالهم (وملاحظة الاعداء) اى مراقبتهم ومحاذرتهم وهذا كله من حيث هو مما يشغل القلب عن تجرده للرب ويوجب فتورا يقتضى فى الجملة قصورا (ولكن ليس) صدور ذلك وظهور ما هنالك (على سبيل التكرار) اى المفضى الى حال الاكثار (ولا الاتصال) اى ولا على سبيل الاتصال فى مقام الانفصال (بل على سبيل الندور) اى القلة فى الانتقال

عن مشاهدة جمال ذى الجلال على وجه الكمال (كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم انه) اى الشان (ليغان على قلبى) بصيغة المفعول والمعنى قد يحجب قلبى عن مشاهدة ربى بالاشتغال بامره والانتقال الى امضاء حكمه (فاستغفر الله) اى فى اليوم سبعين مرة او مائة مرة وهذا من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار بل كان فى كل وقت وحالة مترقيا الى مقام ومرتبة بعد الحال الاولى بالنسبة الى المرتبة الثانية العليا والمنزلة الاولى سيئة ومنقصة يحتاج فيها الى الاوبة وطلب المغفرة مما فيه صورة الحوبة كما يشير اليه قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (وليس فى هذا) اى فيما ذكر (شئ يحط) اى يضع (من رتبته ويناقض معجزته) اى يعارض من كرامته (وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات فى حقه عليه الصلاة والسلام جملة) اى من غير استثناء حالة (وهو مذهب جماعة من المتصوفة) اى متكلفى طريق التصوف ومنتحلى سبيل التعرف (واصحاب علم القلوب) بالحالات السنية الجلية (والمقامات) البهية العلية ويمكن الجمع بين كلام المثبتين للسهو والنافين للغلط واللهو ان ما وقع من افعاله عليه الصلاة والسلام فى صورة الغفلات وهيئة الفترات ليست على حقيقتها المترتب عليها نقصان مرتبة من الحالات او قصور فى رتبة علو المقامات فان سيئات ارباب السعادة حسنات وحسنات ارباب الشقاوة سيئات كما اشار اليه بعضهم بقوله

من لم يكن للوصال اهلا * فكل طاعاته ذنوب

والحاصل ان ضعف بنية البشرية لا يقوى على مداومة تجليات الالهية فتارة يكون فى حالة الصحو واخرى فى حالة المحو وكذا تختلف المقامات بتفاوت غلبة الفناء ورجعة البقاء حتى يترتب عليه السكر والشكر والفكر والذكر والترقى والتدلى مع ان مقام جمع الجمع يقتضى ان لا تمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة فلا يتصور فى حق الكمل منهم صدور الغفلة بالمرة فان اتباعهم ببركة اتباعهم وصلوا الى حد لو ارادوا ان يتركوا الطاعة او يغفلوا ساعة لم يقدروا على ذلك عكس حال ارباب الدنيا واصحاب الحجاب عن المولى فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل حزب مذهبهم (ولهم فى هذه الاحاديث) اى الواردة فى باب السهو (مذاهب نذكرها) وفى نسخة سنذكرها (بعد هذا) اى من غير تراخ فى الفصل الذى يليه (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه الصلاة والسلام وقد قدمنا فى الفصول) السابقة ويروى فى الفصل اى الذى تقدم (قبل هذا) الفصل (ما يجوز فيه عليه السهو عليه الصلاة والسلام) من الافعال والاحوال السنية (وما يمتنع) فيه عليه السهو من الافعال البلاغية والاحكام الشرعية (واحلناه) اى وجعلنا وقوع السهو محالا (فى الاخبار) بفتح الهمزة او كسرها (جملة) اى من غير تفرقة بين كونها دينية او دنيوية (واجزنا وقوعه) اى وجوزنا وقوع السهو (فى الافعال الدينية) لعدم مناقضته حكم المعجزة وعدم مباينته وجه النبوة (قطعا على الوجه الذى رتبناه واشرنا الى ما ورد فى ذلك) كما بيناه من حكمة ان كونه مع قلته انما يقع سببا لافادة علم لامته وتقرير حكم الله (ونحن نبسط القول فيه) اى فى هذا الفصل (ونقول الصحيح من الاحاديث الواردة فى سهوه عليه الصلاة والسلام فى الصلاة ثلاثة احاديث اولها حديث ذى اليدين) كما رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه (فى السلام) اى سلامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) اى ركعتين فى احدى صلاتى العشى الظهر او العصر فقال ذو اليدين يا رسول الله أنسيت ام قصرت الصلاة قال لم انس ولم تقصر فقال أكما يقول ذو اليدين قالوا نعم فاتم ثم سلم ثم كبر وسجد ثم رفع قال ابن سيرين نبئت ان عمران بن حصين قال ثم سلم (الثانى حديث ابن بحينة) بضم موحدة وفتح مهملة وسكون تحتية فنون فتاء وهى ام عبد الله زوج مالك مطلبية قرشية ابن القشب بكسر القاف واسكان الشين المعجمة فموحدة الازدى ويقال الاسدى قال النووى الازد والاسد باسكان الزاى والسين قبيلة واحدة وهما اسمان مترادفان لها وهما ازدشنوءة وعبد الله هذا كان حليفا لبنى المطلب بن عبد مناف قال بعض الحفاظ اسلم عبد الله ابن مالك هو وابوه وصحبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانكر الدمياطى فى حاشيته على صحيح البخارى ان يكون لمالك والد عبد الله هذا صحبة او رواية او اسلام وانما ذلك لعبد الله قال الذهبى فى تجريده ما لفظه مالك ابن بحينة والد عبد الله ورد عنه حديث وصوابه لعبد الله وقال المزى فى اطرافه ومن مسند مالك بن بحينة ان كان محفوظا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حديث اصلى الصبح اربعا وحديث السهو فى الصلاة فى مسند عبد الله ابن مالك بن بحينة انتهى وفى الكاشف مالك بن بحينة الصحابى له فى السهو وعنه ابن حبان قال النسائى هذا خطأ والصواب عبد الله بن مالك كذا ذكره الحلبى وبهذا تبين خطأ الدلجى حيث جزم بقوله الثانى حديث

الشيخين عن مالك بن عبد الله بن بحينة (فى القيام) اى قيامه عليه الصلاة والسلام (من اثنتين) اى ركعتين سهوا قال الانطاكى وحديثه فى السهو هو ماروى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام فى صلاة الظهر وعليه جلوس وفى رواية قام فى الشفع الذى يريد ان يجلس فلما اتم صلاته سجد سجدتين الحديث (الثالث حديث ابن مسعود) فى الصحيحين (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر خمسا) قال القاضى المصنف فى الاكمال قال الامام احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة احاديث حديث ابى هريرة رضى الله عنه سجد سجدتين وحديث ابى سعيد سجد قبل السلام وحديث ابن مسعود فى القيام الى خامسة وحديث ذى اليدين فى السلام من اثنتين وحديث ابن بحينة فى القيام من اثنتين (وهذه الاحاديث مبنية على السهو فى الفعل الذى قررناه) اى لافى الاخبار الذى حررناه (وحكمة الله فيه) اى فى سهوه فى فعله (ليستن به) على بناء المفعول اى ليقتدى به فى امره (اذ البلاغ بالفعل اجلى) بالجيم اى اظهر وارفع وفى نسخة بالحاء اى احسن واوقع (منه بالقول وارفع للاحتمال) اى ادفع له عند بعضهم خلافا لغيرهم كما قدمناه ولعل الاظهر فى حكمته ان يكون تسلية لامته فى مشاركتهم معه فى سيرته وطريقته واحوال بشريته كما اشار اليه بقوله انما انا بشر انسى كما تنسون (وشرطه) اى السهو فى حقه بخصوصه للامر بالاقتداء فى فعله كقوله (انه لا يقر) وفى نسخة لا يقرر بصيغة المجهول فيهما اى لا يبقى ولا يترك (على هذا السهو) اى زمانا يمكن ان يقتدى به فى ذلك الامر (بل يشعر به) بصيغة المفعول اى بل يعرف وينبه (ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه) للناس (كما قدمناه) فى مقام الايناس (وان النسيان) اى باصله (والسهو) اى المترتب عليه بفرعه (فى الفعل فى حقه عليه الصلاة والسلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح فى التصديق) بالرسالة وقدم بيان تحقيق هذه المقالة (وقد قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان (انما انا بشر انسى كما تنسون) كما يشير اليه قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله وقوله عز وجل واذكر ربك اذا نسيت (فاذا نسيت) اى آية (فذكرونى) او المعنى اذا نسيت وفعلت شيأ غير ما تعرفون من شرعى فاعلمونى (وقال) كما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا (رحم الله فلانا) كناية عن رجل (لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت اسقطتهن) اى تركتهن نسيانا (ويروى انسيتهن) بصيغة المجهول وذكر التلمسانى عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يقرأ من الليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية الحديث انتهى وقال النووى عن الخطيب البغدادى ان فلانا المبهم هنا هو عبد الله بن يزيد الخطمى الانصارى انتهى ووقع بعد هذا الحديث فى البخارى وزاد عباد الله بن عبد الله عن عائشة رضى الله عنها قالت تهجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى فسمعت صوت عباد فاعلمته وهو عباد بن بشر كما نقله ابن الملقن فى شرح البخارى عن ابن التين قال الحلبى ورأيت فى نسخة صحيحة من شرح البخارى فى الشهادات فسمع صوت عباد بن تميم منسوبة الى العلامة الفربرى (وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى الموطأ بلاغا (انى لانسى) بفتح اللام والهمز والسين (او انسى) بصيغة المجهول مشددا ويجوز مخففا (لاسن) بضم سين وتشديد نون اى لابين ما يترتب على السهو من الحكم (قيل هذا اللفظ شك من الراوى) فاو للترديد ولا يبعد ان تكون للتنويع فان النسيان قد يكون لغفلة من جانب الانسان وقد يكون لحكمة من جانب الرحمن (وقد روى انى لانسى) اى غالبا او على وجه التقصير (ولكن انسى) بحسب التقدير (لاسن) فى مقام التقرير (وذهب ابن نافع) بنون فى اوله قال التلمسانى هو عبد الله بن صانع وفى نسخة ابن رافع وفى اخرى ابن قانع (وعيسى بن دينار) هو الطليطلى تفقه بابن القاسم جمع بين الفقه والزهد قال ابو اسحق فى طبقات الفقهاء صلى اربعين سنة الصبح بوضوء العشاء الآخرة وشيعه ابن القاسم فراح عند انصرافه عنه فعوتب فى ذلك فقال اتلومونى ان شيعت رجلا لم يخلف بعده افقه منه مات سنة اثنتى عشرة ومائتين (انه) اى حديث لانسى او انسى (ليس بشك وان معناه التقسيم) يعنى التنويع (اى انسى انا او ينسينى الله) لورود نسبته عليه الصلاة والسلام النسيان الى نفسه تارة نظرا الى مقام الفرق والى ربه اخرى اشارة الى مقام الجمع ايماء الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وردا على القدرية والجبرية واثباتا للقدرة الجزئية كما هو مذهب اهل السنة السنية (قال القاضى ابو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (يحتمل ما قالاه) اى ابن نافع وابن دينار (ان يريد) اى النبى عليه الصلاة والسلام (انى انسى) بالبناء للفاعل (فى اليقظة لاتى السهو فيها اختيارا (وانسى) بالبناء للمفعول (فى النوم) لتأتيه فيه اضطرارا وفيه ان قلبه عليه الصلاة والسلام كان لا ينام فحاله نوما او يقظة سواء فى مراتب الاحكام للاحكام (او انسى) بصيغة الفاعل (على سبيل عادة البشر من الذهول عن الشئ والسهو) اى الغفلة الناشئة عن شغل البال وتشتت الحال (وانسى) بصيغة المفعول (مع اقبالى عليه وتفرغى له) اى فراغ خاطرى اليه (فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه)

وهو تسبب اختيار بمباشرته فى تحصيل معالجته (ونفى الآخر عن نفسه) وفى نسخة من نفسه (اذ هو فيه) باعتبار مباديه البعيدة ومجاريه (كالمضطر) اليه لانه قدر فى الازل عليه ان يصدر منه بكسبه لديه فهو مضطر فى صورة مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وفى السنة اهل الحكمة قال الجدار للوتد مالك تشقنى فقال سل من يدقنى (وذهبت طائفة من اصحاب المعانى) وهم بعض الصوفية من ارباب المعالى (والكلام على الحديث) اى وذوى التكلم على حديث سهوه وما يتعلق به من تحقيق المبانى (الى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة) فيترك منها ما ليس عن علم به (ولا ينسى) فيها (لان النسيان ذهول وغفلة وآفة) اى عاهة مؤدية الى زوال المدرك من القوة المدركة والحافظة بما يستولى على القلب ويغشاه مما يحجبه عن عبادة الرب (قال) اى ذلك البعض (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنها) اى مبعد عن الغفلة مما يؤدى الى المنقصة (والسهو شغل) بذهول لا ينتهى الى زواله من الحافظة فى احواله (فكان النبى عليه الصلاة والسلام يسهو فى صلاته) اى لا عنها (ويشغله عن حركات الصلاة ما فى الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها) فلا يتركها عن علم فيها غير مبال بها ولا يخرجها عن وقتها بشهادة فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اى غافلون (واحتج) اى ذلك البعض (بقوله فى الرواية الاخرى انى لا انسى) بصيغة النفى وفى نسخة زيادة ولكن انسى وحاصله ان النسيان المذموم المنتسب الى تقصير الانسان منفى عنه صلى الله عليه وسلم بخلاف ما خلقه تعالى فيه اضطرارا لحكمة الهية كما تقدم والله تعالى اعلم (وذهبت طائفة اخرى) وهم بعض الصوفية (الى منع هذا) اى ما ذكر من السهو والنسيان (كله) اى عنه كما فى نسخة (وقالوا ان سهوه عليه الصلاة والسلام كان عمدا وقصدا ليسن) بصيغة الفاعل او المفعول (وهذا قول مرغوب عنه) اى مردود فى الموارد (متناقض المقاصد) لمناقضة السهو للعمد (لا يحلى) بالحاء المهملة على صيغة المفعول اى لا يظفر (منه بطائل) اى بنفع حاصل يقال هذا الامر لم يحل منه بطائل اذا لم يكن فيه فائدة وقد صرح الجوهرى بانه لا يتكلم به الا فى الجحد وقد اتى به المؤلف فى صورة النفى ولعله يسوغ ايضا او وقع سهوا من القلم والله سبحانه وتعالى اعلم (لانه كيف يكون متعمدا ساهيا فى حال) اى واحد وزمان متحد (ولا حجة لهم فى قولهم انه امر) اى امره الله تعالى (بتعمد صورة النسيان) وهو بصيغة المصدر بعد باء التعدية وروى انه يتعمد بصيغة المضارع (ليسن لقوله انى لانسى او انسى) وفى نسخة زيادة لاسن وهو بالوجهين على ما سبق (وقد اثبت) اى النبى عليه الصلاة والسلام ويروى فقد اثبت (احد الوصفين) وهو النسيان من قبل نفسه او الانساء من قبل ربه (ونفى مناقضته) بالاضافة الى الضمير (العمد والقصد) فلا يصح اثبات العمد والقصد له عليه الصلاة والسلام ويروى مناقضة التعمد والقصد (وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون) وفى رواية فاذا نسيت فذكرونى (وقد مال الى هذا) اى القول بانه امر بتعمد النسيان (عظيم من المحققين من ائمتنا) يعنى المالكية (وهو ابو المظفر) ويروى ابو المطهر (الاسفراينى ولم يرتضه) بالضمير او بهاء السكت اى ولم يختره (غيره منهم) اى من المالكية وغيرهم (ولا ارتضيه) يعنى انا (ايضا) لظهور تناقضه ووضوح تعارضه وقال النووى بعد ما حكى هذا القول عن بعض الصوفية وهذا لم يقل به احد ممن يقتدى به الا الاستاذ ابو المظفر الاسفراينى فانه مال اليه ورجحه وهو ضعيف متناقض (ولا حجة لهاتين الطائفتين) اى القائلة بانه عليه الصلاة والسلام كان يسهو فى صلاته ولا ينسى والقائلة بان سهوه كان عمدا وقصدا (فى قوله انى لا انسى) بصيغة النفى على بناء الفاعل (ولكن انسى) بصيغة المفعول (اذ ليس فيه نفى حكم النسيان) بالاضافة البيانية (بالجملة) اى بالكلية (وانما فيه نفى لفظه) اى مبناه المشعر بعدم التفاته اليه (وكراهة لقبه) اى وصفه الذى يحمل عليه (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا) لاعترافه بدخوله تحت وعيد ظاهر قوله سبحانه كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (ولكنه نسى) مشددا اى انساه الله من غير تقصير اياه لعارض او مرض ورواه ابو عبيد بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسى ولكنه نسى وهو ابين من الاول وقد رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا بلفظ بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى ويمكن انه كره نسبة النسيان الى النفس لانه تعالى هو الذى انساه لاستناد الحوادث كلها اليه او لان النسيان مبناه الترك فكره له ان يقول تركت القرآن او قصدت الى نسيانه ولم يكن باختياره اياه يقال انساه الله ونساه والحاصل ان اختلاف النفى والاثبات باعتبار لفظه ومبناه لتفاوت فحوى الكلام ومقتضاه باعتبار معناه (او لنفى الغفلة) عن ربه (وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها) اى بالصلاة عن الصلاة يعنى بفعل بعضها عن فعل بعضها (ونسى بعضها ببعضها) اى بعض الصلاة ببعض الغفلة عنها ليبين للساهى فيها ما يجبرها بتركه شيأ منها (كما ترك الصلاة) على ما رواه الشيخان (يوم الخندق) اى زمان حفر

الخندق وهى غزوة الاحزاب وكانت فى السنة الخامسة بعد الهجرة فى شهر شوال منها (حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها) اى عن الصلاة (فشغل بطاعة) اى العليا وهى حراسة المدينة (عن طاعة) وهى اداء الصلاة الوسطى لما ورد شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قلوبهم وقبورهم نارا (وقيل ان الذى ترك يوم الخندق اربع صلوات) بالرفع على انه خبر ان ثم ابدل منه بقوله (الظهر والعصر والمغرب والعشاء) وهذا على قول الكوفيين واما على ما قاله سيبويه فيكون اعمال ترك وهو الثانى فيكون اربع منصوبا ذكره الحلبى ولعل الواقعة تعددت فى الغزوة (وبه احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة) اى الى ان يخرج وقتها (فى الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له) ولا يبعد ان يقال انما كان ناسخا اذا كان قادرا على التمكن من ادائها بصلاة الخوف بخلاف ما اذا لم يتمكن من ادائها كما اذا كان العدو من كل جانب محاصرا على ما وقع فى الاحزاب والله تعالى اعلم بالصواب (فان قلت فما تقول فى نومه عليه الصلاة والسلام عن الصلاة يوم الوادى) كما رواه البخارى وقد قيل هو وادى ضجنان وهو موضع بجوار مكة وروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قفل من خيبر سار ليلة حتى اذا ادركه الكرى عرس ونام هو واصحابه فلم يستيقظ احد من اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولهم استيقاظا فقال اقتادوا يعنى سوقوا رواحلكم فاقتادوا رواحلهم شيأ ثم توضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامر بلالا فاقام الصلاة فصلى بهم الصبح (وقد قال) عليه الصلاة والسلام (ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) قال النووى هذا من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى والجملة اعتراض بين السؤال وجوابه ورد حالا افاد ان قلبه لا يعتريه نوم فكيف نام عن الصلاة حتى خرج وقتها (فاعلم ان للعلماء فى ذلك) اى فى دفعه وفى نسخة عن ذلك اى عن نومه فيه بالوصف المذكور هنالك (اجوبة) بالنصب على انه اسم ان (منها ان المراد بان هذا) الذى ذكر من اليقظة بربه (حكم قلبه عند نومه) اى نوم قلبه (وعينيه) اى وعند نوم عينيه اوالمعنى هذا حكم قلبه وعينيه حال اجتماعهما (فى غالب الاوقات وقد يندر منه) بضم الدال اى يقع نادرا (غير ذلك) من غفلة قلبه حال نوم عينيه (كما يندر من غيره خلاف عادته) والحاصل انه عليه الصلاة والسلام على ما قيل كان له حالان فى المنام احدهما انه كان تنام عينه ولا ينام قلبه وذلك فى غالب اوقاته وثانيهما وهو ان ينام قلبه ايضا وهو نادر فصادف هذا الموضع حالة الثانى ثم اعلم ان فى بعض النسخ ضبط غيبته بدل عينيه واختاره الحلبى وقال الغيبة ضد الحضور وهو ظاهر وانما ذكرته لاحتمال ان يشتبه على من لا يعرف فيصحفه بعينيه تثنية عين وهى الجارحة الباصرة قلت هذا لا يصح لا من جهة الاعراب فى المبنى ولا من طريق الصواب فى المعنى لان غيبته اذا كان عطفا على قلبه لا يستقيم الكلام اذ التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وحكم عدم حضوره ولا خفاء فى قصوره واذا كان عطفا على نومه فيكون التقدير هذا حكم قلبه عند نومه وعند عدم حضوره ولا يخفى ما فى هذا ايضا من بعد تصوره (ويصحح هذا التأويل) الذى افاد ان قلبه لا ينام غالبا وقد ينام نادرا (قوله عليه الصلاة والسلام فى هذا الحديث نفسه) اى نفس هذا الحديث المذكور وهو حديث الصلاة فى الوادى لا كما توهم الدلجى من انه حديث عيناى تنامان ولا ينام قلبى وقال التلمسانى صوابه ما عند ابن مليح فى اصله وقول بلال فى الحديث نفسه وهو معروف من قول بلال والمحفوظ من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله قبض ارواحنا) قلت هذا هو المراد وهو الصواب ولا يظهر لقول التلمسانى وجه فى هذا الباب مع ان رواية البخارى ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء (وقول بلال فيه) اى فى حديث صلاة الوادى فما ايقظهم الا حر الشمس فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واد به شيطان اقتادوا فاقتادوا رواحلهم حتى خرجوا منه وقضوا صلاة الصبح لا كما توهم الدلجى ايضا وقال اى فى حديث ان عينى تنامان جوابا لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد امره ان يكلأ لهم الفجر فقال عليه الصلاة والسلام اين ما قلت يا بلال فقال والله يا رسول الله (ما القيت على من نومة مثلها قط) لشدة تعب السير وقت نصب السهر ولعل وجه كون قول بلال يصحح التأويل السابق انه وقع له عليه الصلاة والسلام من شدة الحال كما وقع لبلال فنام قلبه عليه الصلاة والسلام من كثرة الكلال (ولكن مثل هذا) اى النادر الوقوع (انما يكون منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (لامر يريده الله عز وجل) وفى نسخة يريده من الله (من اثبات حكم) تحته حكم (وتأسيس سنة) اى تأصيل قضية منيعة يبنى عليها فروع شريعة (واظهار شرع) من فرض او سنة لم يكن مبينا (كما قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر لو شاء الله لايقظنا) اى من منامنا ظاهرا وباطنا (ولكن اراد) اى بغلبة النوم علينا (ان يكون) اى سنة (لمن بعدكم) يقتدون بها (الثانى) من الاجوبة (ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه) اى ناقض الوضوء فى نومه (لما روى

فى صحيح البخارى وغيره (انه كان محروسا) اى محفوظا عن ان يقع منه حدث فى حال نومه (وانه كان ينام حتى ينفخ) بضم الفاء (وحتى يسمع) بصيغة المجهول (غطيطه) اى ترديد صوته الخارج مع نفسه (ثم يصلى ولا يتوضأ) لعدم نقض وضوئه مع يقظة قلبه او بناء على حراسة ربه او لاختصاصه به (وحديث ابن عباس) فى الصحيحين (المذكور فيه) اى فى حديثه (وضوءه) اى وضوء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عند قيامه من النوم) مبتدأ خبره (فيه نومه مع اهله) اى ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس (فلا يمكن الاحتجاج به على وضوئه) اى على كون وضوئه (لمجرد النوم) مع اهله (اذ لعل ذلك) اى وضوءه هنالك (لملامسة الاهل) اى مساسه ويرى الملامسة اهله (او لحدث آخر) اى وهذا اظهر اذ لم يثبت انه عليه الصلاة والسلام توضأ من لمس امرأة قط فتدبر او للتجديد المفيد للتنشيط (فكيف) لا يكون وضوءه بواحد مما ذكر (وفى آخر الحديث نفسه) اى المروى عن ابن عباس بعينه (ثم نام) اى ثانيا (حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضأ) اى اكتفاء بالوضوء الذى تقدم (وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه فى النوم) كغيره من الانبياء فانهم يوحى اليهم فيه قال تعالى انى ارى فى المنام انى اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ومن هنا يكفر ابن عربى حيث طعن على سيدنا ابراهيم الخليل انه اخطأ فى التعبير والتأويل وانه كان تأويل منامه انه يذبح كبشا فحمل المنام على ظاهره وقصد ذبح ابنه كما بسطت هذا فى محله (وليس فى قصة الوادى الا نوم عينيه عن رؤية الشمس) اى واثر طلوعها من الفجر فى افق السماء (وليس هذا من فعل القلب) اذ قد يكون الشخص مستيقظا ولم يكن مطالعا لمطلع الشمس لا سيما اذا كان مغمضا عينيه خصوصا فى بقاء القمر الى آخر الليل وبعده وهذا انما هو على الفرض والتقدير والا فقد صح انه عليه الصلاة والسلام كان حينئذ فى استغراق المنام (وقد قال عليه الصلاة والسلام ان الله قبض ارواحنا) اى المدركة للامور الظاهرة (ولو شاء لردها علينا فى حين غير هذا) وهو قبل هذا الوقت لادراك الوقت ولكن اراد ان نعرف حكم فوت الوقت والحديث مقتبس من قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ) بكسر همزة وصل فى اوله وفتح لامه وهمزة ساكنة فى آخره اى احفظ (لنا الصبح فقيل فى الجواب انه كان من شانه عليه الصلاة والسلام التغليس بالصبح) لعله فى الاسفار (ومراعاة اول الفجر) اى المختار وهو الاسفار وفى نسخة لمراعاة اول الفجر (فلا يصح ممن نامت عينه) وكذا ممن استغرق فى شهود ربه وعدم التفاته لغيره (اذ هو) اى الصبح (ظاهر من الامور) (يدرك بالجوارح الظاهرة) بل بالجارحة الباصرة وكانه جمع بجميع العيون الحاضرة (فوكل بلالا بمراعاة اوله) حقيقة او حكما (ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم) من اى عمل كان (عن مراعاته) اى محافظة اوقاته وقد اغرب التلمسانى فى عبارته والمعنى انه عليه الصلاة والسلام كان يؤخر الصلاة الى وقت التغليس من الصبح (فان قيل فما معنى نهيه عليه الصلاة والسلام عن قول نسيت) اى فى حديث لا يقول احدكم نسيت آية كيت وكيت بل هو نسى بضم النون وتشديد المهملة (وقد قال عليه الصلاة والسلام انى انسى كما تنسون فاذا نسيت) وفى رواية انسيت (فذكرونى) رواه ابو حنيفة رحمه الله فى مسنده (وقال) اى فى رواية اخرى (لقد اذكرنى) اى فلان (كذا وكذا آية كنت انسيتها) كذا فى النسخ والمناسب للسؤال الوارد نسيتها ليرد الاشكال بين النهى عن نسبة النسيان الى نفسه وبين اتيانه فى لفظه فانه تعارض بحسب ظاهره (فاعلم اكرمك الله تعالى انه لا تعارض فى هذه الالفاظ) اى عند المحققين من الحفاظ لما سبق من التنبيه على شئ من التوجيه وهو نسبة الفعل الى الله تعالى حقيقة والى العبد مجازا فالاولى صرف القلب الى فعل الرب وايضا فعل النسيان من حيث انه ظاهر فى التقصير والنقصان مذموم بخلاف ما اذا اراد الله امضاءه وقدر عليه بان انساه اياه ولا يبعد ان يكون قوله انسيت بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم معناه انسانيه الله لقوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله واما بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام فمعناه انسانيه الشيطان كما قال يوشع وما انسانيه الا الشيطان وكما قال عز وجل فانساه الشيطان ذكر ربه ونتيجة الفرق ان ما يكون مذموما ينسب الى الشيطان وما يكون محمودا ينسب الى الرحمن ومجمله ان كل نسيان صدر عن تقصير وتوان فيكون بسبب اغواء الشيطان وكل ما يكون بعارض مرض او كبر ونحوهما فهو بسبب اختيار الرحمن وايضا من معانى النسيان الترك فلا ينبغى لمؤمن ان يقول تركت آية حيث يتوهم منه ان يكون قصدا ولا يراعى رعاية ومن جملة الاجوبة قوله (اما نهيه عن ان يقال نسيت آية كذا فمحمول على ما نسخ فعله) الظاهر كونه وفى نسخة حفظه (من القرآن اى ان الغفلة فى هذا لم تكن منه ولكن الله تعالى اضطره اليها) اى الى نسيانها (ليمحو ما يشاء ويثبت) بالتشديد والتخفيف وهذا احد معانى قوله تعالى فلا تنسى الا ما شاء الله اى اراد نسخه

كما قضاه وامضاه لكن هذا انما يكون جوابا عن قوله عليه الصلاة والسلام انى لا انسى ولكن انسى فلا يصلح
ان يكون تأويلا لنهيه عليه الصلاة والسلام للامة ان يقال نسيت آية كذا فلا رابطة بين السؤال والجواب والله
تعالى اعلم بالصواب (وما كان من سهو اوغفلة من قبله) اى من جانب العبد (تذكرها) وكذا اذا لم يتذكرها (صلح)
بضم اللام وفتحها اى صح (ان يقال فيه انسى) بفتح الهمزة لا بضمها كما توهم الدلجى فبهذا الاعتبار ورد عنه
صلى الله عليه وسلم انى انسى كما تنسون فلا تعارض اصلا وقطعا (وقد قيل) اى فى الجواب عن ايراد السؤال المتضمن
للاشكال وهو التعارض الظاهر فى المقال (ان هذا) اى نسبة الانساء الى الله تعالى (منه صلى الله تعالى عليه وسلم
على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه) وهو الله تعالى اذ لا خالق له سواه (والآخر) وهو نسبة النسيان
الى نفسه (على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه) اى بنوع تسبب وتقصير منه (واسقاطه عليه الصلاة والسلام)
مبتدأ (لما اسقط من هذه الآيات) حق العبارة لبعض الآيات وهى التى اذكره اياها بعض الامة (جائز عليه) وليس
من باب التقصير والسهو فى التبليغ (بعد بلاغ ما امر بابلاغه) اولا (وتوصيله الى عباده) كاملا (ثم يستذكرها) يروى
يستدركها (من امته) ثانيا (او من قبل نفسه) استحضارا (الا ما قضى الله نسخه) اى رفعه (ومحوه من القلوب) اى
من قلبه عليه الصلاة والسلام وقلب سائر الانام (وترك استذكاره) فى بقية الايام فانه من انواع نسخ الكلام (وقد
يجوز ان ينسى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول او الفاعل (ما هذا سبيله) اى المحو بعد البلاغ (كرة)
اى بالمرة (ويجوز ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا فى الخبر) اى فى مبناه
اومعناه (ثم يذكره اياه) كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه
فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه وحاصله بيان عصمته عن ان يقع له خطأ فى قرآنه عند تبليغ امته (ويستحيل دوام
نسيانه له لحفظ الله تعالى كتابه) بقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (وتكليفه) ويروى وتكفيله (بلاغه)
بقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك

(فصل)

(فى الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به فى ذلك) اى ما استدلوا به من الظواهر هنالك (اعلم
ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم) اى تابعهم كما فى نسخة (على ذلك من
المتكلمين) كابى جعفر الطبرى وغيره (احتجوا على ذلك) اى على تجويزها عليهم (بظواهر كثيرة من القرآن) اى
القديم (والحديث) اى السنة (ان التزموا ظواهرها) من غير ان يأولوا اكثرها واتخذوها مذهبا وطريقة
(افضت بهم) اوصلتهم (الى تجويز الكبائر) عليهم (وخرق الاجماع) اى والى مخالفتهم (وما لا يقول به مسلم) اى من
تجويز الكبائر بعد البعثة عمدا فانه لا يقول به الا الحشوية (فكيف) يجوزون الصغائر عليهم (وكل ما احتجوا به
مما اختلف المفسرون فى معناه) اى فى تأويل مبناه (وتقابلت الاحتمالات) او الاحتمالان (فى مقتضاه) اى موجبه
ومؤداه ومع وجود الاحتمال لا يصح الاستدلال (وجاءت اقاويل) جمع اقوال جمع قول اى اقوال كثيرة (فى هذا
المبحث) وفى نسخة فيها اى فى هذه القضية (للسلف) الصالحين من الصحابة والتابعين (بخلاف ما التزموه) اى بعض
الخلف (من ذلك) اى من تجويزها هنالك وفى نسخة فى ذلك (فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا) اى بجمع المسلمين (وكان
الخلاف فيما احتجوا به قديما) من ايام المتقدمين (وقامت الادلة) اى العقلية (على خطأ قولهم وصحة غيره) اى غير
مقالهم (وجب تركه) جواب اذا (والمصير الى ما صح) دليله عقلا ونقلا على ان متابعة السلف اولى من موافقة الخلف
(وها) تنبيه (نحن نأخذ) اى نشرع (فى النظر فيها) اى فى التأمل والتفكر فى الادلة وما يترتب عليها من حكم
المسئلة (ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر) اى ما صدر منه جائزا وكان تركه اولى نغفر له بترك عتابه فى مقام خطابه (وقوله تعالى واستغفر لذنبك)
كتقصير فى العبادة او رؤية الطاعة او غفلة الساعة او ملاحظة ما سواه فى مقام ان تعبد الله كأنك تراه (وقوله
تعالى ووضعنا عنك وزرك) اى ثقل اعباء الرسالة او مرارة وعناء الكلفة (الذى انقض ظهرك) اى كسره لولا انه سبحانه
وتعالى هون عليه وسهل امره لديه صلى الله وسلم عليه (وقوله تعالى عفا الله عنك) اى لو صدر ذنب منك (لم اذنت لهم)
اى للمنافقين المتخلفين اعلاما بان اذنه لهم كان من باب ترك الاولى كما بينه بقوله حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين ودليل ذلك انه سبحانه وتعالى فوض الاذن اليه فى مقامه هنالك حيث قال فاذا استأذنوك لبعض
شأنهم فأذن لمن شئت منهم (وقوله تعالى لولا كتاب من الله) اى حكم ازلى ظهر منه وهو (سبق) من ان الغنائم تحل
لهذه الامة (لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) فهذه قضية فرضية لا يتفرع عليها نهى مسئلة فرعية يترتب على تركها

خصلة

خصلة غير مرضية ثم ربما يقال كان الاولى انتظار الوحى الاعلى (وقوله تعالى عبس وتولى) اى كلح وجهه وتغير لونه
(ان جاءه الاعمى) اى كراهة مجيئه فى غير محله اللائق به ثم عدم التفاته عليه الصلاة والسلام اليه لسؤاله منه قبل تمام
الكلام من حضار مجلسه من الانام (الآية) اى الآيات بعدها مما وقع فيه المعاتبة على اقباله عليه الصلاة والسلام
على عباد الاصنام طمعا ان يدخلوا فى الاسلام وعلى اعراضه عمن جاءه ليستفيد منه بعض الاحكام لقوله وما يدريك
لعله يزكى اويذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى
فانت عنه تلهى والاعمى هو عبد الله ابن ام مكتوم العامرى شهد القادسية ومعه اللواء فقتل وقد هاجر الى المدينة
وكان مؤذنه عليه الصلاة والسلام واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة وقيل مات بالمدينة (وما قص الله تعالى)
اى حكى وفى نسخة ما نص اى ما صرح سبحانه (من قصص غيره) بفتح القاف اى حكاية غيره وفى نسخة بكسرها اى
حكايات غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (كقوله وعصى آدم) اى خالف (ربه)
باكل الشجرة نسيانا او خطأ (فغوى) فضل عن المطلوب وزل عن المحبوب او عن المنهى عنه او عن طريق الرحمن حيث
اغتر بقول الشيطان او خاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة من حيث لم يوجد له الثمرة (وقوله تعالى فلما آتاهما)
اى الله تعالى اعطاهما (صالحا) اى ولدا سويا (جعلا) اى آدم وحواء (له) اى له سبحانه وتعالى (شركاء) وفى قراءة
شركا حيث سمياه عبد الحارث ولم يدريا ما الحارث وهو اسم للشيطان وقد وسوس لحواء حين حملت بانه ما يدريك
لعله بهيمة او كلب وانى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك فسميه عبد الحارث وكان اسمه
حارثا فى الملكية (الآية) اى فتعالى الله عما يشركون وهذا ليس بشرك حقيقى لانهما ما اعتقدا ان الحارث ربه
بل قصدا انه سبب صلاحه فسماه الله شركا للتغليظ فان الذنب من العارفين المقربين اشد واعظم والله اعلم
ويكون لفظ شركاء من اطلاق الجمع على الواحد او يقال انهما لما فعلا ذلك اقتدى بهما بعض الناس فيما هنالك
فسموا اولادهم عبد شمس ونحوه كما فى الجاهلية وكعبد النبى فى الاسلامية (وقوله تعالى) اى حكاية عن آدم وحواء
عليهما السلام (ربنا ظلمنا انفسنا) بوضع الشئ فى غير موضعه الاولى (الآية) اى وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين اى الخائبين الضائعين فى الدنيا والاخرى اذ لا يستغنى احد عن مغفرة ربه لنوع تقصير فى حقه قال
تعالى كلا لما يقض ما امره (وقوله تعالى عن يونس) اى حكاية (سبحانك انى كنت من الظالمين) اى ولو فى غفلة
ساعة او تقصير طاعة (وما ذكره من قصته) اى يونس كما سبق (وقصة داود) كما سيأتى (وقوله تعالى وظن داود انما
فتناه) اى ابتليناه (فاستغفر ربه وخر راكعا) اى سقط حال كونه راكعا الى السجدة شكرا للمغفرة او عذرا للتقصير
فى الغفلة (واناب) اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فانها من المعصية (الى قوله مآب)
حيث جبر خاطره بقوله فغفرنا له ذلك ما كان فى صورة الذنب هنالك وان له عندنا لزلفى لقربة فى الباب وحسن
مآب مرجع الى الجناب (وقوله تعالى ولقد همت به) اى هم الشهوة (وهم بها) اى هم الخطرة (وما قص من
قصته مع اخوته) فيوسف ثابت نسبة نبوته ومنزه ساحته براءته واما ما سبق من امور اخوته فسيأتى بعض اجوبته
(وقوله تعالى عن موسى فوكزه موسى) اى ضربه بجمعه دفعا له عن ظلمه من غير قصد لقتله (فقضى عليه) اى
مات لديه (قال هذا من عمل الشيطان) نسبه اليه لانه لم يكن امر ضربه بنزل عليه على ان الصحيح انه كان قبل النبوة
(وقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دعائه اللهم اغفر لى ما قدمت) اى من التقصير فى العبودية (وما اخرت) اى
الطاعة عن الاوقات الاولوية (وما اسررت) من الخواطر النفسانية (وما اعلنت) اى من العوارض الانسانية
(ونحوه من ادعيته عليه الصلاة والسلام) من اظهار التواضع والخضوع والخشوع والمسكنة وبيان المهابة
والخشية تعليما للامة وتكميلا للمرتبة ورفعة الدرجة (وذكر الانبياء) بالرفع اى وذكر الله تعالى الانبياء او بالجر
اى ومن ذكر الانبياء (فى الموقف) اى القيامة (ذنوبهم) خوفا من ربهم (فى حديث الشفاعة) لمشاهدة
الاهوال ومطالعة الاحوال الدالة على كمال غضب ذى الجلال فعدوا تقصيراتهم سيئات وخافوا عليها من التبعات
(وقوله انه) اى الشأن (ليغان على قلبى) اى فيحجب عن ربى (فاستغفر الله تعالى) من ذنبى على ما تقدم
(وفى حديث ابى هريرة انى لاستغفر الله) اى لاطلب مغفرة الذنوب وستر العيوب (واتوب اليه) اى ارجع عن
ملاحظة اسرار الخلق الى مطالعة انوار الحق (فى اليوم الواحد اكثر من سبعين مرة) لانه عليه الصلاة والسلام
كان بوصف الكائن البائن القريب الغريب العرشى الفرشى (وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لى وترحمنى الآية)
اكن من الخاسرين ومن الذى يستغنى عن مغفرة الله تعالى ورحمته ولو كان فى اعلى مراتب نبوته ومناقب
رسالته (وقد كان) اى نوح قبل ذلك (قال الله له ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) اى كفروا (انهم مغرقون) وقد

خاطبه نوح فى ابنه فعاتبه ربه فى امره (وقال عن ابراهيم والذى اطمع ان يغفرلى خطيئتى) اى خطاى اوما كان من عمد فى صورة ذنب لى (يوم الدين) اى الجزاء وفصل القضاء (وقوله عن موسى تبت اليك) اى رجعت عن سؤالى بعد ما اظهرت لك حالى وطلبت منك مالى من منالى (وقوله ولقد فتنا سليمان) اى ابتليناه بالجاه الدنيوى اولا والقينا على كرسيه جسدا اخاويا ثانيا (الى ما اشبه هذه الظواهر) مع امثاله من الايات والروايات (قال القاضى رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (فاما احتجاجهم) اى استدلال المجوزين للصغائر على الانبياء (بقوله ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا) الكلام المكنون (قد اختلف فيه المفسرون) اى فى تدقيق مبناه وتحقيق معناه (فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها) من الحالة المجملة المحتملة فلا يكون فيه دليل على المسئلة (وقيل المراد ما وقع لك من ذنب) سابقا (ومالم يقع) لاحقا (اعلمه الله انه مغفورله) حقا (وقيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها) والمعنى ليغفرلك الله ما تقدم بمحو السيئة وما تأخر ببركة حراسة العصمة (حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك) اى بخطابه لك ومن ذنبك (امته عليه الصلاة والسلام) على حذف مضاف (وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل) وقع فيه زلة وهذا احسن ما قيل فى هذه المسألة (حكاه الطبرى) وهو محمد بن جرير (واختاره القشيرى) وهو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك امام الشريعة والحقيقة وصاحب الرسالة فى الطريقة (وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تاخر من ذنوب امتك) على ان الاضافة لادنى الملابسة ولك معناه لاجلك (حكاه السمرقندى) وهو الفقيه الامام ابو الليث من اكابر الحنفية (والسلمى) بضم السين وفتح اللام هو ابو عبد الرحمن الصوفى صاحب طبقات الصوفيه ومؤلف التفسير فى التصوف (عن ابن عطاء وبمثله والذى قبله) اى وبمثل هذا التأويل والتأويل الذى تقدم قبله (يتأول قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم ههنا هى مخاطبة لامته) لادنى الملابسة فى اضافته او بحذف مضاف عن مرتبته (وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم) اى تفصيلا لحالى وحالكم (سر) بضم السين وتشديد الراء اى فرح (بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية) اى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا (وبما للمؤمنين) وفى نسخة وبمآل المؤمنين بهمزة ممدودة قبل اللام اى بما يؤولون اليه (فى الاية الاخرى بعدها) اى بعد الاية الاولى (قاله ابن عباس رضى الله عنه) فالاية الاولى قوله ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك والاية الاخرى التى اشار اليها هى قوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات الى آخرها وهما على هذا التأويل جواب لقوله وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وذلك لما نزلت وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فرح المشركون وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية زائدة ولولا انه ابتدع ما يقوله من تلقاء نفسه لاخبره الذى بعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك الاية فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فماذا يفعل بنا فانزل الله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الايات (فمقصد الاية) بكسر الصاد اى مرادها (انك مغفورلك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان) اى حقيقة او حكما (قال بعضهم المغفرة ههنا) اى فى هذه الاية (تبرئة من العيوب) وتنزيه من الذنوب لان اصلها الستر فهو كالعصمة فى معنى الستر من الحجاب والمنع عن الوزر (واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك قبل النبوة وقاله ابن زيد) اى ابن اسلم (والحسن) اى البصرى (ومعنى قول قتادة) اى ابن دعامة (وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها) اى من الذنوب (وعصم) بصيغة المجهول فيهما (ولولا ذلك) اى ما ذكر من الحفظ والعصمة (لاثقلت ظهرك) وفى نسخة ظهره (حكى معناه السمرقندى) اى ابو الليث (وقيل المراد بذلك ما) اى الذى (اثقل ظهره من اعباء الرسالة) بفتح الهمزة اى اثقالها وتحمل احمالها وتصبر احوالها (حتى بلغها) الى اهلها (حكاه الماوردى والسلمى وقيل) اراد (حططنا) اى وضعنا اورفعنا (عنك ثقل ايام الجاهلية) اى اثقال آثامهم ومشاهدة اعلامهم المنكرة فى الشرائع الاسلامية (حكاه مكى وقيل ثقل شغل سرك) اى خاطرك (وحيرتك) اى تحيرك فى باطنك وظاهرك (وطلب شريعتك) وتفقد طريقتك (حتى شرعنا ذلك لك) بحسب حقيقة ما هنالك (حكى معناه القشيرى) اى فى تفسيره (وقيل معناه) وفى نسخة المعنى (خففنا) بالتشديد (عليك) وفى نسخة عنك (ما حملت) بضم مهملة فتشديد ميم مكسورة اى كلفت حمله (بحفظنا) اى لك (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم اوبالفتح والتشديد (استحفظت) بصيغة المجهول اى استرعيت (وحفظ عليك) اى امرك لديك (ومعنى انقض اى كاد ينقضه) اى قارب ولم ينقض فهو من باب مجاز المشارفة (فيكون المعنى) اى معنى الانقاض (على من جعل ذلك) اى عند من جعل ذلك الوزر (لما قبل النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها) اى تلك الامور

(اوزارا واثقلت عليه) ويروى وثقلت واثقلت (واشفق منها) اى خاف من غاية خشيته من الله وتصور عظمته (او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته) اى حمايته (من ذنوب لو كانت) اى فرضا وتقديرا (لانقضت ظهره) واشغلت فكره وشتت امره (او يكون) اى الوضع (من ثقل الرسالة) اى باداءتها الى الامة وخلاصه عن الكفالة (او ما ثقل عليه) اى امره (وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من الله تعالى نهى فيعد) بالنصب اى حتى يعد (مخالفته) سيئة (ولا عده الله تعالى عليه معصية) حيث اذن له بقوله فاذن لمن شئت منهم (بل لم يعده) بفتح الدال المشددة وضمها (اهل العلم معاتبة) على انه فعل خلاف الاولى كما هو ظاهر قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (وغلطوا) بتشديد اللام وبالطاء المهملة اى ونسبوا الى الغلط فى معنى الاية (من ذهب الى ذلك) اى على خلاف ما هنالك (قال نفطويه) بكسر نون وسكون فاء وفتح مهملة وواو مفتوحة وتحتية ساكنة وهاء مكسورة (وقد حاشاه الله) اى نزهه (من ذلك) العتاب (بل كان مخيرا فى امرين) كما فى الكتاب (قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه) بالبناء للفاعل او المفعول (فيه وحى) مشتمل على نهى (فكيف وقد قال الله تعالى) اى له كما فى نسخة (فاذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم) اى لبعضهم وهم المنافقون بناء على ظنه انهم مؤمنون وكان الاذن مختصا بالمؤمنين لقوله تعالى واستغفرلهم الله لان الله تعالى لم يامره بالاستغفار للمنافقين (اعلمه الله تعالى بما لم يطلع عليه من سرهم) اى باطنهم يقينا (انه لولم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج) اى لا اثم ولا تبعة (عليه فيما فعل) اى من الاذن لهم (وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط) جملة حالية (اى لم يلزمكم ذلك) من الالزام الشرعى هنالك (ونحوه عن القشيرى) فى تفسيره (قال) اى القشيرى (وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب) بطريق الحصر (من لم يعرف كلام العرب) اى مستوفيا (قال ومعنى) ويروى معناه (عفا الله عنك اى لم يلزمك ذنبا) اى وضع عنك شيأ لو لم يضعه لكان ذنبا (قال الداودى روى انها تكرمة) اى فى اول الكلام كالتقدمة ويروى انها كانت تكرمة (قال مكى هو استفتاح كلام) لمن يكون من اهل اكرام (مثل اصلحك الله واعزك الله) خطابا بالاملوك او الامراء اوسائر العظماء (وحكى السمرقندى ان معناه عافاك الله) من المعافاة وفيه نكتة خفية صوفية اى عافاك عنك وخلصك منك حتى تكون بكليتك لنا وبنا وآخذ اعنا وآمنا منا ممتعا بما تتمنى من غيران تتعنى (واما قوله فى اسارى بدر ما كان لنبى ان تكون له اسرى الاية) يعنى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم روى انه لما كان يوم بدر جيء بالاسارى فقال عليه الصلاة والسلام ما تقولون فى هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول الله قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم لضرب اعناقهم فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قال عمر فهوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرنى من اى شيء تبكى فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وانزل الله تعالى ما كان لنبى الاية وقوله اسرى جمع اسير مثل قتلى وقتيل وقوله حتى يثخن فى الارض اى يبالغ فى قتل المشركين ذكره البغوى وحاصل القضية ان الصديق كان مظهر الجمال كابراهيم وعيسى عليهما السلام فى قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم والفاروق كان مظهر الجلال كنوح وموسى عليهما السلام فى قوله ربنا اطمس على اموالهم وكان نبينا محمد عليه الصلاة والسلام مظهر الكمال الا انه يغلب عليه الجمال فلهذا مال الى قول الصديق وعلى طبقه ايضا نزل القرآن على التحقيق وفى قوله سبحانه وتعالى لولا كتاب من الله سبق ايماء الى قوله فى الحديث القدسى والكلام الانسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت والله ولى التوفيق فاذا عرفت ما تقدم (فليس فيه الزام) ويروى فليس دليل الزام (ذنب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به) من كريم الشيم (وفضل من بين سائر الانبياء) وامته من بين سائر الامم (فكانه قال) تعظيما له وامتنانا وتكريما (ما كان هذا النبى غيرك) اكمال فضلك ورفعة قدرك وطولك (كما قال عليه الصلاة والسلام احلت لى الغنائم ولم تحل لنبى قبلى) روى لم تحل بضم التاء وفتح الحاء على بناء المجهول وبفتح التاء وكسر الحاء على بناء الفاعل

والاولى لمناسبة احلت هي الاولى (فان قيل فامعنى قوله تريدون عرض الدنيا) اى تختارونه (الاية) اى والله يريد
الاخرة اى يختارها لكم والله عزيز غالب على امره حكيم فى قضائه وقدره وحكمه (قيل المعنى) بكسر النون وتشديد
الياء اى المقصود (بالخطاب) والمراد بالعتاب (من اراد) ويروى المعنى بفتح النون بالخطاب لمن اراد (ذلك منهم) اى
من الاصحاب لا لعزة قوة اهل الاسلام فى هذا الباب (وتجرد عرضه لعرض الدنيا) الذى فى صدد الزوال (وحده)
اى لا يريد غيره (والاستكثار منها) لنفسه وهم بعض ضعفاء المؤمنين ومع هذا انما كانوا ارادوا الدنيا ليستعينوا بها
على العقبى لكنه مقام ادنى بالاضافة الى تارك الدنيا كما قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك الدنيا ابر
(وليس المراد بهذا) الخطاب المشتمل على العتاب (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا علية اصحابه) بكسر العين المهملة
وسكون اللام وفتح التحتية جمع على مثل صبى وصبية اى اشرافهم ورؤساهم ومن هنا قال ابن مسعود ولم اكن اظن
احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
الاخرة ولما سمع الشبلى رحمه الله تعالى قال آه فاين من يريد الله واجيب عنه بان العبارة ان من يريد الاخرة هو من
يريد الله لقوله تعالى والله يريد الاخرة وبلسان الاشارة فكانه سبحانه وتعالى يقول ان من يريد الله فهو ليس منكم
بل منافى دنياه وعقباه ومستغرق فينا فى مقام الاحسان المعبر عنه بان تعبد الله تعالى كانك تراه مشتغلا بمولاه
معرضا عما سواه فانيا عن غيرنا باقيا بنا لا ينظر الى دنيا ولا الى اخرى وهذا معنى قول بعضهم الدنيا حرام على اهل
الآخرة والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل الله وهذا محمل قوله عليه الصلاة والسلام اكثر اهل
الجنة البله وعليون لاولى الالباب والله تعالى اعلم بالصواب (بل قد روى عن الضحاك انها نزلت حين انهزم
المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب) بفتحتين وهو ما على القتيل من السلاح والثوب (وجمع الغنائم عن
القتال) اى معرضين عنه فى ذلك الحال مخالفين لما كان عليه ارباب الكمال من عدم التفاتهم الى جمع المال
(حتى خشى عمران يعطف) بكسر الطاء اى يكر (عليهم العدو) ويغلبهم (ثم قال تعالى لولا كتاب) اى مكتوب فى اللوح
المحفوظ او حكم فى القضاء المحفوظ (من الله سبق) اى فى القدر وتحقق الامر بالاثر (واختلف) وفى نسخة فاختلف
(المفسرون فى معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق منى) اى فى الازل (انى) وفى نسخة ان (لا اعذب احدا الا بعد
النهى لعذبتكم فهذا) تعليق بالفرض والتقدير (ينفى) وفى نسخة فهذا كله ينفى (ان يكون امر الاسرى معصية) اى
فى مقام التحقيق والتقرير (وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق) اى القديم او المقدم رتبة
على غيره من الكتاب اللاحق (فاستوجبتم به الصفح) اى الاعراض والعفو عن اختياركم الاعراض (لعوقبتم على
الغنائم) اى اخذها فى جميع الاحوال او قبل الفراغ من تكميل القتال فيكون تقدير الاية بحسب الاعراب لولا
ايمان كتاب عظيم الشان سبق لكم فيما مضى من الزمان لمسكم فى المستقبل لاجل ما اخذتم من الغنائم الدنيوية
عذاب عظيم مشتمل على الاهوال الاخروية (ويزداد هذا القول تفسيرا وبيانا) اى تعبيرا وبرهانا (بان يقال لولا)
وفى نسخة لو ما وفى اخرى لولا ما (كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم) فى مستقبل الزمان
(لعوقبتم كما عوقب من تعدى) اى تجاوز عن الحد فى العصيان (وقيل) اى معنى الاية (لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ
انها) اى الغنائم (حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفى الذنب والمعصية) من غير شك وشبهة (لان من فعل ما احل له
لم يعص) فيما فعله (قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) اى خالصا (وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام
قد خير فى ذلك) اى بين القتل واخذ الفداء وانه عليه الصلاة والسلام كان من عادته ان يختار ايسر الامرين
ويستشير اصحابه فى اختيار احد الحكمين فشاور الشيخين ومال الى رأى افضلهما فى الحال واجلهما فى المقال وكان
امر الله قدرا مقدورا فى الازل لحسن الاحوال وزان الامال فى المآل (وقد روى عن على رضى الله عنه قال
جاء جبريل عليه السلام يوم بدر الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خير اصحابك فى الاسارى ان شاؤا القتل)
اى قتل الكفار فيها (وان شاؤا الفداء) فيكون (على ان يقتل منهم فى العام المقبل) اى فى السنة الاتية من غزوة
احد (مثلهم) اى فى عددهم (فقالوا) اى جمهورهم ومنهم الصديق (الفداء) بالرفع اى مختارنا او بالنصب اى
نختار الفداء (ويقتل منا) عدتهم ونكون شهداء فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى بدر قال بعض الفضلاء
هذا الحديث مشكل جدا لمخالفته ما يدل عليه ظاهر التنزيل ولما صح من الاحاديث فى امر اسارى بدر ان اخذ
الفداء كان رأيا رأوه فعوتبوا ولو كان هناك تخيير بوحى سماوى لم تتوجه المعاتبة عليهم وقد انزل الله تعالى
بالتهم ما كان لنبى ان تكون له اسرى الى قوله عذاب عظيم واجيب بانه لا منافاة بين الحديث والاية وذلك ان التخيير
فى الحديث وارد على سبيل الاختبار والامتحان ولله ان يمتحن عباده بما شاء ولعله سبحانه امتحن النبى صلى الله

تعالى عليه وسلم واصحابه بين امرين القتل والفداء وانزل جبريل عليه السلام بذلك هل هم يختارون ما فيه رضى
الله تعالى من قتل الاعداء او يؤثرون الاغراض العاجلة من قبول الفداء فلما اختاروا الثانية عوتبوا على
ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بما هنالك والاظهر فى الجواب والله اعلم بالصواب ان يقال انه عليه السلام شاور
اولا بعض اصحابه الكرام فاختاروا الفداء ووافقهم ايضا فى ذلك المرام فعوتبوا فى ذلك المقام ثم خيروا بين
احد الامرين من البلاء وهو قتل الاعداء من الاحياء او اختيار الفداء وكون سبعين منهم يصيرون شهداء فاختاروا
ما جرى به القلم ومضى به القضاء (وهذا دليل على صحة ما قلناه) اى وقوة ما قدمناه (وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه
لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين) اى فى نفس الامر وان كان هو اقواهما فى رأيه (مما كان الاصلح غيره) اى عند
غيره (من الاثخان) وهو تكثير القتل فى العدو (والقتل) كالتفسير لما قبله (فعوتبوا على ذلك) اى اختيار الاضعف
فيما هنالك حيث اخطأوا فى الاجتهاد واصاب بعضهم فى هذا الباب حين وافق رأيه فصل الخطاب كعمر بن الخطاب
(وبين لهم) بصيغة المفعول (ضعف اختيارهم) اى الاولين (وتصويب اختيار غيرهم) اى الاخرين (وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين) لكونهم مجتهدين فى امر الدين (والى نحو هذا) التأويل (اشار الطبرى وقوله عليه الصلاة والسلام)
مبتدأ فى الكلام (فى هذه القضية) وفى نسخة فى هذه القصة (لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر) اى ومن تبعه
فى هذا الامر المقرر (اشارة الى هذا) هذا هو الخبر وفى نسخة اشار الى هذا (من تصويب رأيه) اى رأى عمر (ورأى من
اخذ بمأخذه فى اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه) اى افنائهم واهلاكهم من اصله وذلك لما ورد فى حقه من دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اعز الاسلام بعمر كما ورد فى بعض الخبر (وان هذه القضية لو استوجبت عذابا) اى بالفرض
والتقدير (نجا منه عمر ومثله) اى ومن قال بمثل قوله (وعين عمر) فى الخبر (لانه اول من اشار بقتلهم) وتبعه بعض
الصحابة فى الاثر (ولكن الله تعالى لم يقدر عليهم فى ذلك عذابا) اى نارا لا يتحقق (لحله لهم فيما سبق وقال الداودى والخبر
بهذا) اى التخيير (لا يثبت) الاولى لم يثبت (ولو ثبت) اى فرضا (لما جاز ان يظن) بصيغة المجهول اى يظن احد
(ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله تعالى
عن ذلك) وكانه خالف جمهور العلماء الاعلام فيما قرروا ان له عليه الصلاة والسلام ان يجتهد فى الاحكام بل وقد فوض
اليه كثير من احكام الاسلام او المعنى انه عليه الصلاة والسلام ما جعل له فعل ذلك من تلقاء نفسه مستبدا برأيه
من غير تأويل فى امره (وقال القاضى بكر بن العلاء) اى المالكى (اخبر الله تعالى نبيه فى هذه الاية ان تاويله) اى
ما اختاره من الاشياء (وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان) اى وقع (قبل هذا فادوا) فعل ماض من
المفاداة اى فدى بعض اصحابه (فى سرية عبد الله بن جحش التى قتل فيها ابن الحضرمى) اخوه العلاء من اكابر الصحابة
(بالحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية فهملة مولى هشام بن المغيرة المخزومى (وصاحبه) وهو عثمان
ابن عبد الله اسر ومات كافرا (فما عتب الله تعالى ذلك عليهم) اعلم ان عبد الله بن جحش بفتح الجيم وسكون الحاء المهملة
فشين معجمة هو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عليه الصلاة والسلام فى جمادى الاخرة فى السنة الثانية
من الهجرة قبل بدر بشهر ليترصد عير قريش وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانصار احد وهم
سعد بن ابى وقاص وعكاشة بن محصن وعتبة بن غزوان وابو حذيفة ابن عتبة وسهيل بن بيضاء وعامر بن ربيعة
وواقد بن عبد الله وخالد بن بكير وقيل ان هذه السرية كانت اكثر من ذلك قال ابن سعد بعث عبد الله بن جحش فى اثنى
عشر رجلا من المهاجرين انتهى وفى هذه السرية سمى عبد الله بن جحش امير المؤمنين فساروا على بركة الله حتى نزلوا ابطن
نخلة بين مكة والطائف فمرت عير لقريش تحمل تجارة من الطائف فيها عمرو بن عبد الله الحضرمى والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله فرمى واقد بن عبد الله عمرا ابن الحضرمى فقتله فكان اول قتيل من المشركين
واستأسر والحكم وعثمان وكانا اول اسيرين فى الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم فاستاقوا العير والاسيرين حتى قدموا
على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاسلم الحكم بن كيسان واقام بالمدينة وحسن اسلامه فقتل يوم بئر معونة
وصاحبه عثمان بن عبد الله رجع الى مكة ومات بها كافرا كذا ذكره التلمسانى وليس فيه ما يدل على فداء على انه لو ثبت
فهذا فداء كافر بمسلم وما نحن فيه فداء كافر بمال فلا يستويان فى مآل ثم رأيته ذكر فى محل آخر ان الحكم بن كيسان
كان ممن اسر فى سرية عبد الله بن جحش حين قتل واقد التميمى عمرا ابن الحضرمى اسره المقداد قال فاراد اميرنا ضرب
عنقه فقلت له دعه نقدم به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمنا به على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فاسلم وحسن اسلامه انتهى وهذا كما ترى ليس فيه ذكر فداء لا بمال ولا بغيره وانما هو تأخير امره الى حكم رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فى حقه وقد صرح الحجازى بان الباء فى بالحكم تتعلق بفادوا لا بقتل فان الحكم اسلم وصاحبه

لحق بمكة ومات بها كافرا والله سبحانه وتعالى اعلم (وذلك قبل بدر بازيد من عام) بل كانا فى سنة واحدة فان تلك فى رجب فى السنة الثانية وبدر فى رمضان فيكون قبل بدر بشهر (فهذا كله يدل على ان فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى شان الاسرى كان على تأويل وبصيرة) اى اجتهاد صادر عن فكرة (وعلى ما تقدم قبل) مبنى على الضم وقوله (مثله) مرفوع فاعل تقدم (فلم ينكره الله عليهم لكن الله اراد لعظم امر بدر) ويروى لعظيم امر بدر (وكثرة اسراها) اى اسارها (والله تعالى اعلم) جملة معترضة بين الفعل ومفعوله اعنى (اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم) ويروى بتعريف (ما كتب فى اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب) فضلا عن طريق عقاب (وانكار وتذنيب) اى نسبة الى ذنب (هذا معنى كلامه) اى كلام بكر بن العلاء وتمام مرامه (واما قوله تعالى عبس) اى بوجهه (وتولى) اعرض بجنده (الايات) كما قدمناها (فليس فيه اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام) اى يستحق به الملام (بل اعلام الله تعالى) اى له فى ذلك المقام (ان ذلك المتصدى له) بصيغة المجهول اى المتعرض له بالتوجه والاقبال (ممن لا يتزكى) اى لا يتطهر من الشرك فى الاستقبال وان الاشتغال به من جملة تضييع الاحوال وهذا معنى قوله وما يدريك لعله يزكى اى الاعمى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى اى تتعرض وما عليك الا يزكى اى ان لم يؤمن فما عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى وهو يخشى اى الله تعالى فانت عنه تلهى اى تتلهى وتتشاغل عنه وتعرض عن التوجه اليه والاقبال عليه (وان الصواب) فى هذا الباب (والاولى) بالنسبة الى حاله الاعلى (كان لو كشف) وفى نسخة ما لو كشف اى بين وظهر (لك) وفى نسخة له (حال الرجلين) من الاعمى فى الظواهر والبصير فى السرائر ومن عكسه وهو البصير صورة والاعمى سيرة بل هو الاعمى حقيقة فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومنه قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقوله وما يستوى الاعمى والبصير (لاختار الاقبال على الاعمى) والاعراض عن الآخر من اهل الدنيا الا انه عليه الصلاة والسلام لحرصه على ايمان الانام ادى اجتهاده الى ان التفاته اليه يكون سببا لايمانه بما انزل عليه (وفعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما فعل) اى هنالك (وتصديه) اى تعرضه واقباله (لذلك الكافر) لكونه من الاكابر وايمانه باعث لقومه من الاصاغر (كان طاعة لله تعالى وتبليغا عنه) فى مقام رضاه (واستئلافا له) اى طلب الفة حين آواه (كما شرعه الله تعالى له) فيما قضاه (لا معصية ولا مخالفة له) فى مؤداه (وما قصه الله تعالى عليه) اى حكاه (من ذلك اعلام بحال الرجلين) اى المؤمن والكافر او الصالح والفاجر او الفقير الصابر والغنى المكابر مثلا (وتوهين الكافر) اى جنسه وفى نسخة امر الكافر (والاشارة) الاولى واشارة (الى الاعراض عنه بقوله وما عليك) اى ضرر ووبال (الا يزكى) بعد ما بلغت الرسالة واديت الامانة ونصحت وبلغت النصيحة بقدر الطاقة (وقيل اراد) ويروى المراد (بعبس وتولى) اى بضميره (الكافر الذى كان مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قاله ابو تمام) بتشديد الميم الاولى هو على بن محمد بن احمد البصرى من اصحاب الابهرى وكان حسن الكلام قيل ان اباه كان نصرانيا له كتاب الحماسة ومجموع عمله فحول الشعراء نشأ بمصر وقيل انه كان يسقى الماء بالجرة فى جامع مصر توفى بالموصل سنة احدى وثلاثين ومائتين وهذا التأويل مخالف لظاهر التنزيل بل كاد فى مقام النزاع ان يكون مخالفا للاجماع قال ابو محمد ابن عبد السلام فى تفسيره الصغير الاعمى عبد الله ابن ام مكتوم وكان ضريرا اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستقرئه ويقول علمنى مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء وهو لا يعلم تشاغله عنه فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه فعبس واقبل على العباس وامية ورجاء ان يسلما وفى تفسير البغوى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية فعلى هذا يكون ال فى الكافر للجنس روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول هل لك من حاجة (واما قصة آدم عليه الصلاة والسلام) فى متفرقات الكلام (وقوله تعالى فأكلا) اى آدم وحواء (منها) اى الشجرة المنهية (بعد قوله) لهما (ولا تقربا هذه الشجرة) اى جنسها او عينها (فتكونا من الظالمين) اى العاصين فيكون النهى للتحريم او من الواضعين للاشياء فى غير موضعها على ان يكون النهى للتنزيه (وقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة) وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله من كل لون وطعم وقيل غير ذلك (وتصريحه تعالى عليه) اصالة وعلى حواء تبعية (بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه فغوى اى جهل) مقامه وضل مرامه (وقيل اخطأ) فى اجتهاده حيث ظن ان الاشارة الى الشجرة بعينها والحال ان النهى كان متوجها الى جنسها او عرف اولا ان المراد جنسها فنسى فحملها على خصوصها وانما اولنا هذه التأويلات كلها (فان الله تعالى قد اخبر) وفى نسخة قد اخبرنا (بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم) اى امرنا وعهدنا (من قبل) اى قبل

خروجه من الجنة او قبل ظهور الذرية (فنسى) امرنا بالكلية او محل نهينا فى الجملة (ولم نجد له عزما) على المخالفة او لم نجد له عزيمة جزما على الموافقة فانه لما اشتبه عليه الحال من ان النهى عن عين تلك الشجرة او جنسها كانت العزيمة ان يجتنبها بالكلية وان يعمل بالرخصة فى القضية ولذا قيل ان آدم عليه السلام لم يكن من اولى العزم فقد قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وكذا يونس عليه السلام فقد قال عز وجل فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (قال ابن زيد) اى ابن اسلم وقد تقدم (نسى عداوة ابليس له) هنالك (وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الاية) اى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اى فتتعب انت بالاصالة وزوجك بالتبعية (وقيل نسى ذلك بما اظهر لهما) من النصيحة اى الشيطان على وجه الخديعة وحلفه فى القضية (وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه) بصيغة المجهول (فنسى) وفيه اشكال لان الظاهر ان حروف اصول الانسان انس كما يدل عليه قوله تعالى يا معشر الجن والانس وقال فى القاموس الانس البشر كالانسان والواحد انسى جمعه اناسى وقرأ يحيى ابن الحارث واناسى كثيرا فهم ومهموز الفاء واما النسيان فمادته ناقصة يائى معتل اللام فاختلفا مادة اللهم الا ان يقال اصل الانسان انسيان فنقلت حركة الياء الى ما قبلها بعد سلب حركته فحذفت تخفيفا لكثرة استعماله فصح ما يقال اول الناس اول الناس والله اعلم (وقيل لم يقصدا) اى آدم وحواء (المخالفة استحلالا لها) اى جعلها حلالا فانه لا يصح عنهما اجماعا (ولكنهما) باشرا مكروها الا على قصد مخالفتهما امر ربهما بل بسبب انهما (اغترا بحلف ابليس لهما انى لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا) اى كاذبا كذبا يوجب الحنث اى الاثم (وقد روى عذر آدم بمثل هذا) الاغترار (فى بعض الاثار) ولا شك ان هذا نوع من الاعذار (وقال ابن جبير) وهو سعيد من اجلاء التابعين (حلف بالله تعالى لهما) اى متكررا (حتى غرهما والمؤمن يخدع) وفى الحديث المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم رواه ابو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة (وقد قيل) يروى وقال اى ابن جبير (نسى ولم ينو المخالفة) وهذا ظاهر (فلذلك قال) اى الله سبحانه وتعالى (ولم نجد له عزما) اى قصد المخالفة واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم) اى الاحتياط فى الامر (والصبر) اى عن المخالفة بالتحمل على مرارة الموافقة (وقيل كان) اى آدم (عند اكله سكران) اى من حب المولى كما قيل فى آية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى من حب الدنيا او من خمر الجنة (وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر) وروى انه لا يسكر لان الخمر قد تذكر ويمكن ان يقال لعلها كانت تسكر ثم سلب الله تعالى سكرها ويناسبه انها كانت حلالا فى الدنيا اولا وصارت حراما آخرا والله سبحانه وتعالى وصف خمر الجنة بما يكون نعتها بعد القيامة ويؤيده ان الجنة لا يكون فيها التكليف آخرا وقد صح تكليفهما فيها اولا (واذ) وفى نسخة فاذ (كان) اى اكله (ناسيا لم يكن معصية وكذلك اذا كان ملبسا) بتشديد الموحدة المفتوحة اى مخلطا (عليه غالطا) اى مخطئا (اذ الاتفاق على خروج الناسى والساهى من حكم التكليف) وفيه ان الله سبحانه وتعالى قد صرح بعصيانه فينبغى ان يقال النسيان او الخطأ لم يكن معفوا حينئذ كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه رواه الطبرى عن ثوبان (وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة) بل وهو الظاهر من سياق القضية لقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى الاية (ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه) اى بالنبوة (فتاب عليه) اى فوفقه للتوبة والثبات على الطاعة او فرجع عليه بقبول التوبة ونزول الرحمة (وهدى) به الامة (فذكر) اى الله سبحانه وتعالى (ان الاجتباء والهدى) وفى نسخة الهداية (كانا) وفى نسخة كان اى كل واحد منهما (بعد العصيان) بدلالة الفاء التعقيبية (وقيل بل اكلها متأولا) لان المنهى عنه لم يكن مصرحا (وهو لا يعلم انها) اى الشجرة التى أكل منها هى (الشجرة التى نهى عنها لانه تأول) اى حمل (نهى الله تعالى على شجرة مخصوصة) اى عليها بعينها (لا على الجنس) الشامل لها ولغيرها فاكل مما عداها (ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ) وهو التحرز ورعاية الاحوط فى باب الموافقة (لا من المخالفة) اى الصريحة فى الواقعة (وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم) ولم يعلم ان الاصل فى النهى ان يكون للتحريم والحاصل انه حمل النهى على التنزيه الذى يوجب للمكلف نوعا من التخيير وان كان الاولى هو الانتهاء لا سيما بالنسبة الى الانبياء والاصفياء (فان قيل فعلى كل حال) اى تقدير وتأويل (فقد قال الله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) فاثبت له العصيان والغواية (وقال فتاب عليه) والتوبة لم تكن الا عن المخالفة (وقوله فى حديث الشفاعة ويذكر ذنبه) حين يخاف ربه قائلا (وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت) اعترافا بذنبه وتواضعا لربه (فسيأتى الجواب عنه وعن اشباهه) مما وقع لغير آدم من اخوانه وامثاله (مجملا) شاملا له ولغيره (آخر الفصل) يعنى فى الفصل الذى يلى آخر هذا الفصل (ان شاء الله تعالى واما قصة

يونس عليه السلام) وقد تقدم انه بضم الياء والنون اشهر لغاته من تثليث النون مع الهمز وعدمه (فقد مضى الكلام على بعضها آنفا) بمد الهمزة وقصرها وقد قرئ بهما فى السبعة اى قريبا (وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيها ابق) اى من مولاه او من امته لشكواه او من تحمل اعباء النبوة ومقتضاه (وذهب مغاضبا) اى على امته او على نفسه وحالته من ضيق قلبه وقلة صبره (وقد تكلمنا عليه) بحسب ما ظهر لنا من امره (وقيل انما نقم الله) بفتح القاف وبكسر اى انكر (عليه) اى عاب او كره (خروجه عن قومه) من غير اذن ربه (فارا من نزول العذاب) اى لئلا يشاهد حلول العقاب وحصول الحجاب (وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم) برفعه لاسلامهم بعد خروجه ووصول خبرهم اليه (قال والله لا القاهم بوجه كذاب) اى صورة (ابدا) حياء من الخلق بمقتضى العادة البشرية وهو بالوصف او الاضافة (وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك) وفيه ان اخباره بالعذاب كان مبنيا على اصرارهم بالكفر الموجب للعقاب واذا لم يقتلوه وهم مشركون كيف يتصوران يقصدوا قتله وهم مؤمنون (وقيل ضعف عن حمل اعباء الرسالة) اى اثقالها وشدائدها والمها ومكابدة احوالها (وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم) بفتح اوله اى بل صدق لهم وقد شاهد واصدق كلامه بآثار العذاب ومقدمة العقاب فآمنوا فارتفع الحجاب كما اخبر الله تعالى عنه بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى (وهذا) اى الذى ذكرنا (كله) على وجه قررنا (ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه) لطائفة (وقوله ابق الى الفلك المشحون) اى المملوء (قال المفسرون تباعد) اى عن قومه تباعد المملوك عن مالكه حيث امره الله تعالى بكونه عندهم وفق امره وبهذا التقرير لا يضر لو قيل ابق من ربه وسيده لتخلفه عن حكمه بتباعده وفى ابق ايماء الى بقائه على عبوديته وتحت قضائه وربوبيته (واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشئ فى غير موضعه) حتى قيل لمن وضع حب غير ربه فى صدره وقلبه هو ظالم لنفسه ومنه قول العارف ابن الفارض

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

بل عد الصوفية السنية الغفلة عن الله تعالى وارادة ما سواه ظلما بل كفرا وشركا وقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال العارف ايضا

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى

(فهذا اعتراف منه) اى من يونس عليه السلام (عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون) فعله ذنبا (لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله) بصيغة المجهول اى كلفه (او لدعائه بالعذاب على قومه) بعد يأسه من ايمان قومه (وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يؤاخذ) بذنبه اذ لا يجب على الله تعالى شئ من عفو او عقوبة وسائر حكمه ويحتمل ان دعاء نوح عليه السلام كان عن اذن من ربه بخلاف يونس عليه السلام فى حق قومه وهو الظاهر لعلمه سبحانه وتعالى بايمان قومه فى آخر امره (وقال الواسطى) من اكابر الصوفية المتقدمين (فى معناه) اى معنى قوله سبحانك انى كنت من الظالمين (نزه ربه عن الظلم) اذ لا يتصور منه (واضاف الظلم الى نفسه اعترافا) بقصوره (واستحقاقا) لعفوه (ومثل هذا قول آدم وحواء) بالمد فعلاء من الحياة وهى ام بنى آدم وسماها آدم حواء حين خلقت من ضلعه فقيل له من هذه فقال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم ذلك قال لانها خلقت من حى (ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب فى وضعهما) اى فى وضعه سبحانه وتعالى اياهما (فى غير الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما) اى وكانا السبب فى اخراجهما (من الجنة وانزالهما الى الارض) وهى مكان المحنة والمشقة ودار الكلفة (واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت) الاولى فيجب ان لا يلتفت (الى ما سطره) بتشديد الطاء وتخففه اى كتبه (فيها) اى القصة وفى نسخة فيه اى فى الامر (الاخباريون) بفتح الهمزة اى الناقلون (عن اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى (الذين بدلوا) اى الفاظ التوراة ومبناها (وغيروا) معناها ومقتضاها (ونقله) عنهم (بعض المفسرين) اعتمادا على اخبارهم عن احبارهم وقد وردان من العلم جهلا (ولم ينص الله على شئ من ذلك ولا ورد فى حديث صحيح) موافق لما هنالك (والذى نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه) اى ابتليناه وامتحناه (فاستغفر ربه) اى طلب غفران مولاه فى دنياه واخراه (الى قوله وحسن مآب) يعنى وخر راكعا اى وسقط للسجود بالخضوع والخشوع حال انتقاله من الركوع واناب اى رجع من الغفلة الى الحضرة فان الانابة اخص من التوبة فهى الرجوع من المعصية الى الطاعة فغفرنا له ذلك اى ان كان له ذنب هنالك وان له عندنا لزلفى اى لقربى وحسن مآب مرجع الى الجناب (وقوله فيه) اى فى حقه واذكر عبدنا داود ذا الايد اى صاحب القوة فى الطاعة (انه اواب) كثير الاوبة وهى الرجعة حتى عن الخطرة

(فهى

(فهى فتناه اختبرناه) اى امتحناه (واواب قال قتادة مطيع) اى فى كل باب (وهذا التفسير اولى) فى حق اولى الالباب (قال ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم) لعل تقديم ابن عباس لكونه من ذوى القربى والا فابن مسعود افقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بل ابن عباس اخذ عنه التفسير والحديث والقرآءة (ما زاد داود) اى ان صح عنه (على ان قال للرجل) من امته تلويحا او تصريحا (انزل لى عن امرأتك) اى طلقها لانى اريد ان اتزوجها او اكد الامر بقوله (واكفلنيها) اى اعطنيها او حقيقته ضمها الى واجعل كفالتها لدى ومؤونتها على وكان اهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وكان ذلك مباحا لهم غير ان الله تعالى لم يرض له بما هنالك (فعاتبه الله تعالى على ذلك ونبهه عليه) كما فى الآية (وانكر عليه شغله بالدنيا) وقلة رغبته فى الاخرى وازدياد النساء وقد اغناه الله تعالى عنها بما اعطاه من غيرها على ان مثل هذا الاستدعاء ليس محظورا فى مذاهب سائر الانبياء كطلب سائر المماليك وباقى الاشياء غير انه لا يستحسن عرفا بين الاحياء (وهذا) التأويل (الذى ينبغى ان يعول عليه من امره) اى يعتمد عليه لجلالة قدره (وقيل خطبها على خطبته) بكسر اوله اى قبل زواجه وهو مكروه فى ملتنا اذا وقع التراضى فى قضيته قال التلمسانى روى انه كان خطبها اوريا ثم خطبها داود عليه السلام فآثره اهلها فكان ذنبه ان خطبها على خطبة اخيه المؤمن مع كثرة نسائه اى بالشرط الذى قدمناه وهو غير معلوم مما نقلناه (وقيل بل احب بقلبه) وهذا مما لا يعرفه غير ربه (ان يستشهد) اى اوريا ليأخذ امرأته بعده ولعله كان خطرة من غير اصرار عليه والحاصل انه لا ينبغى ان يلتفت الى ما نقله اهل القصص من ان داود تمنى منزلة ابيه ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم السلام فقال يارب ان آبائى قد ذهبوا بالخير كله فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا بالبلاء فصبروا عليه قد ابتلى ابراهيم بنمرود واسحق بذبحه ويعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره فسأل الابتلاء فاوحى الله تعالى اليه انك لتبتلى فى يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فوقفت فى كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على يديه او يستشهد فبعثه وقدمه فسلم وامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل فتزوج امرأته وهى ام سليمان فهذا ونحوه مما يقبح ان يتحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من المسلمين فضلا عن بعض اعلام الانبياء والمرسلين فعن على كرم الله وجهه من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على النبيين (وحكى السمرقندى) وهو الفقيه ابو الليث الحنفى رحمه الله (ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه) بتشديد لامه اى نسبه الى ظلمه (بقول خصمه) اى من غير ان يقر المدعى عليه بذنبه وهذا غير مستفاد من التنزيل لانه ليس فيه دليل على اثباته ولا على نفيه مع انه يحتمل ان لا يكون هذا حكما بان قاله افتاء على تقدير سؤاله وقبول خصمه لقوله (وقيل بل لما خشى على نفسه من الغفلة) (وظن من الفتنة) اى من جملة الابتلاء بالمحنة (لما بسط له) اى وسع عليه (من الملك) وهو كمال الجاه الصورى (والدنيا) اى كثرة المال المحتاج اليه فى الحال الضرورى كذا فى بعض النسخ قوله وقيل الى هنا وسيأتى ما فى بعض آخر مؤخرا (والى نفى ما اضيف فى الاخبار) اى عن الاحبار (الى داود) اى ما نسب اليه من ذلك (ذهب) قدم عليه الجار والمجرور المتعلق به لافادة الحصر فيما ذهب اليه (احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين) وذلك لانهم الكفرة الفجرة وقد غيروا اخبار البررة قال عليه الصلاة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وهذا اذا لم يكن منافيا لقواعد ملتنا وقوانين شريعتنا والا فلا شك انا نكذبهم فى اخبارهم عن رهبانهم واحبارهم وعن كتبهم واسرارهم (وقال الداودى ليس فى قصة داود واورياء) بفتح الهمزة وقد يضم وبسكون الواو وكسر الراء فتحتية فالف ممدودة (خبر يثبت) اى بشروطه المعتبرة عند ارباب الاثر (ولا يظن) بصيغة المجهول اى ولا ينبغى ان يظن (بنبى محبة قتل مسلم) لحصول امر دنى ثم الخصمان قيل جبريل وميكائيل عليهما السلام وقال تسوروا بصيغة الجمع اما بناء على اطلاقه على ما فوق الواحد او تعظيما لهما او لاجلهما ومن معهما من الملائكة قال التلمسانى او حملا على لفظ الخصم اذ كان كلفظ الجمع ومشابها مثل الركب والصحب وفيه انه لو كان حملا على لفظه لافرد ضميره كالفوج والقوم على ما حقق فى قوله تعالى كالذى خاضوا وقوله هذان خصمان اختصموا اى فوجان وقد جمع اختصموا بناء على افراد الفوجين (وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه) اى الى داود (رجلان) اى لا ملكان وهو مرفوع على خبران على ما هو ظاهر وفى حاشية التلمسانى قيل صوابه رجلين نصبا ووجه الالف اما على لغة بنى

الحارث فالالف فى الجر والنصب كالف المقصور او خبر لمحذوف اى هما رجلان وهو بعيد انتهى وخطاؤه لا يخفى
(فى نعاج) وفى نسخة فى نتاج (غنم) متعلق باختصما (على ظاهر الاية) فيكون الاختصام تحقيقيا اى لا تمثيليا
وتصويريا لكن يستفاد من الحقيقة ايضا بطريق الاشارة ما يراد به من مجاز الطريقة (وقيل) اى علة ذنبه الذى
استغفر منه (لما خشى على نفسه وظن) فى باطنه (من الفتنة) اى البلية والمحنة (بما بسط له) اى وسع له (من الملك
والدنيا) واى فتنة اعظم من الدنيا ولا عصمة المولى مع انها سبب لنقصان الدرجة فى الاخرى (واما قصة يوسف عليه
السلام) وهو بضم الياء والسين اشهر لغاته من تثليث السين مع الهمز وعدمه (واخوته فليس على يوسف فيها) اى فى
قصتهم وفى نسخة منها اى من جهتهم (تعقب) بتشديد القاف اى اعتراض او تعتب كما فى نسخة اى مطالبة عتاب
وملامة (واما اخوته فلم تثبت نبوتهم) اى عند بعض العلماء فلا اشكال فى احوالهم (فيلزم) بالنصب اى حتى يلزمنا
(الكلام على افعالهم) وتأولها على تحسين آمالهم (وذكر الاسباط وعدهم فى القرآن عند ذكر الانبياء ليس صريحا
فى كونهم من اهل الانبياء) حيث قال تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وهو جمع سبط بالكسر اولاد يعقوب واحفاد اسمعيل واسحق وسموا بذلك لانه ولد لكل واحد منهم
جماعة وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين رضى الله عنهما سبطا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والسبط فى بنى اسرائيل كالقبيلة فى العرب والشعوب من العجم ومنه قوله تعالى وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطا
امما وهم اخوة يوسف كلهم بحسب ظاهره ويشير اليه رؤيا يوسف اياهم على هيئة الكواكب ايماء الى ان مراتبهم
فى المناقب دون مرتبة الرسالة التى كانت لابيهم يعقوب على انه يحتمل ان يكون تصويرا الكواكب اشعارا بنور
الايمان وظهور المناقب (قال المفسرون) اى بعضهم (يريد من نبى من ابناء الاسباط) قال البغوى وكان فى الاسباط
انبياء ولذلك قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه فصاروا كلهم انبياء والله سبحانه وتعالى اعلم
(وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف) اى لم يعرفوه فى مصر (حين
اجتمعوا عليه) وفى نسخة به (ولهذا) اى ولكونهم صغارا ايضا (قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب) على قراءة النون
والظاهر انها محمولة على التغليب لقراءة يرتع ويلعب بصيغة الغيبة والرتع الاكل رغدا ثم كون كلهم صغارا فى غاية
البعد عقلا ونقلا على ان لعب الكبار لا يستبعد شرعا وعرفا (وان ثبتت) يروى فان ثبتت (لهم نبوة فبعد هذا) الامر
والقصة وهذا مما لا شك فيه انه قبل البعثة وانما الاشكال فيما وقع لهم من العقوق وقطع الرحم والكذب وبيع الحر
وهذه الامور كلها كبائر لا يستقيم الا عند من يجوز ارتكابها على الانبياء قبل البعثة والمحققون على خلاف هذه
القصة (واما قول الله تعالى فيه) اى فى حق يوسف عليه السلام (ولقد همت به) اى هم شهوة ومراودة (وهم بها)
اى هم مصيبة ومكابدة والباء للسببية فيهما او هم فكرة وخطرة شفقة عليها او حسرة على قبيح همها الدنى او ارادتها عدم
حفظ الغيب المفوض اليها ويكون بين همت وهم صنعة المجانسة او طريقة المشاكلة (لولا ان رأى برهان ربه) اى
لولا النبوة ولوازمها من العصمة لهم هم الشهوة لكن النبوة موجودة فلم يهم هم المعصية وحذف هم فى جواب
لولا لدلالة همت عليه من قبلها (فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس) اى خواطرها (لا يؤاخذ به)
اى وان صمم عليه (وليست بسيئة) الا صورة (لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه) اى حاكيا عنه فى الحديث
القدسى والكلام الانسى (اذا هم عبدى بسيئة فلم يعملها) اى وتركها خوفا منى فلم يثبت عليها ظاهرا وباطنا
من اجلى (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ويجوز ان يكون بصيغة الفاعل والمعنى امرت بان يكتب له حسنة
(فلا معصية فى همه اذا) اى حينئذ (واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت) بضم الواو
وتشديد الطاء المكسورة اى اذا استقرت (عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها
فهو المعفو عنه وهذا) القول الثانى (هو الحق) اى الصواب جملة معترضة بين اما وجوابها (فيكون ان شاء الله
هم يوسف عليه السلام) اى ان كان هم الشهوة (من هذا القبيل) كما هو اللائق بالانبياء من حسن الظن فى احوالهم
(ويكون قوله وما ابرئ نفسى) اى من التقصير والزلة ولا ازكيها بكمال النظافة والطهارة (الاية) اى ان النفس
لامارة بالسوء اى لكثيرة الامر بما يسوء الانسان فى جميع الازمان الا ما رحم ربى اى من رحمة ربى او وقت رحمة ربى
فانه يعصم من خطراتها ووساوسها او تكدراتها وهواجسها ان ربى لغفور لمن فرط فى خدمته من عباده رحيم بمن احسن
فى طاعته من عباده (اى ما ابرئها من هذا الهم) الموروث للغم (او) وفى نسخة و (يكون ذلك) القول (منه على طريق
التواضع) فى ساحة الربوبية (والاعتراف بمخالفة النفس) فى زاوية العبودية (لما) وفى نسخة بما (زكى قبل وبرئ)
بصيغة المجهول فيهما اى لما زكته السنة وبرأته قبل ذلك وشهدت له بالعصمة هنالك (فكيف) اى لا يأول على طريق

يقول (وقد حكى ابو حاتم) اى الرازى السجستانى الحنظلى وهو الامام الحافظ الكبير احد الاعلام ولد سنة تسع
وخمسين ومائة ومات بالبصرة وسمع محمد بن عبد الله الانصارى والاصمعى وابا نعيم وغيرهم وحدث عنه يونس
ابن عبد الاعلى وابو داود والنسائى وجماعة قال الدارقطنى ثقة واما ابنه عبد الرحمن فله تفسير جليل وله حال جليل
(عن ابى عبيدة رحمه الله) وهو معمر بن المثنى (ان يوسف لم يهم) اى اصلا وهو بضم الهاء والميم ويفتح ويكسر
(وان الكلام فيه تقديم وتأخير اى ولقد همت به) اى وتم الكلام به (ولولا ان راى برهان ربه لهم بها) وانما قال
بالتقديم والتأخير لان جواب لولا لم يتقدم عليها فى الاصح (وقد قال الله تعالى عن المرأة) وهى زليخا او راعيل (ولقد
راودته عن نفسه) اى طالبته ان يجامعها وقصدت منه ان يواقعها (فاستعصم) اى امتنع وتعصم ولم يقع منه ميل
ولا هم (وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء) اى الصغيرة وهى نحو الهم (والفحشاء) اى الكبيرة وهى الزنى (وقال
وغلقت الابواب) اهتماما للاسباب ومبالغة فى الستر والحجاب (وقالت هيت لك) فيه قرآات مشهورة ومعانى
مذكورة فى كتب مسطورة وحاصلها هلم الى ما ادعوك اليه (قال معاذ الله) اى اعوذ بالله معاذا (انه) اى الله
(ربى) او العزيز مربى وسيدى (احسن مثواى) اى منزلى ومأواى (قيل ربى) وفى نسخة فى ربى اى فى معناه (الله)
اى وهو المراد به (وقيل الملك) صوابه العزيز او زيره الملك (وقيل هم بها اى بزجرها) اى طردها او ضربها
(ووعظها) اى نصحها ومن جملة نصيحتها انها فى اثناء مراودتها قامت وسترت على وجه صنم لها فقال لها اذا كنت
تستحيين مما لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا نفع ولا ضر فكيف لا استحيى من ربى المطلع على جميع امرى (وقيل هم بها)
باؤه للتعدية او مزيدة وفاعله محذوف (اى غمها امتناعه عنها وقيل هم بها اى نظر اليها) نظر غضب او ادب (وقيل
هم بضربها ودفعها) عن نفسه وكفى شرها وهذا كالتكرار لما تقدم والله تعالى اعلم (وقيل هذا كله كان قبل نبوته)
اى قبل رسالته اذ المشهور انه نبئ وهو فى الجب كما يشير اليه قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ولا يبعد ان الوحى هنا يكون بمعنى الالهام (وقد ذكر بعضهم
ما زال النساء يملن) بفتح الياء وكسر الميم (الى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغل من
هيبته كل من رآه عن حسنه) اى صورته (واما خبر موسى عليه الصلاة والسلام مع قتيله الذى وكزه) اى ضربه بجمعه
فقتله (فقد نص الله تعالى انه) وفى نسخة على انه (من عدوه قال) اى اراد ويروى قيل وهى رواية حسنة (كان من
القبط) بكسر القاف امة من اهل مصر (الذين) وفى نسخة الذى اى القوم الذى (كانوا على دين فرعون) وهو الوليد
ابن مصعب وفرعون لقب لكل ملك مصر كقيصر للروم وكسرى للفرس والنجاشى للحبشة وتبع لليمن وخاقان للترك
قيل وكان طباخا لفرعون وقد اراد ان يحمل السبطى الحطب الى مطبخه (ودليل السورة) اى دلالتها (فى هذا كله
انه قبل نبوة موسى) لانه خرج بعد قتله واجتمع بشعيب وتزوج بنته وكان عنده عشر سنين او اكثر ثم نبئ وارسل الى
فرعون بدعوة الرسالة (وقال قتادة وكزه بالعصا) اى لا بالة من السلاح (ولم يتعمد قتله) بل اراد دفعه عن الظلم ورده
الى الصلاح فكان قتله على وجه الخطأ (فعلى هذا لا معصية فى ذلك) مع ان القتيل كان كافرا امثالك الا انه عليه
الصلاة والسلام لم يؤمر بقتل من لم يكن من اهل الاسلام ولهذا ندم على فعله (وقوله هذا من عمل الشيطان) محمول
عليه اى انه من عمل يحبه الشيطان ولا يبعد ان تكون الاشارة لما جرى بين السبطى والقبطى وما ادى الى معاونته
عليه الصلاة والسلام لمحبه على عدوه (وقوله ظلمت نفسى) حيث ضربته من غير ان اكون مأمورا به (فاغفر لى)
ما صدر عنى فى الحديث اللهم اغفر لى ذنبى وخطاى وعمدى وكل ذلك عندى (قال ابن جريج) بجيمين مصغرا القرشى
مولاهم المكى الفقيه احد الاعلام يروى عن مجاهد وابن ابى مليكة وعطاء وعنه القطان وغيره قال ابن عيينة سمعته
يقول ما دون العلم تدوينى احد اخرج له الائمة الستة (قال) اى موسى (ذلك) الكلام (من اجل انه لا ينبغى لنبى ان
يقتل) احدا (حتى يؤمر) بقتله ولما ادى ضربه الى قتله استغفر ربه فى تقصير امره (وقال النقاش) اى الموصلى (لم يقتله
عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه) عن اهل وده (قال) اى النقاش (وقد قيل ان هذا) اى القتل
مع انه كان خطأ كان (قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة) لقوله تعالى فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم
الظالمين ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة الى آخر القصة فان النبوة كانت له بعدها بمدة طويلة (وقوله تعالى فى
قصته) وفى نسخة فى قصته اى حال رفع غصته (وفتناك فتونا اى ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء) اى امتحناك فتونا (قيل
اريد ابتلاؤه (فى هذه القصة وما جرى له مع فرعون) حيث ائتمر قومه فى قتله (وقيل القاؤه فى التابوت) اولا (واليم)
اى البحر ثانيا ووقوعه فى يد فرعون ثالثا (وغير ذلك) مما ابتلى هنالك (وقيل معناه اخلصناك اخلاصا) لان ابتلاءه
انما هو للتهذيب لا للتعذيب (قاله ابن جبير) وهو سعيد (ومجاهد) وهو ابن جبر تابعيان جليلان وهو مأخوذ (من

قولهم) اى العرب (فتنت الفضة فى النار اذا اخلصتها) اى اذبتها واصفيتها من غيرها مما اختلط بها (واصل الفتنة
معنى) بالتنوين اى فى اصطلاح الخاصة (الاختبار) اى الامتحان وهو مرفوع (واظهار ما بطن) اى مطلقا ومنه
قول بعضهم عند الامتحان يكرم المرء او يهان (الا انه استعمل فى عرف الشرع فى اختبار ادى) ويروى يؤدى
(الى ما يكره) بصيغة المجهول اى الى امر مكروه فى الطبع (وكذلك ما روى فى الخبر الصحيح) اى فى صحيح البخارى فى كتاب
الانبياء (من ان ملك الموت جاءه) اى موسى مصورا بصورة انسان (فلطم عينه) اى ضربها بباطن راحته (ففقأها)
اى اخرجها (الحديث) اى الى آخره (ليس فيه) اى فى الحديث من الدليل (ما يحكم على موسى عليه السلام
بالتعدى) اى بشئ يقضى عليه بالتجاوز عن الحد على ملك الموت حيث لم يعرفه (وفعل ما لم) وفى نسخة ما لا (يجب له)
اى وبفعل شئ لا يجوز له ولم يثبت شرعا ويروى ما يحكم التعدى وفعل ما لم يجب بالنصب فيهما اى ما يمنعهما (اذ
هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل) بالعقل والنقل (لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له
فى صورة آدمى) اراد اهلاكها (ولا يمكن) اى لا يتصور فى حق موسى عليه الصلاة والسلام ولا غيره من سائر الانام
(انه حينئذ علم انه ملك الموت) وانه من عند ربه وعن اذنه وامره (فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك
الصورة التى تصور له فيها الملك امتحانا من الله تعالى) اى اختبارا لموسى عليه السلام وفى نسخة لهما ولا يظهر وجهه
(فلما جاءه) اى الملك (بعد) اى بعد ذهابه الى الله تعالى ورجوعه من عند مولاه (واعلمه الله تعالى) اى موسى عليه
السلام (انه) الملك المصور (رسوله اليه) ليقبض روحه (استسلم) اى انقاد (وللمتقدمين والمتأخرين) من علماء
المحدثين والمتكلمين (على هذا) ويروى عن هذا الحديث (اجوبة) اى متعددة (هذا) الجواب المتقدم (اسدها
عندى) بسين مهملة وتشديد ثانيه اى اقواها واقومها ومنه قول الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده رمانى

وقيل فى البيت انها بالمعجمة (وهو تأويل شيخنا الامام ابى عبد الله المازرى) بفتح الزاى وهو الاكثر وقد تكسر
وهو منسوب لمازر بلدة بجزيرة صقلية وقيل قبيلة تسمى بمازرافتى وهو ابن عشرين سنة وهو مشهور بالامام سماه
النبى عليه الصلاة والسلام بذلك فى المنام مات بالمهدية سنة ست وثلاثين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة
واحتمل فى البحر الى المنستير فدفن بها وهو احد الاعلام المالكية وقد شرح مسلما شرحا جيدا سماه المعلم لفوائد كتاب
مسلم وعليه بنى القاضى عياض المصنف كتاب الاكمال وهو تكملة لهذا الكتاب وله كتاب ايضاح المحصول فى برهان
الاصول وله فى الادب كتب متعددة مفيدة (وقد تأوله قديما ابن عائشة) وهو عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى
القرشى المعروف بالعيشى لانه من ولد عائشة بنت طلحة كان احد العلماء والاشراف والمحدثين روى عن حماد بن سلمة
وغيره وعنه ابو داود والبغوى وخلق وثقه ابو حاتم واخرج له ابو داود والترمذى والنسائى ومات سنة ثمان
وعشرين ومائتين (وغيره) اى من العلماء المتقدمين (على صكه) المعنوى (ولطمه بالحجة وفقئ عين حجته) وهو
كلام مستعمل فى هذا الباب فى اللغة ومعروف عند اهلها فانه يقال صكه ضربه مطلقا وضربه بشئ عريض
وصكه غلبه بالحجة وكذا يقال لطمه ضربه على الوجه بباطن الراحة ولطمه غلبه بالحجة والظاهر ان المعنى الاول
حقيقى والاخر مجازى (واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه فقوله ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه) اى امتحناه واختبرناه (وابتلاؤه بما) وفى نسخة ما (حكى) الاولى روى (عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال) اى سليمان عليه الصلاة والسلام فى بعض الايام (لاطوفن) وفى رواية لاطيفن بضم الهمزة اى
ادورن والمراد افعن (الليلة) اى المقبلة (على مائة امرأة او تسع وتسعين) اى امرأة والشك من الراوى (كلهن
يأتين) اى كل واحد منهن تأتى (بفارس) اى بمولود يكبر ويصير راكب فرس (يجاهد فى سبيل الله تعالى)
ولا شك ان هذا نية صالحة يترتب عليها مثوبة كاملة وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه كان فى ظهر سليمان
ماء مائة رجل (فقال له صاحبه) اى مخاطبه (وهو الملك) وقيل آدمى وقيل القرين وابعد من قال خاطره (قل
ان شاء الله فلم يقل) حيث شغل عنه بشئ وانساه لما قدره الله وقضاه (فلم تحمل) بكسر الميم اى فلم تحبل (منهن) اى
النساء كلهن (الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل) بكسر الشين وتشديد القاف اى بنصفه وفى صحيح مسلم فولدت له
نصف انسان قال النووى فى شرح مسلم عقيب قوله فقال له صاحبه او الملك قل ان شاء الله تعالى قيل المراد بصاحبه
الملك وهو الظاهر من لفظه ثم حكى القولين الآخرين (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا) اى لجاءت كل واحدة بولد وكبروا واتفقوا فوق الفرسان (فى سبيل الله تعالى قال اصحاب
المعانى) اى المؤولون للمبانى (والشق هو الجسد الذى القى على كرسيه) اى سرير سليمان عليه السلام (حين عرض

عليه

عليه) اى ولده وذكر فى عصمة الانبياء ان الجسد عبارة عن ولد لسليمان ولد له بفرد رجل وهو ميت فوضع فى سريره
(وهى) اى هذه الحالة (عقوبته) اى بليته (ومحنته) المعبر عنها بفتنته (وقيل بل مات) الولد (فالقى على كرسيه ميتا)
وهو الظاهر من اطلاق الجسد والعدول عن الولد وهذا يحتمل ان يكون من اصله نزل ميتا او كان حيا ثم صار ميتا
وروى انه ولد له ابن فقال الشياطين ان عاش لم تنفك من السخرة فسبيلنا ان نقتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحابة
فما راعه الا ان القى على كرسيه ميتا فنبه على خطائه فى انه لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه واناب ثم يحتمل ان هذا
الابتلاء لاجل ترك الاستثناء على ما هو ظاهر الحديث (وقيل ذنبه حرصه على ذلك) اى جنس الولد (وتمنيه) اى
كثرتهم فى البلاد ولا ينبغى للكامل ان يطلب من الله سواه (وقيل لانه لم يستثن) اى لم يقل ان شاء الله تعالى (لما استغرقه
من الحرص وغلب عليه من التمنى) اى فكان سبب نسيان الاستثنا فى ذلك المتمنى (وقيل عقوبته) المعبر عنها بفتنته
(ان سلب ملكه) اى حكمه فى رعيته وفى هذا امتحان من الله تعالى لارباب الجاه (وذنبه) الذى كان سبب سلب
ملكه (ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه) بفتح الهمزة جمع الختن اى اصهاره او كل من كان من قبل المرأة كالاب
والاخ (على خصمهم) ولعل هذا كان على خطرة من لوازم البشرية فلا يعد من المعصية الا للكمل فى القضية وقال
الانطاكى فقد ورد عن السدى انه قال كان سبب فتنة سليمان هو انه كانت فى نسائه امرأة يقال لها جرادة وهى
آثر نسائه عنده فقالت له يوما ان اخى بينه وبين فلان خصومة وانا احب ان يقضى له اذا جاء فقال نعم ولم يفعل فابتلى
بقوله (وقيل ووخذ) مجهول واخذ كوورى مجهول وارى وفى نسخة أوخذ اى عوقب (بذنب قارفه بعض نسائه)
اى كسبته من غير اطلاعه وفيه انه تعالى لا يؤاخذ احدا بفعل غيره ولعله عوقب لتقصيره فى امره ومقارفتهن انما
تكون من تأخير صلاة او صوم او زكاة او لبس حلية محرمة او نياحة مكروهة وامثالهما ولا يجوز ان يتوهم فعل
فاحشة منهن فقد قال المفسرون فى قوله سبحانه وتعالى فخانتاهما اى فى الطاعة لهما او الايمان بهما اذ ما بغت امرأة
نبى قط اى ما زنت ويشير اليه قوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات الآيات واما ما نقله التلمسانى عن
السهيلى فى قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية ان من قذف ازواج النبى عليه الصلاة والسلام فقد سبه فمن
اعظم الاذية ان يقول عن الرجل قرنان واذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح انتهى فهو معلول اذ لا يلزم هذا الا اذا كان
عالما بالفاحشة وراضيا بها على تقدير وجودها نعم الآن قذف عائشة كفر بلا شبهة بناء على انه انكار للقرآن
بخلاف من سبق له قذفها قبل نزول آيات البراءة فانه كان مرتكب كبيرة ولذا حدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
حد القذف ولم يقتلهم لارتدادهم ولا امرهم بتجديد الاسلام وسائر ما يترتب عليه من الاحكام وقال الانطاكى
حكى ان سليمان عليه السلام بلغه ان فى بعض الجزائر مدينة عظيمة وبها ملك عظيم الشان فخرج اليها تحمله الريح
حتى اناخ بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له من احسن النساء وجها فاصطفاها لنفسه
واسلمت فاحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته
وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لتلك الصورة فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة
ثم خرج وحده الى فلاة وفرش الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى متضرعا الى مولاه (ولا يصح ما نقله الاخباريون
من تشبه الشيطان به) اى بصورته وفى نسخة ما قاله الاخباريون من خرافاتهم عما نقله ومن تشبه الشيطان به
(وتسلطه على ملكه) اى سريره ودولته (وتصرفه فى امته) وسائر رعيته (بالجور فى حكمه لان الشياطين لا يسلطون
على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله) قلت ومما يؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام ان الشيطان لا يتمثل بى
ولا يتصور بصورتى فهذا اذا كان ممنوعا عنه فى حال المنام فبالاولى ان لا يقدر على التمثل فى حال اليقظة باشكاله عليه
الصلاة والسلام والظاهر ان سائر الانبياء عليهم السلام يكون امرهم على هذا النظام فان الانام مأمورون
باتباع اوامرهم ونواهيهم والاقتداء باقوالهم وافعالهم فلو تصور الشيطان بصور الانبياء لوقع التشكيك فى حقيقة
احوالهم ومن جملة ما نقله الاخباريون فى تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه ان سليمان عليه السلام كانت له
ام ولد يقال لها امينة وكان اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه
عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر واسمه الصخر على صورة سليمان فقال يا امينة خاتمى فناولته اياه فتختم به
وجلس على كرسى سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان من هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته
وطردته فكان عليه السلام يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين
ينقل لهم السمك ويعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فانكر آصف وعظماء
بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة ثم طار

الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به فوقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه ولقد ابى العلماء المحققون قبول هذا النقل تنزيها لنساء الانبياء عما نسب اليهن من الانباء (وان قيل لم لم يقل سليمان فى القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة) متعددة (احدها) وفى نسخة فعنه جوابان اى مرضيان احدهما (ماروى فى الحديث الصحيح انه نسى ان يقولها وذلك) اى وقوع النسيان (لينفذ مراد الله تعالى) وفق ماقدره وقضاه فهذا كقوله تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (والثانى انه لم يسمع صاحبه) اى كلامه (وشغل عنه) بشئ خالف مرامه (وقوله وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لم يفعل هذا سليمان) اى لم يصدر عنه هذا القول (غيرة) بفتح الغين وبكسر اى حرصا ونهمة (على الدنيا) من مالها وجاهها (ولا نفاسة بها) بفتح النون اى لا رغبة فيها اذ جل رغبتهم فى حضرة المولى ونعمة الاخرى قال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون لان النفاسة رغبة فى الشئ النفيس دون الخسيس وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وانما ابتلى سليمان بهذا الملك الوسيع والجاه الرفيع ليكون حجة على الملوك فى القيام بحق العبودية والعمل باحكام الربوبية ومع هذا فقد ورد انه يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام لتعرف ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر ولهذا ورد ان عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام فكل هذا تزهيد فى الدنيا وترغيب فى العقبى والحكم فيهما للمولى رزقنا الله العمل بالاولى وبلغنا المقام الاعلى والمرام الاغلى (ولكن مقصده) بكسر الصاد اى مراده بهذا الدعاء (فى ذلك) النداء (على ما ذكره المفسرون) اى بعضهم (ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذى سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال) ويروى على من قال (ذلك) وقد عرفت ضعف ما هنالك (وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة) زائدة (وخاصة) اى مزية خالصة (يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه) كالخلة لابراهيم وكالتكليم لموسى ونحوهما فان قيامه على وجه العدالة والاستقامة مع كثرة الرعية من الجن والانس والطير والذرة وتفقدهم بالرعاية والحماية لعله من خواصه لم يكن لغيره ان يقوم مقامه فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد قال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا فمن عباده من يصلح للفقر والعناء ومنهم من يصلح للجاه والغنى وليس احد يطلع على حقيقة القدر والقضاء (وقيل ليكون ذلك) اى بقاء ملكه حقيقة وحكما (دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه) اى داود كما فى نسخة (واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بالشفاعة) اى الكبرى وهى المقام المحمود (ونحو هذا) من اختصاص موسى بنعت الكليم ووصف ابراهيم بالخلة (واما قصة نوح عليه السلام) وهو منصرف وجوز منع صرفه قيل واسمه عبد الغفار وسمى نوحا لكثرة بكائه وتضرعه فى دعائه (فظاهرة العذر) فيما وقع له من الامر (وانه اخذ فيها بتأويل) وفى نسخة بالتأويل (وظاهر اللفظ لقوله تعالى واهلك) اى عمومه فى الخلاص من هلاكه وكأنه صرف الاستثناء الى غير اهله (فطلب مقتضى هذا اللفظ) من عمومه (واراد علم ما طوى عنه) بصيغة المجهول اى ستر وخفى (من ذلك) خصوصه باخراجه من جملة اهله (لانه) اى نوحا (شك فى وعد الله تعالى) بنجاة اهله (فبين الله عليه) اى اظهر لديه وفى نسخة علته اى سببه (انه ليس من اهله الذين وعدهم) وفى نسخة وعده (بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وقد اعلمه) اى الله (انه مغرق الذين ظلموا) بالاضافة ودونها (ونهاه عن مخاطبته) اياه (فيهم فأوخذ) بصيغة المجهول من المؤاخذة بالهمزة والواو لغتان وقراءتان وفى نسخة فووخذ بواوين بناء على اللغة الاخيرة فهو كقوله تعالى ماوورى والمعنى فعوتب (بهذا التأويل) حيث خالف حقيقة التنزيل (وعتب عليه) عطف تفسير وكان الاظهر وعوتب عليه وفى نسخة وعيب بكسر فسكون تحتية والظاهر انه تصحيف (واشفق) اى خاف (هو) اى نوح (من اقدامه على ربه) اى جراءته (لسؤاله) اى لاجله وفى نسخة بسؤاله اى بسببه (ما لم يؤذن له) وفى نسخة ما لم يأذن (فى السؤال فيه) اى فى حقه (وكان نوح فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه) لانه كان منافقا فى امره وتابعا لامه فى كفره (وقيل فى الآية غير هذا) لبعض العلماء فى تفسيره (وكل هذا لا يقضى) اى لا يحكم (على نوح بمعصية) اى كبيرة (سوى ما ذكرناه من تأويله) للمقال (واقدامه بالسؤال فيما لم) وفى نسخة فيما لم (يؤذن له فيه ولا نهى عنه وما روى فى الصحيح) اى صحيح الاحاديث مما رواه الشيخان وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة (من ان نبيا قرصته نملة) اى عضته (فحرق) بتشديد الراء اى فاحرق (قرية النمل) اى بيتها وجحرها (فاوحى الله تعالى اليه ان) بفتح الهمزة وسكون النون اى لان (قرصتك نملة) اى واحدة كما فى نسخة (احرقت امة من الامم تسبح) وذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وقوله وان من شئ الا يسبح بحمده وقال الزكى المنذرى ان هذا النبى جاء من غير وجه انه عزير انتهى ولا شك ان المهيمين

فى الاحاديث لا يعرفون الا من حديث آخر مصرح بتسمية الشخص منهم ويشكل هذا بما فى ابى داود مرفوعا لا ادرى اعزير نبى ام لا وصححه الحاكم فى مستدركه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه والجواب لعل الله اطلعه على انه نبى بعد ذلك فاخبره وفى كلام الطبرى ان هذا النبى هو موسى عليه السلام ونقله عن الحكيم الترمذى وعن ابن عباس قال نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد رواه احمد وابو داود وابن ماجه والصرد بضم الصاد المهملة وفتح الراء طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له ريش عظيم نصفه اسود ونصفه ابيض قال الخطابى اما نهيه عن قتل النحل فلما فيهما من المنفعة واما الهدهد والصرد فانما نهى عن قتلهما لتحريم لحمهما وذلك ان الحيوان اذا نهى عن قتله ولم يكن ذلك لحرمة ولا لمضرة كان ذلك لتحريم لحمه انتهى ولعل النهى عن قتل النمل محمول على حال عدم الاذية والمضرة فالمعاتبة على النبى من حيث قتله سائر النمل من غير حصول العلة والله تعالى اعلم بالحقيقة ثم النمل جنس مفرده النملة ويستوى مذكرها ومؤنثها كالحمامة ونحوها وانما استدل امامنا الاعظم على ان نملة سليمان عليه السلام كانت انثى بدليل قوله تعالى قالت لانها لو كانت ذكرا لقيل قال لاسيما والفعل مقدم والتأنيث غير حقيقى وقد وهم التلمسانى ولم يتحقق كلام الامام الربانى واذا عرفت حقيقة القضية (فليس فى هذا الحديث) اى السابق ما يقتضى (ان هذا النبى اتى معصية) ووقع فى اصل التلمسانى ان هذا الذى اتى معصية فتكلف له بان الذى موصول واتى صلته وعائده محذوف لانه منصوب اى اتاه معصية برفعها على خبر ان او خبر محذوف (بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا) اى صورة (بقتل من) وفى نسخة صحيحة ما (يؤذى جنسه) ولعل وجهه من ان جنس المؤذى مختلط بين من يعقل وما لا يعقل (ويمنع المنفعة بما اباح الله تعالى) اى من الراحة بالنوم ونحوه (الا ترى ان هذا النبى كان نازلا تحت الشجرة) وفى نسخة تحت شجرة ولعلها كانت بعيدة عن العمارة (فلما آذته النملة) اى الواحدة بان عضته (تحول برحله) اى متاعه (عنها مخافة تكرار الاذى عليه) منها (وليس فيما اوحى الله تعالى اليه من الملامة) (ما يوجب عليه معصية بل ندبه) اى دعاه (الى احتمال الصبر) على الاذية (وترك التشفى) اى الانتقام فى القضية (كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وفيه ان الصبر على اذى الحيوان ليس كالصبر على مضرة افراد الانسان كما بينه علماء الاعيان (اذ ظاهر فعله) من الاحراق (انما كان لاجل انها آذته هو فى خاصته) اى خاصة نفسه (فكان انتقاما لنفسه) اى انتصارا لروحه (وقطع مضرة يتوقعها) اى يخشاها اى يمكن حصولها (من بقية النمل هنالك) ولذا توقف فى ذلك (ولم يأت) اى لم يفعل النبى (فى كل هذا امرا نهى عنه فيعصى به) بضم الياء وفتح الصاد المشددة اى حتى ينسب الى المعصية (ولا نص فيما اوحى الله تعالى اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه) اى نصريحا والا فيستفاد منه تلويحا فانه وان كان لم يوح اليه نهى اولا فكانه نسب الى خطأ فى اجتهاده ثانيا وهو يستدعى فى الجملة رجوعه الى الاستغفار والتوبة كما هو طريق ارباب النبوة واصحاب الفتوة هذا وفى حديث رواية الطبرانى عن ابن عمر مرفوعا ما من دابة طائر ولا غيره تقتل بغير حق الا تخاصم يوم القيامة (فان قيل فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام ما من احد الا الم بذنب) اى نزل به وتنزل بارتكابه (او كاد) اى قارب ان يلم به (الا يحيى ابن زكريا او كما قال عليه الصلاة والسلام) ما هذا معناه وانما الشك فى مبناه وانما قال هذا لان الحديث روى بالفاظ مختلفة منها ما رواه القاضى ومنها ما من نبى الا وقد هم او لم ليس يحيى بن زكريا ونحو ذلك (فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء التى وقعت من غير قصد وعن سهو وغفلة) ويدل عليه ان اللمم انما يطلق على الصغيرة من الزلة كما قال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم واللمم هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود اليه كما قاله ابن عباس والمشهور انه الصغيرة من الذنوب وقد قال عليه الصلاة والسلام ان تغفر اللهم فاغفر جما * واى عبد لك لا الما فهذا الاستثناء الدال على العموم ينافى الحديث المذكور من استثناء يحيى الا ان يحمل على الاغلب ثم الانسب ان يقال ان هذا النعت من خصائص يحيى عليه السلام وانه من صغره الى كبره ما هم بمعصية قط ولا خطر بباله سيئة قبل البعثة فضلا عما بعد النبوة ولذا قيل فى قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا اى نبئ فى اول امره ونشأة عمره ولذا امتنع من اللعب مع اقرانه فى حال صغره وقد اعطى عيسى عليه السلام ايضا النبوة من اول الوهلة كما يشير اليه قوله تعالى حكاية عنه انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وهو يوم القيامة لم يذكر له ذنبا كسائر اولى العزم من الرسل الا انه يتعلل بانه عبد من دون الله وهو بلا شبهة ما كان يريده ويرضاه لكنه يحتمل انه هم ببعض الذنوب وتركه خشية من الله فحصر الحكم فى يحيى يستقيم بهذا التأويل القويم والله تعالى اعلم ثم ان الحديث الذى اورده المصنف ضعيف فلا يجوز الاحتجاج به على ما اجاب عنه النووى والمصنف انما اجاب عنه على تقدير صحته ثم اعلم ان هذا الحديث رواه ابو يعلى الموصلى فى مسنده عن زهير عن عفان عن حماد بن سلمة عن على بن زيد بن جدعان

عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من احد من ولد آدم الا وقد اخطأ اوهم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا اى الا يحيى واعل هذا الدعاء زكريا واجعله رب رضيا اى مرضيا وهذا الاسناد ضعيف لاجل على بن زيد بن جدعان وان كان حافظا لكنه ليس بالثبت وقد اخرج له مسلم والاربعة ويوسف بن مهران انفرد عنه على بن زيد بن جدعان وقد وثقه ابو زرعة وقال ابو حاتم يكتب حديثه ويذاكر به اخرج له البخارى فى تاريخه وظاهر هذا الاسناد انه حسن لا ضعيف ولا صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب) اى الكبائر (والمعاصى) اى الصغائر (بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل المحققين) فى الفصل السابق وحاصله ان حسنات الابرار سيئات المقربين (فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) اى جهل حكمه (وما تكرر فى القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم) فى الدنيا او يوم القيامة (وتوبتهم) اى عن تقصيرهم فى طاعتهم (واستغفارهم) اى طلب مغفرتهم عن سهوهم وغفلتهم (وبكائهم على ما سلف منهم) فى حالتهم كداود اذ ورد انه بكى حتى بلت دموعه الارض (واشفاقهم) اى من عقوبتهم فى عاقبتهم (وهل يشفق) بصيغة المجهول اى يخاف (ويتاب ويستغفر من لا شئ) اى من غير شئ هو باعث وفى نسخة من لا يسئ اى لا يذنب على ان الافعال الثلاثة فيما قبله مبنية للفاعل (فاعلم وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء فى الرفعة والعلو) اى علو الرتبة (والمعرفة بالله) واتصافه بنعوت جلاله وعظمته وكبريائه (وسنته) اى عادته الجارية (فى عباده وعظيم سلطانه) وكريم برهانه وعلو شانه وفى نسخة وعظم سلطانه (وقوة بطشه) اى اخذه بالقهر والغلبة (مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله) وعظم كماله (والاشفاق) اى وعلى الحذر (من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم) كما يشير اليه قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اعلمكم بالله واخشاكم له (وانهم فى تصرفهم بامور) اى مباحة (لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اوخذوا) وفى نسخة ووخذوا اى عوقبوا (عليها وعوتبوا بسببها او حذروا) اى احترسوا وفى نسخة حذروا بتشديد الذال على بناء المجهول اى خوفوا (من المؤاخذة بها واتوها) اى فعلوها (على وجه التأويل او السهو) اى الخطأ والغفلة (او تزيد) بفتح التاء والزاى وتشديد الياء اى على وجه طلب زيادة (من امور الدنيا المباحة خائفون) اى وهم مشفقون (وجلون) اى حذرون مضطربون (وهى ذنوب بالاضافة الى على منصبهم) بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء اى علوه (ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم) وجمال عبادتهم (لانها كذنوب غيرهم ومعاصيهم) اى معاصى غيرهم كما ان طاعات الانبياء وايمانهم ليسا كطاعات الامم وايمانهم فى مراتب ايقانهم واتقانهم فلا يقاس الملوك بالحداد والصعلوك (فان الذنب ماخوذ من الشئ الدنى) اى الحقير الخسيس (الرذل) بفتح الراء وسكون الذال المعجمة اى المذموم الردى (ومنه ذنب كل شئ) بفتحتين (اى آخره واذناب الناس رذالهم) بضم اوله وتخفيف ثانيه جمع رذل اى خسيسهم وفى نسخة اراذلهم جمع ارذل (فكان) بتشديد النون وفى نسخة فكان وفى اخرى فكانت (هذه) اى الامور التى تصرفوا فيها (ادنى افعالهم) اى ارداها (واسوأ ما يجرى من احوالهم) بالاضافة الى اعلى مراتب افعالهم (لتطهيرهم وتنزيههم) عما لا يليق بهم (وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح) مما امروا به واجبا او مندوبا (والكلم الطيب) من تهليل وتسبيح وتكبير واذكار ودعاء واستغفار وفيه اشارة الى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وفى الحديث ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له عمل صالح لم تقبل (والذكر الظاهر) اى الجلى (والخفى) اى الباطن وفى الحديث خير الذكر الخفى (والخشية لله) لما تقدم من الآية والحديث (واعظامه فى السر والعلانية) بتحسين النية وتزيين الطوية (وغيرهم) من عوام الامة (يتلوث) اى يتلطخ بقاذورات الذنوب (من الكبائر والقبائح) اى الشاملة للصغائر (والفواحش) اى اعظم الكبائر وهو ما يتعلق بحقوق العباد (ما) وكان حقه ان يقول كما فى نسخة بما اى يتلوث غيرهم باشياء (تكون هذه الهنات) بفتح الهاء والنون اى العثرات والزلات وفى نسخة الهيئات بفتح الهاء وسكون الياء وهمزة ممدودة اى الحالات وفى نسخة بالاضافة الى هذه الهنات وروى بالاضافة اليه هذه الهنات فالهنات بالرفع فاعل تكون والمعنى تكون الهنات التى صدرت عن اصحاب النبوات بالاضافة اليه على ان الضمير فى اليه يعود الى ما اى بالنسبة الى ما يتلوث به ذلك الغير من السيئات (فى حقه) اى فى حق غيرهم (كالحسنات) بل حسنات اذ ليست فى الحقيقة سيئات بل طاعات (كما قيل حسنات الابرار) اى من المؤمنين (سيئات المقربين) من الانبياء والمرسلين (اى يرونها) اى يظنون تلك الحسنات (بالاضافة الى احوالهم كالسيئات) وهذا كما قيل كان المقربون اشد استعظاما للزلة

الصغيرة من الابرار للمعصية الكبيرة وكانوا فيما احل لهم ازهد من الابرار فيما حرم عليهم وكان الذى لا بأس به عند الابرار كالموبقات عند اولئك الاخيار فبين المقامين بون بين (وكذلك العصيان) اى معناه (الترك) اى ترك الموافقة (والمخالفة) فى الطاعة الا انه ان كان عن عمد فذنب ومعصية والا فزلة وعثرة (فعلى مقتضى اللفظة) اى اطلاقها (كيفما كانت من سهو او تأويل فهى مخالفة وترك) اى وترك طاعة اما حقيقة واما صورة (وقوله غوى اى جهل) وكان الاحسن فى العبارة ان يقول لم يعرف (ان تلك الشجرة) المأكول منها (هى التى نهى عنها) اى بعينها او غيرها من جنسها فاكل منها غير عالم انها هى بخصوصها وهذا معنى قوله تعالى فنسى (والغى الجهل) واصل معنى غوى ضل وقد يأتى متعديا فيكون المعنى انه اغوى حواء بان تبعته فى الهوى (وقيل) اى فى معنى غوى (اخطأ ما طلب من الخلود اذا كلها) اذ تعليلية والمعنى لانه اكلها (وخابت امنيته) بضم الهمزة وكسر النون وتشديد التحتية وهى ما يتمنى والجمع امانى مشددا ويخفف (وهذا يوسف عليه السلام قد ووخذ) بواوين وفى نسخة اوخذ اى عوتب (بقوله لاحد صاحبى السجن) اى ساكنيه معه وهو الشرابى للملك (اذكرنى) اى حالى (عند ربك) اى سيدك ليخلصنى من سجنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) مصدر مضاف الى مفعوله اى انساه ذكر يوسف لسيده (فلبث فى السجن) اى مكث فى الحبس (بضع سنين) واكثر ما قيل انه عليه السلام لبث فيه سبع سنين وقيل لبثها سبعا اى بعد قوله اذكرنى عند ربك (قيل انسى يوسف) بصيغة المجهول اى انساه الشيطان (ذكر الله تعالى) حتى استعان بما سواه (وقيل انسى صاحبه ان يذكره لسيده الملك) كما قدمناه وفى الجملة (قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لولا كلمة يوسف) اى هذه (ما لبث فى السجن ما لبث) اى مدة لبثه وفى رواية رحم الله اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس على ما بيناه والاستعانة فى كشف شدائد البلاء وان كانت محمودة فى الجملة لكن لا تليق بمنصب الانبياء والكمل من الاولياء والاصفياء ونظيره ما حكى عن الجنيد انه كان فى جنازة فرأى سائلا يسأل فخطر بباله لو اكتسب هذا لكان خيرا له من ان يسأل فرآه فى منامه ميتا وقال له كل منه فقال كيف آكل منه وهو آدمى فقيل له انك اغتبته فقال معاذ الله وانما خطر ببالى ذلك فقيل له انا لا نرضى من مثلك بهذا (قال ابن دينار) من اجلاء التابعين واسمه مالك مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو من اجل علماء البصرة وزهادهم يروى عن انس وسعيد بن جبير وثقه النسائى وغيره وقد ذكره ابن حبان فى الثقات اخرج له الاربعة وعلق له البخارى وقد رواه ابن ابى حاتم ايضا عن انس موقوفا (لما قال ذلك يوسف) اى اذكرنى عند ربك (قيل له) اى بالوحى الجلى او الخفى وهو الالهام الغيبى (أتخذت من دونى وكيلا) بهمزة الاستفهام الانكارى مقررا او مقدرا (لاطيلن حبسك) اى عن غيرى لتطمئن الى امرى وتسلم لى فى قضائى وقدرى وتعرف حقيقة قدرى بحبسه كان تهذيبا لا تعذيبا كالاربعين للمريدين تأديبا وتدريبا (فقال) اى يوسف اعتذارا (يا رب انسى قلبى كثرة البلوى) النازلة على قلبى من حين القيت فى جب وفورق بينى وبين ابى وحى (وقال بعضهم يؤاخذ) بصيغة المفعول وفى نسخة بالفاعل وفى اخرى اخذ (الانبياء بمثاقيل الذر) اى من محقرات الامر (لمكانتهم عنده) اى لرفعة مرتبتهم لديه فى القدر (ويجاوز) بالوجهين وفى نسخة ويتجاوز وفى اخرى ويتجاوزه (عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم) اى لعدم عنايته ورعايته وحمايته فيهم والا لكانوا كلهم اصفياء من انبياء او اولياء (فى اضعاف ما اتوا به) بقصر الهمزة اى ما فعلوه (من سوء الادب) اى كالجبال فى مخالفة امر الرب (وقد قال المحتج للفرقة الاولى) اى اعترض المستدل الموافق للطائفة السابقة القائلة باثبات المعصية للانبياء بعد البعثة واورد (على سياق ما قلناه) ولحاق ما اولناه بطريق السؤال لما ظهر له من الاشكال حيث قال (اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا) الحال والمنوال (مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان) فى الاقوال والافعال (وما ذكرته) من حالهم بانهم يؤاخذون بمثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به غيرهم فى مقادير الجبال (وحالهم ارفع) جملة حالية اى والحال انهم ارفع درجة فى نفس الامر (فحالهم اذن) اى حينئذ (فى هذا) اى فى حق المؤاخذة (اسوأ حالا من غيرهم) حيث يعاملون بالمسامحة والمساهلة وهذا من سخافة العلم ورثاثة الفهم اذ لم يهتد الى ان الارفع درجة والاقرب منزلة من ربه لا يسامح بما يسامح البعيد عن مقام قربه كالوزراء والامراء بالنسبة الى الملوك اذا كانوا على بساط الانبساط يخاف عليهم اقوى من الرعايا فى المفازات البعيدة المشتغلين بانواع النشاط ومن هنا يعلم معنى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وحديث انا اخشاكم له واتقاكم اذا عرفت ذلك مجملا (فاعلم) ما سنلقى اليك مفصلا (اكرمك الله انا لا نثبت) بالتشديد والتخفيف (لك) اى مخاطبا لك ومبينا لاجلك (المؤاخذة) اى مؤاخذتهم (فى هذا) الباب (على حد مؤاخذة غيرهم) من حلول العقاب وحصول الحجاب الدنيوى او الاخروى (بل نقول انهم) اى الانبياء ونحوهم من العلماء (يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك) مع كونه

كفارة لما صدر عنهم هنالك (زيادة) اى لهم كما فى نسخة (فى درجاتهم) فى العقبى (ويبتلون) بضم الياء وفتح اللام على صيغة المجهول اى ويمتحنون (بذلك) اى بمؤاخذة ربهم (ليكون استغفارهم له) وفى اصل الانطاكى ليكون استشعارهم له اى ليكون وقوع ذلك فى قلوبهم (سببا لمنماة رتبتهم) بفتح الميم الاولى اى لزيادة مراتبهم ومزية مناقبهم (كما قال) عز من قائل فى حق آدم عليه السلام (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال فى حق يونس عليه السلام ايضا فاجتباه ربه فجعله من الصالحين اى الكاملين فى الصلاح القائمين بحقوق الله تعالى وحقوق العباد على وجه الفلاح (وقال تعالى لداود) اى فى حقه ولاجله (فغفرنا له ذلك الاية) اى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب (وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس) اى برسالاتى وبكلامى (وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى وحسن مآب) اى الى قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وامثال ذلك مما ورد فى هذا الباب (وقال بعض المتكلمين) من ارباب الاشارات (زلات الانبياء فى الظاهر زلات) اى عثرات تستوجب ملامات (وفى الحقيقة كرامات وزلف) بضم الزاى وفتح اللام اى قربات ومكرمات (واشار الى نحو مما قدمناه) من مستحسنات عبارات (وايضا فلينبه) من التنبيه بصيغة المجهول او من الانتباه بصيغة المعلوم (غيرهم من البشر) وهم خواص امتهم واولياء ملتهم وعلماء شريعتهم (منهم) اى من جهة احوالهم (او ممن ليس فى درجتهم) من اهل النبوة لتفاوت مرتبتهم (بمؤاخذتهم بذلك) اى بمعاتبتهم بما فعلوا هنالك (فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة) فيما قل وكثر (ليلتزموا الشكر على النعم) بان سلموا من موجب النقم (ويعدوا) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيئوا (الصبر على المحن) عند ابتلائهم بالفتن (بملاحظة ما وقع) اى حل (باهل هذا النصاب) اى القدر الكامل من النصب ويروى هذا النمط اى الطريق (الرفيع) فى الرتبة (المعصوم) اى المحفوظ من الفتنة والمحنة (فكيف بمن سواهم) ممن يدعى المحبة والمتابعة فى طريق المودة (ولهذا قال صالح المرى) بضم الميم وتشديد الراء نسبة الى قبيلة بنى مرة وهو الواعظ الزاهد يروى عن الحسن البصرى وعنه يونس المؤدب ويحيى بن يحيى ضعفوه وقال ابو داود لا يكتب حديثه وقال الترمذى له غرائب ينفرد بها ولا يتابع عليها وهو رجل صالح وقد اخرج له الترمذى (ذكر داود) مبتدأ اى ذكر الله تعالى قصة داود وخبره (بسطة للتوابين) اى تسلية ونشاط وسبب انبساط للمذنبين ليتهيئوا للتوبة ولا ييأسوا من الرحمة (قال ابن عطاء) وهو من العلماء الاجلاء (لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت) وهو يونس عليه السلام (نقصا له) فى المرتبة (ولكن) كان نصه (استزادة من نبينا عليه الصلاة والسلام) فى علو الدرجة (وايضا فيقال لهم) اى للقائلين بجواز صدور المعصية عن ارباب النبوة بعد البعثة بطريق الالزام فى القضية (فانكم ومن وافقكم) فى هذه العقيدة (تقولون) اى أتقولون (بغفران الصغائر باجتناب الكبائر) اى بمجرد اجتنابها فيلزم منه غفران الكبائر (ولا خلاف) اى بيننا وبينكم (فى عصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم) اى بالفرض والتقدير (هى مغفورة على هذا) التقرير (فما معنى المؤاخذة بها اذن) اى حينئذ (عندكم) مع قولكم انهم منزهون عن الكبائر (وخوف الانبياء) اى وما معنى خوف الانبياء من الصغائر (وتوبتهم منها وهى مغفورة لهم) اى لاجتنابهم الكبائر (لو كانت) اى الصغائر موجودة (فما جوابه) لنا (فهو جوابنا عن المؤاخذة بافعال السهو والتأويل) وفيه ان مذهب اهل السنة والجماعة انه يجوز العقوبة على الصغائر ولو اجتنب مرتكبها الكبائر لدخولها تحت قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء نعم ذهب بعض المعتزلة الى انه اذا اجتنب الكبائر لم يجز تعذيبه بالصغائر لا بمعنى انه يمتنع عقلا بل بمعنى انه لا يجوز ان يقع لقيام الادلة السمعية على انه لا يقع مستدلا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واجيب بان الكبيرة المطلقة هى الكفر لانه الكامل فى المعصية وجمع الاسم بالنظر الى انواع الكفر الصادر من اليهود والنصارى والمشركين وان كان الكل ملة واحدة فى حكم الكفر او الى افراده القائمة بافراد المخاطبين فيكون من قبيل مقابلة الجمع بالجمع فيكون التقدير ان تجتنبوا انواع الكفر نكفر عنكم سيئاتكم السابقة واما اللاحقة فهى تحت المشيئة للاية المتقدمة فالخطاب على هذا للكفرة والمعنى ان تجتنبوا الكبائر نكفر عنكم الصغائر بالحسنات من الطاعات كالصلاة والزكاة وسائر العبادات والله سبحانه وتعالى اعلم بحقيقة الحالات (وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوبته) اى بوصف كثرته (وغيره من الانبياء) انما كان (على وجه ملازمة الخضوع والعبودية) ولوازمها من المسكنة والخشوع (والاعتراف بالتقصير) فى القيام بحق العبودية كما يقتضيه كمال الربوبية وجمال الالوهية (شكرا لله تعالى على نعمه) اى من احسانه وكرمه (كما قال عليه الصلاة والسلام وقد امن) بفتح فكسر وفى نسخة بضم فتشديد ميم مكسور مجهول من باب التفعيل وليس كما قال الانطاكى الظاهر انه غلط اذ البناء المجهول من هذا الباب اومن بالميم المخففة واصله اؤمن قلبت الهمزة الثانية واوا

لسكونها او انضمام ما قبلها هذا مقتضى القواعد التصريفية انتهى نعم هذا مقتضاها والوارد مجهول آمن من باب الافعال والله اعلم بالاحوال اى والحال انه قد اعطى الامن (من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر) من ذنبه ومع هذا قام فى التهجد لربه حتى تورمت قدماه من طول قيامه مع علو مقامه وقلة منامه فعاتبه بعض اصحابه أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال فى جوابه (افلا اكون عبدا شكورا) اى كثير الشكر لربى على مغفرة ذنبى وشرح صدرى وقلبى (وقال) فى حديث آخر فى جواب من قال يبيح الله لنبيه ما شاء من الاشياء (انى اخشاكم لله) وفى نسخة لاخشاكم لله اى اكثركم خشية (واعلمكم بما اتقى) اى احذره فاتركه من المعصية والمخالفة ورواه البخارى بلفظ انى لاتقاكم لله واخشاكم له وفى رواية ان اخشاكم واتقاكم لله انا (قال الحارث بن اسد) وفى نسخة سويد والاول هو المعول وهو المحاسبى العارف الزاهد المعروف البصرى الاصل صاحب التآليف منها كتاب الرعاية ومنها النصائح ومن جملة كلامه انه لا يعمل بما فيه خلاف الاولى والمحاسبى بضم الميم نسبة الى محاسبة نفسه كما قاله النووى روى عن يزيد بن هارون وغيره وعنه ابن مسروق ونحوه وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن والشريعة والطريقة والحقيقة ورث من ابيه سبعين الف درهم فلم يأخذ منها شيأ قل ولا جل لان اباه كان يقول بالقدر فرأى من الورع ان لا يأخذ من ميراثه ومات وهو محتاج الى درهم واحد وكان اذا مد يده الى طعام فيه شبهة تحرك على اصبعه عرق فكان يمتنع منه وفى هذا من مناقبه كفاية توفى سنة ثلاث واربعين ومائتين (خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله) على وجه اكرام (لانهم آمنون) من وقوع ايلام (وقيل فعلوا) اى الانبياء (ذلك) اى اظهار التوبة والاستغفار هنالك (ليقتدى بهم) غيرهم (وتستن بهم) اى يتابعهم (اممهم كما قال عليه الصلاة والسلام لو تعلمون ما اعلم) اى من الاهوال وشدائد الاحوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) رواه احمد والشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه عن انس ورواه الحاكم فى مستدركه عن ابى ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابى الدرداء وزاد ولخرجتم الى الصعدات بضمتين اى الطرقات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون او لا تنجون (وايضا فان فى التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا) ومبنى شريفا (اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى) باستقصاء الغيبة عما سواه (قال الله تعالى ان الله يحب التوابين) اى الذين يرجعون الى الله بتوبتهم عن رؤية حولهم وقوتهم اى عن ملاحظة طاعاتهم وعباداتهم (ويحب المتطهرين) عن وجودهم وشهودهم وعن جودهم (فاحداث الرسل والانبياء) اى ايجادهم واظهارهم (الاستغفار) وفى نسخة للاستغفار اى طلب المغفرة على وجه الافتقار وطريق الانكسار (والتوبة) عن الغفلة (والانابة) اى الرجوع من المباح الى الطاعة (والاوبة) اى الانتقال من حال الى حال اطلب الكمال (فى كل حين) من زمان الاستقبال (استدعاء) اى استجلاب (لمحبة الله) بالرجوع الى ما يحبه ويرضاه (والاستغفار فيه معنى التوبة) كما ان فيها معنى الاستغفار فهما متلازمان فى مقام الاعتبار والحاصل انه لا يلزم من الاستغفار والتوبة مباشرة الذنب والمعصية (وقد قال الله تعالى لنبيه) النبيه (بعد ان غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) ان كان هنالك ذنب حقيقى يتصور (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الاية) اى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الاية والمعنى انه سبحانه وفقهم للتوبة او قبل توبتهم او ثبتهم على التوبة وذكر النبى صلى الله عليه وسلم تحسين للتوبة وتزيين للقضية وكذا ذكر المهاجرين والانصار جبر لخواطر ارباب الانكسار من الثلاثة الذين خلفوا واظهروا التوبة والاستغفار (وقال) اى الله سبحانه وتعالى (فسبح بحمد ربك) اى اجمع فى دعائه بين التسبيح والحمد فى ثنائه المشعر بنفى الصفات السلبية وباثبات النعوت الثبوتية (واستغفره) اى اطلب منه المغفرة فى المجاوزة عما يصدر منك من الغفلة او التقصير والفترة (انه كان توابا) اى كثير الرجوع عليك بالرحمة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده استغفر الله واتوب اليه وكان نزول هذه الاية الشريفة بعد فتح مكة المنيفة وفيه ايماء الى الارتحال بعد تحصيل الكمال والانتقال الى ما كان له من الحال فالعود احمد والنهاية هى الرجوع الى البداية فقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل موته يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وكان آخر كلامه اللهم الرفيق الاعلى وقد بلغه الله تعالى المقام الاعلى والله تعالى اعلم

(فصل)

(قد استبان) اى ظهر وتبين (لك ايها الناظر) اى المتأمل (بما قررناه) من الكلام وحررناه من المرام (ما هو الحق من عصمته عليه الصلاة والسلام) وكذا عصمة سائر الانبياء عليهم السلام وكان الاظهر ان يقول من عصمتهم عليهم السلام

(عن الجهل بالله تعالى) اى بذاته (وصفاته) وافعاله ومصنوعاته (وكونه) وفى نسخة اوكونه اى كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه اى بجنسه (على حالة تنافى العلم بشئ من ذلك) اى مما ذكر من الذات والصفات (كله) جميعه (جملة) اى اجمالا لا تفصيلا اذ لا يحيط به احد علما وهذه العصمة ثابتة له (بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا) كان الاولى بحسب السجع نقلا وسماعا ومؤداهما واحد والمراد بالسماع ما ثبت بالسنة وبالنقل ما نقل عن الائمة وذلك لحديث الصحيحين ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جدعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة رضى الله عنه اقرأوا ان شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم وحديث كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فامروهم ان يشركوا بى غيرى ومن المعلوم استثناء الانبياء اذ لم يجعل للشيطان عليهم سبيلا فى الاغواء قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله فاجتالتهم بالجيم اى استخفتهم فجالوا معه فى ميدان الضلالة يهيمون وروى بالحاء اى نقلتهم من حال الى حال فهم فى طغيانهم يعمهون (ولا بشئ) اى ولا على حالة تنافى العلم بشئ (مما قرره) اى النبى (من امور الشرع واداه عن ربه عز وجل من الوحى) اى الجلى او الخفى من الكتاب والسنة (قطعا) اى بلا شبهة (عقلا وشرعا) اى من الجهتين (وعصمته) اى ومن عصمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الكذب) فى القول مطلقا (وخلف القول) فى الاخبار (منذ نباه الله تعالى) اى من ابتداء ما اظهر نبوته خصوصا (وارسله) الى امته (قصدا او عن غير قصد) اى لا عن عمد ولا عن خطأ (واستحالة ذلك) اى ومن استحالة ما ذكر من الكذب والخلف (عليه شرعا) اى سمعا (واجماعا ونظرا) اى عقلا (وبرهانا) اى بيانا ظاهرا (وتنزيهه عنه) اى عن الكذب (قبل النبوة قطعا) لئلا يقع الامة فى الشبهة بعدها اصلا (وتنزيهه عن الكبائر اجماعا) من غير التفات لمن خالف فيه سمعا او عقلا (وعن الصغائر تحقيقا) حملها على خلاف الاولى تدقيقا (وعن استدامة السهو والغفلة توفيقا) وقد قيل

يا سائلى عن رسول الله كيف سها * والسهو من كل قلب غافل لاه

قد غاب عن كل شئ سره فسها * عما سوى الله فى التعظيم لله

(واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه لامته) من الاحكام واجبا ومندوبا وحراما ومكروها وخلاف الاولى ومباحا (وعصمته) اى ومن عصمته (فى كل حالاته من رضى وغضب وجد) بكسر الجيم ضد الهزل والمراد به هنا العزم والحزم (ومزح) فانه كما قال امزح ولا اقول الا حقا فاذا كان مزحه حقا فكيف لا يكون جده صدقا (فيجب عليك) يروى مما يجب لك (ان تتلقاه) اى تأخذ وتتناول وتقبل ما صدر من مشكاة صدره فى اى حالة كانت من امره (باليمين) اى بالقوة او بالبركة وقيل باليد اليمين لان اليمين تمد الى كل حسن مرغوب ويتناول بها كل عزيز مطلوب (وتشد عليه يد الضنين) بالضاد المعجمة اى البخيل الممسك للشئ الثمين وهذا نظير ما يقال عضوا عليه بالنواجذ (وتقدر) بكسر الدال وضمها اى تعرف (هذه الفصول حق قدرها) اى حق معرفتها او تعظمها حق عظمتها كما قيل بالمعنيين فى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره (وتعلم عظيم فائدتها وخطرها) بفتحتين وحكى سكون ثانيهما اى منزلتها وقدرها وعائدتها (فان من يجهل ما يجب للنبى او يجوز او يستحيل عليه) اى يمتنع عقلا او نقلا (ولا يعرف صور احكامه) اى فرضا ونقلا (لا يأمن) ويروى لا يؤمن اى عليه من (ان يعتقد فى بعضها) اى المذكورات (خلاف ما هى عليه) من الصواب فى القضيات المشهورات (ولا ينزهه) اى النبى (عما لا يجب) ويروى عما لا يجوز اى لا ينبغى (ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدرى) ما يترتب عليه (ويسقط فى هوة الدرك) بضم الهاء وتشديد الواو الوهدة العميقة والدرك بفتح الراء ويسكن ما ضد الدرج (الاسفل من النار) اى منازلها وفيه اشعار الى ان من لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان ومن لم يكن فى اعتلاء فهو فى ارتداء اذ لا توقف للانسان فى مرتبة استواء ومنه قول ابى الفضل التورزى

ونزولهم وطلوعهم * فالى درك وعلى درج) فالابرار لهم درجات والفجار لهم دركات (اذ ظن الباطل به) اى بالنبى عليه الصلاة والسلام (واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل) بفتح الياء وضم الحاء ويكسر وبتشديد اللام اى ينزل (بصاحبه) فيدخله (دار البوار) اى الهلاك والخسار (ولهذا) المعنى (ما) اى الامر الذى وقيل ما زائدة (احتاط النبى صلى الله عليه وسلم) اى اخذ بالحزم والثقة من جهة الشفقة (على الرجلين) اى من الانصار كما فى البخارى وغيره قيل هما اسيد بن حضير وعباد بن بشر (اللذين رأياه ليلا وهو معتكف فى المسجد) جملة معترضة (مع صفية) متعلق برأياه (فقال لهما انها صفية) اى احدى امهات المؤمنين وقد جاءت تزوره فى اعتكافه فى العشر الاواخر من رمضان فتحدثت معه ساعة ثم قام معها ليقلبها الى بيتها حتى اذا بلغت باب المسجد فرأياه فابصراه فسلما على النبى صلى الله عليه وسلم واسرعا فى المشى اما لحيائهما من النبى صلى الله عليه وسلم واما لئلا يستحيى النبى عليه الصلاة والسلام منهما فقال

لهما على رسلكما اى اثبتا على مشيكما ولا تسرعا فى سيركما انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله ذلك لهما اذ لا يظن مسلم به عليه الصلاة والسلام ما لا يليق به من قبح المقام (ثم قال لهما ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم) بنفوذه فى المنافذ الضيقة للوساوس الخفية وفى النهاية المراد من قوله يجرى مجرى الدم انه يتسلط عليه وتسرى وساوسه فى العروق مجرى الدم لا ان يدخل جوفه (وانى خشيت ان يقذف) اى يلقى ويرمى (فى قلوبكما شيأ) وفى رواية شرا (فتهلكا) قال الخطابى خشى صلى الله تعالى عليه وسلم عليهما الكفر لو ظنا تهمة برؤيته معه امرأة اجنبية فبادر الى اعلامهما بمكانها نصيحة لهما فى حق الدين قبل ان يقعا فى امر يهلكان به انتهى وفى هذا ايماء الى عصمة الانبياء عليهم السلام من مقارفة السوء والفحشاء (هذه) اى الفائدة الجلية وهى ما ذكر من احتياطه عليه الصلاة والسلام للرجلين فى هذه القضية (اكرمك الله) جملة معترضة بين المبتدأ والخبر وهو (احدى فوائد ما تكلمنا عليه فى هذه الفصول) السالفة من تعظيم ارباب النبوة واصحاب الرسالة تحذيرا من ان يعتقد بهم ما لا يليق بكريم مناقبهم لاجل جهالته بعصمتهم وغفلته عما يجب لهم ويجوز ويمتنع من حالتهم (ولعل جاهلا) اى عن مراتب العلم غافلا (لا يعلم بجهله) اى بجهل كونه جاهلا ويسمى جهلا مركبا (اذا سمع شيأ منها) اى من تنزيهات الانبياء عليهم السلام ويروى من هذا اى مما ذكر (يرى) اى يظن (ان الكلام فيها) ويروى فيه (جملة) اى بجملتها او بجملة (من فضول العلم) اى زوائده وهو خبر ان (وان) ويروى او ان (السكوت اولى) من التعرض لذكره (وقد استبان لك انه) اى الكلام فى عصمتهم عليهم السلام (متعين) اى واجب معرفته على اهل الاسلام (للفائدة التى ذكرناها) مع فوائد اخر فى هذا المقام كما بينه بقوله (وفائدة ثانية يضطر) بصيغة المجهول اى يحتاج (اليها فى اصول الفقه ويبتنى عليها مسائل) متفرعة عنها (لا تعد) لكثرتها وهى لغة ردية فى لا تعد ذكره الدلجى وفى حاشية التلمسانى لا تبعد من البعد ومعناه قريبة تبنى عليها المسائل (من الفقه) وروى لا تتعدد تفعل من العدد ومعناه مسائل كثيرة لا يحصرها العد ومن الفقه على الاول معمول لا تعد وهو الاظهر او مسائل ولا تعد صفة وعلى الثانى عامله هو المسائل فقط ولا يصح تتعدد لفساد المعنى (ويتخلص) بصيغة المجهول اى ويحصل الخلاص (بها من تشغيب مختلفى الفقهاء) اى تهييجهم الشر والفتنة والخصومة (فى عدة منها) اى من المسائل (وهى) اى الفائدة المضطر اليها فى اصول الفقه وغيره (الحكم فى اقوال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى جنسه او خصوصه (وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه) لابتناء كثير من احكام الشريعة عليها وتفرعها عنها (ولا بد من بنائه) اى الاصل الكبير (على صدق النبى فى اخباره) بكسر الهمزة او فتحها (وبلاغه) اى تبليغه وهذا تخصيص بعد تعميم (وانه لا يجوز عليه السهو فيه) اى فى ابلاغ ما امر بتبليغه (وعصمته من المخالفة فى افعاله عمدا) احترازا من وقوعها سهوا (وبحسب اختلافهم) بفتح السين وابعد الحلبى فقال هنا باسكانها (فى وقوع الصغائر) من جواز صدورها وعدمه من الانبياء (وقع خلاف) وفى نسخة اختلاف (فى امتثال الفعل) اى بمجرد صدوره منهم والحق المصير الى امتثال افعالهم واتباع سيرهم وآثارهم مطلقا بلا قرينة على ما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك واكثر اصحاب الشافعى (بسط بيانه) بصيغة المصدر وفى نسخة وبسط وهو يحتمل ان يكون مصدرا وان يكون فعلا مجهولا اى وشرح بيان امتثال الفعل (فى كتب ذلك العلم) اى علم الاصول فى الدين المذكور فيه اختلافهم فى وقوع الصغائر منهم او علم اصول الفقه المذكور فيه اختلافهم فى امتثال افعالهم المقصودة دون افعالهم بمقتضى العادة (فلا نطول) اى الكلام (فيه) وفى نسخة به اى لا نطول الكتاب بذكره اكتفاء بما هنالك من استيفاء ذلك (وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم) قاضيا كان او غيره (والمفتى) اى يجيب السائل عن مسألته الحادثة (فيمن اضاف) اى نسب (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من هذه الامور او وصفه بها) اى مما يجب له او يجوز او يمتنع مما سبق تفصيلها (فمن لم يعرف ما يجوز) اى له فعله (وما يمتنع عليه) اى وقوعه منه (وما وقع الاجماع فيه والخلاف) اى ولم يعرف موضع الاتفاق ومحل الاختلاف (كيف) اى على اى حال (يصمم) اى يتمادى عليه ويجزم به ويعزم (فى الفتيا) بضم الفاء واما الفتوى فبفتحها وقد يضم وكلاهما اسم للافتاء (فى ذلك) اى الذى يجب له او يجوز او يمتنع عليه اذا رفع السؤال اليه (ومن اين يدرى هل ما قاله) اى الحاكم او المفتى (فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (نقص) اى طعن (او مدح) حتى يقدم على حكمه ليعمل به واذا لم يعلم واقدم (فاما ان يجترئ) اى يهجم (على سفك دم مسلم حرام) اى اراقته من غير استحقاقه (او يسقط حقا) اى امرا ثابتا (ويضيع حرمة للنبى) وفى نسخة حرمة النبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) فيهلك من حيث لا يعلم والثانى اقبح من الاول لانه موجب كفره ولغيره فتأمل (ولسبيل هذا) اى ما ذكر من الكلام فى عصمة الانبياء عليهم السلام (ما) زائدة او موصولة (قد اختلف ارباب الاصول) اى اصول الدين (وائمة العلماء) من المجتهدين (والمحققين)

من المفسرين والمحدثين (فى عصمة الملائكة) المقربين والمعتمد انهم كالانبياء والمرسلين فى تنزيههم عن المخالفة فى امر الدين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

(فصـــل)

(فى القول فى عصمة الملائكة) جمع ملك اصله ملأك حذفت همزته بعد نقل حركتها لكثرة الاستعمال وقيل اصله مألك من الالوكة وهى الرسالة فاخرت ثم جمع وقد تحذف الهاء فيقال ملائك (اجمع المسلمون على ان الملائكة كلهم مؤمنون) كاملون (فضلاء) بضم ففتح اى فاضلون فى قدرهم عند ربهم (واتفق أئمة المسلمين) من علماء الامة وعظماء الملة (على ان حكم المرسلين منهم) اى من الملائكة المقربين الى الانبياء والمرسلين (حكم النبيين سواء) اى مستوين (فى العصمة) وتعظيم الحرمة (مما ذكرنا عصمتهم) اى النبيين (منه) اى من السهو فى القول والتبليغ فى الفعل (وانهم) اى رسل الملائكة (فى حقوق الانبياء والتبليغ اليهم) ما امرهم الله تعالى به من الانباء (كالانبياء مع الامم) فى هذه الاشياء (واختلفوا) اى العلماء (فى غير المرسلين منهم) أمعصومون هم كرسليهم ام لا (فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم من المعاصى واحتجوا) اى استدلوا وهم الائمة وفى نسخة واحتجت اى الطائفة او الفرقة فى عصمتهم من جميع المعصية (بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم) اى فيما امرهم به فيما مضى (ويفعلون ما يؤمرون) فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون ولا يتثاقلون عن القيام به (وبقوله وما منا) اى معشر الملائكة احد (الا له مقام معلوم) لعبادته لا يتجاوز الى غير حالته (وانا لنحن الصافون) اقدامنا فى الصلاة او الحافون حول العرش واقفون (وانا لنحن المسبحون) اى المنزهون لله عما يشركون (وبقوله ومن عنده) اى عندية مكانة ومنزلة وهو مبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) تعاظما (ولا يستحسرون) اى لا يعيون ولا يتعبون ولا ينقطعون تفاقما (الآية) اى يسبحون الليل والنهار لا يفترون كما فى نسخة اى لا ينقطعون ولا يملون (وبقوله ان الذين عند ربك) اى مقربون (لا يستكبرون عن عبادته) بل يفتخرون بطاعته (الآية) اى ويسبحونه وله يسجدون حقيقة او ينقادون لحكمه ويتذللون بالخضوع والخشوع لامره (وبقوله) تبارك وتعالى فى وصفهم (كرام) اى مكرمين على الله (بررة) اى اتقياء مطيعين فى مقام رضاه (ولا يمسه) اى اللوح المحفوظ او القرآن المحفوظ (الا المطهرون) اى الملائكة المتطهرون من ادناس الذنوب واجناس العيوب (ونحوه) اى وبامثال ما ذكر (من السمعيات) من الكتاب والسنة (وذهبت طائفة) من العلماء (الى ان هذا) اى ما ذكر من قضية العصمة وعدم المخالفة (خصوص للمرسلين والمقربين) (منهم) اى من الملائكة (واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير) المعتمدة على ما نقله فيها عن الرهبان والاحبار (ونحن نذكرها ان شاء الله تعالى بعد) اى بعد ذلك (ونبين الوجه) اى الاوجه (فيها) هنالك (ان شاء الله تعالى) اى اراده وقضاه وما احسن ما قال الشافعى رحمه الله تعالى

فما شئت كان وان لم اشأ * وما لم تشأ ان اشأ لم يكن

وهو مضمون كلام اتفق عليه السلف والخلف مما ثبت فى الحديث ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (والصواب عصمة جميعهم) اى الملائكة من جنس المعصية (وتنزيه نصابهم) اى تبرئة ساحة منصبهم وقدرهم (الرفيع) عند ربهم (عن جميع ما يحط من رتبتهم) ويروى من رتبهم (ومنزلتهم عن جليل مقدارهم) وجميل درجتهم (ورأيت بعض شيوخنا اشار بان) وفى نسخة مال الى ان اى انه يعنى الشان (لا حاجة بالفقيه) اى له (الى الكلام فى عصمتهم) بل يجوز له السكوت عن تفصيل حالتهم ومرتبتهم (وانا اقول ان للكلام فى ذلك) المرام من كثرة الفوائد (ما للكلام) وفى نسخة كالكلام (فى عصمة الانبياء من الفوائد التى ذكرناها) فيما تقدم من الفصول المشتملة على انواع من الفوائد (سوى فائدة الكلام فى الاقوال والافعال) لعدم اطلاعنا على ما يصدر عنهم من قول وفعل مفصلا وانما نعرف احوالهم مجملا مع انا لسنا مكلفين باتباعهم فيها فلا داعى الى اثبات عصمتهم فيهما من طرق ما لا يليق بهم فيها عمدا او سهوا (فهى) اى فائدة الكلام فى اقوالهم وافعالهم (ساقطة هاهنا) اى غير مذكورة فى بيان عصمتهم لعدم احتياجنا اليها فاذا عرفت هذا (فما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم) اى جميع افراد الملائكة بل يوجب عصمة جنسهم الصادق على بعضهم (قصة هاروت وماروت) وهما ملكان نزلا ببابل قرية بالعراق اسمان اعجميان بدلالة منع صرفهما للعلمية والعجمة (وما ذكر) عطف على قصة اى وما ذكره (فيها) اى فى قصتهما (اهل الاخبار ونقلة المفسرين) عن الاحبار من ان الملائكة عيرت بنى آدم بعصيانهم الله تعالى كما رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عمر يا رب هؤلاء ما اقل معرفتهم بعظمتك فقال لو كنتم فى مسلاخهم لعصيتمونى قالوا كيف يكون هذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال فاختاروا منكم ملكين فاختاروهما فاهبطا الى الارض وركبت فيهما شهوات بنى آدم

ومثلت لهما امرأة فما عصما حتى واقعا المعصية فقال الله تعالى لهما اختارا عذاب الدنيا او عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا (وما روى) اى عن اسحق بن راهويه وعبد بن حميد وغيرهما (عن على) كرم الله وجهه (وابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (فى خبرهما) اى هاروت وماروت فعن على رضى الله عنه ان هذه الزهرة يسميها العجم اناهيذ وكان الملكان يحكمان بين الناس فاتتهما امرأة فارادها كل منهما مخفيا من الآخر فقال احدهما يا اخى اريد ان اذكر لك ما فى نفسى فقال اذكره لعله ما فى نفسى فاتفقا فقالت لا امكنكما او تخبرانى اى حتى تعلمانى بما تصعدان به الى السماء وتهبطان به فقالا باسم الله الاعظم قالت علمانيه فعلماها اياه فتكلمت به فطارت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا وروى ابن ابى حاتم عن ابن عباس ان ملائكة سماء الدنيا قالوا يا ربنا اهل الارض يعصونك فقيل لهم اختاروا منكم ثلاثة يحكمون فى الارض وجعل فيهم شهوة بنى آدم وامروا ان لا يقترفوا ذنبا فاستقال منهم واحد فاقيل فهبط اثنان فاتتهما امرأة من احسن النساء فهوياها فاتيا منزلها وارادا‌ها فابت حتى يشربا خمرها ويقتلا ابن جارها ويسجدا لوثنها فابيا الا ان يشربا فشربا ثم قتلا ثم سجدا وقالت اخبرانى بالكلمة التى اذا قلتماها طرتما الى السماء فاخبراها فطارت فمسخت جمرة وهى الزهرة فارسل اليهما سليمان ابن داود وقيل ادريس يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فهما مناطان بين السماء والارض قيل معلقان بشعورهما وقيل جعل فى جب ملئت نارا منكوسان يضربان بسياط الحديد (وابتلائهما) اى ما روى من اختبارهما بما ذكر وبالسحر فتنة للناس اى امتحانا لهم فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله كفر ومن تجنبه او تعلمه ليتوقى شره لم يكفر (فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شئ لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى وانما رويت عن علماء اليهود والنصارى ممن لا يصدق ولا يكذب فى اخبارهم ولا يعتمد على آثارهم لكن يشكل هذا بما رواه الامام احمد بن حنبل فى مسنده فقال حدثنا يحيى ابن ابى بكير وقال عبد بن حميد فى مسنده ثنا ابو بكر ابن ابى شيبة قال حدثنى ابن ابى بكير ثنا زهير بن محمد عن موسى بن جبير عن نافع مولى عبد الله ابن عمر عن عبد الله بن عمر انه سمع نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان آدم عليه السلام لما اهبطه الله تبارك وتعالى الى الارض قالت الملائكة اى رب اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم ما لا تعلمون قالوا ربنا نحن اطوع لك من بنى آدم قال تعالى للملائكة هلموا ملكين من الملائكة حتى يهبط بهما الى الارض اينظر كيف يعملان قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا الى الارض ومثلت لهما الزهرة امرأة من احسن البشر فجاآها فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تكلما بهذه الكلمة من الاشراك فقالا لا والله لا نشرك به ابدا فذهبت عنهما ثم رجعت بصبى تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تقتلا هذا الصبى فقالا لا والله لا نقتله ابدا فذهبت ثم رجعت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت لا والله حتى تشربا هذه الخمر فشربا فسكرا فوقعا عليها وقتلا الصبى وتكلما بكلمة الاشراك فلما افاقا قالت المرأة والله ما تركتما شيئا مما ابيتماه على الا وقد فعلتماه حتى سكرتما فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا انتهى ويحيى ابن ابى بكير شيخ احمد ثقة اخرج له الائمة الستة وزهير ابن احمد اخرج له ايضا اصحاب الكتب الستة ووثقه احمد وروى الميمونى عن احمد مقارب الحديث وروى المروزى عن احمد ما به بأس وروى البخارى عن احمد قال كان زهير الذى روى عنه اهل الشام زهيرا آخر وروى الاثرم عن احمد قال للشاميين عن زهير مناكير وقال الترمذى فى العلل سألت البخارى عن حديث زهير هذا فقال انا اتقى هذا الشيخ كان حديثه موضوع وليس هذا عندى بزهير بن محمد قال وكان احمد بن حنبل يضعف هذا الشيخ ويقول هذا الشيخ ينبغى ان يكونوا قلبوا اسمه قال الحلبى وله ترجمة فى الميزان وقد ذكر فيها مناكير ولم يذكر هذا منها واما موسى بن جبير فقد اخرج له ابو داود وابن ماجه وذكره ابو حبان فى الثقات واما نافع فلا يسأل عنه فيحتاج هذا الحديث الى جواب على وجه صواب قال الحلبى وقد رأيت الحديث فى مستدرك الحاكم فى تفسير سورة الشورى من طريق ابن عباس وقال فى آخره صحيح ولم يتعقبه الذهبى فى تلخيصه للمستدرك هذا وذكر فى الميزان فى ترجمة سنيد بن داود واسمه الحسين انه حافظ له تفسير وله ما ينكر ثم ساق بسند الى سنيد ثنا فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح عن نافع قال سرت مع ابن عمر فقال طلعت الحمراء قلت لا ثم قال قد طلعت قلت لا قال لا مرحبا بها ولا اهلا قلت سبحان الله نجم سامع مطيع قال ما قلت الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة قالت يا رب كيف صبرك على بنى آدم قال انى قد ابتليتهم وعافيتهم قالوا لو كنا مكانهم ما عصيناك قال فاختاروا ملكين منكم فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فالقى عليهما الشهوة فجاءت امرأة يقال لها الزهرة الحديث بطوله ثم قال روى عنه ابو زرعة والاثرم وجماعة وضعفه ابو حاتم وقال ابو داود لم يكن بذاك وقال النسائى الحسين سنيد بن داود ليس بثقة ثم اخرج الذهبى وفاته انتهى ولا يخفى ان الحديث

كما رواه مرفوعا وموقوفا له اصل ثابت فى الجملة لتعدد طرقه واختلاف سنده فى مسند احمد وصحيح ابن حبان وتفسير
ابن جرير وشعب البيهقى ومسند عبد بن حميد والعقوبات لابن ابى الدنيا وغيرهم مطولا ومن رواية ابى الدرداء فى ذم
الدنيا لابن ابى الدنيا وموقوفا عن على وابن عباس كما مر وعن ابن عمر وابن مسعود باسانيد صحيحة وقد قيل لهذه
القصة طرق تفيد العلم لصحتها فالجواب الصواب ان الكلام فى عصمة الملائكة الكرام وهذان قد خرجا عن صفة
الملائكة بالقاء نعت البشرية من الشهوة النفسية عليهما ابتلاء لهما فى القضية والتحقيق والله ولى التوفيق ان الملائكة
خلقوا للطاعة كما ان الشياطين خلقوا للمعصية وكل من الطائفتين جبلوا بما لهم من القابلية واما افراد الانسانية
فمعجون مركب من الصفات الملكية والنعوت الشيطانية مرتب بين المراتب العلوية والمناقب السفلية فمن مال
الى اطوار الملائكة ترقى عنهم ومن مال الى اثار الشياطين تنزل عنهم فالانسان كالبرزخ بين البحرين الشارب
من النهرين جامع بين نعوت الجلال وصفات الجمال وقابل لقبول ما لله من صفات الكمال فقد ورد لولم تذنبوا لجاء
الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم ايماء الى نعت الغفور والغفار والحليم والستار ومن هنا يتبين ان الانبياء
يتصور منهم المعصية فى الجملة بخلاف الملائكة مع ان المعتمد فى المعتقد ان رسل البشر افضل من رسل الملائكة صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين ولعل العلة انهم مع كون الشهوة فيهم مركبة وقعت احوالهم مرتبة فى رفعة منزلة وعلو مرتبة
(وليس هو) اى ما نقل من الاخبار (شيأ يؤخذ بقياس) اى من الاثار فى مقام الاعتبار (والذى منه) اى من خبر
قصتهما (فى القرآن) اى فى سورة البقرة (اختلف المفسرون فى معناه) فكل ذهب الى ما اطلع عليه نقلا من
جهة مبناه (وانكر ما قال بعضهم فيه) اى فى معناه (كثير من السلف كما سنذكره) فيما سيأتى فلا نطول هنا بذكره
(وهذه الاخبار) التى اوردها المفسرون فيه (من كتب اليهود وافترائهم) على انبياء الله وملائكته من ارباب
الشهود (كما نصه الله تعالى) اى صرحه (اول الايات) اى فى اولها (من افترائهم) اى كذب اليهود (بذلك على سليمان
وتكفيرهم اياه) فى قوله واتبعوا اى اليهود ما تتلو الشياطين اى كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرأها على ملك
سليمان اى فى زمن ملكه وعهده وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يخلطون بما سمعوا اكاذيب كثيرة
ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى الكتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمنه حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا به وما سخر له الجن والانس والطير والريح الا به وما كفر سليمان
شهادة من الله وتكذيب لليهود ودفعا لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به ولكن الشياطين كفروا
باستعمالهم السحر وتدوينهم يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وقد انطوت القصة) اى
احتوت واشتملت قصة هاروت وماروت (على شنع) بضم المعجمة وفتح النون اى قبائح (عظيمة وها) للتنبيه (نحن
نحبر) بضم نون وفتح مهملة وكسر موحدة مشددة اى نحسن (فى ذلك) القول من العبارات (ما يكشف
غطاء هذه الاشكالات) اى ما يرفع حجابها ويزيل نقابها (ان شاء الله تعالى فاختلف) اى فاختلفوا اولا فى هاروت
وماروت هل هما ملكان) بفتح اللام وهو الصحيح (او انسيان) اى منسوبان الى الانس اى آدميان ويمكن الجمع
بانهما كانا ملكين وتشكلا بصورة رجلين (وهل هما) اى هاروت وماروت (المراد بالملكين) فى آية وما انزل على
الملكين وهو الصحيح (ام لا) وهذا مما لا يلتفت اليه اصلا (وهل القراءة ملكين) بفتح لامها كما فى القراءة المتواترة التى
اتفق عليها القراءة السبعة والعشرة (او ملكين) بكسرها كما فى قراءة شاذة وهما كانا نبيا بل انزل عليهما السحر
ولا معنى للاختلاف فيهما اذ الرواية الشاذة الغير المعتبرة لا تقاوم القراءة المتواترة على انه يمكن الجمع بينهما بانهما
ملكان فى اصلهما نزلا على صورة ملكين حاكمين فى عهدهما (وهل ما فى قوله تعالى وما انزل) اى على الملكين
(وما يعلمان من احد نافية) فيهما فيكون عطفا على ما كفر اى وما كفر سليمان ولا انزل على الملكين اى جبريل
وميكائيل فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على لسانهما الى سليمان فردهم الله به (او موجبة) اى ثابتة
موصولة معطوفة على السحر على الصحيح والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او يراد به نوع اقوى منه اى
ويعلمونهم ما الهما او معطوفة على ما تتلو قال البيضاوى وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة واذا عرفت هذا الاختلاف اجمالا فاعلم ما بين لك المصنف تفصيلا (فاكثر المفسرين
ان الله تعالى امتحن الناس بالملكين) بفتح اللام (لتعليم السحر وتبيينه) فى مقام تعيينه (وان عمله) اى تعلمه وفى نسخة
عمله (كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن) بمد الهمزة اى دام على ايمانه ولم يكفر ولا يبعد ان يكون بفتح الهمزة وكسر الميم
اى امن من الوقوع فى الكفر واعلم ان استعمال السحر كفر عند ابى حنيفة ومالك واحمد وعند الشافعى استعماله من
الكبائر الا اذا اعتقد جوازه ولم يكن فى السحر ما يوجب الكفر وظاهر الاية يؤيد اطلاق قول الائمة الثلاثة حيث

(قال الله تعالى خبرا عنهما وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له) مبتدأ خبره
(تعليم انذار) اى تخويف وانكار (اى يقولان لمن جاء يطلب تعلمه منهما لا تفعلوا) وفى نسخة لا تفعل (كذا)
اى لا تتعلمه (فانه يفرق بين المرء وزوجه) اى هو سبب للتفريق بينهما بايجاد الله عنده البغض والنشوز فى قلوبهما
فالسحر له بنفسه اثر يحدثه الله عند تعاطيه وقد لا يحدثه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
(ولا تتخيلوا) بخاء معجمة من التخيل وفى نسخة لا تخيلوا من التخييل من باب التفعيل وهو ظن الشئ على خلاف
ما هو عليه ومنه قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وفى نسخة لا تتحيلوا بالحاء المهملة (بكذا) اى وكذا
(فانه سحر فلا تكفروا فعلى هذا) التفسير (فعل الملكين طاعة) بلا شبهة (وتصرفهما فيما امرا به) بما انزل عليهما
(ليس بمعصية) وفى نسخة معصية اى مخالفة (وهى) اى هذه الحالة (لغيرهما فتنة) اى ابتلاء ومحنة (وروى
ابن وهب) وهو عبد الله بن وهب المصرى المعلم وقد تقدم (عن خالد ابن ابى عمران) التجيبى التونسى قاضى افريقية
يروى عن عروة وجماعة وعنه الليث بن سعد وعدة صدوق فقيه عابد ثقة (انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما
يعلمان) اى الناس كما فى نسخة (السحر فقال نحن ننزههما عن هذا) اى عن تعليم السحر لانه كفر او كبيرة ويروى
عن هذه النقيصة (فقرأ بعضهم وما انزل على الملكين) بناء على ان ما موصولة وهاروت وماروت بدل منهما فيكون
حجة على اثباته لهما (فقال خالد) دفعا لما اورده عليه بقوله وما انزل معناه انه (لم ينزل عليهما) بناء على كون ما نافية
(فهذا خالد على جلالته) اى عظيم رتبته (وعلمه) اى وكثرة معرفته (نزههما عن تعليم السحر الذى قد ذكر
غيره انهما ماذون لهما فى تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه) اى امرهما (امتحان من الله تعالى وابتلاء) اى اختبار
خلقه وليس فيه محظور ولا يترتب عليه محذور ويمكن الجمع بان المثبت يحمل امرهما على انهما مأموران والنافى
على ضد ذلك فيرتفع الخلاف هنالك (فكيف لا تنزههما عن كبائر المعاصى) من قتل النفس والزنى وشرب الخمر
(والكفر) من السجدة للصنم (المذكورة فى تلك الاخبار) المسطورة المشهورة وقد قدمنا دفع الاشكال حيث حملنا
حالهما حينئذ على سلب ماهية الملكية عنهما وتركيب الشهوة البشرية فيهما والكلام فى حق الملائكة الثابتة على
جبلتهم الاصلية بخلاف الاحوال العارضية (وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية) كما قدمنا (وهو قول ابن عباس)
اى رواية عنه (قال مكى وتقدير الكلام) على قول خالد تبعا لابن عباس ان ما نافية عطفا على قوله تعالى (وما كفر
سليمان يريد) اى الله سبحانه وتعالى ان سليمان ما كفر (بالسحر الذى افتعلته عليه) اى افترته عليه (الشياطين
واتبعتهم فى ذلك اليهود) فان الشياطين كتبوا السحر ودفنوه تحت كرسيه ثم لما مات سليمان او نزع منه ملكه
استخرجوه وقالوا انسلطه فى الارض بهذا السحر فتعلموه وبعضهم نفوا نبوته وقالوا ما هو الا ساحر فبرأه الله مما قالوا
فقال وما كفر سليمان (وما انزل على الملكين قال مكى هما) يعنى الملكين الذين لم ينزل عليهما (جبريل وميكائيل
ادعى اليهود عليهما المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله فى ذلك) فان سحرة اليهود زعموا ان السحر انزل على
لسانهما الى سليمان فردهم الله وعلى هذا فقوله ببابل متعلق بيعلمون وهاروت وماروت اسمان لرجلين صالحين سميا
ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر ابتلاهما الله بالسحر وقيل بدل بعض من الشياطين هذا
وعن مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما ان سليمان اخذ ما فى ايدى الشياطين من السحر ودفنه تحت كرسيه ثم لما مات
اخرجه الانس بتعليم الجن وعملوا به وعن الحسن ثلث ما اخرجوا من تحت كرسيه شعر وثلثه سحر وثلثه كهانة
(ولكن الشياطين كفروا) قرئ فى السبعة بتشديد لكن وتخفيفها (يعلمون الناس السحر ببابل) قرية بالعراق ومنع
صرفه للعلمية والتأنيث او العجمة وعن ابن مسعود لاهل الكوفة انتم بين الحيرة وبابل وقيل بابل موضع بالمغرب
وهو بعيد ولعله اسم مشترك وانما الكلام فى المراد والله تعالى اعلم (هاروت وماروت) سبق انهما ملكان
فى اصلهما وقع منهما ما وقع ثم ابتليا بتعليم السحر للخلق ابتلاء من الحق (قيل هما رجلان تعلماه) ويؤيده انه
(قال الحسن) اى البصرى رحمه الله (هاروت وماروت علجان) تثنية علج بكسر اوله وقد يفتح وهو الشديد القوى
الغليظ الجافى والمعنى انهما كافران من العجم (من اهل بابل وقرأ) اى الحسن (وما انزل على الملكين بكسر اللام) بناء
على انهما كانا من بابل انزل عليهما السحر ابتلاء من الله تعالى لهما او لغيرهما (وتكون ما) فى الاية حينئذ (ايجابا)
اى موصولة لا نافية على هذا (ومثله) اى ومثل قراءة الحسن (قراءة عبد الرحمن بن ابزى) بموحدة ساكنة وزاى
مقصورا (بكسر اللام) قال صليت خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتم التكبيرات انتهى ونقل الذهبى
عن البخارى ان له صحبة وعن ابن ابى حاتم انه صلى خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الكلاباذى له صحبة
وحدث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا فى الاكمال قال انه صحابى وقال ابن ابى داود انه تابعى وقال ابن قرقول

فى مطالعه انه لم يدرك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى التجريد للذهبى عده فى الصحابة وكذا النووى فى التهذيب وقد روى عن ابى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما (ولكنه) اى ابن ابزى (قال الملكان هنا) اى فى آية وما انزل على الملكين (داود وسليمان وتكون ما) على قرآئته (نفيا على ما تقدم) عن اليهود انهم كانوا ينسبون انزال السحر تارة الى جبريل وميكائيل واخرى الى داود وسليمان (وقيل كانا ملكين) اى آخرين (من بنى اسرائيل) ساحرين (فمسخهما الله حكاه السمرقندى) وهو الفقيه ابو الليث (والقراءة بكسر اللام شاذة) اى ليست متواترة (فحمل الآية) وروى لحمل الاية اى آية وما انزل على الملكين (على تقدير ابى محمد مكى) بجعل ما نافية عطفا على ما كفر سليمان (حسن) او وقيل انهما لم يؤمرا بتعليم السحر للناس ابتلاء وامتحانا اهم اما على القول بانهما مأموران بما ذكر فلا حاجة الى ارتكاب القول بجعل ما نافية لمخالفته ظاهر الآية ولان فعلهما ذلك حينئذ طاعة (ينزه الملائكة) عن الخروج عن الطاعة بارتكاب المعصية (ويذهب الرجس) اى جنس الذنب (ويطهرهم تطهيرا) بالعصمة عن العيب (وقد وصفهم الله تعالى) اى الملائكة (بانهم مطهرون) من الادناس (وكرام بررة) عند الله تعالى وعند الناس (ولا يعصون الله ما امرهم) فى جميع الانفاس ومجمل الكلام فى هذا المقام ان الاصح عند العلماء الكرام فى هذه القصة ان الملكين بفتح اللام يراد بهما هاروت وماروت وما موصولة وبكسر اللام يراد بهما داود وسليمان عليهما السلام وما نافيه وكذا اذا فسر الملكين بفتح اللام بجبريل وميكائيل يكون ما نافية فارتفع الخلاف فى المرام واجتمع نظام الالتئام (وما يذكرونه) اى الطائفة القائلة بعدم عصمة جميعهم ويستدلون به (قصة ابليس) ويروى من قصة ابليس (وانه كان من الملائكة) على زعمهم (ورئيسا فيهم) وفيه انه لا يلزم من كونه رئيسا فيهم انه فى اصله منهم (ومن خزان الجنة) بضم الخاء وتشديد الزاى اى خزنتها (الى آخر ما حكوه) وليس فيه دلالة على ما ادعوه (وانه) اى الله سبحانه وتعالى (استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس) والاصل فى الاستثناء ان يكون متصلا الا انه قيل بانقطاعه لقوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه وبان الملائكة ليس لهم ذرية وقال تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو والملائكة ليس هم اعداء لنا (وهذا) وروى وهو اى القول بانه من الملائكة (ايضا) قول طائفة قليلة (لم يتفق عليه) بين العلماء (بل الاكثر منهم ينفون ذلك) القول بانه منهم (وانه ابو الجن) عندهم على الصحيح (كما ان آدم ابو الانس وهو) اى القول بانه ابو الجن (قول الحسن وقتادة وابن زيد) وانما استثنى منهم لانه كان مغمورا بين الوف منهم فامر بالسجود لآدم معهم ثم استثنى استثناء واحد منهم بقوله فسجدوا الا ابليس والحاصل انه استثناء متصل مجازا او منقطع حقيقة ولا يبعد ان يقال جمعا بين الاقوال انه كهاروت وماروت كان من جنس الملائكة لكن الله سبحانه وتعالى خلق فى جبلته المعصية فتغير عن حالته الاصلية لمخالفة الامر الالهى فى السجدة المأمور به فانتقل الى الخلقة الجنية وحصلت منه الذرية (وقال شهر بن حوشب) بفتح الحاء المهملة فواو ساكنة فشين معجمة مفتوحة فموحدة يروى عن مولاته اسماء بنت يزيد وعن ابن عباس وابى هريرة وعنه مطر الوراق وثابت وثقه ابن معين واحمد وضعفه شعبة وقال النسائى ليس بالقوى توفى سنة مائة اخرج له الاربعة (كان) اى ابليس (من الجن الذين طردتهم الملائكة من الارض حين افسدوا) يعنى (والاستثناء) بقوله الا ابليس منقطع لانه من غير الجنس المستثنى هو منه وهو اى الاستثناء (من غير الجنس فى كلام العرب) نظما ونثرا (سائغ) بسين مهملة وغين معجمة اى جائز من ساغ الشراب فى الحلق اذا جاوزه بسهولة وفى نسخة زيادة وشائع بشين معجمة وعين مهملة اى فاش ذائع من شاع الخبر اذا ذاع ومنه كل سر جاوز الاثنين شاع (وقد قال تعالى) تكذيبا لمن زعم قتل عيسى (ما لهم به من علم الا اتباع الظن) لان اتباعه ليس من جنس العلم فهو استثناء منقطع اى ولكنهم اتبعوا فيه ظنهم (ومما رووه) اى الطائفة القائلة بعدم عصمة جنس الملائكة (فى الاخبار) كابن جرير عن ابن عباس وابن ابى حاتم عن يحيى ابن كثير (ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا) اى احرقوا (وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى سجد له) اى لآدم (من ذكر الله) اى جميع الملائكة (الا ابليس فى اخبار لا اصل لها) مما يعتمد عليها (يردها صحاح الاخبار فلا يشتغل) اى فينبغى ان لا يشتغل (بها) ويروى بهذا وفى نسخة بصيغة المتكلم ثم على تقدير صحتها يحمل على ان الله تعالى غير ماهيتهم عن اصل جبلتهم وعصمتهم فوقع فيهم ما اراد الله من معصيتهم وهذا كقضية بلعم ابن باعوراء حيث تغير عن جبلته الى صورة كلب وماهيته وعكسه كلب اصحاب الكهف وقد ورد ان بلعم يدخل النار بصورة ذلك الكلب وذلك الكلب يدخل الجنة بصورة بلعم ثم رأيت فى حاشية الانطاكى روى ان الله تعالى لما خلق الارض خلق لها سكانها من بنى الجن من نار فركبت فيهم الشهوة فامرهم ونهاهم فلما سكنوا فيها افسدوا وعصوا امر ربهم وسفكوا الدماء فانزل الله تعالى نارا من السماء فاحرقتهم الا ابليس سأله من الله ملك من الملائكة فوهب له

ثم خلق الله ثانيا وثالثا مثلهم ففعلوا ذلك فاهلكهم الله (والله اعلم) وفى نسخة والله الموفق وزيد فى نسخة للصواب

(الباب الثانى)

(فيما يخصهم) اى الانبياء (فى الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية) اى ما يعرض للانسان ويحدث له من الامور الكونية (قد قدمنا انه عليه الصلاة والسلام وسائر الانبياء والرسل) الكرام (من البشر وان جسمه) اى جسده (وظاهره) اى بدنه (خالص للبشر) اى لعوارضه كغيره (يجوز عليه من الآفات) اى العاهات (والتغيرات) من قبض وبسط وفرح وغم وسائر الحالات (والآلام والاسقام وتجرع كأس الحمام) بكسر الحاء الموت وكل منها لا يخلو عن كلفة والتجرع شرب بمهلة وقيل ابتلاعه بعجلة او القضاء والقدر والكأس مهموز وقد تبدل (ما يجوز) اى كل ما يجوز وقوعه من الآفات والحالات (على البشر) اى جنس بنى آدم (وهذا كله) ويروى وذلك كله (ليس بنقيصة فيه) ولا فى غيره من الانبياء (لان الشئ انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه) اى من جنسه ويروى الى غيره مما هو اتم (واكمل من نوعه) كافراد الانسان فى تفاوت مراتب الاحسان (وقد كتب الله) اى قدر وقضى (على اهل هذه الدار) اى دار الهموم والاكدار او اثبت فى كتابه (فيها تحيون) اى تعيشون (وفيها تموتون) اى وتقبرون (ومنها تخرجون) بصيغة المجهول فى قراءة وبصيغة الفاعل فى اخرى (وخلق جميع البشر بمدرجة الغير) بكسر الغين المعجمة وفتح التحتية الاسم من قولك غيرت الشئ فتغير والمدرجة بفتح الميم وسكون الدال وبالراء والجيم اى فى مسلك التغير من حوادث الدهر (فقد مرض عليه الصلاة والسلام واشتكى) الضر تكثيرا للاجر وقد ورد اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وفى حديث قالوا انك توعك وعكا شديدا قال اجل كما يوعك رجلان منكم (واصابه الحر والقر) بضم اوله وبفتح البرد مطلقا وقيل برد الشتاء وحر الصيف اذ لم يخص بهما احد دون احد وقد يطلقان مجازا على المحنة والنعمة قال عمر لابن مسعود بلغنى انك تفتى ول حارها من تولى قارها كنى بالحر عن الشدة وبالبرد عن الهينة اى ول شرها من تولى خيرها (وادركه الجوع والعطش) كغيره من البشر حتى ربط بطنه الحجر (ولحقه الغضب) لله اذا رأى خلاف ما يرضاه (والضجر) بفتحتين اى القلق والملل (ونالته الاعياء) اى العجز والكلال (والتعب) اى المشقة والنصب (ومسه الضعف) اى ضعف البدن (والكبر) اى اثره بانواع الغير (وسقط) اى عن دابة وفى رواية عن فرس كما رواه الشيخان (فجحش) بضم الجيم وكسر الحاء المهملة فشين معجمة اى خدش (شقه) وقشر جلد بعض اعضائه وفى رواية جانبه الايمن وفى رواية شقه الايسر وفى رواية ساقه او كتفه فلم يخرج اياما (وشجه الكفار) فى وجهه فادموه والشج فى الاصل ضرب الرأس وكسره وشقه ثم استعمل فى غيره من الاعضاء والمعنى جرح وجهه الكريم ابن قمئة اللئيم يوم احد (وكسروا رباعيته) بتخفيف التحتية على زنة الثمانية وهى التى بين الثنية والناب وكانت السفلى اليمنى على ما ذكره الحلبى واما قول الدلجى اى احدى ثناياه اسنانه فغير صحيح (وسقى) بصيغة المجهول (السم) بتثليث السين والفتح افصح ثم الضم وقد تقدم ان زينب بنت الحارث اليهودية سمته فى عضد الشاة بخيبر وسبق ما فعل بها واخبرته العضد بانها مسمومة (وسحر) وقد تقدم ان لبيد بن الاعصم سحره او بناته (وتداوى) لبعض اوجاعه تشريعا للاتباعه (واحتجم) كما رواه الشيخان وغيرهما من طرق (وتنشر) بتشديد الشين المعجمة وهو من النشر مثل التعويذ والرقية وفى الصحيح من حديث عائشة هلا تنشرت قال اما الله فقد عافانى قال الحلبى والظاهر ان مرادها بالنشرة المعروفة عندهم وهى اغسال مخصوصة وليس المراد الرقية بالقرآن او بغيره من الاذكار وذكر الدلجى ان النشرة هى الرقية من سحر ونحوه وقد ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل بسم الله ارقيك من كل داء يؤذيك الله يشفيك وقالت له عائشة ألا تنشر فقال اما الله فقد شفانى (وتعوذ) كما رواه الترمذى والنسائى عن ابى سعيد بلفظ كان يتعوذ من اعين الجان واعين الانس فلما نزل المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما وروى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وذكر التلمسانى ان النشرة هى علاج ورقية من مرض او جنون واختلف فى النشرة فقيل يجوز وقيل لا وقال الخطابى ما يؤخذ على كتبها جائز حلال اذا كان باسم الله تعالى وبما يفهم من الكلام واما بغير ذلك فحرام (ثم قضى نحبه) اى نذره او سيره او اجله والتحقيق انه كناية عن الموت اذ اصله النذر وكل حى لا بد ان يموت فكانه نذر لازم له فاذا مات فقد قضاه (فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى توفاه الله تعالى (ولحق بالرفيق الاعلى) كما تمناه من المولى على ما رواه البخارى وغيره عن عائشة اللهم الرفيق الاعلى وفى رواية الحقنى بالرفيق الاعلى اى من النبيين والملائكة وقيل هو مرتفق الجنة وقيل الرفيق اسم لكل سماء واراد الاعلى لان الجنة فوق ذلك وقيل المراد اعلى الجنة وقيل هو الله تعالى وقيل لا يصح انه اسم الله ويرد بانه يقال الله رفيق بعباده وقيل معناه رفق الرفيق وقيل لا يعرف

اهل اللغة الرفيق واعله تصحيف الرفيع وما قدمناه هو الصحيح لقوله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهو يقع على الواحد والجمع وقيل الرفيق الاعلى جماعة الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين (وتخلص من دار الامتحان والبلوى) اى المحنة والبلية (وهذه سمات البشر) بكسر السين المهملة جمع سمة اى علامات كون البشر يبتلى بها (التى لا محيص عنها) بكسر الحاء المهملة اى لا معدل ولا محيد ولا مخلص (واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها) اى بحسب الصورة فيها (فقتلوا بالتشديد للتكثير (تقتيلا) وفى نسخة وقتلوا قتلا بغير حق كيحيى بن زكريا بجز عنقه وفى حاشية التلمسانى وانما اكد بالمصدر تحقيقا للوقوع وقال ابن سيدى الحسن وجدت بخط شيخنا الامام ابى عبد الله ابن مرزوق قال وجدت فى بعض كتب اهل التاريخ عن ابى هريرة قال اشتريت غلاما بربريا فرآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من هذا قلت غلام بربرى اشتريته فقال بعه ولا تمسكه عندك فان قومه قتلوا اربعين نبيا فاكلوا لحومهم ورموا عظامهم على المزابل فسلط الله عليهم ريحا بددتهم والقتهم بالمغرب قال الشيخ ولا يخفى ما فى احاديث المؤرخين من الضعف (ورموا فى النار) كابراهيم عليه السلام فكانت عليه بردا وسلاما وقد احرق جرجيس وطبخ ثم قام سالما (ونشروا بالمناشير) وفى نسخة وانشروا بالمأشير جمع مئشار بهمز لغة فى المنشار بنون وفيه لغة اخرى وهى المواشير بالواو وقيل المياشير بالياء من وشر والمعنى واحد اى شقق وقطع بالمنشار ونحت به كزكريا عليه السلام نشر بالمنشار رجلتين اى قطعتين (ومنهم من وقاه الله ذلك) اى حفظه هنالك من الافات والبليات (فى بعض الاوقات ومنهم من عصمه) اى الله كما فى نسخة اى حفظه ووقاه من القتل كعيسى عليه السلام اذ تمالأت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه اليه ويطهره من صحبتهم ويقربه لديه فقال لبعض اصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى عليه شبهه فقتل وصلب وعصم عيسى برفع الله اياه (كما عصم بعض الانبياء من الناس) اى من شرهم جميعا وفى اصل الدلجى كما عصم بعد مبنيا على الضم اى بعد عيسى نبينا من الناس لقوله تعالى والله يعصمك من الناس اى من قتلهم اياك وقيل نزلت هذه الآية بعد ما وقعت له الجراحة ففى الجملة حصلت له الرعاية والكفاية والصيانة والحماية (فلئن لم يكف نبينا) اى محمدا كما فى نسخة (ربه) بالرفع على انه فاعل اى فلئن لم يمنع عنه (يد ابن قمئة) فعلة بكسر القاف وسكون الميم فهمزة وقيل بفتح اوله وكسر ثانيه وزيادة ياء فيه على وزن سفينة وهو الاكثر وهو من قمأ صغر وذل وهو عبد الله بن قمئة الذى جرح وجنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حلقتان من حلق المغفر فى وجنته (يوم احد) وكسر رباعيته وهو الذى قتل مصعب بن عمير كما حكاه الطبرى وقد نطحه تيس فتردى من شاهق جبل كافرا وضبطه الدلجى بكسر اوله وثانيه مشددا بعده همزة (ولا حجبه) اى ولئن لم يحجبه ولم يستره (عن عيون عداه) بكسر اوله ويضم اسم جنس للعدو اى عن اعين اعدائه (عند دعوته اهل الطائف) ويروى عن عيون عداه اهل الطائف عند دعوته ففى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم هل اتى عليك يوم اشد من يوم احد قال لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ما اردت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب الحديث وكان عبد ياليل من اكابر اهل الطائف وروى انه عليه الصلاة والسلام لما انتهى الى الطائف حين التمس من ثقيف النصرة فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويرمون رجليه بالحجارة فدميتا وطفق يقيهما بنيابه حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى حائط لابنى ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقى من سفهاء اهل الطائف فتحركت له رحمهما فبعثا له قطف عنب الحديث وروى الطبرانى فى كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر قال لما توفى ابو طالب خرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فاتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين انت ارحم الراحمين انت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى اى يلقانى بوجه كريه ام الى صديق قريب كلفته امرى ان لم تكن غضبان على فلا ابالى غير ان عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك او يحل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك (فلقد اخذ) اى الله سبحانه وتعالى (على عيون قريش) باخفائه عنها حين ارادوا قتله فخرج عليهم وقرأ وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون ونثر على رأس كل واحد منهم ترابا وذلك (عند خروجه) ويروى فى يوم خروجه (الى ثور) اى الى غار فى جبل ثور عن يمين مكة وهو المراد بقوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا

ووقع فى اصل التلمسانى جبل ابى ثور ثم قال وروى الى ابى ثور وصوابه الى جبل ثور او الى يوم ثور ولفظ ابى وهم اذ لا يعرف جبل ابى ثور (وامسك) اى الله (عنه) اى عن نبيه (سيف ابن غورث) بالغين المعجمة وهو ابن الحارث الغطفانى وقد تقدم انه اسلم وصحبه صلى الله تعالى عليه وسلم والذى فى البخارى انه عليه الصلاة والسلام نزل بمكان كثير العضاة فعلق سيفه بشجرة ونام فى ظلها فجاء غورث فاخترطه وقال للنبى عليه الصلاة والسلام من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده الحديث (وحجر ابى جهل) فرعون هذه الامة اى امسكه عنه حين اراد ان يرميه به وكان حمل صخرة والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ساجد ليطرحها عليه فلزقت بيده وتقدمت القصة (وفرس سراقة) بضم اوله باساخة رجليها بالارض فوقاه الله شره وقد اسلم كما افاده حديث الهجرة (ولئن لم يقه) اى لم يحفظه ولم يمنعه (سحر ابن الاعصم) وفى نسخة من سحر ابن الاعصم وهو لبيد اليهودى هلك على كفره وقد سحره فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر كما فى رواية البخارى (فلقد وقاه ما هو اعظم) خطرا واكثر ضررا من سحره (من سم اليهودية) بيان لما وقد سمته بشاة محنوذة بخيبر فاخبره كتفها به فاكل منها وبعض اصحابه فلم يضره فعفا عنها ومات به بشر بن البراء فقتلها به كذا روى وفيه خلاف تقدم والله اعلم والحاصل انه سبحانه وتعالى ربى نبيه الذى عظم شانه تارة بصفة الجلال واخرى بنعت الجمال ليكون فى مقام الكمال حيث مقتضيات اسماء الذات والصفات (وهكذا سائر انبيائه) منهم (مبتلى) كايوب عليه السلام (و) منهم (معافى) من كثرة الاسقام وشدة الآلام وهم قليل من الانام (وذلك) اى ابتلاؤهم (من تمام حكمته ليظهر) من الاظهار او الظهور (شرفهم) بصبرهم على البليات (فى هذه المقامات) المتفاوتة فى الحالات (ويبين) وفى نسخة ويتبين (امرهم) اى رفعة قدرهم لغيرهم (ويتم) من الاتمام او التمام (كلمته فيهم) باظهار محنته عليهم وآثار بليته لديهم (وليحقق) اى ليثبت لهم ولغيرهم (بامتحانهم) بانواع ابتلائهم (بشريتهم) اى عجز عنصريتهم (ويرفع الالتباس) وفى نسخة ويرتفع الالتباس بعد معرفة انها من عوارض اجسام البشر اى الاشتباه (عن اهل الضعف) بالضم والفتح فى مقام اليقين من الناس ازالة لما يتوهمونه (فيهم) من انهم لا يصيبهم محنة وبلاء ولا يغشاهم شدة وعناء استعظاما لمرتبتهم واستبعادا لمحنتهم (لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب) اى الخوارق للعادات من الغرائب (على ايديهم) كبرد النار لابراهيم الخليل وقلب العصا حية لموسى الكليم وخلق الطير من الطين واحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر لنبينا الاكبر (ضلال النصارى) كضلالتهم (بعيسى) اى ابن مريم كما فى نسخة اذ بالغوا فى تعظيمه حتى قالوا ان فيه لاهوتية وناسوتية (وليكون فى محنتهم) وفى نسخة ومحنهم اى محن الله اياهم (تسلية لاممهم) لمشاركتهم بهم اذا اصابهم شئ من الافات والبلايا ونالهم بعض المصيبات والرزايا (ووفور) اى وسبب كثرة (لاجورهم) ويروى فى اجورهم (عند ربهم تماما) للكرامة الحاصلة لديهم (على الذى احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ) بالهمز وقد لا يهمز اى العوارض من الآفات (والتغيرات المذكورة) من الحالات المسطورة (انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها) اى التى قصد باجسامهم (مقاومة البشر) اى مداخلتهم (ومعاناة بنى آدم) اى مقاساتهم فى مخالطتهم (لمشاكلة الجنس) اى لمشابهتهم (واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك) اى عما ذكر (معصومة منه) اى مبرأة ومبعدة عنه مما لا يجوز طرقه عليهم كالجنون ولو منقطعا وقيد الغالبية مشعر بجواز وقوع ما لا يشين عليهم كالاغماء لحظة او لحظتين كما فى حديث البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال فى مرضه الذى توفى فيه هريقوا على من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن فوضع فى مخضب وصب عليه منها ثم ذهب ليتوضأ فاغمى عليه وبهذا اندفع ما قال الحلبى من ان المصنف لو حذف لفظة غالبا لكان احسن اذ حذفها واجب (متعلقة بالملأ الاعلى) من ارواح الانبياء والملائكة المقربين وقيل نوع من الملائكة اعظمهم عند الله مرتبة واعلاهم درجة (والملائكة) اجمعين (لاخذها) اى لاستفاضة بواطنهم اخبار السماء وغيرها (عنهم وتلقيها الوحى منهم قال) اى بعض المحققين (وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان عينى تنامان ولا ينام قلبى) اى غالبا لما سبق فى نوم الوادى (وقال انى لست كهيئتكم) اى كصفتكم من جميع الوجوه (انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى) بفتح اوله وضمه يقال سقاه واسقاه قال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال تعالى واسقيناكم ماء فراتا ولما كان الطعام قوت الابدان والاشباح والمعارف قوت الجنان والارواح جعلت كانها مطعومة لانه يتقوى بها قلب الانام كما تتقوى الاجساد بانواع الطعام ولما كان الماء يشفى ظمأ العليل والمعرفة تطفئ ظمأ الغليل جعلت كانها مشروبة لانها تذهب ظمأ الجهل كما يذهب الماء ظمأ العطش وهذا بناء على ان معناه مجاز للمعارف فى حق العارف وقيل هو حقيقة وانه يأكل ويشرب من طعام الجنة وشرابها وقيل المراد منهما النشاط والقوة فى الطاعة والعبادة (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (لست انسى) كسائر الانام (ولكن انسى ليستن بى) اى ليقتدى بفعلى فى الاحكام

(فاخبر) عليه الصلاة والسلام (ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الافات التى تحل) بضم الحاء وكسرها اى تنزل (ظاهره) اى بظاهره عليه الصلاة والسلام فقط (من ضعف) اى ضعف بدن (وجوع وسهر ونوم لا يحل منها) اى من هذه المذكورات (شئ باطنه) اى بباطنه ولا يؤثر فى خاطره (بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطن) مع مشاركتهم له فى حكم الظاهر (لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه) اى غمرهما او غطاهما (وهو عليه الصلاة والسلام فى نومه) وان استغرق جميع اعضائه فهو (حاضر القلب كما هو فى يقظته) حاضر مع الرب (حتى قد جاء فى بعض الآثار انه عليه الصلاة والسلام كان محروسا من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان) بربه (كما ذكرناه) من قبله من ان عينيه كانتا تنامان ولا ينام قلبه ولعل المراد ببعض الآثار فى كلام المصنف ما رواه سعيد بن منصور عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى حديث مبيته عند خالته ميمونة زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وصلاته بالليل معه عليه الصلاة والسلام وفيه ثم وضع رأسه حتى اغفى وسمعت بخبخة واصله فى البخارى ثم جاء بلال فاستيقظ فقام فصلى باصحابه زاد البخارى ولم يتوضأ اى بعد انتباهه من اغفائه اى نومه قال سعيد بن جبير فقلت لابن عباس ما احسن هذه فقال انها ليست لك ولا لاصحابك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحفظ من الحدث فى نومه لكون قلبه يقظان (وكذلك) اى لا يشابهه (غيره) فان غيره (اذا جاع ضعف لذلك) الجوع (جسمه) وانحل جسده (وخارت) بالخاء المعجمة اى فترت (قوته) وذهبت همته (فبطلت بالكلية جملته) اى جميع محاسن حالاته (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم قد اخبر) عن نفسه (انه لا يعتريه ذلك) اى لا يغشاه ضعف هنالك (وانه بخلافهم) فانه يطعمهم ويرحمهم (بقوله) اى فى حديث البخارى فى حال الوصال (انى لست كهيئتكم) اى فى ضعف بنيتكم وفتور حالتكم (انى ابيت يطعمنى ربى ويسقينى) على ما تقدم (قال القاضى رحمه الله تعالى) يعنى المصنف (وكذلك) اى مثل مقول بعض المحققين من ان الطوارئ والتغيرات انما تختص باجسام الانبياء (اقول انه عليه الصلاة والسلام فى هذه الاحوال كلها من وصب) بفتحتين اى الم وتعب (ومرض وسحر وغضب) للرب (لم يجر على باطنه ما يخل به) بفتح الياء وكسر الخاء المعجمة اى بضعف باطنه مما كان يخل به ظاهره (ولا فاض) اى ولا سال ولا حدث وخرج (منه) اى مما كان يخل ظاهره (على لسانه وجوارحه مما لا يليق به) من هذيانات المرضى وخرافاتهم واختلاف حالاتهم (كما يعترى غيره من البشر) ممن نزل به شئ منها من شدة الالم وقوة الضرر (مما نأخذ بعد) اى نشرع بعد هذا (فى بيانه) اى فى بيان شانه وتبيين برهانه

(فصــــل)

(فان قلت فقد) وروى قد (جاءت الاخبار الصحيحة) والآثار الصريحة (انه عليه الصلاة والسلام سحر) اى اثر عليه السحر (كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى) بفتح العين وتشديد المثناة فوق وبعد الالف موحدة فياء نسبة (بقرآئى عليه قال ثنا حاتم بن محمد) وهو الطرابلسى (ثنا ابو الحسن على بن خلف) وهو الحافظ القابسى المعافرى القروى (ثنا محمد بن احمد) وهو ابو زيد المروزى (ثنا محمد بن يوسف) وهو الفربرى (ثنا البخارى) وهو الامام محمد بن اسماعيل صاحب الصحيح (ثنا عبيد بن اسماعيل) اى الهبارى يروى عن ابن عيينة وطبقته (قال ثنا ابو اسامة) هو الحافظ حماد الكوفى يروى عن الاعمش وغيره وعنه احمد واسحق وابن معين وكان حجة عالما اخباريا عنده ستمائة حديث عن هشام بن عروة عاش ثمانين سنة وتوفى سنة احدى ومائتين اخرج له الائمة الستة (عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ) وفى رواية الفعل اى من الجماع وغيره (وما فعله) جملة حالية وهذا الحديث ساقه القاضى كما ترى من عند البخارى وقد اخرجه مسلم ايضا فهو حديث متفق عليه كما سيأتى قريبا فى كلام المصنف (وفى رواية اخرى حتى كان يخيل اليه انه كان يأتى النساء وما يأتيهن) اى يظن انه واقعهن والحال انه لم يجامعهن (الحديث) قال الحكيم الترمذى ولما سحر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى عجز عن نسائه واخذ بقلبه ابث فى ذلك ستة اشهر فيما روى فى الخبر ثم نزلت المعوذتان انتهى كذا فى تفسير البغوى وسيأتى عن عائشة انه لبث سنة قال عبد الرزاق حبس عنها خاصة حتى انكر بصره قال ابن الملقن فى شرح البخارى فى تفسير قل اعوذ برب الناس ورواية ثلاثة ايام او اربعة ايام هو اضرب وسنة بعيد اقول ولعله عليه الصلاة والسلام كان سحره شديدا عليه فى تلك الايام ثم خف عنه الى نصف سنة ولم يتعاف منه الا بعد كمال سنة (واذا كان هذا من التباس الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك) الوقت المذكور (وكيف جاز عليه) اى السحر فان يكون فى مقام موهوم (وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث) الذى اسندناه الى عائشة (صحيح متفق عليه) لا شبهة لديه (وقد طعنت فيه الملحدة) اى الطائفة

الملاحدة الزائغة بالعقيدة الفاسدة (وتذرعت) بذال معجمة من الذريعة اى توسلت (به) الى التشكيكات الكاسدة وفى نسخة بدال مهملة اى تسلحت به لاظهار الحجج الداحضة الشاردة (لسخف عقولها) بضم السين المهملة وسكون الخاء اى رقتها وضعفها (وتلبيسها) اى تخليطها (على امثالها) اى اشباهها من ضعفاء اليقين فى امر الدين (الى التشكيك) اى ايقاع الشك وروى التشكك اى قبول الشك (فى الشرع) اى فى امور الشرع المبين (وقد نزه الله الشرع) اى الشريف المكرم (والنبى) المعظم صلى الله تعالى عليه وسلم (عما يدخل) اى عن شئ يدخل (فى امره لبسا) بفتح اوله اى خلطا واشتباها (وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل) اى من جملة الاعراض (يجوز) وقوعه (عليه كانواع الامراض مما لا ينكر) بالاجماع (ولا يقدح فى نبوته) من غير النزاع (واما ما ورد انه كان يخيل اليه) اى يقع فى خيال باله (انه فعل الشئ) من افعاله (ولا يفعله) فى حاله وروى وما فعله (فليس فى هذا) التخيل (ما يدخل عليه داخلة) اى ريبة وتهمة (فى شئ من تبليغه) اى لامته (او شريعته) اى بيان احكام ملته (او يقدح فى صدقه) وفى نسخة فى شئ من صدقه (لقيام الدليل) من انواع المعجزة (والاجماع) من علماء الامة (على عصمته من هذا) اى من ادخال فساد فى الحال (وانما هذا) وروى وانما هو اى التخيل (فيما يجوز طروه عليه فى) وفى نسخة من (امر دنياه التى لم يبعث بسببها ولا فضل) على غيره (من اجلها) كما يشير اليه قوله انتم اعلم بامر دنياكم وانما فضل بالوحى الالهى وما يتعلق بالامر الدينى والاخروى كما يومى اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى (وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (فيها) اى فى امور دنياه (عرضة للآفات) اى هدف للعاهات (كسائر البشر) فى جميع الحالات واذا كان الامر كذلك (فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له) فى صدورها (ثم ينجلى عنه) اى ينكشف الامر (كما كان) على وجه ظهورها كسحابة عارضة مانعة عن شعاع الشمس ونورها (وايضا فقد فسر هذا الفصل) اى الكلام المجمل (الحديث الآخر) المفصل (من قوله حتى يخيل اليه انه يأتى اهله) من النساء (ولا يأتيهن) فان اتيانهن من جملة امور دنياه ولا ضرر من هذه الاحوال فى دينه واخراه (وقد قال سفيان) اى الثورى وقال الدلجى الظاهر انه ابن عيينة اذ هو المراد بالاطلاق عند ائمة الحديث وجزم الحلبى وقال هو ابن عيينة لانه المذكور فى السند فى الصحيح (وهذا) النوع (اشد ما يكون من السحر) والالم يعرض له هذا التخيل ويشير الى كلامه قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى (ولم يأت فى خبر منها) اى من احاديث سحره عليه الصلاة والسلام او من الاخبار الصحيحة (انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله) والمعنى انه لم ينقل عنه انه قال حال سحره فعلت كذا والحال انه لم يفعله لعصمته من الخلف فى الاخبار لامته (وانما كانت) هذه السوانح واللوائح (خواطر) اى خطرات (وتخيلات) فى صورة تسويلات وروى بموحدة وتحتية (وقد قيل ان المراد بالحديث) اى حديث حتى يخيل اليه (انه كان يتخيل الشئ) وروى يخيل اليه الشئ (انه فعله وما فعله لكنه تخيل لا يعتقد) هو بنفسه (صحته) وفى نسخة بصيغة المجهول اى كل احد يدرك عدم حقيقته كما يستفاد من نفس التخيل وصيغته واشتقاق بنيته (فيكون اعتقاداته كلها) اى سواء تعلقت بامور دنياه او باحوال اخراه (على السداد) اى الصواب ومنهج الرشاد (واقواله على الصحة) التى تصلح للاعتماد والاعتقاد (هذا ما وقفت عليه لائمتنا) اى الاشعرية او المالكية او ائمة اهل السنة والجماعة (من الاجوبة على) وفى نسخة عن (هذا الحديث) اى حديث سحره عليه الصلاة والسلام (مع ما اوضحناه من معنى كلامهم) وبيناه على مبنى مرامهم (وزدناه بيانا من تلويحاتهم) اى من اشاراتهم من غير تصريح عباراتهم (وكل وجه منها) من الوجوه المذكورة (مقنع) بضم الميم وكسر النون ويجوز فتحهما على انه مصدر للمبالغة او اسم مكان وهو من قنع بالكسر قناعة اذا رضى ويقال فلان مقنع فى العلم وغيره على وزن جعفر اى مرضى فيه وليس المراد به انه دليل اقناعى وان كان يشير اليه قوله (لكنه قد ظهر لى فى الحديث) هذا (تأويل اجلى) بالجيم اى اظهر واوضح من التأويلات السالفة (وابعد من) وفى نسخة عن (مطاعن ذوى الاضاليل) جمع ضليل مبالغة فى الضلال ومنه قول على وقد سئل عن اشعر الشعراء فقال الملك الضليل يعنى امرأ القيس وكان يلقب به وقيل هو جمع اضلولة وهو ما يضل من ركبه (يستفاد) اى ذلك التأويل الاجلى (من نفس الحديث) وروى من تفسير الحديث (وهو ان عبد الرزاق) وهو الحافظ الصغانى (قد روى هذا الحديث) فى مصنفه عن معمر عن الزهرى (عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال) اى عبد الرزاق (فيه) اى فى حديثه (عنهما) اى ابن المسيب وعروة (سحر يهود بنى زريق) بضم الزاى وفتح الراء (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعلوه) اى ما سحروه به (فى بئر) وهى بئر ذروان (حتى كاد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قارب (ان ينكر بصره) لضعف حدثه او لامر تخيله (ثم دله الله تعالى على ما صنعوا) اى اليهود (فاستخرجه)

بنفسه اوبمأموره (من البئر وروى نحوه) بصيغة المجهول (عن الواقدى) قاضى العراق وقد سبق ذكره (وعن
عبد الرحمن بن كعب) اى ابن مالك السلمى يروى عن ابيه وعائشة وعنه الزهرى وهشام بن عروة ثقة مكثر اخرج له
اصحاب الكتب الستة (وعمر بن الحكم) بفتحتين تابعى جليل (وذكر) بصيغة المجهول (عن عطاء الخراسانى)
من اكابر التابعين روى عنه الاوزاعى ومالك وشعبة قال ابن جابر كنا نغزو معه وكان يحيى الليل صلاة الى نومة السحر
اخرج له الائمة الستة (عن يحيى بن يعمر) بفتح الياء والميم وقد يضم وحكى عن البخارى وهو غير مصروف للعلمية
ووزن الفعل قاضى مرو يروى عن عائشة وابن عباس مقرئ ثقة اخرج له الائمة الستة (قال) هارون بن موسى اول
من نقط المصاحف يحيى بن يعمر قال الذهبى يقال توفى سنة تسعين وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن عطاء (حبس
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن عائشة) بصيغة المجهول اى منع من قربانها (سنة فبينا هو نائم اذا تاه
ملكان) وهما جبريل وميكائيل كما فى سيرة الدمياطى (فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث)
اى فقال احدهما ماله فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم فى جف طلعة ذكر نخل فى بئر ذروان
وروى عن ابن عباس وعائشة ان غلاما من اليهود كان يخدم النبى عليه الصلاة والسلام فدنت اليه اليهود فلم يزالوا به
حتى اخذ مشاطة رأس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعدة اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها فنزلت
السورتان فيه وعن عائشة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طب اى سحر حتى انه ليخيل اليه انه قد صنع شيأ
وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال اشعرت ان الله قد افتانى فيما استفتيته فيه قالت عائشة وما ادراك يا رسول الله قال جاءنى
رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال الآخر مطبوب
قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيماذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال واين هو قال فى ذروان وذروان
بئر فى بنى زريق قالت عائشة فاتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم رجع الى عائشة فقال والله لكان ماءها
نقاعة الحناء ولكان نخلها رؤوس الشياطين قالت فقلت له هلا اخرجته قال اما انا فقد شفانى الله وكرهت ان اثير على
الناس منه شرا وروى انه كان تحت صخرة فى البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة واذا فيه مشاطة رأسه واسنان
مشطه وعن زيد بن ارقم قال سحر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود قال فاشتكى لذلك اياما قال فاتاه
جبريل عليه السلام فقال رجل من اليهود سحرك وعقد لك عقدا فارسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليا
فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال
فما ذكر ذلك لليهودى ولا رأه فى وجهه قط قال مقاتل والكلبى كان فى وتر عقد احدى عشرة عقدة وقيل وكانت مغروزة
بالابر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهى احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات
كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كانما انشط من عقال قال
البغوى وروى انه لبث فيه ستة اشهر واشتد عليه ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (قال عبد الرزاق حبس رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ان سحر (عن عائشة خاصة) دون غيرها من نسائه (سنة) وطالت المدة (حتى انكر
بصره) اى من ضعف بصره او من تخييل بعض امره (وروى محمد بن سعد) بفتح وسكون وهو كاتب الواقدى وصاحب
الطبقات وكذا رواه البيهقى بسند ضعيف (عن ابن عباس مرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحبس عن
النساء) اى منع عنهن وحيل بينه وبينهن (والطعام والشراب) اى وعن تكثيره منهما كما هو عادته فيهما (فهبط
بفتح الموحدة اى نزل (عليه ملكان) اى بصورة رجلين فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه (وذكر القصة)
اى الى آخرها على ما قدمناه ويروى القضية (فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر انما تسلط على
ظاهره وجوارحه) اى من جهة منع جماعه ونقصان اكله وشربه (لا على قلبه واعتقاده وعقله) وكذا سلم منه آلة
لسانه الذى هو عمدة بيانه وزبدة برهانه (وانه انما اثر) اى السحر بعض اثره (فى بصره) من ضعف نظره او تخييل اثره
(وحبسه) اى منعه (عن وطئ نسائه وطعامه) اى بعض المنع (واضعف جسمه وامرضه ويكون معنى قوله
يخيل اليه انه يأتى اهله) اى بعض نسائه (ولا يأتيهن) فى نفس الامر (ان يظهر له من نشاطه) اى كمال رغبته
(ومتقدم عادته) اى سابقتها فى حالته (القدرة على النساء) بالمجامعة (فاذا دنا منهن) اى على قصد مواقعتهن
(اصابته) ادركته (اخذة السحر) بضم الهمزة وخاء ساكنة فذال معجمة فتاء تأنيث وهى رقية كالسحر او خرزة تؤخذ
اى تحبس بها النساء ازواجهن عن النساء دونهن (فلم يقدر على اتيانهن كما يعترى) اى يصيب ويغشى (من اخذ)
بضم همز وتشديد خاء اى حبس عن وطئ امرأة لا يصل لجماعها يقال اخذت المرأة زوجها تأخيذا اذا فعلت به ما تقدم
من السحر وفى نسخة وخذ وهو فى مبناه ومعناه ونظيرهما قوله تعالى واذا الرسل اقتت ووقتت كما قرئ بهما فى السبعة

واختبر

واختبر التفعيل فى التأخيذ للمبالغة فى اخذه وحبسه (واعترض) بصيغة المجهول ايضا من العرض بالتحريك
وهو ما يعرض للانسان من حوادث الدوران (ولعل) اى الشان ويروى ولعله (لمثل هذا) السحر (اشار سفيان)
اى ابن عيينة او الثورى (بقوله وهذا) النوع (اشد ما يكون من السحر) لانه غالبا يكون سببا للتفريق بين المرء
وزوجه (ويكون قول عائشة رضى الله عنها فى الرواية الاخرى انه ليخيل) وفى نسخة يخيل اى يشبه (اليه انه فعل
الشئ وما فعله من باب ما اختل من بصره) اى لانه كناية عن جماعه مع اهله كما تقدم (فيظن انه رأى شخصا من بعض
ازواجه اوشاهد) اى او يظن انه رأى (فعلا من غيره ولم يكن) ما ذكر من الشخص والفعل (على ما يخيل اليه
اى موافقا لتخيله (لما اصابه) اى من ضعف (فى بصره) وفى نسخة من بصره اى لما اصابه وهن من جهة بصره
(وضعف نظره لا لشئ طرأ) بالهمز اى عرض وحدث (عليه فى ميزه) بفتح الميم وسكون التحتية وبالزاى اى تمييزه
وتفرقته بين الاشياء قال التلمسانى وروى فى غيره اقول الظاهر انه تصحيف (واذا كان) اى امره عليه الصلاة
والسلام (هذا) الذى ذكرناه فى هذا المقام (لم يكن فى اصابة السحر) وفى نسخة لم يكن ما ذكر فى اصابة السحر
(له وتأثيره فيه) اى فى ظاهر امره (ما يدخل عليه لبسا) اى خلطا فى باطنه (ولا يجد به الملحد) المائل عن الحق فى مقاله
(المعترض) بعقله التابع لباطله (انسا) بضم فسكون اى تبصرا فيما لا يجدى بطائله

─

(فصل)

(هذا) الذى ذكرنا فى الفصل الذى قدمنا على ما حررنا (حاله) من جهة امراض واعراض نازلة
او حاصلة له (فى جسمه) من ظاهر جسده وباطنه (فاما احواله) اى الواردة (فى امور الدنيا) اى الخارجة عن جسمه
(فنحن نسبرها) بنون مفتوحة وسين ساكنة وبموحدة مضمومة فراء من سبرها او بضم نون فكسر موحدة من اسبرها
اى نقيد احواله ونروز افعاله ونوردها (على اسلوبها) ويروى على اسلوبنا (المتقدم) اى طريقها السابق (بالعقد)
بمعنى الاعتقاد (والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد) اى يظن النبى عليه الصلاة والسلام (فى امور الدنيا الشئ
على وجه) من جواز فعله وتركه فى بادئ رأيه (ويظهر خلافه او يكون منه على شك) اى تردد لا يترجح احد طرفيه
(او ظن) يترجح عنده احد شقيه ويتبين ضده بعده وهذا كله فى امر الدنيا وما يتعلق به من الفرع (بخلاف امور
الشرع كما) يدل عليه ما (حدثنا ابو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة (سفيان بن العاص) بغير الياء فى آخره (وغير
واحد) من المشايخ (سماعا) من بعض (وقراءة) على بعض وهما منصوبان على التمييز او حالان (قالوا) كلهم (ثنا
ابو العباس احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازى ثنا ابو احمد بن عمرويه) بفتح فسكون فضم وفتح فسكون هاء وفى نسخة
ففتح تاء وفى نسخة بفتح الراء والواو وسكون الياء وكسر الهاء (ثنا ابن سفيان) هذا ابو اسحق محمد بن سفيان
راوى الصحيح عن مسلم (ثنا مسلم) اى ابن الحجاج الحافظ صاحب الصحيح (ثنا عبد الله) ويقال عبيد الله (ابن الرومى)
يروى عن ابن عيينة انفرد مسلم بالاخراج له (وعباس العنبرى) منسوب الى بنى العنبر ابن عمرو بن تميم من حفاظ البصرة
روى عن القطان وعبد الرزاق وعنه مسلم والاربعة والبخارى تعليقا قال النسائى ثقة مأمون توفى سنة ست واربعين
ومائتين (واحمد المعقرى) بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وفى نسخة بكسر الميم وفتح القاف وفى اخرى
بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة الى ناحية من اليمن توفى بعد خمس وخمسين ومائتين كان بزازا بزا بين
بمكة روى عنه مسلم (قالوا) اى كلهم (ثنا النضر بن محمد) هو الجرشى اليمانى يروى عن شعبة وغيره وعنه احمد العجلى
اخرج له الستة الا النسائى (قال حدثنى عكرمة) اى ابن عمار (ثنا ابو النجاشى) هو عطاء بن صهيب روى عنه
عكرمة والاوزاعى وجماعة اخرج له الشيخان والنسائى وابن ماجه (ثنا رافع بن خديج) انصارى اوسى حارثى شهد
احدا عاش ستا وثمانين سنة توفى بالمدينة سنة ثلاث وسبعين اخرج له الائمة الستة (قال قدم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم المدينة وهم يأبرون) بضم الموحدة وفى نسخة يؤبرون بضم اوله وكسر بائه مشددة وهو رواية الطبرانى
يلقحون (النخل) بوضع طلع ذكورها فيها (فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه) اى شيأ على عادتنا ليكثر فيما يثمر (قال
لعلكم لو لم تفعلوا) اى لو تركتم تأبيرها (كان خيرا) من تأبيرها بناء على عدم المعالجة فى تدبير لتأثيرها (فتركوه
فنفضت) بفتح النون والفاء والضاد المعجمة اى اسقطت حملها من ثمرها وروى فنقصت بالقاف والصاد المهملة وقيل
هو تصحيف وعلى تقدير صحته اما بمعنى اسقطت واما قلت فى الحمل واما قلت فى نفسها مع كثرتها اى صارت حشفا
وروى نصبت بصاد مهملة بعدها موحدة وبغين معجمة وصاد مهملة قال القاضى ولا معنى لهما وقيل فى معناهما
ان نصبت من النصب وهو التعب ومعناه ان ثمرها لم يخرج الا بنكد فصار كانه تعب وان نغصت من قولهم نغص لم يتم
مراده قال ابن قرقول وفى هذه اللفظة روايات كلها تصحيف الا الاول (فذكروا ذلك له) اى من نقصان الثمر (فقال انما انا

بشر اذا امرتكم بشئ من دينكم) اى ولو برأيى (فخذوا به) لانه عليه الصلاة والسلام مبين لاحكام الاسلام (واذا امرتكم بشئ من رأيى) وفى رواية من رأى اى فى امر دنياكم مما ليس له تعلق بامر دينكم وآخرتكم (فانما انا بشر) مثلكم فقد اصيب وقد اخطئ فالامر فيه مخير لكم (وفى حديث انس) وفى نسخة رواية انس اى لمسلم عنه (انتم اعلم بامر دنياكم) ان اردتم تبعتمونى وان اردتم اخترتم رأيكم (وفى حديث آخر) رواه مسلم عن طلحة (انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن) ان لم يكن مطابقا لظنكم وموافقا لرأيكم هذا وعندى انه عليه الصلاة والسلام اصاب فى ذلك الظن ولو ثبتوا على كلامه لفاقوا فى الفن ولارتفع عنهم كلفة المعالجة فانما وقع التغير بحسب جريان العادة الا ترى ان من تعوّد باكل شئ او شربه يتفقده فى وقته واذا لم يجده يتغير عن حالته فلو صبروا على نقصان سنة او سنتين لرجع النخيل الى حاله الاول وربما انه كان يزيد على قدره المعوّل وفى القضية اشارة الى التوكل وعدم المبالغة فى الاسباب وقد غفل عنها ارباب المعالجة من الاصحاب والله تعالى اعلم بالصواب (وفى حديث ابن عباس) رضى الله عنه كما رواه البزار بسند حسن (فى قصة الخرص) بفتح الخاء المعجمة فراء ساكنة فصاد مهملة هو الحزر والتقدير لما على الشجر من الرطب تمرا ومن العنب زبيبا اى تخمينه ظنا والقصة ما روى عن ابى حميد قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك فاتينا وادى القرى على حديقة لامرأة فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اخرصوها فخرصناها وخرص رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عشرة اوسق وقال لها احصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله تعالى الى قوله ثم اقبلنا حتى قدمنا وادى القرى فسأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها فقالت عشرة اوسق (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما انا بشر) وفى كلام جنسهم خطر (فما حدثتكم عن الله تعالى) اى وحيه جليا او خفيا (فهو حق) اى صواب دائما (وما قلت فيه) اى من امور الدنيا (من قبل نفسى) اى مما خطر لى (فانما انا بشر اخطئ واصيب وهذا) وارد (على ما قررناه) آنفا من انه عليه الصلاة والسلام قد يعتقد الشئ من امور الدنيا على وجه ويظهر خلافه كذا قرره الدلجى على طبق ما حرره القاضى ولكن فيه انه لم يعتقده بل ظنه كما يدل عليه قوله (فيما قاله من قبل نفسه فى امور الدنيا وظنه من احوالها) الجارية على منوال افعال اهلها فى منالها (لا ما قاله من قبل نفسه) جزما مع انه جاء مطابقا لما قاله جزما (واجتهاده فى شرع شرعه) اى اظهره وبينه عزما (وسنة) وفى نسخة او سنة (سنها) اى طريقة اخترعها لحديث ابى داود عن المقدام بن معدى كرب قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا انى اوتيت القرآن ومثله معه يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ما حرم الله تعالى الا لا يحل الحمار الاهلى ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه (وكما حكى ابن اسحق) وقد رواه البيهقى عن عروة والزهرى ايضا (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بادنى مياه بدر) اى فى ابعدها منه (قال له الحباب بن المنذر) بضم الحاء المهملة وهو حد بن الخزرجى وكان يقال له ذو الرأى توفى فى خلافة عمر كما لا ولم يرو نقلا (هذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه) لا بان نتأخر عنه ولا ان نتقدم عليه (ام هو الرأى والحرب والمكيدة) وهى مفعلة من الكيد بمعنى المكر يعنى فلنا المخالفة فان الحرب خدعة والمكيدة بمعنى الخديعة واقعة (قال لا) اى لم ينزلنى الله تعالى فيه ولم يأمرنى به وانما وقع نزولى فيه اتفاقا من غير تأمل فى امره وقدام نبى الله تعالى بقبول قولكم فى مصلحة امركم حيث قال وشاورهم فى الامر (قال فانه ليس بمنزل) مرضى بحسب العقل (انهض) بفتح الهاء والضاد المعجمة وهو القيام الى الشئ بالسرعة والعجلة اى قم لنا وانتقل بنا (حتى نأتى ادنى ماء) اى اقربه (من القوم) يعنى قريشا (فننزله ثم نعوّر ما وراءه من القلب) بضمتين جمع قليب وهو البئر ونعوّر بتشديد الواو المكسورة بعد عين مهملة وقيل معجمة فعلى الاول اى نفسدها عليهم وعلى الثانى نذهبها فى الارض وندفنها لئلا يقدروا على الانتفاع بها وفى رواية السهيلى بضم العين المهملة وسكون الواو وهى لغة فيها (فنشرب ولا يشربون) اى منها (فقال اشرت بالرأى) اى الصحيح (وفعل ما قاله) اى الحباب فى هذا الباب وقد روى ابن سعد انه نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الرأى ما اشار به الحباب (وقد قال الله تعالى) اى وامره عليه الصلاة والسلام بقوله (وشاورهم فى الامر) ومدحهم فى مواضع اخر فقال وامرهم شورى بينهم وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما تشاور قوم الا هدوا لارشد امرهم وقد ورد ما خاب من استخار ولا ندم من استشار (واراد) اى النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة الاحزاب (مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمر المدينة) من التمر وغيره وفى نسخة بالثاء الفوقية (فاستشار الانصار) كما رواه البزار عن ابى هريرة رضى الله عنه بلفظ جاء الحارث الغطفانى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا ثمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا

ورجلا فقال حتى استأمر السعود يعنى سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فشاورهما فقالا لا والله ما اعطينا الدنية من انفسنا بالجاهلية فكيف وقد جاء الله تعالى بالاسلام وفى رواية ابن اسحق انه عليه الصلاة والسلام اراد فى غزوة الخندق ان يقاضى اى يصالح بذلك عيينة بن حصين الفزارى والحارث بن عوف المرى وهما قائدا غطفان فاستشار صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فقال سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله تعالى وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا فحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم فقال عليه الصلاة والسلام فانت وذاك القصة وهذا معنى قوله (فلما اخبروه برأيهم رجع عنه) اى عن رأيه (فمثل هذا) اى ما ذكر عن الحباب ببدر وعن الانصار فى الاحزاب (واشباهه من امور الدنيا) مما لم يكن به الاعتناء (وهى التى لا مدخل فيها العلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها) اى مما لم يؤمر به بيانا وتعليما وتبيانا (يجوز عليه فيها ما ذكرناه) وفى نسخة ما ذكروا اى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد يظن شيأ على وجه ويظهر خلافه (اذ ليس فى هذا كله نقيصة) اى منقصة (ولا محطة) له عن رفعة مرتبة وعلو منزلة (وانما هى امور اعتيادية) اعتادها الناس والفوها (يعرفها من جربها) مرة بعد اخرى (وجعلها همه) اى غاية همه فيها وشغل نفسه بها وعالجها وعاناها (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) يقول فى دعائه ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا وهو (مشحون القلب) اى مملوءه بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها من آداب العبودية (ملآن الجوانح) اى الاضلاع وفى نسخة الجوارح (بعلوم الشريعة مقيد البال) اى مربوط القلب فى جميع الحال (بمصالح الامة الدينية والدنيوية) اى التى لها تعلق بالامور الاخروية (ولكن هذا) اى ما يظنه على وجه ويظهر خلافه (انما يكون فى بعض الامور) الدنيوية اى التى ليس لها تعلق اصلا بالاحوال الدينية (ويجوز) اى وقوع مثله عنه (فى النادر منها وفيما سبيله التدقيق) اى تدقيق النظر وتحرير الفكر (فى حراسة الدنيا) بكسر اوله اى محافظتها ومراعاتها (واستثمارها) اى تحصيل ثمرتها ونتيجتها المترتبة عليها (لا فى الكثير) من امورها (المؤذن بالبله) بفتحتين اى المشير الى البلاهة (والغفلة) المؤذنة بقلة شعورها والحاصل انه عليه الصلاة والسلام واتباعه الكرام كانوا على ضد حال الكفار وارباب الكفر اللئام كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (وقد تواتر بالنقل) من جمع يمتنع من تكذيبهم العقل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من المعرفة بامور الدنيا) واحوالها (ودقائق مصالحها وسياسة فرق اهلها ما هو معجز فى البشر) حيث لم يقدر احد ان يأتى بنظام امور هذا الباب (مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب)

(فصل)

(واما ما يعتقده) وفى حاشية الحجازى ويروى بضم اوله وفتح ثالثه والقاف (فى امور احكام البشر الجارية على يديه) صلى الله تعالى وسلم عليه (وقضاياهم) المرفوعة منهم اليه (ومعرفة المحق منهم من المبطل) واغرب التلمسانى فى ضبطهما بصيغة المفعول وتفسيرهما بالحق والباطل وغرابته من جهة المبنى والمعنى فى هذا المقام مما لا يخفى (وعلم المصلح من المفسد) من يداخل باصلاح او افساد من العباد فى امور البلاد (فهذا السبيل) اى ما ذكر هنا من معتقده ومعرفته على الوجه الجميل (لقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان وغيرهما عن ام سلمة (انما انا بشر وانما يوحى الى احيانا (وانكم تختصمون) بينكم وترفعون الامر (الى ولعل بعضكم الحن) اى اعرف وافطن (بحجته) اى خصومته وتبيين بينته وطريق تثبيته ومنه قول عمر بن عبد العزيز عجبت لمن لاحن الناس كيف لا يعرف جوامع الكلم اى فاطنهم (من بعض) لبلاهته او لصفاء حالته (فاقضى له) اى فاحكم (على نحو) بالتنوين (مما اسمع) اى منه كما فى نسخة يعنى من كلامه حيث لم اعرف حقيقة مرامه وفى نسخة على نحو ما اسمع بالاضافة (فمن قضيت له من حق اخيه بشئ) فيما ظهر لى على وجه يكون الامر فى الواقع بخلافه (فلا يأخذ منه شيأ فانما اقطع له قطعة من النار) لبناء احكام شريعته على الظاهر وغلبة الظن فى قضيته وقد ورد نحن نحكم بالظواهر والله اعلم بالسرائر وانما صدر الحديث بقوله انما انا بشر مثلكم ايذانا بان السهو والنسيان غير مستبعد من الانسان وان الوضع البشرى يقتضى ان لا يدرك من الامور الشرعية الا ظواهرها تمهيدا للمعذرة فيما عسى يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من امثال تلك الاحكام ولو كان نادرا فى الايام وليس هذا من قبيل الخطأ فى الحكم فان الحاكم مأمور مكلف بان يحكم بما يسمع من كلام الخصمين وبما تقتضيه البينة لا بما فى نفس الامر فى القضية حتى لو حكم لمبطل فى دعواه بشاهدى زور وفق مدعاه وظن القاضى عدالتهما فهو محق فى الحكم وان لم يكن المحكوم به ثابتا فى نفس الامر (حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله تعالى) اى الباجى وهو هشام بن احمد وهو ابن العواد (حدثنا

الحسين بن محمد الحافظ) هو ابو على الغسانى (ثنا ابو عمر) اى ابن عبد البر حافظ الغرب (ثنا ابو محمد) هو عبد الله بن محمد ابن عبد القرطبى من قدماء شيوخ ابن عبد البركان تاجرا صدوقا (ثنا ابو بكر) وهو ابن داسة راوى السنن عن ابى داود (ثنا ابو داود) وهو حافظ العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن كثير) بفتح الكاف وكسر المثلثة العبدى البصرى روى عن شعبة والثورى عاش تسعين سنة اخرج له الائمة الستة (اخبرنا سفيان) قال الحلبى الظاهر انه الثورى ومستندى فى هذا ان الحافظ عبد الغنى ذكر الثورى فيمن روى عنه محمد بن كثير ولم يذكر ابن عيينة وفى التذهيب قال روى عن سفيان واطلق فحملت المطلق على المقيد قلت وكلاهما امامان جليلان فى مقامهما فلا اشكال فى ابهامها (عن هشام بن عروة عن ابيه) سبق الكلام عليهما (عن زينب بنت ام سلمة) ربيبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم صحابية اخرج لها الائمة الستة لها الرواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ايضا وكان اسمها برة بفتح الموحدة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تزكوا انفسكم الله اعلم باهل البر منكم فسماها زينب (عن ام سلمة) احدى امهات المؤمنين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث) كما تقدم وسبق انه رواه الشيخان وغيرهما (وفى رواية الزهرى) وهو الامام العالم (عن عروة) وقد تقدم (فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض) اى افصح او اكثر بلاغا يقال بالغ يبالغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد فى الامر اى اجهد نفسه فى ايصال كلامه الى ذهن سامعه واقتصر الدلجى عليه وفيه انه لا يبنى افعل من غير الثلاثى المجرد الا بتقوية اشد ونحوه فلو اريد هذا المعنى لقيل اكثر تبليغا او اشد بلاغا ونحوهما (فاحسب انه صادق) اى اظن انه فى قوله لما فى نفس الامر موافق (فاقضى له) بما اظنه انه يستحقه (ويجرى) من الاجراء اى ويمضى (احكامه عليه الصلاة والسلام) وفى نسخة يجرى من الجريان اى ويقع احكامه عليه الصلاة والسلام ويروى احكامهم (على الظاهر) من الامور واحوال الانام (وموجب) بفتح الجيم اى ومقتضى (غلبات الظن) جمع باعتبار جمع القضايا (بشهادة الشاهد) اى جنسه تارة (ويمين الحالف) اخرى عند انكاره وعدم البينة على خلافه (ومراعاة الاشبه) مما يظنه حقا وقال التلمسانى يعنى فى الحكم بالقائف اقول وهذه مسئلة مختلف فيها (ومعرفة العفاص) بكسر العين والصاد المهملتين بينهما فاء بعدها الف الوعاء الذى يكون فيه الشئ (والوكاء) بكسر اوله ممدودا خيط الوعاء والمراد كل ما يربط من صرة وغيرها والمعنى انه عليه الصلاة والسلام بنى امره فى الاحكام على الامور الظاهرة من الشهادة واليمين والشبه ومعرفة الوعاء والوكاء فى اللقطة من الاشياء وقد اغرب الدلجى حيث قال كنى بالعفاص والوعاء عما يظهر له من فحوى كلام الخصمين مما يظن به حقيقة ما ادعى به (مع مقتضى حكمة الله تعالى فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه) اى نبيه (على سرائر عباده) من اهل ملته (ومخبئات) اى مخفيات (ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه) حينئذ (دون حاجة) اى من غير افتقار له (الى اعتراف) من احد المتخاصمين بالحق (او بينة او يمين او شبهة) اى مشابهة ومناسبة ترجح الحكم لاحد وكل ذلك على تقدير مشيئة الله تعالى اطلاعه عليه الصلاة والسلام فى القضايا (ولكن لما امر الله تعالى امته باتباعه) فى قواعد شريعته (والاقتداء به فى افعاله واحواله وقضاياه وسيره) اى طريقته (وكان هذا) اى ما امر الله تعالى امته باتباعه فى جميع سيرته (لو كان مما يختص) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بعلمه ويؤثره الله تعالى به) اى بانفراده واختصاصه (لم يكن للامة سبيل الى الاقتداء به فى شئ من ذلك) لعدم اطلاعهم على حقيقة وقوع ما هنالك (ولا قامت) بعده (حجة) على من خالف امرا من امور دينه (بقضية من قضاياه لاحد) من حكام ملته (فى شريعته) على احد من امته (لانا لا نعلم مما اطلع) من الاطلاع او الاطلاع اى مما اوثر به (هو فى تلك القضية) المرفوعة اليه (لحكمه هو اذن) اى حينئذ (فى ذلك) اى فى وقت ورودها هنالك (بالمكنون) اى المستور (من اعلام الله تعالى له بما اطلعه عليه من سرائرهم) اى ضمائرهم (وهذا) الامر المكنون والسر المصون (مما لا تعلمه الامة) اذ لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واما الاولياء وان كان قد ينكشف لهم بعض الاشياء لكن علمهم لا يكون لهم يقينا والهامهم لا يفيد الا امرا ظنيا وبهذا المقال يندفع ما يرد على الحصر فى الاية من نوع الاشكال والله تعالى اعلم بالاحوال ثم الاولياء من ارباب الكشوف لا يوجدون فى كل زمان ومكان ايضا ورب مدعى كل احدانه فى مرتبة الولاية العلية (اجرى الله تعالى احكامه الشرعية على ظواهرهم) فى القضية (التى يستوى فيها هو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (وغيره من البشر) فى زمنه وبعده من الايام (ليتم) من الائتمام او التمام اى ليتم (اقتداء امته به فى تعيين قضاياه) اى احكام ملته (وتنزيل احكامه) على امته وفق قواعد شريعته (ويأتون ما اتوا من ذلك) اى يفعلون ما فعلوا من الحكم بطريقته (عن علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول) اى وحده على خلاف فيه (وارفع) اى ادفع كما روى (لاحتمال اللفظ وتاويل المتأول) وفيه ان الاحكام منه عليه الصلاة والسلام كانت جامعة بين الفعل والقول والا ففى قضية الحال كلام لاهل

المقال (فكان حكمه على الظاهر اجلى) اى اظهر لكل احد (فى البيان) اى فى ميدان العيان (واوضح) اى ابين (فى وجوه الاحكام) اظهور المرام (واكثر فائدة لموجبات التشاجر) اى التخالف والتنازع (والخصام) اى التخاصم فى الاحكام (وليقتدى بذلك كله) اى بقضاياه وفق شريعته (حكام امته) وعلماء ملته (ويستوثق) عطف على ليقتدى اى يستمسك وليس بتصحيف كما ظنه الانطاكى وفى نسخة يستوسق بالسين بدل المثلثة اى يجتمع وينتظم (بما يؤثر عنه) اى يروى من بيان قواعد طريقته (وينضبط قانون شريعته) المشتملة على كليات اصولية يبنى عليها جزئيات فرعية (وطى ذلك) اى عدم اطلاع ما هنالك (عنه) عليه الصلاة والسلام فيما تتعلق به القضايا والاحكام (من علم الغيب الذى استأثر) اى انفرد (به عالم الغيب) اى ما غاب عن غيره (فلا يظهر على غيبه احدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) اى من ملك او بشر (فيعلمه منه) اى بعضه لا كله (بما يشاء) اى بشئ يشاء او بقدر يشاء (ويستأثر) اى وينفرد (بما يشاء) وفى نسخة فى الموضعين بما شاء (ولا يقدح هذا) اى عدم اطلاعه ببعض قضية (فى نبوته) من رفعة مرتبته (ولا يفصم) بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد اى لا يكسر ولا يحل (عروة) اى عقدة (من عصمته) اى نزاهته من طهارته

(فصل)

(واما اقواله الدنيوية) اى الصادرة منه فى غير الامور الاخروية (من اخباره) بكسر اوله اى اعلامه (عن احواله واحوال غيره وما يفعله او فعله) مستقبلا او ماضيا (فقد قدمنا ان الخلف) اى التخلف او صدور الخلاف او الاخلاف وفسر بالكذب (فيها) اى فى تلك الاقوال وفى نسخة فى هذا اى هذا النوع (ممتنع عليه) ولا يجوز ان ينسب شئ منه اليه لعصمته فى اخباره (فى كل حال) يكون عليها (وعلى اى وجه) يتصور فيها (من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى او غضب) اى فرح او حزن (وانه) وفى نسخة فانه (عليه الصلاة والسلام معصوم منه) اى من الخلف فى اخباره فى جميع احواله واسراره (هذا) اى ما ذكر (فيما طريقه الخبر المحض) الذى ليس فيه تورية لمصلحة (مما يدخله الصدق والكذب) اى بالنسبة الى غيره (فاما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها) صفة كاشفة (فجائز ورودها منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (فى الامور الدنيوية لا سيما) اى خصوصا (لقصد المصلحة) المتعلقة بالاحوال الاخروية (كتوريته عن وجه مغازيه) حيث كان اذا اراد غزاة ورى بغيرها اى سترها واوهم انه يريد غيرها واصله من الوراء اى التى البيان وراء ظهره (لئلا يأخذ العدو حذره) اى احترازه واحتراسه بعد بلوغ خبره وفى الحديث ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب (وكما) عطف على كتوريته وقال الدلجى اى ومثل توريته ما (روى من ممازحته ودعابته) بضم داله المهملة اى ملاعبته ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وفيه اشارة الى ملاعبة صغارهم فعن انس انه عليه الصلاة والسلام دخل على ام سليم فرأى ابا عمير حزينا فقال يا ام سليم ما بال ابى عمير حزينا قالت يا رسول الله مات نغيره الذى كان يلعب به فقال عليه الصلاة والسلام ابا عمير ما فعل النغير رواه الترمذى او المراد بها ممازحته ومطايبته ومنه قول عمر وقد ذكر عنده على للخلافة ولا دعابة فيه فتحصل ان الدعابة اعم من الممازحة (لبسط امته معه) اى لانبساطهم معه او لانبساطه معهم وانشراح صدر وطيب خاطر فيما بينهم تأليفا لهم ببشاشة ملاقاة وطلاقة وجه وحلاوة مكالمة (وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته) قال الدلجى من بيانية لا تبعيضية واقول الاظهر الثانى لان مزاحه عليه الصلاة والسلام لم يكن مع جميع اصحابه الكرام (وتأكيدا فى تحبيبهم) ويروى فى تحبيبهم اى فى محبتهم فيه وميلهم اليه (ومسرة نفوسهم) اى فرحهم حال حضورهم لديه صلى الله تعالى وسلم عليه (كقوله) لبعض اصحابه على ما رواه ابو داود والترمذى وصححه عن انس رضى الله عنه (لاحملنك على ابن الناقة) ولفظ الترمذى ان رجلا استحمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى حاملك على ولد الناقة وروى ابن سعد باسناده ان ام ايمن جاءت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت احملنى فقال احملك على ولد الناقة فقالت انه لا يطيقنى فقال لا احملك الا على ولد الناقة والابل كلها اولاد النوق فدل على تعدد الواقعة فقال يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة فقال عليه الصلاة والسلام وهل تلد الابل الا النوق (وقوله) فيما رواه ابن ابى حاتم وغيره من حديث عبد الله بن سهم الفهرى (للمرأة التى سألته عن زوجها أهو الذى بعينه بياض وهذا) اى ما قاله عليه الصلاة والسلام مداعبة (كله صدق لان كل جمل) صغيرا كان او كبيرا هو (ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض) اى قليل غالبا (وقد قال عليه الصلاة والسلام) اى حين قالوا يا رسول الله انك تداعبنا (انى لامزح ولا اقول الا حقا) رواه الترمذى وقال العلماء المباح من المزاح هو الذى يفعل على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب وهذا القدر هو المستحب وهو الذى كان يفعله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واما الذى فيه افراط مما يورث الضحك

وقسوة القلب والشغل عن ذكر الله تعالى وامور الدين ويؤول فى كثير من الاوقات الى الايذاء ويورث الاحقاد فهو منهى عنه (هذا) اى مزاحه (كله فيما بابه الخبر) بمعنى الاخبار (فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر) باللام او بالصيغة (والنهى) اى صورة النهى للغائب او الحاضر ولو (فى الامور الدنيوية فلا يصح) القول بصدوره (منه ايضا ولا يجوز عليه ان يأمر احدا بشئ او ينهاه عنه وهو يبطن) اى يضمر (خلافه) جملة حالية (وقد قال عليه الصلاة والسلام ما كان) اى ما صح وما استقام (لنبى ان تكون له خائنة الاعين) اى ايماؤه بها على وجه الخيانة وقد قال تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور اى ما يسترق من النظر الى ما لا يحل وقيل هو النظر لريبة وما تخفى الصدور من خبث النية وفساد الطوية والخائنة اسم فاعل او مصدر بمعنى الخيانة اى ما يخان به كالعافية بمعنى المعافاة وعن الشيخ ابى الحسن الشاذلى خائنة الاعين النظر لمحاسن المرأة وما تخفى الصدور حب مواقعتها وفى بعض الكتب المنزلة من قول الله عز وجل انا مرصاد لهم انا العالم بجوال الفكر وكسر الجفون اى من البصر وسبب ورود الحديث انه عليه الصلاة والسلام لما كان يوم فتح مكة آمن الناس الا جماعة منهم عبد الله ابن ابى سرح فاختبأ عند عثمان رضى الله عنه وكان اخاه لامه فلما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الى البيعة جاء به حتى اوقفه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يأبى فبايعه بعد ذلك ثم اقبل على اصحابه فقال أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآنى كففت يدى عن مبايعته فيقتله فقالوا ما ندرى يا رسول الله ما فى نفسك ألا اومأت الينا بعينك قال انه لا ينبغى ان يكون لنبى خائنة الاعين رواه ابو داود والنسائى من حديث سعد ابن ابى وقاص واختلف فى المراد بخائنة الاعين كما قاله ابن الصلاح فى مشكله فقيل هى الايماء بالاعين وقيل مسارقة النظر وعبارة الرافعى هو الايماء الى مباح من ضرب او قتل على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال وانما قيل لها خائنة الاعين تشبيها بالخيانة من حيث انه يخفى خلاف ما يظهر واختاره النووى وقال كان يحرم ذلك عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يحرم على غيره الا فى محظور وقال صاحب التلخيص من الشافعية لم يكن له عليه الصلاة والسلام ان يخدع فى الحرب مستدلا بهذا الحديث وخالفه الجمهور ورده الرافعى بانه اشتهر انه كان اذا اراد سفرا ورّى بغيره وهو فى الصحيحين من حديث كعب بن مالك وصح انه عليه الصلاة والسلام قال الحرب خدعة وهو بفتح الخاء لغة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها لغات اخرى والفرق انهم ان الرمز يزرى بالرامز بخلاف الايهام فى الامور العظام وعبد الله هذا كان كاتبه عليه الصلاة والسلام فارتد ثم اسلم وحسن اسلامه ومات ساجدا والحاصل انه عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن له خيانة الاعين فى الامر الظاهر (فكيف ان تكون له خيانة القلب) وهو بيت الرب الطيب الطاهر وروى خائنة القلب (فان قلت فما معنى قوله تعالى فى قصة زيد) اى ابن حارثة الكلبى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسم فى القرآن احد من الصحابة باسمه الا زيد هذا قيل وسر ذلك انه عليه الصلاة والسلام كان تبناه وكان يدعى زيد ابن محمد فلما نزل ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله اى اعدل واقوم قيل زيد بن حارثة فلما فاته شرافة عظيمة ونسبة وسيمة ابدله الله من ذلك ان سماه فى كتابه هنالك اشعارا بانه سماه فى ازله فيصير رفعة لمحله حيث جعل اسمه فى كتابه المسطور المحفوظ فى الصدور وقد قتل فى غزوة مؤتة شهيدا بعد ان عاش مدة مديدة فى خدمته عليه الصلاة والسلام سعيدا وكان عليه الصلاة والسلام خطب زينب بنت جحش الاسدية بنت عمة النبى عليه الصلاة والسلام لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه فى الجاهلية فاعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة فيها حدة وكذلك كره اخوها عبد الله بن جحش فنزل قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا فلما سمعا ذلك رضيا بما هنالك وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وكان مرة معها فرآها عليه الصلاة والسلام مرة فوقعت فى نفسه عليه الصلاة والسلام فقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت تسبيحه فذكرته لزيد ففطن له ثم كره صحبتها ورغب عنها لاجله عليه الصلاة والسلام فقال اريد ان افارقها فقال أرابك منها شئ قال لا والله ولكنها تتعاظم على بشرفها وتؤذينى بلسانها ثم طلقها فلما انقضت عدتها قال له عليه الصلاة والسلام ما اجد احدا اوثق فى نفسى منك اخطب لى زينب قال فانطلقت اليها فاذا هى تخمر عجينها قال فلما رأيتها عظمت فى نفسى فلم استطع النظر اليها الرغبة

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيأ حتى اوامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل (واذ تقول للذى انعم الله عليه) بالاسلام الذى هو اجل انواع الانعام (وانعمت عليه) بالعتق والتبنى المنبئ عن كمال الاكرام (امسك عليك زوجك) اى اصبر عليها (الآية) اى واتق الله اى لا تطلقها فان الطلاق ابغض الحلال الى الله الملك المتعال وتخفى فى نفسك ما الله مبديه اى شئ الله تعالى مظهره وتخشى الناس فى مقالتهم بالطلاق السيئ وقال ابن عباس والحسن اى تستحيى منهم والله احق ان تخشاه وان لا تلتفت الى ما سواه (فاعلم اكرمك الله ولا تسترب) اى لا تكتسب ريبة ولا تشك (فى تنزيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبرئته (عن هذا الظاهر) كما بينه بقوله (وان يأمر زيدا بامساكها وهو) اى والحال انه (يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما فى هذا المعنى ما حكاه اهل التفسير) كالبغوى وغيره (عن على بن الحسين) اى ابن على ابن ابى طالب وهو الامام زين العابدين (ان الله تعالى كان اعلم نبيه عليه الصلاة والسلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه) وفى نسخة عنه (فى نفسه) اى فى باطنه استحياء منه مع كونه مباحا (ما اعلمه الله تعالى به من انه سيتزوجها مما الله مبديه) اى مبينه (ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها) مصلحة لعباده وحكمة فى مراده المبين بقوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له وتوضيح هذا الكلام وتصحيح هذا المرام ما ذكره البغوى فى تفسيره انه روى سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان قال سألنى على بن الحسين زين العابدين ما يقول ابو الحسن فى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت لما ان جاء زيد الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا نبى الله اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك قال امسك عليك زوجك واتق الله فقال على بن الحسين ليس كذلك فان الله قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال انى اريد ان اطلقها قال امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى فقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلمه انه يبدى ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذى اضمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محبتها او طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء ان يقول لزيد ان التى تحتك فى نكاحك ستكون امرأتى قال البغوى وهذا قول حسن مرضى وان كان القول الآخر وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح فى حال الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع فى قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يتصد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسنة لا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه تعالى لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى احق بالخشية فى عموم الاحوال وفى جميع الاشياء هذا وزين العابدين احد النظراء السبعة وهم كلهم مدنيون هو وعلى ابن عبد الله بن العباس وابان بن عثمان ابن عفان وسالم بن عبد الله بن عمر وابو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف وابو بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم وعبد الله بن هرمز الاعرج (وروى) وفى نسخة وذكر (نحوه عن عمرو بن فائد) بالفاء فى اوله ودال مهملة فى آخره وهو ابو على الاسوارى قال الدارقطنى متروك وقال ابن عدى منكر الحديث وقال العقيلى كان يذهب الى القدر والاعتزال ولا يقيم الحديث (عن الزهرى) هو ابن شهاب تابعى جليل (قال نزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يعلمه ان الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك) اى تزوجها (الذى اخفى فى نفسه) واعلم ان فى ازواجه عليه الصلاة والسلام زينب اخرى هى بنت خزيمة بن الحارث تسمى ام المساكين تزوجها عليه الصلاة والسلام فى شهر رمضان على رأس احد وثلاثين شهرا من الهجرة ومكثت عنده ثمانية اشهر وتوفيت على رأس تسعة وثلاثين شهرا من الهجرة وصلى عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودفنها بالبقيع ولذا قيد زينب فى الاصل بقوله بنت جحش فان الآية نزلت فيها (ويصحح هذا) المروى عن الزهرى (قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا) اى لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا) اى ما يصحح (ان الله تعالى لم يبد من امره) اى لم يظهر من شأنه (معها غير زواجه لها فدل انه الذى اخفاه عليه الصلاة والسلام مما كان اعلمه به تعالى) اى لا غيره (وقوله) اى ويوضح هذا ايضا قوله (تعالى فى القصة) هذه (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله) اى قدره (له) وقضاه واوجبه وامضاه (سنة الله) اى سن سنة مؤكدة وقضية مؤيدة (الآية) اى فى الذين خلوا من قبل اى مضوا من

قبله من ارباب النبوة واصحاب الرسالة حيث اباح لهم كثرة النساء فكان لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية (وكان امر الله قدرا مقدورا) اى قضاء مقضيا وامرا مقطوعا (فدل) اى قوله ما كان على النبى من حرج (انه) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لم يكن عليه حرج) اى ضيق واثم (فى الامر) اى المفروض له مما لا اثم بتركه (قال الطبرى) وهو الامام محمد بن جرير (ما كان الله ليؤثم) بتشديد المثلثة اى ينسب الى الاثم (نبيه فيما احل له مثال فعله) اى مثل فعل الله (لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله) اى شرع طريقته واظهر شريعته (فى الذين خلوا) اى مضوا (من قبل) اى من قبلك (اى من النبيين فيما احل لهم) من نكاح وغيره (ولو كان) اى ما اخفاه (على ما روى فى حديث قتادة) كما رواه عبد بن حميد عنه (من وقوعها) اى من وقوع محبة زينب (من قلب النبى صلى الله عليه وسلم) اى فى خاطره (عندما اعجبته) اى رؤيتها (ومحبته) اى ومن محبته (طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج) وهذا يندفع بما سبق وبما سيأتى بعد ايضا (وما لا يليق) اى ولكان فيه ما لا ينبغى (له من مد عينيه) اى طمعها وفى نسخة من مد عينه (لما نهى عنه) وفى رواية الى ما نهى عنه (من زهرة الحياة الدنيا) وفيه بحث اذ المراد بها زينتها المذمومة وبهجتها الملومة (ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم) اى لا يتصف (به الاتقياء فكيف سيد الانبياء) اقول هذا ليس بحسد اصلا لانه عليه الصلاة والسلام هو الذى اختارها له اولا ثم لما قدره الله وقضاه وقلب قلب نبيه بما كتب عليه وامضاه حين رآها واعجبته أدار عنها وجهه وقال سبحان مقلب القلوب تعجبا مما وقع له فى صورة ما يعد صدوره عن غيره من الذنوب وخطر بباله ان زيدا لو طلقها لادخلها فى حباله ومع هذا جاهد نفسه ولم يظهر باطن حاله وامره بامساك امرأته فى استقباله رعاية لحسن ماله ولكنه سبحانه وتعالى كما انه قلب قلب حبيبه الى محبتها اقلب قلب صاحبه الى كراهتها ليقضى الله امرا كان مفعولا (قال القشيرى) وهو الامام المفسر صاحب الرسالة وغيرها (وهذا) اى القول بوقوعها من قلبه ومحبة طلاق زيد لها (اقدام عظيم) اى جرأة كبيرة (من قائله وقلة معرفة بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبفضله فكيف يقال رآها فاعجبته وهى بنت عمته) اى اميمة بنت عبد المطلب (ولم يزل) اى دائما (يراها منذ ولدت) اى من ابتداء ما ولدت الى انتهاء ما كبرت (ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله تعالى عليه وسلم) اى قبل زواجها فقد روى ان آية الحجاب نزلت حين تزوج زينب واولم فلما طعموا جلس ثلاثة منهم متحدثين فخرج عليه الصلاة والسلام من منزله ثم رجع ليدخل وهم جلوس وكان عليه الصلاة والسلام شديد الحياء والحديث مروى فى الصحيحين (وهو زوجها لزيد) وفيه بحث اذ لا مانع من انه كان يراها وما تعجبه ثم رآها فاعجبته ليقضى الله امرا كان مفعولا وهذا لا ينافى قوله (وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى) بفوقية فموحدة مفتوحة فنون مكسورة مشددة (وابطال سببه) بموحدتين وفى نسخة سنته بنون ففوقية اى طريقته حسب عادته (كما قال ما كان محمد ابا احد من رجالكم) اى حقيقة (وقال) اى وقع ما وقع (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) اى شك وشبهة وضيق وتهمة (فى ازواج ادعيائهم) جمع دعى وهو المدعو بالابن وفى معناه المدعو بالاب والاخ والجد والام والاخت والبنت فانه لا يحرم شيأ (ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندى فان قيل فما الفائدة فى امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لزيد بامساكها فهو) اى فجوابه وفى نسخة فهى اى فائدة امره بالامساك (ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته) اى فى آخر الامر (فنهاه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلاقها اذ لم يكن بينهما) اى بين زيد وزوجته (الفة) الظاهر ان اذ تعليلية وحينئذ لم يتبين وجهه وكذا اذا كانت ظرفية فالاولى ان يحمل نهيه عن طلاقها لكونه عليه الصلاة والسلام شارعا وقد قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فلا يناسبه ان يأمره بالفراق ولا يبعد ان يقدر امسك عليك زوجك بمعروف او سرحها بمعروف كما قال تعالى فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ولعله كان يرجو ان الله تعالى يصلح بينهما او ان يقلب قلبه عليه الصلاة والسلام عن محبتها وارادة تزوجها فلا ينافى ما قررنا قوله (واخفى فى نفسه ما اعلمه الله تعالى به) من انها ستصير زوجته ان شاء الله وايضا لو امره بطلاقها لصارت سنة لمن بعده فى من تبناه بالنسبة الى زوجته او مطلقا لكل خليفة او قاض ونحوهما ولا يخفى ما يتفرع عليه من الفساد ويفوت طريق السداد (فلما طلقها زيد خشى قول الناس) اى استحيى منه او خاف تزلزل امر الامة على الاطلاق او كلام اهل النفاق (يتزوج امرأة ابنه فامره الله تعالى بزواجها) ويروى تزويجها بل زوجها الله تعالى كما قال فلما قضى زيد منها وطرا اى حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها (ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) اى دخلوا عليهن يعنى لئلا يظن ان حكم الادعياء حكم الابناء فانه جاز ان يتزوج موطوءة دعيه بخلاف موطوءة ابنه والظاهر انه لمسها لكن روى عن زينب انها قالت ما كنت امتنع عنه غير

ان الله تعالى منعنى منه (وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة) اى منعا لها (ورد النفس عن هواها) وانتظارا لرفع هذا الخاطر عنها (وهذا) القيل انما يعتبر (اذا جوزنا عليه) اى حملنا امره على (انه رآها فجأة) بفتح فسكون فهمزة وبضم ففتح فالف بعدها همزة لغتان وقيل الاول مصدر للمرة والثانى مصدر فجأه اذا جاءه بغتة (واستحسنها) اى واحبها (ومثل هذا) اى ما ذكر من رؤيته اياها فجاءة واستحسانه بغتة (لا نكرة فيه) بضم نون فسكون كاف كذا فى النسخ وقال الدلجى بالتحريك اسم من الانكار كالنفقة من الانفاق وهو كذلك فى القاموس وفيه ايضا ان النكر بالضم وبالضمتين المنكر انتهى وقد قرئ لقد جئت شيأ نكرا بهما فى السبعة (لما طبع عليه ابن ادم) اى خلق وجبل (من استحسانه للحسن) بفتحتين او بضم فسكون اى ميل طبعه الى الامر المستحسن (ونظرة الفجأة معفو عنها) جملة حالية (ثم قمع نفسه عنها) اى عن رؤيتها قصدا (وامر زيدا بامساكها) لزيادة ذمها ولانتظار رفعها (وانما تنكر تلك الزيادات التى) ذكرها بعض المفسرين (فى القصة) من انه عليه الصلاة والسلام اخفى عنه تعلق قلبه بها وارادة مفارقته لها (والتعويل) اى المعول عليه (والاولى) مما ينسب اليه (ما ذكرناه) وفى نسخة والتعويل على ما ذكرناه (عن على بن الحسين) على ما حررناه (وحكاه) اى وما رواه (السمرقندى) كما سبق عنه (وهو قول ابن عطاء وصححه) وفى نسخة واستحسنه (القاضى القشيرى) سبق انه غير الامام القشيرى (وعليه عول) اى وعلى ما ذكرنا اعتمد (ابو بكر ابن فورك وقال انه) اى ما عول عليه ابن فورك (معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال) اى ابن فورك (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه) اى مبرأ (عن استعمال النفاق فى ذلك) باخفائه خلاف ما يعلن واظهاره خلاف ما فى نفسه هنالك (وقد نزهه الله عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج) اى بأس بل له سعة (فيما فرض الله له) اى قدره وقضاه او اوجب عليه فعله وامضاه (وقال) اى ابن فورك (ومن ظن ذلك) اى ارادة مفارقتها (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد اخطأ خطأ بينا) وفيه بحث لانه عليه الصلاة والسلام اذا اعلمه الله تعالى بالوحى او الالهام انها ستصير زوجته فى بقية الايام فلا مانع من ان يريد مفارقتها وفق ارادة الملك العلام (وليس معنى الخشية هنا) اى فى قوله تعالى وتخشى الناس (الخوف) اى من ملامتهم لعدم مبالاته بهم (وانما معناه) اى اللفظ او ما ذكر وروى معناها اى اللفظة او الخشية (الاستحياء) اى ان يستحيى منهم ان يقولوا تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء جهلا منهم ان المراد بالابناء ابناء الاصلاب كما بينه تعالى بقوله وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم (وان) اى وانما معناه ايضا ان (خشيته عليه الصلاة والسلام من الناس كانت) اى حذرا (من ارجاف المنافقين واليهود) اى اخبار سوء وتزلزل (وتشغيبهم) اى بايقاع شر وفتنة (على المسلمين) بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان (فعتبه الله تعالى على هذا) اى على استحيائه منهم (ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له) من نكاح زوجة دعيه (كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله لم تحرم ما احل الله لك الآية) اى تبتغى مرضاة ازواجك والله غفور رحيم وقد ورد انه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا عند زينب فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك رائحة مغافير فقال انما شربت عند زينب عسلا فقالتا جرست نحله العرفط فحرم شربه فلاطفه ربه بقوله يا ايها النبى لم تحرم الآية (وكذلك قوله هنا) ملاطفة له على منعه من مراعاة الناس والتفاته اليهم (وقد روى) كما فى جامع الترمذى وقد رواه ابن جرير وغيره ايضا (عن الحسن) اى البصرى رحمه الله فانه المراد عند المحدثين حال اطلاقه (وعائشة) كان المستحسن تقديم عائشة على الحسن (لو كتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من الوحى) اى مما يوحى اليه (لكتم هذه الآية) اى قوله تعالى وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه (لما فيها من عتبه) اى عتابه عليه (وابداء ما اخفاه) اى واظهار ما كتمه اليه

(فصل)

فان قلت قد تقررت عصمته عليه الصلاة والسلام فى اقواله وفى جميع احواله) المشتملة على افعاله (وانه لا يصح منه فيها خلف) لقوله من كذب (ولا اضطراب) اى تردد من ريب (فى عمد) اى قصد (ولا سهو) اى خطأ ونسيان نشأ عن ذهول وغفلة (ولا صحة) اى فى حال عافية (ولا مرض) اى علة (ولا جد) بكسر الجيم ضد الهزل (ولا مزح ولا رضى) اى حال شرح وفرح (ولا غضب) اى حال ضيق خلق وكراهية نفس وكرر لا تأكيدا للنفى ما ذكر من انفراد كل من ذلك كما يقتضيه عصمته هنالك (ولكن ما معنى الحديث) الذى رواه الشيخان والنسائى ايضا (فى وصيته عليه الصلاة والسلام الذى حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو ابن سكرة (قال ثنا القاضى ابو الوليد) اى الباجى

(ثنا ابوذر) اى الهروى (ثنا ابو محمد) اى ابن حمويه السرخسى (وابو الهيثم) اى الكشميهنى (وابو اسحق) اى المستملى
(قالوا) ثلاثتهم (ثنا محمد بن يوسف) اى الفربرى (ثنا محمد بن اسماعيل) اى الامام البخارى (ثنا على بن عبد الله)
اى ابن جعفر بن نجيح ابن المدينى الحافظ قال شيخه ابن مهدى على ابن المدينى اعلم الناس بحديث رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وخاصة بحديث ابن عيينة وقال ابن عيينة تلومونى على حب على ابن المدينى والله لا تعلم منه اكثر
مما تعلم منى وكذا قال يحيى ابن القطان فيه وقال امام هذه الصناعة البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على
قال النسائى كان الله خلقه لهذا الشأن مات بسامرا سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة والمدينى نسبة
الى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ابن الاثير فى كتابه والاكثر فيمن ينسب الى المدينة مدنى والاول
مدينى واما المدينى فنسبة الى اماكن وساق سبعة اماكن وفى الصحاح المدنى نسبة الى مدينة الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم واما المدينى فنسبة الى المدينة التى بناها المنصور وعن ابن الصلاح ان المدينى نسبة الى مدينة اصبهان
(ثنا عبد الرزاق عن همام عن معمر) قال الحلبى هكذا فى كثير من النسخ والصواب ما فى بعضها وهو عبد الرزاق
ابن همام او عبد الرزاق عن معمر لان عبد الرزاق لا يروى عن همام واسم ابيه همام ويروى عن معمر وهو بفتح الميمين
وسكون العين المهملة ابن راشد (عن الزهرى) اى ابن شهاب (عن عبيد الله بن عبد الله) اى ابن عتبة الفقيه الاعمى
يروى عن عائشة وابى هريرة وجماعة وهو معلم عمر بن عبد العزيز وكان من بحور العلم مات سنة ثمان وتسعين وعبيد الله
هذا احد الفقهاء السبعة (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المفعول اى احتضر
والمعنى قرب اجله (وفى البيت رجال) اى من قرابته وصحابته جملة حالية (قال هلموا) اى تعالوا وهو لغة اهل نجد
وتميم فانهم يثنون ويجمعون ويؤنثون واما اهل الحجاز فيستوى الكل عندهم ومنه قوله تعالى والقائلين لاخوانهم
هلم الينا (اكتب) بصيغة المتكلم مجزوما على جواب الامر وفى نسخة بالرفع اى انا اكتب (لكم كتابا) يعنى آمر
ان يكتب احد لكم مكتوبا فيه بيان مهمات الدين للامة او محل الخلافة دفعا للمنازعة وفيه ان هذا غير محتاج
الى الكتابة (لن تضلوا بعده) اى بعد العمل به ويروى بعدى (فقال بعضهم) وهو عمر رضى الله تعالى عنه
(ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث) اى وعندنا كتاب الله تعالى حسبنا كتاب ربنا
وهو بسكون السين اى كافينا (وفى رواية ائتونى) اى احضرونى (اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى) وفى نسخة بعده
(ابدا فتنازعوا فقالوا) اى بعضهم كما فى البخارى (ماله أهجر) ويروى فقالوا أهجر وهو بفتحات على ان الهمزة
للاستفهام الانكارى من الهجر بضم الهاء بمعنى الهذيان فى حال المرض والقشيان على من توقف فى امتثال امره
عليه الصلاة والسلام بالكتابة والمعنى لم يختلف كلامه ولم يتغير من الوجع مرامه كما يقع للمرضى ممن لا يرتبط
نظامه (استفهموا) بكسر الهاء اى استخبروا القائل بمنعه او النبى عليه الصلاة والسلام عما اراده افعله اولى ام تركه
(فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعونى) اى اتركونى فى حالى وترك مقالى (فالذى انا فيه) من مراقبة ربى
ومحاسبة قلبى (خير) مما انتم فيه من تنازع وضير ولعله عليه الصلاة والسلام ظهر له فى رأيه او اوحى اليه اولا ان الخير
فى كتابته فهم بها ثم تبين له او اوحى اليه ان الخير فى تركها فتركها (وفى بعض طرقه) كما فى مستخرج الاسماعيلى من
طريق ابن خلاد عن سفيان (فقال) اى قائل (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يهجر) بكسر الجيم مع فتح اوله بتقدير
استفهام انكار (وفى رواية) كما فى البخارى (هجر) اى اهجر قال ابن الاثير اى هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به
من المرض مرامه وهذا احسن ما قيل ولا يصح ان يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل كان عمر رضى
الله عنه ولا يظن به ذلك انتهى (ويروى اهجر) بهمزة الاستفهام وضبط فى نسخة بضم الهاء وكسر الجيم اى اترك امر
كتابته وفى اخرى بفتح الهمزة وسكون الهاء وفتح الجيم يقال اهجر فى منطقه اذا افحش واكثر فى كلامه فالاستفهام
مقدر فى الكلام (ويروى اهجرا) بهمزة الاستفهام وضم هاء وسكون جيم منصوبا والتقدير ايهجر هجرا يعنى لا وقد
افرد ابن دحية تأليفا فى اختلاف الرواة فى هذه اللفظة (وفيه) اى وفى الحديث من بعض طرقه (فقال عمر رضى الله
عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط) بفتحتين وهو اختلاف
الاصوات والكلام بحيث لم يتميز فيه الصواب والغلط (فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت) اى
حاضروه من اهل البيت وغيرهم (واختصموا) اى تنازعوا واختلفوا (فمنهم من يقول قربوا) اى كاتبا (يكتب لكم
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اى يملى لاجلكم (كتابا) فيه تذكركم (ومنهم من يقول ما قال عمر) اى عندنا
كتاب الله حسبنا مقتبسا من قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم وهذا من عمر موذن بحسن نظره
وصحة فكره ولذا وافقه عليه الصلاة والسلام واعرض عن كلام غيره من الانام ولا يعارضه قول ابن عباس ان الرزية

كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ان يكتب لان عمر كان افقه من ابن عباس لعلمه
بان الله تعالى قد اكمل دينه ورسوله قد بلغ امره ثم الخير فيما اختاره الله وقدره (قال ائمتنا) اى المالكية او الاشعرية
او اهل السنة والجماعة (فى هذا الحديث) اى حديث ابن عباس (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم غير معصوم من
الامراض) اى العارضة على ظاهره دون باطنه كغيره من الانبياء (وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشى)
بفتح وسكون اى اغماء (ونحوه) اى ما ذكر (مما يطرأ) اى يقع ويحدث (على جسمه) اى ظاهر جسده (معصوم
ان يكون منه) اى يصدر عنه (من القول) مما لا ينبغى (اثناء ذلك) اى فى خلال ذلك المرض العارض هنالك (ما)
موصولة او موصوفة (يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد فى شريعته من هذيان) بفتحتين اى كلام مهجور فى حال منام
(او اختلال) بنقصان او اختلاف (فى كلام وعلى هذا) القول بعصمته مما ذكر فى حال نبوته (لا يصح ظاهر رواية
من روى فى هذا الحديث هجر) بصيغة الاخبار الا اذا قدر له استفهام الانكار (اذ معناه هذى) اى اكثر كلامه
بلا جدوى (يقال هجر هجرا) بفتح فسكون اذا هذى (واهجر) بفتح فسكون (هجرا) بضم فسكون (اذا افحش) اى اتى
بكلام يقبح ذكره (واهجر) بفتح الهمزة وسكون الهاء (تعدية هجر) وهذا وهم من المصنف والصواب انهما لغتان
وفى معناهما متقاربان وانهما لازمان لا يتعديان وقد قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى سامرا تهجرون فالجمهور
بفتح اوله وضم جيمه على انه بمعنى الهذيان ومنه الهجر بالضم الفحش وقرأ نافع بضم اوله وكسر جيمه من اهجر اذا افحش
للمبالغة فزيادة المبنى لزيادة المعنى (وانما الاصح والاولى) اى فى هذا المقام الاعلى (اهجر على طريق الانكار) بزيادة
الاستفهام اخراجا له من صيغة الاخبار ومحط الانكار (على من قال لا يكتب) اى لا يحتاج الى الكتابة لتمام علم الامة
بامر الديانة حتى قضية الامارة بامارة نصب الامامة (وهكذا) اى لفظ اهجر مع الاستفهام (روايتنا فيه) اى فى الحديث
المروى (فى صحيح البخارى من رواية جميع الرواة) اى رواة هذا الحديث من الطرق الواقعة (فى حديث الزهرى
المتقدم) اى المروى فى صحيح البخارى (وفى حديث محمد بن سلام) بتخفيف اللام وقد تشدد وهو البيكندى الحافظ
شيخ البخارى (عن ابن عيينة) وهو سفيان والافابن عيينة عشرة منهم خمسة لهم رواية واجلهم فى العلم سفيان فهو
المراد به عند الاطلاق لانه الفرد الاكمل فتأمل (وكذا) اى اهجر بفتحات مع همزة انكار (ضبطه الاصيلى) وهو بفتح
الهمزة وكسر الصاد (بخطه فى كتابه) اى لا بهمز وسكون هاء كما ضبطه غيره وان اراد ان الاستفهام مقدر لكن الاول
هو الاظهر فتدبر (وغيره) اى وكذا ضبطه غير الاصيلى من الرواة (من هذه الطرق) ويروى من هذا الطريق اى من
اهل هذا الاسناد المنتهى الى الزهرى المروى فى صحيح البخارى (وكذا) اى بفتحات وهمزة انكار (رويناه) وفى نسخة
بصيغة المجهول مخففا وفى اخرى مشددا وفى اخرى روايتنا (عن مسلم فى حديث سفيان) اى ابن عيينة (وعن غيره)
اى وكذا رويناه عن غير مسلم فهو اصح من رواية هجر على ظاهر الاخبار وكذا اصح من رواية اهجر بفتح الهمزة
وسكون الهاء لان كلا منهما يحتاج الى تقدير همزة الانكار على من قال لا يكتب اى كيف يترك امره فى مرامه
ويجعل كمن هجر فى كلامه وهو محفوظ فى اعلى مقامه واما قول عمر عندنا كتاب الله تعالى حسبنا فهو وانما كان ردا على
من نازعه لا ردا لامره صلى الله تعالى عليه وسلم والحاصل انه رضى الله عنه كان فى حزب يقولون لا احتياج الى الكتابة
والله اعلم (وقد يحمل عليه) اى على لفظ اهجر انكارا (رواية من رواه هجر) اخبارا (على حذف الف الاستفهام)
جمعا بين الروايتين فى مقام المرام (والتقدير اهجر) بفتحات وكذا اهجر (او ان يحمل قول القائل هجر) بفتحات
(او اهجر) بفتح فسكون على ظاهره من الخبر الا انه وقع ذلك (دهشة) اى وحشة او غفلة (من قائل ذلك وحيرة) توجبها
هيبة (لعظيم ما شاهده من حال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مرضه (وشدة وجعه) وحصول غشيانه الموهم
لوقوع هذيانه (وهول المقام الذى اختلف فيه عليه) بامتثاله واتباعه تهويناله به مع تسليم الحكم اليه (والامر)
اى وهول الامر (الذى هم) اى اهتم (بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه) اى فى كلام نفسه (واجرى
الهجر) بالضم الفحش وبالفتح الهذيان (مجرى) بضم الميم وبفتح اى موضع (شدة الوجع) فى مرضه (لا انه) اى القائل
(اعتقد انه يجوز عليه الهجر) بالضم او الفتح (كما حملهم الاشفاق على حراسته) اى محافظته ورعايته (والله) اى والحال
انه سبحانه وتعالى (يقول والله يعصمك من الناس) اى ولو لم يحفظك الناس فانهم كانوا يعدون تلك الحراسة عبادة
وطاعة ويغتنمون الحضور بين يديه ولو ساعة (ونحو هذا) من اشفاقهم عليه حين وقوع غضب واعراض لديه
تغنيهم انه لو سكت مع كمال ميلهم اليه (واما رواية اهجرا) ويروى واما على رواية اهجرا وهو بفتح الهمزة وضم الهاء وهو
بالنصب منونا على ان يكون مصدر الهجر يهجر او اسما من الاهجار (وهى رواية ابى اسحق المستملى) بميم مضمومة فسين
مهملة ساكنة احد رواة البخارى (فى الصحيح فى حديث ابن جبير) وهو سعيد (عن ابن عباس رضى الله عنه من

رواية قتيبة) اى ابن سعيد احد شيوخ البخارى (فقد يكون هذا) اى قوله اهجرا (راجعا الى المختلفين) ويروى على
المختلفين (عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم) انكارا عليهم (اى جئتم باختلافكم على
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه) اى والحال انكم بين يديه (هجرا) اى ما يجب عليكم ان تهجروه (ومنكرا
من القول) اى ما ينبغى لكم ان تتركوه (والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق) ولا يتصور ان احدا من الصحابة
يخاطبه عليه الصلاة والسلام بمثل هذا الكلام فى مقام الملام وهذا ما يتعلق بالفاظ هذا الحديث ومبناه ويجمل
ما يتعلق بفحواه ومقتضاه (وقد اختلف العلماء فى معنى هذا الحديث) اى حديث هلموا اكتب لكم (وكيف اختلفوا
بعد امره لهم ان يأتوه بالكتاب) الموصوف بانهم لن يضلوا بعده فى هذا الباب (فقال بعضهم) اى بعض العلماء (اوامر
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها) تارة و(من اباحتها) اخرى (بقرائن) قالية او حالية يدركها
اربابها (فلعله) اى الشأن (قد ظهر من قرائن قوله عليه الصلاة والسلام لبعضهم) اى من الصحابة الحاضرين
(ما فهموا انه لم يكن منه) اى من جانبه (عزمة) اى امر عزيمة (بل امر) اى على وجه خبر (رده الى اختيارهم)
ولا يبعد انه كان لظهور امرهم فى مقام امتحانهم واختبارهم (وبعضهم لم يفهم ذلك) لقصور فهمه ادراك حقيقة
ما هنالك (فقال) اى ذلك البعض لبعض منهم (استفهموه) اى استخبروه حتى يتبين لكم ما تفهمونه (فلما اختلفوا)
اى كلهم ولم يستقر على شئ رأيهم (كف عنه) اى اعرض عن امره (اذ لم يكن عزمة) فى حكمه اذ لو كان عزيمة
لما تركها (ولما) اى ولاجل ما (رأوه) اى كلهم او اكثرهم ومنهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (من صواب رأى عمر) ثم
هؤلاء) اى العلماء (قالوا ويكون امتناع عمر) على وجه حكمه يظهر (اما اشفاقا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
اى خوفا عليه (من تكليفه) اى تحمله (فى تلك الحال املاء الكتاب) اى كلفته ومحنته (وان يدخل) بصيغة الفاعل
او المفعول مذكرا او مؤنثا اى يحمل (عليه مشقة من ذلك) الاملاء للكتابة (كما قال) اى عمر (ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم اشتد به الوجع) فلا ينبغى ان يكلف املاء كتاب لنا كتاب الله حسبنا (وقيل خشى عمران يكتب امورا)
اى احكاما (يعجزون عنها) اى عن القيام بها (فيحصلون فى الحرج بالمخالفة) اى فيقعون فى الاثم بترك الموافقة
(ورأى) اى عمر (ان الاوفق) وفى نسخة الارفق (بالامة فى تلك الامور) اى الجملة المقدرة (سعة الاجتهاد وحكم
النظر) اى التأمل فى ظهور المراد (وطلب الصواب فيكون المصيب) للحكم الشرعى (والمخطئ) بعد مراعاة شرعه
المرعى (مأجورا) فللمصيب اجران وللمخطئ اجر واحد (وقد علم عمر تقرر الشرع) اى شرع هذه الامة وروى
الشريعة (وتأسيس الملة) برسوخ قواعده وثبوت دعائمه (وان الله تعالى قال اليوم اكملت لكم دينكم) واتممت
عليكم نعمتى وهذا معنى قوله حسبنا كتاب ربنا (وقوله) اى وعلم ايضا قوله عليه الصلاة والسلام (اوصيكم
بكتاب الله تعالى) اى بما فيه مما يتعلق باعتقاده وباوامره ونواهيه ومعرفة حلاله وحرامه وما يترتب على اجتهاده
(وعترتى) اى اهل بيتى كما فى رواية والمراد به اقاربه من عشيرته واهل بيته من ازواجه وذريته وقيل المراد بعترته من
يتتبع اخباره وآثاره من سيره وسيرته فكأنه قال اوصيكم بالكتاب والسنة ولعل تخصيص العترة لانهم اقرب الى
مشاهدة افعاله فى الجلوة والخلوة واما على التفسير الاول فالعمل بالسنة يؤخذ من الكتاب ايضا لقوله تعالى وما آتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى وقوله من يطع الرسول فقد اطاع
الله (وقول عمر) مبتدأ مقوله (حسبنا كتاب الله) اى كافينا خبره (رد على من نازعه) اى خالفه فى امر الكتاب على
ما رأه عمر ان تركه هو الصواب فى مقام فصل الخطاب (لا رد امنه) اى من ابن الخطاب (على رسول الله صلى الله
عليه وسلم) لانه لا يتصور منه مثله فى هذا الباب (وقد قيل خشى عمر تطرق المنافقين) اى توصلهم (ومن فى قلبه
مرض) اى شك وترددا وحقد وحسد (لما كتب) اى حين كتب او لاجل ما كتب (ذلك) وفى نسخة فى ذلك (الكتاب)
اى المكتوب (فى الخلوة) اى فى الحجرة الشريفة (ان يتقولوا) اى يتكلفوا (فى ذلك) اى فى جملة ذلك الكتاب (الاقاويل)
الباطلة افتراء من عند انفسهم المنهمكة فى الضلالة (كادعاء الرافضة الوصية) بالخلافة لعلى كرم الله وجهه قدحا
فى اكابر الصحابة بل فى على نفسه اذ لم يقم بالامر الموصى به (وغير ذلك) مما لا اطلاع لنا على ما هنالك (وقيل انه) اى
قوله لهم هلموا (كان من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المشورة) بفتح فسكون ففتح وفى نسخة بضم ثانيه
وسكون واوه وقيل لا يصح هذا اى المشاورة (والاختبار) اى الامتحان ليظهر منهم حسن الاختيار (هل يتفقون)
على ذلك فيكتب لهم (ام يختلفون) فيتركه (فلما اختلفوا تركه) ويروى تركهم ولا يبعد ان يكون الامتحان ليعلم انهم
الى الآن محتاجون الى الكتاب والبيان او هم متيقنون فى احكام الاديان ولا يفتقرون الى زيادة التبيان فلما
تبين من كلام عمر ومن تبعه انهم فى مقام العيان وفى غاية من كمال الايمان وجمال الايقان والاتقان من منازل

الاحسان

الاحسان ترك ما اراد كتابته مجملا لظهور امرهم مفصلا (وقالت طائفة اخرى ان معنى الحديث) المذكور (ان النبى
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا فى هذا الكتاب) اى فى قصده او امره (لما طلب منه) بلسان القال او بلسان الحال
(لانه ابتدأ بالامر به) من غير السؤال (بل اقتضاه) اى طلبه واستدعاه (منه بعض اصحابه) اى المخصوصين من
اقاربه واحبابه (واجاب رغبتهم) واطاب طلبتهم (وكره ذلك غيرهم للعلل التى ذكرناها) عن عمر وغيره مما اقتضت
حكمتهم فلما تعارضا تساقطا (واستدل) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى استدل القائل (فى مثل هذه
القصة) المشتملة على الغصة (بقول العباس لعلى رضى الله تعالى عنهما انطلق بنا) اهل البيت او معشر بنى هاشم
الذين هم افضل من سائر قريش وقد ورد ان الخلافة فى قريش (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان الامر) اى
امر الخلافة بعده (فينا) خصوصا (علمناه) ولا ينازعنا فيه احد (وكراهة على هذا) القول من عمه العباس (وقوله)
لعمه (والله لا افعل الحديث) كما فى البخارى (واستدل) كما تقدم واغرب الدلجى حيث قال واستدل على (بقوله
دعونى) اى اتركونى (فان الذى انا فيه خير) اى ان الذى انا فيه من الاعراض عن الدنيا والاقبال على العقبى والتوجه
الى المولى خير وابقى مما تدعونى اليه (من ارسال الامر) بلا كتابة (وتركتكم) اى وخير من تركى اياكم (وكتاب الله) اى معه
اذ ربما اختلفتم فيه كما اختلف من قبلكم (وان تدعونى) بفتح الدال قال الدلجى عطف على دعونى والظاهر انه عطف
على تركتكم اى وان تركتكم لى (مما طلبتم) ويروى من الذى طلبتم منى من كتابتى لكم كتابا خيرا ايضا هذا (وذكر) اى
روى (ان الذى طلب) اى المطلوب (كتابته) خبران وقوله (امر الخلافة) منصوب على المفعولية (بعده) وكذا قوله
(وتعيين ذلك) اى امر الخلافة وفى نسخة كتابة امر الخلافة بالاضافة وفى نسخة كفاية بدل كتابة فهى مرفوعة
على انها اسم ان وكذا تعيين بالعطف عليها

(فصـــــل)

(فان قيل فاوجه حديثه ايضا الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى) بضم الخاء وفتح الشين المعجمة (بقراءتى عليه ثنا
ابو على الطبرى ثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء (ثنا ابو احمد الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا ابراهيم بن سفيان
ثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا ليث) وهو ابن سعد (عن سعيد ابن ابى سعيد) هو
المقبرى (عن سالم مولى النصريين) بالنون والصاد المهملة اى ابن عبد الله النصرى (قال سمعت ابا هريرة رضى الله
تعالى عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انما محمد) وفى نسخة ان محمدا (بشر يغضب كما يغضب
البشر) وان كان غضبه لله بخلاف من سواه (وانى قد اتخذت عندك عهدا) يحتمل ان يكون اخبارا وان يكون ابتداء
انشاء (لن تخلفنيه) اى ابدا فاسألك الوفاء بعهدك (فايما مؤمن آذيته) بنوع من الاذى (او سببته) بلسانى
(او جلدته) اى ضربته بيدى او بامرى (فاجعلها) اى تلك الاذية او الامور المذكورة (له كفارة) لذنبه كيلا يقع
فى الندامة (وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) اى قربة رتبة ومكانة (وفى رواية) اى عن انس كما صرح به الحلبى
فكان ينبغى من جهة الصناعة ان يقول وفى رواية لانس (فايما احد دعوت عليه دعوة) اى الى آخره (وفى رواية
ليس) اى المدعو عليه (لها باهل) اى مستحق (وفى رواية فايما رجل من المسلمين سببته) اى شتمته (او لعنته) بلسانى
او طردته عن مكانى (او جلدته) اى ضربته بالجلد وغيره (فاجعلها له زكاة) اى طهارة من سيئته او بركة فى معيشته
(وصلاة) اى ووصلة تقربه (ورحمة) ينشأ منها نعمة (وكيف) اى على اى حال (يصح ان يلعن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من لا يستحق اللعن) اى عمدا وقصدا (ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل
مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم) بعناية الرب (عن هذا) الذى ذكر (كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله
عليه الصلاة والسلام او لا ليس لها باهل اى عندك يا رب فى باطن امره فان حكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر)
من حاله (كما قال) فيما ورد عنه عليه الصلاة والسلام نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر (وللحكمة التى
ذكرناها) من ان احكامه انما كانت جارية على موجبات غلبات ظنه لتقتدى به امته فى حكمه (فحكم عليه الصلاة
والسلام) فيما ظهر له من قرائن المقام (بجلده او ادبه بسبه) اى بشتمه (او لعنه) بصيغة المصدر او الخبر (بما اقتضاه)
من جواز ذلك (عنده حال ظاهره) بالرفع على انه فاعل لاقتضاه او بالنصب على الظرفية وفى نسخة عنده حال ظاهره
(ثم دعا عليه الصلاة والسلام) على وجه الابهام (لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين) اى شدة رأفته لخاصتهم
وارادة نعمته لعامتهم (التى وصفه الله بها) اى فى قوله سبحانه وتعالى بالمؤمنين رؤف رحيم (وحذره) اى ولاحترازه
(ان يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته) اى فى دعوته عليه وفى نسخة فيمن دعا عليه دعوته على انها مفعول يتقبل وقوله

(ان يجعل) متعلق بقوله فيما سبق ثم دعا له اى بدل ما دعا عليه ان يجعل (دعاءه) اى عليه (ولعنه له رحمة) نازلة عليه وواصلة اليه وحاصلة لديه (فهو معنى قوله) عليه الصلاة والسلام (ليس) اى المدعوّ عليه (لها باهل) ولذا ورد فى دعائه اللهم ما لعنت من لعن فعلى من لعنت وما صليت من صلاة فعلى من صليت انت وليى فى الدنيا والآخرة (لانه عليه الصلاة والسلام يحمله الغضب) اى يبعثه (ويستفزه) بتشديد الزاى اى ويستخفه (الضجر) بفتحتين ضيق الصدر وعدم الصبر (لان يفعل مثل هذا) الذى ذكر من اللعن والضرب والشتم (بمن) وفى نسخة لمن اى لاجل من (لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح) وفى المدعى صريح لا ينبغى ان يفهم منه غيره (ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب) الذى يعترى ابن آدم من ثوران الدم وهو من خصال تذم (حمله على ما يجب) اى لا ينبغى ان يفعله (بل يجوز ان يكون المراد بهذا) الذى ذكر من قوله اغضب كما يغضب البشر (ان الغضب لله) هو الذى (حمله على معاقبته بلعنه اوسبه) اوضربه اذ ورد كما مر انه ما انتقم رسول الله لنفسه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم له وقد قال له صحابى اوصنى يا رسول الله فقال لا تغضب وكلما اعاد السؤال اجاب له بهذا الجواب فلا يتصور انه ينهى آحاد امته عن الغضب وهو على منوالهم يغضب (وانه) اى غضبه عليه الصلاة والسلام (مما كان يحتمل) تحمله من الخلق تواضعا مع الحق واختيارا لصفة الحلم الناشئ عن كمال العلم (ويجوز عفوه) عليه الصلاة والسلام (عنه) اى عن من عاقبه بلعن اوغيره من الايلام (اوكان) ذنب المغضوب عليه (مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه) وفى نسخة اوالعفو عنه ولكنه كان قد اختار المعاقبة لما رأى فيهما من الحكمة والمصلحة (وقد يحتمل) اى دعاؤه عليه الصلاة والسلام لمن عاقبه (انه خرج مخرج الاشفاق) اى اظهار الشفقة اوالخوف على من عاقبه بلعن اوغيره (وتعليم امته الخوف والحذر من تعدى حدود الله تعالى) شفقة منه عليهم ان يعاقب احدا منهم واحتراسا لهم مما يصدر عنهم (وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا) اى فى مواضع المعاقبة ومقام الغضب طلبا لرضى الرب (ومن دعواته على غير واحد) اى على كثيرين (فى غير موطن) اى فى مواضع كثيرة (على غير العقد) اى عقد القلب بالعزم (والقصد) اى قصد المعاقبة بالجزم (بل) كانت صادرة منه من غير الغضب (بما جرت) اى على وفق ما جرت (به عادة العرب) حيث لا يريدون وقوع الامر وانما يقصدون به الادب اوالملاطفة فى مقام الطلب اذ قد يشنعون اللفظ وكله ود ويتقونه ومامن فعله بد يقولون للشئ اذا امد حوه قاتله الله ولا اب له ولا ام له ولا يريدون به الذم وفى الحديث ويل امه مسعر حرب فلك ان تنظر الى القول وقائله والقرينة الدالة على حاله وما له بحسب اختلاف شمائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن فضرب الحبيب حلو كالزبيب بخلاف دعاء الرقيب (وليس المراد بها) اى بدعواته عليه الصلاة والسلام على غير واحد من الصحابة الكرام (الاجابة كقوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان لعائشة وفى رواية لام سلمة (تربت يمينك) بكسر الراء اى خسرت وقيل امتلأت ترابا وقيل استغنت والظاهر ان أتربت بمعنى استغنت على ان الهمزة للسلب وروى يداك ويدك (ولا اشبع الله بطنك) قاله لمعاوية لكن بلفظ لا اشبع الله بطنه كما فى نسخة هنا وهو فى مسلم فى كتاب الادب من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال كنت العب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتواريت خلف باب فجاء فحطانى حطوة وقال اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لى اذهب فادع لى معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال لا اشبع الله بطنه زاد البيهقى فى الدلائل فما شبع بطنه ابدا وهذا يشير الى انه كان دعاء عليه وقد استجاب الله له به (وعقرى حلقى) قاله لصفية بنت حيى بن اخطب فى حجة الوداع كما رواه الشيخان اى عقرها الله تعالى وحلقها اى عقر الله جسدها واصابها بوجع فى حلقها قيل وقد جعلها الله كذلك كذا رواه المحدثون غير منون لجريانه على مؤنث كغضبى والمعروف فى اللغة التنوين لانه من مصادر حذفت افعالها لفظا اى عقرها الله تعالى عقرا وحلقها حلقا ويقال للامر المتعجب منه عقرا حلقا وكذا للمرأة المؤذية المشومة وقيل يقال اطويلة اللسان وقيل عقرى عاقر لا تلد وقيل عقرا حلقا مصدران اوالالف للتأنيث وقد روت عائشة ان صفية حاضت ليلة النفر فقالت ما ارانى الا حابستكم قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفرى (وغيرها من دعواته) مما لا يريد هو وغيره اجابته كقول بعضهم انعم صباحا تربت يداك فانه دعاء له بقرينة ما قبله (وقد ورد فى صفته) اى نعته (فى غير حديث) اى فى احاديث كثيرة من شمائله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن فحاشا) اى منسوبا الى قول الفحش وفعله بل كان اقواله وافعاله كلها مستحسنة (وقال انس) كما رواه البخارى (لم يكن سبابا) اى كثير السب والشتم (ولا فحاشا) وفى نسخة صحيحة ولا فاحشا وهو اولى صيانة لساحة رفيع جنابه ان يوجد نوع من الفحش فى بابه (ولا لعانا) اى كثير اللعن (وكان يقول لاحدنا عند المعتبة) بفتح الفوقية وبكسر اى عند العتب فى مقام الادب

(ماله) وفى نسخة ما باله (ترب جبينه) وفى العدول عن الخطاب التفات حسن فى الاداب وقد قيل اراد به دعاء له بكثرة السجود وبتواضعه للرب المعبود وقيل يسقط فى الارض فيترب جبينه واما قوله لبعض اصحابه ترب نحرك فقتل شهيدا فدعاء له لا عليه كما وهم الدلجى وقال فهو محمول على ظاهره واغرب منه قوله (فيكون حمل الحديث) اى حديث ترب جبينه (على هذا المعنى) من ان يقتل والصواب ان قوله فيكون حمل الحديث اى حديث تربت يمينك على هذا المعنى اى على معنى ترب جبينه اذ قوله ترب نحرك ليس مذكورا فى كلام المصنف فكيف يحمل عليه المعنى من غير ذكر المبنى ولا يبعد ان يراد بتربت يمينه وترب جبينه اختيار غاية الفقر ونهاية المسكنة لصاحبه كما يشير اليه قوله تعالى او مسكينا ذا متربة فيكون فى الحقيقة دعاء له لا عليه (ثم) اى مع هذا كله (اشفق عليه الصلاة والسلام) اى خاف على من جرى فى شأنه هذا الكلام (من موافقة امثالها) وفى نسخة موافقة امثالها اى الدعوات التى لم يرد بها وقوعها (اجابة) مفعول اشفق اى ان يجيبها الله فى الدنيا والاخرى فتداركه (فعاهد ربه كما قال فى الحديث) السابق (ان يجعل ذلك) الدعاء (للمقول له زكاة) اى طهارة (ورحمة) عليه (وقربة) تقربه اليه (وقد يكون ذلك) الدعاء (اشفاقا على المدعوّ عليه وتأنيسا له) اى تلطفا بحاله وتداركا لمقاله (لئلا يلحقه) اى المدعوّ عليه (من استشعار الخوف) اى ادراكه من الله تعالى (والحذر من لعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له وتقبل دعائه) فى حقه (ما يحمله على اليأس) من رحمة الله فى الدنيا (والقنوط) فى العقبى وهو بضم القاف اشد اليأس (وقد يكون ذلك) الدعاء (سؤالا منه) اى من النبى عليه الصلاة والسلام (لربه) جل جلاله وعز كماله (لمن جلده) اى ضربه (اوسبه) اى شتمه اولعنه (على حق) اى امر يستحقه (بوجه صحيح) وفق شرعه (ان يجعل ذلك) الجلد ونحوه (كفارة لما اصابه) من الذنوب (وتمحية) مصدر محى مشدد للمبالغة اى وكثرة محو (لما اجترم) اى اكتسبه من العيوب وفيه انه يأباه ظاهر رواية ليس لها باهل اللهم الا ان يقال ليس للعقوبة باهل على جهة الدوام بان يكون من اهل الاسلام (وان تكون عقوبته له فى الدنيا سبب العفو) عن تقصيراته (والغفران) لسيئاته فى العقبى (كما جاء فى الحديث الآخر) مما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة العقبة بايعونى على ان لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصونى فى معروف فمن وفى منكم بذلك فاجره على الله (ومن اصاب من ذلك شيأ فعوقب به) اى فجوزى به فى الدنيا (فهو كفارة له) وفى نسخة فهو له كفارة اى فى العقبى وتمام الحديث ومن اصاب من ذلك شيأ فستره الله فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه (فان قلت فما معنى حديث الزبير) اى ابن العوام احد العشرة المبشرة (وقول النبى) اى وما معنى قوله (صلى الله تعالى عليه وسلم له) اى للزبير (حين تخاصمه) بصيغة المصدر اى وقت تنازعه واختلافه (مع الانصارى) اى المنسوب الى الانصار فانه قيل انه كان منافقا فهو من نسبهم لا من حسبهم وقيل غير ذلك واختلف فى تعيين قائله هنالك (فى شراج الحرة) بكسر الشين المعجمة جمع شرجة وهى مسيل الماء الى السهل من الحرة وهى موضع من المدينة فيه حجارة سود (اسق) اى حديقتك وهو بكسر همزة الوصل اوبفتح همزة القطع (يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصارى ان) وفى نسخة انه (كان ابن عمتك يا رسول الله) وهو علة لقوله اسق اى حكمت للزبير لاجل ان كان ابن عمتك وهى صفية بنت عبد المطلب وقيل الرواية بمد الهمزة بناء على انه بهمزتين والثانية منهما مبدلة ممدودة وهو وجه من الوجوه فى اجتماع الهمزتين للقراء السبعة ورواتهم (فتلون) اى فتغير حيث احمر واصفر (وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) غضبا لله وتنزيها لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما نسب اليه (ثم قال اسق يا زبير) اى حديقتك كما ذكر (ثم احبس) الماء وامنعه عن غيرها واصبر على جريانه (حتى يبلغ الجدر) اى جدر الحديقة اواصول الكرم وهو بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وروى بضم اوله جمع جدار وبذال معجمة من جذر الحساب بالفتح اوالكسر اراد به مبلغ تمام السقى استيفاء لحق الزبير رضى الله عنه (الحديث) بطوله والمقصود حل مشكله (فالجواب ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم منزه ان) وفى نسخة عن ان (يقع بنفس مسلم) اى فى خاطره (منه) اى من جهة امره عليه الصلاة والسلام (فى هذه القضية) وفى نسخة القصة (امر يريب) بضم اوله وفتحه اى شئ يوقع فى الريبة والشك والتهمة (ولكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ندب) اى الزبير كما فى نسخة اى امره امر ندب واحسان ودعاء (اولا) اى فى اول امره حيث اشار (الى الاقتصار) للزبير (على بعض حقه على طريق التوسط) اى مراعاة الجانبين (والصلح) الذى هو موجب صلاح العباد وفلاح البلاد فلما لم يرض بذلك الآخر ولج بتشديد الجيم اى وبالغ فى طلب الحكم المقرر (وقال ما لا يجب) اى ما لا ينبغى فى ذلك المقر (استوفى) جواب لما اى اخذ (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للزبير حقه) وافيا ثانيا (ولهذا ترجم البخارى)

اى عنون فى صحيحه (على هذا الحديث باب اذا) بالاضافة منصوبا على انه مفعول ترجم وضبط باب بالرفع منونا فيكون محكيا والنصب محليا اوالتقدير هذا باب فيما اذا (اشار الامام بالصلح فابى) اى الخصم به (حكم عليه) بالبناء للمفعول اوالفاعل (بالحكم) اى البين كما فى البخارى وتركه المصنف لوضوحه (وذكر) اى البخارى (فى آخر الحديث فاستوعى) اى استوفى كما فى نسخة اى استوعب (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حينئذ للزبير حقه) ووقع فى اصل الحلبى والتلمسانى حقه للزبير فقالا فيه تقديم وتأخير والتقدير استوعى حق الزبير للزبير يعنى وقد سبق فى الحديث ذكر الزبير فالمرجع موجود وقال الحلبى وكذا فى نسخة صحيحة عندى بالبخارى (وقد جعل المسلمون هذا الحديث) اى حديث الزبير مع الانصارى (اصلا فى قضيته) اى فى مثل حكم الزبير (وفيه) اى وفى الحديث (الاقتداء) اى اخذ الاقتداء والاهتداء (به صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل ما فعله فى حال غضبه ورضاه وانه) عليه الصلاة والسلام (وان نهى) فيما رواه الشيخان عن ابى بكرة (ان يقضى القاضى وهو غضبان) جملة حالية افادت ان غيره من القضاة غير معصوم فلا يقضى حال غضبه بخلافه عليه الصلاة والسلام (فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضى سواء لكونه فيهما) اى فى الغضب والرضى وفى نسخة فيها اى فى حالهما (معصوما) من الخطأ فى القضاء (وغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا) اى فى امر الزبير مع خصمه (انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء فى الحديث الصحيح) من انه لم يكن يغضب لنفسه وانما كان يغضب لربه هذا ولو صدر مثل هذا الكلام الذى خاطبه عليه الصلاة والسلام به من انسان اليوم من نسبته عليه الصلاة والسلام الى هوى وغرض فى الاحكام كان ارتدادا عن الاسلام فيجب قتله بشرطه المعتبر عند الاعلام وقد قال العلماء انما تركه عليه الصلاة والسلام لانه كان فى اول الاسلام يتألف الناس فى الكلام ويدفع بالتى هى احسن فى ذلك المقام ويصبر على اذى المنافقين فى تلك الايام وهذا كقول الآخر هذه قسمة ما اريد بها وجه الله تعالى فانه نسب الغرض فى العطية اليه عليه الصلاة والسلام ولم يأمر بقتله فاقرب امره ان يكون منافقا او حديث عهد بجاهلية او بدويا فى غلظة طبعهم وجهالة شانهم وجفاوة لسانهم (وكذلك الحديث) الذى ورد فى الحلية لابى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنه (فى اقادته) بالقاف من القود اى فى قصاصه (عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف وهو ابن محصن الاسدى صحابى جليل رضى الله عنه والمعنى ان يقتص لنفسه (من نفسه) عليه الصلاة والسلام (لم يكن) اى ضربه عليه الصلاة والسلام له (لتعدّ) بتشديد الدال اى لتجاوز حد وفى نسخة صحيحة لتعمد اى لقصد (حمله الغضب عليه) اى على ضربه (بل وقع فى الحديث) اى فى حديث قود عكاشة (نفسه ان عكاشة قال له) عليه الصلاة والسلام (وضربتنى بالقضيب) اى بالعصا (فلا ادرى اعمدا) كان ضربك لى (ام اردت ضرب الناقة) فوقع على (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعيذك بالله) اى اجعلك فى حفظه (ان يتعمدك رسول الله) وفى نسخة ان يتعمدك نبيك (صلى الله تعالى عليه وسلم) وحاصل الجواب انه وقع منه خطأ وهو جواب حسن صواب يصلح ان يكون جوابا عن الاشكال الاول فى الحديث الآخر ايضا وهو ايما مؤمن آذيته او سببته او جلدته بمعنى ضربته او شتمته سهوا او خطأ والله تعالى اعلم هذا وفى حاشية الحلبى ان حديث عكاشة فى اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه عليه الصلاة والسلام دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه ذكره ابن الجوزى فى موضوعاته مطولا وقال فى آخره هذا حديث موضوع لا محالة كافأ الله تعالى من وضعه وقبح من شين الشريعة بمثل هذا التخليط البارد والكلام الذى لا يليق بالرسول ولا بالصحابة والمتهم عبد المنعم بن ادريس قال احمد بن حنبل كان يكذب على وهب وقال يحيى كذاب خبيث وقال ابن المدينى وابو داود ليس بثقة وقال ابن حبان لا يحل الاحتجاج به وقال الدارقطنى فى ميزانه فيه مشهور قصاص ليس يعتمد عليه تركه غير واحد ثم ذكر كلام احمد فيه وقال قال البخارى ذاهب الحديث ثم قال وله عن ابيه عن وهب عن جابر وابن عباس رضى الله عنهما خبر اقادة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم طويل وانه دفع القضيب الى عكاشة ليقتص منه وقال قال ابن حبان كان يضع الحديث على ابيه وعلى غيره (وكذلك) الكلام (فى حديثه الآخر) قال الدلجى لا اعرف من رواه (مع الاعرابى) قال الحلبى هذا الاعرابى لا اعرفه (حين طلب عليه الصلاة والسلام الاقتصاص منه) اى من نفسه الشريف للاعرابى (فقال الاعرابى قد عفوت عنك وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد ضربه) اى الاعرابى (بالسوط لتعلقه بزمام ناقته) بكسر الزاى اى بخطامها (مرة بعد اخرى) علة لضربه (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينهاه) كل مرة عن تعلقه بزمامها (ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى) قبول قوله ذلك له (فضربه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ثلاث مرات) من نهيه وابائه عن قبوله ووقع فى اصل الدلجى فضربه ثلاث مرات بعد وقال ظرف غائى قطع عما اضيف هو اليه منويا اى بعد نهيه له وهذا خطأ فاحش لان

الضرب لم يقع ثلاث مرات بل مرة واحدة بعد نهيه ثلاث مرات ثم لا يتوهم ان ضربه له كان انتقاما لنفسه بل كان تأديبا وتشريعا له ولغيره للاجتناب عن مثل ذلك لقصده (وهذا) اى ضربه الذى وقع عليه (منه عليه الصلاة والسلام لمن لم يقف عند نهيه) ولم ينزجر بردعه (صواب وموضع ادب) وهما خبران لقوله وهذا وقد وهم الدلجى حيث قال ويروى انه صواب وموضع ادب يقتبس منه ويستضاء به (لكنه عليه الصلاة والسلام اشفق) اى خاف مقام ربه (اذ كان حظ نفسه) وفى نسخة حق نفسه والجملة تعليلية اعتراضية بين اشفق ومتعلقه اعنى (من الامر) اى لاجل امر ضربه (حتى عفا عنه) الاعرابى غاية لطلبه الاقتصاص منه والحاصل ان اقتصاصه انما كان لكمال خوفه من ربه حيث كان ظاهر ضربه على صورة حظ نفسه مع ما يتضمنه من تعليم امته عدم المسامحة والمساهلة فى حقوق العباد قبل يوم المعاد (واما حديث سواد) بفتح السين المهملة وتخفيف الواو (ابن عمرو) اى ابن عطية الانصارى الذى رواه ابو القاسم البغوى فى معجم الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق فى جامعه عن الحسن (اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وقال ابن عبد البر سوادة بزيادة تاء ابن عمرو الانصارى ويقال سواد بن عمرو وحديثه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقاده من نفسه روى عنه الحسن ومحمد بن سيرين انه قال اتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وانا متخلق) اى متلطخ بالخلوق من الطيب يقال خلقه تخليقا طيبه فتخلق كما فى القاموس (فقال عليه الصلاة والسلام ورس ورس) وهو نبت اصفر يصبغ به ومعناه التهديد فى النهى عن لبسه او تطيبه وكرر للتأكيد كقوله (حط حط) بضم الحاء وتشديد الطاء المهملتين اى ضع عنك هذا بلبس غيره او بغسله ويجوز فى طائه الحركات الثلاث لانه امر مضاعف كمد فيجوز الفتح للخفة والضم للاتباع والكسر للاصل فى تحريك الساكن اما قول الحلبى الظاهر ان هذا امر بالحط وكذا رأيته مضبوطا بحط باسكان الطاء فسهو قلم منه فانه اذا كان الامر بالحط فالاسكان خطأ فى الخط هذا وقال التلمسانى وروى بسكون سين ورس وفتح طاء حط ساكنين وروى بتنوين السين وسكون الطاء انتهى وخلله مما لا يخفى نعم وجه السكون هو الوقوف ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ مقدر اى أهذا ورس او بفعل محذوف اى أيفعل ورس يعنى يصبغ به ويلبس واما على التنوين فظاهر اعرابهما قال التلمسانى ولعله كان محرما فنهاه عنه لانه لا يلبسه المحرم اقول لبس الاصفر والاحمر مكروه عندنا مطلقا وكذا التطيب بطيب فيه لون لانه تشبه بالنساء وقال الدلجى الخلوق طيب مركب من زعفران وغيره وقد ورد الخبر باباحته وبالنهى عنه وهو اكثر والظاهر انه ناسخ لاباحته لانه من طيب النساء وهن اكثر استعمالا له (وغشينى) وفى نسخة فغشينى اى فلحقنى (بقضيب فى يده) اى موقعا ضربه (فى بطنى فاوجعنى) ولعله كان بعد امتناعه عن امتثال الامر واجتناب النهى ثم رأيت فى حاشية الشمنى انه روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه نهى عن الخلوق مرتين او ثلاثا وانه رآه متخلقا فطعنه فى بطنه بجريدة فى يده (قلت القصاص) بالنصب مفعول لمحذوف نحو اسألك او اطلب منك (يا رسول الله) ولعله ظن انه عليه الصلاة والسلام ضربه بغير ما يستحقه من الاثام (فكشف لى عن بطنه) تواضعا له وتنزلا مع قومه (انما) جواب اما فحقه ان يقول فانما (كان ضربه اياه) وفى نسخة انما ضربه النبى عليه الصلاة والسلام (لمنكر رآه به) وفى نسخة رآه عليه وقد نهاه عنه وهو على حاله (ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه) بضرب لطيف فى مقام التأديب (فلما كان منه ايجاع) اى حقيقة او اظهار وجع حيلة (لم يقصده) بضربه (طلب التحلل منه) اى فى قدر الزائد على ما يستحقه (على ما قدمناه) من نظير ما وقع له مع غيره قال ابن عبد البر وهذه القصة لسواد بن عمرو لا لسواد بن غزية وقد رويت لسواد بن غزية انتهى ويقال سواد بن غزية مشددا الواو وسواد فى الانصار غيره مخففه وقال ابن اسحق حدثنى حبان بن واسع عن اشياخ من قومه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر ومعه قدح يعدل به القوم فمر بسواد بن غزية حليف ابن عدى بن النجار وهو مستنتل من الصف قال ابن هشام ويقال متنصل من الصف فطعن فى بطنه بالقدح وقال استو يا سواد قال يا رسول الله اوجعتنى وقد بعثك الله تعالى بالحق والعدل فاقدنى قال فكشف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه وقبل بطنه قال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدى جلدك الشريف فدعا له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بخير انتهى وقال الحلبى واما ما وقع فى بعض النسخ انه عمرو بن سواد فغلط وعلى الخطأ نقله شيخنا ابن الملقن فى شرح البخارى ثم تعقبه لكنه لم ينبه على انه مقلوب

(فصل)

(واما افعاله عليه الصلاة والسلام الدنيوية) اى المجردة عن الاحكام الاخروية (فحكمه) مبتدأ (فيها) اى فى افعاله الدنيوية (من توقى المعاصى والمكروهات) بيان لحكمه اى من تحفظه عنهما (ما قدمناه) وفى نسخة ما قدمناه

وهو خبر المبتدأ واما ما صدر عنه من فعل بعض المكروهات كشربه وبوله قائما بعد نهيه عنهما فانه كان لعذر لديه اولبيان الجواز بما كان واجبا عليه (ومن) اى وحكمه من (جواز السهو والغلط فى بعضها) اى افعاله كتسليمه من ركعتى احدى صلاتى العشى سهوا (ماذكرناه) فى حديث ذى اليدين (وكله غير قادح فى النبوة) المبنية على صفة العصمة (بل) وفى نسخة بلى (ان هذا) اى صدور السهو (فيها على الندور اذ عامة افعاله) اى غالبها بل كلها (على السداد) اى الاستقامة والاقتصاد (والصواب) فى الاجتهاد (بل اكثرها اوكلها) اى افعاله الصادرة عن وفق العادات (جار بمجرى العبادات والقرب) بضم ففتح اى القربات (على ما بينا) من ان الاعمال بالنيات وان المباحات بها تنقلب طاعات (اذكان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ منها) اى من افعاله الدنيوية (لنفسه الاضرورته) اى حاجته المعينة على احواله الاخروية من القيام بالعبودية وفق مقتضى الربوبية وفى نسخة الاضروريته اى الاموره الضرورية التى لا يستغنى عنها افراد البشرية (وما يقيم رمق جسمه) اى مادة قوته وقوته من اكله وشربه ونومه التى بها قيام بنيته ونظام صحته قدر فربضته (وفيه مصلحة ذاته) وما يتبعه من صفاته (التى بها يعبدربه ويقيم شريعته ببيان احكامها (ويسوس امته) اى يراعيهم ويؤدبهم بما فيه نظامهم اوهذا كله فيما بينه وبين ربه (وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك) اى مما ذكر من افعاله الدنيوية (فبين معروف بصنعه) بين ظرف ومعروف مجرور منون مضاف اليه اى فامره دائر بين فعل معروف يصنعه اليهم (اوبر) اى انعام (يوسعه) عليهم (اوكلام حسن يقوله ويلقيه لديهم (اويسمعه) بضم الياء وكسر الميم اى يرويه لهم وفى نسخة بفتحهما اى يسمعه منهم فيما صدر عنهم (اوتألف شارد) اى نافر بطبعه مارد فيداريه بالاحكام ليثبت قلبه على الاسلام (اوقهر معاند) اى منكر جاحد (اومداراة حاسد) اى مدافعته وهو من الدرء بالهمز وهو الدفع وقد يخفف همزه ومنه قولهم ودارهم مادمت فى دارهم (وكل هذا لاحق بصالح اعماله) وفى نسخة بصالح اعماله (منتظم فى زاكى وظائف عباداته) اى طاهرها اوزائدها فى مقام فوائدها (وقد كان يخالف فى افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال) العارضة من الامور الاخروية (ويعد) بضم الياء وكسر العين وتشديد الدال اى ويهيء (للامور اشباهها) المناسبة لافعالها (فيركب فى تصرفه) وتوجهه (لما) اى لسير (قرب) من البلد (الحمار) اذ لا كلفة فى ركوبه مع الايذان بعدم التكبر مع جلالة مقامه (وفى اسفاره) اى البعيدة (الراحلة) لصبرها على شدة السير ومشقة الزاملة (ويركب البغلة فى معارك الحرب دليلا على الثبات) الى الوفاة واشعارا بقوة شجاعته وشدة قلبه مع كونها لا تصلح للكر والفر وقال على كرم الله وجهه اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اى جعلناه وقاية من الناس (ويركب الخيل ويعدها) من اعدائه بينهما (ليوم الفزع) اى وقت الاغاثة والاعانة (واجابة الصارخ) اى الصائح للاعلام بالحادثة الواقعة (وكذلك) كان يفعل (فى لباسه وسائر احواله) وفى نسخة افعاله اى من اكله وشربه وفراشه ومنامه وقيامه وافطاره وصيامه وسكونه وكلامه (بحسب اعتبار مصالحه) اى مهمات ذاته (ومصالح امته) اى مراعاة اهل ملته ليقدر كل احد فى الجملة على متابعته على ما بيناه فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته) على احوال العقبى (وسياسة) لبعضهم (وكراهية لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه) اى من حيثية اخرى (كما) كان (يترك الفعل) اى فعل الخير (لهذا) اى لحكمة نفسه اولمصلحة امته (وقد يرى فعله خيرا منه) اى من تركه فى نفس الامر اشعارا بجوازه (وقد يفعل هذا) اى ما يرى تركه خيرا من فعله (فى الامور الدينية مما له الخيرة) بكسر الخاء وفتح الياء ويسكن اسم من خار بمعنى اختار اى ماهو مخير (فى احد وجهيه) اى فى فعلهما (كخروجه) باصحابه (من المدينة لاحد) حين محاربة ابى سفيان وقومه (وكان مذهبه) اى عادته (التحصن بها) وعدم الخروج منها (وتركه) اى وكتركه عليه الصلاة والسلام (قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم) غيرشاك فى كفرهم وفى نسخة من امورهم واغماركهم (مؤالفة لغيرهم ورعاية) اى ومراعاة (للمؤمنين المخلصين (من قرابتهم وكراهة) وفى نسخة وكراهية (لان يقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء فى الحديث المناسب لبابه وهو ما رواه البخارى وغيره فى قصة رئيس اهل النفاق عبد الله بن ابى وقوله فى غزوة بنى المصطلق لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعه زيد بن ارقم وهو حدث فقال له انت والله الاذل المبغض فى قومه ومحمد هو الاعز بربه وقومه ثم اخبر رسول الله بقوله فقال عمر دعنى اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد انف كبيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فرانصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه (وتركه) اى وكتركه عليه الصلاة والسلام (بناء الكعبة على قواعد ابراهيم مراعاة لقلوب قريش) حيث كانوا قريب عهد بالاسلام ولم يتمكنوا فى قبول

الاحكام (وتعظيمهم لتغيرها) وفى نسخة لتغييرها اى الكعبة بيت الله الحرام مع الهمامن ظاهر النظام (وحذرا من نفار قلوبهم) بكسر النون اى تنافرها (لذلك) اى لتغيرها (وتحريك متقدم عداوتهم للدين واهله) بالارتداد ونحوه (فقال لعائشة) كما رواه الشيخان (لولا حدثان قومك) بكسر الحاء اى قرب عهدهم (بالكفر) ويروى حداثة قومك (لاتممت البيت على قواعد ابراهيم) اى اسست او بنيت اواعليت اواتممته بادخال الحجر وقد بناه ابن الزبير كما تمناه وغيره الحجاج بعض ما بناه وعلى ذلك البناء بقى الى وقتنا (ويفعل الفعل) اى احيانا (ثم يتركه) بعده (لكون غيره خيرا منه) حينئذ (كانتقاله من ادنى مياه بدر) اى من ادناها الى بدر (الى اقربها للعدو من قريش) برأى الحباب ابن المنذر كما سبق (وكقوله) فى حجة الوداع على ما رواه الشيخان (لو استقبلت من امرى ما استدبرت) اى الامر الذى استدبرته (ما) وفى نسخة لما (سقت الهدى) اذ بفعله ذلك لزمه ان لا يحل حتى ينحر ولا يجوز نحره الا يوم النحر فلا يجوز له فسخ الحج بعمرة كما امر بذلك اصحابه ليخرج عن خاطرهم ما اشتهر فى الجاهلية من ان العمرة فى اشهر الحج من افجر الفجور وانما امر بذلك من لم يكن معه هدى اذ يكون له فسخه هنالك وانما قال ذلك على وجه الاعتذار تطييبا لقلوب اصحابه وحذرا من ان يشق عليهم ان يحلوا وهو محرم وليعلموا ان قبول ما دعاهم اليه من فسخه بها افضل وانه لولا الهدى لفعله ثم هذا الفسخ منسوخ عند الائمة الا احمد بن حنبل (ويبسط وجهه للكافر والعدو) من المنافق (رجاء استئلافه) طمعا فى الفته وحذرا من نفرته (ويصبر للجاهل) فيما يصدر عنه حال فترته (ويقول) كما رواه الشيخان عن عائشة (ان من شرار الناس) وفى نسخة من شر الناس (من اتقاه الناس) اى خافوه وحذروه واحترسوا منه (لشره ويبذل له) بضم الذال المعجمة اى يعطى من ذكر وامثاله (الرغائب) اى النفائس من ماله (ليحبب اليه شريعته) اى احكام ملته (ودين ربه) اى من طاعته وعبادته (ويتولى فى منزله ما يتولى به) اى يقوم فيه بما يقوم وفى نسخة ما يتولاه (الخادم من مهنته) بفتح الميم هو الرواية وقد يكسر وقيل خطأ اى خدمة منزله (ويتسمت) بتشديد الميم من السمت وهو الهيئة الحسنة اى يظهر السمت الحسن ويقصد الطريق المستحسن (فى ملائه) بضم الميم ممدودا وقيل مقصور مهموز وغلط اى فى ازاره كذا قالوا والظاهر فى ملابسه اذ الملاآت جمع ملاءة وهى الملحفة ويقال لها الريطة اذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين يشتمل بها وروى فى ملئه بفتحتين مقصورا اى جماعته وقومه (حتى لا يبدو) اى لا يظهر (منه شئ من اطرافه) اى اعضائه من ساق وقدم وساعد ونحوها من كمال ادبه ووقاره وجمال حيائه وانكساره وتواضعه لربه وانتظاره وليتأدب اصحابه بشعاره ودثاره (حتى كان) بتشديد النون (على رؤس جلسائه الطير) من كمال سكوتهم وسكونهم ووقارهم فى قرارهم لان الطير لا يقع الا على ساكن (ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم) اى بحكايته او تأثلهم وما جرى لهم تأنساً بقالهم وتلطفا بحالهم او بحديث اول متكلم منهم فيبنى عليه كلامه الى ان ينتهى مرامه او يتحدث مع آخرهم بحديث اولهم من جهة النشاط وطريق الانبساط من غير انقباض عن بعضهم وملالة وكلالة فى آخرامرهم ولفظ الترمذى حديثهم عنده كحديث اولهم (ويتعجب مما يتعجبون منه استجلابا لخواطرهم (ويضحك مما يضحكون منه) فى عجائب اخبارهم وغرائب آثارهم (وقد وسع الناس) اى جميعهم (بشره) بكسر فسكون اى طلاقة وجهه وبشاشة حديثه (وعدله) اى وكذا وسعهم عدله فى حكمهم او اعتداله فى امرهم (لا يستفزه الغضب) اى لا يستخفه ولا يزعجه ولا يخرجه عن مقام الادب مع ان غضبه كان للرب (ولا يقصر عن الحق) بل يقوم به غاية القيام (ولا يبطن) بضم الياء وكسر الطاء اى لا يضمر (على جلسائه) خلاف ما يظهره (يقول) شاهدا لامره (ما كان لنبى ان تكون له خائنة الاعين) وقد تقدم ما يتعلق به مبنى ومعنى وتفصيل هذه الفضائل ذكرته فى شرح الشمائل (فان قلت فما معنى قوله لعائشة) كما رواه الشيخان (فى الداخل عليه) وهو عيينة بن حصين الفزارى قبل ان يسلم او مخرمة بن نوفل القرشى ولا يبعد تعدد القضية (بئس ابن العشيرة) وفى نسخة هو وفى رواية او اخو العشيرة كما فى رواية الترمذى على الشك واما رواية البخارى بئس ابن العشيرة واخو العشيرة اى انما قاله حين استأذن فى الدخول عليه (فلما دخل عليه ألان له القول) اى لين له الكلام (وضحك معه) فى المقام وفى رواية البخارى تطلق فى وجهه وانبسط اليه (فلما خرج سألته) اى عائشة (عن ذلك) ولفظ الترمذى فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له القول (فقال) يا عائشة متى عهدتنى فحاشا (ان من شر الناس) وفى رواية ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة (من اتقاه الناس لشره) وفى رواية من تركه الناس اتقاء فحشه وفى رواية اتقاء شره (وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن) اى يضمر (ويقول فى ظهره) اى فى غيبته قبل ان يدخل فى حضرته (ما قال) فى مواجهته (فالجواب ان فعله عليه الصلاة والسلام) اى ضحكه والانة قوله له (كان استئلافا) اى مداراة له وتألفا (لمثله) من اجلاف العرب وعتاتهم فى مقام الادب (وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه)

فى باطن قلبه (ويدخل فى الاسلام بسببه) اى بسبب اتباعه (اتباعه) اى قومه واشياعه (ويراه مثله) فى الجفاوة والقساوة (فينجذب) اى ينقاد (بذلك الى الاسلام) وقبول الاحكام (ومثل هذا) الاتقاء (على هذا الوجه) اى وجه الاستئلاف (قد خرج من حد مداراة الدنيا) اى مداراة الامور الدنيوية (الى السياسة الدينية) اى انتقل منها اليها بالمقاصد الاخروية (وقد كان يتألفهم) وفى نسخة يستألفهم (باموال الله العريضة) اى باعطاء الاموال الكثيرة (فكيف) لا يتألفهم (بالكلمة اللينة) فانها اولى ان تقع فانها فى المرتبة الهينة (قال صفوان) اى ابن امية ابن وهب الجمحى اسلم بعد حنين وكان احد الاشراف والفصحاء وفى الصحابة من يقال له صفوان ستة عشر غير ما تقدم والله تعالى اعلم (لقد اعطانى) اى رسول الله كما فى نسخة (وهو ابغض الخلق الى فما زال يعطينى) اى الاموال عفوا من غير السؤال (حتى صار احب الخلق الى) فان الانسان عبد الاحسان (وقوله) عليه الصلاة والسلام (فيه) اى فى حق الرجل المذكور (بئس ابن العشيرة هو غير غيبة) بكسر الغين وهى ان تذكر اخاك المسلم بما يكرهه (بل هو تعريف) اى اعلام (بما علمه منه) وفى نسخة تعريف ما علمه منه (لمن لم يعلم) بحاله (ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق) اى لا يعتمد وفى نسخة لا يثق (بجانبه كل الثقة لا) وفى نسخة ولا (سيما وقد كان مطاعا) بضم الميم يفسره (متبوعا) اى لقومه لا يخرجون عن رأيه (ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة) وكذا حصول منفعة وظهور مصلحة (لم يكن بغيبة بل كان جائزا) بلا شبهة (بل) قد يكون (واجبا فى بعض الاحيان كعادة بعض المحدثين فى تجريح الرواة) بكذب او سوء حفظ او قلة ديانة ونحوها (والمزكين) بكسر الكاف عطف على المحدثين وفى نسخة بفتحها على انه عطف على الرواة (فى الشهود) قال التلمسانى بسكون الياء جمع مزكى هذا قول البصريين واجراه الكوفيون كالصحيح (فان قيل فما معنى المعضل) بكسر الضاد المعجمة اى الداء العضال المشكل الذى اعيى الفضلاء والحكماء فى باب الدواء وفى نسخة الفصل واحد الفصول بدل المعضل (الوارد فى حديث بريرة) براءين على زنة فعيلة وهى بنت صفوان مولاة عائشة وهى حبشية او قبطية (من قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة) كما فى الصحيحين (وقد اخبرته) اى عائشة (ان موالى بريرة ابوا بيعها) اى امتنعوا عنه (الا ان يكون لهم الولاء) بفتح الواو اى ولاء عتقها فانهم كاتبوها فعجزت فاتت عائشة تستعين بها فقالت ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك ويكون ولاؤك لى فابوا (فقال لها عليه الصلاة والسلام اشتريها واشترطى لهم الولاء) هذا هو المعضل من الداء الذى تحير فى معالجته العلماء (ففعلت) اى اشترتها وشرطت لهم الولاء واعتقتها (ثم قام خطيبا) اى واعظا (فقال ما بال اقوام) اى ما حالهم وشأنهم (يشترطون شروطا ليست فى كتاب الله تعالى) اى مما لم يرد بشرعيتها احكام ليعمل بها (كل شرط ليس فى كتاب الله) اى ولا فى سنة رسول الله (فهو باطل) ليس تحته طائل وفى بعض النسخ زيادة قوله شرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم) وهذا مشكل (وعليه باعوا) وهذا معضل (ولولاه) اى ولولا شرط عائشة لولائها لهم (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (لما باعوها) اى بريرة (من عائشة كالم يبيعوها قبل) اى قبل قبول عائشة شرطهم (حتى شرطوا ذلك عليها) اى على عائشة (ثم ابطله عليه الصلاة والسلام وهو قد حرم الغش) بقوله من غشنا فليس منا كما رواه الترمذى (والخديعة) اى وكذا حرم المكر والمكيدة بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهذا مشكل من وجوه فيحتاج الى جواب شاف كاف (فاعلم اكرمك الله تعالى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مبرا) اى منزه (عما يقع فى بال الجاهل) اى قلب الغافل (من هذا) المقام الكامل (ولتنزيه النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن ذلك) وعدم ظهور تأويل ذلك لهم فيما هنالك (ما) زائدة او موصولة (قد انكر قوم) من المحدثين منهم يحيى بن اكثم (هذه الزيادة) اعنى (قوله) اى وهى قوله (اشترطى لهم الولاء اذ ليست) هذه الزيادة (فى اكثر طرق الحديث) اى حديث بريرة فلا اشكال فى بقية الافادة وقد اعتل بتفرد مالك به عن هشام بن عروة وانه لم يتابع عليه لكن الصحيح انه تابعه عليه ابو اسامة وجرير فى طرق متعددة (ومع ثباتها) اى ومع صحة هذه الزيادة وهو المعتمد لان زيادة الثقة مقبولة بلا شبهة (فلا اعتراض بها اذ تقع لهم بمعنى عليهم) فان حروف الجر يستعار بعضها لبعض كما هو مقرر فى محله من المغنى ونحوه (قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة) اى عليهم والاظهر ان اللام فيه للاختصاص اى اللعنة حاصلة لهم دون غيرهم (وقال وان اسأتم فلها) اى فعليها وعدل عنها للمشاكلة او للاختصاص كما قدمناه (فعلى هذا) القول بان اللام بمعنى على فالمراد (اشترطى عليهم الولاء لك) فانما هو لمن اعتق وهذا بعيد جدا من جهة المبنى والمعنى اما الاول فلانه لا يصلح كون لهم هنا بمعنى عليهم وان صح فى غيره لان اللام لا تكون كعلى الا حيث لا لبس فانه يقال اشترط له واشترط عليه كما يقال دعا له ودعا عليه وشهد له وشهد عليه وقضى

له وعليه فلا ينوب احدهما مناب الاخر فتدبروا واما الثانى فلما قدمه المصنف من ان موالى بريرة لم يرضوا الا ان يكون ولاؤها لهم فلو رضوا لما وقع العتب فى الخطبة عليهم وان تكلف المصنف فى دفعه بقوله (ويكون قيام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك) فعلى هذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة اشترطى اظهرى شرط الولاء لك وقيل معناه الوعيد الذى ظاهره الامر وباطنه النهى قاله محمد بن شجاع ومنه قوله تعالى اعملوا ما شئتم ومعناه التهديد على عمل ان عملوه لان صعوده على المنبر ونهيه دليل ذلك فتدبر (ووجه ثان) من وجوه الاجوبة (ان قوله) عليه الصلاة والسلام (اشترطى لهم الولاء ليس على معنى الامر) المجزوم به للتأكيد ولا للتهديد (لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم قبل) اى قبل ذلك والمعنى قبل قوله لها اشترطيه لهم (ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطى او لا تشترطى) فحذفه يكون من باب الاكتفاء والمعنى وان تشترطى (فانه شرط غير نافع والى هذا ذهب الداودى وغيره) من العلماء قاله الدلجى ويؤيده انه قد ورد فى بعض طرقه اشترطى او لا تشترطى فانما الولاء لمن اعتق وفيه بحث اذ المراد به ان الولاء لمن اعتق سواء اشترط عند شرائه الولاء لنفسه او لم يشترط بان اطلق الشراء وانما الكلام فيما اذا لم يرض البائع الا بشرط الولاء لنفسه نعم يرد عليه اذا علم ان هذا الشرط باطل فى الشريعة فاراد صلى الله عليه وسلم بقوله لها اشترطى ان شرطك لا يضرك هنالك بل يضرهم ذلك (وتوبيخ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك) اى تصميمهم على شرطهم وامتناعهم من بيعها الا ان يكون لهم الولاء (يدل على علمهم به) بان شرطه لهم غير نافع (قبل هذا) التوبيخ والتقريع (الوجه الثالث) كانه تفنن فى العبارة (ان معنى قوله اشترطى لهم الولاء اظهرى لهم حكمه) اى شريعته (وبينى عندهم سنته) اى طريقته وهو (ان الولاء انما هو لمن اعتق) وان شرط لغيره فشرط الله تعالى اوثق وقضاؤه احق (ثم قام) اى هو كما فى نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى خطيبا واعظا (مبينا ذلك) اتم الفائدة هنالك (وموبخا) لهم (على مخالفة ما تقدم منه فيه) وفى نسخة وموبخا على مخالفه بالاضافة هذا ومن قصة بريرة انها لما اعتقت وهى منكوحة مغيث اختارت نفسها ولم تقبل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى زوجها فقد قيل انما فعلت ذلك ايثارا لخدمة النبى عليه الصلاة والسلام على خدمة زوجها وهو حسن مستحسن وذكر الغزالى فى الاحياء وجها آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام لبس يوما واحدا ثوبا من سندس ثم نزعه وحرم لبس الحرير وكانه انما لبسه اولا لتأكيد التحريم كما لبس خاتما من ذهب يوما ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضى الله عنها فى شأن بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه وكما اباح المتعة ثلاثة ايام ثم حرمها لتأكيد امر النكاح انتهى وفيه بحث لا يخفى اذ يقتضى هذا ان الاشتراط اولا كان حلالا ثم صار حراما فينبغى ان يكون العقد الاول بشرطه صحيحا وليس كذلك بل العقد صحيح والشرط باطل فرجع الاشكال بان فيه غررا بظاهر الحال (فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه) اى شقيقه بنيامين (اذ جعل السقاية) اى الصاع الذى كان يسقى فيه ويكال به ايضا لعزة الغلة فى وقته وقد قيل كانت من زبرجد او من ذهب او فضة مرصعة (فى رحله) اى وسط متاع اخيه (واخذه) اى واخذ يوسف اخاه وحبسه عنده (باسم سرقتها) اى بعنوان سرقته السقاية (وما جرى على اخوته فى ذلك) بعمومهم (وقوله تعالى) حكاية عن المنادى ومن معه خطابا لاخوة يوسف (انكم لسارقون ولم يسرقوا) جملة حالية (فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان) صادرا (عن امر الله لقوله تعالى كذلك) اى مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) اى بينا الكيد له بان اوحينا اليه ليأخذ اخاه فى دين ابيه لانه اولى من حكم غيره وقيل الكيد هنا جزاء الكيد يعنى كما فعلوا بيوسف فى الابتداء فعلنا بهم حال الانتهاء حتى ضم يوسف اخاه الى نفسه وحال بينه وبين اخوته (ما كان ليأخذ اخاه) قبضه الى نفسه فى مثواه (فى دين الملك) اى حكمه اذ كان من دينه ضرب السارق وتغريمه مثلى ما سرقه دون الاسترقاق (الا ان يشاء الله) بان يجعل ذلك الحكم حكم ملك مصر فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه (الاية) اى نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم والحاصل ان يوسف لم يكن ليتمكن من حبس اخيه فى حكم الملك لولا ما كدناه بالطافنا حتى وجد السبيل الى ذلك وهو ما اجرى على السنة الاخوة ان جزاء السراق الاسترقاق فحصل مراد يوسف بمشيئة الخلاق (فاذا كان) الامر (كذلك فلا اعتراض به) اى فيه هنالك (كان فيه ما فيه) بدل من قوله فلا اعتراض به جواب لاذا اى والذى فيه هو انه كيف يجوزان بامر الله تعالى به ولا يبعد ان يكون التقدير فاذا كان ذلك باذن الله تعالى وتعليمه هنالك فلا اعتراض به على اى وجه كان فيه مما وقع فيه ثم رأيت الانطاكى قال يعنى اى شئ كان بعد ان يكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى

لان الملك ملكه وما فيه عبيده واماؤه وللمالك ان يتصرف فى ملكه ما يشاء (وايضا) يمكن ان يقال فى دفع الاشكال (فان يوسف عليه السلام لما كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس) اى لا تحزن (بما كانوا يعملون) بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير وتفضل علينا ونعم ما قيل

كما احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى

وروى انه قال ليوسف بعد ما اعلمه انا اخوك فانا لا افارقك فقال لقد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ثم لا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل فى حقك فقال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعى فى رحلك ثم يقال انك سرقته ليتأتى لى ردك الى بعد تسريحك معهم قال فافعل ولله در القائل

فليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى

(كان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه) اى وفق موافقته وفى نسخة وفقته (ورغبته) اى ميله فى اقامته (وعلى) اى وكان (على يقين من عقبى الخبر له به) اى لبنيامين بسبب يوسف (وازاحة السوء) بضم السين وفتحها والازاحة بالزاى اى ازالة الشر (والمضرة عنه بذلك) التوفيق (واما قوله سبحانه وتعالى) حكاية (ايتها العير) اى اصحاب الابل ذات الاحمال من الطعام والاثقال (انكم لسارقون) اى فى ظننا (فليس من قول يوسف) بل من مناديه (فيلزم) اى فلا يلزم (عليه جواب يحل شبهه) اى يزيلها وفى نسخة لحل شبهه اى لفك عقده (ولعل قائله ان حسن له التأويل) بصيغة المجهول مشدد السين اى ان صحح (كائنا من كان) اى بامر يوسف او غيره (ظن على صورة الحال ذلك) كما يقتضى المقال هنالك (وقد قيل قال ذلك) بامر يوسف هنالك (لفعلهم قبل) اى قبل ذلك (بيوسف) فانه كان سرقة فى المعنى من ابيه ومكيدة فى حق ابنه (وبيعهم له) حيث قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة اى باعه اخوته او اشتراه السيارة من اخوته قولان للمفسرين وقد اغرب الدلجى حيث قال بعد قوله وبيعهم له وفيه ما فيه لانهم لم يسرقوا بل ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه بل القوه فى غيابة الجب ورجعوا (وقيل غير هذا) من الاجوبة وفيما ذكرنا الكفاية (ولا يلزم ان نقول الانبياء) بتشديد الواو المكسورة اى ننسب اليهم (ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه) وانما يطلب الخلاص مما ثبت انه قولهم او فعلهم وفى اصل الانطاكى ضبط يقول بالبناء للمجهول (ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم) ولو كانوا من اقاربهم وكان الشيخ المصنف ذهب الى ان اخوة يوسف ما وصلوا الى مرتبة النبوة وقد تقدم ذكر الخلاف فى هذه القضية فلا ينبغى الجزم لا بالاثبات ولا بالنفى كما هو طريق الحزم والله تعالى اعلم

(فصل)

(فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض) اى انواع العلة (وشدتها عليه) اى على نبينا (وعلى غيره من الانبياء) الشامل للرسل وغيرهم (على جميعهم السلام) والتحية والاكرام (وما الوجه) اى التوجيه (فيما ابتلاهم الله تعالى به من البلاء وامتحانهم) بانواع العناء (فيما) وفى نسخة بما (امتحنوا به) من الضراء فصبروا كما شكروا على السراء (كايوب) وكانت تحته رحمة بنت يعقوب وقضيته معروفة مشهورة وفى كتب التفسير وغيره مسطورة (ويعقوب) ابتلاه بفقد ولده وذهاب بصره (ودانيال) بكسر النون وكان عالما بتعبير الرؤيا حكى انه دخل بلاد الغرب وقيل قبره بالسوس ويقال انه نبى غير مرسل وكان فى ايام بخت نصر وهو اكرم الناس عنده فحسدته المجوس فوشوا اليه وقالوا ان دانيال واصحابه لا يعبدون آلهتك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا اجل فامر بخد فخد لهم فالقوا فيه وهم ستة والقى معهم سبع ضارى ليأكلهم ثم راحوا من الغد فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه لم يضرهم فآمن بخت نصر وقيل لم يؤمن والله سبحانه وتعالى اعلم (ويحيى) ابتلاه الله بذبحه (وزكريا) ابتلاه الله بنشره (وابراهيم) ابتلاه الله بالقائه فى النار (ويوسف) ابتلاه الله بفراق ابيه وغيره (وغيرهم) من الانبياء (صلوات الله تعالى عليهم) وفى نسخة على جميعهم (وهم) اى والحال انهم (خيرته) بكسر الخاء وسكون الياء وتفتح اى مختاره (من خلقه واحباؤه واصفياؤه) اجتباهم من بينهم لشرف ما بهم وكرم ما بهم (فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل) كما ورد يا الله المحمود فى كل فعاله (وكلماته) اى احكامه (جميعها صدق) لا خلف فى وعده ووعيده قال تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا (لا مبدل لكلماته) اى لا حكامه (يبتلى عباده) اى يمتحنهم بما اراده تارة بنعمه واخرى بمحنه لقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة (كما قال تعالى لهم) اى فى ضمن غيرهم ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم (لننظر كيف تعملون) من الشر والخير فتجازون وفق اعمالكم واختلاف احوالكم والابتلاء من الله تعالى ان يظهر من العبد ما كان يعلم منه فى الغيب (وليبلوكم) اى وقال خطابا عاما الذى خلق الموت والحياة

ليبلوكم

ليبلوكم اى ليعاملكم معاملة الممتحن (ايكم احسن عملا) اى اصوبه واخلصه وقد ورد مرفوعا احسن عقلا واسرع الى طاعة الله تعالى واورع عن محارمه وقيل اكثركم ذكرا للموت واستعدادا لما بعده قبل الفوت وقيل ازهدكم فى الدنيا واجهدكم فى العقبى وقال تعالى ايضا (وليعلم الله الذين آمنوا) عطف على علة مقدرة اى نداول الايام بين الانام لتتعظوا وليعلم الله ايذانا بان الحكمة فيه كثيرة وان ما يصيب المؤمن من المصالح مما لا يعلمه غيره او التقدير فعلنا ذلك ليتميز الثابتون على الايمان من المنحرفين عنه وهم المنافقون ام حسبتم ان تدخلوا الجنة (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) اى لم يتعلق علمه سبحانه وتعالى بجهادكم (ويعلم الصابرين) بالنصب على اضمار ان والواو للجمع اى ولم يتعلق علمه بصبركم على اجتهادكم والقصد فى امثاله ليس الى اثبات علمه ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريق البرهان فى امره فان علمه تعالى اذا تعلق بشئ لزم وجوده كما ان عدم تعلقه به ينافى شهوده وقال ايضا (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم) قرئ فى السبعة بالنون والياء فى الافعال الثلاثة (فامتحانه) اى الله سبحانه وتعالى (اياهم) اى الانبياء واتباعهم من الاولياء (بضروب المحن) وفنون البلاء والفتن (زيادة فى مكانتهم) اى منزلتهم (ورفعة فى درجاتهم) اى مراتبهم العالية حسا ورتبة (واسباب لاستخراج حالات الصبر) على البلاء والجهاد مع الاعداء (والرضى) منهم بما قضى عليهم من السراء والضراء (والشكر) على النعماء والالاء (والتسليم) فى الامور (والتوكل) فى الصدور (والتفويض) اى الاعتماد على رب العباد فيما اراد (والدعاء) فى البلاء والرخاء (والتضرع منهم) حال الاستدعاء والاستكفاء (وتأكيد) بالرفع وهو الظاهر وفى نسخة وتأكيدا (لبصائرهم فى رحمة الممتحنين) بفتح الحاء (والشفقة على المبتلين) بفتح اللام وهو كالتفسير لما قبله (وتذكرة) اى تنبيه وتبصرة (لغيرهم) من اممهم (وموعظة لسواهم ليتأسوا) بتشديد السين اى ليقتدوا (فى البلاء بهم ويتسلوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم فى الصبر) على الاحوال كلها فانه كما قيل

هو المهرب المنجى لمن احدقت به * مكاره دهر ليس عنهن مذهب

(ومحو) بالرفع وفى نسخة ومحوا اى سبب عفو (لهنات) بفتح هاء وتخفيف نون اى زلات (فرطت منهم) اى صدرت عنهم وقد قال الشراح ان نسبة الهنات وهى الخصال السوء لا تليق الى الانبياء وان ذكره المصنف فلكل عالم هفوة (او غفلات سلفت لهم) اى سبقت منهم (ليلقوا الله طيبين مهذبين) ظاهرا وباطنا مؤدبين (وليكون اجرهم اكمل) اى اكثر واجل (وثوابهم اوفر واجزل) اى اتم واعظم والله اعلم (حدثنا القاضى ابو على الحافظ) اى ابن سكرة (ثنا ابو الحسين) بالتصغير هو الصحيح (الصيرفى وابو الفضل ابن خيرون) بفتح فسكون فضم يصرف ولا يصرف (قالا) اى كلاهما (ثنا ابو على البغدادى) بدال مهملة ثم معجمة هو الرواية المعتمدة من الوجوه الاربعة المحتملة (قال ثنا ابو على السنجى) بكسر اوله (ثنا محمد بن محبوب) وهو راوى جامع الترمذى عنه (حدثنا ابو عيسى الترمذى) صاحب الجامع (ثنا قتيبة) اى ابن سعيد (ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة) بسكون بين فتحتين اوله موحدة قيل هى امه ولسم ابيه عبد وهو ابو بكر ابن عاصم ابن ابى النجم وبهدلة مولى بنى اسد احد القراء السبعة قرأ على السلمى وذر وحدث عنهما وعن جماعة وعنه شعبة والحمادان والسفيانان ثبت امام فى القراآت قال الذهبى هو حسن الحديث قال وقال ابو زرعة واحد ثقة اخرج له البخارى ومسلم مقرونا لا اصلا واخرج له الائمة الاربعة فلا يلتفت الى ما قال يحيى القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ فانه منقوض بالامام عاصم هذا فانه حافظ الكتاب والسنة مات بالكوفة سنة ثمان او سبع وعشرين ومائة (عن مصعب بن سعد) كنيته ابو زرارة روى عن على وطلحة ثقة نزل الكوفة واخرج له الائمة الستة (عن ابيه) وهو سعد ابن ابى وقاص احد العشرة المبشرة (قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل) اى الاشبه فالاشبه من العلماء والاصفياء والافضل فالافضل من الصلحاء والاولياء (يبتلى الرجل على حسب دينه) بفتح السين اى على قدر يقينه (فما يبرح) اى فما يزال (البلاء) متعلقا (بالعبد) يطهره من الذنوب (حتى يتركه يمشى على الارض) اى ماشيا عليها (ما عليه خطيئة) ينسب اليها ويؤاخذ لديها والحديث رواه الترمذى وقال حسن صحيح وروى النسائى وابن ماجه والحاكم نحوه (وكما قال تعالى وكاين) وفى قراءة وكاين اى وكم (من نبى قتل) وفى قراءة قاتل (معه ربيون كثير) واحدها ربى اى جماعات كثيرة ويقال هم سادات كبيرة والربى منسوب الى الربة اى الجماعة وجمع للمبالغة وقيل منسوب الى الرب والكسر من تغييرات النسب اى علماء او عابدون لربهم اتقياء (الايات الثلاث) وهى قوله فما وهنوا اى ما جبنوا اى ما فتروا وما انكسر والما اصابهم فى سبيل الله من قتل نبيهم او بعض اكابرهم وما ضعفوا عن دينهم وما تغيروا عن يقينهم وما استكانوا اما خضعوا لاعدائهم والله يحب الصابرين على بلائهم وامر ربهم وطاعة نبيهم وما كان قولهم الا ان قالوا اى الا قولهم ربنا اغفر

لناذنوبنا اى سيئاتنا واسرافنا فى امرنا من التقصير فى طاعاتنا وانصرنا على القوم الكافرين فى مجاهداتنا فآتاهم الله
ثواب الدنيا من عزة ونصرة وغنيمة وحسن ثواب الاخرة من زيادة مثوبة ورفعة درجة وعلو رتبة والله يحب المحسنين
فى كل حالة (وعن ابى هريرة رضى الله عنه) اى مرفوعا كما رواه الترمذى وصححه (ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده
وماله) يكفر عنه ذنوبه (حتى يلقى الله تعالى) اى يموت (وما عليه خطيئة) يؤاخذ بها (وعن انس) كما رواه الترمذى
ايضا وحسنه (عنه عليه الصلاة والسلام اذا اراد الله تعالى بعبده الخير) اى الكامل فى العقبى (عجل له العقوبة) اى
بما يكون كفارة له (فى الدنيا واذا اراد الله تعالى بعبده الشر) اى السوء الكامل فى العقبى (امسك عنه بذنبه) اى من
غفران يكفره بشئ يكون بسببه (حتى يوافى) بكسر الفاء وفتحها اى حتى يأتى او يؤتى (به) اى بذنبه وافيا والمعنى
يجازى به (يوم القيامة) وسبب وروده ان رجلا اصاب ذنبا من قبله اوغيره فاتبع بصره الشخص فاصابه حائط
فى وجهه فاقبل وهو ينضح دما فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا اراد الله تعالى الحديث (وفى حديث
آخر) رواه الديلمى عن ابى هريرة رضى الله عنه (اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه) اى تذلله فى انينه
وشكواه وخضوعه وبكاه (وحكى السمرقندى) اى ابو الليث (ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد)
من بلاء غيره (كى يتبين) اى ليظهر (فضله) على غيره (ويستوجب الثواب) بقدره (كما روى عن لقمان) واختلف
فى نبوته (انه قال لابنه) واختلف فى اسمه (يا بنى) بفتح الياء وكسرها الغتان وقرأ آتان (الذهب والفضة يختبران)
بصيغة المجهول اى يمتحنان (بالنار) فينظفان من وسخهما (والمؤمن يختبر بالبلاء) فيطهر من ذنبه وخبثه (وقد
حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف) اى بفقده (كان سببه التفاته فى صلاته اليه وهو) اى ويوسف كما فى نسخة (نائم) لديه
(محبة له) اى غيرة الهية عليه واغرب الدلجى فى قوله ولا اقول بان هذا سببه لنزاهته عليه الصلاة والسلام عن
قطعه به كمال اقباله على ربه فيها انتهى وغرابته لا تخفى وروى فى سبب ابتلائه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى اوحى
اليه أتدرى لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف قال لا قال لقولك لاخوته انى اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون
لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى (وقيل بل اجتمع) اى يعقوب (يوما هو
وابنه يوسف) واغرب الدلجى بقوله يوسف مفعول معه (على اكل حمل) بفتح المهملة والميم وهو الجذع من الضأن له
سنة او اقل (مشوى وهما يضحكان) جملة حالية اى والحال انهما منشرحان منبسطان (وكان لهما جار يتيم فشم
ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز لبكائه) شفقة منها عليه (وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه) بجارهما
ولعله وقع لتقصير يعقوب فى تفحص حالهما فى جميع اوقاته فاندفع اعتراض الدلجى على المصنف بان الانسان لا يؤاخذ
بما لم يعلم سيما اذا لم يجب عليه (فعوقب) اى يعقوب كما فى نسخة (بالبكاء اسفا) بفتحتين اى للحزن والتأسف (على
يوسف) فى جميع اوقاته (الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن) اعترض الدلجى بان قوله وابيضت عيناه
يدفع قوله سالت حدقتاه وهو وهم فاحش اذ الحدقة محركة سواد العين كما فى القاموس (فلما علم بذلك) اى بكائهما
(كان بقية حياته يأمر مناديا ينادى على سطحه) اى فوق بيته (الا) للتنبيه (من كان مفطرا) فقيرا او غنيا (فليتغد)
بالدال المهملة المشددة من الغداء وهو طعام اول النهار ويؤيده قوله مفطرا قال الحلبى وفى النسخة المعتمدة بالذال
المعجمة وهو ابلغ منه بالمهملة انتهى وفيه ما تقدم (عند آل يعقوب) اى بنيه واهل بيته او عنده نفسه وآل مقحم تفخيما
لشأنه وهذا كقوله تعالى مما ترك آل موسى وآل هارون (وعوقب يوسف بالمحنة) بنون بعد الحاء المهملة كذا
ضبط وهو احترازا عن تصحيفه بالمحبة بالموحدة (التى نص الله تعالى عليها) فيه اشكال اذ هو كان صغيرا دون البلوغ
حينئذ لكن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ولعل هذا من الحكم المجهولة عندنا كايلام الاطفال والله تعالى
اعلم بالاحوال (وروى عن الليث) اى ابن سعد (ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه
فى ظلمه واغلظوا عليه فى القول له الا ايوب فانه رفق به) بفتح الفاء من الرفق اى الطف معه فى كلامه رجاء ان يرتدع
عن ظلمه ولا مانع من ان يكون رفقه به (مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه) وجملة الكلام فى هذا
المقام على تقدير صحة نقل هؤلاء الاعلام ان الله ان يبتلى من شاء بما شاء من العمل اذ لا يسأل عما يفعل (ومحنة سليمان)
اى وسبب بلائه (لما ذكرناه) فيما سبق (من نيته) اى خطور طويته (فى كون الحق فى جنب اصهاره) بفتح الجيم
والنون اى جهة اصهاره كما فى نسخة (او للعمل بالمعصية فى داره ولا علم عنده) كما تقدم بيانه فى اخباره (وهذه)
اى الامور المرتبة على المحنة والبلية من الكفارة فى بعض القضية او رفع الدرجة العلية وفى نسخة وهذا (فائدة شدة
المرض) من الحمى وغيرها (والوجع) من الصداع ونحوه (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالت عائشة رضى الله
عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت الوجع على احد اشد منه) اى من الوجع (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وعن عبد الله) كما رواه الشيخان وهو ابن مسعود فانه المراد اذا اطلق عند المحدثين فلا وجه لقول الدلجى لعله ابن
مسعود او ابن عمر مع انه لا وجه فيما حصره اذ يحتمل ابن عباس وابن عمرو وابن الزبير وغيرهم اذ فى الصحابة من يقال له
عبد الله كثير قال الحلبى عبد الله هذا هو ابن مسعود انما نبهت عليه لان فى الصحابة من يقال له عبد الله فوق
الاربعمائة وقال ابن الصلاح انهم نحو مائتين وعشرين قيل وثلاثين وقيل هم ثلثمائة واربعة وستون وهذا
الاختلاف فى عددهم انما وقع لان منهم من كرر لاختلاف فى اسم ابيه او فى اسمه هو ومنهم من لم يصح له صحبة عند هذا
وصح له عند غيره والله تعالى اعلم اقول والاظهر ان يحمل على زيادة تتبع بعضهم (رأيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى مرضه يوعك) بصيغة المجهول (وعكا شديدا) بسكون العين المهملة وتحرك اى شدة الحمى وحدتها فى وجعها
(فقلت انك توعك وعكا شديدا قال اجل) اى نعم (انى لاوعك) وفى نسخة اوعك (كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك
ان لك) وفى نسخة ان ذلك (الاجرمرتين قال اجل ذلك) الامر (كذلك) والاظهر لذلك باللام اى اجل ذلك لاجل
ذلك (وفى حديث ابى سعيد رضى الله عنه) رواه ابن ماجه والحاكم (ان رجلا) يحتمل الراوى وغيره والاول اولى
لرواية ابن ماجه ان ابا سعيد هو الذى وضع يده لكن لا يبعد ان غيره ايضا (وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)
ليختبر حماه أشديدة هى ام خفيفة (فقال والله ما اطيق اضع) وفى نسخة ان اضع (يدى عليك من شدة حماك فقال النبى
صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء) بالنصب على الاختصاص او المدح اى جماعتهم (يضاعف لنا البلاء) على
مقدار ما لنا من الولاء (ان) مخففة من الثقيلة اى انه اى الشأن (كان النبى) اى فرد من افراد هذا الجنس (ليبتلى
بالقمل حتى يقتله) لكثرته وما ذاك الا لرفعة مرتبة النبى وعلو درجته (وان كان النبى ليبتلى بالفقر) اى الجوع حتى
يقتله (وان كانوا) اى الانبياء (ليفرحون بالبلاء كما تفرحون) اى انتم (بالرخاء) المتضمن للنعماء القوة يقينهم
فى امر دينهم وتسليم امرهم عند حكم ربهم وفى العدول عن الغيبة الى الخطاب ايماء الى انهم لا يفرحون بالرخاء وقد
اورد المصنف فى الباب الثانى من القسم الاول حديثا يقرب من معنى هذا الحديث وهو انه عليه الصلاة والسلام قال
لقد كان الانبياء قبلى يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم (وعن انس) كما رواه
الترمذى وحسنه (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء) بكسر العين وفتح الظاء ويجوز ضمها
مع سكون الظاء اى فمن كان بلاؤه اكثر او اكبر فجزاؤه اتم واوفر (وان الله تعالى اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى)
بالقضاء (فله الرضى) من الله تعالى وجزيل الثواب وجميل المآب (ومن سخط) بكسر الخاء اى كره (فله السخط)
بفتحتين اى الغضب واليم العذاب ودوام الحجاب (وقال) وفى نسخة وقد قال (المفسرون فى قوله تعالى من يعمل سوأ
يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة) حتى لا يعذب فى العقبى (وروى هذا) اى قول المفسرين
وفى نسخة وروى مثل هذا (عن عائشة وابى) اى ابن كعب (ومجاهد) كما رواه احمد والحاكم عنهم ومثل هذا ما يقال
بالرأى فهذا الموقوف فى حكم المرفوع وقد ذكر البغوى فى تفسيره باسناده عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه قال
كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزلت عليه هذه الاية من يعمل سوأ يجز به فقال عليه الصلاة
والسلام يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت على قال قلت بلى يا رسول الله فاقرأنيها قال ولا اعلم انى وجدت انفصاما
فى ظهرى حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر فقلت يا رسول الله بابى انت وامى واينالم
يعمل سوأ وانا لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون
فيجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله تعالى وليست لكم ذنوب واما الآخرون فيجتمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة
وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوأ غيرك فكيف
الجزاء قال منه ما يكون فى الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزى بالسيئة نقصت واحدة من عشره
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده عشراته واما ما كان جزاء فى الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فتلقى
مكان كل سيئة حسنة وينظر فى الفضل فيعطى الجزاء فى الجنة فيؤتى كل ذى فضل فضله وفى رواية عن ابى بكر حين
نزلت الاية فمن ينجو مع هذا يا رسول الله قال لا تحزن اما تمرض اما تصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك
(وقال ابو هريرة رضى الله عنه عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى صحيح البخارى (من يرد الله تعالى به خيرا يصب منه)
بضم اوله وكسر صاده ويفتح اى ينزل به مكروها ليثاب عليه (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى صحيح
مسلم (من رواية عائشة ما من مصيبة تصيب المسلم) اى من الامر المكروه (الا كفر) وفى نسخة الا يكفر (الله تعالى بها
عنه) اى ذنوبه (حتى الشوكة) بالحركات الثلاث والاظهر الجر على ان حتى عاطفة او بمعنى الى او الرفع على ان الشوكة
مبتدأ والخبر قوله (يشاكها) بضم الياء والضمير القائم مقام الفاعل عائد الى المؤمن والتقدير يشاك المؤمن تلك

الشوكة والمراد شوكة العضاة وابعد التلمساني في تجويزه ان الشوكة ذات الجنب اى تصيبه فيمرض منها قال فعلى الاول غاية في الضعف وعلى الثاني غاية في القوة انتهى والاولى اولى كما لا يخفى (وقال) اى النبي عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين (من رواية ابى سعيد) اى الخدرى (ما يصيب المؤمن من نصب) بفتحتين اى تعب (ولا وصب) بفتحتين اى وجع (ولا هم) اى غم يذيب الانسان (ولا حزن) بضم فسكون وبفتحتين اى غم فوت شئ (ولا اذى ولا غم) بغم فؤاد صاحبه وقيل الهم من الامر السابق والغم من اللاحق (حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله تعالى بها من خطاياه) اى بعض ذنوبه وقيل من زائدة (وفى حديث ابن مسعود) كما رواه الشيخان (ما من مسلم يصيبه اذى) اى ما يتأذى به ولو قطع شراك نعل او انطفاء سراج (الا حات) بتشديد الفوقية من باب المغالبة للمبالغة اى اسقط (الله عنه خطيئاته) وفى نسخة خطاياه (كما يحت) اى الله (ورق الشجر) وفى نسخة بصيغة المجهول وفى نسخة تحات بصيغة الماضى من باب التفاعل وفى اخرى بصيغة المضارع على انه حذف منه احدى التائين وفى رواية تحاتت عنه ذنوبه اى تساقطت وعن ابن عباس رضى الله عنهما حمى يوم كفارة ثلاثين سنة (وحكمة اخرى) فى اجراء الامراض والبلاء على الانبياء والاصفياء (اودعها الله تعالى فى الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها) اى على اعضائهم (وشدتها) كمية وكيفية (عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم) فى تعلقاتهم وفى نسخة قوى انفسهم (فيسهل خروجها) اى انتقال ارواحهم (عند قبضهم) اى وفاتهم (فتخف عليهم مؤونة النزع) اى ثقل نزع ارواحهم ومشقة اخراجها من اشباحهم (وشدة السكرات) وغلبة الغمرات (بتقدم المرض وضعف الجسم والنفس لذلك) اى لما تقدم من الحكمة هنالك وهذا (خلاف موت الفجأة) بفتح فسكون مقصورا وبضم ممدود اى موت البغتة (واخذه) بالغفلة وان ورد فى الحديث موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف للفاجر على ما رواه احمد والبيهقى عن عائشة (كما يشاهد) بصيغة المجهول (من اختلاف احوال الموتى) اى الذين على شرف الموت وقربه (من الشدة واللين) اى الهينة (والصعوبة والسهولة وقد قال عليه الصلاة والسلام) كما فى الصحيحين عن كعب بن مالك وجابر (مثل المؤمن مثل خامة الزرع) بالخاء المعجمة وتخفيف الميم اى طاقته اللينة عطفها اوضعفها (تفيؤها) بضم اوله ففاء مفتوحة وتحتية مشددة مكسورة فهمزة مضمومة واما قول التلمسانى وروى تفئها بدون ياء فخطأ فاحش اى تحركها وتميلها (الريح) اى جنس الرياح (هكذا) مرة عن يمينها (وهكذا) مرة عن يسارها والمعنى تميلها من جانب الى جانب (وفى رواية ابى هريرة رضى الله عنه) وفى نسخة لابى هريرة كما فى صحيح مسلم (من حيث اتتها الريح تكفأها) بفتح الفاء وتكسر اى تقلبها (فاذا سكنت) اى الريح (اعتدلت) اى قامت قامة الخامة على ساقها معتدلة غير مائلة (وكذلك المؤمن يكفأ) بصيغة المجهول اى يقلب ويغير حاله (بالبلاء) عما كان عليه فى النعماء (ومثل الكافر) وفى معناه الفاجر (كمثل الارزة) بسكون الراء وفتحها شجرة الارزن وهو خشب معروف وقيل الصنوبر وقال بعضهم الآرزة بوزن فاعلة ومعناها الثابتة فى الارض وانكرها ابو عبيد كذا فى النهاية (صماء) اى صلبة يابسة (معتدلة) اى مستوية ثابتة (حتى يقصمها الله تعالى) بكسر الصاد بعد سكون القاف اى يكسرها (ويهلكه) ويأخذه بغتة من غير تقدم بلية فى غالب قضية وعن انس رضى الله عنه ان الله تعالى خلق عباده منهم صحيح وسقيم وغنى وفقير فمنهم من لو اسقمه لافسده ذلك ومنهم من لو اصحه لافسده ذلك ومنهم من لو اغناه لافسده ذلك ومنهم من لو افقره لافسده ذلك والله تعالى اعلم بمصالح عباده وفق مراده اقول وقد يستفاد هذا المعنى من قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفى الجملة كما ورد المؤمن مكفر على ما رواه الحاكم عن سعد (معناه) اى الحديث السابق (ان المؤمن مرزأ) بتشديد الزاى المفتوحة وفى نسخة بتخفيفها اى مبتلى بالرزايا (مصاب بالبلاء) اى بانواع البلايا كموت اعزته وفوت احبته (والامراض) وفى معناها فقد الاغراض (راض بتصريفه) اى بتغيير احواله وتغير آماله فى حاله وماله وجاهه وماله (بين اقدار الله تعالى) اى انواع قضائه من بلائه ونعمائه (مطاع) وفى نسخة منطاع اى منقاد (لذلك) الذى اصيب به هنالك (لين الجانب) اى متواضع لربه متلبس (برضاه) وفق ما قدر له وقضاه (وقلة تسخطه) اى وعدم كراهته لبلواه (كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح) حال تقلبها اغنية وبسرة فى الصباح والرواح (وتمايلها لهبوبها) المختلفة فى الشدة واللينة (وترنحها) بنون مشددة مضمومة بعد راء مفتوحة اى دورانها فى تغيير شانها وعن يزيد الرقاشى المريض يرنح والعرق من جبينه يرشح (من حيث ما اتتها) اى جاءتها رياح البلايا والرزايا (فاذا ازاح الله تعالى) بالزاى اى ازال (عن المؤمن رياح البلاء) وابدل منها رياح النعماء (واعتدل صحيحا) وانتقام صريحا (كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو) بفتح الجيم وتشديد الواو اى هواء جو السماء (رجع) المؤمن من مقام صبره (الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه) اى بدفع محنته

(منتظرا رحمته وثوابه) اى مثوبته (عليه) اى على شكر ربه فى حاليه (فاذا كان) اى المؤمن (بهذه السبيل) اى بهذه المثابة من تحمل توارد الرزايا وترادف البلايا (لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله) اى حلوله وحصوله فى وقت من اوقات الفوت (ولا اشتدت) اى ولحقت (عليه سكراته ونزعه) حين صعبت غمراته (لعادته) اى تعوده (لما) وفى نسخة بما (تقدم) وفى نسخة تقدمه (من الآلام) اى تحملها فى ضمن الاسقام (ومعرفة ماله فيها من الاجر) اى الثواب التام يوم القيام (وتوطينه) اى ولتثبيته وتمكينه (نفسه على المصائب) اى اصابتها (ورقتها اوضعفها بتوالى المرض) ولو مع خفته (اوشدته) وان لم يتوال فى مدته (والكافر) اى شأنه وحاله (بخلاف هذا) المؤمن فى حاله وما له (فهو) وكذا الفاجر (معافى فى غالب حاله ممتع بصحة جسمه) وكثرة ماله وسعة مناله (كالارزة الصماء) اى الشجرة القوية (حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه) اى كسره واهلكه (لحينه) بكسر الحاء اى فى وقته فورا (على غرة) بكسر غين وتشديد راء اى على حين غرور وغفلة (واخذه) اى اماته (بغتة) اى فجأة (من غير لطف ولا رفق) بل بعنف وشدة تضرب الملائكة وجهه ودبره بسياط من نار (فكان موته اشد عليه حسرة) اى تأسفا وكآبة (ومقاساة نزعه) اى معاناة خروج روحه (مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا) عند قبضه (ولعذاب الآخرة اشد) اى اقوى (وابقى) وفى نسخة زيد لو كانوا يعلمون اى لآمنوا (كانجعاف الارزة) بالنون والجيم اى انقلاعها من اصلها وقال التلمسانى وروى انجعاف بجا معجمة اى ضعف واسترخاء (وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون) قبل ذلك امارة وعلامة وقد ورد الحمى رائد الموت اى بريده ونذيره (وكذلك عادة الله فى اعدائه) اى معهم خلاف عادته مع احبائه (كما قال تعالى فكلا) من اعدائنا ممن كذب باصفيائنا (اخذنا بذنبه) بغتة فاذا هم مبلسون اى متحيرون آيسون (فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا) اى ريحا عاصفة تحصبهم كقوم لوط (ومنهم من اخذته الصيحة) كثمود فاصبحوا فى ديارهم جاثمين (الآية) اى ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كفرعون وقوم نوح وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (ففجأ) اى ففاجأ الله (جميعهم) حيث اخذهم كلهم (بالموت على حال عتو) اى فرط تكبر وتجبر (وغفلة) عما خلقوا له من الموت والبعث فى العاقبة (وصبحهم به) بتشديد الموحدة اى وجاءهم بالموت (على غير استعداد) حال كونه (بغتة ولهذا ما) كذا فى نسخة فقيل هى زائدة او موصولة (كره السلف موت الفجأة ومنه حديث ابراهيم) اى النخعى كما صرح به ابن الاثير فى نهايته فلا وجه لقول الدلجى النخعى او التيمى وكذا القول غيره انه ابن ادهم ولا يبعد التعدد والله اعلم (كانوا) اى الصحابة والتابعون (يكرهون اخذة كاخذة الاسف) رواه سعيد ابن منصور فى سننه وابن ابى الدنيا فى ذكر الموت والاسف بفتحتين (اى الغضب) الموجب لكثرة التأسف وشدة التلهف وفى نسخة بكسر السين اى الغضبان المتأسف (يريد) اى ابراهيم وفى نسخة يريدون اى السلف بهذه الاخذة (موت الفجأة وحكمة ثالثة) فى اعتراء انواع البلاء على الانبياء والاصفياء (ان الامراض) اى كلها (نذير الممات) وفى نسخة نذير الموت اى منذر الموت ومخوف الوفاة كما ورد الحمى رائد الموت لانها تنبئ عن قرب الفوت (وبقدر شدتها) اى قوة الامراض وقلتها (شدة الخوف) اى خوف الفوت (من نزول الموت فيستعد) للموت (من اصابته) تلك الامراض قبل الفوت (وعلم) اى المؤمن (تعاهدها له) اى تفقد الامراض وتعاودها له استعدادا تاما (للقاء ربه) عز وجل (ويعرض عن الدنيا الكثيرة الانكاد) اى الكدورات وما احسن قول ابن عطاء فى حكمه ما دمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار (ويكون قلبه متعلقا بالمعاد) ويكون متهيئا لتحصيل الزاد ليوم التناد (فيتنصل) من باب التفعل وفى نسخة فينتصل من باب الانفعال اى يتخلص وينفصل (من كل ما يخشى تباعته) بكسر اوله لا بفتحه كما وهم الحلبى بمعنى تبعته ومؤاخذته (من قبل الله تعالى) وهو اهون (وقبل العباد) وهو اقوى (ويؤدى الحقوق) المتعلقة به جميعها (الى اهلها) بقدر امكان ادائها (وينظر) اى يتأمل (فيما يحتاج اليه من وصية) بما تركه الى من يثق به (فيمن يخلفه) بتشديد اللام المكسورة اى فيمن يعقبه من ولد وعبد (او امر يعهده) الى من يريده (وهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم المغفور له) اى ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما فى نسخة (قد طلب التنصل) اى التخلص (فى مرضه ممن كان له عليه مال) دينا او قرضا (او حق فى بدن) يورث قصاصا او ارشا (واقاد من نفسه وماله) اى اعطى القود منهما مستحقه (وامكن من القصاص منه) اى من نفسه (على ما ورد فى حديث الفضل) اى ابن عمه العباس كما مر وفيه انه صلى الله عليه وسلم ضرب اعرابيا بعود كان بيده فقال يا رسول الله القصاص غير مريد له فكشف له عن بطنه فالتزمه تبركا به وفى حديث الوفاة كما تقدم والله تعالى اعلم (واوصى بالثقلين بعده كتاب الله تعالى) بالجر بدل مما قبله ويجوز رفعه ونصبه (وعترته) بكسر اوله اى اقاربه واهل بيته وسميا بالثقلين اما لثقلهما على نفوس كارهيهما او لكثرة حقوقهما فهما شاقان او لعظم قدرهما او لشدة الاخذ بهما او لثقلهما فى الميزان من قبل ما امر به فيهما او لان عمارة الدين بهما كما عمرت

الدنيا بالانس والجن المسميين بالثقلين فى قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان (وبالانصار عيبته) بفتح العين المهملة وسكون التحتية فباء موحدة اى لانهم موضع سره وامانته ومحل رعايته وعنايته وحراسته ووقايته كعيبة الثياب التى يضع الشخص فيها متاعه النفيس (ودعا) اى اصحابه فى مرض موته (الى كتب كتابه) اى كتابة مكتوب به (لئلا تضل امته بعده) اذا عملوا بكتابته فاختلفوا فى ذلك وتنازعوا هنالك فقال دعونى فانه لا ينبغى التنازع عند نبى وذلك الكتاب (اما فى النص على الخلافة) وفيه ان الوصية بالخلافة لا تحتاج الى امر الكتابة مع انه قد اشار اليه بنصب الامامة (والله تعالى اعلم بمراده) مما خطر بباله نصيحة لخلق الله تعالى وعباده (ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا) من الكتابة واجل (وهكذا سيرة عباد الله تعالى المؤمنين واوليائه المتقين) من الابتلاء بانواع البلاء المذكورة بحال الفناء المهيئة للاستعداد ليوم الاباء فى دار البقاء (وهكذا كله) اى ما ذكر من حال انبيائه واوليائه الابرار (يحرمه) بصيغة المجهول اى يحرم منه (غالبا الكفار) وكذا الفجار (لاملاء الله تعالى لهم) اى امهالهم الى انصرام آجالهم (ليزدادوا اثما) ويستزيدوا ظلما ليكون لهم عذاب مهين فيما اكتسبوا جرما (وليستدرجهم) اى ليستدنيهم الله درجة درجة فى مراتبهم الى ما يهلكهم باشد عقبهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم بتواتر نعمه سبحانه وتعالى عليهم منهمكين فى غيهم وضلالتهم كلما جدد لهم نعمة زادوا فى طغيانهم وعصيانهم ظنا منهم ان تواتر النعماء عليهم تقريب واسعاد وانما هو تطريد وابعاد (قال تعالى ما ينظرون) اى ما ينتظرون (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (تأخذهم) بغتة وتهلكهم فجأة غافلين عنها لا يخطر ببالهم امرها (وهم يخصمون) بفتح الخاء وكسرها واختلاسها اى والحال انهم يختصمون فى معاملاتهم وفى قراءة بسكون الخاء وكسر الصاد من خصم اذا اختصم وفى الحديث لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ايتبايعانه فلا يطويانه فلتقوم الساعة وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها (فلا يستطيعون) اى حينئذ (توصية) فى امرهم (ولا الى اهلهم يرجعون) اى ولا يقدرون ان يرجعوا الى قومهم بل يموتون فجأة كلهم (ولذلك) اى لكون موت الفجأة مذموما فى الجملة (قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابو يعلى وابن ابى الدنيا عن انس (فى رجل مات فجأة) اى فى حقه (سبحان الله) تعجبا من شأنه (كأنه على غضب) اى وقع على سبب غضب يقتضى موته كذلك (المحروم من حرم وصيته) تلويح بالحث على الوصية لئلا يموت الواحد فجأة لحديث ما حق امرئ يبيت ليلتين الا ووصيته عنده وكأنه عليه الصلاة والسلام كشف له ان الرجل كان واجبا عليه الوصية فى شئ من الاحكام فلا ينافى ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خلافه كما بينه المصنف بقوله (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام كما فى حديث احمد عن عائشة بسند صحيح (موت الفجأة راحة للمؤمن واخذة اسف) اى غضب (للكافر او الفاجر) قال الذهبى شك من احد رواته واقول الاظهر انه للتنويع والمراد بالفاجر المنافق او الفاسق (وذلك) اى كون موت الفجأة مختلفا هنالك (ان الموت) وفى نسخة لان الموت (يأتى المؤمن وهو غالبا مستعد له) اى لوصوله (منتظر لحلوله) متهيئ لنزوله (فهان امره) اى سهل (عليه كيفما جاء) حال حصوله (وافضى) اى اوصله (الى راحته من نصب الدنيا واذاها) اى تعبها واذيتها (كما قال عليه الصلاة والسلام) فيما رواه الشيخان عن ابى قتادة حين مر بجنازة (مستريح) اى الميت مستريح (ومستراح منه) اى او مستراح منه وفى نسخة يستريح ويستراح منه قيل من هما يا رسول الله قال اما المستريح فالمؤمن يموت فيستريح من تعب الدنيا واما المستراح منه فالظالم يموت فيستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب قال النووى اما استراحة العباد منه فاندفاع اذاه عنهم واستراحة الدواب منه فكذلك لانه يؤذيها بالضرب والاجاع وتحميل ما لا تطيقه واستراحة البلاد والشجر لانها تمنع القطر بمعصيته (وتأتى الكافر والفاجر) بالواو اى الفاسق او الظالم (منيته) بتشديد تحتية اى موته (على غير استعداد) لمعاد (ولا اهبة) بضم فسكون اى تهيئة (زاد ولا مقدمات) بكسر الدال وتفتح اى مؤذنات سابقة ومخوفات لاحقة (منذرة) اى مخوفة (مزعجة) اى مقلقة محركة (بل تأتيهم) المنية (بغتة) فجأة (فتبهتهم) اى تحيرهم وتدهشهم (فلا يستطيعون ردها) اى صرفها (ولا هم ينظرون) اى لا يمهلون حينئذ وان كانوا من قبله ليمهلون (فكان الموت اشد شئ عليه وفراق الدنيا افظع) بالفاء والظاء المعجمة اى اهيب واصعب واشنع وامر (امر) لديه من حال (صدمه) اى اصابه مما هجمه (واكره شئ له) اى اصعب شئ ارهقه واصابه (والى هذا المعنى اشار عليه الصلاة والسلام بقوله) كما فى الصحيحين عن عبادة بن الصامت (من احب لقاء الله) اى برؤية الله تعالى له عند موته ما اعده له فى الجنة (احب الله لقاءه) اى اراد مصيره اليه ومنحه ما لديه (ومن كره لقاء الله تعالى) برؤيته له عند موته ما اعده من سخطه كما ورد فى الحديث تفسيره بذلك (كره الله لقاءه) فلم يظفر بمطلوب ولم يظهر بمرغوب وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم قال ان اهل البيت ليتنافسون فى الخير والمعروف فيدخلون الجنة كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وان اهل البيت ليتنافسون فى الشر فيدخلون النار كلهم حتى ما يفقدوا خادمهم وقد يقتبس هذا المعنى منطوقا ومفهوما من قوله تعالى جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وروى الترمذى عن سالم بن عمر قال لقيت عليا رضى الله تعالى عنه وهو منصرف من مسجد القبلتين فقال يا ابن عمر انى كنت آنفا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرنى بكلمات اخبر بهن جبريل عن الله عز وجل وانا نخبرك بهن وانت لذلك اهل اخبرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال جبريل عليه السلام ما من قوم يكونون فى حبرة الا ستتبعهم عبرة وكل نعيم زائل الا نعيم الجنة وكل هم منقطع الا هم اهل النار واذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها سريعا واكثر من صنائع المعروف توق مصارع السوء وما من عمل بعد الفرائض احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن ثم قال دونكهن يا ابن عمر قال فشرح الله بهن صدرى مرتين كذا ذكره التلمسانى والله سبحانه وتعالى اعلم

(القسم الرابع)

(فى تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه الصلاة والسلام قال القاضى ابو الفضل رضى الله تعالى عنه) يعنى المصنف (قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مجملا (وما يتعين له من بر) اى طاعة او احسان (وتوقير) اى تبجيل (وتعظيم واكرام) وامثال ذلك مفصلا (وبحسب هذا) بفتح السين اى على قدر ما يجب له ويتعين فى حقه (حرم الله تعالى اذاه فى كتابه) وبين حرمته فى فصل خطابه (واجمعت الامة على قتل منتقصه) بنوع من تحقيره خلاف ما يجب من توقيره (من المسلمين) بخلاف الكافرين (وسابه) اى شاتمه بطريق الاولى فى حقه ففى قاضيخان لو عاب الرجل النبى فى شئ كان كافرا وكذا قال بعض العلماء لو قال لشعر النبى شعير فقد كفر وعن ابى حفص الكبير من عاب النبى بشعرة من شعراته الكريمة فقد كفر وذكر فى الاصل ان شتم النبى كفر ولو قال جن النبى ذكر فى نوادر الصلاة انه كفر ويجوز ان يقال اغمى على النبى وهذا حكم المؤمن به واما الكافر اذا تنقصه او سبه قال بعضهم يقتل وقال بعضهم ينتقض عهده ويخرج من بلده فيبلغ مأمنه (قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله) اى ابعدهم عن الرحمة (فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) وعذابا مبينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه قال البغوى وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدى الامر اقلب الليل والنهار واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس هو انه شج فى وجهه وكسرت رباعيته وقيل ساحر شاعر معلم مجنون (وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) اى مؤلم بفتح اللام وكسرها وصدر الاية ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن نزلت فى جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فيوقع بنا فقال الجلاس بن سويد منهم بل نقول ما شئنا ثم نأتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فانما محمد اذن اى اذن سامعة فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم الاية (وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله) بنوع من الاذى لا فى حياته ولا بعد مماته (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) اى لا بعد وفاته ولا بعد فراقه لها دخل بها ام لا تعظيما لقدره وتفخيما لامره (ان ذلكم) اى الاذى من قبلكم (كان عند الله عظيما) اى ذنبا جسيما نزلت فى رجل من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله عز وجل ان ذلك محرم وروى معمر عن الزهرى ان العالية بنت ظبيان التى طلقها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير البغوى انه نزل فيمن اضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان تبدوا شيأ او تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما (وقال تعالى فى تحريم التعريض له) اى التلويح بما يسوءه من غير التصريح (يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا) فانه امر بالمراعاة فى مقام التصريح لكنه متضمن لمعنى الرعونة فى مقام التلويح (وقولوا) اى بدله (انظرنا) اى انظر الينا وراقبنا او انتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونعلم مرامك (واسمعوا) اى سماع قبول (الاية) اى وللكافرين عذاب اليم وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد (وذلك) اى سبب نزول الاية هنالك (ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اى ارعنا سمعك) بفتح الهمزة وكسر العين والمعنى راعنا بسمعك والقه الينا (واسمع منا ولا تغفل عنا (ويعرضون) بتشديد الراء المكسورة اى ويلوحون (بالكلمة) التى هى سبه عندهم (يريدون الرعونة)

وهى بضم الراء الحماقة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها فقال لليهود والله سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها (فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم) ولو فى الصورة (وقطع الذريعة) اى الوسيلة وسد باب الفساد (بنهى المؤمنين عنها) اى عن كلمة راعنا (لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه) اى طعنه (والاستهزاء به وقيل بل لما فيها) اى فى كلمة راعنا (من مشاركة اللفظ) اى المبنى ومشابهة المعنى (لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت) دعاء عليه كما قال تعالى اخبارا عنهم من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبهذا تبين انه ما يصح كون كلمة راعنا بمعنى اسمع بل بينهما مغايرة (وقيل بل لما فيها) اى فى كلمة راعنا (من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى تبجيله (وتعظيمه لانها فى لغة الانصار) وفى نسخة لغة النصارى ولا وجه للتقييد باحدهما اذ هى على وفق اللغة الجادة فان المراعاة مفاعلة من باب المغالبة فيكون (بمعنى ارعنا) بوصل همزة وفتح عين امر من الرعاية (نرعك) اى حتى نرعاك بحذف الالف للجزم فى جواب الامر وحيث كان يؤذن بان رعايتهم له مشروطة برعايته لهم (فنهوا عن ذلك اذ مضمنه) بفتح الميم الثانية المشددة اى مضمونه (انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه الصلاة والسلام واجب الرعاية بكل حال) سواء راعاهم اولم يراعهم (وهذا هو عليه الصلاة والسلام قد نهى) الحاضرين من امته (عن التكنى بكنيته) وهى ابو القاسم اما بابنه القاسم وهو الظاهر او كناه الله تعالى بذلك لقوله انا قاسم بينكم وله كنية اخرى وهى ابو ابراهيم لابنه الآخر (فقال سموا) وفى نسخة تسموا (باسمى) اى محمد او احمد (ولا تكنوا) من كنى مخففا او مشددا وروى ولا تكتنوا (بكنيتى) بضم الكاف وبكسر وفيه ايماء الى ان محط النهى هو الجمع بين الاسم والكنية لانهما موجبان للشبهة (صيانة لنفسه) اى الكريمة كما فى نسخة (وحماية عن اذاه) اذا احد به غيره ناداه ولعل وجه النهى عن الكنية دون الاسم كونهم متأدبين معه حيث لا ينادونه باسمه لا سيما بعد نهيهم عنه بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اى لا تقولوا له يا محمد يا احمد بل قولوا يا نبى الله يا رسول الله واما ما ثبت من حديث انس ان رجلا من اهل البادية قال يا محمد الحديث فلعله كان قبل النهى او قبل بلوغه ونقل عن عز الدين بن عبد السلام انه يجوز ذلك فى الادعية وكانوا ينادونه بالكنية لما فيه من نوع التعظيم فى الجملة بحسب العرف والعادة ولما كان فيه شبهة المشاركة نهاهم عن ذلك ليكونوا متأدبين هنالك (اذ كان صلى الله عليه وسلم) كما رواه الشيخان عن انس (استجاب) اى اجاب (لرجل نادى) غيره (يا ابا القاسم فقال لم اعنك) بفتح فسكون فكسر اى لم ارد لك بهذا النداء (انما دعوت هذا) واشار الى رجل آخر وهو ابن القاسم الانصارى مذكور فى الصحابة (فنهى حينئذ عن التكنى بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره) وفى نسخة باجابة دعوته غيره الصادرة (ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون المستهزؤن ذريعة) اى وسيلة (الى اذاه) اى اذيته (والازراء به) اى الاستحقار بدعوته والانتقاص فى حالته (فينادونه) قصدا له (فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا) الواقف ونحوه (لسواه) اى لغيره عليه الصلاة والسلام (تعنيتا له) تفعيل من العنت بفتحين وهو المشقة ادخالا للتعب عليه فى امره وتنقيصا لقدره (واستخفافا بحقه على عادة المجان) بضم الميم وفتح الجيم المشددة جمع الماجن وهو الذى لا يبالى بما صنع (والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه) بفتح الحاء فى الاول وكسره فى الثانى اى صان حريم ساحته عن اذى يلحقه فى حالته (بكل وجه) فى شريعته وطريقته (فحمل محققوا العلماء نهيه عن هذا) اى التكنى بكنيته (على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة) وهى ابذاؤه فى تلك الحالة ولما سيأتى ايضا من الادلة وقد اغرب الدلجى بقوله حملوا بلا دليل شرعى مع ترجيح ولا مرجح له وليس ارتفاع العلة بكاف فى تجويزه بعدها مع صراحة عموم النهى المطلق عنه الشامل لما قبلها وما بعدها كيف وقد غير عمر فى خلافته اسماء كثيرة من اولاد الصحابة ممن كان اسمه محمدا بغيره كاسم ابن اخيه غيره بعبد الرحمن مع اذنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التسمية به فلأن يمنع من التكنية بكنيته مع النهى عنها اولى وممن منعه بها مطلقا الشافعى انتهى وسيأتى الجواب عن تغيير عمر مع انه بظاهره حجة عليه لانه غير موافق لمذهبه واما قول الشافعى ليس لاحد ان يكنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا ولا لظاهر النهى فيرد عليه بان الناس ما زالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار وذلك منهم بمنزلة الاجماع ولا تجتمع الامة على الضلالة على ما قاله الانطاكى وتبعه التلمسانى (وللناس فى هذا الحديث مذاهب) اى كثيرة (ليس هذا موضعها) وسيأتى بعضها (وما) وفى نسخة والذى (ذكرناه) من تقييد النهى بحياته (هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله) عارضه الدلجى بقوله بل الصواب المنع مطلقا وقد سمعت الجواب محققا (ان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره على سبيل الندب والاستحباب

لا على التحريم) وتعقبه الدلجى بان هذا دعوى مجردة عن البينة لصدوره على خلاف الاصل من ان نهيه انما كان للايذاء المؤذن بوجوب الكف عن التكنى بها اذ الاصل حمل لفظ النهى على حقيقته من التحريم حتى يقوم ما يصرفه عنها انتهى واعلم ان القول الذى هو فصل الخطاب فى هذا الباب ان حديث تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى اخرجه البخارى ومسلم من رواية جماعة من الصحابة منهم جابر وابو هريرة وغيرهما فقال الشافعى ليس لاحد ان يكتنى بابى القاسم سواء كان اسمه محمدا ام لا قال الرافعى ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية وجواز الافراد قال ويشبه ان يكون هو الاظهر لان الناس ما زالوا يكتنون به فى سائر الاعصار من غير انكار قال النووى فى الروضة وهذا التأويل والاستدلال ضعيف والاقرب مذهب مالك وهو جواز الكنى بابى القاسم مطلقا لمن اسمه محمد ولغيره والنهى مختص بحياته عليه الصلاة والسلام لان سبب النهى ان اليهود تكنوا به وكانوا ينادون يا ابا القاسم فاذا التفت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا لم نعنك اظهارا للايذاء وقد زال ذلك المعنى وهذا نقله الغزالى فى الاحياء عن العلماء (ولذلك لم ينه عن اسمه لانه) اى الشأن (قد كان منع الله من ندائه به) اى باسمه (بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) اى نداءه باسمه (كدعاء بعضكم بعضا) باسمائكم (وانما كان المسلمون يدعونه) اى ينادونه (يا رسول الله يا نبى الله وقد يدعونه) هو بصيغة الجمع على الصواب وروى يدعوه بالافراد قيل ووجهه يدعوه الداعى (بكنيته) يعنى (ابا القاسم) اوفيه ولون ابا القاسم اى يا ابا القاسم وفى نسخة ابى القاسم فلا اشكال (بعضهم) بدل من ضمير يدعونه او هو فاعل يدعوه على حقيقة الافراد وليس بعضهم فى نسخة (فى بعض الاحوال) لما استقر عندهم من ان الدعاء بالكنية اشعار بالتعظيم والاجلال وذكر الحلبى عن بعض مشايخه ان قول النووى فى الروضة ما ذكره الرافعى انه ضعيف وكذا قوله فى الاذكار ان فيه مخالفة لاصل الحديث فيه نظر لان فيه موافقة لحديث صحيح رواه احمد وابو داود والترمذى من حديث ابى الزبير عن جابر رفعه من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يسمى باسمى قال الترمذى حسن غريب وقال البيهقى فى شعب الايمان بعد ان اخرجه هذا حديث صحيح وصححه ابن حبان وابن السكن وهو مذهب ابى حاتم وشذ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جملة كيف ما كان حكاه المنذرى قال وذهب آخرون الى ان النهى فى ذلك منسوخ انتهى وما ذكره المنذرى من المنع عن التسمية باسمه عليه الصلاة والسلام حكاه النووى فى شرح مسلم فقال التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا سواء كان له كنية ام لا قال وجاء فى حديث عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يسمون اولادهم ثم يلعنونهم وهذا معنى قوله (وقد روى انس) كما رواه الحاكم والبزار وابو يعلى بسند حسن (عنه عليه الصلاة والسلام ما يدل على كراهة التسمى باسمه وتنزيهه) اى تبعيد اسمه (عن ذلك) اى عن ان يتسمى به غيره (اذا لم يوقر) اى لم يعظم حق تعظيمه (فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم) بتقدير الاستفهام الانكارى اى التوبيخى ومحط الانكار الجملة الثانية كقوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم (وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد) بصيغة المجهول ويجوز كونه للفاعل (باسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد به محمد لانه اشهر اسمائه او الجنس ليشمل احمد ايضا ويؤيده انه فى نسخة صحيحة باسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حكاه ابو جعفر الطبرى) وهو محمد بن جرير (وحكى محمد بن سعد) كاتب الواقدى وصاحب الطبقات عن عبد الرحمن ابن ابى ليلى (انه) اى عمر رضى الله تعالى عنه (نظر الى رجل) قيل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب (اسمه محمد ورجل يسبه) اى يشتمه (ويقول) اى له كما فى نسخة (فعل الله بك يا محمد وصنع) الله (فقال عمر رضى الله عنه) عند ذلك (لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى) لا نافية لا ألا منبهة كما تصحف على الدلجى اى لا ارضى (محمدا عليه الصلاة والسلام يسب بك) اى فى ضمن سبك او بسبب سبك نصر يحا (والله لا تدعى محمدا ما دمت) انا او انت (حيا وسماه عبد الرحمن) ثم ارسل الى بنى طلحة بن عبيد الله وهم سبعة اكبرهم وسيدهم اسمه محمد فاراد ان يغير اسمه فقال محمد بن طلحة فوالله يا امير المؤمنين ان من سمانى محمدا لمحمد فقال قوموا فلا سبيل الى تغيير شىء سماه رسول الله وروى ان من الصحابة من اسمه محمد بضعة وثمانون انسانا (واراد ان يمنع لهذا السبب وهو تنزيه الاسم عن السب (ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك) اى بتغيير اسمائهم هنالك (وغير اسماءهم) اى اسماء بعض من تسمى باسماء الانبياء وفى نسخة وغير اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء فقد روى ابن سعد قال دخل عبد الرحمن بن سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوى على عمر وكان اسمه موسى فسماه عبد الرحمن وروى ان عبد الرحمن بن الحارث بن هشام كان اسمه ابراهيم فسماه عبد الرحمن (وقال لا تسموا) اى اولادكم ويجوز ان يكون بفتح التاء والميم اى لا تتسموا (باسماء الانبياء ثم امسك) اى عمر عن منعهم وفى شرح مسلم ان المذاهب فى هذه المسئلة ستة الاول النهى عن التكنى بابى القاسم مطلقا الثانى انه خاص بحياته الثالث انه على الادب

الرابع انما يحرم الجمع الخامس التسمى بقاسم السادس المنع من التسمى بمحمد (والصواب جوازهذا كله بعده عليه الصلاة والسلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم) اى من الصحابة (ابنه محمدا) لقوله عليه الصلاة والسلام تسموا باسمى (وكناه بابى القاسم) كما يشير اليه قوله (وروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذن فى ذلك) اى فى تسمية ولده محمدا او تكنيته بابى القاسم (لعلى رضى الله عنه) اذنا خاصا او عاما فقد رواه ابو داود والترمذى من حديث محمد ابن الحنفية عن على بلفظ قال اى على يا رسول الله ارأيت ان ولدلى بعدك اسميه محمدا واكنيه بكنيتك قال نعم ويروى انه عليه الصلاة والسلام قال لعلى سيولد لك بعدى غلام وقد نحلته اسمى وكنيتى ولا يحل لاحد من امتى بعده (وقد اخبر عليه الصلاة والسلام ان ذلك) اى مجموع محمد وابى القاسم (اسم المهدى) من اهل بيته فى آخر الزمان (وكنيته) رواه ابو داود والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود بلفظ المهدى يواطئ اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى ولم يعرف من زاد الكنية فى روايته (وقد سمى به) اى باسمه محمد (النبى عليه الصلاة والسلام محمد ابن طلحة) بن عبيد الله التيمى على ما تقدم قيل وكناه بكنيته وقد مسح رأسه وهو المعروف بالسجاد امه حمنة بنت جحش اخت زينب قتل يوم الجمل مع ابيه سنة ست وثلاثين وكان هواه فيما ذكر مع على بن ابى طالب وكان على قد نهى عن قتله فى ذلك اليوم وقال اياكم وصاحب البرنس ويروى ان عليا مر به وهو قتيل يوم الجمل فقال هذا السجاد ورب الكعبة هذا الذى قتله بره بابيه يعنى ان اباه اكرهه على الخروج فى ذلك اليوم (ومحمد بن عمرو بن حزم) الانصارى النجارى ولد سنة ست عشرة بنجران وقيل بالحرة وكان فقيها قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين من الهجرة (ومحمد بن ثابت بن قيس) ابن شماس الانصارى الخزرجى المدنى اتى به ابوه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسماه محمدا وحنكه بريقه قتل يوم الحرة (وغير واحد) اى وكثيرا منهم سماه عليه الصلاة والسلام محمدا كمحمد بن خليفة قال الذهبى وكان اسمه عبد مناف ومحمد بن نبيط بن جابر ولد فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومحمد بن هلال بن العلاء (وقال) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ضر احدكم ان يكون فى بيته محمد ومحمدان) وفى نسخة صحيحة وثلاثة (وقد فصلت الكلام) اى فيما يثبت فيه المرام (فى هذا القسم) اى الرابع من الكتاب (على بابين كما قدمناه)

(الباب الاول)

(فى بيان ما هو فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم سب اونقص من تعريض اونص) اى تلويح اوتصريح من شتم اوذم (اعلم) وفى نسخة فاعلم (وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى شتمه (اوعابه) اى ذمه (اوالحق به نقصا فى نفسه) اى ذاته اوصفاته (اونسبه) بفتحتين (اودينه) اى شريعته وسيرته وحكوماته (اوخصلة من خصاله) اى حالة من حالاته اوكلمة من مقالاته سواء صرح به (اوعرض به) بتشديد الراء اى لوح فيه (اوشبهه بشئ على طريق السب له اوالازراء عليه) اى احتقاره واستخفافا بحقه (اوالتصغير لشأنه) اى الاحتقار لعظيم قدره (اوالغض منه) اى الخفض والنقص من امره (اوالعيب له) فى حكمه (فهو) بكل واحد مما ذكر (ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل) اى اجمالا (كما نبينه) تفصيلا (ولا نستثنى فصلا من فصول هذا الباب) اى نوعا من انواع كلام الساب (على هذا المقصد) بكسر الصاد اى الذى قصدناه من صوب الصواب (ولا نمترى فيه) اى ولا نشك فى قتل هذا الساب (تصريحا كان اوتلويحا) فى هذا الباب اذ يستويان فى الحكم عند اولى الالباب (وكذلك) بالطريق الاولى (من لعنه اودعا عليه) عليه السلام اوتمنى مضرة له) كانت تحصل لديه (اونسب اليه ما لا يليق بمنصبه) بكسر الصاد اى بمقامه الشريف ومكانه المنيف (على طريق الذم) لعله احترازا من الخطأ اوالسهو (اوعبث) بفتح العين المهملة وكسر الموحدة اى لعب ومزح اى خلط (فى جهته العزيزة) اى جانبه الكريم وهو بزايين وفى نسخة بغين معجمة وراء ثم زاى اى الطبيعة (بسخف) بضم السين وسكون المعجمة اى برقة قبيحة (من الكلام وهجر) بضم فسكون اى فحش فى المنطق (ومنكر من القول) اى تنكره الشريعة (وزور) اى كذب وافتراء اى منحرف عن الحق (اوعيره) بعين مهملة وتحتية مشددة اى عابه (بشئ مما جرى من البلاء والمحنة عليه) كالفقر والكسر وغيرهما (اوغمصه) بغين معجمة وصاد مهملة اى حقره (ببعض العوارض البشرية الجائزة) جريانها (عليه المعهودة لديه) كالجوع والاغماء ونحوهما (وهذا) الذى ذكرناه (كله اجماع من العلماء) من المفسرين والمحدثين (وائمة الفتوى من المجتهدين من لدن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين الى هلم جرا) اى الى يومنا وهلم جرا كما فى نسخة وهو من الجر بمعنى السحب والمعنى استمر الاجماع واتصل من عصرهم الى الآن وكذا الى ما بعده من الزمان وانتصب جرا على المصدر اوالحال اوالتمييز (قال القاضى (ابو بكر ابن المنذر) محمد بن ابراهيم النيسابورى (اجمع عوام اهل العلم) اى كلهم (على ان من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل) صونا لقدره وتعظيما لامره ونعم ما قيل من المبنى فى هذا المعنى

لايسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم

(وممن قال ذلك) اى القتل بسببه (مالك بن انس) امام المذهب (والليث) اى ابن سعد (واحمد) اى ابن حنبل (واسحق) اى ابن راهويه (وهو مذهب الشافعى قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) يعنى المصنف (وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء المذكورين) من العلماء (وبمثله) اى بمثل قول من ذكر بقتل من سبه لا بعدم قبول توبته كما وهم الدلجى اذ يرده قول المصنف لكنهم قالوا هى ردة (قال ابو حنيفة رحمه الله) اى نصا منه (واصحابه) واتقوا معه فيه (والثورى) اى سفيان بن سعيد (واهل الكوفة) اى جميعهم (والاوزاعى) وهو امام جليل اخذ عنه مالك والثورى (فى المسلمين) وفى نسخة فى المسلم احترازا ممن وقع له سب وهو من المعاهدين لاختلاف فيه على ما تقدم (لكنهم قالوا) اى العلماء المتأخرون من ابى حنيفة ومن بعده فى الذكر وان كانوا هم المتقدمين فى الرتبة والعمر (هى) اى سبه وانثه باعتبار خبره وهى (ردة) اى ارتداد وسيجئ بيان حكم المرتد من انه يستتاب فان ابى يقتل على الجواب الصواب (وروى مثله) اى مثل قول هؤلاء انه ردة (الوليد بن مسلم) احد الاعلام من اهل الشام مات سنة خمس وتسعين وروى ابن ابى مسلم والاول اصح (عن مالك) الامام فيكون عنه روايتان (وحكى الطبرى مثله) اى مثل القول بانه ردة (عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه) بشئ ينقصه (صلى الله تعالى عليه وسلم اوبرئ منه) اى تبرأ منه بان قطع مودته ومحبته عليه الصلاة والسلام (اوكذبه) فى قول من اقواله (وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة) من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح ذكره الدلجى تبعا للجوهرى فى صحاحه ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة انتهى وقال ابن قرقول الزنادقة من لا تعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل فى كل من عطل الاديان وانكر الشرائع وفيمن اظهر الاسلام واسر غيره وقال الرافعى هو الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر والاصح عند الشافعية انه الذى لا ينتحل دينا وقيل هو الاباحى الذى لا يتدين بدين ولا ينتمى الى شريعة ولا يؤمن بالبعث والنشور والزندقة بالفتح عقيدته (وعلى هذا) اى القول بكونه ردة مطلقة كالزندقة (وقع الخلاف فى استتابته وتكفيره) اى خروجه من الاسلام الى كفره لانه لم يعرف له دين فى امره فلا يستتاب لعدم الاعتماد على تغيره (وهل قتله) اى بعد توبته (حد) اى سياسة (اوكفر) حقيقة (كما سنبينه فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى) والحاصل ان الخلاف محصور فيما ذكرنا (ولا نعلم خلافا فى استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الائمة) من صلحاء الكبار (وقد ذكر غير واحد) اى كثير من الاخيار (الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد على بن احمد) اى ابن سعيد بن حزم اليزيدى القرطبى الظاهرى (الفارسى) الاصل مات سنة سبع وخمسين واربعمائة صاحب التصانيف وله كتاب نوادر الاخبار ويسمى بنقط العروس وكان شافعيا ثم صار مجتهدا ظاهريا وصنف كتبا كثيرة (الى الخلاف فى تكفير المستخف به) ولعله محمول على عدم تعمده (والمعروف ما قدمناه) من تكفيره وقتله (قال محمد بن سحنون اجمع العلماء) اى علماء الاعصار فى جميع الامصار (على ان شاتم النبى) صلى الله عليه وسلم (المتنقص له) صفة كاشفة وكان الاولى ان يؤتى بعاطفة (كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله تعالى له) فى الدارين (وحكمه) فى الدنيا (عند الامة) اى جميع الائمة (القتل ومن شك فى كفره) فى الدنيا (وعذابه) فى العقبى (كفر) ولحق به وفى نسخة فقد كفر (واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه) بالرفع نعت لابراهيم والمعنى استدل (فى مثل هذا) اى تنقصه عليه الصلاة والسلام (بقتل خالد بن الوليد) اى ابن المغيرة (مالك) بالنصب على انه مفعول قتل (ابن نويرة) بضم النون وفتح الواو وسكون التحتية وفتح الراء على انه تصغير نار اونورة وهو التميمى اليربوعى كان فارسا شاعرا مطاعا فى قومه قدم على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسلم واستعمله عليه الصلاة والسلام على صدقات قومه بنى يربوع (لقوله) اى لاجل قول ابن نويرة وفى نسخة بقوله اى بسبب نقله (عن النبى صلى الله عليه وسلم صاحبكم) وسبب ذلك انه منع الزكاة زمن ابى بكر رضى الله عنه فارسل اليه خالد بن الوليد فى منع الزكاة فقال مالك انا آتى بالصلاة دون الزكاة فقال خالد اما علمت ان الصلاة والزكاة لا تقبل واحدة دون الاخرى فقال مالك قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال خالد وما تراه لك صاحبا والله لقد هممت ان اضرب عنقك ثم تجادلا فى الكلام فقال خالد انى قاتلك قال اوبذلك امر لك صاحبك قال وهذه بعد تلك وكان عبد الله بن عمر وابو قتادة الانصارى حاضرين فكلما خالدا فى امره فكره كلامهما فقال مالك يا خالد ابعثنا الى ابى بكر فيكون هو الذى يحكم فينا فقال خالد لا اقالنى الله ان اقلتك فامر ضرار بن الازور بضرب عنقه فالتفت مالك الى زوجته وكانت فى غاية من الجمال فقال يا خالد هذه هى التى قتلتنى فقال خالد بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام فقال مالك انا على الاسلام فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه فضرب عنقه وجعل رأسه اثفية لقدره وقبض خالد امرأته قيل انه اشتراها من الفئ وتزوجها

وقيل انها اعتدت بثلاث حيض وتزوج بها وقال لابن عمر وابي قتادة احضرا النكاح فابيا وقال له ابن عمر نكتب
الى ابي بكر ونعلمه بامرها وتتزوج بها فابى وتزوجها ولما بلغ ذلك ابا بكر وعمر رضي الله عنهما قال عمر لابي بكر
ان خالدا قد زنى فارجمه قال ما كنت ارجمه انه تأول فاخطأ قال فانه قد قتل مسلما فاقتله قال ما كنت اقتله انه تأول
قال فاعزله قال ما كنت اغمد سيفا سله الله على المشركين وفي رواية لا اعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد رثاه اخوه متمم بن نويرة بمراثي كثيرة وكان اعور ويبكي عليه حتى تبكي عينه العوراء وقد يكون قتله خالد بن الوليد مع
اهل الردة حين قتل مسيلمة وغيره وقد اختلف في مالك هذا فقيل انه قتل مسلما بسبب كلام سمعه خالد منه وبظن ظنه
به وانكر عليه ابو قتادة قتله وخالفه في ذلك واقسم انه لا يقاتل تحت رايته ابدا وقيل بل قتل كافرا وفي الروض للسهيلي
ان مالك بن نويرة ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد في مقام الاحكام وشهد عنده رجلان من الصحابة
برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما انتهى ما ذكره التلمساني عن الحلبي والقضية غير صافية عما يرد عليه من بعض الاشكال
والله تعالى اعلم بالاحوال فلا يصح احتجاج الفقيه بهذا مع وجود الاحتمال (قال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من
المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما) اي بخلاف ما اذا كان كافرا (وقال ابن القاسم) المصري صاحب
مالك (عن مالك في كتاب ابن سحنون) بالانصراف وعدمه (والمبسوط) اي وفيه وهو كتاب للمالكية (وفي العتبية)
بضم فسكون فكسر فتشديد وهو كتاب آخر لهم (وحكاه) اي ما قاله ابن القاسم عن مالك (مطرف عن) خاله (مالك
في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اي حدا لا كفرا (ولم يستتب) وهذا
عندهم في قواعد المذهب (وقال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه) اي احتقره (فانه يقتل) اي
ولم يستتب (وحكمه عند الائمة) اي الجماعة الائمة من المالكية (القتل كالزنديق) عندهم من غير الاستتابة (وقد
فرض الله تعالى له) علينا (توقيره وبره) اي طاعته لدينا كما قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
(وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة) بكسر الكاف مات سنة ست وثمانين ومائة بعد وفاة مالك بسنتين (من شتم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين قتل) اي ذبحا (او صلب حيا) اي وطعن او ترك الى ان يصير ميتا (ولم يستتب)
اي ولم تقبل توبته على ما هو عندهم من المذهب (والامام مخير في صلبه حيا او قتله) اي لا مرتب في حكمه (ومن رواية
ابي المصعب) بضم الميم وفتح العين وهو الزهري العوفي قاضي المدينة وعالمها سمع مالكا وغيره وعنه اصحاب الكتب
الستة الا النسائي فانه بالواسطة (وابن ابي اويس) بفتح فسكون وهو ابن اخت مالك قالا (سمعنا مالكا يقول من سب
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب) لان حده القتل وان
تاب فهذه الرواية مطلقة بخلاف ما سبق من الروايات حيث كانت بالمسلمين مقيدة (وفي كتاب محمد) اي ابن ابراهيم بن
المواز (انا) اي اخبرنا كما في نسخة (اصحاب مالك انه) اي مالكا (قال من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره
من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب) قال الدلجي بشهادة حديث من لكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله
ورسوله فقتله جماعة باذنه عليه الصلاة والسلام فيحتاج من قال لا يقتل الكافر بسببه الى الجواب عن هذا الحديث
انتهى ولعل الجواب ان الكلام في الذمي لا الحربي والله تعالى اعلم بالصواب على انه ليس فيه دلالة على انه لم تقبل
توبته اذا تاب (وقال اصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وآخره معجمة وهو ابن الفرج الفقيه المصري (يقتل) اي من سب
نبيا (على كل حال اسر ذلك) اي اخفاه وثبت عليه بالبينة (او اظهره) باقراره (ولا يستتاب) اي لا نعرض عليه
التوبة اذ لا تقبل توبته في الدنيا (لان توبته لا نعرف) اي صحتها باطنا وفيه انا نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بالضمائر
كما في حق الكافر والفاجر (وقال عبد الله بن عبد الحكم) فقيه المالكية بمصر يروي عن مالك والليث وثقه ابو زرعة
(من سب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من مسلم او كافر) اي ولو ذميا وفيه خلاف (قتل ولم يستتب) اي كالزنديق
عندهم (وحكى الطبري مثله عن اشهب) اي ابن عبد العزيز المصري (عن مالك) صاحب المذهب (وروى ابن وهب)
وهو عبد الله المصري (عن مالك) وهو الامام (من قال ان رداء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي مثلا وكذا حكم
ازاره وسائر دثاره وشعاره واعضائه وابشاره (ويروى) اي بدل ان رداء (ان زر النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم
وهو بكسر الزاي وتشديد الراء ما يشد به اطراف الجيب (وسخ) اي كان وسخا بفتح فكسر اي دنسا (اراد به عيبه) اي
نقصه وطعنه لا بيان الواقع في نفس امره اذ ثبت في الشمائل انه عليه الصلاة والسلام كان يكثر القناع حتى كأن ثوبه
ثوب زيات وانه خطب الناس وعليه عصابة دسماء اي ملطخة بدسومة شعره او عرقه والدسماء في الاصل الوسخة
وهي ضد النظيفة (وقال بعض علمائنا) اي المالكية (اجمع العلماء) لعل المراد علماء المالكية فكان حقه ان يقول
اتفق العلماء (على من دعا على نبي من الانبياء بالويل) اي الهلاك او العذاب ونحوه (او بشيء من المكروه) في حقه

(انه

(انه يقتل بلا استتابة) اي من غير مطالبة بتوبة ولا التفات الى قبولها (وافتى ابو الحسن القابسي) بكسر الموحدة
وهو المعافري القروي الحافظ (فيمن قال في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الجمال) اي انه الجمال بفتح الجيم وتشديد
الميم وفي نسخة بالحاء المهملة (يتيم ابي طالب بالقتل لظهور استهانته) واستحقاره (بذلك) اي بكونه يتيما بقرينة
الجمال هنالك والافهو في نفس الامر كذلك وقد قال تعالى الم يجدك يتيما فآوى اي فقد وجدك ولعل الجمع بين الوصفين
مطابق للواقع في السؤال والاشكل واحد منهما يكفي في تكفير صاحب المقال (وافتى ابو محمد ابن ابي زيد) اي
القيرواني (بقتل رجل سمع قوما) اي جمعا (يتذاكرون صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال) اي الذي افتى ابن ابي زيد بقتله (تريدون تعرفون صفته) اي أتريدون ان تعرفوا صفة النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم (هي) اي صفته (صفة هذا المار) وفي نسخة هي في صفة هذا المار (في خلقه) اي خلقته في طلعته
(ولحيته قال) اي ابن ابي زيد (ولا تقبل توبته) اي وان تاب (وقد كذب لعنه الله) فان شمائله معروفة بالحسن والجمال
ونهاية الكمال وغاية الاعتدال في الاحوال (وليس يخرج) اي ولا يظهر ما قاله هذا القائل بالبهتان (من قلب سليم
الايمان وقال احمد ابن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسود يقتل) لانه عليه
الصلاة والسلام كان ابيض كانما صيغ من فضة على ما رواه الترمذي في الشمائل عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
وفي رواية مسلم والترمذي عن ابي الطفيل كان ابيض مليحا مقصدا وفي رواية البيهقي عن علي كان بياضه مشربا
بحمرة وفي رواية الشيخين عن البراء كان احسن الناس وجها وفي رواية مسلم عن انس كان ازهر اللون هذا ولم يكن
تكفير هذا القائل بكذبه اذا كان جاهلا بامره وانما يكفر بقصده استحقاره (وقال) اي ابن ابي سليمان (في رجل
قيل له) اي رد الماقاله (لا وحق رسول الله قال فعل الله برسول الله كذا وكذا وذكر كلاما قبيحا) اي لا ينبغي
ان يذكر صريحا (فقيل له) انكارا عليه (ما تقول يا عدو الله في حق رسول الله فقال اشد) اي كلاما اقبح (من كلامه
الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب) فانه ارسل من عند الحق وسلط على الخلق تأويلا للرسالة العرفية
بالارادة اللغوية وهو مردود عند القواعد الشرعية (فقال ابن ابي سليمان للذي سأله) اي استفتاه (اشهد عليه) اي
اثبت الامر لديه (وانا شريكك) اي في الاجر المنسوب اليه (يريد) اي ابن ابي سليمان مشاركته (في قتله وثواب ذلك)
واجر ما يترتب على ما هنالك (قال حبيب بن الربيع) اي ابن يحيى بن حبيب القروي (لان ادعاءه التأويل في لفظ
صراح) بضم اوله ويكسر مبالغة صريح كعجاب وعجيب ومعناه خالص لا لبس فيه ولا قرينة تنافيه فيكون دعوى
مجردة خالية عن علامة (لا يقبل) اي ادعاؤه (لانه امتهان) اي احتقار له صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) اي والحال
ان صاحب هذا القال (غير معزر) بكسر الزاي قبل الراء اي غير مبجل (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ولا موقر له) اي ولا معظم لشأنه حيث غير وصفه الخاص به واراد به حيوانا استحق مهانة (فوجبت اباحة دمه)
لتقصيره في توقيره وقد قال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه (وافتى ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية
(في عشار) اي مكاس في ظلم الناس (قال لرجل اد) بفتح همزة وتشديد دال مهملة مكسورة امر من التأدية اي اعط
(المكس واشك) بضم الكاف وبكسر اي واظهر الشكوى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) باني اخذت منك
والمعنى اني ما ابالي باطلاعه على ذلك وكان العشار جارا على ذلك الرجل في اخذ المكس فتضرر الرجل وقال اشكوك
الى النبي عليه الصلاة والسلام فقال له ما قال (وقال) اي العشار ايضا بعد ذلك (ان سألت) اي طلبت المال
(او جهلت) بعض الحال (فقد جهل) اي النبي ايضا (وسأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) اي من الله ما لم يعلم
(بالقتل) متعلق بافتى اي بقتله للكلام الذي صدر عنه من كمال جهله ويؤيده انه روي عن مالك بن عتاهية قال سمعت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اذا لقيتم عشارا فاقتلوه لان الغالب عليهم ان يستحلوه ويقدموا امر مالكهم
على حكم نبيهم (وافتى فقهاء الاندلس) بفتح الهمزة وضمها وفتح الدال وضم اللام (بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي)
بضم الطائين المهملتين وفتح اللام الاولى وسكون التحتية وكسر اللام الثانية بعدها ياء النسبة (وصلبه) بفتح الصاد
اي بجعله على جذع مع مد باعه (بما شهد عليه) بصيغة المجهول (به من استخفافه بحق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)
ولعل تفسيره قوله (وتسميته اياه اثناء مناظرته) اي في خلال مجادلته في علم الكلام ومباحثته (باليتيم) احتقارا له
(وختن حيدرة) بفتحتين اي ابي فاطمة زوج علي فان حيدرة بدال مهملة لقب علي كرم الله وجهه وهو اسم الاسد
في اصله وكان اسم علي قبل ذلك اسدا سمته امه فاطمة بنت اسد باسم ابيها في اول ولادته وابوه غائب فلما قدم من غيبته
سماه عليا ايماء الى رفعته وقيل حيدرة لقب له لحدارته وشدة حرارته وفي صحيح مسلم من انشاد علي حين بارز مرحبا
يوم خيبر انا الذي سمتني امي حيدره (وزعمه) اي ظن ابن حاتم ووهمه (ان زهده عليه الصلاة والسلام لم يكن قصدا) اي

اختيارا بل كان عجزا واضطرارا (ولو قدر) بفتح الدال وبكسر اى لو تمكن (على الطيبات اكلها) وهذا جهل منه بحاله عليه الصلاة والسلام وبكماله فى هذا المقام حيث خير بين ان يكون نبيا ملكا وبين ان يكون نبيا عبدا فاختار الفقر وقال اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر ليكون مظهرا لنعت الجلال ووصف الجمال على ان اختيار الله لعبده خير من اختيار العبد لنفسه وقد اكل الطيبات بلا شبهة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وانما اراد الملعون الطعن فى زهده والقدح فى فقره مع انه محل فخره تواضعا لربه وانكسارا فى امره (الى اشباه لهذا) الاستخفاف والاستحقار فى حقه مما يكفى امر واحد منها فى تكفيره وقتله (وافتى فقهاء القيروان) بفتح القاف والراء بلد معروف ومنهم ابو زيد (واصحاب سحنون) بفتح السين وتضم ويصرف ولا يصرف (بقتل ابراهيم الفزارى) بفتح الفاء والزاى (وكان شاعرا متفننا) اى ماهرا (فى كثير من العلوم) ادبية وعقلية لا شرعية ونقلية ولذا وقع فى بلية جلية (وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس ابن طالب للمناظرة) فى العلوم والمباحثة (فرفعت) اى انهيت (عليه امور منكرة من هذا الباب) اى باب الاستخفاف بعلى الجناب (فى الاستهزاء بالله) اى بكتابه وانبائه (وانبيائه ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) من عظمائه فى مقام ايمانه (فاحضر له) اى لاجل ابراهيم الفزارى (القاضى يحيى بن عمر وغيره) بالنصب على المفعولية (من الفقهاء وامر) اى ابو العباس وهو ابو العباس المذكور (بقتله وصلبه فطعن) بصيغة المجهول اى فضرب فى بطنه (بالسكين) حتى هلك (وصلب منكسا) رأسه لاسفل مدة (ثم انزل) من صلبه (واحرق بالنار) فى الدنيا قبل عذاب العقبى لزيادة السياسة (وحكى بعض المؤرخين انه) اى ابراهيم الفزارى المصلوب بعد قتله (لما رفعت خشبته) التى صلب عليها (وزالت عنها الايدى) الممدودة اليها (استدارت) اى الخشبة (وحولته عن القبلة) اى جهة الكعبة الى غيرها (فكان) نحو بالهاء له عنها (آية للجميع) من الحاضرين (وكبر الناس) عليه من الاولين والآخرين (وجاء كلب) فى عقبه (فولغ) بفتح اللام وتكسر (فى دمه) اى شرب بلسانه منه لعظم جرمه (فقال) اى القاضى (يحيى بن عمر وصدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا يلغ الكلب فى دم مسلم) قال الحلبى يقال ولغ الكلب والسبع بفتح اللام فى الماضى وبكسرها والظاهر ان اللام فى المضارع مفتوحة فى اللغتين انتهى وفى القاموس ولغ الكلب فى الاناء وفى الشراب ومنه وبه يلغ كيهب وولغ كورث ووجل شرب مافيه باطراف لسانه انتهى ولا يخفى انه اذا كان من باب ورث يقع مضارعه بكسر اللام كيرث فيجوز الوجهان والله تعالى اعلم هذا وقال الدلجى الحديث لا اعلم من رواه والظاهر انه لا اصل له مع ما فيه من ركة التركيب انتهى ولا يخفى انه لا ركاكة فيه من جهة المبنى لان الولوغ يتعدى بفى ومن والباء على ما تقدم واما من جهة المعنى فلعله استدل بثبوته على وقوعه فى قضيته كما حكى عن ابن عربى انه قال بلغنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة غفر له وكنت ذكرت هذا العدد وما عينته لاحد حتى اجتمعت فى ضيافة مع شاب مشتهر بالمكاشفة فبكا اثناء اكله فسألته عن حاله فقال ارى امى وابى يعذبان فقلت فى نفسى وهبت ثواب التهليل الجليل لميت هذا الرجل الجميل فضحك فسألته فقال ارتفع عنهما العذاب فعرفت صحة الحديث بكشفه وصحة كشفه بثبوت الحديث واصله (وقال القاضى ابو عبد الله المرابط) بصيغة الفاعل وهو محمد ابن خلف بن سعيد بن وهب مات بعد الثمانين واربعمائة (من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هزم) بصيغة المجهول (يستتاب) يطلب منه رجعته (فان تاب قبلت توبته والا) اى وان لم يتب (قتل) لما اقتضته ردته (لانه) اى قوله هزم (تنقص) فى مرتبته (اذ لا يجوز ذلك) اى وقوع هزيمته (عليه فى خاصته) اى خاصة نفسه كما فى نسخة (عليه الصلاة والسلام) لبرآءة ساحته من الهزيمة عن مقام طاعته (اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته) ففى حديث مسلم عن ابى اسحق قال رجل للبرآء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واحفادهم وهم حسر ليس عليهم سلاح او سلاح كثير فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء الحديث وكذا رواه البخارى وزاد عن ابى اسحق قال البرآء كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا للذى يحاذيه اى يقابله عليه الصلاة والسلام وكذا روى عن على كرم الله وجهه واما خروجه عليه الصلاة والسلام من البلد الحرام فانما كان بأمر الله سبحانه بالهجرة الى دار السلام بل قيل انه فرض عليه الجهاد ولو لم يوافقه احد من العباد فى البلاد كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والله سبحانه وتعالى اعلم بالاسرار قال الحلبى واذا كان قوله هزم تنقصا فينبغى ان يقتل حدا عندهم وان تاب لان هذا هو المعروف من مذهبهم ولعل هذا اختيار لابن المرابط (وقال حبيب بن ربيع القروى) بفتح القاف والراء نسبة الى القرية او الى القيروان على غير قياس

(مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه) اى فى حقه عليه الصلاة والسلام (ما فيه نقص) اى قدح وطعن (قتل دون استتابة) وقال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باذى او نقص معرضا) اى ملوحا (او مصرحا وان قل) الاذى وان كثر بالاولى (فقتله واجب فهذا الباب) اى باب ما يؤذى ذلك الجناب (كله مما عده العلماء سبا) اى شتما وطعنا (وتنقصا) اى قدحا وفى نسخة او تنقصا اى اظهار نقص فى كماله (يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متأخرهم) اى من المالكية (وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه) انه هل يستتاب اولا وهل اذا تاب يترك او يقتل حدا ولا يستتاب ويقتل كالزنديق والله تعالى ولى التوفيق (ونبينه بعد) اى نظهر تفصيله بعد ذلك على وجه التحقيق ثم اعلم ان فصل الخطاب فى هذا الباب ان هذا كله اذا صدر عنه تعمدا ولو هزلا بخلاف ما اذا جرى على لسانه سهوا او خطأ او اكراها لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقد صرح قاضيخان من ائمتنا فى فتاواه بان الخاطئ اذا جرى على لسانه كلمة الكفر خطأ لم يكن ذلك كفرا عند الكل بخلاف الهازل لانه يقول قصدا انتهى ثم انه لا يعذر بالجهل عند عامة اهل العلم خلافا لبعضهم ثم اعلم ان المرتد يعرض عليه الاسلام عند علمائنا الاعلام على سبيل الندب دون الوجوب لان الدعوة بلغته وهو قول مالك والشافعى واحمد ويكشف عن شبهته فان طلب ان يمهل فى مدته حبس ثلاثة ايام لانها مدة ضربت لاجل الاعذار فان تاب قبل والا قتل وفى النوادر عن ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله يستحب ان يمهل ثلاثة ايام طلب ذلك او لم يطلب وفى اصح قولى الشافعى انه يستتاب فى الحال والا قتل وهو اختيار ابن المنذر وقال الثورى يستتاب ما يرجى عوده وفى المبسوط من كتب مذهبنا انه ان ارتد ثانيا وثالثا فكذلك يستتاب وهو قول اكثر اهل العلم ويشير اليه قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى ان قال ولم يصروا على ما فعلوا ويدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة فان الحكم فى المعصية الصغرى والكبرى واحد فقد قال عليه الصلاة والسلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال مالك واحمد لا يستتاب من تكرر منه كالزنديق ولعلهم تعلقوا بظاهر قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واوله المحققون بكونهم لا يتوبون او بكون توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فى لن تقبل توبتهم فان المبتدأ لا يكون سببا للخبر بل النفاق سبب له وقيل لن تقبل توبتهم اذا اشرفوا على الموت ففيه الحث على التوبة قبل الفوت وقيل نزل فيمن مات منهم كافرا كما بينه بعده بقوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية او الاية السابقة مختصة بالزنديق والله ولى التوفيق ثم لنا فى الزنديق روايتان رواية لا تقبل توبته كقول مالك وفى رواية تقبل وهو قول الشافعى وهذا فى حق احكام الدنيا واما فيما بينه وبين الله تعالى فتقبل بلا خلاف وعن ابى يوسف اذا تكرر منه الارتداد يقتل من غير عرض الاسلام عليه لاستخفافه بالدين الواجب اكرامه اليه (وكذلك اقول حكم من غمصه) اى عابه (او عيره) بتشديد الياء اى احتقره (برعاية الغنم) اى برعيها بالاجرة وسيأتى تفصيل هذه القصة (او السهو والنسيان) مع انهما ثابتان عنه الا انه انما يكفر لاجل التعيير وسبب التحقير (او السحر) اى بالسحر وهو ظاهر فى الكفر (او ما اصابه) اى وبما نابه (من جرح) بضم الجيم ويفتح اى جراحة مع انه عليه الصلاة والسلام كسرت رباعيته وشج وجهه فكفر القائل انما هو لتعييره به وتنقيصه بسببه وكذا قوله (او هزيمة لبعض جيوشه) فانه هزم بعض اصحابه فى احد وحنين (او اذى من عدوه او شدة من زمنه) اى على وجه التعيير به (او بالميل الى نسائه) ففى المعالم فى قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله قال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة المراد بالناس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحده حسدوه على ما احل الله له من النساء وقالوا ما له هم الا النكاح قال تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما كداود وسليمان فانه كان لسليمان الف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا تسع نسوة انتهى وقد صرح بعض علمائنا ان من تزوج اربعا وتسرى الفا وعيره احد وذمه به يكفر لانه بمنزلة تحريم ما احل الله سبحانه وتعالى (فحكم هذا كله ان قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء فى ذلك) اى من اختلافهم هنالك هل يستتاب ام لا (ويأتى ما يدل عليه) من الجواب على وجه الصواب

(فصل)

(فى الحجة فى ايجاب قتل من سبه او عابه عليه الصلاة والسلام) من الكتاب والسنة واجماع الامة (فمن القرآن لعنه تعالى) اى لعن الله كما فى نسخة (لمؤذيه) اى لمؤذى نبيه (فى الدنيا والآخرة) ظرف لعنه (وقرانه تعالى) اى وجمعه

سبحانه (اذاه) اى اذى رسوله (باذاه) اى باذى نفسه (ولا خلاف فى قتل من سب الله) اى عمدا من غير خطأ واكراه وانما الخلاف فى انه هل يستتاب ام لا (وان اللعن) اى الطرد الكلى من رحمة الله (انما يستوجبه من هو كافر) واما ما ورد من لعن اصحاب الكبائر وارباب الصغائر كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله آكل الربا ونحوه ولعن الله المحلل والمحلل له وامثاله فهو لعن دون لعن والحاصل ان اللعن المطلق ينصرف الى الفرد الاكمل واغرب الدلجى فى هذا المحل حيث قال بخلاف المؤمن فان لعنه كقتله كما ورد وفى رواية لعنه فسوق اذ ليس الكلام فيمن لعن مؤمنا بل الكلام فيما اذا وقع لعن الله على احد فانه ان لم يكن مؤمنا فهو كافر واما اذا وقع على مؤمن فالمراد زجره (وحكم الكافر القتل) اذ لم يكن معصوم الدم (فقال) اى الله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله) وقد سبق بيان اذاهما وقيل ذكر الله تعالى تعظيم وتمهيد لذكره عليه الصلاة والسلام (الاية) اى لعنهم الله فى الدنيا والآخرة اى ابعدهم من رحمته الخاصة فيهما واعد لهم عذابا مهينا وجعا باصبينا (وقال) اى الله تعالى (فى قاتل المؤمن مثل ذلك) اى نظير ما هنالك حيث قال تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لكن اللعن الموجب للكفر انما يكون اذا استحل قتل المؤمن اوقتله لكونه مؤمنا والا فهو محمول على الزجر كما ان خالدا مأول بمدة مديدة (فمن لعنته فى الدنيا القتل) اى اما قصاصا واما حدا (قال الله تعالى) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض اى شك وشبهة والمرجفون فى المدينة بالاخبار السيئة لنغرينك بهم اى لنسلطنك عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اى زمانا قليلا فهددهم بالبعد عن حضرة حبيبه وعدم المجاورة فى مكان قربه الموجب للبعد عن رحمته والطرد من جنته وهذا معنى قوله (ملعونين) بالنصب على الحال (اينما ثقفوا) اى وجدوا وادركوا (اخذوا) اى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى اشد انواع القتل وافظعها ليعتبر غيرهم ويقوموا بحق النبى كما يجب له توقيرا وتبجيلا (وقال) اى الله (فى المحاربين) اى قطاع الطريق على سيارة المسلمين (وذكر عقوبتهم) بقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا ان اقتصروا على القتل اويصلبوا ان جمعوا بين اخذ المال وقتل النفس اوتقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على اخذ المال اوينفوا من الارض بالاخراج او الحبس ان اقتصروا على الاخافة (ذلك) اى ما ذكر من قتل وغيره (لهم خزى) اى ذل وفضيحة (فى الدنيا) ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم وحاصله ان اللعن قد يجيء بمعنى القتل على ان صاحب اللعن يستحق القتل (وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون) اى لعن الكذابون المقدرون المفترون (وقاتلهم الله) اى اليهود والنصارى وامثالهم (أنى يؤفكون) اى كيف يصرفون عن الحق مع ظهور امره وعلو نوره (اى لعنهم الله تعالى) اى ابعدهم عن مقام حضوره (ولانه) اى الله تعالى (فرق بين اذاهما) والتقدير لان الله سبحانه وتعالى فرق بين اذاهما اى اذى الله ورسوله بان فى اذاهما الكفر والقتل وفى اذى المؤمنين القتال والضرب بحسب اختلاف الاذى حيث قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (وفى اذى المؤمنين مادون القتل) اى ان لم يكن الاذى بالقتل ونحوه مما يستحق القتل (من الضرب والنكال) اى العقوبة التى هى العبرة لغيره فى الاستقبال (فكان حكم مؤذى الله ونبيه) بخصوصه او عموم جنسه (اشد من ذلك) اى من اذى المؤمنين (وهو) اى حكمه الاشد (القتل) المؤذ بهما والكفر فى متنقصهما (وقال تعالى فلا) اى فليس الامر كما يزعمون (وربك لا يؤمنون حتى يحكموك) اى يجعلوك حكما (فيما شجر بينهم) اى فيما اختلفوا فيما بينهم (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا الاية) اى ضيقا وشكا مما قضيت اى حكمت بينهم سواء لهم او عليهم ويسلموا تسليما اى ينقادوا انقيادا تاما لحكمك ظاهرا وباطنا دائما (فسلب) اى نفى الله (اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه) بعدم انقياده ولم يسلم له امره باذعانه وفق مراده (ومن تنقصه فقد ناقض هذا) اى عارض ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه كيف ما جاء واسعا او ضيقا (وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى) تعظيما لقدره وتكريما لامره ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض (الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل العمل فان المعاصى سواء الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند اهل السنة والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون الا اذا تضمن رفع الصوت خفض حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفاف منصبه وهذا معنى قوله (ولا يحبط العمل الا الكفر) بمجرد تحققه ولو رجع الى الاسلام عند اكثر علماء الاعلام (والكافر يقتل) بالارتداد بعد استتابته اى بدونها على خلاف لارباب الاجتهاد (وقال تعالى واذا جاؤك) اى اليهود والمنافقون (حيوك) اى سلموا عليك (بما لم يحيك به الله) اى بلفظ لم يأمر الله تعالى به فيقولون السام عليك والسام الموت ويقولون فى انفسهم اى

فى صدورهم او فيما بينهم من نجورهم لولا يعذبنا الله بما نقول واقول قد عذبهم الله تعالى بعين المقول وان لم يدركوه بالعقول (ثم قال حسبهم جهنم) اى كافيهم عذابها فى العقبى ولو امهلناهم لحكمة فى الدنيا (يصلونها) اى يدخلونها ويحرقون بها او يخلدون فيها (فبئس المصير) اى المرجع هى لهم ولامثالهم فى ما لهم (وقال تعالى ومنهم) اى من المنافقين (الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن) بضمتين وبسكون ثانيه الجارحة المعروفة والمراد به هنا المستمع القائل لما يقول له كل احد قال تعالى ردا عليهم قل اذن خير لكم اى نعم هو اذن ولكن نعم الاذن هو يؤمن بالله اى بوجوده وجوده ويؤمن للمؤمنين اى يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ورحمة للذين آمنوا منكم خاصة وللخلق عامة (ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم) وعقاب مقيم (وقال تعالى ولئن سألتهم) اى المنافقين وهم سائرون معه فى غزوة تبوك عن قولهم فى حقه انظروا هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه بالتمام هيهات هيهات من هذا المرام (ليقولن) فى مقام الانكار على وجه الاعتذار (انما كنا نخوض ونلعب) فيما يخوض فيه الركب ليقصر السفر ويخف التعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا باعتذاراتكم الكاذبة (الى قوله قد كفرتم) سرا (بعد ايمانكم) ظاهرا (قال اهل التفسير كفرتم بقولكم فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ما لا يليق بجنابه المكرم (واما الاجماع فقد ذكرناه) وهو اقوى الحجج فى مقام النزاع (واما الآثار) اى الاحاديث والاخبار (فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون) بفتح معجمة وسكون لام وهو منصرف وقد يمنع على مذهب ابى على الفارسى كما قدمناه (عن الشيخ ابى ذر الهروى) بفتح الهاء ويكسر (اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطنى وابو عمر بن حيويه) بمهملة مفتوحة وتشديد تحتية مضمومة فواو ساكنة فتحتية وفى نسخة حيوة بفتحتين بينهما ساكن وهو ابو عمر محمد بن زكريا الخزاز بزايين لعله الخز (قالا) كلاهما (ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة) بفتح الزاى وتخفيف الموحدة المدنى من أئمة الحديث ومصنفيهم قال ابن حبان يأتى عن المدنيين بالاشياء المعضلات فبطل الاحتجاج به ذكره الذهبى فى الميزان على ما قاله الحلبى (ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر) قال الحلبى يحتمل ان يكون هذا عبد الله بن موسى الهاشمى فان كان هو يروى عن الحسن بن الطيب والبغوى وطبقتهما وعنه ابو محمد الخلال والتنوخى قال ابن ابى الفوارس فيه تساهل شديد وقال البرقانى ابو العباس الهاشمى ضعيف وله اصول رديئة وقال ابو الحسن ابن الفرات ثقة مات سنة اربع وسبعين وثلثمائة كذا ذكره الذهبى فى الميزان فان كان هذا هو فهو لم يدرك على بن موسى يعرف ذلك بالنظر فى تاريخ موتهما فيكون الحديث منقطعا قال وان لم يكن هو فلا اعرفه والله اعلم (عن على بن موسى) هو الرضى العلوى يروى عن ابيه وعمه وعنه ابو عثمان المازنى وعبد السلام بن صالح وعدة مات بطرسوس سنة ثلاث ومائتين وله خمسون سنة اخرج له ابن ماجه فقط تكلموا فيه قال ابن طاهر يأتى عن ابيه بعجائب قال الذهبى انما الشأن فى ثبوت السند والا فالرجل قد كذب عليه ووضع عليه نسخة سائرة كما كذب على جده جعفر الصادق (عن ابيه) ابوه هو موسى بن جعفر بن محمد العلوى الكاظم روى عن ابيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى واخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسماعيل وحسين وصالح قال ابو حاتم ثقة امام توفى فى حبس الرشيد ولد سنة ثمان وعشرين ومائة ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة اخرج له الترمذى وابن ماجه وكان من الاجواد الحكماء ومن العباد الاتقياء وله مشهد معروف ببغداد وحديثه قليل جدا (عن جده) وهو جعفر بن محمد الصادق (عن محمد بن على بن الحسين) هو ابو جعفر الباقر (عن ابيه) اى على بن الحسين زين العابدين (عن الحسين بن على) اى ابن ابى طالب (عن ابيه) امير المؤمنين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابى فاضربوه) قال الحلبى الحديث هذا ليس فى الكتب الستة قلت الحديث قد ساقه القاضى بسنده من طريق الدارقطنى وهو امام جليل من اهل السنة وقد رواه الطبرانى فى الكبير ايضا لكنه بسند ضعيف عن على رضى الله عنه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد ورواه ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم فى مستدركه من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى وفى حاشية التلمسانى عن على رضى الله عنه قال لا أوتى بمن فضلنى على ابى بكر وعمر الا جلدته جلد المفترى (وفى الحديث الصحيح) الذى رواه البخارى وغيره (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف) من يهود خيبر (وقوله) بالرفع عطف على ان النبى اى وفى الحديث الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام وفى اصل الدلجى وفى الحديث الصحيح امر النبى بصيغة المصدر فقال وقوله عطف على امر النبى (من لكعب بن الاشرف) اى من يتصدى لقتله (فانه) كما رواه الشيخان عن جابر (يؤذى) وفى رواية لهما آذى (الله ورسوله ووجه) بتشديد الجيم اى ارسل (اليه من قتله) وهو محمد بن مسلمة وقد خرج معه

سلمان بن سلامة وعباد بن بشر والحارث بن اوس وابو عيسى بن جبير وهؤلاء الخمسة كلهم من الاوس وكان خروجهم اليه لاربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من مهاجره عليه الصلاة والسلام (وكان قتله غيلة) بكسر المعجمة اى خفية ومخادعة وحيلة والقضية مشهورة وفى كتب السير مسطورة (دون دعوة) واستتابة لسبق الدعوة وعدم المنفعة (بخلاف غيره) اى غير كعب (من المشركين) فان قتله كان بعد دعوته له الى الاسلام رجاء ان يرجع الى طريق دار السلام (وعلل) اى النبى عليه الصلاة والسلام فى قتله (باذاه له) كما تقدم (فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى) وفيه ان ذلك الاذى كان نوعا من الاشراك اذ لم يثبت له ايمان سابق واذى لاحق ليكون دليلا على ما نحن فيه فانه لعنه الله قد جمع بين الكفر بالله والقدح فى امر رسول الله فتقدير كلام المصنف لغير الاشراك وحده بل للاذى معه (وكذلك) اى ومثل ما قتل كعبا فى الجملة (قتل ابا رافع) اى الاعور سلام بتخفيف اللام وقيل بتشديدها وهو ابن ابى الحقيق وكان يهوديا بخيبر قاله البخارى فى صحيحه وزاد وقيل هو حصن بارض الحجاز (قال البراء) اى ابن عازب (وكان) اى ابو رافع (يؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويعين) اى اعداءه (عليه) روى انه استأذن نفر من الخزرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قتل ابى رافع فاذن فخرج خمسة نفر عبد الله بن عتيك ومسعود بن سنان وعبد الله بن انيس وابو قتادة ابن ربعى وخزاعى بن اسود وحليف لهم من اسلم وامر عليهم ابن عتيك وذلك فى شهر رمضان سنة ست (وكذلك امره يوم الفتح) اى فتح مكة (بقتل ابن خطل) بفتح المعجمة والمهملة واختلف فى اسمه رواه ابن ابى اسحق والبيهقى عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم مرسلا ورواه الشيخان عن انس بلفظ امر بقتل ابن خطل وفى الترمذى وهو متعلق باستار الكعبة واختلف فى قاتله والظاهر اشتراكهم فى قتله (وجاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه الصلاة والسلام) وهما سارة وفرتنا بالفاء والتاء والنون واسلمت فرتنا وأمنت سارة وعاشت الى زمن عمر رضى الله عنه ثم وطئها فرس فقتلها ذكره السهيلى وقال ابو الفتح اليعمرى واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما واستأمنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاخرى فأمنها فعاشت مدة ثم ماتت فى حياة النبى عليه الصلاة والسلام ذكره الحلبى فحيث ما صح قتلهما ولا قتل احداهما لاختلاف وقع فيهما فلا يرد على ابى حنيفة انه لم يحكم بقتل المرتدة مع انهما لم يعرف اسلام سابق لهما وروى ابو داود والبيهقى عن سعد ابن ابى وقاص لما كان يوم فتح مكة امن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس الا اربعة وامرأتين ذكره الدلجى ولم يبين انهما قتلتا ام لا ولعلهما الجاريتان والله تعالى اعلم (وفى حديث آخر) قال الدلجى لا ادرى من رواه (ان رجلا كان يسبه عليه الصلاة والسلام) قال الحلبى هذا الرجل لا اعرف اسمه وقال التلمسانى هو الحويرث بن نقيد وهو الذى نخس بزينب ابنته عليه الصلاة والسلام حين ادركهما فسقطت من دابتها والقت جنينها (فقال من يكفينى عدوى) اى شره وفى اصل التلمسانى يكفى على ان من شرطية قال وروى يكفينى بالرفع اى باثبات الياء وهو اما على لغة الم يأتيك والانباء تنمى وقيل اشباع وقيل من موصولة فيها معنى الشرط (فقال خالد انا فبعثه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتله وكذلك امر بقتل جماعة) وقد تصحف على الحلبى بقوله وكذلك لم يقل بضم المثناة تحت اوله ثم قاف مكسورة وهذا ظاهر انتهى وهو خطأ باهر كما لا يخفى وقد تبعه الانطاكى والدلجى ضبطه بضم اوله وكسر ثانيه من اقال عثرته اى هلكته وتبعهما التلمسانى فى ضبط مبناه وقال معناه انه لم يترك جماعة انتهى ولا يخفى انه لم يثبت عن احد من الجماعة انه رجع ولم يقبل عليه الصلاة والسلام رجعته حتى يصح نفى الاقالة فتأمل ولا يغرك كثرة القائلين الغافلين بل امر بقتل جماعة غير تائبة (ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث) وهو القائل من كمال تعصبه فى مذهبه وحماقته فى مشربه اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وهو النضر ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى اخذ اسيرا ببدر وبالصفراء امر عليه الصلاة والسلام عليا فقتله وهذا هو الصواب واما ابن منده وابو نعيم فغلطا فيه غلطين احدهما انهما قالا فى نسبه كلدة بن علقمة وانما هو بالعكس ذكره الزبير بن بكار وابن الكلبى وخلائق وثانيهما انهما قالا ان النضر بن الحارث شهد حنينا معه عليه الصلاة والسلام واعطاه مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة وعزوا ذلك الى ابن اسحق وهذا غلط باجماع اهل المغازى والسير وقد اطنب ابن الاثير فى تعليقهما والرد عليهما انتهى وقد ذكر ذلك الشيخ محيى الدين عنه وكذا الذهبى فى التجريد على ما قاله الحلبى والله سبحانه وتعالى اعلم (وعقبة ابن ابى معيط) بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون التحتية وطاء مهملة وهو ابان بن ذكوان بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى اسره عبد الله بن سلمة بكسر اللام ببدر فلما انصرف عليه الصلاة والسلام من بدر وكان بعرق الظبية امر بقتله عاصم بن

ثابت الانصارى وقيل عليا فقال حين قتله من للصبية يا محمد قال النار او قال الى من الصبية يا محمد قال الى النار (وعهد) اى وصى (بقتل جماعة منهم) اى ممن كان يؤذيه (قبل الفتح وبعده فقتلوا) اى من عهد بقتله (الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه) مثل كعب ابن زهير بن ابى سلمى بضم السين صاحب قصيدة بانت سعاد وقصته معروفة (وقد روى البزار) بسند ضعيف (عن ابن عباس ان عقبة ابن ابى معيط نادى باعلى صوته يا معشر قريش) وروى يا معشر قريش وهم ولد النضر بن كنانة سموا قريشا باسم دابة فى البحر تأكل حيوانه وقد قيل فيها

وقريش هى التى تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

تأكل الغث والسمين ولا تترك يوما لذى جناحين ريشا

(مالى اقتل) بصيغة المجهول (من بينكم صبرا) اى محبوسا ومأخوذا من غير محاربة فى المعركة (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكفرك) اى اولا (وافترائك على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ثانيا اهانة له واحتقارا (وذكر عبد الرزاق) فى جامعه عن عكرمة مولى ابن عباس مرسلا (ان النبى صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفينى عدوى) بدفع شره عنى (فقال الزبير انا فبارزه) اى الزبير او هو (فقتله الزبير وروى ايضا) فى جامعه عن عروة عن رجل من اليمن (ان امرأة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال من يكفينى عدوتى فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها) وروى ابن ابى شيبة عن الشعبى ان رجلا من المسلمين كان يأوى الى امرأة يهودية تطعمه وتسقيه وتحسن اليه ولا تزال تؤذيه فى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها فى ليلة من الليالى خنقا فرفع ذلك له عليه الصلاة والسلام فاخبره الرجل بانها كانت تؤذيه فيه وتسبه وتقع فيه فقتلها لذلك فاهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمها (وروى) كما فى جامع عبد الرزاق (ان رجلا كذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه ليقتلاه) كذا روى مختصرا وروى البيهقى عن سعيد بن جبير قال جاء رجل الى قرية من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرنى ان تزوجونى فلانة فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته ثم رواه من وجه آخر موصولا عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن الحارث وسمى الرجل الذى كذب جدجد الجندى كذا ذكره الدلجى وقال الحلبى هذا الرجل لا اعرف اسمه اذ ليس من حفظ حجة على من لم يحفظ (وروى ابن قانع) بقاف ونون وهو عبد الباقى بن قانع بن مرزوق بن واثق الحافظ ابو الحسين الاموى (ان رجلا جاء الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابى يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك) اى لم يصعب امره (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى هذا الرجل وابوه لا اعرفهما (وبلغ المهاجر) بالنصب (ابن ابى امية امير اليمن) نيابة (لابى بكر رضى الله عنه) والمعنى وصله (ان امرأة) وفى نسخة بتشديد لام بلغ ورفع المهاجر اى اوصل لابى بكر ان امرأة (هنالك) اى فى اليمن (فى الردة) اى فى حالها او لاجلها (غنت) بتشديد النون اى تغنت وتنغمت (بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقطع) اى المهاجر (يدها) وفى نسخة يديها وفى نسخة ثديها (ونزع ثنيتها) وكان الانسب قطع اسنانها اوقع وجودها وشأنها (فبلغ ذلك ابا بكر فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء) اى تعزير تنقصهم (ليس يشبه الحدود) المترتبة على اسبابها بالنسبة الى غيرهم فان القتل متعين الا فى المرأة لاختلاف فيها والحديث رواه ابن سعد وابن عساكر والمهاجر هو ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومى كان اسمه الوليد فكرهه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وسماه المهاجر وهو اخو ام سلمة ام المؤمنين ارسله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميرى باليمن ثم استعمله على صدقات كندة فتوفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسر اليها فبعثه ابو بكر الى قتال من باليمن من المرتدين فاذا فرغ سار الى عمله فسار الى ما امره به ابو بكر وهو الذى فتح حصن النجير بحضرموت زمن ابى بكر مع زياد بن لبيد الانصارى وله فى قتال المرتدين باليمن آثار كثيرة رضى الله تعالى عنه (وعن ابن عباس) قال الدلجى لا اعرف من رواه (هجت امرأة من خطمة) بفتح معجمة وسكون مهملة قبيلة والمرأة عصماء بنت مروان ابن ابى امية ابن زيد (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من لى بها) اى من يقوم لاجلى بقتلها (فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض) اى فقام (فقتلها) وهو عمير بن عدى بن خرشة الخطمى (فاخبر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بصيغة المجهول (فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان) بفتح مهملة فسكون نون فزاى وهو تثنية عنز اى لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع كنطاح التيوس والكباش وهذا من الكلام الذى لم يسبق اليه احد من الانام وصار هذا مثلا فى تحقير الامر وانه لا يكون فيه مكروه وان قل او معناه ان امرها هين لا يتكلم فيها ولا يطالب دمها لفعلها القبيح الدال على كفرها الصريح او معناه انه لا يحصل فى قتلها ما يثير فتنة

من قبلها او ان ايسر الاشياء ان ينتطح عنزان وهو فى قتلها غير موجود وقيل العنزان لا ينتطحان وانما ينتطح التيسان والمعنى لا توجد فيها فتنة البتة وروى ان قاتلها صلى الفجر بالمدينة بعد قتلها فقال عليه الصلاة والسلام قتلت ابنة مروان قال نعم فهل على فى ذلك شئ فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان وارسلته العرب مثلا يضرب فى امر هين لا يكون له تغيير ولا نكير قال الحافظ واول من تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم قاله حين قتل عمير بن عدى عصماء (وعن ابن عباس) كما رواه ابو داود والحاكم وصححه والبيهقى فى سننه عنه (ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيزجرها) اى ينهاها الاعمى (فلا تنزجر) بقوله لها (فلما كانت ذات ليلة) اى ساعة من ساعاتها (جعلت) اى اخذت وشرعت (تقع فى النبى) اى فى عرضه (صلى الله تعالى عليه وسلم وتشتمه) بكسر العين وضمها اى تسبه كما فى نسخة (فقتلها واعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فاهدر دمها) قال الحلبى وهذه المرأة وزوجها الاعمى لا اعرفهما الآن وفى الصحابة جماعة عميان غير ان الامام السهيلى ذكر فى اواخر روضه فى مقتل عصماء بنت مروان قال وكانت تسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقتلها بعلها على ذلك الى ان قال ووقع فى مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحائض فى مسجد بنى خطمة فاهدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دمها قال ولم ينتطح فيها عنزان انتهى وقد ذكر ابن سعد فى سيرته ان عصماء بنت مروان من بنى امية بن زيد كانت عند يزيد بن فريد بن حصن الخطمى وكانت تعيب الاسلام وتؤذى النبى عليه الصلاة والسلام وتحرض عليه الانام وتقول الشعر فيه من نظم الكلام فجاءها عمير بن عدى فى جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام ومنهم من ترضعه فى صدرها فجسها بيده ونحى الصبى عنها ووضع سيفه على صدرها حتى انفذه من ظهرها وكان ضرير البصر الى آخر القصة فعمير ليس بزوجها وزوجها يزيد بن فريد بن حصن صحابى ولا اعلمه فى العميان (وفى حديث ابى برزة) بفتح الموحدة فسكون راء فزاى (الاسلمى) على ما رواه ابو داود وصححه الحاكم ورواه البيهقى فى سننه (قال كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق) رضى الله عنه (فغضب على رجل من المسلمين) اى ممن اغضبه عليه بسبب او بسبب آخر (وحكى القاضى اسماعيل) اى ابن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد المالكى البغدادى الحافظ (وغير واحد من الائمة فى هذا الحديث) اى فى سبب ورود حديث ابى برزة (انه) اى الرجل (سب ابا بكر ورواه النسائى) وهو احد الائمة الستة (اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل) اى فى القول (فرد) اى الرجل (عليه) اى على ابى بكر (قال) اى قال ابو برزة (فقلت يا خليفة رسول الله دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم وقيل بالرفع (عنقه) اى بسببه لك كما فى نسخة وكأنه قام مهتما بامره (فقال اجلس فليس ذلك) اى قتل مثله لاحد (الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم) كاخونه من الانبياء لاشتراكهم فى بعث النبوة وصفة الرسالة بخلاف غيرهم من آحاد الامة ولو كانوا من اكابر الائمة هذا والحديث رواه النسائى من طرق بالفاظ متعددة منها ما تقدم ومنها تغيظ ابو بكر على رجل ومنها مررت على ابى بكر وهو متغيظ على رجل من الصحابة ومنها غضب ابو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغير لونه ومنها كنا عند ابى بكر الصديق فغضب على رجل من المسلمين فاشتد غضبه عليه جدا ورواه ابو داود ايضا ولفظه عن ابى برزة كنت عند ابى بكر فتغيظ على رجل فاشتد عليه (قال القاضى ابو محمد ابن نصر) ومن كلامه فى ايامه حال ضيق مرامه

بالهف قلبى على شيئين لو جمعا * عندى لكنت اذن من اسعد البشر
كفاف عيش يقينى ذل مسألة * وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

(ولم يخالف عليه احد) يعنى فصار اجماعا انه لا يقتل مسلم بسب صحابى وينبغى ان لا يكون فيه خلاف اذ لو قتل احد ابا بكر لم يكفر اتفاقا فكيف اذا سبه احد ومن المعلوم ان جناية السب دون جناية القتل وانما جوز بعض اصحابنا الحنفية قتل من سب اكابر الصحابة على وجه الزجر والسياسة واما ما نقلوه فيه من حديث سب الشيخين كفر فلا اصل له وعلى تقدير صحة ثبوته فيجب تأويله كحديث من ترك صلاة متعمدا فقد كفر اى قارب الكفر او يخشى عليه الكفر او كفر النعمة او محمول على استحلال المعصية او عدم سبهم عبادة وامثال ذلك والله تعالى اعلم بحقيقة ما هنالك (واستدل) وفى نسخة فاستدل (الائمة) اى علماء الامة (بهذا الحديث) المروى عن ابى برزة المنتهى الى ابى بكر الصديق (على قتل من اغضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بكل ما اغضبه او آذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة) قال الحلبى هذا الرجل لا اعرفه وقال التلمسانى هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب (وقد استشاره) اى ذلك العامل عمر بن عبد العزيز (فى قتل رجل سب عمر رضى الله عنه) الظاهر ان المراد به ابن الخطاب لانه الفرد الاكمل فى هذا الباب ولا يبعد ان يراد به عمر بن عبد العزيز (فكتب اليه عمر) اى ابن عبد العزيز (انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس) ولو بلا موجب وسبب (الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فن سبه فقد حل دمه) اى اجماعا وذلك لخروجه عن دينه قطعا (وسأل الرشيد) وهو هارون بن محمد المهدى ابن ابى جعفر المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس وقد بويع له سنة سبعين ومائة فى الليلة التى مات فيها اخوه الهادى لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول وهو ابن احدى وعشرين سنة وشهرين وحج بالناس ست حجات ولم يزل واليا الى ان مات بطوس من خراسان وهناك قبره وذلك ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى الاخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن سبع واربعين سنة وكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وشهرين وسبعة عشر يوما وكان يحج عاما ويغزو عاما وهو آخر خليفة حج فى خلافته وحج بعده كثير من قبل ولايتهم والحاصل انه سأل (مالكا) امام المذهب ما تقول (فى رجل شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بخصوصه او احدا من جنسه (وذكر له) اى الرشيد (ان فقهاء العراق) اى الكوفة او البصرة او فقهاء العجم (افتوه) اذ سألهم عنه اجابوه (بجلده) اى بضربه حد الشتمة (فغضب مالك) لفتواهم بذلك (وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة) على الجادة (بعد شتم نبيها) بهذه المثابة من عدم التفرقة بينه وبين غيره فى تفاوت الرتبة (من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) احدا منهم (جلد) اى ضرب جلد الفرية (قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (كذا وقع فى هذه الحكاية) اى ان فقهاء العراق افتوا الرشيد بجلده (رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك) ممن اعتنى بجمعها وفى نسخة ممن ذكر مناقب مالك (ومؤلفى اخباره وغيرهم) من رواة سيره وآثاره (ولا ادرى من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا للرشيد بما ذكر) من انه يجلد ولا يقتل (وقد ذكرنا مذهب العراقيين) وفى نسخة مذاهب العراقيين (بقتله ولعلهم) اى من افتاه بجلده دون قتله (ممن لم يشتهر) وفى نسخة ممن لم يشهر (بعلم) وهذا بعيد جدا وكذا قوله (او ممن) وفى نسخة او من (لا يوثق بفتواه او يميل به هواه) فان مثل هؤلاء لا ينقل الرشيد عنهم فيتعين قوله (او يكون ما قاله) اى نقله الرشيد (يحمل على غير السب) الموجب لقتله (فيكون الخلاف) جاريا فيه (هل هو سب) فيقتل (او غير سب) فيجلد (او يكون) اى الساب (رجع وتاب عن سبه) وفى نسخة من سبه وهذا هو الاظهر لانه الموافق لمذهب الكوفيين على ما تقرر (فلم يقله) اى لم ينقله الرشيد (لمالك) فلم يقله مالك (على اصله) اى حقيقة وقوعه (والا فالاجماع على قتل من سبه) اى فى الجملة (كما قدمناه) وان كان منهم من قال فان تاب قبلت توبته بل يجب او يستحب ان يستتاب والله تعالى اعلم بالصواب (ويدل على قتله من جهة النظر) اى نظر العقل (والاعتبار) اى طريق القياس (ان من سبه او تنقصه عليه الصلاة والسلام) كغيره من الانبياء الكرام (فقد ظهرت علامة مرض قلبه) اى من سوء اعتقاده بربه (وبرهان شرطويته) اى ودليل خبث باطنه وفى نسخة وبرهان لسوء طويته اى فساد نيته (وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء بالردة) الصواب ما قاله التلمسانى ان ما زائدة او موصولة بخلاف قول الدلجى حيث جعلها نافية وقال لعدم قطعهم بكفره وان حكم به ظاهرا انتهى وهو خلاف مذهبهم لانهم قالوا بكفره قطعا الا انهم يقبلون التوبة منه خلافا لمالك على ما تقدم ويدل عليه قوله (وهى) اى الردة (رواية الشاميين عن مالك والاوزاعى وقول الثورى وابى حنيفة والكوفيين) اى وسائرهم (والقول الآخر) اى الرواية الاخرى عن مالك (انه) اى سبه (دليل على الكفر) اى بحسب ظاهر الامر (فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر) قطعا وقال التلمسانى ومعناه انه مسلم انتهى فيتفرع عليه انه يغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين ونحو ذلك (الا ان يكون متماديا) اى مصرا مستمرا (على قوله غير منكر له) اى لمضمونه (ولا مقلع عنه) بتركه (فهذا كافر) وفى نسخة كفر اى بلا خلاف فقتله يكون كفرا كالزنديق لا حدا كالمرتد عنده (وقوله) اى الذى تمادى منه (اما صريح كفر كالتكذيب) به عليه الصلاة والسلام او بما جاء به عن ربه (ونحوه) كنسبة ابليس ربه تعالى الى الجور والظلم اذ امره بالسجود لادم عليه السلام زاعما انه خير من آدم (او من كلمات الاستهزاء والذم) مما هو غير صريح كفر فى مقام الفهم (فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو) اى استحلال المعصية (كفر ايضا فهذا) المستحل (كافر بلا خلاف) اى اذا لم يتب وفيه دليل على انه ممن يستتاب فى مذهب مالك ايضا فعنه روايات والله تعالى اعلم بالصواب وقال الائمة اذا كان فى المسألة قولان احدهما فيه تشديد والآخر فيه تخفيف فلا يجوز للمفتى ان يفتى العامة بالتشديد والخواص من ولاة الامر بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة فى الدين والتلاعب بالمسلمين والحاكم كالمفتى سواء وكذلك لا يأخذ فى امر نفسه بالتخفيف ويشدد على الناس بل الاولى له العكس وروى ان العبد يسئل عن فتواه هل افتى بعلم او جهل وهل فتواه نصيحة او خذلان وهل اراد وجه الله تعالى او الرياسة كذا ذكره التلمسانى وقال بعض علمائنا اذا وجدت رواية واحدة بعدم تكفير مسلم وتسع وتسعون رواية بتكفيره فينبغى للمفتى ان يختار تلك الرواية لان ابقاء الف كافر فى الدنيا اهون من افناء مسلم فى امر العقبى (قال الله تعالى فى مثله) اى مثل هذا المعترف بكلمات الاستهزاء والذم (يحلفون) اى المنافقون

(بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اى اظهروا كفرهم بعد اظهار اسلامهم (قال اهل التفسير هى) اى كلمة الكفر (ان كان ما يقول محمد) من انه سيفتح قصور الشام (حقا) اى صدقا (لنحن) اى واشرافنا المتخلفون (شر من الحمير) والقائل الجلاس بن سويد فسمعه عامر بن قيس الانصارى فقال اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلف بالله ما قال فصدقه النبى عليه الصلاة والسلام فجعل عامر يدعو ويقول اللهم انزل على نبيك من الصادق منا فنزلت فتاب وحسنت توبته (وقيل بل) هى (قول بعضهم) وهو علم النفاق ورأس اهل الشقاق عبد الله بن ابى بن سلول اذ لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى المصطلق بالمر يسيع ماء لهم فهزمهم وقتل منهم وازدحم جهجاه بن سعد اجير عمر بن الخطاب وسنان حليف ابن ابى واقتتلا فصاح جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال ابن ابى لجعال وانت هناك اى انت فى تلك المنزلة بحيث تلطم حليفى ثم قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم (ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل) فى المثل السائر يضرب لمن يحسن الى احد فيسيء اليه (سمن كلبك يأكلك) وقال لاصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا فرده الله تعالى بقوله ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (و) قال ايضا (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) يريد نفسه (منها الاذل) يريد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الله تعالى عليه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون روى انه قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع ذلك زيد بن ارقم فقال والله انت الذليل المبغض فى قومه ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من اصحابه فقال له ابن ابى انما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر انصاريا قال فكيف اذن يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ثم قال عليه الصلاة والسلام لابن ابى انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك الباب وان زيدا لكاذب فقال من حضر شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه قول غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت تكذيبا لابن ابى لحق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيدا فعرك اذنه وقال له وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب المنافق ولما اراد ان يدخل المدينة قال له ابنه وكان مؤمنا مخلصا ورآء ك يا منافق والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله هو الاعز وانا الاذل فلم يزل به حتى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خله يدخل وقيل قال له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل انت قال نعم فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا (وقد قيل ان قائل مثل هذا) القول مما يشبه قول ابن ابى واضرابه وفى نسخة ويدل عليه ايضا ان قائل هذا (ان كان مستترا به) من الاستتار وفى نسخة متسترا من التستر فهما مأخوذان من الستر ومعناهما مختفيا قال التلمسانى وروى مستسرا من السر وهو خلاف العلانية (ان حكمه حكم الزنديق يقتل) اى كفرا لاحدا ولا يستتاب اصلا قال التلمسانى وقد استدل من قال بقبول توبة المستسر بكفره بما جاء فى الصحيح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله قال الخطابى قوله وحسابهم على الله يعنى فيما يستسرون به قال وفيه دليل على ان الكافر المستسر بكفره لا يتعرض له اذا كان ظاهر حاله الاسلام وان توبته مقبولة واذا اظهر الانابة من كفر علم باقراره انه كان يعتقده قبل قال وهو مقول اكثر العلماء وقال مالك لا تقبل توبة المستسر بكفره (ولانه قد غير دينه) فصار مرتدا (وقد قال عليه الصلاة والسلام من غير دينه فاضربوا عنقه) رواه احمد والبخارى والاربعة بلفظ من بدل دينه فاقتلوه فلعله نقل بالمعنى او رواية بالمبنى (ولان) الشأن (لحكم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحرمة) اى الاحترام والعظمة (مزية) اى زيادة رتبة (على امته وساب الحر) اى من يسب حرا (من امته) ذكرا وانثى (يحد) اى يعزر على ما هو المقرر الا ان يكون قذفا فيحد (فكانت العقوبة لمن سبه عليه الصلاة والسلام القتل) وهذا امر مجمع عليه فى عقوبته وانما الخلاف فى قبول توبته وذلك (لعظيم قدره) اى علو مرتبته عن امته (وشفوف منزلته) اى زيادتها (على غيره) من خلق الله سبحانه وتعالى والشفوف بضم الشين المعجمة والفاء الاولى من الشف بالكسر وهو الزيادة

(فصل)

(فان قلت فلم يقتل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اليهودى الذى قال له) اى للنبى وحده اوله ولمن معه (السام عليكم) اى الموت او الملل والمعنى متم او مللتم (وهذا دعاء عليه) اى بالموت او الملل وهو السأمة من الطاعة او الملالة من الحياة والراحة والحديث رواه البخارى وغيره ولقد فطنت عائشة اذ كانت اليهود يمرون به فيقولون السام عليك يا ابا القاسم فقالت عليكم السام والذام واللعنة ومن ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم يعنى الذى يقولونه لكم ردوه عليهم قال الخطابى عامة المحدثين يروون وعليكم بواو العطف وكان ابن عيينة يرويه بغير واو وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه بعينه مردودا عليهم خاصة واثباتها يؤذن بالاشتراك معهم فيه لانها لمطلق الجمع انتهى ولا يخفى ان ترجيح الرواية الشاذة وتخطئة الجمهور من الرواة ليس على الصواب وانما يتعين تأويل روايتهم بان المراد بالعاطفة هى المشاركة فى الموت لانه مشترك بين العباد فى جميع البلاد اذ كل نفس ذائقة الموت فكانه قيل وعليكم ما قلتم ايضا فهو جواب دعاء عليهم معاقبة لديهم مع احتمال انهم قالوا السلام باللام واذا لم يصرح لهم بقول عليكم السام بالواو العاطفة او بدونها وفيه ايماء الى قوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها هذا والذى دخل عليه عليه الصلاة والسلام وقال السام عليكم جاء فى رواية انه يهودى وفى اخرى انه رهط من اليهود وفى رواية اناس وفى اخرى ناس ولعلها قضيتان وقد يجمع بان دخل عليه رهط من اليهود وسلم واحد منهم والله اعلم (ولا قتل الآخر) جملة حالية او عطف بالمعنى على ما قبله اى ولم ما قتل الكافر الآخر (الذى قال له) كما رواه البخارى فى قسمة قسمها (ان هذه لقسمة) وفى نسخة قسمة (ما اريد بها وجه الله تعالى) قال الدلجى هو ذو الخويصرة وهو وهم منه فقد قال الحلبى هذا الآخر لا اعرفه غير انه وقع فى صحيح البخارى انه من الانصار وقد قال بعض الفضلاء انه معتب بن قشير واما الذى قال له اعدل فذاك ذو الخويصرة يعنى بالتصغير كذا صرح به فى صحيح مسلم من رواية ابى سعيد الخدرى وهو تميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان وهو رأس الخوارج ولهم ذو الخويصرة رجل آخر يمانى يروى فى حديث مرسل انه هو الذى بال فى المسجد ولا ثالث لهما فى الصحابة ووقع فى صحيح البخارى فى باب من ترك قتال الخوارج للتألف فى كتاب استتابة المرتدين ما لفظه جاء عبد الله ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل انتهى قال الحلبى والصحيح انه ذو الخويصرة ويحتمل انه مرة نسب القول الى ابيه ونسبه تارة اليه لانهما قالاه والله تعالى اعلم اقول ولا يبعد ان عبد الله هو ذو الخويصرة وانه لقبه ولقب ابيه ايضا والله تعالى اعلم وكان قول هذا القائل يوم حنين لما آثر عليه الصلاة والسلام اناسا فى القسمة لمصلحة رآها فاعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة ابن حصين مثل ذلك على ما قدمناه (وقد تأذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذلك) ولكنه من كمال حلمه او لتألفه فى جال عله تحمل منه هنالك (وقال قد اوذى موسى باكثر من هذا فصبر) على ما آذاه به بنو اسرائيل كحمل قارون المومسة بالرشوة على قذفه بنفسها واتهامهم له بقتل اخيه هارون اذ ذهب معه الى الطور فمات هنالك فحملته الملائكة فمرت بهم فعرفوا انه لم يقتله ورميهم بعيب فى جسده من برص وادرة به قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه فى اكثر الاحيان) ويعظمونه فى قليل من الزمان وفى نسخة فى كل الاحيان اى غالب الازمان (فاعلم وفقنا الله واياك ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى اول الاسلام) اى فى اول ظهوره عليه الصلاة والسلام (يستألف عليه الناس) اى يطلب ائتلافهم ويقصد تألفهم قال المزى المستعمل يتألف (ويميل) بالتشديد او التخفيف من الامالة اى يحول (قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه فى قلوبهم) باللطف والاحسان (ويدارئهم) اى ويسامحهم ويدافعهم فهو من الدرء مهموز وقد يخفف فقول الحلبى غير مهموز وقد يهمز ليس فى محله ومن المخفف قولهم

فدارهم مادمت فى دارهم * وارضهم مادمت فى ارضهم

(ويقول لاصحابه انما بعثتم) تغليبا لهم لكثرتهم على نفسه الشريفة تواضعا معهم او بعثتم بمعنى ارسلتم بعدى الى من بعدكم (ميسرين) بكسر السين اى مسهلين (ولم تبعثوا منفرين) بتشديد الفاء المكسورة اى مشددين رواه الترمذى عن ابى هريرة ولفظه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولعل المصنف وجد فى رواية قوله منفرين او نقله بالمعنى وقد اغرب التلمسانى حيث اعترض على المصنف فقال وصوابه معسرين من العسر لمطابقة الظاهر ولكنه راعى الطباق الخفى لان التيسير لازم السكون كما ان التنفير لازم العسر (ويقول يسروا ولا تعسروا) اى هونوا ولا تشددوا (وسكنوا) اى قرروا (ولا تنفروا) رواه احمد والشيخان والنسائى عن انس رضى الله عنه بلفظ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا (ويقول) اى فى الاعتذار عن عدم قتل المنافقين (لا يتحدث الناس) اى لا يقول بعضهم لبعض (ان محمدا يقتل اصحابه) فيكون تنفيرا لمن اراد ان يأتى الى بابه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم

يدارئ) بالهمز وابداله اى يدافع (الكفار والمنافقين) ويلاطفهم وقد ورد رأس العقل بعد الايمان بالله التحبب الى الناس رواه الطبرانى فى الاوسط عن على كرم الله وجهه ورواه البزار والبيهقى عن ابى هريرة بلفظ التودد بدل التحبب ورواه البيهقى عن على ايضا رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع الخير الى كل بر وفاجر وزاد البيهقى عن ابى هريرة فى رواية واهل التودد فى الدنيا لهم درجة فى الجنة وفى رواية له عنه رأس العقل المداراة (ويجمل صحبتهم) من اجمل بالجيم اى يحسن او من اجمل جمع بعد تفرقة وفى نسخة بالحاء المهملة من حمل اى يتحمل كلفة صحبتهم (ويغضى عنهم) من الاغضاء بالغين والضاد المعجمتين اى يغمض عينه عن عيبهم وفى نسخة عليهم اى يخفى عليهم ذنبهم (ويحتمل من اذاهم) من تبعيضية او زائدة ويدل عليه انه فى نسخة صحيحة ويحتمل اذاهم اى يتحمل على ايذائهم (ويصبر على جفائهم) وهذا كله لقوله تعالى يا ايها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اى دع مكافأة اذيتهم اياك فانا كفيناك والحاصل انه كان يجوز له (ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم) اى للمنافقين ونحوهم (عليه) اى على ما صدر من فعلهم وقولهم لانا مأمورون بزجرهم على كفرهم وبعدم اكرامهم فى مراسم (وكان يرفقهم) بفتح الياء وكسر الفاء من الرفق ضد العنف وهو لين الجانب وبضم الياء من الارفاق يقال رفق به يرفق وحكى ابو زيد ارفقت به وارفقته بمعنى اى يلطف بهم (بالعطاء) لهم (والاحسان) اليهم تفاديا من نفرتهم عن حضرته وامتناعهم عن قبول ملته (وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال) اى دائما (تطلع على خائنة منهم) اى خيانة تبدو وجناية تصدر عنهم كما هو دأبهم ودينهم اقتداء بمن قبلهم (الا قليلا منهم) وهو من آمن منهم او كان مقتصدا فيهم (فاعف عنهم واصفح) اى واعرض عنهم (ان الله يحب المحسنين) معهم ومع غيرهم تخلقا باخلاق الله فيهم حيث يرزقهم ويعافيهم فقيل هذا قبل امره بقتالهم وقيل اعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (وقال تعالى ادفع) اى السيئة التى وردت عليك منهم بالحسد والعداوة (بالتى) اى بالحسنة التى (هى احسن) من اختها وهى العفو به والمكافأة بمثلها والمجازاة بنحوها او بان تحسن اليه باساءته اليك (فاذا الذى بينك وبينه عداوة) اى بسبب مدافعة السيئة بالحسنة (كانه ولى) تصير لك مائل اليك (حميم) قريب مشفق عليك (وذلك) اى ما امره الله به من المداراة وعدم المجازاة (لحاجة الناس) اى همومهم (للتألف) وفى نسخة فى التألف اى طلب الالفة وعدم النفرة (اول الاسلام) فى اوائل الهجرة الى مدينة السلام (وجمع الكلمة عليه) اى ولاجتماع كلمة الامة لديه (فلما استقر) امره وثبت حكمه وعلا قدره واعلى نوره (واظهره الله على الدين) اى انواعه (كله) اى جميعه حسب ما وعده له بقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله (قتل من قدر عليه) ممن عاداه (واشتهر امره) فيمن باداه (كفعله) عليه الصلاة والسلام (بابن خطل) وهو متعلق باستار بيت الله الحرام (ومن عهد بقتله) اى كفعله بقتل من اوصى بقتله (يوم الفتح) من بعض الرجال والنساء فمنهم من قتل وذهب الى جهنم ومنهم من تاب واسلم (ومن) اى وقتل من (امكنه قتله غيلة) بكسر المعجمة اى خفية او غفلة (من يهود) كابن ابى الحقيق وابن الاشرف (وغيرهم) اى وغير يهود على ما مر ذكرهم (او غلبة) بفتحتين اى او قتله شهرة وعلانية كالنضر بن الحارث وعقبة ابن ابى معيط (ممن لم ينظمه) بكسر الظاء المعجمة اى لم يشمله (قبل) اى قبل قتله (سلك صحبته) اى خيط محبته وحياطة مودته وحيازة معرفته (والانخراط) اى ولم ينظمه الدخول والاختلاط (فى جملة مظهرى الايمان به ممن كان يؤذيه) بلسانه ويطعن فى شانه (كابن الاشرف) المحروم عن الشرف (وابى رافع) الذى نسبه له غير نافع (والنضر ابن الحارث) بالضاد المعجمة وهو الذى لم يحصل له النصر (وعقبة ابن ابى معيط) بضم العين وسكون القاف الذى دخل فى عقبة النار وعقبى الفجار فى دار البوار (وكذلك هدر) بفتح الهاء والدال المهملة والراء اى ابطل (دم جماعة) وفى اصل الدلجى ندر بالدال وقال اى اسقط واهدر انتهى وفى القاموس الهدر محركة ما يبطل من دم وغيره هدر يهدر ويهدر هدرا وهدرا وهدرته لازم ومتعد واهدرته فعل وافعل بمعنى وندر الشئ ندورا سقط من جوف شئ او من بين اشياء انتهى فظهر انه لم يأت بمعنى اسقط واهدر نعم فيه ان اندر الشئ اسقط وهو كذا فى اصل الانطاكى ولكن ليس فيه تصريح بانه بمعنى اهدره وقال التلمسانى ندر بفتح الذال المعجمة اى التزم قتلهم ويجوز ان يكون معناه اباح لانه لما التزم قتله كان كانه اباح لقاتل ويجوز ان يكون ندر بالكسر اى اعلم والمعنى اعلم باباحة دمائهم والرواية بالفتح ويجوز ندر بالمهملة اى اهدر دمه واسقطه وقد روى فاهدر دماءهم (سواهم) اى ما عدا المذكورين (ككعب بن زهير) بالتصغير المزنى كان قد خرج هو واخوه بجير بضم الموحدة وفتح الجيم فتحتية ساكنة فراء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتقدم بجير ليكشف امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى كعبا ويخبره فلما جاءه بجير عرض عليه الاسلام فاسلم فبلغ

ذلك كعبا فانشد ابياتا ينكر فيها على اخيه اسلامه ويتعرض لغيره من ابى بكر الصديق ونحوه بقوله

الا ابلغا عنى بجيرا رسالة * على اى شئ ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف اما ولا ابا * عليه ولم تدرك عليه اخا لكا

فقال عليه الصلاة والسلام نعم لم يلف عليه امه ولا اباه فاهدر عليه الصلاة والسلام دمه وقال من لقيه فليقتله فبعث اليه اخوه يعلمه بذلك وانه عليه الصلاة والسلام لا يأتيه احد فيسلم الا قبل منه الاسلام واسقط ما كان قبله من الآثام فاذا اتاك كتابى هذا فاقبل واسلم فجاء كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد القصيدة المشهورة اولها * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * فلما بلغ

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

انبئت ان رسول الله اوعدنى * والعفو عند رسول الله مأمول

اشار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى من معه اسمعوا واجازه عليه الصلاة والسلام على هذه القصيدة واعطاه بردة قيل ان معاوية ابن ابى سفيان طلب البردة منه بعشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى اولاده بعشرين الف درهم واخذ البردة ولم تزل فى خزائن بنى امية تنتقل من واحد الى واحد قيل اشتراها منه معاوية بثلاثين الفا ويقال انها البرد الذى توارثه خلفاء بنى العباس وكان قدومه واسلامه بعد انصرافه عليه الصلاة والسلام من الطائف وكعب بن زهير من فحول الشعراء وابوه وجده وكذلك ابنه عقبة وابن عقبة ايضا واشعرهم زهير ثم كعب وقد هلك زهير قبل المبعث (وابن الزبعرى) بكسر الزاى والموحدة فعين ساكنة مهملة فراء مقصورا القرشى السهمى الشاعر المشهور كان من اشد الناس على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه بلسانه ويده قبل اسلامه ثم اسلم بعد الفتح وحسن اسلامه واعتذر عن زلاته حين اتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد انقرض ولده ومن مدحه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

مضت العداوة فانقضت اسبابها * ودعت اواصر بيننا وحلوم

فاغفر فدى لك والداى كلاهما * زللى فانك راحم مرحوم

وعليك من علم المليك علامة * نور اغر وخاتم مختوم

(وغيرهما ممن آذاه) بالسنتهم (حتى القوا) انفسهم بايديهم (بين يديه) وهو كناية عن استسلامهم وانقيادهم لديه (ولقوه مسلمين) اى منقادين مخلصين متوجهين اليه صلى الله تعالى وسلم عليه (وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه الصلاة والسلام على الظاهر) اى واحكامه على ظواهرهم مستقرة مستمرة فى العلانية (واكثر تلك الكلمات المؤذية) (انما كان يقولها القائل منهم خفية) بضم اوله وكسره (ومع امثاله) اى من يهودى او منافق كما قال تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن (ويحلفون عليها) انكارا لها (اذا نميت) بصيغة المجهول مخففا اى رفعت اليه (وينكرونها) اذا وصلت لديه (ويحلفون بالله ما قالوا) كما اخبر الله تعالى عنهم واكذبهم بقوله (ولقد قالوا كلمة الكفر) وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا فى مرامهم من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة بالليل اى علاها فيه فاخذ عمار ابن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا (وكان) عليه الصلاة والسلام لكونه رحمة للعالمين (مع هذا) اى ما فعلوه وقالوه (يطمع فى فيئتهم) بفتح الفاء وبكسر وسكون التحتية تفسيره قوله (ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم من الآثام (فيصبر عليه الصلاة والسلام على هناتهم) اى زلاتهم فى مقالاتهم (وهفواتهم) اى وسقطاتهم وفى نسخة وجفواتهم اى وغلظاتهم فى حالاتهم (كما صبر اولوا العزم) اى اصحاب الجد والحزم (من الرسل) قيل من بيانية والاصح انها تبعيضية وانهم محمد ونوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل غير ذلك وقال البغوى هم الذين ذكرهم الله تعالى على التخصيص فى قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا انتهى وقدم النبى عليه الصلاة والسلام فى الآية الاولى للايماء الى انه فى المرتبة الاعلى وانه اول فى عالم الوجود وان كان آخرا فى مقام الشهود (حتى فاء) اى رجع الى الاسلام (كثير منهم باطنا) فى الآخر (كما فاء ظاهرا) فى الاول (واخلص سرا) فى الاستقبال (كما اظهر جهرا) فى اول الحال (ونفع الله بعد) اى بعد ذلك من اخلاصهم

من مطالبة دماء القتيل الواقع فى الجاهلية (وقد رأيت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله تعالى) اى الامام وفق ما قررته (ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه) وقد مر عليه الكلام (وقال) اى النبى عليه الصلاة والسلام لكن لا يعرف من رواه من المخرجين الكرام (اولئك الذين نهانى الله عن قتلهم) وعلى تقدير صحته يحمل على اول امره وحالته من قوله فاعف عنهم واصفح بخلاف آخره لقوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وهذا) اى عدم اجراء احكامه عليهم من حيث بواطنهم المستورة لديهم (بخلاف اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنى) اى جلدا ورجما وهو بالقصر وقد يمد (والقتل) قودا او حدا (وشبهه) كحد السرقة والقذف وشرب الخمر (لظهورها) اى لوضوح امرها (واستواء الناس فى علمها) اى واشتراك الناس فى حكمها (وقد قال ابن المواز) بفتح الميم وتشديد الواو ثم زاى (لو اظهر المنافقون نفاقهم) اى كفرهم وشقاقهم (لقتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بخصوصهم فلا ينافى ما اظهر الله من حالهم بعمومهم كما توهمه الدلجى واعترض به على القاضى وذلك لان المنافق اذا اظهر النفاق خرج عن كونه منافقا (وقال) يعنى وقال به ايضا (القاضى ابو الحسن ابن القصار) بفتح القاف وتشديد الصاد وتصحف فى اصل الدلجى بالصفار (وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون) اى عن نفاقهم (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك عن ترددهم وشقاقهم (والمرجفون فى المدينة) عن ارجافهم باخبار سوء من عند انفسهم عن سراياه عليه الصلاة والسلام بقولهم هزموا وقتلوا وجرى عليهم كذا وكذا يؤذون المؤمنين ويغمونهم (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم بان نفعل بهم ما يكون عبرة لغيرهم (ثم لا يجاورونك فيها) بان نضطرهم الى الجلاء عن المدينة السكينة فلا يساكنونك فيها (الا قليلا) من الزمان ريثما يخرجون بعيالهم ثم يرتحلون او الا قليلا منهم وهو الذى ينتهى عما ذكر من المنهى (ملعونين) نصب على الحال اى حال كونهم مبعودين عن رحمة الله العظيم ورحمة رسوله الكريم (اينما ثقفوا) اى وجدوا بعد ذلك (اخذوا) اى امسكوا (وقتلوا تقتيلا) اى وبولغ فى قتلهم تنكيلا (سنة الله) اى سن الله سنته واجرى عادته (الآية) اى فى الذين خلوا من قبل اى مضوا قبلكم من الانبياء واممهم ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تغييرا وتحويلا (قال) اى قتادة (معناه) اى معنى قوله لئن لم ينته المنافقون (اذا اظهروا النفاق) الذى فى باطنهم من الشقاق (وحكى محمد بن مسلمة فى المبسوط عن زيد بن اسلم) وهو من فقهاء التابعين بالمدينة (ان قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار) اى بالسيف (والمنافقين) اى بالحجة (واغلظ عليهم) جميعا فى محاربتهم ومحاججتهم فعن الحسن وقتادة ومجاهد المنافقين باقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء اسرارهم واظهار اخبارهم والاظهر ان المعنى جاهد الكفار والمنافقين اذا اظهروا كفرهم واعلنوا سرهم وبهذا التقدير (نسخت) هذه الآية (ما كان قبلها) من المسالمة والمسامحة وفى كثير من النسخ نسختها ما كان قبلها اى نسخ هذا الحكم ما كان قبله من العفو والصفح عنهم (وقال بعض مشايخنا) من المالكية او الاشعرية او علماء اهل السنة (لعل القائل) وهو واحد من الانصار كما فى صحيح البخارى او معتب بن قشير كما قاله بعضهم لا ذو الخويصرة كما توهم الدلجى (هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل) اى قبل ذلك او بعده هنالك كذا حرره الدلجى وقال الحلبى قائل اعدل هو ذو الخويصرة وكلام القاضى فى عطفه بقوله وقوله اعدل ظاهر فى ان الكلامين قالهما واحد وفيه نظر فانهما اثنان ولو قال وقول الآخر اعدل لكان حسنا (لم يفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منه كما فى نسخة اى من قوله (الطعن عليه) اى على فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والتهمة له) اى لديه ونسبة التقصير اليه (وانما رآها) اى القسمة او تلك الحالة (من وجه الغلط فى الرأى) اى بناء على رأى ناقصه (وامور الدنيا) اى فى امورها (والاجتهاد فى مصالح اهلها) ظنا منه ان هذا من قبيل انتم اعلم بامور دنياكم (فلم ير) اى النبى عليه الصلاة والسلام (ذلك) الكلام (سبا) بتشديد الموحدة اى طعنا ومذمة وفى نسخة شيئا اى من الملامة مما يستحق عليه العقوبة (ورأى انه من الاذى الذى) يجوز (له العفو) عنه (والصبر عليه) فلذلك لم يعاقبه والصواب انه عليه الصلاة والسلام فهم من الخطاب ما يستحق عليه العقاب لكنه كان مأمورا بالاعراض عنهم فى مقام العتاب والا فكيف لا يفهم الطعن من قوله هذه قسمة ما اريد بها وجه الله ثم قوله اعدل قد يقال انه اراد به التسوية اللغوية والعدالة العرفية ولكنه عليه الصلاة والسلام فهم انه اراد العدالة الشرعية فقال له ويلك من يعدل ان لم اعدل وقال فى آخر الحديث يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين الحديث فكان كما اخبره صلى الله تعالى عليه وسلم وقتل على يد على فى النهروان وهو رئيس الخوارج واهل الخذلان (وكذلك) اى وكما قيل فيمن تقدم من الاعتذار (يقال فى اليهود اذ قالوا) بدل السلام (السام) اى عليكم

هنالك (بكثير منهم) فى امر الجهاد وغيره (وقام منهم للدين وزراء واعوان) اى امراء (وحماة) بضم الحاء وتخفيف الميم اى قضاة (وانصار) للدين ولو بنقل علوم اليقين (كما جاءت به الاخبار) التى ذكرها ارباب السير من المحدثين (وبهذا الجواب (اجاب بعض ائمتنا) اى المالكية وغيرهم (رحمهم الله تعالى عن هذا السؤال) المشتمل على ما سبق من الاشكال (وقال) ايضا حالهذا المقال (لعله) اى الشأن (لم يثبت عنده عليه الصلاة والسلام من اقوالهم ما رفع) اليه وحكى لديه ويشكل هذا بقول بعضهم اعدل واتق الله (وانما نقله الواحد) القائل اذ قوله دفع ورد عليه (ومن لم يصل) اى لم يبلغ قوله او قائله (رتبة الشهادة) اى الكاملة من العدد المعتبر فى الشرع المقرر (فى هذا الباب) بخصوصه المقدر فيما يوجب قتل من سب نبينا كما تحرر (من صبى) كزيد بن ارقم (او عبد او امرأة) كعائشة او جارية مملوكة او بنت صغيرة او كافر (والدماء لا تستباح) اراقتها (الا بعدلين) لكن يشكل هذا بتكذيب الله تعالى اياهم فى قوله ولقد قالوا كلمة الكفر وكذا فى شهادة ابن ارقم والله تعالى اعلم (وعلى هذا) الاحتمال (يحمل امر اليهود) اى كلامهم (فى السلام) وفى نسخة فى السام (وانهم) على دأبهم وعادتهم (لووا به السنتهم) بتشديد الواو الاولى وتخفيفها اى عطفوها واما لوها والمعنى انهم حرفوه (ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت) النبى عليه الصلاة والسلام (عائشة رضى الله تعالى عنها) اى على ظن انه عليه الصلاة والسلام ما تفطن لقولهم السام (ولو كان) اى المنافق او اليهودى (صرح بذلك لم تنفرد) عائشة من بين الصحابة (بعلمه) روى انها قالت لهم عليكم السام والذام وفى رواية واللعنة فقال مهلا يا عائشة ألم تسمعى ما اقول لهم فان الله يستجيب لى فيهم ولا يستجيب لهم فى (ولهذا) اى لتنبيه عائشة (نبه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على فعلهم) وكذا على كذبهم فى قولهم (وقلة صدقهم) المتين المبين (فى سلامهم) لعدم اسلامهم (وخيانتهم فى ذلك) اى فى مقام كلامهم (ليا بالسنتهم) اى تحريفا بها (وطعنا فى الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم) اى على المسلمين (فانما يقول السام عليكم) اى الموت (فقولوا عليكم) او وعليكم كما تقدم والله تعالى اعلم وفيما ان الله سبحانه اخبر عنهم بقوله واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير فهذا ثبت بشهادة الله تعالى فى حقهم فليس الحكم السابق مبنيا على اخبار عائشة فقط (وكذلك) اى مثل هذا القول المرضى عند المصنف (قال بعض اصحابنا) اى من المالكية (البغداديون) بالرفع على انه نعت بعض والبغداديين بالجر على انه نعت اصحاب كالقاضى عبد الوهاب وابن خويز منداد وابن الجلاب (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم) اى بمجرد علمه فى حقهم (ولم يأت) اى فى حديث من الاخبار ورواية من الآثار (انه قامت بينة) اى ثبتت حجة (على نفاقهم) اى بخصوصهم وما ورد فى الكتاب اغلبه مذكور لعمومهم سترا من الله فى اسرارهم وكتما فى اخبارهم وآثارهم ولذلك تركهم احياء على احوالهم فى ديارهم فاندفع به ما اعترض الدلجى على المصنف بقوله وكفى بينة عليه ما وردت به سورة المنافقين وبراءة من البحث عن اسرارهم واظهار نفاقهم واخبارهم (وايضا) يقال فى دفع الاشكال (فان الامر كان سرا وباطنا) اى بالاخفاء والكتمان (وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان) احدهم (من اهل الذمة بالعهد والجوار) بكسر الجيم وتضم اى الامان فهو من الجار بمعنى المجاور والذى اجرته من ان يظلم (والناس قريب عهدهم بالاسلام لم يميز بعد) اى بعد مضى تلك الايام (الخبيث من الطيب) اى المرائى من المخلص فى مقام الكلام (وقد شاع) اى فشا وذاع (عن المذكورين فى العرب) بحيث ملأ الاسماع (كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين) المفاد من عموم حديث البخارى انا سيد الاولين والآخرين (وانصار الدين بحكم ظاهرهم) انهم من المسلمين (فلو قتلهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر) بضم الدال المهملة بعد الموحدة اى يسرع للناس (منهم) وفى اصل الدلجى يبدو بالواو اى يظهر منهم (وعلمه) اى لمجرد علمه (بما اسروا فى انفسهم) من النفاق والشقاق وجواب لو (لوجد المنفر) بتشديد الفاء المكسورة (ما يقول) فى تنفيره (ولارتاب الشارد) فى تغييره (وارجف المعاند) بصيغة المفعول او الفاعل والمعاند بكسر النون هو المنكر الجاحد الحائد ومنه قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الآية والمرجف هو الذى يرجف قلوب الناس بالاخبار المتزلزلة التى لا اصل لها من الرجفة وهى الزلزلة والمعنى خاض فى امر الفتنة والاخبار السيئة (وارتاع) اى وخاف (من صحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والدخول فى الاسلام غير واحد) اى كثير من الانام ممن ضعف دينه وسقم يقينه وجهل ان الداخلين فى الاسلام وهم مخلصون اولئك لهم الامن وهم مهتدون (ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم) وفى نسخة الفذ بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة المنفرد الواهم (ان القتل) للمنافقين (انما كان للعداوة) الباطنية المتعلقة بالامور الدنيوية (وطلب اخذ الترة) بكسر التاء الفوقية اى النقص والتبعة الكامنة فى الطباع البشرية

كما فى نسخة (ليس فيه صريح) وفى نسخة تصريح (سب) اى شتم (ولا دعاء) اى عليه بذم (الا) اى لكن دعاء عليه
(بما لابد منه من الموت الذى لابد) اى لا محالة ولا مفارقة (من لحاقه جميع البشر) بل كل ذى روح من الخلق كما صح
فى الخبر وفيه ان مثل هذا يسمى من باب الدعاء على المقول فيه بحسب العرف والعادة لانه يراد به الانشاء لا الاخبار
بما سيقع من الحالة وهذا المعنى الذى فهمته عائشة رضى الله عنها وهى من الفصحاء والبلغاء ومن اهل بيت الفهم
والحذاقة والعلم والفطانة (وقيل بل المراد به تسأمون دينكم) اى تملونه وتتركونه (والسأم) بهمزة ساكنة (والسآمة)
بهمزة ممدودة (الملال والملالة) قال الدلجى والرواية بلا همز لاختلاف صيغتيهما واوا وهمزا انتهى واراد انه لا يصح
هذا المعنى من ذلك المبنى والصواب انه لا مخالفة بين الرواية والدراية لان الهمزة الساكنة كثيرا تبدل الفا (وهذا
دعاء على سآمة الدين) اى فى قلوب المؤمنين (وليس بصريح سب) اى شتم لكنه متضمن لعيب وذم (ولهذا) اى
ولكونه ليس بصريح سب (ترجم البخارى على هذا الحديث باب) بالرفع منونا (اذا عرض) بتشديد الراء اى لوح
(الذمى اوغيره) وفى نسخة وغيره اى المستأمن (بسب النبى صلى الله عليه وسلم) اى ولم يصرح به قال ابن المنير كان
البخارى كان على مذهب الكوفيين فى هذه المسألة وهو ان الذمى اذا سب يعزر ولا يقتل (قال بعض علمائنا
وليس هذا) اى قول اليهود السام عليكم (بتعريض بالسب) اى الشتم (وانما هو تعريض بالاذى) ولكنه موصوف
بالذم (قال القاضى ابو الفضل) يعنى المصنف (وقد قدمنا ان الاذى) بعمومه (والسب) بخصوصه (فى حقه عليه
الصلاة والسلام سوآء) لاستوآئهما فى تنقصه والخروج عن دينه الموجب لتكفيره بخلاف غيره فانه يفرق بينهما
باختلاف تعزيره حسب تقريره وفيه ان جميع مراتب الايذآء لا تكون مع السب فى حالة السوآء فانه عليه الصلاة
والسلام كان يتأذى من اصحابه الكرام اذا صدر عنهم ما يوجب شيأ من الآثام (وقال القاضى ابو محمد ابن نصر) بصاد
مهملة (مجيبا عن هذا الحديث) اى حديث السام (ببعض ما تقدم) من الكلام (ثم قال ولم يذكر فى الحديث
هل كان هذا اليهودى من اهل العهد) اى الجزية (والذمة) اى الامان فينتقض عهده ويبلغ مأمنه (او الحرب) اى
اهل الحرب فيهدر دمه (ولا يترك موجب الادلة) بفتح الجيم اى مقتضاها من القتل بشتم اوذم (للامر المحتمل) لواحد
منهما وفيه ان ذلك اليهودى اما كان منافقا واما مستأمنا والا فما كان عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام
يتحملون من الحربى نوعا من الكلام ولا كانوا يتركونه فى ذلك المقام بعد الامر بقتال من لم يذعن للاسلام نعم كما قال
هو وغيره (والاولى فى ذلك) وفى نسخة فى هذا (كله والاظهر من هذه الوجوه) فى حكمه (مقصد الاستئلاف) بفتح
الصاد وكسرها اى لمحض طلب الالفة ورفع الكلفة عن الامة (والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون) على وجه اليقين
(ولذلك ترجم البخارى على حديث القسمة والخوارج باب) بالتنوين وفى نسخة بالاضافة الى قوله (من ترك قتال
الخوارج) اى مقاتلتهم وفى نسخة قتل الخوارج وهم طائفة مشهورة من اهل البدعة يبغضون اهل بيت النبوة
(للتألف) اى طلب الالفة ليثبتوا على الملة (ولئلا ينفر الناس) بكسر الفاء من النفر وفى نسخة من التنفير عنه اى
ولدفع النفرة عن قبول الدعوة (ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل) اى قبل ذلك (وقد صبر لهم عليه الصلاة
والسلام على سحره) بكسر السين اى ما سحر به وفى نسخة بفتحها وهو المصدر (وسمه) اى وعلى تسميمه (وهو اعظم
من سبه) وفيه ان من سمه علله بانه اختبره على انه ان كان نبيا فلا يضره والا فيندفع به شره ولذا لم يقتلها اولا ثم قتلها
قصاصا بعد ما مات بشر بن البرآء من اصحابه (الى ان نصره الله عليهم) واظهر امره لديهم (واذن له فى قتل من
حينه منهم) بمهملة فتحتية مشددة فنون مفتوحات اى اهلكه من الحين وهو الهلاك وقيل من حينه اى انتظر وقته
وروى بالخاء المعجمة من الخيانة ويحتمل خيبه بالباء الموحدة اى نسبه الى الخيبة وفى نسخة اخرى عيبه بالموحدة او النون
وهذا كله فى بنى قريظة واضرابهم (وانزلهم) وفى نسخة وانزلهم (من صياصيهم) بفتح اوله اى حصونهم (وقذف) اى
والحال انه سبحانه وتعالى القى (فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها اى الخوف الشديد (وكتب على من يشاء
منهم) كبنى النضير واحزابهم (الجلاء) بفتح الجيم وبكسر والمد اى الاخراج عن وطنهم ومألوف بدنهم وكربة الغربة
وسائر محنهم (واخرجهم من ديارهم) وهدم آثارهم (وخرب بيوتهم) من دارهم (بايديهم) اى انفسهم (وايدى
المؤمنين) بالنقض والهدم حتى لا يبقى منهم فى المدينة آثار دار ولا ديار (وكاشفهم) اى ظاهرهم وشافههم (بالسب)
اى الطعن والتعيير (فقال يا اخوة القردة والخنازير) خطابا لشبانهم ومشايخهم وفيه ايماء الى قوله تعالى وجعل منهم
القردة والخنازير فهم اخوتهم من حيث وقوع المسخ فى طائفتهم وقيل القردة فى اصحاب السبت من اليهود والخنازير
فى اصحاب المائدة من النصارى وهم من قوم واحد يجمعهم بنو اسرائيل (وحكم فيهم سيوف المسلمين) بتشديد الكاف
اشارة الى قتل بنى قريظة ونزولهم من حصونهم بحكم سعد بن معاذ (واجلاهم) اى اخرجهم (من جوارهم) بكسر

الجيم

الجيم وبضم اى مجاورتهم ومحاورتهم (واورثهم) اى الله سبحانه وتعالى (ارضهم وديارهم) اى مساكنهم (واموالهم)
كبنى النضير وهذا كله (لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى) فى الدنيا والاخرى قال ابن اسحق
كان اجلاء بنى النضير عند مرجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من احد وفتح بنى قريظة عند مرجعه من
الاحزاب وبينهما سنتان ومجمل قصتهما ان بنى النضير كانوا صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان لا يقاتلوه
ولا يقاتلوا معه ولما غزا احدا وهزم المسلمون نقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة
فاتوا قريشا وعاقدوهم بان تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه السلام
فاخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فامر رسول الله بقتل كعب بن الاشرف وامر الناس بالمسير
الى بنى النضير وكانوا بقرية فدس المنافقون اليهم ان لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنكم ولئن
خرجتم لنخرجن معكم فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم احدى وعشرين ليلة وقذف الله فى قلوبهم
الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة
ولهم ما اقلت الابل اى حملت من اموالهم وللنبى الله ما بقى ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى اذرعات واريحاء من
ارض الشام وذلك قوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اى
فى اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم قبل ذلك هذا الذل والتعب او فى اول حشرهم من اجلائه عليه الصلاة
والسلام الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى ذلك المقام وقيل آخر حشرهم يوم القيامة
فانهم كغيرهم يحشرون اليه عند قيام الساعة واما قضية بنى قريظة فروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لما رجع من منصرف الاحزاب الى المدينة اتاه جبريل عليه السلام فقال وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال
ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وكانوا قد عاونوا الاحزاب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فامر النبى
عليه الصلاة والسلام مناديا اذن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة وقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا ابن ابى طالب كرم الله وجهه برايته اليهم فسار على حتى اذا دنا من الحصون سمع مقالة قبيحة
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرجع حتى اتاه فقال يا رسول الله لا عليك ان تدنو من هؤلاء الاخابيث قال
لم اظنك سمعت فيّ منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمة قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا
قال فحاصرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم
الرعب فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فقال سعد فانى احكم فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة بان يقتل مقاتلهم
وتسبى ذراريهم فحبسهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار ثم خرج
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى سوق المدينة فخندق بها خندقا ثم بعث اليهم فضربت اعناقهم فى تلك الخنادق
وكانوا على ما قيل ستمائة او سبعمائة وقسم الاموال والنساء والذرارى وذلك قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من
اهل الكتاب اى عاونوا الاحزاب على حرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح)
من رواية البخارى وغيره (عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه)
اى لم يعاقب احدا على مكروه يقع عليه (قط) اى ابدا فى حال من احواله (الا ان تنتهك) بصيغة المجهول او الفاعل اى
تنتقص او تنتقض (حرمة الله تعالى) اى احترامه وعزته (فينتقم لله) اى حينئذ مع انتقامه لنفسه انتقاما لحرمة
ربه (فاعلم ان هذا) الحديث (لا يقتضى) مضمونه (انه لم ينتقم ممن سبه او آذاه) اى بقوله او فعله (او كذبه فان هذه)
المذكورات (من حرمات الله التى انتقم لها) وفى نسخة منها اى من اجلها ابتغاء لوجه الله تعالى كما تقدم من
قتل ابى رافع وكعب بن الاشرف وغيرهما (وانما يكون ما لا ينتقم) اى منه كما فى نسخة (له) اى لاجل نفسه
(فيما يتعلق بسوء ادب) من اجلاف العرب (او معاملة) مع احد منهم (من القول والفعل فى النفس) وفى نسخة بالنفس
(والمال مما لم يقصد فاعله به اذاه) اى اذى النبى عليه الصلاة والسلام (لكن) اى الا انه صدر (مما) وروى بما اى بسبب
ما (جبلت عليه الاعراب) اى من الاخلاق او من الطباع التى خلقت وطبعت وتعودت عليها (من الجفاء) بفتح الجيم
والمد اى هو غلظ الطبع (والجهل) بآداب الشرع كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله (او جبل عليه البشر) اى جنس بنى آدم كلهم (من الغفلة) اى الغيبة عن مقام الحضرة وروى
من السفه وهو الخفة وقلة المبالاة بالعمل (كجبذ الاعرابى) بجيم فباء موحدة فذال معجمة اى جذبه بعنف وشدة
(ورداءه) وفى نسخة برداۤئه فالباء للتقوية او لتأكيد التعدية وفى بعض النسخ بازاره وهو خطأ فاحش كما يدل عليه

(حتى اثر) اى اثر جبذه (فى عنقه) اللهم الا ان يحمل الازار على الملحفة وهو كل ما سترك وقد قال الاعرابى كما فى البخارى مرلى من مال الله الذى عندك (ورفع صوت الآخر) اى الاعرابى او غيره (عنده) قال الحلبى يحتمل انه يريد ثابت ابن قيس بن شماس فقد روى انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله انا اعلم لك الحديث فى خوفه من رفع صوته عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية ويحتمل انه يريد غيره قلت المتعين ان يكون غيره لان قصته من محامد مناقبه لا فى مذامه من مراتبه واما قول الدلجى ان الذى قال هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فموقوف على ثبوت كون مقوله هذا واقعا برفع صوته وقد عينه التلمسانى بالاعرابى الذى طالبه عليه الصلاة والسلام فى دينه واراد اصحابه الكرام منعه فقال عليه الصلاة والسلام دعوه فان لصاحب الحق مقالا (وجحد الاعرابى) اى له كما فى نسخة يعنى وكانكاره للنبى عليه الصلاة والسلام (شراءه منه) اى الاعرابى وهو سواد بن قيس المحاربى وقيل سواد بن الحارث (فرسه) المسمى بالمرتجز وكان ابيض وقيل النجيب (التى شهد فيها خزيمة) انه اشتراها منه فجعل صلى الله تعالى عليه وسلم شهادته بشهادتين والحديث رواه البخارى (وما) وفى نسخة وكما (كان من تظاهر زوجيه) وفى نسخة زوجتيه وهى لغة والاول افصح اى تعاونهما (عليه) فيما يسوءه من فرط الغيرة بالنسبة اليه وهما عائشة وحفصة (واشباه هذا) الذى ذكرنا (مما يحسن الصفح عنه) اى يستحسن الاعراض عنه وعدم الالتفات نحوه وقد قال بعض علمائنا ان اذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث فاطمة رضى الله تعالى عنها انها بضعة منى يؤذينى ما آذاها الا وانى لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل ابدا (او يكون هذا) الحديث المتقدم ذكره (مما آذاه به كافر) صريح (وجاء بعد ذلك اسلامه) كذا فى النسخ المصححة وجاء بالواو وقال الحلبى رأيت فى بعض النسخ بالرآء من الرجاء وهذه ينبغى ان تكون الصواب وتلك التى تقدمت تصحيف قلت اذا كان المبنى صحيح رواية ودراية فلا يقال فيه انه تحريف ولا يلزم ما ادعاه على ما سيأتى دعواه (كعفوه عن اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله) وهو غورث بن الحارث (وعن اليهودية التى سمته وقد قيل قتلها) اى آخرا قصاصا ببشر بن البرآء بعد ما عفا عنها اولا لاسلامها او اعتذارها فى كلامها هذا وقال الحلبى المفهوم من عبارة القاضى المؤلف هنا ان هؤلاء الثلاثة قد اسلموا لكن الذى سحره وهو لبيد بن الاعصم لم يسلم بلا خلاف فيما اعرفه واما الاعرابى الذى اراد قتله وهو غورث او دعثور على ما تقدم فقد اسلم بلا خلاف واما اليهودية التى سمته فاسمها زينب بنت الحارث فقيل انها لم تسلم وقتلها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن الزهرى كما رواه معمر بن راشد فى جامعه انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان وجه الخلاف والجمع قد تقدم والله تعالى اعلم (ومثل هذا مما يبلغه) اى بعض ما يصل اليه (من اذى اهل الكتاب والمنافقين) من ارباب الحجاب (وصفح عنهم) جملة حالية وفى نسخة فصفح عنهم اى اعرض عن اذاهم وتركهم على هواهم (رجاء استئلافهم) اى تألف انفسهم (واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل) اى قبل ذلك على وجه التحقيق (وبالله التوفيق)

(فصــل)

(قال القاضى تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه) اى المتعمد فى شتمه (والازراء به) وفى نسخة والازدراء وهو بمعنى الاحتقار (وغمصه) بمعجمة ومهملة بينهما ميم ساكنة اى عيبه (باى وجه كان من ممكن) وجوده (او محال) بضم الميم اى ممتنع شهوده (فهذا وجه بين) اى ظاهر مكشوف (لا اشكال فيه) ولا توقف فى قتل متعاطيه (الوجه الثانى لاحق به) اى ملحق بالوجه الاول (فى البيان والجلاء) اى فى الظهور وعدم الخفاء (وهو ان يكون القائل لما قال) من الكلام (فى جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد للسب) اى للشتم على وجه الجفاء (والازراء) وفى نسخة الازدراء اى الاحتقار بالاستخفاف والاستهزاء (ولا معتقد) بالجر وفى نسخة ولا معتقدا (له) اى لمضمون كلامه (ولكنه تكلم فى جهته عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر) وفى نسخة بكلمة من الكفر اى من الفاظه كما بينه بقوله (من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه) اى نسبته اليه (او نفى ما يجب) اى ثبوته (له مما هو فى حقه عليه الصلاة والسلام نقيصة) اى منقصة ومذمة (مثل) بالرفع ويجوز نصبه اى نحو (ان ينسب اليه اتيان كبيرة) بصيغة المجهول والاظهر ان يكون بصيغة الفاعل اى ينسب القائل اليه اتيان كبيرة اى صدورها من قول او فعل بخلاف صغيرة للاختلاف فى جواز صدورها عنه (او مداهنة) بالجر او النصب اى مصانعة (فى تبليغ الرسالة) كما نفاها الله عنه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك (او) مساهلة (فى حكم بين

الناس

الناس) كما نفاها عنه فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله (او يغض) بضم الغين وتشديد الضاد المعجمتين اى يخفض وينقص (من مرتبته) العلية (او شرف نسبه) الى آبائه واجداده الجلية من العيوب العرفية لا من الذنوب الشرعية فان عبد المطلب من اجداده مات كافرا بالاجماع وجزم ابو حنيفة بان والدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وكذا ابو ابراهيم عليه السلام من اهل الكفر اجماعا خلافا للشيعة وشرذمة قليلة من اهل السنة وقد كتبت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة (او وفور علمه) اى كثرته (او زهده) من غير ضرورته (او يكذب بما اشتهر به من امور اخبر بها عليه الصلاة والسلام وتواتر الخبر بها) عنه (عن قصد لرد خبره) اذ لو انكر خبرا متواترا كفر بخلاف ما اذا انكر حديثا آحادا فان انكره فسق ففى المحيط من انكر الاخبار المتواترة فى الشريعة كفر مثل حرمة لبس الحرير على الرجال ومن انكر اصل الوتر واصل الاضحية كفر وفى الخلاصة من رد حديثا قال بعض مشايخنا يكفر وقال المتأخرون ان كان متواترا كفر اقول وهذا هو الصحيح الا اذا كان رد حديث الآحاد من الاخبار على وجه الاستخفاف والاستحقار واما انكار الحديث المشهور فالجمهور من اصحابنا على انه يكفر الا عيسى بن ابان فان عنده يضلل ولا يكفر وهو الصحيح (او يأتى بسفه من القول) اى بسفاهة فى عبارة (او بقبيح من الكلام) ولو باشارة (ونوع من السب) وما فيه من قلة الادب (فى جهته) عليه الصلاة والسلام (وان ظهر بدليل حاله) اى حال قائله (انه لم يعمد) اى لم يرد (ذمه) عليه الصلاة والسلام فى مقاله (ولم يقصد سبه) لاعتقاده كماله لكن صدر عنه مقاله (اما لجهالة) بنعوت جماله (حملته على ما قاله او لضجر) بفتحتين اى قلق من اثر غم ناله (او منكر) محرم او غيره (او قلة مراقبة) فى شانه (وضبط) اى وقلة ضبط (للسانه وعجرفة) اى مجازفة وقلة مبالاة فى بيانه (وتهور فى كلامه) اى سرعة فى خلقه وجرآءة فى نطقه (فحكم هذا الوجه) الثانى (حكم الوجه الاول) وهو (القتل) اى قولا واحدا (دون تلعثم) اى توقف فى بابه (اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة) اذ معرفة ذات الله تعالى وصفاته وما يتعلق بانبيائه فرض عين مجملا فى مقام الاجمال ومفصلا فى مقام الاكمال نعم اذا تكلم بكلمة عالما بمبناها ولا يعتقد معناها يمكن ان صدرت عنه من غير اكراه بل مع طواعيته فى تأديته فانه يحكم عليه بالكفر بناء على القول المختار عند بعضهم من ان الايمان هو مجموع التصديق والاقرار فباجرائها يتبدل الاقرار بالانكار اما اذا تكلم بكلمة ولم يدر انها كلمة كفر ففى فتاوى قاضيخان حكاية خلاف من غير ترجيح حيث قال قيل لا يكفر لعذره بالجهل وقيل يكفر ولا يعذر بالجهل اقول والاظهر الاول الا اذا كان من قبيل ما يعلم من الدين بالضرورة فانه حينئذ يكفر ولا يعذر بالجهل اقول وفى الخلاصة من قال انا ملحد كفر وفى المحيط والحاوى لان الملحد كافر ولو قال ما علمت انه كفر لا يعذر بهذا اى فى القضاء الظاهر والله تعالى اعلم بالسرآئر (ولا بدعوى زلل اللسان) فيه ان الخطأ والنسيان وما استكره عليه الانسان عذر فى معرض البيان (ولا بشئ مما ذكرناه) مما يظن انه يكون عذرا (اذ) وفى نسخة اذا (كان عقله فى فطرته) اى خلقته وجبلته (سليما) بان لا يكون مجنونا ولا اخرق سقيما (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) كما هو مبين فى القرآن (وبهذا) الوجه الثانى (افتى الاندلسيون) بفتح الهمزة وضم الدال واللام ويفتحهما اى المالكيون من علماء الاندلس وهو اقليم معروف من المغرب (على ابن حاتم) اى الطليطلى (فى نفيه الزهد) اى الاختيارى (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قدمناه) اى ذكره وامره (وقال محمد بن سحنون) بفتح اوله ويضم ويصرف ولا يصرف (فى المأسور) بايدى الكفار (يسب النبى صلى الله تعالى وسلم) جملة حالية (فى ايدى العدو) اى فى تصرفهم او فيما بينهم (يقتل الا ان يعلم تنصره) اى حدوث دخوله فى مذهب النصارى (او اكراهه) اما الثانى فظاهر ويدل عليه قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم روى ان بنى المغيرة اخذوا عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاتى عمار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يبكى فقال عليه الصلاة والسلام ما ورآءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكره قال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت واما الاول فقد قال الحلبى هذا الكلام ينبغى ان يسأل عنه المالكية وقال الانطاكى اى الا ان يكون معروفا بالبصارة تمنعه بصارته ومعرفته عن الحوم حول الحمى المنيع بالامر الشنيع انتهى وفيه ان السب هنالك من غير ان يكره عليه فى ذلك مناف للتبصر سوآء يكون معروفا به ام لا وقال التلمسانى وكان النسخة عندهما بالباء الموحدة وانما هى والله اعلم بالنون اى الا ان يعلم تنصره ولا شك ان المالكية يقولون اذا تنصر طوعا ثم وقع منه سب او لعن او كلام يعيب به النبى او قذفه او استخف بحقه او غير صفته او الحق به نقصا ثم راجع الاسلام اقول هنا بياض فى الاصل ولم يعلم ان الحكم يقتل او لا يقتل وعلى كل تقدير فيه اشكال اما على

الاول فلانه ينافى الاستثناء وسيأتى صريحا فى كلام القاضى انه يجب قتله واما على الثانى فلانه قد تقدم ان من سب النبى يقتل مسلما كان او كافرا والذى يظهر لى ان المعنى الان يعلم تنصره قبل ذلك وانه ما صح ايمانه هنالك بان كان منافقا او من تردا او من آئبا او جاسوسا ثم لما اسر اظهر سبه عليه الصلاة والسلام ثم رجع الى الاسلام فانه حينئذ لا يقتل ففى مختصر العلامة خليل المالكى الان يسلم الكافر قال شارحه المشهور بحلولو اختلف فى الذمى اذا سب احدا من الانبياء ثم اسلم هل يدرأ عنه القتل باسلامه فقال مالك فى الواضحة والمبسوط وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ ان اسلم ترك قال اصبغ وسحنون لا يقال له اسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وحكى القاضى ابو محمد فى ذلك روايتين انتهى واما على نسخة تبصره بالموحدة فلا يبعد ان يراد به الفرق بين المتبصر بالدين من العلماء المتقين وبين الفسقة والجهلة بمراتب اليقين فان الثانى يحتاج الى العلم باكراهه ببينة او قرينة بخلاف الاول فان الظن به فى مقام يقينه ان لا يقع له سب الا بعد تحقق اكراهه فيقبل قوله ويتفرع عليه ابانة امرأته منه وعدمها والله سبحانه وتعالى اعلم ومن فروع هذه المسئلة عندنا لو قالت زوجة اسير تخلص انه ارتد عن الاسلام و بنت منه فقال الاسير اكرهنى ملكهم بالقتل على الكفر بالله تعالى ففعلت مكرها فالقول لها ولا يصدق الاسير الا بالبينة (وعن محمد بن زيد لا يعذر احد بدعوى زلل اللسان فى مثل هذا) الشان ولعل وجهه سد الذريعة لفساد اهل الزمان (وافتى ابو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (فيمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله) اى ويقول مثله (فى صحوه) فان كل اناء يترشح بما فيه وهذا بناء على سوء الظن به مع انه لا يلزمه اذا السكران قد يقصد امه وبنته ونحوهما فى حال سكره مع انه لا يظن به انه يفعله حال صحوه (وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود) الفارقة بين الحلال والحرام المانعة من قربان الحرام كالزنى والمترتب عليه كالرجم (لانه ادخله على نفسه) باجترائه على نبيه ما لا يليق به (لان من شرب الخمر على علم) اى مع علمه بما يترتب عليها (من زوال عقله بها واتيان ما ينكر) صدوره (منه) بسببها (فهو كالعامد لما يكون بسببه) القتل (وعلى هذا الزمناه الطلاق) على خلاف فيه بين علمائنا والصحيح وقوعه تأكيدا لزجره (والعتاق والقصاص والحدود) كالقطع بالسرقة (ولا يعترض على هذا) الذى ذكر من ان السكران يؤاخذ بما صدر عنه حال سكره (بحديث حمزة) اى ابن عبد المطلب الذى رواه الشيخان عن على رضى الله عنه ان حمزة قبل ان تحريم الخمر كان فى شرب وبفناء الدار شارفان لعلى اراد ان يأتى عليهما باذخر يبيعه ليستعين بثمنه على تزوج فاطمة رضى الله عنهم وعند حمزة واصحابه جارية تغنيهم فقالت الا يا حمز بالشرف النواء * فخرج اليهما فبقر خواصرهما وجب اسنمتهما فاخبر على النبى صلى الله عليه وسلم فجاءه فلما رأه حمزة صعد نظره اليه وخاطبه بما لا يليق لديه كما بين المصنف بعضه بقوله (وقوله) اى وبقول حمزة (للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ومن معه كعلى (وهل انتم الا عبيد لابى فعرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه) وفى نسخة اغاهو (ثمل) بفتح المثلثة وكسر الميم اى سكران (فانصرف) عنه ولم يؤاخذه بما صدر منه (لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة) بل كان هذا سببا لتحريمها (فلم يكن فى جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث منها) من سكر من شرب منها (معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون) العاقبة ولهذا ما أم على رضى الله عنه فى حال سكره وقد قرأ اعبد ما تعبدون سوى فى امره

(فصـــل)

(الوجه الثالث ان يقصد) اى احد من الانام (الى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما قاله) اى فيما تواتر عنه من الكلام (او اتى به) اى من احكام الاسلام التى اجمع عليها الاعلام (او ينفى نبوته) مطلقا (او رسالته) الى غير العرب مثلا (او وجوده) فى عالم شهوده (او يكفر به) اى يتبرأ منه سواء (انتقل بقوله ذلك) وخروجه عن الاسلام هنالك (الى دين آخر) من التهود او التنصر او التمجس (غير ملته) استثناء لمجرد تأكيد فى قضيته (ام لا) اى ام لم ينتقل الى دين بان صار ملحدا او زنديقا او دهريا او تناسخيا مما لا يسمى دينا عرفيا وان كان مأخذ دينا لغويا (فهذا كافر بالاجماع يجب قتله من غير النزاع (ثم ينظر) اى فى امره هنالك (فان كان مصرحا بذلك) اى معلنا غير مستتر (كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوى الخلاف) اى خلاف اصحاب مالك (فى استتابته) اى قبول توبته (وعلى القول الآخر) بكسر الخاء اى المعتبر الناسخ للقول الاول (لا تسقط القتل عنه توبته) فيقتل حدا (لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان كان ذكره) عليه الصلاة والسلام (بنقيصة فيما قاله) هذا المتنقص (من كذب) فى حقه (او غيره) بتغير فى نعته وامره (وان كان مستترا) من التستر تفعل مأخوذ من الستر ضد الاخفاء وفى نسخة مستسرا بتشديد الراء من الاستسرار استفعال من السر ضد الكتم لا من السرور كما وهم الدلجى (فحكمه حكم الزنديق) اى الاصلى (لا تسقط

قتله التوبة عندنا) اى معشر المالكية قولا واحدا (كما سنبينه) اى قريبا (قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد) اى تبرأ منه واعرض عنه (او كذبه) اى فى نبوته وفى نسخة او كذب به اى بوجوده او بكرمه وجوده وظهور نور شهوده (فهو مرتد حلال الدم) اى قبل توبته (الا ان يرجع) عن برائته ولو بعد استتابته (وقال ابن القاسم) اى المصرى صاحب مالك (فى المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبى او لم يرسل) الى الثقلين كافة (او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شئ تقوله) اى افتراه واختلقه (يقتل) وهذا مجمع عليه (قال) اى ابن القاسم (ومن كفر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانكره) الواو بمعنى او (من المسلمين) اى احد منهم ولا يبعد ان يكون المعنى وانكر كونه من المسلمين (فهو بمنزلة المرتد) اى يقتل ان لم يتب وكان الاولى ان يقول فهو مرتد او فيجرى عليه حكم المرتد وهذا اذا كان معلنا لا مخفيا (وكذلك من اعلن بتكذيبه) اى اظهره جهرا (انه كالمرتد يستتاب) فان تاب والا قتل وهذا مما لا خلاف فيه الا عند بعض المالكية (وكذلك قال) اى ابن القاسم (فيمن تنبأ) اى ادعى انه نبى (وزعم انه يوحى اليه) انه كالمرتد يستتاب (وقاله) اى مثل مقال ابن القاسم (سحنون) وهو بفتح السين وضمها واغرب الدلجى بقوله وقد يكسر ثم هو فعلون ولذا صرف وقد يمنع بناء على مذهب الفارسى فى جعل مطلق المزيد تين علة (قال ابن القاسم دعا الى ذلك) اى الى انه نبى (سرا او جهرا) فانه يكون كالمرتد وكان مقتضى ما سبق انه اذا دعا سرا يكون كالزنديق فيحتاج الى فرق فى مقام جمع التحقيق والله ولى التوفيق (وقال اصبغ) اى ابن الفرج (وهو) اى من زعم انه نبى (كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله تعالى) حيث قال تعالى فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام انه خاتم النبيين (مع الفرية) بكسر الفاء اى الافتراء (على الله تعالى) قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ (وقال اشهب) اى ابن عبد العزيز المصرى (فى يهودى) اى مثلا (تنبأ) اى ادعى انه نبى فى حق نفسه (او زعم انه ارسل الى الناس) فى امره ونهيه (او قال بعد نبيكم نبى) اى يوجد بان يولد او نبى ناسخ لدين محمد لئلا يشكل بعيسى عليه الصلاة والسلام ولكن اليهودى لم يقصد ذلك وانما يتصور من النصرانى هنالك (انه يستتاب ان كان معلنا بذلك) بخلاف ما اذا كان مخفيا فانه معتقده هنالك (فان تاب) من اعلان مثل هذا المقال (والا قتل) فى الحال (وذلك) اى قتله (لانه مكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله) كما رواه الثقات (لا نبى بعدى) الاولى ان يستدل بقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين لان الحديث ما ثبت متواترا ليفيد اليقين ولا مشهورا عند المحدثين وان كان مشتهرا على السنة المؤمنين (مفتر على الله تعالى فى دعواه عليه الرسالة والنبوة) اى احداهما (وقال محمد بن سحنون من شك فى حرف) اى من تردد فى صحة حرف فى القرآن (مما جاء به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عن الله) اى وثبت مجيئه به متواترا (فهو كافر جاحد) اى معاند ملحد وكان الاظهر ان يقول من انكر لان من توقف فى بعض الحروف المختلفة بين القراء السبعة وان كانت كلها متواترة ولم يدر جزما بانه مما جاء به عن الله تعالى ام لا لا يحكم بكفره فان كثيرا من الناس اذا ترددوا فى كلمة يراجعون القراء العارفين بالقراءة لا يقال مراده بالحرف هو المجمع عليه فان الاشكال باق على حاله اذ لا يخلو قارئ عن تردد فى حرف من حروفه نعم من شك فى حرف مع علمه بانه من القرآن فلا شك انه كافر (وقال) اى ابن سحنون (من كذب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى مطلقا (كان حكمه عند الامة) اى جميعهم (القتل) وانما الخلاف فى انه هل يستتاب ولو بالاستمهال ام لا بل يقتل فى الحال (وقال احمد ابن ابى سليمان صاحب سحنون من قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه الصلاة والسلام باسود) بل كان ابيض كانما صيغ من فضة رواه الترمذى فى الشمائل عن ابى هريرة رضى الله عنه وفى رواية مسلم والترمذى عن ابى الطفيل كان ابيض مليحا وفى رواية البيهقى فى الدلائل عن على رضى الله عنه كان ابيض مشربا بالحمرة يعنى لا انه ابيض امهق وهو البياض المشبه بالجص المكروه عند اكثر الطباع السليمة والحاصل ان بياض لونه ثابت فى الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة مختلفة فى المبنى متواترة فى المعنى فمن قال فى حقه انه كان اسود يكفر حيث وصفه بغير نعته الموجب لنفيه وتكذيبه لكن قد يعذر قائله اذا كان جاهلا بوصفه عليه الصلاة والسلام لا سيما اذا كان من العوام الا اذا اراد به تنقصه واهانته عليه الصلاة والسلام وهذا يختلف باختلاف العرف بين الانام اذ السواد مرغوب بين الحبشة والهنود كما ان البياض مطلوب عند العرب والاعجام والاروام (وقال نحوه) اى مثل مقال ابن ابى سليمان (ابو عثمان الحداد قال) اى ابو عثمان وابعد الدلجى حيث قال اى ابن ابى سليمان (لو قال) اى احد من المسلمين (انه مات قبل ان يلتحى) اى تنبت لحيته (او انه كان بتاهرت) وفى نسخة بتهرت وهو بمثناة فوقية فى اوله وآخره وبفتح الهاء وسكون الراء مكان باقصى المغرب قيل هو آخر العمارة (ولم يكن بتهامة) بكسر اوله اى مكة او ارض الحجاز (قتل لان هذا نفى) متضمن لوجوده وظهور كرمه وجوده ثم القولان كلاهما مخالف للكتاب والسنة المشهورة اما بطلان

القول الاول فيستفاد من قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون واما بطلان القول الثانى فيستفاد من قوله تعالى لتنذر ام القرى ومن حولها والمراد بام القرى مكة بالاجماع واما بطلانهما من الحديث فقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام بعث على رأس اربعين سنة فاقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا وتوفى وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء (قال حبيب بن ربيع تبديل صفته) اى المشهورة (ومواضعه) اى المأثورة بغيرهما (كفر) به وننى لوجوده (والمظهر له) اى لتبديلها (كافر) اى ابتداء او مرتد اى انتهاء (وفيه الاستتابة) اى قبول التوبة (والمسر له) اى المخفى لهذا الاعتقاد الفاسد والكاتم لهذا القول الكاسد (زنديق يقتل دون استتابة) اى فى مذهب مالك

(فصــــل)

(الوجه الرابع ان يأتى من الكلام بمجمل) مشتمل على تعدد معنى محتمل (و يلفظ) بكسر الفاء اى او ينطق (من القول بمشكل) باللام فى آخره اى بمعضل وتصحف على الدلجى بكافين فقال اى بما يوقع متأمله فى الشك (يمكن حمله) اى يجوز اطلاق ما ذكر من المجمل (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره او يتردد فى المراد به) اى بالمشكل (من سلامته من المكروه او شره) اى من ملامته فهو عطف على سلامته لا على المكروه كما توهم الدلجى وقال اى سلامته من شره (فههنا) من المقامين (متردد النظر) بفتح الدال الاولى مشددة اى محل تردد للمتأمل فى المقالين (وحيرة العبر) توهم الانطاكى فقال العبر بكسر العين وفتح الموحدة جمع عبرة بفتح وسكون الموحدة وهى الدمعة وحيرتها اجتماعها من قولهم تحير الماء اى اجتمع انتهى والصواب فى هذا المقام انه جمع عبرة بكسر فسكون وهى اسم من الاعتبار ومنه قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار واستدل به النظار فى صحة القياس اى وتحير فى الاقيسة المتعارضة المنافية للقول اليقين (ومظنة اختلاف المجتهدين) بكسر الظاء اى موضع الشئ وما له الذى يظن كونه فيه (ووقفة استبراء المقلدين) اى وتوقف اطلاب براءة العلماء العالمين من القضاة والمفتين وهو بكسر اللام لانه فى مقابلة المجتهدين وضبطه التلمسانى بفتح لامه (ليهلك من هلك عن بينة) اى ليضل من ضل عن حجة واضحة (ويحيى من حى) وفى قراءة من حيى اى يهتدى من اهتدى (عن بينة) اى دلالة لائحة (فمنهم من غلب) بتشديد اللام اى قدم (حرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحمى حمى) بفتح الحاء الاولى وكسر الثانية اى وصان ساحة (عرضه) عن تنقصه فى طوله وعرضه (فجسر على القتل) اى اقدم واجترأ على قتل قائله من غير استتابة (ومنهم من عظم حرمة الدم) المعصوم فى اصله (ودرأ الحد) اى ودفع القتل (بالشبهة) على الناظر فيه (لاحتمال القول) اى قوله ان يراد به الذم او خلافه وهذا هو الاولى لقوله عليه الصلاة والسلام ادرؤا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة من الثقات وزاد ابن عدى واقيلوا الكرام عثراتهم الا فى حد من حدود الله تعالى وروى ابن ابى شيبة والترمذى والحاكم والبيهقى عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام لأن يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى العقوبة ورواه ابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه ولفظه ادفعوا الحدود عن عباد الله تعالى ما وجدتم لها مدفعا هذا وفيما نحن فيه يمكن الجمع بين حمى العرض وبين الدرء بعرض التوبة عليه فان تاب والا قتل فيرتفع حينئذ الاشكال ويزول الاحتمال بالجواب والسؤال والله تعالى اعلم بالحال (وقد اختلف أئمتنا) اى المالكية (فى رجل اغضبه غريمه) اى طالب دينه (فقال له) غريمه (صل على النبى محمد فقال له الطالب) اى غريمه (لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى منتقصا له (او شتم الملائكة الذين يصلون عليه) صفة كاشفة وظاهره انه شتم لله وملائكته منطوقا ولرسوله ضمنا ومفهوما فان الله تعالى قال ان الله وملائكته يصلون على النبى وكان المصنف اقتصر على ذكر الملائكة لقوله لا صلى الله فان الظاهر منه المغايرة (قال) سحنون (لا) اى لا شتم هنا مطلقا (اذا كان) اى حال قائله (على ما وصفت) انت (من الغضب) اى من غضبه على مديونه (لانه لم يكن) حينئذ (مضمر الشتم) اى لا للنبى ولا لغيره من الملائكة وغيرهم بل المراد به امتناعه حينئذ من الصلاة المشعر ذكرها بالمساهلة فى المعاملة كما فى العرف والعادة حال المجادلة (وقال ابو اسحق البرقى) بفتح الموحدة (واصبغ بن الفرج) بالجيم (لا يقتل لانه انما شتم الناس) اى بظاهره لا اراد غيرهم بل اراد منهم بحسب لفظة الناس الموجودين لا الاتين والماضين لئلا يكون شتما للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم واصحابه الكرام والعلماء العظام والمشايخ الكرام والتعبير بالشتم فيه مسامحة لغوية اذ كلامه جملة دعائية وهذا قريب من اللغو فى العبارات العرفية (وهذا) الذى ذكرتهما (نحو قول سحنون) لانه يغايرهما ويعارضهما (لانه) اى سحنون (لم يعذره) بكسر الذال اى لم يسامحه (بالغضب فى شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ضمنا ولا فى شتم الملائكة

ظاهرا (ولكنه) اى الشأن (لما احتمل الكلام عنده) اى احتمالين فاحتاج الى قرينة مرجحة لاحد الحالين (ولم تكن معه) اى مع كلامه (قرينة تدل على شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا مقدمة) اى سابقة من قرائن المقال او الحال (يحمل عليها كلامه بل القرينة) الحالية (تدل على ان مراده الناس من غير هؤلاء) اى النبى والملائكة ففيه نوع تغليب وقد تصحف على الدلجى وتحرف فى اصله غيرها اى غير الملائكة (ولاجل) اى ولا مقدمة لاجل (قول الاخر) والصواب ان التقدير وهذه القرينة الحالية لاجل قول الاخر وهو غريمه (له صل على النبى حمل قوله وسبه) اى دعاءه عليه (لمن يصلى عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند غضبه) وهذا نظير ما قال علماؤنا فى يمين الفور من انها محمولة على وقت اليمين دون ما بعده على ان هذا احتمال آخر وهو ان يكون تقدير كلامه لا اصلى عليه انا فى هذه الحال صلى الله على من صلى عليه فى الماضى والاستقبال (هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه) اى لدليل البرقى واصبغ على ما تقدم (وذهب الحارث بن مسكين القاضى) قال الحلبى هذا فقيه مشهور اموى مولى مروان مصرى روى عن ابن عيينة وابن وهب وابن القاسم وسأل الليث وعنه ابو داود والنسائى وجماعة ثقة حجة عاش نيفا وتسعين سنة قال الخطيب كان ثبتا فى الحديث فقيها على مذهب مالك حمله المأمون الى بغداد ايام المحنة لانه لم يجب الى القول بخلق القرآن فلم يزل محبوسا الى ان ولى المتوكل فاطلقه فحدث ببغداد ورجع الى مصر وكتب اليه المتوكل بعهده على قضاء مصر (وغيره) اى من العلماء المالكية (فى مثل هذا) القول وهو لا صلى الله (الى القتل) لشموله ظاهرا شتم كل من صلى عليه من ملائكة وغيرهم (وتوقف ابو الحسن القابسى فى قتل رجل قال كل صاحب فندق) وهو بضم الفاء وسكون النون ودال المهملة تضم وتفتح الخان فى عرف اهل مصر وهو موضع يأوى اليه الغرباء كالتجار من المسافرين ومن ليس له قريب من المجاورين (قرنان) بفتح القاف فعلان وهو نعت سوء فى الرجل وهو الذى يتغافل عن فجور امرأته وابنته واخته وقرابته وهو المسمى بالديوث وقيل المراد به القواد (ولو كان نبيا مرسلا) ولعل وجه توقفه انه حمل كلامه على قصد المبالغة العرفية الشاملة للامور المحالية (فامر) اى القابسى (بشده) اى ربطه (بالقيود) اى الوثيقة (والتضييق عليه) بالانكال الثقيلة (حتى يستفهم البينة) اى يستخبر ما بين امره ويعين حاله الصادرة (عن جملة الفاظه) اى كلماته فى محاورته (وما يدل على مقصده) اى ارادته (هل اراد اصحاب الفنادق الآن) اى فى ذلك الزمان (فمعلوم انه ليس فيهم نبى مرسل فيكون امره اخف) اذ يمكن حمله على المبالغة وارادة اعتقاده انه من المحال فتعزيره اخف فى مقام التنكيل ويمكن حمله على انه يجوز كون نبى مرسل يظهر بعد نبينا عليه الصلاة والسلام فيكون امره اشد ولهذا قال بعض علمائنا ان من ادعى النبوة فقال له قائل اظهر المعجزة كفر (قال) اى القابسى (ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال) وفيه ان بعض الانبياء والرسل وان كانوا من اصحاب الاموال لكنهم لم يعرف مساكنهم فى الخانات وعلى تقدير التنزل فالكلام انما هو فى تجويز صدور مثل هذا الفعل الشنيع والعمل الفظيع من النبى المرسل فتأمل فانه من مواضع الزلل ولقد زل قلم الدلجى فى قوله هنا فلعل احدا منهم بنى فندقا لله تعالى تنزله المارة انتهى وفيه ان الكلام ليس فيمن بنى المقام وانما المراد بصاحب الخان خادم اهله وحافظ جمعه وحاشى مقام الرسل والانبياء عن مثل هذه الاشياء (قال) القابسى (ودم المسلم لا يقدم عليه) اى على سفكه (الا بامر بين) كما قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة رواه الشيخان وفى الجواهر من كتب اصحابنا من قال قتل فلان حلال او مباح قبل ان يعلم منه ردة او قتل نفس بآلة جارحة عمدا على غير حق او يعلم منه زنى بعد احصان كفر (وما ترد اليه التأويلات) اى وما يتصور فيه الاحتمالات (لا بد من امعان) وروى انعام (النظر) اى امعان التأمل والتفكر (فيه) اى فى امره ليظهر الوجه المرجح فى حقه (هذا معنى كلامه) اى كلام القابسى لا لفظه ومبناه وقال التلمسانى ما ذكره القاضى من ان الانبياء كانوا ذوى اموال قلنا ان اراد به صاحب المال فبين وان اراد به الحافظ والامين فلا يوجد نبى فعل ذلك لانه من اعظم النقائص فيكون معنى ذلك انه مثل كذا فهو كالاول لانه عيب ووصم فى سائر الناس فما بالك بالانبياء فيقتل قائل ذلك لانه شبه الكامل بالناقص وفى تشبيه الكامل بالناقص نقص ولم يبق الا سائر الناس فعليه فى ذلك الادب الشديد لان فيهم علماء واولياء واذاية سائر المسلمين توجب العقوبة والتعزير على قدر القائل والقول والمقول فيه (وحكى عن ابى محمد ابن ابى زيد رحمه الله تعالى) وفى نسخة عن ابن ابى زيد وهو ابو محمد القيروانى (فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله بنى اسرائيل ولعن الله بنى آدم) اى قال احد هذه الاقوال (وذكر انه لم يرد الانبياء) لامن

العرب ولامن بنى اسرآئيل ولامن غيرهم بل ولا العلماء والا تقياء (وانما اردت الظالمين منهم) والفاسقين فيهم (ان عليه الادب) اى التعزير (بقدر اجتهاد السلطان) اى الوالى والقاضى قال الدلجى ظاهره وان ادى الى التلاف وفيه انه ينافى الادب وهذا ماحكى عن ابن ابى زيد (وكذلك افتى) اى ابن ابى زيد ولا يبعد ان يكون مندرجا تحت قوله وحكى (فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال) اى وفيمن قال اوو الحال انه قال (لا اعلم من حرمه) ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وسيأتى الكلام عليه (وفى) اى وافتى ايضا فى (من لعن حديث لا يبع حاضر لباد) اى سوقى لبدوى (ولعن) اى وفيمن لعن (ماجاء به) من النهى عن بيعه له وفى نسخة صحيحة ولعن من جاء به وهذا مشكل جدا (انه) اى وافتى بانه (كان) وفى نسخة وهى ظاهرة ان كان (يعذر بالجهل وعدم معرفة السنن) اى المأثورة (فعليه الادب الوجيع وذلك) يحتمل ان يكون من كلام القاضى المؤلف او من كلام ابن ابى زيد فى توجيه افتائه (ان هذا) اى لان قائله او وسبب ذلك انه (لم يقصد بظاهر حاله) من اسلامه (سب الله ولا سب رسوله وانما لعن من حرمه من الناس) وفيه ان الذى حرمه من الناس هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سب على تقدير جهله وظنه ان المحرم انما هو بعض الناس من العلماء فمقتضى مذهبنا انه يكفر ففى الجواهر لو قال من يقدر على ان يعمل بما امر العلماء به كفر وذلك لانه يلزم منه تكذيب العلماء على الانبياء اللهم الا ان يحمل من حرمه على من تسبب بتحريمه (على نحو فتوى سحنون واصحابه فى المسألة المتقدمة) وهى من قال لا صلى الله الخ ولكن بينهما فرق بين يمنع صحة المقايسة (ومثل هذا) الاولى ونظير هذا الذى تقدم (ما) زائدة او موصولة وفى اصل الدلجى كثيرا ما (يجرى فى كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول) بضم الهاء وسكون الجيم اى فحشه واغرب الدلجى بان ادخل فيه قول بعضهم لبعض الاطفال يا ولد الزنى مع انه قذف صريح (ولا شك انه يدخل فى مثل هذا العدد) وفى نسخة فى هذين العددين (من آبائه واجداده جماعة من الانبياء) وفيه ان الظاهر من مقاله وقرينة حاله انه اراد به الكثرة لا حقيقة العدد وعلى سبيل التنزل فلا يدخل فيه جماعة من الانبياء لان الناس فى زماننا كلهم من نسل نوح عليه السلام ويتصور فى غير بنى ابراهيم انه لا يدخل احد من الانبياء فى آبائه واجداده بل وفى بنى اسرآئيل ايضا يجيء هذا البحث من المائة بل من الالاف وانما التوقف فى السادة الاشراف مع انه قد يقال انه يريد خلقته من نطفة جمع فساق اجتمعوا على وطئ امه فحينئذ يكون قذفا الا انه لاجل حصول الاحتمال يدرأ عنه الحد فى الحال (ولعل بعض هذا العدد منقطع) اى منفصل وفى نسخة ينقطع عند نسبه (الى آدم) بل الى نوح بل الى ابراهيم واولاده فلا محذور حينئذ فى كلامه وقد اغرب الدلجى بقوله اى متصل به من انقطع اليه ولم يركن الى غيره ومن ثم عداه بالى وليس بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه لعداه بعن وانت خبير بانه تعلق بتصحيح مبناه وغفل عن تصريح معناه فالوجه ما بيناه على ما قدمناه (فينبغى) اى فيجب مع هذا (الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه) وفى نسخة بتبيين جهل قائله (وشدة الادب) اى التأديب (فيه ولو علم) بالبناء للمفعول اى ولو عرف (انه قصد سب من فى آبائه احد من الانبياء) بالعدد الذى ذكره (على علم) منه به (لقتل) به وهذا واضح (وقد يضيق القول فى نحو هذا القول (لو قال احد لرجل هاشمى) اى من بنى هاشم بن عبد مناف بن قصى جد عبد الله ابى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لعن الله بنى هاشم وقال اردت الظالمين منهم) وهذا اذا كان لم يتصور وجود مائة اب او الف قبل وصولهم الى اسماعيل عليه السلام والا فلا يعرف هاشمى قبل الاسلام الا ظالم ثم لا يظهر قيد الهاشمى لان القرشى بل وغيرهم من العرب كلهم من نسل اسماعيل عليه السلام وحاصل كلام المصنف انه يؤدب وحمل الدلجى على انه من قبيل قول ابن ابى زيد فيمن قال لعن الله العرب او لعن بنى اسرآئيل وقال اردت الظالمين منهم دون الانبياء لان نبينا عليه الصلاة والسلام من المنسوبين الى هاشم وكذا على والحسن والحسين وحمزة وجعفر والعباس وغيرهم اللهم الا ان ارادوا اولاد هاشم من صلبه (وقال) اى ويضيق الامر اذا قال احد (لرجل) معروف النسب (من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قولا قبيحا فى آبائه او من) موصولة اى فيمن (نسله او ولده) بتخفيف السين واللام وقد يشددان والمعنى فيمن بذره او ولده ومن بمعنى الذى وفى نسخة من بكسر الميم على انه حرف جر دخل على نسله بسكون السين وولده بفتحتين او بضم فسكون (على علم منه) حال من ضمير قال والمعنى انه غير جاهل (انه من ذرية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم تكن قرينة فى المسئلتين) المتعلقتين بالقول القبيح فى آبائه ونسله وفى نسخة فى المسئلة اى المتقدمة (تقتضى تخصيص بعض آبائه) اى دون بعض (واخراج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن سبه منهم) والمعنى انه لا يوجد هنا قرينة دالة على قصد عمومهم ومن اللطائف ان بعض الاشراف قال لمن يخاصمه ويعاديه كيف تخالفنا وقد امرت بالصلاة علينا فقال له خرج منها امثالكم بقولى وعلى آله الطيبين الطاهرين وقد رأيت لابى موسى ابن

شاس فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضى رضى الله تعالى عنه (وقد كان) اى فى سابق الزمان (اختلاف شيوخنا) اى المالكية (فيمن قال لشاهد شهد عليه بشئ) جملة حالية ولا يبعد ان يكون نعتا لما قبله (ثم قال) اى الشاهد له (تتهمنى) اى أتتهمنى فى شهادتى او غيرها (فقال الآخر) اى المشهود عليه (الانبياء يتهمون) ان اراد بالكذب فهذا كفر صريح وان اراد ببعض المعاصى فلا لكن السياق قرينة للاول فتأمل (فكيف انت) اى انت اولى بان تتهم (فكان شيخنا ابو اسحق ابن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ) اى لكراهته وفى نسخة لشناعة بشين وعين اى لقبحه وان كان يمكن صرفه عن ظاهره بانهم متهمون ببعض المعاصى (وكان القاضى ابو محمد ابن منصور) اللخمى ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة (يتوقف عن القتل) اى احتياطا (لاحتمال اللفظ عنده) اى احتمالا بعيدا (ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار) اى بالكذب فى الاخبار (وافتى فيها) اى فى المسألة هذه (قاضى قرطبة) بضم القاف والطاء المهملة (ابو عبد الله ابن الحاج) اى التجيبى قتل بجامع قرطبة يوم الجمعة ظلما وهو ساجد وقتله رجل معتوه وقتلته العامة فى الموضع الذى قتله فيه وقد ضرب رحمه الله تعالى بسكين فى خاصرته وقيل قتل يوم الجمعة سادس عشر شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة ودفن بعد صلاة العصر قال الدلجى هو غير ابن الحاج صاحب المدخل (بنحو من هذا) اى توقف ابن منصور وفى نسخة بنحو هذا (وشدد القاضى ابو محمد) اى ابن منصور (تصفيده) اى توثيقه وتقييده (واطال سجنه ثم استحلفه بعد) اى حلفه بعد ان فعل به ذلك (على تكذيب ما شهد به عليه) من الحق (اذ دخل فى شهادة بعض من شهد عليه وهن) اى نوع طعن يوجب ضعف اعتماد وقلة اعتقاد (ثم اطلقه) اى من القيد وتركه وفيه ان هذا التحليف ليس له دخل فى اصل المقصود من المسألة فى تهمة بعض الشهود وانما الكلام فى نسبة التهمة الى ارباب النبوة اللهم الا ان يقال انه كان منكرا لهذه المقالة وثبت عليه بالبينة فى تلك الحالة الا ان بعض الشهود لم يكونوا مزكين (وشاهدت شيخنا القاضى ابا عبد الله) اسمه محمد (ابن عيسى) اى ابن حسين التميمى ولد سنة تسع وعشرين واربعمائة وقد تفقه المصنف به (ايام قضائه اتى برجل هاتر رجلا اسمه محمد) اى قال له سفها من القول يقال هتر العرض اى مزقه وقال ابن الاثير ومن قبله الهروى فى الغريبين واللفظ للثانى المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان اى يتقاولان ويتقابحان فى القول (ثم قصد الى كلب هنالك) زيادة على ذلك (فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف) اى جمع كثير (من الناس) اى من قبائل شتى ومنه قوله تعالى جئنا بكم لفيفا اى مجتمعين مختلطين (فامر به الى السجن) بكسر السين اى الى ادخاله فيه وفى نسخة بفتحها اى الى حبسه (وتقصى) بقاف وصاد مهملة مشددة اى استقصى وبالغ فى التفحص والبحث (عن حاله) ليظهر منه حقيقة مقاله (وهل يصحب من يستراب بدينه) اى يشك فى اسلامه من ذمى ونحوه (فلما لم يجد) اى ابن عيسى (عليه ما يقوى الريبة) اى التهمة والشبهة (باعتقاده ضربه بالسوط) وفى نسخة بالسياط تعزيرا له حيث خاطب الكلب بالاسم الشريف ولم يظهر منه ما يدل على انه اراد الاهانة بالنبى المنيف (واطلقه) ولم يقتله

(فصل)

(الوجه الخامس ان لا يقصد) اى فى مجمل قوله (نقصا) لنبيه (ولا يذكر عيبا) فى امره (ولا سبا) اى شتما اوذما فى حقه (لكنه) فى محتمل كلامه (ينزع) اى يميل وينجذب (بذكر بعض اوصافه) عليه الصلاة والسلام الى ما يصرفه عن ان يفهم منه نقص اوذم فى اثناء الكلام (او يستشهد) فى بعض ما قاله (ببعض احواله عليه الصلاة والسلام الجائزة عليه فى الدنيا) مما سبق بيانه وتقدم برهانه (على طريق ضرب المثل) متعلق بيستشهد (والحجة لنفسه او لغيره على التشبه به) اى فى قوله عليه الصلاة والسلام او فعله (اوعند هضيمة) اى نقيصة عظيمة (نالته) اى اصابته (اوغضاضة) بالغين والضاد المعجمتين اى مذلة وحقارة (لحقته) حصلت له عليه الصلاة والسلام (ليس على طريق التأسى) اى الاقتداء به (وطريق التحقيق) اى الاهتداء به (بل على مقصد الترفيع) بالفاء اى على جهة اعلائه (لنفسه) فى ابتلائه (او لغيره) من نحو آبائه او ابنائه (او على سبيل التمثيل) اى التشبيه لنفسه او لغيره به عليه الصلاة والسلام (وعدم التوقير) اى التبجيل والتعظيم فى تمثيله (لنبيه عليه الصلاة والسلام اوقصد الهزل) بصيغة الماضى او المصدر المضاف (والتندير) مصدر ندر بدال مهملة مشددة ومعناه الاسقاط اى اوقصد الساقط من القول او الفعل (بقوله) ويجوز ان يكون من مادة الندور وهو الشذوذ فالمراد الاتيان بنادر من قول او فعل بشئ غريب والحاصل انه خلاف التشهير مما يقتضى التعظيم والتوقير ووقع فى اصل الدلجى بالموحدة والذال المعجمة والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى حيث قال اى الاعلام بقوله وقال التلمسانى وعند الشارح التنديد بالدال اى

فى آخره قال وهو كالغيبة يقال ندد بفلان اذا قال فيه كلمة سوء قال الجوهرى يقال ندد به اى شهره وسمع به ومعناهما متقارب انتهى ولا يخفى انه تصحيف ايضا لان هذا وقع سجعا فى مقابلة قوله التوقير فيتعين ان يكون براء فى اخره والله تعالى اعلم بباطنه وظاهره (كقول القائل ان قيل فى) بتشديد الياء اى ان ذكر فى حقى (السوء) بفتح السين وضمها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى عليهم دائرة السوء وروى هنا بأل وبدونها (فقد قيل فى النبى) اى السوء بمثل ما يسوءه ويحزنه (اوان كذبت) بتشديد الذال مجهولا (فقد كذب الانبياء) وهذا وما قبله له محمل حسن اذ الظاهر انه اراد به التسلية بهم فى مقام الاقتداء ومرام الاهتداء بالصبر على اقوال الاعداء ورميهم للناس بالاشياء من الاسوآء واما قوله (اوان اذنبت فقد اذنبوا) ففى خطر عظيم لعصمة الانبياء لاسيما وقد غفر لهم ما كان فى صورة المعصية وظهر منهم الاوبة فى مقام التوبة فلا يذكر الذنب المعفو بلا شبهة فى مقابلة الذى هو حقيقة المعصية وان تاب صاحبه عنه فهو تحت المشيئة لعدم صحة شرائط التوبة فلا يقاس الصعلوك بالملوك (أوانا) اى وانا (اسلم من السنة الناس) اى من ان ينسبوا الى مالم افعله (ولم تسلم منهم انبياء الله ورسله) كما قال قائل

ولا احد من السن الناس سالم * ولو انه ذاك النبى المطهر

(اوقد صبرت كما صبر اولوا العزم) وهذا خطأ فاحش عند اولى الحزم بل يوهم انه فضل نفسه على بعض الانبياء الذين قيل فى حقهم انهم ليسوا من اولى العزم كادم عليه السلام لقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما وكيونس عليه السلام لقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت (اوكصبر ايوب) وهذا كذب ومجازفة فى القول (اوقد صبر نبى الله عن عداه) بكسر العين اسم جمع لعدو اى عن اعدائه ويروى على عداه (وحلم) بضم اللام اى تحمل (على اكثر مما صبرت) اى تحملت عليه (وكقول المتنبى) وهو ابو الطيب الجعفى الكوفى الشاعر الاديب المجيد الاريب صاحب الديوان المعروف وله من بدائع الشعر وحكمه اشياء عجيبة مشتملة على آداب وغيرها من امور غريبة ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة ونشأ بالشام والبادية وقال الشعر فى صغره واعتنى الفضلاء بشرح ديوان شعره قال السمعانى فى انسابه انما قيل له المتنبى لانه ادعى النبوة فى بادية السماوة وتبعه كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ امير حمص بالاخشيدية فاسره وفرق اصحابه وسجنه طويلا ثم اشهد عليه انه تاب وكذب نفسه فيما ادعاه فاطلقه ثم طلب الشعر وقاله فاجاد وفاق اهل عصره فى حسن شعره واتصل بسيف الدولة بن حمدان فاكثر مدحه ثم سار الى عضد الدولة بفارس ومدحه وعاد الى بغداد فقتل فى طريقه بالقرب من النعمانية فى شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقيل انما قيل له المتنبى لانه قال (انا فى امة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود) وفيه انه لا يلزم من هذا التشبيه دعوة النبوة والرسالة فى مقام التنبيه وجملة تداركها الله دعائية معترضة وقبله

مامقامى بارض نخلة الا * كمقام المسيح بين اليهود

(ونحوه) بالرفع اى ومثل شعره ويجوز جره اى وكقول نحوه (من اشعار المتجرفين) اى المتجازفين المفرطين فى المدح بحيث لم يبالوا فى كلامهم ولم يحموا فى اديانهم وعقائدهم (فى القول المتساهلين فى الكلام كقول المعرى) بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء وهو ابو العلاء اللغوى الشاعر المشهور كان متضلعا من فنون الادب وله من النظم لزوم مالا يلزم فى خمس مجلدات وذكر ان له كتابا سماه الايك والغصون يقارب مائة جزء فى الادب ايضا ومكث مدة خمس واربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا لانه كان يرى رأى الحكماء توفى ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين واربعمائة بالمعرة وكان مرضه فى ثلاثة ايام وقبره فى ساحة من دور اهله ذكره ابن خلكان وذكره الذهبى فى الميزان فقال روى جزأ عن يحيى بن مسعر عن ابى عروبة الحرانى وله شعر يدل على الزندقة سقت اخباره فى تاريخى الكبير انتهى وفى حاشية التلمسانى قال القراوى فى كتاب اقتراح السميرى فى شرح مقامات الحريرى يزعمون انه منتحل لمذهب البراهمة مدمن على اعتقاده وفى اشعاره واسماعه ما يدخل القلب منه ريبا منها قوله (كنت) بالخطاب (موسى وافته) اى من الموافاة اى اتته (بنت شعيب) واختلف فى اسمها (غيران ليس فيكما من فقير) فانه شبه فيه ممدوحه وزوجته بموسى عليه السلام وامرأته وهى بنت نبى جهلا منه برفيع شأنهم وبديع مكانهم (على ان آخر البيت) اى مع ان عجزه (شديد) فى القبح عند تدبره لان مضمونه التعبير لموسى بفقره (وداخل فى باب الازرآء) اى الاحتقار والانتقاص (والتحقير بالنبى) اى الكليم (عليه الصلاة والسلام وتفضيل حال غيره) من الامرآء الاغنياء (عليه) وسبب هذا كله التوصل للاغراض الدنية والاعراض الفانية والاعراض عن الدار الباقية بانخفاض الانبياء ورفع السخفاء (وكذلك) اى ومثل هذا الازرآء فى حق الانبياء

(قوله)

(قوله) اى شعر ابى العلاء المعرى المعرى عن مقام الثناء (لولا انقطاع الوحى بعد محمد قلنا محمد) بالضم (من ابيه بديل) لغة فى بدل كمثل ومثيل وشبه وشبيه (هو مثله فى الفضل الا انه * لم يأته برسالة جبريل) قال التلمسانى اجترأ على الله ورسوله فى قوله من ابيه فاثبت له ابوة والله تعالى يقول ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين فكذب كتاب الله وجعل الفضل متساويا وهو كما قال الغزالى شبه الملائكة بالحدادين من شبه من ليس بشئ برسول الله صلى الله عليه وسلم بل جعله مساويا له وهو محمد بن الرشيد العباسى (فصدر البيت الثانى من هذا الفصل) بالصاد المهملة اى النوع من الكلام (شديد) اى فى مقام قبح المرام وشدة الملام (لتشبيهه غير النبى فى فضله بالنبى والعجز) اى وآخر البيت الثانى (محتمل لوجهين) وفى نسخة محتمل الوجهين وفى اخرى يحتمل الوجهين اى احدهما اقبح من الآخر (احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح) بتشديد القاف اى خفضته عن رفيع مقام النبى (والاخر استغناؤه عنها) اى عن رسالة جبريل عليه السلام (وهذه) الارادة (اشد) كفرا من الاحتمال الاول فتأمل وان كان الاحتمال الاول هو الاظهر فتدبر (ونحو منه قول الآخر) قال الحلبى لا اعرفه وقال التلمسانى هو لابن هانى انتهى والاول اظهر والاقال قوله الآخر (واذا ما رفعت راياته * صفقت بين جناحى جبرئيل) وفى نسخة جبرئين بالنون وهو لغة كما يقال فى اسرائيل واسماعيل ونحوهما وما زائدة ورفعت مبنى للمجهول والرايات جمع راية وهى العلم وصفقت بتشديد الفاء من التصفيق بمعنى التصويت والتضعيف للتكثير وفى نسخة خفقت والمعنى اضطربت برياح النصر وهذا اجترآء على هذا الملك العظيم (وقول الآخر من اهل العصر) اى زمن المصنف قال الحلبى لا اعرفه (فر من الخلد واستجار بنا * فصبر الله قلب رضوان) بكسر الراء وضمها اى خازن الجنة قال الدلجى اى على فراقه اذ لم يجاوره فيه وهذه مجرفة كاذبة وقال التلمسانى استجار من الجوار اى لجأ اليه وسأله الاستنقاذ انتهى ومع هذا كله لم يتبين خلاصة المعنى من هذا المبنى حتى يتفرع عليه مذمة من كفر او فسق على ما لا يخفى (وكقول حسان) يصرف ولا يصرف (المصيصى) نسبة الى مصيصة كسفينة بلد بالشام ولا يشدد كذا فى القاموس وقال التلمسانى بكسر الميم يخفف ويشدد وقيل لا يصح التشديد وقيل ان كسر شدد وان فتح خفف وقيل بكسر الميم ويخفف وبفتح ويخفف وهو موضع من ثغور الشام (من شعرآء الاندلس) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الدال ويضم وضم اللام وفى نسخة شعار الاندلس على انه مبالغة شاعر (فى محمد بن عباد) بتشديد الموحدة وكنيته ابو القاسم من ملوك الاندلس (المعروف بالمعتمد) بكسر الميم الثانية اى المعتمد بالله تعالى توفى فى السجن سنة ثمان وثمانين واربعمائة له قصة عجيبة مذكورة فى تاريخ ابن خلكان (ووزيره) اى وفى وزيره ومشيره (ابى بكر ابن زيدون) يصرف ويمنع (كان ابا بكر ابو بكر الرضى * وحسان حسان وانت محمد) اى كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر ابن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصى حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكانك انت الممدوح محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اطال الشراح تبعا للمصنف على هذا المقال لكن لا يخلو عن نوع من الاشكال فانه لا يلزم من التشبيه التسوية فى الكمال بل من القاعدة المقررة ان المشبه به اقوى فى جميع الاحوال كما هو مقرر فى زيد الاسد الذى هو ابلغ من زيد كالاسد ومنه قولهم ابو يوسف ابو حنيفة ويقال وجه فلان كالبدر او الشمس او القمر وامثال ذلك فتدبر وكان المصنف رحمه الله اراد سد باب الذريعة ليحذر الناس عن المقالات الشنيعة (الى امثال هذا) اى الذى ذكرناه من المتجرفين (وانما كثرنا) بتشديد المثلثة وفى نسخة اكثرنا (بشاهدها مع استثقالنا حكايتها) اى روايتها على ان نقل الكفر ليس بكفر لكن صيانة الالسنة عنه اولى الا لضرورة داعية (لتعريف امثالها) وفى اصل التلمسانى لتعرف بها امثلتها وروى لتعرف امثلتها والتعريف امثلتها (ولتساهل كثير من الناس) اى من الشعرآء وغيرهم (فى ولوج هذا الباب الضنك) بفتح الضاد المعجمة وسكون النون اى دخول هذا الطريق الضيق فى المعيشة وغيرها ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا وقيل الطريق المظلم ويلائمه قوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى (واستخفافهم فادح هذا العبء) بكسر العين المهملة وسكون الموحدة بعدها همزة الحمل والفادح بالفاء وكسر الدال والحاء المهملتين المثقل اى وعد الناس ثقل هذا الحمل خفيفا (وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر) اى الاثم الثقيل (وكلامهم منه بما) وفى نسخة وكلامهم فيه بما (ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم) وهذا مقتبس من قوله تعالى اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا اى صغيرة وهو عند الله عظيم اى كبيرة وقد جزع بعض الاكابر عند موته فقيل له لم جزعت فقال اخاف ذنبا لم يكن منى على بال قلت وتم ما قيل وجود لك ذنب لا يقاس به ذنب (لاسيما الشعرآء) الذين ورد فى حقهم والشعرآء يتبعهم الغاوون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد

ماظلموا وقليل ماهم وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال التلمسانى لاسيما يشدد ويلزمه الواو وقيل لا ويخفف ولا واو وقيل بالواو وبدونها يخفف ويشدد ويقال لاسواها وما بعد لاسيما معرفة فيجر ويرفع وينصب وقيل النصب فيه لا يصح ونكرة فالثلاثة والمختار ان ما زائدة وسى مضاف لما بعده والرفع خبر لمحذوف وما موصولة او نكرة موصوفة وهو ضعيف فى المعرفة قيل وينصب المعرفة ووجهه ان ما كافة ولاسيما كذلك فى الاستثناء وهو ضعيف لان الاستثناء اخراج وهذا فيه ادخال هذا وقد قيل الشعراء امراء الكلام يصرفونه حيث شاؤه وجاز لهم مالا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومد مقصوره وقصر ممدوده والجمع بين لغاته والتأنق فى صفاته وقيل الاقتصاد محمود الامنهم والكذب مذموم الامنهم وقيل اياكم والشاعر فانه يطلب على الكذب مثوبة ويقرع جليسه بادنى زلة ولذا قيل فيهم

الكلب والشاعر فى رتبة * ياليت انى لم اكن شاعرا

اقول بل الكلب احسن منه كما اشار اليه الشاطبى بقوله

وقد قيل كن كالكلب يقصيه اهله * وما يأتلى فى نصحهم متبذلا

والمشهور ان فيه عشر خصال من خصال رجال الابدال ما اظن ان واحدة منها توجد فى شاعر الحال (واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا) اى ارسالا واطلاقا من غيران يكون تلويحا (ابن هانئ) بكسر النون فهمز وقد يسهل (الاندلسى) قال الحلبى هو ابو القاسم محمد الازدى وكان ابوه هانئ من قرية من قرى المهدية وولد بمدينة اشبيلية ونشأ بها واشتغل وحصل له حظ وافر من الادب وعمل الشعر فمهر فيه وكان حافظا لاشعار العرب واخبارهم وكان متهما بمذهب الفلاسفة توجه الى مصر ثم عاد الى المغرب فلما كان ببرقة اضافه شخص فاقام عنده اياما فعربدوا عليه فقتلوه وقيل بل وجد مخنوقا وقيل بل نام فوجد ميتا وذلك سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وهو فى المغرب كالمتنبى فى المشرق وكانا متعاصرين ذكره ابن خلكان (وابن سليمان) وفى نسخة وابو سليمان المعرى بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف بالدين والنقص بالنبى (وصريح الكفر) بالله (وقد اجبنا عنه) اى عن كلامهما وما يترتب على مقامهما فيما مضى وفى هذا تنبيه نبيه على انه يحرم سماع شعرهما وامثالهما كما يحرم مطالعة كتب ابن عربى بل ومطالعة الكشاف ونحوهما حذرا من دسم فى كلامهما ما يعد من سمهما فى دسمهما كما الفت فى كفريات ابن عربى مما يتعلق بتوحيد الله تعالى اونقص النبى رسالة مستقلة (وغرضنا الآن) هو (الكلام فى هذا الفصل الذى سقنا امثلته) نظما ونثرا (فان هذه) الامثلة (كلها وان لم تتضمن سبا) اى ذما صريحا (ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا) اى عيبا قبيحا (ولست اعنى) اى اريد بهذا النفى (عجزى بيتى المعرى) فانه كفر واضح والحاد لائح واما قول الدلجى ولست اعنى عجزى بيتى المعرى فقط بل جميع ما ذكرناه من الامثلة فخطأ فاحش من جهة لزوم التسوية ثم الجملة حالية معترضة بين المتعاطفين مما قبلها وما بعدها وهو قوله (ولا قصد قائلها ازراء) اى احتقارا (وغضا) اى انتقاصا كالمعرى لكن مع ذلك ما قام بحق الكلام فيما هنا لك (فما وقر النبوة) اى ما بجلها ولا صاحبها (ولا عظم الرسالة) ولا مرسلها (ولا عزر) بتشديد الزاى وفى آخره راء اى ولا قوى (حرمة الاصطفاء ولا عزز) بتشديد الزاى الاولى (حظوة الكرامة) بضم الحاء المهملة ويكسر وسكون الظاء المعجمة اى المرتبة المكرمة والمنزلة المعظمة (حتى شبه) من الممدوحين من الامراء والوزراء (من شبه) بما ذكر من الانبياء والاصفياء (فى كرامة نالها) اى لاجل جائزة اصابها من ممدوحه (او معرة) اى مصيبة او منقصة او مشقة (قصد الانتفاء منها) والتبرى عنها (او ضرب مثل) لكشف المراد (لتطييب مجلسه) اى لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا فى مجالسته ومخالطته ومصاحبته ومكالمته (او اغلاء) بعين مهملة اى رفع ومبالغة وبغين معجمة اى مغالاة ومجاوزة فى مقالات (فى وصف لتحسين كلامه) وتزيين مرامه (بمن عظم الله خطره) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اى منزلته (وشرف قدره) اى مرتبته من انبيائه واصفيائه (والزم) كل احد (توقيره) اى تعظيمه (وبره) بطاعته له وانقياده اكتسابا واجتنابا بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول (ونهى عن جهر القول له) بقوله سبحانه وتعالى ولا تجهروا له بالقول (ورفع الصوت عنده) اى حيا وميتا بقوله عز وجل لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى قال الدلجى اى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو موهم ان هذا مختص به وليس كذلك فانه يشمله وغيره فمن ادرك عيسى عليه السلام فيجب عليه ان يكون معه كذلك فى مقام الاكرام بل ويؤخذ منه التأدب مع العلماء الاعلام والمشايخ الكرام والقضاة الفخام بل مع الوالدين وسائر صلحاء الانام (فحق هذا) القائل الذى لم يقصد بقوله نقصا ولم يذكر عيبا ولا سبا لكن كلامه بذكر بعض اوصافه ينزع الى ما يصرفه عن ان تفهم منه سبا ونقصا (ان درئ) اى دفع (عنه القتل) اى احتياطا (الادب) بضرب وجيع وتوبيخ فظيع (والسجن) اى فى مكان شنيع بحسب حاله (وقوة تعزيره) اى شدة تأديبه وتشهيره (بحسب شنعة مقاله)

بضم

بضم فسكون نون اى نكارته (ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته) اى دأبه (لمثله) اى لمثل ما نطق به (او ندوره) بضمتين اى مخلوف عادته (وقرينة كلامه) حالية او مقالية (او ندمه) اى او بحسب ظهور ندامته (على ما سبق منه) وصدر عنه (ولم يزل المتقدمون) من العلماء والامراء (ينكرون مثل هذا) المدح الموهم للقدح (ممن جاء به) من الشعراء (وقد انكر الرشيد) وهو هارون من احفاد العباس (على ابى نواس) بضم النون فهمزة ويبدل كان والده مولى الجراح ابن عبد الله الحكمى والى خراسان ولد بالبصرة ونشأ بها ثم خرج الى الكوفة ثم صار الى بغداد ديوانه معروف توفى سنة خمس وتسعين ومائة ببغداد ودفن فى مقابر الشونيزية ومن جيد شعره قوله فى نعت النرجس

تأمل فى نبات الارض وانظر * الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين جاريات * على اطرافها الذهب السبيك

على قضب الزمرد شاهدات * بان الله ليس له شريك

وقال اسحق التمار رأيت ابا نواس فيما يرى النائم فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى فانكرت ذلك فقلت ألست ابا نواس قال نعم غفر لى ربى بابيات قلتها وهى فى البيت تحت رأسى فقال فبكرت الى ابنه فسألته عن الرقعة فادخلنى الدار فرفعت الحصر فاذا رقعة مكتوب فيها بخطه

يارب ان عظمت ذنوبى كثرة * فلقد علمت بان عفوك اعظم

ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذى يدعو ويرجو المجرم

مالى اليك وسيلة الا الرجا * وجميل ظنى ثم انى مسلم

ادعوك رب كما امرت تضرعا * فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم

هذا وانما انكر الرشيد (قوله فان يك باقى سحر فرعون فيكموا * فان عصا موسى بكف خصيب) بخاء معجمة وصاد مهملة اى رحيب الجانب كريم على الاقارب والاجانب قال التلمسانى وعند الشارح ان المراد بخصيب عامل لبعض الملوك العباسيين وهو المأمون بن الرشيد وروى خضيب بالخاء والضاد المعجمتين يقال كف خضيب مختضب بالحناء اى ان يكن فى مملكتكم ارض مصر بقية من سحر فرعون فلا هى تجدى نفعا مع وجود عصا موسى بكف اميرها خصيب تلقف ما يأفكون ولا شبهة انه ما اراد به اثبات النبوة لممدوحه الآن فى كلامه استعارة نوع من الموهمة فى ظاهر العبارة هنالك فوبخه بذلك (وقال له يا ابن اللخناء) بفتح اللام وسكون الخاء المعجمة فنون فالف ممدودة من اللخن وهو النتن اى يا ابن المنتنة (انت المستهزئ) اى المستحقر (بعصا موسى) بجعلك اياها بكف خصيب (وامر باخراجه عن عسكره فى ليلته) وفى نسخة من ليلته (وذكر القتيبى) بضم القاف وفتح الفوقية قال الحلبى انه عبد الله بن مسلم بن قتيبة وفى نسخة بضم العين المهملة وسكون الفوقية (ان مما اخذ عليه) اى انكر على ابى نواس (وكفر فيه) وفى نسخة بتشديد الفاء مجهولا وفى نسخة به اى بسببه (او قارب) اى قرب ان يكفر او يكفر (قوله فى محمد الامين) اى ابن هارون الرشيد بن المهدى وتوفى الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة فبويع للامين بالخلافة فى عسكر الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها الرشيد وكان المأمون حينئذ بمرو وكتب صالح بن الرشيد الى اخيه الامين بوفاة الرشيد مع رجاء الخادم فارسل معه خاتم الخليفة والبردة والقضيب ولما وصل الى الامين ببغداد اجيزت له البيعة ببغداد وتحول الى قصر الخلافة ثم قدمت عليه زبيدة امه من الرقة ومعها خزائن الرشيد فتلقاها ابنها الامين بالاقبال ومعه جميع وجوه بغداد وقضاياه مشهورة قتل سنة ثمان وتسعين ومائة وكانت خلافته اربع سنين وثمانية اشهر وكسرا (وتشبيهه) اى ابى نواس (اياه) اى محمد الامين (بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم حيث قال) وفى نسخة فى الشعر (تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها) اى تشابها (خلقا وخلقا كما قد الشراكان) الشبه بكسر الشين وسكون الموحدة لغة فى شبه بفتحتين والخلق بفتح اوله ظاهر الخلقة وبضمه باطنها واراد بهما الصورة والسيرة يقال هذا شبهه وشبهه اى شبيهه وقد بضم القاف وتشديد الدال المهملة اى قطع وقدر والشراك بكسر الشين سير النعل واراد المبالغة فى استوائهما فى الفضل وهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح الا ان يدعى انه اراد بالاحمد غير محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانه عدل عن المحمدين الى الاحمدين ليستقيم الوزن ولعله اراد بالسيرة صفة الامانة ولكن بين الامينين بون بين وانما حمله على مقاله صورة موافقة الاسمين والوصفين (وقد انكروا) اى العلماء او الامراء او هما جميعا (ايضا عليه قوله) اى على ابى نواس وفى نسخة على الآخر وهو اصل التلمسانى وقال هكذا روى وصوابه عليه لانه قوله وقال الحلبى وفى نسخة على الآخر وفى نسخة عليه وهو الصحيح اذ قد صرح السهيلى فى روضه بانه من

قول ابى نواس (كيف لايدنيك من امل) اى كيف لايقربك من رجائك (من رسول الله من نفره) بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اى من رهطه وعشيرته وقرابته واما اطلاق النفر على الخادم فحادث وانما انكروا عليه (لان حق الرسول) اى رسول الله (وموجب تعظيمه) بفتح الجيم اى مقتضى تكريمه وابعد الدلجى فقال بكسر الجيم اى مايوجب ترغيبا فى تعظيمه (وانافة منزلته) اى رفعة مرتبته (ان يضاف) اى ينسب غيره (اليه) اى الى شرف نسبه وكريم حسبه (ولا يضاف) اى هو الى احد وفى نسخة الى غيره والا فالاضافة النسبية وغيرها كلها نسبية وقد يعتذر لقائله بصيغة القلب كما فى قولهم عرضت الناقة على الحوض لاسيما فى ضرورة الشعر الا انه فى حقه عليه الصلاة والسلام لايعذر بمثل هذا الكلام وحكى عن على بن الاصغر وكان من رواة ابى نواس قال لما عمل ابو نواس قصيدة

ايها المنتاب عن عفره * انشدنيها فلما بلغ قوله

كيف لايدنيك من امل * من رسول الله من نفره

وقع لى انه كلام مستهجن فى غير موضعه اذ كان حق رسول الله ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى احد فقلت له أعرفت عيب هذا البيت قال مايعيبه الا جاهل بكلام العرب انما اردت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من القبيل الذى هو الممدوح منه * اما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الاسلام

وما زال فى الاسلام من دين هاشم * دعائم عز لاترام ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن امه * على ومنهم احمد المتخير

قال الحلبى نقلا عن السهيلى ان البهاليل جمع بهلول وهو الوضىء الوجه مع طول وقوله ومنهم احمد المتخير قد عابه بعض الناس لما اضاف احمد المتخير اليهم وليس بعيب لانها ليست باضافة تعريف وانما هو تشريف لهم حيث كان منهم وانما ظهر العيب فى قول ابى نواس كيف لايدنيك البيت لانه ذكر واحدا واضاف اليه قال التلمسانى وانما اراد التخلص بحجة ما فى رواية اقول لما قيل الغريق يتعلق بكل حشيش واما قول الانطاكى ويستند ايضا بقول حسان هذا على جواز التقديم والتأخير فى الواو فانه بدأ فى اللفظ بجعفر ثم جاء بعده بعلى ثم بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو المقدم فى الحقيقة ففيه ان هذا من قبيل الترقى لا التدلى (فالحكم فى امثال هذا) الذى اوردناه وفى نسخة فى مثل هذا قال التلمسانى هو انسب (ما بسطناه) اى ما فصلناه وبيناه (من) وفى نسخة فى (طريق الفتيا) بضم الفاء لغة فى الفتوى بفتحها وهما مشهورتان كما ذكره النووى يعنى ان كلا يقضى عليه بحسب ما ظهر منه وصدر عنه (وعلى هذا المنهج) الذى سلكناه والمعنى على طبقه ووفقه (جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه) اى اتباعه ممن ادركه وغيره (ففى النوادر من رواية ابن ابى مريم) اى الجمحى البصرى ابو محمد الحافظ يروى عن الليث وطائفة وعنه ابن معين وابو حاتم وجماعة ثقة اخرج له الائمة الستة (عنه) اى عن مالك (فى رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرنى) اى بالفقر كما فى نسخة اى أتعيرنى به (وقد رعى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الغنم) قال الدلجى على قراريط لقريش والمحققون انه عليه الصلاة والسلام لم يرع لاحد بالاجرة وانما رعى غنم نفسه وهذا لم يكن عيبا فى قومه كما يعرف من رعى بنات شعيب ورعى موسى عليهما السلام بل قيل كل نبى رعى الغنم والله تعالى اعلم ليتدرب على رعاية الامة بوجه الترحم كما اشار اليه بقوله كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داود والترمذى عن ابن عمر وسيأتى زيادة الكلام على هذا المرام وقد حكى ان موسى عليه السلام رأى شاة شاردة فتبعها ليردها فزادت فى شرادها وتنفرها حتى بعدت عن قطيعها فلحقها فحملها على كتفه رحمة لها فنودى فى الملكوت بين المقربين أيصلح هذا العبد ان يكون من الانبياء والمرسلين فقالوا نعم يارب العالمين ويا ارحم الراحمين هذا واما رواية رعى بقراريط فقالوا انه اسم موضع (فقال مالك قد عرض) بتشديد الراء اى لوح (بذكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غير موضعه) اللائق به (ارى ان يؤدب) قال الانطاكى روى انه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين لذلك المنافق الذى قال ألا ترون صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل ويلك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا والحديث فى الكشاف وفيه دليل على جواز اطلاق اسم الراعى على الانبياء وان ذلك لايستوجب التأديب اذا لم يقصد القائل به منقصة ولعل هذا الحديث لم يبلغ مالكا اولم يصح عنده انتهى ولا يخفى ان الحديث اذا لم يصح عنده كيف يخفى عليه ان موسى رعى الغنم (قال) اى مالك (ولا ينبغى لاهل الذنوب اذا عوتبوا) فيما صدر عنهم من خطأ فى قول

اوفعل (ان يقولوا) فى جواب العتاب (قد اخطأت الانبياء قبلنا) فان هذا خطأ من وجوه اذ لا يقاس الحدادون بالملائكة فان خطأ الانبياء ما كانت الازلات نادرة فى بعض اوقات تسمى صغائر بل خلاف الاولى بل حسنات بالنسبة الى سيئات غيرهم وهى مع هذا ممحوة بتوبة عقيبها وتحقق قبولها كما اخبر الله بها بخلاف ذنوب الامم فانها شاملة للكبائر وغيرها عمدا وخطأ واستمرارا وعلى تقدير توبتهم لايعرف تحقق شروط صحتها وقبولها بل ولا يدرى خاتمة امر صاحبها بخلاف الانبياء فانهم معصومون من الاصرار على المعصية ومأمونون من سوء الخاتمة فلا تصح هذه المقايسة (وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبى عليه السلام كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لاتكتب لى ابدا) وهذا يوافق ما قال امامنا فى الفقه الاكبر ان والدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماتا على الكفر وقد كتبت فى هذه المسألة رسالة مستقلة ودفعت فيها ما ذكره السيوطى من الادلة على خلاف ذلك فى رسائله الثلاث لكن لايجوز ان يذكر مثل هذا فى مقام المعيرة (وقد كره سحنون ان يصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب) اى قصده (والاحتساب) اى طلب الاجر (توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله) بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما (وسئل القابسى عن رجل قال لرجل قبيح) اى صورته (كانه وجه نكير) هو احد ملكى سؤال القبر والآخر منكر وانما سميا بذلك لانهما يأتيان العبد بهيئة منكرة وصورة مغيرة امتحانا من الله لعبده فى المقبرة (ولرجل) اى او قال رجل لرجل (عبوس) اى وجهه وجبينه (كانه) اى وجهه (وجه مالك الغضبان) على اهل العصيان وهو خازن النار قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون وروى ملك بدون الالف وصوابه ان يكونا بالتنوين وغضبان نعتهما (فقال) اى القابسى (اى شئ) بالرفع ويجوز نصبه اى ما الذى (اراد بهذا) الكلام (ونكير احد فتانى القبر) بتشديد الفوقية اى احد الممتحنين فى القبر والجملة معترضة حالية وكذا قوله (وهما) اى نكير ومنكر او نكير ومالك (ملكان) من جملة الملائكة المقربين ولما طال الفصل بالجملتين اعاد الكلام بقوله (فما الذى اراد اروع) بفتح الراء اى اخوف وفزع (دخل عليه) اى على القائل (حين رآه) اى المقول له وفى نسخة اذ رآه (من وجهه) متعلق بدخل اى من جهة هيبة وجهه (ام عاف النظر اليه) اى كره رؤيته لديه ووقوع بصره عليه وفى نسخة عاب بدل عاف (لدمامة خلقه) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة اى حقارة صورته (فان كان) مراده (هذا) اى القصد الثانى (فهو شديد) فى التنكير (لانه جرى مجرى التحقير والتهوين) الذى يوجب التكفير وفى نسخة التوهين (فهو) اى هذا القائل بهذا المعنى وفى نسخة فهذا (اشد عقوبة) اى يستحق ان يعاقب اشد عقوبة من القائل بالمعنى الاول (وليس فيه تصريح السب للملك) والا فكان موجبه القتل (وانما السب واقع على المخاطب) الا انه يستحق التأديب لما فى تشبيهه من قلة الادب (وفى الادب بالسوط) اى بالضرب به (والسجن) اى حبسه (نكال) اى عبرة (للسفهاء) وعقوبة تمنعهم عن مثل هذه الاشياء فان السجن قبر الاحياء ومن احسن ما قيل فى باب السجن قول بعضهم

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها * فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى

اذا جاءنا السجان يوما لحاجة * فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالدنيا فجل حديثنا * اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا

ثم من الفاظ المكفر رجل قال لغيره رؤيتك عندى كرؤية ملك الموت وقد اختلف علماؤنا فيه فقال اكثرهم يكون كفرا وقال بعضهم ان قال ذلك لعداوة ملك الموت يصير كافرا وان قال ذلك لكراهة الموت لايصير كافرا كذا فى فتاوى قاضيخان وهذا الاخير هو الصحيح ودليله قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين (قال) اى القابسى (واما ذكر مالك خازن النار فقد جفا الذى ذكره) اى غلظ طبعه وقل ادبه حيث تفوه بقوله وجه مالك الغضبان وضبطه الدلجى بالهمزة وفسره برمى (عند ما انكر حاله) وفى نسخة عند ما رأى (من عبوس الآخر) وهو المقول له (الا ان يكون المعبس) بتشديد الموحدة المكسورة (ممن له يد) اى تصرف سلطنة وقدرة عقوبة (فيرهب) بصيغة المجهول مخففا ومشددا اى فيخاف وقال الحلبى يرهب رباعى مبنى للفاعل اى يخيف والاظهر انه ثلاثى بصيغة الفاعل اى فيخاف ويفزع (لعبسته) بفتحتين وفى نسخة بضم فسكون وفى نسخة بعبوسه (فيشبهه) وفى نسخة فشبهه (القائل على طريق الذم) او المدح او الخوف او المزح (لهذا) الذى له يد (فى فعله) اى من اظهار سوء خلقه (ولزومه فى ظله صفة مالك) اى خازن النار (الملك) المعظم المطاع (المطيع لربه فى فعله) اذ هو ممن قال فيهم عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون (فيقول كانه لله يغضب غضب مالك) خازن النار فيه حينئذ لايظهر وجه الذم (فيكون) قوله ذلك حينئذ (اخف) مما قبله (وما كان ينبغى) مع ذلك

(له التعريض) وفى نسخة التعرض (بمثل هذا) التشبيه وهو قوله كانه وجه مالك الغضبان (ولو كان) هذا القائل (اتى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك) خازن النار (كان) قوله ذلك (اشد) من ذلك الاخف (ويعاقب) عليه (المعاقبة الشديدة) وفيه بحث حيث جعل مقام الثناء والمدح اشد من مقال الذم والقدح (وليس فى هذا) الذى ذكرناه من تأويل قررناه (ذم للملك) اى اصلا (ولو قصد ذمه لقتل) لانه كفر به واخطأ الدلجى فى قوله قتل حدا لا كفرا لان كفره وقتله مجمع عليه وانما يكون قتله حدا عند المالكية اذا تاب والله تعالى اعلم بالصواب (وقال ابو الحسن) اى القابسى (ايضا فى شاب معروف بالخير) اى الصلاح (قال لرجل شيأ) من الكلام (فقال له الرجل) اى له (اسكت) زجراله عما قال (فانك امى) اى مغفل لا تفرق بين الخير والشر اوعامى ماقرأت شيأ من العلم وعند الفقهاء هو من لا يحسن الفاتحة ومن معانيه منسوب الى الام اى على اصل ولادته من غير اكتساب فى قرآنه وكتابته اومنسوب الى ام القرى وهى مكة وماحواليها اومنسوب الى الامة بمعنى الجماعة (فقال الشاب أليس كان النبى اميا فشنع عليه) بصيغة المجهول مشددا اى قبح وذم (مقاله وكفره الناس) اى عامتهم فتغيرله الحال (واشفق الشاب) اى خاف على نفسه ودينه (مما قال واظهر الندم) اى الندامة والتوبة (عليه) من ذلك اسوء المقال (فقال ابو الحسن القابسى اما اطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ فى استشهاده) اى استدلاله بكونه اميا (بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) حيث لم يفرق بين الاميين كما بينه المصنف بقوله (وكون النبى اميا آية له) اى معجزة وكرامة كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون (وكون هذا) الشاب وغيره (اميا نقيصة فيه وجهالة) اى فى حقه وقال الدلجى وجهالة برفيع محله عليه الصلاة والسلام (ومن جهالته احتجاجه بصفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) دفع جهالته عن نفسه (لكنه اذا استغفر وتاب واعترف) بانه مخطئ فى هذا الباب (ولجأ الى الله تعالى) على طريق الاضطراب (فيترك) عن العقاب وفى نسخة ترك (لان قوله) أليس كان النبى اميا (لا ينتهى الى حد القتل) اى الى حد يوجب القتل وانما يوجب التعزير والتأديب (وما طريقه) اى موجبه (الادب فطوع فاعله) اى فانقياد فاعله الاثم من قائله (بالندم عليه يوجب الكف عنه) اى بعدم التعرض له بسوء وفى الخلاصة روى عن ابى يوسف انه قيل بحضرة الخليفة ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحب القرع فقال رجل انا لا احبه فامر ابو يوسف باحضار النطع والسيف فقال الرجل استغفر الله مما ذكرته ومن جميع ما يوجب الكفر اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتركه ولم يقتله وتأويل هذا انه قال بطريق الاستخفاف والا فالكراهة الطبيعية ليست داخلة تحت الاعمال الاختيارية ولا يكلف بها احد فى القواعد الشرعية (ونزلت ايضا مسألة) اى وردت (استفتى فيها) اى طلب الجواب عنها (بعض قضاة الاندلس) وفى نسخة بعد اى بعد هذه القضية فيرفع قضاة الاندلس لانه فاعل والمفعول على كل تقدير (شيخنا القاضى ابا محمد ابن منصور رحمه الله فى رجل تنقصه رجل آخر بشئ) من الكلام وفى اصل الدلجى بشئ من القول (فقال له انما تريد نقصى بقولك) لى ذلك (وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص) اى البشرى (حتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالرفع ويجوز نصبه وجره (فافتاه باطالة سجنه) اى حبسه مدة طويلة (وايجاع ادبه) حال ضربه (اذ لم يقصد السب) والا فحكم بقتله لكفره (وكان بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله) اخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره ولعل هذا كله مبنى على السياسة وسد باب الذريعة والا فالمخلوق من حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفى صدد الزوال عن عالم الشهود ناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لاسيما ولا يخلو احد عن تقصير فى مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما اومأ اليه صلى الله تعالى وسلم عليه بقوله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ما امره قال البيضاوى لم يقض الانسان من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية ما امر الله تعالى بامره اذ لا يخلو احد من تقصير ما ولو كان عظيما فى قدره

* (فصل) *

(الوجه السادس ان يقول القائل ذلك) القول الذى فيه نقص من قدره (حاكيا عن غيره وآثرا) بهمزة ممدودة وكسر مثلثة اى راو يا وناقلا (عن سواه) وفى نسخة واثرا بفتحتين اى رواية والاظهر انه مصدر بمعنى فاعل ليلائم المعطوف عليه (فهذا) الناقل (ينظر) من جهة قرآئن روايته (فى صورة حكايته وقرينة مقالته) ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته (ويختلف الحكم) المقضى عليه به فيه (باختلاف ذلك) مما يظهر من صورة حكايته وقرينة حالته هنالك (على اربعة وجوه) من الاحكام (الوجوب) بالجر ويجوز اخواته (والندب والكراهة والتحريم) بدل بعض من كل اوكل من كل بان يكون الربط بعد العطف وهذا ذكره اجمالا واما بيانه تفصيلا (فان كان) اى ناقله

(اخبربه على وجه الشهادة) لاحد اوعليه نفيا اواثباتا (والتعريف بقائله) حالا وصفة (والانكار) اى عليه كما فى نسخة (والاعلام بقوله) ليعلم ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك (والتنفير منه) اى بالاحتراس والاحتراز عنه (والتجريح له) بتقديم الجيم على الحاء المهملة يقال جرحه بالتخفيف والتشديد اى ذكر عيبه ونقصه وهو فى الشهادة والخبر وروى بتقديم الحاء ومعناه التأثيم والتضييق يقال حرجه نسبه للحرج وهو الاثم والضيق (فهذا) القول على هذا المنوال (مما ينبغى امتثاله) ويقبل مقاله (ويحمد فاعله) اى ناقله (وكذلك) الحكم (ان حكاه فى كتاب) اى تصنيف (اوفى مجلس) لوعظ اوتدريس (على طريق الرد) اى دفعه وفى نسخة على جهة الرد (له والنقض) اى ابطاله (على قائله والفتيا بما يلزمه) اى الافتاء بما يوجبه من قتل ونحوه (وهذا) الرد (منه) اى بعضه (ما يجب) بيان حكمه (ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكى لذلك) الذى حكاه ردا (والمحكى عنه) اى وكذا بحسب حالاته فى مقالاته (فان كان القائل لذلك) الذى حكاه (ممن تصدى) اى تعرض وتصدر (لان يؤخذ عنه العلم) الشريف (اورواية الحديث) المنيف (او يقطع بحكمه) اى لان يجزم ويلزم بحكمه لكونه اميرا اوقاضيا (اوشهادته) لعدالته (اوفتياه) فى الحقوق لعلمه وحلمه (وجب على سامعه) اى سامع قوله حكما اوفتيا (الاشادة) اى الافشاء والاشاعة (بما سمع منه والتنفير للناس عنه) تحذيرا منه (والشهادة عليه بما قاله) ليجتنب عنه (ووجب على من بلغه ذلك) الذى صدر عنه ولو لم يحضر هنالك (من ائمة المسلمين انكاره وبيان كفره) ان صدر ما يوجبه (وفساد قوله) على تقدير خطأه فى تقريره (لقطع ضرره عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين) ومراعاة لحماية الدين على مقتضى قواعد المجتهدين (وكذلك ان كان) هذا القائل (ممن يعظ العامة) ويزجرهم عن الامور المحرمة ويزهدهم فى الدنيا ويرغبهم فى الاخرى ويبين لهم مراتب درجات العقبى ويفتح لهم ابواب العوارف ويذكر لهم اصحاب المعارف لاسيما اذا كان يتكلم فى علم التوحيد ومقام التفريد ويدعى الشهود ويتفوه بمسئلة الوجود فانه مقام خطر من الوقوع فى الحلول والاتحاد والاتصال والالحاد فى مجمع من العباد المجتمعين من اطراف البلاد وقد وضعت رسالة مستقلة فى الفرق بين الوجودية من الموحدين والوجودية من الملحدين ومنهم طائفة ابن عربى الخارجة من قواعد الدين خذلهم الله اجمعين (اويؤدب الصبيان) بتعليم القرآن اوالعلوم الادبية من النحو والصرف واللغة والقواعد العربية كما ذكره الزمخشرى فى ربيع الابرار فى باب اللطافة والاسرار ان ولدا قرأ وان عليك لعنتى قال الفقيه الى يوم الدين وقال بعض الفضلاء سمعت معربا يعرب لتلميذه قوله تعالى الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فقال قيما صفة لعوج فقلت له يا هذا كيف يكون العوج قيما (فان من هذه) الاخلاق (سريرته لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم) وتأثيره فى صدورهم (فيتأكد فى هؤلاء) اى فى حقهم (الايجاب) بالانكار (لحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان كان الامر متعلقا به (ولحق شريعته) ان تعلق بطعن فى قربته (ولحق الله) ان تعلق بمسألة ذاته وصفاته ومصنوعاته هذا وفى مجمع الفتاوى لو تكلم بكلمة الكفر مذكر وقبل القوم ذلك منه كفروا حيث لم يعذروا بالجهل وزاد فى المحيط وقيل اذا سكت القوم عن المذكر وجلسوا عنده بعد تكلمه بكلمة الكفر كفروا يعنى اذا علموا انه كفر به اواعتقدوا كلامه (وان لم يكن القائل بهذه السبيل) الذى يؤخذ عنه العلم (فالقيام بحق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واجب وحماية عرضه) اى وصيانته عن طعن ونقص فيه (متعين) لا يجوز التهاون به والعرض بكسر اوله النسب والحسب (ونصرته عن الاذى) اى مما يتأذى به وروى على الاذى (حيا وميتا) كما يدل عليه قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا (مستحق) بفتح الحاء اى فرض عين (على كل مؤمن) ليصح ايمانه (لكنه) اى القيام بحقه فرض كفاية وفى نسخة لكن (اذا قام بهذا من ظهر) اى علا (به الحق وفصلت به) بضم الفاء وكسر الصاد المهملة اى انفصلت به (القضية) بالحكومة الشرعية (وبان به الامر) اى ظهر الحق وتبين الصدق (سقط عن الباقى الفرض) المتعلق بذمة كل احد فلو سكتوا كلهم اثموا جميعهم (وبقى الاستحباب) بالنسبة الى غير من قام بالحق من الدعوى والشهادة والحكم والقتل ونحوه (فى تكثير الشهادة) عليه للتقوية والتشهير للقضية (وعضد التحذير منه) بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة اى نصرته ومساعدته فى الاحتراز عنه (وقد اجمع السلف على بيان حال المتهم فى الحديث) اى فى روايته بذكر جرحه وطعنه وعدالته وديانته حتى روى ان يحيى بن معين مع جلالته رؤى طائفا بالبيت يقول فلان كذاب فلان وضاع فى روايته (فكيف بمثل هذا) المقام الذى يجب فيه القيام وقد قال الجوينى فى قوله عليه الصلاة والسلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ان الكذب عليه عمدا كفر وهو حديث مشهور بل قيل انه متواتر (وقد سئل ابو محمد ابن ابى زيد عن الشاهد) الواحد (يسمع مثل هذا) الكلام المترتب عليه الملام (فى حق الله تعالى) او حق نبيه

عليه الصلاة والسلام (أيسعه ان لا يؤدى شهادته) عند حاكم ليؤدبه بحسب ماتقتضى حالته ومقالته (قال) اى ابن ابى زيد (ان رجا) اى السامع بمعنى انه ترجح عنده ان (نفاذ الحكم) بفتح النون والفاء وبالذال المعجمة اى تنفيذه وروى انفاذ الحكم اى اجراؤه وامضاؤه (بشهادته فليشهد) اى وجوبا (وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به) هذا السامع (ويرى الاستتابة) اى قبول توبته (والادب) اى مع ذلك كما فى مذهب مالك (فليشهد) هنالك (ويلزمه) على سبيل الوجوب (ذلك واما الاباحة لحكاية قوله) المشتمل على كفره (لغير هذين المقصدين) المتقدمين (فلا ارى لها) اى للحكاية (مدخلا فى الباب) على سبيل الاباحة (فليس التفكه) اى التفوه من غير غرض شرعى (بعرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والتمضمض) بالضادين المعجمتين اى التحرك والتكثر (بسوء ذكره لاحد) واما قول التلمسانى ومن معانى التمضمض الاكثار وهو بعيد لان الاكثار والاقلال فى هذا سواء فمدفوع لان الاقلال لما يترتب عليه الحكم من القتل والتعزير والجرح والتحذير متعين كما تقدم وانما الاكثار الذى لا يترتب عليه فائدة هو الممنوع (لا ذاكرا) اى لفظه مطلقا (ولا آثرا) اى حاكيا وناقلا اتفاقا (لغير غرض شرعى بمباح) خبر ليس بل انه حرام او مكروه (واما للاغراض المتقدمة) كالشهادة والرد والنقض (فمتردد) بفتح الدال الاولى مشددة اى فموضع تردد (بين الايجاب والاستحباب) والاول اولى والله تعالى اعلم بالصواب (وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه) اى الكذابين على الله (وعلى رسله فى كتابه) بالاكثار (على وجه الانكار لقولهم) اى لمقول الكفار (والتحذير) اى والتحذير لغيرهم (من كفرهم والوعيد عليه) اى على امرهم (والرد عليهم بما تلاه الله علينا) فى لسان رسوله المعظم (فى محكم كتابه) المكرم (وكذلك وقع من امثاله) اى امثال ماتلى علينا بالعبارة الصريحة (فى احاديث النبى الصحيحة على الوجوه المتقدمة) من الانكار والتحذير والوعيد وغيرها (واجمع السلف) المتقدمون (والخلف) المتأخرون (من أئمة الهدى) وهم العلماء العاملون (على حكايات مقالات الكفرة والملحدين) اى على ذكرها (فى كتبهم ومجالسهم) حال التدريس والوعظ (ليبينوها للناس) مما خفى لديهم (وينقضوا شبهها عليهم) جمع شبهة بمعنى شك وريبة (وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض هذا) الذى ذكر (على الحارث بن اسد) المحاسبى بما حكاه فى كتاب الرعاية (فقد صنع احمد مثله فى رده على الجهمية) طائفة من اصحاب جهم بن صفوان من المبتدعة بل من الكفرة المخترعة واصله من سمرقند ومن مذهبه القول بان الجنة والنار يفنيان وان الايمان هو المعرفة فقط دون الاقرار وسائر الطاعات وانه لا فعل لاحد غير الله وان العباد فيما ينسب اليهم من الافعال كالشجرة تحركها الرياح باختلاف الاحوال فالانسان عنده لا يقدر على كسب شئ من اعماله وانما هو مجبر فى افعاله لا قدرة له ولا ارادة ولا اختيار فى الحسنات والسيئات وانما يخلق الله تعالى فيه الافعال على حسب ما يخلق فى الجمادات ادرك صغار التابعين قال الذهبى ما علمته روى شيأ لكنه زرع شرا عظيما انتهى واخذ ذلك عن السمنية وهم دهرية ولما شككوه فى امره ترك الصلاة اربعين يوما وقال لا اعبد من لا اعرف (والقائلين) اى وعلى القائلين (بالمخلوق) اى بالقرآن المخلوق وهو قول المعتزلة او بالعمل المخلوق للانسان اى هو يخلقه وهو قول المعتزلة والقدرية او بالمخلوق القديم على ان المخلوق بمعنى الخلق ومعناه انه قديم وهو قول الفلاسفة والدهرية والاقوال الثلاثة كلها باطلة اما قدم العالم فهو بين اعدام الموجد وبين الشركة وكلاهما كفر بالاجماع واما خلق الافعال فهو كقول المجوس فى ان خالق الضوء غير خالق الظلمة لكنه يغاير قولهم بانهم من الثنوية وهؤلاء من ارباب التوحيد فى الالوهية واما خلق القرءان فانهم لما انكروا الكلام النفسى قالوا ذلك ففى التحقيق لا خلاف هنالك وانما ابتدعوا من حيث انكار الكلام النفسى والا فالقرءآن من حيث انه مكتوب بايدينا ومقروء بالسنتنا ومحفوظ بصدورنا فلا شك انه مخلوق بحسب اللفظ والمبنى الا انه يجب ايضا صيانته عن ان يقال مخلوق بهذا المعنى واما ماذكره العلامة التفتازانى فى شرح العقائد من حديث القرءآن كلام الله غير مخلوق ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم فقد قال الصغانى هو موضوع وقال السخاوى هذا الحديث من جميع طرقه باطل هذا ولا يبعد ان يجمع بين صنيع احمد وانكاره على المحاسبى بان المحاسبى ذكر ادلة المبتدعة ثم ردهم بادلة اهل السنة بخلاف احمد حيث لم يلتفت الى شبهاتهم بل رد عليهم بالادلة العقلية والنقلية ببطلان عقيداتهم (وفى هذه الوجوه) المتقدمة (السائغة) بالسين المهملة والغين المعجمة اى الجائزة وهى مرفوعة (الحكاية) بالجر والرفع اى الرواية (عنها) من مقالات الكفرة والفجرة ومن نحا نحوها (فاما ذكرها على غير هذا) النمط (من حكاية سبه والازراء) وروى الازدراء (بمنصبه على وجه الحكايات) فى المحاورات او الاسفار (والاسمار) جمع سمر بفتحتين ويسكن وهو حديث الليل واصله فى ظل القمر ويجوز كسر همزة على انه مصدر اسمر اذا تحدث بالليل مطلقا فهو تخصيص بعد تعميم (والطرف) بضم المهملة وفتح الراء وفى اخره الفاء جمع طرفة وهو ما يستظرف ويستجاد من المقال والمال (واحاديث الناس) اى كلماتهم المتحدث بها

للاستئناس (ومقالاتهم) بحسب اختلاف حالاتهم (فى الغث) بفتح المعجمة وتشديد المثلثة اى الهزيل (والسمين) وهما كنايتان عن الضعيف والقوى او الباطل والصحيح ومنه قول ابن عباس لابنه على الحق بابن عمك يعنى عبد الملك ابن مروان فغثك خير من سمين غيرك (ومضاحك المجان) بضم الميم وتشديد الجيم جمع ماجن وهو من لا يبالى بكلامه فى اللهو والسخرية (ونوادر السخفاء) جمع سخيف وهو رقيق العقل وروى السفهاء جمع سفيه وهو الجاهل او خفيف العقل (والخوض) اى الشروع بالمبالغة من غير ملاحظة (فى قيل وقال) بفتح لاميهما على انهما فعلان محكيان ويجرهما منونين على انهما اسمان معربان لانهما مصدران وفى النهاية فى حديث نهى عن قيل وقال اى نهى عن فضول ما يتحدث به المتجالسون من قولهم قيل كذا وقال كذا وبناؤهما على كونهما فعلين ماضيين متضمنين للضمير والاعراب على اجرائهما مجرى الاسماء خاليين من الضمير قال فيكون النهى عن القول بما لا يصح ولا يعلم حقيقته فاما من حكى ما يصح روايته ويعرف حقيقته واسنده الى ثقة صادق فلا وجه للنهى عنه ولا ذم منه وقيل اراد به حكاية اقوال الناس والبحث على ما لا يجدى عليه ضرا ولا نفعا ولا يعنيه امره اه ولذا عطف عليه المصنف عطف تفسير بقوله (وما لا يعنى) اى ما لا ينفعهم فى دينهم ودنياهم فقد ورد من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفى اصل الدلجى بالغين المعجمة فيكون بضم اوله اى ما لا يغنى الخائض فيه شيأ ولا يجديه نفعا (فكل هذا ممنوع وبعضه اشد فى المنع والعقوبة) للدفع (من بعض فما كان من قائله الحاكى له على غير قصد) به شيأ (او معرفة) اى او على غير معرفة (بمقدار ما حكاه) من الشدة والاشدية وفى نسخة بقدره (او لم تكن) تلك المقالة او الحكاية (عادته) فبعد عثرته وزلته (اذ لم يكن الكلام المحكى) (من البشاعة) بتقديم الموحدة اى الفضاحة وفى اصل التلمسانى بسبق الشين بعدها النون وفسر بالقباحة (حيث هو) اى الى الغاية فى انه بشيع او شنيع اى كريه وفظيع (ولم يظهر على حاكيه) وفى نسخة على حكايته (استحسانه) اى جعله حسنا عنده (واستصوابه) اى عده صوابا لديه والمعنى انه لم يظهر منه اعتقاد كونه حسنا ولا صوابا بل ظنه مباحا (زجر عن ذلك) بصيغة المجهول وكذا قوله (ونهى عن العودة) وفى نسخة عن العود اى الرجوع (اليه) اى الى مقاله هنالك (وان قوم) بضم القاف وكسر الواو المشددة اى ان قوبل ناقله على سبيل الحكاية من غير منفعة مترتبة على الرواية وروى وان قيم (ببعض الادب فهو مستوجب له) اى مستحق (وان كان لفظه) اى لفظ الحاكى او المحكى (من البشاعة) او الشناعة (حيث هو) اى بلغ غايته (كان الادب اشد) ممن لم يكن محكيه حيث هو (وقد حكى ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرءآن مخلوق فقال) مالك (اقتلوه) اى السائل القائل على طريق الحكاية (فقال) اى السائل (انما حكيته عن غيرى) اى لا انا الذى اقوله (فقال مالك انما سمعناه منك) قال الدلجى وامر مالك بقتل السائل بمجرد اتهامه انه القائل بمخلوقيته بدون اثبات اعتقاد مخلوقيته عجب مع انه ممن يقول لا نكفر احدا من اهل القبلة قال المصنف (وهذا من مالك على طريق الزجر) اى الردع للكف عن السؤال عنه قال الدلجى وهذا ايضا عجيب بل اعجب لان القتل زجرا عن السؤال لم يقل به احد (والتغليظ) للزجر (بدليل انه) اى مالكا (لم ينفذ قتله) اى لم يبالغ فى الامر بقتله وهو بتشديد الفاء المكسورة وبالذال المعجمة اى لم يمض الامر فى قتله اولم يمض فيه حكم القتل ذكره التلمسانى قال الدلجى وهذا العذر عنه بعيد يرده تكفير مالك له وامره انما كان بعد تكفيره اياه اقول ليس فى كلام مالك تكفيره وانما اراد بهذا القول تعزيره اى اضربوه ضربا شديدا او لو قتل تحت ضربه تأكيدا لزجره عن مثل هذا السؤال لظهور امره ولعله فهم من السائل انه متردد فى حكمه ولذا لما سئل مالك عن الاستواء قال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ولا شك ان المبتدع يزجر فتدبر والقائل به لعله كان غائبا او ميتا فلهذا لم يتعرض الامام لتعزيره فى ذلك المقام واما القول بانا لا نكفر احدا من اهل القبلة فليس على اطلاقه بل فيه تفصيل مقرر كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (فان) وفى نسخة وان (اتهم هذا الحاكى فيما حكاه انه) اى بانه (اختلقه) اى اخترعه من عنده وافتراه من نفسه (ونسبه الى غيره او كانت تلك) المسئلة (عادة له) يسألها دائما او يظهرها دائبا (او ظهر استحسانه) وفى نسخة اظهر استحسانه (لذلك) السؤال او المقال (او كان مولعا) بفتح اللام اى مكثرا (بمثله والاستخفاف له) اى الاستهانة بذكره وعدم المبالاة بنقله واغرب الدلجى حيث فسر الاستخفاف بسرعة التوجه (او التحفظ لمثله) اى طلب حفظ امثاله مما يتحير العامة فى اشكاله (وطلبه) اى وطلب مثله ليضمه الى نقله (ورواية اشعار هجوه عليه الصلاة والسلام وسبه) فى نثر الكلام (فحكم هذا حكم الساب نفسه) اى بعينه (يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبة الى غيره) وان حكاه عن غيره فان الامارات المتقدمة قرائن حالية او مقالية على كفره فان الاناء يترشح بما فيه وقد قال تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول وقال ان فى ذلك لايات للمتوسمين اى المتفرسين وقد ورد اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل رواه البخارى فى تاريخه والترمذى فى جامعه عن ابى سعيد الخدرى (فيبادر بقتله

(ويجل) بتشديد الجيم اى ويسارع به (الى الهاوية امه) بالجزيد لا اى مأواه ومصيره كما ان الام مأوى الولد ومفزعه ايماء الى قوله تعالى فامه هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية (وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (فيمن حفظ شطر بيت) اى نصفه او بعضه فاندفع به قول التلمسانى كان احسن منه لو قال كلمة او شطر كلمة (مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم فهو كفر) اى اذا قصد حفظه او اراد نشره (وقد ذكر بعض من الف) بلام مشددة من التأليف بمعنى التصنيف قال التلمسانى وفى بعض النسخ بلامين ولا ادرى ما وجهه وكذلك فى اصل المؤلف قلت ووجهه انه اتصل الالف باللام فانتقل من التأليف الى التصحيف والتحريف قال الانطاكى ولعل بعض من الف هذا هو ابن حزم والله تعالى اعلم هذا وقيل الانسان فى فسحة من عقله وفى سلامة من افواه الناس فى فعله مالم يضع كتابا او لم يقل شعرا من قوله وقيل من وضع كتابا فقد استشرف للمدح والذم لابناء آدم فان احسن فقد استهدف للحسد والغيبة وان اساء فقد تعرض للشتم والمذمة وهو معنى قولهم من صنف قد استهدف وقيل من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرض على الناس نقله ومنه قول الشاعر

لاتعرضن على الرواة قصيدة * مالم تبالغ بعد فى تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوس تهذى بها

هذا وابى الله الا ان يصح كتابه كما اشار اليه بقوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واما هذا الكتاب فلكونه من عند الله ما وجدوا فيه اختلافا يسيرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ان كل احد يقبل قوله ويرد الا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه معصوم على الوجه الاتم (اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من نظامه ونثره (وكتابه) اى وكتابته كما فى نسخة (وقراءته) اى ولو من غير روايته (وتركه متى وجد دون محو) ونحوه ولو من كتاب غيره وحصول ضرره فانه ينفعه من جهة دينه (ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين) اى المحترسين (لدينهم) المحتاطين فى امر يقينهم وتصحف المتحرزين بالمتجردين فى اصل الدلجى (فقد اسقطوا) ولذلك تركوا (من احاديث المغازى والسير) كثيرا من الخبر والاثر (ما كان هذا سبيله) من هجوه فى شعر او غيره (وتركوا روايته) ولو جوز حكايته (الا اشياء ذكروها يسيرة) اى قليلة (وغير مستبشعة) بفتح الشين اى غير مكروهة وفى نسخة وغير مستشنعة اى غير مستقبحة (على نحو هذه الوجوه الاول) بضم الهمزة وتخفيف الواو جمع الاولى اى الوجوه السابقة من الوجوب والندب والتحريم والكراهة (ليروا) اى الناس وبه يتبروا ويجوز ان يكون بضم الياء والراء اى ليظهروا (نقمة الله) اى عقوبته (من قائلها واخذه المفترى عليه) اى بطشته (بذنبه) ولو من ناقلها وفى اصل الدلجى واخذه بالضمير اى ليروا اخذه سبحانه وتعالى (وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام) بتشديد اللام (قد تحرى) اى اجتهد واحتاط (فيما اضطر) اى الجئ واحتيج (الى الاستشهاد به) من الدلائل فى اثبات بعض المسائل توضيحا لوسائل فى معرفة كل طالب وسائل (من اهاجى اشعار العرب) على شعار ارباب الادب (فى كتبه) متعلق بتحرى (فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه) ولم يصرح به تفاديا عن ذكر ذمه (استبراء لدينه) اى استبقاء لامر يقينه (وتحفظا من المشاركة فى ذم احد) من المسلمين (بروايته او نشره) بحكايته (فكيف بما يتطرق) اى يتوصل به الحاكى له (الى عرض سيد البشر) اى بنى آدم بل سيد العالم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى اعلم ان هذا التحرى انما يظهر فى الهاجى المسلم لمثله واما ان كانا كافرين او المهجو كافرا فذكر مساويه اعظم نكاية فيستحب رواية وحكاية ولو كان الهاجى كافرا او مسلما والمهجو مسلما فالاولى ان لا يذكره او يغيره كما فعل ابن هشام فى سيرته مما يدل على حسن سريرته ومن هذا قول ابى الاسود الدؤلى

جزى ربه عنى عدى بن حاتم * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ابدله بعض الائمة بقوله * جزاء الرجال الصالحين وقد فعل وذلك لان عدى بن حاتم الطائى من اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اجمعين

(فصــــل)

(الوجه السابع ان يذكر ما يجوز) اى اطلاقه (على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم او يختلف) بصيغة المجهول (فى جوازه عليه وما يطرأ) اى يحدث ويعرض عليه (من الامور البشرية) والاحوال الطبيعية (به) اى فيه (ويمكن اضافتها اليه او يذكر) اى احد (ما امتحن به) اى ابتلى عليه الصلاة والسلام (وصبر فى ذات الله تعالى على شدته) اى قوة بلائه (من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته) اى فى افعاله واقواله (وما لقيه من بؤس زمنه) بضم موحدة فهمز ساكن ويبدل اى شدة فى وقته (ومر عليه من معاناة عيشته) اى مقاساة فى امر معيشته (كل ذلك

على طريق الرواية) وسبيل الحكاية (ومذاكرة العلم) لتحصيل الدراية (ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء) اى عموما (وما يجوز عليهم) من بين سائر البشر خصوصا (فهذا) اى فما ذكرهنا (فن) اى نوع (خارج عن هذه الفنون الستة) المذكورة فى الفصول السابقة (اذ ليس فيه) اى فى هذا الفن (غمص) بفتح معجمة وسكون ميم فمهملة اى عيب (ولا نقص ولا ازراء) اى استحقار (ولا استخفاف) اى استهزاء (لا فى ظاهر اللفظ) من جهة مبناه (ولا فى مقصد اللافظ) من جهة معناه (لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم) اليقين (وفهماء طلبة الدين) بضم الفاء وفتح الهاء جمع فهيم او فهم وهو الفطن الذكى (ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده) افرد وجمع باعتبار لفظ من ومعناه (ويجنب) بتشديد النون المفتوحة اى يصان عن (ذلك) الكلام (من عساه لا يفقه) وروى لا يتفقه وروى لا يفهمه (او يخشى به) وروى فيه اى يخاف عليه (فتنته) اى وقوعه فى محنته (فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه من تلك القصص) كيد النساء بسبب الابتلاء (لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن) فى اصل فطرتهن (فقد قال عليه الصلاة والسلام مخبرا عن نفسه) ما وقع له فى سابق الايام (باستئجاره) قال الدلجى لقريش واقول لعله لبعض اهله ان صح الاستئجار فى فعله كما وقع لموسى عليه السلام (لرعاية الغنم فى ابتداء حاله وقال) كما رواه الشيخان عن جابر والبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه (ما من نبى الا وقد رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام) وقد ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى قضى اقصى الاجلين وهو العشر هذا وقال الحلبى اعلم ان فى الحديث الصحيح كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة وفى سنن ابن ماجه هذا الحديث وفى آخره قال سويد بن سعيد وهو راوى الحديث كل شاة بقيراط انتهى والقيراط جزء من اجزاء الدينار وهو نصف عشره فى اكثر البلاد واهل الشام يجعلونه جزأ من اربعة وعشرين جزأ والياء فيه بدل من الراء فان اصله قراط هذا لفظ النهاية وفى الصحاح القيراط نصف دانق وهو سدس درهم وقد رأيت فى حاشية على سنن ابن ماجه اصلنا وهو اصل صحيح معتمد قال محمد بن ناصر اخطأ سويد فى تفسيره القيراط بالذهب والفضة اذ لم يرع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد باجرة قط وانما كان يرعى غنم اهله والصحيح ما فسره به ابراهيم بن اسحق الحربى الامام فى الحديث واللغة وغيرهما ان قراريط اسم مكان فى نواحى مكة وكان ذلك منه وسنه نحو العشرين فيما استقرى من كلام ابن اسحق والواقدى وغيرهما انتهى وهذا يرد ما قاله القاضى وكذا ما بوب عليه البخارى فى صحيحه فى كتاب الاجارة باب رعى الغنم على قراريط انتهى وفى القاموس القيراط يختلف وزنه بحسب البلاد فبمكة ربع سدس دينار وبالعراق نصف عشره (فهذا) اى رعى الغنم ولو باجرة (لا غضاضة فيه) اى لا منقصة (جملة واحدة) اى من حيث هو لانه من جملة كسب المال على وجه الحلال (بخلاف من قصد به الغضاضة) اى النقص (والتحقير بل كانت) اى الرعاية بالاجرة وغيرها (عادة جميع العرب) اى طوائفهم وقبائلهم ومثل هذا يختلف باختلاف العرف فى الزمان والمكان بل كان عادة غير العرب ايضا كما يستفاد من قصة موسى وشعيب عليهما السلام فانهما من بنى اسرائيل وهم الاعجام فان قيل فهل لرعى الانبياء للغنم من فائدة فيقال (نعم فى ذلك) اى رعى الغنم (للانبياء حكمة بالغة) لا يدركها الا الاصفياء (وتدريج لله) وفى نسخة وتدريج الله تعالى (لهم الى كرامته وتدريب) اى تعويد (برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة) بالنبوة والرسالة والامامة والامارة (فى الازل ومتقدم العلم) بكسر الدال اى سابقه الذى ظهر فى القلم الاول (وكذلك قد ذكر الله يتمه) لموت ابيه جنينا وقد اتت عليه ستة اشهر فكفله جده عبد المطلب ثم عمه ابو طالب اذ كان شقيق ابيه فاحسن التربية فيه قال تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا اى جاهلا بتفصيل الايمان فهدى ووجدك عائلا فقيرا فاغنى وهذا معنى قول المصنف (وعيلته) اى وذكر الله فقره وحاجته (على طريق المنة عليه) بايوائه واغنائه (والتعريف بكرامته له) اى بهدايته وهداية غيره بنور رسالته (فذكر الذاكر) اى المخبر (لها) اى لحالته من يتمه وعيلته (على وجه تعريف حاله المتضمن لكرامته) والخبر عن مبتدأه اى ابتداء امره وظهور قدره (والتعجب من منح الله) بكسر الميم وفتح النون جمع منحة اى نعمه (قبله) بقاف مكسورة فموحدة مفتوحة اى فى جهته (وعظيم منته) وفى نسخة بنونين وفى نسخة منن الله (عنده ليس فيه) على ما ذكر به (غضاضة) اى ما يؤدى الى منقصته بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لجميع امته (اذ اظهره الله تعالى بعد هذا) اى اطلعه وغلبه وعلاه (على صناديد العرب) اى اكابرهم (ومن ناواه) مفاعلة من النوء وهو النهوض فاصله الهمز وابدل اى عاداه (من اشرافهم شيأ فشيأ) اى سنة فسنة ساعة فساعة وفى اصل التلمسانى فيما فشا من الفشو وهو الكثرة والظهور والنمو وما موصولة واقعة على الخبر وفى بمعنى على اى على ما فشا وشاع وذاع من الخبر اى ان امره فى ذلك ليس بخفى بل هو ظاهر جلى او فى على اصلها اى فى فاشى الخبر

وظاهر الاثر (ونمى) بتشديد الميم اى زكى (امره) وعلى قدره وفى نسخة بتخفيف الميم (حتى قهرهم) اى غلبهم فنهاهم وامرهم كما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم فتح مكة من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل داره واغلق بابه فهو آمن وقال للاسرآء منهم ما كنتم تقولون فى انى فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اذهبوا فانتم الطلقاء (وتمكن من ملك مقاليدهم) جمع مقلاد بمعنى المفتاح اى مما ملكوه من البلاد واستولوا عليه بالانقياد او بمعنى الخزانة اى مما خزنوه وجعلوه ذخيرة للنوآئب واعدوه عدة للمصائب فقد ملكه النبى عليه الصلاة والسلام وحواه (واستباحة ممالك كثير من الامم) اى محال ملكهم ومواضع ملكهم وفى اصل التلمسانى مماليك بالياء فهو جمع مملوك (غيرهم) اى غير صناديد العرب ونحوهم (باظهار الله تعالى له) اى باعلاء كلمته فى الدين (وتأييده) اى تقويته (بنصره) اى باعانته من عنده (وبالمؤمنين) اى وبجعلهم اسبابا بالنصرة (والف بين قلوبهم) حتى صاروا اخوانا مسلمين وهذا كله مقتبس من قوله سبحانه وتعالى هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن قوله عز وعلا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدآء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا (وامداده بالملائكة المسومين) بكسر الواو وفتحها كما قرئ بهما فى السبعة قوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين اى معلمين بسيما خاصة اى علامة مختصة وهى اما بالملائكة وهى عمائم صفر وقيل كانت عمائم الملائكة يومئذ بيضا وعمامة جبريل صفرآء وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه الكرام يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم واما بخيولهم فانهم كانوا على خيل بلق مجزوزة الاذان والاعراف معلمة النواصى والاذناب بالصوف والعهن والمعنى اعلموا خيلهم واعلموا انفسهم (ولو كان) اى محمد (ابن ملك) بكسر اللام (او ذا اشياع) اى صاحب اتباع (متقدمين) عليه فى الزمان (لحسب كثير من الجهال ان ذلك) اى ما ذكر (موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل) بكسر الهاء وفتح الرآء وسكون القاف ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه وهو منصرف والمراد به عظيم الروم (حين سأل ابا سفيان) اى ابن حرب وهو بايليا (عنه) اى عن احوال النبى عليه الصلاة والسلام كما رواه البخارى (هل فى آبائه من ملك) بكسر الميم على انها جارة الا انها زآئدة لا بيانية ولا تبعيضية كما ذكره التلمسانى اى من سلطان وروى من ملك بالفتح فيهما فمن موصولة لا شرطية كما وهم التلمسانى (فقال) اى ابو سفيان (لا ثم قال) اى هرقل (ولو كان فى آبائه ملك) اى احد من الملوك (لقلنا) فى حقه هذا (رجل يطلب ملك ابيه واذ) الظاهر انها ظرفية والاولى ان تكون تعليلية اى ولان (اليتم) وفى نسخة وان اليتم وهو بضم اوله واصله الانفراد ومنه الدر اليتيم لما لا نظير له فى مقام التقويم ثم استعمل فى فقد الاب قبل بلوغ ولده (من صفته واحدى علاماته فى الكتب المتقدمة) كالتوراة والانجيل (واخبار الامم السالفة) باللام والفاء اى السابقة الماضية (وكذا) اى نعت اليتم (وقع ذكره فى كتاب ارميا) بفتح الهمزة وسكون الرآء وكسر الميم فتحتية فالف مقصورة وروى ممدودة قال التلمسانى وهو ابن حلقيا وقال الدلجى كانه من انبياء بنى اسرآئيل وفى القاموس ارميا بالكسر نبى (وبهذا) اى نعت اليتم (وصفه ابن ذى يزن) بفتح الياء والزاى غير منصرف واسمه سيف وهو ملك اليمن (لعبد المطلب) على ما تقدم من انه يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه (وبحيرا) بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية فرآء بعدها الف مقصورة او ممدودة وهو الراهب الذى ابصره بارض الشام وقد عد من الصحابة عند بعض الاعلام والمقصد انه ايضا كذا ذكره (لابى طالب) فى ذلك المقام فروى انه نزل من صومعته واخذ بيده عليه الصلاة والسلام وذلك حين خرج مع عمه ابى طالب الى الشام فقال لعمه ما هذا الغلام منك فقال ابنى فقال بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون ابوه حيا قال فانه ابن اخى قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت وتقدمت هذه القصة فى فصل دلائل النبوة (وكذلك اذا وصف بانه امى كما وصفه الله به) بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى وقوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى (فهى) اى صفة الامية (مدحة له) بكسر الميم اى منقبة له وان كانت منقصة لغيره (وفضيلة ثابتة فيه) اى فى حقه بخصوصه (وقاعدة معجزته) اى اساس كرامته فى خرق عادته الدالة على تحقق رسالته (اذ معجزته العظمى) بضم العين اى العظيمة فى الغاية (من القرآن العظيم انما هى متعلقة بطريق المعارف) اى العلوم الجزئية (والعلوم) الكلية من الاخبار السابقة والآثار اللاحقة والاصول الدينية والفروع الشرعية والاحكام والحدود فى السياسات العرفية مع قطع النظر عن جمال بلاغته وكمال فصاحته (مع ما منح) اى اعطى (صلى الله تعالى عليه وسلم) من الفضائل وحسن الشمائل هنالك (وفضل) بصيغة المفعول مشددا او مخففا اى وميز (به) عن غيره (من ذلك) اى من اجل كمالات ذاته وكمالات صفاته (كما قدمناه من القسم الاول) وفى نسخة فى القسم الاول اى من الباب الرابع (ووجود مثل ذلك) الكتاب الجامع

للابواب كما قال فى مدحه بعض اولى الالباب

جميع العلم فى القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

والمعنى ان ظهوره (من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس) الممارس (ولا لقن) فى المدارس (مقتضى العجب) فى عالم الفكر (ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس) اى فيه كما فى نسخة (ذلك) الوصف بالامى (نقيصة اذ المطلوب) بالذات (من الكتابة والقرآءة المعرفة وانما هى) اى القرآءة ونحوها (آلة لها) اى للمعرفة (وواسطة موصلة اليها غير مرادة فى نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب) كان الانسب ان يقال المطلب ليكون مسجعا مع قوله (استغنى عن الواسطة) كالشجرة (والسبب والامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة) اى ومقدمة الضلالة والعنوان بضم اوله ويكسر ما يكتب على ظاهر الكتب ليعلم مجمل ما فى باطنها وبهذا يعرف ان كشف العوارف وظهور المعارف فى بعض الاميين من هذه الامة يكون من جملة الكرامة كما اشار اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمناه من لدنا علما فان العلم اللدنى فى العرف اللغوى ما يحصل للامى من غير كسب ظاهر فى الادمى (فسبحان من باين امره) اى غاير امر النبى (من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه) اى محل خفض قدر غيره (وجعل حياته فيما فيه هلاك من عداه) اى من سواه من ارباب الارواح واصحاب الاشباح (وهذا شق قلبه) اى صدره مرة بعد مرة فى حقه (واخراج حشوته) بضم الحاء المهملة وتكسر وسكون الشين المعجمة واصلها ما فى جوف الشئ مما هو محشو به كالامعاء والكرش وسائر الاشياء والمراد بها هنا علقة سودآء كما رواه البخارى كانت حظ الشيطان وتعلقاته بها فى مقام وسوسة الانسان فان شقه واخراجها (كان تمام حياته) ونظام صفاته (وغاية قوة نفسه) ونهاية قوت انسه (وثبات روعه) بضم الرآء اى قلبه حال خوفه وروعه ولله در من قال

اقتلونى يا ثقاتى * ان فى موتى حياتى

ولبعض ارباب الحال موتوا قبل ان تموتوا (وهو) على ما فى نسخة اى شقه واخراجها (فيمن سواه منتهى هلاكه) اى غاية اسباب هلاكه (وحتم موته) بالحاء المهملة اى وجوب وقوعه (وفنائه) والمعنى انه نهاية علة موته وفنائه (وهلم جرا) اى وهكذا الامر مستمرا (الى سائر ما روى من اخباره وسيره) المؤذنة بآثاره واسراره (وما آثره) اى مفاخره ومكارمه التى تؤثر عنه (وتقلله) اى طلب قلته وروى تبلغه اى طلب بلاغه وزاده الى معاده (من الدنيا) زهدا فيها الا اضطرارا اعنها (ومن الملابس) الناعم (والمطعم) اللذيذ (والمركب) المزين (وتواضعه) مع الخلق مع كمال ترفعه عند الحق عملا بقوله من تواضع لله رفعه الله رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابى هريرة رضى الله عنه (ومهنته) بفتح الميم وتكسر على ما ذكره التلمسانى وابو زيد فلا يلتفت الى نفى الاصمعى والزمخشرى فان من حفظ حجة على من لم يحفظ اى خدمته (نفسه فى اموره) المحتاج اليها (وخدمة بيته) تواضعا لى اهله وخدمه (زهدا) فى الملك والملك والباه المعد للمهلك وقد سئل الزهرى عن الزهد فقال هو ان لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره (ورغبة عن الدنيا) اى اعراضا عنها لسرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء رواه الترمذى عن سهل بن سعد (وتسويته بين حقيرها وخطيرها) اى عظيمها من قليلها وكثيرها (لسرعة فناء امورها) وبقاء شرورها (وتقلب احوالها) وتغير ارباب اموالها ونعم المقول

فلا تدوم على حال تكون بها * كما تلون فى اثوابها الغول

(كل هذا) الذى ذكرناه (من فضائله) اى بعض شمائله (وما آثره) اى مكارمه التى تؤثر وتروى من مفاخره (وشرفه) اى طرفه وتحفه (كما ذكرناه) فيما سبق من محله ومجمل الكلام ما ورد عنه عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق (فمن اورد منها شيأ مورده) اى ذكره فى محله اللائق به (وقصد به مقصده) من تعظيم قدره وتبجيل امره (كان حسنا) اى مستحسنا عند الله وخلقه (ومن اورد ذلك على غير وجهه) بتساهل فى حقه (وقد علم منه) اى من ايراده ذلك (سوء قصده) من تنقص به (لحق بالفصول الستة التى قدمناها) فيقتل او يعزر او يحبس كما قدرناها (وكذلك ما ورد من اخباره) من افعاله واقواله وآثاره (واخبار سائر الانبياء عليهم السلام فى احاديث) وفى نسخة فى الاحاديث (مما فى ظاهره اشكال) كحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات (يقتضى امورا لا تليق بهم بحال) من احوالهم (ويحتاج الى تأويل) يصرفها الى تحسين مقالهم (وتردد احتمال) من نقصان فى جمال كمالهم (فلا يجب) اى فلا ينبغى (ان يتحدث منها) بل يجب ان يسكت عنها ولا يؤتى بشئ منها (الا بالصحيح) الثابت فيها (ولا يروى منها الا المعلوم) فى الرواية (الثابت) فى الدراية (ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة

للتشبيه) المحتاجة الى التأويل المقتضى للتنزيه (والمشكلة المعنى) المبنية على استعارة فى المبنى كحديث البخارى وغيره
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول هل من داع فاستجيب له
هل من سائل فاعطيه هل من مستغفر فاغفر له فان نزوله سبحانه وتعالى كناية عن تنزلات رحمته وموجبات اجابة
دعوته واسباب مغفرته او يقال انه سبحانه وتعالى له نزول يليق بشأنه مع اعتقاد التنزيه له عن انتقال وتغير ووجود
مكان وزمان فى ذاته وكذا الحكم فى الايات المتشابهات وسائر الاحاديث المشكلات فللسلف والخلف مذهبان
فالمتقدمون على التسليم والتوكيل ومنهم ابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل والمتأخرون على التأويل والكل قائلون
بالتنزيه ومانعون عن التشبيه وبالغ الامام مالك حتى منع السؤال عن ذلك كما صرح به فى قوله المجيب عن سؤاله
الاستوآء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وقال) اى مالك (مايدعوا الناس) اى اى شئ
يلجئ العامة ويسوقهم (الى التحدث بمثل هذا) كحديث خلق الله آدم على صورته وكحديث اذا كان احدكم يصلى
فلا يبصقن قبل وجهه فان الله بينه وبين القبلة (فقيل له ان ابن عجلان) بفتح اوله (يحدث بها فقال لم يكن) اى ابن عجلان
(من الفقهاء) مع انه كان شيخ مالك ومن اعلام التابعين بالمدينة وروى عن ابيه وانس بن مالك وغيرهما وعنه شعبة
ويحيى بن سعيد القطان ونحوهما وثقه احمد وابن معين وقال غيرهما سيء الحفظ روى انه حملت به امه ثلاثة اعوام
فشق بطنها لما ماتت فاخرج وقد نبتت اسنانه وفى الميزان للذهبى قال عبد الرحمن بن القاسم قيل لمالك ان ناسا من
اهل العلم يحدثون قال من هم فقيل له ابن عجلان فقال لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الاشياء ولم يكن عالما قال
الذهبى قلت قال مالك هذا لما بلغه ان ابن عجلان حدث بحديث خلق الله آدم على صورته ولابن عجلان فيه متابعون
وخرج فى الصحيح انتهى فمعناه لم يكن يفقه ما ينشأ عن هذا من الفساد للعباد والخوض فى الباطل لاهل الفساد
اولم يكن من الفقهاء الذين يتأولون الاخبار بل ممن يبقى على ظاهره ما ورد من الاثار والحاصل انه كره التحديث مالك
بامثال ذلك فى مجالس العامة لا التحديث المطلق المترتب عليه كتم العلم بالخاصة كما بسطنا هذه القضية فى الخطبة
قال القاضى المؤلف (وليت الناس وافقوه) اى مالكا (على ترك الحديث بها وساعدوه على طيها) اى عاونوه على طى
ذكرها فى مجالس العامة (فاكثرها ليس تحته عمل) يحتاج اليه جمهور الخلق وحمله الدلجى على كراهة مطلق التحديث بها
رواية وكتابة فقال هذه دعوى بلا بينة ومن ثم لم يوافقه احد على كراهة التحديث بها اذ لم يقله عليه الصلاة والسلام
لاصحابه عبثا ولا اخبر به عن ربه ليترك سدى مع انه يلزم من كراهة التحديث بها كراهة تعليم الناس متشابه القرءان
واتلاوة مع امره عليه الصلاة والسلام بقوله بلغوا عنى ولو آية وانما ورد فى الكتاب والسنة بعض المتشابهات ابتلاء
للراسخين فى العلم على قدم الثبات قلت اختار مالك سد باب الذريعة للمهالك العامة فى ذلك كما وقع لسيدنا عمر
رضى الله عنه مع ابى هريرة حيث امره صلى الله تعالى عليه وسلم بان يروى عنه عليه الصلاة والسلام ان من يشهد
ان لا اله الا الله حرمه الله على النار ومنعه عمر لئلا يتكل الناس ويتركوا عمل الابرار بسماع هذه الاخبار ووافقه سيد
الاخيار وقال دعهم يعملوا هذا ولم يرد عن احد من الائمة جواز رواية مثل هذه الاحاديث فى مجالس الجهلاء والسفهاء
فلم يخالف مالك فى هذه المسئلة احدا من العلماء بل ثبت عنهم منع العامة عن علم الكلام ودقائق الصوفية الكرام
خوفا عليهم من تزلزل عقائدهم وعدم الانتفاع بفوائدهم (وقد حكى) بصيغة المجهول اى روى مثل ذلك (عن جماعة
من السلف بل عنهم) اى عن السلف (على الجملة) اى من حيث مجموعهم لا جميعهم (انهم كانوا يكرهون الكلام)
اى مع العوام (فيما ليس تحته عمل) من الاحكام مما يؤخذ منه حكم شرعى ينتفع به الانام (والنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اوردها) اى احاديثه (على قوم عرب) فى كمال ادب (يفهمون كلام العرب على وجهه) بدون صرفه عن ظاهر
عبارته الا لموجب يدعو اليه من حمله على اشارته (وتصرفاتهم فى حقيقته) باستعمال اللفظ فيما وضع له بحسب اصله
(ومجازه) باستعماله فى غير ما وضع له بقرينة عقلية او حالية (واستعارته) باستعارة حرف كما فى قوله تعالى ولاصلبنكم
فى جذوع النخل اى عليها او فعل كما فى ولما سكت عن موسى الغضب اى سكن وذهب (وبليغه) اى وبلاغته مما يطابق
مقتضى الحال من فصاحته (وايجازه) الجامع لقلة مبانيه وكثرة معانيه (فلم تكن فى حقهم مشكلة) اى لم توجد
فى الاحاديث بالنسبة اليهم كلمة مشكلة وجملة معضلة اولم تكن هذه الاشياء المتقدمة فى حقهم مشكلة موهمة لمعرفتهم
باساليب كلامهم وقوة ادراكهم وسرعة افهامهم وفق مرامهم وهذا كله ببركة مجالسة نبى الامة وكاشف الغمة
(ثم جاء من غلبت عليه العجمة) بضم اوله اى اللكنة العجمية (وداخلته الامية) اى النسبة الجهولية والحالة الطفولية
(فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب) فى مراصد الادب (الا نصها) اى ظاهرها لا تلويحها (وصريحها) وفى نسخة
تصريحها (ولا يتحقق باشاراتها) وفى نسخة اشاراتها (الى غرض الايجاز) اى الاقتصار والاختصار ميلا

الى الاطناب فى عباراتها (ووحيها) اى خفى كلامها (وتبليغها) وفى نسخة صحيحة وبليغها وهو الابلغ اى الاقوال
المتضمنة ابلاغها (وتلويحها) اى اشاراتها الى تحسين عباراتها بحسب فصاحتها (فتفرقوا) اى من غلبت عليه العجمة
حقيقة او طبيعة (فى تأويلها) اى الاحاديث الموهمة للشبهات المشكلة (او حملها على ظاهرها) من غير تنزيه فى باطنها
(شذر مذر) بفتح اولهما وكسره فهما كلمتين اسمان جعلا اسما واحدا للتأكيد فبنيا على الفتح كخمسة عشر ومحلهما
نصب على الحال اى تفرقوا فى كل وجه بحيث لا يرجى اجتماعهم بوجه ولا يقال فى الاقبال وهذا فى الامثال مثل
قولهم تفرقوا ايدى سبا وتمزقوا كل ممزق (فمنهم من آمن) حق ايمانه من التنزيه (ومنهم من كفر) بحمله على التشبيه
وهذا كله فى الاحاديث الصحيحة والروايات الصريحة كحديث ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب
رجل واحد يصرفه كيف يشاء رواه احمد ومسلم عن عمرو (فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث) التى اشتهرت على السنة
العوام او ذكرت فى كتب بعض العلماء الاعلام (فواجب ان لا يذكر منها شئ) لاسيما الوارد منها (فى حق الله تعالى
ولا فى حق انبيائه عليهم السلام ولا يتحدث بها) اى بالفاظها ومعانيها (ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب
طرحها) اى حذفها او عدم ذكرها (وترك الشغل) وروى الاشتغال (بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة
المقاد) بفتح الميم والقاف اى ضعيفة الرجال (واهية الاسناد) فى المقال (وقد انكر الاشياخ) جمع الشيوخ من العلماء
(على ابى بكر ابن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف للعجمة والعلمية وقد يصرف لعدم ثبوت العجمة (تكلفه
فى مشكله) كانه اسم كتابه (الكلام) بالنصب على انه مفعول تكلفه وفى اصل الدلجى فى مشكل الكلام (على احاديث
ضعيفة) اسنادا او متنا (موضوعة لا اصل لها) لا موقوفة ولا مرفوعة وكان الاولى ان يقال ضعيفة او موضوعة
للفرق بينهما عند ارباب الاصول فان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (او منقولة عن اهل الكتاب)
من اليهود والنصارى وغيرهم (الذين يلبسون الحق بالباطل) كما اخبر الله به عنهم (كان) وفى نسخة وكان اى ابن فورك
(يكفيه) اى ابن فورك (طرحها) اى نبذها وراء ظهره بعدم التفات الى ذكرها (ويغنيه عن الكلام عليها) من جهة
معانيها (التنبيه على ضعفها) ووضعها والتجنب عن التعلق بها (اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس)
اى الخلط الكائن (بها واجتثاثها) مبتدأ اى اقتطاعها (من اصلها وطرحها) وتركها فى فصلها (اكشف) اى ابين
(للبس واشفى للنفس) وفيه بحث اذ الحكم على الحديث بانه ضعيف او موضوع ليس بمقطوع لاختلاف المحدثين
فى رجال الاسناد بحيث لم يبق الاعتماد اذ قل حديث صحيح لم يقل بضعفه وعلته وقل حديث ضعيف بل موضوع لم يقل
بصحته او بثبوته فكانه رحمه الله اتى بالتأويل فى معناه على تقدير صحة مبناه ليزول الاشكال على جميع الاحتمال من
الاحوال والله تعالى اعلم بمقاصد الرجال

(فصل)

(ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وما لا يجوز) اى اطلاقه عليه (والذاكر من حالاته)
اى صفاته ومقالاته (ما قدمناه فى الفصل قبل هذا) الفصل (على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم) اى المتكلم
(فى كلامه عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر تلك الاحوال الواجب) بالنصب على المفعولية من الضمير المستكن
فى يلتزم وتقدير الكلام ومما يجب على المتكلم فى كذا وكذا ان يلتزم فى كلامه الواجب ومن فى قوله (من توقيره
وتعظيمه) للبيان وفى بعض النسخ الواجبة بالتاء ابقاء على انها صفة الاحوال وخطأه ظاهر الا ان يتكلف ويأول بالثابتة
فى الفصول السنية (ويراقب) اى وان يراعى (حال لسانه) بعظيم شانه (ولا يهمله) اى يتركه ولا يرسله من غير بيانه
(ويظهر عليه) اى على المتكلم (علامات الادب عند ذكره) خوفا من الرب ونظيره ما قاله القرآء ان الواجب على القارئ
اذا قرأ آية فيها فعل الكفر كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء ان يخفض صوته عند
المقول وان يخضع فى مقام الخوف والنزول ويتذكر قوله تعالى لعيسى عليه السلام فى المجمع العام أانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله فان مقتضى العقل الباهر والدين الظاهر انه سبحانه وتعالى لولا انه ذكره فى كتابه وقرره
فى خطابه لكان واجبا ان لا يتحدث احد عنهم بهذا الكلام تعظيما للملك العلام وتأمل قول ابن دينار لولا ان الله انزل
فى الفاتحة اياك نعبد واياك نستعين واوجب علينا قرآءته لما تلفظت بهذه الجملة لعدم اتصافى بهذه الخصلة (فاذا ذكر)
المتكلم (ما قاساه) اى كابده عليه الصلاة والسلام (من الشدآئد) من جهة الخلق (ظهر عليه الاشفاق) اى الشفقة
والرحمة (والارتماض) بالضاد المعجمة اى شدة الاحتراق واصله القلق والشدة وهو من الرمض شدة الحر او شدة الغيظ
ومعناه انه يتوقد له ويتغيظ به ويود لو كان فى ذلك الوقت لا وقع بعامل ذلك ما قدر من آثار المقت وهذا معنى قوله
(والغيظ على عدوه) والغيظ بالظاء المعجمة الغضب او شدته او اوله وسورته واغرب التلمسانى بقوله والغيظ بالظاء

والضاد وهى لغة (ومودة الفدآء) وهو بكسر الفاء ممدودا ومقصورا و بفتحها مقصورا اى و يحب ان يفدى بروحه
وابيه وامه (للنبى صلى الله عليه وسلم) فيما اصابه (لو قدر عليه) اى على الفدآء (والنصرة له لو امكنته) لديه ونظيره
فى قرآءة القرءآن اذا قرأ آية الرحمة ينبسط و يطلبها واذا قرأ آية العقوبة ينقبض و يستعيذ منها (واذا اخذ فى ابواب
العصمة) وفى نسخة العظمة والظاهر انه تصحيف وتحريف والمعنى اذا شرع المتكلم فى ابواب حفظ الله اياه فى احواله
(وتكلم فى مجارى اعماله واقواله عليه الصلاة والسلام تحرى) بالحاء المهملة والراء المشددة اى اجتهد فى تأديته
و يطلب ويقصد (احسن اللفظ وآدب العبارة) بهمزة ممدودة اى اولاها (ما امكنه) اى قدر ما قدر عليه (واجتنب
بشيع ذلك) اى كريهه (وهجر) اى ترك (من العبارة ما يقبح) ظاهره (كلفظة الجهل والكذب والمعصية) والمعنى
لا ينسب شيأ منها وامثالها اليه والى غيره من الانبياء عليهم السلام ولا يستند الى ما ورد فى حقهم من قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى اى جاهلا بتفاصيل الايمان كما ينبىء عنه قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ومن
قوله عليه الصلاة والسلام لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات ومفهومه انه كذب ومن قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى فان لله ورسوله ان يعبرا بما شاآ فى حق من شاآ (فاذا تكلم) اى المتكلم (فى الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف
فى القول والاخبار) بكسر الهمزة لا يقول أيجوز عليه الكذب فى قول او خبر (بخلاف ما وقع سهوا) فى لسانه
(او غلطا) فى بيانه (ونحوه من العبارات) كالنسيان فى شانه فانه لا لوم عليه ولا اعتراض لديه لحديث رفع عن امتى
الخطأ والنسيان (ويجتنب لفظة الكذب) اى اطلاقها عليه (جملة واحدة) اى بالكلية (واذا تكلم على العلم) اى علمه
عليه الصلاة والسلام (قال هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم) كما يشير اليه قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (وهل يمكن
ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه) لقوله تعالى ولا يحيطون به علما اى بذاته وقوله تعالى قل الروح
من امر ربى وقوله قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وفى الحديث مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله
ان الله عنده علم الساعة الآية وفى حديث جبريل ما المسؤل عنها باعلم من السائل وقد قال تعالى ان الساعة آتية
اكاد اخفيها اى عن نفسى لو كان امكن فضلا عن غيرى والحاصل ان الانبياء لم يعلموا المغيبات من الاشياء الا بما اعلمهم
الله تعالى احيانا وقد صرح علماؤنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبى يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى قل لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله كذا فى المسايرة للامام ابن الهمام (ولا يقول يجهل) النبى (لقبح اللفظ
وبشاعته) بل يقول لا يدرى مثلا وقت مجيء الساعة فان حسن العبارة معتبر عند ارباب الاشارة كما حكى انه كان
معبران لبعض الامرآء وجعل وظيفة احدهما الفا والآخر نصفه وعجز ندماؤه وجلساؤه عن وجه الفرق بينهما
لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب فسألوه عن ذلك وعن تميزه ما بماهذا لك فقال رأيت فى النوم ان اسنانى
سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الآخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق
بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد فى الاشارتين (واذا تكلم) المتكلم (فى الافعال) الصادرة عنه عليه الصلاة
والسلام (قال هل يجوز منه المخالفة فى بعض الاوامر والنواهى) ولا يعبر عنها بالكبائر والمعاصى (ومواقعة الصغائر)
بل الاولى ان يعبر عنها بالزلات والمكروهات بل وخلاف الاولى (فهو) اى ما ذكر من العبارات (اولى وآدب) بمد الهمزة
اى اكثر تأدبا (من قوله هل يجوز ان يعصى او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصى) المشتملة على الصغائر والكبائر
(فهذا) الذى قدمناه (من حق توقيره) وفى نسخة زيادة وبره اى طاعته او اكرامه (عليه الصلاة والسلام وما يجب له
من تعزيز) اى تبجيل (واعظام وقد رأيت) ويروى ورأيت (بعض العلماء لم يتحفظ من هذا) الذى ذكرناه ويروى فى هذا
(فقبح منه) ما صدر عنه (ولم استصوب عبارته فيه) ولذا اكتفيت بذكر اشارته (ووجدت) ويروى رأيت (بعض
الجائرين) بالجيم من الجور اى المائلين عن الاقتصاد فى القول وفى رواية بالحاء المهملة من الحيرة وهو التردد اى من
المتحيرين فى سبيل الرشاد غير متمكنين على طريق السداد (قوله) بتشديد الواو اى نسبه الى الخطأ فى قوله الخاص به
(لاجل ترك تحفظه فى العبارة ما لم يقله) والمعنى زعم لاجل ترك تحفظه انه قال ما لم يقله (وشنع) ذلك البعض (عليه)
اى على من لم يتحفظ (بما باباه) كلامه (ويكفر قائله واذا كان مثل هذا) الاستعمال بالتحفظ فى الاقوال (بين الناس
مستعملا فى آدابهم وحسن معاشراتهم وخطابهم فاستعماله فى حقه عليه الصلاة والسلام اوجب) اى الزم (والتزامه
آكد) بمد الهمزة اى اوثق واتم قال الدلجى قوله اوجب اى من وجوب فرض لا وجوب تأكيد وهما عند امامنا الشافعى
مترادفان سوآء ثبت بدليل قطعى او ظنى وفرق ابو حنيفة بان ما ثبت بقطعى ففرض وما ثبت بظنى فواجب لان التفاوت
بين الكتاب وخبر الآحاد يوجب التفاوت بين مدلوليهما الكنهم خالفوا قاعدتهم من اطلاقهم الفرض على ما ثبت بظنى
كقولهم الوتر فرض والزكاة واجبة انتهى ولا يخفى ان الفرق بينهما وبحسب الاعتقاد دون العمل فان كلاهما

فرض بهذا الاعتبار لكن ثواب الفرض اكثر وعقاب ترك الواجب اقل ومما يفيد الفرق ان منكر الفرض كافر بخلاف
منكر الواجب وهذا هو بحسب اصل الاصطلاح الشرعى وقد يستعار احد اللفظين مقام الآخر فى الاستعمال اللغوى
ومن لم يميز بين الدليل القطعى والظنى فلا كلام معه لا من جهة النقل ولا من جهة العقل على ان الشافعية اضطروا الى
الفرق بينهما فى احكام الحج فهذا حجة عليهم ثم هذا المبحث لم يكن فى محله ولكنه لما ابدى هذا المقال اوجب لنا حل عقال
هذا الاشكال على ان قوله وجوب فرض لا وجوب تأكيد لا طائل تحته (بجودة العبارة تقبح الشئ) الواحد
(او تحسنه) كما قدمناه فى حكاية المعبرين (وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله تعالى عليه
وسلم ان من البيان لسحرا) رواه مالك واحمد والبخارى وابو داود والترمذى عن ابن عمر ثم البيان فصاحة اللسان
والسحر صرف الشئ عن وجهه والحديث يحتمل المدح والذم اما على الاول فمعناه انه يستميل النفوس ويأخذ بها
لحسنه عندها من بلاغته وفصاحته وحسن تأليفه فى عبارته واشارته وتزيين مبانيه وتحسين معانيه بحيث يرتضى
به الساخط ويستذل به الصعب كما يفعل السحر من الامر العجب ولذلك قالوا فيه السحر الحلال ويؤيده ان فى نفس
الحديث زيادة رواية وان من الشعر لحكمة واما على الثانى فمعناه فى المتشدق الذى يمدح من لا يمدح فى الفعل ويطنب
فيما لا يحل من القول ويحسن القبيح من ذلك ويقبح الحسن هنالك وان فعل ذلك حرام كالسحر ويكتسب صاحبه
من الاثم فى قوله ما يكتسبه الساحر بعمله وقد اورد مالك رحمه الله الحديث فى الموطأ فى باب ما يكره من الكلام ولعله
اختار القول الثانى فى هذا المقام والله تعالى اعلم بالمرام (فاما ما اورده) المتكلم (على جهة النفى عنه والتنزيه
له عليه الصلاة والسلام منه (فلا حرج فى تسريح العبارة) اى ارسالها واطلاقها (وتصريحها فيه) اى فى حقه عليه
الصلاة والسلام (كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة) اى مجملا ومطلقا او جميع انواعه (ولا اتيان الكبائر بوجه) اى
لا عمدا ولا سهوا (ولا الجور) اى الميل والظلم (فى الحكم) بين الناس (على حال) من الغضب والرضى (ولكن مع هذا
يجب ظهور تعظيمه وتوقيره وتعزيزه) اى تبجيله (عند ذكره مجردا) عن اثبات وصف او نفيه (فكيف عند ذكر مثل
هذا) الكلام المشتمل على نعته على جهة النفى او ثبوته (وقد كان السلف) من ائمة الدين كزين العابدين وجعفر
الصادق ومحمد بن المنكدر (تظهر عليهم حالات شديدة) من تغير لون وبكاء ورعدة (عند مجرد ذكره كما قدمناه فى القسم
الثانى وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك) من ظهور التوقير (عند تلاوة آى من القرءآن حكى الله فيها مقال عداه) بكسر
اوله اى اعدائه من اليهود والنصارى (ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته) فى تلاوته (اعظاما
لربه واجلالا له) اى لقدره وامره (واشفاقا) على نفسه حذرا (من التشبه بمن كفر به سبحانه لا اله الا هو العلى العظيم)
فعن ابراهيم النخعى انه كان اذا قرأ قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة يخفض بها صوته اى بقولهم وامثال ذلك
من كفرياتهم

(الباب الثانى)

(فى حكم سابه) اى شاتمه (وشانئه) اى مبغضه اذا ظهر عليه اثره (ومتنقصه) اى طالب نقصه (ومؤذيه) اى بقوله
او فعله (وعقوبته) اى وفى عقوبة من ذكر (وذكر استتابته) من طلب توبته او قبول رجعته وفى نسخة والصلاة عليه
(ووراثته) فى تركته بعد موته (قد قدمنا ما هو سب واذى فى حقه عليه الصلاة والسلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل
فاعل ذلك وقائله) اى ان لم يرجع الى الاسلام (وتخيير الامام) وفى نسخة اولا وجه له وفى نسخة ويخير الامام اى
وذكرنا كونه مخيرا (فى قتله او صلبه على ما ذكرناه) اى تفصيل صور امثلته (وقررنا الحجج عليه) باظهار ادلته (وبعد)
اى بعد ذلك (فاعلم ان مشهور مذهب مالك واصحابه واقوال السلف) اى بعضهم (وجمهور العلماء) اى المالكية
لما سيأتى ان الجمهور على خلاف قول مالك المشهور (قتله حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه) اى من عند نفسه
او من قوله او فعله (ولهذا) اى ولكونه يقتل حدا لا كفرا (لا تقبل عندهم توبته) اى منه كما فى نسخة (ولا تنفعه
اى فى دفع قتله (استقالته ولا فيئته) بفتح الفاء وتكسر فتحتية ساكنة فهمزة اى رجوعه عنه (كما قدمناه قبل)
اى قبل ذلك (وحكمه) اى فى حتم القتل (حكم الزنديق) الذى توبته عندهم لا تقبل وهو الذى لا يتدين بدين (ومسر
الكفر) ومظهر الايمان (فى هذا القول) المشهور من مذهب مالك وقال غيره تقبل توبته ولا يقتل (وسواء كانت
توبته على هذا) القول المشهور (بعد القدرة عليه) اى على اخذه (والشهادة على قوله) المؤدى الى قتله (او جاء تائبا
من قبل نفسه) اى من عنده بدون استتابته (لانه) اى قتله (حد وجب) عندهم (لا تسقطه التوبة كسائر الحدود)
من الزنى وقتل النفس ونحوهما اتفاقا وفيه انه قياس مع الفارق فان هذه الحدود عامة ثابتة بالكتاب والسنة
واما من كفر بسبب سب ثم تاب فلا يعرف له حد فى هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام بهجاه عليه الصلاة والسلام

بقولهم نتربص به ريب المنون لن تقبل توبتهم لا يتوبون اولا يتوبون الا اذا اشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها وذلك لما سبق فى قوله تعالى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق الى ان قال الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم وعن ابن عباس ان قوما اسلموا ثم ارتد وا ثم اسلموا ثم ارتدوا فارسلوا الى قومهم يسألون فنزلت رواه البزار وقال ابن كثير اسناده جيد (وحكى ابن المنذر) وهو الامام الحافظ المشهور (عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه يستتاب) اى الزنديق (قال محمد بن سحنون ولم يزل) بفتح اوله وضم ثانيه اى لم يرتفع (القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه الصلاة والسلام لانه لم ينتقل من دين) هو حق (الى غيره) وهو دين باطل وهذا غريب من قائله اذ لا شبهة انه انتقل بسبه عليه الصلاة والسلام من دين الاسلام وما عداه باطل باجماع الاعلام (وانما فعل شيأ حده عندنا القتل ولا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر) اى بل الى باطن وفساد هذا التعليل ايضا ظاهر (وقال القاضى ابو محمد) اى عبد الوهاب (ابن نصر) اى البغدادى المالكى (محتجا لسقوط اعتبار توبته) اى توبة من سبه عليه الصلاة والسلام (والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته) اى استتابة من سبه تعالى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقه المعرة) بتشديد الراء اى الكراهة والمشقة (الا من اكرمه الله بنبوته) هذا استثناء غريب لا يظهر وجه اتصاله ولا انفصاله اللهم الا ان يراد بالمعرة المنقصة وبلائمه قوله (والبارئ تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا) مما لا خلاف فيه اجماعا (وليس) اى الله سبحانه وتعالى (من جنس تلحقه المعرة) فى هذه العبارة مزلة لنزاهة ساحة عزته عن ان يكون من جنس تلحقه معرة اولا تلحقه فلا يصح اطلاق النوعية والجنسية عليه كما لا يصح سؤال الماهية والكيفية بالنسبة اليه وفيه ان مقتضى قياس العقل ان من سب الله سبحانه وتعالى يكون اشد كفرا ممن سب النبى عليه الصلاة والسلام لوضوح قبحه عند جميع الانام (وليس سبه عليه الصلاة والسلام كالارتداد) اى المجرد (المقبول فيه التوبة) ولو كانت ردته بسب الله سبحانه وعز شانه وفيه بحث سيأتى بيانه (لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد) وهو كفره فقط (لا حق فيه لغيره من الادميين فقبلت توبته) وفيه ان من سب الله تعالى يتعلق به حق خلقه من النبى وغيره ومن غضب بسب نفسه ولم يغضب بسب ربه فهو ليس بادمى ومما يدلك على ذلك انه كان عليه الصلاة والسلام لا يسامح عن المرتد فكيف من يسب الله سبحانه وتعالى وكان يساهل من يسبه عليه الصلاة والسلام ويطعن فيه من المنافقين وغيرهم فيتعين ان سب الله تعالى اقبح من سب غيره والحاصل ان سبه سبحانه وتعالى وسب انبيائه كفر يستتاب وتقبل توبته عند الجمهور واما سب سائر الادميين فليس بكفر فيه زر بشروطه المعتبرة (ومن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تعلق به) وفى نسخة فيه (حق لادمى) وهو نفسه عليه الصلاة والسلام او امته الكرام ولا شك انه يتعلق به حقه تعالى ايضا بلا كلام وفى نسخة تعلق فيه حق للادميين قال التلمسانى فعلى الاول معناه ان ما وجب من حق النبى عليه الصلاة والسلام فقد تعلق بالناس كافة فوجب عليهم القيام به وعلى الثانى بان الامر وجب له ونحن نأخذ به وليس حقه كحق غيره (فكان كالمرتد) بل هو مرتد ما لم يتب واذا تاب لا معنى له انه كالمرتد (يقتل) اى مسلما (حين ارتداده او يقذف) اى محصنة (فان توبته) وان قبلت من حيث ارتداده (لا تسقط عنه حق القتل) وفى نسخة حد القتل والقذف وحاصله انه تقبل توبته عن ارتداده بالنسبة الى تعلق حق الله به ولا تقبل توبته بالنسبة الى تعلق حق غيره به (وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه) التى اقترفها زمن ردته (من زنى وسرقة وغيرهما) كقتل وشرب خمر (ولم يقتل ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لكفره) اى بعد توبته واما قول الدلجى لانه لم يسبق له اسلام فلا وجه لعلته (لكن) يقتل (لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته) فى مقام نبوته (وزوال المعرة به) اى بقتله (وذلك المعنى (لا تسقطه التوبة قال القاضى ابو الفضل رحمه الله) اى المصنف (يريد) القائل (والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضى الكفر) اى فى نفس الامر (ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف) وهذا غريب فان الطعن فى نبوته والقدح فى نعته مناقض للاقرار برسالته وقبول دعوته وقد سبق ان سبه كفر بالاجماع وانما قبول توبته فى الدنيا محل النزاع (اولانه) اى الشان (بتوبته واظهار انابته) اى رجوعه (ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا) وهو ظاهر (والله تعالى اعلم بسريرته) وهذا حكم كل كافر او مرتد يدخل فى دين الاسلام فانا نحكم عليه بالظاهر ونكل سريرته الى عالم السرائر كما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحسابهم على الله (وبقى حكم السب عليه) عند المالكية فيقتل حدا لا كفرا واما عند غيرهم فحكم السب هو الكفر وارتفع بتوبته ورجوعه الى شريعته (قال ابو عمران القابسى من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب حق آدمى لا يسقط عن المرتد) فلا يستتاب لردته كذا قال والاولى على مقتضى مذهبهم ايضا القول باستتابته

ثم تاب وقبل منه توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام ان الاسلام يجب ما قبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق وفى الحدود تفصيل فى مذهبنا هو المحمود (قال الشيخ ابو الحسن القابسى رحمه الله اذا اقر بالسب) اى له او لغيره من الانبياء عليهم السلام (وتاب منه واظهر التوبة) اى اثرها اقبلت منه و(قتل بالسب لانه هو) اى القتل (حده وقال ابو محمد ابن ابى زيد مثله) اى يقتل لانه حده وفى نسخة فى مثله اى فى نظيره (واما ما بينه وبين الله فتوبته تنفعه) اجماعا (وقال ابن سحنون) بفتح اوله ويضم وبصرفه ويمنع (من شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) وكذا غيره من الانبياء عليهم السلام (من الموحدين) اى المسلمين (لم تزل) من الازالة اى لم ترفع (توبته عنه القتل) وهو معنى قول القابسى وابن ابى زيد (وكذلك اختلف) اى اختلف المالكية (فى الزنديق اذا جاء تائبا) من قبل نفسه من غير استتابة والجاء اليها (فحكى القاضى ابو الحسن ابن القصار فى ذلك) اى فى مجيئه تائبا (قولين قال) اى ابن القصار (من شيوخنا من قال اقتله) اى احكم بقتله (باقراره) بانه كان زنديقا او شاتما ثم جاء تائبا (لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما اعترف خفنا) اى ظننا ومنه قوله تعالى الا ان يخافا ان لا يقيما (انه خشى الظهور) اى الاطلاع (عليه) بان يجدوا الزندقة لديه (فبادر لذلك) بالتوبة وهذا له وجه فى الجملة اذا كان لبعض الناس اطلاع على حاله (ومنهم من قال اقبل توبته لانى استدل على صحتها) اى صحة توبته (بمجيئه) تائبا من قبل نفسه (فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة) اى اخذته وقيدته (قال القاضى ابو الفضل وهذا) القول الاخير (قول اصبغ) اى ابن الفرج فقيه مصر من شيوخ البخارى (ومسألة ساب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اقوى) اى اشد من مسئلة الزنديق فانها من حق الله تعالى وهو مبنى على المسامحة ففيه الخلاف فى الجملة بخلاف الساب فانه (لا يتصور فيه الخلاف) فى مذهب مالك (على الاصل المتقدم) على ذلك (لانه) اى سبه (حق متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين) وفيه ان حق الله هنا ايضا متعلق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وجميع امته (والزنديق) وهو الثنوى او القائل ببقاء الدهر او المسر للكفر وهذا المعروف عند الفقهاء (اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث) اى ابن سعد (واسحق) اى ابن راهويه (واحمد) اى ابن حنبل (لا تقبل توبته) اى ظاهرا فلا تسقط عنه القتل (وعند الشافعى تقبل) توبته ولا يقتل (واختلف القول فيه عن ابى حنيفة) وهو الامام الهمام (وابى يوسف) احد اتباعه من الاعلام والمعتمد ما فى قاضيخان واما الزنادقة فاخذ الجزية منهم بناء على قبول التوبة من الزنادقة فانهم قالوا ان جاء الزنديق قبل ان يؤخذ فاقر انه زنديق فتاب من ذلك قبلت توبته وان اخذ ثم تاب لا تقبل توبته ويقتل لانهم باطنية يظهرون شيأ ويعتقدون فى الباطن خلاف ذلك فيقتلون ولا تؤخذ منهم الجزية ولا تقبل توبتهم انتهى وابو حنيفة ترجمته كثيرة ومناقبه شهيرة واما ابو يوسف فهو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب ابن خنيس بن سعد بن حبتة بحاء مهملة مفتوحة فموحدة ساكنة ومثناة فوقية مفتوحة وهى امه وهو سعد بن بجير بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة وقيل سعد بن بجير بضم الموحدة وفتح الجيم وذكر القولين الامير فى اكماله وقال الذهبى سعد بن بجير البجلى حليف الانصار روى انه قاتل يوم الخندق وان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسح رأسه وقال اسعد الله جدك ومن ولده القاضى ابو يوسف صاحب ابى حنيفة وقد روى عن عطاء بن السائب وهشام بن عروة وغيرهما وكان ابو يوسف من اهل الكوفة فقيها عالما روى عنه محمد بن الحسن الشيبانى وبشر بن الوليد الكندى وعلى ابن الجعد واحمد بن حنبل وابن معين وغيرهم وقد روى الشافعى عن محمد عن ابى يوسف وكان قد سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء المهدى وابنه الهادى ثم هارون الرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله قال ابن خلكان هو اول من دعى بقاضى القضاة ويقال انه اول من غير لباس العلماء الى هذه الهيئة التى هم عليها الان وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيأ واحدا لا يتميز احد عن احد بلباس قال ولم يختلف يحيى بن معين واحمد بن حنبل وعلى ابن المدينى فى ثقته فى النقل وكان كثير الحديث انتهى ولد سنة ثلاث عشرة ومائة وتوفى يوم الخميس اول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وثمانين ومائة ببغداد وابنه يوسف الذى يكنى به ولى القضاء فى حياة ابيه ومات سنة اثنتين وتسعين ومائة وبلغ من العمر تسعا وستين سنة واما قول التلمسانى قالوا ابو يوسف ابو حنيفة اى يسد مسده ويغنى عنه فليس فى محله لان ابا يوسف حسنة من حسنات ابى حنيفة وفضله وانما هو تشبيه بليغ كما يقال زيد اسد اى كاسد فالمعنى ان ابا يوسف كابى حنيفة ومن المعلوم ان المشبه به اقوى من المشبه ولا يلزم من التشبيه المساواة من جميع الشبه ثم المعتمد فى المذهب انه تقبل توبته ولا يقتل واما قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلاة والسلام والقرآن او كفروا بمحمد قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه او لقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا

لتنفعه توبته عند ربه وان كان يقتل حدا ان تاب عندهم (وكلام شيوخنا هؤلاء) المالكية المذكورين (مبنى على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل) فان سبه بما لا يقتضى كفرا قتل حدا وكذا ان سبه بما يقتضيه وتاب والا قتل كفرا كذا ذكره الدلجى وهو خطأ فاحش لان سبه بما لا يقتضى كفرا لا يتصور اصلا فان مطلق سبه كفر قطعا (واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه) اى مالكا والوليد (على ذلك مما ذكرناه) فيما مر (وقال به من اهل العلم) اى كثيرون (فقد صرحوا بانه) اى سبه عليه الصلاة والسلام (ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل) بصيغة المجهول اى عوقب عبرة لغيره اذ النكال العقوبة التى تنكل الناس اى تمنعهم عن فعل ما جعلت له جزاء وهذا عندهم ايضا (وان ابى) اى امتنع عن التوبة (قتل) اجماعا (فحكم له) اى مالك للساب (بحكم المرتد مطلقا) بوجوب استتابته وقبولها مطلقا (فى هذا الوجه) الذى رواه الوليد عن مالك ووافقه عليه غيره ووقع فى اصل الدلجى الزنديق بدل المرتد والظاهر انه خطأ (والوجه الاول اشهر) من رواية الوليد (واظهر لما قدمناه) من انه يقتل حدا لا كفرا ان تاب واخطأ الدلجى فى قوله هنا وان تاب لان مفهومه انه اذا لم يتب يقتل حدا لا كفرا وهو خلاف الاجماع (ونحن نبسط الكلام فيه) اى فى سبه عليه الصلاة والسلام (فنقول من لم يره ردة) اى ارتدادا عن الاسلام وهو بعيد عن مقام النظام (فهو يوجب القتل فيه) اى به (حدا) اى لا كفرا (وانما نقول ذلك) اى كونه ليس بردة (مع فصلين) اى فى محلين (اما مع انكاره ما شهد عليه به) بصيغة المجهول (او اظهاره الاقلاع) اى التحول والارتحال (والتوبة) اى واظهارها (عنه فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه) اما بالبينة او بالتوبة (فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتحقيره) اى سابه (ما عظم الله تعالى من حقه واجرينا حكمه فى ميراثه وغير ذلك) مما له من الحقوق (حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر) زندقته (او تاب) عنها (فان قيل وكيف) وفى نسخة صحيحة فكيف (تثبتون عليه الكفر) باقراره (ويشهد عليه) بالبناء للمفعول (بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من الاستتابة وتوابعها) اى من القبول ورفع القتل عنه كما عليه جمهور السلف والخلف وعامة الائمة (قلنا نحن) المالكية (وان اثبتنا له حكم الكافر فى القتل فلا نقطع) بالجزم (عليه بذلك) الكفر (لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه) بضم الزاى وفتحها اى اولدعواه (ان ذلك) كان (منه وهلا) بفتح الهاء وسكونها اى غلطا وسهوا وبروى وهما وهو بسكون الهاء وتحركه (ومعصية) خطأ (وانه مقلع) معرض (عن ذلك) الصادر منه هنالك (نادم عليه) اى على ما نسب اليه (ولا يمتنع اثبات بعض احكام الكفر) كالقتل (على بعض الاشخاص) من المسلمين (وان لم تثبت له خصائصه) اى جميع خصائصه الموجبة للحكم عليه به (كقتل تارك الصلاة) كسلا او تهاونا حدا لا كفرا عند من قال به وهو خلاف ظواهر الادلة وقواعد الائمة بخلاف من تركها جحدا او استحلالا فانه كفر اجماعا (واما من علم سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك فى كفره بذلك) اى باعتقاد استحلاله مع الاجماع على حرمته (وكذلك ان كان سبه فى نفسه) مع قطع النظر عن استخفافه واستحلاله (كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه) كالشك فى نبوته اورسالته (فهذا مما لا اشكال فيه) بالحكم عليه بالكفر (ويقتل) حدا (وان تاب منه لانا) معشر المالكية (لا نقبل توبته) لرفع القتل عنه (ونقتله بعد التوبة حدا) لا كفرا (لقوله) الذى ظهر منه (ومتقدم كفره) اى الذى صدر عنه (وامره بعد) اى بعد توبته وقتله (الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره) اى بباطن حاله (وكذلك) يقتل بل هو اولى هنالك (من لم يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه) بان عزم وجزم على ما لديه (فهذا كافر) بلا خلاف (بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله تعالى وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء) وفى اصل الدلجى اخذ ولكنه لا يلائمه قوله (وانزل مختلف عبارتهم) لان المناسب ان يكون كلاهما بصيغة الامر وضبط التلمسانى بحاء مهملة مضمومة ودال مهملة مشددة امر من حد الشئ ميزه او من حده صرفه ورتبه وفى نسخة عباراتهم بصيغة الجمع والمعنى اترك عباراتهم المختلفة الى ما لها واحد (فى الاحتجاج) بقتله (عليها) اى على التفصيلات (واجر) اى امض (اختلافهم فى الموارثة) وروى الوراثة (وغيرها) من اجراء احكام الاسلام على من تاب وان حكم بقتله من الصلاة عليه ودفنه فى مقابر المسلمين (على ترتيبها يتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى)

(فصـــل)

(اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح) منه على رواية الوليد بن مسلم عن مالك (فالاختلاف فيها) اى فى الاستتابة (محمول على الاختلاف فى توبة المرتد اذ لا فرق بينهما) عند مالك على الرواية السابقة (وقد اختلف السلف فى وجوبها) اى الاستتابة (وصورتها) اى كيفيتها (ومدتها فذهب جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب) وجوبا او ندبا (وحكى

ابن

ابن القصار انه) اى قول الجمهور (اجماع من الصحابة على تصويب قول عمر فى الاستتابة) سواء يكون ايجابا او استحبابا (ولم ينكره) اى قول عمر (واحد منهم) فيكون اجماعا سكوتيا بالنسبة الى بعضهم (وهو قول عثمان وعلى وابن مسعود) اى مختارهم المنصوص عنهم (وبه) اى وبقول من تقدم من الصحابة (قال عطاء ابن ابى رباح) بفتح الراء وهو من اجلاء التابعين من اهل مكة (والنخعى) بفتح النون والخاء المعجمة ويسكن تابعى كوفى (والثورى ومالك واصحابه والاوزاعى) منسوب الى قبيلة من همدان (والشافعى واحمد واسحق) اى ابن راهويه (واصحاب الرأى) اى الثاقب الذى هو اسنى المناقب قال النووى المراد باصحاب الرأى الفقهاء الحنفية وهذا عرف اهل خراسان (وذهب طاوس) يكتب بواو واحدة كداود وهو ابن كيسان اليمنى وزيد فى نسخة ومحمد بن الحسن وهو من اصحاب ابى حنيفة (وعبيد بن عمير) بالتصغير فيهما وهو ابو قتادة الليثى يروى عن ابى وعمر وعائشة وعنه ابنه وابن ابى مليكة وعمرو بن دينار واخرون قال الذهبى ذكر ثابت البنانى انه قص على عهد عمر وهذا بعيد انتهى وثقه ابو زرعة وجماعة توفى سنة اربع وسبعين واخرج له الائمة الستة (والحسن) اى البصرى (فى احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب) اى وجوبا الا انه لو تاب تقبل توبته ولا يقتل (وقاله) اى وقال به (عبد العزيز ابن ابى سلمة) اى الماجشون بكسر الجيم كان اماما معظما ولدته امه على ما قيل لاربع سنين توفى سنة اربع وستين ومائة اخرج له الائمة الستة روى عن الزهرى وابن المنكدر ولم يدرك نافعا وليس بالمكثر اجازه المهدى بعشرة آلاف دينار قال ابو الوليد كان يصلح للوزارة (وذكره عن معاذ) اى ابن جبل الانصارى (وانكره) اى نقله (سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوى عن ابى يوسف وهو) اى القول بعدم وجوب الاستتابة (قول اهل الظاهر) وهم داود بن محمد الظاهرى واتباعه (قالوا) اى القائلون بعدم وجوب الاستتابة او علماء المالكية او العلماء اجمعون (وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل) اى لا ندفعه (عنه) نحن معاشر المالكية (لقوله صلى الله عليه وسلم) فيما رواه احمد والبخارى والاربعة عن ابن عباس (من بدل دينه) اى غيره (فاقتلوه) اى ان لم يتب ولا يصح حمله على اطلاقه لمخالفة الاجماع على ان المرتد اذا تاب قبلت توبته ولم يقتل واما تخصيص حكم الساب فمذهب حادث من مالك واصحابه (وحكى ايضا عن عطاء انه ان كان) اى المرتد (ممن ولد فى الاسلام) اى ولد مسلما (لم يستتب) اى لا وجوبا ولا استحبابا وليس فى كلامه ما يدل على عدم قبول توبته (ويستتاب الاسلامى) اى المنسوب الى الاسلام بالدخول عليه ولعل الفرق مبنى على زجر الاول وعدم عذره فتأمل (وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة فى ذلك) اى فى القتل لا فى وجوب الاستتابة كما توهم الدلجى (سواء) لعموم الحديث السابق (وروى) كما فى مصنف ابن ابى شيبة (عن على) موقوفا عليه لكنه فى حكم المرفوع (لا تقتل المرتدة وتسترق) كما واسرت الكافرة (وقاله عطاء) اى وافقه (وقتادة وروى عن ابن عباس لا تقتل النساء فى الردة) واغرب الدلجى بقوله ولعله اراد زمن ردة العرب بعد وفاة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وبه قال ابو حنيفة) ويؤيده ما ورد من النهى عن قتل النساء ففى الصحيحين عن ابن عمر نهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان وان خصه بعضهم بحال الغزاة واعلم ان المرتدة لا تقتل عندنا ولكنها تحبس ابدا الى ان تتوب ويجوز استرقاق المرتدة بعد ما لحقت بدار الحرب ولعل قول على محمول على ذلك (قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى فى ذلك) اى فى قتل كل منهم بالردة (سواء) اخذا بظاهر الحديث الذى تقدم والله تعالى اعلم (واما مدتها) اى مدة الاستتابة وجوبا او استحبابا (فمذهب الجمهور من العلماء) (وروى عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها) فان تاب والا قتل (وقد اختلف فيه) اى فى مذهب الجمهور المروى (عن عمر) انه يستتاب ثلاثة ايام (وهو) اى ما روى عن عمر (احد قولى الشافعى) قال الدلجى والصحيح من مذهبه انه يستتاب فى الحال فان تاب والا قتل (وقول احمد واسحق واستحسنه) اى ذلك (مالك وقال لا يأتى الاستظهار) اى التثبت والانتظار (الا بخير) يرجى (وليس عليه) اى على التأنى فى الامور (جماعة الناس) لاستعجالهم فيها (قال الشيخ ابو محمد ابن ابى زيد يريد به) يعنى مالكا بقوله وليس عليه جماعة الناس (فى الاستيناء) اى فى الاستمهال (ثلاثا وقال مالك ايضا الذى آخذ) اى اقول (به فى المرتد قول عمر رضى الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه) اى الاسلام (كل يوم فان تاب) قبلت توبته (والا قتل وقال ابو الحسن ابن القصار فى تأخيره) اى المرتد (ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك واجب او مستحب) فظاهر مذهبه كما فى شرح المختصر لبهرام الوجوب وروى عنه الاستحباب والله تعالى اعلم بالصواب (واستحسن الاستتابة) اى نفسها (والاستيناء) اى الاستمهال (ثلاثا اصحاب الرأى) حيث ثبت عن الصحابة ولم يثبت الوجوب فى الرواية ولا القتل بعد التوبة (وروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه استتاب امرأة) اى مرة او مرات (فلم تتب فقتلها) ولعله قتلها لكونها رئيسة لقومها او كانت داعية الى طريقها من كفر بدعوى النبوة او غيرها قيل كانت المرأة من فزارة على ما رواه البيهقى وفى رواية انها ام فرقة وفى فتاوى قاضيخان

واذا دخل اهل الاسلام دار الحرب مغيرين لا ينبغى لهم ان يقتلوا النساء الا اذا قاتلت المرأة اوكانت ملكة اوكانت ذات رأى فى الحرب واذا قاتلت فاخذها المسلمون لا بأس بقتلها وان امكن سبيها (وقال الشافعى مرة) اى يستتاب فى الحال (وان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزنى) المصرى منسوب الى مزينة قبيلة كان ورعا زاهدا مجاب الدعوة متقللا من الدنيا وكان معظما بين اصحاب الشافعى قال الشافعى فى حقه لو ناظر الشيطان لغلبه وصنف المبسوط والمختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب فى العلم وكتاب الرقائق والاقارب توفى سنة اربع ومائتين ودفن بالقرافة بالقرب من قبر الشافعى (وقال الزهرى يدعى الى الاسلام ثلاث مرات) اى ولو فى يوم واحد (فان ابى قتل) واغرب الدلجى فى قوله ولو فى ساعة (وروى عن على يستتاب شهرين وقال النخعى يستتاب ابدا وبه اخذ الثورى مارجيت توبته) وهو قيد لقول النخعى وجملة وبه اخذ الثورى معترضة واغرب الدلجى فى قوله وبه اخذ وزاد مارجيت توبته ووجه غرابته انه لم يتصور من الامام النخعى ان يقول يستتاب ابدا سواء رجيت توبته اولم ترج (وحكى ابن القصار) اى المالكى (عن ابى حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات فى ثلاثة ايام اوثلاث جمع فى كل يوم) على الاول مرة (او جمعة) اى كل جمعة (مرة) قال الدلجى يحتمل ان يكون تخييرا من ابى حنيفة اوشكا من ابن القصار او من المصنف قلت والمعتمد فى مذهبنا ماذكره قاضيخان فى فتاويه من ان المرتد يعرض عليه الاسلام فى الحال فان اسلم والاقتل الا ان يطلب التأجيل فيؤجل ثلاثة ايام لينظر فى امره ولا يؤجل اكثر من ذلك ويعرض عليه الاسلام فى كل يوم من ايام التأجيل فان اسلم سقط عنه القتل وان ابى يقتل وبجحود الردة يكون عودا الى الاسلام ثم ردة الرجل تبطل عصمة نفسه حتى لو قتله قاتل بغيرامر القاضى عمدا اوخطأ اوبغير امر السلطان اواتلف عضوا من اعضائه لاشئ عليه (وفى كتاب محمد) اى ابن المواز (عن ابن القاسم) اى ابن خالد المصرى (يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات) اى فى يوم اوايام كما هو المشهور من مذهب مالك (فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا) القول باستتابته (هل يهدد) بقتل وضرب وغيرهما (اويشدد عليه ايام الاستتابة) بجوع اوعطش ونحوهما (ليتوب) اى ولو بكره (ام لا) يهدد ولا يشدد (فقال مالك ماعلمت فى الاستتابة تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى له) اى يعطى (من الطعام مالا يضره) رجاء رجوعه (وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل) والتنكيل الوبيل (وفى كتاب ابى الحسن) ويقال ابو الحسين (الطابثى) بطاء مهملة ثم موحدة مكسورة فمثلثة فياء نسبة الى قرية بالبصرة (يوعظ فى تلك الايام) اى ايام الاستتابة (ويذكر بالجنة) ونعيمها (ويخوف) اى ينذر (بالنار) والبمها (قال اصبغ واى المواضع حبس فيها من السجون مع الناس) المحبوسين (اووحده) اى مفردا عنهم (اذا استوثق منه) بصيغة المجهول (سواء) لان المقصود حفظه كى يرجع الى الاسلام اويقتل عبرة للانام (ويوقف ماله) اى يحفظ (اذا خيف تلفه على المسلمين) فاندفع قول الدلجى لم ادر ما محترزه بالظرف المؤذن بانه اذا لم يخف تلفه لم يوقف بل هو موقوف بسبب ردته مطلقا فان لم يتب تبين زوال ملكه عنه وكان فيئا انتهى وسيأتى الكلام عليه وانما نشأ عدم درايته من حمل الموقوف على حكمه لا على حفظه عن ضياع ملكه (ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كما رجع) الى الاسلام (وارتد) بعده من الايام (وقد استتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نبهان) بنون مفتوحة وسكون موحدة وهو احد ثلاثة من الصحابة كل منهم كان اسمه نبهان لا يعلم ايهم (الذى ارتد) منهم (اربع مرات اوخمسا) شك من الراوى وقد رواه البيهقى بسند مرسل وقال استتاب رجلا ارتد اربع مرات اسمه نبهان قال الحلبى فى الصحابة نبهان التمار ابو مقبل ونبهان ابو سعد ونبهان الانصارى انتهى ولم يذكر ابو عمر نبهان فى كتابه قيل ولم يذكر ابن الجوزى من اسمه نبهان فى الصحابة الا الاول وبه جزم التلمسانى حيث قال ونبهان هو التمار روى انه اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى البيت فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره فنزل والذين اذا فعلوا فاحشة الآية (قال ابن وهب) اى المصرى (وعن مالك يستتاب ابدا كما رجع) الى الردة (وهو قول الشافعى واحمد وقاله ابن القاسم) المصرى الفقيه المالكى (وقال اسحق) اى ابن راهويه (يقتل فى الاربعة) بدون استتابة (وقال اصحاب الرأى ان لم يتب فى الاربعة) اى من مرات الردة (قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة) اى آثار صحتها وانوار ندامتها قال الدلجى وهو عجيب لمخالفته قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انتهى ولا يخفى ان ليس فى الآية نص على خلاف ذلك وانما هى مطلقة قابلة للتقييد اذا وجد دليل مخصص يظهر للمجتهد وكفى باسحق اماما مجتهدا واما مانسب الى اصحاب ابى حنيفة رحمه الله فهو غير مشهور عنهم ففى قاضيخان رجل ارتد مرارا وجدد الاسلام فى كل مرة وجدد النكاح فعلى قول ابى حنيفة تحل له امرأته من غير اصابة الزوج الثانى لان عنده الردة لا تكون طلاقا واباء الزوج عن الاسلام يكون طلاقا وعلى قول

ابى يوسف ردته واباؤه لا يكون طلاقا وعند محمد كلاهما طلاق وردة المرأة واباؤها لا يكون طلاقا وتقع الفرقة عند عامة العلماء بردتها وعند البعض لا تقع واجمع اصحابنا ان الردة تبطل عصمة النكاح فتقع الفرقة بينهما بنفس الردة وعند الشافعى لا تقع الفرقة الا بقضاء القاضى (قال ابن المنذر ولا نعلم احدا) من العلماء (اوجب على المرتد فى المرة الاولى) من ردته (ادبا اذا رجع) بنفسه عنها الى الاسلام (وهو) اى عدم وجوب الادب على المرتد اذا رجع مبنى على (مذهب مالك والشافعى والكوفى) يعنى به ابا حنيفة لانه الفرد الاكمل لا سيما من علماء الكوفة

(فصل)

(هذا حكم من ثبت عليه ذلك) الكفر (بما يجب ثبوته) اى يعتبر وجوده (من اقرار) ممن صدر عنه (او عدول) اى شهادة عدلين او اكثر (لم يدفع فيهم) اى لم يطعن فى حقهم (واما) وفى نسخة فاما (من لم تتم الشهادة عليه) لنقص كمية اوصفة (بما شهد عليه الواحد) ولو عدلا (او اللفيف) اى الطائفة الملتفة او الجماعة المختلفة (من الناس) المتهمين فى العدالة (اوثبت قوله) باقراره اوبشهادة مقبولة (لكن احتمل) قوله تأويلا (ولم يكن صريحا) فى كونه كفرا (وكذلك) الحكم اى مطلقا لا حكم من لم تتم الشهادة عليه كما توهم الدلجى لانه يدفعه قوله (ان تاب على القول) المنقول عن مالك برواية الوليد بن مسلم (بقبول توبته) كما عليه الجمهور (فهذا) اى ماذكر من الشخصين (يدرأ عنه القتل) يحتمل كونه مبنيا للفاعل او المفعول اى يدفع عنه (ويتسلط عليه اجتهاد الامام) فى تعزيره وتشهيره (بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه) اى على مقاله (وضعفها وكثرة السماع عنه) لما صدر منه (وصورة حاله من التهمة فى الدين والنبز) بفتح النون وسكون الموحدة فزاى اى ومن دعائه وندائه بلقب السوء (بالسفه) اى بخفة العقل (والمجون) بضمتين اى وبعدم المبالاة فى امور الديانات وفى نسخة الفجور فان المعاصى تريد الكفر (فمن قوى امره) اى وضعف قدره (اذاقه) الامام (من شديد) وروى من شر (النكال) بفتح النون اى العقوبة والوبال (من التضييق فى السجن والشد) اى التشديد (فى القيود) ويروى فى القيد (الى الغاية التى هى منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته) من قضاء حاجته (ولا يقعده) اى لا يمنعه (عن صلاته) من شروطها واركانها فى طاعته (وهو) اى اذاقة شديد العقوبة (حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف) بصيغة المجهول اى توقف (عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به) على بناء المفعول اى انتظر (لاشكال وعائق) اى مانع شرعى اوعرفى (اقتضاه امره وحالات الشدة) اى عليه كما فى نسخة (فى نكاله تختلف) قوة وضعفا (بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد) اى ابن مسلم (عن مالك والاوزاعى انها) اى مقالته الغير الصريحة (ردة فاذا تاب نكل) اى نكيلا شديدا (ولمالك فى العتبية) اسم كتاب (وكتاب محمد) اى ابن المواز (من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا عقوبة عليه) وهو الموافق لقول السلف والخلف لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (وافتى ابو عبد الله ابن عتاب) بتشديد الفوقية (فيمن سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما) بضم العين وتشديد الدال اى زكى احدهما دون الآخر (بالادب الوجيع) متعلق بافتى (والتنكيل) الرادع (والسجن) الهائل (الطويل) زمانا الضيق مكانا (حتى تظهر توبته وقال القابسى فى مثل هذا) الذى ذكر (ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق) اى صرف صارف (اشكاله) اى جعله مشكلا (فى القتل) اى فى امضائه (لم ينبغ ان يطلق من السجن ولكن يستطال سجنه ولو كان فيه) اى فى السجن (من المدة) بيان مقدم لقوله (ماعسى ان يقيم) اى يطول فيه (ويحمل عليه من القيد ما يطيق وقال) اى القابسى (فى مثله ممن اشكل امره يشد فى القيود شدا ويضيق عليه فى السجن) امدا (حتى ينظر فيما يجب عليه) آخرا (وقال فى مسئلة اخرى مثلها) لعلها ماسبق فى فصل الوجه الخامس من ان القابسى سئل عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير الى آخره فانه افتى هنالك بنظير ما افتى به هنا (ولا تهراق) بضم اوله وسكون ثانيه وبفتح اى ولا تصب (الدماء الا بالامر الواضح) لحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا لثلاث ردة اوقتل نفس اوزنى محصن (وفى الادب) اى التأديب (بالسوط) اى الضرب به (والسجن نكال) اى زجر وردع (للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة) اى مدة مديدة (فان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت) للدفع عن نفسه (من عداوتهما) فى امر الدنيا (او جرحتهما) بضم الجيم اى طعنهما من جهة الدين (ما اسقطهما) اى دفع شهادتهما عنه وروى ما اسقطها (ولم يسمع ذلك) الامر (من غيرهما) بان انحصرت الشهادة فيهما (فامره اخف) ممن قبله (لسقوط الحكم) من قتل ونكال (عنه وكأنه لم يشهد عليه) بصيغة المجهول (الا ان يكون ممن يليق به ذلك) النكال حيث يظن منه صدور ذلك المقال (ويكون الشاهدان من اهل التبريز) من البروز وهو الظهور اى بان امرهما فى عدالتهما (فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم) المترتب عليه (بشهادتهما) المجروحة (فلا يدفع الظن صدقهما) فيما برزمنهما اوظهر عنهما (وللحاكم فى تنكيله هنا) موضع (اجتهاد

والله ولى الارشاد) اى الهداية وروى الرشاد وهو الصواب والسداد

(فصل)

(هذا) الذى قدمناه (حكم المسلم) الذى ارتد (فاما الذى اذا صرح بسبه) اى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (او عرض) اى لوح (او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذى كفر به) اى الذمى وكان يتعين التصريح بذكره وهو فى نسخة بصيغة المجهول مشددا وليس على ما ينبغى ثم الوجه اعتقاد عدم نبوته او رسالته وغير وجهه كقوله ليس بذى تقوى (فلا خلاف عندنا) ائمة المالكية (فى قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة) اى بالجزية (او العهد) بالمصالحة والامان (على هذا) الذى صدر عنه من السب ونحوه (وهو) اى قتله بشرطه (قول عامة العلماء) اى جميعهم (الا ابا حنيفة والثورى واتباعهما من اهل الكوفة) اى فقهائهم (فانهم قالوا) اى جميعهم (لا يقتل) الذمى بذلك وعللوه بقولهم (لان ما هو عليه من الشرك اعظم) مما صدر من سبه صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن يؤدب ويعزر) بقدر مقاله وقوة حاله (واستدل بعض شيوخنا) المالكية (على قتله) اى الذمى المذكور (بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم) اى نقضوا ما بايعوا عليه من الايمان (من بعد عهدهم) المؤكد بها (وطعنوا فى دينكم) اى عابوه (الآية) اى فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم بفتح الهمزة جمع يمين اثبتها لهم ثم نفاها عنهم لانها فى الحقيقة كلا ايمان وبه اخذ ابو حنيفة ان يمين الكافر كلا يمين وعن الشافعى هى يمين ومعنى لا ايمان لهم لا يوفونها وفى قراءة ابن عامر بكسر الهمزة وقوله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا قال التلمسانى وفى بعض الاصول فاقتلوا ائمة الكفر الآية والتلاوة فقاتلوا ائمة الكفر ولا دليل على القتل بهذا النص لان المقاتلة غير القتل ولو استدل بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية لكان اقرب انتهى ولا يخفى ان الآيتين فى المصالحة مع الحربى والكلام فى الذمى وقد قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل (ويستدل ايضا عليه) اى على قتل الذمى الذام (بقتل النبى عليه الصلاة والسلام لابن الاشرف واشباهه) قال الدلجى كابى رافع من اليهود وابى وامية ابنى خلف من قريش انتهى ولا يخفى ان ابن الاشرف واليهودى الآخر لم يكونا من اهل الذمة واما ابنا خلف فهم من اهل الحرب (ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم) فينبغى ان يشترط عليهم ذلك حال معاهدتهم (فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا) اى حربيين وفى نسخة وصاروا اهل حرب وجمع بينهما الدلجى فى اصله (يقتلون بكفرهم) وفى نسخة لكفرهم على ان الباء سببية واللام تعليلية (وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم) وروى عليهم (من القطع فى سرقة اموالهم) اى اموال المسلمين (والقتل لمن قتلوه منهم) اى من المؤمنين (وان كان ذلك) الذى ذكر من السرقة والقتل (حلالا عندهم) واما تمثيل الدلجى بحد الزنى جلدا او رجما فليس فى محله فانه لم يختلف احد منا ومنهم فى تحريمه (فكذلك سبهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقتلون به) وفيه انه نوع كفر مندرج فى جنس كفرهم لانه فرع من جملة الاحكام المختصة بهم او الشاملة لهم ولغيرهم (ووردت لاصحابنا) المالكية (ظواهر تقتضى الخلاف) فى قتل الذمى وعدمه (اذا ذكره) اى النبى عليه الصلاة والسلام (بالوجه الذى كفر به) الذمى كتكذيبه النبوة او الرسالة العامة (ستقف عليها) اى على تلك الظواهر (من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد) اى بعد ذلك (وحكى ابو المصعب) بصيغة المفعول (الخلاف فيها) اى فى الظواهر قاله الدلجى والصواب فى المسألة (عن اصحابه المدنيين) قال الحلبى هو احمد ابن ابى بكر القاسم ابن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ابو مصعب الزهرى المدنى الفقيه قاضى المدينة يروى عن مالك (واختلفوا) اى المالكية (اذا سبه) اى الذمى (ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله) كما فى حديث صحيح اى يقطع ويمحو ما كان قبله من كفر ومعصية وفى رواية الاسلام يهدم ما قبله قالوا معناه يهدم الاسلام ما كان قبله على الاطلاق مظلمة كانت او غيرها كذا ذكره الانطاكى (بخلاف المسلم اذا سبه ثم تاب) فانا نقتله حدا لا كفرا (لانا لا نعلم باطنه الكافر) اى معتقده قال الحجازى وروى الكفر اقول ولا وجه له (فى بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعناه) اى الذمى (من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره) من السب وغيره (الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله) مما كان يلام (قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذا كان ظننا باطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا) بالالف اى ظهر (عنه الآن فلم نقبل بعد) اى بعد ذلك (رجوعه) بالتوبة وفيه ان كفره ساعة كيف يكون اشد من كفر سنين مع انه لا عبرة بظننا اذ يحتمل انه كان كافرا ويتستر وما صح له الايمان المعتبر ولهذا قال بعض العارفين الايمان اذا دخل القلب امن السلب وقال بعضهم

الذى رجع ما رجع الا من الطريق ويشير اليه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها اى لا انقطاع (ولا استأمنا) اى لم يظهر لنا الامن (الى باطنه) وفى بعض النسخ ولا استنمنا اى ما اطمأننا الى باطنه يقال استنام اليه اى سكن واستأنس فاندفع قول الانطاكى انه لا معنى له ولعله تصحيف وقال الدلجى اى ولا ارتفعنا الى ذروة سنام باطنه ولا اطلعنا عليه قلت وكذلك الحال بالنسبة الى الكافر الاصلى اذا اسلم اذ يحتمل ان يكون منافقا او لم يوجد فيه شرط من شروط صحة الايمان والله المستعان (اذ قد بدت سرائره) اى ظهرت ضمائره بخلاف ظننا به (وما ثبت عليه) اى على المسلم (من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شئ) قلت فينبغى ان يكون اقرب الى القبول من الكافر الاصلى (وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب قتله لانه حق للنبى صلى الله عليه وسلم وجب عليه) اى على الذمى (لانتهاكه حرمته) اى تناولها بما لا يحل له (وقصده الحاق النقيصة) وفى نسخة الحاقه النقيصة اى المنقصة (والمعرة) اى المشقة بالمذمة (فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذى) اى بالوجه الذى (يسقطه) وفيه ان كل الصيد فى جوف الفرا وجنس الكفر يشمل انواعه كما ترى ولا يظهر قياسه بقوله (كما وجب عليه) اى الذمى (من حقوق المسلمين من قتل وقذف واذا قلنا الا تقبل توبة المسلم) اى الساب لدفع قتله (فأن لا تقبل توبة الكافر) اى الذمى (اولى) بل الاولى كما تقبل توبة الحربى ان تقبل توبة الذمى والمسلم لانهما اقرب الى الدين وقد قبل النبى عليه الصلاة والسلام توبة المرتدين واليهود بعد شتمهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (قال مالك فى كتاب ابن حبيب) وهو صاحب الواضحة (والمبسوط) اى وفيه (وابن القاسم) اى وفى كتابه (وابن الماجشون) بكسر الجيم على صورة الجمع وال لا تفارقه وقال النووى الماجشون لفظ اعجمى وهو من اصحاب مالك (وابن عبد الحكم) قال التلمسانى هو اذا اطلق عند الفقهاء فهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان (واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم فى العتبية) بضم اوله (وعند محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم) اقول وما المانع من ذلك (ولا لا تسلم) وهذا اغرب من الاول اذ كيف يجوز لمسلم ان يقول لكافر لا تسلم وكان مراده انه لا يعتبر قول احد له اسلم او لا تسلم والمعنى انه لا يجب ان يعرض عليه الاسلام (ولكن ان اسلم وحده) اى باختياره (فذلك له توبة وفى كتاب محمد) اى ابن المواز (اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر) اى ذمى اذ يبعد اطلاقه (قتل ولم يستتب) اى لم تقبل توبته (وروى) بصيغة المجهول (لنا عن مالك) كما فى كتاب ابن حبيب وغيره زيادة بعد قوله فاقتلوه (الا ان يسلم الكافر) ذميا او غيره (وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضى الله عنهما ان راهبا تناول النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه) ليس فيه انه اسلم وامر بقتله (وروى عيسى) اى ابن معين (عن ابن القاسم) الفقيه المصرى (فى ذمى قال ان محمدا لم يرسل الينا) معشر بنى اسرائيل (انما ارسل اليكم) ايها العرب (وانما نبينا موسى او عيسى) على وجه التنويع (ونحو هذا لا شئ عليهم) ويروى عليه اى من القتل او الضرب (لان الله اقرهم على مثله) اذا قبلوا الجزية (واما ان سبه) ذمى (فقال ليس بنبى) اى مطلقا (او لم يرسل) الى احد (او لم ينزل عليه قرآن وانما هو) اى القرآن (شئ تقوله) افتراه (او نحو هذا فيقتل) اى ان لم يسلم (قال ابن القاسم اذا قال النصرانى) وكذا اليهودى (ديننا خير من دينكم) هذا ليس عليه شئ (انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح) اى قبيح الكلام مما هو طعن فى دين الاسلام (او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله) يعنى الرسالة او يجعل لكم مثله رسلا (ففى هذا الادب الموجع) الرادع (والسجن الطويل) الوازع اذ ليس فيه تلويح الى نفى رسالته ولا تصريح (قال) اى ابن القاسم (واما ان) وفى نسخة من (شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شتما يعرف) تصريحا لا يكون تلويحا (يقتل الا ان يسلم قال مالك غير مرة) اى كثيرا (ولم يقل يستتاب) اى يعرض عليه الاسلام (قال ابن القاسم ومحمل قوله) اى قول مالك الا ان يسلم (عندى ان اسلم طائعا) اى من غير ان يقال له اسلم والا نقتل (وقال ابن سحنون فى سؤالات سليمان بن سالم فى اليهودى يقول للمؤذن اذا تشهد) اى بالرسالة (كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل) وفيه انه مخالف لما سبق من ان الذمى لو نفى النبوة او الرسالة يقتل اللهم الا ان يقال هذا تلويح لا تصريح اذ الخطاب مع المؤذن فيحتمل ان يراد تكذيبه وانما قيدنا الشهادة بالرسالة لانه لو كذب التوحيد يصير حربيا فيقتل الا ان يسلم (وفى النوادر) لابن ابى زيد (من رواية سحنون عنه) اى عن مالك (من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى كفروا) اى به فاندفع قول الحلبى لو قال كفر لكان اولى ثم لا يخفى ان من مفرد مبنى وجمع معنى فليس احد من الاستعمالين اولى قال تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (ضربت عنقه) بصيغة المجهول (الا ان يسلم قال محمد

ابن سحنون فان قيل لم قتلته) اى امرت بقتل الذمى (فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه) جملة حالية (قيل) اى فى جوابه (لانا لم نعطهم العهد) اى الذمة والامان (على ذلك) اى على اظهاره
(ولا على قتلنا واخذ اموالنا) بل على الكف عن ذلك وبذل الجزية مع المذلة هنالك (فاذا قتل) ذمى (واحدا) اى منا
كما فى نسخة (قتلناه) او اخذ مالا منا اخذناه منه (وان كان من دينه استحلاله) اى عده حلالا (فكذلك اظهاره لسب
نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم موجب لقتله وان كان معتقد الحله (قال ابن سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب) اى
ولو من اهل الكتاب (الجزية على اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك فى قول قائل) من العلماء (كذلك ينتقض عهد
من سب منهم ويحل لنا دمه) الظاهر انه اذا اخذ عليه العهد بعدم سبه حتى يصح قوله ينتقض (وكما لم يحصن الاسلام
من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة) وهذا قياس مع الفارق ولذا لم يقل به جمهور الامة واغرب الدلجى بقوله
بل اولى هذا (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (ما ذكره ابن سحنون عن نفسه) اى اولا (وعن ابيه) ثانيا (مخالف
لقول ابن القاسم فيما خفف) وفى نسخة يخفف (عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمل) ليظهر لك ترجيح احد الوجهين (ويدل
على انه) اى ما قاله ابن سحنون عنه وعن ابيه (خلاف ما روى عن المدنيين) من اصحاب مالك (فى ذلك فحكى) قال
التلمسانى صوابه كما فى نسخة ما حكى (ابو المصعب الزهرى قال اتيت) بضم الهمزة وتاء المتكلم (بنصرانى قال والذى
اصطفى عيسى على محمد فاختلف) اى الرأى (على) اى عندى (فيه) اى فى امره (فضربته) اى ضربا وجيعا (حتى
قتلته او عاش) بعد ضربه (يوما وليلة وامرت من جر برجله) بعد موته (فطرح على مزبلة) بفتح الميم والموحدة
وقد يضم الثانى ويكسر وهو المحل الذى يكون فيه الزبل اى السرجين يلقى فيه واما ما فى بعض النسخ من كسر الميم
وفتح الباء فغير معروف الا فى الالة (فاكلته الكلاب) وفى قتله محل بحث اذ قوله مشتمل على اقراره باصطفائهما بالنبوة
والرسالة غايته انه فضل نبيه على نبينا وهو مقتضى دينه بل انه ليس مما كفر به اذ اصل التفضيل قطعى لقوله تعالى تلك
الرسل فضلنا بعضهم على بعض واما تفضيل خصوص بعض الانبياء فظنى وعلى التنزل فليس مما علم من الدين بالضرورة
لاسيما وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام قال لا تفضلوا بين الانبياء وفى رواية لا تخيرونى على موسى مع ان سبب وروده
ان يهوديا قال والذى اصطفى موسى على محمد فلطمه مسلم (وسئل ابو المصعب عن نصرانى قال عيسى خلق محمدا
فقال يقتل) وهذا ظاهر لانه كفر صريح بل يخرج عن كونه كتابيا او نصرانيا بل ولا يقول احد مثل هذا القول
فى جميع الاديان قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فالله خالق كل شئ باجماع الاولين
والآخرين واما قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فخلق مجازى متوقف على وجود تراب وماء وتصوير
من مخلوق آخر وان الله صانع كل شئ وصنعته كما فى حديث (وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصرانى بمصر) اى
القاهرة (شهد عليه) بصيغة المجهول (انه قال مسكين) بالرفع منونا وفى نسخة بالسكون قال التلمسانى وقد يفتح ميمه
(محمد يخبركم انه فى الجنة) اى الآن وفى نسخة فهو الآن فى الجنة قاله استهزاء (ماله لم ينفع نفسه اذا كانت الكلاب
تأكل ساقيه) وهذا افتراء عليه (لو قتلوه) اى الناس (استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه) ويغرى
على جيفته الكلاب (قال) اى مالك (ولقد كدت) اى قاربت (ان لا اتكلم فيها) اى فى مسئلة ابن القاسم عن هذا
الكلب النصرانى بعنى بشئ كما فى نسخة (ثم رأيت انه لا يسعنى) اى لا يجوز لى (الصمت) اى السكوت وفى نسخة
لا يسعنى الصمت اى لا ينفعنى (قال ابن كنانة) بكسر الكاف (فى المبسوط) وفى نسخة فى المبسوطة (من شتم النبى
صلى الله تعالى عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه) من الاحراق او التحريق (بالنار) اى ابتداء
(وان شاء) اى الامام (قتله ثم حرق جثته) بضم الجيم وتشديد المثلثة اى جيفته (وان شاء احرقه بالنار حيا اذا تهافتوا
فى سبه) اى تساقطوا وتكرر منهم وتبالغوا ولعل التحريق حيا من باب السياسة والا فقد ورد لا يعذب بالنار الا الله
مثل تهافت الفراش فى النار وفى رواية لا تعذبوا بعذاب الله تعالى رواه ابو داود والترمذى والحاكم فى مستدركه
وصححه عن ابن عباس مرفوعا قال ابن كنانة (وقد كتب) بصيغة المجهول (الى مالك من مصر وذكر) اى ابن كنانة
(مسئلة ابن القاسم المتقدمة) فى النصرانى بمصر (قال) ابن القاسم (فامرنى مالك) ان اكتب الجواب (فكتبت بان
يقتل ويضرب عنقه) تفسير لما قبله فيفيد انه لا يصلب حيا ولا يقطع اربا اربا وغير ذلك من انواع القتل لقوله عليه
الصلاة والسلام اذا قتلتم فاحسنوا القتلة بالكسر اى النوع منه (فكتبت) اى فرغت من كتابته (ثم قلت) اى لمالك
(يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به) اى ما احقه بان يحرق بعد ضرب عنقه (فكتبته
بيدى) احتراس بديعى يدفع به ما يتوهم من المجاز كقولهم رأيت بعينى وسمعت باذنى ونحو ذلك ومنه قوله تعالى
ولا طائر يطير بجناحيه (بين يديه) اى قدام مالك وقدرأ (فما انكره ولا عابه) وفيه ايماء الى ان التحرير فى باب الفتوى

اقوى من التقرير (ونفذت الصحيفة) بالنون والفاء والذال المعجمة المفتوحات اى ذهبت وفى نسخة بضم النون
وتشديد الفاء المكسورة وفى اخرى بصيغة الفاعل اى وارسلتها الى مصر (بذلك) اى بما امر به مالك (فقتل النصرانى
وحرق) اى بعد قتله (وافتى عبد الله بن يحيى) الليثى صاحب رواية الموطأ عن ابيه عن مالك (وابن لبابة) بضم اللام
وبموحدتين وهو محمد بن يحيى بن عمر بن لبابة القرطبى (وجماعة سلف اصحابنا) بالاضافتين وفى نسخة فى جماعة سلف
اصحابنا (الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت) اى رفعت صوتها يعنى اظهرت (بنفى الربوبية ونبوة عيسى) اى لله
كما فى نسخة اى واعلنت بكونه ابنا له وبينهما تناقض كما لا يخفى وفى نسخة بتقديم النون على الباء والظاهر انه تصحيف
(وتكذيب محمد فى النبوة) اى فى اصلها الا فى عموم الرسالة لانه مقتضى مذهبهم وكذا القول بالابنية كما اخبر الله عنهم
بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وانما امر بقتلها لانكار الربوبية فانها به صارت حربية وخرجت
عن كونها ذمية كتابية اذ ليس هذا من مقتضى دينهم بل ولا دين غيرهم لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله (وبقبول اسلامها ودرء القتل عنها) وهذا مخالف لما سبق من ان الذمى اذا طعن فى نبوة نبينا يقتل
ولم يقبل اسلامه (به) وفى نسخة وبه اى وبهذا الافتاء (قال غير واحد من المتأخرين) اى من المالكية (منهم القابسى
وابن الكاتب) وهو ابو القاسم عبد الرحمن بن على بن محمد (وقال ابو القاسم ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام
بصرى مات سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (فى كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر) اى ذمى (قتل ولا يستتاب)
اى لا تقبل توبته وهذا مخالف للجمهور واغرب الدلجى حيث قال تمسكا بالآية والحديث والحال انه لا دلالة آية
ولا اشارة رواية على ذلك بل تقبل توبة المرتد والكافر بشروط هنالك (وحكى القاضى ابو محمد) عبد الوهاب المالكى
(فى الذمى يسب ثم يسلم روايتين) عن مالك (فى درء القتل عنه) اى وعدمه (باسلامه وقال ابن سحنون وحد القذف
والشتم وانه مختص برمى الزنى (وشبهه) وهو السب ونحوه (من حقوق العباد لا يسقطه عن الذمى اسلامه) لابتنائها
على المشاحة (وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله) لانها مبنية على المسامحة (واما حد القذف فحق للعباد كان
ذلك لنبى او غيره) من العباد المحترمين (فاوجب) اى الله ورسوله قال الدلجى وفيه بحث سيجئ (على الذمى اذا قذف
النبى صلى الله عليه وسلم حد القذف) وفيه انه لم يعرف من كتاب ولا سنة حد القذف بالقتل على كافر اسلم (ولكن انظر
ماذا يجب عليه هل حد القذف فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم) بالعصمة ونحوها (على غيره ام هل يسقط القتل باسلامه ويحد ثمانين فتأمله) الى حين يتبين لك علم اليقين
فى مسألة الدين قال التلمسانى الظاهر القتل لانه آذاه ومن آذاه يقتل فات اسلامه يأباه وكم من مؤذله عليه الصلاة
والسلام اسلم وقبل منه الاسلام ولم يقتل لما صدر له قبل ذلك من الكلام

(فصل)

(فى ميراث من قتل بسب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغسله والصلاة عليه) اعلم ان المرتد عندنا لا يرث من مسلم
ولا من كافر يوافقه فى الملة ولا من مرتد آخر ويرث المسلم من المرتد ما اكتسبه فى حالة الاسلام وعند الشافعى يوضع ذلك
فى بيت مال المسلمين واما ما اكتسبه فى حال الردة فعند ابى حنيفة هو بمنزلة فيء يوضع ذلك فى بيت المال وقال
صاحباه يكون ذلك ميراثا لورثته المسلمين (اختلف العلماء) اى المالكية (فى ميراث من قتل بسب النبى فذهب سحنون
الى انه) اى ميراثه (لجماعة المسلمين) كالفيء يوضع فى بيت المال (من قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة اى من جهة
(ان شتم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق) والظاهر ان بينهما التفرقة (وقال اصبغ ميراثه
لورثته من المسلمين ان كان مستترا) وفى نسخة مستسرا اى مسرا يعنى مخفيا (بذلك) السب (وان كان مظهرا له مستهلا)
اى معلنا (به) اى بشتمه (فميراثه للمسلمين) اى فيئا (ويقتل على كل حال) سواء كان مسرا او مجاهرا (ولا يستتاب) اى
لا تقبل توبته (قال ابو الحسن القابسى ان قتل وهو منكر للشهادة عليه) بانه شتمه (فالحكم فى ميراثه على ما اظهر من
اقراره يعنى) اى القابسى ان ميراثه (لورثته والقتل حد ثبت عليه) لا يدرأ عنه بتوبته (ليس) اى القتل (من الميراث
فى شئ وكذلك) اى مثل ما قاله القابسى (لو اقر بالسب واظهر التوبة يقتل اذ هو) اى القتل (حده وحكمه) اى هذا
المقتول بسببه (فى ميراثه وسائر احكامه حكم الاسلام) من صلاة خلفه حيا وعليه ميتا وغسله وتكفينه ودفنه
فى قبورنا وكذا ما وقع له معاملة ومناكحة واتفاقا (ولو اقر بالسب وتمادى) اى استمر مدة واصر (عليه وابى التوبة منه
فقتل على ذلك كان كافرا) بالاجماع (وميراثه للمسلمين) وفيه ما قد قدمنا من النزاع (ولا يغسل ولا يصلى عليه
ولا يكفن ويستر عورته ويوارى) جيفته (كما يفعل بالكفار) من دفنهم فى حفرة (وقول الشيخ ابى الحسن) القابسى
(فى المجاهر المتمادى بين) اى ظاهر (لا يمكن الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب) عما وقع فيه (ولا مقلع) عن تماديه

(وهو) اى قول القابسى (مثل قول اصبغ وكذلك) اى مثل قول اصبغ (فى كتاب ابن سحنون فى الزنديق يتمادى على قوله) من غير رجوعه وفيه ان الزنديق اذا تمادى على كفره خرج عن كونه زنديقا لانه خلاف مشربه (ومثله لابن القاسم فى العتبية ولجماعة من اصحاب مالك فى كتاب ابن حبيب) واسمه عبد الملك (فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه) اى حكم الساب (حكم المرتد) اى اذا لم يسلم (لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذى ارتد اليه ولا يجوز وصاياه ولا عتقه) حينئذ لخروج ماله بردته عن ملكه موقوفا (وقاله اصبغ) اى ما قاله ابن القاسم (قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد ابن ابى زيد وانما يختلف فى ميراث الزنديق الذى يستهل بالتوبة) اى يظهرها مع انه يضمر عقائد باطلة (فلا تقبل منه) توبته ظاهرا وان نفعته عند الله تعالى لو كان صادقا وهذا موافق لمذهبنا ونقل الدلجى عن الشافعى انها تقبل وتدفع عنه لحديث هل لا شققت عن قلبه انتهى وفيه ان الحديث لم يرد فى حق الزنديق والله ولى التوفيق (واما المتمادى فلا خلاف انه لا يورث وقاله ابو محمد) اى ابن ابى زيد (فيمن سب الله تعالى) اى مثلا (ثم مات ولم تعدل) بتشديد الدال المفتوحة اى لم تقم (عليه بينة اولم تقبل) لعدم عدالة او وجود عداوة وضبطه الحجازى بالفوقية بعد القاف اى او عدلت فمات ولم يحكم بقتله (انه يصلى عليه) يعنى احتياطا (وروى اصبغ عن ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب فيمن كذب برسول الله) بتشديد الذال اى كذب برسالته (صلى الله عليه وسلم) اى بعد الايمان كما يدل عليه السياق من السباق واللحاق (او اعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه للمسلمين) اى فيئا (وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا ترثه ورثته ربيعة) فقيه المدينة المشهور بربيعة الرأى روى عن السائب ابن يزيد وانس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك والليث وطائفة وثقه احمد وغيره قال مالك رحمه الله ذهبت حلاوة الفقه مذ مات ربيعة كان له حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ابو جعفر محمد بن على بن الحسين وابنه محمد يجلسان فى حلقته استقدمه ابو العباس السفاح الى الانبار لتولية القضاء فلم يفعل توفى سنة ست وثلاثين ومائة (والشافعى وابو ثور) البغدادى احد المجتهدين روى عن ابن عيينة وغيره وعنه ابو داود وابن ماجه (وابن ابى ليلى) وهو القاضى الانصارى احد الاعلام روى عن الشعبى وعنه شعبة قال احمد سيء الحفظ وقال ابو حاتم محل الصدق (واختلف) اى القول (فيه عن احمد وقال على ابن ابى طالب كرم الله وجهه وابن مسعود رضى الله عنه وابن المسيب والحسن) اى البصرى وكلاهما من افاضل التابعين (والشعبى وعمر بن عبد العزيز والحكم) بفتحتين وهو ابن عتيبة بضم عين مهملة وبمثناة فوق مفتوحة فياء تصغير فموحدة مفتوحة فقيه الكوفة اخذ عنه شعبة وغيره كان عابدا قانتا لله قال الحلبى ويتفق مع هذا فى اسمه واسم ابيه الحكم بن عتيبة بن نهاس ويفترقان فى الجد كان قاضيا بالكوفة وليس من رواة الحديث قال وقد جعل البخارى هذا والامام المتقدم ذكره واحدا فعد هذا من اوهامه (والاوزاعى والليث) اى ابن سعد (واسحق) اى ابن راهويه (وابو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين) اى على تفصيل تقدم عنه (وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما كسبه فى ارتداده) اى فى ايامه (فللمسلمين) على ما قدمناه قال القاضى (وتفصيل ابى الحسن القابسى فى باقى جوابه حسن بين) اى ظاهر (وهو على رأى اصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما) اى اصبغ وسحنون (على قول مالك فى ميراث الزنديق فورثه ورثته) بتشديد الراء اى جعل وارثه ورثته (من المسلمين قامت) اى سواء ثبتت (عليه بذلك) اى بكونه زنديقا (بينة) اى شهود عدل (فانكرها او اعترف بذلك واظهر التوبة وقاله) اى به (اصبغ ومحمد بن مسلمة وغير واحد من اصحابه) اى اصحاب مالك (لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) حيث كانوا يظهرون الاسلام ويضمرون الكفر وكان يرثهم ورثتهم من المسلمين كعبد الله بن ابى بن سلول وغيره (وروى ابن نافع) الصائغ المدنى قال البخارى فى حفظه شيء وقال ابن معين ثقة وكان يلازم مالكا لزوما شديدا وكان لا يقدم عليه احدا قال ابن عدى روى عن مالك غرائب وهو مستقيم الحديث (عنه) اى عن مالك (فى العتبية وكتاب محمد) اى ابن المواز (ان ميراثه لجماعة المسلمين) اى فيئا (لان ماله تبع لدمه) وبه يغاير كونه كالمنافقين لانه ما قتل احد منهم لمجرد نفاقه لا باقراره ولا باثبات بينة عليه (وقال به ايضا جماعة من اصحابه) اى اصحاب مالك (وقاله اشهب والمغيرة) بضم الميم ويكسر للاتباع (وعبد الملك) اى ابن الماجشون او ابن حبيب (ومحمد) اى ابن المواز (وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه) اى الزنديق لا المرتد كما قاله الدلجى (ان اعترف بما شهد به عليه وتاب فقتل فلا يورث) قال الدلجى وهذا عجيب كيف لا يورث وقد تاب قلت لان توبة الزنديق لا تقبل على الوجه الصواب (وان لم يقر حتى قتل او مات ورث) لان الاصل بقاؤه على الايمان (قال) اى ابن القاسم (وكذلك الحكم) (كل من اسر كفرا) ولم يظهره حتى قتل او مات (فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام) كما كان المنافقون فى زمنه عليه الصلاة والسلام (وسئل ابو القاسم ابن الكاتب عن النصرانى يسب

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيقتل هل يرثه اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه) اى ماله (للمسلمين) فيئا (ليس) اى ماله لهم (على جهة التوارث لانه لا توارث بين اهل ملتين) كما ورد به الحديث (ولكن) ماله لهم (لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا) اى الذى ذكر (معنى قوله) اى ابن الكاتب (واختصاره) بالرفع اى واختصار قوله

(الباب الثالث)

(فى حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبياءه وكتبه وآل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وازواجه وصحبه لا خلاف ان ساب الله تعالى) بنسبة الكذب او العجز اليه ونحو ذلك (من المسلمين كافر) قلت ومن الذميين ايضا كافر حربى (حلال الدم) بل واجب السفك (واختلف فى استتابته) اى قبول توبته (فقال ابن القاسم فى المبسوط) وفى نسخة المبسوطة (وفى كتاب ابن سحنون ومحمد) اى ابن المواز (ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون) اى هو (افترى) وفى نسخة الا ان يكون اى سبه افتراء (على الله بارتداده) اى مصحوبا به (الى دين) غير دين الاسلام (دان به) اى اتخذه دينا وفيه انه لا يتصور دين يجوز سبه سبحانه فيه (واظهره) اى دينه (فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب) اى وقتل لانه لو استتيب لاظهر التوبة واخفى الكفر كالزنديق (وقال فى المبسوطة مطرف) اى ابن عبد الله وهو ابن اخت مالك (وعبد الملك) اى ابن حبيب او الماجشون (مثله) ما مر من التفصيل وفى نسخة قال مطرف وعبد الملك فى المبسوطة مثله وهو اولى كما لا يخفى (وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة وابن ابى حازم) مات يوم الجمعة وهو ساجد فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام سنة اربع وثمانين ومائة (ولا يقتل المسلم بالسب) اى مطلقا اظهر او لم يظهر (حتى يستتاب) اى على طريق الوجوب او الاستحباب كما عليه الجمهور فى هذا الباب (وكذلك اليهودى والنصرانى فان تابوا قبل منهم) توبتهم (وان لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة) فيه ايماء الى وجوبها (وذلك كله كالردة وهو) اى هذا التفصيل هو (الذى حكاه القاضى ابن نصر عن المذهب) اى مذهب مالك (وافتى ابو محمد ابن ابى زيد فيما حكى عنه) بصيغة المجهول (فى رجل لعن رجلا ولعن الله عز وجل فقال) اى اللاعن (انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى) اى زلق (فقال) اى ابن ابى زيد (يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره) لاحتمال كذبه مع ظهور كفره (واما فيما بينه وبين الله فمعذور) استصحابا لايمانه مع جزمه به والاقول الصواب انه ان استغفر وتاب لا يقتل لقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان (واختلف فقهاء قرطبة) بضم القاف والطاء بينهما راء ساكنة فموحدة بلد بالمغرب (فى مسئلة هارون بن حبيب اخى عبد الملك الفقيه وكان) اى هارون (ضيق الصدر) اى سيء الخلق (كثير التبرم) اى الضجر وقلة الصبر (وكان قد شهد عليه بشهادات) متعددة فى حقه (منها) وله لعلها اعظمها (انه قال عند استقلاله) اى قيامه (من مرض) عرض له (لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا) اى المرض الشديد (كله فافتى ابراهيم بن حسين) وفى نسخة حسن (ابن خالد) مات سنة سبع ومائتين فى رمضان (بقتله لانه) وفى نسخة وان (مضمن قوله) بتشديد الميم الثانية المفتوحة اى مضمونه (تجوير لله تعالى) اى نسبته الى الجور وهو ضد العدل (وتظلم) اى واظهار ظلم (منه) سبحانه وتعالى (والتعريض فيه) اى فى وصفه تعالى (كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب وابراهيم بن حسن) وفى نسخة حسين (ابن عاصم) مات سنة ثمان وخمسين ومائتين (ومنصور) وفى نسخة سعيد (ابن سليمان القاضى (بطرح القتل) اى بتركه ووضعه (عنه) يعنى انه لا يتحتم قتله (الا ان القاضى) وهو سعيد بن سليمان (رأى عليه التثقيل) اى التضييق والتنكيل (فى الحبس) كمية وكيفية (والشدة فى الادب) بكثرة الضرب (لاحتمال كلامه الكفر) الموجب لقتله (وصرفه) اى واحتمال صرفه (الى التشكى) وهو اظهار الشكاية من الخالق الى المخلوق وهو احتمال بعيد كما لا يخفى ولعل المراد به المبالغة فى بيان شدة مرضه وله تأويل آخر كما سيأتى وهو اظهر فكان الصواب انه يستتاب هذا وقد حكى النووى فى الروضة ما افتوا به ولم يرجح منه رأيا لكن قوله وقد حكى القاضى عياض جملة من الالفاظ المكفرة يقتضى ترجيح رأى من افتى بقتله (فوجه من قال فى ساب الله بالاستتابة) كالمخزومى وغيره هو (انه) اى سبه تعالى (كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى) اى من عباده وفيه بحث اذ عباده مماليكه وحق المولى حق للموالى فيجب ان يقوموا بحقهم كما يجب على الامة ان يقوموا بحق رسولهم والصواب فى المسألتين ان يستتاب لقوله تعالى الا من تاب (فاشبه قصد الكفر بغير سب الله تعالى واظهار) اى واشبه اظهار (الانتقال الى دين آخر من الاديان المخالفة لدين الاسلام) وفيه انه لا يعرف دين جوز فيه سب الله سبحانه وتعالى حتى عبدة الاصنام يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فهو لا شك انه اعظم من سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم (ووجه ترك استتابته) كما قاله ابن القاسم وغيره (انه) اى الساب (لما) وفى نسخة اذا (ظهر منه ذلك) اى سب مولاه سبحانه وتعالى (بعد اظهار

الاسلام) وقبول الاحكام (قبل) اى قبل اظهاره السب (اتهمناه) بتشديد التاء اى اوقعناه فى التهمة بالكفر (وظننا) ان لسانه لم ينطق به الا وهو معتقد له اذ لا يتساهل فى هذا) السب (احد) بان ينطق به بدون اعتقاده (فحكم له) اى اقاتله (بحكم الزنديق ولم تقبل توبته) اذ قد تمادى على اخفاء كفره واظهار ايمانه وهذا كالمنافق لكن فيه ان الزنديق من تحقق كفره باطنا وايمانه ظاهرا وهذا ليس كذلك وايضا الزنديق فى التحقيق من لا ينتحل دينا وبهذا يفارق المنافق لثبوته على عقيدة واحدة فاسدة (واذا انتقل من دين الى دين آخر فاظهر السب بمعنى الارتداد) وفيه انه لا يوجد دين يجوز فيه سبه سبحانه كما قدمناه (فهذا) المنتقل (قد اعلم) بصيغة المجهول اى من حاله وفى نسخة قد علم (انه خلع ربقة الاسلام) بكسر الراء فوحدة فساكنة فقاف مفتوحة اى قيده وتعلقه (من عنقه) فيستتاب فان تاب والا قتل وفى الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه (بخلاف الاول المتمسك) وفى نسخة المستمسك (به) اى بالاسلام فانه بمجرد سبه تعالى لم يعلم انه خلع ربقته من عنقه لتمسكه به ظاهرا كذا ذكره الدلجى وفساده ظاهر لا يخفى (وحكم هذا) المنتقل (حكم المرتد يستتاب على مشهور مذهب) وفى نسخة مذاهب (العلماء) وفى نسخة مذاهب اكثر اهل العلم كابى حنيفة والشافعى واحمد (وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه قبل) اى قبل ذلك فى اوائل الباب (وذكرنا الخلاف فى فصوله) بسبب الاختلاف فى بعض اصوله واغرب الدلجى فى قوله اى فى فصوله الاتية بعد

(فصــــل)

واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب) حال من الضمير قبله (ولا الردة) وفى نسخة ولا على الردة (وقصد الكفر ولكن ذلك) المضاف (على طريق التأويل) الفاسد (والاجتهاد) الكاسد (والخطأ المفضى) وفى نسخة واجتهاد الخطأ المفضى اى الموصل (الى الهوى) اى هوى النفس (والبدعة) من بدع الضلالة الناشئة عن الجهالة بتحقيق الكتاب والسنة (من تشبيه) بيان لما لا يليق به سبحانه كتشبيه المجسمة له سبحانه وتعالى من انه على صورة شاب فى جهة العلو مماس للعرش او محاذ له (او نعت بجارحة كالوجه والعين) واليد واليمين والقبضة والجنب والاستواء والنزول ونحوها من حملها على ظاهرها من غير تنزيه ولا تأويل (او نفى صفة كمال) كنفى المعتزلة صفاته القديمة الذاتية حذرا من تعدد القدماء واما ما ذهب اليه بعض الحكماء من انه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات فليس فى كفر قائله خلاف للعلماء (فهذا) الذى اضيف اليه تعالى على التأويل فى التنزيل (مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده) والحق عند الاشعرى واكثر اصحابه واكثر الفقهاء كابى حنيفة لا يكفر وبعدم تكفيره يشعر قول الشافعى لا ارد شهادة اهل الاهواء الا الخطابية لاستحلالهم الكذب فى الشهادة بناء على غلبة الظن وقد اوضحت هذا المبحث فى شرح الفقه الاكبر (واختلف قول مالك واصحابه فى ذلك) اى هل يكفر معتقده ام لا وسيأتى قريبا (ولم يختلفوا) اى اصحاب مالك او سائر العلماء لذلك (فى قتالهم اذا تحيزوا) اى انفردوا (فئة) اى جماعة مجتمعة بمكان معين منعزلين عن اهل الحق لاشعار ذلك بمخالفتهم ومناواتهم واظهار معاداتهم كالخوارج فى زمن على كرم الله وجهه والروافض فى زماننا خذلهم الله سبحانه وتعالى (وانهم يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا) اى اصحاب مالك (فى المنفرد منهم فاكثر قول مالك) اى المنقول عنه (واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم) بالرفع (والمبالغة) بالرفع (فى عقوبتهم واطالة سجنهم حتى يظهر اقلاعهم) اى اعراضهم عنه ورجوعهم منه (وتستبين توبتهم) الا ان الرافضة القائلين بالتقية لا يتحقق منهم التوبة الباطنية (كما فعل عمر رضى الله تعالى عنه بصبيغ) بفتح مهملة وكسر موحدة فتحتية ساكنة فغين معجمة تميمى بصرى خارجى الرأى وكان يتبع مشكل القرآن ويسأل الناس عنه وكان كما اخبر الله به فى كتابه فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فقدم على عمر رضى الله عنه وكان اعد له جرائد ليضربه بهن فلما جلس بين يدى عمر قال له من انت قال له انا عبد الله صبيغ فقال له عمر وانا عبد الله عمر فضربه عمر حتى شجه بتلك العراجين فجعل الدم يسيل على وجهه فقال حسبك يا امير المؤمنين فقد والله ذهب ما كنت اجده فى رأسى وفى رواية ضربه عمر حتى صار ظهره كالبردعة ثم حبسه حتى قارب البرء ثم ضربه كذلك ثم حبسه فقال له ان اردت قتلى فاقتلنى والا فقد شفيتنى شفاك الله فارسله عمر ونهى ان يجالس فكان بالبصرة لا يكلمه احد ولا يجالسه ولا يرد على حلقة الا قاموا وتركوه وكان مع ذلك وافر الشعر لا يحلق رأسه (وهذا) اى القول بالمبالغة فى عقوبتهم (قول محمد ابن المواز فى الخوارج) وهم فرق شتى متفقون على ان من اذنب صغيرة او كبيرة فقد كفر وهم يكفرون عثمان وعليا وطلحة والزبير وعائشة ويعظمون ابا بكر وعمر ذكره فخر الدين الرازى (وعبد الملك ابن الماجشون) بالجر اى وقوله (وقول سحنون) بالرفع اى وكذا قوله (فى جميع اهل

الاهواء) كالرافضة وغيرهم من المبتدعة كالقدرية والمرجئة ممن خالف الكتاب والسنة واجماع الامة وهم اثنتان وسبعون والناجية منها اهل السنة وبها ثلاث وسبعون وقد تكلم عليها بالتعيين فى جميعها ابو اسحق الشاطبى فى الحوادث والبدع مما يؤدى ذكره الى طوله والله الموفق للحق بفضله وقد قال تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفى الحديث ستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قالوا وما هى يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابى (وبه) اى بالقول بالمبالغة فى عقوبتهم (فسر قول مالك) بصيغة المجهول (فى الموطأ وما رواه عمر) عطف تفسير لما قبله وفى نسخة عن عمر وفى اصل الدلجى ما رواه على انه بدل من قول مالك اى فسر بعض اصحابه ما قاله رواية عن عمر (ابن عبد العزيز وجده) اى مروان بن الحكم (وعمه) عبد الملك بن مروان (من قولهم فى القدرية) بفتح الدال ويسكن (يستتابون فان تابوا والا قتلوا) وهم طائفة ينكرون ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى فى الازل انها ستقع فى اوقات معلومة وعلى صفة مخصوصة بحسب ما قدره سبحانه وتعالى وعظم شأنه وسموا بذلك لانكارهم القدر واسنادهم افعال العباد الى قدرتهم قال النووى وقد انقرضوا باجمعهم ولم يبق احد من اهل القبلة على ذلك ولله الحمد انتهى وصارت القدرية فى هذا الزمان الذين يعتقدون الخير من الله والشر من غيره كالمعتزلة ومن تبعهم كما سيأتى (وقال عيسى) قال الحلبى لعله ابن ابراهيم بن مثرود وقال الدلجى لعله ابو موسى الغافقى (عن ابن القاسم فى اهل الاهواء) اى البدع المختلفة الاراء (من الاباضية) بكسر الهمزة فوحدة مخففة بعدها الف فضاد معجمة فياء نسبة طائفة من الخوارج اصحاب عبد الله ابن اباض التميمى ظهر فى زمان مروان بن محمد آخر ملوك بنى امية وقتل آخر الامر كانوا يزعمون ان مخالفيهم من اهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة وغنيمة سلاحهم وكراعهم عند الحرب دون غيرهم ودارهم دار الاسلام الا معسكر سلطانهم وتقبل شهادة مخالفيهم عليهم (والقدرية) وهم اتباع واصل بن عطاء سموا قدرية لانكارهم القدر وان العبد يخلق فعله الشر دون الخير ومنهم المعتزلة والزيدية والرفضة وقد قال عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة لمشاركتهم المجوس فى اثبات خالق للخير وخالق للشر (تنبيه) قالت القدرية لسنا بقدرية بل انتم يعنون اهل الحق القدرية لاعتقادكم اثبات القدر واجيب بان هذا تمويه منهم فان اهل الحق يفوضون امورهم الى الله سبحانه وتعالى ويضيفون الافعال السيئة الى قدرته سبحانه وتعالى وهؤلاء يضيفونها الى انفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه هذا وقد ورد فى الاحاديث اوصاف القدرية بحيث ترتفع هذه الشبهة بالكلية (وشبههم) بفتحتين وبكسر فسكون اى وامثالهم (ممن خالف الجماعة) الذين هم اهل السنة (من اهل البدع) اى المخترعين عقائد الضلالة التى لم يخرج بها عن الاسلام واما قول الدلجى كالنصيرية فخطأ فاحش فانهم طائفة يعبدون عليا فانهم كفرة اجماعا (والتحريف لتأويل كتاب الله تعالى) بتأويل باطل ظاهرا على مقتضى آرائهم الفاسدة واهوائهم الكاسدة (يستتابون) اى مطلقا سواء (اظهروا ذلك) اى معتقدهم (او اسروه فان تابوا قبلت) توبتهم (والا قتلوا وميراثهم لورثتهم) اجماعا الا ان قتلهم انما هو لارتكابهم البدعة زجرا لهم عنها على طريق السياسة (وقال مثله) اى مثل قول عيسى (ايضا ابن القاسم فى كتاب محمد) اى ابن المواز (فى اهل القدر وغيرهم) من المبتدعة مخالفى اهل السنة (قال) اى ابن القاسم او محمد عنه (واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه) من الاعتقاد الفاسد والعمل الكاسد فان تابوا فيها وان تمادوا قتلوا واحدا وميراثهم لورثتهم وفيه ان المبتدعة لا توبة لهم الا اذا ظهروا وهاهنا من عند انفسهم (ومثله) اى مثل ما قال ابن القاسم فى كتاب محمد (له فى المبسوط فى الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع) من انهم يستتابون (قال) اى ابن القاسم (وهم مسلمون) اى داخلون فى فرق اهل الاسلام والتوارث قائم بينهم (وانما قتلوا لرأيهم السوء) اى حد للسياسة زجرا عن البدعة (وبهذا) اى وبقول ابن القاسم (عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل) لكفره اجماعا بانكاره تكليمه مع وروده فى القرآن وكلم الله موسى تكليما قال الانطاكى ونحو قول ابن القاسم هذا عن احمد بن حنبل فانه روى عنه انه قال من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر اقول ولا يتصور ان يكون فيه خلاف وتحقيق بحث الكلام محله علم الكلام (وابن حبيب) مبتدأ (وغيره من اصحابنا) المالكية (يرى تكفيرهم) اى اهل البدع (وتكفير امثالهم) اى من التابعين لاقوالهم (من الخوارج والقدرية والمرجئة) بالهمز والياء اسم فاعل وهم فرقة يزعمون انه لا يضر مع الايمان معصية كما انه لا ينفع مع الكفر طاعة وان الله تعالى لا يعذب الفسقة من هذه الامة سموا بذلك لاعتقادهم انه ارجأ تعذيبهم من المعاصى اى اخره عنهم يقال ارجأت الامر وارجيته اى اخرته ومنه قوله تعالى حكاية ارجئه واخاه فقيه ست قراآت فى السبعة هذا وفى المنتقى

من كتب اصحابنا عن ابى حنيفة لا نكفر احدا من اهل القبلة وعليه اكثر الفقهاء ومن اصحابنا من قال بكفر المخالفين وقالت قدماء المعتزلة بكفر القائل بالصفات القديمة وبخلق الافعال وقال الاستاذ ابو اسحق نكفر من يكفرنا ومن لا فلا ولعل من كفر لاحظ التغليظ والزجر والسياسة ومن امتنع راعى الاحتياط فى حرمة اهل القبلة وهذا اسلم والله تعالى اعلم (وقد روى ايضا عن سحنون مثله) اى مثل قول ابن حبيب وغيره بتكفير من ذكر (فيمن قال ليس لله كلام) اى لا نفسى ولا غيره (انه كافر) وهذا لا خلاف فيه لانكاره ما نص الله به فى كتابه (واختلفت الروايات عن مالك) اى فى تكفير المبتدعة من اهل القبلة (فاطلق فى رواية الشاميين ابى مسهر) الغسانى وفى نسخة ابو مسهر بتعزيرهم (ومروان بن محمد الطاطرى) بفتح الطاء الثانية من المهملتين كان يبيع ثيابا بيضا يقال لها الطاطرية روى عن مالك وعنه الدارمى وغيره امام قانت لله (الكفر عليهم) مفعول اطلق ولعله اراد التغليظ للزجر فيهم (وقد شوور) اى مالك وهو مجهول شاور (فى زواج القدرى فقال لا تزوجه) يحتمل ان يكون على وجه الكراهة او الحرمة وهذا مجمع عليه خوفا على المرأة لقلة عقلها ان تميل الى مذهب زوجها ويحتمل ان يكون لنفى الصحة بناء على تكفيره وقوله فى الاستشهاد (قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم) يحتمل احتمالين فى الاعتضاد لاتساع باب الاجتهاد (وروى عنه) اى عن مالك (ايضا اهل الاهوآء) اى البدع فى الارآء (كلهم كفار) اى حقيقة او كفرا دون كفر اى مجازا (وقال من وصف شيأ من ذات الله تعالى واشار) فى وصفه (الى شئ من جسده ابد او سمع او بصر) اى ونحوها من اذن او لسان او رجل وغيرها (قطع ذلك) العضو (منه) اى سياسة جزاء وفاقا (لانه شبه الله تعالى بنفسه) وهو سبحانه ليس كمثله شئ (وقال فيمن قال القرءآن مخلوق كافر فاقتلوه) وروى التفتازانى هنا حديثا وتقدم انه موضوع والمحققون على انه لم يكفر لقوله تعالى قرءآنا عربيا ولكونه مقروا بالسنتنا ومكتوبا بايدينا وانما الكلام فى الكلام النفسى ولهذا قال بعضهم من قال كلام الله مخلوق فهو كافر وهو ظاهر (وقال) اى مالك (ايضا فى رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفى رواية بشر بن بكر التنيسى) بكسر الفوقية والنون المشددة فتحتية ساكنة وسين مهملة فياء نسبة الى موضع قرب دمياط اكله البحر المالح وصار بحيرة ماء روى عن الاوزاعى وغيره وعنه الشافعى ونحوه (عنه) اى عن مالك (يقتل ولا تقبل توبته) وهذا غريب جدا (وقال القاضى ابو عبد الله البرنكانى) بوحدة مفتوحة فراء ساكنة فنون مفتوحة نسبة الى ضرب من الاكسية (والقاضى ابو عبد الله التسترى) بضم اوله وبفتح ثانيه وبضم وقيل بفتح اوله وبضم ثانيه (من ائمة العراقيين) اى من المالكية وفى نسخة بزيادة من اصحابنا (جوابه) اى جواب مالك فيمن قال القرءآن مخلوق (مختلف يقتل) وفى نسخة فقال يقتل وهو مضارع مجهول وقال التلمسانى مصدر دخل عليه حرف جر (المستبصر) اى الذى له خبرة بامور شريعته وهو معجب بضلالته وجهالته (الداعية) اى الذى يدعو غيره الى بدعته والتاء للمبالغة او بتأويل الفرقة او الطائفة بناء على ان المراد بالمستبصر جنسه (وعلى هذا الخلاف) الذى ذكره القاضيان (اختلف قوله فى اعادة الصلاة) اى التى صليت (خلفهم) فقال مرة تعاد ومرة لا تعاد ويمكن الجمع بينهما ايضا بان يقال تعاد احتياطا ولا تعاد وجوبا والاظهر على مقتضى مذهبه انه لا تجوز الصلاة خلف الفاسق انه تجب الاعادة ولعل الخلاف محمول على انه لم يعلم بحاله اولا ثم تبين بدعته ثانيا وقد نقل الشيخ ابو حامد الاسفراينى والماوردى عن نص الشافعى ان من صلى خلف من ظنه مسلما فبان مرتدا او زنديقا وجوب الاعادة وعدمه ورجحه عامة اصحابه (وحكى ابن المنذر عن الشافعى لا يستتاب القدرى) وفى نسخة القدرية وهو مناف لما سبق عنه انه لا نكفر احدا من اهل القبلة (واكثر اقوال السلف) اى العلماء المتقدمين (تكفيرهم) لاثباتهم خالقين على ما مر (وممن قال به) اى بتكفيرهم (الليث) ابن سعد (وابن عيينة وابن لهيعة) بفتح اللام وكسر الهاء والعين مهملة وهو ضعيف (روى عنهم) اى عن السلف ومن تبعهم من المذكورين (ذلك) اى تكفيرهم (فيمن قال بخلق القرءآن وقاله) اى وقال بتكفير من قال بخلق القرءآن (ابن المبارك) وهو عبد الله المروزى من اصحاب ابى حنيفة ممن جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والاجتهاد والجهاد (والاودى) بفتح الهمزة وسكون الواو منسوب الى قبيلة اود وهو عثمان بن حكيم (ووكيع) اى ابن الجراح ابو سفيان الرواسى (وحفص بن غياث) بكسر معجمة فتحتية مخففة فالف فمثلثة وهو ابو عمرو النخعى قاضى الكوفة روى عن الاعمش وغيره وعنه احمد وغيره (وابو اسحق الفزارى) بفتح الفاء والزاى وثقه غير واحد (وهشيم) بفتح الهاء وكسر الشين المعجمة وضبطه التلمسانى مصغرا وهو ابن بشير يكنى ابا معاوية السلمى الواسطى حافظ بغداد روى عن عمرو بن دينار وغيره وعنه احمد وابن معين ثقة مدلس (وعلى بن عاصم) اى الواسطى يروى عن يحيى البكاء وعطاء بن السائب وعنه ابن حنبل وغيره ضعفوه وكان عنده مائة الف حديث مات وله بضع وتسعون سنة (فى آخرين) اى من المجتهدين

والمعنى مندرجين فيهم اى متوافقين معهم (وهو) اى ما قاله هؤلاء الائمة (من قول اكثر المحدثين والفقهاء والمتكلمين) اى من علماء اصول الدين (فيهم) اى فيمن ذكر من المبتدعة (وفى الخوارج والقدرية واهل الاهوآء المضلة) كالرافضة وهو اسم فاعل او مفعول اى الجامعين بين الضلال والاضلال (واصحاب البدع المتأولين وهو قول احمد ابن حنبل وكذلك قالوا) اى هؤلاء الائمة (فى حق الواقفة) اى ليسوا ممتأولين ذكره الدلجى والاظهر ما قاله التلمسانى من انهم قوم توقفوا اذ ليس عندهم جواب اما لجهلهم او لتعارض الادلة عندهم وتوقفهم يوجب لهم ما يوجب لاصحابهم من المبتدعة والخوارج وغيرهم انتهى وفيه ان التوقف لتعارض الادلة لا يوجب التكفير كما لا يخفى لان الايمان الاجمالى معتبر اجماعا (والشاكة) اى المترددة (فى هذه الاصول) أثابتة هى ام ضعيفة او أحقة هى ام باطلة قال التلمسانى هم قوم وقع لهم الشك فى القرءآن هل هو مخلوق ام لا (وممن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم) اى الفرق المذكورة وفى نسخة بتكفيرهم وهو خطأ اذ لم يقل بتكفيرهم (على بن ابى طالب) كرم الله وجهه (وابن عمر) رضى الله عنهما (والحسن البصرى وهو رأى جماعة من الفقهاء النظار) بضم النون وتشديد الظاء جمع الناظر من النظر بمعنى التأمل والفكر ومنه المناظرة كابى حنيفة والشافعى واتباعهما (والمتكلمين) اى علماء الكلام وسموا به لان جل مباحثهم معرفة الكلام (واحتجوا) اى هؤلاء الائمة (بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء) بحاء مهملة مفتوحة وضم الراء الاولى بمد ويقصر موضع بالعراق على ميلين من الكوفة اجتمع بها الخوارج وتعاقدوا بها على رأيهم فنسبوا اليها وهم الذين ثاروا على على كرم الله وجهه بعد وقعة الجمل وكان زعيمهم ابن الكوآء تعاقدوا واجتمعوا على قتال على ثم مضوا الى النهروان فقاتلهم على كرم الله وجهه وهم ثلاثون الفا فتفلت منهم عشرة فذهب رجلان الى عمان ورجلان الى سجستان ورجلان الى اليمن ورجلان الى الجزيرة ورجلان الى تل مروان وظهرت مذاهب الخوارج بهذه المواضع قال التلمسانى ومذهبهم ان الامام لا يختص بآل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بل كل من اجتمع فيه زهد وعلم وشجاعة فهو امام اذا بويع وخرج وان كان من العبيد والموالى وتفاصيل اعتقاداتهم فى الصحابة ومرتكبى الكبيرة مذكورة فى كتب الكلام انتهى ولا يخفى ان مذهب اهل السنة ايضا ان الامام لا يختص بآله عليه الصلاة والسلام بل يختص بقريش لقوله عليه الصلاة والسلام الائمة من قريش وبه ثبت خلافة الشيخين وانما الشيعة يقولون باختصاص الامامة لاهل بيت النبوة (ومن عرف بالقدر) بصيغة المجهول وهو معطوف على اهل حروراء (ممن مات منهم) اى جميعهم (ودفنهم فى مقابر المسلمين وجرى احكام الاسلام عليهم) قال اسماعيل القاضى وانما قال مالك فى القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا لانه) اى لان ابتداعهم نوع (من الفساد كما قال) اى مالك او الله تعالى (فى المحارب) اى قاطع الطريق حيث قال تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى ان قتلوا او يصلبوا ان قتلوا ونهبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان نهبوا او ينفوا من الارض بالاخراج او الحبس ان اخافوا فقط فاو فى الاية للتنويع والحكم مرتب عليهم عند الجمهور وعند مالك او للتخيير كما يشير اليه قوله (ان رأى الامام قتله) اى حدا (وان لم يقتل) اى احدا وان وصلبه (قتله) اى الامام لكونه مخيرا فى قتله وهذا من باب قياس الاولى كما بينه بقوله (وفساد المحارب انما هو فى الاموال) اى فى حقها وبسببها يحصل سفك الدماء (ومصالح الدنيا) اى فى جهتها من حفظ الاموال والدماء (وان كان) اى الفساد (ايضا قد يدخل فى امور الدين) بالتبعية (من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه) اى اكثره واقع (على الدين) وان كان يتفرع عليه ايضا فساد فى الدنيا كما بينه بقوله (وقد يدخل) اى الفساد (فى امر الدنيا بما يلقون) بضم الياء والقاف اى يفرون (بين المسلمين من العداوة) والبغضاء وقد حرم الله الخمر والميسر لهذه العلة كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر فالعلة مركبة مفيدة لقتل اهل البدعة ولكن المرتبة المعتدلة ما صدر عن على امام الائمة وتبعه جمهور علماء الامة انهم يقتلون حال المحاربة او وقت خروجهم للدعوة واما اذا اخذوا او كانوا منفردين غير مجتمعين على الفساد فلا يقتل احد منهم وهذا جمع حسن وهو اسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

(فصل)

(فى تحقيق القول فى اكفار المتأولين) اى فى تكفيرهم (قد ذكرنا مذاهب السلف) اى اختلاف مقالاتهم (واكفار اصحاب البدع) الفاسدة (والاهوآء) الكاسدة (والمتأولين) للكتاب والسنة (ممن قال) اى بعض المبتدعة (قولا يؤديه) بهمز ويبدل اى يوصله (مساقه) اى مرجعه ومآله (الى كفر هو) اى المبتدع (اذا وقف عليه) بصيغة المجهول اى اذا اطلع على حقيقة امره (لا يقول بما يؤديه قوله اليه) وذلك لانه بحسب اجتهاده وقع عليه وذلك

كما اذا قال المعتزلى ان الله عالم ولكن لا علم له فقيل له قولك هذا يؤدى الى نفى ان يكون الله عالما اذ لا يوصف بعالم الا من
له علم يقول هو نحن لا نقول انه ليس بعالم فانه كفر وقولنا لا يؤدى الى ذلك على ما هو اصلنا وكقول من قال منهم ان
الله لا يريد الفحشاء مأولا له بان ارادة القبائح قبيحة ويجاب بانه سبحانه منزه عن ان يقع فى ملكه الا ما شاء (وعلى
اختلافهم) اى على اختلاف مراتب المبتدعة وتفاوت المسألة المخترعة وقال الدلجى اى على اختلاف السلف
(اختلف الفقهاء والمتكلمون فى ذلك) اى فى تكفيرهم (فمنهم من صوب التكفير الذى قال به الجمهور من السلف ومنهم
من اباه) اى التكفير (ولم ير اخراجهم من سواد المسلمين) اى عمومهم (وهو قول اكثر الفقهاء) كابى حنيفة والشافعى
وغيرهما (والمتكلمين) اى اكثرهم من الاشعرية والماتريدية (وقالوا) اى الجمهور من الطائفتين وفى نسخة وقال اى
من اباه وما بينهما معترضة (هم) اى المبتدعة (فساق) بعملهم وهو بضم الفاء وتشديد السين جمع فاسق (عصاة)
باعتقادهم وهو جمع عاص (ضلال) فى اجتهادهم وهو بضم فتشديد جمع ضال (ونوارثهم) بالنون وفى نسخة بالياء
(من المسلمين) قال التلمسانى وروى توارثهم مصدرا القول والظاهر انه تحريف وتصحيف (ونحكم لهم) بالوجهين
وفى نسخة بصيغة المجهول الغائب (باحكامهم) اى باحكام سائر المؤمنين مما لهم وعليهم فى امور الدنيا والدين وفى قوله
نوارثهم ونحكم لهم ايماء الى صحة القول الاخير وهو عدم التكفير (ولهذا قال سحنون لا اعادة على من) وفى نسخة لمن
(صلى خلفهم قال) اى سحنون (وهو) اى هذا القول بعدم الاعادة (قول جميع اصحاب مالك) كلهم (المغيرة وابن كنانة
واشهب قال) اى مالك او كل واحد من اصحابه (لانه) اى المبتدع (مسلم) اى من اصله المنسحب عليه فى حاله (وذنبه)
اى بابتداعه (لم يخرجه من الاسلام) وان كان بدعته كبيرة (واضطرب آخرون) اى من اصحاب مالك (فى ذلك)
التكفير (ووقفوا) اى توقفوا (عن القول بالتكفير اوضده) وهو عدم التكفير (واختلاف قولى مالك) وفى نسخة قول
مالك (فى ذلك) اى فيما ذكر من التكفير وعدمه (وتوقفه) اى وفى توقفه والاظهر انه مرفوع اى وتوقف مالك (عن
اعادة الصلاة خلفهم) اى عقب المبتدعين (منه) اى من قبيل ما اضطرب فيه الآخرون (والى نحو من هذا
الاختلاف فى ذلك والتوقف من مالك (ذهب القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (امام اهل التحقيق) اى فى مقام
التدقيق (والحق) اى وامام اهل الحق المزيل للباطل (وقال) اى الباقلانى (انها) اى مسئلة القول بالتكفير (من
المعوصات) بضم الميم وكسر الواو المخففة اى المشكلات (اذ القوم) اى المبتدعة (لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا
قولا يؤدى اليه) ولا بد من الفرق بينهما فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق والحاصل ان مقتضى الاشكال وهو ان
المعتزلى انما قال مثلا ان الله عالم ولكن لا علم له فهل يقول ان نفيه للعلم له سبحانه وتعالى نفى ان يكون الله عالما وذلك
كفر بالاجماع او يقول قد اعترف بانه تعالى عالم وانكاره العلم لا يكفره وان كان يؤدى الى انه ليس بعالم والله سبحانه
وتعالى اعلم (واضطرب قوله) اى قول القاضى ابى بكر (فى المسألة) اى هذه ايضا (على نحو اضطراب قول امامه مالك
ابن انس) كان الاولى حذف امامه (حتى قال) اى الباقلانى (فى بعض كلامه انهم) اى اهل البدع (على رأى من كفرهم
بالتأويل لا يحل) اى لاحد منا اهل السنة (مناكحتهم ولا اكل ذبائحهم ولا الصلاة على ميتهم) لموته فى اعتقاد من
يكفرهم على الكفر (ويختلف فى موارثتهم) بصيغة المجهول (على الخلاف فى ميراث المرتد) على ما مر عن ابن القاسم
وغيره (وقال) الباقلانى (ايضا نورث) بتشديد الراء المكسورة (ميتهم) وفى نسخة منهم (ورثتهم من المسلمين
ولا نورثهم) اى المبتدعة (من المسلمين واكثر ميله) اى الباقلانى (الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب فيه) اى
فى القول بتكفيرهم (قول شيخه) اى فى الطريقة (ابى الحسن الاشعرى واكثر قوله) المنقول عنه (ترك التكفير وان
الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى) اى وما يتعلق به من التوحيد والنبوة (وقال) اى الاشعرى (مرة
من اعتقد ان الله جسم) اى له جسم كالاجسام (او المسيح) اى انه عيسى (او بعض من يلقاه فى الطريق) كما تصور
ابليس فوق عرش بين السماء والارض وصور فى خاطر بعض المريدين انه الاله فوق عرشه واعتقده حتى بلغه الحديث
المشهور فى ذلك خاب الى الله وقضى صلواته المتقدمة هنالك ولا يبعد ان يكون مراده ان القول بان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقى فى الطريق مستوى فى حد كفره (فليس بعارف به) اى بوجوده سبحانه وتعالى (وهو كافر) حيث لم
يفرق بين وجود واجب الوجود وبين وجود الحادث فى مقام الشهود ومن هنا كفر ارباب الحلول والاتحاد والوجودية
من اهل الالحاد الذين ضرر فسادهم على العباد اكثر من سائر اهل الكفر والعناد (ولمثل هذا) المقال المروى
عن الاشعرى من عدم تكفير المبتدعة من اهل القبلة (ذهب ابو المعالى) وهو امام الحرمين رحمه الله تعالى وهو من
اكابر الشافعية (فى اجوبته لابى محمد عبد الحق) اى الاشبيلى ذكره الدلجى وقال الحلبى هذا ليس الاشبيلى الحافظ
صاحب الاحكام بل آخر غيره ولد سنة عشر وخمسمائة ومات سنة احدى وثمانين وخمسمائة وولد امام الحرمين

سنة تسع عشرة واربعمائة ومات بنيسابور سنة ثمان وسبعين واربعمائة فالامام توفى قبل مولد عبد الحق الحافظ
صاحب الاحكام بما ترى قال ورأيت فى نسخة ما لفظه ولمثل هذا ذهب ابو الوليد سليمان رحمه الله فى اجوبته لابى محمد
عبد الحق وهذا ايضا لا يصح ان يكون عبد الحق الحافظ الاشبيلى وذلك لان ابا الوليد سليمان بن خالد الباجى توفى سنة
اربع وسبعين واربعمائة وعبد الحق ولد سنة عشر وخمسمائة وقيل سنة اربع عشرة فلا يصح ذلك والله تعالى اعلم
وعبد الحق الذى جاوبه ابو المعالى لم اعرفه الى الآن انتهى وقال التلمسانى هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمى مات
سنة ست وستين واربعمائة (وكان) اى والحال ان ابا محمد (سأله عن المسألة) التى ميل الاشعرى فيها الى عدم التكفير
اكثر (فاعتذر له بان الغلط فيها) اى فى المسألة بالقول بالتكفير وعدمه (يصعب) اى يعسر جدا (لان ادخال كافر فى الملة
الاسلامية (او اخراج مسلم عنها عظيم فى الدين) والثانى اصعب من الاول فتأمل ولعله عليه الصلاة والسلام
من اجل هذا قال اجرأكم على الفتيا اجرأكم على النار (وقال غيرهما) اى الاشعرى وابى المعالى (من المحققين الذى)
مبتدأ اى القول الذى (يجب) ان يقال (هو الاحتراز من التكفير فى اهل التاويل) وان كان تأويلهم خطأ فى فهم
التنزيل (فان استباحة دماء) المصلين (الموحدين) الصائمين المزكين القارئين للكتاب التابعين للسنة فى جميع
الابواب (خطر) بفتحتين اى ذو خطر ويجوز ان يكون بفتح فكسر (والخطأ فى ترك الف كافر اهون من الخطأ فى سفك
محجمة) بكسر الميم الاولى وهى آلة الحجامة (من مسلم) وفى نسخة من دم مسلم (واحد) وقد قال علماؤنا اذا وجد تسعة
وتسعون وجها تشير الى تكفير مسلم ووجه واحد الى ابقائه على اسلامه فينبغى للمفتى والقاضى ان يعملا بذلك الوجه
وهو مستفاد من قوله عليه السلام ادرؤا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان
الامام لأن يخطئ فى العفو خير له من ان يخطئ فى العقوبة رواه الترمذى وغيره والحاكم وصححه (وقد قال عليه الصلاة
والسلام) كما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك وفى رواية
(فاذا قالوها يعنى الشهادة) اى جنسها (عصموا) بفتح الصاد اى حفظوا (منى دماءهم واموالهم الا بحقها) اى بحق
الشهادة مما يتعلق بها وفى رواية الا بحق الاسلام (وحسابهم على الله) اى نحن نحكم بالظواهر والله تعالى اعلم
بالسرائر وورد ما امرت ان اشق عن قلوب الناس وصح انه قال لاسامة هلا شققت عن قلبه وظاهر هذه الاحاديث
على انه تقبل توبة المرتد والزنديق وجاحد مجمع عليه وجوبا كالصلاة ونحوها والله ولى التوفيق (فالعصمة) للدماء
والاموال (مقطوع بها مع الشهادة) بالوحدانية والرسالة (ولا ترتفع) اى العصمة (ويستباح خلافها) اى من دم
او مال (الا بقاطع) من الادلة (ولا قاطع من شرع) الا قوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى
ثلاث وهى الردة وقتل مسلم وزنى محصن (ولا قياس عليه) صحيح حتى يمال اليه (والفاظ الاحاديث الواردة فى هذا
الباب) اى فى باب مذمة المبتدعة (معرضة) بتشديد الراء المفتوحة وروى عرضة اى قابلة (للتاويل فما جاء منها
فى التصريح بكفر القدرية) كقوله عليه الصلاة والسلام القدرية مجوس هذه الامة ان مرضوا فلا تعودوهم
وان ماتوا فلا تشهدوهم كما رواه ابو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر وقوله عليه الصلاة والسلام من لم يؤمن بالقدر
خيره وشره فانا منه برىء رواه ابو يعلى فى مسنده (وقوله) بالرفع عطفا على ما اى وقول النبى عليه الصلاة والسلام
(لا سهم لهم فى الاسلام) اى لا نصيب للقدرية مطلقا او كاملا فى سهام الاسلام (وتسميته) عليه الصلاة والسلام
(الرافضة بالشرك) هذه رواية غير معروفة ولعل المراد بهم غلاتهم القائلون بالهية على ويسمون النصيرية ولا شبهة
فى كفرهم اجماعا (واطلاق اللعنة) وفى نسخة واطلاقه اللعنة (عليهم) اى على القدرية والرافضة (وكذلك الخوارج
وغيرهم من اهل الاهواء) فروى الدارقطنى فى العلل عن على كرم الله وجهه لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا
وروى الطبرانى عن ابن عمر لعن الله من سب اصحابى وروى الطبرانى ايضا عن ابن عباس من سب اصحابى فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله (فقد يحتج بها)
اى بظاهرها (من يقول بالتكفير وقد يجيب الآخر) وهو القائل بعدم التكفير (بانه) اى الشأن (قد ورد مثل هذه
الالفاظ فى الحديث) النبوى (فى غير الكفرة على طريق التغليظ) كقوله عليه الصلاة والسلام من اتى عرافا او كاهنا
فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد رواه احمد والحاكم عن ابى هريرة وفى رواية من اتى كاهنا فصدقه بما يقول
او اتى امرأة حائضا او امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد وفى رواية ملعون من اتى امرأة فى دبرها (وكفر)
اى وبانه كفر اى كفران (دون كفر) اى صريح (واشراك) اى خفى (دون اشراك) اى جلى كقوله عليه الصلاة
والسلام من حلف بغير الله فقد اشرك رواه احمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر (وقد ورد مثله) اى فى انه شرك

دون شرك (فى الرياء) كقوله عليه الصلاة والسلام الشرك الخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل رواه الحاكم عن
ابى سعيد وقد قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا اى بان يرائيه او يطلب
منه اجرا وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وفى نسخة الزنى بالزاى والنون
لحديث لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن ولا يبعد ان يكون الربا بالراء والموحدة لقوله عليه السلام لعن الله الربا وآكله
وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه (وعقوق الوالدين) لحديث من ادركه
ابواه او احدهما فلم يدخلاه الجنة لم يرح رائحة الجنة (والزور) اى شهادة الزور وهى المعادلة للشرك فى قوله فاجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وروى بدله والزوج كقوله عليه الصلاة والسلام لعن الله المسوفات التى
يدعوها زوجها الى فراشه فتقول سوف حتى تغلبه عيناه رواه الطبرانى عن ابن عمر (وغير معصية) اى وفى غير معصية
اى متفق عليها كقوله عليه الصلاة والسلام ملعون من لعب بالشطرنج رواه ابن حزم وغيره وكقوله عليه الصلاة
والسلام لعن الله المحلل والمحلل له رواه احمد والاربعة عن على كرم الله وجهه (واذا كان) الحديث الوارد فى الآحاد
(محتملا للامرين) من كفر وغيره (فلا يقطع) اى الحكم بالجزم (على احدهما الا بدليل قاطع) واغرب الدلجى
بقوله او غير قاطع وكانه قاس على مسائل الفروع حيث لا فرق عند امامهم بين القطعى والظنى فى احكامها او غفل عن
انه لا بد فى مسائل الاصول من الادلة القطعية (وقوله) اى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه مسلم عن ابى ذر
وروى لانه قال (فى الخوارج هم من شر البرية) بالهمز والتشديد اى الخليقة (وهذه صفة الكفار) كما فى سورة
البينة (وقال عليه الصلاة السلام) كما رواه البيهقى فى حقهم (هم شر قتيل) فعيل يستوى فيه الواحد والجمع وفى رواية
شر قتلى جمع قتيل وروى شر قبيل بالموحدة اى جمع قبيلة (تحت اديم السماء) اى ماظهر منها (طوبى) فعلى من الطيب
واصلها طيبى وقد يقال به قلبت باؤه واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وهى الحالة الطيبة او الجنة او شجرة عظيمة فيها
(لمن قتلهم) وقد قتلهم على كرم الله وجهه يوم النهروان (اولمن قتلوه) لفوزه بالسعادة المترتبة على الشهادة
(وقال) فيما رواه الشيخان عن ابى سعيد الخدرى (فاذا وجدتموهم) اى مجتمعين (فاقتلوهم قتل عاد) اى كقتل عاد
فى الشدة او المعنى اهلكوهم اهلاكا مستأصلا والا فهم اهلكوا بريح صرصر عاتية (وروى ثمود) وهو ابن عم عاد
(وظاهر هذا) القول (الكفر) اى كفرهم بناء على صدر الحديث (لاسيما مع التشبيه) اى لهم وفى نسخة مع
تشبيههم (بعاد) قوم هود (فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الآخر) ممن لا يرى تكفيرهم (انما ذلك) التغليظ (من
قتلهم) اى جهة قتلهم لا من جهة كفرهم (لخروجهم على المسلمين وبغيهم) اى ظلمهم وتعديهم (عليهم) اى على
المؤمنين (بدليله) اى دليل خروجهم وبغيهم عليهم المستفاد (من الحديث نفسه) وروى بدليل من الحديث وهو قوله
عليه الصلاة والسلام (يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ههنا حد) اى قصاص للعباد او دفع للفساد (لا كفر) على
وجه العناد (وذكر عاد) وروى وقتل عاد (تشبيه للقتل) فى الشدة والاستئصال (وحله) اى وكونه الحلال (لا)
تشبيه (للمقتول) من الخوارج بالمقتول من عاد حتى يلزم الكفر مع انه لا يلزم من التشبيه تسوية المشبه والمشبه به
من جميع الوجوه (وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره) كما يعرف فى باب القصاص والرجم (ويعارض) الآخر (بقول
خالد) بن الوليد سيف الله (فى الحديث) كما رواه الشيخان عن ابى سعيد (دعنى) اى اتركنى (اضرب) بالجزم او الرفع
(عنقه) اى ذى الخويصرة (يا رسول الله قال لعله يصلى) يعنى وهو مؤمن وقد روى الطبرانى عن انس مرفوعا نهيت
عن المصلين اى عن قتلهم هذا وفى صحيح البخارى ايضا انه سأل قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولا منع من الجمع
(فان احتجوا) اى من يرى تكفيرهم (بقوله عليه الصلاة والسلام يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم) جمع حنجرة
وهى الحلقوم (فاخبر) اى بهذا (ان الايمان) المستفاد من القرآن (لا يدخل فى قلوبهم) والاظهر ان المعنى لا تقبل
قرآءتهم ولا تصعد الى السماء تلاوتهم واما نفى الايمان فلا يستفاد من حالتهم (وكذلك قوله) اى فى حقهم (يمرقون)
بضم الراء اى يخرجون بسرعة (من الدين مروق السهم) اى نفوذه (من الرمية) فعيلة بمعنى مفعولة اى مرمية مما يرمى
فيمرق منه السهم من صيد او غيره (ثم لا يعودون اليه) اى الى الدين (حتى يعود السهم الى فوقه) بضم الفاء وهو موضع
الوتر من السهم وهذا تعليق بالمحال كقوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فما فى بعض النسخ حتى
لا يعود خطأ فاحش (وبقوله) وفى نسخة وقوله اى فى الصحيحين عن ابى سعيد وروى وكذلك قوله (سبق) اى السهم
بمروقه سريعا (الفرث) وهو ما فى الكرش (والدم) والمعنى مر سريعا فى الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشئ من فرثها
ودمها لسرعته شبه به خروجهم من الدين بسرعة (يدل على انه) اى الخارجى (لم يتعلق من الاسلام بشئ) من سهام
الاحكام (اجابه الآخرون) الذين لا يكفرونهم (ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون) وروى لا يفقهون

(معانيه بقلوبهم ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم) اى لا يمتثلون اوامره ولا يجتنبون زواجره
(وعارضوهم) الاولون (بقوله) عليه السلام (ويتمارى) بصيغة المجهول اى يشك او يجادل (فى الفوق) اى
فى السهم هل فيه اثر علق به شئ من الفرث والدم ام لا وفى نسخة بصيغة الفاعل للخطاب وفى اخرى بالغيبة اى يجادل
ظنه ونفسه فيما يشك فيه (وهذا يقتضى التشكك) وروى الشك اى التردد فى حاله أيحكم بكفره ام لا (وان احتجوا) اى
من يرى تكفيرهم (بقول ابى سعيد الخدرى فى هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يخرج
فى هذه الامة) قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم (ولم يقل من هذه) اى الامة كما فى نسخة (وتحرير ابى سعيد
الرواية) اى وبتحريره (واتقانه اللفظ) الدال على تحقيقه فى الدراية اذ قال فى دون من وهذا مؤذن بانهم كفرة ليسوا
من امة الاجابة وهذا فى غاية من البعد كيف وهم يقرؤن القرآن ويصلون ويصومون ويبالغون فى الزجر عن المعاصى
حيث يكفرون مرتكب الكبيرة واما تعبيره بفى دون من فقد (اجابهم الآخرون) ممن لا يرى تكفيرهم (بان العبارة
بفى لا تقتضى تصريحا بكونهم) وروى صريحا كونهم (من غير الامة) اى امة الاجابة بل هم من امة الدعوة (بخلاف
لفظة من التى هى للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روى عن ابى ذر) اى الغفارى (وعلى) اى ابن ابى طالب
(وابى امامة) سهل بن حنيف كذا قاله الدلجى وقال الحلبى تقدم انه صدى بن عجلان الباهلى (وغيرهم فى هذا
الحديث) اى حديث الخوارج (يخرج من امتى وسيكون من امتى) ونحوهما مما هو ظاهر فى كونهم منهم
(وحروف المعانى مشتركة) فى معانيها ينوب بعضها عن بعض فى مبانيها فاذا كانت مشتركة (فلا تعويل) اى لا اعتماد
(على اخراجهم من الامة بفى ولا على ادخالهم فيها بمن) اى بمجردهما لاحتمال كل منهما انها وقعت فى موضع اختها فقوله
تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة اى فيه ويقال هذا ذراع فى ارض كذا اى منها (لكن ابا سعيد رضى الله عنه
اجاد ما شاء) اى فيما افاد (فى التنبيه الذى نبه عليه) اى على اخراجهم من الامة بظاهر فى دون من لانهم ليسوا منهم
(وهذا) التعبير بفى دون من من ابى سعيد (مما يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعانى) بايراد الفاظها الدالة عليها
بدون احتمال الى غيرها (واستنباطها) اى اخراجها من القوة الى الفعل (من الالفاظ) الموضوعة لها الدالة عليها
(وتحريرهم لها وتوقيهم فى الرواية) وفيه ان هذا يوهم ان الصحابى له التصرف فى الفاظ النبوة من الرواية فيعبر بما
كما يظهر له من الدراية وقد اختلف ارباب الاصول فى نقل الحديث بالمعنى والتصرف فى المبنى والمحتاطون منعوه
بالكلية والمحققون جوزوه عند الضرورة بالنسيان فى اصل الرواية على ان ابا سعيد وقع شاذا فى هذه الرواية بالنسبة
الى بقية الصحابة الذين هم اقوى منه فى باب الدراية لاسيما عليا كرم الله وجهه المبتلى بمقاتلتهم ومحاربتهم ومباغضتهم
(هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق) المختلفة كالمعتزلة والشيعة (فيها) وفى نسخة عليها
(مقالات كثيرة مضطربة) اى مختلفة مختلفة (سخيفة) اى خفيفة ضعيفة (اقربها قول جهم) اى ابن صفوان من
المعتزلة (ومحمد بن شبيب) بفتح الشين المعجمة وكسر الموحدة الاولى وهو منهم ايضا على ما ذكره الدلجى قال التلمسانى وهو
الخارجى من المرجئة ممن جمع بين الارجاء فى الايمان وبين القول فى القدر (ان الكفر بالله هو الجهل به لا يكفر احد
بغير ذلك) اى بغير الجهل بوجوده ذكره الدلجى وفيه انه يلزم منه ان لا يوجد فى الكون كافر الا الدهرية فقد قال تعالى
فى حق عبدة الاصنام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وما جاء الانبياء الا للتوحيد لا لمجرد اثبات
وجوده تعالى ولهذا امروا الخلق بان يقولوا لا اله الا الله لا بمجرد ان الله موجود ومع هذا من اتى بالتوحيد ولم يقر
بالانبياء او اقر ببعض الانبياء ولم يقر بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته كاهل الكتاب فلا شك انه كافر بالاجماع
فكيف قائله يكون من المبتدعة وان هذا اقرب اقوالهم (وقال ابو الهذيل) بالتصغير وهو العلاف البصرى شيخ المعتزلة
توفى سنة ست وعشرين ومائتين وقد نيف على المائة (ان كل متأول كان تأويله تشبيها لله بخلقه) كبعض المجسمة
(وتجويرا) اى ظلما له (فى فعله) على خلقه (وتكذيبا لخبره فهو كافر وكل من اثبت شيأ قديما) كالارواح وعنصر
الاشياء وقدم العالم كقول الحكماء (لا يقال له الله) ولعله احترز به عن صفات الذات فانه يطلق عليه انه الله قال تعالى
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى (فهو كافر) فاندفع قول الدلجى بان هذا مؤذن بكفر من
قال بقدم صفاته الثبوتية كالعلم والقدرة كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة (وقال) وروى وقول (بعض
المتكلمين ان كان) المتأول (ممن عرف الاصل) اى من الكتاب والسنة (وبنى عليه) قوله (وكان) اى تأويله (فيما هو
من اوصاف الله فهو كافر) لان الجهل بذاته وصفاته كفر ولا عذر له فى تأويله (وان لم يكن) تأويله (من هذا الباب)
اى باب ما يؤدى الى كفره (ففاسق) فى فعله وقوله بتأويله ومبتدع فى اعتقاده (الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل)
وبنى تأويله على غير اساس منه فيما لم يعرفه من صفاته سبحانه وتعالى (فهو مخطئ) فى تأويله لعدم اصابته الحق يحكم عليه

بالاثم والفسق (غير كافر) لقيام عذره بجهله (وذهب عبيد الله بن الحسن) اى ابن الحصين بن مالك بن الخشخاش (العنبرى) منسوب لبنى العنبر ومالك والخشخاش صحابيان وكان قاضى البصرة بعد سوار بن عبد الله روى عن عبد الرحمن بن مهدى ومحمد بن عبد الله الانصارى قال ابن سعد كان محمودا ثقة عاقلا وقال النسائى فقيه ثقة اخرج له مسلم توفى سنة ثمان وستين ومائة ومن غرائبه ما نقلوه عنه انه يجوز التقليد فى العقائد والعقليات وخالف فى ذلك العلماء كافة ذكره الحلبى وتبعه الانطاكى وسكت عنه التلمسانى وفيه ان ايمان المقلد مقبول عند جمهور العلماء وقال الدلجى انه من المعتزلة وقد ذهب (الى تصويب اقوال المجتهدين) اجمعين (فى اصول الدين) ولو كانوا من المبتدعين (فيما كان عرضة للتأويل) اى قابلا له مما لم يرد فيه نص صريح كتأويل المعتزلة انه تعالى متكلم بخلقه الكلام فى جسم متمسكين بشجرة موسى عليه السلام (وفارق) العنبرى (فى ذلك) القول (فرق الامة) اى طوائفها من الناجية وغيرها (اذ اجمعوا سواه على ان الحق فى اصول الدين واحد والمخطئ فيه آثم عاص فاسق وانما الخلاف فى تكفيره) على ما سبق بعض تحريره واما فروع الدين فالمخطئ فيها معذور بل مأجور باجر واحد والمصيب له اجران كما فى حديث ورد بذلك (وقد حكى القاضى ابو بكر الباقلانى) ابن الطيب المالكى (مثل قول عبيد الله) اى العنبرى (عن داود) اى ابن خلف (الاصبهانى) وفى نسخة الاصفهانى وهو امام اهل الظاهر وكان زاهدا ورعا متقللا ناسكا اخذ العلم عن اسحق بن راهويه وابى ثور انتهت اليه رياسة العلم ببغداد قيل كان يحضر مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان اخضر سمع من سليمان بن حرب والقعنبى ومسدد وطبقتهم وفى كتبه حديث كثير لكن الرواية عنه عزيزة وقد اختلف العلماء فى نفاة القياس مثل داود وشيعه هل يعتبر قوله فى الاجماع ام لا فعن طائفة من الشافعية انه لا اعتبار لخلاف نفاة القياس فى الفروع ويعتبر خلافهم فى الاصول وقال امام الحرمين والذى ذهب اليه اهل التحقيق ان منكرى القياس لا يعدون من علماء الامة وحملة الشريعة وقال الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح والذى اختاره الاستاذ ابو منصور البغدادى من الشافعية ان الصحيح من المذهب انه يعتبر خلاف داود قال الشيخ وهو الذى استقر عليه الامر آخرا فان الائمة المتأخرين اوردوا مذهب داود فى مصنفاتهم قال والذى اجيب به ان داود يعتبر قوله ويعتد فى الاجماع الا فيما خالف فيه القياس الجلى وما اجمع عليه القياسيون وبناه على اصوله التى قام الدليل القاطع على بطلانها فاتفاق من سواه على خلافه اجماع منعقد وقول المخالف حينئذ خارج من الاجماع وذكر الذهبى فى الميزان ان داود اراد الدخول على الامام احمد فمنعه وقال كتب الى محمد بن يحيى فى امره انه زعم ان القرآن محدث فلا يقربنى فقيل يا ابا عبد الله انه ينتفى من هذا وينكره فقال محمد بن يحيى اصدق منه (وقال) اى الباقلانى (وحكى قوم عنهما) اى عن داود والعنبرى (انهما قالا ذلك) اى تصويب المجتهدين فى اصول الدين (فى كل من علم الله من حاله استفراغ الوسع) اى بذل طاقته واجتهاده (فى طلب الحق) وان اخطأ (من اهل ملتنا ومن غيرهم) هذا باطل قطعا لان غير اهل ملتنا كل منهم يدعى من حاله استفراغ الوسع فى طلب الحق وكانه لا سيما اهل الكتاب وقد اخبر الله انهم وغيرهم اجمعون كل حزب بما لديهم فرحون (وقال نحو هذا القول) المنسوب اليهما (الجاحظ وثمامة) بضم المثلثة وكلاهما من المعتزلة قال الحلبى اما الجاحظ فهو الكنانى الليثى البصرى العالم المشهور وصاحب التصانيف المشهورة فى كل فن قال المسعودى ولا نعلم احدا من الرواة واهل العلم اكثر كتبا منه وله مقالة فى اصول الدين واليه تنسب الفرقة الجاحظية من المعتزلة وكان تلميذ ابى اسحق ابراهيم بن يسار البلخى المتكلم المشهور ومن احسن تصانيفه كتاب حياة الحيوان الكبير فقد جمع فيه كل غريبة وكتاب البيان والتبيين وهو كبير جدا وكتاب فى اللصوصية يعلم فيه الشخص كيف يسرق وينقب ويتسلق ويدخل البيوت فى مجلد وكتاب فى مدح البخل بحيث الناظر فيه يجلس اليوم واليومين لا يأكل شيأ ويبقى اياما لا تطيب نفسه باخراج شئ وكان الجاحظ مع فضله مشوه الخلق قيل له الجاحظ لان عينيه كانتا جاحظتين والجحوظ النتوء واصابه فى آخر عمره فالج فكان يطلى شقه الايمن بالصندل والكافور من شدة الحرارة وشقه الاخر لو قرض بالمقاريض لما احس به واصابه الحصى وعسر البول توفى سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة وقد نيف على التسعين واما ثمامة فهو ابن اشرس النميرى قال الذهبى فى الميزان من كبار المعتزلة ومن رؤس الضلالة كان له اتصال بالرشيد ثم بالمأمون وكان ذا نوادر وملح قال ابن حزم كان ثمامة يقول ان العالم فعل الله بطباعه لان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام لا يدخلون النار بل يصيرون ترابا وان من مات مصرا على كبيرة خلد فى النار وان اطفال المؤمنين يصيرون ترابا انتهى ولا يخفى انه بقوله صاحب الكبيرة مخلد فى النار مبتدع موافق للخوارج والمعتزلة وبقوله المقلد للكفار لا يدخل النار داخل فى جملة الكفرة (فى ان كثيرا من العامة) اى الجهلة (والنساء والبله) بضم الباء جمع ابله اى المغفلون عن الشر المطبوعون على الخير وكأنه اراد بهم من لم يكن لهم عقل الآخرة بخلاف حديث اكثر اهل الجنة البله فان المراد بهم من ليس لهم عقل الدنيا ولهم اقبال كلى

على العقبى (ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ) وفى نسخة اذا (لم يكن لهم طباع يمكن معها الاستدلال) وهذا كلام باطل لاقتدارهم فى الجملة على معرفة اوائل الادلة ولقوله تعالى قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ففيه ايماء الى ان المدار على المشيئة الالهية لا بالادلة العقلية ولا النقلية (وقد نحا) اى مال (الغزالى) بتشديد الزاى وتخفيفها نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس او الى بنت كعب الاحبار فانها جدته وقيل كان والده غزالا يغزل الصوف ويبيعه (قريبا) وروى الى قريب (من هذا المنحى) اى المسلك (فى كتاب التفرقة) وهو صاحب المؤلفات الفائقة وهو الامام حجة الاسلام ولد بطوس بلد بخراسان لا بالعراق كما قاله التلمسانى سنة خمسين واربعمائة وتفقه ببلده على احمد بن محمد الرادكانى ثم سافر الى جرجان الى ابى نصر الاسماعيلى فكتب عنه التعليقة ثم خرج الى طوس ثم ارتحل الى امام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولزمه وصار اماما فى مذهب الشافعى فلما انقضت ايام الامام خرج من نيسابور فجال فى اقطار خراسان مدة وقدم بغداد سنة اربع وثمانين فولى تدريس النظامية بها ثم حج واستناب اخاه فى التدريس ورجع الى دمشق واستوطنها عشر سنين بجامعها بالمنارة الغربية منه واجتمع بالشيخ نصر المقدسى فى زاويته التى تعرف اليوم بالغزالية واخذ فى العبادة والتصنيف ويقال انه صنف الاحياء وعدة من الكتب هنالك ثم انتقل الى القدس ثم سار الى مصر والاسكندرية ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجلس الوعظ وترجمته كثيرة ومرتبته شهيرة توفى سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة بطوس لا ببغداد كما ذكره الحلبى وغيره وعن الشيخ تقى الدين ابن تيمية انه ذكر فى شرح العقيدة الاصفهانية كان ابو حامد مزجى البضاعة فى الحديث ولهذا يوجد فى كتبه من الاحاديث الموضوعة ما لا يعتمد عليه من له علم بالآثار ويوجد فيها من مقالات المتفلسفة ما نقده عليه علماء الاسلام حتى قال صاحبه ابو بكر ابن العربى مع شدة تعظيمه له شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلاسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر انتهى وقال ابو بكر ابن العربى لقيت ابا حامد وهو يطوف وعليه مرقعة فقلت يا شيخ العلم والتدريس اولى لك من هذا اذ بك يقتدى وبحكمك الى معالم المعارف يهتدى فقال هيهات لما طلع قمر السعادة فى فلك الارادة اشرقت شموس الافول على مصابيح الاصول فتبين الخالق لارباب الالباب وذوى البصائر اذ كل الطبع عليه راجع وصائر وانشد

تركت هوى ليلى وانى بمعزل * وصرت الى مصحوب اول منزل
ونادتنى الاكوان حتى اجبتها * الا ايها السارى رويدك فانزل
فعرست فى دار الندا بعزيمة * قلوب ذوى التعريف عنها بمعزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد * لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وهى ابيات لومية (وقائل هذا كله) كالجاحظ وثمامة (كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود) يعنى المقلدين منهم وكذا المجوس على ما يلوح كلام بعضهم

وان نار بالتنزيل محراب مسجد * فما نار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت * كما جاء فى الاخبار عن الف حجة
فما عبد واغيرى وما كان قصدهم * سواى وان لم يظهروا عقد نية

نعم لا شك ان الكل يزعمون انهم يعبدون الله ويطلبون رضاه كما اخبر الله عن بعضهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله لكنهم اضلهم الله وابعدهم عن طريق الحق الموصل الى الله وكل حزب بما لديهم فرحون * واكثرهم فى طغيانهم يعمهون * صم بكم عمى فهم لا يرجعون (وكل) اى وبالاجماع على كفر كل (من فارق دين المسلمين) بردة قولا وفعلا (او وقف) اى توقف فى تكفيرهم او فى الدين (او شك) اى تردد فيه (قال القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (لان التوقيف) اى بالسماع من الله ورسوله (والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف فى ذلك فقد كذب النص) اى نص الكتاب (والتوقيف) به من السنة على الصواب (او شك فيه والتكذيب والشك فيه) اى فى كفرهم (لا يقع) كل منهما (الا من كافر) ومن هنا قال العلامة ابن المقرى فى متن الارشاد من شك ان طائفة ابن عربى شر من اليهود والنصارى فقد كفر

(فصــــل)

(فى بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر) وهذا فصل مهم يتعين معرفته على كل من لم يفضل ليكون اعتقاده على اساس اصل يوصله الى كمال وصل (اعلم ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس) اى ازالة الخلط والشبهة (فيه مورده الشرع) اى النقل من الكتاب والسنة (ولا مجال) اى لا مدخل (للعقل) والطبع (فيه) من الادلة الكاسدة والاقيسة الفاسدة (والفصل البين) اى الفرق الواضح (فى هذا) الفصل (ان كل مقالة صرحت

بنفى الربوبية) كالمعطلة (اوالوحدانية) كالوثنية (اوعبادة احد غيرالله) كالاتحادية (اومع الله) كالحلولية (فهى كفر) اى مقالة كفر (كمقالة الدهرية) بنفى الالوهية كما اشار اليه قوله تعالى وقالوا ماهى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيى ومايهلكنا الا الدهر وهو الزمان الطويل ولم يعلموا ان المتصرف فى الامر هو الله لا الدهر ولهذا قال عليه الصلاة والسلام لاتسبوا الدهر فان الدهر هو الله وفى رواية فان الله هو الدهر ردّا لاعتقادهم نسبة الخير والشر الى الدهر (وسائر فرق اصحاب الاثنين) اى القائلين بان خالق الخير غير خالق الشر وقد قال تعالى لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وقد بينهم المصنف بقوله (من الديصانية) بكسر الدال المهملة وتفتح وهم يقولون النور حى والظلمة ميت (والمانوية) بفتح الميم وسكون الهمز ويبدل وفتح النون وفى اصل الحجازى المنانية بفتح الميم وتشديد النون وفى نسخة المانية منسوب الى مانى زنديق مشهور ظهر فى زمان سابور بن ازدشير وادعى النبوة وقال ان للعالم اصلين قديمين نور هو مبدأ الخير وظلمة هو مبدأ الشر فصدقه فلما تولى بهرام سلخه وحشا جلده تبنا وقتل اصحابه الامن هرب الى الصين ودعا الى دينه واهل الصين الى زماننا هذا على مذهبه كذا ذكره بعضهم فاجيب وقد كذبهم المتنبى فى شعره فقال

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبران المانوية تكذب

قال وللمانية مذهبان منهم من يقول ان النور والخير والروح خلقه الله والشر والظلمة والجسد خلقه اله وهم ثنوية ومنهم من يقول الخير كله فى النور والشر كله فى الظلمة والفرق بينهم وبين الديصانية انهم يقولون النور والظلمة حيان وفى اصل التلمسانى المنانية بفتح الميم والنون المشددة والظاهر انه تصحيف (واشباههم) اى ممن عبد غير الله تعالى (من الصابئين) بالهمز ودونه من صبأ اذا خرج من دين الى دين آخر وهم فرقة عدلوا عن اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة لاعتقادهم تأثيرها فى عالم العناصر مدبرة لامور قديمة شفعاء للعباد عند الله مقربة لهم اليه زلفى ويزعمون انهم على دين نوح عليه السلام (والنصارى) وهم طوائف ثلاث مشهورة يقولون تدرع الناسوت باللاهوت بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية وبطريق الاشراق كالشمس فى كوة بلور عند النسطورية وبطريق الانقلاب لحما ودما بحيث صار الاله هو المسيح عند اليعقوبية (والمجوس) القائلين بخالقين يزدان وهو مبدأ الخير واهرمن وهو الشيطان مبدأ الشر وهم يعبدون النار لحبتهم فى النور وفى الحديث القدرية مجوس هذه الامة قيل لمشابهتهم فى قولهم باصلين نور وظلمة فالخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة وكذا القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى الانسان او الشيطان (والذين اشركوا بعبادة الاوثان) اى الاصنام (والملائكة او الشياطين) اى الجن فان ابليس لم يعبد قط واما قوله تعالى لاتعبدوا الشيطان فمعناه لاتطيعوه فيما يأمركم بالعصيان (او الشمس) وكذا القمر (او النجوم) اى جنسها او نجم خاص منها كالشعرى (او النار) فيه نوع من التكرار (او احد غير الله من مشركى العرب واهل الهند) وهم الهنود (والصين) مملكة بالمشرق فيها الترك من الكفرة (والسودان) بضم اوله جمع اسود وهم كثيرون قيل معمور الارض مسافة مائة سنة منها يأجوج ومأجوج ثمانون سنة ومنها السودان ست عشرة سنة وقيل ثمانى عشرة ومنها الاولاد سام مابقى (وغيرهم ممن لايرجع الى كتاب) او يرجع اليه لكن لا على طريق صواب (وكذلك القرامطة) وهم الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق واصل دعوتهم الى بطلان الشرائع لان طائفة من المجوس عند استيلاء الاسلام وغلبة اهل الكرام راموا تأويلها على وجوه تعود الى قواعد اسلافهم يستدرجون بها ضعفاء المسلمين واهل غفلتهم استدراجا يورثهم اختلافا واضطرابا فى شريعتهم ورأسهم حمدان من قرمط قرية من قرى واسط فلقبوا بالقرامطة ورتبوا فى الدعوة الى ذلك مهملات باطلة ابتدعوها وخرافات عاطلة اخترعوها منها اباحة المحرمات والترغيب فى اللذات كقولهم الوضوء موالاة الامام الذى هو الحجة والتيمم الاخذ عما دونه فى غيبته والصلاة الوصول والزكاة تزكية النفس بمعرفة ماهو عليه من الدين والاحتلام افشاء شئ من اسرارهم الى من ليس من اهله بلا قصد والغسل تجديد العهد والجنة راحة الابدان من التكاليف والنار مشقتها بمزاولة التكاليف وامثال ذلك مما يقتضى تكفيرهم هنالك ولهم القاب سبعة (واصحاب الحلول) من النصارى والباطنية والوجودية والنصيرية يزعمون ان الله حل فى علىّ واولاده (والتناسخ) القائلين بانتقال الارواح من ابدانها الى ابدان اخر فى الدنيا (من الباطنية) وهم الاسماعيلية وهذا من القابهم السبعة ولقبوا به لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره المفهوم منه لغة ويدعون انه هو المراد منه وان نسبته اليه كنسبة اللب الى القشر فظاهره عذاب بمشقة التكاليف وباطنه مؤدى الى تركها وتمسكوا فيه بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهذا مذهب المنصورية ايضا فان

قيل المبتدعة وهذه الطائفة المخترعة يتمسكون بالقرآن وكذلك اهل السنة والجماعة فالجواب انه تعالى قال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما اشار اليه قوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا وبهذا يعلم ان الفرقة الناجية هم الذين على ماعليه النبى واصحابه الكرام وان معالم القرآن لاتنكشف حقيقة الابييان النبى عليه الصلاة والسلام مافيه من الاحكام النازلة على طريق الابهام كما يدل عليه قوله عز وجل لتبين للناس مانزل اليهم فاضل قلم من ضل ولازل قلم من زل الامن ترك علم الحديث من صريح النقل وتبع اهواءه وآراءه الناشئة من اثر الجهل والخيالات الفاسدة والتصورات الكاسدة الكائنة من مجرد العقل فالجمع بين النقل والعقل نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ثم هنا دقيقة يترتب عليها حقيقة وهى ان الواجب على السالك ان يجعل العقل تابعا للنقل لابالعكس لئلا يقع فى المهالك هذا ومن التناسخية طائفة الخطابية وهم اتباع ابى الخطاب محمد ابن ابى وهب كان يزعم ان عليا الاله الاكبر وجعفر بن محمد الصادق الاله الاصغر يقولون بالتناسخ يزعمون ان الله حل فى علىّ ثم فى الحسن ثم فى الحسين ثم فى زين العابدين ثم فى الباقر ثم فى الصادق حكى ذلك عنهم فخر الدين الرازى فى مختصره فى الملل والنحل قلت وانجس منهم واخس من النصارى ايضا طائفة ابن عربى حيث يقولون فى قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم انما كفروا بحصرهم الالوهية فى ابن مريم بناء على اصلهم الفاسد ان الله تعالى عين الاشياء وضررهم على المسلمين اكثر من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فان كثيرا من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ويطالعون كتبهم ويتبعون مرامهم ويسمون رئيسهم بالشيخ الاكبر الذى يدعى انه خاتم الاولياء وانه يستفيض منه خاتم الانبياء وشبه نفسه بلبنة ذهب وشبه سيد البشر بلبنة فضة ونحو ذلك كما بينته فى رسالة مستقلة قال التلمسانى ومن الباطنية طائفة ينسبون الى التصوف يتظاهرون بالاسلام وان لم يكونوا مسلمين فى الاحكام والفساد اللازم من هؤلاء على الدين الحنيفى اكبر من الفساد اللازم عليه من جميع الكفار فانهم يصرفون الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لايسبق منها الى الافهام شئ كقول بعضهم فى تأويل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله تعالى الق عصاك اى كل مايعتمد عليه مما سوى الله وفى قوله عليه الصلاة والسلام تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار انتهى والحق انهم ان ارادوا بذلك ابطال ظواهر الكتاب والسنة فهم كفرة وان ارادوا بذلك ان للكتاب والسنة عبارات واضحات واشارات لائحات فهذا نور على نور وسرور على سرور ويشير اليه قول مالك من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق وانا بحمد الله وحسن توفيقه وبركة متابعة سيد الانبياء جمعت تفسيرا جامعا بين عبارات الاصفياء واشارات الاوفياء (والطيارة من الروافض) ويسمون الجناحية وهم اصحاب عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين قالوا الارواح تتناسخ وروح الله كانت فى آدم ثم فى شيث ثم فى الانبياء والائمة حتى انتهت الى علىّ واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله بن معاوية المذكور وهو فى جبل باصبهان وسيخرج وانكروا القيامة واحلوا المحرمات (وكذلك من اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حى او غير قديم وانه محدث) اى موجود بعد عدم (او مصور) بصورة كالهشامية اصحاب هشام بن الحكم وهشام بن سالم فانهم اتفقوا على انه سبحانه وتعالى جسد وهو كسبيكة بيضاء صافية يتلألأ من جانب وله لون وطعم ورائحة وليست هذه الصفات غيره ويقوم ويقعد وله مشابهة بالاجسام ويعلم ماتحت الثرى بشعاع ينفصل منه اليه وهو سبعة اشبار باشبار نفسه مماس للعرش بلا تفاوت بينهما وارادته حركته لاعينه ولاغيره والائمة معصومون دون الانبياء لانهم يوحى اليهم ويتقربون اليه بخلافهم لايوحى اليهم فوجب ان يكون الامام معصوما وقال ابن سالم هو على صورة انسان له يد ورجل وحواس خمس وانف واذن وعين وفم ووفرة سوداء نصفه الاعلى مجوف والاسفل مصمت ليس بلحم ولادم انتهى وابطاله كله قوله تعالى ليس كمثله شئ ولعل الحكمة فى عدم تجويز رؤيته تعالى فى الدنيا ان لايدعى كل مبطل انى رأيته على هذه الصورة سبحانه وتعالى (او ادعى له ولدا) اى ابنا كاليهود والنصارى او بنات كبعض العرب (او صاحبة) اى زوجة كالنصارى (او والدا) اى بان يكون له اصل او عنصر او منبع او معدن او مصدر بحسب ذاته وجميل صفاته (او انه متولد من شئ) هو كالتفسير لما قبله وكذا قوله (او كائن) اى حادث (عنه) اى عن شئ قديم او حادث والحاصل انه ليس بحادث ولا محل للحوادث كما اشار الى ذلك كله قوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد (او ان معه فى الازل شيأ قديما) اى فضلا عن حادث اذ لايتصور (غيره) اى غير ذاته وصفاته واما ماذكره بعض شراح الفصوص من قدم الارواح مطلقا او قدم الارواح الكمل فباطل قطعا وكفر اجماعا (او ان ثم صانعا للعالم سواه)

اى سوى الله كالدهرية واما قول الدلجى كمشركى العرب فليس فى محله لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى (اومدبرا غيره) كما يقول المنجمون من ان النجوم مدبرات
والله سبحانه وتعالى يقول انها مسخرات (فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة) القائلين
بالوجود المطلق وكذا اتباعهم الوجودية الملحدة طائفة ابن عربى وقال التلمسانى هم قوم من حكماء الهند يدعون قدم
الطينة ويزعمون ان العالم قديم وينكرون حشر الاجساد (والمنجمين) الباحثين عن النجوم واحوالها قيل
للاسكندر الرومى كنا عند منجم فى بستانه فارانا النجوم نهارا واحدا واحدا ابرهانه فوقع فى بئر فيه وهو لايدرى فقال
من تعاطى علم مافوقه جهل علم ما تحته وقال التلمسانى من نسب التدبير الى النجوم واعتقد انها فعالة فهو كافر
لانه جعل مع الله شركاء ولقوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث القدسى اصبح من عبادى مؤمن وكافر الحديث
فقائله تجرى عليه احكام المرتد وان كان يقول عادة الله بان يخلق عندها فقيل كافر وقيل فاسق والاول اولى سدا
للذريعة وقال بعضهم الافلاكية يقولون بالهية الكواكب ومايقوله المنجم من كسوف وغيره هو بالحساب ولكن
فيه فتنة ضعفاء العقول فيؤدب على ذلك واما من يحكم بالكواكب فى مولد او وفاة او غلاء او رخص او دولة او زوالها
فهو من اصول الكفر وروى ان النجوم انما خلقها الله زينة للسماء الدنيا ورجوما للشياطين وهداية فى البر والبحر
(والطبائعيين) القائلين بتأثير الطبيعة فى الايجاد والتدبير فى امر البدن من ما عليه الاطباء التابعين للحكماء
المعتقدين الهية الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقيل هم الذين يقولون ان النار بطبعها محرقة وان الماء بطبعه
مغرق وان الطعام والشراب بنفسهما مشبع ومزيل للعطش وقد ابطلها الله سبحانه وتعالى بقوله يانار كونى بردا
وسلاما على ابراهيم وبتنجية موسى وقومه واغراق فرعون وجنده وبعلة جوع البقر ومرض الاستسقاء ونحن نقول
يقع ذلك الاحراق والاغراق ونحوهما عند وجود اسبابها بخلق الله عز وجل فيها لا بمجرد وجودها لاحتمال
انقلابها (وكذلك من ادعى مجالسة الله والعروج اليه ومكالمته) وكذا من ادعى رؤيته سبحانه وتعالى فى الدنيا
بعينه كما بينته فى شرح الفقه الاكبر (او حلوله فى بعض الاشخاص) كعلى ونحوه مماسبق بيانه او فى جميع الاشخاص
والاشياء (كقول بعض المتصوفة) اى المتشبهة بالصوفية من الحلولية والوجودية والاتحادية كابن سبعين والعفيف
التلمسانى والشمس التبريزى زعموا ان السالك اذا امعن فى سلوكه وخاض فى لجة وصوله واستغرق فى بحر حضوره
فربما حل فيه سبحانه وتعالى كالنار فى الفحم فيرتفع الامر والنهى ويظهر من العجائب والغرائب مالايتصور من
البشر وعن بعض متصوفة اهل مصر انه كان يقول لاصحابه طوفوا ببيت الرب يعنى قلبه فيدورون حوله (والباطنية
والنصارى والقرامطة) وقد سبق الكلام عليهم (وكذلك نقطع) اى القول (على كفر من قال بقدم العالم) اى
جميعه او بعضه (او بقائه) اى بذاته سواء يبقى او يفنى كما يشير اليه قوله تعالى كل شىء هالك الا وجهه اى قابل للهلاك
والفناء الا الله سبحانه وتعالى فانه بذاته دائم البقاء (او شك فى ذلك) اى فى كونه قديما (على مذهب بعض الفلاسفة
والدهرية) القائلين باستناد الحوادث الى الدهر (او قال بتناسخ الارواح) وانتقالها من الاشباح (ابد الاباد)
جمع بينهما للتأكيد اى دائما فى الدنيا (فى الاشخاص) من بدن الى بدن آخر (وتعذيبها او تنعيمها فيها) اى
فى الاشخاص (بحسب زكائها) بالهمزة اى طيب عنصرها (وخبثها) بضم اوله اى خبث اصلها (وكذلك من اعترف
بالالهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة من اصلها عموما) كان يقول ماانبأ الله احدا من خلقه (او جحد (نبوة نبينا
خصوصا) وكذا اذا اقر بنبوته ونفى رسالته عموما (او احد) اى جحد نبوة احد (من الانبياء الذين نص الله عليهم) بانه نبى
(بعد علمه بذلك) اى بانه نبى (فهو كافر بلا ريب) اى من غير شك وشبهة (كالبراهمة) وهم قوم بارض الهند لايجيزون
على الله بعثة الرسل (ومعظم اليهود) ينكرون نبوة عيسى مطلقا وعموم رسالة نبينا عليهما الصلاة والسلام (والاروسية)
بضمتين او بفتح اوله وفى آخره ياء نسبة ويقال ارسية (من النصارى) قيل هم فرقة من رهط هرقل وقيل هم اتباع عبد
الله بن ادريس كان فى الزمن الاول قتلوا نبيا بعث اليهم (والغرابية من الروافض الزاعمين ان عليا كان) اى هو
(المبعوث اليه جبريل) وسموا بذلك لقولهم على اشبه بمحمد من الغراب بالغراب فغلط جبريل حين بعث الى على
لشبه النبى به وهذا كذب وبهتان لان عليا ما كان شبيها بالنبى عليه الصلاة والسلام كما يعلم من شمائلهما الكرام
وقد سبق فى اول الكتاب بيان شمائله عليه الصلاة والسلام واما شمائل على كرم الله وجهه فانه كان آدم شديد
الادمة عظيم العينين اقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع ابيض الرأس واللحية كذا
فى اسماء رجال المشكاة لمصنفه بل اقول ولم يوجد احد يشبهه من جميع الوجوه نعم كان الحسن يشبهه بالنصف الاعلى
والحسين بالنصف الاسفل لكن لا اشباهة تورث الشبهة انما هى شباهة فى الجملة وقد قال الصديق الاكبر حين حمل

احدهما انت شبيه بالنبى دون ابيك ولا يخفى وجوه كفرهم من انكار النبوة لمحمد واثباتها لعلى وتخطئة جبريل
وتجهيل الرب الجليل ونقل انهم يلعنون صاحب الريش ويعنون جبريل عليه السلام (وكالمعطلة) اى للوجود
بنفى صانعه كالدهرية او النافية لحقيقة الاشياء القائلة بان الاشياء كلها خيالات وتمويهات كالمنامات
وهم السوفسطائية (والقرامطة) وهم الملاحدة الذين قتلوا اهل مكة حتى دفنوا ابئر زمزم موتاهم وصعد واحد منهم
فوق باب الكعبة وقال الم تقولوا ان الله قال ومن دخله كان آمنا فاى امن لكم مع هذا القتل فيكم فاجابه قائل
بان معناه ومن دخله امنوه ولا تتعرضوا له وحاصله انه ليس بخبر حتى يلزم الخلف فى قوله وانما هو حكم ولا يلزم من
تخلف الحكم نقصان فى الحاكم وهم الذين اخذوا الحجر الاسود معهم قيل ومات تحته سبعون جملا وقد اعطاهم امراء
المسلمين مالا كثيرا لتخليص الحجر الاسود فما رضوا حتى وقع فيهم الوباء والغلاء وانواع البلاء فارسلوه قيل جاء به جمل واحد
بعون الله سبحانه وتعالى وفيه ايماء الى استثقاله الخروج من مكة واستخفافه اشتياقا الى الكعبة (والاسماعيلية)
وهم هم وانما اختلف القابهم كذا قاله الدلجى وقال التلمسانى الاسماعيلية من الباطنية وهم قوم اثبتوا امامة
اسماعيل بن جعفر الصادق وقيل لان رئيسهم ينسب لمحمد بن اسماعيل بن جعفر وهو الصادق وقيل فرقة من
الامامية من الرافضة ينسبون الى اسماعيل بن جعفر الصادق حيث يزعمون ان الامام بعد جعفر الصادق اسماعيل
ابن جعفر ولكن لما مات اسماعيل فى حال حياة اخيه عادت الامامة الى اخيه قال تقى الدين ابو العباس ابن تيمية
ان الاسماعيلية من القرامطة الباطنية اتباع الحاكم الذى كان بمصر وكان دينهم دين اصحاب رسائل اخوان الصفا
من ائمة منافقى الامم الذين ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى انتهى وكانه اشار الى طائفة بن عربى والله سبحانه وتعالى
اعلم (والعنبرية من الرافضة) وهم المنسوبون الى عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة الذى جوز التقليد
فى العقائد والعقليات وقد تقدم فى الفصل قبله كذا ذكره التلمسانى وقد سبق ان ايمان المقلد صحيح عند عامة العلماء وفى
نسخة صحيحة والعبيدية وهم من بنى عبيد بن بنت القداح اليهودى اسلمت امه فتزوجها شريف فزعم عبيد انه ابنه ودعا
الناس الى ان يبايعوه بالخلافة فطلب فلحق بالمغرب وبويع له بها وتولى من بنيه بمصر اربعة عشر خليفة ثم اخذها منهم
نور الدين الشهيد (وان كان بعض هؤلاء) الطوائف المذكورين (قد اشركوا) بصيغة الفاعل او المفعول ويروى
اشتركوا (فى كفر آخر مع من قبلهم) ككفر بعض الرافضة بتكفيرهم الصحابة وقذف عائشة مع مشاركتهم من قال
بالهين فى كفره باعتقادهم الهية على واولاده او حلوله سبحانه فيهم (وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة) اى
نبوة الانبياء جميعهم (ونبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته عامة (ولكن جوز على الانبياء الكذب
فيما اتوا به ادعى فى ذلك) الكذب (المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع) بلا نزاع (كالمتفلسفين) من الحكماء
(وبعض الباطنية) كالوجودية (والروافض) اى وبعضهم (وغلاة المتصوفة) اى من الجهلة (واصحاب الاباحة)
وهم الملاحدة وفى نسخة الاباحية وهم فرقة من غلاة المتصوفة وجهلتهم ويقال لهم المباحية يدعون محبة الله وليس
لهم من المحبة حبة يخالفون الشريعة ويزعمون ان العبد اذا بلغ فى الحب غاية المحبة يسقط عنه التكليف ويكون عبادته
بعد ذلك التفكر وهؤلاء شر الطوائف وكانهم استندوا فى معتقدهم الى قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقد
اجمع المفسرون على ان المراد باليقين الموت هنا لان عين اليقين متوقف على ذلك الحين فالمعنى اعبد ربك بالعلم اليقين حتى
يأتيك عين اليقين وقد يقال ان العبادة حال اليقين اولى واعلى كما يشير اليه قوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وقد قيل له عليه الصلاة والسلام حين تورمت قدماه فى القيام بعد المنام أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ذنبك
فقال افلا اكون عبدا شكورا (فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ماجاءت به الرسل من الاخبار) بكسر اوله
اى الانباء (عما كان ويكون من امور الآخرة) كعذاب القبر (والحشر) اى الجمع وكذا النشر (والقيامة) اى
مواقفها من الميزان والحوض والصراط (والجنة والنار ليس منها شىء على مقتضى لفظها) الظاهر (ومفهوم
خطابها) الباهر (وانما خاطبوا) اى الرسل (بها) اى بالاشياء المذكورة (الخلق) اى الامة (على جهة المصلحة لهم)
اذلم يمكنهم التصريح لتحقيق مرامهم لقصور افهامهم (فضمن مقالاتهم) بضم الميم الاولى وفتح الثانية المشددة
اى مضمونها (ابطال الشرائع) بهذه الذرائع (وتعطيل الاوامر والنواهى) بهذه الهذيانات الداعية الى الملاهى
(وتكذيب الرسل) تلويحا (والارتياب) اى الايقاع فى الشك (فيما اتوا به) اى الانبياء تصريحا (وكذلك من اضاف
الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعمد الكذب فيما بلغه) بتشديد اللام اى اوصله عن ربه (واخبر به) احدا من امته
(او شك فى صدقه) تهمة منه فى حقه (او سبه) اى شتمه او تنقصه (او قال انه لم يبلغ) بجميع ما انزل عليه وقد قال تعالى
ياايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقال فلعلك تارك بعض مايوحى اليك واراد

نفيه عنه (او استخف) اى احتقر واستهزأ (به او باحد من الانبياء اوازرى) اى عاب (عليهم) اى جميعهم اوبعضهم
(او آذاهم اوقتل نبيا اوحاربه فهو كافر باجماع) من علماء المسلمين (وكذلك نكفر من ذهب مذهب بعض القدماء) من
الحكماء (ان فى كل جنس من الحيوان نذيرا) اى رسولا منذرا (ونبيا) غير مأمور بالتبليغ (من القردة والخنازير والدواب
والدود وغير ذلك) كالحيوانات المائية والطيور الهوائية (ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير) اى مضى
ويجعل الامة اعم لقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم (اذ ذلك) الذى زعمه
غير ثابت بالنقل الصريح ويدل على بطلانه العقل الصحيح لانه (يؤدى الى ان يوصف انبياء هذه الاجناس بصفاتهم
المذمومة وفيه) اى وفى كل جنس من صور بشيعة وسير شنيعة (من الازرآء) اى العيب والمنقصة (على اهل هذا
المنصب) بكسر الصاد اى منصب النبوة (المنيف) بضم الميم اى الرفيع الشريف (مافيه) مما لا يليق بعلو شانهم
وسطوع برهانهم (مع اجماع المسلمين على خلافه و) على (تكذيب قائله) ولعل سند الاجماع قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا اى لا نساء ولا جنا وانما الخلاف فى انه هل كان فى الجن رسول من جنسهم ام لا فالجمهور
على ان الرسل من الانس خاصة وتعلق قوم بظاهر قوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم واجيب
بان الآية من قبيل قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل المراد رسل
من الجن ارسلهم الرسل من البشر لينذروهم ويدعوهم الى الايمان فيصدق عليه انه اتى الجن رسل لكن لا من الله
بل من الانبياء ويؤيده قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى
ولوا الى قومهم منذرين الآية (وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم) من الالوهية والوحدانية
والنبوة مطلقا (و) نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام) اى ورسالته الى عامة الانام (ولكن قال كان اسود) وينبغى
ان يقيد هذا بما اذا اراد احتقاره به واما اذا قال عن جهل بشمائله فتكفيره ليس فى محله لان العلم بكونه عليه الصلاة
والسلام ابيض ليس قطعيا لانه مما علم من الدين بالضرورة والسواد لا ينافى النبوة فقد قال جمع بنبوة لقمان (اومات
قبل ان يلتحى) فانه كذب فى نفس الامر لكن انما يكفر اذا كان استخفافا او استهزاء او تكذيبا لنبوته (اوليس الذى
كان بمكة والحجاز) الشامل لها وللمدينة يحتمل ان يكون جهلا وان يكون تكذيبا (اوليس بقرشى) وفيه ان العلم
بكونه قرشيا ليس ضروريا فغايته انه يكون كاذبا به جاهلا بوصفه ولا يلزم منه كونه مكذبا به واغرب الدلجى حيث
قال لانه كذبه عليه الصلاة والسلام فى قوله انا افصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش فان الحفاظ اجمعوا على
انه حديث موضوع و الحاصل انه يكفر بهذا كله اذا اراد نفى نبوته عليه الصلاة والسلام كما يشير اليه قوله (لان وصفه
بغير صفاته المعلومة) عند كل واحد (نفى له) اى لوجوده (وتكذيب به) اى بشهوده وسيأتى ان الجهل ببعض صفات
البارى سبحانه وتعالى لا يخرجه عن الايمان كما عليه اكثر علماء الاعيان فكيف الجهل ببعض صفاته عليه الصلاة
والسلام لا سيما ولم يتعلق به حكم من شرائع الاسلام (وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا عليه الصلاة والسلام)
كاصحاب مسيلمة والاسود العبسى (او بعده كالعيسوية) اصحاب عيسى بن اسحق بن يعقوب الاصبهانى كان موجودا
فى خلافة المنصور وهو (من اليهود) الا انه خالفهم فى اشياء منها انه حرم الذبائح (القائلين بتخصيص رسالته) اى
نبينا (الى العرب) خاصة (وكالخرمية) بضم الخاء المعجمة وتشديد الراء المفتوحة لانهم تبعوا بابك الخرمى فنسبوا اليه
قال الجوهرى هم اصحاب التناسخ والاباحة وفى نسخة بجيم مفتوحة فراء ساكنة قال التلمسانى ويجوز كسر الحاء
المهملة وسكون الراء لقولهم ما حرم حلال لانهم اباحوا المحرمات (القائلين بتواتر الرسل) اى لا ينقطعون مادامت
الدنيا (وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة على فى الرسالة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى حال وجوده (وبعده)
اى وبعد فقد شهوده (وكذلك كل امام) اى من الائمة الاثنى عشر (عند هؤلاء) الرافضة (يقوم مقامه فى النبوة والحجة)
يعنى ان ارادوا بها الحقيقة والا فالمنزلة المجازية لا توجب الكفر ولا البدعة (وكالبزيغية) بموحدة مفتوحة وزاى
مكسورة فتحتية ساكنة فمعجمة اومهملة (والبيانية) بفتح موحدة فتحتية بعدها الف فنون وقيل الصواب بموحدة
مضمومة ونونين بينهما الف (منهم) اى من الرافضة لا من البزيغية كما توهم الدلجى (القائلين بنبوة بزيغ) رجل غير
معروف (وبيان) اى ابن اسماعيل النهدى من غلاة الروافض وقد تقدم ان اعتقادهم ان الله تعالى حل فى على واولاده
كذا ذكره الحلبى وقال التلمسانى بنان بن سمعان التميمى (اومن ادعى النبوة لنفسه) كالمختار ابن ابى عبيد الثقفى
(او جوز اكتسابها) اى تحصيل النبوة بالمجاهدة والرياضة (والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها) اى منزلة النبوة باخذ
الفيض من جهة القلب عن الرب (كالفلاسفة) اى الحكماء ومنهم ابو على ابن سينا صاحب الشفاء الذى يورث مرض الشقاء
(وغلاة المتصوفة) اى الجهلاء واجهلهم ابن عربى حيث جعل نفسه خاتم الاولياء وزعم انه كان يستفيض منه

خاتم الانبياء (وكذلك من ادعى منهم) وكذا من غيرهم (انه يوحى اليه) اى وحيا جليا لا الهاما يسمى وحيا خفيا
كما يحصل لبعض ارباب المكاشفة واصحاب الفراسة كما يشير اليه قوله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين اى المتفرسين
وقوله عليه الصلاة والسلام اتقوا فراسة المؤمن وقوله فى امتى محدثون اى ملهمون (وان لم يدع النبوة) كعبد الله
ابن ابى سرح من قريش كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين عجب من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها
كذلك نزلت فشك وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه او كاذبا لقد قلت كما قال ولحق بمكة مرتدا
فاهدر دمه النبى عليه الصلاة والسلام فاخذ له عثمان عام الفتح امانا فاسلم وحسن اسلامه وكان اخاه لامه وولاه
زمن خلافته مصر (او انه) اى اويدعى انه حال اليقظة (يصعد الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمرها ويعانق الحور
العين) اى البيض الواسعة الاعين وفيه ان هذا كله يقتضى الكذب لا الكفر كما لا يخفى (فهؤلاء) الطوائف
(كلهم كفار) اى فانهم (مكذبون للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبر) عن نفسه (انه خاتم النبيين لا نبى بعده) اى ينبأ
فلا يرد عيسى لانه نبئ قبله وينزل بعده ويحكم بشريعته ويصلى الى قبلته ويكون من جملة امته (واخبر عن الله تعالى
انه خاتم النبيين) وهذا اقوى دليلا مما قبله فتأمل (وانه ارسل كافة) اى رسالة جامعة (للناس) لقوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس اى اصالة وللجن تبعا (واجمعت الامة على حمل هذا الكلام) الذى صدر عنه عليه الصلاة والسلام
(على ظاهره) لعدم صارف عنه (وان مفهوم المراد به) هو المقصود منه (دون تأويل) فى ظاهره (ولا تخصيص
فى عمومه (فلا شك فى كفر هؤلاء الطوائف كلها) اى لتكذيبهم الله ورسوله (قطعا) اى بلا شبهة (اجماعا) بلا مخالفة
(وسمعا) اى وسماعا من الكتاب والسنة ما يدل على كفرهم بلا مرية (وكذلك وقع الاجماع على تكفير كل من دافع
نص الكتاب) القديم وحمله على خلاف ما ورد به من المعنى القويم كحمل ابن عربى قوله تعالى فى قوم نوح مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا نارا على ما حاصله اغرقوا فى بحر المحبة فادخلوا نارها ووجدوا الله دون غيره انصارهم وكذلك قوله
فى قوله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالاته ان الكلام
تم فى اوتى وان رسل الله مبتدأ وخبره الله واعلم خبر مبتدأ محذوف وامثال ذلك مما صدر عنه وعن غيره هنالك (اونص
حديث) اى اودافع صريح حديث (مجمع على نقله مقطوع به) اى بصحته (مجمع على حمله على ظاهره) من غير تأويله
وفى نسخة اونص حديثا مجمعا على نقله من جهة مبناه وحمله على ظاهره من جهة معناه (كتكفير الخوارج بابطال
الرجم) بالجيم للمحصن الثيب ولم يشرط الشافعى الاسلام فى الرجم لظاهر حديث الموطأ وغيره ان اليهود اتوا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فرجمهما وشرطه ابو حنيفة ومالك لحديث من اشرك بالله
فليس بمحصن ثم اعلم ان العلماء اجمعوا على وجوب جلد الزانى البكر مائة وهو الثابت بالآية ورجم المحصن الثيب
المأخوذ من الآية المنسوخة تلاوة لا حكما وهو قوله تعالى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله
والله عزيز حكيم وقد عمل بها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حال حياته وكذا الصحابة بعد وفاته ولم يخالف فى هذا احد
من اهل القبلة الا ما حكوه عن الخوارج وبعض المعتزلة كالنظام واصحابه فانهم لم يقولوا بالرجم ومن مذهبهم
ان الاجماع ليس بحجة ويرده قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله لا يجمع امتى على الضلالة وبالاجماع على ان الاجماع حجة بل اقوى الحجة
وان كان سندهم من الكتاب والسنة (ولهذا) اى ولقولنا بتكفير الخوارج بما ذكر كذا ذكره الدلجى وكان الاولى
للمصنف ان يقول وكذا (نكفر من دان) اى تدين (بغير ملة المسلمين من الملل) اى الخارجة عن ملتهم (اووافق فيهم)
اى ولو فى بعض الاحكام اى مع بقائه على ملة الاسلام وفى اصل الدلجى اووقف فيهم اى توقف فى تكفير من ذكر
(او شك) اى تردد (او صحح مذهبهم) بدليل عقلى او نقلى (وان اظهر مع ذلك) التوقف او الشك او التصحيح (الاسلام)
اى الايمان وانقياد ما فيه من الاحكام (واعتقده) اى الاسلام (واعتقد ابطال كل مذهب سواه) اى فى باطنه وفيه
ان توقفه او شكه ينافيه (فهو كافر باظهاره ما اظهر من خلاف ذلك) ففى الفتاوى الصغرى من شبه نفسه باليهود
او النصارى على طريق المزح والهزل كفر (وكذلك نقطع بتكفير كل قائل) وروى كل من (قال قولا يتوصل به
الى تضليل الامة) المرحومة (وتكفير جميع الصحابة) وهذا للاجماع ولقوله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه وكذلك
تكفير بعض الصحابة عند اهل السنة والجماعة بخلاف الخوارج والروافض (كقول الكميلية من الروافض) قيل
والصواب كما قال الامام الرازى من غلاة الروافض الكاملية اتباع ابى كامل وقيل ولعل الكميل تصغير الكامل
ايماء الى تحقير شأنه واتباعه القائلين (بتكفير جميع الصحابة بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم تقدم) اى الصحابة

(عليا) للخلافة بل قدمت ابابكر كما قدمه عليه الصلاة والسلام للامامة (وكفرت عليا اذ لم يتقدم وبطلب) اى ولم يطلب (حقه) من الخلافة (فى التقديم) الموجب لزيادة التكريم (فهؤلاء) الكميلية (قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا الشريعة) اى امرها (بأسرها) اى جميعها (اذ قد انقطع نقلها ونقل القرءآن معها) اى عندهم (اذ ناقلوه كفرة على زعمهم والى هذا) الوجه (والله اعلم) جملة معترضة للاحتياط (اشار مالك فى احد قوليه بقتل من كفر الصحابة) اى جميعهم او بعضهم فليس كما قال الدلجى بناء على كفر من قال لمسلم يا كافر وفيه ان هذا شتم ليس بكفر الا ان اعتقد كفره حقيقة وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام من قال لاخيه يا كافر فقد باء به احدهما اى ان كان كما قال والارجح عليه قال وقوله الآخر لا يقتل لانه كبيرة لم يخرج عن اصل الايمان اقول والاظهر ان هذين القولين له فيمن كفر بعض الصحابة واما من كفر جميعهم فلا ينبغي ان يشك فى كفره لمخالفة نص القرءآن من قوله سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وبيانه ان هذه الايات نص قطعى فلا يبطله قول مموه لا اصل له من جهة النقل ولا من طريق العقل على ان امر الخلافة ليس من اركان الايمان ثم هو لا يتعلق الا ببعض من اهل الحل والعقد فلا وجه اصلا لتكفير الكل قطعا (ثم كفروا) اى الكميلية (من وجه) وفى نسخة من وجه آخر (بسبهم النبى) اى لطعنهم فيه (صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه عهد الى على) بالخلافة بعده (وهو) اى النبى عليه الصلاة والسلام (يعلم انه) اى عليا (يكفر بعده) اى بعد النبى عليه الصلاة والسلام (على قولهم) اى بزعمهم والجملة حالية (لعنة الله عليهم وصلى الله على رسوله وآله) الشامل لاصحابه واحبابه (وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل) الذى لا يصدر الا عن كافر (كالسجود للصنم او للشمس والقمر والصليب) الذى للنصارى (والنار) بخلاف السجود للسلطان ونحوه بدون قصد العبادة بل بارادة التعظيم فى التحية فانه حرام لا كفر وقيل كفر (والسعى الى الكنائس) جمع الكنيسة معبد اليهود (والبيع) بكسر ففتح جمع بيعة معبد النصارى (مع اهلها) احتراز من سعيه اليهما منفردا عنهم لقصد التفرج دون العبادة (والتزيى بزيهم) اى بكسوتهم وهيئتهم بخلاف من سعى اليهما معهم لكن بخلاف صورتهم وانما كفروا بزيهم لان الظاهر عنوان الباطن ولا يتجانن الا مجنون (من شد الزنانير) جمع زنار بكسر اوله ما يشد به النصارى اوساطهم (وفحص الرؤس) بفتح الفاء وسكون الحاء وبالصاد المهملتين قال الجوهرى وفى الحديث فحصوا عن رؤسهم كانهم حلقوا وسطها وتركوها مثل افاحيص القطا انتهى وفى المجمل لابن فارس نحوه وقال الهروى فى غريبه فى حديث ابى بكر انه قال لعامله انك ستجد اقواما يعنى بالشام قد فحصوا رؤسهم فاضربوا بالسيف ما فحصوا عنه اى حلقوا مواضع منها كافحوص القطا وهم الشمامسة انتهى وفى حديث انه عليه الصلاة والسلام قال لامراء جيش مؤتة ستجدون آخرين للشيطان فى رؤسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف والمعنى ان الشيطان استوطن فى رؤسهم كما استوطن القطا مفاحصها ومنه الحديث من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة (فقد اجمع المسلمون ان هذا) الذى ذكر من الافعال (لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها) وروى صاحبها (بالاسلام) ولعل فحص الرأس كان شعارا للكفرة قبل ذلك واما الآن فقد كثر فى المسلمين فلا يعد كفرا (وكذلك اجمع المسلمون على كفر من استحل القتل لمسلم) اى ظلما (او شرب الخمر) اى طوعا (او الزنى) بالزاى والنون وفى معناه الربا والرياء او اشياء اخر (مما حرم الله بعد علمه بتحريمه) وفيه ايماء الى ان جهله عذر ولعل هذا بالنسبة الى حديث عهد بالاسلام او البلوغ فان انكار ما علم من الدين بالضرورة كفر اجماعا (كاصحاب الاباحة من القرامطة) يحتمل ان تكون من بيانية او تبعيضية (وبعض غلاة المتصوفة) الزاعمين انهم وصلوا الى الله فرفع عنهم التكليف قال الدلجى وقد ادركت بعضا منهم يقول اسقط الله عنى التكليف فاستباح فطر رمضان والخلوة بالاجنبيات من النساء ونحو ذلك من الفحشاء (وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب) اى باصل من اصول الدين (وانكر قاعدة من قواعد الشرع) المبين مما بنى عليه كما بينه عليه الصلاة والسلام بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان والحج (وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول وقطع الاجماع المتصل) الذى لم يتخلله عدم اجماع (عليه) مما علم من الدين بالضرورة عند الخاص والعام (كمن انكر وجوب الصلوات الخمس) اى جميعها او احداها (وعدد ركعاتها) المختصة بها (وسجداتها) المكررة فيها (ويقول) اى مدعيا (انما اوجب الله علينا فى كتابه الصلاة على الجملة) اى اجمالا من غير بيان نحو كونها خمسا وتعيين عدد ركعاتها وسجداتها (وكونها) اى ويقول كونها (خمسا او على هذه الصفات) اى من الاركان المقررة (والشروط) المعتبرة من طهارة وستر عورة ودخول وقت واستقبال قبلة ونية (لا اعلمه) يقينا (اذ لم يرد فيه

فى كل منها (فى القرءآن نص جلى) على وجوبها وان اشتملت على بعضها اجمالا كآية اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءآن الفجر وآية اقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل وقوله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا مؤقتا وقوله وقوموا لله قانتين وقوله فاقرؤا ما تيسر منه وقوله يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ونحو ذلك من الآيات المجملة التى وقع بيانها بالاحاديث الموصلة (والخبر) اى ويقول الحديث الوارد (به عن الرسول خبر واحد) لا يفيد القطع اذا لم يكن متواترا عنه قلنا نعم لكن يجب العمل به اجماعا لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولانه عليه الصلاة والسلام مبين لمجمل الكتاب بفصل الخطاب كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وايضا قد اخبر به اصحابه وعمل به وتبعه اتباعه وهلم جرا الينا فى بيان الشروط والاركان الثابتة لدينا ووقع الاجماع عليه فيكفر جاحده (وكذلك اجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة اجمع المسلمون (على تكفير من قال من الخوارج ان الصلاة طرفى النهار) اى بكرة وعشية فقط كما كان فى صدر الاسلام ويسمون الاطرافية (وعلى تكفير الباطنية فى قولهم ان الفرائض اسماء رجال امروا بولايتهم) من الائمة (والخبائث والمحارم اسماء رجال امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة) اى وفى قولهم (ان العبادة) المورثة للمشاهدة (وطول المجاهدة) المفضى الى المراقبة (اذا صفت نفوسهم) عن الكدورات (افضت بهم) اى اوصلتهم (الى اسقاطها) اى المكلفات (واباحة كل شئ لهم) من المحرمات (ورفع عهد الشرائع) بضم العين وفتح الهاء جمع عهدة وهى فى نسخة بدل جمعها (وكذلك ان انكر منكر مكة) اى وجودها (او البيت او المسجد الحرام) لان انكارها انكار المنصوص عليها فى الكتاب والسنة واجماع الامة (او صفة الحج او قال الحج واجب فى القرءآن) لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت (واستقبال القبلة كذلك) واجب فى القرءآن لقوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (ولكن كونه) اى كل من الحج والاستقبال (على هذه الهيئة المتعارفة) عند الناس (وان تلك البقعة) اى المأمور بالحج اليها (هى مكة والبيت والمسجد الحرام) الوارد به ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس (لا ادرى هل هى) اى مكة والبيت والمسجد الحرام (تلك) الامكنة المتعارفة (ام غيرها ولعل الناقلين ان النبى صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا) بكسر اللام اى اخطأوا (ووهموا) بكسر الهاء اى توهموا انها هى تلك الامكنة (فهذا المنكر لما ذكر (ومثله) فى غيره (لا مرية) بكسر الميم وتضم اى لا شك ولا شبهة (فى تكفيره ان كان ممن يظن به علم ذلك) الذى ذكر من اسماء الامكنة ومع ذلك ينكرها او يتردد فيها عنادا (وممن خالط المسلمين) اى ليس من اهل البادية لقوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (وامتدت صحبته لهم) واشتدت مخالطته بهم لان الغالب انهم ذكروها له (الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له سبيلك) الذى يورد لك معرفتها (ان تسأل عن هذا الذى لم تعلمه بعد) اى بعد اسلامك الى الآن (كافة المسلمين) بالنصب على انه معمول تسأل (فلا تجد فيهم) اى فيما بينهم (خلافا) اصلا (كافة عن كافة) اى حال كونهم جماعة راوية عن جماعة من كل طائفة فى كل قرن وامة (الى معاصرى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذه الامور) المذكورة هى هى (كما قيل لك ان تلك البقعة) المشهورة (هى مكة) المعمورة (والبيت الذى) هو (فيها هو) وفى نسخة هى (الكعبة) المسماة بها لعلوها حسا ومعنى كما قيل

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه اعز واطول

والمعنى ان بيت العز والشرف هو الكعبة (والقبلة التى صلى اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون) من اهل مكة وغيرهم (وحجوا اليها) من كل فج عميق (وطافوا بها) وهى البيت العتيق (وان تلك الافعال) المتعلقة بالحج من الاحرام والطواف والسعى والوقوف والحلق والرمى (هى صفات عبادة الحج والمراد به) فى قوله تعالى ولله على الناس حج البيت وقوله عليه الصلاة والسلام حجوا بيت ربكم (وهى) اى الصفات المذكورة والافعال المسطورة هى (التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون) معه فى زمانه روى انهم مائة وعشرون الفا وكذا فيما بعده قرنا فقرنا وهلم جرا الينا (وان صفات الصلوات) الخمس (المذكورة) فى الاحاديث الصحيحة المشهورة من التحريمة والقيام والقراءة والركوع والسجود والقعدة (هى التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم وشرح) اى فسر وبين (مراد الله بذلك الاجمال (وابان حدودها) اى واظهر اوقاتها وشرائطها واركانها (فيقع لك العلم) آخرا (كما وقع لهم) اولا فان العلم بالتعلم وقد قال تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وقد ورد انما شفاء العى السؤال (ولا ترتاب بذلك) اى لا يقع لك فيها شك وتردد (بعد) بالبناء على الضم اى بعد ما علمته بسؤالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله (والمرتاب فى ذلك) اى الشاك فيما ذكر (والمنكر بعد البحث)

ظرف لهما اى بعد الفحص عنها او حضور المعرفة بها (وصحبة المسلمين) اى وبعد مخالطتهم الدالين عليه والهادين اليه (كافر باتفاق) للائمة والامة (لا يعذر بقوله لا ادرى ولا يصدق فيه) اى فى قوله المنسوب الى جهله (بل ظاهره التستر عن التكذيب) على وجه التصريح اكتفاء بالتلويح فان كل اناء يترشح بما فيه (اذ لا يمكن انه لا يدرى) بعد البحث والسؤال من المؤمنين او مخالطة المسلمين وهو عاقل ليس من المجانين (وايضا) يلزم منه فساد آخر (فانه اذا جوز) هذا المنكر (على جميع الامة الوهم) اى السهو (والغلط) اى الخطأ ولو بلغوا فى الكثرة حد التواتر الذى يحيل العقل تواطئهم على الكذب (فيما نقلوه من ذلك) الذى تقدم (واجمعوا انه قول الرسول) عليه الصلاة والسلام (وفعله وتفسير مراد الله به ادخل الاسترابة) اى الشك والشبهة (فى جميع الشريعة) قولا وفعلا ولا يخفى فساد هذه الذريعة (اذهم الناقلون لها) اى للشريعة المستفادة من السنة (وللقرآن) الينا بالطرق المواترة (وانحلت عرى الدين) اى انفتحت عقده وعهده (كرة) اى دفعة واحدة ولم يبق منها عروة ويروى كلمة (ومن قال هذا) القول وامثاله (كافر) فى حاله وماله بسوء مقاله (وكذلك من انكر القرآن) اى جميعه (او حرفا منه) اى مما تواتر فيه (او غير شيأ منه) بان نقص منه شيأ (او زاد فيه) شيأ من تلقاء نفسه من غير قراءة متواترة او رواية شاذة (كفعل الباطنية) ويروى كقول الباطنية (والاسماعيلية) اى من التغيير او الزيادة وهذا غير معروف عنهم اللهم ان كان المراد بالتغيير تغيير المعنى دون المبنى كما قال تعالى فى ذم اهل الكتاب يحرفون الكلم عن مواضعه اى باولونها على ما يشتهونها ويميلون اليها عما اراد الله سبحانه وتعالى بها (او زعم انه) اى القرآن (ليس بحجة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) خاصة (او ليس فيه حجة لاحد (ولا) اى هو فى نفسه (معجزة) اى لا مبنى ولا معنى (كقول هشام الفوطى) بضم الفاء او الباء وسكون الواو او فتحها والطاء مهملة (ومعمر) بسكون عين مهملة بين ميمين مفتوحتين (الصيمرى) بفتح الصاد المهملة او المعجمة وسكون التحتية وفتح الميم فراء بعدها ياء نسبة الى بلدة او قبيلة قال الدلجى انهما من المعتزلة اى فى الصورة ومن الكفرة فى السيرة (انه) اى القرآن (لا يدل على الله) اى على طريق رضاه (ولا حجة فيه لرسوله) اى على صحة مقوله (ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم) من حلال وحرام وآداب وهذا كله مكابرة وعناد وفتح باب فساد والحاد (ولا محالة) بفتح الميم وضم اى لا شك وفى نسخة ولا مخالفة (فى كفرهما بذلك القول) وفى نسخة بهذا (وكذلك نكفرهما) وفى نسخة نكفرهما (بانكارهما ان يكون فى سائر معجزات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى باقيها باسرها (حجة له) قاطعة وبينة ساطعة (وفى خلق السموات والارض دليل على الله) اى وجوده سبحانه وتعالى مع انه قال تعالى لآيات لاولى الالباب (لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باحتجاجه بهذا) الذى ذكر (كله وتصريح القرآن به) بقوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله (وكذلك من انكر شيأ مما نص فيه القرآن) به كوجود الملائكة ومجىء القيامة (بعد علمه انه من القرآن الذى فى ايدى الناس) اى من الحفاظ الماهرين (ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به) اى بانه منه (ولا قريب عهد) وفى نسخة ولا حديث عهد اى جديد زمان (بالاسلام واحتج) الواو فيه وكذا الواوان فيما قبله للعطف اى تعلق (لانكاره اما بانه لم يصح النقل) للقرآن (عنده ولا بلغه العلم به) من غيره (او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين) وهما الاجماع والنقل المتواتر (لانه مكذب للقرآن) الثابت تواترا قطعا (ومكذب للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) المحقق اجماعا (لكنه تستر بدعواه) الجهل فيما ادعاه (وكذلك من انكر الجنة او النار) اى وجودهما بالكلية فان اهل السنة على انهما موجودتان والمعتزلة على انهما ستوجدان (والبعث) فى القبور (والحساب) الموجب للثواب والعقاب بخلاف انكار الميزان والصراط فانه من عقائد المعتزلة (والقيامة فهو كافر باجماع) وفى نسخة بالاجماع (للنص عليه) فى الكتاب (واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك) اى اقول كما روى (من اعترف بذلك) فى الجملة (ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر) اى الجمع فى الموقف (والنشر) اى النشور وهو الخروج من القبور او التفرق الى الجنة والنار (والثواب) على الحسنات (والعقاب) على السيئات (معنى غير ظاهره) وفى نسخة معنى على غير ظاهره (وانها لذات وعقوبات (روحانية) بفتح الراء ويجوز ضمها الاجسمانية (ومعان باطنة كقول النصارى) لعل هذا قول بعضهم (والفلاسفة) من الحكماء الجاهلية (والباطنية وبعض المتصوفة) كالوجودية القائلة بالعينية (وزعم ان معنى القيامة الموت) ولم يدر ان الموت مقدمة القيامة ولذا ورد من مات فقد قامت قيامته (او فناء محض) اى عدم ليس بعده وجود وبقاء او زعم ان المراد بالقيامة الفناء عن السوى والثبات على البقاء كما يتوهم جهلة المتصوفة متمسكين بظاهر ما روى موتوا قبل ان تموتوا مع انه ليس بحديث (وانتقاض هيئة) ويروى بنية (الافلاك) اى انهدامها وتغيرها وانتقالها من اوضاعها بالكلية (وتحليل العالم) اى فساده وخروجه عن نظام هيئته الاولية (كقول بعض الفلاسفة) بذلك

ممن

ممن ينكر البعث هنالك والا فالتغيير والتبديل ثابتان فى التنزيل كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات واذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت (وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة فى قولهم ان الائمة) المعصومين (افضل من الانبياء) والمرسلين وهذا كفر صريح يستفاد من قوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وفى هذا المحل مباحث ذكرتها فى شرح الفقه الاكبر (واما) وفى نسخة فاما (من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير) اى الآثار المتعلقة بالغزوات والشمائل فى الصفات كقتل عمار بصفين مما ورد انه تقتله الفئة الباغية (والبلاد) النائية كالعراق وخراسان (التى لا ترجع) اى انكارها (الى ابطال الشريعة ولا يفضى الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك) المذكورة فى سورة التوبة وهى ارض بين الشام والمدينة (او موتة) بضم الميم وسكون همزة وتبدل مكان باد فى البلقاء من ارض الشام (او وجود ابى بكر) وفيه ان بعض العلماء قال من انكر صحبته للنبى عليه الصلاة والسلام كفر لمخالفة النص وهو قوله تعالى ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا حيث اجمع المفسرون على انه ابو بكر ولا يبعد ان يفرق بين من انكر وجوده وبين من انكر صحبته بناء على ان دلالة الآية على صحبته اجمالية ورواية كونها له خاصة غير قطعية فلا يكفر من انكر وجوده (وعمر) مع شهرته (او قتل عثمان او خلافة على مما علم بالنقل ضرورة وليس فى انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له) بما هنالك (اذ ليس فى ذلك اكثر من المباهتة) مفاعلة من البهتان اى الكذب والمعاندة يقال باهته اذا قال عليه ما لم يقل (كانكار هشام) اى الفوطى (وعباد) بفتح مهملة فتشديد موحدة وهو الصيمرى (وقعة الجمل) وهى كانت فى اول خلافة على ونقل مغلطاى فى سيرته ان ابن حزم انكرها وفيما قاله نظر اذ قد تواتر نقلها وهى ان جماعة من الصحابة خرجوا مع عائشة فى هودج على جمل آخذا بخطامه كعب بن المسور بن مخرمة الى البصرة للصلح بين على ومعاوية وتسكين الفتنة فنشبت بينهم الحرب فلتة من غير قصد وكانت سنة ست وثلاثين واما وقعة صفين كسجين وهو موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت الوقعة العظيمة بين على ومعاوية غرة صفر سنة سبع وثلاثين فمن ثم احترز الناس السفر فى صفر ذكره فى القاموس (ومحاربته على من خالفه) كمعاوية والخوارج فيما تقدم والله تعالى اعلم (واما ان ضعف) بتشديد العين اى نسب الى الضعف (ذلك) النقل المجمع عليه (من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع) بتشديد الهاء اى نسبهم الى الوهم اجمعين (فنكفره بذلك) الاتهام (لسريانه) اى افضائه وروى لسرايته (الى ابطال الشريعة) فكانه جعل هذا التوهيم لالحاده نوعا من الذريعة (فاما من) وفى نسخة ان (انكر الاجماع المجرد) اى المنقول عن بعض الائمة (الذى ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع) المفيد كونه قطعيا بل طريقه الآحاد المقتضى كونه ظنيا (فاكثر المتكلمين والفقهاء والنظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة جمع ناظر بمعنى المناظر اسم فاعل من المناظرة (قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع) كما هو مبين فى اصول الفقه (المتفق عليه عموما) لانه حجة اجماعا وان كان طريقه آحادا (وحجتهم) فى تكفيره بمخالفة الاجماع (قوله تعالى ومن يشاقق الرسول) اى يخالفه (من بعد ما تبين له الهدى) اى طريق الحق (الآية) اى ويتبع غير سبيل المؤمنين الذى هم عليه من الدين لايذانه بانه حجة لا تجوز مخالفته كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة بدلالة جمعه بين المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين فى الشرط وجعل جزائه الوعيد الشديد المفاد بقوله تعالى نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه وندعه وما اختاره من متابعة هواه مما لا يرضاه الله وهذا فى الدنيا ونصله جهنم اى ندخله ونحرقه وساءت مصيرا اى مرجعا ومسيرا فى العقبى (وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من خالف الجماعة) اى جماعة المسلمين وفى نسخة كما فى رواية من فارق الجماعة اى بترك السنة واتباع البدعة (قيد شبر) بقاف مكسورة فتحتية ساكنة ونصبه على المصدر اى قدر شبر يعنى ولو مقدارا يسيرا وامرا حقيرا (فقد خلع) اى نزع (ربقة الاسلام) بكسر الراء وسكون الموحدة اى عقدته وعهدته (من عنقه) اى رقبته وذمته وقد روى الترمذى عن ابن عمر ان الله تعالى لا يجمع امتى على ضلالة ويد الله على الجماعة من شذ شذ فى النار (وحكوا) اى الفقهاء ومن معهم (الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب آخرون الى الوقوف) اى التوقف (عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذى يختص بنقله العلماء) اى مطلقا سواء كان نظريا ام لا وفى نسخة الذى يختص نقله بالعلماء (وذهب آخرون الى الوقف) وفى نسخة التوقف (فى تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر) اى تأمل وفكر كالقياس لان الاجتهاد المأخوذ فى تعريفه لا بد له من مستند اما من كتاب او سنة فمنكره منكر لاحدهما (كتكفير النظام) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة كان احد فرسان المتكلمين من المعتزلة وكان فى دولة المعتصم (بانكاره الاجماع) وانما كفروه به (لانه بقوله هذا) وهو انكاره الاجماع (مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به) اى بالاجماع بل جعلوه اقوى الحجة (خارق الاجماع) وفى نسخة خارق للاجماع (قال القاضى ابو بكر) اى الباقلانى (القول

المعوّل (عندى) اى فى رأيى (ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده) وتمرد كرمه وجوده (والايمان بالله هو العلم بوجوده) وما يتعلق به من توحيد ذاته وتفرد بصفاته واثبات كلامه المشتمل على سائر المؤمن به من ملائكته ورسله والا فمجرد العلم بوجوده حاصل لعامة خلقه كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وانما انكر وجوده سبحانه وتعالى طائفة من الدهرية والمعطلة (وانه) اى الشأن (لا يكفر احد بقول ولا رأى) اى اعتقاد مما يكفر به (الا ان يكون هو الجهل بالله فان عصى الله) ورسوله (بقول او فعل نص الله ورسوله) صلى الله عليه وسلم (او اجمع المسلمون على انه لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل آخر) نقلا او عقلا (على ذلك) اى على انه لا يوجد الامن كافر لكونه من شعارهم (فقد كفر) لكن (ليس) الحكم بكفره (لاجل قوله او فعله) الذى لا يوجد الامن كافر (بل لما قارنه) اى قوله او فعله (من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها هو الجهل بالله) اى بوجوده وهو الاصل فى باب التكفير (والثانى ان يأتى فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون على ان ذلك) الفعل او القول (لا يكون الامن كافر كالسجود للصنم والمشى الى الكنائس) اى فى زيهم (بالتزام الزنار) مشددا به وسطه غير مكره فيه وروى الزنانير وهو بفتح الزاى جمع الزنار بضمها (مع اصحابها فى اعيادهم) او غيرها (او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن) اى لا يتصور (معه العلم بالله) كانكار فرض مجمع عليه والقاء مصحف فى قاذورة (فهذان الضربان) اى النوعان من اتيان الفعل او القول الموصوفين وقول الدلجى فهذان اى الجهل والاتيان مردود بقوله (وان لم يكونا جهلا بالله تعالى فهما علم) بفتحتين اى علامة وفى اصل التلمسانى علم بكسر اوله وسكون ثانيه اى دليل (ان فاعلهما كافر) فى الاصل (او منسلخ من الايمان) اى خارج عنه (فامامن نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية) من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام (او جحدها) اى انكرها بعد ما اعترف بها (مستبصرا) اى متيقنا غير شاك (فى ذلك) اى فى جحدها (كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم) كان الاولى ان يأتى باو بدل ولا (وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى) كقوله ليس سميعا او بصيرا او حيا (فقد نص ائمتنا) المالكية (على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه عنها) اى اخلاه منها بلا وصفه بها وهذا قول الباقلانى ولا اعرف خلافا فى ذلك لانه سبحانه وتعالى وصف ذاته بهذه الصفات فى كلامه القديم الذى يستفاد منه الدين القويم فمن انكر شيأ من ذلك فقد انكر القرءآن العظيم قال المصنف (وعلى هذا) القول بنفى الوصف (حمل قول سحنون من قال ليس لله كلام) اى نفسى (فهو كافر) لانه نسبه الى وصم البكم (وهو) اى سحنون (لا يكفر المتأولين) اى من المعتزلة النافين قدمها وزيادتها على ذاته القائلين بانه تعالى خلق الكلام فى الشجرة وكلم موسى وبخلق القرءآن وحدوثه وانه مركب من حروف واصوات تفاديا من تعدد القدماء (كما قدمناه فامامن جهل صفة من هذه الصفات) اى ونفاها غير مستبصر فيها (فاختلف العلماء هنا) اى فى مقام تكفيره (فكفره بعضهم وحكى ذلك) اى تكفيره (عن ابى جعفر الطبرى) الشافعى (وغيره وقال به ابو الحسن الاشعرى مرة) اى هو احد قوليه (وذهبت طائفة الى ان هذا) الجهل للمؤمن (لا يخرجه عن اسم الايمان) اى اصله وان كان يخرجه عن كمال الايقان (واليه) اى الى هذا المذهب (رجع الاشعرى) فهو المعتمد فى المعتقد (قال لانه لم يعتقد ذلك) النفى مع الجهل (اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا) متينا (وشرعا) مبينا بل انما يظنه ظنا وقع خطأ (وانما نكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء) المتأخرون (بحديث السوداء) اى الجارية (وان النبى صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد) اى توحيد الذات (لا غير) اى لا غير ذلك من تحقيق الصفات وهو ان ام ابن سويد الشريد الثقفى اوصته ان يعتق عنها رقبة مؤمنة فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان امى اوصت ان اعتق عنها رقبة مؤمنة وعندى جارية سوداء نوبية وذكر نحوه معاوية بن الحكم السلمى فذكر الحديث الى ان قال اين الله قالت فى السماء قال من انا قالت انت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة اخرجه ابو داود فى الايمان بفتح الهمزة والنسائى فى الوصايا وحديث معاوية بن الحكم السلمى اخرجه مسلم فى الصلاة والطب واخرجه ابو داود فى الصلاة والنسائى فى اماكن من مسنده انتهى كلام الحلبى وذكر التلمسانى ان حديث السوداء هو ان رجلا ظاهر فلزمه الظهار فاتى بامة سوداء فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا تجزئك حتى تعرف انها مؤمنة قال سلها يا رسول الله فسألها فقال لها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة وهو حديث رواه ابو داود والنسائى ومالك انتهى وكانت اشارتها الى السماء ايماء بان الله هو الذى خلقها وانه ليس بالهة الارض او هو الموصوف بانه اله فى السماء اى معبود فيها فاكتفى بهذا التوحيد الاجمالى على كونها مؤمنة لكن يشكل بسؤاله عليه الصلاة والسلام حيث قال اين الله ولعله كوشف له عليه الصلاة والسلام بانها لا تعرف الاله الا بهذا الوصف ولعل القائلين بجهة

العلو لله سبحانه وتعالى تمسكوا بظاهر هذا الحديث وامثاله والمحققون انه تعالى منزه عن المكان والزمان واما قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض فمعناه انه هو المستحق لان يعبد فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله (وبحديث القائل لئن قدر الله علىّ) بتخفيف الدال وجاء فى صحيح البخارى ان قائله كان نباشا من كلام عقبة بن عمرو الصحابى والحديث رواه الشيخان عن ابى هريرة رضى الله عنه من قول القائل لبنيه عند موته احرقونى ثم انظروا يوما راحا اى ذا ريح شديدة فاذرونى فيه فوالله لئن قدر الله علىّ والرواية بتخفيف الدال من القدرة لا كما قال التلمسانى قدر يشدد من التقدير ويخفف بمعنى ضيق فانه لو كان المروى كذلك لما كان اشكال هنالك (وفى رواية عنه) اى عن القائل وفى نسخة فيه اى فى الحديث وهو كذا فى تفسير ابن ابى حاتم (لعلى اضل الله) بفتح الهمزة والضاد وتكسر ورفع اللام المشددة اى افوته ويخفى عليه مكانى وقيل لعلى اغيب من عذاب الله تعالى من ضللت الشئ وضللته اذا جعلته فى مكان ولم تدر اين هو وضل الناسى اذا غاب عنه حفظ الشئ ومنه قوله تعالى ائذا ضللنا فى الارض اى خفينا وغبنا والمعنى اضل عنه اى اخفى واغيب منه على انه من باب نزع الخافض وايصال الفعل فيكون جاهلا بكمال علمه سبحانه وتعالى (ثم قال) اى النبى عليه الصلاة والسلام (فغفر الله له) اى مع كون كلامه مشعرا بنفى القدرة فى الصورة المقدرة والمعنى فغفر الله له لعذره بجهله على ان قدر جاء بمعنى ضيق كما فى قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه ومعنى الرواية الثانية اغيب عن عذاب الله تعالى لكن لا يخفى بعد هذه التأويلات عن قوله احرقونى وسائر المقالات والله تعالى اعلم بالحالات وتمام الحديث على ما فى الصحيح قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت اوصى بنيه اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات فعلوا ما امرهم فامر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وانت اعلم فغفر له (قالوا) اى هؤلاء العلماء (ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات) اى فتشوا عن معرفتها (وكوشفوا عنها) اى طلب منهم الكشف عن بيانها (لما وجد من يعلمها الا الاقل) من القليل (وقد اجاب الآخر) اى من العلماء الاولين (عن هذا الحديث بوجوه) خمسة (منها ان قدر مخففا (بمعنى قدر) مشددا اى حكم وقضى (ولا) وفى نسخة فلا (يكون شكه فى القدرة على احيائه بل فى نفس البعث الذى لم يعلم الا بشرع) دون عقل وطبع (ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا) وفيه انه لو كان شاكا فى بعثه لما اوصى بما يدل على كمال خوفه (فامامالم يرد به شرع) كالبعث (فهو من مجوزات العقول) بتشديد الواو المفتوحة فلا كفر بالشك فيه لعدم العلم به وهذا لا يخفى بعده لاطباق الانبياء والرسل على وجوب الايمان باليوم الآخر ووعد الثواب ووعيد العقاب حتى قال تعالى لآدم ومن معه فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ثم قد يقال انه آمن ايمانا اجماليا وتقليدا عرفيا وما بلغه تفاصيل المؤمن به فوقع له الشك فى وقوعه او التوهم بدفع العذاب عنه على تقدير تصوره (او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه) من وصيته بنيه باحراقه (ازراء عليها) اى اهانة وتنقصا بها (وغضبا) عليها (لعصيانها) اوظن انه يتخلص به عذاب الدنيا من عقاب العقبى (وقيل انما قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه) اى لمؤدى مرامه (اى مما استولى عليه من الجزع) اى غلب عليه من شدة الفزع (والخشية التى اذهلت) وفى نسخة اذهبت (لبه) اى اغفلت قلبه واشغلت عقله (فلم يؤاخذ به) فيعد من خطأه فى خطابه كقول من قال لربه فى غاية من الفرح انت عبدى وانا ربك (وقيل كان هذا القائل (فى زمن الفترة) اى انقطاع الرسالة كما بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام فقيل ستمائة سنة وقيل خمسمائة وستون وقيل اربعون (وحيث ينفع مجرد التوحيد) كما فى زمن الجاهلية وهو ما بين اسماعيل ونبينا عليهما الصلاة والسلام ولا يبعد ان يكون ممن نشأ بعيدا عن الخلق ولم تبلغه دعوة رسول الحق وعرف الله بعقله او بالنظر فى آيات الله من خلقه (وقيل بل هذا) القول (من مجاز كلام العرب) من اهل التدقيق (الذى صورته الشك ومعناه التحقيق) ويقال له مزج الشك باليقين وعد منه قوله ولكن ليطمئن قلبى واشار الى ذلك العارف ابن الفارض بقوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وهو يسمى) بصيغة المجهول مشددا ومخففا اى يدعى (تجاهل العارف وله امثلة فى كلامهم) اى العرب كقول بعضهم

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ايلاى منكن ام ليلى من البشر

وكقولهم أوجهك هذا ام بدر مع علمهم بان الوجه غير البدر للمبالغة فى تحسين القدر والمعروف ان هذا للدلالة على

شدة الشبه بين المتناسبين فان خلاسؤاله عما يعلمه من الشبه لم يكن تجاهلا كما فى وما تلك بيمينك ياموسى بل هو استفهام تقرير اى حمل المخاطب على اقرار وتحرير بانه قد يحمل عليه قول النسوة ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم اى كالملك فى الصورة والعصمة على وجه المبالغة (كقوله تعالى) اى المنزل على وفاقهم اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا (لعله يتذكر او يخشى) والمحققون على ان معناه لكى يتذكر اوكونا على رجاء ان يتذكر (وقوله) قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله (وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين) والمحققون على ان هذا من ارخاء العنان مع الخصم فى ميدان البيان ليتأمل ويتفكر حتى يظهر له البرهان فى عالم العيان والا فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يتيقن انه على هداية والمخاطبون على ضلالة ونظيره قول حسان بن ثابت الانصارى لابى سفيان ابن حرب قبل اسلامه

اتهجوه ولست له بكفؤ ✻ فشركما لخيركما فداء

فانه لاشبهة انه يريد بخيرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وفى تمثيله بما اورده من الكتاب مع تسميته له بتجاهل العارف نوع تهاون فى الآداب مع رب الارباب ولو قال كما فى المفتاح للسكاكى ويسمى مساق المعلوم مساق غيره لنكتة لكان اقرب الى صوب الصواب (فامامن اثبت الوصف ونفى الصفة) كالمعتزلة (فقال اقول عالم ولكن لاعلم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا فى سائر الصفات) كقادر ولا قدرة له ومريد ولا ارادة له وحى ولا حياة له وسميع ولا سمع له وبصير ولا بصر له (على مذهب المعتزلة) تحرزا عن تعدد القدماء فانه كفر وهو مردود بان الكفر انما هو تعدد ذوات قدماء لاذات واحدة مع صفات متعددة على ان مذهب اهل السنة والجماعة ان الصفات لاعين الذات ولاغيرها (فمن قال بالمآل) اى باخذهم بالمرجع (لما يؤديه اليه قوله) اى قول نافيه عالم ولا علم له (ويسوقه اليه مذهبه) من انه يلزم من نفى العلم نفى الوصف بعالم على وجه برهانى كما سيأتى بيانه (كفر) بتشديد الفاء اى كفره كما فى نسخة واما ماضبط فى بعض النسخ بفتح الكاف وتخفيف الفاء وكذا بصيغة المصدر فتصحيف واما ما فى بعض النسخ ممن بدل فمن فتحريف والصواب فمن جواب اما لاقوله فقال كما يتوهم والله اعلم (لانه اذا نفى العلم انتفى وصف عالم) عن موصوفه ضرورة انتفاء الوصف بالمشتق بانتفاء المشتق منه (اذ لايوصف بعالم الامن له علم) اذ لايعقل مثلا من العالم الامن له العلم وله معلوم يتعلق به علمه ولاتنافى بين كون العلم قديما وكون المعلوم حادثا كما قرر فى محله اللائق به (فكانهم) اى المعتزلة (صرحوا عنده) اى عند القائل بالمآل (بما ادى اليه قوله) من لزوم نفى الوصف بالمشتق لنفى المشتق منه (وهكذا) الحكم عند هذا القائل بالمآل (سائر فرق اهل التأويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم) اى بما يؤول اليه آخر مقولهم (ولا الزمهم موجب مذهبهم) بفتح الجيم اى مقتضى مافهم من فحوى كلامهم (لم ير اكفارهم) اى تكفيرهم (قال) اى من لم ير ماسبق (لانهم اذا وقفوا) بصيغة المجهول مشددا او مخففا اى اطلعوا (على هذا) الذى ذكرنا من ان مآل قولهم عالم ولكن لاعلم له نفى علمه تعالى (قالوا لانقول على اصلنا) (ليس بعالم) سلبا معطلا له تعالى عن العلم بل هو كما قال ابو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة عالم بعلم هو ذاته حى بحياة هى ذاته مريد بارادة هى ذاته لاعالم بعلم ومتكلم بكلام وحى بحياة زائدات على ذاته وهكذا فى بقية صفاته (ونحن ننتفى من القول بالمآل الذى الزمتموه لنا ونعتقد نحن) معشر المعتزلة (وانتم) اهل السنة (انه) اى مآل اليه القول (كفر بل نقول ان قولنا) مثلا عالم ولكن لاعلم له (لايؤول اليه) اى انتفاء علمه سبحانه وتعالى اصلا (على ما اصلناه) بتشديد الصاد اى جعلناه اصلا وقاعدة فالخلاف لفظى فى المآل والله تعالى اعلم بحقيقة الحال (فعلى هذين المأخذين) اى ممن رأى اخذهم بالمآل ومن لم ير اخذهم (اختلف الناس فى اكفار اهل التأويل واذا فهمته) اى التأويل على نسق ماقررمن الاقاويل (اتضح لك الموجب) اى الباعث (والسبب لاختلاف الناس فى ذلك) التكفير لاختلافهم فى مقام التقرير (والصواب ترك اكفارهم) كما عليه الجمهور من الائمة (والاعراض عن الحتم) اى حكم الجزم (عليهم بالخسران) المبين (واجراء احكام الاسلام عليهم) كسائر المسلمين من حرمة ايذاء وعصمة دم ومال الابحق الاسلام (فى قصاصهم) لهم ومنهم وحدهم شربا وسرقة وجلدا ورجما وتعزيرا لهم ومنهم (ووراثاتهم ومناكحاتهم ودياتهم) فى جراحاتهم منهم ولهم (والصلاة عليهم) اذا ماتوا وخلفهم اذا اموا (ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم) فى الدنيا والدين (لكنهم يغلظ عليهم) تعزيرا لهم (بوجيع الادب) ضربا وحبسا (وشديد الزجر) من الطرد والهجر (حتى يرجعوا عن بدعتهم) و ينزجر غيرهم بعبرتهم (وهذه) الحالات (كانت سيرة الصدر الاول) من صلحاء الامة (فيهم) اى فى حق اهل البدعة (فقد كان نشأ) بالنون اى ظهر وانتشا وابتدأ وقتا (على زمان الصحابة وبعدهم فى التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر) وهو رأى المعتزلة كمعبد الجهنى ومن قال كما فى صحيح مسلم به

وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد (ورأى الخوارج) من خروجهم على على وتكفيرهم له وافترائهم عليه لقوله لم انزل الله فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام وفى ابن ملجم ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله حتى قال فيه كلبهم عمر بن حطان اذ قتل عليا

(ياضربة من تقى ما اراد بها ✻ الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا ✻ انى لاذكره يوما فاحسبه ✻ اوفى البرية عند الله ميزانا)

وعارضه بعض اهل السنة بقوله

(ياضربة من شقى لم يزل ابدا ✻ بها عليه اله الحق غضبانا ✻ انى لاعلم ان الله جاعله ✻ اوفى البرية عند الله خسرانا)

(والاعتزال) لعل المراد به طائفة خاصة من المعتزلة (فما ازاحوا) بالزاى والحاء المهملة اى فما ازال الصدر الاول مع هجرهم (لهم قبرا) متبعدا مفردا متميزا عن مقابر المسلمين وفى نسخة قبورا (ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا) اى من مورثه مبتدعا او غيره (لكنهم هجروهم) فى الكلام والسلام والمقام والطعام (وادبوهم بالضرب والنفى) اى الاخراج من بلادهم او الحبس لدفع فسادهم (والقتل) لارباب عتوهم وعنادهم (على قدر احوالهم) واختلاف اقوالهم (لانهم) باعتقادهم مايخالف الحق مما لا يكفرون به (فساق) لخروجهم عن طاعة الله (ضلال) عن الحق لعدم قبولهم (عصاة) اى اهل فساد وبغاة (اصحاب كبائر عند المحققين) من المجتهدين (واهل السنة) من علماء الدين (ممن لم يقل بكفرهم) اى بكفر ارباب الاراء الكاسدة واصحاب التأويلات الفاسدة (منهم) اى من العلماء المتقدمين (خلافا لمن رأى غير ذلك) من عدم هجرهم اولمن رأى اكفارهم وتحتم قتلهم والله الموفق للصواب (قال القاضى ابو بكر) الباقلانى (واما مسائل الوعد والوعيد فى قول المعتزلة) انه يجب عليه سبحانه وتعالى اثابة المطيع وتعذيب العاصى مع انه سبحانه وتعالى يقول يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقولهم يجوز خلف الوعيد لانه محض كرم مع انه تعالى قال ان الله لايخلف الميعاد وقد جعلت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة مسماة بالقول السديد فى خلف الوعيد ردا على بعض اهل السنة حيث وافق المعتزلة (والرؤية) اى رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدار الآخرة انكرها المعتزلة (والمخلوق) اى الخلق كالمعقول بمعنى العقل اى خلق القرآن ومعناه ان القرآن مخلوق كما قالوه وقال الدلجى اى وانكر مخلوقيته له تعالى كالمفوضة اذ قالوا ان الله خلق محمدا وفوض اليه خلق الدنيا فهو الخالق لها بما فيها ومثلهم من انكر مخلوقية الشر له تعالى واثبتها للشيطان اوغيره انتهى ولا يخفى ان هذا المعنى لايلائم لانه كفر وزندقة والكلام فى اعتقادات اهل البدعة (وخلق الافعال) كالجبائى واشياعه حيث اثبتوها للعباد (وبقاء الاعراض) بانواعها وهو جمع عرض بفتحتين وهو فى اصطلاح المتكلمين مالا بقاء له كالالوان والاشكال والحركة والسكون والحق ماعليه الاشعرى واتباعه انه لايبقى اكثر من زمن واحد لانها كلها على التقضى والتجدد كالحركات والازمنة والاصوات وبقاؤها عبارة عن تجدد امثالها كما انقضى واحد تجدد مثله بمجرد ارادته تعالى بوقته الذى خلقه فيه وقد قال ابن عربى بنفى بقاء الذوات ايضا وان بقاءها فى نظر الناظر انما هو بتجدد امثالها سريعا فى ادبارها واقبالها حتى تختفى حقيقة حالها وما آلها (والتولد) الذى قالته المعتزلة وهو ان حركة النظر مثلا فى الدليل تولد العلم بالنتيجة عقبها كحركة اليد تولد حركة المفتاح للفتح وقيل ان الآثار التى توجد عقيب افعال العباد بمجرى العادة كالالم عقيب الضرب والانكسار عقيب الكسر تسميها المعتزلة المتولدة بفتح الواو على صيغة المجهول ويزعمون انها حاصلة بايجاد العبد لاصنع لله تعالى فيها وقال اهل الحق انها حاصلة بايجاد الله تعالى واحداثه لابفعل العبد واكتسابه والمسئلة معروفة فى اصول الكلام (وشبهها من الدقائق) التى يتوهمون انها من الحقائق كالقول بقيام العرض بالعرض وامثال ذلك مما اخذوها من كلام الفلاسفة والحكماء (فالمنع من اكفار المتأولين فيها اوضح) اى اظهر واصح من القول باكفارهم (اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله تعالى) اى بذاته وصفاته وفيه بحث اذ الوعد والوعيد والرؤية والكلام والخلق من جملة العلوم المتعلقة بصفاته ولعله اراد انه ليس جهلا بوجوده على ماسبق فى كلامه اوليس جهلا عظيما مما لايسامح ولايساهل فيه ويشير اليه قوله (ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيأ منها) انتهى مانقل عن القاضى ابى بكر ثم قال المصنف (وقد قدمنا فى الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف فى هذا المرام (مااغنى عن اعادته) فى هذا المقام (بحول الله تعالى) ذى الجلال والاكرام

✻(فصل)✻

(هذا) الذى ذكر سابقا (حكم المسلم الساب) اى المتنقص (لله تعالى واما الذمى) وهو الكتابى الذى يعطى الجزية (فروى عن عبدالله بن عمر فى ذمى تناول) اى تكلم بما لايجوز اقدامه عليه (من حرمة الله) اى مما لايحل الوقوع فيه (غيرماهو عليه من دينه) اى من الكفر كقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحوه (وحاج) اى جادل (فيه تخرج

ابن عمر عليه بالسيف فطلبه فهرب) وهذا اوضح لانه بتناوله ذلك خرج عن كونه ذميا هنالك (وقال مالك فى كتاب ابن حبيب والمبسوطة) بالتاء (وابن القاسم فى المبسوط وكتاب محمد) اى ابن المواز (وابن سحنون من شتم الله من اليهود) سموا بذلك لقولهم هدنا اليك فيهود بمعنى يتوب وقيل لانهم نسبوا الى يهوذا بن يعقوب وهو بذال معجمة وعرب بالمهملة (والنصارى) سموا بذلك لقولهم نحن انصار الله وقيل لناصرية قرية (بغير الوجه الذى به كفروا) وفى نسخة كفر اى من اثبات الولد والصاحبة والتثليث (قتل ولم يستتب) اى لم تطلب منه التوبة بالاسلام (قال ابن القاسم الا ان يسلم) اى بنفسه فلا يقتل على ما سبق فى كلامه (قال فى المبسوطة طوعا) اى الا ان يسلم اختيارا لا جبرا (قال اصبغ) انما يقتل اذا لم يسلم مع انه ذمى (لان الوجه الذى به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا) اى اعطوا العهد والذمة (من دعوى الصاحبة والشريك) للنصارى (والولد) لليهود والنصارى وفى اصل الدلجى وغيرها كشرب الخمر وبيعها اوضرب الناقوس انتهى ولا يخفى انها ليست مما كفروا بها (واما غير هذا) الذى عوهدوا عليه (من الفرية) على الله (والشتم) اى الانتقاص فى حقه سبحانه وتعالى (فلم يعاهدوا عليه فهو) اى صدوره عنهم (نقض للعهد) الذى عاهدوا (قال ابن القاسم فى كتاب محمد) اى ابن المواز وقال الدلجى لعله ابن سحنون وقال التلمسانى هو ابن المواز وقال نسبة للموز واختلف هل لقى ابن القاسم وابن وهب اولا والصحيح انه روى عنهما بواسطة (ومن شتم من اهل الاديان) الذين اعطى لهم الامان (الله تعالى بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه قتل الا ان يسلم) اى طوعا عند المالكية ومطلقا عند الجمهور وبه قال بعضهم كما تقدم (وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة) بفتح الميم الاولى واللام (وابن ابى حازم) وهم من اصحاب مالك ورواة مذهبه (لا يقتل) اى من شتم الله (حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل) وهذا اوفق لقاعدتهم من ان حق الله تعالى مما يسامح بخلاف حق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال مطرف) اى ابن عبد الله الفقيه (وعبد الملك) وهو ابن الماجشون (مثل قول مالك) اى فى كتاب ابن حبيب وغيره مما هنالك من انه يقتل ولا يستتاب (وقال ابو محمد ابن ابى زيد) اى القيروانى (من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم) كما قال ابن القاسم (وقد ذكرنا قول ابن الجلاب) بفتح الجيم وتشديد اللام وفى اخره موحدة وهو البغدادى الضرير (قبل) اى قبل ذلك (وذكرنا قول عبيد الله) اى ابن يحيى (وابن لبابة) بضم اوله (وشيوخ الاندلسيين) بفتح الهمزة وضم الدال وتفتح وبضمهما (فى النصرانية وفتياهم بقتلها بسبها بالوجه الذى كفرت به لله ولرسوله) متعلق بسبها ولعل المراد به اعلانها (واجماعهم على ذلك) اى على قتلها بفتياهم (وهو) اى اجماعهم المذكور (نحو القول الآخر فيمن سب النبى عليه الصلاة والسلام) اى اعلانا به (منهم) اى من الكفار (بالوجه الذى كفر به) فانه يقتل الا ان يسلم طوعا (ولا فرق فى ذلك) اى فى قتله بالوجه الذى كفر به (بين سب الله وسب نبيه لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيأ من كفرهم ولا يسمعونا شيأ من ذلك فمتى فعلوا شيأ منه فهو نقض لعهدهم) وموجب لقتلهم فيظهر ان منشأ الخلاف بين الاقوال هو العهد به وعدمه فى الاحوال (واختلف العلماء فى الذمى اذا تزندق) باظهار دينه مبطنا عقيدة باطلة هى كفر اتفاقا (فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون) صاحب مالك (يقتل لانه) اى ما اضمره مما هو كفر اتفاقا (دين لا يقر عليه احد) وينبغى ان يكون هذا هو المعتمد (ولا يؤخذ عليه جزية) كمن انتقل من دين باطل الى مثله وفى شرح الدلجى قال الشافعى ولا يقر عليه فان لم يسلم بلغ المأمن وصار حربيا انتهى وهو فرع غريب والصواب انه حيث تزندق يقتل ولم تقبل توبته كمسلم تزندق بل هو اولى كما لا يخفى (قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره) من العلماء ان الذمى اذا تزندق يقتل مع ان وجهه ظاهر جدا لانه بتزندقه خرج عن كونه ذميا وصار حربيا بل ادون منه لانه يقبل اسلام الحربى اجماعا ولم تقبل توبة الزنديق عند كثير من العلماء

(فصــل)

(هذا) الذى قدمنا (حكم من صرح بسبه واضافة ما لا يليق بجلاله والهيته) عظم شأنه (فاما مفترى الكذب عليه سبحانه وتعالى بادعاء الالهية) لنفسه اولغيره (او الرسالة) وكذا النبوة (او النافى ان يكون الله خالقه) او خالق غيره (او ربه) اى مربيه فى عالم ظهوره ومدبر جميع اموره (او قال ليس لى) اولغيرى (رب او المتكلم بما لا يعقل من ذلك) الذى ذكرناه كله (فى سكره) اى حال ذهاب عقله (او غمرة جنونه) اى شدته (فلا خلاف فى كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله) وهذا يناقض قوله غمرة جنونه الا ان يحمل على غاية حماقته ونهاية خرافته وسيجيء مزيد تحقيق لذلك فى كلامه (كما قدمناه لكن تقبل توبته على المشهور) من مذهب مالك الموافق للجمهور (وتنفعه انابته) اى رجوعه وتوبته (وتنجيه من القتل فيئته) بفتح الفاء وتكسر اى عودته وزواله عن عادته ونهاية حماقته (لكنه لا يسلم من عظيم النكال)

بفتح النون اى العقوبة الشديدة فى الدنيا (ولا يرفه) بفتح الفاء المشددة اى لا يخفف غمه ولا ينفس كربه (من) وفى نسخة عن (شديد العقاب) فى مذهب مالك (ليكون ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العود لكفره) مع علمه (او جهله الا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته) اى عدم مبالاته (بما اتى به) فى حالاته (فهو دليل على سوء طويته) اى ضميره وفساد نيته (وكذب توبته وصار كالزنديق الذى لا يؤمن باطنه) لانقلابه (ولا يقبل رجوعه) لعدم ثباته (وحكم السكران) فى هذا الباب (حكم الصاحى) زجرا عليه قياسا على صحة طلاقه (واما المجنون) وهو المسلوب العقل وفى الحديث انه مر على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقالوا هذا مجنون فقال عليه السلام لا تقولوا مجنون انما المجنون المقيم على المعصية ولكن قولوا رجل مصاب قال التلمسانى وقيل صوابه لو قال المصاب الذى مس من جنون (والمعتوه) اى المصاب بعقله المخبط فى قوله وفعله الناقص فى شعوره (فما علم انه قاله من ذلك فى حال غمرته) اى اغمائه (وذهاب ميزه) اى تمييزه (بالكلية فلا نظر فيه) اى بحكم (وما فعله من ذلك فى حال ميزه وان لم يكن معه عقله) كملا (وسقط تكليفه) بنقصان عقله (ادب على ذلك لينزجر عنه) اى عن عوده هنالك (كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالى ادبه) اى يتابع مرارا (على ذلك حتى ينكف عنه) اى ينزجر منه (كما تؤدب البهيمة على سوء الخلق) من جموح وعض ونحوهما (حتى تراض) بصيغة المجهول اى حتى يستقيم طبعها (وقد حرق على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه من ادعى له الالهية) وهو عبد الله بن سبا واتباعه اذ قال له انت الاله حقا فنفاه الى المداين وزعم ان ابن ملجم لم يقتله وانما قتل شيطانا تصور بصورته وهو فى السحاب سوطه البرق وصوته الرعد واذا سمعوه قالوا السلام عليك يا امير المؤمنين قالوا وسينزل ويملأ الارض عدلا انتهى ما ذكره الدلجى ولا يخفى المناقضة بين نقله وكلام المصنف وقال التلمسانى من ادعى له الالوهية فرقة من غلاة الروافض وهم من اتباع عبد الله ابن سبا وكان يزعم ان عليا هو الله وقد احرق على رضى الله عنه منهم جماعة زاد الانطاكى وقال على رضى الله عنه

انى اذا رأيت امرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا

(وقد قتل عبد الملك بن مروان) اى ابن الحكم ابن ابى العاص ابن ابى امية كان معاوية جعله على ديوان المدينة وهو ابن ست عشرة سنة وولاه ابوه مروان هجر ثم جعله الخليفة بعده وكانت خلافته بعد ابيه سنة خمس وستين توفى عبد الملك بدمشق سنة ست وثمانين (الحارث) اى ابن سعيد (المتنبى) الكذاب (وصلبه وفعل ذلك) اى مثل ذلك (غير واحد من الخلفاء) اى من بنى امية والعباسيين (والملوك) المتغلبين من الامراء والسلاطين (باشباههم) من الشياطين (واجمع علماء وقتهم على تصويب فعلهم والمخالف فى ذلك) الفعل (من كفرهم) اى من جهته (كافر) لجحده كفرهم (واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله) جعفر ابن المعتضد بالله ابى العباس احمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل ابن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد (من المالكية) بيان لمن اجمع من فقهاء بغداد (وقاضى قضاتها ابو عمر المالكى على قتل الحلاج) وهو الحسين بن منصور الحلاج المشهور من اهل البيضاء بلدة بفارس ونشأ بواسط والعراق وصحب ابا القاسم الجنيد وغيره (وصلبه لدعواه الالهية والقول بالحلول) كغيره من المتصوفة المتصفة بسمة الاسلام من الوجودية وغيرهم قالوا ان السالك اذا وصل فربما حل الله فيه كالماء فى العود الاخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنينية وصح ان يقول هو انا وانا هو مع امتناعه حقيقة لصيرورة احد شيئين بعينه الاخر والاخر بعينه هو وحكم العقل ضرورة بدون احتياج الى حجة ولا يمتنع مجازا بان يكون بطريق واحدة اما اتصالية بجمع مائين فى اناء واحد او اجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طينا واما بطريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغليان هواء واحدا او استحالة اى تغير كصيرورة جسم بعد كونه سوادا بياضا او عكسه وهذا كله فى حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحلول والاتصال والانفصال وما للتراب ورب الارباب وانما هو انعكاس نور من انواره وسر من اسراره يلوح فى قلب السالك المتصف بالتخلية والتحلية وكمال التصفية فقد يتوهم انه حل فيه كما يتوهم الطفل انه يرى الشمس فى الماء (وقوله انا الحق مع تمسكه فى الظاهر) من حاله (بالشريعة) فى سائر اقواله وافعاله حتى قيل انه كعادته كل ليلة يصلى الف ركعة فى الحبس (ولم يقبلوا توبته) بمقتضى مذهب المالكية مع ان قوله انا الحق ليس بظاهر فى دعوى الالوهية لان الحق يأتى بمعنى الثابت وضد الباطل هذا وقد اعتذر الغزالى فى مشكاة الانوار عن الالفاظ التى كانت تصدر منه قيل ضرب الحلاج بامر المقتدر الف سوط وقطعت اطرافه وجز رأسه واحرقت جثته وكان ذلك نهار الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة قيل انه لما صلب جرى دمه فى الارض وينقش الله الله قال القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى عثر الحلاج فلم يجد من يأخذ بيده ولو ادركته لاخذت بيده ويقال انه قال يوما للجنيد انا الحق فقال له الجنيد انت بالحق اى خشبة تفسد فكوشف فيه بما يؤول حاله من الصلب قال بعضهم والدليل على صحة

باطنه انه كان يقطع يداه ورجلاه وهو يقول حسبى الواحد بافراد الواحد وقد زار قبره بعض اهل الكشف فرأى نورا ساطعا من قبره الى السماء فقال يارب ما الفرق بين قوله وبين قول فرعون انا ربكم الاعلى فالهم ان فرعون رأى نفسه وغاب عنا وهذا رأنا وغاب عن نفسه واستدل بعضهم على كفره بما حكى عنه انه كان يقول من هذب نفسه بالطاعة وصبر عن اللذة والشهوة وصفا حتى لا يبقى فيه شائبة من البشرية حل فيه روح الاله كما حل فى عيسى عليه الصلاة والسلام قيل ولا يريد بذلك ما يعتقده النصارى فى عيسى والله تعالى اعلم وانما اراد ان تكون افعاله كما افعل الله تعالى كما يشير اليه الحديث القدسى والكلام الانسى لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه وبصره ويده الحديث هذا وان صحت توبته فلا شك انه عاش سعيدا ومات شهيدا واما ما ذكره التلمسانى من انه وجد له كتاب كتبه الى اتباعه عنوانه من هو رب الارباب الى عبده فلان واتباعه كانوا يكتبون اليه يا ذات الذات ومنتهى غاية اللذات نشهد انك تتصور فيما شئت من الصور وانك الآن متصور فى صورة الحسين بن منصور ونحن نستجير بك ونرجو رحمتك يا علام الغيوب فلو صح هذا النقل لم يبق مجملا وقد افرد ابن الجوزى ترجمته بالتأليف فى كراسين او اكثر (وكذا حكموا) اى فقهاء بغداد من المالكية (فى ابن ابى العزاقر) بمهملة فزاى وبعد الالف قاف فراء وفى نسخة بزيادة تحتية ساكنة بين القاف والراء وفى اصل التلمسانى بغين معجمة وراء فالف فقاف فياء فدال مهملة قال وروى العزاقيد بعين مهملة وزاى وآخره دال مهملة (كان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا) اى متأخرا عنه وفعل به مثل ما فعل بالحلاج واسمه ابو جعفر محمد بن على يقال له السمعانى نسبة الى قرية بنواحى واسط وكان ظهوره سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة احدث مذهبا فى الرفض ببغداد ثم قال بالتناسخ وحلول الالهية فيه واضل جماعة فقبض عليه الوزير ابن مقلة (ايام الراضى بالله) ابى العباس احمد بن المقتدر بالله ابى الفضل جعفر (وقاضى قضاة بغداد يومئذ) وروى اذ ذاك (ابو الحسين ابن ابى عمر المالكى) وهو محمد بن يوسف المذكور قبل فاحضر الملعون فى مجلس الخلافة بحضرة القضاة والعلماء وحكم باباحة دمه واحراقه (وقال ابن عبد الحكم فى المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة واصحابه من جحد ان الله خالقه او ربه او قال ليس لى رب فهو مرتد) اى لا زنديق فيستتاب فان تاب والا قتل (وقال ابن القاسم فى كتاب ابن حبيب ومحمد) اى قال (فى العتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك او اعلنه فهو كالمرتد وقاله) اى مثل مقاله (سحنون وغيره وقال) اى مثل ذلك (اشهب فى يهودى تنبأ) ولم يدع الرسالة (او ادعى انه رسول الينا) او الى غيرنا (ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب والا قتل) ومفهومه انه ان كان مسرا لا يستتاب ويقتل لكونه زنديقا (وقال ابو محمد ابن ابى زيد فيمن لعن بارئه) اى خالقه خلقا بريئا من التفاوت (وادعى ان لسانه زل) اى زلق واخطأ (وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره) وهذا خلاف ما سبق من القول ولهذا قال (وهذا) اى الذى ذكرناه مبنى (على القول الآخر) بفتح الخاء او كسرها (من انه لا تقبل توبته وقال ابو الحسن القابسى فى سكران) يصرف ويمنع (قال انا الله انا الله ان تاب ادب) ولم يقتل (فان عاد الى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين) المتسترين للكفر فى لباس منكر فيقتل ولا تقبل توبته والله ولى التوفيق

(فصل)

واما من تكلم من سقط القول) بفتح السين والقاف اى رديئه (وسخف اللفظ) بضم اوله اى دنيئه (ممن لا يضبط كلامه لجهله (واهمل لسانه) لخفة عقله (بما يقتضى الاستخفاف) اى التهاون (بعظمة الله) اى ذاته (وجلالة مولاه) من جهة صفاته (او تمثل فى بعض الاشياء) اى جعله مثلا او شبها (ببعض ما عظم الله من ملكوته) كقول قائل

لبيت فلان كعبة الجود فائضا * يطوف به العافون يبغون نائله

(او نزع) بفتح الزاى اى اخذ (من الكلام لمخلوق) وخاطبه (بما لا يليق الا فى حق خالقه) كقول قائل لعظيم من الانام يا ذا الجلال والاكرام وكما لو ناداه رجل باسمه فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك (غير قاصد للكفر والاستخفاف) اى الاستهانة بربه (ولا عامد للالحاد) من فساد الاعتقاد المقتضى للحلول او الاتحاد (فان تكرر هذا منه وعرف به) بانه يصدر عنه (دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه) وقلة يقينه (وجهله بعظيم عزته) اى غلبة ربه وبهائه (وكبريائه وهذا) الذى دل على تلاعبه (كفر لا مرية فيه) لتماديه واصراره على مقاله (وكذلك ان كان ما اورده يوجب) وفى نسخة يقتضى (الاستخفاف والتنقص) وروى التنقيص (لربه وقد افتى ابن حبيب) قال الحلبى الظاهر انه عبد الملك بن حبيب القرطبى وقد تقدم (واصبغ) بفتح الهمزة والموحدة وفى آخره معجمة (ابن خليل) يروى عن يحيى ابن يحيى الليثى ذكره الذهبى فى الميزان فقال متهم بالكذب مات سنة ثلاث وسبعين ومائتين قال وحدثنى شيخ المالكية ابو عمرو السعدى انه بلغه ان اصبغ هذا قال لان يكون فى كتبى رأس خنزير احب الى من ان يكون فيها مصنف

ابى بكر ابن ابى شيبة او كما قال وروى اصبغ بن خليل هذا عن المغازى بن قيس عن سلمة بن وردان عن ابن شهاب عن الربيع بن خيثم عن ابن مسعود قال صليت خلف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخلف ابى بكر وعمر ثنتى عشرة سنة وخلف عثمان ثنتى عشرة سنة وخلف على بالكوفة خمس سنين فلم يرفع احد منهم يديه الا فى تكبيرة الافتتاح وحدها قال القاضى عياض فى المدارك فوقع فى خطأ عظيم بين من وجوه منها ان سلمة بن وردان لم يرو عن الزهرى ومنها ان الزهرى لم يرو عن الربيع بن خيثم ومنها قوله عن ابن مسعود صليت خلف على بالكوفة خمس سنين وقد مات ابن مسعود فى خلافة عثمان بالاجماع (من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخى عجب) وفى نسخة بابن من اخته عجب وعجب لا ينصرف للعلمية والتأنيث المعنوى لانه اسم عمة المعروف المذكور واسمه يحيى بن زكريا وقد تجبر وعتا (وكان خرج يوما فاخذه المطر فقال بدا) بالالف اى ظهر وفى نسخة بالهمز اى ابتدأ (الخراز) بخاء معجمة وراء مشددة وفى آخره زاى (يرش) بضم الراء وتشديد المعجمة (جلوده) وفى نسخة بحرف جر وما بعده بصيغة المصدر المضاف الى جلوده (وكان بعض الفقهاء بها) اى بقرطبة (ابو زيد) كان الظاهر ابا زيد ليكون خبر كان وكان بعض الفقهاء فى قوة من الفقهاء وهو محمد بن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن خارجة ولا يبعد ان يكون ابو زيد بدل بعض من بعض الفقهاء وخبر كان قوله (صاحب الثمانية) بمثلثة مضمومة وياء مشددة واعلها بلدة او قرية وكان اميرا عليها او ابو زيد خبر مبتدأ محذوف اى هو يعنى ذلك البعض ابو زيد (وعبد الاعلى بن وهب) مات سنة احدى وستين ومائتين (وابان ابن عيسى) فعال او فعل فيصرف او يمنع والاكثر منعه (قد توقفوا عن سفك دمه) فلم يقدموا على شئ من قتل وعدمه (واشاروا الى انه) اى مقوله (عبث من القول) اى لعب ومزح فى تشبيهه (يكفى فيه الادب وافتى بمثله) اى بمثل ما اشاروا به (القاضى موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه فى عنقى) اى قتله متعلق بذمتى وفى عهدتى اطالب به يوم القيامة (ايشتم رب) وفى نسخة ربا (عبدناه ثم لا ننتصر له) اى لا ننتقم لاجل رضاه (انا اذا) بالتنوين اى ان لم ننصره (لعبيد سوء وما نحن له بعابدين) حق عبادته فى امر الدين (وبكى) بكاء الحزين قال الدلجى وان تعجب فعجب من ابن حبيب اذ افتى حين شهد على اخيه حين قال كما مر لقيت فى مرضى هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم استوجب هذا كله بعدم قتله مع ما يتضمنه قوله من نسبة الجور والظلم اليه تعالى فكانه قال غاية امرى انى لو قتلتهما قتلت بهما ولم استوجب ما عاقبنى الله به فى مرضى هذا (ورفع المجلس) المنعقد لهذا القول (الى الامير بها) اى بقرطبة (عبد الرحمن بن الحكم الاموى) بفتح الهمزة وتضم نسبة الى بنى امية (وكانت عجب عمة هذا المطلوب) للقتل او التعزير (من حظاياه) بالظاء المعجمة اى من اقرب حلائله منه واسعدهن به (واعلم) بصيغة المجهول (باختلاف الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه) اصبغ بن خليل (وامر بقتله فقتل وصلب بحضرة) وفى نسخة بحضر (الفقيهين) اى ابنى حبيب وخليل (وعزل القاضى) موسى بن زياد (لتهمته بالمداهنة) اى المصانعة والملاينة (فى هذه القصة) وفى نسخة القضية (ووبخ) بتشديد الموحدة فخاء معجمة اى هدد (بقية الفقهاء وسبهم) لتوقفهم عن سفك دمه مع وضوح كفره (واما من صدرت عنه) وفى نسخة منه (الهنة) بتخفيف النون اى المقالة القبيحة (الواحدة والفلتة الشاردة) بفتح الفاء اى الزلة الصادرة النادرة (ما لم يكن تنقصا وازراء) اى احتقارا (فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها) بضم اوله اى شناعة مبناها وبشاعة معناها (وصورة حال قائلها وشرح سببها) الباعث عليها او فى نسخة سبيلها اى طريقها (ومقارنها) الذى جر الكلام اليها (وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا) بتفصيل معتقده (او قاله على وجه سفه) اى خطأ لا عن اعتقاد (فلا شئ عليه) اى من القتل ونحوه وفيه بحث فان ظاهره الكفر ولعله حمل الكلام على انه قابل ان يكون لبيك الاول جوابا له ثم قوله اللهم لبيك قاله التفاتا كما يقول كثير من الجهلة والعامة عند استلام الحجر اللهم صل على نبى قبلك وسببه انه سمع اللهم صل على نبى قبله وكذا صلى الله على نبى قبلك وكلاهما صحيح فلفق هذا القائل بين الكلامين من غير فرق لجهله بين المقامين والحاصل انه لا بد من ان يردع ويزجر هنالك ليكف عن ذلك (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وشرح قوله) اى لا شئ عليه (انه لا قتل عليه) لانه لا يؤدب ولا يضرب بقدر ما يليق اليه (اذ الجاهل يزجر) عن عوده (ويعلم) ما يجهله (والسفيه) اى القليل العقل (يؤدب ولو قالها) اى المجيب كلمة لبيك اللهم لبيك (على اعتقاد انزاله) اى المجاب (منزلة ربه) الذى هو رب الارباب ورب العالمين من جميع الابواب (لكفر هذا) الحكم بكفره (مقتضى قوله) بحسب ظاهره وقيل هذا مقتضى قول ابن القاسم وقد بلغنى عن بعض الوجودية انه سمع نباح كلب فقال لبيك اللهم لبيك فهذا كفر صريح ليس له تأويل صحيح فان المستحب ان يقال لانسان نادى احدا فى جوابه لبيك كما ورد فى السنة بخلاف ما اذا سمع الانسان صوت كلب فانه يستحب له ان يتعوذ بالله فانه

انما ينبح اذا رأى شيطانا كما ثبت فى الحديث (وقد اسرف) اى تجاوز عن الحد (كثير من سخفاء الشعرآء) اى جهلائهم (ومتهميهم فى هذا الباب) اى باب الديانة لكثرة ما وقع منهم من التهاون فى الامور والخفة (واستخفوا) اى استهانوا (عظيم هذه الحرمة) اى حرمة الله سبحانه وتعالى (فأتوا) اى سخفاء الشعرآء (من ذلك) النوع من الكلام (بما ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا) وكذا اسماعنا وافهامنا (عن ذكره) لشناعة مبناه وبشاعة معناه (ولولا انا قصدنا) اى اردنا (نص مسائل) اى صريحها وفى نسخة قص مسائل اى حكايتها وروايتها (حكيناها) لبيان ما تتعلق به من روايتها (لما ذكرنا شيا منها) اعراضا عنها (مما ينقل ذكره علينا مما حكيناه فى هذه الفصول) المتقدمة (واما ما ورد فى هذا) الباب (من اهل الجهالة) بمنطق الصواب (واغاليط اللسان) فى ميدان البيان (كقول بعض الاعراب) مما لا يجوز نسبته الى رب الارباب (رب العباد) بالنصب على حذف حرف النداء (ما لنا وما لكا) اى لك والالف للاشباع وما فيهما للاستفهام وهو محل الجهالة فى الكلام لانه من كلام الاكفاء لاسيما وفيه قبح اشنع من الاول وهو ان ما استفهام انكار وهو مقام الاقوياء على الضعفاء (قد كنت تسقينا) بفتح اوله وضمه (فما بدا لكا) اى فما ظهر لك الان حتى ما تسقينا كدأبك معنا وهذا ايضا موضع الجهالة ومحل الضلالة لان البدآء عيب فى الحال وهو على الله من المحال لانه فى اصله ان يفعل الانسان فعلا ثم يظهر له ما هو افضل منه وهذا يتصور من البشر لا من خالق القوى والقدر ولم يقل بالبدآء الا اليهود قاتلهم الله انى يؤفكون (انزل علينا الغيث لا ابا لكا) قال ابن الاثير هو اكثر ما يستعمل فى المدح اى لا كافى لك غير نفسك وقد يذكر ذلك فى معرض الذم وقد يذكر فى معرض التعجب ودفعا للعين انتهى وحاصله انه ليس بكفر صريح فى المبنى قال وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب فى سنة مجدبة يقول رب العباد فذكره الى آخره فحمله سليمان على احسن محمل وقال اشهد ان لا اباله ولا صاحبة ولا ولد انتهى وفيه ايماء الى انه من باب الاكتفاء قال التلمسانى ووقع فى كثير من كلام خيار المسلمين من الصحابة والتابعين ما هو على اصل لغة الحجاز فى استعمال المجاز ومنه قول ابى عامر الاشعرى وروى لعبد الله بن رواحة فاغفر فداك ما اقتفينا ووجه ذلك ان الفدآء انما يكون فيمن تلحقه المقدرة والله سبحانه وتعالى منزه عنه فيحاشى منه واختلف فقيل على مجاز كلام العرب ومبناه ولا يلتفت الى حقيقة معناه وقيل اراد بالتفدية التعظيم لان الانسان لا يفدى الا من يعظم فيكون فيه معنى التجريد ومعناه ابذل نفسى ومن يعز على فى رضاك وقيل روى فاغفر لنا فداك ما اقتفينا وهو بين ويحتمل ان قوله فاغفر البيت ليس من الكلام الاول وانما هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه انه سأل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان يغفر له ما قصر فى حقه والقيام به والتفدية عليه صحيحة ومنه

فان ابى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم فدآء

(فى اشباه لهذا) الشعر (من كلام الجهال) نثرا ونظما (ومن) اى ومن كلام من (لم يقومه) اى يعدله (ثقاف تأديب الشريعة) بكسر المثلثة وبالقاف اى ما يسوى ويقوم به الرماح ثم استعير للزواجر التى وردبها الشرع (والعلم فى هذا الباب) المتعلق بتعظيم رب الارباب (فقلما يصدر) مثل ذلك (الا عن جاهل يجب تعليمه) على الناس كما يجب عليه تعلمه (وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله) وهذا التأديب على نسق الترتيب كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن (قال ابو سليمان الخطابى وهذا تهور من القول) اى مبالغة فى المجاوزة عن الاستقامة (والله تعالى منزه عن هذه الامور) لانه سبحانه وتعالى كما ورد يحب معالى الامور ويبغض سفسافها (وقد روينا) بصيغة الفاعل او المفعول مخففا وقيل مشددا (عن عون بن عبد الله ابن عتبة الهذلى الكوفى الزاهد (ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه فى كل شئ) من طيب وخبيث بل يخصه بالطيب فان الله طيب يحب الطيب وقد قال تعالى الطيبات للطيبين (حتى لا يقول اخزى الله الكلب وفعل) اى الله (به كذا وكذا) من المكروهات (وكان بعض من ادركنا من مشايخنا) المالكية (قلما يذكر اسم الله) ما مصدرية لا نافية كافة كما اختاره التلمسانى (الا فيما يتصل بطاعته وكان) اى ذلك البعض (يقول للانسان) اذا دعا له (جزيت خيرا) بصيغة المجهول (وقلما يقول جزاك الله خيرا اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن) اى يستعمل بكثرة (فى غير قربة) ولا يخفى ان الدعوة للاخ المسلم قربة وقد ورد من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن اسامة ونظير هذا ما ذكره التلمسانى عن ابن عرفة فى تفسيره ان بعضهم كان يكره ان يقال للسائل يفتح الله تنزيها لاسم الله تعالى ان يذكره لمن يكره سماعه وانما يقول ما حضرك فى الوقت شئ او نحوه واقول السائل لم يكره سماع اسم ربه نعم انما يكره حرمانه وهو يحصل باى مقال يقال فى جوابه فالدعاء اولى له فانه ربما يفرح به بدعائه اكثر من عطائه ثم قيل لابن عرفة قال المفسرون فى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة

من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ان القول الميسور هو ان يقول لهم رزقنا الله واياكم من فضله فقال ابن عرفة الكراهة لانها فى الاباحة انتهى وفساده ظاهر لا يخفى لان الامر فى الآية للاستخفاف والكراهة غير ثابتة فى هذا الباب (وحدثنا الثقة) اى بعض من اثق به فى الرواية (ان الامام ابا بكر الشاشى) قال الحلبى الظاهر انه محمد بن على ابن اسماعيل القفال الكبير الشافعى والشاش مدينة بما ورآء النهر قال العبادى فيه افصح الاصحاب قلما واثبتهم فى دقائق العلوم قدما واسرعهم بيانا واثبتهم جنانا واعلاهم اسنادا وارفعهم عمادا توفى سنة خمس وستين وثلاثمائة (كان يعيب على اهل الكلام) اى علماء اصول الدين (كثرة خوضهم فيه) اى فى ذاته (تعالى وفى ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هؤلاء) اى اهل الكلام (يتمندلون بالله) اى يتداولونه ويتناولونه كالمنديل بكثرة تداول السنتهم له فى الاقاويل (جل) اى جلاله (وعز) كماله وهذا مخالف للكتاب والسنة حيث قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفى الحديث اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون رواه احمد فى مسنده وابو يعلى الموصلى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى مستدركه والبيهقى فى شعبه عن ابى سعيد وفى رواية لاحمد اكثروا ذكر الله تعالى حتى يقول المنافقون انكم مرآؤون وقد ورد من احب شيأ اكثر ذكره رواه الديلمى عن عائشة رضى الله عنها والاحاديث فى هذا اكثر من ان تذكر وقد صح عن رئيس اهل التحقيق ابى بكر الصديق ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله ولله در القائل

اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

هذا وعن بعض التابعين انه كانت له بضاعة يتجر فيها فقيل له فى ذلك فقال لولاها لتمندل بى بنو العباس اى لا بتذلونى بالتردد اليهم لطلب ما لديهم واغرب منه قوله (وينزل) اى الشاشى (الكلام) وفى نسخة بصيغة المجهول (فى هذا الباب) اى باب كثرة الكلام فى اسمه سبحانه وتعالى (تنزيله فى باب ساب) وفى نسخة سب (النبى صلى الله عليه وسلم على الوجوه التى فصلناها) من قتله وصلبه وحبسه وضربه وفيه انه لا ملاءمة بين من تمندل بالله ومن سب نبيه نعم يلزم على زعم هذا القائل ان المحدثين لكثرة خوضهم فى ذكر سيد المرسلين ينزلون فى باب سب النبى وحاشاهم من ذلك لو هم تبتهم هنالك بل هذا القائل هو الاحق بان يلحق بمن سب الحق عند المحقق (والله الموفق) نعم ذم السلف الكرام اهل الكلام من حيث انهم يتعلقون بذات الله تعالى وصفاته العلية بالادلة العقلية والقواعد الفلسفية وقد قال تعالى ولا يحيطون به علما وورد عنه عليه الصلاة والسلام لا تتفكروا فى ذات الله وتفكروا فى مصنوعاته وقد بسطت الكلام على هذا المرام فى شرح الفقه الاكبر فتأمل وتدبر

(فصـــــل)

(وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته) اى جميعهم (واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به) من وحيهم وفعلهم (او انكرهم) اى وجودهم (وجحدهم) اى نزولهم كقول مالك بن الصيف ما انزل الله على بشر من شئ حين قال له النبى عليه الصلاة والسلام أليس فى التوراة ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين فمن صدر منه شئ من ذلك فحكمه (حكم نبينا على مساق ما قدمناه) اى نهجه وسبيله فى وجوب قتله كفرا ان لم يتب وحدا ان تاب كما هو مذهب مالك فى هذا الباب (قال الله تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله) بشرا او ملكا (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله) ايمانا وكفرا (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) كاليهود كفروا بعيسى ومحمد وكالنصارى كفروا بمحمد (الآية) اى ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا متوسطا بين الايمان والكفر اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا (وقال تعالى) بانا طاب العام (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا) اى من القرآن (وما انزل) اى من الصحف (الى ابراهيم الآية) واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اى اولادهم واحفادهم من الانبياء وما اوتى موسى وعيسى من التوراة والانجيل وما اوتى النبيون من ربهم كالزبور لداود (الى قوله لا نفرق بين احد منهم) فى الايمان لا فى التفضيل (وقال) اى الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون (كل) اى كلهم او كل واحد منهم (آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) ايمانا اجماليا قائلين (لا نفرق بين احد من رسله) بل نؤمن بكلهم ونعتقد ان بعضهم افضل من بعض وان نجهل تفضيل بعضهم (قاله) وفى نسخة قال (مالك فى كتاب ابن حبيب ومحمد) هو ابن المواز كما جزم به الحلبى وقال الدلجى لعله ابن سحنون (وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم) وفى نسخة وابن عبد الملك (واصبغ) اى ابن الفرج (وسحنون فيمن شتم الانبياء) اى عموما (او احدا منهم) اى خصوصا (او تنقصه قتل ولم يستتب) اى اذا كان مسلما (ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذى كفروا به) وفيه

انه ليس سب الانبياء فى وجه من الوجوه التى كفروا بها فلا يحتاج الى هذا القيد الزائد على ما قبله (ضرب عنقه الا ان يسلم) وفى المبسوطة قيده بقوله طوعا (وقد تقدم الخلاف فى هذا الاصل) اى فيمن سب الله تعالى بغير هذا الوجه فقال ابن القاسم فى كتاب محمد الا ان يسلم كما هنا وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن سلمة وابن ابى حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما او كافرا فان تاب والا قتل وهذا هو الصواب ولكن لا يخفى ان الذمى بسب الله او احد من انبيائه يخرج عن كونه ذميا ويصير حربيا فان اسلم سلم والا قتل فليس قوله تاب على ظاهره من التوبة عن سبه مع بقائه على ذمته (وقال القاضى بقرطبة) بضم القاف والطاء (سعيد بن سليمان) وفى نسخة ابن عبد الرحمن (فى بعض اجوبته) لبعض اسئلته (من سب الله او ملائكته او انبياءه قتل) اى مطلقا الا ان يسلم (قال سحنون من شتم ملكا من الملائكة) معينا او مبهما (فعليه القتل) واجب (وفى النوادر) لابن ابى زيد (عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطأ بالوحى) بتأديته الى محمد (وانما كان النبى على بن ابى طالب استتيب فان تاب والا قتل) لكفره بافترائه على امين الوحى وتجهيله الله سبحانه وتعالى وانكار نبوة محمد واثبات نبوة على (ونحوه عن سحنون) منقول (وهذا) القول بتخطئة جبريل (قول الغرابية من الروافض سموا بذلك لقولهم كان النبى اشبه بعلى من الغراب بالغراب) والذباب بالذباب وقد ابطلنا اقوالهم فيما سبق من باب الكتاب (وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم) المعتمد عندهم وجمهور اهل العلم (من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا منهم او برئ منه) اى تبرأ من احد منهم (فهو مرتد) يقتل ان لم يتب (وقال القابسى فى الذى قال لآخر كانه) اى وجهه (وجه مالك) اى خازن النار وفى نسخة وجه ملك (الغضبان لو عرف) من قرائن قاله او حاله (انه قصد ذم الملك قتل) بخلاف ما اذا اراد تشبيهه به من حيث الهيبة والخشية (قال القاضى ابو الفضل) اى المصنف (وهذا كله فيمن تكلم فيهم) اى فى الانبياء والملائكة (بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين) اى عموما او اجمالا بان شتم نبيا او ملكا غير معين (او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين مما نص الله تعالى عليه) اى على كونه نبيا او ملكا (فى كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر) بفتح الهاء وكسرها اى المشهور عند ائمة الحديث (المتفق عليه) اى على صحته (بالاجماع) الظاهر او بالاجماع (القاطع) اى مما لا خلاف فيه انه منهم (كجبريل وميكائيل) قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وفيهما قراآت معروفة (ومالك) فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك (وخزنة الجنة وجهنم) فى قوله تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم (والزبانية) فى قوله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية من الزبن وهو الدفع (وحملة العرش) فى قوله تعالى الذين يحملون العرش وهم ثمانية فقيل صفوف وقيل الوف وقيل صنوف وقيل ثمانية انفس وقيل هم الآن اربعة وتزيد يوم القيامة اربعة وهو ظاهر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (المذكورين فى القرآن) كما حررنا مواضعها فى البيان (من الملائكة) المسطورين (ومن سمى فيه من الانبياء) اى كآدم وادريس ونوح وهود وصالح ولوط وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وشعيب وداود وسليمان وايوب وزكريا ويحيى وعيسى ويونس والياس واليسع وذى الكفل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكذا شيث بن آدم كما هو مشهور (وكعزرائيل) المعبر عنه فى القرآن بملك الموت فى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم وهو بفتح اوله ممدودا ويقال عزريل بكسر العين وكسر الراء (واسرافيل) وهو صاحب الصور المكنى عنه بقوله ونفخ فى الصور (ورضوان) بكسر الراء وضمها اى خازن الجنة (والحفظة) المعبر عنهم بقوله سبحانه وتعالى كراما كاتبين (ومنكر) بفتح الكاف واما كسره فمنكر (ونكير) الفتانان فى القبر من الملائكة (المتفق) على وجودهم عند العلماء بناء (على قبول الخبر بها) لاجل كثرة طرقه التى كادت ان تكون متواترة وفى نسخة بهما وفى اخرى بهم (فاما من) وفى نسخة ما (لم يثبت الاخبار بتعيينه) انه نبى او ملك (ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت) المعدودين (فى الملائكة) على خلاف فيهما هل هما ملكان بالفتح او ملكان بالكسر بناء على القراءتين والاظهر انهما من الملائكة (والخضر) اختلف فى كونه وليا او نبيا والاظهر الثانى (ولقمان) قيل كان نبيا وقيل حكيما وهو الاظهر وكان عبدا حبشيا وقيل نوبيا وقيل كان ابن اخت داود وقيل ابن خالته (وذى القرنين) فقيل رجل صالح وهو قول على وقيل نبى وروى عن عمر وقيل انه ملك بكسر اللام وسمى بذلك لانه بلغ قرنى الدنيا وهما المشرق والمغرب وقيل كان له قرنان صغيران تواريهما عمامته وقيل لانه دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات ثم حيى ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فمات وقيل لانه كريم الطرفين من ابيه وامه وقيل كان يقاتل بيده وركابه وقيل علم علما باطنا وظاهرا وقيل دخل الظلمة والنور وقيل لانه عاش مضى قرنين روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه انبى كان ام لا فقال لا ادرى رواه الحاكم فى مستدركه وكذا قال عليه الصلاة والسلام فى عزير على ما رواه ابو داود والحاكم وكذا دانيال

مختلف فى نبوته (ومريم) ابنة عمران لقوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ونحو ذلك وكذا ام موسى ويشير الى نبوتها قوله تعالى واوحينا الى ام موسى والمحققون على ان المعنى الهمنا لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وفيه بحث على مذهب الفرق بين النبوة والرسالة (وآسية) ابنة مزاحم امرأة فرعون وابنة عمه وقيل هى عمة موسى عليه السلام لكن لا اعرف احدا قال بنبوتها ولا دليلا على ثبوت نبوتها (وخالد بن سنان) بسين مكسورة وهو العبسى بموحدة منسوب لبنى عبس قوم من العرب وكان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام قال ابن عباس رضى الله عنهما كان خالد بن سنان نبى بنى عبس مبشرا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ووردت ابنة له عجوز قد عمرت على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتلقاها بخير واكرمها واسلمت فقال لها مرحبا بابنة نبى ضيعه اهله وسمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ قل هو الله احد فقالت كان ابى يقولها (المذكور انه نبى اهل الرس) بتشديد السين المهملة اى البئر غير المطوى قيل كذبوه ورسوه اى دسوه فيها حتى مات وقيل نبيهم حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء اعظم طير كانها سميت عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلا لهم وتخطف صبيانهم اذا اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاخذتها صاعقة فقتلوه فاهلكوا والمشهور عند الجمهور ان اصحاب الرس المذكور فى القرآن قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس فانهارت فخسف بهم وبديارهم واما قوم تبع فقال قتادة هو تبع الحميرى كان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن سمى تبعا لكثرة اتباعه وكان هذا يعبد النار فاسلم ودعا قومه الى الاسلام فكذبوه وله قصة طويلة ذكرها البغوى فى المعالم وهو اول من كسا البيت وقد آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام قبل ان يبعث بسبعمائة عام وقد ثبت حديث فى مسند احمد عن سهل بن سعد مرفوعا لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم وحديث آخر برواية ابن ابى شيبة عن ابى هريرة مرفوعا ما ادرى تبع كان نبيا او غير نبى وفيما ورد من الاحاديث الواردة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى حق بعضهم ما ادرى أهو نبى او غير نبى دليل جليل على صحة الايمان الاجمالى وايماء الى تحقيق ما ورد من ان لا ادرى نصف العلم وتمسك للمجتهدين فى توقفهم فى بعض مسائل الدين (وزرادشت) بزاى مفتوحة وتضم فراء فالف ودال مهملة مضمومة وقيل معجمة مفتوحة فشين معجمة ساكنة ففوقية ممنوع وهو صاحب كتاب المجوس (الذى تدعى المجوس والمؤرخون نبوته) وينسبون اليه اصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة وقيل انه كان نبيا وان اتباعه غيروا شريعتهم كاليهود والنصارى غيروا شرائعهم وابدعوا بدائعهم (فليس الحكم فى سابهم او الكافر بهم) لكون الخلاف فى نبوتهم (كالحكم فيمن قدمناه) ممن اتفق على نبوتهم او رسالتهم (اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة) قطعا بل ظنا (ولكن يزجر من تنقصهم) واذاهم بلسانه (ويؤدب بقدر حال المقول فيه) وفى نسخة فيهم اى ضعفا وقوة من جهة الادلة (لا سيما من عرفت صديقيته) اى ولايته (وفضله) اى صلاحه (منهم وان لم تثبت نبوته) بدليل قاطع (واما انكار نبوتهم) لكون الخلاف فى نبوتهم (او كون الآخر) كهاروت وماروت (من الملائكة) ام لا فاجمع جوابه مفصلا (فان كان المتكلم فى ذلك من اهل العلم) اى علم الشريعة من الكتاب والسنة اذ لا عبرة بغيرهم فى هذه المسئلة (فلا حرج عليه) اى فى انكاره ونفيه عن علم ودليل او نقل (لاختلاف العلماء فى ذلك) لكن لا يخفى ان الاحوط فى حقه ان لا ينفيه ولا يثبته لئلا يدخل فى الانبياء من ليس بنبى ولا يخرج نبى منهم فانه فى خطر عظيم بل ينبغى ان ينقل الخلاف ويرجح ما ظهر عنده او عند غيره (وان كان) المتكلم فى ذلك (من عوام الناس زجر عن الخوض فى مثل هذا) الكلام (فان عاد ادب اذ ليس له الكلام فى مثل هذا) الكلام لئلا ينجر الى ما يرد عليه من الملام (وقد كره السلف) الكرام (الكلام فى مثل هذا) المقام (مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة) وفيه بحث لان العلماء هم الذين يبينون مراتب الانبياء وعلمهم كله عمل بل خير عمل كما يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم فالعلم اما فرض عين او كفاية فهو افضل من عبادة نافلة ولكون نفع هذا قاصرا ونفع الاول متعديا واما العامة فينبغى لهم السكوت عما لا يدرون

(فصل)

واعلم ان من استخف بالقرآن) اى بمبناه او معناه او باهله الوارد فى حقهم ان اهل القرآن اهل الله وخاصته (او المصحف) بضم الميم وكسرها والاول اشهر وفى القاموس بتثليث الميم من اصحف بالضم اذا جعلت فيه الصحف انتهى ولعل الكسر على انه آلة والفتح على انه اسم مكان والضم على انه اسم مفعول وقد كفر الوليد بسبب اهانة المصحف فانه روى انه فتحه يوما فوضع بصره على قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فامر بالمصحف فنصب غرضا ورماه بالنبل حتى تمزق وانشد

اوعد كل جبار عنيد * فها اناذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقنى الوليد

والوليد هذا هو الذى ورد فيه انه فرعون هذه الامة ونزلت آيات كثيرة فى حقه من المذمة (اوبشئ منه) كورق اولوح اودرهم مسطور فيه (اوسبهما اوجحده) اى انكر القرءان كله (اوحرفا منه) فى القراآت السبع (اوآية) ولو كانت حرفا (اوكذب به) اى بالقرءآن جميعه (اوبشئ منه اوكذب بشئ مما صرح به) اى بذلك الشئ (فيه) اى فى القرءان (من حكم) كامر ونهى (اوخبر) عن سابق اولاحق (اواثبت مانفاه اونفى ما اثبته على علم منه بذلك) اى دون نسيان اوخطأ (اوشك فى شئ من ذلك فهو كافر عند اهل العلم) قاطبة (باجماع) لاخلاف فيه (قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز) اى بديع اومنيع (لايأتيه الباطل) اى الناسخ الذى يبطله اويدفعه (من بين يديه) اى من قدامه (ولامن خلفه تنزيل) منزل (من حكيم) اى ذى حكمة فى احكامه واقواله (حميد) محمود فى ذاته وصفاته وافعاله (حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله تعالى ثنا ابو على) الغسانى (ثنا ابن عبد البر) حافظ الغرب (ثنا عبد المؤمن القرطبى) (ثنا ابن داسه) راوى سنن ابى داود عنه (ثنا ابو داود) السجستانى صاحب السنن ومحدث العصر (ثنا احمد ابن حنبل) امام اهل السنة (ثنا يزيد بن هارون) هو ابو خالد السلمى الواسطى احد الاعلام (ثنا محمد بن عمرو) اى ابن علقمة بن وقاص الليثى يروى عن ابيه وعن ابى سلمة وطائفة وعنه شعبة ومالك ومحمد بن عبد الله الانصارى وجماعة (عن ابى سلمة) احد الفقهاء السبعة عند اكثر علماء الحجاز (عن ابى هريرة) قال الحلبى وفى كلام بعض متأخرى الحنفية المصريين انه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثة واربعين قولا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال المراء) بكسر الميم مصدر بمعنى المماراة (فى القرءآن كفر) ورواه الحاكم ايضا وفى رواية لاتماروا فى القرءآن فان المراء فيه كفر (تؤول) بصيغة المجهول اى فسر المراء (بمعنى الشك) ومنه قوله تعالى فلا تك فى مرية (وبمعنى الجدال) ومنه قوله تعالى فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا وقد قال تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا وقال ابن الاثير تبعا للهروى المماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال للمناظرة مماراة لان كل واحد يستخرج ماعند صاحبه ويمتريه كما يمترى الحالب اللبن من الضرع قال ابو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف فى التاويل ولكنه على الاختلاف فى اللفظ وهو ان يقرأ الرجل على حرف فيقول الآخر ليس هو هكذا ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء بهما فاذا جحد كل واحد قرآءة صاحبه لم يأمن ان يكون ذلك يخرجه الى الكفر لانه نفى حرفا انزله الله على نبيه ثم التنكير فى مراء ايذان بان شيأ منه كفر فضلا عما زاد عليه وقيل انما جاء هذا فى الجدال والمراء فى الآيات التى فيها ذكر القدر ونحوه من المعانى على مذهب اهل الكلام واصحاب الاهواء والآراء دون ما تضمنته من الاحكام وابواب الحلال والحرام فان ذلك قد جرى بين الصحابة الكرام فمن بعدهم من العلماء الاعلام وذلك فيما يكون الغرض منه والباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون الغلبة والتعجيز (وعن ابن عباس) كما رواه ابن ماجه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل) اى اجمالا لا آية منهما لاحتمال كونها محرفة اولا تكون فيهما اصلا وذلك لقوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان وكان حقه ان يقول والزبور لقوله تعالى وآتينا داود زبورا وفسر به القرءآن ايضا وكذا صحف ابراهيم مذكورة بالخصوص (وكتب الله المنزلة) اى بعمومها الواجب الايمان بها مجملا بتمامها (اوكفر بها) اى كلها اوبعضها (اولعنها) اى شتمها (اوسبها) اى عابها (اواستخف بها) اى اهانها (فهو كافر) واما لو جحد آية من التوراة اوالانجيل ففيه خطر لاحتمال كونها منهما فيكفر اولا تكون منهما لما وقع من التحريف فيهما فلا يكفر ولذا قال عليه الصلاة والسلام لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوهم وقد قال تعالى ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون اى منقادون للحق تابعون للصدق (وقد اجمع المسلمون ان القرءآن المتلو) على السنة اهل الايمان (فى جميع اقطار الارض) اى اطرافها واكنافها (المكتوب فى المصحف) اى جنسه من المصاحف (بايدى المسلمين) احتراز عما قد يوجد فى ايدى غيرهم من الملحدين فربما يزيدون اوينقصون فى امر الدين (مما جمعه الدفتان) بتشديد الفاء وهما ما يضمه من جانبيه (من اول الحمد لله رب العالمين) برفع الحمد على الحكاية ويجر بالكسر على الاعراب (الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفيه ايماء الى ان تنكيس القرءآن ليس سنة بل بدعة ولعله لم يذكر البسملة لانها ليست من القرءآن فى مذهب مالك لكنه لاشك انها مما بين الدفتين للاجماع على ان الصحابة كتبوا البسملة فى اوائل كل السور الا براءة ولهذا ذهب المحققون من ائمتنا الحنفية

انها آية من القرءآن انزلت للفصل ولابدع ان يراد بالحمد لله رب العالمين سورة الفاتحة فتشمل البسملة الفاتحة ولكن يأباه ان الكلام فى التكفير فالقدر المتعلق به هو الذى بينه فى مقام التقرير والاحاديث فى باب البسملة متعارضة مع كونها آحادا فلا تفيد القطع وانما توجب الظن ولهذا اختلف العلماء فى مسئلة البسملة والله سبحانه وتعالى اعلم (وان جميع ما فيه حق) اى ثابت وصدق (وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك) النقص (اوبدله بحرف آخر مكانه) ولولم يغير شأنه (اوزاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذى وقع عليه الاجماع) اى كتابة وقرآءة (واجمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل اى وجزم وعزم (على انه ليس من القرءآن عامدا) اى لاسهوا ولانسيانا (لكل هذا) الذى ذكر من النقصان والزيادة (انه كافر) الا القراآت الشاذة التى ثبتت فى الجملة بحسب الرواية بشرط ان لا يلحقها بالمصاحف فى الكتابة (ولهذا) الذى ذكرنا من ان جميع ما فى القرءآن حق (رأى مالك قتل من سب عائشة رضى الله عنها بالفرية) اى الافك (لانه خالف القرءآن) اى بعضه النازل فى برآءة ساحة عائشة ان تكون فاحشة (ومن خالف القرءآن) اى اعتقادا لاعملا (قتل لانه كذب بما فيه) من آيات دالة على برآءتها وانما اكتفى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحد القذف على قاذفيها لما صدر عنهم قبل برآءة ساحتها فحينئذ لاوجه لتخصيص مالك فان اجماع العلماء على ذلك (وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما يقتل) لتكذيبه قوله تعالى فيه وكلم الله موسى تكليما وهذا مجمع عليه وانما الكلام فى معنى الكلام من النفسى وغيره بين اهل السنة والمعتزلة (وقاله) اى قال به ونص عليه ايضا (عبد الرحمن بن مهدى) من اصحاب الشافعى قال التلمسانى مهدى مفعول وكره مالك التسمية بمهدى قال وما علمه بانه مهدى واباح التسمية بالهادى وقال لان الهادى هو الذى يهدى الطريق انتهى ولايخفى ان المهدى ايضا هو الذى يهدى الى الطريق وما علمه بانه هاد وليس بمهدى ومن اين له حمل المهدى على الهداية الشرعية وحمل الهادى على الدلالة اللغوية اوالعرفية على ان الاسماء كلها تسمى على جهة التفاؤل والتبرك والا لما كان يصح لاحد ان يسمى محمودا اومحمدا اواحمد ولا عليا ولافاطمة ولاعائشة وامثال ذلك (وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان) بكسر الواو وتفتح وهما سورة الفلق والناس (ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب) لنفيه لهما منه مع ثبوتهما فى المصاحف العثمانية التى وقع عليها اجماع الامة قال النووى فى شرح المهذب اجمع المسلمون على ان المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة فى المصحف قرءآن وان من جحد شيأ منها كفر وما نقل عن ابن مسعود فى الفاتحة والمعوذتين باطل ليس بصحيح عنه قال ابن حزم فى اول كتابه المحلى هذا كذب على ابن مسعود وانما صح عنه قرآءة عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود وفيها الفاتحة والمعوذتان انتهى واما ماروى عن عبد الله بن احمد فى زوائد المسند ان ابن مسعود كان يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول انهما ليستا من كتاب الله فالجواب على وجه الصواب ما قال ابن الباقلانى انه لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرءآن انما انكر اثباتهما فى المصحف لانه كانت السنة عنده ان لايثبت الا ما امر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم باثباته ولم يبلغه امره به وهذا تأويل منه وليس جحدا لكونهما قرءآنا واجيب ايضا بانه كان يقول ذلك فلما رأى المصاحف التى كتبت فى زمن عثمان وفيها اثباتهما رجع عن ذلك ويؤيد هذا ما سبق عن ابن حزم واما ما اجاب بعضهم عنه بان عاصم ابن بهدلة المذكور فى المسند وان قرنه البخارى بعبدة فهو فى الحديث دون الثبت ثقة فى القرآءة فغير مستقيم لانه راوى القرآءة عن ابن مسعود وهذه الرواية من متعلقات القرآءة هذا وفى جواهر الفقه من انكر المعوذتين من القرءآن غيرما أول كفر انتهى وقال بعض المتأخرين كفر ولو اول والاول هو المعول (وكذلك) اى كفر (من كذب بحرف منه) اى من القرءان فيقتل الا ان يتوب (قال) اى ابن سحنون (وكذلك ان شهد شاهد) اى واحد (على من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه) اى على من قال ذلك (انه قال ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا) فان مؤداهما واحد وهو تكذيب بعض القرءآن وهذا التعليل اولى من قوله (لانهما اجتمعا على انه كذب النبى) وفى نسخة تكذيب للنبى (صلى الله تعالى عليه وسلم) اى فيما نقله عن الله سبحانه وتعالى (وقال ابو عثمان الحداد) قال الانطاكى وقد يقع فى بعض النسخ ابو عثمان ابن الحداد بزيادة ابن والصواب والله تعالى اعلم سقوطه (جميع من ينتحل التوحيد) اى ينتسب اليه ويدعى اعتقاده (متفقون) على (ان الجحد بحرف من التنزيل) اى القرءآن الكريم والفرقان القديم (كفر وكان ابو العالية) احد ائمة القراآت (اذا قرأ عنده رجل) اى بقرآءة لم يعرفها (لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا) وهذا من كمال احتياطه فى تورعه (فبلغ ذلك) القول من ابى العالية (ابراهيم) النخعى اوالتيمى (فقال اراه) بضم الهمزة اى اظنه (سمع انه) اى الشان (من كفر) اى جحد (بحرف منه فقد كفر به كله) لان الكفر ببعضه يؤذن بالكفر بكله بخلاف الايمان ببعضه فانه لايقوم مقام الايمان بكله (وقال عبد الله

ابن مسعود) كما فى مصنف عبد الرزاق (من كفر باية من القرءآن فقد كفر به كله) وهذا كمن كفر برسول
فقد كفر بالرسل كلهم (وقال اصبغ بن الفرج) المصرى (من كذب ببعض القرءآن فقد كذب به كله ومن كذب به
فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله) اى بكلامه (وقد سئل القابسى عمن خاصم يهوديا فحلف) اليهودى
(له بالتوراة فقال الآخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد) اى واحد (ثم شهد آخر انه) اى الآخر (سأله)
اى من خاصم (عن القضية) فى الكيفية (فقال) اللاعن الملعون (انما لعنت توراة اليهود) التى يتدارسونها
بينهم (فقال ابو الحسن) القابسى (الشاهد الواحد لا يوجب القتل) اى ولو حمل على اطلاقه ولم يقبل قصده (والثانى
علق الامر بصفة) اى خاصة ناشئة عن الاضافة (يحتمل التأويل) لهذا القيل (اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين
بشئ من عند الله لتبديلهم وتحريفهم) وفيه ان الظاهر من هذه الاضافة اختصاصهم بها واما كونهم لا يتمسكون بها
فلا دخل له فيما نحن فيه من انه اهان كتاب الله وقد سمى الله سبحانه كتابهم مع علمه بتحريفهم وتغييرهم كتاب الله فى قوله
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم
لا يعلمون فلو فرض ان بعض هذه الامة المحفوظة الحافظة للكتاب والسنة حرفوا بعض القرءآن وغيروه فقال احد
الشاهدين لعن القرءآن وقال آخر لعن قرءآن المسلمين فلا نشك انه كافر على ان الاحكام مبنية على الاكثر فتأمل وتدبر
مع ان اليهود كلهم ما غيروا التوراة ولا بدلوها وانما كان بعض علمائهم نقلوا عنها ما لم يثبت فيها او تصرفوا فى معانيها
دون مبانيها (ولو اتفق الشاهدان على لعن التوراة مجردا) اى عن التعليق (لضاق التأويل) الاولى لما احتمل
التأويل والله ولى التوفيق (وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ) بمعجمة مفتوحة ونون ساكنة كما صرح به
الحلبى والتلمسانى وقيل بفتحها فموحدة مضمومة وذال معجمة وهو غير منصرف للعجمة والعلمية كما جزم به الحلبى واغرب
التلمسانى فى قوله يجرى ولا يجرى وهو اسم اعجمى وضبطه الدلجى بنون مشددة وفى القاموس محمد بن احمد بن شنبوذ
بفتح الشين والنون مجاب الدعوة وعلى بن شنبوذ وكلاهما من القراء انتهى والمراد به هنا ما ذكره الحلبى وتبعه التلمسانى
من انه ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ (المقرى احد الائمة المقرئين المتصدرين بها) اى ببغداد (مع
ابن مجاهد) متعلق باتفق وهو امام جليل فى علم القراءة (بقراءته) اى ابن شنبوذ بنفسه (واقرائه) اى لغيره (بشواذ من
الحروف) اى من القراآت التى لم يثبت تواترها ومع هذا (مما ليس فى المصحف) وهو احد اركان القراءة والثانى موافقة
العربية والثالث وهو الاصل المعتمد المدار عليه وهو نقل المتواتر قال التلمسانى كان اماما دينا لا ينكر موضعه من
العلم وكان فيه سلامة الصدر وممن يرى جواز القراءة بالاختيار عما يجوز فى العربية وان لم ينقل ذلك عن السلف
وكان يقرأ بها فى المحراب ويقرئ بها بعض الاصحاب (وعقدوا) اى الفقهاء مع ابن مجاهد مجلسا بالحكم (عليه بالرجوع
عنه) اى عن فعله من القراءة والاقراء بالشواذ (والتوبة منه) فيما بقى من عمره وهذا لا ينافى جواز رواية الشاذة
فان الفرق بين القراءة والرواية واضح عند ارباب الدراية (سجلا) اى وسجلوا عليه (انه اشهد فيه بذلك على نفسه)
بالرجوع عنه وبالتوبة منه (فى مجلس الوزير ابى على ابن مقلة) بضم الميم (سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة) قال ابن
خلكان كان ابن شنبوذ من مشاهير القراء واعيانهم قيل كان كثير اللحن قليل العلم تفرد بقراآت من الشواذ فانكرت
عليه وبلغ امره الوزير محمد بن مقلة الكاتب فاعتقله بداره واستحضره هو والقاضى ابا الحسين عمر بن محمد وابا بكر احمد
ابن موسى بن مجاهد المقرى وجماعة من اهل القراآت فاغلظ القول عليهم فامر الوزير بضربه فضرب سبع درر فدعا على
الوزير ان يقطع الله يده ويشتت شمله وكان الامر كذلك ثم كتب محضرا بما كان يقرؤه واستتيب ان لا يقرأ الا بمصحف
امير المؤمنين عثمان وكتب خطه فى آخره واطلق فخشى عليه من العامة فاخرج الى المداين ثم عاد الى بغداد سرا
ولم يزل بها الى ان توفى سنة ثمان وعشرين وثلثمائة (وكان فيمن افتى عليه) مع فقهاء بغداد (بذلك) اى بالرجوع
(ابو بكر الابهرى) المالكى وهو بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء وقيل بفتحتين وسكون الهاء نسبة الى بلد
عظيم بين قزوين وزنجان وبليدة بنواحى اصفهان وجبل بالحجاز (وغيره) من العلماء المالكية او غيرهم (وافتى ابو محمد
ابن ابى زيد) القيروانى (بالادب فيمن قال لصبى) يتعلم القرءآن (لعن الله معلمك وما علمك وقال) اى اللاعن (اردت سوء
الادب) اى فى الاداء (ولم ارد القرءآن) وفى التسامح عنه نظر اذ قوله وما علمك بعيد عن هذا التأويل بل ظاهر فى طعن
التنزيل فينبغى ان يستتاب الآن ثبت لحن فقيه الكتاب والله تعالى اعلم بالصواب (قال ابو محمد) اى ابن ابى زيد
(اما من لعن المصحف) اى صريحا (فانه يقتل) اى اجماعا

(فصــــل)

(وسب آل بيته) وفى نسخة آل النبى وفى نسخة اهل بيته اى اقاربه (وازواجه واصحابه عليه السلام وتنقصهم حرام

ملعون فاعله) اى مذموم وملام قائله (حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا ابو الحسين
الصيرفى وابو الفضل العدل) وهو ابن خيرون (ثنا ابو يعلى) المعروف بابن زوج الحرة (ثنا ابو على السنجى) بكسر
السين المروزى (ثنا ابن محبوب) هو ابو العباس المحبوبى راوى الجامع عن الترمذى وشارح القدورى على ما ذكره
الانطاكى (ثنا الترمذى) هو الحافظ ابو عيسى صاحب الجامع (ثنا محمد بن يحيى) الظاهر انه الذهلى ابو عبد الله
النيسابورى (ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة) وفى نسخة بالتصغير (ابن ابى رائطة) بالهمز قبل الطاء المهملة قال
الحلبى هو بفتح العين وكسر الموحدة نص عليه غير واحد من الحفاظ منهم ابن ماكولا فى اكماله والذهبى وضبط
فى بعض النسخ بضم العين وهو خطأ انتهى وقال التلمسانى فى اصل المؤلف عبيدة بالتصغير وصوابه عبيدة بالفتح
وبه ذكره الدارقطنى وهو كوفى نزل البصرة يروى عن عاصم ابن ابى النجود وغيره عن عبد الرحمن بن زياد قال المزى
فى الاطراف يقال انه اخو عبيد الله بن زياد (عن عبد الله بن مغفل) بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفاء
المفتوحة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله الله) بنصبهما وكرر للتأكيد اى اتقوه اوراعوه اوراقبوه
او احفظوا عهده او احذروا عقابه (فى اصحابى) اى من جهتهم (الله الله فى اصحابى) وهذا تأكيد بعد تأكيد ووضع
الظاهر موضع الضمير للمبالغة فى التحذير وكان الخطاب لمن بعدهم من القرون اولبعضهم من المنافقين اوللعامة
والمراد باصحابه الخاصة كما يشير اليه ياء الاضافة (لا تتخذوهم غرضا) اى هدفا للعن او الطعن (بعدى) اى فى غيبتى
او بعد موتى (فمن احبهم فبحبى) اى فبسبب محبته اياى (احبهم) او بسبب محبتى اياهم ويؤيد الاول قوله (ومن ابغضهم
فببغضى ابغضهم) ولا يخفى ان المرتد تبطل صحبته بردته ولو صحت توبته (ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى
الله) اى خالفه فكانه آذاه (ومن آذى الله يوشك ان يأخذه) اى يعاقبه فى الدنيا او العقبى (وقال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم لا تسبوا اصحابى) المشتملين على اقاربى وازواجى واحبابى (فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا) اى توبة او نافلة (ولا عدلا) اى فدية او فريضة وقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى
الله عنه مرفوعا من سب اصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وروى احمد والحاكم عن ام سلمة من
سب عليا فقد سبنى ومن سبنى فقد سب الله تعالى (وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابى فانه يجيء قوم) وروى
اقوام (فى آخر الزمان يسبون اصحابى فلا تصلوا عليهم) ان ماتوا للعبرة وهذا محمول على ما اذا قام بها البعض (ولا تصلوا
معهم) ان صلوا اماما فانهم اهل بدعة (ولا تناكحوهم) اى ديانة (ولا تجالسوهم) اى من غير ضرورة (وان مرضوا
فلا تعودوهم) مبالغة فى الاهانة والظاهر ان النهى فى هذا الحديث للتنزيه (وعنه عليه الصلاة والسلام من سب
اصحابى فاضربوه) روى الطبرانى عن على كرم الله وجهه من سب الانبياء قتل ومن سب اصحابى جلد اى ضرب
وهذا فرق حسن بين الانبياء والصحابة وفى معناهم العلماء والاولياء وهو قول الجمهور واما قتل من سب الصحابة
كما قال به بعضهم فانما يحمل على السياسة فى الشريعة وسد باب الذريعة على ما بينته فى رسالة مستقلة ولما كان فيها
بعض الاطالة اختصرتها وسميتها السلالة (وقد اعلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان من سبهم وآذاهم يؤذيه واذى
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حرام) بل كفر (فقال لا تؤذونى فى اصحابى) اى لاجل اذاهم (ومن آذاهم فقد آذانى)
اى فكأنه آذانى (وقال لا تؤذونى فى عائشة) اى خصوصا فانها احب الزوجات وقال الانطاكى قوله لا تؤذونى
فى عائشة الخطاب لام سلمة وتمام الحديث فان الوحى لم يأتنى وانا فى ثوب امرأة الا عائشة (وقال فى فاطمة) لانها
احب البنات بضعة منى بفتح الموحدة وتكسر اى قطعة منفصلة منى (يؤذينى ما آذاها) وروى البخارى عن المسور
فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبنى (وقد اختلف العلماء فى هذا) اى ساب الصحابة (فمشهور مذهب مالك) رحمه
الله الموافق للجمهور (فى ذلك الاجتهاد) فى ايقاع النكال لدفع الفساد (والادب الموجع) لا لاصلاح العباد (قال
مالك رحمه الله من شتم النبى) اى جنس الانبياء (قتل ومن شتم اصحابه ادب) اى جلد وضرب وقد تقدم الحديث
بذلك (وقال) اى مالك (ايضا من شتم احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية
او عمرو بن العاص) وسقط او عليا من اصل الدلجى فقال ولم يذكر المصنف عليا لان محبيه كثيرون انتهى ولا يخفى
ان الكثرة انما هى بالنسبة الى معاوية وعمرو بن العاص لا بالاضافة الى من قبله فقد اختلفت المبتدعة فى حب على
كالروافض وبغضه كالخوارج (فان قال) شاتمهم (كانوا) اى الصحابة كلهم (على ضلال وكفر) عطف تفسير (قتل)
لتكذيبه القرءآن فيما اثنى عليهم لقوله رضى الله عنهم وحديث اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث لو انفق
احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اى نصفه (وان شتمهم) اى كلهم او بعضهم (بغير هذا) الذى ذكر
(من مشاتمة الناس نكل) بصيغة المجهول مشددا او مخففا اى ردع وزجر وعوقب (نكالا شديدا وقال ابن حبيب

من غلا) اى تجاوز عن الحد وتعدى (من الشيعة) او الخوارج (الى بغض عثمان والبراءة منه) اى والى التبرى من محبته (ادب ادبا شديدا ومن زاد) اى الى ذلك كما فى نسخة اى ضم اليه (بغض ابى بكر وعمر فالعقوبة عليه اشد) اى كمية وكيفية (و يكرر ضربه) بقدر زيادة بغض صحبه عليه الصلاة والسلام وحزبه (ويطال سجنه) اى مدة حبسه (حتى يموت ولا يبلغ به) اى فيه (القتل الا فى سب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) والا فى انكار صحبة ابى بكر وكذا فى صحة خلافته المجمع عليهما ولا عبرة بمخالفة الشيعة فيهما وكذا اذا قيل له قل رضى الله عنهم فابى فانه كالانكار لما فى القرءان (وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا او عثمان او غيرهما) كمعاوية وعمرو ابن العاص (يوجع) بصيغة المجهول مخففا او مشددا (ضربا) بالنصب على التمييز وانما خص عليا وعثمان بالذكر لان الخوارج قالوا بتكفيرهما بناء على قواعدهم الفاسدة واصولهم الكاسدة ولم يحتاجوا الى تعظيم الشيخين للاجماع على خلافتهما وعدم ما يقتضى هتك حرمتهما فمن كفرهما كفر خلافا للروافض ولا عبرة بقولهم المناقض بل التحقيق ان اصل مذهب الشيعة ليس تكفيرهما بل ينسبونهما الى المخالفة فى امر الخلافة بناء على انهم يفضلون عليا عليهما وانما اللعن والتكفير صدر من غلاتهم ولعل هذا معنى ما روى من ان سب الشيخين كفر المفهوم منه ان سب غيرهما ليس كذلك لتفاوت رتبتهما هنالك واما معاوية واتباعه فيجوز نسبتهم الى الخطأ والبغى والخروج والفساد واما لعنهم فلا يجوز اصلا بخلاف يزيد وابن زياد وامثالهما فان بعض العلماء جوزوا لعنهما بل الامام احمد بن حنبل قال بكفر يزيد لكن جمهور اهل السنة لا يجوزون لعنه حيث لم يثبت كفره عندهم وعلى التنزل فلعله مات تائبا ولهذا قالوا لا يجوز لعن كافر بعينه الا اذا ثبت كفره وقوله عليه بدليل قطعى من كتاب او سنة كفرعون وابى لهب وابى جهل وامثالهم والله تعالى اعلم وبما قررنا اندفع اعتراض الدلجى بان هذا مخالف لما مر عن مالك انه اذا قال كانوا اى الصحابة على ضلال وكفر قتل فان المراد بهم اما جميعهم او اكابرهم (وحكى ابو محمد ابن ابى زيد عن سحنون فيمن قال فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى انهم) اى كلهم (كانوا فى ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم) اى غير الخلفاء الاربعة (من الصحابة) كمعاوية وغيره (بمثل هذا) القول (نكل النكال الشديد وروى عن مالك من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة) اى قذفها (قتل قيل له) اى لمالك (لم) اى لاى شئ يقتل بسببها وقد قلت فى ابيها يجلد من سبه وهو بالاجماع افضل منها (قال) اى مالك (من رماها) اى قذفها (فقد خالف القرءان) النازل ببراءة ساحتها فعلم بهذا انه لو شتمها احد بغير القذف لم يجب قتله وهذا اذا سب ابا بكر مع اقراره بصحبته فانه لو انكرها الكفر لانكاره القرءان على ما سبق به البيان واما اذا قذف احدى سائر الازواج الطيبات فلا يكفر لعدم ورود براءتهن فى الايات (وقال ابن شعبان عنه) اى عن مالك (لان الله يقول يعظكم الله) اى يحذركم من (ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر) وفيه ايماء الى ان من قذفها قبل الوعظ لم يكفر وانما حد حد القاذف (وحكى ابو الحسن الصقلى) بفتح اوله وبكسر وبسكون القاف قال الحلبى نسبة الى صقلية جزيرة بالمغرب وقال الدلجى بفتح المهملة والقاف وقال التلمسانى بكسر الصاد والقاف واللام مشددة وبفتح الصاد والقاف واللام مشددة (ان القاضى ابا بكر بن الطيب) اى الباقلانى المالكى امام المتكلمين (قال ان الله تعالى اذا ذكر ما نسب اليه المشركون) من الشريك والولد والصاحبة والبنات (سبح نفسه لنفسه) وفى نسخة بنفسه (كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه فى آى كثيرة) كقوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه وقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه (وذكر تعالى ما نسبه المنافقون) فيه تغليب اذ الذى تولى كبره هو ابن ابى بن سلول رئيس المنافقين وقد تبعه بعض المؤمنين كحسان ومسطح وحمنة وغيرهم (فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) المأفوك عليها (سبحانك سبح نفسه فى تبرئتها من السوء) المنسوب اليها (كما سبح نفسه فى تبرئته من السوء) وما ذاك الا لجلالة مقامها العلى فى رفيع صحبة النبى (وهذا) القول من الباقلانى (يشهد لقول مالك) ولا اعرف احدا يخالفه فى ذلك (فى قتل من سب عائشة) اى قذفها (ومعنى هذا) القول بقتل من قذفها (والله تعالى اعلم) جملة معترضة (ان الله لما عظم سبها) اى بالافتراء عليها المسمى بالافك (كما عظم سبه تعالى) بالافتراء عليه حيث قال الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون (وكان سبها سبا لنبيه) فيه بحث لا يخفى على النبيه لان سبها ليس سبا لنبيه فى حقيقة الكلام ولا يلزم من قذفها قذفه عليه الصلاة والسلام ولهذا لم يقتل من قذفها قبل نزول براءتها بل جعل قذفها حينئذ كقذف سائر اهل الاسلام فى عموم الاحكام فالكفر الموجب للقتل انما هو لمخالفة القرءان ولهذا اختصت عائشة الصديقة بهذا الاجلال فى الطريقة وبهذا اعلم معنى بقية كلامه من قوله (واذاه) اى وقرن اذى نبيه (باذاه سبحانه وتعالى) اى فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة (وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان مؤذى نبيه

كذلك كما قدمناه) ولا يخفى ان ذلك لو اجرى على حقيقته لكان سب كل احد من اهل بيته كفرا موجبا للقتل هنالك والامر على خلاف ذلك لانه لم يقصد بذلك اذاه صلى الله تعالى عليه وسلم وفرق بين ان يقع شئ اصالة وقصدا وبين ان يقع تبعية وضمنا فى مقام التحقيق والله ولى التوفيق (وشتم رجل عائشة) اى بغير القذف (بالكوفة فقدم) اى فاحضر الشاتم (الى موسى بن عيسى العباسى فقال من حضر هذا) المجلس او هذا الرجل حين شتم قال التلمسانى ويروى من خصم (فقال ابن ابى ليلى انا) وهو احد المجتهدين وقد تولى القضاء ولعل هذا هو الموجب للاكتفاء (فجلد) اى الشاتم (ثمانين جلدة وحلق رأسه) اى تعزيرا (واسلمه) اى تركه وفى نسخة وسلمه (للحجامين) يعذبونه باخراج دمه لزيادة سياسة فى امره (وروى) كما فى تاريخ الخطيب وابن عساكر (عن عمر بن الخطاب انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله) بالتصغير (ابن عمر اذ شتم المقداد) بكسر الميم (ابن الاسود) تبنيا فان اباه غيره (فكلم) بصيغة المجهول اى فشفع عمر (فى ذلك فقال دعونى اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا بعد) اى بعد ذلك (من اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وحيث منعوه ولم يقروه حتى يفعل لا يكون اجماعا فلا يجوز قطع لسان من سب صحابيا وانما اراد عمر تخويفه او السياسة (وروى ابو ذر الهروى ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى يهجو الانصار فقال) اى عمر (لولا ان له) اى للاعرابى (صحبة) اى سابقة له عليه الصلاة والسلام (لكفيتكموه) من شره بما يليق بامره ورواه ايضا محمد بن قدامة المروزى فى كتاب الخوارج عن ابى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقات ذكره الدلجى (وقال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى ذكر بعض معايبهم وغفل عن جملة مناقبهم ولم يعرف انهم السابقون فى الايمان ولم يعمهم بالاستغفار والرضوان (فليس له فى هذا الفئ) الذى يعم المسلمين (حق) اى حصة ونصيب لانه (قد قسم الله الفئ فى ثلاثة اصناف فقال للفقراء) بدلا من لذى القربى وما بعده وان المبدل منه فى حكم الطرح او الشامل لهم ولغيرهم (المهاجرين) الى المدينة (الاية) الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اى فى ايمانهم ومعرفتهم او فى تصحيح نية هجرتهم (ثم قال والذين) عطفا على للفقراء (تبوؤا الدار) اى سكنوا المدينة واتخذوها دار الوطن والقرار (والايمان) اى واختاروا واخلصوا (من قبلهم) اى قبل هجرة اهل الاسلام اليهم (الاية) اى يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اى ضرورة ومجاعة (وهؤلاء هم الانصار ثم قال والذين جاؤا من بعدهم) اى من التابعين واتباعهم الى يوم الدين (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) من المهاجرين والانصار خصوصا (الاية) اى ولا تجعل فى قلوبنا غلا اى حقدا وحسدا للذين آمنوا عموما ربنا انك رؤف رحيم بالمؤمنين فى الدنيا والاخرى (فمن تنقصهم فلا حق له فى فئ المسلمين) بل يخرج عن دائرة المؤمنين لحصرهم فى الاصناف المذكورين (وفى كتاب ابن شعبان من قال فى واحد) وفى نسخة احد (منهم) اى من الصحابة (انه ابن زانية وامه مسلمة) جملة حالية (حد عند بعض اصحابنا) المالكية (حدين حدا له وحدا لامه) لعله اراد بالاول التعزير مبالغة فى التحذير (ولا اجعله كقاذف الجماعة فى كلمة) نحو يا اولاد الزنى ويا ابناء الزانيات لغيرهم حيث تتداخل الحدود جملة وذلك (لفضل هذا) الصحابى (على غيره ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سب اصحابى فاجلدوه) اى فاضربوه كما فى رواية تقدمت (قال) اى ابن شعبان (ومن قذف ام احدهم وهى كافرة حد حد الفرية) اى الكذب (لانه) اى قذف ام احدهم ولو كانت كافرة (سب له) اى لولدها الكريم فيستحق به التأديب الاليم (فان كان احد من ولد هذا الصحابى) اى اولاده واحفاده (حيا) وابوه ميتا (قام) مقامه (فيما يجب له) من استيفاء الحد (والا فمن قام به من المسلمين) حسبة فى مرامه (كان على الامام) او نائبه (قبول قيامه قال) اى ابن شعبان (وليس هذا) الحكم المذكور (كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء) الصحابة (بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم) احياء وامواتا (ولو سمعه الامام) اى السلطان او نائبه (واشهد عليه كان) اى الامام (ولى القيام به) اى بالحد (قال) اى ابن شعبان (ومن سب غير عائشة من ازواج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) اى بقذف احداهن (ففيها) اى ففى المسألة او ففى حقها (قولان احدهما يقتل لانه سب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسب حليلته) وفى نسخة بسبب سب حليلته وهى زوجته من الحلول وهو النزول لانها تحل معه حيث حل او هو يحل بها حيث حلت وقيل من الحلال ضد الحرام فيشمل السرية (والاخر انها) اى حليلته (كسائر الصحابة) رجالهم ونسائهم (يجلد حد الفرية) وفى نسخة حد المفترى (قال) اى ابن شعبان (وبالاول) وهو القول بالقتل (اقول) وهذا بعيد عن الاصول فتأمل فانه يلزم منه عدم الفرق بين عائشة المبرأة بالكتاب وبين غيرها والله تعالى اعلم بالصواب (وروى ابو مصعب عن مالك فمن سب من انتسب الى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من جهة القرابة والنسب المعروف وفى بعض النسخ عن مالك من انتسب

الى بيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اى الى اولاده وظهر انه ليس منهم (يضرب ضربا وجيعا ويشهر) من الشهرة وهو الظهور ومعناه يطاف به فى الاسواق (ويحبس طويلا) من الزمان (حتى تظهر توبته) اى آثارها عند الاعيان (لانه استخفاف بحق الرسول عليه الصلاة والسلام وافتى ابو المطرف الشعبى فقيه مالقة) بفتح اللام والقاف وقال التلمسانى فاء له بلدة بالعدوة اعادها الله تعالى دار اسلام (فى رجل انكر تحليف امرأة) وجه عليها يمين واريد تحليفها (بالليل) لكونها مخدرة فامتنع الرجل عن تحليفها بالليل (وقال لو كانت بنت ابى بكر الصديق) اى فرضا وتقديرا (ماحلفت) وفى نسخة بصيغة المجهول (الا بالنهار وصوبه بعض المتسمين بالفقه) اى المتصفين به نظرا الى انه اراد المبالغة فى النفى لا الاهانة كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن شفع لسارقة حيث قال له لو كانت فاطمة لقطعت يدها وذلك لانه سبحانه وتعالى عمم الحكم بين الخاص والعام فى قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ولا تجوز الشفاعة فى الحدود (قال ابو المطرف ذكر هذا) الكلام (لابنة ابى بكر فى مثل هذا) المقام (يجب عليه) به (الضرب الشديد والسجن الطويل) اى الحبس المديد (والفقيه الذى صوب قوله احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه فى ذلك ويزجر) وفى نسخة ولا يؤخر (ولا تقبل فتواه ولا شهادته) وهذا من المجازفة فى الكلام فان غايته انه اخطأ فى فتواه والمجتهد قد يخطئ ولا يفسق ولا ترد شهادته بالاجماع (وهى) اى فتواه (جرحة) بضم الجيم اى طعنة (ثابتة فيه ويبغض فى الله) اى لاجل رضاه وهذا كله نشأ من حظ نفس ابى المطرف ومتابعة هواه ومن عدم الاطلاع على الحديث الذى قدمناه (وقال ابو عمران) اى القابسى (فى رجل قال لو شهد على ابو بكر الصديق) حذف سببه وجوابه لظهورهما عنده (انه) اى الشأن (ان كان) اى القائل (اراد ان شهادته فى مثل هذا الحكم) وفى نسخة فى مثل ما اى حكم او الحكم (لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شئ عليه) وهو ظاهر كلامه ومرامه من المبالغة (وان كان اراد غير هذا) المعنى الذى ذكر مما يقتضى اهانته فرضا (فيضرب ضربا) اى شديدا (يبلغ به) بصيغة المجهول اى يوصل بضربه (حد الموت) او يبلغ هو بالضرب الموت وفى اصل الدلجى وذكروها اى مقالة ابى عمران رواية عن مالك او غيره من اصحابه وهذا رد على ابى المطرف فى شدة جوابه (قال القاضى ابو الفضل) وهو المؤلف (هنا انتهى القول بنا فيما حررناه) اى قدمناه وقررناه (وانتجز) بالنون والجيم والزاى اى تم وانقضى (الغرض الذى انتحيناه) بالحاء المهملة اى قصدناه وملنا نحوه واعتمدناه (واستوفى) بصيغة المجهول اى استكمل (الشرط الذى شرطناه) فيما اوردناه من الاقسام الاربعة التى اردناها (مما ارجو ان يكون) وفى نسخة ان بتشديد النون اى الشأن (فى كل قسم منه للمريد) اى لمن يريده (مقنع) يقنع به ويرضاه ويكتفى به عما سواه (وفى كل باب منهج) اى طريق واسع (الى بغيته) بكسر اوله ويضم اى طلبته وحاجته (ومنزع) اى حجة لمن يحتج به فى قضيته (وقد سفرت) بفتح الفاء للمتكلم اى كشفت واوضحت (فيه عن نكت) جمع نكتة وهى حكمة دقيقة (تستغرب وتستبدع) اى تعد غريبا وبديعا عجيبا لقلة استعمالها ودقة احوالها (وكرعت) اى وشربت شربا خاصا حيث تناولت من الحوض شربا بما حصل لى من التوفيق (فى مشارب من التحقيق) اى التحرير بالتدقيق (لم يوردها قبل) اى لم يذكرها قبل ذلك (فى اكثر التصانيف مشرع) اى مورد به ينتفع (واودعته) اى ضمنته (غير ما فصل) ما صلة للمبالغة فى الكثرة والمعنى اودعته فى فصول كثيرة واغرب الانطاكى فى قوله اى غير فصل واحد وهذا الفصل هو الذى حكى القاضى المؤلف فيه ماوقع من الزنادقة واهل الاهواء الضالة بعض الالفاظ البشيعة الشنيعة (وددت) بكسر الدال الاولى اى احببت وتمنيت (لو وجدت من بسط قبلى الكلام فيه او مقتدى) وفى نسخة او مفيدا (يفيدنيه) اى يفيدنى ذلك (عن كتابه او فيه) اى عن فمه وهو تجنيس تام مع ما قبله (او تلفيق) وهو المركب والمتشابه (لا كتفى بما ارويه) من الرواية اى اخبره (عما اروبه) من التروية وهو تجنيس محرف واغرب الانطاكى فى قوله هو من روّيت الحبل اذا غلظت قواه وهو كناية عن بسط الكلام فيه (والى الله تعالى) لا الى غيره (جزيل الضراعة) اى كثير الخضوع والخشوع والاستكانة (فى المنة) اى فى طلبها او قبولها (بقبول ما منه) اى بقبول شئ وقع من عنده لطفا (لوجهه) فضلا (والعفو) بالرفع (عما تخلله) اى تداخل فى خلاله مما يخل بكماله (من تزين) اى تكلف (وتصنع لغيره) اى لغير وجهه سبحانه من رياء او سمعة او حظ نفس وشهوة (وان يهب لنا ذلك) اى على تقدير تقصير هنالك (بجميل كرمه وعفوه لما اودعناه) اى لاجل ما اوردناه فيه وبيناه (من شرف مصطفاه وامين وحيه وما) اى ولاجل ما (اسهرناه به) اى بسببه (جفوننا) اى عيوننا (لتتبع فضائله) ونشر شمائله (واعملنا) اى اتعبنا واعلمنا (فيه خواطرنا) اى عقولنا وسرائرنا (من ابراز خصائصه) اى اظهارها (ووسائله) التى يتوسل بها الى اغراضنا (وان يحمى اعراضنا) اى ارواحنا واشباحنا الموجودة (عن ناره الموقدة) التى تطلع على الافئدة (لحمايتنا كريم عرضه عليه الصلاة والسلام) من الكلام المترتب

عليه الملام (ويجعلنا) اى الله سبحانه وتعالى (ممن لا يذاد) بضم اوله من الذود وهو الطرد اى ممن لا يدفع ولا يمنع (اذا ذيد) مجهول ذاد اى طرد (المبدل) لدينه بعد موت نبيه (عن حوضه ويجعله) اى وان يجعل هذا المؤلف وما يتبعه من المصنف (لنا) معشر المسلمين الحاضرين (ولمن تهمم) اى اعتنى واهتم (باكتتابه واكتسابه) ولو بشرائه (سببا) اى وسيلة (يصلنا باسبابه) التى لا انفصام لها فى بابه (وذخيرة) اى نتيجة مدخرة محفوظة عنده سبحانه وتعالى (نجدها حاضرة (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا) ينفعها فى يوم الجمع محضرا (نحوز) اى نظفر ونفوز (بها رضاه وجزيل ثوابه) الذى هو لقاه (ويخصنا بخصيصى) بكسر الخاء وتشديد الصاد المكسورة وفى آخره الف مقصورة قال التلمسانى و يدوهو خطأ مصدر بمعنى الخصوصية وقيل اسم مبالغة فى التخصيص اى بمن هو من خواص (زمرة نبينا وجماعته وان يحشرنا فى) وفى نسخة مع (الرعيل) اى الجمع (الاول) من اهل السعادة فى الازل وهم علماء اهل السنة والجماعة وقيل هم الزمرة الاولى التى تدخل الجنة بغير حساب فيكون قوله (واهل الباب الايمن) الذى هو الاحسن والازين (من اهل شفاعته) من قبيل عطف التفسير فقد ورد فى حديث الشفاعة ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة جعلنا الله منهم من كمال الفضل والمنة (ونحمده) اى نثنى عليه بما يوافى نعمه ويكافى كرمه (على ما هدى) اى دلنا (اليه من جمعه والهم) من عزمه (وفتح البصيرة) الباطنية (لدرك) بسكون الراء وفتحها اى لادراك (حقائق ما اودعناه وفهم) دقائق ما بيناه وعيناه مما يتعلق بمصطفاه (ونستعيذه) اى نعوذ به ونلوذ (جل اسمه) كسماه (من دعاء لا يسمع) اى لا يقبل (وعلم لا ينفع) اى غير نافع صاحبه (وعمل لا يرفع) اى لا يصعد بل يرد على وجه كاسبه وورد زيادة ونفس لا تشبع ومن هؤلاء الاربع اجمالا بعد تفصيل اكمالا (فهو الجواد) بفتح الجيم وتخفيف الواو وقد ورد فى الحديث غيرانى جواد ماجد اى صاحب الجود والعظمة فى مقام الشهود (الذى لا يخيب) بفتح الياء وتضم وكسر الخاء المعجمة وفى نسخة بضم الياء الاولى وتشديد الثانية اى لا يضيع ولا يخسر (من امله) بتشديد الميم اى قصده ورجاه (ولا ينتصر) على عدوه (من خذله) اى ترك نصرته ومنع حرمته (ولا يرد دعوة القاصدين) لقوله تعالى ادعونى استجب لكم والحديث ان الله ليستحيى ان يرد يد عبده صفرا اذا رفعها اليه (ولا يصلح عمل المفسدين) لامر الدين (وهو حسبنا) اى كافينا فى كل قليل وجليل (ونعم الوكيل) اى الموكول اليه والمعتمد عليه وهى كلمة قالها ابراهيم الخليل لما القى فى النار ومحمد الجليل وصحبه الجميل لما قيل ان الناس قد جمعوا لكم وروى انه من خشى عدوه فليقل حسبى الله ونعم الوكيل وقيل لما القى يوسف فى الجب قال حسبى الله ونعم الوكيل فعذب ماؤها بعد ما كان مالحا فهو سبحانه وتعالى حسبنا ونعم الوكيل ربنا ونعم الشفيع نبينا ونسأل الله دوام العافية وتوفيق تمام الطاعة وحسن الخاتمة والحمد لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا على جميع ما انعم من النعم ما علمت منها وما لم اعلم والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد الاولين والآخرين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ربنا توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا الجنة آمنين برحمتك يا ارحم الراحمين آمين فرغ مؤلفه رحم سلفه اواسط رمضان المبارك عام احد عشر بعد الالف من الهجرة النبوية الى المدينة السكينة وذلك بمكة المكرمة الامينة وانا الفقير الى ربه البارى على بن سلطان محمد القارى الحنفى عاملهما الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى

ومن احسن ما نظم فى تحسين هذا الكتاب ما قاله بعض اولى الالباب من الاصحاب

شفى داء النفوس لنا الشفاء * اضاء النور منه والسناء
ونال محبه كل الامانى * وزال به عن القلب الصداء
تلألأ نوره ابدا علينا * ظلام الليل عاد لنا ضياء
جواهر نظمه درر وابهى * من الياقوت حقا لا مراء
حوى حكما وموعظة وحكما * فصاحة من له شهدت ظباء
فصاحة خير رسل الله فيه * ومدح الله فيه والثناء
فصاحة منطق وبليغ لفظ * وحكمة حاكم وله العطاء
واخبار به تتلى علينا * كلام جامع فيه الهداء
فقد حل الشفاء بنا شفينا * وزال البؤس عنا والشقاء
اثاب الله جامعه عياضا * جنان الخلد فيه له الجزاء
وزاد محبه شرفا وفضلا * وبلغه المهيمن ما يشاء

وقال آخر

انى سألتك بالله الذى خضعت * له السموات وهو الواحد البارى

اذا تأملت فاستغفر لكاتبه * لعل كاتبه ينجو من النار

وقال آخر

تم الكتاب بحمد الله ذى الجود * رب البرايا ومجرى الماء فى العود

ياقارى الخط قل بالله مجتهدا * اغفر لكاتبه ياخير معبود

وصلى الله على من لانبى بعده وعلى آله وصحبه اجمعين

---

*(قال محمد هو الشهاب * عنه عفا بفضله الوهاب)*

نحمدك يامن منحت بحديث حبيبك الشفا من الالام * وشرحت بقديم كلامك صدورنا للاسلام * ونصلى ونسلم على هذا النبى الحبيب * السيد السند الحكيم الطبيب * اللهم فصل وسلم عليه وعلى آله الهادين * واصحابه الذين شيدوا اركان ما اسسه من قواعد الدين * وبعد فلما ان منّ الله بانطباع هذا الشرح الجليل * الذى شفى بشفائه كل غليل وعليل * وكنت لم آل جهدا فى علاجه * وتصحيح طبعه بتعليل مزاجه * حتى تباهى بجمال وضعه * وتزاهى بكمال طبعه * وصار كانه الروض آن مجتناه * وطاب جناه لمن جناه * عن لى ان اجلو على القارى * اصناف محاسن مصنفه على القارى * ليجتلى عرائس غرره * ويلتقط نفائس درره * فقلت مقرظا واجدت * وانشأت مؤرخا وانشدت

أجمان يزدهى بالصفاء * ام نجوم من درارى السماء

ام ثنايا لاح برق سناها * فجلا جنح الدجى بالضياء

ام مبانى اسفرت عن معان * هى شمس فى السنا والسناء

حدثتنا عن شفاء عياض * بحديث قد شفى كل داء

صح متنا بشرح الصدر شرحا * فيه قرت كل عين لراء

رب معنى رائق رق لفظا * ليس عنه فى بناء بناء

خص من شاء بما شاء ربى * نعم نعم الرب رب العطاء

يا له شرحا اتى بشفاء * لم يدع داء بدون دواء

فاق بدر التم حسنا ونورا * وتجلى عن ذكاء ذكاء

فزت ياقارى به وهنيئا * لك فى الفردوس خير الجزاء

فابتهج اذ تم طبعا وارخ * ازه ياقارى بشرح الشفاء

٤١٢٥١٠٣٢٢١٣

سنة ١٢٥٧

وقد كان كمال وضعه الباهى * وتمام طبعه الجميل الزاهى * فى دار الطباعة الباهره * الكائنة ببولاق مصر القاهره * ملحوظا بعين عناية ناظرها السنى المراتب * الذى هو حضرة حسين افندى راتب * ومشمولا بتصحيح رئيس مصححيها المعدين * الفقير محمد بن اسماعيل شهاب الدين * على ذمة كل من حضرة فخر التجار الكبار * ذوى الوقار والاعتبار * الحاج عثمان اغا جانبلاط * وفقه الله الى سواء الصراط * وحضرة شريكه رئيس التجار الخيريه * بالقسطنطينية السنية النوريه * السيد الحاج محمود افندى امير اخورزاده * ادام الله مجده وزاده * لثلاث بقين من رجب * الذى عرج فيه بالنبى الى مقام قاب قوسين فاخترق ما حجب * سنة سبع وخمسين ومائتين بعد الالف * من هجرة سيدنا محمد الذى كان يرى من الامام والخلف * صلى الله وسلم عليه وعلى اله مصابيح الاقتداء * واصحابه نجوم الاهتداء * مالاح بدر تمام * وفاح مسك ختام



